

كُنُوزُ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

# مُقَدِّمَةُ أَبِنْ خَلْدُونَ

وَمِنْ  
الْجُزْءِ الْأَوَّلِ

مِنْ  
كِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْمَخْبَرِ

فِي  
أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ  
وَمَنْ عَاَصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ

تَدْقِيقُ  
الْعَامِلُ عَبْدُ اللَّهِ الْبُسَّانِي

تَشْكِيلُ  
الْعَلَّامَةِ رَسِيدِ عَطِيَّةِ

مَكْتَبَةُ لُبْنَانُ











# مُقَدِّمَةُ آيِنِ خَالِدُونِ

كتابُ قد حوى دُرر المعاني      ويحر فوائد للمقتنيه  
فلا تعجب لهاتيك المباني      فان البحر كل الدرّ فيه

المطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٨٧٩

وطبعت ثانية سنة ١٨٨٦

ثم طبعت ثالثة بالشكل الكامل سنة ١٩٠٠

الطبعة الرابعة - مكتبة لبنان - ١٩٩٠

جميع الحقوق محفوظة

رقم الكتاب 01 R 160110

كُنُوزُ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

# مُقَدِّمَةُ أَبْنِ خَلْدُون

وَهِيَ  
الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مِنْ  
كِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

فِي  
أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ  
وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السَّلْطَانِ الْأَكْبَرِ

تَدْقِيقُ  
الْعَامِّ عَبْدُ اللَّهِ الْبُسَاتِنِي

تَشْكِيلُ  
الْعَلَّامِ رَسِيدِ عَطِيَّةِ

مَكْتَبَةُ لُبْنَان



## محتويات الكتاب

- و - تمهيد بقلم الدكتور خضر الجواد
- ٣ - الغاية من وضع الكتاب وإهدائه
- المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع بما يعرض للمؤرخين من  
٩ المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها
- الكتاب الأول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر  
والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك  
٣٥ من العلل والأسباب
- ٤١ - الفصل الأول: في العمران البشري على الجملة . . .
- ١٢٠ - الفصل الثاني: في العمران البدوي . . .
- ١٥٤ - الفصل الثالث: في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية . . .
- ٣٤٢ - الفصل الرابع: في البلدان والأمصار وسائر العمران . . .
- ٣٨٠ - الفصل الخامس: في المعاش ووجوهه . . .
- ٤٢٩ - الفصل السادس: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه . . .

## تمهيد

### ملايح من حياة وعصر

- بين ولادة ابن خلدون في تونس سنة ١٣٣٢ م / ٧٣٢ هـ، ووفاته في القاهرة سنة ١٤٠٦ م / ٨٠٨ هـ، تساوقت أحداث ونُذت مُتغيّرات:

واجه المغرب، الذي كان قد تفكّك إلى دُوَلات بعد انهيار الدّولة الموحّدية، ثورات وفتنًا، وتعاقبت فيه الدّول سريعًا، وتنازع فيه السُّلطان أسرٌ بحيث حاول كلُّ أمير أن يتوسّع على حساب غيره. ولم يتأ ابن خلدون عن هذه التّقلّبات بل عاين وعانى... وكان مثال الدّاهية، يتقرّب من أمير ثمّ يتقلّب عليه ممّا أدّى به تارة إلى الحِجَابَة (الوزارة) وتارة إلى السّجن.

- ضاق به المغرب، فجاء إلى المشرق وتصدّر للإقراء بالجامع الأزهر، وانصرف للتّدريس والمشخة والقضاء، وكان يقضي بالمذهب المالكيّ. ورغب في استقدام عائلته إلى القاهرة ففرق أفرادها في الطّريق، وتلك كانت الكارثة الثانية التي تصيبه، أمّا الأولى فكانت هلاك والديه بالطّاعون ولم يكن قد تجاوز ابن خلدون الثامنة عشرة.

- وبالرّغم من مصائبه، ومتاعب الأسر في المغرب على يد السُّلطان أبي عنان، وفي المشرق على يد تيمورلنك، ومشاغله السّياسيّة والقضائيّة، فقد أتمّ في القاهرة - إضافةً وتعديلاً وتدقيقًا - مُصنّفه التاريخيّ الضّخم «كتاب العبر» الذي كان قد شرع في تأليفه سنة ١٣٧٤ م في قلعة ابن سلامة، وذلك في فترة من فترات بأسه السّياسيّ.

- كانت تموجات عصره وتمخّضات أحداثه معيّنًا ثَرًا - غزارةً وسرعةً - يرفد تاريخه، وكانت خبرته وثقافته ومقدرته العقليّة عاينًا من عوالم تاريخ عصره، فجاءت مُقدّمته في التاريخ علامة فارقة في تأريخ التاريخ وتاريخ التأريخ.

## ملايخ من فكر وإبداع

• شاء أن يُدوّن تاريخ المغرب فقدّم له بنظرة اجتماعية فلسفية كانت تحلّ إكبار معظم العلماء.

حدّد مفهومه للتاريخ والغاية من كتابة التاريخ ثمّ تصدّى للمؤرخين الذين سبقوه آنحذاً عليهم الاكتفاء بظاهر التاريخ من دون باطنه، ويسرد الأخبار من دون تحليلها ونقدتها، ثمّ عدّد أسباب الوقوع في الخطأ كولوج النفس بالغرائب، والدّهول عن تبدّل الأحوال، والتشيع والتملّق والدّهول عن مقاصد المؤرخين، والجهل بطبيعة الأشياء، وطبيعة الواقع الاجتماعي... وكأنا به يرتقي بالتاريخ إلى قواعده العامة نافذاً إلى عمق فلسفته النقدية.

• تناول العمران البشريّ فكان من القائلين بأنّ الإنسان مدنيّ بالطبع يحيا في جماعة لحاجته إلى الغذاء والدّفاع عن النّفس. لكنّ الاجتماع الإنسانيّ لا يستقيم بدون وازع أيّ سلّطة، لأنّ البشر مفلطرون على التّغالب والتّفاهر، والغلبّة لا تكون إلّا للوازع / الحاكم الأقوى عصبيّة، وقوّة عصبيّته تتأمّن بوفرة صفاته وكثرة التّعصّبين له والمُلتفّين حوله بالنّسب والتّحالف والولاء.

• ولن يكون اجتماع وسلّطة ودول وأنظمة إلّا على بقعة جغرافية معيّنة، والبّقع الجغرافية متفاوتة الأقاليم ممّا يؤدّي إلى تفاوت في أجسام البشر وأخلاقهم وعقولهم وأديانهم.

• شدّد على الأثر الجغرافيّ من غير أن يهمل العوامل البرقيّة والنّفسية والاجتماعية...

• علّج مسألة البداوة والحضارة، فلاحظ أنّ البداوة أسبق من الحضارة، وأنّ المجتمع ينتقل من البداوة إلى الحضارة عن طريق التّموّ الاقتصاديّ، وتقليد البدو للحضر.

تناول السلّطة في العمران البدويّ وأجياها بدءاً بالباقي فالمباشر فالكلّ فالحاد. ثمّ علّج نشأة الدّولة في العمران الحضريّ بأجياها من احتفاظ بالبداوة، إلى تحوّل إلى الحضارة، فسيان البداوة؛ وأطوارها التي تمرّ بها، من الطّفّر بالبقيّة إلى الانفراد بالمجد إلى الفراغ والدّعة، إلى التنوع والمسألة فالإسراف والتّبذير اللّذين يؤدّيان إلى الانهيار الشامل.

• غرّج على وجوه المعاش فبحث في التّجارة مشيراً إلى ما يُسمّى اليوم بقانون العرض والطلب، وإلى أنّ التاجر بحاجة إلى نفوذ سياسيّ وإلا تَطاول عليه الناس، ولذلك يَتَقَرَّب من السُّلطان؛ وألَمَح إلى أنّ تعاطي السُّلطان بالتّجارة يكون سبباً في إفسادها؛ وربط بين قيمة الشّيء والجهد المبذول. وخصّص الصّناعة ببحث وافٍ مُتناوِلاً بساطتها عند البدو وتعقيدها عند الحضّر، وميّز بين صناعات شريفة وأخرى يدويّة، وكيف أنّ الصّناعات تكون مُربّحة في العمران الحضريّ بمقدار ما تكون في الكميّات... ولا يفوتنا التّنويه بأنّ ابن خلدون تَطرَّق إلى العلوم الثّقليّة والعقليّة واللّسانيّة.

• من خلال هذه اللّمحات الحاطفة تتجلّى لنا شخصيّة ابن خلدون الفلّذ:

فهو قد سبق تارد (G. Tarde 1844-1904) إلى نظريّة التّقليد والمحاكاة؛ ودوركايم (E. Durkheim 1858-1917) إلى مَقْولة القَسْر الاجتماعيّ؛ وفيكو (G.Vico 1668-1744) إلى دراسة طبائع الأمم وتعيين نظام التاريخ العام؛ وكونت (A. Comte 1798-1857) وكيّتيل (A. Quételet 1796-1874) إلى ريادة عِلْم الاجتماع؛ ومكيافليّ (N. Machiavel 1469-1527) إلى وسائل الحُكْم وأنواع السُّلطة؛ وروسو (J.J. Rousseau 1712-1778) إلى أنّ التّشكُّف نعمة وحياة الحضارة مَفْسدة للأخلاق؛ ومونتسكيو (Montesquieu 1689-1755) وراتزل (F. Ratzel 1844-1904) إلى أهميّة العامل الجغرافيّ في التّأثير على البشر...

ونظراً لمكانة ابن خلدون في الفكر العربيّ والعالميّ، ومُساهمة في بعث الثّراث وحِفْظه، نشرت مكتبة لبنان مُقدّمته في أوائل السّبعينات بتحقيق المُستشرق الفرنسيّ كاترمير (E.M. Quatremère 1782-1852) في ثلاثة أجزاء؛ وتقوم اليوم بنشر المُقدّمة مُدقّقة ومُشكّلة تشكّلاً كاملاً في جزء واحد؛ على يد عالمين جليلين هما الشّيخ عبدالله البستاني ورشيد عطية.

الدكتور خضر الجواد

بيروت في ٢٧/٧/١٩٨٩



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغَفِيُّ بِطَيْفِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ خَلْدُونِ  
الْحَضْرَمِيِّ وَفَقَّهُ اللَّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ \* وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ \* وَلَهُ الْأَنْبَاءُ  
الْحُسْنَى وَالنُّعُوتُ \* أَلْعَالِمُ فَلَا يَقْرُبُ عَنْهُ مَا تُظْهِرُهُ النَّجْوَى أَوْ يُخْفِيهِ السُّكُوتُ \* الْقَادِرُ  
فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَقُوتُ \* أَنْشَأَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَسَبًا \* وَأَسْتَمَرَّرَنَا  
فِيهَا أَجْبَالًا وَأَمَمًا وَبَسَرْنَا مِنْهَا أَرْزَاقًا وَفَسَّمَا \* تَكُنُّنَا الْأَرْحَامُ وَالْبَيُوتُ \* وَيَكُنُّنَا  
الزُّرْقُ وَالْقُوتُ \* وَتَبَلَّيْنَا الْأَيَّامَ وَالْوُقُوتُ \* وَتَعْتَوِرُنَا الْأَجَالُ الَّتِي خُطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا الْمَوْقُوتُ  
وَلَهُ الْبَقَاءُ وَالشُّبُوتُ \* وَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ \* وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا  
مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَكْنُوبِ فِي التَّوَرَاتِ وَالْإِنْجِيلِ الْمَنْعُوتِ \* الَّذِي تَحْضُنُ لِفَصْلِهِ  
السُّكُونُ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْأَحَادُ وَالسُّبُوتُ \* وَتَبَيَّنَ زُحُلُ وَالْبَهْمُوتُ <sup>(١)</sup> \* وَعَلَى آلِهِ وَآصْحَابِهِ  
الَّذِينَ لَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْأَثَرُ الْبَعِيدُ وَالصِّبْتُ \* وَالشَّمْلُ الْجَمِيعُ فِي مَظَاهِرِهِ وَلِعَدِيمِ  
الشَّمْلِ الشَّنِيتُ \* صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَا أَتَّصَلَ بِالْإِسْلَامِ جَدُّهُ الْمَجْنُوتُ \* وَأَنْقَطَعَ  
بِالْكُفْرِ حَبْلُهُ الْمَبْتُوتُ \* وَسَلَّمَ كَثِيرًا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ قِسْمَ التَّأْرِيخِ مِنَ الْقُنُونِ الَّتِي تَدَاوَلَتْ الْأُمَمُ وَالْأَجْبَالُ وَتَشَدَّدَ إِلَيْهِ  
الرَّكَائِبُ وَالزَّحَالُ \* وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ السُّوقَةُ وَالْأَغْفَالُ \* وَتَتَنَاقَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ  
وَالْأَقْبَالُ \* وَتُلَاسَوِي فِي فَهْمِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ \* إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ

(١) قوله البهوت هو اللون ابي المحوت الذي على ظهر الارض السائمة ويسمى ايضا لرتبا كاسي  
المزور وروح البيان في اللغة ومعلوم ان بينه وبين زحل الذي هو في تلك السابعة يومًا ومجدًا وقال الشهاب  
المجاشعي في حاشيته على البياضري اه في اول سورة نون البهوت بفتح الهمزة القهية وسكون الميم وما شهور  
من انه بالهاء الموحدة غلط على ما ذكره الفاضل الحنفي ومثله في روح البيان قوله نصر الموريني اقره  
المصحح اله لي

عَنِ الْآيَامِ وَاللُّدُولِ \* وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولِ \* تَتَمَوْ فِيهَا الْأَنْوَالُ \* وَتُضْرَبُ فِيهَا  
 الْأَمْثَالُ \* وَتُظَرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَضَا الْأَحْخِفَالُ \* وَتُؤَدِّي لَهَا شَأْنَ الْخَلِيفَةِ كَيْفَ  
 تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ \* وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا النِّطَاقُ وَالنَّجَالُ \* وَعَمَّرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى  
 بِهِمُ الْأَرْنَجَالُ \* وَحَانَ مِنْهُمْ أَرْوَالُ \* وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقُ \* وَتَعَايِلُ لِلْكَائِنَاتِ  
 وَبَدَائِهَا دَقِيقُ \* وَعِلْمُ بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ \* وَأَسْبَابِهَا عَمِيقُ \* فَهُوَ لِذَلِكَ أُصِيلَ فِي الْحِكْمَةِ  
 عَرِيقُ \* وَجَدِيدُ يَأْنِ بَعْدَ فِي عُلُومِهَا وَخَلِيقُ \* وَإِنْ تَحُولُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي الْأَسْلَامِ قَدْ  
 اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْآيَامِ وَجَمْعُهَا \* وَسَطَرُومَا فِي صَفَحَاتِ الدَّقَائِرِ وَأَوْدَعُهَا \* وَخَلَطَهَا  
 الْمُتَطَهِّلُونَ بِدَسَائِسِ مِنَ الْبَاطِلِ وَمِثْمَالِهَا فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا \* وَزَخَارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضْمَغَةِ  
 لَقَعُوهَا وَوَضَعُوهَا \* وَاقْتَفَى تِلْكَ الْأَثَارَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ وَأَتَّبَعُوهَا \* وَأَدْوَمَهَا إِلَيْنَا كَمَا  
 مَمَعُوهَا \* وَلَمْ يَلَاخِظُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعَوْهَا \* وَلَا رَفَضُوا تَرْهَاتِ  
 الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا \* فَالتَّحْقِيقُ قَلِيلُ \* وَطَرَفُ النِّفَاحِ فِي الْغَالِبِ كَلِيلُ \* وَالْعَلَّاقُ وَالْوَهْمُ  
 نَسِيبُ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلُ \* وَالْإِقْلِيدُ عَرِيقُ فِي الْأَدَمِيِّينَ وَسَائِلُ \* وَالنَّطْفَلُ عَلَى الْفُتُورِ  
 عَرِضٌ طَوِيلُ \* وَتَرَعَى الْجَهْلُ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَبِيلُ \* وَالْحَقُّ لَا يَقَاوِمُ سُلْطَانَهُ \* وَالْبَاطِلُ  
 يُغْدِفُ بِشِهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ \* وَالنَّافِلُ إِنَّمَا هُوَ يُعْلِي وَيُنْقِلُ \* وَالْبَصِيرَةُ تَنْقُدُ الْعَجِيجَ  
 إِذَا تَمَقَّلُ \* وَالْعِلْمُ يَتَاوَلَمَّا صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ وَيَصْقِلُ

هَذَا وَقَدْ دَوَّرَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَأَكْثَرُوا \* وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ وَاللُّدُولِ فِي  
 الْعَالَمِ وَسَطَرُوا \* وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ وَالْإِمَامَةِ الْمُعْتَبَرَةِ \* وَاسْتَفْرَغُوا دَوَائِنَ  
 مَنْ قَبْلَهُمْ فِي مَصْنُوعِهَا الْمُنَازَعَةِ \* ثُمَّ قَلِيلُونَ لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنَامِلِ \* وَلَا  
 حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ \* مِثْلُ أَيْنِ إِخْوَةِ الطَّيْرِ وَابْنِ الْكَافِي وَتَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ  
 وَسَيْفِ بْنِ عُمَرَ الْأَسَدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ \* الْمُتَمَيِّزِينَ عَنِ الْجَمَاهِيرِ \* وَإِنْ كَانَ  
 فِي كُتُبِ الْمَسْعُودِيِّ وَالوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطْمَرِ وَالْعَمَزِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ \*  
 وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحَفَظَةِ النِّقَاتِ \* إِلَّا أَرَأَى الْكَافَّةَ اخْتَصَنَهُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ \* وَاقْتِفَاءَ  
 سُنَنِهِمْ فِي التَّصْنِيفِ وَاتِّبَاحِ آثَارِهِمْ \* وَالنَّافِدَ الْبَصِيرَ قَطَامِرُ نَسَبِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ نَبَا يَنْقُلُونَ  
 أَوْ اعْتَبَارِهِمْ \* فَلَا مُمْرَانَ طَبَائِعُ فِي أَحْوَالِهِ تُرْجَعُ إِلَيْهَا الْأَخْبَارُ \* وَتَحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ

وَالْأَنَارُ \* ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ لَهُوَ لَاءُ عَامَةِ الْمَنَاحِ وَالْمَسَالِكِ \* لِعُمُومِ الدَّوَلَتَيْنِ  
صَدَدِ الْإِسْلَامِ فِي الْإِلَاقِ وَالْمَسَالِكِ \* وَتَنَاقُلِهَا الْبَعْدِ مِنَ الْعِبَابَاتِ فِي الْمَاخِذِ وَالْمَتَارِكِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ اسْتَوْعَبَ مَا قَبْلَ الْمِلَّةِ مِنَ الدُّلُولِ وَالْأَمْرِ \* وَالْأَمْرِ الْعَمَلِ \* كَالْمَسْعُودِي  
وَمَنْ نَحَا مَنَاحَهُ وَجَاءَ مِنْ سَدَمِهِ مِنْ عَدَلٍ عَنِ الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ وَوَقَفَ فِي الْعُمُومِ  
وَالْإِخَاطَةِ عَنِ النَّوْأِ الْبَعِيدِ \* فَقَيَّدَ شَوَارِدَ عَصَرِهِ \* وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَفْقِهِ وَقَطْرِهِ \*  
وَأَقْتَصَرَ عَلَى تَارِيخِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ \* كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانٍ مُوَرِّخُ الْأَنْدَلُسِ وَالْدَوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
بِهَا وَابْنُ الْأَرَبِيِّ مُوَرِّخُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْدَوْلَةِ الْفُتُوحِيَّةِ كَانَتْ بِالْقَبْرِوَانِ ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ  
هَؤُلَاءِ إِلَّا مُقَلِّدٌ \* وَبَلِيدُ الطَّبَعِ وَالْعَقْلِ أَوْ مُبَلِّدٌ \* يَسْلُجُ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْوَالِ \* وَيَمْتَعِزِي  
مَنْهُ بِالْمِنَالِ \* وَيَبْهَلُ عَمَّا أَحَالَتْهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ \* وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأَمْرِ  
وَالْأَجْيَالِ \* فَيَحْيِلُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّلُولِ \* وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِي الْعُصُورِ الْأَوَّلِ \* صَوْرًا  
قَدْ تَجَرَّدَتْ عَنْ مَوَادِّهَا \* وَصِفَاهَا أَنْتَضَيْتْ مِنْ أَغْمَادِهَا \* وَمَعَارِفُ تَسْتَنْكِرُ لِلْجَهْلِ  
بِطَارِفِهَا وَتَلَدَّهَا \* إِنَّمَا هِيَ حَوَادِثُ لَمْ تَعْلَمْ أَصُولُهَا \* وَأَنْوَاعُ لَمْ تُعْتَبَرْ أَجْنَامُهَا وَلَا تَتَحَقَّقَتْ  
فُصُولُهَا \* يُكْرَرُونَ فِي مَوْضُوعَاتِهَا الْأَخْبَارَ الْمُنْدَوَلَةَ بِأَعْيَانِهَا \* اتِّبَاعًا لِمَنْ عَمِيَ مِنَ  
الْحَقِيقَةِ مِنْ بَشَائِهَا \* وَبَغْضًا لِمَنْ أَمَرَ الْأَجْيَالِ النَّاشِئَةَ فِي دِيَوَانِهَا \* بِمَا أُعْزِرَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
تَرْجُمَانِهَا \* فَتَسْتَحْجِمُ صُحُفُهُمْ عَنْ يَكَانِهَا \* ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِلذِّكْرِ الدَّوَلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا \*  
مُحَافَظِينَ عَلَى نَقْلِهَا وَهَمًّا أَوْ مَدَقًّا \* لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبَيَانِهَا \* وَلَا يَذْكُرُونَ السَّبَبَ الَّذِي  
رَفَعَ مِنْ رَأْيِهَا \* وَأَظْهَرَ مِنْ أَيْتِهَا \* وَلَا عِلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا \* فَيَبْقَى النَّاطِرُ مُتَطَلِّعًا بَعْدَ  
إِلَى أَتْفَادِ أَحْوَالِ مَبَادِيءِ الدُّلُولِ وَمَرَاتِبِهَا \* مُفْتَشًّا عَنْ أَسْبَابِ تَزَاوُلِهَا أَوْ تَعَاوُلِهَا \*  
بَاحِثًا عَنِ الْمُفْتِنِجِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ تَنَاسُلِهَا \* حَسْبَمَا نَذَكُرُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ  
ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الْاِخْتِصَارِ \* وَذَهَبُوا إِلَى الْاِكْتِفَاءِ بِأَنَاءِ الْمُلُوكِ وَالِاِقْتِصَارِ \*  
مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ \* مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِمَحْرُوفِ الْفَارِ \* كَمَا فَعَلَهُ  
ابْنُ رَشِيْقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ \* وَمَنْ أَقْنَى هَذَا الْأَثَرُ مِنَ الْعَمَلِ \* وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهُوَ لَاءُ  
مَقَالٍ \* وَلَا يَبْدُو لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ \* لِمَا أَذْهَبُوا مِنَ الْقَوَائِدِ \* وَأَخْلَوْا بِالْمَذَاهِبِ  
الْمَعْرُوفَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

وَلَمَّا طَالَتْ كُتُبُ الْقَوْمِ \* وَسَبَرَتْ غُورُ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ \* نَبَهَتْ عَيْنَ الْفَرِيحَةِ مِنْ

سَنَةِ الْفَلَاحِ وَالنَّوْمِ \* وَسَمَتِ التَّصْنِيفَ مِنْ تَفْسِي وَأَنَا الْمُفْلِسُ أَحْسَنُ السَّوْمِ \* فَأَنشَأْتُ  
فِي التَّارِيخِ كِتَابًا \* وَقَعْتُ بِهِ عَنْ أحوالِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَجَالِ حِجَابًا \* وَفَصَّلْتُهُ فِي  
الْأَخْبَارِ وَالْأَعْيَارِ بَابًا بَابًا \* وَأَبْدَيْتُ فِيهِ لِأَوَّلِيَةِ الدُّوَلِ وَالنُّعْمَانِ عِلَلًا وَأَسْبَابًا \* وَبَيَّيْتُ  
عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ عَمَّرُوا الْمَغْرِبَ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ \* وَمَلَأُوا أَكْثَافَ الصُّوَاغِي  
مِنْهُ وَالْأَمْصَارِ \* وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الدُّوَلِ الطُّوَالِ أَوْ الْقِصَارِ \* وَمَنْ سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ  
وَالْأَنْصَارِ \* وَهُمَا الْمَرْبُ وَالْبَرْزُ \* إِذْ هُمَا الْجِلَالُ اللَّذَانِ عُرِفَ بِالْمَغْرِبِ مَا وَهُمَا  
وَطَالَ فِيهِ عَلَى الْأَحْقَابِ مَثْوَاهُمَا \* حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَّصِرُ فِيهِ مَا عَدَاهُمَا \* وَلَا يَعْرِفُ  
أَهْلُهُ مِنَ أَجَالِ الْأَدْيَمِينَ سِوَاهُمَا \* فَهَدَيْتُ مَنَاحِيَهُ تَهْدِيًا \* وَقَرَّبْتُ لِأَهْلِهِمُ الْعِلْمَاءَ  
وَالْخَاصَّةَ تَقَرُّبًا \* وَسَلَكْتُ فِي تَرْتِيبِهِ وَتَبْوِيهِ مَسْلَكًا غَرِيبًا \* وَأَخْتَرْتُ عَنْهُ مِنْ بَيْنِ  
الْمَنَاحِي مَذْهَبًا عَجِيبًا \* وَطَرِيقَةً مُبْتَدَعَةً وَأَسْلُوبًا \* وَشَرَحْتُ فِيهِ مِنْ أحوالِ النُّعْمَانِ وَالْكَسَدِ  
وَمَا بَعْضُ فِي الْأَجْنِمَاعِ الْإِنْسَانِي مِنَ الْعَوَارِضِ الدَّائِيَةِ مَا يُمْتَعِكُ بِعَالِ الْكَوَائِنِ  
وَأَسْبَابُهَا \* وَيَعْرِفُكَ كَيْفَ دَخَلَ أَهْلُ الدُّوَلِ مِنْ أَبْوَابِهَا \* حَتَّى تَنْزِعَ مِنَ التَّقْلِيدِ بِدَكَ \*  
وَلَقِيتُ عَلَى أحوالِ مَا قَبْلَكَ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْأَجَالِ \* وَمَا بَعْدَكَ وَرَبَّيْتُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَتَلَفْتُ كُشْبَ  
الْمُقَدِّمَةِ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِلْمَاعِ بِمَقَالِطِ الْمُؤَرِّخِينَ  
الْكِتَابَ الْأَوَّلَ فِي النُّعْمَانِ وَذَكَرْتُ مَا بَعْضُ فِيهِ مِنَ الْعَوَارِضِ الدَّائِيَةِ مِنَ  
الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ وَالْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَمَا لِذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَسْبَابِ  
الْكِتَابَ الثَّانِي فِي أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَجْبَالِهِمْ وَدَوْلِهِمْ مِنْذُ مَبْدَأِ الْخَلْقَةِ إِلَى هَذَا  
الْعَهْدِ وَفِيهِ مِنَ الْإِلْمَاعِ بَعْضُ مَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَشَاهِيرِ وَدَوْلِهِمْ مِثْلَ الْبَطْ  
وَالسَّرِيَانِيِّينَ وَالْفَرَسِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْقُبُطِ وَالْيُونَانِ وَالرُّومِ وَالْأَنْدَلُسِ  
الْكِتَابَ الثَّلَاثَ فِي أَخْبَارِ الْبَرْزِ وَمَوَالِيهِمْ مِنْ زَنَانَةٍ وَذَكَرْتُ أَوَّلِيَتِهِمْ وَأَجْبَالِهِمْ  
وَمَا كَانَ يَدْيَارِ الْمَغْرِبِ خَاصَّةً مِنَ الْمُلْكِ وَالْأَوَّلِ ثُمَّ كَانَتْ الرِّحْلَةُ إِلَى الْمَشْرِقِ  
لِاجْتِنَاءِ أَنْوَارِهِ \* وَوَضَعْتُ الْقُرْصَ وَالسَّيْفَ فِي مَطَافِهِ وَمَزَارِهِ \* وَالْوُقُوفَ عَلَى آثَارِهِ فِي دَوَائِبِهِ  
وَأَسْفَارِهِ \* فَرَدْتُ مَا نَقَصَ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِلَاكِ الدِّيَارِ \* وَدَوَّلِ التُّرْكِ فِيمَا  
مَلَكَوهُ مِنَ الْأَقْطَارِ \* وَأَتَّبَعْتُ بِهَا مَا كَتَبْتُهُ فِي تِلْكَ الْأَسْطَارِ \* وَأَدْرَجْتُهَا فِي ذِكْرِ  
الْمُعَاصِرِينَ لِتِلْكَ الْأَجَالِ مِنْ أُمَمِ النَّوَاغِي \* وَمُلُوكِ الْأَمْصَارِ وَالصُّوَاغِي \* سَالِكًا سَبِيلَ

الْاِخْتِصَارِ وَالْتَلْخِصِ \* مُتَتَبِعًا بِأَلْعَرَامِ السَّهْلِ مِنَ الْعَرِيسِ \* دَاخِلًا مِنْ بَابِ الْأَسْبَابِ  
عَلَى الْعُمُومِ إِلَى الْأَخْبَارِ عَلَى الْخُصُوصِ فَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْخَلِيقَةِ أَسْنَعِيَابًا \* وَذَكَرَ مِنْ  
الْحِكْمِ النَّافِذَةِ صِعَابًا \* وَأَعْطَى لِحَوَادِثِ الدُّوَلِ عِلَالًا وَأَسْبَابًا \* فَأَصْبَحَ لِلْحِكْمَةِ صَوَانًا  
وَلِلنَّارِ بَحْرًا

وَلَمَّا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَالْزَبَرِ \* مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ وَالْوَبَرِ \* وَالْإِسْمَاعِ  
بَيْنَ حَاصِرِهِمْ مِنَ الدُّوَلِ الْكُبَرِ \* وَأَفْصَحَ بِالذِّكْرِ وَالْعَبَرِ \* فِي مُبْتَدَأِ الْأَحْوَالِ وَمَا  
بَعْدَهَا مِنَ الْخَبَرِ \* سَمَّيْتُهُ كِتَابَ الْعَبَرِ \* وَدِيَّانَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ \* فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ  
وَالزَّبَرِ \* وَمَنْ حَاصِرُهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ \* وَلَمْ أَنْزَلْ شَيْئًا فِي أَوَّلِيَةِ الْأَجْيَالِ  
وَالدُّوَلِ \* وَتَعَاوَرَ الْأُمَمُ الْأَوَّلُ \* وَأَسْبَابُ التَّصَرُّفِ وَالْحَوَالِ \* فِي الْفُرُوقِ الْخَالِيَةِ وَالْمِلَالِ \*  
وَمَا يَبْرُزُ فِي الْعُمَرَانِ مِنْ دَوْلَةٍ وَمِلَّةٍ \* وَمَدِينَةٍ وَحِلَّةٍ \* وَعَزَّةٍ وَذَلَّةٍ \* وَكَثْرَةٍ وَقِلَّةٍ \* وَعِلْمٍ  
وَصِنَاعَةٍ \* وَكَسْبٍ وَإِضَاعَةٍ \* وَأَحْوَالٍ مُتَقَلِّبَةٍ مُشَاعَةٍ \* وَبَنُو وَحْشٍ \* وَوَأَقِيعٌ وَمُنْتَظَرٌ \*  
إِلَّا وَاسْتَوْعَبْتُ جُمْلَةً \* وَأَوْضَحْتُ بِرَاهِنَةٍ وَعِلَلَةٍ \* فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ فِدَا بِنَا عَمَّتُهُ مِنَ  
الْعُلُومِ الْقَرِيبَةِ \* وَالْحِكْمِ الْحُجُوبَةِ الْقَرِيبَةِ \* وَأَنَا مَن بَعْدَهَا مُوقِنٌ بِالْقُصُورِ \* بَيْنَ أَهْلِ  
الْمُصْرِ \* مُعْتَرِفٌ بِالْعَجْزِ عَنِ الْمَضَاءِ \* فِي مِثْلِ هَذَا الْقَضَاءِ \* رَاغِبٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْدِ الْبَيْضَاءِ \*  
وَالْمَعَارِفِ الْمُنْسِيعةِ الْقَضَاءِ \* فِي النَّظَرِ يَبِينُ الْإِتْقَانُ لَا يَبِينُ الْإِرْتِضَاءُ \* وَالْتِمَازُ لِمَا  
يَعْتَرُونَ عَلَيْهِ بِالْإِصْلَاحِ وَالْإِغْضَاءِ \* فَالْبَيْضَاءُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مُزْجَاةٌ \* وَالْأَعْرَافُ  
مِنَ الدُّوْمِ مَنجَاةٌ \* وَالْحَسَنِيُّ مِنَ الْإِخْوَانِ مُرْتَجَاةٌ \* وَاللَّهُ اسْأَلْ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً  
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْفَيْتُ عِلَاجَهُ \* وَأَنْزَلْتُ مُشْكَاةً لِلْمُسْتَبْصِرِينَ وَأَذْكَيْتُ سِرَاحَهُ \*  
وَأَوْضَحْتُ بَيْنَ الْعُلُومِ طَرِيقَهُ وَمَنْجَاةَهُ \* وَأَوْسَعْتُ فِي فَتَاةِ الْمَعَارِفِ نِطَاقَهُ وَأَدْرَنْتُ  
سِيَاجَهُ \* أَتَخَفْتُ يَهْدِيهِ النُّسَخَةُ مِنْهُ <sup>(١)</sup> خِرَانَةً مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْأَمَامَ الْجَاهِدِ \* الْقَانِعِ

(١) قوله اتخفت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله تخفت  
وبعد قوله وادرت سياجه ونصها التهمت له الكلب الذي يلح بعين الاستبصار فتوته . ويطغى بداركو  
الفرينة معياره الصبح وقانونه . ويبرز رقبة في المعارف عما دونه . فسرحت فكري في فضا الوجود . واجلت  
نظري ليل النيام والعبود . بين الهائم والعبود . في العلم الركع والعبود . والمخلعا اهل الكرم والعبود .  
حتى وقف الاختيار ساحة الكمال . وطافت الافكار بموقف الامال . وظفرت ايدي المساعي والاعتمال .

المأهيد\* التحلي منذ خلق النائم\* ولوث العمام\* بجلى القانت الزاهد\* المتوسخ  
 بزكاه المناقب\* والحماد\* وكرم الثمائل\* والشواهد\* بأجل من الفلايد\* في محور  
 الأولاد\* المتكول بالكرم القوي السعيد\* وألحد الموائى المسعيد\* ونجد الطارف  
 وآلاد\* ذواب ملهم الراسي القواعد\* الكريم المعلي والمصاعد\* جامع  
 أشبات العلوم والقوائد\* ونظم ثمل المعارف\* والشوارد\* ومظهر الآيات الربانية\*  
 في فضل المدارك\* الأنياسية\* بفكره الآبيب النافذ\* ورأيه الصحيح المعافد\* النير  
 المذاهب\* والعقائد\* نور الله الواضح المرشد\* ونعمته العذبة الموارد\* ولطفه الكمين  
 بالمرصيد للشدائد\* ورحمته الفكرية المقاليد\* التي وسعت صلاح الزمان الفاسد\*  
 واستقامة المائد من الأحوال\* والقوائد\* وذهبت بالخطوب الأولاد\* وخلفت على الزمان  
 رونق الشباب المائد\* وحنينه التي لا يبطلها إنكار الجاحد\* ولا شهباء المائد\* (أمير  
 المؤمنين) أبي فارس عبد العزيز ابن مولانا السلطان المعظم الشهير الشهيد أبي سالم  
 إبراهيم ابن مولانا السلطان المقدس أمير المؤمنين\* أبي الحسن ابن السادة الأعلام  
 من ملوك بني مرين\* الذين جدوا الدين\* وهجوا السبل للمهتدين\* وسحوا آثار البغاة  
 المفسدين\* آفاه الله على الأمة ظلالة\* وبلغه في نصر دعوة الإسلام أسالة\* وبشنة  
 إلى خزانهم الموقفة لطيلة العلم\* جامع القرويين من مدينة فاس حاضرة ملهمهم  
 وكرمهم سلطانهم\* حيث مقر الهدى\* ورياض المعارف خضلة الندى\* وفضاه الأسرار

بمدينة الماراف مشرقه في غرر الجمال . وحداثى العلوم الوارفة الظلال . عن اليمن والشمال . فانفتحت  
 مطي الأفكار في عرصاتها . وحلوت محاسن الانظار على منصاتها . وانفتحت بديوانها . فاصير ابوابها . واطلعت  
 كوكبا وقادا في انق خزانها وصوابها . ليكون آية للعقلاء بهدون بداره . ويعرفون فضل المدارك  
 الانسانية في آثاره . وفي حوانة مولانا السلطان الامام الجاهد الفاتح المائد . الى اخر النصوص المذكورة هنا  
 ثم قال الخليفة امير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد ابن مولانا الامير الطاهر المقدس  
 ابي عبد الله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس امير المؤمنين . الى يحيى ابي بكر ابن الخلفاء الراشدين . من  
 ائمة الموحدين الذين جدوا الدين . وهجوا السبل للمهتدين . وسحوا آثار البغاة المفسدين . من الجساسة  
 والمحندين . سلاة الى المحض والقاروق . والنبعة النامية على تلك المناس الزاكية والعروق . والنور  
 المتلاي من تلك الاشعة والبروق . فاوردته من مودعها الى المطي بحيث مقر الهدى . ورياض المعارف  
 خضلة الندى . الى اخر ما ذكر هنا الا انه لم يقيد الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة مختصرة عن هذه  
 النسخة المنقولة من خزانة الكتب الفارسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

الرَّابَّةُ قَسْبُحُ الْمَدَى \* وَالْإِمَامَةُ الْفَارِسِيَّةُ الْكَرِيمَةُ <sup>(١)</sup> الْعَزِيزَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَنْظَرُهَا  
الشَّرِيفُ \* وَفَضْلُهَا الْغَنِيُّ عَنِ التَّعْرِيفِ \* تَبَسُّطُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مِهَادًا \* وَتَفَسُّحُ لَهُ فِي جَانِبِ  
الْقَبُولِ أَمَادًا \* فَتَوْضُحُ بِهَا أَدَلَّةٌ عَلَى رُسُوحِهِ وَأَشْهَادًا \* فِي سُرُوقِهَا تَفَقُّ بِضَائِعِ الْكِتَابِ  
وَعَلَى حَضَرَتِهَا تَمَكُّفُ رُكَائِبِ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ \* وَمِنْ مَدَدِ بَصَائِرِهَا الْمُنِيرَةُ تَنَاجُجُ  
الْقُرَاطِخِ وَالْأَلْبَابِ \* وَاللَّهُ يُوَزِعُنَا شُكْرَ نِعْمَتِهَا \* وَيُوقِرُنَا حُظُوظَ الْمَوَاهِبِ مِنْ رَحْمَتِهَا  
وَيُؤَمِّنُنَا عَلَى حُقُوقِ خِدْمَتِهَا \* وَيَجْعَلُنَا مِنَ السَّائِقِينَ فِي مِثْلَانِهَا الْخَلِيلِينَ فِي حَوَمَتِهَا \* وَيُضْفِي  
عَلَى أَهْلِ إِيَالَتِهَا \* وَمَا أَوْحَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى حَرَمِ عِدَالَتِهَا \* لِبُوسِ حِمَايَتِهَا وَحُرْمَتِهَا \*  
وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً فِي وَجْهِهَا \* بَرِيَّةً مِنْ شَوَائِبِ الْعَقَلَةِ  
وَشُبُهَتِهَا \* وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### المقدمة

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين

من المغالط وذكر شي من اسبابها

إِعْلَمُ أَنَّ قَنَ التَّارِيخِ قَنَ عَزِيزِ الْمَذْهَبِ جَمِّ الْفَوَائِدِ شَرِيفِ الْغَايَةِ إِذْ هُوَ يُوقِنُنَا  
عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ . وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِيرِهِمْ . وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ  
وَسِيَاسَتِهِمْ . حَتَّى نَتِمَّ فَائِدَةُ الْإِقْتِدَادِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرْوُمُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا فَهُوَ  
مُحْتَاجٌ إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةً وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةً وَحُسْنَ نَظَرٍ وَتَثَبُّتٍ بِضَيْفَانِ بَصَائِحِهَا إِلَى  
الْحَقِّ وَيُنَكِّبَاتٍ بِهِ عَنِ الزَّمَلَاتِ وَالْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ  
النَّقْلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمُرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ  
الْإِنْسَانِيِّ وَلَا فَيْسَ الْقَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْخَاضِرِ بِالذَّاهِبِ قَرِيبًا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا مِنْ  
الْعُثُورِ وَمَزَلَّةِ الْقَدَمِ وَالْحَيِّدِ عَنِ جَادَةِ الصِّدْقِ وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ  
وَأَيُّمَةِ النَّقْلِ مِنَ الْمَغَالِطِ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ لِإِعْتِدَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَنًا  
أَوْ سَمِينًا وَلَمْ يَبْرُزُوهَا عَلَى أَصُولِهَا وَلَا قَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَبَرُوهَا بِمِيقَارِ الْحِكْمَةِ  
وَالْوَقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ

وَتَاهُوا فِي يَدَاءِ الزَّهْرِ وَالْقَلْطِ وَلَا سِيَّما فِي إِخْصَاءِ الْأَعْدَادِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا عَرِضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مِظَنَّةُ الْكَذِبِ وَمِطْيَةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَغَرَضُهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ وَهَذَا كَمَا نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي جُيُوشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْضَاهُمْ فِي النَّيِّبِ بَعْدَ أَنْ أَجَارَ مَنْ يُطِيقُ حَمْلَ السِّلَاحِ خَاصَّةً مِنْ أَيْنَ عَشْرِينَ قَامُوا فَوَقَّاهُ فَكَانُوا سِتْمَانَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَبَذَلُوا فِي ذَلِكَ عَنْ تَقْدِيرِ مُضَرٍّ وَالشَّامِ وَأَسَاعِيهِمَا لِمِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْجُيُوشِ لِكُلِّ مَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ حِصَّةً مِنَ الْحَاكِمَةِ تَنْسَعُ لَهَا وَتَقُومُ بِوِطَانِهَا وَتَنْصِقُ عَمَّا فَوْقَهَا نَشْهَدُ بِذَلِكَ الْعَوَائِدَ الْمَعْرُوفَةَ وَالْأَحْوَالَ الْمَأْلُوفَةَ ثُمَّ إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجُيُوشِ الْبَالِغَةِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ يَبْعُدُ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهَا زَجَفٌ أَوْ قِتَالٌ لِضِيقِ سَاحِلِ الْأَرْضِ عَنْهَا وَبُعْدِهَا إِذَا أَصْطَلَتْ عَنْ مَدَى الْبَصَرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا فَكَيْفَ يَقْتَتِلُ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ أَوْ تَكُونُ غَلَبَةُ أَحَدِ الصَّفَيْنِ وَشَيْءٌ مِنْ جَوَانِبِهِ لَا يَشْعُرُ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ وَالْخَاصِرُ بِشَهْدِ ذَلِكَ قَالِمَاهُ فِي أَشْبَهَ بِالْآيَةِ مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ وَلَقَدْ كَانَ مَلِكَ الْفَرَسِ وَدَوْلَتُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ بِشَهْدِ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ غَلَبِ بَخْتَنْصَرٍ لَهُمْ وَالْفُهَامِيهِ بِبِلَادِهِمْ وَأَسْبِلَانِيهِ عَلَى أَمْرِهِمْ وَتَغْرِبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَاعِدَةِ مَلِكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَهُوَ مِنْ بَعْضِ عُمَالِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَرزُبَانُ الْمَغْرِبِ مِنْ تَخُومِهَا وَكَانَتْ مَمَالِكُهُمْ بِالْعَرَفَيْنِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالْأَبْوَابِ أَوْسَعُ مِنْ مَمَالِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَبْلُغْ جُيُوشُ الْفَرَسِ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَأَعْظَمُ مَا كَانَ جَمْعُهُمْ بِالْقَادِسِيَّةِ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مَتَّبِعٌ عَلَى مَا نَقَلَهُ سَيْفٌ قَالَ وَكَانُوا فِي أَتْبَاعِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ وَعَنْ عَائِشَةَ وَالزُّهْرِيِّ فَإِنَّ جُمُوعَ رُسُلِ الَّذِينَ رَحَحَتْ بِهِمْ سَعْدٌ بِالْقَادِسِيَّةِ إِنَّمَا كَانُوا سِتِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مَتَّبِعٌ وَأَيْضًا فَلَوْ بَلَغَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ لَا تَسَعُ نِطَاقُ مَلِكِهِمْ وَأَنْفَسُ مَدَى دَوْلَتِهِمْ فَإِنَّ الْعَمَالَاتِ وَالْمَمَالِكِ فِي الدُّوَلِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاكِمَةِ وَالْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي قِلَّتِهَا وَكَثَرَتِهَا حَسَبًا بَيِّنٌ فِي فَصْلِ الْمَمَالِكِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْقَوْمُ لَمْ تَنْسَعِ مَمَالِكُهُمْ إِلَى غَيْرِ الْأَزْدِ وَفُلَسْطِينَ مِنَ الشَّامِ وَبِلَادِ بَرْبٍ وَخَيْبَرٍ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَيْضًا فَالَّذِي بَيْنَ مُوسَى وَإِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ أَرْبَعَةُ أَبَاهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحَقِيقُونَ فَإِنَّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ



بَنَ قَاهَتْ يَفْتَحُ الْمَاءَ وَكَسَرَهَا أَبْنُ لَاوِي يَكْسِرُ الْوَاوَ وَفَتْحُهَا أَبْنُ يَفْقُوتُ وَهُوَ إِسْرَائِيلُ  
 اللَّهُ هَكَذَا نَسَبُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْمَدَّةُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا نَقَلَهُ السَّعُودِيُّ قَالَ دَخَلَ إِسْرَائِيلُ  
 مِصْرَ مَعَ وَلَدِهِ الْأَسْبَاطِ وَأَوْلَادِهِمْ حِينَ أَتَوْا إِلَى يُوْسُفَ سَبْعِينَ نَفْسًا وَكَانَ مَقَامُهُمْ بِمِصْرَ  
 إِلَى أَنْ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْيَمِينِ مَائَتِينَ وَعِشْرِينَ سَنَةً تَنَادَوْهُمْ مُلُوكُ  
 الْقِبْطِ مِنَ الْقَرَاعَةِ وَبَعْدَ أَنْ يَنْشَعِبَ النَّسْلُ فِي أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ وَإِنْ  
 زَعَمُوا أَنَّ عَدَدَ تِلْكَ الْجَبُوشِ إِنَّمَا كَانَ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ بَعْدِهِ قَبْعِدٌ أَيْضًا إِذْ لَيْسَ  
 بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَإِسْرَائِيلَ إِلَّا أَحَدُ عَشَرَ أَبًا فَإِنَّهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يَسَا بْنِ عُوْفَيْدَ  
 وَيُقَالُ أَبْنُ عُوْفَيْدَ أَبْنُ بَاعَزَ وَيُقَالُ بُوْعَزُ بْنُ سَلْمُونِ بْنِ نَحْشُونِ بْنِ عَمِينُودَبَ وَيُقَالُ  
 حَمِيكَذَا بَنُ رَمَ بْنِ حَصْرُونَ وَيُقَالُ حَصْرُونَ بْنُ بَارَسَ وَيُقَالُ بَارَسُ بْنُ يَهُوذَا بْنِ  
 يَعْقُوبَ وَلَا يَنْشَعِبُ النَّسْلُ فِي أَحَدٍ عَشَرَ مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الَّذِي زَعَمُوهُ اللَّهُمَّ  
 إِلَى الْمِثْنَيْنِ وَالْآلَافِ فَرُبَّمَا يَكُونُ وَأَمَّا أَنْ تَجَاوَزَ إِلَى مَا بَعْدَهُمَا مِنْ عَقُودِ الْأَعْدَادِ  
 قَبْعِدٌ وَأَعْيَزُ ذَلِكَ فِي الْحَاضِرِ الْمَشَاهِدِ وَالْقَرِيبِ الْمَعْرُوفِ تَجِدُ زَعْمَهُمْ بَاطِلًا وَقَلْبَهُمْ  
 كَذِبًا وَالَّذِي ثَبَتَ فِي الْأَسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ جُنُودَ سُلَيْمَانَ كَانَتْ أَرْبَعِينَ عَشَرَ أَلْفًا خَاصَّةً  
 وَأَنَّ مُقَرَّبَاتِهِ كَانَتْ أَلْفًا وَأَرْبَعِينَ فَرَسٍ مُرْتَبِطَةً عَلَى أَبْوَابِهِ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنْ  
 أَخْبَارِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى خِرَافَاتِ الْعَامَةِ مِنْهُمْ وَفِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ (عليه السلام) وَمَلَكَهُ  
 كَانَ عِزُّهُنَّ دَوْلَتُهُمْ وَأَتَسَاعَ مَلِكُهُمْ هَذَا وَقَدْ تَجِدُ الْكَافَّةَ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ إِذَا  
 أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَسَاكِرِ الدُّوَلِ الَّتِي لِعَهْدِهِمْ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَتَفَاضَلُوا فِي الْأَخْبَارِ  
 عَنْ جَبُوشِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّصَارَى أَوْ أَخَذُوا فِي إِحْصَاءِ أَمْوَالِ الْجَبَايَاكُ وَخَرَجِ  
 السُّلْطَانِ وَتَفَقَّاتِ الْمُتَرَفِّينَ وَبَضَائِعِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُوسِرِينَ تَوَلَّوْا فِي الْعَدَدِ وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ  
 الْعَوَائِدِ وَطَاوَعُوا وَسَاوَسَ الْأَغْرَابَ فَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينَ عَنْ عَسَاكِرِهِمْ  
 وَاسْتَنْبَطَتْ أَحْوَالُ أَهْلِ الثَّرْوَةِ فِي بَضَائِعِهِمْ وَقَوَائِدِهِمْ وَاسْتَحْبَلَتْ عَوَائِدُ الْمُتَرَفِّينَ فِي  
 تَفَقُّهِهِمْ لَمْ تَجِدْ مِثْلَ مَا يَعْدُونَهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَوْلُوعِ النَّفْسِ بِالْفَرَايِبِ وَسَهْوَةِ التَّجَاوُزِ  
 عَلَى اللِّسَانِ وَالْفَتْلَةِ عَلَى الْمُتَعَقِّبِ وَالْمُنْتَقِدِ حَتَّى لَا يَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى خَطَا وَلَا عَمْدٍ وَلَا  
 يَطَالِبُهَا فِي الْخَطْبِ بِتَوْسِطٍ وَلَا عَدَالَةٍ وَلَا يُزْجِعُهَا إِلَى بَحْثٍ وَتَنْقِيشٍ فَيُرْسِلُ عَيْنَانَهُ وَيَسِيمُ  
 فِي مَرَاتِعِ الْكَذِبِ لِسَانَهُ وَيَخْذُ آبَاتِ اللَّهِ هَذَا وَيَشْتَرِي لَمْوَ الْحَدِيثِ لَبِئْسَ عَنْ

سَبِيلَ اللَّهِ وَحَسْبُكَ بِهَا صَفَقَةٌ خَاصِرَةٌ وَمِنَ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا بَقِلُونَهُ كَافَّةً  
 فِي أَخْبَارِ التَّبَاعَةِ مَلُوكِ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ نَهْمُ كَانُوا يَغْزُونَ مِنْ قُرَاهِمِ بِالْيَمَنِ  
 إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْبَزِيرِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّ أَفْرِيقِيَّ بْنَ قَيْسِ بْنِ صَيْفِيٍّ مِنْ أَعْظَمِ  
 مَلُوكِهِمُ الْأَوَّلِ وَكَانَ لِعَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ يَقْبِلُ غَزَا أَفْرِيقِيَّةَ وَأَتَخَنَ فِي  
 الْبَزِيرِ وَأَنَّهُ الَّذِي سَمَّاهُمْ بِهَذَا الْأَسْمِ حِينَ سَمِعَ رَطَلَانَتَهُمْ وَقَالَ مَا هَذِهِ الْبَزِيرَةُ فَأَخَذَ  
 هَذَا الْأَسْمَ عَنْهُ وَدَعَا بِهِ مِنْ حِينَتِهِ وَأَنَّهُ لَمَّا أَنْصَرَفَ مِنَ الْمَغْرِبِ حِجَرَ هُنَاكَ قَبَائِلَ  
 مِنْ حَمِيرٍ فَأَقَامُوا بِهَا وَاتَّخَلَطُوا بِأَهْلِهَا وَمِنْهُمْ صَنْهَاجَةٌ وَكِتَامَةٌ وَمِنْ هَذَا ذَهَبَ الطَّبْرِيُّ  
 وَالْجُرْجَانِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَأَبْنُ الْكَلْبِيِّ وَالْبَيْهَقِيُّ إِلَى أَنَّ صَنْهَاجَةً وَكِتَامَةً مِنْ حَمِيرٍ  
 وَتَابَاهُ نَسَابَةُ الْبَزِيرِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا أَنَّ ذَا الْأَذْعَارِ مِنْ مَلُوكِهِمْ  
 قَبْلَ أَفْرِيقِيَّشَ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غَزَا الْمَغْرِبَ وَدَوَّخَهُ وَكَذَلِكَ  
 ذَكَرَ مِثْلَهُ عَنْ بَاسِرِ ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَّهُ بَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَجِدْ  
 فِيهِ مَسَلَكًا لِكَثْرَةِ الرَّمْلِ فَرَجَعَ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي نَجْعِ الْآخِرِ وَهُوَ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبٍ  
 وَكَانَ عَلَى عَهْدِ إِسْتِئْصَافٍ مِنْ مَلُوكِ الْفَرَسِ الْكَبِيَّةِ أَنَّهُ مَلَكَ الْمَوْصِلَ وَأَذْرَبِيحَانَ  
 وَلَقِيَ الثُّرُكُ فَهَزَمَهُمْ وَأَتَخَنَ ثُمَّ غَزَاهُمْ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَذَلِكَ وَأَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَغْزَى ثَلَاثَةً  
 مِنْ بَنِيهِ بِلَادَ فَارِسَ وَإِلَى بِلَادِ الْأَصْغَدِ مِنْ بِلَادِ أُمِّ الثُّرُكُ وَرَأَى النَّهْرَ وَإِلَى بِلَادِ الرُّومِ  
 فَمَلَكَ الْأَوَّلُ الْبِلَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَطَعَ الْمَنَازِرَةَ إِلَى الصِّينِ فَوَجَدَ أَخَاهُ الثَّانِي الَّذِي  
 غَزَا إِلَى سَمَرْقَنْدَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا فَأَتَخَنَا فِي بِلَادِ الصِّينِ وَرَجَعَا جَمِيعًا بِالْغَنَائِمِ وَتَرَكُوا بِلَادَ  
 الْيَمَنِ قَبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ فَمُتَّ بِهَا إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَبَلَغَ الثَّالِثُ إِلَى قِسْطَنْطِينِيَّةَ فَدَرَسَهَا وَدَوَّخَ  
 بِلَادَ الرُّومِ وَرَجَعَ وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّحِيحَةِ عَرَبِيَّةٌ فِي الْوَجْهِ وَالْفَلَطِ  
 وَأَشْبَهُ بِأَحَادِيثِ الْفِصْصِ الْمَوْضُوعَةِ وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ التَّبَاعَةِ إِنَّمَا كَانَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ  
 وَقُرَاهِمَ وَكَرْسِيَهُمْ بِصَنْعَاءَ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهَا فَجَعَلُوا  
 الْهِنْدَ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرَ فَارِسَ الْهَاطِطُ مِنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَبَحْرَ السُّوَيْسِ  
 الْهَاطِطُ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ كَمَا تَرَاهُ فِي مُصَوِّرِ الْجَزَائِرِ  
 فَلَا يَجِدُ السَّالِكُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ طَرِيقًا مِنْ غَيْرِ السُّوَيْسِ وَالْمَسَلَكِ هُنَاكَ مَا  
 بَيْنَ بَحْرِ السُّوَيْسِ وَالْبَحْرِ الشَّامِيِّ قَدَرُ مَرَحَلَتَيْنِ قَمَا دُونَهُمَا وَيَبْعُدُ أَنْ يَمُرَّ بِهَذَا الْمَسَلَكِ

مَلِكٌ عَظِيمٌ فِي عَسَاكِرِ مَوْفُورَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيرَ مِنْ أَعْمَالِهِ هَذِهِ مُمْتَنِعٌ فِي الْعَادَةِ . وَقَدْ  
كَانَ يَتْلِكَ الْأَعْمَالِ الْعَمَالِقَةَ وَكَتَعَانُ بِالشَّامِ وَالْقِبْطِ بِمِصْرَ ثُمَّ مَلِكٌ الْعَمَالِقَةُ بِمِصْرَ  
وَمَلِكٌ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّامَ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعِيَةَ حَارَبُوا أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ وَلَا  
مَلِكُكُمْ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَأَيْضًا فَالْشُّقَّةُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بَعِيدَةٌ وَالْأَزُودَةُ  
وَالْعُلُوقَةُ لِلْعَسَاكِرِ كَثِيرَةٌ فَإِذَا سَارُوا فِي غَيْرِ أَعْمَالِهِمْ اجْتَابُوا إِلَى انْتِهَابِ الزَّرْعِ  
وَالنَّعْمِ وَانْتِهَابِ الْإِلَادِ فَيَا يَمْرُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ لِلْأَزُودَةِ وَالْعُلُوقَةِ عَادَةً وَإِنْ  
نَقَلُوا كَمَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَلَا تَنِي لَهُمُ الرُّوْحُ لِأَجْلِ نَقْلِهِ فَلَا بَدَّ وَأَنْ يَمْرُؤُوا فِي  
طَرِيقِهِمْ كَلْبًا بِأَعْمَالٍ قَدْ مَلَكُوهَا وَدَوَّخُوهَا لِتَكُونَ الْمِيرَةُ مِنْهَا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ تِلْكَ  
الْعَسَاكِرَ تَمُرُّ بِهَؤُلَاءِ الْأُمَمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْيِبَهُمْ فَتَحْضُلُ لَهُمُ الْمِيرَةُ بِالسَّلَامَةِ فَذَلِكَ  
أَبْعَدُ وَأَشَدُّ امْتِنَاعًا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَاهِيَةٌ أَوْ مَوْضُوعَةٌ

وَأَمَّا وَادِي الرَّمْلِ الَّذِي يُجْزِي السَّالِكَ فَلَمْ يُمْتَنِعْ قَطُّ ذِكْرُهُ فِي الْمَغْرِبِ عَلَى كَثْرَةِ  
سَالِكِيهِ وَمَنْ يَقْصُرُ طَرِيقُهُ مِنَ الرُّكُوبِ وَالْفَرَسِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَكُلِّ جِهَةٍ وَهُوَ عَلَى مَا  
ذَكَرُوهُ مِنَ الْفَرَايَةِ تَتَوَقَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ . وَأَمَّا غَزْوُهُمْ بِلَادَ الشَّرْقِ وَادْنُ التُّرْكِ  
وَإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ أَوْسَعَ مِنْ مَسَالِكِ السُّوَيْسِ إِلَّا أَنَّ الشُّقَّةَ هُنَا أَبْعَدُ وَأَثَمَ فَارِسَ وَالرُّومَ  
مُعْتَرِضِينَ فِيهَا دُونَ التُّرْكِ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعِيَةَ مَلَكُوا بِلَادَ فَارِسَ وَلَا بِلَادَ الرُّومِ  
وَإِنَّمَا كَانُوا يُحَارِبُونَ أَهْلَ فَارِسَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَمَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَالْخَيْرَةِ  
وَالْجَزِيرَةِ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَمَا يَتَنَهَمَا فِي الْأَعْمَالِ وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بَيْنَ ذِي الْأُذْعَارِ  
مِنْهُمْ وَكَيْكَاوُسَ مِنْ مُلُوكِ الْكَلْبَانِيَّةِ وَبَيْنَ تَبَعِ الْأَصْنَرِ أَبِي كَرْبٍ وَبَيْنَ سَائِفِ مِنْهُمْ  
أَيْضًا وَمَعَ مُلُوكِ الطُّوَلِبِ بَعْدَ الْكَلْبَانِيَّةِ وَالسَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمُجَاوَزَةِ أَرْضِ فَارِسَ  
بِالْغَزْوِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ عَادَةً مِنْ أَجْلِ الْأُمَمِ الْمُعْتَرِضَةِ مِنْهُمْ  
وَالْحَاجَةِ إِلَى الْأَزُودَةِ وَالْعُلُوقَاتِ مَعَ بَعْدِ الشُّقَّةِ كَمَا مَرَّ فَلَاخْبَارَ بِذَلِكَ وَاهِيَةٌ مَدْخُولَةٌ  
وَحَيٌّ لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ قَادِحًا فِيهَا فَكَيْفَ وَحَيٌّ لَمْ تَنْقَلْ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ  
وَقَوْلُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ فِي خَبَرِ يَتْرَبَ وَالْأُدُسِ وَالْخَزْجِ أَنَّ تَبَعَ الْآخِرَ سَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ  
مَحْمُولًا عَلَى الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَمَّا بِلَادُ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ فَلَا يَصْغُرُ غَزْوُهُمْ إِلَيْهَا بِوَجْهِ  
لِمَا تَقَرَّرَ فَلَا يَتَنَفَّسُ بِمَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ وَتَأْمَلِ الْأَخْبَارَ وَأَعْرِضْهَا عَلَى الْقَوَانِينِ

## فصل

وَأَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْرَقُ فِي التَّوْحَمِ مَا بَيَّنَّا قُلَّةَ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَقْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ إِرَمَ أَسْمًا لِمَدِينَةٍ وَصِفَتْ  
بِأَنْهَا ذَاتُ عِمَادٍ أَيْ أَسَاطِينٍ وَيَنْقُولُونَ أَنَّهُ كَانَ لِعَادِ بْنِ عُوصِ بْنِ إِرَمَ ابْنَانِ هُمَا شَدِيدُ  
وَشَدَادُ مَلَكًا مِنْ بَعْدِهِ وَهَلَاكَ شَدِيدُ فَوُضِعَ الْمَلَكُ لَشَدَادٍ وَدَانَتْ لَهُ مَلُوكُهُمْ وَسَمِعَ  
وَصَفَتْ الْجَنَّةُ فَقَالَ لِأَبْنَيْهِ مِثْلَهَا قَبْنَى مَدِينَةَ إِرَمَ فِي مَحَارَى عَدَنَ فِي مَدَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً  
وَكَانَ عُمْرُهُ نِسَاءً ثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ قُصُورُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَأَسَاطِينُهَا مِنَ الزَّبْرِجَدِ  
وَالْيَاقُوتِ وَفِيهَا أَصْنَافُ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارُ الْمُطْرَدَةُ وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا سَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ  
مَمْلَكَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَبَّيْهُ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً مِنَ السَّمَاءِ  
فَهَلَكُوا كُلُّهُمْ . ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبْرِيُّ وَالْبَغَائِيُّ وَالزُّنْزَارِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ  
وَيَنْقُولُونَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَلَابَةَ بْنِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبْلِيلَ لَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا وَحَمَلَ  
مِنْهَا مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ خَبْرَهُ مُعَاوِيَةَ فَأَحْضَرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ فَبَعَثَ عَنْ كَتَبِ الْأَخْبَارِ وَسَأَلَهُ  
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هِيَ إِرَمُ ذَاتُ الْعِمَادِ وَسَيَدَّخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحْمَرُ أَشَقَرُ قَصِيرُ  
عَلَى حَاجِبِهِ خَالٌ وَعَلَى عُنُقِهِ خَالٌ يَخْرُجُ فِي طَلَبِ إِبْلِيلَ لَهُ ثُمَّ التَّفَتْ فَأَبْصَرَ ابْنَ قَلَابَةَ فَقَالَ  
هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ لَمْ يُسْمَعْ لَهَا خَبَرٌ مِنْ يَوْمِذِي فِثْيٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ  
وَمَحَارَى عَدَنَ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا بُنِيَتْ فِيهَا هِيَ فِي وَسْطِ السَّيْمَنِ وَمَا زَالَ عُمْرَانُهُ مُتَعَابًا  
وَالْأَدْلَاءُ تَقْصُ طُرُقَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِهِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ خَبَرٌ وَلَا ذَكَرَهَا أَحَدٌ  
مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ وَلَا مِنْ الْأَثَمِ وَلَوْ قَالُوا إِنَّهَا دُرُسَتْ فِيمَا دُرِسَ مِنَ الْأَثَارِ لَكَانَ أَشْبَهُ إِلَّا  
أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِمْ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّهَا دِمَشْقُ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ قَوْمَ عَادَ مَلَكُوها  
وَقَدْ يَنْتَهِي الْمَذْهَبَانِ يَعْصِيهِمْ إِلَى أَنَّهَا غَائِبَةٌ وَإِنَّمَا يَنْتَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ الرِّيَاضَةِ وَالسَّيْحَرِ مَزَاعِمُ  
كُلِّهَا أَشْبَهُ بِالْخِرَافَاتِ وَالَّذِي حَمَلَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ مَا أَقْنَصَتْهُ صِنَاعَةُ الْأَعْرَابِ فِي  
لَفْظَةِ ذَاتِ الْعِمَادِ أَنَّهَا صِفَةُ إِرَمَ وَحَمَلُوا الْعِمَادَ عَلَى الْأَسَاطِينِ فَتَحِينَ أَنْ يَكُونُ بِنَاءٌ وَرَفَعَ  
لَهُمْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَادُ إِرَمَ عَلَى الْأَضَافَةِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى تِلْكَ  
الْحِكَايَاتِ الَّتِي فِي أَشْبَهُ بِالْأَقَاصِيصِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْكُذِبِ الْمَقُولَةِ

فِي عِدَادِ الْمُصْطَفَاتِ وَإِلَّا فَالْعِمَادُ فِي عِمَادِ الْأَخْيَةِ بَلِ الْخِيَامُ وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا  
 الْأَسَاطِينُ فَلَا يَدْعُ فِي وَصْنِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ بِنَاءٍ وَأَسَاطِينُ عَلَى الْعُمُومِ بِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ قَوْمِهِمْ  
 لِأَنَّهُ بِنَاءٌ خَاصٌّ فِي مَدِينَةٍ مُبَيَّنَةٍ أَوْ غَيْرَهَا وَإِنْ أَضِيفَتْ كَمَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ فَعَلَى  
 إِضَافَةِ الْقَصْبَةِ إِلَى الْقَبِيلَةِ كَمَا نَقُولُ فُرَيْشُ كِنَانَةَ وَالْيَاسُ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةُ نِزَارٌ وَأَيُّ  
 حَمْرُوهُمْ إِلَى هَذَا التَّحْمِيلِ الْبَعِيدِ الَّذِي تُحْمَلُ لِتَوْجِيهِهِ لَأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الْمُدْخُولَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ  
 الَّتِي يَزِدُّ كِتَابُ اللَّهِ عَنْ مِثْلِهَا لِعُيُودِهَا عَنِ الصَّحِيحَةِ وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمُدْخُولَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ  
 مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ الرَّشِيدِ لِلْبَرَامِكَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أُخْتِهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ  
 يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مَوْلَاهُ وَأَنَّهُ لِكَلْفِهِ بِمَكَانِهِمَا مِنْ مُعَاقَرَتِهِ إِيَّاهُمَا أَخْمَرُ أَذُنَ لَهَا فِي  
 عَقْدِ النَّكَاحِ دُونَ اخْتِلَافِهِمَا عَلَى أَحَدِنَا فِي تَجْلِيهِهِ وَأَنَّ الْعَبَّاسَةَ تَحَبَّتْ عَلَيْهِ فِي  
 الْيَاسِ اخْتِلَافُ بِهِ لِمَا شَفَعَهَا مِنْ حُبِّهِ حَتَّى وَافَقَهَا (زَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ) تَحَمَّلَتْ وَوُضِعَ  
 بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَغْضَبَ وَهَيَّاتُ ذَلِكَ مِنْ مَنَصِبِ الْعَبَّاسَةِ فِي دِينِهَا وَأَبَوِيهَا وَجَلَالِهَا  
 وَأَنَّهَا بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَرْبَعَةُ رَجَالٍ ثُمَّ أَشْرَافُ الَّذِينَ وَعُظَمَاءُ  
 أَلَمَلَةٍ مِنْ بَعْدِهِ وَالْعَبَّاسَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْمُهَدِّيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ النَّصُورِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ  
 السَّجَّادِ ابْنِ عَلِيٍّ أَبِي الْخَلَفَاءِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ (صَلَّمَ)  
 ابْنَةِ خَلِيفَةِ أُخْتِ خَلِيفَةٍ مُحْتَفَةٍ بِالْمَلِكِ الْعَرَبِيِّ وَالْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ وَنُحْبَةِ الرَّسُولِ وَعُمُومَتِهِ  
 وَإِقَامَةِ أَلَمَلَةٍ وَنُورِ الْوَحْيِ وَهَبِطَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةً عَهْدٍ بِيَدِ أَوَّلِ الْعُرُوبَةِ  
 وَسَدَاجَةِ الَّذِينَ الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَمَرَائِعِ الْفَوَاحِشِ فَأَيُّ يَطْلُبُ الصُّونَ وَالْعَنَافُ  
 إِذَا ذَهَبَ عَنْهَا أَوْ أَيْنَ تَوَجَّدَ الطَّهَارَةُ وَالذِّكَاةُ إِذَا أَفْقَدَا مِنْ بَيْتِهَا أَوْ كَيْفَ تَلْمُزُ نَسَبَهَا  
 بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَتُدْنِسُ شَرَفَهَا الْعَرَبِيُّ يَمُوتُ مِنْ مَوَالِي النُّجُمِ بِمِلْكَةِ جَدِّهِ مِنَ الْفُرْسِ  
 أَوْ بَوْلَاءِ جَدِّهَا مِنْ عُمُومَةِ الرَّسُولِ وَأَشْرَافِ فُرَيْشٍ وَغَائِثِهِ أَنْ جَذَبَتْ دَوْلَتُهُمْ بِضَبْعِهِ  
 وَضَمَّ أَبُوهُ وَاسْتَخَاصَتْهُمْ وَرَفَقَتْهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَشْرَافِ وَكَيْفَ يَسُورُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ  
 يُصْهَرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعْلَاجِ عَلَى بَعْدِ هِمَّتِهِ وَعَظَمِ آبَائِهِ وَلَوْ نَظَرَ الْمُنَاقِلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ  
 الْمُنْصِيفِ وَقَاسَ الْعَبَّاسَةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عُظَمَاءِ مُلُوكِ زَمَانِهِ لَأَسْتَنْصَفَ لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ  
 مَوْلَى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قَوْمِهَا وَأَسْتَنْكَرَهُ وَجَّعٌ فِي تَكْذِيبِهِ وَأَيُّ قَدَّرَ الْعَبَّاسَةُ  
 وَالرَّشِيدُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّمَا تَكَبُّ الْبَرَامِكَةُ مَا كَانَ مِنْ اسْتِغْدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَاجْتِهَادِهِمْ

أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْبَسِيرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَعَلَّوْهُ عَلَى أَمْرِهِ  
وَشَارَكُوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ مَلِكِهِ فَعَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَبَعُدَ  
صِيْنُهُمْ وَعَمَّرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطُوا بِالرُّؤْسَاءِ مِنَ وَلَدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَخْتَارُوا مَعَهُنَّ  
سِيَّاحَهُمْ مِنْ وَزَارَةِ وَكِتَابَةِ وَبِقَادَةِ وَحِجَابَةِ وَسَيْفٍ وَقَلَمٍ . يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يَدَارُ الرَّشِيدُ مِنْ  
وَلَدِ بَيْحِي بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ رَئِيسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ زَانَحُوا فِيهَا  
أَهْلُ الدَّوْلَةِ بِالْمَنَاجِبِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِمَكَانِ أَبِيهِمْ بَيْحِي مِنْ كَفَالَةِ هَارُونَ وَلِيِّ  
عَهْدٍ وَخَلِيفَةٍ حَتَّى شَبَّ فِي حُجْرِهِ وَدَرَجَ مِنْ عُسْهِ وَغَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ يَدْعُوهُ يَا أَبَتِ  
فَتَوَجَّهَ إِلَى بَنَاتِ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ وَعَظُمَتْ الدَّلَالَةُ مِنْهُمْ وَانْتَبَسَطَ الْجَاهُ عِنْدَهُمْ وَانْتَصَرَفَتْ  
تَحْوُهُمُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ وَفُصِّرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْوَالُ وَتَخَطَّتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَقْصَى  
الْبُحُورِ هَدَايَا الْمُلُوكِ وَتَخَفَّ الْأَمْرَاءُ وَتَسَرَّعَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَبِيلِ التَّلْزِفِ وَالْإِسْمَاعِلَةِ  
أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ وَأَفَاضُوا فِي رِجَالِ الشَّيْعَةِ وَعُظَمَاءِ الْقَرَابَةِ الْمَطَاءَ وَطَوَقُوهُمْ الْمَيْنَ وَكَبَّوْهُ  
مِنْ يُونَتِ الْأَشْرَافِ الْمَعْدَمِ وَقَكُّوا الْعَالِيَّ وَدَحُّوا بِمَا لَمْ يَمُدِّحْ بِهِ خَلِيفَتَهُمْ وَأَسْنَوْا  
لِعَفَائِهِمْ الْجَوَائِزَ وَالْصَّلَاتِ وَاسْتَوَلَوْا عَلَى الْقُرَى وَالضُّبَاعِ مِنَ الضُّوَاغِي وَالْأَمْصَارِ فِي  
سَائِرِ الْمَمَالِكِ حَتَّى أَسْنَوْا الْبَطَانَةَ وَأَحَقَّدُوا الْخَاصَّةَ وَأَغْصَا أَهْلَ الْوِلَايَةِ فَكُشِفَتْ  
لَهُمْ وَجُوهُ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ وَدَبَّتْ إِلَى مِهَادِهِمُ الْوُثِيرُ مِنَ الدَّوْلَةِ عَقَارِبُ السَّيَاعَةِ حَتَّى  
لَقَدْ كَانَ بَنُو قُحْطَبَةَ أَحْوَالُ جَمْعٍ مِنْ أَعْظَمِ السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَعْطِفْهُمْ لِمَا وَقَرَّ فِي نُفُوسِهِمْ  
مِنَ الْحَسَدِ عِرَاطُفِ الرَّحِمِ وَلَا زَعَمَتْهُمُ أَوَاصِرُ الْقَرَابَةِ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ مَخْدُومِهِمْ نَوَاشِي  
الْغَبَرَةِ وَالْإِسْنِينَكَافِ مِنَ الْحَجَرِ وَالْأَنْقَةِ وَكَانَ الْحَقُودُ إِلَيْ بَعْثَتِهَا مِنْهُمْ صَفَائِرُ الدَّلَالَةِ  
وَانْتَهَى بِهَا الْأَصْرَارُ عَلَى شَأْنِهِمْ إِلَى كِبَائِرِ الْخُلَافَةِ كَقِصَّتِهِمْ فِي بَيْحِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ الْمَلَكِيِّ بِالنَّفْسِ الرَّكِيَّةِ  
الْخَارِجِ عَلَى الْمَنُصُورِ وَبَيْحِي هَذَا هُوَ الَّذِي اسْتَنْزَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ بَيْحِيٍّ مِنْ بِلَادِ الدَّلِيلِ  
عَلَى أَمَانِ الرَّشِيدِ بِخَطِّهِ وَبَدَّلَ لَهُمْ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَدَفَعَهُ  
الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ وَجَعَلَ أَعْنَاقَهُ يَدَارِهِ وَإِلَى نَظَرِهِ تَحْبَسَهُ مَدَّةٌ ثُمَّ حَمَلَتْهُ الدَّلَالَةُ عَلَى  
تَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ وَالْإِسْتِبْدَادِ بِحُلِّ عِقَالِهِ حَرَمًا لِدِمَائِهِ أَهْلَ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَّةً عَلَى السُّلْطَانِ  
فِي حُكْمِهِ . وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ لَمَّا وَفَّيَ بِهِ إِلَيْهِ فَظَنَ وَقَالَ أَطْلَقْتُهُ فَأَبْدَى لَهُ وَجْهَهُ

الْأَسْغَمَانِ وَأَسْرَمَا فِي نَفْسِهِ فَأَوْجَدَ السَّبِيلَ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ حَتَّى ثَلَّ عَرْشَهُمْ  
وَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِمْ مِمَّاؤُهُمْ وَخَسَفَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ وَبَدَارِهِمْ وَذَهَبَتْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ بِأَيَّامِهِمْ  
وَمَنْ تَأَمَّلْ أَخْبَارَهُمْ وَأَسْتَقْصَى سِيرَ الدَّوْلَةِ وَسِيرَهُمْ وَجَدَ ذَلِكَ مُحَقَّقًا لِأَثَرِ مُبَدِّدِ الْأَسْبَابِ  
وَأَنْظُرْ مَا نَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي مِفَاوِضَةِ الرَّشِيدِ عَمَّ جَدُّهُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ فِي شَأْنِ نَكْبَتِهِمْ  
وَمَا ذَكَرَهُ فِي بَابِ الشُّعْرَاءِ فِي كِتَابِ الْعُقَدِ فِي مُحَاوَرَةِ الْأَصْمِغِي لِلرَّشِيدِ وَالْفَضْلِ بْنِ  
يَحْيَى فِي سَمَرِهِمْ لَنَفْسِهِمْ أَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَتْهُمْ الْغِيْرَةُ وَالْمَنَافَسَةُ فِي الْأَسْتِدَادِ مِنَ الْخَلِيفَةِ قَبْلَ  
ذَوْنِهِ وَكَذَلِكَ مَا تَحِيلَ بِهِ أَعْدَاؤُهُمْ مِنَ الْبُطَانَةِ فِيمَا دَسَّوهُ لِلْمُغْنِبِينَ مِنَ الشُّعْرِ أَحْتِيَالًا عَلَى  
إِسْمَائِيلِ الْخَلِيفَةِ وَتَحْرِيكِ حَفَاطَتِهِ لَهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ

لَيْتَ هُنَا أَتَجَرَّتْنَا مَا نَعُدُّ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا بِمَا نَعُدُّ  
وَأَسْتَدَدْتُ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَدِدُّ

وَأَنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا سَمِعَهَا قَالَ إِيَّيَّيْ وَاللَّهِ إِنِّي عَاجِزٌ حَتَّى بَعَثُوا بِأَمْثَالِ هَذِهِ كَلِمَاتٍ غَيْرَتِهِ  
وَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ بِأَسْ أُنْقِيَامِهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ غَلْبَةِ الرِّجَالِ وَسُوءِ الْحَالِ وَأَمَّا مَا نُعَوِّدُهُ  
بِهِ الْخَلَايَا مِنَ مُعَاوَرَةِ الرَّشِيدِ الْخَمَرِ وَأَقْرَانِ سُكْرِهِ بِسُكْرِ الدُّمَانِ لِحَاشَا اللَّهِ مَا  
عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَقِيَامِهِ بِمَا يَجِبُ لِمَنْتَصِبِ الْخِلَافَةِ مِنَ  
الَّذِينَ وَالْعَدَالَةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ صَحَابَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَمُحَاوَرَاتِهِ لِلْفَضْلِ بْنِ عِيَاضٍ  
وَأَبْنِ السَّيَّاحِ وَالنَّعْمَرِيِّ وَمُكَاتَبَتِهِ سُبْحَانَ النَّوْزِيِّ وَبُكَائِهِ مِنْ مَوَاعِظِهِمْ وَدُعَائِهِ  
بِمَكَّةَ فِي طَوَافِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْحِفَاظَةِ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ وَشُهُودِ  
الصُّبْحِ لِأَوَّلِ وَفَتْحِهَا حَكَمِي الطَّبْرِيِّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ  
نَافِلَةٍ وَكَانَ يَغْزُو عَامًا وَيَبْخُجُ عَامًا وَلَقَدْ زَجَرَ ابْنُ أَبِي مَرْزَمٍ مُضِيكَهُ فِي سَمَرِهِ حِينَ تَعَرَّضَ  
لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ لَمَّا سَمِعَهُ يَقْرَأُ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَقَالَ وَاللَّهِ مَا  
أُذْرِي لَمْ فَمَا تَمَّاكَ الرَّشِيدُ أَنْ ضَحِكَ ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَيْهِ مُغَضَّبًا وَقَالَ يَا ابْنَ أَبِي مَرْزَمٍ فِي  
الصَّلَاةِ أَيْضًا إِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالْقُرْآنَ وَالَّذِينَ وَلَكَ مَا شِئْتَ بَعْدَهُمَا وَأَيْضًا فَقَدْ كَانَ مِنْ  
الْعِلْمِ وَالسَّادَاجَةِ بِمَكَانِ اقْرُبِ عَهْدِهِ مِنْ سَلَفِهِ الْمُتَمَنِّحِينَ لِذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَهُ وَيَنْتِ  
جَدُّهُ أَبِي جَعْفَرٍ بَعِيدَ زَمَنِ إِنَّمَا خَلَقَهُ غُلَامًا وَقَدْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ بِمَكَانٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ  
قَبْلَ الْخِلَافَةِ وَبَعْدَهَا وَهُوَ الْقَائِلُ لِمَالِكٍ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْلِيفِ الْمُوطَأِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتَنِي الْخِلَافَةُ فُضِعَ أَنْتَ لِلنَّاسِ  
 كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ تَجَنَّبَ فِيهِ رُخْصَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشِدَائِدَ ابْنِ عُمَرَ وَوَطْنَهُ لِلنَّاسِ تَوَاطُؤُهُ  
 قَالَ مَا لَكَ قَوْلُ اللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَنِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ أَدْرَكْتُ أَبْنَةَ الْمَهْدِيِّ أَبُو الرَّشِيدِ  
 هَذَا وَهُوَ يَتَوَرَّعُ عَنْ كُسُوفِ الْجَدِيدِ لِعِيَالِهِ مِنْ يَتِّ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ بِمَجْلِسِهِ  
 بِأَشْرَ الْخِطَاطِينَ فِي إِزْقَاعِ الْخُلَفَاءِ مِنْ ثِيَابِ عِيَالِهِ فَاسْتَنْصَفَ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ  
 وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ كُسُوفُ هَذِهِ الْعِيَالِ عَلَمًا هَذَا مِنْ عَطَائِي فَقَالَ لَهُ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ  
 يَصُدِّعْهُ عَنْهُ وَلَا سَمَحَ بِالْإِنْفَاقِ فِيهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ  
 الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ وَأَبُوئِهِ وَمَا رُفِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْخُلَاقِ  
 بِهَا أَنْ يُعَافَرَ الْخَطِيئَةَ أَوْ يُجَاهِرَ بِهَا وَقَدْ كَانَتْ حَالَةُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي  
 اجْتِنَابِ الْخُمرِ مَعْلُومَةً وَلَمْ يَكُنْ الْكَرَمُ مُتَجَرِّمًا وَكَانَ شَرْبُهَا مَذْمُومًا عِنْدَ الْكَبِيرِ  
 مِنْهُمْ وَالرَّشِيدُ وَأَبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى تَجَرُّعٍ مِنْ اجْتِنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَالْخُلَاقِ  
 بِالْحَصِيدِ وَأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَتَزَعَّتِ الْعَرَبُ وَأَنْظَرُوا مَا نَقَلَ الطَّبْرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ  
 فِي قِصَّةِ جَبْرِيلَ بْنِ بَخْتِشُوعٍ الطَّيِّبِ حِينَ أَحْضَرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَحَمَاهُ عَنْهُ ثُمَّ  
 أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِمَحْمِلِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَطِنَ الرَّشِيدُ وَأَرْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَادِمُهُ حَتَّى  
 عَايَنَهُ يَتَنَاوَلُهُ وَأَعَادَ ابْنُ بَخْتِشُوعٍ لِلْإِعْتِدَارِ ثَلَاثَ قِطْعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَفْدَاحٍ خَلَطَ  
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمَعَالِجِ بِالنَّوَابِلِ وَالْبُقُولِ وَالْبُورَادِ وَالْخُلُوصِ وَصَبَّ عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُلْجَأًا  
 وَعَلَى الثَّلَاثَةِ خَمْرًا صِرْفًا وَقَالَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خَلَطَ السَّمَكُ  
 بِغَيْرِهِ أَوْ لَمْ يَخْلُطْهُ وَقَالَ فِي الثَّلَاثِ هَذَا طَعَامُ ابْنِ بَخْتِشُوعٍ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ  
 حَتَّى إِذَا أَتَبَهُ الرَّشِيدُ وَأَحْضَرَهُ لِلتَّوْبِيخِ أَحْضَرَ ثَلَاثَةَ الْأَفْدَاحِ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْخُمرِ  
 قَدْ اخْتَلَطَ وَأَمَاعَ وَتَفَتَّتْ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدُوا وَتَغَيَّرَتْ رَأْيُهُمَا فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ  
 مَعْدِرَةٌ وَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالَ الرَّشِيدِ فِي اجْتِنَابِ الْخُمرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ  
 وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ وَلَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ عَهْدَ بَحْسِ أَبِي نَوَاسٍ لِمَا بَلَغَهُ مِنْ أَنَّهُمَا كَرِهَا فِي الدُّعَاةِ  
 حَتَّى تَابَ وَأَقْلَعَ وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ بِشَرْبِ نَبِيذِ الْخُمرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَتَايِهِمْ  
 فِيهَا مَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا الْخُمرُ الصَّرْفُ فَلَا سَبِيلَ إِلَى اتِّهَامِهِ بِهَا وَلَا تَقْلِيدَ الْأَخْبَارِ الزَّاهِيَةِ فِيهَا  
 فَلَمْ يَكُنِ الرُّجُلُ يَحِثُّ بِوَأَقْعٍ مَعْرُومًا مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَلَقَدْ كَانَ



أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بِمَنَاجِ مِنْ أَرْكَابِ السَّرَفِ وَالْكَرْفِ فِي مَلَاسِيهِمْ وَرِيَاسَتِهِمْ وَسَائِرِ  
مُتَكَوِّلَاتِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُوعَةِ الْبِدَاوَةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يُفَارِقُوهَا بَعْدُ فَمَا  
ظَنُّكَ بِمَا يَخْرُجُ عَنِ الْإِبَاحَةِ إِلَى الْخَطَرِ وَعَنِ الْحِلَّةِ إِلَى الْحَرَمَةِ وَلَقَدْ اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ  
الطَّبَرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَغَيْرُهُمْ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ  
إِنَّمَا كَانُوا يَزْكُونَ بِالْحِلَّةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ وَالسِّيُوفِ وَاللَّجَمِ وَالسَّرُوحِ  
وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أَهْدَتْ الرُّكُوبَ بِحِلَّةِ الذَّهَبِ هُوَ الْمُعْتَزُّ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخُلَفَاءِ  
بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ أَيْضًا فِي مَلَاسِيهِمْ فَمَا ظَنُّكَ بِمَشَارِبِهِمْ وَبَيِّنْ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ مِنْ هَذَا إِذَا فَهِمْتَ طَبِيعَةَ الدَّوْلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْفَضَاخَةِ كَمَا نَشْرَحُ فِي  
مَسَائِلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ الْمُهَادِي إِلَى الصَّوَابِ . وَبِنَاسِبِ هَذَا  
أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ مَا يَقُولُونَهُ كَلَفَهُ عَنْ بَيْحِي بْنِ أَكْثَمٍ قَاضِي الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّهُ كَانَ  
يُعَاقِرُ الْخَمْرَ وَأَنَّهُ سَكِرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِبِهِ فَنُفِنَ فِي الرِّيحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَبُشِدُونَ عَلَى لِسَانِهِ  
بِأَسْبَدِي وَأَمِيرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْقِيهِ  
إِنِّي خَفِلْتُ عَنْ السَّافِي فَصَبَّرَنِي كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ  
وَحَالُ ابْنِ أَكْثَمٍ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَاهُمُ إِنَّمَا كَانَ النَّبِيذُ  
وَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْدَهُمْ وَأَمَّا الشُّكْرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِنَّمَا كَانَتْ  
خَلَّةً فِي الدِّينِ وَلَقَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ كَانَ يَتَأَمُّ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ وَيَقُولُ فِي فَضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحُسْنِ  
عَشْرَتِهِ أَنَّهُ أَتَبَّهَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَطْشَانٌ فَقَامَ يَتَحَسَّسُ وَيَلْتَمِسُ الْإِنَاءَ خَافَةَ أَنْ يُرْفَظَ بَيْحِي  
بَنَ أَكْثَمٍ وَثَبِتَ أَنَّهُمَا كَانَا يُصَلِّيَانِ الصُّبْحَ جَمِيعًا فَأَيُّ هَذَا مِنَ الْمَعَاقِفَةِ وَأَيْضًا فَإِنَّ  
بَيْحِي بْنَ أَكْثَمٍ كَانَ مِنْ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
وَأَبْنُ عَسَلٍ الْقَاضِي وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ كِتَابَهُ الْجَامِعَ وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْخَافِظُ أَنَّ ابْنُ بَيْحِي  
رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ فَأَلْقَدَحُ فِيهِ قَدَحٌ فِي جَمِيعِهِمْ وَكَذَلِكَ مَا بَيَّزُهُ الْعُجَّانُ بِالْمَبَلِ  
إِلَى الْعُلَمَاءِ هَتَانًا عَلَى اللَّهِ وَفَرِيَّةً عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَسْتَنِدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقُصَّاصِ  
الْوَاهِمَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ أَفْرَاءِ أَعْدَائِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مُحْسُودًا فِي كَمَالِهِ وَخَلَّتْهُ السُّلْطَانُ وَكَفَلَتْ  
مَقَامَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ مُزَّهًا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَنْبَلٍ مَا يَرْمِيهِ بِهِ  
النَّاسُ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَانْكُرَ ذَلِكَ إِنَّكَارًا شَدِيدًا وَأَتَنَى

عَلَيْهِ إِيمَانُ عِلِّ الْقَاضِي فَقِيلَ لَهُ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ فَقَالَ مِمَّا ذُو اللَّهِ أَنْ تَزُولَ عَدَالَةُ مِثْلِهِ  
بِتَكْذِيبِ بَاغٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ أَيْضًا يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ  
يَمَا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْعُلَمَاءِ وَلَقَدْ كُنْتُ أَقِفُ عَلَى سَرَائِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدَ الْخُوفِ  
مِنْ اللَّهِ لَكِنَّهُ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خَلْقٍ قَرِيبِي بِمَا رَزَيْتُ بِهِ ابْنَ حَبَّانٍ فِي الْفِتَنِ  
وَقَالَ لَا يَسْتَعْلِ بِمَا يَخْشَى عَنْهُ لِأَنَّهُ أَكْثَرَهَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ  
مَا قُلَّهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعَقْدِ مِنْ حَدِيثِ الزُّنَيْلِ فِي سَبَبِ إِصْهَارِ الْعَامُونَ إِلَى  
الْحُسَيْنِ بْنِ سَهْلٍ فِي بَيْتِهِ بُوْرَانٍ وَأَنَّهُ عَثَرَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فِي تَطَوُّفِهِ بِسُكَّكَ بَغْدَادَ فِي  
زُنَيْلٍ مُدَلَّى مِنْ بَعْضِ السُّطُوحِ بِعَمَالِقٍ وَجَدَلَ مَعَارَةَ الْقَتْلِ مِنَ الْحَرِيرِ فَأَعْتَقَهُ وَتَنَاوَلَ  
الْعَمَالِقَ فَأَهْتَزَّتْ وَذَهَبَ بِهِ صُعْدًا إِلَى مَجْلِسٍ شَانُهُ كَذَا وَوَصَفَ مِنْ زِينَتِهِ فُرْشَةً وَتَنْصِيدَ  
ابْنَيْتِهِ وَجَمَالَ رُؤْيَاهُ مَا يَسْتَوْفِي الطَّرْفَ وَبِمَلِكِ النَّفْسِ وَأَنَّ أَمْرًا بَرَزَتْ لَهُ مِنْ خَلَلِ  
الْستُورِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَاقَّةٌ الْجَمَالَ فَتَأَنَّى الْحَمَّاسِينَ تَحِيَّتُهُ وَدَعَتْهُ إِلَى الْمُنَادِمَةِ فَلَمْ  
يَزَلْ يُعَاقِرُهَا أَخْمَرًا حَتَّى الصَّبَاحَ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ أَنْظَارِهِ وَقَدْ شَفَعَتْهُ  
حُبًّا بَعَثَهُ عَلَى الْإِصْهَارِ إِلَى أَبِيهَا وَأَبْنَيْ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْعَامُونَ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ  
وَعِلْمِهِ وَأَخْفَائِهِ سُنَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخَذِهِ بِسِيرِ الْخُلَفَاءِ الْأَزْهَرَةِ أَرْكَانِ  
الْمِلَّةِ وَمَنَاطِرَتِهِ الْعُلَمَاءِ وَحِظِهِ لِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فِي صَلَوَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ نَصَحَ  
عَنْهُ أَحْوَالُ الْفَسَاقِ الْمُسْتَهْزِئِينَ<sup>(١)</sup> فِي التَّطَوُّفِ بِاللَّيْلِ وَطُرُوقِ الْمَنَارِلِ وَغَشْيَانِ السَّهْرِ  
سَبِيلَ عُشَاقِ الْأَعْرَابِ وَأَبْنَى ذَلِكَ مِنْ مَنْصِبِ ابْنَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَهْلٍ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ  
يُدَارِ أَيْبَاهَا مِنَ الصُّورِ وَالْعَفَافِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ  
مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا يَبْعَثُ عَلَى وَضْعِهَا وَالْحَدِيثِ بِهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي اللَّذَاتِ الْحَرَمَةِ وَهَتَكَ فَنَاعِ  
الْمُحَدَّرَاتِ وَيَتَعَلَّلُونَ بِالتَّأَمِّيِّ بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةٍ لِدَانِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ كَثِيرًا مَا  
يَلْتَجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيَنْقَرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصَحُّيهِمْ لِأَوْرَاقِ الدَّوَابِّ وَلَوْ أَنْتَسَوْا بِهِمْ  
فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصَنَائِعِ الْكَمَالِ الْأَلْفَةِ بِهِمْ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُمْ لَسَكَانَ خَيْرًا  
لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَأَقْدَعَدَتْ يَوْمًا بَعْضُ الْأُمَرَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ فِي كُلِّهِ بِتَعْلُمِ  
الْفَنَاءِ وَوَلُوعِهِ بِالْأَوْتَارِ وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيْقُ بِمَتَصِيكِ فَقَالَ لِي أَفَلَا

(١) المستهزئ لهني بالخ المولع بالآيالي بما فعل فيه وشتم له والذي كثرت باطله اه قاموس

تَرَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرَئِيسَ الْمُغْنَيْنِ فِي زَمَانِهِ  
فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَّا تَأَسَّيْتُ بِأَبِيهِ وَأَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتُ كَيْفَ قَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ  
عَنْ مَنَاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَذْلِي وَأَعْرَضَ وَاللَّهِ يُهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْوَاحِيَةِ مَا  
يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْأَثْبَاتِ فِي الْعَبِيدِيَّينَ خُلَفَاءِ الشَّيْعَةِ بِالْقَبْرِوَانِ  
وَالْقَاهِرَةِ مِنْ نَفْسِهِمْ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالطُّغْنِ فِي تَسْيِيمِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ  
الْإِمَامِ ابْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ بِعَتِيدُونِ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَادِيثَ لَفَتْ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ  
خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَزَلُّفًا إِلَيْهِمْ بِالْقَدَحِ فِيمَنْ نَاصَبَهُمْ وَتَقَنَّنَا فِي السَّمَاتِ بِدَعْوِهِمْ حَسْبَمَا  
نَذْكُرُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيَقُولُونَ عَنْ التَّغْطِينَ لَشَوَاهِدِ الْوَأَقِعَاتِ وَأَدَلَّةِ  
الْأَحْوَالِ الَّتِي انْقَضَتْ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ وَالزُّدَّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ  
فِي حَدِيثِهِمْ عَنْ مَبْدَأِ دَوْلَةِ الشَّيْعَةِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْخَلِيسَ لَمَّا دَعِيَ بِكُنَامَةِ الرَّضِيِّ  
مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَاشْتَهَرَ خَبَرُهُ وَعَلِمَ تَحْوِيلُهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَأَبْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ  
خَشِيَ عَلَى أَنْفُسِهِمَا فَهَرَبَا مِنَ الْمَشْرِقِ مَحَلَّ الْخِلَافَةِ وَاجْتَارَا بِمِصْرَ وَأَتَاهُمَا خَرَجًا مِنْ  
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي زَيْجِ التَّجَارِ وَنَجَّى خَبَرُهُمَا إِلَى عِيسَى التَّوَشْرِيِّ عَامِلِ مِصْرَ  
وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَرَّحَ فِي طَلَبِهِمَا الْخِيَالَةَ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَا خِيفَ حَالَهُمَا عَلَى تَابِعِيهِمَا بِمَا  
لَبَّسُوا بِهِ مِنَ الشَّارَةِ وَالزَّيْجِ فَأَقْلَتُوا إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّ الْمُعْضِدَ أَوْعَزَ إِلَى الْأَغَالِبَةِ أُمَرَاءُ  
أَلْرُبِّيَا بِالْقَبْرِوَانِ وَبَنِي مِذْرَارٍ أُمَرَاءُ مِجْلَسَاةَ بِأَخْذِ الْأَفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِذْ كَاهُ الْعُيُونُ  
فِي طَلَبِهِمَا فَعَارَ الشَّيْخُ صَاحِبُ مِجْلَسَاةَ مِنْ آلِ مِذْرَارٍ عَلَى خِيفِ مَكَانِهِمَا بِبَلَدِهِ وَاعْتَقَلَهُمَا  
مَرْضَاةَ لِلْقَلِيفَةِ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَطْهَرَ الشَّيْعَةُ عَلَى الْأَغَالِبَةِ بِالْقَبْرِوَانِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا  
كَانَ مِنْ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقَةِ ثُمَّ بِالْبَلَمَنْ ثُمَّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ثُمَّ بِمِصْرَ  
وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَقَامُوا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ شَقَّ الْأَبْلَمَةِ وَكَادُوا بِالْجُيُونَ  
عَلَيْهِمْ مَوَاطِنَهُمْ وَبِزَابِلُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَقَدْ أَظْهَرَ دَعْوَتَهُمْ بِغَدَادَ وَعِزَانِهَا الْأَمِيرُ  
الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ مَوَالِي الدُّبَلَاءِ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مُغَاضِبَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
أُمَرَاءِ الْعَجَمِ وَخَطَبَ لَهُمْ عَلَى مَنَابِرِهَا حَوْلًا كَامِلًا وَمَا زَالَ بَنُو الْعَبَّاسِ بِعُضُونِ بِمَكَانِهِمْ  
وَدَوْلَتِهِمْ وَمُلُوكُ بَنِي أُمَيَّةَ وَرَاءَ الْبَحْرِ يَبْدُؤُونَ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ مِنْهُمْ وَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا كُلُّهُ  
لِدَعْوِي فِي النَّسَبِ بِكَذِبِ فِي اتِّحَالِ الْأَمْرِ وَاعْتِنِ حَالِ الْقَرْمَاطِيِّ إِذْ كَانَ دَعِيًّا فِي

أَنْتَسَائِهِ كَيْفَ تَلَا شَتَّ دَعْوَتِهِ وَتَفَرَّقَتْ أُنْبَاؤُهُ وَظَاهَرَ مَرِيضًا عَلَى خُبْنِهِمْ وَمَكْرِهِمْ فَسَاءَتْ  
عَاقِبَتُهُمْ وَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَوْ كَانَ أَمْرُ الْعَبِيدِ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَرَفُوا وَلَوْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ  
وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا نَفْخَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ  
فَقَدْ انْصَلَتْ دَوْلَتُهُمْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَمَّا إِِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَمُصْلَاهُ وَمَوْطِنُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَدِينَتُهُ وَمَوْقِفُ الْحَجَّاجِ وَهَيْطُ الْمَلَائِكَةِ  
ثُمَّ انْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَشَبِعَتْهُمْ فِي ذَلِكَ كَيْلَهُ عَلَى أَمْرٍ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُمْ وَالْحُبِّ  
فِيهِمْ وَأَعْتَقَادِهِمْ يَنْسَبُ إِلَى إِمَامِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَلَقَدْ خَرَجُوا مَرَارًا بَعْدَ  
ذَهَابِ الدَّوْلَةِ وَدُرُوسِ أَثَرِهَا دَاعِينَ إِلَى بَدْعَتِهِمْ هَاتِفِينَ بِأَسْمَاءِ صِبْيَانٍ مِنْ أَهْلِيهِمْ  
يُزَعِّمُونَ اسْتِخْفَافَهُمْ لِلْغِلَافَةِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَعْيِينِهِمْ بِالْوَصِيَّةِ مِنْ سَلَفَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَيِمَّةِ  
وَلَوْ أَرَادُوا فِي نَسَبِهِمْ لَمَّا رَكِبُوا أَعْنَاقَ الْأَخْطَارِ فِي الْإِنْتِصَارِ لَهُمْ فَصَاحِبُ الْيَدَةِ لَا  
يُلَاسُ فِي أَمْرِهِ وَلَا يُشْفَى فِي بَدْعَتِهِ وَلَا يُكْذَبُ نَفْسُهُ فِيمَا يَنْتَحِلُهُ وَالْعَجَبُ مِنَ الْقَاضِي  
أَبِي بَكْرٍ الْبَلَاغِيِّ شَيْخِ النُّظَارِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ كَيْفَ يَجْنَحُ إِلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْمَرْجُوحَةِ  
وَيَرَى هَذَا الرَّأْيَ الضَّعِيفَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْحَادِ فِي الدِّينِ وَالنَّمَقِ  
فِي الرَّاغِبِيَّةِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ فِي صَدْرِ دَعْوَتِهِمْ وَلَيْسَ إِثْبَاتُ مُنَسَبِهِمْ بِالَّذِي يُغْنِي  
عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فِي كُفْرِهِمْ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِ ابْنِهِ إِنَّهُ لَيْسَ  
مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ دِلِيلٌ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
لِفَاطِمَةَ بَعِثْهَا يَا فَاطِمَةُ أَعْمَلِي فَلَنْ أُغْنِيَ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَمَتَى عَرَفَ أَمْرُوهَ قَضِيَّةً أَوْ  
أَسْتَقْنَى أَمْرًا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَصْدَعَ بِهِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَالْقَوْمُ كَانُوا  
فِي مَجَالٍ لظُنُونِ الدُّوَلِ بِهِمْ وَتَحْتَ رِقَبَةٍ مِنَ الطُّغَاةِ لِتَوْفُرِ شَيْعَتِهِمْ وَأَنْتِشَارِهِمْ فِي الْقَاضِيَّةِ  
بَدْعَتِهِمْ وَتَكَرُّرِ خُرُوجِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَلَاذَتْ رِجَالُهُمْ بِالْإِخْفَاءِ وَلَمْ يَكْدُوا  
يَعْرِفُونَ كَمَا قِيلَ

فَلَوْ تَسَّالَ الْأَيَّامَ مَا أَتَنِي مَا دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ كَمَا نَا  
حَتَّى لَقَدْ نَبِيَّ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ بِالْمَكْتُومِ سَمْتَهُ بِذَلِكَ  
شَيْعَتُهُمْ لِمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ إِخْفَائِهِ حَدَرًا مِنَ الْمُتَغَابِينَ عَلَيْهِمْ فَتَوَصَّلَ شَيْعَةُ وَ  
الْعَبَاسِ بِذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِهِ إِلَى الطُّغْنِ فِي نَسَبِهِمْ وَأَزْدَلُّوا بِهِذَا الرَّأْيِ الْقَائِلَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنْ خُلَفَائِهِمْ وَأُنْجِبَ بِهِ أَوْلِيَاؤُهُمْ وَأَمَرَاهُ دَوْلَتِهِمُ الْمُتَوَلُّونَ لِحُرُوبِهِمْ مَعَ الْأَعْدَاءِ يَتَقَسَّمُونَ  
 بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ مَعْرَةً أَلْجَزَ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُدَافَعَةِ لِمَنْ عَلَيْهِمْ عَلَى الشَّامِ  
 وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ مِنَ الْبَزِيرِ الْكُتَّامِينَ شِيعَةَ الْعَبِيدِيَّينَ وَأَهْلَ دَعْوَتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ أَشْجَلَ  
 الْقَضَاةُ بَعْدَادَ بِنَفْيِهِمْ عَنْ هَذَا النَّسَبِ وَشَهِدَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ  
 الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ وَأَخُوهُ الْمُرْتَضَى وَابْنُ الْبَطْحَاوِيِّ وَمِنْ الْعُلَمَاءِ أَبُو حَامِدٍ الْأَسْفَرِينِيُّ  
 وَالْقُدْرِيُّ وَالصَّيْمَرِيُّ وَابْنُ الْأَكْفَانِيِّ وَالْأَبُو زَيْدِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ التَّعْمَانِ فَبَقِيَ  
 الشَّيْعَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ بَعْدَادَ فِي يَوْمِهِمْ مَشْهُودٌ وَذَلِكَ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 فِي أَيَّامِ الْقَادِرِ وَكَانَتْ شَهَادَتُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّمَاعِ لَمَّا أَشْتَهَرَ وَعُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ  
 بَعْدَادَ وَغَالِبُهَا شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ الطَّاعِنُونَ فِي هَذَا النَّسَبِ فَقَلَّ الْأَخْبَارُ بَيْنَ كَمَا سَمِعُوهُ  
 وَرَوَوْهُ حَسْبَمَا وَعَوَّهَ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي كِتَابِ الْمُعْتَصِدِ فِي شَأْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى ابْنِ  
 الْأَعْلَبِ بِالْقَبْرِ وَابْنِ مِذْرَارٍ بِسُجْلِمَاسَةَ أَصْدَقُ شَاهِدٍ وَأَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى حَقِّهِمْ نَسَبِهِمْ  
 فَأَلْمَعْتُصِدُ أَفْعَدُ يَنْسِبُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَالِدُوهُ وَالسُّلْطَانُ سَوْفَ الْعَالَمِ يُجْلِبُ إِلَيْهِ  
 بِضَائِعِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَتَلْتَمِسُ فِيهِ ضَوَالُ الْحِكْمِ وَتَحْدَى إِلَيْهِ رَكَائِبُ الرِّوَايَاتِ  
 وَالْأَخْبَارِ وَمَا تَقَفَّ فِيهَا نَفَقٌ عِنْدَ الْكَافَّةِ فَإِنْ تَنَزَّهَتْ لِدَوْلَةٍ عَنِ التَّعَسُّفِ وَالْمِيلِ وَالْأَفْنِ  
 وَالسُّفْسَفَةِ وَسَلَّكَتِ السَّجْمَ الْأَمَّ وَلَمْ تَجْرُ<sup>(١)</sup> عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ نَفَقٌ فِي سَوْفِهَا الْأَنْبَرِ  
 الْخَالِصُ وَالْجَبِينُ الْمُصَفَّى وَإِنْ ذَهَبَتْ مَعَ الْأَغْرَاضِ وَالْحَقُودِ وَمَاجَتْ بِسَامِرَةِ الْعَرَبِ  
 الْبَغْيُ وَالْبَاطِلُ نَفَقُ الْبَهْرَجِ وَأَزَانِفُ وَالنَّائِدُ الْبَصِيرُ نَظَرُهُ فُسْطَاسُ بَحْثِهِ وَمِيزَانُ مِلَّتِهِ  
 وَمِثْلُ هَذَا وَابْعَدُ مِنْهُ كَثِيرًا مَا يَنْتَاجِي بِهِ الطَّاعِنُونَ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضَوَانِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) الْأَوَّلِ  
 بَعْدَ أَبِيهِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَيُعَرِّضُونَ تَعْرِيفَ الْحَدِّ بِالنَّظَنِ فِي الْحِمْلِ الْخُلْفِ عَنْ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ إِنَّهُ لِرَاشِدٍ مَوْلَانِمْ فَجَبَّهُمُ اللَّهُ وَأَبْعَدَهُمْ مَا أَجْهَلَهُمْ أَمَّا يَعْلَمُونَ أَنَّ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرَ كَانَ إِصْهَارُهُ فِي الْبَزِيرِ وَأَنَّهُ مِنْذُ دَخَلَ الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ  
 عَزَّ وَجَلَّ عَرَبِيٌّ فِي الْبَدْوِ وَأَنَّ حَالَ الْبَادِيَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ غَيْرُ خَافِيَةٍ إِذْ لَا مَكَامِينَ لَهُمْ  
 يَتَأَتَّى فِيهَا الرِّبُّ وَأَحْوَالُ حُرْمِهِمْ أَجْمَعِينَ يُمْرَأَى مِنْ جَارَانِهِمْ وَمُسْتَمَعٍ مِنْ جِيرَانِهِمْ  
 لَتَلَاصِقُ الْجُدْرَانَ وَتَطَامُنُ الْبَيَانَ وَعَدَمُ الْفَوَاصِلِ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ وَقَدْ كَانَ رَاشِدٌ يَقُولُ

خُدَمَةَ الْحَرَمِ أَجْعَلَ مِنْ بَعْدِ مَوْلَاهُ بِمَشْهَدٍ مِنْ أَوْلِيَانِهِمْ وَشِعْمَتِهِمْ وَرُفَاقِهِ مِنْ كَافَّةِهِمْ  
وَقَدْ اتَّفَقَ بِرَأْيِهِ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى عَامَةً عَلَى بَيْعَةِ أَدْرِيسَ الْأَصْغَرِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ وَأَتَوْهُ  
طَاعَتَهُمْ عَنْ رِضَى وَإِصْفَاقٍ وَبِأَيْعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَخَاسُوا دُونَهُ بِحَارِ الْمَنَابِ فِي  
حُرُوبِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَلَوْ حَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الرَّبِّيةِ أَوْ قُرِعَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَلَوْ مِنْ عَدُوِّ  
كَاشِحٍ أَوْ مُكَافِي مُرْتَابٍ لَتَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْضُهُمْ كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّمَا صَدَرَتْ هَذِهِ  
الْكَلِمَاتُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَقْبَالِهِمْ وَبَنِي الْأَغْلَبِ عُمَالِهِمْ كَانُوا بِأَفْرِيقَةٍ وَوَلَانِهِمْ  
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّ أَدْرِيسُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْمَغْرِبِ مِنْ وَفْعَةِ بَلْخِ أَوْعَزَ الْهَادِي إِلَى الْأَغْلَابِ  
أَنْ يَفْعَدُوا لَهُ بِالْمَرَاصِدِ وَيَذْكُرُوا عَلَيْهِ الْعِيُونَ فَلَمْ يَطْفُرُوا بِهِ وَخَلَصَ إِلَى الْمَغْرِبِ قَتْمٌ  
أَمْرُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ وَظَهَرَ الرَّشِيدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَاضِحِ مَوْلَانِهِمْ وَعَالِيهِمْ  
عَلَى الْأَسْكَنْدَرِيَّةِ مِنْ دَسِيسَةِ الشُّشُوعِ لِلْعُلُوِيَّةِ وَإِدْهَانِهِ فِي نَجَاةِ أَدْرِيسَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
فَقَتَلَهُ وَدَسَّ السَّمَاحَ مِنْ مَوَالِي الْمَهْدِيِّ أَبِيهِ لِلتَّحْيِيلِ عَلَى قَتْلِ أَدْرِيسَ فَأَظْهَرَ الْفَلَّاحُ بِهِ  
وَالْبَرَاءَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوَالِيهِ فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ أَدْرِيسُ وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ وَتَأَوَّلَهُ السَّمَاحُ فِي  
بَعْضِ خَلَوَاتِهِ مِمَّا اسْتَهْلَكَهُ بِهِ وَوَقَعَ خَيْرٌ مِمَّا لَكَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ  
لِمَا رَجَوْهُ مِنْ قَطْعِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ الْعُلُوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَاقْتِلَاعِ جُرُوتِهَا وَلَمَّا تَأَدَّى  
إِلَيْهِمْ خَيْرُ الْحِمْلِ الْمُخْلَفُ لِأَدْرِيسَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا كَلًّا وَلَا وَإِذَا بِالْدَّعْوَةِ قَدْ  
عَادَتْ وَالشُّبُعَةُ بِالْمَغْرِبِ قَدْ ظَهَرَتْ وَدَوَّلَتُهُمْ بِأَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ قَدْ تَجَدَّدَتْ فَكَانَ  
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْكَى مِنْ وَقْعِ السِّهَامِ وَكَانَ الْفُشْلُ وَالْحَرَمُ قَدْ نَزَلَ بِدَوْلَةِ الْعَرَبِ عَنْ  
أَنْ يَسْمُوا إِلَى الْقَاصِيَةِ فَلَمْ يَكُنْ مُنْتَهَى قُدْرَةِ الرَّشِيدِ عَلَى أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ بِمَكَانِهِ مِنْ  
قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَاشْتِمَالِ الْبَزِيرِ عَلَيْهِ إِلَّا التَّحْيِيلُ فِي إِهْلَاكِهِ بِالشُّمُومِ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَرَعُوا  
إِلَى أَوْلِيَانِهِمْ مِنَ الْأَغْلَابِ بِأَفْرِيقَةٍ فِي سِدِّ تِلْكَ الْفُرْجَةِ مِنْ نَاجِيَتِهِمْ وَحَسَمِ الدَّاءِ  
الْمُتَوَقَّعِ بِالْأَذَلَّةِ مِنْ قِيْلِهِمْ وَاقْتِلَاعِ تِلْكَ الْعُرُوقِ قَبْلَ أَنْ تَنْشِجَ مِنْهُمْ بِخَاطِبِهِمْ بِذَلِكَ  
الْعَامُونَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ خُلَفَائِهِمْ فَكَانَ الْأَغْلَابُ عَنْ بَرَابَرَةِ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى عَجَزَ  
وَلَمَثَلُوا مِنَ الزُّبَيْنِ عَلَى مُلُوكِهِمْ أَحْوَجَ لِمَا طَرَقَ الْخِلَافَةُ مِنْ انْتِزَاعِ مَمْلِكِ الْعِجَمِ عَلَى  
سُدَّتِهَا وَامْتِطَائِهِمْ صَهْوَةَ التَّغْلِبِ عَلَيْهَا وَتَضَرُّفِهِمْ أَحْكَامَهَا طَوَعَ أَغْرَاصِهِمْ فِي رِجَالِهَا  
وَجَبَابَتِهَا وَلَهْلِ خَطَطِهَا وَسَائِرِ نَقْصِهَا وَإِبْرَاسِهَا كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ

خَلِيفَةُ فِي قَعَصٍ      بَيْنَ وَصِيفٍ وَبَنَاءٍ  
يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ      كَمَا نَقُولُ الْبَيْعَا

نَحْشِي هُوَلَاءَ لِأَمْرِهِ الْأَعَالِيَةِ بَوَادِرِ السَّعَابَاتِ وَتَلَوْنَا بِالْمَعَادِيرِ فَطَوَّرْنَا بِاخْتِقَارِ الْمَغْرِبِ  
وَأَهْلِهِ وَطَوَّرْنَا بِالْإِزْهَابِ بِشَأْنِ أَدْرِيسَ الْخَارِجِ بِهِ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنْ أَعْقَابِهِ يُخَاطَبُونَهُمْ  
بِتَجَاوُزِهِ حُدُودِ النُّجُومِ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْفَعُونَ سِكَتَهُ فِي تَحْفِيهِمْ وَهَذَا يَأْتِيهِمْ وَمَرْتَقِعُ حَبَابَاتِهِمْ  
تَعْرِيفًا بِاسْتِحْضَائِهِ وَتَهْوِيلًا بِاشْتِدَادِ شَوْكِهِ وَتَعْظِيمًا لِمَا دَفَعُوا إِلَيْهِ مِنْ مُطَالَبَتِهِ وَمِرَاسِهِ  
وَتَهْدِيدًا بِقَلْبِ الدَّعْوَةِ إِنْ أُلْجِئُوا إِلَيْهِ وَطَوَّرْنَا بِطَعْنُونٍ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
الطَّعْنِ الْكَاذِبِ تَخْفِيفًا لَشَأْنِهِ لَا يُبَالُونَ بِصِدْقِهِ مِنْ كَدِّهِ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ وَأَفْنِ عَقُولِ  
مَنْ خَلَفَ مِنْ صِبْيَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَلَكَهِمُ الْعَجَمُ فِي الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ فَائِلٍ وَالسَّمْعُ لِكُلِّ  
نَاعِيٍّ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَأْبَهُمْ حَتَّى انْقَضَى أَمْرُ الْأَعَالِيَةِ فَفَرَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الشَّنْعَاءَ  
أَسْمَاعَ الْفُجَاءِ وَصَرَ عَلَيْهَا بَعْضُ الطَّاعِنِينَ أَذْنَهُ وَأَعْتَدَهَا ذَرِيعَةً إِلَى النَّيْلِ مِنْ خَلْفِهِمْ  
عِنْدَ الْمُنَافَسَةِ وَمَا لَهُمْ فَبُحُّهُمْ اللَّهُ وَالْعُدُولُ عَنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ فَلَا تَعَارُضَ فِيهَا بَيْنَ  
الْمَقْطُوعِ وَالْمُظَنُّونِ وَأَدْرِيسَ وَلَدَ عَلَى فِرَاشِ أَبِيهِ وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ عَلَى أَنْ تَنْزِيهِ أَهْلِ  
الْبَيْتِ عَنْ مِثْلِ هَذَا مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَاللَّهُ سُجَّانُهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ  
وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا فِرَاشُ أَدْرِيسَ طَاهِرٌ مِنَ الدَّنَسِ وَمَنْزَعُهُ عَنِ الرِّجْسِ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ  
وَمَنْ أَعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمٍ وَوَلَجَ الْكُفْرُ مِنْ بَابِهِ وَإِنَّمَا أَطْبَقْتُ فِي هَذَا  
الرَّدِّ سَدًّا لِأَبْوَابِ الرُّوبِ وَدَفَعًا فِي صَدْرِ الْحَاسِدِ لِمَا سَمِعْتُهُ أَذْنَايَ مِنْ قَائِلِهِ الْمُعْتَدِي  
عَلَيْهِمْ الْقَادِحِ فِي نَسَبِهِمْ بِزَيْغِهِ وَبِقَوْلِهِ بِزَيْغِهِ عَنْ بَعْضِ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ بِمَنْ  
أُتْحَرَفَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَأُرْتَابَتْ فِي الْإِيمَانِ بِسَلَفِهِمْ وَإِلَّا فَالْحَلُّ مَنْزَعُهُ عَنْ ذَلِكَ  
مَقْصُومٌ مِنْهُ وَتَفِي الْعَيْبِ حَيْثُ يَسْتَحِيلُ الْعَيْبُ عَيْبُ لِكُنِّي جَادَلْتُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَأَرْجُو أَنْ يُجَادِلُوا عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ الطَّاعِنِينَ فِي نَسَبِهِمْ إِنَّمَا  
هُمْ الْحَسَدَةُ لِأَعْقَابِ أَدْرِيسَ هَذَا مِنْ مُنْتَهَى إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَوْ دَخِيلٍ فِيهِمْ فَإِنْ أَرَعَاهُ  
هَذَا النَّسَبِ الْكَرِيمِ دَعْوَى شَرَفٍ عَرِضَةٌ عَلَى الْأُمَمِ وَالْأَجْبَالِ مِنْ أَهْلِ الْأَفَاقِ  
فَتَعْرِضُ التَّهْمَةُ فِيهِ وَلَكِنْ كَانَ نَسَبُ بَنِي أَدْرِيسَ هُوَلَاءَ بِمَوَاطِنِهِمْ مِنْ فَارَسَ وَسَائِرِ  
دِيَارِ الْمَغْرِبِ قَدْ بَلَغَ مِنَ الشُّهُرَةِ وَالْوُضُوحِ مِثْلَمَا لَا يَكَادُ يُلْحَقُ وَلَا يَطْعَمُ أَحَدٌ فِي

دَرَكِهِ إِذْ هُوَ تَقُلُ الْأُمَّةُ وَالْجَلِيلُ مِنَ الْخَلْفِ عَنِ الْأُمَّةِ وَالْجَلِيلِ مِنَ السَّلَفِ وَيَنْتِ جَدْرُهُمْ  
 أَدْرِيسَ يُحْطِ فَاسَ وَمُؤَسَّسِيهَا مِنْ يُونَنِهِمْ وَمَسْجِدُهُ لِيَصُقَّ مَحَلَّتُهُمْ وَدُرُوبُهُمْ وَسَبْقُهُ  
 مُتَشَفَّى بِرَأْسِ الْمَأْذَنَةِ الْعُظْمَى مِنْ قَرَارِ بَلَدِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَثَارِهِ الَّتِي جَاوَزَتْ أَخْبَارُهَا  
 حُدُودَ التَّوَاتُرِ مَرَّاتٍ وَكَادَتْ تَلْقَى بِالْيَمَانِ فَإِذَا نَظَرْتَ غَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَا النَّسَبِ إِلَى  
 مَا أَتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ أَمْثَالِهَا وَمَا عَصَدَ شَرَفُهُمْ النَّبَوِيُّ مِنْ جَلَالِ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ لِسَلَفِهِمْ  
 بِالْمَغْرِبِ وَاسْتَقْبَقَ أَنَّهُ يَمْعَزِلُ عَنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفُهُ وَأَنَّ غَايَةَ  
 أَمْرِ الْمُتَشَبِّهِينَ إِلَى أَلِيَّتِ الْكَرِيمِ مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرْ لَهُ أَمْثَالُ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ أَنَّ يُسَلِّمَ  
 لَهُمْ حَالَهُمْ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَبَوْنِ مَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالظَّنِّ وَالْيَقِينِ وَالْتِسْلِيمِ  
 فَإِذَا عَلِمَ بِذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ غَضَّ بِرَبْقِهِ وَوَدَّ كَثِيرَ مِنْهُمْ لَوْ يَرُدُّوهُمْ عَنْ شَرَفِهِمْ ذَلِكَ  
 سَوْفَةً وَوُضْعًا <sup>(١)</sup> حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْعِنَادِ وَارْتِكَابِ اللَّجَاجِ  
 وَالْبُهْتِ بِمِثْلِ هَذَا الظَّنِّ الْفَائِلِ وَالْقَوْلِ الْمَكْذُوبِ تَعَلُّلًا بِالْمُسَاوَاةِ فِي الظَّنِّ وَالْمُشَابَهَةِ  
 فِي تَطَرُّقِ الْأَخْيَالِ وَهِيَ بَاتٍ لَهُمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْمَغْرِبِ فِيمَا نَعْلَمُهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا أَلِيَّتِ  
 الْكَرِيمِ مَنْ يَبْلُغُ فِي صِرَاحَةِ نَسَبِهِ وَوُضُوحِهِ مَبَالِغَ أَعْقَابِ أَدْرِيسَ هَذَا مِنْ آلِ  
 الْحَسَنِ وَكِبَرِ أَوْثَمِ لِهَذَا الْهَيْدِ بَنُو عِمْرَانَ بِقَاسٍ مِنْ وَلَدِ يَعْقِبَ الْحَوْطِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَعْقِبَ  
 الْعَوَامِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ وَمِنْ نَقَبَاءِ أَهْلِ أَلِيَّتِ هُنَاكَ وَالسَّاكُونَ بَيْنَ  
 جَدْرِهِمْ أَدْرِيسَ وَلَهُمُ السِّيَادَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ كَأَفْضَلِ حَسَبٍ فَذَكَرْنَاهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ  
 آلِ أَدْرِيسَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَلْيَعْقُبْ بِهِذِهِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَائِلَةِ مَا  
 يَتَنَاوَلُهُ ضَعْفُ الرَّأْيِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْقَدَحِ فِي الْأِيْمَامِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ دَوْلَةِ  
 الْمُوَحِّدِينَ وَاسْتَبَدَّ إِلَى الشُّعُودَةِ وَالتَّلْبِيسِ فِيمَا أَتَاهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِّ وَالنَّبِيِّ  
 عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ قَبْلَهُ وَتَكْذِيبِهِمْ كُلِّجَمٍّ مُدْعِيَانِهِ فِي ذَلِكَ حَتَّى فِيمَا يَزْعُمُ الْمُوَحِّدُونَ  
 اتِّبَاعَهُ مِنْ أَنْسَابِهِ فِي أَهْلِ أَلِيَّتِ وَإِنَّمَا حَمَلَ الْفُقَهَاءُ عَلَى تَكْذِيبِهِ مَا كُنَّ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مِنْ حَسَدِهِ عَلَى شَأْنِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مُنَافَصَتَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَنَاءِ وَفِي الدِّينِ  
 يَزْعُمُهُمْ ثُمَّ أَمَّا زَعْمُهُمْ بِأَنَّهُ مَشِيعُ الرَّأْيِ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ مَوْطُو الْعَقَبِ نَقَسُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ  
 وَغَضُّوا مِنْهُ بِالْقَدَحِ فِي مَذَاهِبِهِ وَالتَّكْذِيبِ لِمُدْعِيَانِهِ وَأَيْضًا فَكَانُوا يُؤْنِسُونَ مِنْ



مَلُوكِ الْمُتُونَةِ أَعْدَائِهِ نَجَلَةً وَكَرَامَةً لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّادَةِ  
 وَاتِّخَالِ الدِّيَانَةِ فَكَانَ لِحِمْلَةِ الْعِلْمِ بِدَوَلَّتِهِمْ مَكَانٌ مِنَ الْوَجَاهَةِ وَالْإِنْتِصَابِ لِلشُّرَى  
 كُلِّ فِي بَلَدِهِ وَعَلَى قَدَرِهِ فِي قَوْمِهِ فَأَصْبَحُوا بِذَلِكَ شِيعَةً لَهُمْ وَحَرَبًا لِعَدُوِّهِمْ وَتَقَرُّوا عَلَى  
 الْمَهْدِيِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِهِمْ وَالتَّرْيِيبِ عَلَيْهِمْ وَالْمُنَاصَبَةِ لَهُمْ تَشْيِخًا لِلْمُتُونَةِ وَتَعْصِبًا  
 لِدَوَلَّتِهِمْ وَمَكَانَ الرَّجُلِ غَيْرِ مَكَانِهِمْ وَحَالَهُ عَلَى غَيْرِ مُعْتَدَاتِهِمْ زِمًا ذَلِكَ بِرَجُلٍ نَقَمَ  
 عَلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ مَا نَقَمَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَخَالَفَ أَجْنِهَادَهُ فَقَهَّوْهُمْ فَنَادَى فِي قَوْمِهِ وَدَعَا إِلَى  
 جِهَادِهِمْ بِنَفْسِهِ فَأَفْتَلَحَ الدَّوْلَةُ مِنْ أَصُولِهَا وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا أَعْظَمَ مَا كَانَتْ قُوَّةً وَأَشَدَّ  
 شَوْكَةً وَأَعَزَّ أَنْصَارًا وَحَامِيَةً وَتَسَاقَطَتْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَتْبَاعِهِ نَفُوسٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا خَالِقُهَا  
 قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ وَوَفَّوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْمَلَكَةِ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِإِتْلَافِ  
 مُجْهِدِهِمْ فِي إِظْهَارِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ وَالتَّعْصِبِ لِتِلْكَ الْكَلِمَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمِ وَدَالَتْ  
 بِالْعَدُوِّتَيْنِ مِنَ الدَّوْلِ وَهُوَ بِحَالَةٍ مِنَ التَّقْصِفِ وَالْحَصْرِ وَالْهَبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْثَقُلِ مِنَ  
 الدُّنْيَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ وَلَبَسَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحُظِّ وَالْمَتَاعِ فِي دِيَارِهِ حَتَّى الْوَلَدَ الَّذِي  
 رُبَّمَا تَجَنَّحَ إِلَيْهِ النَّفُوسُ وَتَخَادَعَ عَنْ تَعْيِيهِ فَلَبَّتْ شِعْرِي مَا الَّذِي قَصَدَ بِذَلِكَ إِنْ لَمْ  
 يَكُنْ وَجْهَ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ حُظٌّ مِنَ الدُّنْيَا فِي عَاجِلِهِ وَمَعَ هَذَا فَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ غَيْرَ  
 صَالِحٍ لِمَا تَمَّ أَمْرُهُ وَتَقَسَّصَتْ دَعْوَتُهُ سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَمَا أَنْكَارُهُمْ  
 نَسَبَهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فَلَا تَعْضُدُهُ حُجَّةٌ لَهُمْ مَعَ أَنَّهُ إِنْ ثَبِتَ أَنَّهُ أَدْعَاةٌ وَأَنْتَسَبَ إِلَيْهِ فَلَا  
 دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى بَطْلَانِهِ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنْ قَالُوا إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا  
 تَكُونُ عَلَى قَوْمٍ فِي غَيْرِ أَهْلِ جِلْدَتِهِمْ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ حَسْبَمَا يَأْتِي فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ  
 مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَالرَّجُلُ قَدْ رَأَى سَائِرَ الْمُصَادِقَةِ وَدَانُوا بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِقْنَادَ إِلَيْهِ وَإِلَى  
 عَصَابَتِهِ مِنْ هَرَعَةٍ حَتَّى تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِي دَعْوَتِهِ فَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا النَّسَبَ الْفَاطِمِيَّ لَمْ يَكُنْ أَمْرُ  
 الْمَهْدِيِّ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ وَلَا أَتْبَعَهُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ وَإِنَّمَا كَانَ أَتْبَاعُهُمْ لَهُ بِعَصَبِيَّةٍ أَلْهَرَجِيَّةٍ  
 وَالْمُتَمُودِيَّةِ وَمَكَانِهِ مِنْهَا وَرُسُوحِ شَجَرَتِهِ فِيهَا وَكَانَ ذَلِكَ النَّسَبُ الْفَاطِمِيُّ حَقِيًّا قَدْ  
 دُرِسَ عِنْدَ النَّاسِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ يَتَنَاقَلُونَهُ بَيْنَهُمْ فَيَكُونُ النَّسَبُ الْأَوَّلُ كَأَنَّهُ  
 أَسْلَخَ مِنْهُ وَلَبَسَ جِلْدَةً هُوَ لَا يَظْهَرُ فِيهَا فَلَا يَبْصُرُهُ إِلَّا نَسَابُ الْأَوَّلِ فِي عَصَبِيَّتِهِ إِذَا هُوَ  
 مَجْهُولٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِصَابَةِ وَمِثْلُ هَذَا وَاقِعٌ كَثِيرًا إِذَا كَانَ النَّسَبُ الْأَوَّلُ حَقِيًّا وَأَنْظَرُ

قِصَّةَ عَرْجَةِ وَجَرِيرٍ فِي رِئَاسَةِ بَجِيلَةٍ وَكَيْفَ كَانَ عَرْجَةُ مِنَ الْأَزْدِ وَلَيْسَ جِلْدُهُ بِجِيلَةٍ  
 حَتَّى تَنَازَعَ مَعَ جَرِيرٍ رِئَاسَتَهُمْ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ تَفَهَّمْ مِنْهُ  
 وَجْهَ الْحَقِّ وَاللَّهُ الْمَدْيُ لِلصَّوَابِ وَقَدْ كُنَّا أَنْ نَخْرُجَ عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ بِالْإِطْنَابِ  
 فِي هَذِهِ الْمَعَالِطِ فَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْحَفَاطِ فِي مِثْلِ هَذِهِ  
 الْأَحَادِيثِ وَالْآرَاءِ وَعَلَفَتْ أَفْكَادُهُمْ وَثَقَلَتْ عَنْهُمْ الْكَافَّةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَالْفَقْلَةِ  
 عَنِ الْقِيَاسِ وَتَقَلُّوْهَا ثُمَّ أَيْضًا كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَأَنْدَرَجَتْ فِي حَقْوِصَاتِهِمْ  
 حَتَّى صَارَ فِيهِ التَّارِيخُ وَاهِبًا مُخْتَلِطًا وَنَاطِرُهُ مَرْتَبِكًا وَوَعْدٌ مِنْ مَنَاحِي الْعَامَّةِ فَإِذَا يَخْتَلِجُ  
 صَاحِبُ هَذَا الْقُرْنِ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ  
 وَالْقَبَاحِ وَالْأَعْصَارِ فِي السِّيَرِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعَوَائِدِ وَالْمَلَامِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ  
 وَالْأَحَاطَةِ بِالْخَاصِرِ مِنْ ذَلِكَ وَمُحَالِّهِ مَا يَبْنُو بَيْنَ الْغَائِبِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بَوْنِ مَا يَسْتَهْمَا  
 مِنَ الْخِلَافِ وَتَعْيِيلِ الْمُنْفِقِ مِنْهَا وَالْمُخْتَلَفِ وَالْقِيَامِ عَلَى أَصُولِ الدُّوَلِ وَالْمِلَلِ وَمَبَادِيءِ  
 ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَاعِي كَوْنِهَا وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ  
 مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ خَبَرٍ وَحِينَئِذٍ يَبْعُضُ خَبَرُ الْمُنْقُولِ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ  
 وَالْأَصُولِ فَإِنْ وَاقَفَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ صَحِيحًا وَالْإِزْفَةُ وَاسْتَفْنَى عَنْهُ وَمَا  
 اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ التَّارِيخِ إِلَّا لِئَلَّا حَتَّى انْتَهَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالتَّجَارِيُّ وَابْنُ إِسْحَاقَ  
 مِنْ قَبْلِهِمَا وَأَمْثَالُهُمْ مِنْ طُلَمَاءِ الْأَمَّةِ وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السِّيَرِ فِيهِ حَتَّى صَارَ  
 انْتِهَالُهُ بِجِيلَةٍ وَاسْتَخْفَ الْعَوَامُ وَمَنْ لَا رُسُوخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ مُطَالَعَتَهُ وَحَمَلَهُ وَخُحُوضَ  
 فِيهِ وَالتَّطَلُّعَ عَلَيْهِ فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْمَلِكِ وَاللُّبَّابُ بِالْقَشِيرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِلَى  
 اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمِنْ أَلْفَظِ الْخَلْقِ فِي التَّارِيخِ الدُّهُولُ عَنْ تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأُمَمِ  
 وَالْأَجْبَالِ بِتَبَدُّلِ الْأَعْصَارِ وَمُرُورِ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَاهٍ دَوَى شَدِيدُ الْخَفَاءِ إِذَا لَا يَبْقَى إِلَّا  
 بَعْدَ أَحْقَابٍ مُطَاوِلَةٍ فَلَا يَكَادُ يَنْقُطُنُ لَهُ إِلَّا الْآحَادُ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
 الْأَحْوَالَ الْعَالَمِ وَالْأُمَمِ وَعَوَائِدُهُمْ وَنَحْوَهُمْ لَا تَدُومُ عَلَى وَبَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جَرِي مُسْتَعْرِضٌ  
 إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَزْمِنَةِ وَانْتِفَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ  
 فِيهِ الْأَشْخَاصُ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَمْصَارِ فَكَذَلِكَ يَبْقَى فِي الْآفَاقِ وَالْأَفْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَدُولِ  
 سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمُّ الْفَرَسِ الْأُولَى وَالسِّرْبَانِيُونَ

وَالنَّبَطُ وَالْتَّبَاعَةُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقَبِطُ وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ بِهِمْ فِي دُولِهِمْ  
وَمَا لِكُلِّهِمْ وَسِيَاسَتُهُمْ وَصَنَائِعُهُمْ وَلُغَاتُهُمْ وَأَصْطِلَاحَاتُهُمْ وَسَائِرُ مُشَارِكَاتِهِمْ مَعَ آبَائِهِ  
جَنَسِهِمْ وَأَحْوَالِ اعْتِبَارِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا آثَارُهُمْ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمُ الْقُرْسُ الثَّانِيَةُ  
وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ فَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ وَتَقَلَّبَتْ بِهَا الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا أَوْ يُشَابِهُهَا  
وَالِإِلَى مَا يَبْأَيُّهَا أَوْ يُبَاعِدُهَا ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مُضَرٍّ فَأَقْلَبَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ  
أَنْقِلَابَةً أُخْرَى وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مُتَعَارَفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَخْذِهِ أَخْلَفَ عَنِ السَّلَفِ  
ثُمَّ دُرِسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَبَاءَهُمْ وَذَهَبَتْ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَبَدُوا عِزَّهُمْ وَمَهْدُوا  
مُلْكُهُمْ وَصَارَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْعَجَمِ مِثْلُ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْبَرْبَرِ  
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجِ بِالشِّمَالِ فَذَهَبَتْ بِدَهَائِهِمْ أُمٌّ وَأَقْلَبَتْ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ نَبِيِّ شَأْنِهَا  
وَأَغْلَى أَمْرُهَا وَالسَّبَبُ الشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ نَائِمَةٌ  
لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ وَأَهْلُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانُ إِذَا اسْتَوْلُوا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرُ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَفْرَعُوا إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ  
وَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يَنْفُلُونَ عَوَائِدَ جُلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ يَقَعُ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ  
بَعْضُ الْخُلَافَةِ لِعَوَائِدِ أَلْبَلِ الْأَوَّلِ فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَزَجَّتْ مِنْ  
عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ أَيْضًا بَعْضُ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلأَوَّلَى أَشَدَّ خِلَافَةً ثُمَّ لَا يَرَالُ  
التَّدْرِيجُ فِي الْخِلَافَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَبَايِنَةِ بِالْجُمْلَةِ فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ  
تَتَعَاقَبُ فِي الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْخِلَافَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَاقِعَةً وَالْقِيَاسُ  
وَالْحِكَاكَةُ لِلنَّاسِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنْ الْقَلْطِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ تُفْرَجُ مَعَ الدُّهُولِ وَالْعَفْلَةِ  
عَنْ قَصْدِهِ وَتَعَوُّجُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ فَرُبَّمَا يَسْمَعُ السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَجْبَارِ الْمَاضِينَ وَلَا  
يَتَقَطَّنُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَأَنْقِلَابِهَا فَيُجِيرُهَا لِأَوَّلِ وَهَلَاةٍ عَلَى مَا عَرَفَ وَيَقْبِسُهَا  
بِمَا شَهِدَ وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا يَقَعُ فِي هَوَاةٍ مِنَ الْقَلْطِ فَرُبَّ هَذَا الْبَابِ مَا  
يَنْقُلُهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَحْوَالِ الْحَجَّاجِ وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَعَ أَنَّ الْعَلِيمَ لِهَذَا  
الْعَهْدِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَصْنَاعِ الْعَمَاشِيَّةِ الْبَعِيدَةِ مِنْ اعْتِرَازِ أَهْلِ الْعَصْبِيَّةِ وَالْمَعْلَمِ مُسْتَضَفٍ  
مَسْكِينٍ مُنْقَطِعٍ الْجِذْمِ <sup>(١)</sup> فَيَتَسَوَّفُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ أَهْلَ الْحِرْفِ وَالصَّنَائِعِ

الْمَعَاشِيَةِ إِلَى نَيْلِ الرِّبِّ الَّتِي لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ وَيَعْدُوْنَهَا مِنَ الْمُحْكَمَاتِ لَهُمْ فَتَذْهَبُ  
 بِهِمْ وَسَاوِسُ الْمَطَامِعِ وَرَبَّمَا انْقَطَعَ حَبْلُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَسَقَطُوا فِي مَوَاتٍ أَهْلَكَكَ  
 وَالتَّلَبُّ وَلَا يَعْلَمُونَ اسْتِحْلَاقَهَا فِي حَقِّهِمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ حِرْفٍ وَصَنَائِعٍ لِلْمَعَاشِ وَأَنَّ التَّعْلِيمَ  
 صَدْرُ الْإِسْلَامِ وَالذِّمَّةُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ الْعِلْمُ بِالْجُمْلَةِ صِنَاعَةً إِنَّمَا كَانَ  
 تَقْلِيدًا لِمَا سَمِعَ مَعَ الشَّارِعِ وَتَعْلِيمًا لِمَا جُودَ مِنَ الَّذِينَ عَلَى حِيَةِ الْبَلَاغِ فَكَانَ أَهْلُ  
 الْأَسَابِ وَالْعَصَبِيَّةِ الَّذِينَ قَامُوا بِالْعَمَلِ هُمْ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ الْخَبَرِيِّ لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ الصَّنَاعِيِّ إِذْ هُوَ كِتَابُهُمْ  
 الْمُنْزَلُ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُمْ وَبِهِ هِدَايَاتُهُمْ وَالْإِسْلَامُ دِينُهُمْ قَاتَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوا وَاخْتَصَمُوا  
 بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمَمِ وَشَرُّوا فَخَرَّصُوا عَلَى تَبْلِيغِ ذَلِكَ وَتَفْهِيمِ لِلْأُمَّةِ لَا تَصُدُّهُمْ عَنْهُ لَأِيْمَةُ  
 الْكِبَرِ وَلَا يَزْعُمُهُمْ عَادِلُ الْأَنَافَةِ وَيَشْهَدُ لَكَ بِعَثِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِبَارُ  
 أَصْحَابِهِ مَعَ وَفُودِ الْعَرَبِ يَعْلَمُونَهُمْ حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ  
 بِعَثِّ فِي ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْعَشْرَةِ قَبْلَ بَعْدِهِمْ فَمَا اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ وَوُثِّقَتْ عُرُوقُ  
 الْعَمَلَةِ حَتَّى تَنَاقَلَهَا الْأُمَّةُ الْبَعِيدَةُ مِنْ أَيْدِي أَهْلِهَا وَاسْتَحَالَتْ يَمُرُّورُ الْأَيَّامِ أَخَوَالُهَا  
 وَكَثُرَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النُّصُوصِ لِتَعْدُدِ الْوَقَائِعِ وَتَلَاخُفِهَا فَاجْتَبَاهُ  
 ذَلِكَ لِقَانُونٍ يَحْتَظُّ مِنَ الْخَطِئِ وَصَارَ الْعِلْمُ مَلَكَةً يَحْتَاجُ إِلَى التَّعَلُّمِ فَأَصْبَحَ مِنْ جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ كَمَا بَيَّنَّا فِي ذِكْرِهِ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَاسْتَعْلَى أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ بِالْفِيْقَامِ  
 بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ فَدَفَعَ لِعِلْمٍ مَنْ قَامَ بِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَصْبَحَ حِرْفَةً لِلْمَعَاشِ وَشَحَّتْ  
 أَنْفُوسُ الْمُتَرَفِّعِينَ وَأَهْلُ السُّلْطَانِ عَنِ التَّصَدِّيِّ لِلتَّعْلِيمِ وَاخْتَصَمَ أَهْلُهَا بِالْمُسْتَضْعِفِينَ  
 وَصَارَ مُتَعَلِّقًا مُخَفَّرًا عِنْدَ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْحِجَاجِ بْنِ يُوسُفَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ  
 قَبِيلٍ وَأَشْرَافِهِمْ وَمَسْكَنُهُمْ مِنْ عَصَبِيَّةِ الْعَرَبِ وَمُنَافِضَةٍ قُرْبَيْيْنِ فِي الشَّرَفِ مَا عَلِمَتْ وَلَمْ  
 يَكُنْ تَعْلِيمُهُ لِلْقُرْآنِ عَلَى مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَنَّهُ حِرْفَةٌ لِلْمَعَاشِ وَإِنَّمَا  
 كَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنَ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فِي الْإِسْلَامِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا يَتَوَقَّعُهُ  
 الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ التَّارِيخِ إِذَا سَمِعُوا أَحْوَالَ الْقَضَاءِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الرَّئِيسَةِ فِي  
 الْحُرُوبِ وَقُودِ الْعَسَاكِرِ فَتَرَى بِهِمْ وَسَاوِسُ الْعَمَلِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرُّتَبِ يَحْسِبُونَ أَنَّ  
 الشَّانَ خِطَّةُ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَيُظَنُّونَ بِأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ

هشام المُسْتَبَدَّ عَلَيْهِ وَأَبْنُ عُبَادٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِأَشْيِئَةٍ إِذَا سَمِعُوا أَنَّ آبَاءَهُمْ  
كَانُوا قَضَاءً أَنَّهُمْ مِثْلُ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَنْفَعُونَ لِمَا وَقَعَ فِي رُبَّةِ الْقَضَاءِ مِنْ  
مُخَالَفَةِ الْعَوَائِدِ كَمَا نَبِيئُهُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَأَبْنُ أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنُ عُبَادٍ  
كَانَا مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ الْقَائِمِينَ بِالْدَوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلُ عَصِيَّتِهَا وَكَانَ مَكَانُهُمْ  
فِيهَا مَعْلُومًا وَلَمْ يَكُنْ نِيْلُهُمْ لِمَا نَالُوهُ مِنَ الرِّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ بِخِطَّةِ الْقَضَاءِ كَمَا فِي لِهَذَا الْعَهْدِ  
بَلْ إِنَّمَا كَانَ الْقَضَاءُ فِي الْأَمْرِ الْقَدِيمِ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ وَمَوَالِيهَا كَمَا فِي  
الْوَزَارَةِ لِهَذَا بِالْمَغْرِبِ وَأَنْظَرُ خُرُوجَهُمْ بِالْعَسَاكِ فِي الطَّوَائِفِ وَتَقْلِيدُهُمْ عِظَائِهِمُ  
الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَقْلُدُ إِلَّا لِسِنِّ لَهُ الْغَنَى فِيهَا بِالْعَصِيَّةِ يَغْلُطُ السَّامِعُ فِي ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ  
الْأَحْوَالُ عَلَى غَيْرِ مَا فِي وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْفَلَطِ ضَعْفُهَا الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ  
لِهَذَا الْعَهْدِ لِقُدْرَانِ الْعَصِيَّةِ فِي مَوَاطِنِهِمْ مِنْهُ أَعْصَارُ بَعِيدَةٍ بَيْنَاءِ الْعَرَبِ وَدَوْلَتِهِمْ بِهَا  
وَخُرُوجِهِمْ عَنْ مَلِكَةِ أَهْلِ الْعَصِيَّاتِ <sup>(١)</sup> مِنَ الْبَرِّ بَقِيَّتِ أَسَابِهِمُ الْغَرِيبَةُ حَفُوظَةٌ  
وَالدَّرِيعَةُ إِلَى الْعَرَبِ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْتِمَاسُ مَقْقُودَةٌ بَلْ صَارُوا مِنْ مُجْلَةِ الرِّعَايَا الْمَخْذَلِينَ  
الَّذِينَ تَعَبَّدُ الْقَهْرُ وَرَبُّهُمْ الْمَدْلَةُ يَحْسَبُونَ أَنَّ أَسَابِهِمْ مَعَ مُخَالَفَةِ الدَّوْلَةِ فِي الَّتِي يَكُونُ  
لَهُمْ بِهَا الْغَلْبُ وَالْحُكْمُ فَتَقْبِدُ أَهْلُ الْحَرْبِ وَالصَّنَائِعِ مِنْهُمْ مُتَعَدِّينَ لِذَلِكَ سَاعِينَ  
فِي نَيْلِهِمَا فَمَا مِنْ بَاشَرِ أَحْوَالِ الْقِبَائِلِ وَالْعَصِيَّةِ وَدَوْلَتِهِمْ بِالْعُدْوَةِ الْغَرِيبَةِ وَكَيْفَ يَكُونُ  
التَّغْلِبُ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْمَنَاصِرِ فَقَلَمًا يَغْلُطُونَ فِي ذَلِكَ وَيَغْطِئُونَ فِي عَتَابِهِمْ وَبِئْسَ هَذَا  
أَلْبَابُ أَيْضًا مَا يَسْلُكُهُ الْمُؤَرِّخُونَ عِنْدَ ذِكْرِ الدُّوَلِ وَتَسْقِ مُلُوكَهَا فَيَذْكُرُونَ أَسْمَاءَهُ  
وَتَسْبَهُ وَأَبَاءَهُ وَأُمَّهُ وَنِسَاءَهُ وَلَقَبَهُ وَخَاتَمَهُ وَقَاضِيَةَ وَحَاجَةَ وَوَزِيرَهُ كُلُّ ذَلِكَ تَقْلِيدُ  
لِمُؤَرِّخِي الدُّوَلَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَقَطُّنٍ لِمَقَاصِدِهِمْ وَالْمُؤَرِّخُونَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ كَانُوا يَصُونُونَ

(١) العصية بلقنن النعصب وهو ان يلبس الرجل عن حرمة صاحبه ويشمر عن . يني المجد في

نصره منسوبة الى العصبة محركة وهم اقارب الرجل من قبل ابيولانهم هم انسابون عن حرمة من هو منهمام  
وفي هذا المعنى ممدوحة واما العصبة المدمومة في الحديث الجاح الصغير ليس منا من دعا الى عصبة وليس  
منا من قاتل على عصبة فهي تعصب رجال قليلة على رجال لنبيلة اخرى لغير ديانة كما كان يقع من قيام  
سعد على حرام نسبة الى العصبة بمعنى قوم الرجل الذين ينصرون له ولو من غير اقاربه طالما كان او  
مظلوما وفي الفتاوى المخبرية من موانع قول الشهادة بالعصبة وفي ان ينقض الرجل الرجل لانه من بني  
فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم في الحديث ليس منا من دعي الى عصبة  
وهو موجب للنسق ولا شهادة لمركبه . قاله الامتداد ابر الوفا اه

تَوَارِيخُهُمْ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَأَبْنَاؤُهَا مَنْشُورُونَ إِلَى سِيرِ أَسْلَافِهِمْ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ لِيَقْتَفُوا  
 آثارَهُمْ وَيَتَّبِعُوا عَلَى مِثَالِهِمْ حَتَّى فِي أَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ مِنْ خَلْفِ دَوْلَتِهِمْ وَتَقْلِيدِ  
 الْخَطِّ وَالْمَرَاتِبِ لِأَبْنَاءِ صَنَائِعِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَالْقَضَاءِ أَيْضًا كَانُوا مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّةِ الدَّوْلَةِ  
 وَفِي عِدَادِ الْوُزَرَاءِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ قَبْلَ هَذَا إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ كَلِّهِ وَأَمَّا حِينَ تَبَايَنَتِ  
 الدُّوَلُ وَتَبَاعَدَ مَا بَيْنَ الْعُصُورِ وَوَقَّتِ الْفَرَضُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمُلُوكِ بِأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً وَنِسْبِ  
 الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي قُوَّتِهَا وَعَلَبَتِهَا وَمَنْ كَانَ يُنَاقِضُهَا مِنَ الْأُمَمِ أَوْ يَقْصِرُ عَنْهَا فَمَا  
 الْفَائِدَةُ لِلْمُصَنِّفِ فِي هَذَا الْعَهْدِ فِي ذِكْرِ الْأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ وَتَقَشِ الْخَاتَمِ وَاللَّقَبِ وَالْقَاضِي  
 وَالْوَزِيرِ وَالْحَاجِبِ مِنَ الدَّوْلَةِ قَدِيمَةٍ لَا يَعْرِفُ فِيهَا أَصُولَهُمْ وَلَا أَنْسَابَهُمْ وَلَا مَقَامَاتِهِمْ  
 إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّقْلِيدُ وَالْعَقْلَةُ عَنْ مَقَاصِدِ الْمُؤَافِقِينَ الْأَقْدَمِينَ وَالذُّهُولُ عَنْ تَعْرِفِ  
 الْأَغْرَاضِ مِنَ التَّارِيخِ اللَّهُمَّ إِلَّا ذَكَرَ الْوُزَرَاءَ الَّذِينَ عَقُمَتِ آثَارُهُمْ وَعَفَتْ عَنْ الْمُلُوكِ  
 أَخْبَارُهُمْ كَالْحُجَّاجِ وَبَنِي الْمَهَلْبِ وَالْبَرَامِكَةِ وَبَنِي سَهْلِ بْنِ نُوحْتٍ وَكَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ  
 وَابْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَمْثَالِهِمْ فَقَبْرُ تَكْبِيرِ الْإِلْمَاعِ بِأَبْنَائِهِمْ وَالْإِشَارَةُ إِلَى أَحْوَالِهِمْ لِأَنْتَظَاهِمِ  
 فِي عِدَادِ الْمُلُوكِ . وَلَنْدُكُنْ هُنَا فَائِدَةٌ تَخْتُمُ كَلَامَنَا فِي هَذَا الْقَصْلِ بِهَا وَهِيَ أَنَّ التَّارِيخَ  
 إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الْخَاصَّةِ بِعَصْرِ أَوْ جِيلٍ فَمَاذَا ذَكَرُ الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ لِلْأَفَاقِ  
 وَالْأَجْيَالِ وَالْأَعْصَارِ فَهُوَ أَسْهُلُ الْمُؤَرِّخِ تَتَبُّعِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ مَقَاصِدِهِ وَتَبَيَّنَ بِهِ أَخْبَارُهُ  
 وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يُفَرِّدُونَهُ بِالْإِتِّفَاقِ كَمَا فَعَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي كِتَابِ مَرْوَجِ الذَّهَبِ شَرَحَ  
 فِيهِ أَحْوَالَ الْأُمَمِ وَالْأَفَاقِ لِعَهْدِهِ فِي عَصْرِ الثَّلَاثِينَ وَالْأَلْفِ أَلْفَيْنِ عَشْرًا وَشَرْقًا وَذَكَرَ  
 نَحْلَهُمْ وَعَوَائِدَهُمْ وَوَصَفَ الْبُلْدَانَ وَالْحِيَالَ وَالْجِبَالَ وَالْمَمَالِكَ وَالدُّوَلُ وَفَرَّقَ شُعُوبَ  
 الْعَرَبِ وَالنَّجْمِ فَصَادَ إِمَامًا لِلْمُؤَرِّخِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَأَصْلًا يُعَوِّلُونَ فِي تَحْقِيقِ الْكَثِيرِ  
 مِنْ أَخْبَارِهِمْ عَلَيْهِ ثُمَّ جَاءَ الْبُكْرِيُّ مِنْ بَعْدِهِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَمَالِكِ وَالْمَمَالِكِ  
 خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الْأُمَمَ وَالْأَجْيَالَ لِعَهْدِهِ لَمْ يَبْقَ فِيهَا كَثِيرٌ انْتِقَالَ  
 وَلَا عَظِيمٌ تَغْيِيرًا وَأَمَّا لِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ آخِرُ أَلْفِ أَلْفَيْنِ عَشْرٍ فَقَدْ انْقَلَبَتِ أَحْوَالَ الْعَرَبِ  
 الَّذِي نَحْنُ شَاهِدُوهُ وَتَبَدَّلَتْ بِالْجُمْلَةِ وَأَعْتَاضَ مِنْ أَجْيَالِ الْبُرْجَانِ أَهْلُهُ عَلَى الْقَدَمِ بِمَا  
 طَرَأَ فِيهِ مِنْ لَدُنِ أَلْفِ أَلْفَيْنِ عَشْرٍ مِنَ أَجْيَالِ الْعَرَبِ بِمَا كَسَرُوهُمْ وَغَلَبُوهُمْ وَأَنْزَعُوا مِنْهُمْ  
 عَامَّةَ الْأَوْطَانِ وَشَارَكُوهُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْبُلْدَانِ لِمَلِكِهِمْ هَذَا إِلَى مَا تَزَلُ بِالْمُعْزَانِ

وَرَقًا وَغَرَبًا فِي مُتَصَفٍ هَذِهِ أَلِمَانَةُ الثَّامَةِ مِنَ الطَّاعُونَ الْجَارِفِ الَّذِي تَحَيَّفَ الْأُمَمَ  
وَذَهَبَ بِأَهْلِ الْجَبَلِ وَطَوَى كَثِيرًا مِنْ مَحَاسِنِ الْعُمَرَانِ وَجَاءَ لِلدُّوَلِ عَلَى حِينٍ  
هَرَمَهَا وَبُلُوغِ الذَّكَايَةِ مِنْ مَدَاهَا فَقَلَّصَ مِنْ ظِلَالِهَا وَقَلَّ مِنْ حَدِّهَا وَأَوْهَنَ مِنْ سُلْطَانِهَا  
وَتَدَاعَتْ إِلَى التَّلَاقِي وَالْإِصْغَاعِ لَلْأُمُورِ وَأَتَقَفَصَ عُمرَانُ الْأَرْضِ بِاتِّقَاضِ الْبَشَرِ  
تَغَرَّبَتْ الْأَمْصَارُ وَالْمَصَانِعُ وَدُرِسَتْ السُّبُلُ وَالْمَعَالِمُ وَخَلَّتِ الدِّيَارُ وَالْمَنَازِلُ وَصَحَّتِ  
الدُّوَلُ وَالْقَبَائِلُ وَتَبَدَّلَ السَّاكُنُ وَكَانِي بِالْمَشْرِقِ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِالْمَغْرِبِ  
لَمَكِنَ عَلَى نِسْبَتِهِ وَمَقْدَارِ عُمرَانِهِ وَكَأَنَّمَا نَادَى لِسَانُ الْكَوْنِ فِي الْعَالَمِ بِالْحُمُولِ  
وَالْإِتِّبَاضِ فَبَادَرَ بِالْإِجَابَةِ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِذَا تَبَدَّلَتْ الْأَحْوَالُ  
جُمْلَةً فَكَأَنَّمَا تَبَدَّلَ الْخَلْقُ مِنْ أَصْلِهِ وَتَحَوَّلَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ وَكَأَنَّمَا خَلَقَ جَدِيدٌ وَنَشَأَ  
مُسْتَأْنَفٌ وَعَالَمٌ مُجَدِّدٌ فَاحْتَاجَ لِهَذَا الْعَهْدِ مَنْ يُدَوِّنُ أَحْوَالَ الْخَلْقِ وَالْأَفَاقِ وَأَحْيَا لَهَا  
وَالْعَوَائِدَ وَالنَّحْلَ الَّتِي تَبَدَّلَتْ لِأَهْلِهَا وَيَقْفُو مَسَلَكَ الْمَسْعُودِي لِعَصْرِهُ لِيَكُونَ أَصْلًا بِقَنَدِي  
بِهِ مِنْ بَأْتِي مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَا ذَا كَرٍّ فِي كِتَابِي هَذَا مَا أَمَكَّنِي مِنْهُ فِي هَذَا  
الْقَطْرِ الْمَغْرِبِيِّ إِمَّا صَرِيحًا أَوْ مُنْدرَجًا فِي أَخْبَارِهِ وَتَلَوِيحًا لِإِخْتِصَاصِ قَصْدِي بِهِ فِي  
التَّأْلِيفِ بِالْمَغْرِبِ وَأَحْوَالِ أَجْيَالِهِ وَأَعْمِهِ وَذَكَرَ مَمَالِكِهِ وَدَوْلَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ  
الْأَفْطَارِ لِعَدَمِ أَطْلَاعِي عَلَى أَحْوَالِ الْمَشْرِقِ وَأَمِّهِ وَأَنَّ الْأَخْبَارَ الْمُتَنَاقِلَةَ لَا تَبْقَى كِتَبَةً  
مَا أُرِيدُهُ مِنْهُ وَالْمَسْعُودِي إِنَّمَا اسْتَوْفَى ذَلِكَ لِبُعْدِ رَحْلَتِهِ وَتَقَلُّبِهِ فِي الْبِلَادِ كَمَا ذَكَرَ  
فِي كِتَابِهِ مَعَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْمَغْرِبَ قَصَرَ فِي اسْتِيفَاءِ أَحْوَالِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ  
عَلَيْهِ وَمَرَدُّ الْعِلْمِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ وَالْبَشَرُ عَاجِزٌ قَاصِرٌ وَالْإِعْتِرَافُ مُتَعَيِّنٌ وَاجِبٌ وَمَنْ كَانَ  
اللَّهُ فِي عَوْنِهِ تَبَسَّرَتْ عَلَيْهِ الْمَدَاهِبُ وَأُنْجِجَتْ لَهُ الْمَسَاجِي وَالْمَطَالِبُ وَتَحَنَّنَ أَخِذُونَ  
بِعَوْنِ اللَّهِ فِيهَا رُتْنَاهُ مِنْ أَغْزَاضِ التَّأْلِيفِ وَاللَّهُ الْمُسَدِّدُ وَالْمُعِينُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ  
وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ مُقَدِّمَةً فِي كَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْحُرُوفِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ  
إِذَا عَرَضَتْ فِي كِتَابِنَا هَذَا

إِعْلَامُ أَنَّ الْحُرُوفَ فِي النُّطْقِ كَمَا بَأْتِي فِيهِ رَحْمَةُ بَعْدُ فِي كَيْفِيَّاتِ الْأَصْوَاتِ الْخَارِجَةِ  
مِنَ الْخُجْرَةِ تَعْرِضُ مِنْ تَقْطِيعِ الْأَصْوَتِ بِقَرَعِ الْهَاءِ وَأَطْرَافِ اللِّسَانِ مَعَ الْحَنَكِ وَالْخَلْقِي  
وَالْأَضْرَاسِ أَوْ بِقَرَعِ الشِّفَتَيْنِ أَيْضًا فَتَنْتَاقِرُ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ بِتَغَايُرِ ذَلِكَ الْقَرَعِ

وَحِجِّي الحُرُوفُ مُتَمَايِزَةٌ فِي السَّمْعِ وَتَنَزَّكَبُ مِنْهَا الْكَلِمَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى مَا فِي الصَّمَائِرِ  
وَلَبَسَتْ الْأُمُّ كُلُّهَا مُتَسَاوِيَةً فِي الشُّطْحِ بِتِلْكَ الحُرُوفِ فَقَدْ بَكُونُ لِأُمِّهِ مِنَ الحُرُوفِ مَا  
لَيْسَ لِأُمِّهِ أُخْرَى وَالْحُرُوفُ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا الْعَرَبُ فِي ثَمَانِيَةِ وَعِشْرُونَ حَرْفًا كَمَا عَرَفَتْ  
وَتَجِدُ الْعِبْرَانِيِّينَ حُرُوفًا لَيْسَتْ فِي لُغَتِنَا وَفِي لُغَتِنَا أَيْضًا حُرُوفٌ لَيْسَتْ فِي لُغَتِهِمْ وَكَذَلِكَ  
الْأَفْرَنْجِ وَالْبَرْبَرْ وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْعَجَمِ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْعَرَبِ  
أَصْطَلَحُوا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى حُرُوفِهِمُ الْمُسَمَّوَةِ بِأَوْضَاعِ حُرُوفِ مَكْتُوبَةٍ بِمُتَمَيِّزَةٍ بِأَوْضَاعِهَا  
كَوَضْعِ أَلِفٍ وَبَاءٍ وَجِيمٍ وَرَاءَ وَطَاءٍ إِلَى آخِرِ الثَّمَانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ وَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ  
الْحَرْفُ الَّذِي لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ لُغَتِهِمْ بَقِيَ مُهْمَلًا عَنِ الدَّلَالَةِ الْكِتَابِيَّةِ مُغْتَلًا عَنِ الْيَكُنِ  
وَرُبَّمَا يَرْتَمِهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ بِشَكْلِ الْحَرْفِ الَّذِي يَكْتَنِفُهُ مِنْ لُغَتِنَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ  
وَلَيْسَ بِكَافٍ فِي الدَّلَالَةِ بَلْ هُوَ تَغْيِيرٌ لِلْحَرْفِ مِنْ أَصْلِهِ وَلَمَّا كَانَ كِتَابُنَا مُشْتَمِلًا عَلَى  
أَخْبَارِ الْبَرْبَرْ وَبَعْضِ الْعَجَمِ وَكَانَتْ تَعْرِضُ لَنَا فِي أُمَمَائِهِمْ أَوْ بَعْضِ كَلِمَاتِهِمْ حُرُوفٌ  
لَيْسَتْ مِنْ لُغَةِ كِتَابَتِنَا وَلَا أَصْطِلَاحِ أَوْضَاعِنَا أَضْطَرَرْنَا إِلَى يَكْنِافِهِ وَلَمْ نَكْتَفِ بِرِسْمِهِ  
الْحَرْفِ الَّذِي يَكْنِافُهُ كَمَا قُلْنَا لَهُ لِأَنَّهُ عِنْدَنَا غَيْرُ وَافٍ بِالْإِدَالَةِ عَلَيْهِ فَأَصْطَلَحْتُ فِي كِتَابِي هَذَا  
عَلَى أَنْ أَضَعُ ذَلِكَ الْحَرْفَ الْعَجَمِيَّ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْحَرْفَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتَنِفَانِهِ لِيَتَوَسَّطَ  
الْفَارِى بِأَلْطَفِي بِهِ بَيْنَ مَخْرَجِي ذَيْنِكَ الْحَرْفَيْنِ فَتَحْصُلُ نَادِيَتُهُ وَإِنَّمَا أَقْبَسْتُ ذَلِكَ مِنْ  
رِسْمِ أَهْلِ الْمُصَنَّفِ حُرُوفِ الْإِسْثَامِ كَالصِّرَاطِ فِي قِرَاءَةِ خَلْفٍ فَإِنَّ الشُّطْحَ بِصَادِهِ  
فِيهَا مُعْجَمٌ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الصَّادِ وَالزَّيِّ فَوَضَعُوا الصَّادَ وَرَسَمُوا فِي دَاخِلِهَا شَكْلَ الزَّيِّ  
وَدَلَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلَى التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ فَكَذَلِكَ رَسَمْتُ أَنَا كُلَّ حَرْفٍ يَتَوَسَّطُ بَيْنَ  
حَرْفَيْنِ مِنْ حُرُوفِنَا كَالْفَافِ الْمُتَوَسِّطَةِ عِنْدَ الْبَرْبَرْ بَيْنَ الْكَافِ الصَّرِيحَةِ عِنْدَنَا  
وَالْجِيمِ أَوِ الْقَافِ مِثْلَ اسْمِ بَلَكَيْنِ فَأَضَعَهَا كَافًا وَأَقَطَطُهَا بِنُقْطَةِ الْجِيمِ وَاحِدَةً مِنْ أَسْفَلِ  
أَوْ بِنُقْطَةِ الْقَافِ وَاحِدَةً مِنْ فَوْقِ أَوْ اثْنَتَيْنِ فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْكَافِ  
وَالْجِيمِ أَوِ الْقَافِ وَهَذَا الْحَرْفُ أَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فِي لُغَةِ الْبَرْبَرْ وَمَا جَاءَ مِنْ غَيْرِهِ فَقُلَى  
هَذَا الْقِيَاسُ أَضَعُ الْحَرْفَ الْمُتَوَسِّطَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ مِنْ لُغَتِنَا بِالْحَرْفَيْنِ مَعًا لِيَعْلَمَ الْفَارِى  
أَنَّهُ مُتَوَسِّطٌ فَيَنْطِقُ بِهِ كَذَلِكَ فَتَكُونُ قَدْ دَلَّلْنَا عَلَيْهِ وَلَوْ وَضَعْنَاهُ بِرِسْمِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ  
عَنْ جَانِبِهِ لَكُنَّا قَدْ صَرَفْنَاهُ مِنْ مَخْرَجِهِ إِلَى مَخْرَجِ الْحَرْفِ الَّذِي مِنْ لُغَتِنَا وَغَيْرِنَا



## الكتاب الاول

في طبيعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والغاب والكسب

والعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتج له البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. ولما كان الكذب متطوفاً للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه المافيتها التشبه بالآراء والمذاهب فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التحصيل والنظر حتى تبين صدقه من كذبه وإذا خامرها تشيع رأي أو نخلة قلبت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاءً على عين بصيرتها عن الانتقاد والتحصيل فتقع في قبول الكذب وتقبله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضاً الثقة بالناقلين والتحصيل ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح ومنها الأذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهم الصدق وهو كثير وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيقات الأحوال على الوقائع لأجل ما بداخلها من التليس والتصنع فيقولها الخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه ومنها قسرب الناس في الأكثر لأصحاب النخلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الأخبار بها على غير حقيقة فالنفس مولعة بحب الثناء والناس متطعمون إلى الدنيا وأسبابها من جأه أو نزوة وليسوا في الأكثر براغيين في الفضائل ولا متكافئين في أهليها. ومن الأسباب المقتضية له أيضاً وهي سابقه على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الأحوال في العمران فإن كل حادث من الحوادث

ذَاتَا كَانَ أَوْ فِعَالًا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ طَبِيعَةٍ تَخْصُهُ فِي ذَاتِهِ وَفِيهَا يَعْزُضُ لَهُ مِنْ أَحْوَالِهِ فَإِذَا  
 كَانَ السَّمِيعُ عَارِفًا بِطَبَائِعِ الْحَوَادِثِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْوُجُودِ وَمَقْضِيَاتِهَا أَعَانَهُ ذَلِكَ فِي  
 تَفْصِيلِ الْخَبَرِ عَلَى تَمْيِيزِ الصِّدْقِ مِنَ الْكُذِّبِ وَهَذَا أُبْلَغُ فِي التَّخْصِصِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ  
 يَعْزُضُ وَكَثِيرًا مَا يَعْزُضُ لِلْسَّامِعِينَ قَبُولُ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ وَيَقْبَلُونَهَا وَتَوَثَّرَ عَنْهُمْ كَمَا  
 نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ عَنِ الْأَسْكَدَرِيِّ لَمَّا صَدَّقَهُ دَوَابُّ النَّجَرِ عَنْ بِنَاءِ الْأَسْكَدَرِيِّ وَكَيْفَ  
 اخْتَلَعَ صُنْدُوقُ الرُّجَاجِ وَغَاصَ فِيهِ إِلَى قَعْرِ النَّجَرِ حَتَّى صَوَّرَ تِلْكَ الدَّوَابَّ الشَّيْطَانِيَّةَ الَّتِي  
 رَأَاهَا وَعَمِلَ تَمَائِيلَهَا مِنْ أَجْسَادٍ مَعْدِنِيَّةٍ وَنَصَبَهَا حِذَاءَ الْبَنِيَانِ فَفَرَّتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ حِينَ  
 خَرَجَتْ وَعَابَتْهَا وَتَمَّ بِنَاؤُهَا فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ مِنْ أَحَادِيثِ خُرَافَةِ مُسْتَحِيلَةٍ مِنْ قَبْلِ  
 اتِّخَاذِهِ الْبَابُوتِ الرُّجَاجِيِّ وَصَادِمَةِ النَّجَرِ وَأَمَّا وَجْهُ يَجْرِمُهُ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْمَلُوكَ لَا تَحْمِلُ  
 أَنْفُسَهَا عَلَى مِثْلِ هَذَا الْغُرُورِ وَمِنْ اعْتِمَادِهِ مِنْهُمْ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلِهَاسَةِ وَانْتِقَاضِ  
 الْعُقْدَةِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَى غَيْرِهِ وَفِي ذَلِكَ إِنْلَافَةٌ وَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ رُجُوعَهُ مِنْ غُرُورِهِ  
 ذَلِكَ ظَرْفَةٌ عَيْنٌ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْجِنَّ لَا يُعْرِفُ لَهَا صُورًا وَلَا تَمَائِيلَ تَخْصُهَا بِهَا إِنَّمَا هِيَ  
 قَادِرَةٌ عَلَى التَّشْكِيلِ وَمَا يَذْكُرُ مِنْ كَثَرَةِ الرُّؤُوسِ لَهَا فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْبَشَاعَةُ  
 وَالتَّهْوِيلُ لَا أَنَّهُ حَقِيقَةٌ . وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَالْقَادِحُ الْحَيْلُ لَهَا مِنْ  
 طَرِيقِ الْوُجُودِ أُبَيِّنُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَهُوَ أَنَّ الْمُنْتَفِيسَ فِي الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ فِي الصُّنْدُوقِ  
 يَفْبِقُ عَلَيْهِ أَمْوَاهُ لِلنَّفْسِ الطَّبِيعِيِّ وَتَسْخُنُ رُوحُهُ بِسَرْعَةٍ لِقَلْبِهِ فَيَفْقَدُ صَاحِبُهُ أَمْوَاهُ  
 الْبَارِدِ الْمَعْدَلِ لِمَزَاجِ الرِّقَّةِ وَالرُّوحِ الْقَلْبِيِّ وَهَيْلِكَ مَكَانُهُ وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي هَلَكَ  
 أَهْلِ الْحَمَامَاتِ إِذَا أُطِيقَتْ عَلَيْهِمْ عَنْ أَمْوَاهِ الْبَارِدِ وَالْمَتَدَلِّينَ فِي الْآبَارِ وَالْمَطَابِيرِ  
 الْقَرِيبَةِ الْمَهْوَى إِذَا سَخَّنَ هَوَاؤُهَا بِالْعَفْوَةِ وَلَمْ تُدَاخِلْهَا الرِّيحُ فَتُخْلَخِلُهَا فَإِنَّ الْمَتَدَلِّيَّ  
 فِيهَا يَهْلِكُ لِحَيْبِهِ وَبِهَذَا السَّبَبِ يَكُونُ مَوْتُ الْحَوْتِ إِذَا قَارَقَ النَّجَرُ فَإِنَّ أَمْوَاهُ لَا يَكْفِيهِ  
 فِي تَعْدِيلِ رَيْبِهِ إِذْ هُوَ حَارٌّ بِافْرَاطٍ وَالْمَاءُ الَّذِي يُعْدِلُهُ بَارِدٌ وَالْهَوَاءُ الَّذِي خَرَجَ إِلَيْهِ  
 حَارٌّ فَيَسْتَوِلِي الْحَارُّ عَلَى رُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ وَهَيْلِكَ دَفْعُهُ وَمِنْهُ هَلَكَ الْمَصْعُوفِينَ وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي مِثَالِ الرُّزْزُورِ الَّذِي بِرُومَةِ  
 تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الرُّزْزَارِيُّ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ حَامِلَةً لِلزَّيْتُونِ وَمِنْهُ يَخْجَدُونَ زَيْتَهُمْ  
 وَانْظُرْ مَا أَبَدَ ذَلِكَ عَنِ الْعَجْزِ الطَّبِيعِيِّ فِي اتِّخَاذِ الزَّيْتِ وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ الْبَكْرِيُّ

فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُسَمَّاةِ ذَاتِ الْأَبْوَابِ يُحِيطُ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مَرَّحَلَةً وَتَشْتَمِلُ عَلَى  
عَشْرَةِ آلَافِ بَابٍ وَالْمَدُنُّ إِنَّمَا اخْتُلِفَتْ لِلتَّحَصُّنِ وَالْإِعْنِصَامِ كَمَا يَأْتِي وَهَذِهِ خَرَجَتْ  
عَنْ أَنْ يَخَاطَبَ بِهَا فَلَا يَكُونُ فِيهَا حُصْنٌ وَلَا مُعْتَصَمٌ وَكَأَنَّ قَلْعَةَ الْمَسْعُودِيِّ أَيْضًا فِي حَدِيثٍ  
مَدِينَةِ الثُّحَاسِ وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ كُلُّ بِنَائِهَا ثُحَاسٌ بِصَحْرَاءَ مِجْلَسَاسَةَ ظَفَرِهَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ  
فِي غَزْوَتِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّهَا مُتَقَلِّعَةُ الْأَبْوَابِ وَأَنَّ الصَّاعِدَ إِلَيْهَا مِنْ أَسْوَارِهَا إِذَا أُشْرِفَ  
عَلَى الْحَائِطِ صَفَقَ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَلَا يَرْجِعُ آخِرَ الدَّهْرِ فِي حَدِيثٍ مُسْتَعِيلٍ عَادَةً مِنْ  
خُرَافَاتِ الْقُصَاصِ وَصَحْرَاءَ مِجْلَسَاسَةَ قَدْ نَقَضَهَا الرُّكُوبُ وَالْأَدْلَاءُ وَلَمْ يَقِفُوا لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ  
عَلَى خَبَرٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الَّتِي ذَكَرُوا عَنْهَا كُلُّهَا مُسْتَعِيلٌ عَادَةً مُتَأَنٍّ لِلْأُمُورِ  
الطَّبِيعِيَّةِ فِي بِنَاءِ الْمَدُنِ وَاخْتِطَاطِهَا وَأَنَّ الْمَعَادِنَ غَايَةَ الْمَوْجُودِ مِنْهَا أَنْ يُصْرَفَ فِي  
الْآيَةِ وَالْخَرْقِ (١) وَأَمَّا تَشْيِيدُ مَدِينَةٍ مِنْهَا فَكَمَا تَرَاهُ مِنَ الْأَسْتِحَالَةِ وَالْبَعْدِ وَأَمثالُ  
ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَتَحْيِصُهُ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْعُمَرَانِ وَهُوَ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ وَأَوْفَقُهَا  
فِي تَحْيِصِ الْأَخْبَارِ وَتَمْيِيزِ صِدْقِهَا مِنْ كَذِبِهَا وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى التَّحْيِصِ بِتَعْدِيلِ الرُّوَاةِ  
وَلَا يَرْجِعُ إِلَى تَعْدِيلِ الرُّوَاةِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْخَبَرَ فِي نَفْسِهِ مُمَكِّنٌ أَوْ مُمْتَنِعٌ وَأَمَّا  
إِذَا كَانَ مُسْتَعِيلًا فَلَا فَايِدَةَ لِلنَّظَرِ فِي التَّعْدِيلِ وَالْتَجَرُّعِ وَلَقَدْ عَدَّ أَهْلُ النَّظَرِ مِنَ  
الْمُطَافِعِينَ فِي الْخَبَرِ اسْتِحَالَةَ مَذْلُولِ اللَّفْظِ وَأَوَّلِيهِ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَإِنَّمَا  
كَانَ التَّعْدِيلُ وَالْتَجَرُّعُ هُوَ الْمَعْتَبَرُ فِي حِيَّةِ الْأَخْبَارِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا تَكَالِيفُ  
إِنشَائِيَّةٌ أَوْجَبَ الشَّارِعُ الْعَمَلَ بِهَا حَتَّى حَصَلَ الظَّنُّ بِصِدْقِهَا وَسَبِيلُ حِيَّةِ الظَّنِّ الْفَلَقَةُ  
بِالرُّوَاةِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنِ الْوَأَفِعَاتِ فَلَا بُدَّ فِي صِدْقِهَا وَصَحَّتْهَا مِنْ  
أَعْتِبَارِ الْمُطَابَقَةِ فَلِلَّذَلِكَ وَجِبَ أَنْ يَنْظَرَ فِي إِمْكَانِ وَقُوعِهِ وَصَارَ فِيهَا ذَلِكَ أَمْرٌ مِنْ  
التَّعْدِيلِ وَمُقَدِّمًا عَلَيْهِ إِذَا فَايِدَةَ الْإِنشَاءِ مُقْتَبَسَةً مِنْهُ فَقَطُّ وَفَايِدَةُ الْخَبَرِ مِنْهُ وَمِنْ الْخَارِجِ  
بِالْمُطَابَقَةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْقَانُونُ فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ بِأَلِإِمْكَانِ  
وَالْإِسْتِحَالَةِ أَنْ تَنْظُرَ فِي الْإِجْمَاعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي هُوَ الْعُمَرَانُ وَتَمْيِيزَ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ  
الْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَبِمُقْتَضَى طَبِيعِهِ وَمَا يَكُونُ عَارِضًا لَا يَعْتَدُّ بِهِ وَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْزِضَ  
لَهُ وَإِذَا قَعَلْنَا ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ لَنَا قَانُونًا فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ وَالصِّدْقِ

مِنَ الْكَذِبِ يُوْجِهُ بُرْهَانِي لَا مَدْخَلَ لِلشَّكِّ فِيهِ وَحِينَئِذٍ فَإِذَا تَبَعْنَا عَنْ شَيْءٍ مِنَ  
 الْأَحْوَالِ الْوَاتِقَةِ فِي الْأُمُورِ عَلَيْنَا مَا تَحْكُمُ بِقَبُولِهِ مَا تَحْكُمُ بِتَرْكِهِ وَكَانَ ذَلِكَ  
 لَنَا مِعْيَارًا صَحِيحًا تَجَرَّى بِهِ الدُّورُ خَوْنَ طَرِيقِ الصِّدْقِ وَالصَّوَابِ فِيمَا يَقُولُونَ وَهَذَا هُوَ  
 غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِنْ تَالِيِنَا وَكَانَ هَذَا عِلْمٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ ذُو مَوْضِعٍ  
 وَهُوَ الْعُمَرَانُ الْبَشَرِيُّ وَالْاجْتِمَاعُ الْإِنْسَانِيُّ وَذَو مَسَائِلَ وَهِيَ تَيَانُ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْعَوَارِضِ  
 وَالْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَضَعِيًّا كَانَ أَوْ  
 عَقْلِيًّا. وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْغَرَضِ مُسْتَعِدُّ الصَّنْعَةِ غَرِيبُ الْبَرَزَةِ عَزِيزُ الْفَائِدَةِ  
 اعْتَرَّ عَلَيْهِ أَلْبَثٌ وَأَدَّى إِلَيْهِ الْغَوْصُ وَلَيْسَ مِنْ عِلْمِ الْخَطَابَةِ إِنَّمَا هُوَ الْأَقْوَالُ الْقَائِنَةُ  
 النَّائِعَةُ فِي اسْتِثْلَالِ الْجَهْلُورِ إِلَى رَأْيٍ أَوْ صَدَمٍ عَنْهُ وَلَا هُوَ أَيْضًا مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ  
 الْمَدْنِيَّةِ إِذِ السِّيَاسَةُ الْمَدْنِيَّةُ فِي تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ أَوِ الْمَدِينَةِ بِمَا يَجِبُ بِهِ مُقْتَضَى الْأَخْلَاقِ  
 وَالْحِكْمَةِ لِيَعْمَلَ الْجَهْلُورُ عَلَى مِنْهَاجٍ يَكُونُ فِيهِ حِظُّ النَّوْعِ وَبِقَاوِهِ فَقَدْ خَالَفَتْ  
 مَوْضِعُهُ مَوْضِعَ هَذَيْنِ الْأَتْنَيْنِ الَّذِينَ رُبَّمَا يُشْبِهَانِهِ وَكَانَهُ عِلْمٌ مُسْتَنْبِطُ النَّشْأَةِ وَتَعْمَرِي  
 لَمْ أَقِفْ عَلَى الْكَلَامِ فِي مَنَعَاهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلِيقَةِ مَا أَذْرِي الْغَفْلَتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ  
 الظَّنُّ بِهِمْ أَوْ لَعَلَّهُمْ كَتَبُوا فِي هَذَا الْغَرَضِ وَاسْتَوْفَوْهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا فَالْعُلُومُ كَثِيرَةٌ  
 وَالْحُكْمَاءُ فِي أَمْرِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مُتَعَدِّدُونَ وَمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنَ الْعُلُومِ أَكْثَرُ  
 مِمَّا وَصَلَ فَأَيْنَ عُلُومُ الْفِرْسِ الَّتِي أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتَحْوِهَا عِنْدَ الْفَتْحِ وَأَيْنَ عُلُومُ  
 الْكِلْدَانِيِّينَ وَالسَّرْبَانِيِّينَ وَأَهْلِ بَابِلَ وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَثَارِهَا وَتَنَائُجِهَا وَأَيْنَ عُلُومُ  
 الْقُبَطِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ وَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْنَا عُلُومُ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهُمْ يُؤَنُّونَ خَاصَّةً لِكُلِّ أَلْمَأُومِينَ  
 بِإِخْرَاجِهَا مِنْ لَعْنَتِهِمْ وَأَقْنِدَارِهِ عَلَى ذَلِكَ يَكْثَرَةُ الْمُتَرَجِّحِينَ وَبَدَلَ الْأَمْوَالِ فِيهَا وَلَمْ  
 تَقِفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عُلُومِ غَيْرِهِمْ وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ حَقِيقَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ طَبِيعِيَّةٍ بِصَلْحٍ أَنْ يُنَحِّثَ  
 عَمَّا يَغْرِضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ لِذَاتِهَا وَجَبَّ أَنْ يَكُونَ بِإِعْتِبَارِ كُلِّ مَقْهَوْمٍ وَحَقِيقَةٍ عِلْمٌ  
 مِنَ الْعُلُومِ بِخُصَّةٍ لَكِنَّ الْحُكْمَاءَ لَعَلَّهُمْ إِنَّمَا لَاحَظُوا فِي ذَلِكَ الْإِنْيَابَةَ بِالْكَثَرَاتِ وَهَذَا  
 إِنَّمَا تَمَرُّهُ فِي الْأَخْبَارِ فَقَطْ كَمَا رَأَيْتَ وَإِنْ كَانَتْ مَسَائِلُهُ فِي ذَاتِهَا وَفِي اخْتِصَافِهَا  
 شَرِيفَةً لَكِنَّ تَمَرُّهُ تَغْيِيجُ الْأَخْبَارِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ فَلِهَذَا هَجَرُوهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَا أُوْتِيتُمْ  
 مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا. وَهَذَا أَلْفَنُ الَّذِي لَاحَ لَنَا النَّظَرُ فِيهِ نَحْدُ مِنْهُ مَسَائِلَ تَجَرَّى بِالْعَرَضِ

لِأَهْلِ الْعُلُومِ فِي بَرَاهِينِ عُلُومِهِمْ وَهِيَ مِنْ جَنْسِ مَسَائِلِهِ بِالْمَوْضُوعِ وَالطَّلَبِ مِثْلَ مَا  
يَذْكُرُهُ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ فِي اثْبَاتِ الْبُيُوتِ مِنْ أَنَّ الْبَشَرَ مُتَعَاوِنُونَ فِي وُجُودِهِمْ  
فَيَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى الْحَاكِمِ وَالْوَارِعِ وَمِثْلَ مَا يَذْكُرُ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ فِي بَابِ اثْبَاتِ  
الْفُتَاتِ أَنَّ النَّاسَ مُخْتَارُونَ إِلَى الْعِبَادَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ بِطَبِيعَةِ التَّعَاوُنِ وَالْاجْتِنَاعِ وَتَبَيَّنَ  
الْعِبَارَاتُ أَخْذٌ وَمِثْلَ مَا يَذْكُرُهُ الْفُقَهَاءُ فِي تَعْلِيلِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْمَقَاصِدِ  
فِي أَنَّ الزَّيْنَ مُخْلَطٌ لِلْأَنْسَابِ مُفْسِدُ النَّوعِ وَأَنَّ الْقَتْلَ أَيْضًا مُفْسِدُ النَّوعِ وَأَنَّ الظُّلْمَ  
مُؤْذِنٌ بِخَرَابِ الْعُمْرَانِ الْمُتَّقِيهِ لِفَسَادِ النَّوعِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ  
فِي الْأَحْكَامِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِفَاظَةِ عَلَى الْعُمْرَانِ فَكَانَ لَهَا الظَّرْفُ فِيمَا بَعِضُ  
لَهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ مِنْ كَلَامِنَا هَذَا فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُشْتَكَّةِ وَكَذَلِكَ أَيْضًا بَقِيَ إِلَيْنَا الْقَلِيلُ  
مِنْ مَسَائِلِهِ فِي كَلِمَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِحُكَمَاءِ أَخْلَيقِهِ لَكِنِّهِمْ لَمْ يَسْتَوْفَوْهُ فَمِنْ كَلَامِ  
الْمَوْبَذَّانِ بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامٍ فِي حِكَايَةِ الْيَوْمِ الَّذِي نَفَلَهَا الْمَسْعُودِيُّ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ  
الْمَلِكَ لَا يَتِمُّ عَزُّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّصَرُّفِ تَحْتَ أَمْرِهِ وَتَهْنِئَةٍ وَلَا  
قِيَامَ لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عَزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْأَمَالِ  
وَلَا سَبِيلَ لِلْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ  
الْمَنْصُوبُ بَيْنَ أَخْلَيقَةِ نَصَبِ الْأَرْثِ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ وَمِنْ كَلَامِ أُنُوشِروَانَ  
فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعَيْنَهُ الْمَلِكُ بِالْجُنْدِ وَالْجُنْدُ بِالْمَالِ وَالْمَالُ بِالْخِرَاجِ وَالْخِرَاجُ بِالْعِمَارَةِ  
وَالْعِمَارَةُ بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ بِإِصْلَاحِ الْعُمَالِ وَإِصْلَاحُ الْعُمَالِ بِاسْتِقَامَةِ الْوُزَرَاءِ  
وَرَأْسُ الْأَكْلِ بِاتِّقَادِ الْمَلِكِ حَالَ رَعِيَّتِهِ بِنَفْسِهِ وَاتَّقِنَاوَهُ عَلَى تَأْدِيبِهَا حَتَّى يَمْلِكَهَا  
وَلَا يَمْلِكُهَا. وَفِي الْكِتَابِ الْمُنَسُوبِ لِأَرْسَطُو فِي السِّيَاسَةِ الْمُنْتَدَوِلِ بَيْنَ النَّاسِ جُزْءُ  
صَالِحٌ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَوْفٍ وَلَا مُعْطَى حَقُّهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَمُخْتَلَطٌ بِغَيْرِهِ وَقَدْ أَشَارَ  
فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَفَلْنَاهَا عَنِ الْمَوْبَذَّانِ وَأُنُوشِروَانَ وَجَعَلَهَا  
فِي الدَّائِرَةِ الْقَرِيبَةِ الَّتِي أَعْظَمُ الْقَوْلِ فِيهَا هُوَ قَوْلُهُ : الْعَالَمُ بُسْتَانٌ سِيَاحُهُ الدُّوْلَةُ الدُّوْلَةُ  
سُلْطَانٌ تَحِيًا بِهِ السَّنَةُ السَّنَةُ سِيَاسَةٌ بِسُومِهَا الْمَلِكُ الْمَلِكُ نِظَامٌ بِعَضْدِهِ الْجُنْدُ  
الْجُنْدُ أَعْوَانٌ بِكَفْلِهِمُ الْمَالُ الْمَالُ رِزْقٌ تَجْمَعُهُ الرِّعْيَةُ الرِّعْيَةُ عَيْدٌ يَكْفِيهِمُ الْعَدْلُ  
الْعَدْلُ مَا لَوْ وَبِهِ قِيَامُ الْعَالَمِ الْعَالَمُ بُسْتَانٌ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ فَهَلِوْهُ ثَمَانُ

كَلِمَاتٍ حَكِيمَةٍ سِيَاسِيَّةٍ أَرْبَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَأَزْنَنَتْ أَعْجَازُهَا إِلَى صُدُورِهَا وَأَنْصَلَتْ  
 فِي دَائِرَةٍ لَا يَتَعَيَّنُ طَرَفُهَا غَيْرَ بِغُورِهِ عَلَيْهَا وَعَظَمَ مِنْ فَوَائِدِهَا . وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ  
 كَلَامَنَا فِي فَصْلِ الدُّولِ وَالْمَلِكِ وَأَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ مِنَ التَّنْقِيحِ وَالذَّهْنِ عَزَّتْ فِي أَفْئَادِهِ  
 عَلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَفْصِيلِ إِجْمَالِهَا مُسْتَوْفَى يَتَنَبَّأُ بِأَوْعَبِ يَكُنْ وَأَوْفَحِ دَلِيلِ  
 وَبُرْهَانِ أَطْلَعْنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ أَرَسْتُو وَلَا إِفَادَةٍ مُوَبَّذَانِ وَكَذَلِكَ تَبَعِدُ فِي  
 كَلَامِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَمَا يَسْتَرْدُّ فِي رِسَالَتِهِ مِنْ ذِكْرِ السِّيَاسَاتِ الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلِ  
 كِتَابِنَا هَذَا غَيْرَ مَبْرُورَةٍ كَمَا بَرَهْنَاهُ إِنَّمَا يُعْلِيهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى مَتْنِ الْخَطِّابَةِ فِي أُسْلُوبِ  
 التَّرْسُلِ وَبَلَاغَةِ الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ حَوْمُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْعَارِضِيُّ فِي كِتَابِ  
 سِرَاجِ الْمُلُوكِ وَبَوَّاهُ عَلَى أَبْوَابِ تَقَرُّبٍ مِنْ أَبْوَابِ كِتَابِنَا هَذَا وَمَسَائِلُهُ لَكِنَّهُ لَمْ  
 يُصَادَفْ فِيهِ الزَّمِيَّةُ وَلَا أَصَابَ الشَّاكِلَةَ وَلَا اسْتَوْفَى الْمَسَائِلَ وَلَا أَوْفَحَ الْأَدْلَةَ إِنَّمَا  
 يُبَوِّبُ الْبَابَ لِلْمَسْئَلَةِ ثُمَّ يَسْتَكْثِرُ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَثَارِ وَيَنْقُلُ كَلِمَاتٍ مُتَفَرِّقَةً  
 لِحُكْمَاءِ الْفَرَسِ مِثْلَ بَرَزْجَمَهَرٍ وَالْمُؤَبَّذَانِ وَحُكْمَاءِ الْهِنْدِ وَالْمَأْثُورِ عَنْ دَانِيَالٍ  
 وَهَرَمِسٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَكْبَارِ الْخَلِيقَةِ وَلَا يَكْشِفُ عَنِ التَّحْقِيقِ قَنَاءً وَلَا يَرْفَعُ بِالْبُرْهَانِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ حِجَابًا إِنَّمَا هُوَ نَقْلٌ وَتَرْكِيبٌ شَبِيهُ بِالْمَوَاعِظِ وَكَأَنَّهُ حَوْمٌ عَلَى الْفَرَسِ وَلَمْ  
 يُصَادَفْهُ وَلَا تَحَقِّقْ قَصْدَهُ وَلَا اسْتَوْفَى مَسَائِلَهُ وَنَحْنُ أَلْهَمْنَا اللَّهَ إِلَى ذَلِكَ إِلْهَامًا وَأَعَزَّنَا  
 عَلَى عِلْمِهِ جَعَلْنَا بَيْنَ نُسْكَرَةٍ وَجَبِيئَةٍ خَبْرَهُ فَإِنْ كُنْتُ قَدْ اسْتَوْفَيْتُ مَسَائِلَهُ وَبَيَّزْتُ عَنْ  
 سَائِرِ الصَّنَائِعِ أَنْفَازَهُ وَأَتَمَّاهُ تَتَوَفَّقُ مِنَ اللَّهِ وَهِدَايَهُ وَإِنْ فَاتَنِي شَيْءٌ فِي إِحْصَائِهِ  
 وَاشْتَبَهَتْ يَغْيَرُهُ فَلَنَنْظُرَ لِلتَّحْقِيقِ إِصْلَاحَهُ وَلِيَّ الْفَضْلُ لِأَنِّي نَهَجْتُ لَهُ السَّبِيلَ وَأَوْضَعْتُ  
 لَهُ الطَّرِيقَ وَاللَّهُ يَهْدِي بُيُورَهُ مِنْ بَشَاءٍ وَنَحْنُ الْآنَ نَبِّينُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا يَبْرُزُ  
 لِلبَشَرِ فِي أَجْنَاعِهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمُرَانِ فِي الْمُلْكِ وَالْكَسْبِ وَالْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ بِوُجُوهِ  
 بَرَهَانِيَّةٍ يَتَضَحَّى بِهَا التَّحْقِيقُ فِي مَعَارِفِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَتَنْدَفِعُ بِهَا الْأَزْهَامُ وَتَرْفَعُ  
 الشُّكُوكُ وَتَقُولُ لِمَا كَانَ الْإِنْسَانُ مُتَمَيِّزًا عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِخَوَاصِّ اخْتَصَّ بِهَا  
 فَمِنْهَا الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ الْفِكْرِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَشَرَفَ بِوَصْفِهِ عَلَى  
 الْخَلْقِ وَمِنْهَا الْحَاجَةُ إِلَى الْحُكْمِ الْوَازِعِ وَالسُّلْطَانِ الْقَاهِرِ إِذْ لَا يُمَكِّنُ وُجُودُهُ  
 دُونَ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا إِلَّا مَا يُقَالُ عَنْ النَّعْلِ وَالْجُرَادِ وَهَذِهِ وَإِنْ كَانَ لَهَا

مِثْلُ ذَلِكَ فَيُطَرِّقُ إِلَهُامِي لَا يَفْكَرُ وَرَوِيَّةٌ وَمِنْهَا السَّعْيُ فِي الْمَعَاشِ وَالْإِعْتِمَالُ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْ وَجْهِهِ وَأَكْتِسَابُ أَسْبَابِهِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْإِنْفِقَارِ إِلَى الْغَدَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ وَهَدَاهُ إِلَى التَّيَاسِهِ وَطَلَبِهِ قَالَ تَعَالَى أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَمِنْهَا الْعُمُرَانُ وَهُوَ النَّسَاكُنُ وَالْتِمَازُلُ فِي مِصْرٍ أَوْ حِلَّةٍ لِلْأَنْسِ بِالْعَشِيرِ وَأَقْنَصَاءِ الْحَاجَاتِ لِمَا فِي طَبَاعِهِمْ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْمَعَاشِ كَمَا نَبَّيْنَهُ وَمِنْ هَذَا الْعُمُرَانُ مَا يَكُونُ بَدَوِيًّا وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي السَّوَاخِي وَفِي الْجِبَالِ وَفِي الْحُلَلِ الْمُنْتَجِعَةِ فِي الْفَقَارِ وَأَطْرَافِ الرِّمَالِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ حَضَرِيًّا وَهُوَ الَّذِي بِالْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمَدَنِ وَالْمَدَرِ لِلْإِعْتِصَامِ بِهَا وَالتَّحْصُنِ بِجُدُرِهَا وَلَهُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ أُمُورٌ تَعْرِضُ مِنْ حَيْثُ الْأَجْتِمَاعُ عَرُوضًا ذَاتِيًّا لَهُ فَلَا جَرَمَ أَنْ تَحْصَرَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي سِتَّةِ فُصُولٍ. الْأَوَّلُ فِي الْعُمُرَانِ الْبَشَرِيِّ عَلَى الْجُمْلَةِ وَأَصْنَافِهِ وَقِسْطِهِ مِنَ الْأَرْضِ. وَالثَّانِي فِي الْعُمُرَانِ الْبَدَوِيِّ وَذِكْرُ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ الْوَحْشِيَّةِ. وَالثَّالِثُ فِي الدُّوَلِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمُلْكِ وَذِكْرُ الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرَّابِعُ فِي الْعُمُرَانِ الْحَضَرِيِّ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ. وَالْخَامِسُ فِي الصَّنَائِعِ وَالْمَعَاشِ وَالْكَسْبِ وَوُجُوهِهِ. وَالسَّادِسُ فِي الْعُلُومِ وَأَكْتِسَابِهَا وَتَعَلُّمِهَا. وَقَدْ قَدِّمْتُ الْعُمُرَانِ الْبَدَوِيِّ لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى جَمْعِهَا كَمَا نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدُ وَكَذَا تَقْدِيمُ الْمُلْكِ عَلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْمَعَاشِ فَلِأَنَّ الْمَعَاشَ ضَرُورِيٌّ طَبِيعِيٌّ وَتَعَلُّمُ الْعِلْمِ كَالِيٍّ أَوْ حَاجِيٍّ وَالطَّبِيعِيُّ أَقْدَمُ مِنَ الْكَمَالِيِّ وَجَعَلْتُ الصَّنَائِعَ مَعَ الْكَسْبِ لِأَنَّهَا مِنْهُ يَبْعُضُ الْوُجُوهُ وَمِنْ حَيْثُ الْعُمُرَانُ كَمَا نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدُ وَاللَّهُ الْمُؤَقِّقُ لِلصَّوَابِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ

## الفصل الأول

### من الكتاب الأول

في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الأولى في أَنَّ الْأَجْتِمَاعَ الْإِنْسَانِيَّ ضَرُورِيٌّ وَيُعَبَّرُ بِالْحُكْمَاءِ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِمُ الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ أَيْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْأَجْتِمَاعِ الَّذِي هُوَ الدِّينَةُ فِي أَصْطِلَاحِهِمْ وَهُوَ مَعْنَى الْعُمُرَانِ وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَرَكَّبَهُ عَلَى صَوْرَةٍ لَا يَصِحُّ

حَيَاتُهَا وَبَقَاؤُهَا إِلَّا بِالْغِذَاءِ وَهَذِهِ إِلَى النَّاسِ يَفْطُرُهُ وَيَأْكُبُ فِيهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى تَحْصِيلِهِ إِلَّا أَنَّ قُدْرَةَ الْوَاحِدِ مِنَ الْبَشَرِ قَاطِرَةٌ عَنْ تَحْصِيلِ حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْغِذَاءِ غَيْرُ مُؤَيَّةٍ لَهُ بِمَادَّةِ حَيَاتِهِ مِنْهُ وَلَوْ قَرَضْنَا مِنْهُ أَقَلَّ مَا يُمكنُ قَرْضُهُ وَهُوَ قُوَّةُ يَوْمٍ مِنَ الْخِنِطَةِ مَثَلًا فَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِعِلَاجٍ كَثِيرٍ مِنَ الطَّعْنِ وَالنَّجَسِ وَالطَّبَخِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ يَتَنَاجَى إِلَى مَوَاعِينِ وَالْآثِ لَا نَلْمُ إِلَّا بِصِنَاعَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ حَرَادٍ وَنَجَارٍ وَفَخُورِي وَهَبَ أَنَّهُ يَأْكُلُهُ حَبًّا مِنْ غَيْرِ عِلَاجٍ فَمَوْ أَيْضًا يَتَنَاجَى فِي تَحْصِيلِهِ أَيْضًا حَبًّا إِلَى أَعْمَالٍ أُخْرَى أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ مِنَ الزَّرْعَةِ وَالْحِصَادِ وَالْدِرَاسِ الَّذِي يُغْرِجُ الْحَبَّ مِنْ غِلَافِ السَّبُلِ وَيَتَنَاجَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْآثِ مُتَعَدِّدَةٌ وَصَنَائِعُ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ مِنَ الْأَوَّلَى بِكَثِيرٍ وَيَسْتَعِجِلُ أَنْ تَبِي بِذَلِكَ كُلُّهُ أَوْ يَعْضُهُ قُدْرَةُ الْوَاحِدِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَجْتِمَاعِ الْقُدْرِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِيَحْصُلَ الْقُوَّةُ لَهُ وَلَهُمْ فَيَحْصُلُ بِالْتَّعَاوُنِ قَدْرٌ الْكَفَايَةِ مِنَ الْحَاجَةِ لَا كَثَرُ مِنْهُمْ بِأَضْعَافٍ وَكَذَلِكَ يَتَنَاجَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَيْضًا فِي الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا رَكَّبَ الطَّبَاعَ فِي الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا وَقَسَمَ الْقُدْرَةَ بَيْنَهَا جَعَلَ حُطُوطَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ النُّجْمِ مِنَ الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ حِفْظِ الْإِنْسَانِ قُدْرَةُ الْفَرَسِ مَثَلًا أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنَ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ وَكَثَرَتْ قُدْرَةُ الْحِمَارِ وَالْتَّوْرِ وَقُدْرَةُ الْأَسَدِ وَالْفِيلِ أَضْعَافٌ مِنْ قُدْرَتِهِ . وَلَمَّا كَانَ الْعُدُونُ طَبِيعِيًّا فِي الْحَيَوَانِ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عُضْوًا يَتَخَصَّ بِمُدَافَعَتِهِ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ عَادِيَةٍ غَيْرِهِ وَجَعَلَ لِلْإِنْسَانِ عَوْضًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْفِكَرُ وَالْيَدُ فَالْيَدُ مَبْنِيَّةٌ لِلصَّنَائِعِ بِخِدْمَةِ الْفِكَرِ وَالصَّنَائِعُ تَحْصِلُ لَهُ الْآلَاتِ الَّتِي تَنْبُو لَهُ عَنِ الْجَوَارِحِ الْمُعَدَّةِ فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ لِلدِّفَاعِ مِثْلَ الرِّمَاحِ الَّتِي تَنْبُو عَنِ الْقُرُونِ النَّالِجَةِ وَالسُّيُوفِ النَّائِيَةِ عَنِ الْمَخَالِبِ الْحَارِجَةِ وَالزَّرَاسِ النَّائِيَةِ عَنِ الْبَشَرَاتِ الْجَاسِيَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ يَمَّا ذَكَرَهُ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ فَأَلُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ لَا يَقَاوِمُ قُدْرَتَهُ قُدْرَةُ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ النُّجْمِ سِيمَا الْمَفْتَرَسَةِ فَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ مُدَافَعَتِهَا وَحَدُّهُ بِالْجُمْلَةِ وَلَا تَبِي قُدْرَتُهُ أَيْضًا بِاسْتِعْمَالِ الْآلَاتِ الْمُعَدَّةِ لَهَا فَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَمَا لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّعَاوُنُ فَلَا يَحْصُلُ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا غِذَاءٌ وَلَا نَتْمُ حَيَاتُهُ لِمَا رَكَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ أَيْضًا



دَفَاعٌ عَنْ نَفْسِهِ لِقُدَّانِ السِّلَاحِ فَيَكُونُ فَرِيَسَةً لِلْحَيَوَانَاتِ وَيُعَاجِلُهُ الْمَلَائِكَةُ عَنْ مَدَى  
حَيَاتِهِ وَيَبْطُلُ نَوْعُ الْبَشَرِ وَإِذَا كَانَ التَّعَاوُنُ حَصَلَ لَهُ الْقُوَّةُ لِلْغَنَاءِ وَالسِّلَاحُ الْمُدَافِعَةُ  
وَتَمَّتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي بَقَائِهِ وَحَنِظَ نَوْعُهُ فَإِذَا هَذَا الْأَجْتِمَاعُ ضَرُورِيٌّ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ  
وَالْإِلَاحُ يَكْمُلُ وَجُودُهُ وَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ أَعْتِمَارِ الْعَالَمِ بِهِمْ وَاسْتِغْلَافِهِ إِيَّاهُمْ وَهَذَا  
هُوَ مَعْنَى الْعُمُرَانِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مَوْضُوعًا لِهَذَا الْعِلْمِ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ نَوْعُ اثْبَاتِ  
لِلْمَوْضُوعِ فِي فَنِّهِ الَّذِي هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَى صَاحِبِ الْفَنِّ لِمَا  
تَقَرَّرَ فِي الصَّنَاعَةِ الْمُنَظِّقِيَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى صَاحِبِ عِلْمِهِ اثْبَاتُ الْمَوْضُوعِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ  
فَلَيْسَ أَيْضًا مِنَ الْمَمْنُوعَاتِ عِنْدَهُمْ فَيَكُونُ إِثْبَاتُهُ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ وَاللَّهُ الْمُوفِيُّ بِقَضَائِهِ  
ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَجْتِمَاعَ إِذَا حَصَلَ لِلْبَشَرِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَتَمَّ عُمُرَانُ الْعَالَمِ بِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ  
وَارِعٍ يَدْفَعُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي طَبَاعِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَلَيْسَتْ  
السِّلَاحُ الَّتِي جُعِلَتْ دَافِعَةً لِعُدْوَانِ الْحَيَوَانَاتِ أَلْجُبُّمَ عَنْهُمْ كَافِيَةً فِي دَفْعِ الْعُدْوَانِ  
عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ مَوْجُودَةٌ لِجَمِيعِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ يَدْفَعُ عُدْوَانَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ وَلَا  
يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقُصُورِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ عَنْ مَدَارِكِهِمْ وَالْإِلْهَامَاتِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْوَارِعُ  
وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِمُ الْقُبَّةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْيَدُ الْقَاهِرَةُ حَتَّى لَا يَصِلَ أَحَدٌ إِلَى  
غَيْرِهِ بِعُدْوَانٍ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمَلِكِ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ يَهْدَا أَنْ لِلْإِنْسَانَ خَاصَّةً طَبِيعَةً  
وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَقَدْ يُوْجَدُ فِي بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ أَلْجُبُّمُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحَكَمَاءُ كَمَا فِي  
الْفَحْلِ وَالْجُرَادِ لِمَا اسْتَفْرَى فِيهَا مِنَ الْحُكْمِ وَالْإِنْقِيَادِ وَالْإِتْبَاعِ لِرَأْسٍ مِنْ أَشْخَاصِهَا  
مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ فِي خَلْقِهِ وَجَمَانِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ لِعَبَرٍ الْإِنْسَانِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ  
وَالْهِدَايَةِ لَا بِمُقْتَضَى الْفِكْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُهُ ثُمَّ مَدَى وَتَرَبَّدَ الْفَلَسَفَةُ  
عَلَى هَذَا الْبَرْهَانِ حَيْثُ يُعَاوَلُونَ اثْبَاتَ النُّبُوَّةِ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ وَأَنَّهَا خَاصَّةٌ طَبِيعَةٌ  
لِلْإِنْسَانِ فَيَقَرُّ رُونَ هَذَا الْبَرْهَانِ إِلَى غَايَةٍ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْبَشَرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوَارِعِ  
ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ وَذَلِكَ الْحُكْمُ يَكُونُ بِشَرَعٍ مَفْرُوضٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَأْتِي بِهِ وَاحِدٌ  
مِنَ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَمَيِّزًا عَنْهُمْ بِمَا يُوَدِّعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَوَاصٍ هِدَايَةٍ  
لِيَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ حَتَّى يَتِمَّ الْحُكْمُ فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ وَلَا تَرْيَفٍ  
وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ لِلْحَكَمَاءِ غَيْرِ بُرْهَانِيَّةٍ كَمَا تَرَاهُ إِذَا أُلْجِئُوا وَحِبَاةُ الْبَشَرِ قَدْ تَمَّ مِنْ

دُونَ ذَلِكَ بِمَا يَفْرُضُهُ الْحَاكِمُ لِنَفْسِهِ أَوْ بِالْعَصِيَّةِ الَّتِي يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى قَهْرِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَى جَادَتِهِ فَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجُوسِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ قَابِلٌ لَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَالَمِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الدُّوَلُ وَالْأَثَارُ فَضْلًا عَنِ الْحَيَاةِ وَكَذَلِكَ هِيَ لَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْأَقَالِمِ الْمُنْحَرَفَةِ فِي الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ بِخِلَافِ حَيَاةِ الْبَشَرِ فَوَضِيَ دُونَ وَازِعٍ لَهُمُ الْبَيْتَةُ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ وَهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُهُمْ فِي وَجُوبِ الثُّبُوتِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَقْلِيٍّ وَإِنَّمَا مُدْرِكُهُ الشَّرْعُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مِنَ الْأُمَّةِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ

### المقدمة الثانية

في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

من الاشجار والانهار والاقاليم

إِعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ فِي كُتُبِ الْحُكَمَاءِ النَّاطِرِينَ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ أَنَّ شَكْلَ الْأَرْضِ كُرْوِيٌّ وَأَنَّهَا مَحْفُوفَةٌ بِعَنْصَرِ الْمَاءِ كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ عَلَيْهِ فَأَتَحَسَّرَ الْمَاءُ عَنْ يَعْضِ جَوَائِبِهَا لِمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ تَكْوِينِ الْحَيَوَانَاتِ فِيهَا وَعُمُرَانِهَا بِالذُّرْعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي لَهُ الْخِلَافَةُ عَلَى سَائِرِهَا وَقَدْ بَيَّنَّاهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا انْتَحَتِ الطَّبِيعَةُ قَلْبَ الْأَرْضِ وَوَسَطَ كُرْنِهَا الَّذِي هُوَ مَرْكَزُهَا وَالْكُلُّ يَطْلُبُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الثَّقَلِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ جَوَائِبِهَا وَأَمَّا الْمَاءُ الْمَحِيطُ بِهَا فَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَإِنْ قِيلَ فِي فِتْنَةٍ مِنْهَا إِنَّهُ تَحْتَ الْأَرْضِ فَيَا لِمَ زُيِّنَ إِلَى جِهَةِ أُخْرَى مِنْهُ . وَأَمَّا الَّذِي اتَّخَصَّرَ عَنْهُ الْمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ النِّصْفُ مِنْ سَطْحِ كُرْنِهَا فِي شَكْلِ دَائِرَةِ احاطَ الْعَنْصَرُ الْمَائِيُّ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا بِحَرٍّ يُسَمَّى الْبَحْرَ الْمَحِيطَ وَيُسَمَّى أَيْضًا بِلَبَايَةِ بِنْتِخِيمِ اللَّامِ الثَّانِيَةِ وَيُسَمَّى أَوْفِيَانُونَ اسْمَاءُ الْعَجْمِيَّةِ وَيُقَالُ لَهُ الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ وَالْأَسْوَدُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمُنْكَشِفَ مِنَ الْأَرْضِ لِلْعُمُرَانِ فِيهِ الْفَقَارُ وَالْخِلَافَةُ أَكْثَرُ مِنْ عُمُرَانِهِ وَالْخِلَافَةُ مِنَ جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَإِنَّمَا الْمَعْمُورُ مِنْهُ أَمِيلٌ إِلَى الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ عَلَى شَكْلِ مُسَطَّحٍ كُرْوِيٍّ يَنْتَهِي مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ إِلَى خَطِّ الْإِسْتِزَاءِ وَمِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى خَطِّ كُرْوِيٍّ وَوَرَاءَهُ الْجِبَالُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ الْعَنْصَرِيِّ الَّذِي

بَيْنَهُمَا سِدٌّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهَذِهِ الْجِبَالُ مَائِلَةٌ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَيَنْتَهِي مِنَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ إِلَى عُنْصُرِ الْمَاءِ أَيْضًا بِقِطْعَتَيْنِ مِنَ الدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ وَهَذَا الْمُنْكَشِفُ مِنَ  
الْأَرْضِ قَالُوا هُوَ مِقْدَارُ النِّصْفِ مِنَ الْكُرَّةِ أَوْ أَقَلُّ وَالْمَعْمُورُ مِنْهُ مِقْدَارُ رُبْعِهِ وَهُوَ  
الْمُنْقَسِمُ بِالْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ وَخَطُّ الْأَسْتِوَاءِ يَقْسِمُ الْأَرْضَ بِنِصْفَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى  
الْمَشْرِقِ وَهُوَ طَوْلُ الْأَرْضِ وَأَكْبَرُ خَطٍّ فِي كُرَّتِهَا كَمَا أَنَّ مَنَاطِقَ فَلَكِ الْبُرُوجِ  
وَدَائِرَةَ مُعَدِّلِ النَّهَارِ أَكْبَرُ خَطٍّ فِي فَلَكِ وَمَنَاطِقُ الْبُرُوجِ مُنْقَسِمَةٌ بِثَلَاثَةِ وَسْتَيْنِ  
دَرَجَةٍ وَالدرَجَةُ مِنْ مَسَافَةِ الْأَرْضِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ فَرَسَخًا وَالْفَرَسَخُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ  
ذِرَاعٍ وَالذِّرَاعُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ إصْبَعًا وَالْإِصْبَعُ سِتُّ حَبَّاتٍ شَعِيرٍ مَضْفُوفَةٍ مُلَصَّقَةٍ  
بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ظَهَرَ لِبَطْنٍ وَبَيْنَ دَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ الَّتِي يَقْسِمُ فَلَكُ بِنِصْفَيْنِ وَأُسْمِيَتْ  
خَطُّ الْأَسْتِوَاءِ مِنَ الْأَرْضِ وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقُطْبَيْنِ تِسْعُونَ دَرَجَةً لَكِنَّ  
الْعِمَارَةَ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ دَرَجَةً وَالبَاقِي مِنْهَا خَلَاءٌ لَا  
عِمَارَةَ فِيهِ لِشِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْجُمُودِ كَمَا كَانَتْ الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ خَلَاءً كُلُّهَا لِشِدَّةِ الْحَرِّ كَمَا  
يُبَيِّنُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ إِنَّ الْخَبِيرِينَ عَنْ هَذَا الْمَعْمُورِ وَحُدُودِهِ وَعَمَّا  
فِيهِ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْمَدُنِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالْقِفَارِ وَالرِّمَالِ مِثْلَ بَطْلَيْمُوسَ فِي  
كِتَابِ الْجُغُرَافِيَا وَصَاحِبِ كِتَابِ زَخَارٍ مِنْ بَعْدِهِ قَسَمُوا هَذَا الْمَعْمُورَ بِسَبْعَةِ أَقْسَامٍ  
يُسَمُّونَهَا الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِحُدُودٍ وَهَمِيَّةٍ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مُتَسَاوِيَةٍ فِي الْعَرْضِ  
مُخْتَلِفَةٍ فِي الطُّولِ فَالْأَوَّلُ أَطْوَلُ مَا بَعْدَهُ وَهَكَذَا الثَّانِي إِلَى آخِرِهَا فَيَكُونُ  
السَّابِعُ أَقْصَرَ لِمَا أَقْصَاهُ وَضَعُ الدَّائِرَةِ النَّاشِئَةِ عَنْ انْحِسَارِ الْمَاءِ عَنْ كُرَّةِ الْأَرْضِ  
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ عِنْدَهُمْ مُنْقَسِمٌ بِعَشْرَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
عَلَى الدَّوَالِي وَفِي كُلِّ جُزْءٍ الْخَبِيرُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ عُمَرَانِهِ وَذَكَرُوا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ  
الْمُحِيطَ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ الْمَعْرُوفُ بِبَدَا  
فِي خَلِيجٍ مُتَضَائِقٍ فِي عَرْضِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا أَوْ نَحْوَهَا مَا بَيْنَ طَبْجَةِ وَطَرِيفَ وَيُسَمَّى  
الرُّفَاقُ ثُمَّ يَذْهَبُ مُشْرِفًا وَيَنْفَسِحُ إِلَى عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ وَنَهَائِهِ فِي آخِرِ الْجُزْءِ  
الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ عَلَى أَلْفِ فَرَسَخٍ وَمِائَةِ وَسْتَيْنِ فَرَسَخًا مِنْ بَدَا وَعَلَيْهِ هُنَاكَ  
سَوَاحِلُ الشَّامِ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ سَوَاحِلُ الْمَغْرِبِ وَأُولَاهَا طَبْجَةُ عِنْدَ الْخَلِيجِ ثُمَّ

افريقية ثم برقة إلى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند الخليج  
 ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الأندلس إلى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى  
 هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل أفريطس وقبرص  
 وصقلية وميورقة وسردانية قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحرات آخران من  
 خليجين أحدهما مسامت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضابقا في عرض رمية  
 السهم ويمر ثلاثة بحار فيتصل بالقسطنطينية ثم ينسحق في عرض أربعة أميال  
 ويمر في جزبه ستين ميلا ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة  
 أميال فيحد بحر نيطن وهو بحر يتحرف من هنالك في مذهبه إلى ناحية الشرق فيمر  
 بأرض هرقله وينتهي إلى بلاد الخزرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من  
 الجانبين أمم من الروم والترك ويزجان والروس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر  
 الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فإذا انتهى إلى  
 سمت الجبل انحرف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلاد إنكلابة  
 على ألف ومائة ميل من مبداءه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى  
 خليج البنادقة قالوا وينسحق من هذا البحر المحيط أيضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة  
 درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر في الجنوب قليلا حتى ينتهي  
 إلى الإقليم الأول ثم يمر فيه مغربا إلى أن ينتهي في الجزء الخامس منه إلى بلاد  
 الحبشة والزينج وإلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ من مبداءه  
 ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزينج وبلاد  
 يوزر التي ذكرها أمرؤ القيس في شعره ولبسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب  
 ثم بلد مقدشون ثم بلد سفالة وأرض الوفواق وأمم آخر ليس بعدهم إلا الفقار وأخللاه  
 وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبداءه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من  
 الأحقاف وزيد وغيرها ثم بلاد الزينج عند نهايته وبعدهم الحبشة قالوا ويخرج من  
 هذا البحر الحبشي بحران آخران أحدهما يخرج من نهايته عند باب المندب فيبدأ  
 متضاقا ثم يمر مستجرا إلى ناحية الشمال ومغربا قليلا إلى أن ينتهي إلى القلزم في  
 الجزء الخامس من الإقليم الثاني على ألف وأربعمائة ميل من مبداءه ويسمى بحر

الْقَلْزُومَ وَبَحْرَ السُّوَيْسِ وَبَيْنَ فِسطاطِ مِصْرَ مِنْ هُنَاكَ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ وَعَلَيْهِ مِنْ  
 جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ الْبَحْرِ ثُمَّ الْحِجَازُ وَجِدَّةُ ثُمَّ مَدِينُ وَالْبَلَّةُ وَفَارَانَ عِنْدَ نَهَائِهِ وَمِنْ  
 جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الصَّعِيدِ وَعَيْدَابُ وَسَوَاكِنُ وَزَيْلُ ثُمَّ بِلَادُ الْحَبَشَةِ عِنْدَ مَبْدَأِهِ  
 وَآخِرُهُ عِنْدَ الْقَلْزُومِ يُسَمَّى الْبَحْرُ الرُّومِيُّ عِنْدَ الْعَرِيشِ وَبَيْنَهُمَا تَحْوِ سِتُّ مَرَاحِلَ وَمَا  
 زَالَ الْمُلُوكُ فِي الْأَسْلَامِ وَقَبْلَهُ يَرُومُونَ خَرَقَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ وَالْبَحْرُ الثَّانِي مِنْ  
 هَذَا الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَيُسَمَّى الْخَلِيجُ الْأَخْضَرُ يَخْرُجُ مَا بَيْنَ بِلَادِ السِّندِ وَالْأَحْقَافِ مِنَ  
 الْبَحْرِ وَيَمُرُّ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ مُغْرَبًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْأَبْلَةِ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَصْرَةِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الثَّانِي عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ فَرَسَخٍ وَأَرْبَعِينَ فَرَسَخًا مِنْ مَبْدَأِهِ  
 وَيُسَمَّى بَحْرُ فَارِسَ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ السِّندِ وَمَكْرَانَ وَكُرْمَانَ وَفَارِسَ  
 وَالْأَبْلَةُ وَعِنْدَ نَهَائِهِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ وَعُمَانَ وَالشَّيْخِ وَالْأَحْقَافُ  
 عِنْدَ مَبْدَأِهِ وَفِيمَا بَيْنَ بَحْرِ فَارِسَ وَالْقَلْزُومِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ كَانَتْ دَاخِلَةً مِنَ الْبَحْرِ فِي الْبَحْرِ  
 يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ الْحَبَشِيُّ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ الْقَلْزُومِ مِنَ الْغَرْبِ وَبَحْرُ فَارِسَ مِنَ الشَّرْقِ  
 وَتَقْصِي إِلَى الْعِرَاقِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْبَصْرَةِ عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ مِيلٍ بَيْنَهُمَا وَهُنَاكَ الْكَوْفَةُ  
 وَالْقَادِسِيَّةُ وَبَغْدَادُ وَإِيوَانُ كِسْرَى وَالْحِيرَةُ وَوَرَاءَ ذَلِكَ أَسْمُ الْأَعَاجِمِ مِنَ الْبَحْرِ  
 وَالْخَزَرِ وَغَيْرِهِمْ وَفِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بِلَادُ الْحِجَازِ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَامَةِ  
 وَالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ مِنْهَا وَبِلَادُ السِّنِّ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهَا وَسَوَاحِلُهُ عَلَى  
 الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ قَالُوا وَفِي هَذَا الْمَعْمُورِ بَحْرٍ آخَرَ مُنْقَطِعٍ مِنْ سَائِرِ الْبَحَارِ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ  
 بِأَرْضِ الدَّبْلَمِ يُسَمَّى بَحْرُ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ طُولُهُ أَلْفُ مِيلٍ فِي عَرْضِهِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ  
 فِي غَرْبِيهِ أَذَرْبَيْجَانَ وَالدَّبْلَمِ وَفِي شَرْقِيهِ أَرْضُ التُّرْكِ وَخَوَارِزْمُ وَفِي جَنُوبِهِ طَبَرِسْتَانَ  
 وَفِي شَمَالِيهِ أَرْضُ الْخَزَرِ وَاللَّانَ . هَذِهِ جُمْلَةُ الْبَحَارِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَهْلُ  
 الْجُغَرَفِيَا . قَالُوا وَفِي هَذَا الْجُزْءِ الْمَعْمُورِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ أَغْطَاهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ وَهِيَ النَّيْلُ  
 وَالْفُرَاتُ وَدِجْلَةُ وَنَهْرُ بَلْخِ الْمُسَمَّى جَيْحُونَ . فَأَمَّا النَّيْلُ قَبْدَاهُ مِنْ جَبَلٍ عَظِيمٍ وَرَأًهُ خَطَرُ  
 الْأَسْتَوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً عَلَى سَمْتِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَيُسَمَّى جَبَلُ  
 الْقَمَرِ وَلَا يُعْلَمُ فِي الْأَرْضِ جَبَلٌ أَعْلَى مِنْهُ تَخْرُجُ مِنْهُ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ فَيَصُبُّ بَعْضُهَا فِي  
 بَحِيرَةٍ هُنَاكَ وَبَعْضُهَا فِي أُخْرَى ثُمَّ تَخْرُجُ أَنْهَارٌ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ تَصُبُّ كُلُّهَا فِي بَحِيرَةِ

وَاحِدَةٍ عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ عَلَى عَشْرِ مَرَاحِلَ مِنَ الْجَبَلِ وَيَخْرُجُ مِنْ هَاهُنَا الْجَبْرِ تَهْرَانِ  
 يَذْهَبُ أَحَدُهُمَا إِلَى نَاحِيَةِ الشَّالِ عَلَى سِتِّهِ وَيَعُرُّ بِلَادَ النَّوْبَةِ ثُمَّ بِلَادَ مِصْرَ فَأَيُّهَا  
 جَاوَزَهَا تَشَعَّبَ فِي شُعَبٍ مُتَقَارِبَةٍ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَلِيجًا وَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي الْبَحْرِ  
 الرُّومِيِّ عِنْدَ الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَيُسَمَّى نَيْلَ مِصْرَ وَعَلَيْهِ الصَّعِيدُ مِنْ شَرْقِيَّةٍ وَأَوَّلَاحَاتُ  
 مِنْ غَرْبِيَّةٍ وَيَذْهَبُ الْآخَرُ مُنْعَطِفًا إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى سِتِّهِ إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي  
 الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَهُوَ نَهْرُ السُّودَانِ وَأَمَمَهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى ضَيْفَتِيهِ . وَأَمَّا الْفُرَاتُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ  
 بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَمُرُّ جَنُوبًا فِي أَرْضِ الرُّومِ  
 وَمَلَطِيَّةَ إِلَى مَنَاجِثَ ثُمَّ يَمُرُّ بِصَفَيْنَ ثُمَّ بِالرَّقَةِ ثُمَّ بِالْكُوفَةِ إِلَى أَنْ يَتَّعِي إِلَى الْبَطْحَاءِ  
 الَّتِي بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَاسِطَ . وَمِنْ هُنَاكَ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَتَجْلِبُ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ  
 أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْهَارٌ أُخْرَى تَصُبُّ فِي دَجَلَةٍ . وَأَمَّا دَجَلَةٌ فَمَبْدَأُهَا عَيْنُ  
 بِلَادِ خِلَاطٍ مِنْ أَرْمِينِيَّةٍ أَيْضًا وَتَمُرُّ عَلَى سِتِّ الْجَنُوبِ بِالْمَوْصِلِ وَأَذْرَبِجَانَ وَبَغْدَادَ  
 إِلَى وَاسِطَ فَتَفْتَرِّقُ إِلَى خِلْجَانٍ كُلُّهَا تَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْبَصْرَةِ وَتُفْضِي إِلَى بَحْرِ فَارَسَ وَهُوَ  
 فِي الشَّرْقِ عَلَى يَمِينِ الْفُرَاتِ وَتَجْلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَفِيهَا  
 بَيْنَ الْفُرَاتِ وَدَجَلَةٍ مِنْ أَوَّلِهِ جَزِيرَةُ الْمَوْصِلِ فَبَالَةَ الشَّامِ مِنْ عُذُوتِي الْفُرَاتِ وَقَبَالَةَ  
 أَذْرَبِجَانَ مِنْ عُذُوتِ دَجَلَةٍ . وَأَمَّا نَهْرُ جَيْحُونَ فَمَبْدَأُهُ مِنْ بَلْخِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ  
 الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ عِيُونِ هُنَاكَ كَثِيرَةٌ وَتَجْلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ عَظَامٌ وَيَذْهَبُ مِنَ الْجَنُوبِ  
 إِلَى الشَّالِ فَيَمُرُّ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ خُوَارَزْمَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
 الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْجَرْجَانِيَّةِ الَّتِي بِأَسْفَلِ مَدِينَتِهَا وَهِيَ مَسِيرَةُ شَهْرِ فِي  
 مِثْلِهِ وَإِلَيْهَا يَنْصَبُّ نَهْرُ فَرَغَانَةَ وَالشَّاسَ الْآلِي مِنَ بِلَادِ التُّرْكِ وَعَلَى غَرْبِيَّةِ نَهْرِ جَيْحُونَ  
 بِلَادُ خُرَاسَانَ وَخُوَارَزْمَ وَعَلَى شَرْقِيَّةِ بِلَادِ بَخَارَى وَنَزْمُذَ وَسَمَرْقَنْدَ وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى مَا  
 وَرَاءَهُ بِلَادُ التُّرْكِ وَفَرَغَانَةَ وَالْخَزَلِيَّةَ وَأَمْرُ الْأَعَاجِمِ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِطَلِيسُوسُ  
 فِي كِتَابِهِ وَالْأَشْرِيثُ فِي كِتَابِ زَخَارٍ وَصَوَّرُوا فِي الْجُغْرَافِيَا جَمِيعَ مَا فِي الْعَمُورِ مِنَ  
 الْجِبَالِ وَالنَّهَارِ وَالْأَوْدِيَةِ وَأَسْتَوْفُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ لِطَوْلِهِ وَلِأَنَّ عَيْنَانَا فِي  
 الْأَكْثَرِ إِنَّمَا هِيَ بِالْمَغْرِبِ الَّذِي هُوَ وَطَنُ الْبَرَبِ وَبِالْأَوْطَانِ الَّتِي لِلْمَغْرِبِ مِنَ  
 الْمَشْرِقِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

## كلمة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمراناً من الربع الجنوبي

وذكر السبب في ذلك

وَتَحْنُ نَرَى بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي مِنَ الْأَقَالِيمِ  
الْمَعْمُورَةِ أَقْلُ عُمَرَانًا مِمَّا بَعْدَهُمَا وَمَا وَجِدَ مِنْ عُمَرَانِهِ فَيَتَخَلَّلُهُ الْخَلَاءُ وَالْفَقَارُ وَالزِّمَالُ  
وَالْبَحْرُ الْهِنْدِيُّ الَّذِي فِي الشَّرْقِ مِنْهُمَا وَأَمُّ هَذَيْنِ الْإِفْلِيمَيْنِ وَأَنَاسِيَهُمَا لَيْسَتْ لَهُمْ  
الْكثَرَةُ الْبَالِغَةُ وَأَمْصَارُهُ وَمُدُنُهُ كَذَلِكَ وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ وَمَا بَعْدَهُمَا بِخِلَافِ ذَلِكَ  
فَالْفَقَارُ فِيهَا قَلِيلَةٌ وَالزِّمَالُ كَذَلِكَ أَوْ مَقْدُومَةٌ وَأَمَمَهَا وَأَنَاسِيَهَا تَجُوزُ الْحُدُودَ مِنَ الْكثَرَةِ  
وَأَمْصَارُهَا وَمُدُنُهَا تَجَاوِزُ الْحُدُودَ وَالْعُمَرَانُ فِيهَا مُتَدَرِّجٌ مَا بَيْنَ الثَّالِثِ وَالسَّادِسِ  
وَالْجَنُوبُ خَلَاءٌ كُلُّهُ وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَقِلَّةِ  
مِثْلِ الشَّمْسِ فِيهَا عَنْ شِمْتِ أَرْوُوسٍ فَلتَوْضِيعُ ذَلِكَ بِرُءُوسِهِ وَيَتَبَيَّنُ مِنْهُ سَبَبُ كَثَرَةِ  
الْعِمَارَةِ فِيهَا بَيْنَ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ جَانِبِ الشَّمَالِ إِلَى الْخَامِسِ وَالسَّابِعِ . فنقول إنَّ  
قُطْبِي الْفَلَكَ الْجَنُوبِيَّ وَالشَّمَالِيَّ إِذَا كَانَا عَلَى الْأَفْقِ فَبُنَاكَ دَائِرَةُ عَظِيمَةٌ تَقْسِمُ الْفَلَكَ  
بِصَفَتَيْنِ هِيَ أَعْظَمُ الدَّوَائِرِ الْعَمَارَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَتُسَمَّى دَائِرَةُ مُعَدِّلِ  
النَّهَارِ وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْمُبْتَدَأِ أَنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى مُتَحَرِّكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى  
الْمَغْرِبِ حَرَكَةً يَوْمِيَّةً يَحْرُكُ بِهَا سَائِرَ الْأَفْلَاقِ فِي جَوْفِهِ قَهْرًا وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ مُحَسَّسَةٌ  
وَكَذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي أَفْلَاقِهَا حَرَكَةً مُخَالَفَةً لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَهِيَ مِنَ الْمَغْرِبِ  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَخْتَلِفُ أَمَادُهَا بِاخْتِلَافِ حَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ فِي الشَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ وَتَمَرُّاتِ  
هَذِهِ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاقِهَا تَوَازِيهَا كُلُّهَا دَائِرَةُ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى نَفْسُهُ  
بِصَفَتَيْنِ وَهِيَ دَائِرَةُ فَلَكَ الْبُرُوجِ مُنْقَسِمَةٌ بِأَثْنِي عَشَرَ بُرْجًا وَهِيَ عَلَى مَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ  
مُقَاطَعَةٌ لِدَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ عَلَى نَقْطَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ مِنَ الْبُرُوجِ هُمَا أَوَّلُ الْحَمَلِ وَأَوَّلُ  
الْمِيزَانِ فَتَقْسِمُهَا دَائِرَةُ مُعَدِّلِ النَّهَارِ بِصَفَتَيْنِ نِصْفٌ مَائِلٌ عَنْ مُعَدِّلِ النَّهَارِ إِلَى الشَّمَالِ  
وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْحَمَلِ إِلَى آخِرِ السَّنْبَلَةِ وَنِصْفٌ مَائِلٌ عَنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ  
الْمِيزَانِ إِلَى آخِرِ الْحُوتِ وَإِذَا وَقَعَ الْقُطْبَانِ عَلَى الْأَفْقِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْأَرْضِ كَانَ

عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ خَطٌّ وَاحِدٌ يُسَمَّى دَائِرَةُ مُعَدِّلِ النَّهَارِ يَمُرُّ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 وَيُسَمَّى خَطُّ الْأَسْتَوَاءِ وَوَقَعَ هَذَا الْخَطُّ بِالرَّصَدِ عَلَى مَا زَعَمُوا فِي مَبْدَأِ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ  
 مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ وَالْعُمُرَانُ كُلُّهُ فِي أَلْفَةِ الشَّمَالِيَةِ يَرْتَفِعُ عَنْ آفَاقِ هَذَا الْمَعْمُورِ  
 بِالْتَدْرِجِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ ارْتِفَاعُهُ إِلَى أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ دَرَجَةً وَهَنَالِكَ يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ  
 وَهُوَ آخِرُ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَإِذَا ارْتَفَعَ عَلَى الْأَفْقِ تِسْعِينَ دَرَجَةً وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ الْقُطْبِ  
 وَدَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ عَلَى الْأَفْقِ وَقَبِلَتْ سِتَّةً مِنَ الْبُرُوجِ فَوْقَ الْأَفْقِ وَهِيَ الشَّمَالِيَةُ وَسِتَّةٌ  
 تَحْتَ الْأَفْقِ وَهِيَ الْجَنُوبِيَّةُ وَالْعِمَادَةُ فِيمَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ وَالسَّتِينَ إِلَى التَّسْعِينَ مُنْتَمِعَةٌ لِأَنَّ  
 الْحَرَّ وَالْبُرْدَ حِينَئِذٍ لَا يَحْصُلَانِ مُتَوَجِّعِينَ بَعْدَ الزَّمَانِ بَيْنَهُمَا فَلَا يَحْصُلُ التَّكُونُ فَإِذَا  
 الشَّمْسُ تَسَامَتْ الرُّؤُوسَ عَلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ فِي رَأْسِ الْحَمَلِ وَالْمِيزَانِ ثُمَّ يَمِيلُ عَنْ  
 الْمُسَامَةِ إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَرَأْسِ الْجُذْيِ وَيَكُونُ نِهَآيَةً مِيلًا عَنْ دَائِرَةِ مُعَدِّلِ  
 النَّهَارِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ثُمَّ إِذَا ارْتَفَعَ الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ عَنِ الْأَفْقِ مَالَتْ دَائِرَةُ مُعَدِّلِ  
 النَّهَارِ عَنْ سِتِّينَ الرُّؤُوسَ بِمِقْدَارِ ارْتِفَاعِهِ وَانْخَفَضَ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ كَذَلِكَ بِمِقْدَارِ  
 مُتَسَاوٍ فِي الثَّلَاثَةِ وَهُوَ الْمَسْمُومِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ عَرْضَ الْبَلَدِ وَإِذَا مَالَتْ دَائِرَةُ  
 مُعَدِّلِ النَّهَارِ عَنْ سِتِّينَ الرُّؤُوسَ عُلَّتْ عَلَيْهَا الْبُرُوجُ الشَّمَالِيَةُ مُنْدَرَجَةً فِي مِقْدَارِ طُولِهَا  
 إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَانْخَفَضَتِ الْبُرُوجُ الْجَنُوبِيَّةُ مِنَ الْأَفْقِ كَذَلِكَ إِلَى رَأْسِ الْجُذْيِ  
 لِأَنَّهُمْ أَنَا إِلَى الْجَانِبَيْنِ فِي أَفْقِ الْأَسْتَوَاءِ كَمَا قُلْنَا فَلَا يَزَالُ الْأَفْقُ الشَّمَالِيُّ يَرْتَفِعُ حَتَّى  
 يَصِيرَ أَبْعَدَ الشَّمَالِيَةِ وَهُوَ رَأْسُ السَّرْطَانِ فِي سِتِّينَ الرُّؤُوسَ وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ عَرْضُ  
 الْبَلَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ فِي النُّجُومِ وَمَا يَلِيهِ وَهَذَا هُوَ الْمِيلُ الَّذِي إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرْطَانِ  
 عَنْ مُعَدِّلِ النَّهَارِ فِي أَفْقِ الْأَسْتَوَاءِ ارْتَفَعَ بِارْتِفَاعِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ حَتَّى صَارَ مُسَامَةً  
 فَإِذَا ارْتَفَعَ الْقُطْبُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ نَزَلَتِ الشَّمْسُ عَنْ الْمُسَامَةِ وَلَا تَزَالُ  
 فِي انْخِفَاضٍ إِلَى أَنْ يَكُونَ ارْتِفَاعُ الْقُطْبِ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ وَيَكُونُ انْخِفَاضُ الشَّمْسِ عَنْ  
 الْمُسَامَةِ كَذَلِكَ بِانْخِفَاضِ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ عَنِ الْأَفْقِ مِثْلَهَا فَيَنْقَطِعُ التَّكُونُ لِإِفْرَاطِ  
 الْبُرْدِ وَالْجَمْدِ وَطُولِ زَمَانِهِ غَيْرَ مُتَوَجِّعٍ بِالْحَرِّ ثُمَّ إِنْ الشَّمْسُ عِنْدَ الْمُسَامَةِ وَمَا  
 بِقَارِبِهَا تَبَعَتْ الْأَشِعَّةُ قَائِمَةً وَفِيهَا دُونَ الْمُسَامَةِ عَلَى زَوَايَا مُتَفَرِّجَةٍ وَحَادَةٍ وَإِذَا كَانَتْ  
 زَوَايَا الْأَشِعَّةِ قَائِمَةً عَظُمَ الضَّوْءُ وَتَنَشَّرَ بِخِلَافِهِ فِي الْمُنْفَرِجَةِ وَالْحَادَةِ فَلِهَذَا يَكُونُ



الْحَرُّ عِنْدَ الْمُسَامَةِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْهُ فَمَا بَعْدُ لِأَنَّ الصُّوَّةَ سَبَبُ الْحَرِّ وَالنَّسْجِينَ  
ثُمَّ إِنَّ الْمُسَامَةَ فِي خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ تَكُونُ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ عِنْدَ تَقَطُّعِي الْحَمَلِ  
وَالْمِيزَانِ وَإِذَا مَالَتْ فَتَغِيرُ بَعِيدٌ وَلَا يَكَادُ الْحَرُّ يَتَدَلُّ فِي آخِرِ مِيلَتِهَا عِنْدَ رَأْسِ السَّرَطَانِ  
وَالْجُذْيِ إِلَّا إِنْ صَعِدَتْ إِلَى الْمُسَامَةِ فَتَبْقَى الْأَشْعَةُ الْقَائِمَةُ الرُّوَابَا تُلِجُ عَلَى ذَلِكَ  
الْأَفْقِ وَيَطُولُ مَكْنُهَا أَوْ يَدُومُ فَيَسْتَعِيلُ الْهَوَاءُ حَرَارَةً وَيَقْرُطُ فِي شِدَّتِهَا وَكَذَا مَا  
دَامَتْ الشَّمْسُ تُسَامِتُ مَرَّتَيْنِ فَمَا بَعْدُ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ إِلَى عَرْضِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فَإِنَّ  
الْأَشْعَةَ مُلْحَقَةً عَلَى الْأَفْقِ فِي ذَلِكَ يَقْرِبُ مِنَ الْحَالِحِهَا فِي خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَإِفْرَاطُ الْحَرِّ  
يَفْعَلُ فِي الْهَوَاءِ تَجْفِيفًا وَبَسًّا يَمْنَعُ مِنَ التَّكْوِينِ لِأَنَّهُ إِذَا أَفْرَطَ الْحَرُّ جَنَّتِ الْمَيَاهُ  
وَالرُّطُوبَاتُ وَفَسَدَ التَّكْوِينُ فِي الْمَعْدِنِ وَالْحَيَوَانِ وَالنباتِ إِذَا التَّكْوِينُ لَا يَكُونُ  
إِلَّا بِالرُّطُوبَةِ ثُمَّ إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرَطَانِ عَنْ سِتَمَةِ الرُّؤُوسِ فِي عَرْضِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ  
فَمَا بَعْدَهُ تَزَلَّتِ الشَّمْسُ عَنِ الْمُسَامَةِ فَيَصِيرُ الْحَرُّ إِلَى الْأَعْتِدَالِ أَوْ يَمِيلُ عَنْهُ مِيلًا  
قَلِيلًا فَيَكُونُ التَّكْوِينُ وَيَتَزَايِدُ عَلَى التَّدْرِيجِ إِلَى أَنْ يَفْرُطَ الْبَرْدُ فِي شِدَّتِهِ لِقِلَّةِ  
الصُّوَّةِ وَكَوْنِ الْأَشْعَةِ مَنْفَرَجَةً الرُّوَابَا فَيَنْقُصُ التَّكْوِينُ وَيَفْسُدُ يَدَّ أَنْ فُسَادَ التَّكْوِينِ  
مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْحَرِّ أَكْثَرُ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْبَرْدِ لِأَنَّ الْحَرَّ أَسْرَعَ تَأْثِيرًا فِي التَّجْفِيفِ  
مِنْ تَأْثِيرِ الْبَرْدِ فِي الْجَمْدِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْعُمْرَانُ فِي الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ قَلِيلًا وَفِي  
الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مُتَوَسِّطًا لِأَعْتِدَالِ الْحَرِّ يَنْقُصَانِ الصُّوَّةَ وَفِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ  
كَثِيرًا لِنُقْصَانِ الْحَرِّ وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ الْبَرْدِ لَا تَوُثِّرُ عِنْدَ أَوَّلِهَا فِي فُسَادِ التَّكْوِينِ كَمَا  
يَفْعَلُ الْحَرُّ إِذَا لَا تَجْفِيفَ فِيهَا إِلَّا عِنْدَ الْإِفْرَاطِ بِمَا يَعْضُ لَهَا حِينَئِذٍ مِنَ الْبَيْسِ كَمَا بَعْدَ  
السَّابِعِ فَلِذَا كَانَ الْعُمْرَانُ فِي الرَّابِعِ الشَّامِلِي أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ هُنَا أَخَذَ  
الْحَكَمَاءُ خِلَاءَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَمَا وَرَاءَهُ وَأَوْرَدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مَعْمُورٌ بِالشُّعَاعَةِ  
وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَكَيْفَ يَتِمُّ الْبَرْهَانُ عَلَى ذَلِكَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرِيدُوا امْتِنَاعَ  
الْعُمْرَانِ فِيهِ بِالْكَيْفِيَّةِ إِنَّمَا أَدَّاهُمُ الْبَرْهَانُ إِلَى أَنَّ فُسَادَ التَّكْوِينِ فِيهِ قَوِيٌّ بِإِفْرَاطِ  
الْحَرِّ وَالْعُمْرَانِ فِيهِ إِمَّا مُنْتَبِعٌ أَوْ مُمَكِّنٌ أَقْلِيٍّ وَهُوَ كَذَلِكَ فَإِنَّ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَالَّذِي  
وَرَاءَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ عُمْرَانٌ كَمَا تَقُلُّ هُوَ قَلِيلٌ جِدًّا . وَقَدْ زَعَمَ ابْنُ رُشْدٍ أَنَّ خَطَّ  
الْأَسْتَوَاءِ مُعْتَدِلٌ وَأَنَّ مَا وَرَاءَهُ فِي الْجَنُوبِ بِمِثَابَةِ مَا وَرَاءَهُ فِي الشَّامِلِ فَيَعْمُرُ مِنْهُ مَا

عمر من هذا والذي قاله غير مُنتفع من جهة فساد المَكُونين وإنما مُنتفع فيما وراء  
خط الاستواء في الجنوب من جهة أن العنصر المائي عمر وجه الأرض هناك إلى  
الجُد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية قابلاً للتكوين ولما مُنتفع المُعتدل لغيبة  
الماء تبعه ما سواه لأن العمران مُتدرج وياخذ في التدرج من جهة الوجود لا من  
جهة الازدياد وأما القول بامتناعه في خط الاستواء فبرده النفل الدوائر والله  
أعلم وأنزس بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زخارم  
ناخذ في تفصيل الكلام عليها إلى آخره

### تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

اعلم أن الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة اقسام من  
الشمال إلى الجنوب بسون كل قسم منها إقليماً فانقسم المعمور من الأرض كلها على  
هذه السبعة الأقاليم كل واحد منها أخذ من القرب إلى الشرق على طوله . فالأول  
منها ما من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء يحده من جهة الجنوب وليس  
وراءه هناك إلا القفار والزمايل وبعض عمارية إن صحت فهي كلاً عمارية وبليته من  
جهة شمالية الإقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع  
وهو آخر العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع إلا الخلاء والقفار إلى أن  
ينتهي إلى البحر المحيط كطال فيما وراء الإقليم الأول في جهة الجنوب إلا أن  
الخلاء في جهة الشمال أقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب . ثم إن أزمته  
الليل والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار  
وارتفاع القطب الشمالي عن أفاقها فتفاوت قوس الليل والنهار لذلك وينتهي طول  
الليل والنهار في آخر الإقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدلي لليل  
وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما إلى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر  
الإقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان  
وهو منقلبها الصفي إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند منقلبها  
الشتوي برأس الجدلي وبقي للأفصر من الليل والنهار ما بقي بعد الثلاث عشرة ونصف  
من جملة أربع وعشرين الساعة الزمانية لجموع الليل والنهار وهي دورة الفلك الكاملة

وَكذلكَ فِي آخِرِ الْأَقْلِيمِ الثَّالثِ بِمَا لِي الشَّمَالُ أَيْضًا بَنَتِيَّانِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَفِي  
 آخِرِ الرَّابِعِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَتَنْصَفُ سَاعَةً وَفِي آخِرِ الْخَامِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ  
 سَاعَةً وَفِي آخِرِ السَّادِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَتَنْصَفُ وَإِلَى آخِرِ السَّابِعِ إِلَى سِتِّ  
 عَشْرَةَ سَاعَةً وَهَنَالِكَ يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ فَيَكُونُ تَقَاوُثُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ فِي الْأَطْوَلِ مِنْ لَيْلِهَا  
 وَنَهَارِهَا يَنْصَفُ سَاعَةً لِكُلِّ إِقْلِيمٍ يَزِيدُ مِنْ أَوَّلِهِ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ إِلَى آخِرِهِ فِي  
 نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُوزَعَةً عَلَى أَجْزَاءِ هَذَا الْبَلَدِ وَأَمَّا عَرْضُ الْبَلَدَانِ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ وَهُوَ  
 عِبَارَةٌ عَنْ بُعْدِ مَا بَيْنَ سَمْتِ رَأْسِ الْبَلَدِ وَدَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ الَّذِي هُوَ سَمْتُ رَأْسِ خَطِّ  
 الْأَسْتَوَاءِ وَيُمَثِّلُهُ سِوَاهُ يَنْخَفِضُ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ عَنْ أَقْصَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَيَرْتَفِعُ الْقُطْبُ  
 الشَّمَالِيُّ عَنْهُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ تُسَمَّى عَرْضُ الْبَلَدِ كَمَا مَرَّ ذَلِكَ قَبْلَ .  
 وَالْمُتَكَلِّمُونَ عَلَى هَذِهِ الْجُغْرَافِيَا قَسَمُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ فِي طُولِهِ  
 مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِعَشْرَةِ أَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ وَيَذْكُرُونَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كُلُّ  
 جُزْءٍ مِنْهَا مِنَ الْبَلَدَانِ وَالْأَنْصَارِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالْمَسَافَاتِ بَيْنَهَا فِي الْمَسَالِكِ وَتَحْنُ  
 أَلَّا نَ نُوْجِزَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ وَنَذْكُرُ مَشَاهِيرَ الْبَلَدَانِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبَحَارِ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا  
 وَنُحَادِي بِذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ نَزْمَةِ الْمُشْتَقِ الَّذِي أَلْفَهُ الْعُلُوِي الْأَدْرِيسِيُّ الْحَمُودِيُّ  
 بِمَلِكِ صِفْلِيَّةٍ مِنَ الْأَفْرَنْجِ وَهُوَ زَخَارُ بْنُ زَخَارٍ عِنْدَ مَا كَانَ نَازِلًا عَلَيْهِ بِصِفْلِيَّةٍ بَعْدَ  
 خُرُوجِ صِفْلِيَّةٍ مِنْ إِمَارَةِ مَالِقَةٍ وَكَانَ تَأْلِيفُهُ لِلْكِتَابِ فِي مُنْتَصَفِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ  
 وَجَمَعَ لَهُ كُتُبًا جَمَّةً لِلْمَسْعُودِيِّ وَأَبْنِ خَرْدَاذِيهِ وَالْخَوْفِيِّ وَالْقَدِيرِيِّ وَأَبْنِ إِسْحَاقَ  
 الْمَنْجَرِيِّ وَبَطْلِيمُوسَ وَغَيْرَهُمْ وَبَدَأَ مِنْهَا بِالْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَى آخِرِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى يَعْصِمُنَا بِحَنِّهِ وَفَضْلِهِ

الْأَقْلِيمُ الْأَوَّلُ \* وَفِيهِ مِنْ جِهَةِ غَرْبِهِ الْجَزَائِرُ وَالْخِلَابَاتُ الَّتِي مِنْهَا بَدَأَ بَطْلِيمُوسُ  
 بِأَخْذِ أَطْوَالِ الْبِلَادِ وَلَيْسَتْ فِي بَسِيطِ الْأَقْلِيمِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْبَحْرِ الْحَمِيطِ جُزُرٌ  
 مُتَكَثِّرَةٌ أَكْبَرُهَا وَأَشْهُرُهَا ثَلَاثٌ وَيُقَالُ إِنَّهَا مَعْمُورَةٌ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفَانٍ مِنَ  
 الْأَفْرَنْجِ مَرَّتْ بِهَا فِي أَوَاسِطِ هَذِهِ الْمِائَةِ وَقَاتَلُوهُمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَسَبَّوْا وَبَاعُوا بَعْضَ  
 أَسْرَائِهِمْ بِسُوَاهِلِ الْمَغْرِبِ الْأَفْقَى وَصَارُوا إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ فَلَمَّا تَعَلَّمُوا اللِّسَانَ  
 الْعَرَبِيَّ أَخْبَرُوا عَنْ حَالِ جَزَائِرِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَحْتَفِرُونَ الْأَرْضَ لِلزَّرْعَةِ بِالْقُرُونِ وَأَنَّ

الْحَدِيدَ مَفْقُودٌ بِأَرْزَاقِهِمْ وَعَشِيرَتُهُمْ مِنَ الشَّعِيرِ وَمَا شَيْتَهُمُ الْمَعَزُ وَقَالَهُمْ بِالْعَجَارَةِ يَرْمُونَهَا  
 إِلَى خَلْفُ وَعِبَادَتُهُمُ الشَّجُودُ لِلشَّنْسِ إِذَا طَلَعَتْ وَلَا يَعْرِفُونَ دِينًا وَلَمْ تَبْلُغُهُمْ دَعْوَةُ  
 وَلَا يُؤْفَقُ عَلَى مَكَانٍ هَذِهِ الْجَزَائِرِ إِلَّا بِالْعُثُورِ لَا بِالْقَصْدِ إِلَيْهَا لِأَنَّ سَفَرَ الشَّنْسِ فِي الْبَحْرِ  
 إِنَّمَا هُوَ بِالزِّيَاحِ وَمَعْرِفَةِ جِهَاتِ مَهَايَا وَإِلَى أَيْنَ يُوصَلُ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْأَسْقَامَةِ مِنْ  
 الْبِلَادِ الَّتِي فِي تَمَرِ ذَلِكَ الْمَهَبِ وَإِذَا اخْتَلَفَ الْمَهَبُ وَعَلِمَ حَيْثُ يُوصَلُ عَلَى الْأَسْقَامَةِ  
 حُودِي بِهِ الْقَلْعُ مَخَاضَةً يَعْمَلُ السَّفِينَةُ بِهَا عَلَى قَوَائِنَ فِي ذَلِكَ مَخَصَلَةٌ عِنْدَ النَّوَاتِيَةِ  
 وَالْمَلَا حِينَ الَّذِينَ هُمْ رُؤَسَاءُ الشَّنْسِ فِي الْبَحْرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي فِي حَافَاتِ الْبَحْرِ الرُّومِي  
 وَفِي عُدُوهِ مَكْتُوبَةٌ كُلُّهَا فِي صَحِيفَةٍ عَلَى شَكْلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ وَفِي وَضْعِهَا  
 فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَمَهَا بِالزِّيَاحِ وَتَمَرَاتِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا مَرْسُومٌ مَعَهَا فِي تِلْكَ  
 الصَّحِيفَةِ وَيُسَمُّونَهَا الْكِبَاصَ وَعَلَيْهَا يَتَمَسِّدُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَهَذَا كُلُّهُ مَفْقُودٌ فِي الْبَحْرِ  
 الْمَحِيطِ فَلِذَلِكَ لَا تَبْلُغُ فِيهِ الشَّنْسُ لِأَنَّهَا إِنْ غَابَتْ عَنْ مَرَأَى السَّوَاحِلِ فَقَدْ أَنْ تَهْتَدِيَ  
 إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا مَعَ مَا يَتَقَعْدُ فِي جَوْهِ هَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى سَطْحِ مَائِهِ مِنَ الْأَبْجَرَةِ الْمُمَانَةِ  
 الشَّنْسِ فِي مَسِيرِهَا وَفِي لُبْعِهَا لَا تَدْرِكُهَا أَضْوَاءُ الشَّنْسِ الْمُنْعَكِسَةِ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ  
 فَتَحِلُّهَا فَلِذَلِكَ عَسَرَ الْأَهْتِدَاءُ إِلَيْهَا وَصَعِبَ الْوُقُوفُ عَلَى خَبَرِهَا . وَأَمَّا الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ  
 هَذَا الْأَقْلَمِ فِيهِ مَصَبُّ النَّيْلِ الْآتِي مِنْ مَبْدَأِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْقَمَرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيُسَمَّى  
 نَيْلَ السُّودَانِ وَيَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ فَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ جَزِيرَةِ أُولَيْكُ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ  
 مَدِينَتُهُ سَلَا وَتَكْرُورُ وَغَانَةُ وَكُلُّهَا لِهَذَا الْعَهْدِ فِي مَمْلَكَةِ مَلِكٍ مَالِيٍّ مِنْ أُمَمِ السُّودَانِ وَإِلَى  
 بِلَادِهِمْ نَسَافِرُ تِجَارَةُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا مِنْ شَمَالِهَا بِلَادُ لِمْتُونَةَ وَسَائِرُ  
 طَوَائِفِ الْمَلْتَمِينَ وَمَقَاوِرُ يَجُولُونَ فِيهَا وَفِي جَنْبِ هَذَا النَّيْلِ قَوْمٌ مِنَ السُّودَانِ يُقَالُ لَهُمْ  
 لِمَلَمٌ وَهُمْ كُنَّارٌ وَيَكْتُمُونَ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَصْدَاغِهِمْ وَأَهْلُ غَانَةَ وَالْمَكْرُورُ يُغْبِرُونَ  
 عَلَيْهِمْ وَيَسْبُونَهُمْ وَيَبِيعُونَهُمْ لِلتَّجَارِ فَيَحْلِيهِمْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَكُلُّهُمْ عَامَّةٌ رَقِيقُهُمْ وَلَيْسَ  
 وَرَاءَهُمْ فِي الْجَنُوبِ عُمَرَانُ يُعْتَبَرُ إِلَّا أَنَا مِثِّي أَقْرَبُ إِلَى الْحَيَوَانِ الْعُجْمِ مِنَ النَّاطِقِي يَسْكُنُونَ  
 الْفَيَاقِي وَالْكُهُوفَ وَيَأْكُلُونَ الْعِشْبَ وَالْحَبُوبَ غَيْرَ مَيِّةٍ وَرُبَّمَا يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 وَلَيْسُوا فِي عِدَادِ الْبَشَرِ . وَفَوَاقَهُ بِلَادُ السُّودَانِ كُلُّهَا مِنْ قُصُورٍ صَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ مِثْلُ  
 تَوَاتٍ وَتَكْدِيرَارِينَ وَوَزْكَلَانَ . فَكَانَ فِي غَانَةَ فِيمَا يُقَالُ مَلِكٌ وَدَوْلَةٌ لِقَوْمٍ مِنَ الْعُلُوِيَّةِ

يَعْرِفُونَ بَنِي صَالِحٍ وَقَالَ صَالِحٌ كِتَابُ زَخَّارٍ إِنَّهُ صَالِحٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَ بْنِ  
الْحَسَنِ وَلَا يَعْرِفُ صَالِحٌ هَذَا فِي وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ وَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِهَذَا  
الْعَهْدِ وَصَارَتْ غَانَةُ سُلْطَانِ مَالِي فِي شَرْقِي هَذَا الْبَلَدِ فِي الْجُزْءِ الثَّالثِ مِنَ الْإِفْلِيمِ بَلَدُ  
كُوكُو عَلَى نَهْرٍ يَنْبُعُ مِنْ بَعْضِ الْجِبَالِ هُنَاكَ وَيَمُرُّ مُعَرَّبًا فَيَقُوصُ فِي رِمَالِ الْجُزْءِ الثَّانِي  
وَكَانَ مَلِكُ كُوكُو قَائِمًا بِنَفْسِهِ ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا سُلْطَانُ مَالِي وَأَصْبَحَتْ فِي تَمَلُّكِهِ  
وَحَرِبَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ هُنَاكَ نَذْرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ دَوْلَةِ مَالِي فِي مَحَلِّهَا  
مِنْ تَارِيخِ الْأَنْبَرِ وَفِي جَنُوبِي بَلَدِ كُوكُو بِلَادُ كَاتَمٍ مِنْ أُمَمِ السُّودَانِ وَبَعْدَهُمْ وَتَفَارَهُ  
عَلَى ضِمَّةِ النَّيْلِ مِنْ شِمَالِيهِ وَفِي شَرْقِي بِلَادِ وَتَفَارَهُ وَكَاتَمٍ بِلَادُ زَغَاوَةٍ وَتَاجِرَةِ الْمُتَصِلَةِ  
بِأَرْضِ النَّوْبَةِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ وَفِيهِ يَمُرُّ نَيْلُ مِصْرَ ذَاهِبًا مِنْ مَبْدَأِهِ  
عِنْدَ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ إِلَى الْبَحْرِ الْأَرْوَمِيِّ فِي الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ هَذَا النَّيْلُ مِنْ جَبَلِ الْقَمَرِ  
الَّذِي فَوْقَ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَاخْتَلَفُوا فِي ضَبْطِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَضَبَطَهَا  
بَعْضُهُمْ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْيَمِيمِ نِسْبَةً إِلَى قَمَرِ السَّمَاءِ الشَّدِيدِ بَيَاضِهِ وَكَثْرَةِ ضَوْؤِهِ وَفِي  
كِتَابِ الْمُشْتَرَكِ لِيَاكُوتُ بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْيَمِيمِ نِسْبَةً إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ  
وَكَذَا ضَبَطَهُ ابْنُ سَعِيدٍ فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ عَشْرُ عِيُونٍ تَجْتَمِعُ كُلُّ خَمْسَةٍ مِنْهَا فِي بَحِيرَةٍ  
وَيَتَنَهَمَا سِتَّةُ أَمْيَالٍ وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ ثَلَاثَةُ أَنْهَارٍ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا  
فِي بَطْنِيَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَسْفَلِهَا جَبَلٌ مُعَرَّضٌ يُشَقُّ الْبَحِيرَةُ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ وَيَنْقَسِمُ مَاوُهَا  
بِقِسْمَيْنِ فَيَمُرُّ الْقَرْبِيُّ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ مُعَرَّبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْحَمِيطِ وَيَخْرُجُ  
الشَّرْقِيُّ مِنْهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّمَالِ عَلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ وَالنَّوْبَةِ وَقَبَا يَتَنَهَمَا وَيَنْقَسِمُ فِي أَعْلَى  
أَرْضِ مِصْرَ فَيَصُبُّ ثَلَاثَةً مِنْ جَدَاوِلِهِ فِي الْبَحْرِ الْأَرْوَمِيِّ عِنْدَ الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَرَشِيدِ  
وَدِمِياطَ وَيَصُبُّ وَاحِدٌ فِي بَحِيرَةٍ مُلَحَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِالْبَحْرِ فِي وَسْطِ هَذَا الْإِفْلِيمِ  
الْأَوَّلِ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ بِلَادُ النَّوْبَةِ وَالْحَبَشَةِ وَبَعْضُ بِلَادِ الْأَوَاحَاتِ إِلَى أَسْوَانٍ وَحَاضِرَةِ  
بِلَادِ النَّوْبَةِ مَدِينَةُ دَقْلَةَ وَحِيٍّ فِي غَرْبِي هَذَا النَّيْلِ وَبَعْدَهَا عِلَوَةٌ وَبِلَاقُ وَبَعْدَهُمَا جَبَلُ  
الْجَنَادِلِ عَلَى سِتَّةِ مَرَاجِلٍ مِنْ بِلَاقٍ فِي الشَّمَالِ وَهُوَ جَبَلٌ عَالٍ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ وَمُنْخَفِضٌ  
مِنْ جِهَةِ النَّوْبَةِ فَيَنْقُذُ فِيهِ النَّيْلُ وَيَصُبُّ فِي سَهْوٍ بَعِيدٍ صَاهًا ثَلَاثًا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ  
تَسْلُكَهُ الْمَرَاقِبُ بَلْ يَحُولُ الْوَسْقُ مِنْ مَرَاقِبِ السُّودَانِ فَيَحْمِلُ عَلَى الظَّهْرِ إِلَى بَلَدِ

أَسْوَانِ قَاعِدَةِ الصَّعِيدِ إِلَى قَوْقِ الْجَنَادِلِ وَبَيْنَ الْجَنَادِلِ وَأَسْوَانِ اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرَحَلَةً  
وَأَوَّلَاهُ فِي غَرْبِهَا عَدْوَةُ النَّيْلِ وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ وَبِهَا آثَارُ الْعِمَارَةِ الْقَدِيمَةِ . وَفِي وَسْطِ  
هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ بِلَادُ الْحُبْشَةِ عَلَى وَادٍ يَأْتِي مِنَ وَرَاءِ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ  
ذَاهِبًا إِلَى أَرْضِ النَّوْبَةِ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي النَّيْلِ الْهَاطِطِ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ وَهَمَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ  
النَّاسِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ نَيْلِ الْقَمَرِ وَبَطْلِيمُوسُ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ الْجُغَرَاْفِيَا وَذَكَرَ أَنَّهُ  
يَنْسُ مِنْ هَذَا النَّيْلِ . وَإِلَى وَسْطِ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ يَنْتَهِي بَحْرُ الْهِنْدِ الَّذِي  
يَدْخُلُ مِنَ نَاحِيَةِ الصِّينِ وَيَقْعُرُ عَامَّةً هَذَا الْإِفْلِيمِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ  
عُمُرَانٌ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْجُزَائِرِ الَّتِي فِي دَاخِلِهِ وَهِيَ مُتَعَدِّدَةٌ يَقَالُ تَنْتَهِي إِلَى أَلْفِ جَزِيرَةٍ  
أَوْفَمَا عَلَى سَوَاحِلِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ وَلَيْسَ مِنْهَا فِي هَذَا الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَّا طَرَفٌ مِنْ  
بِلَادِ الصِّينِ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَفِي بِلَادِ الْيَمَنِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِيمَا  
بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْهَاطِطَيْنِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ وَهُمَا بَحْرُ قَلْزُومَ وَبَحْرُ  
فَارَسَ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةُ الْعَرَبِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ وَبِلَادِ الشَّعْرِ فِي شَرْقِهَا  
عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَعَلَى بِلَادِ الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا إِلَيْهِمَا كَمَا نَذَكَرَهُ فِي  
الْإِفْلِيمِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ فَأَمَّا الَّذِي عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِهِ فَبَلَدٌ زَالِعٌ مِنَ  
أَطْرَافِ بِلَادِ الْحُبْشَةِ وَبَحَالَاتُ الْبَجَّةِ<sup>(١)</sup> فِي شِمَالِ الْحُبْشَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعَلَاقِي فِي أَعَالِي  
الصَّعِيدِ وَبَيْنَ بَحْرِ الْقَلْزُومِ الْهَاطِطِ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَتَحْتَ بِلَادِ زَالِعٍ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ  
فِي هَذَا الْجُزْءِ خَلِيجُ بَابِ الْمَنْدَبِ يَصِيقُ الْبَحْرَ الْهَاطِطَ هُنَاكَ بِمِرْزَاةِ جَبَلِ الْمَنْدَبِ  
الْمَائِلِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ مُتَمَدًّا مَعَ سَاحِلِ الْيَمَنِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّامِ فِي  
طُولِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا يَصِيقُ الْبَحْرَ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ فِي عَرْضِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ  
أَوْ تَحْوِهَا وَيُسَمَّى بَابَ الْمَنْدَبِ وَعَلَيْهِ تَمْرُ مَرَاكِبُ الْيَمَنِ إِلَى سَاحِلِ السُّوْنِسِ قَرِيبًا  
مِنْ مِصْرَ وَتَحْتَ بَابِ الْمَنْدَبِ جَزِيرَةُ سَوَاكِينَ وَدَهْلَاكَ وَقِبَالَتُهُ مِنْ غَرْبِهِ بَحَالَاتُ الْبَجَّةِ  
مِنْ أَمْرِ السُّودَانِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ شَرْقِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ تِهَامُ الْيَمَنِ وَمِنْهَا عَلَى سَاحِلِهِ  
بَلَدٌ عَلَى بَنِ يَعْقُوبَ وَفِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْ بَلَدِ زَالِعٍ وَعَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِهِ قُرَى  
بَرْبَرٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَغْطِفُ مِنْ جَنُوبِهِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَكُونُ هُنَاكَ مِنْ

جِهَةٌ شَرْقِيَّهَا بِلَادُ الرُّمِ ثُمَّ بِلَادُ سَفَالَةَ مِنْ سَاحِلِهِ الْجَنُوبِيَّ بِلَادُ الْوُفُوقِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى  
 آخِرِ الْجَزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ عِنْدَ مَنْحَلِّ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْبَحْرِ الْحَمِيضِ . وَأَمَّا  
 جَزَائِرُ هَذَا الْبَحْرِ فَكَثِيرَةٌ . مِنْ أَكْثَرِهَا جَزِيرَةُ مَرْتَدِبِ مَدَوْرَةِ الشَّكْلِ . وَبِهَا  
 الْجَبَلُ الْمَشْهُورُ بِقَالَ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَى مِنْهُ وَهِيَ قِبَالَةُ سَفَالَةَ . ثُمَّ جَزِيرَةُ الْقَمَرِ وَهِيَ  
 جَزِيرَةُ مُسْتَطِيلَةٌ تَبْدَأُ مِنْ قِبَالَةِ أَرْضِ سَفَالَةَ وَتَذْهَبُ إِلَى الشَّرْقِ مُتَّعِفَةً بِكَثِيرٍ إِلَى  
 أَنْ تَقْرُبَ مِنْ سَوَاحِلِ أَعَالِي الصِّينِ وَيَحْتَفِ بِهَا فِي هَذَا الْبَحْرِ مِنْ جَنُوبِهَا جَزَائِرُ الْوُفُوقِ  
 وَمِنْ شَرْقِيَّهَا جَزَائِرُ السَّيْلَانِ إِلَى جَزَائِرِ أُخْرَى فِي هَذَا الْبَحْرِ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ وَفِيهَا أَنْوَاعُ  
 الطَّيْرِ وَالْأَنْفَاقِ وَفِيهَا يُقَالُ مَعَادِنُ الذَّهَبِ وَالزُّمُرُودِ وَعَامَّةُ أَهْلِهَا عَلَى دِينِ الْيَهُودِ  
 وَفِيهِمْ مُلُوكٌ مُتَعَدِّدُونَ وَبِهَذِهِ الْجَزَائِرِ مِنْ أَحْوَالِ الْيَمَانِ عَجَائِبُ ذَكَرَهَا أَهْلُ الْيَمَانِ  
 وَعَلَى النِّصْفَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي الْجَزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ الْيَمَنِ كُلُّهَا  
 فَمِنْ جِهَةِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ بِلَادُ زَيْدٍ وَالْمَحْجَمِ وَنَهَامَةُ الْيَمَنِ وَبَعْدَهَا بِلَادُ صَعْدَةَ مَقَرِ الْأَمَةِ  
 الزُّبَيْدِيَّةِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنِ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَعَنِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ وَفِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَدِينَةُ عَدَنَ  
 وَفِي شَمَالِهَا صَنْعَاءُ وَبَعْدَهَا إِلَى الْمَشْرِقِ أَرْضُ الْأَخْفَانِ وَطَفَارٍ وَبَعْدَهَا أَرْضُ  
 حَضْرَمَوْتِ ثُمَّ بِلَادُ الشَّيْخِ مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَبَحْرِ قَارِسَ . وَبِهَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنَ الْجَزْءِ  
 السَّادِسِ هِيَ الَّتِي انْكَشَفَتْ عَنْهَا الْبَحْرُ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْوُسْطَى وَيَتَكَشَّفُ  
 بَعْدَهَا قَلِيلٌ مِنَ الْجَزْءِ التَّاسِعِ وَأَكْثَرُ مِنْهُ مِنَ الْعَاشِرِ فِيهِ أَعَالِي بِلَادِ الصِّينِ وَمِنْ مَدِينِهِ  
 الشَّهِيرَةِ خَانِكُو وَقِبَالَتُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَزَائِرُ السَّيْلَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَهَذَا آخِرُ  
 الْكَلَامِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِي الْوُفُوقِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ

الْإِقْلِيمِ الثَّانِي \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالْأَوَّلِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ وَقِبَالَةُ الْمَغْرِبِ مِنْهُ فِي الْبَحْرِ  
 الْحَمِيضِ جَزِيرَتَانِ مِنَ الْجَزَائِرِ الْخَالِدَاتِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الْجَزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْهُ  
 فِي الْجَنَابِ الْأَعْلَى مِنْهَا أَرْضُ قُورِيَّةٍ وَبَعْدَهَا فِي جِهَةِ الشَّرْقِ أَعَالِي أَرْضِ غَانَةَ ثُمَّ مَجَالَاتُ  
 زَغَاوَةَ مِنَ السُّودَانِ وَفِي الْجَنَابِ الْأَسْفَلِ مِنْهَا صَحْرَاءُ يَسْتَرُ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْقَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ  
 ذَاتُ مَفَاوِزٍ تَسْلُكُ فِيهَا التَّجَارُ مَا بَيْنَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ السُّودَانِ وَفِيهَا مَجَالَاتُ  
 الْمَلْثَمِينَ مِنْ صِنَاهَاةٍ وَهُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مَا بَيْنَ كَرْوَلَةَ وَلِمْنُونَةَ وَمَسْرَاتَةَ وَلِمَنْطَةَ  
 وَوَرِيكَتَةَ وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْمَفَاوِزِ شَرْقًا أَرْضُ فِرْزَانَ ثُمَّ مَجَالَاتُ أَرْكَازَ مِنْ قِبَالِ

الْبَرَبِ ذَاهِبَةً إِلَى أَعَالِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ عَلَى سَمْتَيْهَا فِي الشَّرْقِ وَبَعْدَهَا مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّلَاثِ  
 وَهِيَ جِهَةُ الشَّمَالِ مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضٍ وَذَانِ وَعَلَى سَمْتَيْهَا شَرْقًا أَرْضٌ سِنْدِيَّةٌ وَتُسَمَّى الْوَأَحَاتِ  
 الْمُدَاخِلَةُ وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ أَعْلَاهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْبَاحَوَيْنِ ثُمَّ يَبْتَغِضُ فِي وَسْطِ هَذَا  
 الْجُزْءِ بِلَادُ الصَّعِيدِ حَافَتُ النِّيلِ اللَّهَابِ مِنْ مَبْدَأِهِ فِي تِلْكَ الْوَأَحَاتِ الْأُولَى إِلَى مَصْبِ فِي  
 الْبَحْرِ فَيَنْتَرُ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ الْحَاجَرَيْنِ وَهُمَا جَبَلُ الْوَأَحَاتِ مِنْ غَرْبِيَّةٍ وَجَبَلُ  
 الْمَقْطَمِ مِنْ شَرْقِيَّةٍ وَعَلَيْهِ مِنْ أَعْلَاهُ بِلَادُ أَسْنَا وَأَزْمَنْتَ وَيَصِلُ كَذَلِكَ حَافَتُهُ إِلَى  
 أَسْوَطِ وَتَوْصُ ثُمَّ إِلَى صُولٍ وَيَقْتَرِقُ النِّيلُ هُنَاكَ عَلَى شَعْبَيْنِ يَنْتَهِي الْأَمْنِ مِنْهُمَا فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ عِنْدَ الْأُمُومِ وَالْأَيْسَرِ عِنْدَ دِلَاصٍ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا أَعَالِي دِيَارِ مِصْرَ وَفِي الشَّرْقِ مِنْ  
 جَبَلِ الْمَقْطَمِ مَحَارِي عِيَذَابٍ ذَاهِبَةً فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى بَحْرِ السُّونِسِ  
 وَهُوَ بَحْرُ الْقَلْزُومِ الْمَاطِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ فِي الْجَنُوبِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ فِي عُلُوَّتِهِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ الْعِجَازِ مِنْ جَبَلٍ يَلْمَلَمُ إِلَى بِلَادِ يَنْزَبِ فِي وَسْطِ الْعِجَازِ  
 مَكَّةُ شَرْفَهَا اللَّهُ وَفِي سَاحِلِهَا مَدِينَةُ جَدَّةَ لِقَابِلُ بِلَادِ عِيَذَابٍ فِي الْعُدُوَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا  
 الْبَحْرِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ غَرْبِيَّةِ بِلَادُ نَجْدٍ أَعْلَاهَا فِي الْجَنُوبِ وَتَبَالُهُ وَجُرُشُ إِلَى  
 عُكَاظٍ مِنَ الشَّمَالِ وَتَحْتَ نَجْدٍ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْعِجَازِ وَعَلَى سَمْتَيْهَا فِي الشَّرْقِ  
 بِلَادُ نَجْرَانَ وَخَبَرَ وَتَحْتَهَا أَرْضُ الْيَمَامَةِ وَعَلَى سَمْتِ نَجْرَانَ فِي الشَّرْقِ أَرْضُ سَبَا وَمَارِبَ  
 ثُمَّ أَرْضُ الشَّحْرِ وَتَنْتَهِي إِلَى بَحْرِ فَارَسَ وَهُوَ الْبَحْرُ الثَّانِي الْمَاطِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 إِلَى الشَّمَالِ كَمَا مَرَّ وَيَذْهَبُ فِي هَذَا الْجُزْءِ بِالنَّجْرَانِ إِلَى الْقَرْبِ فَيَمُرُّ مَا بَيْنَ شَرْقِيَّةِ  
 وَجَوْبِيَّةِ قِطْعَةً مِثْلَةً طَبْعًا مِنْ أَعْلَاهُ مَدِينَةُ فَلْهَاتِ وَهِيَ سَاحِلُ الشَّحْرِ ثُمَّ تَحْتَهَا عَلَى سَاحِلِهِ  
 بِلَادُ عُكَاظٍ ثُمَّ بِلَادُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرُ مِنْهَا فِي آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْ  
 غَرْبِيَّةِ قِطْعَةً مِنْ بَحْرِ فَارَسَ تَتَّصِلُ بِالْقِطْعَةِ الْآخَرَى فِي السَّادِسِ وَيَتَمَرُّ بَحْرُ الْهِنْدِ جَانِبَهُ  
 الْأَعْلَى كُلُّهُ وَعَلَيْهِ هُنَاكَ بِلَادُ السِّنْدِ إِلَى بِلَادِ مَكْرَانَ وَيُقَابِلُهَا بِلَادُ الطُّوْبِرَانَ وَهِيَ مِنْ  
 السِّنْدِ أَيْضًا فَيَصِلُ السِّنْدُ كُلُّهُ فِي الْجَانِبِ الْقَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَتَحُولُ الْمَقَاوِرُ بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ وَيَمُرُّ فِيهِ نَهْرُهُ لَا تَنِي مِنْ نَاحِيَةِ بِلَادِ الْهِنْدِ وَيَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 فِي الْجَنُوبِ وَأَوَّلُ بِلَادِ الْهِنْدِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَفِي سَمْتَيْهَا شَرْقًا بِلَادُ بَلَهْرَا وَتَحْتَهَا  
 فِي الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ أَرْضُ كَابِلَ وَبَعْدَهَا شَرْقًا إِلَى الْبَحْرِ الْعَبِيطِ بِلَادُ الْقَنْوَجِ مَا بَيْنَ



قَسْمِيرَ الْمَخِيلَةِ وَقَسْمِيرَ أَخْجَارِجَةَ عِنْدَ آخِرِ الْأَقْلِيمِ وَفِي الْجُزْءِ النَّاسِعِ ثُمَّ فِي الْجَنْبِ  
الْقَرْيَةِ مِنْهُ بِلَادُ أَلْهَنْدِ الْأَقْصَى وَيَتَّصِلُ فِيهِ إِلَى الْجَنْبِ الشَّرْقِيِّ فَيَتَّصِلُ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى  
الْعَاشِرِ وَتَبَقِيَ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ الْجَنْبِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ فِيهَا مَدِينَةُ شِهُونُ ثُمَّ يَتَّصِلُ  
بِلَادُ الصِّينِ فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى الْبَحْرِ الْحَمِيطِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِهِ سُبْحَانَهُ  
التَّوْفِيقِيُّ وَهُوَ وَلِيُّ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ

الْأَقْلِيمُ الثَّلَاثُ \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالثَّانِي مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ وَعَلَى  
نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ أَعْلَاهُ جَبَلٌ دَرَنٌ مُعْتَرِضٌ فِيهِ مِنْ غَرْبِيهِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ إِلَى الشَّرْقِ  
عِنْدَ آخِرِهِ وَيَسْكُنُ هَذَا الْجَبَلُ مِنَ الْبَرَبَرِ أُمَّ لَا يُعْصِيهِمْ إِلَّا خَالِفُهُمْ حَسْبَمَا يَأْتِي  
ذِكْرُهُ وَفِي الْقِطْعَةِ الَّتِي بَيْنَ هَذَا الْجَبَلِ وَالْأَقْلِيمِ الثَّانِي وَعَلَى الْبَحْرِ الْحَمِيطِ مِنْهَا رِبَاطُ  
مَاسَةٍ وَيَتَّصِلُ بِهِ شَرْقًا بِلَادُ سُوسٍ وَنُؤُلْ وَعَلَى مَتْنِهَا شَرْقًا بِلَادُ دَرْعَةٍ ثُمَّ بِلَادُ مِجْلَمَاسَةٍ  
ثُمَّ قِطْعَةٌ مِنْ مَخْرَافَةِ نِسْتَرِ الْمَفَارِجَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي الْأَقْلِيمِ الثَّانِي وَهَذَا الْجَبَلُ مُطْلٍ  
عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ وَهُوَ قَلِيلُ الثَّنَائِيَا وَالنَّاسِكَاتِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ الْقَرْيَةِ  
إِلَى أَنْ يَسَامَتْ وَادِي مَلُوبَةٍ فَتَكْثُرُ ثَنَائِيَاهُ وَمَسَالِكُهَا إِلَى أَنْ يَنْشَعِيَ وَفِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ  
مِنْهُ أُمُّ الْمَصَامِدَةِ ثُمَّ هَنْتَانَةٌ ثُمَّ تَيْمَلَاكٌ ثُمَّ كَذْمِيوَةٌ ثُمَّ مَشْكُورَةٌ وَفِي آخِرِ الْمَصَامِدَةِ  
فِيهِ ثُمَّ قَبَائِلُ صِنَهَاكَةٍ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْهُ بَعْضُ قَبَائِلِ زَنَانَةٍ وَيَتَّصِلُ  
بِهِ هُنَاكَ مِنْ جَوْفِيهِ جَبَلٌ أَوْرَاسٌ وَهُوَ جَبَلٌ كُنْتَامَةٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أُمُّ أُخْرَى مِنَ الْبَرَابِرَةِ  
تَذَكَّرْتُمْ فِي أَمَّا كَيْفِهِمْ ثُمَّ إِنْ جَبَلٌ دَرَنٌ هَذَا مِنْ جِهَةِ غَرْبِيهِ مُطْلٍ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ  
الْأَقْصَى وَفِي جَوْفِيهِ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا بِلَادُ مَرَاكِشٍ وَأَغْمَاتٍ وَتَادَلَا وَعَلَى  
الْبَحْرِ الْحَمِيطِ مِنْهَا رِبَاطُ أَسْقَى وَمَدِينَةُ سَلَا وَفِي الْمَجُوفِ عَنْ بِلَادِ مَرَاكِشٍ بِلَادُ فَاكِسٍ  
وَمِكْنَسَةٍ وَتَارَا وَقَصْرُ كُنْتَامَةٍ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تَسْمَى الْمَغْرِبَ الْأَقْصَى فِي عَرَفِ أَهْلِهَا  
وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ مِنْهَا بِلْدَانُ أَصِيلَا وَالْفَرَايشِ وَفِي مَتْنِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ  
الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ وَقَاعِدَتُهَا تَلْمَسَانُ وَفِي مَوَاطِلِهَا عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِلْدَانُ هِنِينَ وَوَهْرَانُ  
وَالْجَزَائِرُ لِأَنَّ هَذَا الْبَحْرَ الرُّومِيَّ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ مِنْ خَلِيجِ طَنْجَةِ فِي النَّاحِيَةِ  
الْقَرْيَةِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا فَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَإِذَا خَرَجَ مِنَ  
الْخَلِيجِ الْمُتَضَائِقِ غَيْرَ بَعِيدٍ انْفَسَحَ جَنُوبًا وَشَمَالًا فَدَخَلَ فِي الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ

فَلِهَذَا كَانَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثُ الْكَثِيرُ مِنْ بِلَادِهِ ثُمَّ يَتَّصِلُ بِبِلَادِ  
الْجَزَائِرِ مِنْ شَرْقِيَّهَا بِلَادُ بَجَابَةِ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ ثُمَّ قُسْطَنْطِينِيَّةُ فِي الشَّرْقِ مِنْهَا وَفِي آخِرِ  
الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَعَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَمُرْتَفَعًا إِلَى جَنُوبِ  
الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ بَلَدٌ أَشِيرٌ ثُمَّ بَلَدُ الْمَسِيلَةِ ثُمَّ الرَّابِعُ وَقَاعِدَتُهُ بِسُكْرَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ أَوْ رَاسٍ  
الْمُنْتَصِلِ بِدَرَنْ كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ عِنْدَ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَالْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ  
هَذَا الْإِقْلِيمِ عَلَى هَيْئَةِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جَبَلٌ دَرَنْ عَلَى تَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ جَنُوبِهِ ذَاهِبًا فِيهِ  
مِنْ غَرْبٍ إِلَى شَرْقٍ فَيَقْسِمُهُ بِقِطْعَتَيْنِ وَيَتَمَرُّ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ مَسَافَةً مِنْ شِمَالِهِ فَالْقِطْعَةُ  
الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلٍ دَرَنْ غَرْبِيًّا كُلُّهُ مُنَاوِرٌ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا بَلَدٌ عُدَامِسَ وَفِي شَمَتِهَا شَرْقًا  
أَرْضٌ وَدَّانَ الَّتِي بَقِيَّتْهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي كَمَا مَرَّ وَالْقِطْعَةُ الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلٍ دَرَنْ مَا  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْغَرْبِ مِنْهَا جَبَلُ أَوْ رَاسٍ وَتَبَسَّةٌ وَالْأَوَّلُ وَعَلَى سَاحِلِ  
الْبَحْرِ بَلَدٌ بُونَةُ ثُمَّ فِي تَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ أَفْرِيْقِيَّةَ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مَدِينَةُ  
تُونِسَ ثُمَّ الْأُسُوسَةُ ثُمَّ الْمَهْدِيَّةُ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ تَحْتَ جَبَلٍ دَرَنْ بِلَادُ الْجَرْيِدِ  
تَوَزَّرَ وَقَصَّةٌ وَتَفَرَّاقَةٌ وَفِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السُّوَاكِ مَدِينَةُ الْقَبْرَوَانِ وَجَبَلٌ وَسَلَاتٌ وَسَيْطَلَةُ  
وَعَلَى تَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا شَرْقًا بَلَدٌ طَرَابُلُسَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَبِأَوْرَاقَتِهَا فِي الْجَنُوبِ  
جَبَلٌ دَمْرٌ وَتَفَرَّةٌ مِنْ قِبَالِ هَوَارَةَ مُتَّصِلَةٌ بِجَبَلٍ دَرَنْ وَفِي مُقَابَلَةِ عُدَامِسَ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا  
فِي آخِرِ الْقِطْعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَآخِرُ هَذَا الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ سَوِيْقَةٌ أَيْنُ مَشْكُورَةٌ عَلَى الْبَحْرِ  
وَفِي جَنُوبِهَا مَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِي أَرْضٍ وَدَّانَ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بَمَرُ أَيْضًا  
فِيهِ جَبَلٌ دَرَنْ إِلَّا أَنَّهُ يَنْعَطِفُ عِنْدَ آخِرِهِ إِلَى الشَّمَالِ وَيَذْهَبُ عِلْمُ شَمَتِهِ إِلَى أَنَّ يَدْخُلَ  
فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُسَمَّى هُنَاكَ طَرَفَ أَوْتَانَ وَالْبَحْرُ الرُّومِيُّ مِنْ شِمَالِهِ يَتَمَرُّ طَائِفَةً  
مِنْهُ إِلَى أَنَّ يَصَاقِبَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَلٍ دَرَنْ فَالَّذِي وَرَاءَ الْجَبَلِ فِي الْجَنُوبِ وَفِي الْغَرْبِ  
مَنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضٍ وَدَّانَ وَمَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِيهَا ثُمَّ زَوِيلَةُ أَيْنُ خَطَّابٍ ثُمَّ رِمَالٌ وَقَفَارٌ إِلَى  
آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَفِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ فِي الْغَرْبِ مِنْهُ بَلَدٌ سَرَتْ عَلَى الْبَحْرِ ثُمَّ  
خَلَاةٌ وَقَفَارٌ يَجُولُ فِيهَا الْعَرَبُ ثُمَّ أَجْدَابِيَّةٌ ثُمَّ بَرَقَةٌ عِنْدَ مُنْعَطِفِ الْجَبَلِ ثُمَّ طَلَمَسَةٌ عَلَى  
الْبَحْرِ هُنَاكَ ثُمَّ فِي شَرْقِ الْمُنْعَطِفِ مِنَ الْجَبَلِ مَجَالَاتُ هَيْبٍ وَرَوَاحَةُ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْأَعْلَى مِنْ غَرْبِيَّةِ صَحَارَى بَرْفِيْقٍ وَأَسْفَلَ مِنْهَا

بِلَادُ هَيْبَ وَرَوَاحَةَ ثُمَّ يَدْخُلُ الْبَحْرُ الرُّومِيَّ فِي هَذَا الْجُزْءِ فَيَعْمُرُ طَائِفَةً مِنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ  
 حَتَّى يَزَاحِمَ طَرَفَهُ الْأَعْلَى وَيَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخِرِ الْجُزْءِ قِفَارٌ يُجُولُ فِيهَا الْعَرَبُ وَعَلَى سَمْتِهَا  
 شَرْقًا بِلَادُ الْقَيْسُومِ وَهِيَ عَلَى مَصَبِ أَحَدِ الشَّعْبَيْنِ مِنَ النَّيْلِ الَّذِي يَمُرُّ عَلَى الْأَلاهُونِ مِنْ  
 بِلَادِ الصَّعِيدِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الثَّانِي وَيَصُبُّ فِي بَحْرَةِ قَيْسُومَ وَعَلَى سَمْتِهِ شَرْقًا  
 أَرْضُ مِصْرَ وَمَدِينَتُهَا الشَّهْبِيرَةُ عَلَى الشَّعْبِ الثَّانِي الَّذِي يَمُرُّ بِدَلَّاسٍ مِنْ بِلَادِ الصَّعِيدِ  
 عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ الثَّانِي وَيَفْتَرِقُ هَذَا الشَّعْبُ اقْتِرَافَةً ثَانِيَةً مِنْ تَحْتِ مِصْرَ عَلَى شُعْبَيْنِ  
 آخَرَيْنِ مِنْ شُعُنُوفٍ وَرَفِّي وَتَنْقَسِمُ الْأَقْلِيمُ مِنْهُمَا مِنْ قَرْمُطٍ بِشُعْبَيْنِ آخَرَيْنِ وَيَصُبُّ  
 جَمِيعُهُمَا فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فَعَلَى مَصَبِ الْغُرِّيِّ مِنْ هَذَا الشَّعْبِ بِلَادُ الْأَسْكَدَرِيَّةِ وَعَلَى  
 مَصَبِ الْوَسْطِ بِلَادُ رَشِيدَ وَعَلَى مَصَبِ الشَّرْقِيِّ بِلَادُ دِمِيَاطَ وَبَيْنَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ وَبَيْنَ  
 هَذِهِ السَّوَاوِلِ الْبَحْرِيَّةِ أَسْفَلُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ كُلُّهَا مَحْشُوءَةٌ عُمَرَانًا وَقَلْبًا وَفِي الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ بِلَادُ الشَّامِ وَأَكْثَرُهَا عَلَى مَا أَصِفُ وَذَلِكَ لِأَنَّ بَحْرَ الْقَلْزَمِ  
 يَنْتَهِي مِنَ الْجَنُوبِ وَفِي الْغَرْبِ مِنْهُ عِنْدَ السُّوَيْسِ لِأَنَّهُ فِي مَعْرُوفٍ مُبْتَدِئٍ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 إِلَى الشَّامِ يَتَعَطَّفُ أَخَذًا إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ فَيَكُونُ قِطْعَةً مِنْ أَمْعَانِيهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ  
 طَوِيلَةً فَيَنْتَهِي فِي الْغَرْبِ الْغُرِّيِّ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ وَعَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ بَعْدَ السُّوَيْسِ  
 قَارَانُ ثُمَّ جَبَلُ الطُّورِ ثُمَّ أَيْلَةُ مِدْيَنَ ثُمَّ الْحَوْزَاءُ فِي آخِرِهَا وَمِنْ هُنَاكَ يَتَعَطَّفُ بِسَاحِلِهِ  
 إِلَى الْجَنُوبِ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَمَا مَرَّ فِي الْأَقْلِيمِ الثَّانِي فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي  
 النَّاحِيَةِ الشَّامِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عَمُومَتٌ كَثِيرًا مِنْ غُرِّيَّةِ  
 عَلَيْهِمُ الْقُرْمَا وَالْعَرِيشُ وَقَارِبُ طَرَفُهَا بِلَادُ الْقَلْزَمِ فَيَصَاقِقُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هُنَاكَ وَيَبْقَى شَيْءٌ  
 الْبَابِ مُفْضِيًا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ وَفِي غُرِّيِّ هَذَا الْبَابِ قَحْصُ الْبَيْتِ أَرْضُ جَزْدَاهُ لَا تُنْبِتُ  
 كَانَتْ جَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ وَقَبْلَ دُخُولِهِمْ إِلَى الشَّامِ أَرْبَعِينَ  
 سَنَةً كَمَا قُصَّ الْقُرْآنُ وَفِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي هَذَا الْجُزْءِ طَائِفَةٌ مِنْ  
 جَزِيرَةِ قُبْرُصَ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ كَمَا نَذَكُرُهُ وَعَلَى سَاحِلِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ عِنْدَ  
 الْغَرْبِ الْمُتَصَاقِقِ لِبَحْرِ السُّوَيْسِ بِلَادُ الْعَرِيشِ وَهُوَ آخِرُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَعَسْفَلَانُ  
 وَبَيْنَهُمَا طَرَفُ هَذَا الْبَحْرِ ثُمَّ تَقَطُّ هَذِهِ الْقِطْعَةُ فِي أَمْعَانِهَا مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْأَقْلِيمِ  
 الرَّابِعِ عِنْدَ طَرَابُلُسَ وَغَزَّةَ وَهُنَاكَ يَنْتَهِي الْبَحْرُ الرُّومِيُّ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَعَلَى هَذِهِ

الْقِطْعَةُ أَكْثَرُ سَوَاحِلِ الشَّامِ فِي شَرْقِهِ غَزَّةٌ ثُمَّ عَسْقَلَانُ وَبِأَنْحِرَافٍ يَسِيرُ عَنْهَا إِلَى الشَّامِ بِلَدٍّ فَيْسَارِيَّةٍ ثُمَّ كَذَلِكَ بِلَدِّ عَكَّا ثُمَّ صُورٌ ثُمَّ صَيْدَاهُ ثُمَّ يَنْعَطِفُ الْبَحْرُ إِلَى الشَّامِ فِي الْإِلْفِ الرَّابِعِ وَيُقَابِلُ هَذِهِ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُخْرُجُ مِنْ سَاحِلِ أَيْلَةَ مِنْ بَحْرِ الْقَلْزُومِ وَيَذْهَبُ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ مُنَحْرِقًا إِلَى الشَّرْقِ إِلَى أَنْ يُجَاوِزَ هَذَا الْجُزْءَ وَيُسَمَّى جَبَلُ الْكَمِّ وَكَانَهُ حَاجِزَ بَيْنِ أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ فِي طَرَفِهِ عِنْدَ أَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا الْحِجَّاجُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ بَعْدَهَا فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ مَدْفَنُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ جَبَلِ السَّرَاةِ يَتَّصِلُ مِنْ عِنْدِ جَبَلِ الْكَمِّ الْمَدَنُ كُورٍ مِنْ شَمَالِ الْعَقَبَةِ ذَاهِبًا عَلَى مَتْنِ الشَّرْقِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ قَلِيلًا وَفِي شَرْقِهِ هُنَاكَ بِلَدُّ الْحَجَرِ وَدِيَارُ نَمُودَ وَتِمَاهُ وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ وَفِي أَسْفَلِ الْحِجَّازِ وَفَوْقَهَا جَبَلٌ رَضَى وَحَصُونٌ خَيْرٌ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ عَنْهَا وَفِيمَا بَيْنَ جَبَلِ السَّرَاةِ وَبَحْرِ الْفُلْزُومِ صَخْرَاهُ ثُبُوكٌ وَفِي شَمَالِ جَبَلِ السَّرَاةِ مَدِينَةُ الْقُدْسِ عِنْدَ جَبَلِ الْكَمِّ ثُمَّ الْأَرْدُنُّ ثُمَّ طَبْرِيَّةٌ وَفِي شَرْقِيهَا بِلَادُ الْفُوزِ إِلَى أَذْرُعَاتٍ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا دُومَةُ الْجَنْدَلِ آخِرُ هَذَا الْجُزْءِ وَفِي آخِرِ الْحِجَّازِ وَعِنْدَ يَنْعَطِفِ جَبَلُ الْكَمِّ إِلَى الشَّامِ مِنْ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مَدِينَةُ دِمَشْقَ مُقَابِلَةَ صَيْدَا وَبَبُرُوتَ مِنَ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ وَجَبَلُ الْكَمِّ يَعْطُرُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا وَعَلَى سَمْتِ دِمَشْقَ فِي الشَّرْقِ مَدِينَةُ بَعْلَبَكْ ثُمَّ مَدِينَةُ حِمصَ فِي الْجِهَةِ الشَّامِيَّةِ آخِرُ الْجُزْءِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ جَبَلِ الْكَمِّ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ بَعْلَبَكْ وَحِمصَ بِلَدُّ تَنْمُرُ وَتَجَالُاتُ الْبَادِيَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ أَعْلَاهُ تَجَالُاتُ الْأَعْرَابِ تَحْتَ بِلَادِ تَجْدٍ وَالْيَمَامَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الرَّجَجِ وَالصَّامَانَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَحَجَرٌ عَلَى بَحْرِ فَارِسَ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا الْجُزْءِ تَحْتَ التَّجَالُاتِ بِلَدُّ الْحِيرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَمَعَايِضُ الْفُرَاتِ وَفِيمَا بَعْدَهَا شَرْقًا مَدِينَةُ الْبَصْرَةِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ يَنْشَعِي بَحْرُ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَالْأَبْلَةَ مِنْ أَسْفَلِ الْجُزْءِ مِنْ شَمَالِهِ وَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ عِبَادَانَ نَهْرٌ دَجَاجَةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْقَسِمَ بِجَدَاوِلَ كَثِيرَةٍ وَتُخْلَطُ بِهِ جَدَاوِلُ أُخْرَى مِنَ الْفُرَاتِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ كُلُّهَا عِنْدَ عِبَادَانَ وَتَصُبُّ فِي بَحْرِ فَارِسَ وَهَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْبَحْرِ مُسَمَّاةٌ فِي أَعْلَاهُ مُتَضَافَةً فِي آخِرِهِ فِي شَرْقِيَّةٍ وَسَبْقَةً عِنْدَ مُنْتَهَاهَا مُضَافَةً لِلْعَدَّةِ الشَّامِيَّةِ مِنْهُ وَعَلَى عُدُوتِهَا الْغُرَيْبَةُ مِنْهُ أَسْفَلُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجَرٌ وَالْأَحْسَاءُ وَفِي غَرْبِهَا أَخْطَبُ وَالصَّامَانُ وَبَقِيَّةُ أَرْضِ الْيَمَامَةِ وَعَلَى عُدُوتِهِ الشَّرْقِيَّةِ سَوَاحِلُ فَارِسَ مِنْ

أَعْلَاهَا وَهُوَ مِنْ عِنْدِ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّرْقِ عَلَى طَرَفٍ قَدِ امْتَدَّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مُشْرِقًا  
وَوَرَاءَهُ إِلَى الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جِبَالُ الْقَنْصِ مِنْ كُرْمَانَ وَتَحْتَ هِرْمِزٍ بِلَادُ فَارِسَ  
مِثْلُ سَابُورَ وَدَارَا بَجَرْدَ وَنَسَا وَإِصْطَخَرُ وَالشَّاهِيانِ وَشِيرَازَ وَهِيَ قَاعِدَتُهَا كُلُّهَا وَتَحْتَ بِلَادِ  
فَارِسَ إِلَى الشَّمَالِ عِنْدَ طَرَفِ الْبَحْرِ بِلَادُ خُودَسْتَانَ وَمِنْهَا الْأَهْوَاذُ وَتَسْتُرُ وَصَدَى وَسَابُورُ  
وَالسُّوسُ وَرَامَ هِرْمِزَ وَغَدَرَهَا وَأَرْجَانَ وَهِيَ حَدُّ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَخُودَسْتَانَ جِبَالُ الْأَكْرَادِ  
مُصَلَّةٌ إِلَى تَوَاحِي أَصْهَانَ وَبِهَا مَسَاكِينُهُمْ وَجِبَالَتُهُمْ وَرَافِعَاتُهَا فِي أَرْضِ فَارِسَ وَتُسَمَّى  
الرُّسُومُ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْهُ مِنَ الْمَغْرِبِ بَقِيَّةُ جِبَالِ الْقَنْصِ وَبِهَا مِنْ  
الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ بِلَادُ كُرْمَانَ وَمَكْرَانَ وَمِنْ مَدِينَتِهَا الرُّودُ وَالشَّيْبَرَجَانُ وَجِيرَفَتُ وَبَزْدَ شِيرُ  
وَالنَّهْرُجُ وَتَحْتَ أَرْضِ كُرْمَانَ إِلَى الشَّمَالِ بَقِيَّةُ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى حُدُودِ أَصْهَانَ وَمَدِينَتُهُ  
أَصْهَانَ فِي طَرَفِ هَذَا الْجُزْءِ مَا بَيْنَ غَرْبِهِ وَشَمَالِهِ ثُمَّ فِي الْمَشْرِقِ عَنْ بِلَادِ كُرْمَانَ وَبِلَادِ  
فَارِسَ أَرْضُ مِجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ كُوهَسْتَانَ فِي الشَّمَالِ أَغْرَبًا وَبِتَوْسِطِ  
بَيْنَ كُرْمَانَ وَفَارِسَ وَبَيْنَ مِجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ وَفِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ الْفَاوِزُ الْعَظْمَى  
الْقَلِيلَةُ الْمَسَالِكُ لِصُعُوبَتِهَا وَمِنْ مَدُنِ مِجِسْتَانَ بَسْتُ وَالطَّاقُ وَأَمَّا كُوهَسْتَانَ فَبِهَا مِنْ بِلَادِ  
خُرَّاسَانَ وَمِنْ مَشَاهِيرِ بِلَادِهَا سَرْخُسُ وَنُوهَسْتَانَ آخِرُ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ  
وَجَنُوبِهِ جِبَالَاتُ الْبَلُخِ مِنْ أَمْرِ التُّرْكِ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ مِجِسْتَانَ مِنْ غَرْبِهَا وَبِأَرْضِ كَابِلِ  
الْهِنْدِ مِنْ جَنُوبِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ هَذِهِ الْجِبَالَاتِ جِبَالُ الْفُورِ وَبِلَادُهَا وَقَاعِدَتُهَا غَزَنَةُ  
فُرُضَةُ الْهِنْدِ وَفِي آخِرِ الْفُورِ مِنَ الشَّمَالِ بِلَادُ أَسْتَرَابَادَ ثُمَّ فِي الشَّمَالِ غَرْبًا إِلَى آخِرِ  
الْجُزْءِ بِلَادُ هَرَاتَ أَوْسَطُ خُرَّاسَانَ وَبِهَا أَسْفَرَايُنَ وَقَاشَانَ وَبُوشَنجَ وَمَرُؤَ الرُّودِ وَالطَّلَاقَانَ  
وَالْجُوزْجَانَ وَتَنْتَهِي خُرَّاسَانَ هُنَاكَ إِلَى نَهْرِ جِيخُونَ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ  
مِنْ غَرْبِهِ مَدِينَةُ بَلُخَ وَفِي شَرْقِيهِ مَدِينَةُ تَرْمَذَ وَمَدِينَةُ بَلُخَ كَانَتْ كُرْسِيَّ مَمْلَكَةِ التُّرْكِ  
وَهَذَا النَّهْرُ نَهْرُ جِيخُونَ مَخْرَجُهُ مِنْ بِلَادِ وَجَارِ فِي حُدُودِ بَدَخْشَانَ مِمَّا يَلِي الْهِنْدَ وَيَخْرُجُ  
مِنْ جَنُوبِ هَذَا الْجُزْءِ وَعِنْدَ آخِرِهِ مِنَ الشَّرْقِ فَيَنْعَطِفُ عَنْ قُرْبٍ مَغْرِبًا إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ  
وَيُسَمَّى هُنَاكَ نَهْرُ خَرَنْدَابَ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَمُرَّ بِخُرَّاسَانَ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِهِ  
إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي بَحْرِ خَوَازِمَ فِي الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ كَمَا نَذَرُوهُ وَبُعْدُهُ عِنْدَ أَنْعَاطِهِ  
فِي وَسْطِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ خَمْسَةُ أَتْهَارٍ عَظِيمَةٍ مِنْ بِلَادِ الْخَلَجِ وَالْوُخْشِ

مِنْ شَرْقِيهِ وَأَنهَارُ أُخْرَى مِنْ جِبَالِ الْبَتهَمِ مِنْ شَرْقِيهِ أَيْضًا وَجَوَافِ الْجَبَلِ حَتَّى يَنْسَجَ  
 وَيَنْظُمَ بِمَا لَا كَنَاءَ لَهُ وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الْخَمْسَةِ الْمُمِدَّةِ لَهُ نَهْرُ وَخْشَابُ يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِ  
 التَّبَتِ وَهِيَ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ يَمُرُّ مُعَرِّبًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى  
 أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ بَعَثَرُضُهُ فِي طَرِيقِهِ جَبَلٌ عَظِيمٌ  
 يَمُرُّ مِنْ وَسْطِ الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ مُشْرِقًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ فَيَجُوزُ بِلَادَ التَّبَتِ إِلَى الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَحُولُ بَيْنَ التُّرْكِ وَبَيْنَ بِلَادِ الْخُتَلِ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَسَلَكٌ وَاحِدٌ فِي وَسْطِ  
 الشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَعَلَ فِيهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى سِدًّا وَبَنَى فِيهِ بَابًا كَسَدَ بِأَجُوجَ وَبِأَجُوجَ  
 فَإِذَا خَرَجَ نَهْرُ وَخْشَابُ مِنْ بِلَادِ التَّبَتِ وَأَعْتَرَضَهُ هَذَا الْجَبَلُ فَيَمُرُّ تَحْتَهُ فِي مَدًى بَعِيدٍ  
 إِلَى أَنْ يَمُرَّ فِي بِلَادِ الْوُخْشِ وَيَصُبُّ فِي نَهْرِ جِيحُونَ عِنْدَ حُدُودِ بَلْخٍ ثُمَّ يَمُرُّ هَابِطًا  
 إِلَى التُّرْمِذِ فِي الشَّمَالِ إِلَى بِلَادِ الْجُوزْجَانِ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ بِلَادِ الْغُزُرِ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
 نَهْرِ جِيحُونَ بِلَادُ النَّاسَانِ مِنْ خُرَاسَانَ وَفِي الْعُدُوهِ الشَّرْقِيَّةِ هُنَاكَ مِنَ النَّهْرِ بِلَادُ الْخُتَلِ  
 وَكَثْرَتُهَا جِبَالٌ وَبِلَادُ الْوُخْشِ وَيَحُدُّهَا مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ جِبَالُ الْبَتهَمِ تَخْرُجُ مِنْ طَرَفِ  
 خُرَاسَانَ غَرْبِيَّةٍ نَهْرُ جِيحُونَ وَتَذْهَبُ مُشْرِقَةً إِلَى أَنْ يَنْصِلَ طَرَفَهَا بِالْجَبَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي  
 خَلَقَهُ بِلَادُ التَّبَتِ وَيَمُرُّ تَحْتَهُ نَهْرُ وَخْشَابُ كَمَا قُلْنَا فَيَنْصِلُ عِنْدَ بَابِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى  
 وَيَمُرُّ نَهْرُ جِيحُونَ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَأَنهَارُ أُخْرَى تَصُبُّ فِيهِ مِنْهَا نَهْرُ بِلَادِ الْوُخْشِ يَصُبُّ  
 فِيهِ مِنَ الشَّرْقِ تَحْتَ التُّرْمِذِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَنَهْرُ بَلْخٍ يَخْرُجُ مِنْ جِبَالِ الْبَتهَمِ مَبْدَأُهُ عِنْدَ  
 الْجُوزْجَانِ وَيَصُبُّ فِيهِ مِنْ غَرْبِهِ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ غَرْبِهِ بِلَادُ أَمِدَ مِنْ خُرَاسَانَ وَفِي  
 شَرْقِي النَّهْرِ مِنْ هُنَاكَ أَرْضُ الصَّفَدِ وَأَسْرُ وَشَنَّةٌ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَفِي شَرْقِهَا أَرْضُ  
 فِرْقَانَةَ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَكُلُّ بِلَادِ التُّرْكِ تَحُولُهَا جِبَالُ الْبَتهَمِ إِلَى شَمَالِهَا وَفِي  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ غَرْبِهِ أَرْضُ التَّبَتِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ وَفِي جَنُوبِهَا بِلَادُ الْهَنْدِ وَفِي  
 شَرْقِهَا بِلَادُ الصِّينِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا الْجُزْءِ شَمَالًا عَنْ بِلَادِ التَّبَتِ بِلَادُ  
 الْخَزَلِجَةِ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشَمَالًا وَيَنْصِلُ بِهَا مِنْ غَرْبِهَا أَرْضُ  
 فِرْقَانَةَ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَمِنْ شَرْقِهَا أَرْضُ الْغَزَغَرِ مِنَ التُّرْكِ إِلَى الْجُزْءِ شَرْقًا  
 وَشَمَالًا . وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ جَمِيعًا بَقِيَّةُ الصِّينِ وَأَسَائِلُهُ وَفِي الشَّمَالِ بَقِيَّةُ

بِلَادُ التَّمَرِ غُرُومٌ شَرْقًا عَنْهُمْ بِلَادُ خَزْخِيرٍ مِنَ التُّرْكِ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي  
الشَّامِ مِنَ أَرْضِ خَزْخِيرٍ بِلَادُ كُثْمَانٍ مِنَ التُّرْكِ وَقَبَالَتَهَا فِي الْبَحْرِ الْحَبِيطِ جَزِيرَةٌ  
الْيَاقُوتُ فِي وَسْطِ جَبَلٍ مُسْتَدِيرٍ لَا مَنَدَ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا مَسَالِكَ وَالصُّعُودُ إِلَى أَعْلَاهُ مِنْ  
خَارِجِهِ صَعْبٌ فِي الْعَالِيَةِ وَفِي الْجَزِيرَةِ حَيَاتٌ قَتَالَةٌ وَحَصَى مِنَ الْيَاقُوتِ كَثِيرَةٌ فَيَحْتَالُ أَهْلُ  
تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِمَا يَلْمِزُهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ فِي هَذَا الْجُزْءِ التَّاسِعِ وَالْعَاشِرِ فِيمَا  
وَرَاءَ خُرَّاسَانَ وَالْجِبَالِ كُلِّهَا تَجَالَتُ لِلتُّرْكِ أُنْثَى لَا تَحْصَى وَهُمْ ظَوَاعِنُ رَحَالَةٍ أَهْلُ إِيْلٍ  
وَشَاهٍ وَبَقَرٍ وَخَيْلٍ لِلتَّنَاجِ وَالْأَرْكَوبِ وَالْأَكْلِ وَطَوَائِفُهُمْ كَثِيرَةٌ لَا يُعْصِمُهُمْ إِلَّا  
خَالِقُهُمْ وَبَيْنَهُمْ مُسْلِمُونَ بِمَا يَلِي بِلَادَ النَّهْرِ نَهْرٌ جَمِيعُونَ وَيَغْرُونَ الْكِنَازَ مِنْهُمْ الدَّائِنِينَ  
بِالْحُجُوسَةِ فَيَتَّبِعُونَ رَقِيقَهُمْ لِمَنْ يَلِيهِمْ وَيَغْرُونَ إِلَى بِلَادِ خُرَّاسَانَ وَالْمَنْدِ وَالْعِرَاقِ  
الْأَوَّلِ الْرَّابِعُ \* يَسِيلُ بِالثَّلَاثِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ وَالْجُزْءِ الْأَوَّلُ مِنْهُ فِي غَرْبِهِ  
قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْحَبِيطِ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ أَوَّلِهِ جَنُوبًا إِلَى آخِرِهِ شَمَالًا وَعَلَيْهَا فِي الْجَنُوبِ  
مَدِينَةٌ طَيِّبَةٌ وَمِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ تَحْتَ طَبَقَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْحَبِيطِ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي خَلِيجٍ  
مُضَاقٍ بِمَقْدَارِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا مَا بَيْنَ طَرِيفِ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ شَمَالًا وَقَصْرِ الْبَحَّارِ  
وَسَبْتَةِ جَنُوبًا وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
وَيَنْفَسِحُ فِي ذَاهِبِهِ بِتَدْرِيحٍ إِلَى أَنْ يَغْمُرَ الْأَرْبَعَةَ الْأَجْزَاءَ وَأَكْثَرَ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا  
الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ كَمَا سَنَدُكُرُّهُ وَيُسَمَّى هَذَا الْبَحْرُ الْبَحْرُ الشَّامِيُّ أَيْضًا وَفِيهِ  
جَزَائِرُ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا فِي جِهَةِ الْغَرْبِ بِأَسَةِ ثُمَّ مَا يَرْفَعُ ثُمَّ مَا يَرْفَعُ ثُمَّ سَرْدَانِيَّةٌ ثُمَّ صَقِيلِيَّةٌ  
وَهِيَ أَكْثَرُهَا ثُمَّ بَلُوسٌ ثُمَّ أَفْرِيطِسٌ ثُمَّ فَبْرُصٌ كَمَا نَدَّ كُرْمَا كُلُّهَا فِي أَجْزَائِهَا الَّتِي وَقَعَتْ  
فِيهَا وَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ  
الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ خَلِيجٌ أَلْبَنَادَقِيَّةٌ يَذْهَبُ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ ثُمَّ يَتَّعِظُ عِنْدَ وَسْطِ الْجُزْءِ  
مِنْ جُزْئِهِ وَيَمُرُّ مَغْرِبًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْخَامِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ أَيْضًا فِي  
آخِرِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ شَرْقًا مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ خَلِيجٌ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ يَمُرُّ فِي الشَّامِ  
مُضَاقًا فِي عَرْضِ رَمِيَةِ السَّهْمِ إِلَى آخِرِ الْإِقْلِيمِ ثُمَّ يَقْضِي إِلَى الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
الْأَسَاسِ وَبِتَّعِظُفٍ إِلَى بَحْرِ نِيْطِشٍ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ كُلِّهِ وَبِصَفِ  
الْأَسَاسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَسَاسِ كَمَا نَدَّ ذَلِكَ فِي أَمَاكِيهِ وَعِنْدَمَا يَخْرُجُ هَذَا الْبَحْرُ

الرُّومِيَّ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ فِي خَلِيْجٍ طَنْجَةَ وَيَنْفَسِحُ إِلَى الْإِفْلَهِمِ الْاَلَاثِ بَقِيَ فِي الْجَنُوبِ  
عَنِ الْخَلِيْجِ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا مَدِيْنَةُ طَنْجَةَ عَلَى تَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَبَعْدَهَا  
مَدِيْنَةُ سَبْتَةَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيَّ ثُمَّ قَطَاوْنُ ثُمَّ بَادِيسُ ثُمَّ يَغْمُرُ هَذَا الْبَحْرُ بَقِيَّةَ هَذَا الْجُزْءِ  
شَرْقًا وَيَخْرُجُ إِلَى الثَّالِثِ وَكَثُرَ الْعِمَارَةُ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي شِمَالِهِ وَشِمَالِ الْخَلِيْجِ مِنْهُ  
وَفِي كُلِّهَا بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرَبِيَّةِ مِنْهَا مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيَّ أَوَّلُهَا طَرِيفُ  
عِنْدَ تَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيَّ الْجَزِيْرَةُ الْخَضْرَاءُ ثُمَّ  
مَالِقَةُ ثُمَّ الْمَنْقَبُ ثُمَّ الْمَرْيَةُ وَتَحْتَ هَذِهِ مِنْ لَدُنِ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ غَرْبًا وَعَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهُ  
شَرِيْشُ ثُمَّ لَبْلَةُ وَقِبَالَتُهَا فِيهِ جَزِيْرَةُ قَادِسَ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ شَرِيْشَ وَلَبْلَةَ إِشْبِيْلِيَّةُ ثُمَّ  
أَسْتَجَّةُ وَفَرْطَبَةُ وَمَدِيْلَةُ ثُمَّ غَرْنَاطَةُ وَجَبَانُ وَأَبْدَةُ ثُمَّ وَادِيَاشُ وَبَسْطَةُ وَتَحْتَ هَذِهِ  
شَنْتَمَرْيَةُ وَشَلْبُ عَلَى الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ غَرْبًا وَفِي الشَّرْقِ عَنْهُمَا بَطْلَيْسُ وَمَارِدَةُ وَيَاْبَرَةُ  
ثُمَّ غَالِقُ وَبَرْجَالَةُ ثُمَّ قَالَةُ رِيَاخُ وَتَحْتَ هَذِهِ أَشْبُونَةُ عَلَى الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ غَرْبًا وَعَلَى نَهْرِ  
بَاكَّةَ وَفِي الشَّرْقِ عَنْهَا شَنْتَرَيْنِ وَمَوْزِيَّةُ عَلَى النَّهْرِ الْمَذْكُورِ ثُمَّ فَنْطَرَةُ السَّيْفِ وَيُسَامِتُ  
أَشْبُونَةُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَبَلُ الشَّارَاتِ يَبْدَأُ مِنَ الْمَغْرِبِ هُنَاكَ وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا مَعَ  
آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ شِمَالِهِ فَيَنْتَهِي إِلَى مَدِيْنَةِ سَالِمٍ فَبِمَا بَعْدَ النِّصْفِ مِنْهُ وَتَحْتَ هَذَا الْجَبَلِ  
طَلْبِيْرَةُ فِي الشَّرْقِ مِنْ فُورَنَةِ ثُمَّ طَلْبِيْلَةُ ثُمَّ وَادِي الْحِجَارَةِ ثُمَّ مَدِيْنَةُ سَالِمٍ وَعِنْدَ أَوَّلِ  
هَذَا الْجَبَلِ فَيَا يَنَّةَ وَبَيْنَ أَشْبُونَةَ بَلَدُ قَلْمَرْيَةَ وَهَذِهِ غَرْبِي الْأَنْدَلُسِ وَأَمَّا شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ  
فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيَّ مِنْهَا بَعْدَ الْمَرْيَةِ فَرْطَاجَنَةُ ثُمَّ لَفْتَةُ ثُمَّ دَانِيَّةُ ثُمَّ بَلَنْسِيَّةُ إِلَى  
طَرْطُوشَةَ آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَتَحْتَهَا شِمَالًا لِيُورَقَةُ وَشَقُورَةُ لُتَاخَانَ بَسْطَةُ وَقَالَةُ رِيَاخُ  
مِنْ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ مَرْسِيَّةُ شَرْقًا ثُمَّ شَاطِئَةُ تَحْتَ بَلَنْسِيَّةَ شِمَالًا ثُمَّ شَقْرُ ثُمَّ طَرْطُوشَةُ  
ثُمَّ طَرْكَوْنَةُ آخِرِ الْجُزْءِ ثُمَّ تَحْتَ هَذِهِ شِمَالًا أَرْضُ مَنَجَالَةَ وَرَبْدَةُ مُتَاخِمَاتٍ لِسَقُورَةَ  
وَطَلْبِيْلَةُ مِنَ الْغَرْبِ ثُمَّ أَفْرَاغَةُ شَرْقًا تَحْتَ طَرْطُوشَةَ وَشِمَالًا عَنْهَا ثُمَّ فِي الشَّرْقِ عَنْ مَدِيْنَةِ  
سَالِمٍ قَالَةُ أَيُّوبُ ثُمَّ مَرْقِسَةُ ثُمَّ لَارْدَةُ آخِرُ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشِمَالًا وَالْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ هَذَا  
الْإِفْلَهِمِ غَمَرُ الْمَاءِ حَمِيْمَةٌ إِلَّا قِطْعَةً مِنْ غَرْبِيَّةِ فِي الشَّمَالِ فِيهَا بَقِيَّةُ جَبَلِ الْبُرْنَاتِ وَبَعْدَهُ  
جَبَلُ الشَّيَايَا وَالسَّالِكُ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِفْلَهِمِ الْخَلْبَاسِ يَبْدَأُ مِنَ  
الْطَّرَفِ الْمُنْتَهِي مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ عِنْدَ آخِرِ ذَلِكَ الْجُزْءِ جَنُوبًا وَشَرْقًا وَيَعْمُرُ فِي الْجَنُوبِ



بِالْبَحْرِ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ الرَّابِعُ مُنْخَرَفًا عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ إِلَى  
هَذَا الْجُزْءِ الثَّانِي فَيَقَعُ فِيهِ قِطْعَةٌ مِنْهُ تُقْضَى ثَابَاتُهَا إِلَى الْبَحْرِ الْمُتَّصِلِ وَتُسَمَّى أَرْضُ  
عَشْكُونِيَّةٍ وَفِيهِ مَدِينَةٌ خَرِيدَةٌ وَقَرْقُسُونَةٌ وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
مَدِينَةٌ بَرْسُلُونَةٌ ثُمَّ أَرْضُونَةٌ وَفِي هَذَا الْبَحْرِ الَّذِي غَمَرَ الْجُزْءَ جَزَائِرُ كَثِيرَةٌ وَالْكَثِيرُ  
مِنْهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ لِصِغَرِهَا فِي غَرْبِيَّةِ جَزِيرَةِ مِزْدَانِيَّةٍ وَفِي شَرْقِيَّةِ جَزِيرَةِ صِفَلِيَّةٍ مُتَبَعَةً  
الْأَفْطَارِ يُقَالُ إِنَّ دَوْرَهَا سَبْعُمِائَةِ مِيلَ وَبِهَا مَدُنٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَشَاهِيرِهَا مَرْقُوسَةٌ  
وَبَلْزَمٌ وَطَرَابِقَةٌ وَمَارْزُوسِيْنِي وَهَذِهِ الْجَزِيرَةُ تُقَابِلُ أَرْضَ أَفْرِيْقِيَّةٍ وَفِيهَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةُ  
أَعْدُوشَ وَمَالِطَةُ. وَالْجُزْءُ الثَّالِثُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَعْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ إِلَّا ثَلَاثَ قِطْعٍ  
مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا أَرْضُ قُلُورِيَّةٍ وَالْوُسْطَى مِنْ أَرْضِ أَبْكِيدَةَ وَالشَّرْقِيَّةُ  
مِنْ بِلَادِ الْبِنَادِقَةِ. وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَعْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ كَمَا مَرَّ وَجَزَائِرُهُ  
كَثِيرَةٌ وَأَكْثَرُهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ كَمَا فِي الثَّالِثِ وَالْمَعْمُورُ مِنْهَا جَزِيرَةُ بَلُوسُ فِي النَّاحِيَةِ  
الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ وَجَزِيرَةُ أَفْرِيْقِيْسَ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ وَسْطِ الْجُزْءِ إِلَى مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ  
مِنْهُ. وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ غَمَرَهُ الْبَحْرُ مِنْهُ مِثْلَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْقَرَبِ  
بُنْتِيهِ أَضْلَعُ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ وَيَنْتَهِي أَضْلَعُ الْجَنُوبِيِّ مِنْهَا إِلَى  
نَحْوِ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْجُزْءِ وَبَقِيَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ نَحْوُ الثَّلَاثِ بَمُرِّ الشَّمَالِ  
مِنْهَا إِلَى الْقَرَبِ مُنْعَطِفًا مَعَ الْبَحْرِ كَمَا قُلْنَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ مِنْهَا أَسَافِلُ الشَّامِ  
وَبِمُرِّ فِي وَسْطِهَا جَبَلُ اللَّكَّامِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الشَّامِ فِي الشَّمَالِ فَيَنْعَطِفُ  
مِنْ هُنَاكَ ذَاهِبًا إِلَى الْفُطُرِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ وَيُسَمَّى بَعْدَ انْعِطَافِهِ جَبَلُ السِّلْسِلَةِ وَمِنْ  
هُنَاكَ يَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَجُوزُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ إِلَى  
جِهَةِ الشَّرْقِ وَيَقُومُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ جِبَالٌ مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ إِلَى  
أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى طَرَفٍ خَارِجٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مُتَأَخِّرٌ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ  
وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ ثَابِتًا نَسَى الدُّرُوبَ وَحِيَّ الْوَحْيِ تَقْضَى إِلَى بِلَادِ الْأَرَمَنِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ  
قِطْعَةٌ مِنْهَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ جَبَلِ السِّلْسِلَةِ قَائِمًا الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ الَّتِي قَدَّمْنَا أَنَّ فِيهَا  
أَسَافِلُ الشَّامِ وَأَنَّ جَبَلُ اللَّكَّامِ مُعْتَزِّضٌ فِيهَا بَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَآخِرِ الْجُزْءِ مِنَ  
الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بَلَدُ أَنْطَرُطُوسَ فِي أَوَّلِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ مُنَاحِمَةٌ

لِفَرْزَةِ وَطَرَابُلسَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْثَالِثِ وَفِي شَمَالِ أَنْطَرطُوسَ جَبَلَةٌ ثُمَّ الْلاذِقِيَّةُ  
 ثُمَّ إِسْكَنْدَرُوتُهُ ثُمَّ سَلُوقِيَّةٌ وَبَعْدَهَا شَمَالاً بِلَادُ الرُّومِ وَأَمَّا جَبَلُ الْعِصْكَامِ الْمُعْتَرِضُ  
 بَيْنَ الْبَحْرِ وَآخِرِ الْجُزْءِ بِحَافَاتِهِ فَيُصَافِيهِ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مِنْ أَعْلَى الْجُزْءِ جَنُوبًا مِنْ غَرْبِيَّةِ  
 حُصْنِ الْحَوَانِي وَهُوَ لِلْخَبَشَةِ الْأَسْمَاعِيلِيَّةِ وَيُعرفُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْفِدَاوِيَّةِ وَيُسَمَّى مَصِيبَاتِ  
 وَهُوَ قُبَالَةَ أَنْطَرطُوسَ وَقُبَالَةَ هَذَا الْحُصْنِ فِي شَرْقِ الْجَبَلِ بَلَدٌ سَلَمِيَّةٌ فِي الشَّامِ عَنْ  
 حَمِي فِي الشَّامِ وَفِي الشَّامِ وَفِي مَصِيبَاتِ بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ بَلَدٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَيُقَالُ لَهَا فِي شَرْقِ الْجَبَلِ  
 الْمَعْرَةُ وَفِي شَرْفِهَا الدَّرَاغَةُ وَفِي شَمَالِ أَنْطَاكِيَّةِ الْمَصِيبَةُ ثُمَّ أَدْنَاهُ ثُمَّ طَرَسُوسُ آخِرُ  
 الشَّامِ وَيَحْدُهَا مِنْ غَرْبِ الْجَبَلِ قَنْسَرِينُ ثُمَّ عَيْنُ زُرْبَةِ وَقُبَالَةَ قَنْسَرِينِ فِي شَرْقِ  
 الْجَبَلِ حَلَبٌ وَيُقَالُ عَيْنُ زُرْبَةِ مَتَّبِعُ آخِرِ الشَّامِ . وَأَمَّا الدُّرُوبُ فَعَنْ يَمِينِهَا مَا  
 بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِي بِلَادُ الرُّومِ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ لِلتُّرْكَانِ وَسُلْطَانِهَا  
 ابْنُ عُثْمَانَ وَفِي سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْهَا بَلَدٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَالْعَلَاكَ . وَأَمَّا بِلَادُ الْأَرَمَنِ الَّتِي بَيْنَ  
 جَبَلِ الدُّرُوبِ وَجَبَلِ السِّلْسِلَةِ فَعِنْدَ بَلَدِ مَرْعَشٍ وَمَلَطِيَّةِ وَالْمَعْرَةُ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ الشَّامِيِّ  
 وَيَخْرُجُ مِنَ الْجُزْءِ الْخَلَامِسِ فِي بِلَادِ الْأَرَمَنِ نَهْرٌ جِيحَانٌ وَنَهْرٌ سِيحَانٌ فِي شَرْقِيَّةِ قِيمَرُهَا  
 جِيحَانٌ جَنُوبًا حَتَّى يَتَجَاوَزَ الدُّرُوبَ ثُمَّ يَمُرُّ بِطَرَسُوسَ ثُمَّ بِالْمَصِيبَةِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ هَاطِطًا  
 إِلَى الشَّامِ وَمَعْرَبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الرُّومِي جَنُوبَ سَلُوقِيَّةِ وَيَمُرُّ نَهْرٌ سِيحَانٌ  
 مُوَاظًا لِنَهْرِ جِيحَانٍ فَيَحْدِي الْمَعْرَةَ وَمَرْعَشَ وَيَتَجَاوَزُ جِبَالَ الدُّرُوبِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ بِعَيْنِ زُرْبَةِ وَيَجُوزُ عَنْ نَهْرِ جِيحَانٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّامِ مَعْرَبًا فَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ  
 جِيحَانٍ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ وَمِنْ غَرْبِهَا وَأَمَّا بِلَادُ الْجَزِيرَةِ الَّتِي يُحِيطُ بِهَا مَنَعُطُفُ جَبَلِ الْعِصْكَامِ  
 إِلَى جَبَلِ السِّلْسِلَةِ فِي جَنُوبِهَا بَلَدُ الرَّافِضَةِ وَالرِّقَّةُ ثُمَّ حُرَّانُ ثُمَّ سَرُوجُ وَالرَّهْمَانُ نَصِيبِينَ  
 ثُمَّ مَسِيطَ وَأَمْدُ تَحْتَ جَبَلِ السِّلْسِلَةِ وَآخِرُ الْجُزْءِ مِنْ شَمَالِهِ وَهُوَ أَيْضًا آخِرُ الْجُزْءِ مِنْ  
 شَرْقِيَّةِ وَيَمُرُّ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ نَهْرُ الْفُرَاتِ وَنَهْرٌ دِجْلَةُ يَخْرُجَانِ مِنَ الْإِفْلِيمِ  
 الْخَلَامِسِ وَيَمْرُانِ فِي بِلَادِ الْأَرَمَنِ جَنُوبًا إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَا جَبَلَ السِّلْسِلَةِ فَيَمُرُّ نَهْرُ الْفُرَاتِ  
 مِنْ غَرْبِي مَسِيطَ وَسَرُوجُ وَيَخْرُفُ إِلَى الشَّرْقِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ الرَّافِضَةِ وَالرِّقَّةِ وَيَخْرُجُ  
 إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ دِجْلَةُ فِي شَرْقِ أَمْدٍ وَيَنْعَطِفُ قَرِيبًا إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ قَرِيبًا  
 إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ مِنْ غَرْبِيَّةِ بِلَادُ الْجَزِيرَةِ وَفِي

الْشَرْقِ مِنْهَا بِإِلَادِ الْعِرَاقِ مُتَّصِلَةً بِهَا تَنْتَهِي فِي الشَّرْقِ إِلَى قُرْبِ آخِرِ الْجُزْءِ وَيَعْتَرِضُ  
 مِنْ آخِرِ الْعِرَاقِ هُنَاكَ جَبَلٌ أَصْهَانٌ هَاطِطًا مِنْ جَنْبِ الْجُزْءِ مُنْحَرِفًا إِلَى الْغَرْبِ فَإِذَا  
 انْتَهَى إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ مِنْ آخِرِهِ فِي الشَّمَالِ يَذْهَبُ مَغْرِبًا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ وَيَتَّصِلَ عَلَى سَمْتِهِ بِجَبَلِ السَّلْسِلَةِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَيَقْطَعُ هَذَا الْجُزْءَ السَّادِسُ  
 يَقِطَعَتَيْنِ غَرْبِيَّةً وَشَرْقِيَّةً فِي الْغَرْبِيَّةِ مِنْ جَنْبَيْهَا تَخْرُجُ الْقُرَاتِ مِنَ الْخَامِسِ وَفِي شَمَالِهَا  
 تَخْرُجُ دِجْلَةٌ مِنْهُ أَمَّا الْقُرَاتُ فَأُولَ مَا يَخْرُجُ إِلَى السَّادِسِ بِمَرْقَرِيسِيَا وَيَخْرُجُ مِنْ  
 هُنَاكَ جَدُولٌ إِلَى الشَّمَالِ يَنْسَابُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَيَفُوصُ فِي نَوَاحِيهَا وَيَمُرُّ مِنْ  
 قَرْفِيسِيَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْجَنُوبِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ الْخَابُورِ إِلَى غَرْبِ الرَّجْبَةِ وَيَخْرُجُ  
 مِنْهُ جَدَاوِلٌ مِنْ هُنَاكَ بِمَرْجُونًا وَيَبْقَى صَفَيْنِ فِي غَرْبِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ شَرْقًا وَيَنْقَسِمُ  
 بِشُعُوبٍ فَيَمُرُّ بَعْضُهَا بِالْكُوفَةِ وَبَعْضُهَا بِقَصْرِ ابْنِ هَبِيرَةَ وَبِالْجَامِعَيْنِ وَتَخْرُجُ جَمِيعًا فِي  
 جَنْبِ الْجُزْءِ إِلَى الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ فَيَفُوصُ هُنَاكَ فِي شَرْقِ الْحِيرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَيَخْرُجُ  
 الْقُرَاتُ مِنَ الرَّجْبَةِ مُشْرِقًا عَلَى سَمْتِهِ إِلَى هَيْتَ مِنْ شَمَالِهَا بِمَرْجُونًا إِلَى الزَّابِ وَالْأَنْبَارِ مِنْ  
 جَنْبِهَا ثُمَّ يَصُبُّ فِي دِجْلَةٍ عِنْدَ بَغْدَادَ وَأَمَّا نَهْرُ دِجْلَةٍ فَإِذَا دَخَلَ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
 إِلَى هَذَا الْجُزْءِ بِمَرْجُونًا وَابْنِ عُمَرَ عَلَى شَمَالِهَا ثُمَّ بِالْمَوْصِلِ كَذَلِكَ وَتَكْرِيثَ وَتَنْتَهِي  
 إِلَى الْحَدِيثَةِ فَيَنْعَطِفُ جَنْوبًا وَيَبْقَى الْحَدِيثَةُ فِي شَرْقِهِ وَالزَّابُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ كَذَلِكَ  
 وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ جَنْوبًا وَفِي غَرْبِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى بَغْدَادَ وَيَخْتَلِطُ بِالْقُرَاتِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ جَنْوبًا عَلَى غَرْبِ جَرَجَرِيَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ فَتَنْتَشِرُ  
 هُنَاكَ شُعُوبُهُ وَجَدَاوِلُهُ ثُمَّ يَجْتَمِعُ وَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَقَبَا بَيْنَ  
 نَهْرِ أَدِجْلَةٍ وَالْقُرَاتِ قَبْلَ جَمْعِهِمَا بِبَغْدَادَ فِي بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ دِجْلَةٍ بَعْدَ  
 مُبَارَقَتِهِ بِبَغْدَادَ نَهْرٌ آخَرٌ يَأْتِي مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ السَّالِيَةِ مِنْهُ وَتَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ النَّهْرَوَانِ  
 قِبَالَ بَغْدَادَ شَرْقًا ثُمَّ يَنْعَطِفُ جَنْوبًا وَيَخْتَلِطُ بِدِجْلَةٍ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ وَيَبْقَى  
 مَا بَيْنَ هَذَا النَّهْرِ وَبَيْنَ جَبَلِ الْعِرَاقِ وَالْأَعَاجِمِ بِلَدُ جُلُولَاءَ وَفِي شَرْقِهَا عِنْدَ أَجَلِ بِلَدُ حُلُوانَ  
 وَصِمْرَةَ وَأَمَّا الْقِطْعَةُ الْغَرْبِيَّةُ مِنَ الْجُزْءِ فَيَعْتَرِضُهَا جَبَلٌ يَدُأُ مِنْ جَبَلِ الْأَعَاجِمِ مُشْرِقًا  
 إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَيُسَمَّى جَبَلُ شَهْرَزُورَ وَيَقْسِمُهَا يَقِطَعَتَيْنِ فِي الْجَنُوبِ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 الصُّغْرَى بِلَدُ خَوْنِجَانَ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّمَالِ عَنْ أَصْهَانَ وَتُسَمَّى هَذِهِ الْقِطْعَةُ بِلَدُ الْهَلُوسِ

فِي وَسْطِهَا بَلَدٌ نَهَوْتَدَ فِي شَمَالِهَا بَلَدٌ شَهْرُ زُورَ غَرْبًا عِنْدَ مُلتَقَى الْجَبَلَيْنِ وَالْدَّبُورُ شَرْقًا  
 عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ فِي الْقِطْعَةِ الصُّغْرَى الثَّانِيَةِ طَرَفٌ مِنْ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ نَاعَتْهَا الْمَرَاغَةُ  
 وَالَّذِي يُقَالُهَا مِنْ جَبَلِ الْعِرَاقِ يُسَمَّى بَارِيَا وَهُوَ مَسَاكِنٌ لِلْأَكْرَادِ وَالرَّابِ الْكَبِيرُ  
 وَالصُّغِيرُ الَّذِي عَلَى دِجْلَةٍ مِنْ وَرَائِهِ فِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بِلَادُ أَدْرِيجَانَ  
 وَمِنْهَا تَبْرِيزُ وَالْيَسِدْقَانُ فِي الزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ نِطَشَ  
 وَهُوَ بَحْرُ الْخَزَرِ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ مِنْ غَرْبِهِ وَجَنُوبِهِ مُعْظَمُ بِلَادِ الْهَلُوسِ  
 وَفِيهَا مَمْدَانُ وَقَزْوِينَ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ وَفِيهَا هُنَالِكَ أَصْهَانَ وَيُحِيطُ بِهَا مِنْ  
 الْجَنُوبِ جَبَلٌ يُخْرُجُ مِنْ غَرْبِهَا وَيَمُرُّ بِالْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ إِلَى  
 الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْعِرَاقِ فِي شَرْقِيهِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ هُنَالِكَ وَإِنَّهُ يُحِيطُ  
 بِبِلَادِ الْهَلُوسِ فِي الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَهْبُطُ هَذَا الْجَبَلُ الْخُحِيطُ بِأَصْهَانَ مِنَ الْإِفْلِيمِ  
 الثَّلَاثِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ السَّابِعِ فَيُحِيطُ بِبِلَادِ الْهَلُوسِ مِنْ شَرْقِهَا  
 وَتَحْتَهُ هُنَالِكَ قَاشَانَ ثُمَّ قُمْ وَيَنْعَطِفُ فِي قُرْبِ النِّصْفِ مِنْ طَرَفِهِ مُغْرِبًا بَعْضَ الشَّيْءِ ثُمَّ  
 يَرْجِعُ مُسْتَدِيرًا فَيَذْهَبُ مُسْتَرْقًا وَمُنَحْرِقًا إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَيَشْتَمِلُ عَلَى مُنْعَطِفِهِ وَأَسْتِدَارَتِهِ عَلَى بَلَدِ الرِّيِّ فِي شَرْقِيهِ وَيَبْدَأُ مِنْ مُنْعَطِفِهِ جَبَلٌ  
 آخَرُ يَمُرُّ غَرْبًا إِلَى آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ وَمِنْ جُوبِهِ مِنْ هُنَالِكَ قَزْوِينَ وَمِنْ جَانِبِهِ الشَّمَالِيِّ  
 وَجَانِبِ جَبَلِ الرِّيِّ الْمَتَّصِلِ مَعَهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ ثُمَّ إِلَى  
 الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ بِلَادُ طَبْرِسْتَانَ فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ  
 وَيَدْخُلُ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي نَحْوِ النِّصْفِ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَيَعْتَرِضُ  
 عِنْدَ جَبَلِ الرِّيِّ وَعِنْدَ أَنْعَاطِهِ إِلَى الْقَرْبِ جَبَلٌ مُتَّصِلٌ يَمُرُّ عَلَى سِتْنَةِ مُسْتَرْقَا وَبِأَنْحَرِافٍ  
 قَلِيلٍ إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ وَيَبْقَى بَيْنَ جَبَلِ الرِّيِّ وَهَذَا  
 الْجَبَلِ مِنْ عِنْدِ مَبْدَأِ هِمَا بِلَادُ جَرْجَانَ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَمِنْهَا يَسْطَامُ وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ  
 قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا بَقِيَّةُ الْمَقَارَةِ الَّتِي بَيْنَ فَارِسَ وَخُرَّاسَانَ وَهِيَ فِي شَرْقِي قَاشَانَ  
 وَفِي آخِرِهَا عِنْدَ هَذَا الْجَبَلِ بَلَدُ أَسْتَرَابَادَ وَحَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ شَرْقِيهِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 بِلَادُ نَيْسَابُورَ مِنْ خُرَّاسَانَ فِي جَنُوبِ الْجَبَلِ وَشَرْقِ الْمَقَارَةِ بَلَدُ نَيْسَابُورَ ثُمَّ مَرُّ الشَّاهِيحَانِ  
 آخِرِ الْجُزْءِ فِي شِمَالِهِ وَشَرْقِي جَرْجَانَ بَلَدُ مَهْرَجَانَ وَخَازَرُونَ وَطُوسِ آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا

وَكُلُّ هَذَا نَحْتُ الْجَبَلِ فِي الشَّمَالِ عَنْهَا بِلَادُ نَسَاوٍ يُحِيطُ بِهَا عِنْدَ رَاوِيَةِ الْجُزْأَيْنِ الشَّمَالِ وَالشَّرْقِ  
مَفَاوِزٌ مُعْطَلَةٌ. وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي غَرْبِيَّةِ نَهْرِ جَيْحُونَ ذَاغِيًا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى  
الشَّمَالِ فِي عُدُوْتِهِ الْغَرْبِيَّةِ رَنْمٌ وَأَمْلٌ مِنَ بِلَادِ خُرَّاسَانَ وَالظَّاهِرِيَّةِ وَالْجُرْجَانِيَّةِ مِنَ بِلَادِ  
خُورَازْمٍ وَيُحِيطُ بِالرَّوَاوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ جَبَلٌ اسْمُهُ أَبَاكَادُ الْعَرَضُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ  
قَبْلَهُ وَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ غَرْبِيَّةِ وَيُحِيطُ بِهِذِهِ الرَّوَاوِيَةُ وَفِيهَا بَقِيَّةُ بِلَادِ مَرَاةَ وَالْجُوزْخَانِ  
حَتَّى يَتَّصِلَ بِمَعْبَلِ النَّبَرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ هُنَاكَ وَفِي شَرْقِي نَهْرِ جَيْحُونَ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْجَنُوبِ  
مِنْهُ بِلَادُ بُخَارَى ثُمَّ بِلَادُ الصَّغْدِ وَقَاعِدُهَا سَمَرْقَنْدُ ثُمَّ سَرْدَارَا وَأُشْنَةُ وَمِنْهَا خَجَنْدَةُ آخِرُ الْجُزْءِ  
شَرْقَاوِي فِي الشَّمَالِ عَنْ سَمَرْقَنْدٍ وَسَرْدَارَا وَأُشْنَةُ أَرْضُ إِيْلَاقٍ <sup>(١)</sup> ثُمَّ فِي الشَّمَالِ عَنْ إِيْلَاقِ أَرْضُ  
الشَّاشِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقَاوًا بِأَخْذِ قِطْعَةٍ مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ فِي جَنُوبِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ بَقِيَّةُ أَرْضِ  
فَرَاغَانَةَ وَيَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْقِطْعَةِ الَّتِي فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ نَهْرُ الشَّاشِ بِمَرُوعَةٍ فِي الْجُزْءِ  
الثَّامِنِ إِلَى أَنْ يَنْصَبَّ فِي نَهْرِ جَيْحُونَ عِنْدَ مَخْرَجِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّامِنِ فِي شِمَالِهِ إِلَى الْأَقْلِيمِ  
الْخَامِسِ وَيَتَخَلَّطُ مَعَهُ فِي أَرْضِ إِيْلَاقِ نَهْرٌ يَأْتِي مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ تَعْمُرِ  
بِلَادِ التُّبِّ وَيَتَخَلَّطُ مَعَهُ قَبْلَ مَخْرَجِهِ مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ نَهْرُ فَرَاغَانَةَ وَعَلَى مَمْتِ نَهْرِ الشَّاشِ  
جَبَلٌ جَبْرَاغُونٌ يَبْدَأُ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَنْعَطِفُ شَرْقًا وَمُنْهَرَفًا إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى  
يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ يُحِيطُ بِأَرْضِ الشَّاشِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ فَيُحِيطُ  
بِالشَّاشِ وَفَرَاغَانَةَ هُنَاكَ إِلَى جَنُوبِهِ فَيَدْخُلُ فِي الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَبَيْنَ نَهْرِ الشَّاشِ وَطَرَفِ  
هَذَا الْجَبَلِ فِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ بِلَادُ فَاوَرَابَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْضِ بُخَارَى وَخُورَازْمٍ مَفَاوِزٌ مُعْطَلَةٌ  
وَفِي رَاوِيَةِ هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ وَالشَّرْقِ أَرْضُ خَجَنْدَةَ وَفِيهَا بِلَادُ إِسْنِجَابَ وَطَارَاوُ .  
وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي غَرْبِيَّةِ بَعْدَ أَرْضِ فَرَاغَانَةَ وَالشَّاشِ أَرْضُ الْخَزْلَجِيَّةِ  
فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ الْخَلِيجَةِ فِي الشَّمَالِ وَفِي شَرْقِ الْجُزْءِ كُلِّهِ أَرْضُ الْكَيْمِ كَبِيرَةٍ وَيَتَّصِلُ  
فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى جَبَلٍ قَوْيَا آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَعَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْعَظِيمِ  
هُنَاكَ وَهُوَ جَبَلٌ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهَذِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا مِنْ شُعُوبِ التُّرْكَ . انتهى  
الْأَقْلِيمِ الْخَامِسُ \* الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ أَكْثَرُهُ مَعْمُورٌ بِالْمَاءِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ جَنُوبِهِ  
وَشَرْقِهِ لِأَنَّ الْبَحْرَ الْعَظِيمَ يَهْدِيهِ الْجِهَةُ الْغَرْبِيَّةُ دَخَلَ فِي الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ

(١) في المشترك اطلب ابلق متصل باقليم الشاش لا فصل : هـ . ومو بكر الهنزة وسكون اليا بملحا . اهـ

وَالسَّابِعُ عَنِ الدَّائِرَةِ الْحُطَيْطَةِ بِالْأَفْلَحِيمِ فَأَمَّا الْمُنْكَشَفُ مِنْ جَنُوبِهِ فِقِطْعَةٌ عَلَى شَكْلِ  
مِثْلٍ مُتَّصِلَةٍ مِنْ مَنَالِكِ بِلَادِ أَنْدَلُسٍ وَعَلَيْهَا بَقِيَّتُهَا وَيُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ جَنِبَتَيْنِ كُنْهُمَا ضِلْعَانِ  
مُحِيطَانِ بِزَاوِيَةِ الْمِثْلِ فِيهَا مِنْ بَقِيَّةِ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ سَعِيدُ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ أَوَّلِ الْجُزْءِ  
مِنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ وَسَلَمَنُكَةُ شَرْقًا عَنْهَا وَفِي جَنُوبِهَا سُمُورَةُ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ سَلَمَنُكَةَ  
أَيْلَةُ آخِرِ الْجَنُوبِ وَأَرْضُ قَسْتَالِيَّةَ شَرْقًا عَنْهَا وَفِيهَا مَدِينَةُ شَقُونِيَّةٌ وَفِي شِمَالِهَا أَرْضُ لِيُونِ  
وَبَرْغَشْتُ ثُمَّ وَرَاءَهَا فِي الشَّمَالِ أَرْضُ جَلِيقِيَّةٍ إِلَى زَاوِيَةِ الْقِطْعَةِ وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْحُطَيْطُ  
فِي آخِرِ الضِّلْعِ الْغَرْبِيِّ بَلَدُ شَنْتِيَاوُ وَمَعْنَاهُ يَعْقُوبُ وَفِيهَا مِنْ شَرْقِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَدِينَةُ  
شَطْلِيَّةٌ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ فِي الْجَنُوبِ وَتَمَرَقَا عَنْ قَسْتَالِيَّةَ وَفِي شِمَالِهَا وَشَرْقِهَا وَشَقَّةٌ وَبَنْبُلُونَةُ  
عَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا وَشِمَالًا وَفِي غَرْبِ بَنْبُلُونَةَ قَسْطَالَةَ ثُمَّ نَاجِزَةُ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرْغَشْتِ  
وَيَعْبُرُ وَسَطَ هَذِهِ الْقِطْعَةِ جَبَلٌ عَظِيمٌ نَحَازُ لِلْبَحْرِ وَالضِّلْعِ الشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ وَعَلَى  
قُرْبٍ وَيَتَّصِلُ بِهِ وَيَطْرَفُ الْبَحْرِ عِنْدَ بَنْبُلُونَةَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ  
يَتَّصِلَ فِي الْجَنُوبِ بِالْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْأَفْلَحِيمِ الرَّابِعِ وَيَصِيرُ حَجَرًا عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ  
مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَتَنَابَاهُ لَهَا أَبْوَابُ تُفْضِي إِلَى بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ مِنْ أُمَّمِ الْفَرَنْجِ فِيهَا مِنْ  
الْأَفْلَحِيمِ الرَّابِعِ بَرْغَشْلُونَةُ وَأَزْبُونَةُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَخَرِيدَةُ وَتَرْقَشُونَةُ وَرَاءَهُمَا  
فِي الشَّمَالِ وَمِنْهَا مِنَ الْأَفْلَحِيمِ الْخَامِسِ طَلُوشَةُ شِمَالًا عَنْ خَرِيدَةَ . وَأَمَّا الْمُنْكَشَفُ فِي  
هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فِقِطْعَةٌ عَلَى شَكْلِ مِثْلٍ مُسْتَطِيلٍ زَاوِيَتُهُ الْخَادَةُ وَرَاءَ  
الْبُرْذَانِ شَرْقًا وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْحُطَيْطُ عَلَى رَأْسِ الْقِطْعَةِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلُ الْبُرْذَانِ بَلَدُ  
نُبُونَةُ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ أَرْضُ بَنْطُو مِنْ  
الْفَرَنْجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ أَرْضُ غَشْكُونِيَّةٍ وَفِي  
شِمَالِهَا أَرْضُ بَنْطُو وَبَرْغَشْتُ وَقَدْ ذَكَرْنَا هُمَا وَفِي شَرْقِ بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ فِي شِمَالِهَا  
قِطْعَةُ أَرْضٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ دَخَلَتْ فِي هَذَا الْجُزْءِ كَالْفَرَسِ مَائِلَةً إِلَى الشَّرْقِ قَلِيلًا  
وَصَارَتْ بِلَادَ غَشْكُونِيَّةٍ فِي غَرْبِهَا دَاخِلَةٌ فِي جُزْنٍ مِنَ الْبَحْرِ وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
شِمَالًا بِلَادُ جُنُودَ وَعَلَى مَمْتِنِهَا فِي الشَّمَالِ جَبَلُ نَيْتِ جُونِ وَفِي شِمَالِهِ وَعَلَى سَمْتِهِ أَرْضُ  
بَرْغُوشَةَ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ طَرَفِ جُنُودَ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ طَرَفٌ آخَرُ خَارِجٌ  
مِنْهُ يَبْقَى بَيْنَهُمَا جُونُ دَاخِلٌ مِنَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ فِي غَرْبِهِ نَيْشُ وَفِي شَرْقِهِ مَدِينَةُ رُومَةُ

الْقَطَمِ كُرْبِي مَلِكِ الْإِفْرِجَةِ وَمَسْكِنِ الْبَابِ بِطَرَكِهِمُ الْأَعْظَمِ وَفِيهَا مِنَ الْمَبَانِي  
 الصَّخْمَةِ وَالْمَاءِ كُلِّ الْمَائَةِ وَالْكَسْنَانِ الْمَادِيَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفُ الْأَخْبَارِ وَمِنْ عَجَائِبِهَا  
 النَّهْرُ الْجَارِي فِي وَسْطِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَقْرُوشٌ قَاءَهُ يَبْلَاطُ النُّحَاسِ وَفِيهَا  
 كَنِيسَةُ بَطْرُسَ وَبُولُسَ مِنَ الْحَوَارِيَّةِ وَهُمَا مَدْفُونَانِ بِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ بِلَادِ  
 رُومَةَ بِلَادُ أِفْرَنْصِيَّةَ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَعَلَى هَذَا الطَّرَفِ مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي فِي جَنُوبِهِ  
 رُومَةُ بِلَادُ نَابِلٍ فِي الْجَنَابِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ قُلُورِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجِ وَفِي شَمَالِهَا  
 طَرَفٌ مِنْ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مُغْرِبًا وَمُخَازِيًا لِلشَّمَالِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَانْتَهَى إِلَى تَحَوُّ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَعَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ بِلَادِ الْبَنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ مِنْ جَنُوبِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الْخُصِيطِ وَمِنْ شَمَالِهِ بِلَادُ إِنْكَلَابَةِ فِي الْإِفْلِيمِ  
 السَّادِسِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بِلَادُ قُلُورِيَّةَ بَيْنَ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ  
 وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ يُحِيطُ بِهَا مِنْ شَرْقِيهِ بِصُلٍّ مِنْ بَرِّهَا فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
 فِي جُودٍ بَيْنَ طَرَفَيْنِ خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ فِي شَرْقِيهِ بِلَادِ  
 قُلُورِيَّةَ بِلَادُ أَنْكَبَرَةَ فِي جُودٍ بَيْنَ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيَدْخُلُ طَرَفٌ مِنْ  
 هَذَا الْجُزْءِ فِي الْجُودِ فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُحِيطُ بِهِ مِنْ شَرْقِيهِ خَلِيجُ  
 الْبَنَادِقَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ذَاهِبًا إِلَى سَمْتِ الشَّمَالِ ثُمَّ يَتَعَطَّفُ إِلَى الْغَرْبِ مُخَازِيًا لِآخِرِ  
 الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ وَيَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُؤَاذِيهِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ  
 إِلَى الشَّمَالِ ثُمَّ يَغْرُبُ مَعَهُ فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ قِبَالَ خَلِيجِ فِي شَمَالِهِ  
 فِي بِلَادِ إِنْكَلَابَةِ مِنْ أُمَّةِ الْأَلْمَانِيِّينَ كَمَا نَذَكُرُ وَعَلَى هَذَا الْخَلِيجِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا  
 الْجَبَلِ مَا دَامَا ذَاهِبَيْنِ إِلَى الشَّمَالِ بِلَادُ الْبَنَادِقَةِ فَإِذَا ذَهَبَا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَيْنَهُمَا بِلَادُ  
 حَرَوَابَا ثُمَّ بِلَادُ الْأَلْمَانِيِّينَ عِنْدَ طَرَفِ الْخَلِيجِ . وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ  
 قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ خَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ مُضْرَسَةٌ كُلُّهَا بِقِطْعٍ مِنَ  
 الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ وَبَيْنَ كُلِّ ضَرْسَيْنِ مِنْهَا طَرَفٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْجُودِ بَيْنَهُمَا  
 وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا قِطْعٌ مِنَ الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَخْرُجُ  
 مِنْ هَذَا الطَّرَفِ الْجَنُوبِيِّ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ  
 وَيَتَعَطَّفُ مِنْ هُنَاكَ عَنْ قُرْبٍ مُشْرِقًا إِلَى بَحْرِ نِيطَسَ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَبَعْضِ الرَّابِعِ

قَبْلَهُ وَالسَّادِسَ بَعْدَهُ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ كَمَا نَذَكُرُ وَبَلَدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي شَرْقِي هَذَا  
الْخَلِيجِ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ وَفِي الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ كُرْمِي الْفِيَاصِرَةِ  
وَبِهَا مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ وَالْفَخَامَةِ مَا كَثُرَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالْفِطْعَةُ الَّتِي مَا بَيْنَ الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ وَخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِيهَا بِلَادُ مَقْدُونِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْيُونَانِيِّينَ  
وَمِنْهَا أَبْتَدَأَ مُلْكُهُمْ وَفِي شَرْقِي هَذَا الْخَلِيجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ بَاطُوسَ  
وَأَظْهَرْنَا لِهَذَا الْمَهْدِ مَجَالَاتِ التُّزْكُمَانِ وَبِهَا مُلْكُ ابْنِ عُثْمَانَ وَقَاعِدَتُهُ بِهَا بَرَصَةٌ وَكَانَتْ  
مِنْ قَبْلِهِمْ لِلرُّومِ وَغَلِبَهُمْ عَلَيْهَا الْأَتَمُّ إِلَى أَنْ صَارَتْ لِلتُّزْكُمَانِ . وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ مِنْ غَرْبِهِ وَجُوبِهِ أَرْضُ بَاطُوسَ وَفِي الشَّمَالِ عَنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
بِلَادُ عُمُورِيَّةِ وَفِي شَرْقِي عُمُورِيَّةِ نَهْرُ قَبَابِ الَّذِي يُمِدُّ الْفُرَاتَ وَيَخْرُجُ مِنْ جَبَلِ هُنَاكَ  
وَيَذْهَبُ فِي الْجَنُوبِ حَتَّى يَخَالِطَ الْفُرَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ إِلَى تَمَرِهِ فِي الْإِفْلِيمِ  
الرَّابِعِ وَهُنَاكَ فِي غَرْبِهِ آخِرُ الْجُزْءِ فِي مَبْدَأِ نَهْرِ سِجْمَانٍ ثُمَّ نَهْرُ جِجْمَانَ غَرْبِيَّةِ الدَّاهِبِينَ  
عَلَى سَمْتِهِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُمَا وَفِي شَرْقِهِ هُنَاكَ مَبْدَأُ نَهْرِ دِجْلَةِ الدَّاهِبِ عَلَى سَمْتِهِ وَفِي  
مُؤَاوَزَتِهِ حَتَّى يَخَالِطَهُ عِنْدَ بَغْدَادَ وَفِي الزَّوَايَةِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
وَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ دِجْلَةِ بِلَدُ مِيفَارِقِينَ وَنَهْرُ قَبَابِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يَقْسِمُ  
هَذَا الْجُزْءَ يَقِطْعَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا غَرْبِيَّةُ جَنُوبِيَّةُ وَفِيهَا أَرْضُ بَاطُوسَ كَمَا قُلْنَا وَأَسَافِلُهَا  
إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا وَوَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ قَبَابِ أَرْضُ عُمُورِيَّةِ كَمَا  
قُلْنَا وَالْفِطْعَةُ الثَّانِيَّةُ شَرْقِيَّةُ شَمَالِيَّةٌ عَلَى الثَّلَاثِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا مَبْدَأُ دِجْلَةِ وَالْفُرَاتِ وَفِي  
الشَّمَالِ بِلَادُ الْبَيْلِقَانِ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ عُمُورِيَّةِ مِنْ وَرَاءِ جَبَلِ قَبَابِ وَفِي عَرِيضَتِهِ وَفِي  
آخِرِهَا عِنْدَ مَبْدَأِ الْفُرَاتِ بِلَدُ حَرْشَنَةِ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ فِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ  
نِطَاشِ الَّذِي يُمِدُّ خَلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي جَنُوبِهِ  
وَعَرْبِهِ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَ وَسَطَ الْجُزْءِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ وَفِيهَا بِلَدَانُ  
أَرْدُنَ فِي الْجَنُوبِ وَالْقَرْبِ وَفِي شَمَالِهَا تَفْلِسُ وَدَيْلُ وَفِي شَرْقِ أَرْدُنَ مَدِينَةُ خَلَاطُ ثُمَّ  
بَرْدَةُ فِي جَنُوبِهَا بِأَنْحَوَافِ إِلَى الشَّرْقِ مَدِينَةُ أَرْمِينِيَّةِ وَمِنْ هُنَاكَ مَخْرَجُ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةِ  
إِلَى الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِيهَا هُنَاكَ بِلَدُ الْمَرَاغَةِ فِي شَرْقِي جَبَلِ الْأَكْرَادِ الْمُسَمَّى بِأَرْمِي  
وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ وَيَتَكَلَّمُ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْإِفْلِيمِ



الرَّابِعَ قَبْلَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فِيهَا بِلَادُ أَدْرِيَجَانَ وَآخِرُهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ شَرْقًا بِلَادُ اِرْدَبِيلَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ دَخَلَتْ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ وَيُسَمَّى بَحْرُ طَبْرِسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ شِمَالِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْخَزَرِ وَهُمْ التُّرْكَ كَمَا وَدِدَا مِنْ عِنْدِ آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ فِي الشَّمَالِ جِبَالٌ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى سَمْتِ الْقَرَبِ إِلَى الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَتَمُرُّ فِيهِ مَنَاطِقٌ وَتُحِيطُ بِبَلَدِ مِيكَافَرِقِينَ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ عِنْدَ أَمْدٍ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ السَّلْسِلَةِ فِي أَصْفَلِ الشَّامِ وَمِنْ هُنَاكَ يَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْكَلَامِ كَمَا مَرَّ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ الشَّمَالِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ ثَنَابًا كَأَلْبَابٍ تُنْفِي مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي جَنُوبِهَا بِلَادُ الْأَبْوَابِ مُتَّصِلَةٌ فِي الشَّرْقِ إِلَى بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ مَدِينَةُ بَابِ الْأَبْوَابِ وَتَتَّصِلُ بِلَادُ الْأَبْوَابِ فِي الْقَرَبِ مِنْ نَاحِيَةِ جَنُوبِهَا بِبَلَدِ أَرْمِينِيَّةٍ وَبَيْنَهُمَا فِي الشَّرْقِ وَبَيْنَ بِلَادِ أَدْرِيَجَانَ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادُ الرُّابِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَفِي شِمَالِ هَذِهِ الْجِبَالِ قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي غَرْبِهَا مَمْلَكَةُ السَّرِيرِ فِي الزَّوَايَةِ الْقَرْيَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهَا وَفِي زَاوِيَةِ الْجُزْءِ كُلِّهِ قِطْعَةٌ أَيْضًا مِنْ بَحْرِ نِيطِشَ الَّذِي يُمِدُّ خَلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ وَيَحْتَفِ بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ نِيطِشَ بِلَادُ السَّرِيرِ وَعَلَيْهَا مِنْهَا بَلَدٌ أَطْرَابُزِيدَةَ وَتَتَّصِلُ بِلَادُ السَّرِيرِ بَيْنَ جَبَلِ الْأَبْوَابِ وَالْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ شَرْقًا إِلَى جَبَلِ حَاجِرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ الْخَزَرِ وَعِنْدَ آخِرِهَا مَدِينَةُ صَوْلٍ وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ الْحَاجِرِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ الْخَزَرِ تَنْتَهِي إِلَى الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَآخِرُ الْجُزْءِ شَمَالًا . وَالْجُزْءُ السَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ غَرْبِيَّةُ كُلِّهِ مَمْمُورٌ يَبْعَثُ بِطَبْرِسْتَانَ وَخَرَجَ مِنْ جَنُوبِهِ فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ الْقِطْعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ عَلَيْهَا بِلَادَ طَبْرِسْتَانَ وَجِبَالُ الدَّبَلَمِ إِلَى قَزْوِينَ وَفِي غَرْبِي تِلْكَ الْقِطْعَةِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَتَتَّصِلُ بِهَا مِنْ شِمَالِهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شَرْقِهَا أَيْضًا وَيَتَكَشَّفُ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ عِنْدَ زَاوِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الْقَرْيَةِ يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ أَتَى فِي هَذَا الْبَحْرِ وَبَقِيَ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْقِ قِطْعَةٌ مُنْكَشِفَةٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي مَجَالَاتٍ لِلْغُرُ مِنْ أَمْرِ التُّرْكَ يُحِيطُ بِهَا جَبَلٌ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ دَاخِلٌ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي وَيَذْهَبُ فِي الْقَرَبِ إِلَى مَا دُونَ وَسَطِهِ فَيَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَلْأَقِيَ بَحْرَ طَبْرِسْتَانَ فَيَحْتَفِ بِهِ ذَاهِبًا مَعَهُ إِلَى بَقِيَّتِهِ فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ

ثُمَّ يَتَعَطَّفُ مَعَ طَرَفِهِ وَيَقَارِفُهُ وَيُسَمَّى هُنَاكَ جَبَلُ سِيَاهٍ وَيَذْهَبُ مَغْرِبًا إِلَى الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَنُوبًا إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَهَذَا الطَّرَفُ مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي اعْتَرَضَ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ أَرْضِ السَّرِيرِ وَأَرْضِ الْخُزَرِ  
 وَأَتَصَلَّتْ بِأَرْضِ الْخُزَرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ حَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ الْمُسَمَّى جَبَلُ  
 سِيَاهٍ كَمَا سَيَأْتِي. وَالْجُزْءُ الثَّامِنُ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ كُلُّهُ مَجَالَاتُ الْغَزْرِ مِنْ أُمِّ  
 التُّرْكِ فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ بِحَيْرَةٍ خَوَارِزْمِ الَّتِي يَصُبُّ فِيهَا نَهْرُ جَيْخُونِ دَوْرَهَا  
 ثَلَاثُمِائَةِ مِيلٍ وَيَصُبُّ فِيهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَرْضِ هَذِهِ الْمَجَالَاتِ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ بِحَيْرَةٍ عُرْعُونِ دَوْرَهَا أَرْبَعُمِائَةِ مِيلٍ وَمَاوَهَا حُلُوٌّ فِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَبَلُ مِرْعَارٍ وَمَعْنَاهُ جَبَلُ الثَّلَجِ لِأَنَّهُ لَا يَدُوبُ فِيهِ وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِآخِرِ الْجُزْءِ  
 وَفِي الْجُزْءِ عَنِ مَجْعَرَةِ عُرْعُونِ جَبَلٌ مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ لَا يَنْبُتُ شَيْئًا يُسَمَّى عُرْعُونٌ وَبِهِ  
 سُمِّيَتِ الْبَحِيرَةُ وَيَجَلِبُ مِنْهُ وَمِنْ جَبَلِ مِرْعَارِ شِمَالِي الْبَحِيرَةِ أَنْهَارٌ لَا تَحْتَصِرُ عِدَّتُهَا فَتَصُبُّ  
 فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ. وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ بِلَادُ أَرْكَسَ مِنْ أُمِّ التُّرْكِ فِي  
 غَرْبِ بِلَادِ الْغَزْرِ وَشَرْقِ بِلَادِ الْكِيْمَاكِ وَبَحْثُ بِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ آخِرُ الْجُزْءِ  
 جَبَلٌ فَوْقًا لِمُحِيطِ بَيَا جُوجَ وَمَا جُوجَ يَعْتَرِضُ هُنَاكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَتَعَطَّفَ  
 أَوَّلَ دُخُولِهِ مِنَ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ وَقَدْ كَانَ دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِفْلِيمِ  
 الرَّابِعِ قَبْلَهُ وَأَحْتَفَ هُنَاكَ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ ثُمَّ انْعَطَفَ مَغْرِبًا  
 فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ إِلَى مَا دُونَ نِصْفِهِ وَأَحَاطَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى هُنَا بِبِلَادِ  
 الْكِيْمَاكِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ فَذْهَبَ فِيهِ مَغْرِبًا إِلَى آخِرِهِ  
 وَبَقِيَ فِي جَنُوبِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ آخِرِ بِلَادِ الْكِيْمَاكِ  
 ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ فِي شَرْقِيَّةِ وَفِي أَعْلَى مِنْهُ وَأَنْعَطَفَ قَرِيبًا إِلَى الشَّمَالِ وَذْهَبَ  
 عَلَى سَنَنِهِ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَفِيهِ السُّدُّ هُنَاكَ كَمَا نَذَرْنَاهُ  
 وَبَقِيَ مِنْهُ الْقِطْعَةُ الَّتِي أَحَاطَ بِهَا جَبَلٌ فَوْقًا عِنْدَ الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
 مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ بَيَا جُوجَ وَمَا جُوجَ وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ  
 أَرْضُ بَيَا جُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ كُلُّهَا إِلَّا قِطْعَةً مِنَ الْبَحْرِ عَمَرَتْ طَرَفًا فِي شَرْقِيَّةِ مِنْ جَنُوبِهِ  
 إِلَى شِمَالِهِ إِلَّا الْقِطْعَةَ الَّتِي بَقِيَهَا إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ جَبَلٌ فَوْقًا حِينَ مَرَّ فِيهِ وَمَا

سَوَى ذَلِكَ فَأَرْضُ بَاجُوجَ وَمَاجُوجَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ  
 الْإِفْلِيمُ السَّادِسُ. فَالْجُزءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ عَمْرُ الْبَحْرِ أَكْثَرُ مِنْ نِصْفِهِ وَأَسْتَدَارَ شَرْقًا  
 مَعَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ ثُمَّ ذَهَبَ مَعَ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ إِلَى الْجَنُوبِ وَأَتَتْهُ قَرِيبًا مِنَ النَّاحِيَةِ  
 الْجَنُوبِيَّةِ فَأَنْكَشَفَ قِطْعَةً مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْجُزءِ دَاخِلَةً بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَفِي  
 الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْبَحْرِ الْحَبِيطِ كَلَجُونِ فِيهِ وَبِتَفْسُحٍ طَوِيلًا وَعَرْضًا وَفِي  
 كُلِّهَا أَرْضٌ بَرِيطَانِيَّةٌ وَفِي بَاطِنِهَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَفِي الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا  
 الْجُزءِ بِلَادٌ صَافِسٌ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ بِنْتُوَالِيٍّ مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الْجُزءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْإِفْلِيمِ  
 الْخَامِسِ. وَالْجُزءُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ دَخَلَ الْبَحْرَ الْحَبِيطَ مِنْ غَرْبِهِ وَشَمَالِهِ فَمِنْ غَرْبِهِ  
 قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ أَكْبَرُ مِنْ نِصْفِ الشَّمَالِ مِنْ شَرْقِ أَرْضِ بَرِيطَانِيَّةٍ فِي الْجُزءِ الْأَوَّلِ  
 وَأَصَلَتْ بِهَا الْقِطْعَةُ الْآخَرَى فِي الشَّمَالِ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْفِهِ وَأَنْفَسَحَتْ فِي النِّصْفِ  
 الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ وَفِيهِ هَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنْ جَزِيرَةِ أَنْيَكَلِرَّا وَفِي جَزِيرَةِ عَظِيمَةٍ  
 مُشْتَمِلَةٍ عَلَى مَدُنٍ وَبِهَا مَلِكٌ ضَخْمٌ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْإِفْلِيمِ السَّابِعِ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 وَحَزِيرَتِهَا فِي النِّصْفِ الْغَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الْجُزءِ بِلَادُ أَرْمَنِيَّةٍ وَبِلَادُ أَفْلَادَشَ مُتَّصِلِينَ بِهَا  
 ثُمَّ بِلَادُ إِفْرَنْسِيَّةٍ جَنُوبًا وَغَرْبًا مِنْ هَذَا الْجُزءِ وَبِلَادُ بَرْغُونِيَّةٍ شَرْقًا عَنْهَا وَكُلُّهَا لِأَمِّ  
 الْأَفْرَنْجِيَّةِ وَبِلَادُ أَلْمَانِيَّيْنِ فِي النِّصْفِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجُزءِ جَنُوبُهُ بِلَادُ أَنْكَلَايَةِ ثُمَّ  
 بِلَادُ بَرْغُونِيَّةٍ شَمَالًا ثُمَّ أَرْضُ لُوبِيكَّةَ وَشَطُونِيَّةَ وَعَلَى قِطْعَةِ الْبَحْرِ الْحَبِيطِ فِي الزَّوَايَةِ  
 الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ أَرْضُ أَفْرِيَّةَ وَكُلُّهَا لِأَمِّ أَلْمَانِيَّيْنِ. وَفِي الْجُزءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا  
 الْإِفْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ بِلَادُ مَرَاتِيَّةٍ فِي الْجَنُوبِ وَبِلَادُ شَطُونِيَّةٍ فِي الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ بِلَادُ أَنْكُوْبِيَّةٍ فِي الْجَنُوبِ وَبِلَادُ بَلُونِيَّةٍ فِي الشَّمَالِ بَعْضُهُمَا جَبَلٌ بَلُوطَ  
 دَاخِلًا مِنَ الْجُزءِ الرَّابِعِ وَبِمَرٍّ مُغْرَبًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَقِفَ فِي بِلَادِ  
 شَطُونِيَّةٍ آخِرَ النِّصْفِ الْغَرْبِيِّ. وَفِي الْجُزءِ الرَّابِعِ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ أَرْضُ جَنُوبِيَّةٍ وَتَحْتَهَا  
 فِي الشَّمَالِ بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَبِفَصْلِ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ بَلُوطَ مِنْ أَوَّلِ الْجُزءِ غَرْبًا إِلَى أَنْ  
 يَقِفَ فِي النِّصْفِ الشَّرْقِيِّ وَفِي شَرْقِ أَرْضِ جَنُوبِيَّةِ بِلَادُ جَرْمَانِيَّةٍ وَفِي الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ أَرْضُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَمَدِينَتُهَا عِنْدَ آخِرِ الْخَلِيجِ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَعِنْدَ  
 مِدْفَعِهِ فِي بَحْرِ نِيطَاشَ فَبِقَعِ قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ نِيطَاشَ فِي أَعَالِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا

الجزء ويُمَدُّهَا الْخَلِيجُ وَيَتَمَّهَا فِي الزَّائِيَةِ بِلَدُ مَسِينَاةٍ وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ  
الْسادسِ ثُمَّ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ عِنْدَ بَحْرِ نِيطَشٍ يَتَّصِلُ مِنَ الْخَلِيجِ فِي آخِرِ الْجُزْءِ  
الرَّابِعِ وَيَخْرُجُ مِنْ سَمْتِهِ مُسْتَقَرًّا قَيْمَرُ فِي هَذَا الْجُزْءِ كُلِّهِ وَفِي بَعْضِ السَّادِسِ عَلَى طُولِ  
أَنْفٍ وَثَلَاثِمِائَةِ مِيلٍ مِنْ مَبْدَأِهِ فِي عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ وَبَقِيَ وَرَاءَ هَذَا الْبَحْرِ فِي  
النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي غَرْبِهَا إِلَى شَرْقِهَا بَرٌّ مُسْتَطِيلٌ فِي غَرْبِهِ هِرْقَلِيَّةٌ عَلَى  
سَاحِلِ بَحْرِ نِيطَشٍ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ الْبَيْلِقَانِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ وَفِي شَرْقِهِ بِلَادُ اللَّانِيَّةِ  
وَقَاعِدَتُهَا سَوْتِي عَلَى بَحْرِ نِيطَشٍ وَفِي شَمَالِ بَحْرِ نِيطَشٍ فِي هَذَا الْجُزْءِ غَرْبًا أَرْضُ تَرْخَانَ  
وَمُتَرَقًا بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَكُلُّهَا عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ وَبِلَادُ الرُّوسِيَّةِ مُحِيطَةٌ بِبِلَادِ تَرْخَانَ  
مِنْ شَرْقِهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ شَمَالِهَا فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّابِعِ وَمِنْ غَرْبِهَا  
فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ بَحْرِ نِيطَشٍ  
وَيَتَحَرَّفُ قَلِيلًا إِلَى الشَّمَالِ وَبَقِيَ بَيْنَهُ هُنَاكَ وَبَيْنَ آخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا بِلَادُ قَائِنَةَ وَفِي  
جَنُوبِهِ مُنْقَسِمًا إِلَى الشَّمَالِ بِمَا ائْتَحَرَفَ هُوَ كَذَلِكَ بَقِيَّةُ بِلَادِ اللَّانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ آخِرَ  
جَنُوبِهِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مُتَّصِلُ أَرْضِ الْخَزَرِ وَفِي  
شَرْقِهَا أَرْضُ بَرْطَاسَ وَفِي الزَّائِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ أَرْضُ بِلَقَارَ وَفِي الزَّائِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
الْجَنُوبِيَّةِ أَرْضُ بَلَنْجَرٍ يَجُوزُهَا هُنَاكَ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ سَيَاكُوهُ الْمُنْعَطِفِ مَعَ بَحْرِ الْخَزَرِ  
فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ بَعْدَهُ وَيَنْهَبُ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ مُغْرَبًا فَيَجُوزُ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ وَيَدْخُلُ إِلَى  
الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِجَبَلِ الْأَبْوَابِ وَعَلَيْهِ مِنْ هُنَاكَ  
نَاحِيَةُ بِلَادِ الْخَزَرِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مَا جَارَهُ  
جَبَلٌ سِيَاهٌ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ بَحْرَ طَبْرِسْتَانَ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ الْخَزَرِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ غَرْبًا  
وَفِي شَرْقِهَا الْقِطْعَةُ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ الَّتِي يَجُوزُهَا هَذَا الْجَبَلُ مِنْ شَرْقِهَا وَشَمَالِهَا وَوَرَاءَ  
جَبَلِ سِيَاهٍ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ أَرْضُ بَرْطَاسَ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
أَرْضُ شَعْرَبَ وَيَخْتَلِكُ وَفِي أَمِّ التُّرْكِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ وَالنَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ كُلُّهَا  
أَرْضُ الْخَوَزَجِ مِنَ التُّرْكِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ غَرْبًا وَالْأَرْضُ الْمُنْتِنَةُ وَشَرْقُ الْأَرْضِ الَّتِي  
يُقَالُ إِنَّ بِأُجُوجَ وَمَأْجُوجَ خَرَّبَاهَا قَبْلَ بِنَاءِ الشَّدِّ وَفِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُنْتِنَةُ مَبْدَأُ نَهْرِ  
الْأَتْلِ مِنْ أَكْظَمِ أَنْهَارِ الْعَالَمِ وَمَمْرُهُ فِي بِلَادِ التُّرْكِ وَمَصْبُهُ فِي بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ فِي الْإِفْلِيمِ

الْخَامِسِ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ وَهُوَ كَثِيرٌ لَا نَعْتَاطُ يَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ مِنَ الْأَرْضِ الْمُعْتَنَةِ  
 مِنْ ثَلَاثَةِ بَنَاتٍ يَجْتَمِعُ فِي نَهْرٍ وَاحِدٍ وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِ الْغَرْبِ إِلَى آخِرِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا  
 الْأَقْلِيمِ يَنْعَطِفُ شَمَالًا إِلَى الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ قِيمَرُ فِي طَرَفِهِ بَيْنَ  
 الْجَنُوبِ وَالْمَغْرِبِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ السَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَغْرِبًا عِزْدُ بَعِيدٌ ثُمَّ  
 يَنْعَطِفُ ثَانِيَةً إِلَى الْجَنُوبِ وَيَرْجِعُ إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ  
 جَدُولٌ يَذْهَبُ مَغْرِبًا وَيَصُبُّ فِي بَحْرِ بَطْنِشٍ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ وَيَمُرُّ هُوَ فِي قِطْعَةٍ بَيْنَ الشَّمَالِ  
 وَالشَّرْقِ فِي بِلَادٍ يَلْقَا فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ ثَالِثَةً  
 إِلَى الْجَنُوبِ وَيَنْقُذُ فِي جَبَلٍ سِبَاهٍ وَيَمُرُّ فِي بِلَادِ الْخَزَرِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ طَبَرْسْتَانَ فِي الْقِطْعَةِ الَّتِي انْكَشَتْ مِنْ  
 الْجُزْءِ عِنْدَ الزَّوَايَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَالْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ  
 مِنْهُ بِلَادُ خَشَنَاشٍ مِنَ الْأَرَكِ وَهُمْ قَبَائِلُ وَبِلَادُ السَّرَكْسِ مِنْهُمْ أَيْضًا وَفِي الشَّرْقِ مِنْهُ  
 بِلَادُ بَاجُوجٍ بِفَصْلٍ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ فَوْقَهُمَا الْحَبِيطُ وَقَدَمَرٌ ذَكَرَهُ بَدَأُ مِنَ الْبَحْرِ الْحَبِيطِ  
 فِي شَرْقِ الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى آخِرِ الْأَقْلِيمِ فِي الشَّمَالِ وَيَفَارِقُهُ مَغْرِبًا  
 وَيَأْتِيهِمْ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَرْجِعُ إِلَى  
 سَمْتِهِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ الْأَقْلِيمِ مِنْ جَنُوبِهِ إِلَى شَمَالِهِ  
 بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي وَسَطِهِ هُنَا السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْأَيْسُكَنْدَرُ ثُمَّ يَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ  
 إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْهُ قِيمَرُ فِيهِ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى أَنْ يَلْقَى الْبَحْرَ  
 الْحَبِيطَ فِي شَمَالِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَهُ مِنْ هُنَاكَ مَغْرِبًا إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ إِلَى الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْهُ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْحَبِيطِ فِي غَرْبِهِ وَفِي وَسَطِ هَذَا الْجُزْءِ  
 الثَّامِنِ هُوَ السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْأَيْسُكَنْدَرُ كَمَا قُلْنَا وَاصْبُحْ مِنْ خَبَرِهِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَرْدَاذِبَةَ فِي كِتَابِهِ فِي الْجُغَرَفِيَا أَنَّ الْوَاقِعَ رَأَى فِي مَنَاهِ  
 كَانَ السُّدُّ انْفَتَحَ فَأَتَتْهُ نَزْعًا وَبَعَثَ سَلَامًا إِلَى رُجْمَانَ فَوْتَفَ عَلَيْهِ وَجَاءَ بِخَبَرِهِ وَوَصَّيهِ  
 فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ لَيْسَتْ مِنْ مَقَاصِدِ كِتَابِنَا هَذَا وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ  
 بِلَادُ مَاجُوجٍ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ إِلَى آخِرِهِ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْحَبِيطِ أَحَاطَتْ بِهِ  
 مِنْ شَرْقِهِ وَشَمَالِهِ مُسْتَطِيلَةٌ فِي الشَّمَالِ وَعَرِيفَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الشَّرْقِ

الْأَيْلِيمُ السَّابِعُ \* وَالْبَحْرُ الْخِيطُ قَدْ غَمَرَ عَامَتَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ حَيْثُ يَتَّصِلُ بِجَبَلٍ قَوْيَا أَنْحِيطُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ . فَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي  
 مَمْمُورَانِ بِالْمَاءِ إِلَّا مَا أَنْكَشَفَ مِنْ جَزِيرَةٍ أَنْكَلَتْهَا إِلَيَّ مُعْظَمُهَا فِي الثَّانِي وَفِي الْأَوَّلِ  
 مِنْهَا طَرَفٌ أَنْطَفَ بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ وَبَقِيَّتُهَا مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ مُسْتَدِيرَةٌ عَلَيْهِ  
 فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْأَيْلِيمِ السَّادِسِ وَهِيَ مَذْكُورَةٌ هُنَاكَ وَالْعَبَازُ مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ فِي  
 هَذِهِ الْقِطْعَةِ سَمَةٌ اثْنِي عَشَرَ مِيلًا وَوَرَاءَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ فِي شَمَالِ الْجُزْءِ الثَّانِي جَزِيرَةٌ  
 وَرَسْلَانِدَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ . وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْأَيْلِيمِ مَمْمُورٌ  
 أَكْثَرُهُ بِأَنْحَرٍ إِلَّا قِطْعَةً مُسْتَطِيلَةً فِي جَنُوبِهِ وَتَنْسَعُ فِي شَرْفِهَا وَتِيهَا هُنَاكَ مُتَّصِلُ أَرْضِ  
 فُلُونِيَّةٍ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الثَّلَاثِ مِنَ الْأَيْلِيمِ السَّادِسِ وَأَنْهَا فِي شَمَالِهَا وَفِي الْقِطْعَةِ مِنَ  
 الْبَحْرِ الَّتِي تَحْمِلُ هَذَا الْجُزْءَ ثُمَّ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا مُسْتَدِيرَةٌ فَسِيحَةٌ وَتَتَّصِلُ بِالْبَرِّ مِنْ  
 بَابٍ فِي جَنُوبِهَا يُفْضِي إِلَى بِلَادِ فُلُونِيَّةٍ وَفِي شَمَالِهَا جَزِيرَةٌ بَرَعَانِيَّةٌ ( وَفِي نَسْخَةِ بَوَاقِعِ )  
 مُسْتَطِيلَةٌ مَعَ الشَّمَالِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْأَيْلِيمِ شَمَالُهُ  
 كُلُّهُ مَمْمُورٌ بِالْبَحْرِ الْأَنْحِيطُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَجَنُوبُهُ مُنْكَشَفٌ وَفِي غَرْبِهِ  
 أَرْضُ قِيَازَكَ مِنَ التُّرْكِ وَفِي شَرْفِهَا بِلَادُ طُسْتٍ ثُمَّ أَرْضُ رَسْلَانٍ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا  
 وَهِيَ دَائِمَةُ التَّلُوجِ وَعُمُرَانَهَا قَلِيلٌ وَتَتَّصِلُ بِبِلَادِ الرُّوسِيَّةِ فِي الْأَيْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي  
 الْجُزْءِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْأَيْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ  
 بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَتَنْتَهِي فِي الشَّمَالِ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْأَنْحِيطُ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلُ  
 قَوْيَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلُ أَرْضِ الْقِمَاكِيَّةِ الَّتِي عَلَى  
 قِطْعَةٍ تَحْرِي نِيطِشٍ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَيْلِيمِ السَّادِسِ وَتَنْتَهِي إِلَى بَحْرِيَّةٍ طَرَفِيٍّ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَهِيَ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجِبَالِ عَنِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ  
 وَفِي شَمَالِ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ التَّيَارِيَّةِ مِنَ التُّرْكِ ( وَفِي نَسْخَةِ التُّرْكَانِ )  
 إِلَى آخِرِهِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مُتَّصِلُ بِلَادِ الْقِمَاكِيَّةِ وَفِي  
 وَسَطِ النَّاحِيَةِ بِحِيرَةٌ عَثُورٌ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْجِبَالِ فِي التَّوْحِي الشَّرْقِيَّةِ  
 وَهِيَ جَامِدَةٌ دَائِمًا لَشِدَّةِ الْبَرْدِ إِلَّا قَلِيلًا فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وَفِي شَرْقِ بِلَادِ الْقِمَاكِيَّةِ بِلَادُ

الرُّوسِيَّةَ الَّتِي كَانَ مَبْدَأُهَا فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الزَّوِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بَلُغَرِ الَّتِي كَانَ  
مَبْدَأُهَا فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ  
وَفِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ أَرْضِ بَلُغَرِ مُنْعَطَفُ نَهْرِ أَثَلِ الْقِطْعَةِ الْأُولَى إِلَى الْجَنُوبِ  
كَمَا مَرَّ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شِمَالِهِ جَبَلٌ فَوْقِيَا مُتَّصِلٌ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ  
وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بِيخَاكْ مِنْ أَمْرِ التُّرْكِ وَكَانَ  
مَبْدَأُهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ قَبْلَهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
الغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ مِنْ فَوْقِهِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
بَقِيَّةُ أَرْضِ سَحْرَبْ ثُمَّ بَقِيَّةُ الْأَرْضِ الْمُتَنَتِفِةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ  
جِهَةِ الشَّمَالِ جَبَلٌ فَوْقِيَا مُحِيطٌ مُتَّصِلًا مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا  
الْإِفْلِيمِ فِي الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلُ الْأَرْضِ الْمُتَنَتِفِةِ وَفِي شَرْقِهَا الْأَرْضُ الْحَفُورَةُ  
وَهِيَ مِنَ الْعَجَائِبِ خَرَقَ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدُ الْمَهْوَى فَيَسْبَحُ الْأَنْطَارِ مُحْتَمِلٌ الْوُصُولِ  
إِلَى قَعْرِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى عُمْرَانِهِ بِالْذُّخَانِ فِي النَّهَارِ وَالنَّيْرَانِ فِي اللَّيْلِ تُضَيُّهُ وَيَخْفَى وَرُبَّمَا  
رُئِيَ فِيهَا نَهْرٌ يُسْقِيهَا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الْبِلَادُ  
الْخَرَابُ الْمُتَاخِذَةُ لِلْسُّدْرِ وَفِي آخِرِ الشَّمَالِ مِنْهُ جَبَلٌ فَوْقِيَا مُتَّصِلًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ  
وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بِلَادُ خَفْشَاخَ وَهُمْ قَبِيحُ  
يَجُوزُهَا جَبَلٌ فَوْقِيَا حِينَ يَنْعَطِفُ مِنْ شِمَالِهِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْخَيْطِ وَيَذْهَبُ فِي وَسْطِهِ إِلَى  
الْجَنُوبِ بِأَنْخِرَافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ  
مُعْتَزًّا فِيهِ وَفِي وَسْطِهِ هُنَاكَ سُدٌّ بِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ بِأَجُوجَ وَرَاءَ جَبَلٍ فَوْقِيَا عَلَى الْبَحْرِ قَلِيلَةَ الْعَرْضِ مُسْتَطِيلَةٌ أَحَاطَتْ  
بِهِ مِنْ شَرْقِهِ وَشِمَالِهِ وَالْجُزْءُ الْعَاشِرُ عَمَرُ الْبَحْرِ شَمِيمَةٌ هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ عَلَى الْجُغْرَفِيَا  
وَأَقَالِيمِهَا السَّبْعَةِ وَفِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِبَيِّنَاتٍ لِلْعَالَمِينَ

## المقدمة الثالثة

في المعتدل من الاقاليم والمخرف وتأثير الهواء في الوان البشر

والكثير في احوالهم

قَدْ يَتَنَبَّأَنَّ أَنَّ الْمَعْمُورَ مِنْ هَذَا الْمَنْكَشَفِ مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا هُوَ وَسَطُهُ لَا فِرَاطَ  
 الْخَرِّ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ وَالْبَرْدُ فِي الشَّمَالِ . وَلَمَّا كُنَّا الْجَانِبَيْنِ مِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ  
 مُتَضَادَّيْنِ مِنَ الْخَرِّ وَالْبَرْدِ وَجَبَّ أَنْ تَنْدَرِجَ الْكَيْفِيَّةُ مِنْ كِلَيْهِمَا إِلَى الْوَسْطِ فَيَكُونُ  
 مُعْتَدِلًا قَالُوا فَلَيْسَ الرَّابِعُ أَعْدَلَ الثَّوَمَانِ وَالَّذِي حَافَاثُهُ مِنَ الثَّالِثِ وَالْخَامِسِ أَقْرَبُ إِلَى  
 الْأَعْتِدَالِ وَالَّذِي بَيْنَهُمَا وَالثَّانِي وَالسَّادِسُ بَعِيدَانِ مِنَ الْأَعْتِدَالِ وَالْأَوَّلُ وَالسَّابِعُ  
 أَبْعَدُ بِكَثِيرٍ فَلِهَذَا كَانَتْ أَعْلَامُهُ وَالصَّنَائِعُ وَالْبَنَانُ وَالْمَلَأْسُ وَالْأَفْوَاتُ وَالْقَوَاكِمُ بَلْ  
 وَالْحَيَوَانَاتُ وَجَمِيعُ مَا يَتِمُّ كَوْنُهُ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ مَخْصُوصَةً بِالْأَعْتِدَالِ  
 وَسُكَّانُهَا مِنَ الْبَشَرِ أَعْدَلُ أَجْسَامًا وَأَلْوَانًا وَأَخْلَاقًا وَأَدْبَانًا حَتَّى الثُّبُوتُ فَإِنَّمَا تُوْجَدُ  
 فِي الْأَكْثَرِ فِيهَا وَلَمْ تَقِفْ عَلَى خَبَرٍ بَعَثَهُ فِي الْأَقَالِيمِ الْجَنُوبِيَّةِ وَلَا الشَّمَالِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
 الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ أَكْمَلُ النَّوعِ فِي خَلْقِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ قَالَ تَعَالَى كُنْتُمْ  
 خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَذَلِكَ لِيَتِمَّ الْقَبُولُ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَهْلُ  
 هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَكْمَلُ لَوْجُودِ الْأَعْتِدَالِ لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي مَسَافَتِهِمْ  
 وَمَلَائِسِهِمْ وَأَفْوَانِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ يَتَغَدُّونَ الْبُيُوتَ الْمُجَبَّدَةَ بِالْحِجَارَةِ الْمُنْمَقَةِ بِالصَّنَاعَةِ  
 وَيَتَنَافَعُونَ فِي اسْتِجَادَةِ الْأَلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ وَيَذْهَبُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ وَتُوْجَدُ لَدَيْهِمْ  
 الْمَعَادِنُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ وَالزَّرْصَاصِ وَالْقَصْدِيرِ  
 وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مُمَالِكَتِهِمْ بِالتَّقْدِيرِ الْعَزِيزِ وَيَبْعُدُونَ عَنِ الْإِثْمَرَانِ فِي عَامَةِ أَحْوَالِهِمْ  
 وَهُوَ لَاءُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقَيْنِ وَالْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالصِّينِ  
 وَكَذَلِكَ الْأَنْدَلُسُ وَمَنْ قَرَبَ مِنْهَا مِنَ الْفَرَنْجَةِ وَالْجَلَلِيقَةِ وَالرُّومِ وَالْيُونَانِيِّينَ وَمَنْ كَانَ  
 مَعَ هَؤُلَاءِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَلِهَذَا كَانَ الْعِرَاقُ وَالشَّامُ أَعْدَلَ  
 هَذِهِ كِلَاهُمَا لِأَنَّهَا وَسَطٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ . وَأَمَّا الْأَقَالِيمُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْأَعْتِدَالِ بِمِثْلِ الْأَوَّلِ  
 وَالثَّانِي وَالسَّادِسِ وَالسَّابِعِ فَأَهْلُهَا أَبْعَدُ مِنَ الْأَعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ فَيَنَالُهُمُ بِالطَّيْنِ



وَالْقَصَبَ وَأَنْوَاتُهُمْ مِنَ الذَّرَّةِ وَالْعُشْبِ وَمَلَاسِيَهُمْ مِنْ أَوْزاقِ الشَّجَرِ يَخْصِفُونَهَا عَلَيْهِمْ  
 أَوْ الْجُلُودَ وَكَثَرَتْهُمْ عَرَابًا مِنَ الْبَاسِ وَقَوَاكِهِ بِلَادِهِمْ وَأَدَمَهَا غَرِيبَةُ التَّكُونِ مَائِلَةً  
 إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَمُعَامَلَاتُهُمْ يَغْتَبِرُ الْحَجَرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ نَحَاسٍ أَوْ حديدٍ أَوْ جُلُودٍ  
 يَغْدَرُونَهَا لِلْمُعَامَلَاتِ وَأَخْلَقَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبَةً مِنْ خَلْقِ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجَمِ حَتَّى لِيُنْقَلُ  
 عَنِ الْكَثِيرِ مِنَ السُّودَانِ أَهْلُ الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ أَنَّهُمْ يَسْكُونُونَ الْكَهْوفَ وَالْقِيَاضَ  
 وَيَأْكُلُونَ الْعُشْبَ وَأَنَّهُمْ مُتَوَحِّشُونَ غَيْرُ مُسْتَأْسِينَ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَكَذَا الصَّقَالِيَّةُ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الْإِعْتِدَالِ يَقْرُبُ عَرْضُ أَمْرِ جَنَّتِهِمْ وَأَخْلَافِهِمْ مِنْ  
 عَرْضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجَمِ وَيَعْدُونَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ فِي  
 الدَّرْيَانَةِ أَيْضًا فَلَا يَعْرِفُونَ نُبُوَّةَ وَلَا يَدِينُونَ بِشَرِيعَةٍ إِلَّا مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ مِنْ جَوَانِبِ  
 الْإِعْتِدَالِ وَهُوَ فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ مِثْلُ الْحَبَشَةِ الْجَوَارِينَ اللَّيْمَنِ الدَّانِيَنِ بِالنَّصْرَانِيَّةِ  
 فِيمَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَمَا بَعْدَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِثْلُ أَهْلِ مَالِي وَكُوكُو وَالنُّكُورِ الْجَوَارِينَ  
 لِأَرْضِ الْمَغْرِبِ الدَّانِيَنِ بِالْإِسْلَامِ لِهَذَا الْعَهْدِ يُقَالُ إِنَّهُمْ دَانُوا بِهِ فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ  
 وَمِثْلُ مَنْ دَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ مِنْ أُمَمِ الصَّقَالِيَّةِ وَالْأَفَرِجِيَّةِ وَالتُّرْكِ مِنَ الشِّمَالِ وَمِنْ سِوَى  
 هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَقَالِيمِ الْمَشْرِقَةِ جَنُوبًا وَشِمَالًا فَالَّذِينَ يَجْهَلُونَ عِنْدَهُمُ الْعِلْمُ مَفْقُودٌ  
 بَيْنَهُمْ وَجَمِيعُ أَحْوَالِهِمْ بَعِيدَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ قَرِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْبَهَائِمِ وَيَقْلِقُ مَا  
 لَا تَعْلَمُونَ وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بوجُودِ الْيَمَنِ وَحَضْرَتِ مَوْتِ وَالْأَحْقَافِ وَبِلَادِ  
 الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا بَيْنَهَا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالْثَّانِي فَإِنَّ جَزِيرَةَ  
 الْعَرَبِ كُلَّهَا أَحَاطَتْ بِهَا الْأَحْجَادُ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ كَمَا ذَكَرْنَا فَكَانَ لِرُطُوبَتِهَا أَثَرٌ فِي  
 رُطُوبَةِ هَوَائِهَا فَتَقْصُ ذَلِكَ مِنَ الْبَاسِ وَالْأَنْحِرَافِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَرُّ وَصَارَ فِيهَا بَعْضُ  
 الْإِعْتِدَالِ بِسَبَبِ رُطُوبَةِ الْبَحْرِ . وَقَدْ تَوَقَّعَ بَعْضُ النَّسَّابِينَ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَدَيْهِ بِطَبَائِعِ  
 الْكَائِنَاتِ أَنَّ السُّودَانَ هُوَ وَلَدُ حَامٍ بَنِي نُوحٍ اخْتَصَمُوا بِلَوْنِ السُّودَانِ لِدَعْوَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ  
 مِنْ أَبِيهِ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي لَوْنِهِ وَفِيهَا جَمَلُ اللَّهِ مِنَ الرِّقِّ فِي عَقِبِهِ وَيَقُولُونَ فِي ذَلِكَ حِكَايَةً  
 مِنْ خُرَافَاتِ الْقَصَاصِ وَدَعَاهُ نُوحٍ عَلَى ابْنِهِ حَامٍ قَدْ وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ  
 السُّودَانِ وَإِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ وَلَهُ عِيْدًا وَلَوْلَا إِخْوَتُهُ لَا غَيْرُ وَفِي الْقَوْلِ بِنِسْبَةِ  
 السُّودَانِ إِلَى حَامٍ غَفَلَةٌ عَنْ طَبِيعَةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَثَرِهَا فِي الْهَوَاءِ وَفِيهَا يَتَكَوَّنُ فِيهِ

مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا اللَّوْنَ يَمْلَأُ أَهْلَ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ مَزَاجِ هَوَائِهِمْ  
 لِلْخَرَادَةِ الْمُتَضَاعِفَةِ بِالْجَنُوبِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تَسَامَتْ رُؤُوسُهُمْ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ قَرِيبَةً  
 أَحَدَهُمَا مِنَ الْأُخْرَى فَتَطُولُ الْمَسَامَتَةُ عَامَةً الْفُصُولِ فَيَكْثُرُ الضَّوْءُ لِأَجْلِهَا وَيَلْجُ  
 الْقَبِطُ الشَّدِيدُ عَلَيْهِمْ وَتَسْوَدُّ جُلُودُهُمْ لَا فِرَاطَ الْخَرِّ وَتَطْيَرُ هَذَيْنِ الْأَقْلِيمَيْنِ مِمَّا يَبْقَا لِيُسَا  
 مِنْ الشَّمَالِ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَالسَّادِسِ شَمَلٌ سُبُكَّانَهَا أَيْضًا الْبَيَاضُ مِنْ مَزَاجِ هَوَائِهِمْ  
 لِلْبَرْدِ الْمَقْرُطِ بِالشَّمَالِ إِذِ الشَّمْسُ لَا تَزَالُ بِأَفْقِهِمْ فِي دَائِرَةٍ مَرَأَى الْعَيْنِ أَوْ مَا قَرُبَ  
 مِنْهَا وَلَا تَرْتَفِعُ إِلَى الْمَسَامَتَةِ وَلَا مَا قَرُبَ مِنْهَا فَيَضَعُ الْخَرُّ فِيهَا وَيَشْدُدُّ الْبَرْدُ عَامَةً  
 الْفُصُولِ فَتَبْيَضُّ أُلُوَانُ أَهْلِهَا وَتَنْتَبِهُ إِلَى الزُّعُورَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ مَزَاجُ الْبَرْدِ  
 الْمَقْرُطِ مِنْ زُرْقَةِ السُّيُونِ وَتَرَشُّ الْجُلُودُ وَهَوِيَّةُ الشُّعُورِ وَتَوَسَّطَتْ بَيْنَهُمَا الْأَقَالِيمُ  
 الثَّلَاثَةُ الْخَامِسُ وَالرَّابِعُ وَالثَّلَاثُ فَكَانَ لَهَا فِي الْأَعْتِدَالِ الَّذِي هُوَ مَزَاجُ الْمُتَوَسِّطِ  
 حَظٌّ وَافِرٌ وَالرَّابِعُ أَبْلَغُهَا فِي الْأَعْتِدَالِ غَايَةً لِنَهَائِهِ فِي التَّوَسُّطِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ فَكَانَ لِأَهْلِهِ  
 مِنْ الْأَعْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ مَا أَفْتَضَاهُ مَزَاجُ أَهْوِيَّتِهِمْ وَتَبِعَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ الثَّلَاثُ  
 وَالْخَامِسُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغَا غَايَةَ التَّوَسُّطِ لِمَلِّ هَذَا قَلِيلًا إِلَى الْجَنُوبِ الْحَارِّ وَهَذَا قَلِيلًا إِلَى  
 الشَّمَالِ الْبَارِدِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَنْتَبِهُمَا إِلَى الْأَخْطَافِ وَكَانَتْ الْأَقَالِيمُ الْأَرْبَعَةُ مُخَرَّجَةً وَأَهْلُهَا  
 كَذَلِكَ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي لِلْخَرِّ وَالسَّوَادِ وَالسَّابِعُ لِلْبَرْدِ وَالْبَيَاضِ وَبُسْمَى  
 سُبُكَّانُ الْجَنُوبِ مِنَ الْأَقْلِيمَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي بِأَسْمِ الْحَبَشَةِ وَالزُّنُجِ وَالسُّودَانِ أَسْمَاءُ  
 مُتَرَادِفَةٍ عَلَى الْأُمَمِ الْمُتَغَيِّرَةِ بِالسَّوَادِ وَإِنْ كَانَ أَسْمُ الْحَبَشَةِ مُخْتَصًّا مِنْهُمْ بِمَنْ تَجَاةُ  
 مَكَّةَ وَالْبَحْرَيْنِ وَالزُّنُجِ بِمَنْ تَجَاةُ بَحْرِ الْهِنْدِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْتِسَابِهِمْ  
 إِلَى آدَمَ أَسْوَدَ لَا حَامٍ وَلَا غَيْرِهِ وَقَدْ نَجَدْنَا السُّودَانَ أَهْلَ الْجَنُوبِ مَنْ يَسْكُنُ  
 الرَّابِعَ الْمُعْتَدِلَ أَوْ السَّابِعَ الْمُخْتَرَفَ إِلَى الْبَيَاضِ فَتَبْيَضُّ أُلُوَانُ أَغْفَابِهِمْ عَلَى التَّدْرِيجِ  
 مَعَ الْأَبْيَاضِ وَيَالْمَكْسُ فَيَمْنُ يَسْكُنُ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ أَوْ الرَّابِعِ بِالْجَنُوبِ فَتَسْوَدُّ  
 أُلُوَانُ أَغْفَابِهِمْ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّوْنَ تَابِعٌ لِمَزَاجِ الْهَوَاءِ قَالَ ابْنُ سِينَا فِي  
 أَزْجُوزِيهِ فِي الطَّبِّ

بِالزُّنُجِ حَرٌّ غَيْرُ الْأَجْسَادِ حَتَّى كَسَا جُلُودَهَا سَوَادًا  
 وَالصَّقْلِبُ كَتَسَبَّتِ الْبَيَاضَ حَتَّى غَدَتْ جُلُودَهَا بَيَاضًا

وَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ فَلَمْ يَسْمُوا بِأَعْيَابِ أُلُوْنِهِمْ لِأَنَّ الْبَيَاضَ كَانَ لَوْنًا لِأَهْلِ تِلْكَ اللَّغَةِ  
 الْوَاضِعَةِ لِلْأَسْمَاءِ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ غَرَابَةٌ تُعْمَلُ عَلَى اعْتِبَارِهِ فِي التَّسْمِيَةِ لِمُؤَافَقَتِهِ وَاعْتِبَادِهِ  
 وَوَجَدْنَا سُكَّانَهُ مِنَ التُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالطُّغُرُغُرِ وَالْخَزَرِ وَاللَّانِ وَالْكَثِيرِ مِنَ الْأَفْرَاسِيَّةِ  
 وَيَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ أَسْمَاءَ مُتَفَرِّقَةٍ وَأَجْيَالًا مُتَعَدِّدَةً مُسَمَّيْنَ بِأَسْمَاءَ مُتَنَوِّعَةٍ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ أَهْلُ الْأَعْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَكَافَّةُ الْأَحْوَالِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ لِلْاعْتِمَادِ لَدَيْهِمْ مِنَ الْعَمَاشِ وَالْمَسَاكِينِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَأَرْثَاسَاتِ  
 وَالْمُلْكِ فَكَانَتْ فِيهِمُ الثَّبُوتُ وَالْمُلْكُ وَالِدَوْلُ وَالشَّرَائِعُ وَالْعُلُومُ وَالْبِلْدَانُ وَالْأَمْصَارُ  
 وَالْمَبَانِي وَالْفَرَاسَةُ وَالصَّنَائِعُ الْفَائِقَةُ وَسَائِرُ الْأَحْوَالِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الَّتِي  
 وَقَفْنَا عَلَى أَخْبَارِهِمْ مِنْهُ الْعَرَبُ وَالرُّومُ وَفَارِسُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْيُونَانُ وَأَهْلُ السِّنْدِ  
 وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ . وَلَمَّا رَأَى السَّابِقُونَ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْأُمَمِ بِسِمَاتِهَا وَشِعَارِهَا حَسِبُوا ذَلِكَ  
 لِأَجْلِ الْأَنْسَابِ فَجَعَلُوا أَهْلَ الْجَنُوبِ كُلَّهُمُ السُّودَانَ مِنْ وَلَدِ حَامَ وَأَزْنَبُوا فِي أُلُوْنِهِمْ  
 فَتَكَلَّفُوا قَوْلَ تِلْكَ الْحِكَايَةِ الْوَاهِبَةِ وَجَعَلُوا أَهْلَ الشَّامِ كُلَّهُمْ أَوْ أَكْثَرَهُمْ مِنْ وَلَدِ  
 بَاكِثَ وَأَكْثَرَ الْأُمَمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلَ الْوَسْطِ الْمُتَخَلِّصِينَ لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالْمِلَالِ  
 وَالشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْمُلْكِ مِنْ وَلَدِ سَامَ وَهَذَا الزَّعْمُ وَإِنْ صَادَقَ الْحَقُّ فِي انْتِسَابِ  
 هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِقِيَاسٍ مُطَرَّدٍ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ لَا أَنَّ تَسْمِيَةَ أَهْلِ الْجَنُوبِ  
 بِالسُّودَانَ وَالْجَنُوبِ مِنَ أَجْلِ انْتِسَابِهِمْ إِلَى حَامِ الْأَسْوَدِ . وَمَا أَدَّاهُمْ إِلَى هَذَا الْغَلَطِ  
 إِلَّا اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَقَعُ بِالْأَنْسَابِ فَقَطْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّمْيِيزَ  
 لِلْجِيلِ أَوْ الْأُمَّةِ يَكُونُ بِالنَّسَبِ فِي بَعْضِهِمْ كَمَا لِلْعَرَبِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْفَرَسِ وَيَكُونُ  
 بِالْجِهَةِ وَاسْمِهِ كَمَا لِلزَّنَجِ وَالْحَبَشَةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالسُّودَانَ وَيَكُونُ بِالْعَوَائِدِ وَالشُّعَارِ  
 وَالنَّسَبِ كَمَا لِلْعَرَبِ . وَيَكُونُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ وَخَوَاصِثِهِمْ وَمُمَيِّزَاتِهِمْ  
 فَتَعْمِيمُ الْقَوْلِ فِي أَهْلِ جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ جَنُوبٍ أَوْ شَمَالٍ بِأَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ فُلَانٍ الْمَعْرُوفِ  
 لِمَا تَمْلِكُهُمْ مِنْ نَحْلَةٍ أَوْ لَوْنٍ أَوْ سِمَةٍ وَجِدَتْ لِنَاكَ الْآبَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَغَالِطِ الَّتِي أَوْقَعَ  
 فِيهَا الْغَفْلَةُ عَنْ طَبَائِعِ الْأَسْوَانِ وَالْجِهَاتِ وَإِنْ هَذِهِ كُلُّهَا تَبَدَّلَ فِي الْأَعْقَابِ وَلَا يَجِبُ  
 اسْتِمْرَارُهَا سَنَةً اللَّهُ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِغَيْبِهِ  
 وَأَحْكَمُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُنِيعُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ

## المقدمة الرابعة

في اثر الهواء في اخلاق البشر

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ خُلُقِ السُّودَانِ عَلَى التَّمُومِ الْخِفَّةَ وَالطَّيْسَ وَكَثْرَةَ الطَّرَبِ فَجِدْنَاهُمْ  
مَوْلِينَ بِالرَّقْصِ عَلَى كُلِّ تَوْفِيعٍ مَوْصُوفِينَ بِالْحُمُقِ فِي كُلِّ فُطْرٍ وَالسَّبَبَ الصَّحِيحَ فِي  
ذَلِكَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ هِيَ انْتِشَارُ الرُّوحِ  
الْحَيَوَانِيِّ وَتَقْسِيهِ وَطَبِيعَةُ الْحُزْنِ بِالْعَكْسِ وَهُوَ انْقِیَاضُهُ وَتَكَاثُفُهُ. وَتَقَرَّرَ أَنَّ الْحَرَارَةَ  
مُفْسِدَةً لِلْهَوَاءِ وَالْبَخَارِ مُخْلِجَةً لَهُ زَائِدَةً فِي كَيْتِهِ وَلِهَذَا يَبْعُدُ الْمُنْتَشِي مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ  
مَا لَا يَبْعُزُّ عَنْهُ وَذَلِكَ بِمَا يَدْخُلُ بَخَارُ الرُّوحِ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي تَبْعَثُهَا  
سَوْرَةُ الْخَمْرِ فِي الرُّوحِ مِنْ مَزَاجِهِ فَيَتَفَشَّى الرُّوحُ وَتَبْجِيهِ طَبِيعَةُ الْفَرَحِ وَكَذَلِكَ يَجِدُ  
الْمُتَمَتِّعِينَ بِالْحَمَامَاتِ إِذَا تَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهَا وَاتَّصَلَتْ حَرَارَةُ الْهَوَاءِ فِي أَرْوَاحِهِمْ فَتَسَخَّنَتْ  
لِلذَلِكَ حَدَثَ لَهُمْ فَرَحٌ وَزُبْمًا انْبَعَثَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ بِالْغَنَاءِ النَّاشِئِ عَنِ السُّرُورِ. وَلَمَّا  
كَانَ السُّودَانُ سَاكِنِينَ فِي الْأَقْلِيمِ الْحَارِّ وَاسْتَوَلَى الْحَرُّ عَلَى أُمُرِ جَنَّتِهِمْ وَفِي أَصْلِ  
تَكْوِينِهِمْ كَانَ فِي أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلَى نِسْبَةِ أَبْدَانِهِمْ وَإِقْلِيمِهِمْ فَتَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ  
بِالْقِيَاسِ إِلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْأَقْلِيمِ الْزَّاهِقِ أَشَدَّ حَرًّا فَتَكُونُ أَكْثَرَ تَقْسِيمًا فَتَكُونُ  
أَمْرَجَ قَرَحًا وَمُرُورًا وَأَكْثَرَ انْسِطًا وَتَبْجِيهِ الطَّيْسِ عَلَى أَنْزِهِ وَكَذَلِكَ يَلْقَى بِهِمْ  
قَلِيلًا أَهْلُ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ لَمَّا كَانَ هَوَائُهَا مُتَضَاعِفَةً الْحَرَارَةِ بِمَا يَنْعَكِسُ عَلَيْهِ مِنْ  
أَضْوَاءِ بَسِيطِ الْبَحْرِ وَأَشْعَتِهِ كَانَتْ حِصَّتُهُمْ مِنْ تَوَابِعِ الْحَرَارَةِ فِي الْفَرَحِ وَالْخِفَّةِ مَوْجُودَةً  
أَكْثَرَ مِنْ بِلَادِ الثَّلُولِ وَالْجِبَالِ الْبَارِدَةِ وَقَدْ يَجِدُ بَسِيرًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ  
مِنَ الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ لِتَوَفُّرِ الْحَرَارَةِ فِيهَا وَفِي هَوَائِهَا لِأَنَّهَا عَرِيقَةٌ فِي الْجَنُوبِ عَنِ الْأَزْيَافِ  
وَالثَّلُولِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّهَا مِثْلُ عَرْضِ الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا  
كَيْفَ غَلَبَ الْفَرَحُ عَلَيْهِمْ وَالْخِفَّةُ وَالْعَفْلَةُ عَنِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى انْهَمُوا لَا يَدْخِرُونَ أَقْوَاتَ  
سَنَتِهِمْ وَلَا شَهْرِهِمْ وَعَامَهُ مَا كَلِمَةٍ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ. وَلَمَّا كَانَتْ فَاسٌ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ  
بِالْعَكْسِ مِنْهَا فِي التَّوَعُّلِ فِي الثَّلُولِ الْبَارِدَةِ كَيْفَ تَرَى أَهْلَهَا مُطْرِفِينَ إِطْرَاقَ الْحُزْنِ  
وَكَيْفَ أَفْرَطُوا فِي نَظَرِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَدْخِرُ قُوَّتَ سَنَتَيْنِ مِنْ حُبِّ

الْحَنِظَةَ وَبَاكِرُ الْأَسْوَاقِ لِمَشْرِائِهِ قُوَّةٌ لِيَوْمِهِ مَخَافَةً أَنْ يُرْزَأَ شَيْئًا مِنْ مَدَّخَرِهِ وَتَتَّبِعَ ذَلِكَ فِي الْأَقَالِمِ وَالْإِلْدَانِ تَجِدُ فِي الْأَخْلَاقِ أَثَرًا مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْهَوَاءِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَقَدْ تَعَرَّضَ الْمَسْعُودِيُّ لِلْبَحْثِ عَنِ السَّبَبِ فِي خِفَةِ السُّودَانِ وَطَيْبِيهِمْ وَكَثَرَةِ الطَّرَبِ فِيهِمْ وَحَاوَلَ تَعْلِيلَهُ فَلَمْ يَأْتَ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ نَقَلَ عَنْ جَالِينُوسٍ وَيَقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ لِضَعْفِ أَدْمِغَتِهِمْ وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِهِمْ وَهَذَا كَلَامٌ لَا مَحْصَلَ لَهُ وَلَا بُرْهَانَ فِيهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

### المقدمة الخامسة

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك

من الآثار في ابدان البشر واختلافهم

إِعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَقَالِمَ الْمَعْتَدِلَةَ لَيْسَ كُلُّهَا يُوجَدُ بِهَا الْخَصْبُ وَلَا كُلُّ سُكَّانِهَا فِي رَعْدٍ مِنَ الْعَيْشِ بَلْ فِيهَا مَا يُوجَدُ لِأَهْلِهِ خِصْبُ الْعَيْشِ مِنَ الْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ وَالْحَنِظَةِ وَالْفَوَاحِشِ لِزَكَاةِ الْمَنَائِبِ وَأَعْتِدَالِ الطَّبِيعَةِ وَوُفُورِ الْعُمُرَانِ وَفِيهَا الْأَرْضُ الْحَرَّةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ زَرْعًا وَلَا عَشْبًا بِالْجُمْلَةِ فَسُكَّانُهَا فِي شَفْطٍ مِنَ الْعَيْشِ مِثْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَجَنُوبِ الْبَحْرِ وَمِثْلُ الْمَلْثَمِيِّينَ مِنْ صِنَهَاجَةِ السَّاكِينِ بِصَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ وَأَطْرَافِ الرِّمَالِ فِيمَا بَيْنَ الْبَرْبَرِ وَالسُّودَانِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَفْقِدُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ جُمْلَةً وَإِنَّمَا أَغْذِيَتُهُمْ وَأَفْوَاتُهُمْ الْأَلْبَانُ وَاللَّحُومُ وَمِثْلُ الْعَرَبِ أَيْضًا الْجَائِلِينَ فِي الْقِفَارِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ مِنَ الثَّلُولِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَحْيَانِ وَتَحْتَ رِيقَةٍ مِنْ حَامِيَتِهَا وَعَلَى الْإِفْلَاقِ لِقَلَّةٍ وَجَدِيمٍ فَلَا يَتَوَصَّلُونَ مِنْهُ إِلَى سِدْرِ الْحَلَّةِ أَوْ دُونِهَا فَضَلَّاهُ عَنِ الرِّعْدِ وَالْخِصْبِ وَتَجِدُهُمْ يَقْتَصِرُونَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ عَلَى الْأَلْبَانِ وَنَعْوَتِهِمْ مِنَ الْحَنِظَةِ أَحْسَنَ مَعَاضٍ وَتَجِدُ مَعَ ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْأَفَاقِيدِينَ لِلْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ مِنْ أَهْلِ الْقِفَارِ أَحْسَنَ حَالًا فِي جُسُومِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ أَهْلِ الثَّلُولِ الْمُتَغَفِّسِينَ فِي الْعَيْشِ فَأُولَئِهِمْ أَصْفَى وَأَبْدَانُهُمْ أَتْقَى وَأَشْكَالُهُمْ أَتَمُّ وَأَحْسَنُ وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْعَدُ مِنَ الْإِفْخِرَافِ وَأَذْهَانُهُمْ أَثَقَبُ فِي الْمَعَارِفِ وَالْإِدْرَاكَاتِ هَذَا أَمْرٌ تَشْهَدُ لَهُ التَّجَرُّبَةُ فِي كُلِّ جِيلٍ مِنْهُمْ فَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فِيمَا وَصَفْنَاهُ وَبَيْنَ الْمَلْثَمِيِّينَ وَأَهْلِ الثَّلُولِ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ خَبَرَهُ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ كَثْرَةَ الْأَغْذِيَةِ وَكَثْرَةَ الْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ الْعَنِيَّةِ  
وَرُطُوبَاتِهَا تُولَدُ فِي الْجِسْمِ فَضَلَاتٌ رَدِيئَةٌ تَنْشَأُ عَنْهَا بَعْدَ إِقْطَارِهَا فِي غَيْرِ نَسَبٍ وَتَبْجُ  
ذَلِكَ أَنْكَسَافُ الْأَلْوَانِ وَفُجَحُ الْأَشْكَالِ مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ كَمَا قُلْنَا هُوَ وَتَغْطِي الرُّطُوبَاتُ  
عَلَى الْأَذْهَانِ وَالْأَفْكَارِ بِمَا يَصْعَدُ إِلَى الدِّمَاغِ مِنْ أَيْجُرِهَا الرَّدِيَّةِ فَتَجِيءُ الْبِلَادَةُ  
وَالْفَقْلَةُ وَالْإِنْخِرَافُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ بِالْجُمْلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي حَيَوَانِ الْفَقْرِ وَمَوَاطِنِ  
الْجُدْبِ مِنَ الْغَزَالِ وَالنَّعَامِ وَالْمَهَا وَالزَّرَافَةِ وَالْحُمْرِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْبَقَرِ مَعَ أَمْثَالِهَا مِنْ  
حَيَوَانِ الثَّلُولِ وَالْأَزْيَافِ وَالْمَرَاعِي الْخَصْبَةِ كَيْفَ تَجِدُ بَيْنَهَا بَوْنًا بَعِيدًا فِي صَفَاءِ أَدِيمِهَا  
وَحُسْنِ رَوْنِهَا وَأَشْكَالِهَا وَتَنَاسُبِ أَعْضَائِهَا وَحِدَةِ مَدَارِهَا فَالْغَزَالُ أَخُو الْمَعْرِ وَالزَّرَافَةُ  
أَخُو الْبَعِيرِ وَالْحِمَارُ وَالْبَقَرُ أَخُو الْحِمَارِ وَالْبَقَرُ وَالْبَوْنُ بَيْنَهَا مَا رَأَيْتَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَجْلِ  
أَنَّ الْخَصْبَ فِي الثَّلُولِ قَعْلٌ فِي أَبْدَانِ هَذِهِ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيَّةِ وَالْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ مَا  
ظَهَرَ عَلَيْهَا أَثَرُهُ وَالْجَمْعُ لِحَيَوَانِ الْفَقْرِ حَسَنٌ فِي خَلْقِهَا وَأَشْكَالِهَا مَا شَاءَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي  
الْأَدَمِيِّينَ أَيْضًا فَإِنَّا نَجِدُ أَهْلَ الْأَقَالِيمِ الْخَصْبَةِ الْعَيْشِ الْكَثِيرَةِ الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ  
وَالْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهُ يَصِفُ أَهْلُهَا غَالِبًا بِالْبِلَادَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ وَالْحُشُونَةِ فِي أَجْسَادِهِمْ وَهَذَا  
شَأْنُ الْبَرِّبْرِ الْمُتَمَتِّعِينَ فِي الْأَدَمِ وَالْحَنِطَةِ مَعَ الْمُتَقَشِّبِينَ فِي عَيْشِهِمْ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى  
الشَّعِيرِ أَوْ الذَّرَّةِ مِثْلَ الْمَصَادِمَةِ مِنْهُمْ وَأَهْلُ غِمَارَةِ وَالسُّوسِ تَجِدُ هَؤُلَاءِ أَحْسَنَ  
حَالًا فِي عَقُولِهِمْ وَجُسُومِهِمْ وَكَذَا أَهْلُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُتَمَتِّعِينَ فِي الْأَدَمِ  
وَالْبَرِّ مَعَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْمَقْفُودِ بِأَرْضِهِمْ أَسْمَنُ جُمْلَةً وَغَالِبُ عَيْشِهِمُ الذَّرَّةُ تَجِدُ  
لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ ذِكَا الْقَوْلِ وَخِفَةِ الْأَجْسَامِ وَقَبُولِ التَّعْلِيمِ مَا لَا يَوْجَدُ لغيرِهِمْ  
وَكَذَا أَهْلُ الصَّوَاغِي مِنَ الْمَغْرِبِ بِالْجُمْلَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَضَرِ وَالْأَمْصَارِ فَإِنَّ الْأَمْصَارَ  
وَإِنْ كَانُوا مُكْثَرِينَ بِمِثْلِهِمْ مِنَ الْأَدَمِ وَتَخْصِيصٍ فِي الْعَيْشِ إِلَّا أَنَّ أَسْمَعَالَهُمْ إِيَّاهَا  
بَعْدَ الْعِلَاجِ بِالطَّبِخِ وَالنَّطِيفِ بِمَا يَخْطُونَ مَعَهَا فَيَذْهَبُ لِلذَّكَ غِلْظُهَا وَيَرِقُ فَوَاقُهَا وَصَامَةُ  
مَا كُلُّهُمْ لِحَوْمِ الضَّأْنِ وَالْدَّجَاجِ وَلَا يَقْطُونَ السَّمْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَدَمِ لِنَفَاقَتِهِ فَقِيلُ  
الرُّطُوبَاتُ لِلذَّكَ فِي أَغْذِيَتِهِمْ وَيَغْفُ مَا تُؤَدِّيهِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيَّةِ  
فَلِذَلِكَ تَجِدُ جُسُومَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ الطَّافِ مِنْ جُسُومِ الْبَادِيَةِ الْخَشْيَةِ فِي الْعَيْشِ وَكَذَلِكَ  
تَجِدُ الْمَعُودِينَ بِالْجَمْعِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لَا فَضَلَاتٍ فِي جُسُومِهِمْ غَلِظَةً وَلَا لَطِيفَةً وَأَعْلَمُ

أَنْ أَتَرَهُنَّ مُطَبَّقِينَ فِي الدَّرَبِ وَأَحْوَالِهِ يَظْهَرُ حَتَّى فِي حَالِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ فَتَجِدُ  
 الْمُتَقَشِّصِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَوْ الْخَاضِرَةِ مِمَّنْ يَأْخُذُ بِنَفْسِهِ بِالْجُوعِ وَالْجَائِعِينَ عَنِ الْمَلَاذِ  
 أَحْسَنَ دِينًا وَإِقْبَالَ عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ أَهْلِ التَّرَفِ وَالْخُصْبِ بَلْ تَجِدُ أَهْلَ الدِّينِ قَلِيلِينَ  
 فِي الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارِ لِمَا يَمُومُ مِنَ الْقِسَاوَةِ وَالْعَفْلَةِ الْمُتَصَلِّةِ بِالْإِكْثَارِ مِنَ الْخَمَانِ  
 وَالْأَدَمِ وَلِبَابِ الْبَرِّ وَيَخْتَصُّ وَجُودَ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ لِنَيْلِكَ بِالْمُقَشِّصِينَ فِي غِذَائِهِمْ مِنْ  
 أَهْلِ الْبُؤَادِي وَكَذَلِكَ تَجِدُ هَوْلَاءِ الْمُخْصِينَ فِي الْعَيْشِ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي طَيِّبَاتِهِ مِنْ أَهْلِ  
 الْبَادِيَةِ وَمِنْ أَهْلِ الْخَوَافِرِ وَالْأَمْصَارِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ السَّنُونُ وَأَخَذَتْهُمْ الْجَمَاعَاتُ  
 يُسْرِعُ إِلَيْهِمْ أَهْلُكَ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَ بَرَابِرَةِ الْمُقَرَّبِ وَأَهْلُ مَدِينَةِ قَاسٍ وَمِصْرَ  
 فِيمَا يَلْفُغُنَا لَا مِثْلَ الْعَرَبِ أَهْلُ الْفَقْرِ وَالصَّغَرَاءِ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ بِلَادِ النُّجْلِ الَّذِينَ غَالِبُ  
 عَيْشِهِمُ النَّحْرُ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ أَفْرِيقَةِ لِهَذَا الْعَمِدِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الشَّعِيرُ وَالرَّيْتُ  
 وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ اللَّذَّةُ وَالرَّيْتُ فَإِنَّ هَوْلَاءِ وَإِنْ أَخْلَتْهُمْ السَّنُونُ  
 وَالْجَمَاعَاتُ فَلَا تَنَالُ مِنْهُمْ مَا تَنَالُ مِنْ أَوْلَئِكَ وَلَا يَكْثُرُ فِيهِمْ أَهْلُكَ بِالْجُوعِ بَلْ وَلَا  
 يَنْدُرُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَآلَهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَغَمِّسِينَ فِي الْخُصْبِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلْأَدَمِ  
 وَالسَّمَنِ خُصُوصًا تَكْتَسِبُ مِنْ ذَلِكَ أَمْعَاؤُهُمْ رُطُوبَةً فَوْقَ رُطُوبَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الْمِرَاجِيَّةِ  
 حَتَّى تَجَاوِزَ حَدَهَا فَإِذَا خُولِفَ بِهَا الْعَادَةُ يَقْلَةُ الْأَقْوَاتُ وَتَقْدَانِ الْأَدَمِ وَاسْتِعْمَالِ  
 الْخُسْنِ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ مِنَ الْغِذَاءِ أَسْرَعَ إِلَى الْمَعَا الْبَيْسِ وَالْإِنْعَاشِ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي  
 الْغَايَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِ الْمَرَضُ وَهَلَكُ صَاحِبُهُ دَفْعَةً لِأَنَّهُ مِنَ الْمُقَاتِلِ فَالْمَالِكُ فِي  
 الْجَمَاعَاتِ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الشَّيْبُ الْعَمَادُ السَّابِقُ لَا الْجُوعُ الْحَادِثُ الْآخِرُ. وَأَمَّا الْمُشْعُورُ دُونَ  
 لِغَلَّةِ الْأَدَمِ وَالسَّمَنِ فَلَا تَزَالُ رُطُوبَتُهُمُ الْأَصْلِيَّةُ وَاقِفَةً عِنْدَ حَدِّهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ  
 وَهِيَ قَابِلَةٌ لِجَمِيعِ الْأَغْذِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَا يَبْقَى فِي مَعَامُهَا تَبَدُّلُ الْأَغْذِيَةِ بَيْسٌ وَلَا انْخِرَافٌ  
 فَيَسْلَمُونَ فِي الْعَالِيَةِ مِنَ أَهْلِكَ الَّذِي يَغْرُضُ لِنَعِيمِهِمْ بِالْخُصْبِ وَكَثْرَةِ الْأَدَمِ فِي  
 الْمَاكِيلِ وَأَصْلُ هَذَا كُلُّهُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَغْذِيَةَ وَاتِّلَافَهَا أَوْ تَزَكِّيَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْعَادَةِ  
 فَمَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ غِذَاءً وَلَا مَعَهُ تَنَاوُلُهُ كَانَ لَهُ مَا لَوْفَا وَصَارَ الْخُرُوجُ عَنْهُ وَالتَّبَدُّلُ بِهِ دَاءً  
 مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ غَرَضِ الْغِذَاءِ بِالْجُمْلَةِ كَالسُّمُومِ وَالْتِمُوعِ<sup>(١)</sup> وَمَا أَفْرَطَ فِي الْإِنْخِرَافِ

فَمَا مَا وَجَدَ فِيهِ التَّغْذِي وَالْمَلَامَةُ فَيَصِيرُ غَدَاءَ مَا لَوْهَا بِالْعَادَةِ فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ  
نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ اللَّبَنِ وَالْبَقْلِ عَوَضًا عَنِ الْخِنْطَةِ حَتَّى صَارَ لَهُ دَيْدَنًا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ  
غَدَاءً وَاسْتَعْنَى بِهِ عَنِ الْخِنْطَةِ وَالْحُبُوبِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَكَذَا مَنْ عَوَدَ نَفْسَهُ الصَّبْرَ عَلَى  
الْجُوعِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الطَّعَامِ كَمَا يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِ الرِّيَاضَاتِ فَإِنَّمَا تَسْمَعُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ  
أَخْبَارًا غَرِيبَةً بِكَادُ يُنْكِرُهَا مَنْ لَا يَعْرِفُهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْعَادَةُ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَلِفَتْ  
شَيْئًا صَارَ مِنْ جِبَلَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا لِأَنَّهَا كَثِيرَةُ التَّلَوُّنِ فَإِذَا حَصَلَ لَهَا اعْتِيَادُ الْجُوعِ  
بِالتَّدْرِيجِ وَالرِّيَاضَةِ فَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ عَادَةً طَبِيعَةً لَهَا وَمَا يَتَوَهَّمُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ أَنَّ  
الْجُوعَ مَهْلِكٌ فَلَيْسَ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَ إِلَّا إِذَا حَمَلَتِ النَّفْسُ عَلَيْهِ دَفْعَةً وَقُطِعَ عَنْهَا الْغَدَاءُ  
بِالْكَلْبَةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَتَسَيَّمُ الْمَعَاءُ وَيَبَالُغُ الْمَرَضُ الَّذِي يُخْشَى مَعَهُ الْهَلَاكُ وَأَمَّا إِذَا  
كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ تَدْرِيجًا وَرِيَاضَةً بِإِفْلَالِ الْغَدَاءِ شَيْئًا فَشَيْئًا كَمَا بَفَعْلُهُ الْمُتَصَوِّفَةُ  
فَهُوَ يَمْنَعُ لِي عَنِ الْهَلَاكِ وَهَذَا التَّدْرِيجُ ضَرُورِيٌّ حَتَّى فِي الرُّجُوعِ عَنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ  
فَإِنَّهُ إِذَا رَجَعَ بِهِ إِلَى الْغَدَاءِ الْأَوَّلِ دَفْعَةً خِيفَ عَلَيْهِ الْهَلَاكُ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ بِهِ كَمَا  
بَدَأَ فِي الرِّيَاضَةِ بِالتَّدْرِيجِ وَلَقَدْ شَاهَدْنَا مَنْ بَصُرَ عَلَى الْجُوعِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَصَالَ  
وَأَكْثَرَ وَحَضَرَ أَشْيَاخًا بِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ أَمْرَانِ مِنَ أَهْلِ  
الْمُزِيَرَةِ الْخُضَرَاءِ وَرَدَدَهُ حَبَسَتْهُمَا عَنْ الْأَكْلِ حُمْلَةً مِنْذُ سِنِينَ وَشَاعَ أَمْرُهُمَا  
وَوَقَعَ اخْتِبَارُهُمَا فَصَحَّ شَأْنُهُمَا وَأُتِصَلَ عَلَى ذَلِكَ حَالُهُمَا إِلَى أَنْ مَاتَا وَرَأَيْنَا كَثِيرًا مِنْ  
أَصْحَابِنَا أَيْضًا مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى حَلِيبِ شَاوٍ مِنَ الْمَعَزِ يَلْتَقِمُ نَدِيمَهَا فِي بَعْضِ النَّهَارِ أَوْ عِنْدَ  
الْإِفْطَارِ وَيَكُونُ ذَلِكَ غَدَاءَهُ وَاسْتَدَامَ عَلَى ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ  
وَلَا يُسْنَكُ ذَلِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْجُوعَ أَصْلَحُ لِلْبَدَنِ مِنْ إِكْتِنَارِ الْأَغْذِيَةِ بِكُلِّ وَجْهِ لِمَنْ  
قَدَرَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى الْإِفْلَالِ مِنْهَا وَإِنَّ لَهُ أَثَرًا فِي الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ فِي صَفَائِهَا وَصَلَابَتِهَا  
كَمَا قُلْنَا. وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَثَرِ الْأَغْذِيَةِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنْهَا فِي الْجَسَدِ فَقَدْ رَأَيْنَا الْمُتَغَفَّرِينَ  
يَلْعَمُونَ الْحَيَوَانَاتِ الْفَاحِشَةَ الْعَظِيمَةَ الْجَنَانِ تَنْشَأُ أَجْيَالُهُمْ كَذَلِكَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ فِي أَهْلِ  
الْبَادِيَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ وَكَذَا الْمَغْفُودُونَ بِالْبَانِ الْإِيلِ وَلَعُمَها أَيْضًا مَعَ مَا يُؤْتَرُ فِي

السيرم واللاعنة والعرطشيا والامودانة والمازديون والفلحشت والمشر وكل البوعات اذا استعملت في  
غروبها هلكت اهـ



أَخْلَقَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْإِحْتِمَالِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى حَمْلِ الْأَثْقَالِ الْمَوْجُودِ ذَلِكَ لِلْإِيلِ  
وَتَنَشَأُ أَمْعَاؤُهُمْ أَيْضًا عَلَى نِسْبَةِ أَمْعَاءِ الْإِيلِ فِي الصَّحَةِ وَالْغَلْظِ فَلَا يَطْرُقُهَا أَلْوَهُنَّ وَلَا  
يَنَالُهَا مِنْ مَدَارِ الْأَغْذِيَةِ مَا يَنَالُ غَيْرَهُمْ فَيَشْرَبُونَ الْيَتَوَعَاتِ لَاسْتِطْلَاقِ بَطُونِهِمْ غَيْرَ  
مَحْجُوبَةٍ كَالْحَنْظَلِ قَبْلَ طَبْعِهِ وَالْدَّرِزَاسِ وَالْقَرْيُونِ وَلَا يَنَالُ أَمْعَاؤُهُمْ مِنْهَا ضَرَرٌ وَهِيَ لَوْ  
تَنَاولَهَا أَهْلُ الْحَضَرِ الرَّقِيقَةِ أَمْعَاؤُهُمْ بِمَا نَشَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَطِيفِ الْأَغْذِيَةِ لَكَانَ أَمْلَاقُ  
أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرَفَةِ الْعَيْنِ لِمَا فِيهَا مِنَ السَّمِيَةِ وَمِنْ تَأْثِيرِ الْأَغْذِيَةِ فِي الْأَبْدَانِ مَا  
ذَكَرَهُ أَهْلُ الْفَلَاحَةِ وَشَاهَدَهُ أَهْلُ التَّجَرِبَةِ أَنَّ الدَّجَاجَ إِذَا عُذِّيتَ بِالْحُبُوبِ الْمَطْبُوعَةِ  
فِي بَعْرِ الْإِيلِ وَاتَّخَذَ يَنْفُهَا ثُمَّ حَضَنْتَ عَلَيْهِ جَاءَ الدَّجَاجُ مِنْهَا أَعْظَمَ مَا يَكُونُ وَقَدْ  
يَسْتَفْتُونَ عَنْ تَغْدِيَتِهَا وَطَبْعِ الْحُبُوبِ بِطَرَحِ ذَلِكَ الْبَعْرِ مَعَ الْبَيْضِ الْحَضَنِ فَيَجِيءُ  
دَجَاجُهَا فِي غَايَةِ الْعَظَمِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَإِذَا رَأَيْنَا هَذِهِ الْأَثَارَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ فِي  
الْأَبْدَانِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْجُوعَ أَيْضًا أَثَارًا فِي الْأَبْدَانِ لِأَنَّ الصَّدِينَ عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ فِي  
التَّأْثِيرِ وَوَعْدِهِمْ فَيَكُونُ تَأْثِيرُ الْجُوعِ فِي نَقَاءِ الْأَبْدَانِ مِنَ الزِّيَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَارْتُطُوبَاتِ  
الْمُخْطَلَةِ الْمُخْلَعَةِ بِالْجَسَمِ وَالْعَقْلِ كَمَا كَانَ الْغِنَاءُ مُؤَثِّرًا فِي وُجُودِ ذَلِكَ الْجَسَمِ  
وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِعِلْمِهِ

### المقدمة السادسة

في اصناف المدركين من البشر بالنظرة او الرياضة

ويتقدمه الكلام في الوحي والرويا

إِعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَصْطَفَى مِنَ الْبَشَرِ أَتَمَّهَا فَضَّلَهُمْ بِخُطَابِهِ وَفَطَرَهُمْ عَلَى مَعْرِفَتِهِ  
وَجَعَلَهُمْ وَسَائِلَ يَتَنَبَّهُونَ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يُعْرِفُونَهُمْ بِمَصَالِحِهِمْ وَيَعْرِضُونَهُمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ  
وَيَأْخُذُونَ بِحُجْرَانِهِمْ عَنِ النَّارِ وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ وَكَانَ فِيمَا بَلَقَهُ إِلَهُهُمْ مِنَ  
الْمَعَارِفِ وَيُظْهِرُهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْخَوَارِقِ وَالْأَخْبَارِ الْكَائِنَاتِ الْمَغْشِيَةِ عَنِ الْبَشَرِ  
الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا إِلَّا مِنَ اللَّهِ بِوَسْاطَتِهِمْ وَلَا يَعْلَمُونَهَا إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ  
خَاصِيَّتِهِ وَضُرُورَتِهِ الصِّدْقِ لِمَا تَبَيَّنَ لَكَ عِنْدَ بَيَانِ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وَعَلَامَةِ هَذَا الصَّنَفِ

مِنَ الْبَشَرِ أَنْ تُوَجَدَ لَهُمْ فِي حَالِ الْوَحْيِ غَيْبَةٌ عَنِ الْحَاضِرِينَ مَعَهُمْ مَعَ غَطِيطٍ كَأَنَّهَا  
 غَشِيَتْهُ أَوْ إغْمَاءً فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَلَيْسَتْ مِنْهُمَا فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِغْرَاقٌ  
 فِي لِقَاءِ الْمَلِكِ أَوْ وَحَايَ يَأْذُرُ أَكْثَرَهُمُ الْمُنَاسِبَ لَهُمُ الْخَارِجَ عَنْ مَدَارِكِ الْبَشَرِ بِالْكَلِمَةِ  
 ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ إِمَّا بِسَمَاعِ دَوِيٍّ مِنَ الْكَلَامِ فَيَتَفَهَّمُهُ أَوْ بِمَثَلٍ لَهُ  
 صُورَةٌ فَتُخَصُّ بِخَاطِبَةٍ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَنْجَلِي عَنْهُ تِلْكَ الْحَالُ وَقَدْ وَعَى مَا  
 الْيَقِي إِلَيْهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ الْوَحْيِ أَحْيَانًا يَا نَبِيَّيَ مِثْلَ صَلَاحَةِ  
 الْجُرْسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا بِمَثَلٍ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا  
 فِي كُلِّ مَنِي فَأَعْمِي مَا يَقُولُ وَيَذَرُكُهُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنَ السَّيِّئَةِ وَالْعَطَرُ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ فِي  
 الْحَدِيثِ كَانَ مِمَّا يُعَالَجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
 الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصَمُ عَنْهُ وَإِنْ جِئْتَهُ لَيَنْفَصِدَ عَرَفًا وَقَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
 وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ فِي تَنْزِيلِ الْوَحْيِ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْجُنُونِ وَيَقُولُونَ  
 لَهُ رَبِّي أَوْ نَاقٍ مِنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٌ مِنْ ظَاهِرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَمَنْ  
 يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمِنْ أَعْلَامِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُ بُوجِدَ لَهُمْ قَبْلَ الْوَحْيِ خُلُقُ الْخَبِيرِ  
 وَالزُّكَاةِ وَجَنَابَةِ الْمَذْمُومَاتِ وَالزُّجْجِ أَجْمَعَ وَهَذَا وَمَعْنَى الْعَصْمَةِ وَكَأَنَّهُ مَنْظُورٌ  
 عَلَى التَّنْزِيلِ مِنَ الْمَذْمُومَاتِ وَالْمُنَافَرَةِ لَهَا وَكَأَنَّهَا مُنَافِيَةٌ لِجَلِيلَتِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ تَحَمَّلَ  
 الْحِجَارَةَ وَهُوَ غَلَامٌ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ لِبِنَاءِ الْكُعْبَةِ جَعَلَهَا فِي إِزَارِهِ فَأَتَتْكَشَفَ فَسَطَ  
 مَغْشِيًا عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَبْرَأَ بِإِزَارِهِ وَدُعِيَ إِلَى مُجْتَمَعٍ وَلِيَمَّةٍ فِيهَا عُرْسٌ وَلَعَبٌ فَاصَابَهُ  
 غَشِيَةُ النَّوْمِ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يُحْضِرْ شَيْئًا مِنْ شَأْنِهِمْ بَلْ نَوَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ حَتَّى إِنَّهُ بِجَلِيلَتِهِ بَنَزَرَهُ عَنِ الْمَطْعُومَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ لَا يَقْرُبُ الْبَصَلَ وَالثُّومَ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي أَنَا جِي مِنْ لَا تَنَاجُونَ وَانْظُرْ  
 لِمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِحَالِ الْوَحْيِ أَوَّلَ مَا لَجَأَ لَهُ  
 وَأَرَادَتْ أَخْبَارَهُ فَقَالَتْ أَجْعَلْنِي يَنِّكَ وَبَيْنَ نَوْبِكَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ فَقَالَتْ  
 إِنَّهُ مَلَكٌ وَلَيْسَ بِشَيْطَانٍ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ وَكَذَلِكَ سَأَلَتْهُ عَنْ أَحَبِّ النِّسَابِ  
 إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهَا فَقَالَ الْبَيَاضُ وَالْخَضِرُ فَقَالَتْ إِنَّهُ الْمَلَكُ يَعْنِي أَنَّ الْبَيَاضَ وَالْخَضِرَ  
 مِنَ الْوَلَوَانِ الْخَبِيرِ وَالْمَلَكُ الْكَفَى وَالسَّوَادُ مِنَ الْوَلَوَانِ الشَّرِّ وَالشَّيَاطِينِ وَأَمثالُ ذَلِكَ .

وَمِنْ عِلَامَتِهِمْ أَيْضًا دُعَاؤُهُمْ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَنَافِ وَقَدْ  
 اسْتَدَلَّتْ خَدِيجَةُ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَخْتَلَفَا فِي  
 أَمْرِهِ إِلَى دَلِيلٍ خَارِجٍ عَنْ حَالِهِ وَخُلُقِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ أَحْضَرَ مِنْ وَجَدَ يَلِدُوهُ مِنْ فُرْنٍ وَفِيهِمْ  
 أَبُو سَيَّانٍ لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حَالِهِ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَ أَنْ قَالَ يَمُّ بِأَمْرِكُمْ فَقَالَ أَبُو سَيَّانٍ  
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعَنَافِ إِلَى آخِرِ مَا سَأَلَ فَأَجَابَهُ فَقَالَ إِنْ يَكُنْ مَا نَقُولُ  
 حَقًّا فَهَوْنِي وَسِعَمُكَ مَا تَعَتَّ قَدَمِي هَاتَيْنِ وَالْعَنَافُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هِرَقْلُ (١) هُوَ الْعِصْمَةُ  
 فَانْظُرْ كَيْفَ أَخَذَ مِنَ الْعِصْمَةِ وَالْإِسْلَامِ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِهِ نُبُوتهِ وَلَمْ  
 يَخْتَلَفْ إِلَى مُعْجِزَةٍ قَدَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ وَمِنْ عِلَامَاتِهِمْ أَيْضًا أَنْ يَكُونُوا  
 ذَوِي حَسَبٍ فِي قَوْمِهِمْ وَفِي الصَّحِيحِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَفِي رِوَايَةٍ  
 أُخْرَى فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ اسْتَدْرَكَهُ الْحَاكِمُ عَلَى الصَّحِيحِينَ وَفِي مَسْئَلَةِ هِرَقْلَ لِأَبِي  
 سَيَّانٍ كَمَا هُوَ فِي الصَّحِيحِ قَالَ كَيْفَ هُوَ فَيَكُنْ فَقَالَ أَبُو سَيَّانٍ هُوَ فِينَا دُوْحَسْبَ فَقَالَ  
 هِرَقْلُ وَالرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابٍ قَوْمَهَا وَمَعْنَاهُ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِصْبَةٌ وَشَوْكَةٌ مَنَعَهُ  
 عَنْ أَدَى الْكُفَرِ حَتَّى يَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَيَتِمَّ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ إِكْمَالِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ وَمِنْ  
 عِلَامَاتِهِمْ أَيْضًا وَقُوعُ الْخَوَارِقِ لَهُمْ شَاهِدَةٌ بِصِدْقِهِمْ وَهِيَ أَفْعَالٌ بِعِزِّ النَّبِيِّ عَنْ مِثْلِهَا  
 فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ مُعْجِزَةٌ وَلَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِ الْعِبَادِ وَإِنَّمَا تَقَعُ فِي غَيْرِ مَجَلٍّ قُدْرَتِهِمْ  
 وَلِلنَّاسِ فِي كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ خِلَافَ قَالِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِنَاءً عَلَى  
 الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ قَائِلُونَ بِأَنَّهَا وَاقِعَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَا يَفْعَلُ النَّبِيُّ وَإِنْ كَانَتْ أَفْعَالُ  
 الْعِبَادِ عِنْدَ الْمُعْجِزَةِ صَادِرَةً عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّ الدُّعْيَةَ لَا تَكُونُ مِنْ جِنْسِ أَفْعَالِهِمْ وَلَيْسَ  
 لِلنَّبِيِّ فِيهَا عِنْدَ سَائِرِ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا التَّعْذِي بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَا  
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَقُوعِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِي مَدْعَاهُ فَإِذَا وَقَعَتْ تَنَزَّلَتْ مَنَزَلَةُ الْقَوْلِ  
 الصَّريحِ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ صَادِقٌ وَتَكُونُ دَلَالَتُهَا حِينَئِذٍ عَلَى الصِّدْقِ قَطْعِيَّةً فَالْمُعْجِزَةُ الدَّالَّةُ  
 بِمَجْمُوعِ الْخَوَارِقِ وَالْتَّعْذِي وَلِذَلِكَ كَانَ التَّعْذِي جُزْأً مِنْهَا وَعِبَارَةً الْمُتَكَلِّمِينَ صِفَةً  
 نَفْسَهَا وَهُوَ وَاحِدٌ لِأَنَّهُ مَعْنَى الدَّاعِي عِنْدَهُمُ وَالْتَّعْذِي هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكِرَامَةِ

وَالسِّخْرِ إِذْ لَا حَاجَةَ فِيهِمَا إِلَى التَّصْدِيقِ فَلَا وَجُودَ لِلتَّحْدِي إِلَّا إِنْ وَجِدَ اتِّفَاقًا وَإِنْ  
وَقَعَ التَّحْدِي فِي الْكِرَامَةِ عِنْدَ مَنْ يُخَيِّرُهَا وَكَانَتْ لَهَا دَلَالَةٌ فَأَيُّهَا عَلَى أَوْلَايَةٍ وَهِيَ  
غَيْرُ النُّبُوَّةِ وَمِنْ هُنَا مَعَ الْأَسَازُ أَبُو إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَفُوعَ الْخَوَارِقِ كِرَامَةً فَرَارًا مِنْ  
الْإِلْتِبَاسِ بِالنُّبُوَّةِ عِنْدَ التَّحْدِي بِأَوْلَايَةٍ وَقَدْ أَرَيْنَاكَ الْمُقَابِرَةَ بَيْنَهُمَا وَإِنَّهُ بَعْدَى  
بِفَيْزِهِ مَا يَتَّحِدُ بِهِ النَّبِيُّ فَلَا يَلْسُ عَلَى أَنْ التَّقَلُّ عَنِ الْأَسَازِ فِي ذَلِكَ لَيْسَ صَرِيحًا  
وَرَبَّمَا حَمَلَ عَلَى إِنْكَارِ لَأَنْ تَقَعَ خَوَارِقُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ بِنَاءٌ عَلَى اخْتِصَاصِ كُلِّ مَنْ  
الْفَرِيقَيْنِ بِخَوَارِقِهِ . وَأَمَّا الْمُعْتَزَلَةُ فَالْمَانِعُ مِنْ وَفُوعِ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْخَوَارِقِ  
لَيْسَتْ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَعْمَالُهُمْ مُعْتَادَةٌ فَلَا فَرْقَ وَأَمَّا وَفُوعُهَا عَلَى يَدِ الْكَاذِبِ تَلْبِيسًا  
فَهُوَ مُحَالٌ أَمَّا عِنْدَ الْأَشْعَرِيَّةِ فَلِأَنَّ صِفَةَ نَفْسِ الْمُعْجِزَةِ التَّصْدِيقُ وَالْهُدَايَةُ فَلَوْ وَفَعَتْ  
بِمِثَالِ ذَلِكَ أَتَقَلَّبَ الدَّلِيلُ شُبْهَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً وَالتَّصْدِيقُ كَذِبًا وَاسْتَحَالَتِ الْحَقَائِقُ  
وَأَتَقَلَّبَتِ صِفَاتُ النَّفْسِ وَمَا يَلْزَمُ مِنْ قَرَضِ وَفُوعِهِ الْحُمَالُ لَا يَكُونُ مُنْكَبًا وَأَمَّا عِنْدَ  
الْمُعْتَزَلَةِ فَلِأَنَّ وَفُوعَ الدَّلِيلِ شُبْهَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً فَيَبِغُ فَلَا يَقَعُ مِنَ اللَّهِ . وَأَمَّا الْحُكَمَاءُ  
فَالْخَوَارِقُ عِنْدَهُمْ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ وَلَوْ كَلَّفَ فِي غَيْرِ حَمَلِ الْقُدْرَةِ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي  
الْإِجَابِ الدَّائِي وَوُفُوعِ الْحَوَادِثِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالشَّرْطِ  
الْحَادِثُ مُسْتَنِدٌّ أَخِيرًا إِلَى الْأَوَّابِ الْفَاعِلِ بِالذَّاتِ لَا بِالِاخْتِيَارِ وَإِنَّ النَّفْسَ النَّبَوِيَّةَ  
عِنْدَهُمْ لَهَا خَوَاصُّ ذَاتِيَّةٌ مِنْهَا صُدُورُ هَذِهِ الْخَوَارِقِ بِقُدْرَتِهِ وَطَاعَةُ الْعَوَاصِرِ لَهُ فِي التَّكْوِينِ  
وَالنَّبِيُّ عِنْدَهُمْ يُجْبَلُ عَلَى التَّصْرِيفِ فِي الْأَكْوَانِ مِمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَاسْتَجْمَعَ لَهَا بِمَا جَعَلَ  
اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَالْخَوَارِقُ عِنْدَهُمْ يَقَعُ لِلنَّبِيِّ سِوَاهُ كَانَ لِلتَّحْدِي أَمْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ شَاهِدٌ  
بِصِفَتِهِ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهُ عَلَى تَصَرُّفِ النَّبِيِّ فِي الْأَكْوَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ  
النَّبَوِيَّةِ لَا بِأَنَّهُ يَنْتَزِلُ مَنَزِلَةَ الْقَوْلِ الصَّرِيحِ بِالتَّصْدِيقِ فَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ دَلَالَتُهَا عِنْدَهُمْ  
فِطْعِيَّةً كَمَا هِيَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا يَكُونُ التَّحْدِي جَزْأً مِنَ الدُّعْوَةِ وَلَمْ يَصِحَّ  
فَارِقًا لَهَا عَنِ السِّخْرِ وَالْكَرَامَةِ وَفَارِقُهَا عِنْدَهُمْ عَنِ السِّخْرِ أَنَّ النَّبِيَّ يُجْبَلُ عَلَى أَعْمَالِ  
الْخَيْرِ مَصْرُوفٌ عَنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ فَلَا يُلِمُّ الشَّرُّ بِخَوَارِقِهِ وَالسَّاحِرُ عَلَى الضِّدِّ فَأَعْمَالُهُ كُلُّهَا  
مُتَرَوِّقِي مَقَاصِدِ الشَّرِّ وَفَارِقُهَا عَنِ الْكَرَامَةِ أَنَّ خَوَارِقَ النَّبِيِّ مَخْصُوصَةٌ كَالصُّعُودِ إِلَى  
السَّمَاءِ وَالنُّفُودِ فِي الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَكَلِيمِ الْمَلَائِكَةِ وَالطَّيْرَانِ

فِي الْهَوَاءِ وَخَوَارِقُ أُولَئِكَ دُونَ ذَلِكَ كَثِيرٌ الْقَلِيلُ وَالْحَدِيثُ عَنْ بَعْضِ الْمُسْتَقْبَلِ  
وَأَمَّا هُوَ فَأَمْرٌ عَنْ تَصْرِيفِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَأْتِي النَّبِيُّ بِمَجْمِيعِ خَوَارِقِهِ وَلَا يَقْدِرُ هُوَ  
عَلَى مِثْلِ خَوَارِقِ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ قَرَّرَ ذَلِكَ الْمُتَصَوِّفَةُ فِيمَا كَتَبُوهُ فِي طَرِيقَتِهِمْ وَلَقُبُوهُ عَمَّنْ  
أَخْبَرَهُمْ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ الدُّعْجَاتِ وَأَشْرَفَهَا وَأَوْضَحَهَا دَلَالَةُ الْقُرْآنِ  
الْكَرِيمِ الْمُنْزَلِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الْخَوَارِقَ فِي الْغَالِبِ لَقَعُ  
مُعَايِرَةِ الْوَحْيِ الَّذِي يَتْلَقَاهُ النَّبِيُّ وَيَأْتِي بِالدُّعْجَةِ شَاهِدَةً يَصْدَقُهَا وَالْقُرْآنُ هُوَ بِنَفْسِهِ  
الْوَحْيُ الْمُدْعَى وَهُوَ الْخَارِقُ الدُّعْجُ فَشَاهِدُهُ فِي عَيْنِهِ وَلَا يَنْفَرُ إِلَى دَلِيلٍ مُعَايِرَ لَهُ  
كَسَائِرِ الدُّعْجَاتِ مَعَ الْوَحْيِ فَهُوَ أَوْضَحُ دَلَالَةٍ لِاتِّحَادِ الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ فِيهِ وَهَذَا  
مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَآتَى مِنَ آيَاتٍ مَا مِثْلُهُ  
أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أَوْتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَى إِلَيَّ فَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ  
تَأْيِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الدُّعْجَةَ مَتَى كَانَتْ بِهَذِهِ الْمَتَابَةِ فِي الْوُضُوحِ وَقُوَّةِ  
الدَّلَالَةِ وَهُوَ كَوْنُهَا نَفْسُ الْوَحْيِ كَانَ الصِّدْقُ لَهَا أَكْثَرَ تَوْضُوحًا فَكَثُرَ الْمُصَدِّقُ  
الْمُؤْمِنُ وَهُوَ الذَّابِعُ وَالْأَمَةُ

ولنذكر الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الروايات ثم شان العرافين

وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

اعْلَمْ، أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّا نُشَاهِدُ هَذَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخَلْقَاتِ كُلِّهَا عَلَى هَيْئَةٍ  
مِنَ التَّرْتِيبِ وَالْإِحْكَامِ وَرَبَطَ الْأَسْبَابَ بِالْمُسَبِّبَاتِ وَاتَّصَلَ الْأَكْوَانُ بِالْأَكْوَانِ  
وَأَسْتَحَالَ بَعْضُ الْمَوْجُودَاتِ إِلَى بَعْضٍ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ فِي ذَلِكَ وَلَا تَنْتَهِي غَايَاتُهُ وَأَبْدَأَ  
مِنْ ذَلِكَ بِالْعَالَمِ الْحَسُّوسِ الْجُثْمَانِيِّ وَأَوَّلًا عَالَمِ الْعُنَاصِرِ الْمَشَاهِدَةِ كَيْفَ تَدْرُجُ صَاعِدًا  
مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْمَاءِ ثُمَّ إِلَى الْهَوَاءِ ثُمَّ إِلَى النَّارِ مُتَّصِلًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
مُسْتَعِدٌّ إِلَى أَنْ يَسْتَحِيلَ إِلَى مَا يَلِيهِ صَاعِدًا وَهَابِطًا وَيَسْتَجِيلُ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ وَالصَّاعِدُ  
مِنْهَا الْطَّفُّ مِمَّا قَبْلَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى عَالَمِ الْأَفْلَاكِ وَهُوَ الْطَّفُّ مِنَ الْكُلِّ عَلَى  
طَبَقَاتٍ أَتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى هَيْئَةٍ لَا يُدْرِكُ الْحِسُّ مِنْهَا إِلَّا الْحَرَكَاتِ فَقَطْ وَبِهَا

يَهْتَدِي بَعْضُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا وَأَوْضَاعِهَا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وَجُودِ الدَّوَاتِ الَّتِي لَهَا  
هَذِهِ الْأَتَارُ فِيهَا ثُمَّ أَنْظَرَ إِلَى عَالَمِ التَّكْوِينِ كَيْفَ ابْتَدَأَ مِنَ الْعَمَادِنِ ثُمَّ النَّبَاتِ ثُمَّ  
الْحَيَوَانَ عَلَى هَيْئَةٍ بَدِيعَةٍ مِنَ التَّدْرِيجِ آخِرُ أَفْقِ الْعَمَادِنِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِ النَّبَاتِ مِثْلُ  
الْحَشَائِشِ وَمَا لَا يَنْدَرُ لَهُ وَآخِرُ أَفْقِ النَّبَاتِ مِثْلُ النَّخْلِ وَالْكَزْزِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِ  
الْحَيَوَانَ مِثْلُ الْحَزْزُونِ وَالصَّدَفِ وَلَمْ يُوَجِّدْ لِهَما إِلَّا قُوَّةَ اللمسِ فَقَطْ وَمَعْنَى الْإِتِّصَالِ  
فِي هَذِهِ الْمَكُونَاتِ أَنَّ آخِرَ أَفْقِ مِنْهَا مُسْتَعِدٌّ بِالْإِسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ لِأَنْ يَصِيرَ أَوَّلُ  
أَفْقِ الَّذِي بَعْدَهُ وَاتَّسَعَ عَالَمُ الْحَيَوَانَ وَتَعَدَّدَتْ أَنْوَاءُهُ وَانْتَهَى فِي تَدْرِيجِ التَّكْوِينِ  
إِلَى الْإِنْسَانِ صَاحِبِ الْفِكْرِ وَالرُّوْيَةِ تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمِ الْقُدْرَةِ الَّذِي اجْتَمَعَ فِيهِ الْحِسُّ  
وَالْإِدْرَاكُ وَلَمْ يَنْتَهِ إِلَى الرُّوْيَةِ وَالْفِكْرِ بِالْفِعْلِ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ أَفْقِ مِنَ الْإِنْسَانِ  
بَعْدَهُ وَهَذَا غَايَةُ شُهُودِ بَنَانِهِ إِنَّا نَجِدُ فِي الْعَوَالِمِ عَلَى اخْتِلَافِهَا آثَارًا مُتَّوَعَةً فِي عَالَمِ الْحِسِّ  
آثَارٌ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاكِ وَالْعَنَاصِرِ فِي عَالَمِ التَّكْوِينِ آثَارٌ مِنْ حَرَكَاتِ السَّمَوِّ وَالْإِدْرَاكِ  
تَشْهَدُ كُلُّهَا بِأَنَّ لَهَا مَوْثَرًا مَبِينًا لِلْإِجْسَامِ فَهُوَ رُوحَانِيٌّ وَيَتَّصِلُ بِالْمَكُونَاتِ لَوْجُودِ  
اتِّصَالِ هَذَا الْعَالَمِ فِي وَجُودِهَا وَلِلذَلِكَ هُوَ النَّفْسُ الْمُدْرِكَةُ وَالْحَرَكَةُ وَلَا بُدَّ قَوْفِهَا مِنْ  
وُجُودِ آخَرٍ يُعْطِيهَا قُوَّةَ الْإِدْرَاكِ وَالْحَرَكَةِ وَيَتَّصِلُ بِهَا أَيْضًا وَيَكُونُ ذَاتُهُ إِدْرَاكًا  
صِرَافًا وَعَقْلًا مُخَصَّصًا وَهُوَ عَالَمُ الْمَلَائِكَةِ قَوَّجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ اسْتِعْدَادٌ  
لِلْإِسْلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَكِيَّةِ لِيَصِيرَ بِالْفِعْلِ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَقَدْ مَنَ مِنْ  
الْأَوْقَاتِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحْظَاتِ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَكْمُلَ ذَاتُهَا الرُّوحَانِيَّةُ بِالْفِعْلِ كَمَا  
تَذْكُرُهُ بَعْدَ وَيَكُونُ مَا اتَّصَلَ بِالْأَفْقِ الَّذِي بَعْدَهَا شَأْنُ الْمَوْجُودَاتِ الْمُرْتَبَةِ كَمَا  
قَدَّمَاهُ فَلَمَّا فِي الْإِتِّصَالِ جِهَتَا الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَدَنِ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهَا وَتَكْتَسِبُ  
بِهِ الْمَدَارِكَ الْحِسِّيَّةَ الَّتِي تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْحُصُولِ عَلَى التَّمَكُّلِ بِالْفِعْلِ وَمُتَّصِلَةٌ مِنْ جِهَتِهَا الْأَعْلَى  
مِنْهَا بِأَفْقِ الْمَلَائِكَةِ وَمُكْتَسِبَةٌ بِهِ الْمَدَارِكَ الْعِلْمِيَّةَ وَالْقَلْبِيَّةَ فَإِنَّ عَالَمَ الْحَوَادِثِ  
مَوْجُودٌ فِي تَعَقُّلَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ زَمَانٍ وَهَذَا عَلَى مَا قَدَّمَاهُ مِنَ التَّرْتِيبِ الْعُكْمِ فِي الْوُجُودِ  
بِاتِّصَالِ ذَوَاتِهِ وَقَوَاهُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ غَائِبَةً عَنِ الْعِيَانِ  
وَآثَارُهَا ظَاهِرَةٌ فِي الْبَدَنِ فَكَأَنَّهُ وَجِيعُ أَجْزَائِهِ مُجْتَمِعَةٌ وَمُتَّفَرِّقَةٌ الْآتُ لِلنَّفْسِ وَلِقَوَاهَا  
أَمَّا الْقَاعِيَّةُ فَالْبَطْشُ بِالْيَدِ وَالْمَشْيُ بِالرَّجْلِ وَالْكَلَامُ بِاللِّسَانِ وَالْحَرَكَةُ الْكُلِّيَّةُ

بِالْبَدَنِ مُتَدَاةً وَأَمَّا الْمُدْرَكَةُ وَإِنْ كَانَتْ قُوَى الْأَمْرِ ذَرَاكَ مُرْتَبَةً وَمُرْتَبَةً إِلَى الْقُوَى  
 الْعَالِيَا مِنْهَا وَمِنْ الْمَفْكَرَةِ الَّتِي يُعْبَرُ عَنْهَا بِالنَّاطِقِيَّةِ فَقُوَى الْحِسِّ الظَّاهِرَةِ بِالْأَلَاةِ مِنْ  
 السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِهَا يَرْتَقِي إِلَى الْبَاطِنِ وَأَوَّلُهُ الْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ وَهُوَ قُوَى تَذَكُّرِ  
 الْخُشُوسَاتِ مُبْصَرَةٍ وَمَسْمُوعَةٍ وَمَلْمُوسَةٍ وَغَيْرِهَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِذَلِكَ فَارْتَقَتْ قُوَى  
 الْحِسِّ الظَّاهِرِ لِأَنَّ الْخُشُوسَاتِ لَا تَزْدَحِمُ عَلَيْهَا فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يُوَدِّعُ الْحِسُّ  
 الْمُشْتَرِكُ إِلَى الْخَيَالِ وَهِيَ قُوَى تُمَثِّلُ الشَّيْءَ الْخُشُوسِيَّ فِي النَّفْسِ كَمَا هُوَ مُجَرَّدٌ عَنِ  
 الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ فَقَطَّ وَأَلَهُ هَاتَيْنِ الْقُوَتَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمَا الْبَطْنُ الْأَوَّلُ مِنَ الدِّمَاغِ  
 مُقَدِّمُهُ لِلأَوَّلَى وَمُؤَخَّرُهُ لِلثَّانِيَةِ ثُمَّ يَرْتَقِي الْخَيَالُ إِلَى الْوَاهِمَةِ وَالْحَافِظَةِ فَالْوَاهِمَةُ لِإِذْرَاكَ  
 الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالشَّخْصِيَّاتِ كَعِدَاوَةِ زَيْدٍ وَصَدَاقَةِ عَمْرٍو وَرَحْمَةِ الْآبِ وَأَقْرَاسِ  
 الذَّنْبِ وَالْحَافِظَةُ لِإِبْدَاعِ الْمُدْرَكَاتِ كُلِّهَا مُخَيَّلَةٌ وَهِيَ لَهَا كَالْخَزَانَةِ تَحْفَظُهَا لَوْفَتْ  
 الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَأَلَهُ هَاتَيْنِ الْقُوَتَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمَا الْبَطْنُ الْمُؤَخَّرُ مِنَ الدِّمَاغِ أَوَّلُهُ لِلأَوَّلَى  
 وَمُؤَخَّرُهُ لِلآخِرَى ثُمَّ تَرْتَقِي جَمِيعُهُمَا إِلَى قُوَى الْفِكْرِ وَلَهُ الْبَطْنُ الْاَوْسَطُ مِنَ الدِّمَاغِ وَهِيَ الْقُوَى  
 الَّتِي يَقَعُ بِهَا حَرَكَةُ الرُّوْبِيَّةِ وَالتَّوَجُّهُ نَحْوَ الْعَقْلِ فَتَحْرُكُ النَّفْسُ بِهَا دَائِمًا لِمَا رَكِبَ فِيهَا  
 مِنَ الزُّنُوعِ لِتَخْلُصَ مِنْ دَرَكِ الْقُوَى وَالْإِسْتِعْدَادِ الَّذِي لِلْبَشَرِيَّةِ وَتَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ  
 فِي تَعْقُلِهَا مُتَشَبِّهَةً بِالْمَلَكِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ وَتَصِيرُ فِي أَوَّلِ مَرَاتِبِ الرُّوحَانِيَّاتِ فِي  
 إِذْرَاكِهَا بِغَيْرِ الْأَلَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ فِيهِ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا وَمُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ ذَلِكَ وَقَدْ تَسْلَخُ  
 بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى الْمَلَكِيَّةِ مِنَ الْأَنْفَى الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ اكْتِسَابٍ  
 بَلْ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْجَبَلَةِ وَالْفِطْرَةِ الْأَوَّلَى فِي ذَلِكَ وَالذَّنُوسُ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ  
 أَصْنَافٍ صِنْفٍ عَاجِزٍ بِالطَّبَعِ عَنِ الْوُصُولِ فَيَنْقَطِعُ بِالْحَرَكَةِ إِلَى الْجَبَلَةِ السُّفْلَى نَحْوَ  
 الْمَدَارِكِ الْحِسِّيَّةِ وَالْخَيَالِيَّةِ وَتَرْكِبُ الْمَعَالِي مِنَ الْحَافِظَةِ وَالْوَاهِمَةِ عَلَى قَوَانِينِ تَخْصُصَةٍ  
 وَتَرْتَبِيبِ خَاصٍّ يَسْتَفِيدُونَ بِهِ الْعُلُومَ النَّصُورِيَّةَ وَالتَّصَدِيقِيَّةَ الَّتِي لِلْفِكْرِ فِي الْبَدَنِ وَكُلِّهَا  
 خَيَالِيٌّ مُتَحَصِّرٌ نِطَاقُهُ إِذْ هُوَ مِنْ جِهَةِ مَبْدَأِهِ يَنْتَهِي إِلَى الْأَوَّلِيَّاتِ وَلَا يَتَجَاوَزُهَا وَإِنْ  
 فَسَدَ قَلْدَ مَا بَعْدَهَا وَهَذَا هُوَ فِي الْأَعْلَى نِطَاقُ الْأَذْرَاكِ الْبَشَرِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي  
 مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ وَفِيهِ تَرْسُخُ أَقْدَامِهِمْ وَصِنْفٌ مُتَوَجِّهٌ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ نَحْوَ الْعَقْلِ  
 الرُّوحَانِيِّ وَالْأَذْرَاكِ الَّذِي لَا يَنْتَقِرُ إِلَى الْأَلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ بِمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ

لِذَلِكَ فَيَسَّعُ نِطَاقُ إِدْرَاكِهِ عَنِ الْأَوَّلِيَّاتِ الَّتِي فِي نِطَاقِ الْإِدْرَاكِ الْأَوَّلِ الْبَشَرِيِّ  
وَيَسَّرُ فِي فِضَاءِ الْمَشَاهِدَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ وَهِيَ وَجْدَانُ كُلِّهَا نِطَاقُ لَهَا مِنْ مَبْدَاهَا وَلَا مِنْ  
مُنْتَهَاهَا وَهَذِهِ مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ الْأَوَّلِيَّاءِ أَهْلِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الرُّبَانِيَّةِ وَهِيَ  
الْحَاصِلَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِأَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الْبَرْزَخِ وَصُنِفَ مَقْطُورٌ عَلَى الْإِسْلَاحِ مِنْ  
الْبَشَرِيَّةِ جُمْلَةً جِسْمَانِيَّتِيَّاهُ وَرُوحَانِيَّتِيَّاهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَنْفِي الْأَعْلَى لِيَصِيرَ فِي لَحْمَةٍ  
مِنْ الْأَلْحَمَاتِ مَلَكًا بِالْفِعْلِ وَيَحْصُلُ لَهُ شُهُودُ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى فِي أَفْقِهِمْ وَسَمَاعِ الْكَلَامِ  
النَّفْسَانِيِّ وَالْخِطَابِ الْإِلَهِيِّ فِي تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ  
جَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِسْلَاحَ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ فِي تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَهِيَ حَالَةُ الْوَحْيِ فِطْرَةً فَطَرَهُمُ اللَّهُ  
عَلَيْهَا وَجَبَلَهُ صَوْرَهُمْ فِيهَا وَزَوَّجَهُمْ عَنْ مَوَانِعِ الْبَدَنِ وَعَوَائِقِهِ مَا دَامُوا مُلَاسِينَ لَهَا بِالْبَشَرِيَّةِ  
بِمَا رُكِبَ فِي غَرَائِزِهِمْ مِنَ الْقَصْدِ وَالْإِسْتِقَامَةِ الَّتِي يُحَادِّثُونَ بِهَا تِلْكَ الْوُجْهَةَ وَرُكُزَ فِي  
طَبَائِعِهِمْ رَغْبَةً فِي الْعِبَادَةِ تُكْشِفُ تِلْكَ الْوُجْهَةَ وَتُسَبِّغُ نَعْوَاهَا فَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى ذَلِكَ  
الْأَنْفِي بِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْإِسْلَاحِ مَتَى شَاءُوا بِتِلْكَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرُوا عَلَيْهَا لَا بِأَنْ كُنْصَابِ  
وَلَا صِنَاعَةٍ فَلَمَّا تَوَجَّهُوا وَاسْتَلْخَوْا عَنْ بَشَرِيَّتِهِمْ وَتَلَقَّوْا فِي ذَلِكَ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى مَا يَتَلَقَّوْنَهُ  
عَاجِبًا بِهِ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ مُزَلَّاقِي قُوَاهَا لِحِكْمَةِ التَّبْلِيغِ لِلْعِبَادِ فَتَارَةً يَسْمَعُ أَحَدُهُمْ دَوْبًا  
كَأَنَّهُ رَمَزٌ مِنَ الْكَلَامِ بِأَخْذٍ مِنْهُ الْمَعْنَى الَّذِي الَّتِي إِلَيْهِ فَلَا يَنْقُضِي الدَّوْبُ إِلَّا وَقَدْ  
وَعَاهُ وَهَيْمَةً وَتَارَةً يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُبْلِي إِلَيْهِ رَجُلًا فَيُحْكِمُهُ وَيَبْيِ مَا يَقُولُهُ  
وَالْتَلَقِي مِنَ الْمَلَكِ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ وَهَيْمَةً مَا الَّتِي عَلَيْهِ كُلُّهُ كَأَنَّهُ فِي  
لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ أَقْرَبَ مِنْ لَحْمٍ الْبَصَرِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي زَمَانٍ بَلْ كُلُّهَا نَقَعَ جَمِيعًا فَيُظْهِرُ  
كَأَنَّهُا سَرِيعَةٌ وَلِذَلِكَ تُمَيِّتُ وَحْيًا لِأَنَّ الْوَحْيَ فِي اللُّغَةِ الْإِسْرَاعُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَوَّلَى وَهِيَ  
حَالَةُ الدَّوْبِ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَزِزَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَا حَقَّقُوهُ وَالثَّانِيَّةُ وَهِيَ حَالَةُ تُمَثُّلِ  
الْمَلَكِ رَجُلًا يُخَاطَبُ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْمَلُ مِنَ الْأَوَّلَى وَهَذَا  
مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي فَسَّرَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ لَمَّا سَأَلَهُ الْحَارِثُ بْنُ  
هَاشِمٍ وَقَالَ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ أَحِبَانَا يَا بُنَيَّ مِثْلَ صَلَاحِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ  
عَلَيَّ قَبْضَمُ عَيْنِي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحِبَانَا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ فَيُحْكِمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ  
وَإِنَّمَا كَانَتْ الْأَوَّلَى أَشَدَّ لِأَنَّهَا مَبْدَأُ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ



فَيَعْسُرُ بَعْضُ الْعُسْرِ وَلِذَلِكَ لَمَّا عَاجَ فِيهَا عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ اخْتَصَتْ بِالسَّمْعِ وَصَعِبَ  
مَا سِوَاهُ وَعِنْدَ مَا يَتَكَرَّرُ الْوَحْيُ وَيَكْثُرُ التَّلَقِّي بِسَهْلٍ ذَلِكَ الْإِصْطِلَاعُ فَعِنْدَ مَا يَرْجُ  
إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِهَا وَخُصُوصًا الْأَوَّلُ مِنْهَا وَهُوَ إِذْ ذَاكَ الْبَصَرُ وَفِي  
الْعِبَارَةِ عَنِ الْوَحْيِ فِي الْأَوَّلَى بِصِغَةِ الْمَاضِي وَفِي الثَّانِيَةِ بِصِغَةِ الْمَضَارِعِ لَطِيفَةٌ مِنْ  
الْبَلَاغَةِ وَهِيَ أَنَّ الْكَلَامَ جَاءَ مَجِيءَ التَّمَثِيلِ لِحَالَتِي الْوَحْيِ فَمَثَلُ الْحَالَةِ الْأَوَّلَى  
بِالدُّوِيِّ الَّذِي هُوَ فِي الْمُتَعَارِفِ غَيْرُ كَلَامٍ وَأَخْبَرَ أَنَّ أَقْبَمَ وَالْوَحْيِ تَبَعُهُ غِبَّ انْقِضَائِهِ  
فَنَاسَبَ عِنْدَ تَعْوِيرِ انْقِضَائِهِ وَانْقِصَالِهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْوَحْيِ بِالْمَاضِي الْمُنَاطِقِ لِلْإِثْقَاءِ  
وَالْإِنْقِطَاعِ وَمَثَلُ الْمَلَكِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بِرَجُلٍ يُخَاطَبُ وَيَتَكَلَّمُ وَالْكَلَامُ بِسَاوِفُهُ  
الْوَحْيِ فَنَاسَبَ الْعِبَارَةَ بِالْمَضَارِعِ الْمُقْتَضِي لِلتَّجَدُّدِ وَأَعْلَمَ أَنَّ فِي حَالَةِ الْوَحْيِ كُلِّهَا  
صُعُوبَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ وَشِدَّةٌ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ قَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ مِمَّا يُعَانِي مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ كَانَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
الَّذِي يُدْرِكُ الْبُرْدَ فَيَفْصَمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِدَهُ لَيَنْفَصِدَ عَرَقًا . وَلِذَلِكَ كَانَ يَحْدُثُ عَنْهُ فِي تِلْكَ  
الْحَالَةِ مِنَ الْقَيْبَةِ وَالْعَطِيطِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْيَ كَمَا فَرَّزْنَا مُفَارَقَةً  
الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَدَارِكِ الْمَلَكِيَّةِ وَتَلْقَى كَلَامَ النَّاسِ فَيَحْدُثُ عَنْهُ شِدَّةٌ مِنْ مُفَارَقَةِ  
الْأَنَاءِ ذَاتِهَا وَأَسْلَاحِهَا عَنْهَا مِنْ أَفْقَاهَا إِلَى ذَلِكَ الْأَفْقِ الْآخَرِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْفُطْرِ الَّذِي  
عَبَّرَ بِهِ فِي مَبْدَأِ الْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ فَقَطَّعِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي أَجْهَدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ أَفَرَأَيْتَ  
مَا أَنَا بِقَارِيءٍ وَكَذَا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ بَفِضِي الْإِعْتِيَادَ بِالتَّنْذِيرِ فِيهِ  
شَيْئًا فَشَبَّهْنَا إِلَى بَعْضِ السُّهُولَةِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا قَبْلَهُ وَلِذَلِكَ كَانَ تَنْزِيلُ مَجْمُوعِ الْقُرْآنِ  
وَسُورِهِ وَآيِهِ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ أَقْصَرَ مِنْهَا وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ وَأَنْظَرُ إِلَى مَا نُقِلَ فِي نُزُولِ  
سُورَةِ بَرَاءةٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهَا نُزِلَتْ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ  
بَعْدَ أَنْ كَانَ بِمَكَّةَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ بَعْضُ السُّورَةِ مِنْ قِصَارِ الْمَفْصِلِ فِي وَفْتٍ وَيُنْزَلُ الْبَاقِي  
فِي حِينَ آخَرَ وَكَذَلِكَ كَانَ آخِرُ مَا نُزِّلَ بِالْمَدِينَةِ آيَةُ الدِّينِ وَهِيَ مَا فِي فِي الطُّولِ بَعْدَ  
أَنَّ كَانَتْ الْآيَةُ تُنْزَلُ بِمَكَّةَ مِثْلَ آيَاتِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ بَابِ وَالْمُدَّرِ وَالصَّحَى  
وَالْفَلَقِ وَأَمْثَالِهَا وَأَعْتَبَ مِنْ ذَلِكَ عَلَامَةً تُمَيِّزُهَا بَيْنَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ مِنَ السُّورِ  
وَالْآيَاتِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ إِلَى الصَّوَابِ . هَذَا حَصْلُ أَمْرِ النَّبُوَّةِ وَأَمَّا الْكَهَانَةُ فَبِهَا أَيْضًا

مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي جَمِيعِ مَا مَرَّ أَنَّ النَّفْسَ  
 الْإِنْسَانِيَّةَ اسْتَعْدَادًا لِلْإِسْلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي قُوَّتُهَا وَأَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ  
 ذَلِكَ لَحْمٌ لِلْبَشَرِ فِي صِنْفِ الْإِنْيَاكُ بِمَا فُطِرُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَتَقَرَّرَ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ  
 غَيْرِ اكْتِسَابٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَلَا مِنَ النُّصُورَاتِ وَلَا مِنَ الْأَنْعَالِ  
 الْبَدَنِيَّةِ كَلَامًا أَوْ حَرَكَةً وَلَا بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِنَّمَا هُوَ اسْتِغْلَالٌ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَكِيَّةِ  
 بِالْفِطْرَةِ فِي لَحْظَةِ اقْتِرَابٍ مِنَ لَحْظِ الْبَصَرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَكَانَ ذَلِكَ الْاسْتِعْدَادُ  
 مَوْجُودًا فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فَيُعْطَى التَّقْسِيمُ الْعَقْلِيَّ وَإِنَّ هُنَا صِنْفًا آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ نَاقِصًا  
 عَنْ رُتْبَةِ الصِّنْفِ الْأَوَّلِ نَقْصَانُ الصِّدْقِ عَنْ صِدْقِهِ الْكَامِلِ لِأَنَّهُ عَدَمُ الْإِسْتِعَانَةِ فِي ذَلِكَ  
 الْأِدْرَاكِ صِدْقُ الْإِسْتِعَانَةِ فِيهِ وَشَيْءٌ مَا يَتَنَبَّهُ فَإِذَا أُعْطِيَ تَقْسِيمُ التَّوَجُّدِ إِلَى هُنَا صِنْفًا  
 آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ مَنْطُورًا عَلَى أَنْ تَتَحَرَّكَ قُوَّتُهُ الْعَقْلِيَّةُ حَرَكَتَهَا الْكَرْبِيَّةَ بِالْإِزَادَةِ  
 عِنْدَمَا يَتَعَثَّرُ الذُّرُوعُ لِذَلِكَ وَهِيَ نَاقِصَةٌ عَنْهُ بِالْجَبَلَةِ عِنْدَمَا يَتَوَقَّظُ عَنْ ذَلِكَ تَشَبُّهُ  
 بِأُمُورٍ جُزْئِيَّةٍ مَحْصُوسَةٍ أَوْ مُتَخَيَّلَةٍ كَالْأَجْسَامِ الشَّائِفَةِ وَعِظَامِ الْحَيَوَانَاتِ وَمُجْعَرِ  
 الْكَلَامِ وَمَا سَنَحَ مِنْ طَيْرٍ أَوْ حَيَوَانٍ فَيَسْتَدِيمُ ذَلِكَ الْإِحْسَاسُ أَوْ التَّخَيُّلُ مُسْتَعِينًا بِهِ  
 فِي ذَلِكَ الْإِسْلَاحِ الَّذِي يَقْصِدُهُ وَيَكُونُ كَالْمُسْتَعِجِّ لَهُ وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي فِيهِمْ مَبْدَأُ  
 لِنَاكِ الْأِدْرَاكِ فِي الْكُهَانَةِ وَلَكُونُ هَذِهِ النُّفُوسِ مَنْطُورَةٌ عَلَى النَّقْصِ وَالْقُصُورِ عَنْ  
 الْكَمَالِ كَانَ إِدْرَاكُهَا فِي الْجُزْئِيَّاتِ أَكْثَرَ مِنَ الْكُلِّيَّاتِ وَلِذَلِكَ تَكُونُ الْخَيَلَةُ فِيهِمْ  
 فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ لِأَنَّهَا أَلَةُ الْجُزْئِيَّاتِ فَتَنْفِذُ فِيهَا نَقْدًا تَامًا فِي نَوْمٍ أَوْ بَقْطَةٍ وَتَكُونُ عِنْدَهَا  
 حَاضِرَةٌ عَتِيدَةٌ تُخَضِّرُهَا الْخَيَلَةُ وَتَكُونُ لَهَا كَالْمِرَاةِ تَنْظُرُ فِيهَا دَائِمًا وَلَا يَقْوَى الْكَاهِنُ  
 عَلَى الْكَمَالِ فِي إِدْرَاكِهِ الْمَقُولَاتِ لِأَنَّ وَحْيَهُ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَارْتَفَعَ أَحْوَالُ  
 هَذَا الصِّنْفِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ السَّجْعُ وَالْمُوازَنَةُ لِشُغْلِهِ بِهِ عَنِ الْخَوَاصِّ  
 وَيَقْوَى بَعْضُ الشَّيْءِ عَلَى ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ النَّاقِصِ فَيُجَسِّسُ فِي قَلْبِهِ عَنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ وَالَّذِي  
 يُشِيرُهَا مِنْ ذَلِكَ الْأَجَنَبِيِّ مَا يَقْدِرُهُ عَلَى لِسَانِهِ قَرِيبًا صَدَقَ وَوَافَقَ الْحَقُّ وَرُبَّمَا كَذَبَ  
 لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ نَقْصَهُ بِأَمْرِ أَجَنَبِيِّ عَنْ ذَاتِهِ الْمُدْرَكَةِ وَمُبَايِنَ لَهَا غَيْرَ مُلَائِمٍ فَيَعْرِضُ لَهُ  
 الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا وَلَا يَكُونُ مُوْتَوَقًّا بِهِ وَرُبَّمَا يَفْرَعُ إِلَى الظُّنُونِ وَاللَّغْهِيَّاتِ  
 حِرْصًا عَلَى الظُّفْرِ بِالْإِدْرَاكِ بِزَعْمِهِ وَتَمَوُّيَهَا عَلَى السَّائِلِيَّاتِ وَأَصْحَابُ هَذَا السَّجْعِ هُمْ

الْمُخْصُصُونَ بِأَسْمِ الْكُهَّانِ لِأَنَّهُمْ أَرْفَعُ سَائِرِ أَصْنَافِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فِي مِثْلِهِ هَذَا مِنْ سَجْعِ الْكُهَّانِ قَبْلَ السَّجْعِ مُخْتَصًّا بِهِمْ بِمُقْتَضَى الْإِضَافَةِ وَقَدْ قَالَ لِابْنِ  
 صَبَّارٍ حِينَ سَأَلَهُ كَاشِفًا عَنْ حَالِهِ بِالْأَخْبَارِ كَيْفَ بَأْتِيكَ هَذَا الْأَمْرُ قَالَ يَا بَنِي صَادِقًا  
 وَكَاذِبًا فَقَالَ خَلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ يَعْنِي أَنَّ النُّبُوَّةَ خَاصَّتْهَا الْأَصْدَقُ فَلَا يَبْتَغِيهَا الْكَذِبُ  
 بِحَالٍ لِأَنَّهَا اتَّصَلَ مِنْ ذَاتِ الْإِنْبِيَاءِ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ مُشِيرٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِأُجْنَبِي  
 وَالْكُهَّانَةِ لِمَا أَحْتَاجَ صَاحِبُهَا بِسَبَبِ عَجْزِهِ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِالتَّصَوُّرَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ كَانَتْ  
 دَاخِلَةً فِي إِدْرَاكِهِ وَالتَّبَسُّتُ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَصَارَ مُخْلِطًا بَيْنَ وَطَرَقَةِ  
 الْكَذِبِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَاِمْتَنَعَ أَنْ تَكُونَ نُبُوَّةٌ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْكُهَّانَةِ  
 حَالَهُ اسْتَجْعَمَ لِأَنَّ مَعْنَى السَّجْعِ أَخْثُ مِنْ سَائِرِ الْمُغْيَبَاتِ مِنَ الْمَرْتَبَاتِ وَالْمُسْمُوعَاتِ  
 وَتَدُلُّ خَفَةُ الْمَعْنَى عَلَى قُرْبِ ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَالْبُعْدُ فِيهِ عَنِ الْعَجْزِ بَعْضُ  
 الشَّيْءِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذِهِ الْكُهَّانَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ مِنْذُ زَمَنِ النُّبُوَّةِ بِمَا وَقَعَ  
 مِنْ شَأْنِ رَجْمِ الشَّيَاطِينِ بِأَشْمُبَ بَيْنَ يَدَيِ الْبَعْتَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِمَنْعِهِمْ مِنْ خَبَرِ  
 السَّمَاءِ كَمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ وَالْكُهَّانُ إِنَّمَا يَتَعَرَّفُونَ أَخْبَارَ السَّمَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ فَبَطَلَتْ  
 الْكُهَّانَةُ مِنْ يَوْمَيْهِ وَلَا يَقُومُ مِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ لِأَنَّ عُلُومَ الْكُهَّانِ كَمَا تَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ  
 تَكُونُ مِنْ نُفُوسِهِمْ أَيْضًا كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَأَيْضًا فَالْإِثْبَاتُ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى مَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنَ  
 نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمُخَيَّرِ الْبَعْتَةِ وَلَمْ يَنْعُوا مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَيْضًا  
 فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْإِنْقِطَاعُ بَيْنَ يَدَيِ النُّبُوَّةِ فَقَطْ وَلَعَلَّهَا عَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا كَانَتْ  
 عَلَيْهِ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَدَارِكَ كُلَّهَا تَخْتَمِدُ فِي زَمَنِ النُّبُوَّةِ كَمَا تَخْتَمِدُ  
 الْكَوَاكِبُ وَالشُّرُجُ عِنْدَ وُجُودِ الشَّمْسِ لِأَنَّ النُّبُوَّةَ هِيَ الثُّرُورُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَغْنَى مَعَهُ  
 كُلُّ نُورٍ وَيَذْهَبُ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْكُهَّانَةِ أَنَّهَا إِنَّمَا تَوْجَدُ بَيْنَ يَدَيِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ تَنْقَطِعُ  
 وَهَكَذَا كُلُّ نُبُوَّةٍ وَقَعَتْ لِأَنَّ وُجُودَ النُّبُوَّةِ لَا يَدُلُّهُ مِنْ وَضْعِ فَلْيَكُنِ يَقْتَضِيهِ فِي تِمَامِ  
 ذَلِكَ الْوَضْعِ تِمَامُ تِلْكَ النُّبُوَّةِ أَلَيْ دَلَّ عَلَيْهَا وَتَقْصُرُ ذَلِكَ الْوَضْعُ عَنِ التِّمَامِ يَقْتَضِي  
 وَجُودَ طَبِيعَةٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ نَافِئَةٌ وَهُوَ مَعْنَى الْكُهَّانِ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ  
 قَبْلَ أَنْ يَنْبَغِيَ ذَلِكَ الْوَضْعُ أَلَّا يَكْمَلَ يَقَعُ الْوَضْعُ النَّاقِصُ وَيَقْتَضِي وَجُودَ الْكُهَّانِ إِذَا  
 وَجَدَ أَوْ مُتَعَدِّدًا فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ تَمَّ وَجُودُ الَّذِي بِكَامِلِهِ وَانْقَضَتْ الْأَوْجَاعُ

الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على أن بعض الوضع  
 الفلكي يقتضي بعض أثره وهو غير مسلم فلعل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهبته  
 الأصلية ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئاً لا أنه يقتضي ذلك الأثر ناقصاً كما  
 قالوا ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة  
 معجزته لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما لكل إنسان من أمر اليوم  
 ومعقوبية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشد مما للنائم ولا يصدّهم عن ذلك ويوقعهم  
 في الكذب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في الغدار كما وقع لأمية  
 بن أبي الصلت فإنه كان يطمع أن يتأبى وكذا وقع لأن صباد ولمسيمة وغيرهم فإذا  
 غلب الأيمان وانقطعت تلك الآماني آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطائفة الأسدي  
 وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن  
 الأيمان وأما الرؤيا فحقيقتها مطالعة النفس الذاتية في ذاتها الروحانية لجهة من صور  
 الواقعات فإنها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما  
 هو شأن الذات الروحانية كلها وتصير روحانية بأن تتجرد عن المواد الجسمانية  
 والمدارك البدنية وتنبع لها ذلك لجهة بسبب النوم كما نذكر فتفتس بها علم ما  
 يتسوّف إليه من الأمور المستقبلة وتعود به إلى مداركها فإن كان ذلك الأفتباس  
 ضعيفاً وغير جلي بالتحاكاة والمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من أجل هذه التحاكاة  
 إلى التعبير وقد يكون الأفتباس قوياً يستغنى فيه عن التحاكاة فلا يحتاج إلى تعبير  
 لخصوصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللقعة للنفس أنها ذات روحانية  
 بالقوة مستكنة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تمقلًا تحضاً وبكامل وجودها  
 بالفعل فتكون حينئذ ذاتاً روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية إلا أن  
 نوعها في الروحانيات دون نوع الملكة أهل الأفق الأعلى على الذين لم يستكملوا  
 ذواتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن  
 ومنه خاص كالذي للأولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا وأما الذي  
 للإنبياء فهو استعداد بالإنسلاخ من البشرية إلى الملكية الحضة التي هي أعلى  
 الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكرراً في حالات الوحي وهو عندما

يُعْرَجُ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَقَعُ فِيهَا مَا يَقَعُ مِنَ الْأَذْرَاكِ شَيْهًا بِحَالِ النَّوْمِ شَيْهًا  
بَيْنًا وَإِنْ كَانَ حَالُ النَّوْمِ أَدْوَنَ مِنْهُ يَكْثُرُ فَلِأَجْلِ هَذَا الشَّيْءِ عَبَّرَ الشَّارِعُ عَنِ الرُّؤْيَا  
بِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْأً مِنَ النَّبُوءَةِ وَفِي رَوَايَةٍ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعِينَ وَفِي رَوَايَةٍ  
سَبْعِينَ وَلَيْسَ الْعَدَدُ فِي حَمِيهَا مَقْصُودًا بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْكَثْرَةُ فِي تَفَاوُتِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ بِدَلِيلِ ذِكْرِ السَّبْعِينَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ وَهُوَ لِلتَّكْثِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَمَا ذَهَبَ  
إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فِي رَوَايَةِ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْ أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ فِي مَبْدَأِ الرُّؤْيَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ  
وَحِينَ نِصْفَ سَنَةٍ وَمُدَّةُ النَّبُوءَةِ كُلُّهَا بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ثَلَاثَ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَنِصْفُ السَّنَةِ  
مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ فَكَلَامٌ بَعِيدٌ مِنَ التَّحْقِيقِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَهْلِ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَقَعَتْ لِعَبْرَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
يُعْطَى نِسْبَةً زَمَنِ الرُّؤْيَا مِنْ زَمَنِ النَّبُوءَةِ وَلَا يُعْطَى حَقِيقَتَهَا مِنْ حَقِيقَةِ النَّبُوءَةِ وَإِذَا تَبَيَّنَ  
لَكَ هَذَا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْجُزْءِ نِسْبَةُ الْأَسْتِعْدَادِ الْأَوَّلِ السَّامِلِ  
لِلْبَشَرِ إِلَى الْأَسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ الْخَاصِّ بِصِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ الْفَطِرِيِّ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
إِذْ هُوَ الْأَسْتِعْدَادُ الْبَعِيدُ وَإِنْ كَانَ عَامًّا فِي النَّشْرِ وَمَعَهُ عَوَاقِقُ وَمَوَانِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ  
حُصُولِهِ بِالْفِعْلِ وَمِنْ أَكْثَرِ تِلْكَ الْمَوَانِعِ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةُ فَطَرَهُ اللَّهُ الْبَشَرُ عَلَى أَرْتِفَاعِ  
حِجَابِ الْخَوَاسِ بِالنَّوْمِ الَّذِي هُوَ جَلْبِي لَهُمْ فَتُتَعَرَّضُ النَّفْسُ عِنْدَ أَرْتِفَاعِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
مَا تَلْتَوِي إِلَيْهِ فِي عَالَمِ الْحَقِّ فَتُذْرِكُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْهُ لَحْمَةً يَكُونُ فِيهَا الظُّفْرُ  
بِالْمَطْلُوبِ وَلِئَلَّا جَعَلَهَا الشَّارِعُ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ فَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ  
قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ  
وَمَا سَبَبُ أَرْتِفَاعِ حِجَابِ الْخَوَاسِ بِالنَّوْمِ فَعَلَى مَا أَصِفُهُ لَكَ وَذَلِكَ أَنَّ الدُّنْسَ النَّاطِقَةَ  
إِنَّمَا إِذْرَاكُهَا وَأَفْعَالُهَا بِالرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَهُوَ بِخَارِ لَطِيفٍ مَرْكُوهٍ بِالْجَبْوِيَةِ  
الْأَبْسَرِ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى مَا فِي كُتُبِ التَّشْرِيحِ لِلْجَالِينُوسِ وَغَيْرِهِ وَتَبْنَعُ مَعَ الدَّمِ فِي  
الشَّرَيَانَاتِ وَالْعُرُوقِ فَيُعْطَى الْحَسَّ وَالْحَرَكَةَ وَسَائِرَ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَرْفَعُ لَطِيفُهُ إِلَى  
الدِّمَاغِ فَيَعْدِلُ مِنْ بَرْدِهِ وَتَنِيْمُ أَفْعَالُ الْقُوَى الَّتِي فِي بَطُونِهِ فَالْنَّفْسُ النَّاطِقَةُ إِنَّمَا تُذْرِكُ  
وَتَعْقِلُ بِهَذَا الرُّوحِ الْجَبْرِيِّ وَحِينَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِمَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ التَّكْوِينِ فِي أَنَّ  
الْلَطِيفَ لَا يُؤْثَرُ فِي الْكَثِيفِ وَلَمَّا لَطِفَ هَذَا الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ مِنْ بَيْنِ الْمَوَادِّ الْبَدَنِيَّةِ

صَارَ مَحَلًّا لِآثَارِ الْذَاتِ الْمُبَيَّنَةِ لَهُ فِي جِسْمَانِيَّتِهِ وَهِيَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ وَصَارَتْ آثَارُهَا حَاصِلَةً فِي الْبَدَنِ بِوَاسِطَتِهِ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ إِدْرَاكَهَا عَلَى نَوْعَيْنِ إِدْرَاكِ بِالظَّاهِرِ وَهُوَ الْخَوَاسُ الْخَمْسُ وَإِدْرَاكِ بِالْبَاطِنِ وَهُوَ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةُ وَأَنَّ هَذَا الْإِدْرَاكَ كُلُّهُ صَارَفَ لَهَا عَنْ إِدْرَاكَهَا مَا فَوْقَهَا مِنْ ذَوَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ بِالْفِطْرَةِ وَلَمَّا كَانَتْ الْخَوَاسُ الظَّاهِرَةُ جِسْمَانِيَّةً كَانَتْ مُعَرَّضَةً لِلْوَسَنِ وَالْقَسْبِ بِمَا يَدْرِكُهَا مِنَ النَّعْبِ وَالْكَدَالِ وَتَغْشَى الرُّوحَ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فَنَحْنُ اللَّهُ لَهَا طَلَبُ الْإِنْتِجَاعِ بِالتَّجَرُّدِ الْإِدْرَاكِ عَلَى الصُّورَةِ الْكَامِلَةِ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِإِتْخَادِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ مِنَ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ كُلِّهَا وَرُجُوعِهِ إِلَى الْحِسِّ الْبَاطِنِ وَيُعِينُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَغْشَى الْبَدَنَ مِنَ الْبَرْدِ بِاللَّيْلِ فَتَطْلُبُ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ أَعْمَاقَ الْبَدَنِ وَتَذْهَبُ مِنْ ظَاهِرِهِ إِلَى بَاطِنِهِ فَتَكُونُ مُسْتَعِدَّةً مَرَكَبَهَا وَهُوَ الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ إِلَى الْبَاطِنِ وَلِلذَلِكَ كَانَ النَّوْمُ لِلْبَشَرِ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا هُوَ بِاللَّيْلِ فَإِذَا انْتَفَسَ الرُّوحُ عَنِ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَرَجَعَ إِلَى الْقُوَى الْبَاطِنَةِ وَخَفَّتْ عَنِ النَّفْسِ شَوَاعِلُ الْحِسِّ وَمَوَانِعُهُ وَرَجَعَتْ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي فِي الْحَافِظَةِ تَمَثَّلَ مِنْهَا بِالْتَّرَكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ صُورٌ خَيَالِيَّةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ مُعْتَادَةً لِأَنَّهَا مُنْزَعَةٌ مِنَ الْمُدْرَكَاتِ الْمَتَمَاهِدَةِ قَرِيبًا ثُمَّ يَنْزِلُهَا الْحِسُّ الْمَشْتَرِكُ الَّذِي هُوَ جَامِعُ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ فَيَدْرِكُهَا عَلَى أَنْحَاءِ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَرُبَّمَا انْتَفَسَتِ النَّفْسُ لِقِفَتِهِ إِلَى ذَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ مَنَازِعَتِهَا الْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ تَذْرِكُ بِإِدْرَاكِهَا الرُّوحَانِيَّةِ لِأَنَّهَا مَفْطُورَةٌ عَلَيْهِ وَتَقْتَسِمُ مِنْ صُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي صَارَتْ مُتَعَلِّقَةً فِي ذَاتِهَا حِينَئِذٍ ثُمَّ يَأْخُذُ الْحَيَالُ تِلْكَ الصُّورَ الْمُدْرَكَةَ فَيَمَثِّلُهَا بِالْحَقِيقَةِ أَوْ الْحَاكَاةِ فِي الْقَوَالِبِ الْمَهْبُودَةِ وَالْحَاكَاةِ مِنْ هَذِهِ هِيَ الْحَاجَةُ لِلتَّعْبِيرِ وَتَصَرُّفِهَا بِالْتَّرَكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ فِي صُورِ الْحَافِظَةِ قَبْلَ أَنْ تَذْرِكَ مِنْ تِلْكَ اللَّحْمَةِ مَا تَذْرِكُهُ هِيَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرُّؤْيَا ثَلَاثُ رُّؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُّؤْيَا مِنَ الْمَلِكِ وَرُّؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَهَذَا التَّنْفِصِيلُ مُطَابِقٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَالْحُلُّ مِنَ اللَّهِ وَالْحَاكَاةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى التَّعْبِيرِ مِنَ الْمَلِكِ وَأَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهَا كُلُّهَا بَاطِلٌ وَالشَّيْطَانُ يُنْبِئُ الْبَاطِلَ هَذِهِ حَقِيقَةُ الرُّؤْيَا وَمَا يُسَبِّحُهَا وَيُسَبِّحُهَا مِنَ النَّوْمِ وَهِيَ خَوَاصُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَوْجُودَةٌ فِي الْبَشَرِ عَلَى الْعَمُومِ لَا يَخْلُوعُنَهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْسَانِيَّاتِ رَأَى فِي نَوْمِهِ مَا صَدَرَ

لَهُ فِي يَقْظَتِهِ مِرَارًا غَيْرَ وَاحِدَةٍ وَحَصَلَ لَهُ عَلَى الْقَطْعِ أَنَّ النَّفْسَ مُدْرِكَةٌ لِلْغَيْبِ فِي النَّوْمِ  
وَلَا بُدَّ وَإِذَا جَارَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ النَّوْمِ فَلَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ النَّاتِ  
الْمُدْرِكَةَ وَاحِدَةً وَخَوَاصُّهَا عَامَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ أَلْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ

فَصْلٌ \* وَوُقُوعُ مَا يَقَعُ لِلْبَشَرِ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَيْرِ قَضٍ وَلَا قُدْرَةٍ عَلَيْهِ  
وَإِنَّمَا تَكُونُ النَّفْسُ مُتَشَوِّفَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فَيَقَعُ لَهَا بِتِلْكَ الْأَحْجَةِ فِي النَّوْمِ لِأَنَّهَا تَقْصِدُ  
إِلَى ذَلِكَ قَرَارَهُ وَقَدْ وَقَعَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الرِّيَاضِيَّاتِ ذِكْرُ  
أَسْمَاءٍ تُذَكِّرُ عِنْدَ النَّوْمِ فَتَكُونُ عَنْهَا الرُّؤْيَا فِيمَا يَشَوِّفُ إِلَيْهِ وَيَسْئَلُهَا الْحَالُومَةُ  
وَذِكْرُ مِنْهَا مَسْئَلَةٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ حَالُومَةٌ سَمَّاها حَالُومَةُ الطَّبَاعِ النَّامُ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ  
عِنْدَ النَّوْمِ بَعْدَ قَرَأَةِ السِّرِّ وَهَيْجَةِ التَّوَجُّهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَعْجَبَةُ وَهِيَ تَمَاسُ بَعْدَ  
أَنْ يَسُودَ وَغَدَاسُ نَوْفًا غَادَسَ وَيَذْكُرُ حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ يَرَى الْكَشَفَ عَمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ  
فِي النَّوْمِ \* وَحِكْمِي أَنْ رَجُلًا فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ رِيَاضَةٍ لَبَّالٍ فِي مَا كُلِّهِ وَذَكَرَهُ  
فَتَمَثَّلَ لَهُ شَخْصٌ يَقُولُ لَهُ أَنَا طَبَّاعُكَ النَّامُ فَسَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ عَمَّا كَانَ يَشَوِّفُ إِلَيْهِ وَقَدْ  
وَقَعَ لِي أَنَا بِهِذِهِ الْأَسْمَاءِ مَرَّاهُ عَجِيبَةٌ وَأَطْلَعْتُ بِهَا عَلَى أُمُورٍ كُنْتُ أَتَشَوِّفُ عَلَيْهَا مِنْ  
أَحْوَالِي وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ لِلرُّؤْيَا يُعْدِيهَا وَإِنَّمَا هَذِهِ الْحَالُومَاتُ تُخْدِتُ  
اِسْتِعْدَادًا فِي النَّفْسِ لَوُقُوعِ الرُّؤْيَا فَإِذَا قَوِيَ اِلْتِمَاعُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ مَا  
يُسْتَعَدُّ لَهُ وَلِلشَّخْصِ أَنْ يَفْعَلَ مِنْ اِلْتِمَاعِ مَا أَحَبَّ وَلَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى إِيقَاعِ  
الْمُسْتَعَدِّ لَهُ فَالْقُدْرَةُ عَلَى اِلْتِمَاعِ غَيْرُ الْقُدْرَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَتَذَكَّرَهُ فِيمَا  
يَحْدُثُ مِنْ أَمثَالِهِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

فَصْلٌ \* ثُمَّ إِنَّا نَحْدُثُ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ أَشْخَاصًا يُخْبِرُونَ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وَقُوعِهَا  
بَطِيعَةً فِيهِمْ يَتَمَيَّزُ بِهَا صِنْفُهُمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ وَلَا يَرْجِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى صِنَاعَةٍ وَلَا  
يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهِ بِأَثَرٍ مِنَ النُّجُومِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا إِنَّمَا نَحْدُثُ مَدَارَكُهُمْ فِي ذَلِكَ بِمَقْتَضَى  
فِطْرَتِهِمْ الَّتِي فُطِّرُوا عَلَيْهَا وَذَلِكَ مِثْلُ الْعَرَّافِينَ وَالنَّاظِرِينَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَالْعَرَّافِيَا  
وَطَبَّاسِ الْمَاءِ وَالنَّاظِرِينَ فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الزُّجَرِ فِي الطَّيْرِ  
وَالسَّبَاعِ وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالْحُبُوبِ مِنَ الْخِنْطَةِ وَالنَّوَى وَهَذِهِ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي  
عَالَمِ الْإِنْسَانِ لَا يَسَعُ أَحَدًا مَجْدُهَا وَلَا أَنْكَارُهَا وَكَذَلِكَ الْجَنَانِينَ بَلَقَى عَلَى أَسْنَنِهِمْ

كَلِمَاتٍ مِنَ الْغَيْبِ فَيُخْبِرُونَ بِهَا وَكَذَلِكَ النِّامُ وَالْمَيِّتُ لِأَوَّلِ مَوْتِهِ أَوْ نَوْمِهِ بِتَكْلُمٍ  
بِالْغَيْبِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّبَاطِيَّاتِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ لَهُمْ مَدَارِكُ فِي الْغَيْبِ عَلَى سَبِيلِ  
الْكِرَامَةِ مَعْرُوفَةٌ . وَتَحْتَ الْآنَ تَتَكَلَّمُ عَنْ هَذِهِ الْأَدْرَاكَ كَلِمًا وَتَبْدِئُ مِنْهَا  
بِالْكِهَانَةِ ثُمَّ نَأْتِي عَلَيْهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً إِلَى آخِرِهَا وَتَقْدِمُ عَلَى ذَلِكَ مُقَدِّمَةً فِي أَنَّ النَّفْسَ  
الْإِنْسَانِيَّةَ كَيْفَ تَسْتَعِدُّ لِادْرَاكِ الْغَيْبِ فِي جَمِيعِ الْأَصْنَافِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا  
ذَاتُ رُوحَانِيَّةٍ مُوجُودَةٍ بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ بِالْبَدَنِ وَأَحْوَالِهِ وَهَذَا أَمْرٌ مُدْرِكٌ لِكُلِّ  
أَحَدٍ وَكُلُّ مَا بِالْقُوَّةِ فَلَهُ مَادَّةٌ وَصُورَةٌ . وَصُورَةُ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ وُجُودُهَا هُوَ عَيْنُ  
الْإِدْرَاكِ وَالتَّعَقُّلُ فَبَعْدَ أَنْ تَوْجَدَ أَوَّلًا بِالْقُوَّةِ مُسْتَعِدَّةً لِلإِدْرَاكِ وَقَبُولِ الصُّورِ الْكَلِمَةِ  
وَالْجُزْئِيَّةِ ثُمَّ يَتِمُّ شُؤْهَا وَوُجُودُهَا بِالْفِعْلِ بِمَصَاحِبَةِ الْبَدَنِ وَمَا يَعُودُهَا بِوُجُودِ مُدْرِكَاتِهَا  
الْمَحْسُوسَةِ عَلَيْهَا وَمَا تَنْتَزِعُ مِنْ تِلْكَ الْأَدْرَاكَ مِنَ الْمَعَانِي الْكَلِمَةِ فَتَتَعَقَّلُ الصُّورَ  
مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَحْصَلَ لَهَا الْإِدْرَاكِ وَالتَّعَقُّلُ بِالْفِعْلِ فَتَتِمُّ ذَاتُهَا وَتَبْقَى النَّفْسُ  
كَالْهَوَى وَالصُّورُ مُتَعَايِفَةً عَلَيْهَا بِالْإِدْرَاكِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ وَلِذَلِكَ يُجَدُّ الصِّبْيُ فِي أَوَّلِ  
نَشَأَتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِدْرَاكِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا لَا بِنَوْمٍ وَلَا بِكَشْفٍ وَلَا بِغَيْرِهِمَا وَذَلِكَ  
أَنَّ صُورَتَهَا الَّتِي فِي عَيْنِ ذَاتِهَا وَهِيَ الْإِدْرَاكِ وَالتَّعَقُّلُ لَمْ تَتِمَّ بَعْدُ بَلْ لَمْ يَتِمَّ لَهَا انْتِزَاعُ  
الْكَلِمَاتِ ثُمَّ إِذَا تَمَّتْ ذَاتُهَا بِالْفِعْلِ حَصَلَ لَهَا مَا دَامَتْ مَعَ الْبَدَنِ نَوْعَانِ مِنَ الْإِدْرَاكِ  
إِدْرَاكِ بِأَلَاتِ الْجِسْمِ تُؤَدِّيهِ إِلَيْهَا الْمَدَارِكُ الْبَدَنِيَّةُ وَإِدْرَاكِ بِذَاتِهَا مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ  
وَهِيَ مُتَحَبِّبَةٌ عَنْهُ بِالْإِنْفِصَالِ فِي الْبَدَنِ وَالْحَوَاسِ وَبَشَوَائِغِهَا لِأَنَّ الْحَوَاسَ أَبَدًا جَاذِبَةٌ  
لَهَا إِلَى الظَّاهِرِ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الْإِدْرَاكِ الْجِسْمَانِيِّ وَرُبَّمَا تَنْغَمِسُ مِنَ الظَّاهِرِ  
إِلَى الْبَاطِنِ فَيَرْتَفِعُ حِجَابُ الْبَدَنِ لَحْظَةً إِمَّا بِالْخَاصِيَّةِ الَّتِي فِيهِ لِلإِنْسَانِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
مِثْلَ النَّوْمِ أَوْ بِالْخَاصِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ لِبَعْضِ الْبَشَرِ مِثْلَ الْكِهَانَةِ وَالطَّرِيقِ أَوْ بِالرِّيَاضَةِ  
مِثْلَ أَهْلِ الْكَشْفِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فَتَلْتَفِتُ حِينَئِذٍ إِلَى النُّوَاتِ الَّتِي فَوْقَهَا مِنَ الْعَمَلِ  
لِمَا بَيْنَ أَفْقِهَا وَأَفْقِهِمْ مِنَ الْإِتِّصَالِ فِي الْوُجُودِ كَمَا قَرَرْنَا قَبْلَ ذَلِكَ الذُّوَاتِ رُوحَانِيَّةٍ  
وَهِيَ إِدْرَاكِ مُخَصَّصٌ وَتَعَقُّلٌ بِالْفِعْلِ وَفِيهَا صُورُ الْمَوْجُودَاتِ وَحَقَائِقُهَا كَمَا مَرَّ فَيَنْجَلِي  
فِيهَا شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الصُّورِ وَتَقْتَسِمُ مِنْهَا عُلُومًا وَرُبَّمَا دَفِعَتْ تِلْكَ الصُّورُ الْمُدْرَكَةَ إِلَى  
الْغَيْبِ لِيَصْرِفَهُ فِي الْقَوَالِبِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يُرَاجِعُ الْحِسَّ يَمَّا أَدْرَكَتْ إِمَّا بِجَرَدٍ أَوْ فِي



قَوْلِهِ فَخَبِّرْ بِهِ . هَذَا هُوَ مَرْحُ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ لِهَذَا الْإِدْرَاكِ الْقَبِيحِ . وَلِزَجِّجَ إِلَى  
مَا وَعَدْنَا بِهِ مِنْ بَيَانِ أَصْدَافِهِ . فَأَمَّا النَّاطِرُونَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّافَةِ مِنَ الْمَرَايَا وَطَسَاسِ  
الْمِيَاهِ وَقُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَكِبَادِمَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالْوَلَى فَكُلُّهُمْ مِنْ  
قَبِيلِ الْكُهَّانِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَضَعَفَ رُتَبَةً فِيهِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِمْ لِأَنَّ الْكُهَّانَ لَا يَحْتَاجُ فِي  
رَفْعِ حِجَابِ الْحِسِّ إِلَى كَثِيرٍ مَعَانَةٍ وَهَوْلَاءُ بِعَانُونِهِ يَأْتَحِصِرُ الْمَدَارُكِ الْحَسْبَةُ كُلُّهَا فِي  
نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا وَأَشْرَفُهَا الْبَصَرُ فَيَمَكِّفُ عَلَى الْمَرْئِيِّ الْبَسِيطِ حَتَّى يَبْدُو لَهُ مَذْرُكُهُ  
الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ وَرُبَّمَا يَقُولُ أَنَّ مُشَاهَدَةَ هَوْلَاءُ لِمَا يَرَوْنَهُ هُوَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ بَلْ لَا يَزَالُونَ يَنْظُرُونَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ إِلَى أَنْ يَغِيبَ عَنِ الْبَصَرِ وَيَبْدُو فِيهَا بَيْنَهُمْ  
وَبَيْنَ سَطْحِ الْمِرَاةِ حِجَابٌ كَأَنَّهُ عِمَامٌ يَشْتَلُّ فِيهِ صُورٌ فِي مَدَارِكِهِمْ فَيُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ  
بِالْمَقْصُودِ لِمَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ تَقَرُّبٍ أَوْ إِثْبَاتٍ فَيُخْبِرُونَ بِذَلِكَ عَلَى نَحْوِ مَا  
ادْرَكَوهُ وَأَمَّا الْمِرَاةُ وَمَا يَدْرُكُ فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَلَا يَدْرُكُونَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَإِنَّمَا يَنْشَأُ  
لَهُمْ بِهَا هَذَا النَّوعُ الْآخَرُ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَهُوَ تَقْسَاتِي لَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْبَصَرِ بَلْ  
يَنْشَكُلُ بِهِ الْمَدْرُكُ النَّفْسَانِي لِلْحِسِّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا يَعْزِضُ النَّاطِرِينَ  
فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَكِبَادِمَا وَالنَّاطِرِينَ فِي الْمَاءِ وَالطَّسَاسِ وَامْتِنَالِ ذَلِكَ . وَقَدْ  
شَاهَدْنَا مِنْ هَوْلَاءُ مَنْ يُشْعَلُ الْحِسُّ بِالْخُجُورِ فَقَطُّ ثُمَّ بِالْعَزَائِمِ لِلْإِسْتِعْدَادِ ثُمَّ يُخْبِرُ كَمَا  
أَدْرَكَ وَبِزَعْمُونِ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الصُّورَ مُنْشَخِصَةً فِي الْهَوَاءِ تَعَكِّي لَهُمْ أَحْوَالُ مَا يَتَوَجَّهُونَ  
إِلَى إِدْرَاكِهِ بِالْمِثَالِ وَالْإِشَارَةِ وَغَيْبُهُ هَوْلَاءُ عَنِ الْحِسِّ أَخْفَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْعَالَمِ  
أَبُو الْغَرَابِ . وَأَمَّا الزَّجْرُ وَهُوَ مَا تَحْدُثُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْكَلَمِ بِالْقَبِيحِ عِنْدَ  
سُنُوحِ طَائِرٍ أَوْ حَيَوَانٍ وَالْفِكْرُ فِيهِ بَعْدَ مَقْبِهِ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ تَبْتَثُ عَلَى الْحَرِصِ  
وَالْفِكْرُ فِيمَا زَجَرَ فِيهِ مِنْ مَرْئِيٍّ أَوْ مَسْمُوعٍ وَتَكُونُ قُوَّتُهُ الْخَيْلَةُ كَمَا قَدْ بَيَّنَّا قُوَّةَ  
فَيْبَعَثُهَا فِي الْبَحْثِ مُسْتَعِينًا بِمَا رَأَاهُ أَوْ سَمِعَهُ فَيُؤَدِّي بِهِ ذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ مَا كَمَا تَعْمَلُهُ الْقُوَّةُ  
الْخَيْلَةُ فِي النَّوْمِ وَعِنْدَ رُكُودِ الْحَوَاسِ تَتَوَسَّطُ بَيْنَ الْحَسُوسِ الْمَرْئِيِّ فِي بَقْطِهِ وَتَجْمَعُهُ  
مَعَ مَا عَقَلَتْهُ فَيَكُونُ عَنْهَا الرُّؤْيَا . وَأَمَّا الْجَانِبِينَ فَنَفُوسُهُمُ النَّاطِقَةُ ضَعِيفَةٌ التَّعَلُّقُ بِالْبَدَنِ  
لِقَسَادِ أَمْرِ جَنَّتِهِمْ غَالِبًا وَضَعْفُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ فِيهَا فَتَكُونُ نَفْسُهُ غَيْرَ مُسْتَقَرَّةٍ فِي  
الْحَوَاسِ وَلَا مُنْغَمِسَةٍ فِيهَا بِمَا شَغَلَهَا فِي نَفْسِهَا مِنَ أَلَمِ النِّقْصِ وَمَرْضِهِ وَرُبَّمَا زَاخَمَهَا عَلَى

التعلق به روحانية أخرى شيطانية نثبت به وتضعف هذه عن ممانعتها فيكون عنه  
التخبط فإذا أصابه ذلك التخطُّط إما افساد مزاجه من فساد في ذاتها أو لمزاجية من  
النفس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسيه جملة فأدرك لحة من عالم نفسه وانطبع  
فيها بعض الصور وصرفها الخيال وذبما نطق عن لسانه في تلك الحال من غير إرادته  
الطبي وإدراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لأنه لا يحصل لهم الاتصال  
وإن فقدوا الحس إلا بعد الاستعانة بالصورات الأجنبية كما قرزناه ومن ذلك يبيح  
الكذب في هذه المدارك وأما العرافون فهم المتعلقون بهذا الإدراك وليس لهم  
ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الأمر الذي يتوجهون إليه وبأخذون فيه بالظن  
والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والإدراك ويدعون بذلك  
معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة هذا تحصيل هذه الأمور وقد تكلم عليها المسعودي  
في مروج الذهب فما صادف تحقيقاً ولا إصابة وبظهر من كلام الرجل أنه كان  
بعيداً عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من أهله ومن غير أهله وهذه الإدراكات  
التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد كان العرب يفزعون إلى الكهان  
في تعرف الحوادث ويتناقلون إليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من إدراك  
غيرهم وفي كتب أهل الأدب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق بن أنمار  
بن نزار وسطيح بن مازن بن غسان وكان بدرج كما بدرج النوب ولا عظم فيه إلا  
الجمجمة ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة بن مضر وما أخبراه به  
ملك الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة الحميدية في قرش ورؤيا  
المؤبدان التي ألقاها سطيح لما بعث إليه بها كسرى عبد المسيح فأخبره بشأن النبوة  
وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير  
وذكرهم في أشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داويني فإنك إن داويتني لطيب

وقال الآخر

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعرفان تجد إنهما شفياني  
فقالا شاك الله والله ما لنا بما حملت منك الصلوع بدان

وَعَرَفُوا أَلِيمَاتِهِ هُوَ رَبَّاحُ بْنُ عَجَلَةَ وَعَرَفُوا تَجْدَ الْأَبْلَقُ الْأَسَدِيُّ . وَمِنْ هَذِهِ الْمَدَارِكِ  
الْغَنِيَّةُ مَا يَصْدُرُ لِبَعْضِ النَّاسِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْيَقْظَةِ وَالتَّيَاسُ بِالنُّومِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى  
الشَّيْءِ الَّذِي يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ بِمَا يُعْطِيهِ غَيْبُ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَمَا يُرِيدُ وَلَا يَقَعُ ذَلِكَ إِلَّا فِي  
مَبَادِي النَّوْمِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْيَقْظَةِ وَذَهَابِ الْإِخْتِيَارِ فِي الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ كَأَنَّهُ يُجِيبُ  
عَلَى النُّطْقِ وَغَايَتُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ وَفَهْمَهُ وَكَذَلِكَ يَصْدُرُ عَنِ الْمَقْتُولِينَ عِنْدَ مُفَارَقَةِ رُؤُسِهِمْ  
وَأَوْسَاطِ أَرْبَابِهِمْ كَلَامٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَلَقَدْ بَاغَنَا عَنْ بَعْضِ الْجَبَابِرَةِ الطَّالِبِينَ أَنَّهُمْ  
قَتَلُوا مِنْ مُجُورِهِمْ أَفْخَاصًا لِيَتَعَرَّفُوا مِنْ كَلَامِهِمْ عِنْدَ الْقَتْلِ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ  
فَاعْلَمُوهُمْ بِمَا يُسْتَنْبَعُ . وَذَكَرَ مَسَامَةَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنَّ أَدَمِيًّا إِذَا  
جُعِلَ فِي دَنْ مَمْلُوءٍ بِدِهْنِ السَّمِيمِ وَمَكَثَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بَغْدَى بِالنَّيْنِ وَالْجُوزِ  
حَتَّى يَذْهَبَ لَحْمُهُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْعُرُوقُ وَشَوُّونُ رَأْسِهِ فَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْنِ  
نَحْبِينَ يَحِيفُ عَلَيْهِ أَلْهَوَاهُ يَجِبُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُسَالُ عَنْهُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ الْخَاصَةِ  
وَالْعَامَةِ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ مَنَاقِبِ أَعْمَالِ السَّحَرَةِ لَكِنْ يَفْهَمُ مِنْهُ عَجَائِبُ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ سَافِي  
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُحَاوِلُ حُصُولَ هَذَا الْمَذْرُوكِ الْغَنِيِّ بِالرِّيَاضَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالْجَهَادَةِ مَوَاتَا  
صِنَاعِيًّا بِأَمَانَةٍ جَمِيعِ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ يَحْوِثُ أَثَارَهَا الَّتِي تَأْوَلَّتْ بِهَا النَّفْسُ ثُمَّ تَغْدِيهَا  
بِالذِّكْرِ لِتَزْدَادَ قُوَّةً فِي شَيْئِهَا وَيَحْصُلُ ذَلِكَ بِجَمْعِ الْفِكْرِ وَكَثْرَةِ الْجُوعِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ  
عَلَى الْقَطْعِ أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ بِالْبَدَنِ ذَهَبَ الْحُسْنُ وَحُجَابُهُ وَاطْمَأَنَّ النَّفْسُ عَلَى الْعُغْيَابِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الرِّيَاضَةِ السَّحَرِيَّةِ يَتَنَاضَوْنَ بِذَلِكَ لِيَحْصُلَ لَهُمْ الْإِطْلَاقُ عَلَى الْمَغْشَاةِ  
وَالنَّصْرَفَاتِ فِي الْعَوَالِمِ وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ فِي الْأَقَالِمِ الْمَعْرُوقَةِ جَنُوبًا وَشِمَالًا خُصُوصًا بِأَلَدِ  
الْهِنْدِ وَبَسَوْنَ هُنَاكَ الْحُوكِيَّةَ وَلَهُمْ كُتُبٌ فِي كَيْفِيَّةِ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ كَثِيرَةٌ وَالْأَخْبَارُ  
عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ غَرِيبَةٌ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ فَرِيَاضَتُهُمْ دِينِيَّةٌ وَعَرِيَّةٌ عَنْ مَذَاهِبِ الْمَفَاصِدِ  
الْمَذْمُومَةِ وَإِنَّمَا يَفْضِدُونَ جَمْعَ الْهَلْجَةِ وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَلِمَةِ لِيَحْصُلَ لَهُمْ أَذْوَاقُ  
أَهْلِ الزُّرْفَانِ وَالْوَحِيدِ وَيَزِيدُونَ فِي رِيَاضَتِهِمْ إِلَى الْجَمْعِ وَالْجُوعِ وَالْغَنِيَّةِ بِالذِّكْرِ  
فِيهَا لَيْتُمْ وَجْهَهُمْ فِي هَذِهِ الرِّيَاضَةِ لِأَنَّهُ إِذَا نَشَأَتِ النَّفْسُ عَلَى الذِّكْرِ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى  
الزُّرْفَانِ بِاللَّهِ وَإِذَا غَرِبَتْ عَنِ الذِّكْرِ كَانَتْ شَيْطَانِيَّةً وَحُصُولُ مَا يَحْصُلُ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْقَلْبِ وَالنَّصْرِفِ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَرَضِ وَلَا يَكُونُ مَقْصُودًا مِنْ أَوَّلِ

الْأَمْرَ لِأَنَّهُ إِذَا قُصِدَ ذَلِكَ كَانَتْ أَلَوَجْهَةً فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَإِنَّمَا هِيَ لِقَصْدِ التَّصَوُّفِ  
وَالْإِطْلَاعِ عَلَى الْغَيْبِ وَأَخْسِرَ بِهَا صَفَقَةً فَإِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ شَرَكٌ قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ آتَرَ  
الْعِرْفَانَ لِلْعِرْفَانِ فَقَدْ قَالَ بِالْثَّانِي فَهُمْ يَقْعُدُونَ بِوَجْهِهِمُ الْمَعْبُودَ لَا لَشَيْءٍ سِوَاهُ وَإِذَا  
حَصَلَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ فَبِالْعَرَضِ وَغَيْرِ مُقْصِدٍ لَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقِرُّ مِنْهُ إِذَا  
عَرَضَ لَهُ وَلَا يَحْصُلُ بِهِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِدُنْيِهِ لِأَلِغْيَرِهِ وَحُصُولِ ذَلِكَ لَهُمْ مَعْرُوفٌ  
وَيُسْمُونَ مَا يَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَالْحَدِيثِ عَلَى الْخَوَاطِرِ فِرَاسَةً وَكُنْهًا وَمَا يَقَعُ لَهُمْ مِنَ  
التَّصَوُّفِ كَرَامَةٍ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يَنْكَبِرُ فِي حَقِّهِمْ وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى إِنْكَارِهِ الْأَسَاطُ  
أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْزَرَايِي وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْمَالِكِيُّ فِي آخِرِينَ فِرَارًا مِنَ الْتِبَاسِ  
الْمُعْجَزَةِ بِغَيْرِهَا وَالْمَعْمُولُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ حُصُولُ التَّفَرُّقَةِ بِالتَّحْدِيدِ فَهُوَ كَافٍ  
وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنْ فِيكُمْ مَعْدَنَيْنِ وَإِنْ  
مِنْهُمْ عُمَرُ وَقَدْ وَقَعَ الصَّحَابَةُ مِنْ ذَلِكَ وَقَائِعٍ مَعْرُوفَةٌ تَشْهَدُ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِ عُمَرَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا سَارِيَةَ الْجَلَّ وَهُوَ سَارِيَةُ بْنُ زَنْبِرٍ كَانَ قَائِدًا عَلَى بَعْضِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ  
بِالْعِرَاقِ أَيَّامَ الْفَتْوحَاتِ وَتَوَرَّطَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مُعَارَكَةٍ وَهُمْ بِالْإِهْرَامِ وَكَانَ يَقْرُبُهُ  
جَبَلٌ يَفْخَرُ إِلَيْهِ فَرَفَعَ لِعُمَرَ ذَلِكَ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْمَدِينَةِ فَنَادَاهُ يَا سَارِيَةَ الْجَلَّ  
وَسَمِعَهُ سَارِيَةَ وَهُوَ بِمَكَانِهِ وَرَأَى شَخْصَهُ هُنَاكَ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَقَعَ مِثْلُهُ أَيْضًا لِأَبِي  
بَكْرٍ فِي وَصِيَّتِهِ عَائِشَةَ أَبْنَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي شَأْنٍ مَا تَحْكُمُ مِنْ أَوْسَقِ الثَّمَرِ مِنْ  
حَدِيثِهِ ثُمَّ نَهَى عَلَى جَذَائِهِ لِيَحْزُرَهُ عَنِ الْوَرَنَةِ فَقَالَ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ وَإِنَّمَا هُمَا  
أَخَوَاكَ وَأَخْنَاكَ فَقَالَتْ إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ فَمَنْ الْآخَرَى فَقَالَ إِنْ ذَا بَطْنُ بِنْتِ خَارِجَةَ أَرَاهَا  
جَارِيَةً فَكَانَتْ جَارِيَةً وَقَعَ فِي الْمَوْطِإِ فِي بَابٍ مَا لَا يَحْزُرُ مِنَ التَّحَلُّ وَمِثْلُ هَذِهِ  
الْوَقَائِعِ كَثِيرَةٌ لَهُمْ وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْإِقْدَاءِ إِلَّا أَنَّ أَهْلَ التَّصَوُّفِ  
يَقُولُونَ إِنَّهُ يَقُولُ فِي زَمَنِ النُّبُوَّةِ إِذْ لَا يَبْقَى لِلْمُرِيدِ حَالَةٌ بِمُحْضَرَةِ النَّبِيِّ حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ  
إِنَّ الْمُرِيدَ إِذَا جَاءَ لِلْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَسْلُبُ حَالَهُ مَا دَامَ فِيهَا حَتَّى يَفَارِقَهَا وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا  
أَهْدَايَةً وَيُرْشِدُنَا إِلَى الْحَقِّ

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُرِيدِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ قَوْمٌ بِهَالِيلٍ مَعْتُوهُونَ أَشْبَهُ بِالْحَبَّانِينَ مِنْ  
الْمَعْلَاةِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ صَحَّتْ لَهُمْ مَقَامَاتُ أَوْلَايَةِ وَأَحْوَالُ الصِّدِّيقِينَ وَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ

أَحْوَالِهِمْ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوقِ مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلِّفِينَ وَيَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ  
عَنِ الْمُعْجَبَاتِ عَجَائِبُ لَا تَهْتَدُونَ بِشَيْءٍ فَيُطْلِقُونَ كَلَامَهُمْ فِي ذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْهُ  
بِالْعَجَائِبِ وَرُبَّمَا يَنْكُرُ الْفُقَهَاءُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ سُقُوطِ  
التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ وَالْوَلَايَةِ لَا تَحْضُرُ إِلَّا بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ غَلَطٌ فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ  
يَشَاءُ وَلَا يَتَوَقَّفُ حُصُولُ الْوَلَايَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَلَا غَيْرِهَا وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ  
ثَابِتَةً الْوُجُودِ قَالَهُ تَعَالَى يَخْضَعُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَوَاهِبِهِ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَمْ تَعْدَمْ نَفْسُهُمْ  
النَّاطِقَةُ وَلَا فَسَدَتْ كَحَالِ الْعَجَائِنِ وَإِنَّمَا فَقَدَ لَهُمُ الْعَقْلَ الَّذِي يَنْبَاطُ بِهِ التَّكْلِيفُ  
وَبِهِ صِفَةُ خَاصَّةٍ لِلنَّفْسِ وَبِهِ عُلُومٌ غَرُورِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ يَسْتَدُّ بِهَا نَظَرَهُ وَيَعْرِفُ أَحْوَالَ  
مَعَاشِهِ وَأَسْتِقَامَةَ مَنْزِلِهِ وَكَأَنَّهُ إِذَا مَيَّزَ أَحْوَالَ مَعَاشِهِ وَأَسْتِقَامَةَ مَنْزِلِهِ لَمْ يَبْقَ لَهُ عَذَرٌ  
فِي قَبُولِ التَّكْلِيفِ لِإِصْلَاحِ مَعَادِهِ وَلَيْسَ مَنْ فَقَدَ هَذِهِ الصِّفَةَ بِفَقْدِ لِنَفْسِهِ وَلَا ذَاهِلٌ  
عَنْ حَقِيقَتِهِ فَيَكُونُ مَوْجُودَ الْحَقِيقَةِ مَعْدُومَ الْعَقْلِ التَّكْلِفِيِّ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ الْمَعَاشِ  
وَلَا اسْتِحَالَةٌ فِي ذَلِكَ وَلَا يَتَوَقَّفُ أَصْطِفَاءُ اللَّهِ عِبَادَهُ لِمَعْرِفَةِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّكْلِيفِ  
وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ رُبَّمَا يَلْتَمِسُ حَالُ هَؤُلَاءِ بِالْعَجَائِنِ الَّذِينَ تَفْسَدُ نَفْسُهُمْ  
النَّاطِقَةُ وَيَلْتَقِطُونَ بِأَلْبَهُائِهِمْ وَلَكِنْ فِي تَمْيِيزِهِمْ عِلَامَاتٌ مِنْهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْبَهَائِلَ لَا تَجِدُ لَهُمْ  
وَجْهَةً أَصْلًا وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُخْلَقُونَ عَلَى الْبَلَاءِ مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ وَالْعَجَائِنُ يَعْزُضُ لَهُمْ  
الْجَنُونُ بَعْدَ مَدَّةٍ مِنَ الْعُمُرِ لِعَوَاضِ بَدَنِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ فَإِذَا عَرِضَ لَهُمْ ذَلِكَ وَفَسَدَتْ نَفْسُهُمْ  
النَّاطِقَةُ ذَهَبُوا بِاخْتِيَابِهِ وَمِنْهَا كَثَرَةُ تَصَرُّفِهِمْ فِي النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ لَا تَهْتَدُونَ  
عَلَى إِذْنِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي حَقِّهِمْ وَالْعَجَائِنُ لَا تَصَرَّفُ لَهُمْ وَهَذَا فَضْلٌ أَنْتَهَى بِتَا  
الْكَلَامِ إِلَيْهِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ لِلصَّوَابِ

وَقَدْ يَزْعَمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هُنَا مَدَارِكَ الْغَيْبِ مِنْ دُونِ غَيْبَةِ عَنِ الْحِسِّ فَمِنْهُمْ  
الْمُتَحَيِّمُونَ الْقَائِلُونَ بِالذِّلَالَاتِ الْجُومِيَّةِ وَمَقْتَضَى أَوْضَاعِهَا فِي الْفَلَاحِ وَأَثَارِهَا فِي الْعَاكِمِ  
وَمَا يَحْضُرُ مِنَ الْأَمْتِزَاجِ بَيْنَ طَبَاعِهَا بِالتَّنَاطُرِ وَيَتَأَدَّى مِنْ ذَلِكَ الْمَزَاجِ إِلَى الْهَوَاءِ  
وَهَؤُلَاءِ الْمُتَحَيِّمُونَ لَيْسُوا مِنَ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا هِيَ ظَنُونٌ حَدْسِيَّةٌ وَتَحْمِينَاتٌ مَبْنِيَّةٌ  
عَلَى التَّأْيِيرِ الْجُومِيَّةِ وَحُصُولِ الْمَزَاجِ مِنْهُ لِلْهَوَاءِ مَعَ مَرِيدِ حَدْسٍ يَقِفُ بِهِ النَّاطِرُ عَلَى  
تَفْصِيلِهِ فِي الشَّخْصِيَّاتِ فِي الْعَالَمِ كَمَا قَالَهُ بَطْلَانُوسُ وَتَحْنُ نَبِيْنُ بَطْلَانُ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ لَوْ ثَبَتَ فَعَالِيَهُ حَدَسٌ وَتَحْمِينٌ وَلَيْسَ مِمَّا ذَكَرْتَاهُ فِي شَيْءٍ . وَمِنْ  
 هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ اسْتَنْبَطُوا لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ وَتَعَرُّفِ الْكَائِنَاتِ صِنَاعَةَ سَمَوْهَا خَطَّ  
 الرَّمْلِ نِسْبَةً إِلَى الْمَادَّةِ الَّتِي يَضَعُونَ فِيهَا عَمَلَهُمْ وَتَحْصُلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ أَنَّهُمْ صَيَّرُوا  
 مِنَ النِّقْطِ أَشْكَالًا ذَاتَ أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِهَا فِي الرُّوحِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ  
 وَاسْتَوَاتِهَا فِيهِمَا فَكَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ أَرْوَاجًا كُلُّهَا أَوْ أَفْرَادًا  
 كُلُّهَا فَشَكْلَانِ وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ فِيهِمَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطَّ فَأَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ  
 كَانَ الْفَرْدُ فِي مَرْتَبَتَيْنِ فَسِتَّةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ كَانَ فِي ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ فَأَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ  
 جَاءَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا مَبْزُومًا كُلُّهَا بِأَسْمَائِهَا وَأَنْوَاعِهَا إِلَى سُعُودٍ وَنُحُوسٍ شَأْنِ  
 الْكَوَاكِبِ وَجَعَلُوا لَهَا سِتَّةَ عَشَرَ نَبْطًا طَبِيعِيَّةً بِرُغْمِهِمْ وَكَانَ هَذَا الْبُرُوجُ الْإِلَئِثَا عَشَرَ الَّتِي  
 لِلْفَلَكَ وَالْأَوْتَادِ الْأَرْبَعَةِ وَجَعَلُوا لِكُلِّ شَكْلٍ مِنْهَا نَبْطًا وَخُطُوطًا وَدِلَالَةً عَلَى صِنْفٍ  
 مِنْ مَوْجُودَاتِ عَالَمِ الْعَنَاصِرِ يَخْتَصُّ بِهِ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْ ذَلِكَ فَنًا حَادِثًا يَهْدِي إِلَى النِّجَامَةِ  
 وَنَوْعٍ فُضَائِيٍّ إِلَّا أَنَّ أَحْكَامَ النِّجَامَةِ مُسْتَنَدَةٌ إِلَى أَوْضَاعٍ طَبِيعِيَّةٍ كَمَا يَزْعُمُ بَطْلِمُسُ  
 وَهَلْوَ إِنْمَا مُسْتَنَدُهَا أَوْضَاعٌ تَقْكِيمِيَّةٌ وَأَهْوَالٌ اتِّفَاقِيَّةٌ وَلَا دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا  
 وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوتِ الْقَدِيمَةِ فِي الْعَالَمِ وَرُبَّمَا نَسَبُوهَا إِلَى دَانِيَالٍ أَوْ  
 إِلَى آدَمَ بِنِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَرُبَّمَا يَدْعُونَ مَشْرُوعِيَّتَهَا وَيَحْتَجُّونَ  
 بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَبِيٌّ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ  
 عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ خَطِّ الرَّمْلِ كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ مَنْ لَا تَحْصِيلَ لَهُ لَدَيْهِ لِأَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَانَ  
 نَبِيٌّ يَخْطُ فَإِذَا تَبَيَّنَ الْوَحْيُ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَطِّ وَلَا اسْتِحْصَالَ فِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَادَةً لِبَعْضِ  
 الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ فَهُوَ ذَلِكَ أَيْ فَهُوَ صَحِيحٌ مِنْ بَيْنِ الْخَطِّ بِمَا عَصَدَهُ  
 مِنَ الْوَحْيِ لِذَلِكَ الَّتِي الَّذِي كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ عِنْدَ الْخَطِّ وَأَمَّا إِذَا أَخَذَ  
 ذَلِكَ مِنَ الْخَطِّ مُجَرَّدًا مِنْ غَيْرِ مُوَافَقَةٍ وَحْيٍ فَلَا وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِذَا  
 أَرَادُوا اسْتِخْرَاجَ مُغِيبٍ بِرُغْمِهِمْ عَمِدُوا إِلَى قِرْطَاسٍ أَوْ رَمَلٍ أَوْ دَقِيقٍ قَوَّضَعُوا النَّقْطَ  
 سَطُورًا عَلَى عَدَدِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ ثُمَّ كَرَّرُوا ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَتَحِيَّ سِتَّةَ عَشَرَ  
 سَطْرًا ثُمَّ يَطْرَحُونَ النَّقْطَ أَرْوَاجًا وَيَضَعُونَ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ سَطْرِ رُوحًا كَانَ أَوْ فَرْدًا  
 فِي مَرْتَبَتِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ فَتَحِيَّ أَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ يَضَعُونَهَا فِي سَطْرِ مُتَتَالِيَةٍ ثُمَّ يُولَدُونَ مِنْهَا

أَرْبَعَةً أَشْكَالٍ أُخْرَى مِنْ جَانِبِ الْفَرْضِ بِاعْتِبَارِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ وَمَا قَابِلَهَا مِنَ الشَّكْلِ  
الَّذِي بِأَرْزَائِهِ وَمَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمَا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ ثَمَانِيَةَ أَشْكَالٍ مَوْضُوعَةٍ فِي  
سَطْرٍ ثُمَّ يُولَدُونَ مِنْ كُلِّ شَكْلَيْنِ شَكْلًا تَحْتَهُمَا بِاعْتِبَارِ مَا يَجْتَمِعُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ  
مِنْ مَرَاتِبِ الشَّكْلَيْنِ أَيْضًا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ أَرْبَعَةً أُخْرَى تَحْتَهُمَا ثُمَّ يُولَدُونَ  
مِنْ الْأَرْبَعَةِ شَكْلَيْنِ كَذَلِكَ تَحْتَهُمَا مِنَ الشَّكْلَيْنِ شَكْلًا كَذَلِكَ تَحْتَهُمَا ثُمَّ مِنْ هَذَا  
الشَّكْلِ الْخَامِسِ عَشَرَ مَعَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ شَكْلًا يَكُونُ آخِرَ السِّتَةِ عَشَرِ ثُمَّ يَحْكُمُونَ  
عَلَى الْخَطِّ كُلِّهِ بِمَا اقْتَضَتْهُ أَشْكَالُهُ مِنَ السُّعُودَةِ وَالنُّحُومَةِ بِالذَّاتِ وَالنَّظَرِ وَالْحُلُولِ  
وَالِامْتِزَاجِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى أَصْنَافِ الْمَوْجُودَاتِ وَسَائِرِ ذَلِكَ تَحْكُمُهَا غَيْرُهَا وَكَثُرَتْ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْأَعْمُرَانِ وَوُضِعَتْ فِيهَا التَّالِيفُ وَاشْتَهَرَ فِيهَا الْأَعْلَامُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتُمْ تَحْكُمُ وَهَوَى وَالتَّحْقِيقُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نُصَبَ  
فِكْرِكَ أَنْ الْغُيُوبَ لَا تُدْرِكُ بِصِنَاعَةِ الْبَشَرِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَعْرِفِهَا إِلَّا لِلْغَوَاصِّ مِنَ الْبَشَرِ  
الْمَعْطُورِينَ عَلَى الرَّجُوعِ مِنْ عَالَمِ الْحَسَنِ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَلِلذَلِكَ يُسَمَّى الْمُتَجَمِّعُونَ هَذَا  
الصَّنْفَ كُلَّهُمْ بِالزَّهْرَيْنِ نِسْبَةً إِلَى مَا تَقْضِيهِ دَلَالَةُ الزُّهْرَةِ بِزَعْمِهِمْ فِي أَصْلِ مَوَالِيدِهِمْ  
عَلَى إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فَالْخَطُّ وَغَيْرُهُ مِنْ هَذِهِ إِنْ كَانَ النَّاطِرُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَاصِيَةِ  
وَقَصْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْظُرُ فِيهَا مِنَ النُّقْطِ أَوْ الْعِظَامِ أَوْ غَيْرِهَا إِشْغَالِ الْحَسَنِ لِتَرْجِيعِ  
النَّفْسِ إِلَى عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ لِحُظَّةٍ مَا فَهُوَ مِنْ بَابِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالنَّظَرِ فِي قُلُوبِ  
الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَرَايَا الشَّافَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَصْدُ تَعْرِفَةِ  
الْغَيْبِ بِهِذِهِ الصَّنَاعَةِ وَأَنْهَا تَقِيْدُهُ ذَلِكَ فَهَذَرُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .  
وَالْعَلَامَةُ لِهَذِهِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا أَهْلُ هَذَا الْإِدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ أَنَّهُمْ عِنْدَ تَوَجُّهِهِمْ  
إِلَى تَعْرِفِ الْكَائِنَاتِ بِعَتَرِهِمْ خُرُوجَ عَنْ حَالَتِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ كَالْتَأَوُّبِ وَالْمَعْطُطِ  
وَمَبَادِيءِ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحَسَنِ وَبِمُخْتَلَفِ ذَلِكَ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ عَلَى اخْتِلَافِ وُجُودِهَا فِيهِمْ  
فَعَمَّنْ لَمْ تَوْجَدْ لَهُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ فَلَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ سَاعٍ فِي  
تَنْقِيحِ كَذِبِهِ

وَمِنْهُمْ طَوَائِفُ يَضَعُونَ قَوَائِينَ لِاسْتِغْرَاجِ الْغَيْبِ لَبَسَتْ مِنَ الطُّورِ الْأَوَّلِ الَّذِي  
هُوَ مِنْ مَذَارِكِ النَّفْسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَا مِنَ الْحَسَنِ الْمَبْنِيِّ عَلَى نَاقِضَاتِ الشُّجُومِ كَمَا

زَعَمَهُ بَطْلِيمُوسُ وَلَا مِنْ الظَّنِّ وَالْتَحْمِينَ الَّذِي يُعَاوَلُ عَلَيْهِ الْعَرَاوُونَ وَإِنَّمَا فِي مَعَالِطِ  
يُجْعَلُونَهَا كَالْمَصَائِدِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ الْمُسْتَضَعَّةِ وَلَسْتُ أَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ  
الْمُصَنِّفُونَ وَوَلَعَ بِهِ الْخَوَاصُّ فَمِنْ تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْحِسَابُ الَّذِي يُسَوِّهُ حِسَابُ النَّبِيِّ وَهُوَ  
مَذْكَورٌ فِي آخِرِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ الْمُنَسَّوبِ لِأَرْسَطُو يُعْرَفُ بِهِ الْغَالِبُ مِنَ الْمَغْلُوبِ فِي  
الْمُتَخَارِبِينَ مِنَ الْمَمْلُوكِ وَهُوَ أَنْ تُحَسَّبَ الْحُرُوفُ الَّتِي فِي أَمْرِ أَحَدِهِمَا بِحِسَابِ الْجَمْعِ  
الْمُصْطَلَحِ عَلَيْهِ فِي حُرُوفِ أُيُجِدُ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْأَلْفِ أَحَادًا وَعَشْرَاتٍ وَمِثْنٍ وَالْوُفَا  
فَإِذَا حُسِبَتِ الْأَسْمَاءُ وَتَحَصَّلَ لَكَ مِنْهُ عَدَدٌ فَأَحْسِبِ اسْمَ الْآخِرِ كَذَلِكَ ثُمَّ أَطْرَحْ مِنْ كُلِّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمَا تِسْعَةً تِسْعَةً وَاحْفَظْ بَقِيَّةَ هَذَا وَبَقِيَّةَ هَذَا ثُمَّ انْظُرْ بَيْنَ الْعَدَدَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ  
مِنْ حِسَابِ الْأَمْتَيْنِ فَإِنْ كَانَ الْعَدَدَانِ مُتَخِلِفَيْنِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَكَانَا مَعًا زَوْجَيْنِ أَوْ  
فَرْدَيْنِ مَعًا فَصَاحِبُ الْأَقَلِّ مِنْهُمَا هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا زَوْجًا وَالْآخَرُ فَرْدًا  
فَصَاحِبُ الْأَكْثَرِ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَهُمَا مَعًا زَوْجَانِ  
فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ مَعًا فَرْدَيْنِ فَالطَّالِبُ هُوَ الْغَالِبُ وَيُقَالُ هُنَاكَ يَتَنَانِ فِي  
هَذَا الْعَمَلِ أَشْتَمَرًا بَيْنَ النَّاسِ وَهُمَا

أَرَى الزَّوْجَ وَالْأَفْرَادَ يَسْتَوُ أَقْلًا وَأَكْثَرًا عِنْدَ التَّحَالُفِ غَالِبٌ  
وَيَغْلِبُ مَطْلُوبٌ إِذَا الزَّوْجُ يَسْتَوِي وَعِنْدَ اسْتِثْوَاءِ الْفَرْدِ يَغْلِبُ طَالِبٌ  
ثُمَّ وَضَعُوا لِمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الْحُرُوفِ بَعْدَ طَرَحِهَا بِتِسْعَةٍ قَانُونًا مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ فِي طَرَحِ  
تِسْعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْحُرُوفَ الدَّلَالَةَ عَلَى الْوَاحِدِ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ (أ)  
الدَّلَالَةُ عَلَى الْوَاحِدِ وَ (ي) الدَّلَالَةُ عَلَى الْعَشْرَةِ وَهِيَ وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْعَشْرَاتِ وَ (ق)  
الدَّلَالَةُ عَلَى الْمِائَةِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ أَلْفَيْنِ وَ (ش) الدَّلَالَةُ عَلَى الْأَلْفِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ  
فِي مَرْتَبَةِ الْأَلْفِ وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَلْفِ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْحُرُوفِ لِأَنَّ الشَّيْءَ فِي آخِرِ  
حُرُوفِ أُيُجِدُ ثُمَّ رَتَّبُوا هَذِهِ الْأَحْرُوفَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى تَسْقِ الْمَرَاتِبِ فَكَانَ مِنْهَا كَلِمَةٌ  
رُبَاعِيَّةٌ وَهِيَ (أَبَش) ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ بِالْحُرُوفِ الدَّلَالَةَ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ  
وَأَسْقَطُوا مَرْتَبَةَ الْأَلْفِ مِنْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آخِرَ حُرُوفِ أُيُجِدُ فَكَانَ مَجْمُوعُ حُرُوفِ  
الْاثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ثَلَاثَةَ حُرُوفٍ وَهِيَ (ب) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْآحَادِ  
وَ (ك) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْعَشْرَاتِ وَهِيَ عِشْرُونَ وَ (ر) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي أَلْفَيْنِ



وَفِي مِائَتَانِ وَصَبْرُوهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ثَلَاثِيَّةٌ عَلَى نَسَقِ الْمَرَاتِبِ وَفِي بَكْرُتُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ  
بِالْحُرُوفِ الدَّلَالَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ فَنَشَأَتْ عَنْهَا كَلِمَةٌ جُلِسَ وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ حُرُوفِ أُجَدٍ  
وَصَارَتْ تِسْعَ كَلِمَاتٍ نِهَابَةً عَدَدَ الْأَحَادِ وَفِي ابْقَشِ بَكَرْ جُلِسَ دَمَتْ هَنْتَ وَصَفَحَ زَعَدَ  
حَنْظَ طَضَغَ مُرَبَّتِيَّةٌ عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا الَّذِي فِي فِي مَرَبَّتِيَّةِ  
فَأَوَّلُهَا لِكَلِمَةِ ابْقَشِ وَالْثَانِي لِكَلِمَةِ بَكَرِ وَالْثَلَاثَةُ لِكَلِمَةِ جُلِسَ وَكَذَلِكَ إِلَى النَّاسِغَةِ  
الَّتِي فِي طَضَغَ فَتَكُونُ لَهَا التَّسْمَةُ فَإِذَا أَرَادُوا طَرَحَ الْأَسْمِ يَنْسَعِي نَظَرُوا كُلَّ حَرْفٍ  
مِنْهُ فِي أَيْ كَلِمَةٍ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَأَخَذُوا عَدَدَهَا مَكَانَهُ ثُمَّ جَمَعُوا الْأَعْدَادَ  
الَّتِي يَأْخُذُونَهَا بِدَلَالَةِ حُرُوفِ الْأَسْمِ فَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةً عَلَى التَّسْمَةِ أَخَذُوا مَا فَضَلَ  
عَنْهَا وَإِلَّا أَخَذُوهُ كَمَا هُوَ ثُمَّ يَفْعَلُونَ كَذَلِكَ بِالْأَسْمِ الْآخِرِ وَيَنْظُرُونَ بَيْنَ الْخَارِجِينَ  
بِمَا قَدَمْنَاهُ وَالسِّرِّ فِي هَذَا بَيْنَ ذَلِكَ أَنَّ الْبَاقِي مِنْ كُلِّ عَقْدٍ مِنَ الْعُقُودِ يَطْرَحُ  
تِسْعَةً إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ لِكَانَهُ يَجْمَعُ عَدَدَ الْعُقُودِ خَاصَّةً مِنْ كُلِّ مَرَبَّتِيَّةٍ فَصَارَتْ أَعْدَادُ  
الْعُقُودِ كَانَهَا أَحَادٌ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ وَالْعَشْرَيْنِ وَالْمِائَتَيْنِ وَالْأَلْفَيْنِ وَكُلُّهَا اثْنَانِ  
وَكَذَلِكَ الثَّلَاثَةُ وَالْثَلَاثُونَ وَالْثَلَاثُمِائَةُ وَالْثَلَاثَةُ الْأَلْفُ كُلُّهَا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ فَوُضِعَتْ  
الْأَعْدَادُ عَلَى التَّوَالِي دَالَّةٌ عَلَى أَعْدَادِ الْعُقُودِ لَا غَيْرَ وَجُعِلَتْ الْحُرُوفُ الدَّلَالَةُ عَلَى أَصْنَافِ  
الْعُقُودِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْأَحَادِ وَالْعَشْرَاتِ وَالْمِائِينَ وَالْأَلْفِ (١) وَصَارَ عَدَدُ الْكَلِمَةِ  
الْمَوْضُوعِ عَلَيْهَا نَائِبًا عَنْ كُلِّ حَرْفٍ فِيهَا سَوَاءٌ دَلَّ عَلَى الْأَحَادِ أَوِ الْعَشْرَاتِ أَوِ الْمِائِينَ  
فَيُؤْخَذُ عَدَدُ كُلِّ كَلِمَةٍ عَوَاضًا مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي فِيهَا وَيَجْمَعُ كُلُّهَا إِلَى آخِرِهَا كَمَا فَلَنَاهُ  
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَتَدَوِّلُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْذُ الْأَمْرِ الْقَدِيمِ وَكَانَ بَعْضُ مَنْ لَقِيْنَاهُ مِنْ شَيْوُخِنَا  
يَرَى أَنَّ الصَّحِيحَ فِيهَا كَلِمَاتٌ أُخْرَى تِسْعَةً مَكَانَ هَذِهِ وَمَتَوَالِيَةٌ كَتَبُوا إِلَيْهَا وَيَفْعَلُونَ  
بِهَا فِي الطَّرَحِ يَنْسَعِي مِثْلَ مَا يَفْعَلُونَهُ بِالْأُخْرَى سَوَاءٌ وَفِي هَذِهِ أَرْبَ يَسْفِكُ جَزَلُطَ مَدُوصَ  
هَفَ تَحْذَنَ عَشَ خَعَ نَضَطَ تِسْعَ كَلِمَاتٍ عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا  
الَّذِي فِي مَرَبَّتِيَّةِ فِيهَا الثَّلَاثِي وَالْأَرْبَعِي وَالْثَنَائِي وَلَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى أَصْلِ مُطَرِّدٍ كَمَا  
إِترَاهُ لَكِنْ كَانَ شَيْوُخُنَا يَنْقُلُونَهَا عَنْ شَيْخِ الْمَغْرِبِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ مِنَ السَّيَحِيَاءِ  
وَأَسْرَارِ الْحُرُوفِ وَالنَّجَامَةِ وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْبَنَاءِ وَيَقُولُونَ عَنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ بِهِذِهِ

(١) قوله المألوف فيه نظر لان المحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامه

الْكَلِمَاتِ فِي طَرَحِ حِسَابِ النِّبْتِ أَسْعُ مِنْ أَعْمَلِ بِكَلِمَاتِ ابْقِشَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ  
 ذَلِكَ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَدَارِكُ الْغَيْبِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ إِلَى أَرِسْطُو عِنْدَ الْمُتَحَقِّقِينَ لِمَا فِيهِ مِنْ  
 الْأَرَآءِ الْبَعِيدَةِ عَنِ التَّحْقِيقِ وَالْبَرْهَانِ بِشَهْدِ لِكَ بِذَلِكَ تَصَدَّقُهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ  
 الرُّسُوحِ اهـ . وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَائِنِ الصَّنَاعِيَّةِ لَا سِتْخِرَاجِ الْغُيُوبِ فِيمَا يَزْعُمُونَ الزَّايِجَةَ  
 الْمُسَمَّاةُ بِزَايِجَةِ الْعَالَمِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ السَّنْبُغِيِّ مِنْ أَعْلَامِ  
 الْمُتَصَوِّفَةِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي آخِرِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ بِعَرَاكِشٍ وَلِإِعْدَادِ أَبِي بَقُوبِ الْمَنْصُورِ  
 مِنْ مُلُوكِ الْمُوحِدِينَ وَهِيَ غَرِيبَةٌ أَعْمَلُ صِنَاعَةٍ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِ يُولَعُونَ بِإِقَادَةِ  
 الْغَيْبِ مِنْهَا بِعَمَلِهَا الْمَعْرُوفِ الْمَلْفُوزِ فَيَعْرِضُونَ بِذَلِكَ عَلَى حَلِّ رَزْمِهِ وَكَشْفِ غَامِضِهِ  
 وَصُورَتِهَا الَّتِي يَقَعُ الْعَمَلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي دَاخِلِهَا دَوَائِرُ مُتَوَارِبَةٌ لِلْأَفْلَاقِ  
 وَالْعُنَاصِرِ وَالْمُكُونَاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْكَائِنَاتِ وَالْعُلُومِ  
 وَكُلُّ دَائِرَةٍ مَقْسُومَةٌ بِأَقْسَامٍ فَالْكَلِمَاتُ إِمَّا الْبُرُوجُ وَإِمَّا الْعُنَاصِرُ أَوْ غَيْرُهُمَا وَخُطُوطُ  
 كُلِّ قِسْمٍ مَارَةٌ إِلَى الْمَرْكَزِ وَيُسَمَّوْنَهَا الْأَوْتَارَ وَعَلَى كُلِّ وَتَرٍ حُرُوفٌ مُتَابِعَةٌ مَوْضُوعَةٌ  
 فِيهَا بِرُشُومٍ <sup>(١)</sup> الزَّيَامِ الَّتِي هِيَ أَشْكَالُ الْأَعْدَادِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوَاوِينِ وَالْحِسَابِ بِالْمَغْرِبِ  
 إِيذًا أَلْهَدٍ وَمِنْهَا بِرُشُومِ الْقُبَارِ الْمُتَعَارِفَةِ فِي دَاخِلِ الزَّايِجَةِ وَبَيْنَ الدَّوَائِرِ أَسْمَاءُ الْعُلُومِ  
 وَمَوَاضِعُ الْأَكْوَانِ وَعَلَى ظَاهِرِ الدَّوَائِرِ جَدُولٌ مُتَكَثِّرُ الْبُيُوتِ الْمُتَقَاطِعَةِ طَوِيلًا وَعَرَضًا  
 يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ يَتًا فِي الْعَرَضِ وَمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ فِي الطَّوِيلِ جَوَانِبُ مِنْهُ  
 مَعْمُورَةٌ الْبُيُوتُ تَارَةً بِالْعَدَدِ وَآخَرَى بِالْحُرُوفِ وَجَوَانِبُ خَالِيَةٌ الْبُيُوتِ وَلَا تَعْلَمُ نِسْبَةَ  
 تِلْكَ الْأَعْدَادِ فِي أَوْضَاعِهَا وَلَا الْقِسْمَةَ الَّتِي عَيَّنَتْ الْبُيُوتُ الْعَامِرَةَ مِنَ الْخَالِيَةِ وَحَافَاتُ  
 الزَّايِجَةِ أَيْكَاتٌ مِنْ عَرُوضِ الطَّوِيلِ عَلَى رَوِيِّ الْأَلَامِ الْمَنْصُوبَةِ لَتَضَعُنْ صُورَةَ أَعْمَلِ  
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَطْلُوبِ مِنْ تِلْكَ الزَّايِجَةِ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ قِبَلِ الْأَفْكَارِ فِي عَدَمِ التَّوْضُوحِ  
 وَالْجَلَاءِ وَفِي بَعْضِ جَوَانِبِ الزَّايِجَةِ يَتُّ مِنَ الشَّعْرِ مَنْسُوبٌ لِبَعْضِ أَكْبَارِ أَهْلِ الْحَدَّثَانِ  
 بِالْمَغْرِبِ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ وَهَبٍ مِنْ عُلَمَاءِ أَشْبِيلِيَّةٍ كَانَ فِي الدَّوَلَةِ اللَّمْتُونِيَّةِ وَتَمَّسَ الْبَيْتَ  
 سُؤَالَ عَظِيمٍ اخْلُقْ حُرَّتَ فَصْنِ إِذَنْ عَرَائِبُ شَكَّ صَطْطُهُ الْجِدِّ مَثَلًا  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَتَدَاوِلُ عِنْدَهُمْ فِي أَعْمَلِ لَاسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ السُّؤَالِ فِي هَذِهِ الزَّايِجَةِ

وغيرها فإذا أرادوا استخراجَ جوابِ عما يسأل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤالَ وقطعوه حروفاً ثم أخذوا الطالعَ لذلك الوقت من برُوجِ الفلك ودرجها وعمدوا إلى الزايرة ثم إلى الأوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من أوله ماراً إلى المركز ثم إلى محيط الدائرة فبالة الطالع فيما خذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله إلى آخره والأعداد المرسومة بينهما ويصيرونها حروفاً بحسب الجمل وقد يتقلون أحادها إلى العشرات وعشراتهما إلى المئين وبالعكس فيهما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون إلى ذلك جميع ما على الأوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والأعداد من أوله إلى المركز فقط لا يتجاوزونه إلى المحيط ويقعون بالأعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها إلى الحروف الأخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية ثم يصرّبون عددَ درجِ الطالع في أس البرج وأسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الأس عند أهل صناعة الحساب فإنه عندهم البعد عن أول المراتب ثم يصرّبونه في عدد آخر يسوونه الأس الأكبر والدور الأصلي ويدخلون بما تجمع لهم من ذلك في يوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم في حروف البيت ويتقلون منه ما يتقلون إلى حروف السؤال وما معها ثم يطرّحون تلك الحروف بأعداد معارضة يسوونها للأدوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور ويعاودون ذلك بعدد الأدوار المعنية عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك ابن وهيب المتقدم حسبما نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهائون على استخراج الغيب منها بذلك الأعمال ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافقي الخطأ دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لأنه قد مرّ لك أن الغيب لا بدرك بأمر صناعي البتة وإنما المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث اللفظ والتوافق في الخطأ حتى يكون

الْجَوَابُ مُسْتَقِيمًا أَوْ مُوَافِقًا لِلسُّؤَالِ وَوُقُوعُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَكْسِيرِ الْحُرُوفِ  
 الْمُجْتَمِعَةِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ وَالْخُولِ فِي الْجَدُولِ بِالْأَعْدَادِ الْمُجْتَمِعَةِ مِنْ ضَرْبِ  
 الْأَعْدَادِ الْمَفْرُوضَةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنَ الْجَدُولِ بِذَلِكَ وَطَرَحِ أُخْرَى وَمُعَاوَدَةُ  
 ذَلِكَ فِي الْأَوْتَارِ الْمَعْدُودَةِ وَمُقَابَلَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ بِحُرُوفِ الْبَيْتِ عَلَى التَّوَالِي غَيْرُ مُسْتَنَكِرٍ  
 وَقَدْ بَقِيَ الْإِطْلَاعُ مِنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَيَقَعُ لَهُ مَعْرِفَةُ  
 الْجَهْلِ فَالْتَنَاسُبُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ هُوَ سَبَبُ الْخُصُولِ عَلَى الْجَهْلِ مِنَ الْمَعْلُومِ الْخَاصِلِ  
 لِلنَّاسِ وَطَرِيقُ الْخُصُولِ سَبَبًا مِنْ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَإِنَّهَا تُفِيدُ الْعَقْلَ قُوَّةً عَلَى الْقِيَاسِ وَزِيَادَةً  
 فِي الْفِكْرِ وَقَدْ مَرَّ تَعْيِيلُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَنْسَبُونَ هَذِهِ الزَّايِجَةَ  
 فِي الْغَالِبِ لِأَهْلِ الرِّيَاضَةِ فِيهِ مَسْئُوبَةٌ لِلْسَّبَبِ وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى أُخْرَى مَسْئُوبَةٍ لِسَهْلِ  
 بِنِ عَبْدِ اللَّهِ وَتَعْمَرِي إِنَّهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ وَالْمَعَانَاةِ الْحَبِيبَةِ وَالْجَوَابُ الَّذِي  
 يَخْرُجُ مِنْهَا فَالْتَّسُّرُ فِي خُرُوجِهِ مَنْظُومًا يَظْهَرُ لِي إِنَّمَا هُوَ الْمُقَابَلَةُ بِحُرُوفِ ذَلِكَ الْبَيْتِ  
 وَلِهَذَا يَكُونُ النَّظْمُ عَلَى وَزْنِهِ وَرَوِيهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَا وَجَدْنَا أَعْمَالًا أُخْرَى لَهُمْ فِي مِثْلِ  
 ذَلِكَ أَسْقَطُوا فِيهَا الْمُقَابَلَةَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يَخْرُجِ الْجَوَابُ مَنْظُومًا كَمَا تَرَاهُ عِنْدَ الْكَلَامِ  
 عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَضَيَّقَ مَدَارُكُمْ عَنْ التَّصْدِيقِ بِهَذَا الْعَمَلِ وَتَقَوُّوهُ  
 إِلَى الْمَطْلُوبِ فَيَنْكِرُ صِحَّتَهَا وَيَحْسِبُ أَنَّهَا مِنَ التَّخَيُّلاتِ وَالْإِبْهَامَاتِ وَأَنْ صَاحِبَ  
 الْعَمَلِ بِهَا بَنَى حُرُوفَ الْبَيْتِ الَّذِي يَنْظُمُهُ كَمَا يُرِيدُ بَيْنَ أَتْنَاءِ حُرُوفِ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ  
 وَيَفْعَلُ تِلْكَ الصَّنَاعَاتِ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَلَا قَانُونٍ ثُمَّ يَجْعَلُ بِالْبَيْتِ وَيَوْمُ أَنْ الْعَمَلُ جَاءَ  
 عَلَى طَرِيقَةٍ مُنْضِطَّةٍ وَهَذَا الْحُسْبَانُ تَوْهَمٌ فَاسِدٌ حَمَلٌ عَلَيْهِ الْقُصُورُ عَنْ فَهْمِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ  
 الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالتَّفَاوُتِ بَيْنَ الْمَدَارِكِ وَالْعُقُولِ وَلَكِنْ مِنْ شَأْنِ كُلِّ  
 مُدْرِكٍ أَنْكَارٌ مَا لَيْسَ فِي طَوْفِهِ إِدْرَاكُهُ وَيَكْفِينَا فِي رَدِّ ذَلِكَ مُشَاهَدَةُ الْعَمَلِ بِهَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ وَالْخُدْسُ الْقَطْعِيُّ فَإِنَّهَا جَاءَتْ بِعَمَلٍ مُطَرَّدٍ وَقَانُونٍ صَحِيحٍ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ عِنْدَ مَنْ  
 يُبَاشِرُ ذَلِكَ مِمَّنْ لَهُ ذِكَاةٌ وَحَدَسٌ وَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعَايَاةِ فِي الْعَدَدِ الَّذِي هُوَ  
 أَوْضَحُ الْأَوَاضِحَاتِ يَعْسُرُ عَلَى الْفَهْمِ إِدْرَاكُهُ لِمَعْدِ النَّسْبَةِ فِيهِ وَخَفَاءُهَا فَمَا ظَنُّكَ بِمِثْلِ  
 هَذَا مَعَ خَفَاءِ النَّسْبَةِ فِيهِ وَغَرَابِئِهَا فَلَنْذُكُرُ مُسْئَلَةً مِنَ الْمُعَايَاةِ بِتَضَيُّعِ لِكَ بِهَا شَيْءٌ مِمَّا  
 ذَكَرْنَا مِثَالَهُ لَوْ قِيلَ لَكَ خُذْ عِدَدًا مِنَ الدَّرَاهِمِ وَاجْعَلْ بِإِزَاءِ كُلِّ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةً مِنْ

الْفُلُوسُ ثُمَّ أَجْمَعَ الْفُلُوسُ أَنِّي أَخَذْتُ وَأَشْتَرِي بِهَا طَائِرًا ثُمَّ أَشْتَرِيَ بِالدِّرَاهِمِ كُلِّهَا طَيْرًا  
يَسِيرُ ذَلِكَ الطَّائِرُ فَكَمْ الطُّيُورُ الْمُشْتَرَاةُ بِالدِّرَاهِمِ الْجَوَابُ أَنِّي أَقُولُ هِيَ نِسْعَةٌ لِأَنَّكَ  
تَعْلَمُ أَنَّ فُلُوسَ الدِّرَاهِمِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ ثَمَنُهَا وَأَنَّ عِدَّةَ أَثْمَانِ الْوَاحِدِ  
ثَمَانِيَةٌ فَإِذَا جُمِعَتِ الثَّمَنُ مِنَ الدِّرَاهِمِ إِلَى الثَّمَنِ الْآخِرِ فَكَانَ كُلُّهُ ثَمَنُ طَائِرٍ فَيَعِي  
ثَمَانِيَةَ طَيْرٍ عِدَّةُ أَثْمَانِ الْوَاحِدِ وَتَزِيدُ عَلَى الثَّمَانِيَةِ طَائِرًا آخَرَ وَهُوَ الْمُشْتَرَى بِالْفُلُوسِ  
أَلَمْ أَخُودُهُ أَوَّلًا وَعَلَى سِعَرِهِ أَشْتَرَيْتُ بِالدِّرَاهِمِ فَتَكُونُ نِسْعَةٌ فَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ خَرَجَ  
لَكَ الْجَوَابُ الْمَضْمَرُ بِسِرِّ التَّنَاسُبِ الَّذِي بَيْنَ أَعْدَادِ الْمَسْئَلَةِ وَالْوَقْمِ أَوَّلُ مَا يُلْقَى  
إِلَيْكَ هُنَا وَمِثَالُهَا إِنَّمَا يَجْعَلُهُ مِنْ قِبَلِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَظَهَرَ أَنَّ التَّنَاسُبَ  
بَيْنَ الْأُمُورِ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ بِجَهْلِهَا مِنْ مَعْلُومِهَا وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الْوَاقِعَاتِ الْخَاصَّةِ فِي  
الْوُجُودِ أَوِ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْكَائِنَاتُ الْمُسْتَقْبَلَةُ إِذَا لَمْ تَعْلَمْ أَسْبَابُ وَقُوعِهَا وَلَا يَتَبَيَّنَ لَهَا  
خَبَرٌ صَادِقٌ عَنْهَا فَهُوَ غَيْبٌ لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ فَالْأَعْمَالُ الْوَاقِعَةُ  
فِي الزَّايِجَةِ كُلِّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ الْفَاطِئِ السُّؤَالِ لِأَنَّهَا كَمَا رَأَيْتَ  
أَسْتَبْطِاطُ حُرُوفٍ عَلَى تَرْتِيبٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ بَعِيْنَهَا عَلَى تَرْتِيبٍ آخَرَ وَمِمَّا ذَلِكَ إِنَّمَا  
هُوَ مِنْ تَنَاسُبٍ بَيْنَهُمَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ بَعْضُ دُونَ بَعْضٍ فَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ التَّنَاسُبَ تَبَسَّرَ عَلَيْهِ  
اسْتِخْرَاجُ ذَلِكَ الْجَوَابِ بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ وَالْجَوَابُ يَدُلُّ فِي مَقَامٍ آخَرَ مِنْ حَيْثُ مَوْضِعُ  
الْفَاطِئِ وَتَرَاكِبِهِ عَلَى وَفُوعٍ أَحَدِ طَرَفِي السُّؤَالِ مِنْ تَقْيٍ أَوْ إِنْبَاتٍ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ  
الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بَلْ إِنَّمَا يَرْجِعُ لِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمَا فِي الْخَارِجِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى  
مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بَلِ الْبَشَرُ مُحْجُوبُونَ عَنْهُ وَقَدْ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ يَعْلَمُهُ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ



## الفصل الثاني

في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه فصول ومقدمات

### الفصل الاول

في ان احوال البدو والحضر طبيعية

اعلم ان اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف فطرتهم من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجي والكافي فمنهم من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة ومن يتجمل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والماعز والحمل والدود لنتاجها واستخراج فضلها وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد إلى البدو لأنه متى لم لا يتسع له الخواضر من المزارع والحدود والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمراً ضرورياً لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوة والكن والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للنجح عما وراء ذلك ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المستعجلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفعة دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الآفات والملابس والتأني فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمنار للتحضر ثم تزيد أحوال الرفعة والدعة فتجني عوائد الترف البالغة مبالغها في التأني في علاج القوت واستجمادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والدجاج وغير ذلك ومعالجة البيوت والضروح وإحكام وضعها في تنجيدها ولانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويقيمون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون في استجماد ما يتخذونه لمعاشهم من ملابس أو فراش أو أبنية أو ما عود وهؤلاء هم الحضرة ومعناه الحضرة أهل الأمنار والبلدان ومن هؤلاء من يتجمل في معاشه الصنائع ومنهم من يتجمل التجارة

وَتَكُونُ مَكَاسِيَهُمْ أَنْعَى وَأَرْفَعُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ لِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ زَائِدَةٌ عَلَى الصُّرُورِيِّ وَمَعَاشُهُمْ عَلَى نِسْبَةِ وَجْهِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَجْيَالَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ طَبِيعِيَّةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا هُ

## الفصل الثاني

في ان جيل العرب في الخلقة طبعي\*

قَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ هُمُ الْمُنْتَعِلُونَ لِلْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ مِنَ الْقَلْعِ وَالْقِيَامِ عَلَى الْأَنْعَامِ وَأَنَّهُمْ مُقْتَصِرُونَ عَلَى الصُّرُورِيِّ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْمَلَأْسِ وَالْمَسَاكِينِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ وَمُقْتَصِرُونَ عَمَّا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ حَاجِيٍّ أَوْ كَمَا لِي يَتَّخِذُونَ الْبُيُوتَ مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ أَوْ الشَّجَرِ أَوْ مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ غَيْرَ مُنْجِدَةٍ إِنَّمَا هُوَ قَصْدُ الْأَسْتَظْلَالِ وَالْكِنِّ لَا مَا وَرَاءَهُ وَقَدْ يَأْوُونَ إِلَى الْغَيْرِ إِنْ وَالْكُفُوفِ وَأَمَّا أَقْوَانُهُمْ فَيَتَنَاوَلُونَ بِهَا يَسِيرًا بِعِلَاجٍ أَوْ بِغَيْرِ عِلَاجٍ الْبَتَّةُ إِلَّا مَا مَسَّتْهُ النَّارُ فَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ مِنْهُمْ فِي الرِّعَاةِ وَالْقِيَامِ بِالْقَلْعِ كَانَ الْمَقَامُ بِهِ أَوَّلَى مِنَ الظُّعْنِ وَهَؤُلَاءِ سُكَّانُ الْمَدَرِ وَالْقَرْىِ وَالْجِبَالِ وَهُمْ عَامَّةُ الْبَرِّ وَالْأَعَاجِمِ وَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ فِي السَّائِمَةِ مِثْلَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ فَهُمْ ظُهُونٌ فِي الْأَغْلِبِ لِارْتِيَادِ الْمَسَارِحِ وَالْمِيَامِ لِحَوَائِثِهِمْ فَالْتَّقَلُّبُ فِي الْأَرْضِ أَصْلَحَ بِهِمْ وَيُسَمَّوْنَ شَاوِيَةً وَمَعْنَاهُ الْقَائِمُونَ عَلَى الشَّاءِ وَالْبَقَرِ وَلَا يُعِيدُونَ فِي الْقَفْرِ لِفَقْدَانِ الْمَسَارِحِ الطَّبِيعِيَّةِ وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ الْبَرِّ وَالْتَّرْكِ وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ التُّرْكَمَانَ وَالصَّقَالِبَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَاشُهُمْ فِي الْأَيْلِ فَهُمْ أَكْثَرُ طَعْنًا وَأَبْعَدُ فِي الْقَفْرِ مَجَالًا لِأَنَّ مَسَارِحَ التَّلُؤِ وَنَبَاتَهَا وَغَيْرَهَا لَا يَسْتَفِي بِهَا إِلَّا يَلُ فِي قَوَامِ حَيَاتِهَا عَنْ مَرَايِ الشَّجَرِ بِالْقَفْرِ وَوُزُودِ مِيَاهِهِ الْحَمِيَّةِ وَالْتَّقَلُّبِ فَصَلَ الشِّتَاءُ فِي نَوَاحِيهِ فَرَارًا مِنْ أَذَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ هَوَائِهِ وَطَلَبًا لِمَا خِصَّ النَّتَاجُ فِي رِمَالِهِ إِذَا الْإَيْلُ أَصْعَبُ الْحَيَوَانَاتِ فَصَالًا وَمَخَاضًا وَأَخْرَجَهَا فِي ذَلِكَ إِلَى الْبَرِّ فَاضْطَرُّوا إِلَى إِبْعَادِ التَّجَمُّعِ وَرُبَّمَا زَادَتْهُمْ الْحَاسِيَّةُ عَنْ التَّلُؤِ أَيْضًا فَأَوْغَلُوا فِي الْفَقَارِ نَفَرَةً عَنْ الصَّيَّةِ مِنْهُمْ فَكَانُوا لِذَلِكَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَحُّشًا وَيَنْزِلُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَوَاصِرِ مِثْلَ الْوَحْشِ غَيْرِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَالْمُقْتَرِسِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْفَحْشِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْعَرَبُ وَفِي مَعْنَاهُمْ ظُهُونُ الْبَرِّ وَزَنَانَةُ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَكْرَادُ وَالتُّرْكَمَانَ وَالتَّرْكُ بِالْمَشْرِقِ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ تَجَمُّعًا وَأَشَدَّ بِدَاوَةً لِأَنَّهُمْ مُتَخَصِّصُونَ بِالْقِيَامِ عَلَى

الْأَيْلِ فَقَطَّ وَهَوَّلَاءَ يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَهَلَّى الشَّيَاطِ وَالْبَقَرِ مَعَهَا فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ جِيلَ الْعَرَبِ طَبِيعِي لَا بَدْ مِنْهُ فِي الْعُمُرَانِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران

والامصار مدد لها

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْبَدُوَّ هُمُ الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ فِي أَحْوَالِهِمُ الْعَاجِزُونَ عَمَّا فَوْقَهُ وَأَنَّ الْحَضَرَ الْمُعْتَنُونَ بِحَاجَاتِ التَّرَفِّ وَالْكَمَالِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ الضَّرُورِيَّ أَقْدَمُ مِنَ الْحَاجِيِّ وَالْكَمَالِيِّ وَسَابِقُ عَلَيْهِ وَلِأَنَّ الضَّرُورِيَّ أَصْلُ وَالْكَمَالِيِّ فَرْعٌ نَاشِئٌ عَنْهُ فَالْبَدُوُّ أَصْلُ لِلْمَدُنِ وَالْحَضَرَ وَسَابِقُ عَلَيْهِمَا لِأَنَّ أَوَّلَ مَطَالِبِ الْإِنْسَانِ الضَّرُورِيَّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى الْكَمَالِ وَالْتَّرَفِّ إِلَّا إِذَا كَانَ الضَّرُورِيَّ حَاصِلًا فَتَحْشُوهُ الْبِدَاوَةُ قَبْلَ رِقَّةِ الْحَضَارَةِ وَلِهَذَا تَجِدُ التَّمَدُّنَ غَايَةَ الْبَدَوِيِّ يَجْرِي إِلَيْهَا وَيَنْتَهِي بِسَعْيِهِ إِلَى مُقْتَرَحِهِ مِنْهَا وَمَتَى حَصَلَ عَلَى الرِّيشِ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ بِهِ أَحْوَالُ التَّرَفِّ وَعَوَائِدِهِ عَاجَ إِلَى الدَّعَاةِ وَآمَكَنَ نَفْسَهُ إِلَى قِيَادِ الْمَدِينَةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الْقَبَائِلِ الْمُتَبَدِّيَةِ كُلِّهِمْ وَالْحَضَرِيُّ لَا يَنْشَوُّ إِلَى أَحْوَالِ الْبَادِيَةِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَيْهَا أَوْ لِنَقْصِيرٍ عَنْ أَحْوَالِ أَهْلِ مَدِينَتِهِ وَمِمَّا يَشْهَدُ لَنَا أَنَّ الْبَدُوَّ أَصْلُ الْحَضَرَ وَمُقَدِّمٌ عَلَيْهِ أَنَا إِذَا فَتَشْنَا أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الْأَمْصَارِ وَجَدْنَا أَوَّلِيَّةَ أَكْثَرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَدُوِّ الَّذِينَ يَنْجِيهِ ذَلِكَ الْمِصْرَ وَعَدَلُوا إِلَى الدَّعَاةِ وَالْتَّرَفِّ الَّذِي فِي الْحَضَرِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَحْوَالِ الْحَضَارَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ أَحْوَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّهَا أَصْلُ لَهَا فَتَفْهَمُهُ ثُمَّ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَدُوِّ وَالْحَضَرِ مُتَفَاوِتُ الْأَحْوَالِ مِنْ جَنْبِهِ قَرُبُ حَيٍّ أَعْظَمُ مِنْ حَيٍّ وَقَبِيلَةٍ أَعْظَمُ مِنْ قَبِيلَةٍ وَمِصْرٌ أَوْسَعُ مِنْ مِصْرٍ وَمَدِينَةٌ أَكْثَرُ عُمُرَانًا مِنْ مَدِينَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ وُجُودَ الْبَدُوِّ مُقَدِّمٌ عَلَى وُجُودِ الْمَدُنِ وَالْأَمْصَارِ وَأَصْلُ لَهَا بِمَا أَنَّ وُجُودَ الْمَدُنِ وَالْأَمْصَارِ مِنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَالْدَّعَاةِ الَّتِي فِي مُتَأَخِّرَةٍ عَنْ عَوَائِدِ الضَّرُورَةِ الْمَعَاشِيَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ



## الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة

وَسَبِّهِ أَنْ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى كَانَتْ مُتَهَيِّةً لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا وَيَنْطَبِعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَهُ أَوْ مَجَاسِيئِهِ وَيَقْدِرُ مَا سَبَقَ إِلَيْهَا مِنْ أَحَدِ الْخَلْقَيْنِ تَبَعْدُ عَنِ الْآخَرِ وَيَضَعُ عَلَيْهَا أَكْنَاسَهُ فَصَاحِبُ الْخَيْرِ إِذَا سَبَقَتْ إِلَى نَفْسِهِ عَوَائِدُ الْخَيْرِ وَحَصَلَتْ لَهَا مَلَكَتُهُ بَعْدَ عَنِ الشَّرِّ وَصَعِبَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الشَّرِّ إِذَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ أَيْضًا عَوَائِدُهُ وَأَهْلُ الْحَضَرِ لِكَثْرَةِ مَا يَأْنُونُ مِنْ فَنُونِ الْمَلَازِمْ وَعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْعُكُوفِ عَلَى شَهَوَاتِهِمْ مِنْهَا وَقَدْ تَلَوْنَتْ أَنْفُسُهُمْ بِكَثِيرٍ مِنْ مَذْمُومَاتِ الْخُلُقِ وَالشَّرِّ وَبُعِدَتْ عَلَيْهِمْ طُرُقُ الْخَيْرِ وَمَسَالِكُهُ بِقَدْرِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى لَقَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ مَذَاهِبُ الْحَيَاةِ فِي أَحْوَالِهِمْ فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يَقْدَعُونَ فِي أَقْوَالِ الْقَحْشَاءِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَبَيْنَ كِبَرَائِهِمْ وَأَهْلٍ مَحَارِمِهِمْ لَا يَصُدُّهُمْ عَنْهُ وَازِعُ الْحَيَاةِ لَمَّا أَخَذْتَهُمْ بِهِ عَوَائِدُ الشُّوْءِ فِي التَّظَاهُرِ بِالْفَوَاحِشِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَأَهْلُ الْبَدْوِ وَإِنْ كَانُوا مُقْبِلِينَ عَلَى الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْمَقْدَارِ الضَّرُورِيِّ لَا فِي التَّرَفِ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الشَّهَوَاتِ وَالذَّلَاتِ وَدَوَاعِيهَا فَعَوَائِدُهُمْ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ عَلَى نِسْبَتِهَا وَمَا يَحْصُلُ فِيهِمْ مِنْ مَذَاهِبِ الشُّوْءِ وَمَذْمُومَاتِ الْخُلُقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ فَهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَأَبْعَدُ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النَّفْسِ مِنْ سُوءِ الْمَلَكَاتِ بِكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ الْمَذْمُومَةِ وَفُجْهَاتِهَا فَيَسْتَهْلُ عِلَاجَهُمْ عَنْ عِلَاجِ الْحَضَرِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَقَدْ بَيَّنَّ فِيهَا بَعْدَ أَنْ الْخَضَارَةُ فِي نِهَاجَةِ الْعُمُرَانِ وَخُرُوجِهِ إِلَى الْفَسَادِ وَنِهَاجَةِ الشَّرِّ وَالْبُعْدُ عَنِ الْخَيْرِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ أَقْرَبُ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ قَوْلِ الْحَاجِّ لِسَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَاعِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى سُكْنَى الْبَادِيَةِ فَقَالَ لَهُ ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِيكَ تَعَرَّبْتَ فَقَالَ لَا وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لِي فِي الْبَدْوِ فَأَعْلَمْتُ أَنَّ الْعُمْرَةَ أَفْتَرَضَتْ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِيَكُونُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ حَلَّ مِنَ الْمَوَاطِنِ يَنْصُرُونَهُ وَيُظَاهِرُونَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَيَعْرِضُونَهُ وَلَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً عَلَى الْأَعْرَابِ

اهل الْبَادِيَةِ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ بِمَسْهُمْ مِنْ عَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُظَاهَرَةِ  
 وَالْحِرَاسَةِ مَا لَا يَمَسُّ غَيْرُهُمْ مِنْ بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ وَقَدْ كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَسْتَعِيدُونَ بِاللَّهِ  
 مِنَ التَّعَرُّبِ وَهُوَ سُكْنَى الْبَادِيَةِ حَيْثُ لَا يُحِبُّ الْهَجْرَةَ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
 حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عِنْدَ مَرَضِهِ بِمَكَّةَ اللَّهُمَّ امْضِ لِأَصْحَابِي هُجْرَتَهُمْ وَلَا  
 تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَمَعْنَاهُ أَنْ يُؤَقِّفَهُمْ لِمُلَازِمَةِ الْمَدِينَةِ وَعَدَمِ التَّحَوُّلِ عَنْهَا فَلَا يَرْجِعُوا  
 عَنْ هُجْرَتِهِمْ الَّتِي ابْتَدَأُوا بِهَا وَهُوَ مِنْ بَابِ الرُّجُوعِ عَلَى الْعَقَبِ فِي السَّعْيِ إِلَى وَجْهِهِ مِنَ  
 الْوُجُوهِ وَقِيلَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ خَاصًّا بِمَا قَبْلَ الْفَتْحِ حِينَ كَانَتْ الْحَاجَةُ دَاعِيَةً إِلَى الْهَجْرَةِ  
 لِقِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا بَعْدَ الْفَتْحِ وَحِينَ كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَاعْتَذَرُوا وَتَكَفَّلَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ  
 بِالْمَدِينَةِ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ الْهَجْرَةَ سَاقِطَةٌ حِينَئِذٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا هُجْرَةَ بَعْدَ  
 الْفَتْحِ وَقِيلَ سَقَطَ انْتِشَاؤُهَا عَنْهُمْ يُسَلِّمُ بَعْدَ الْفَتْحِ وَقِيلَ سَقَطَ وَجُوبُهَا عَنْهُمْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ  
 قَبْلَ الْفَتْحِ وَالْكُلُّ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّهَا بَعْدَ الْوَفَاةِ سَاقِطَةٌ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ أَفْتَرَقُوا مِنْ يَوْمِئِذٍ  
 فِي الْأَفَاقِ وَانْتَشَرُوا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَفْضَلُ الشُّكْنَى بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ هُجْرَةُ فَقُولِ الْحُجَّاجِ  
 لِسَلَامَةٍ حِينَ سَكَنَ الْبَادِيَةَ ارْتَدَدَتْ عَلَى عَقَبَيْكَ تَعَرَّبَتْ نَعَى عَلَيْهِ فِي تَرْكِ الشُّكْنَى  
 بِالْمَدِينَةِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ الَّذِي قَدَمْنَاهُ وَهُوَ قَوْلُهُ لَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ  
 وَقَوْلُهُ تَعَرَّبَتْ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ صَارَ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَهَاجِرُونَ وَأَجَابَ سَلَامَةُ  
 بِإِنْكَارِ مَا أَلْزَمَهُ مِنَ الْأَمْرَيْنِ وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لَهُ فِي الْبَدْوِ وَبِكَوْنِ  
 ذَلِكَ خَاصًّا بِهِ كَشَهَادَةِ خُزَيْمَةَ وَعِنَاقِ أَبِي بُرْدَةَ أَوْ بِكَوْنِ الْحُجَّاجِ إِنَّمَا نَعَى عَلَيْهِ  
 تَرْكَ الشُّكْنَى بِالْمَدِينَةِ فَقَطْ لِعِلْمِهِ بِسُقُوطِ الْهَجْرَةِ بَعْدَ الْوَفَاةِ وَاجَابَهُ سَلَامَةُ بِأَنَّ  
 اغْتِنَامَهُ لِإِذْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذْلَى وَأَفْضَلَ فَمَا آثَرُهُ بِهِ وَاخْتَصَّهُ إِلَّا لِمَعْنَى  
 عَلَيْهِ فِيهِ وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَلَيْسَ دَلِيلًا عَلَى مَذْمَةِ الْبَدْوِ الَّذِي عَرَّبَ عَنْهُ بِالْتَّعَرُّبِ لِأَنَّ  
 مَشْرُوعِيَّةَ الْهَجْرَةِ إِنَّمَا كَانَتْ كَمَا عَلِمْتَ لِمُظَاهَرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِرَاسَتِهِ  
 لَا لِمَذْمَةِ الْبَدْوِ فَلَيْسَ فِي النَّعْيِ عَلَى تَرْكِ هَذَا الْوَاجِبِ دَلِيلٌ عَلَى مَذْمَةِ التَّعَرُّبِ وَاللَّهُ  
 سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الخامس

في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْحَضَرِ أَقْبَوْا جُنُوبَهُمْ عَلَى مَهَادِ الرَّاحَةِ وَالِدَعَةِ وَانْقَمَسُوا  
فِي الْعِيمِ وَالْكَرْفِ وَوَكَلُوا أَمْرَهُمْ فِي الدِّفَاعَةِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى وَالِيهِمْ وَالْحَاكِمِ  
الَّذِي يَسُومُهُمْ وَالْحَامِيَةِ الَّتِي تَوَلَّى حِرَاسَتَهُمْ وَأَسْتَنَامُوا إِلَى الْأَسْوَارِ الَّتِي تَحُوطُهُمْ  
وَالْحُرْزِ الَّذِي يَحُولُ دُونَهُمْ فَلَا تَهَيِّجُهُمْ هَيْعَةٌ وَلَا يَنْفِرُ لَهُمْ صَيْدٌ فَبِهِمْ غَاذُونَ آمِنُونَ  
قَدْ أَقْبَوْا السِّلَاحَ وَتَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَجْبَالُ وَنَزَلُوا مِثْلَةَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ  
هُمْ عِيَالٌ عَلَى أَبِي مَثْوَاهُمْ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ خُلُقًا يَنْزِلُ مِثْلَةَ الطَّيِّعَةِ وَأَهْلُ الْبَدْوِ لِيَتَفَرَّدُوا  
عَنِ الْجَمْعِ وَتَوَحَّشِبَهُمْ فِي الصَّوَاخِي وَبَعْدَهُمْ عَنِ الْحَامِيَةِ وَأَتْبَادَهُمْ عَنِ الْأَسْوَارِ  
وَالْأَبْوَابِ فَآمِنُونَ بِالدِّفَاعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا يَكُونُهَا إِلَى سِوَاهُمْ وَلَا يَقُونُ فِيهَا بِغَيْرِهِمْ  
فَبِهِمْ دَائِمًا يَحْمِلُونَ السِّلَاحَ وَيَلْقَتُونَ عَنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي الطَّرْقِ وَيَتَجَفَّوْنَ عَنِ الْجُوعِ  
إِلَّا غَرَارًا فِي الْجَبَالِ وَعَلَى الرِّحَالِ وَفَوْقَ الْأَقْنَابِ وَيَتَوَجَّسُّونَ لِلنَّبَاتِ وَالْهَيْعَاتِ  
وَيَتَفَرَّدُونَ فِي الْقَفْرِ وَالْبِدَاءِ مُدْلِينَ بِأَنْفُسِهِمْ وَاثْقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ قَدْ صَارَ لَهُمْ الْبَأْسُ خُلُقًا  
وَالشَّجَاعَةُ سَجِيَّةً يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا مَتَى دَعَاهُمْ دَاعٍ أَوْ اسْتَفْرَغَهُمْ صَارِخٌ وَأَهْلُ الْحَضَرِ مَهْمَا  
خَالَطُوهُمْ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ صَاحَبُوهُمْ فِي السَّفَرِ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ  
أَنْفُسِهِمْ وَذَلِكَ مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ حَتَّى فِي مَعْرِفَةِ النَّوَاحِي وَالْجِبَاهِ وَمَوَارِدِ الْمِيَاهِ وَمَشَارِعِ  
السُّبُلِ وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا شَرَحْنَاهُ وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ابْنُ عَوَائِدِهِ وَمَا لَوْفِهِ لَا ابْنَ طَبِيعَتِهِ  
وَمَزَاجِهِ فَالَّذِي أَلْفَهُ فِي الْأَحْوَالِ حَتَّى صَارَ خُلُقًا وَمَلَكَةً وَعَادَةً نَزَلَ مِثْلَةَ الطَّيِّعَةِ  
وَالْجَلَّةِ وَأَعْتَبَرَ ذَلِكَ فِي الْأَدَمِيِّينَ نَجْدَهُ كَثِيرًا صَحِيحًا وَآلَهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

## الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضرة لاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم  
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ مَالِكٌ أَمْرٍ نَفْسِهِ إِذْ ارْتَضَاهُ وَالْأَمْرَاءُ الْمَالِكُونَ لِأَمْرِ  
النَّاسِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ فَمِنْ الْعَالِيَةِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي مَلَكَةٍ غَيْرِهِ وَلَا بُدَّ  
فَإِنَّ كَانَتِ الْمَلَكَةُ رَافِقَةً وَعَادِلَةً لَا يَبْعَثُ مِنْهَا حُكْمٌ وَلَا مَنَعَ وَصَدَّكَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ

يَدَهَا مُدْلَيْنِ بَمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ شَجَاعَةٍ أَوْ جُبْنٍ وَاتَّقِينَ بَعْدَ الْوِزَاعِ حَتَّى صَارَ لَهُمْ  
الْإِدْلَالُ جِلَّةً لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْمَأْكَةُ وَأَحْكَامُهَا بِالْقَهْرِ وَالسُّطُورَةِ  
وَالْإِخَافَةِ فَتَكْسِرُ حِينَئِذٍ مِنْ سَوَرَةٍ بِأَيْسِهِمْ وَتُذْهِبُ الْمِنْعَةَ عَنْهُمْ لِمَا يَكُونُ مِنَ  
التَّكَاسُلِ فِي الْأَنْفُسِ الْمُضْطَّهِدَةِ كَمَا نَبَيْتُهُ وَقَدْ نَهَى عُمَرُ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ  
مِثْلِهَا لَمَّا أَخَذَ زُهْرَةُ بْنُ حُوْبَةَ سَلَبَ الْجَالُوسِ وَكَانَتْ فِيهِ تَمَّةٌ خَمْسَةٌ وَسَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ  
الدَّهَبِ وَكَانَ أَتْبَعَ الْجَالُوسِ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ سَلَبَهُ فَأَنْتَزَعَهُ مِنْهُ سَعْدٌ وَقَالَ  
لَهُ هَلَّا أَنْتَظَرْتَ فِي أَتْبَاعِهِ إِذْنِي وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَسْأَلُهُ فِيهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ تَعَمَّدُ إِلَى  
مِثْلِ زُهْرَةَ وَقَدْ صَلَّى بِمَا صَلَّى بِهِ وَبَقِيَ عَلَيْكَ مَا بَقِيَ مِنْ حَرْبِكَ وَتَكْسِيرُ فَوْقَهُ وَتَفْسِيفُ  
قَلْبِهِ وَأَمْضَى لَهُ عُمَرُ سَلَبَهُ وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْأَحْكَامُ بِالْعِقَابِ فَمَذْهَبُ الْبَاسِ بِالْكَلْبَةِ  
لِأَنَّ وَقُوعَ الْعِقَابِ بِهِ وَلَمْ يُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهِ بِكَيْسِهِ الْمَذَلَّةُ الَّتِي تَكْسِرُ مِنْ سَوَرَةٍ بِأَيْسِهِ  
بِلَا شَكٍّ وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْأَحْكَامُ تَأْدِيبِيَّةً وَتَعْلِيمِيَّةً وَأُخِذَتْ مِنْ عَهْدِ الصِّبَا أَثَرَتْ  
فِي ذَلِكَ بَعْضَ النَّفْسِ لِمَرْبَاهِ عَلَى الْخُفَافَةِ وَالِاتِّقَادِ فَلَا يَكُونُ مُدْلًا بِأَيْسِهِ وَلِهَذَا يُجِدُ  
الْمُنُوحِشِينَ مِنَ الْعَرَبِ أَهْلَ الْبَدْوِ أَشَدَّ بَاسًا مِنْ تَأْخُذِهِ الْأَحْكَامَ وَتَجِدُ أَيْضًا الَّذِينَ  
يُعَانُونَ الْأَحْكَامَ وَمَلَكَتْهَا مِنْ لَدُنْ مَرْبَاهٍ فِي التَّأْدِيبِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ  
وَالرِّيَاضَاتِ بِنَفْسِ ذَلِكَ مِنْ بَاسِهِمْ كَثِيرًا وَلَا يَكَادُونَ يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَادِيَةً  
بِوَجْهِهِ مِنَ الْأَوْجُوهِ وَهَذَا شَأْنُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الْمُتَحَلِّلِينَ لِلْقِرَاءَةِ وَالْإِخْذِ عَنِ الْمَسَائِرِ  
وَالْأَيْمَةِ الْمُمَارِسِينَ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ فِي تَجَالِسِ الْوُقَارِ وَالْهَيْبَةِ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ  
وَذَهَابُهَا بِالْمِنْعَةِ وَالْبَاسِ وَلَا تَسْتَنْكَرُ ذَلِكَ بَمَا وَقَعَ فِي الْعِقَابَةِ مِنْ أَخْذِهِمْ بِأَحْكَامِ  
الَّذِينَ وَالشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ بَاسِهِمْ بَلْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَاسًا لِأَنَّ الشَّارِعَ  
صَلَّاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُ دِينَهُمْ كَانَ وَارِعُهُمْ فِيهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِمَا  
نُفِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّغْبِ وَالتَّزْهِيبِ وَلَمْ يَكُنْ يَتَعَلَّمُ صِنَاعِي وَلَا تَأْدِيبَ تَعْلِيمِي إِنَّمَا  
هِيَ أَحْكَامُ الَّذِينَ وَادَابَةُ الْمُتَقَاتِ تَقْلًا بِأَخْذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا بِمَا رَخَّ فِيهِمْ مِنْ عِقَائِدِ  
الْإِيمَانِ وَالصَّدِيقِ فَلَمْ تَزَلْ سَوَرَةٌ بِأَيْسِهِمْ مُسْتَحْكِمَةً كَمَا كَانَتْ وَلَمْ تَغْدِشْهَا أَظْفَارُ  
التَّأْدِيبِ وَالْحُكْمِ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الشَّرْعُ لَا آدَبَهُ اللَّهُ حَرَصًا  
عَلَى أَنْ يَكُونَ الْوِزَاعُ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَبَقِينَا بِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ

وَلَمَّا تَنَاقَصَ الَّذِينَ فِي النَّاسِ وَأَخَذُوا بِالْأَحْكَامِ الْوَازِعَةِ صَادَ الشَّرْعُ عِلْمًا وَصِنَاعَةً يُؤْخَذُ بِالتَّعْلِيمِ وَالْتَّأْدِيبِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَخُلِقَ الْإِنْقِيَادُ إِلَى الْأَحْكَامِ نَقَصَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْبَاسِ فِيهِمْ فَقَدْ بَيَّنَّ أَنَّ الْأَحْكَامَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ مُفْسِدَةٌ لِلْبَاسِ لِأَنَّ الْوَازِعَ فِيهَا ذَاتِي وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ وَالتَّعْلِيمِيَّةُ بِمَا تَوْثُرُ فِي أَهْلِ الْحَوَاضِرِ فِي ضَعْفِ نَفُوسِهِمْ وَخَضِّ الشُّوْكَ مِنْهُمْ بِمَعَانِيهِمْ فِي وَلِيْدِهِمْ وَكُفُولِهِمْ وَالتَّبْدُو بِمَعَزَلٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لِيُعْذِرَهُمْ عَنْ أَحْكَامِ السُّلْطَانِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْآدَابِ وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَحْكَامِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالتَّعَلِّمِينَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤَدِّبِ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الصِّبْيَانِ فِي التَّعْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ نَقَلَهُ عَنْ شُرَيْحِ الْقَافِي وَاحْتَجَّ لَهُ بَعْضُهُمْ بِمَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ بَدَأَ الْوَحْيَ مِنْ شَأْنِ الْفَطْرِ وَأَنَّهُ كَانَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَلَا يَصْلُحُ شَأْنُ الْفَطْرِ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ لِيُعْذِرُوهُ عَنِ التَّعْلِيمِ الْمُتَعَارِفِ وَاللَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِ الْخَبِيرِ

### الفصل السابع

في ان سكنى البدو لا تكون الا للقبائل اهل المصيبة

إِعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَكِبَ فِي طَبَائِعِ النَّشْرِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ وَقَالَ فَلَنَمُهَا بِجُورِهَا وَنَقُوتَهَا وَالشَّرُّ أَقْرَبُ الْخِلَالِ إِلَيْهِ إِذَا أَهْمِلَ فِي مَرْعَى عَوَائِدِهِ وَلَمْ يَهْذِبْهُ الْإِقْتِدَاءُ بِالذِّينِ وَعَلَى ذَلِكَ الْجُمُ الْفَقِيرُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَمِنْ أَخْلَاقِ النَّشْرِ فِيهِمُ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ فَمَنْ أَمْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَى مَنَاعِرِ أَخِيهِ فَقَدْ أَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَصُدَّهُ وَازِعٌ كَمَا قَالَ

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْءٍ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدَ ذَا عِفَّةٍ فَلَعَلَّيْ لَا يَظْلِمُ  
فَأَمَّا الْمَدُنُ وَالْأَمْصَارُ فَعُدْوَانُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ تَدْفَعُهُ الْحُكَامُ وَالِدَوْلَةُ بِمَا قَبَضُوا عَلَى أَيْدِي مَنْ تَحْتَهُمْ مِنْ الْكَافَّةِ أَنْ يَمْتَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ يَعْدُو عَلَيْهِ فَهُمْ مَكْبُوحُونَ بِحِكْمَةِ الْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ عَنِ الظُّلْمِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْحَاكِمِ بِنَفْسِهِ وَأَمَّا الْعُدْوَانُ الَّذِي مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ فَيَدْفَعُهُ سِيَاجُ الْأَسْوَارِ عِنْدَ الثَّقَلَةِ أَوْ الْغُرَةِ لَيْلًا أَوْ الْحِجْرِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ نَهَارًا أَوْ يَدْفَعُهُ أَرْذِيَادُ الْحَاكِمِيَّةِ مِنْ أَعْوَانِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ الْأَسْتِعْدَادِ وَالْمَقَاوِمَةِ وَأَمَّا أَحْيَاءُ الْبَدُو فَيَرْعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ مَسَاحِيْهُمْ وَكِبَرَاؤُهُمْ بِمَا وَفَّرَ فِي

نَفْسَ الْكَافَّةِ لَهُمْ مِنَ الْوَقَارِ وَالْجَلَّةِ وَأَمَّا حَالُهُمْ فَإِنَّمَا يَذُودُ عَنْهَا مِنْ خَارِجِ حَامِيَةٍ  
 الْحَيِّ مِنْ أُنْجَادِهِمْ وَفِتْيَانِهِمْ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ فِيهِمْ وَلَا يَصْدُقُ دِفَاعُهُمْ وَذِيَادُهُمْ  
 إِلَّا إِذَا كَانُوا عَصِيَّةً وَأَهْلَ نَسَبٍ وَاحِدٍ لَأَنَّهُمْ بِذَلِكَ تَشْتَدُّ شَوْكَتُهُمْ وَيُخَفَّى جَانِبُهُمْ  
 إِذْ تُعَرِّهُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى نَسَبِهِ وَعَصِيَّتِهِ أَمُّهُ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ الشَّفَقَةِ  
 وَالشُّعْرِ<sup>(١)</sup> عَلَى ذَوِي أَرْحَامِهِمْ وَقُرْبَاهُمْ مَوْجُودَةً فِي الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ وَبِهَا يَكُونُ  
 الْعَاضِدُ وَالْتِمَامُ وَتَعْظُمُ رَهْبَةُ الْعَدُوِّ لَهُمْ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ عَنْ إِخْوَةِ  
 يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالُوا لِأَيِّهِ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا الْخَامِرُونَ  
 وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُتَوَكَّمُ الْعَدُوَاتُ عَلَى أَحَدٍ مَعَ وُجُودِ الْعِصْبَةِ لَهُ وَأَمَّا الْمُتَفَرِّدُونَ فِي  
 أُنْسَابِهِمْ فَقَدْ أَنْ تُصِيبَ أَحَدًا مِنْهُمْ نَعْرَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ فَإِذَا أَظْلَمَ الْجَوُّ بِالْبَشَرِ يَوْمَ  
 الْحَرْبِ تَسْلَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِنَيْيِ النَّجَاةِ لِنَفْسِهِ خِيفَةً وَأَسْتِحْشَاشًا مِنَ التَّخَاذُلِ فَلَا  
 يَقْدِرُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَى سَكْنَى الْقَفْرِ لِمَا أَنَّهُمْ حِينَئِذٍ طُعْمَةٌ لِمَنْ يَلْتَقِمُهُمْ مِنَ  
 الْأُمَمِ سِوَاهُمْ وَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي السُّكْنَى الَّتِي تَحْتَاجُ لِلْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فِيمَنْ لَهُ  
 يَتَبَيَّنُ لَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَتَعَمَلُ النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ بُيُوتِهِ أَوْ إِقَامَةِ مَلِكٍ أَوْ دَعْوَةٍ إِذْ بُلُوغُ  
 الْفَرَضِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالْقِتَالِ عَلَيْهِ لِمَا فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ مِنَ الْإِسْتِعْصَاءِ وَلَا  
 بُدَّ فِي الْقِتَالِ مِنَ الْعَصِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَنْفَاءً فَأَتَّخِذْهُ إِمَامًا تَقْتَدِي بِهِ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ  
 بَعْدَ وَاللَّهِ الْمَوْفِقِ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن

في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه

وَذَلِكَ أَنَّ صَلَةَ الرَّحِمِ طَبِيعِيَّةٌ فِي الْبَشَرِ إِلَّا فِي الْأَقْلَى وَمِنْ صَلَاحِهَا الشُّعْرُ عَلَى ذَوِي  
 الْقُرْبَى وَأَهْلِ الْأَرْحَامِ أَنْ يَتَأَلَّهُمْ صَمٌّ أَوْ تُصِيبَهُمْ هَلَاكَةٌ فَإِنَّ الْقَرِيبَ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ  
 غَضَاضَةً مِنْ ظَلَمِ قَرِيبِهِ أَوْ الْعَدَاءَ عَلَيْهِ وَيَبْذُو لَوْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَصِلُهُ مِنَ الْمَعَاطِبِ  
 وَالْمَهَالِكِ نَزْعَةً طَبِيعِيَّةً فِي الْبَشَرِ مَذْكَوْنًا فَإِذَا كَانَ النَّسَبُ الْمُتَوَاصِلُ بَيْنَ الْمُتَنَاصِرِينَ  
 قَرِيبًا جِدًّا يَجِبُ حَصْلُ بِهِ الْإِتِّحَادِ وَالْإِتِّحَامِ كَانَتْ أَوْصَالُهُ ظَاهِرَةً فَاسْتَدْعَتْ ذَلِكَ  
 بِعَجْرِهَا وَوُضُوْحِهَا وَإِذَا بَعْدَ النَّسَبِ بَعْضُ الشَّيْءِ قَرِيبًا تَوْصِي بَعْضُهَا وَبَقِيَ مِنْهَا شَهْرَةٌ

(١) الشعرة والنعار: الفم فيها والشعر الصراخ والصياح في حرب او شر كما في القاموس

فَتَحْمِلُ عَلَى الثَّغْرَةِ لِدَوِي نَسَبِهِ بِالْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْهُ فِرَارًا مِنَ الْفَضَاةِ الَّتِي يَتَوَهَّمُ فِي  
نَفْسِهِ مِنْ ظُلْمٍ مَنْ هُوَ مُنْسَوْبٌ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْوَلَاءُ وَالْخِلْفُ إِذْ تُعْرَفُ كُلُّ  
أَحَدٍ عَلَى أَهْلِ وَلَائِهِ وَخِلْفِهِ لِلْأُلُفَّةِ الَّتِي تَلْحَقُ النَّفْسَ مِنْ أَهْضَامِ جَارِهَا أَوْ قَرِيبِهَا أَوْ  
نَسَبِهَا بِوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ النَّسَبِ وَذَلِكَ لِأَجْلِ اللَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ مِنَ الْوَلَاءِ مِثْلَ لَحْمَةِ النَّسَبِ  
أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا وَمِنْ هَذَا تَقَهَّمُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا  
تَصْلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِنَّمَا فَائِدَتُهُ هَذَا الْإِتِّحَامُ الَّذِي يُوجِبُ صِلَةَ  
الْأَرْحَامِ حَتَّى تَقَعَ الْمُنَاصَرَةُ وَالْثَغْرَةُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مُسْتَغْنَى عَنْهُ إِذِ النَّسَبُ أَمْرٌ وَهَمِيٌّ  
لَا حَقِيقَةً لَهُ وَتَقَهَّمُ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْوَصْلَةِ وَالْإِتِّحَامِ فَإِذَا كَانَ ظَاهِرًا وَاضِحًا حَمَلَ  
الْثُقُوسَ عَلَى طَبِيعَتِهَا مِنَ الثَّغْرَةِ كَمَا قُلْنَا وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْخَبَرِ الْبَعِيدِ ضَعُفَتْ  
فِيهِ الْوُجْهُ وَذَهَبَتْ فَائِدَتُهُ وَصَارَ الشُّغْلُ بِهِ تَجَانًا وَمِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ الْمُنْتَهَى عَنْهُ وَمِنْ  
هَذَا الْإِعْتِبَارِ مَعْنَى قَوْلِهِمُ النَّسَبُ عَلِيمٌ لَا يَتَمَعُّ وَجْهًا لَّهُ لَا يُضَرُّ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِذَا  
خَرَجَ عَنِ الْوُضُوحِ وَصَارَ مِنْ قِبَلِ الْعُلُومِ ذَهَبَتْ فَائِدَةُ الْوُجْهِ فِيهِ عَنِ النَّفْسِ وَانْتَفَتْ  
الثَّغْرَةُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا الْعَصِيَّةَ فَلَا مَنَفْعَةَ فِيهِ حِينَئِذٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع

في ان الصريح من النسب انما يوجد للتوحشين في القفر من العرب

ومن في معانم

وَذَلِكَ لِمَا اخْتَصَوْا بِهِ مِنْ نَكْدِ الْعَبَشِ وَشَطَفِ الْأَحْوَالِ وَسُوءِ الْمَوَاطِنِ حَمَاتِهِمْ  
عَلَيْهَا الضَّرُورَةُ الَّتِي عَيَّنَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْقِسْمَةَ وَهِيَ لِمَا كَانَ مَعَاشُهُمْ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْأَوَائِلِ  
وَتَنَاجِيهَا وَرِعَابَتِهَا وَالْأَوَائِلُ تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ لِرَعِيَّتِهَا مِنْ شَجَرِهِ وَتَنَاجِيهَا فِي  
رِمَالِهِ كَمَا تَقْدَمُ وَالْقَفْرُ مَكَانُ الشُّطَفِ وَالسَّغْبِ فَصَارَ لَهُمُ الْفَأُ عَادَةً وَرَبِيتَ فِيهِ  
أَجْيَالُهُمْ حَتَّى تَمَكَّنَتْ خُلُقًا وَجِيلَةً فَلَا يَنْزِعُ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْهَامِ أَنْ يَسْأَلَهُمْ فِي  
حَالِهِمْ وَلَا يَأْتُسُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ بَلْ تَوَجَّدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ السَّبِيلَ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ  
حَالِهِ وَامْتَكَنَهُ ذَلِكَ لِمَا تَرَكَهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ اخْتِلَاطِ أَنْسَابِهِمْ وَفَسَادِهَا  
وَلَا تَزَالُ بَيْنَهُمْ مَحْفُوظَةٌ صَرِيحَةٌ وَاعْتَبَرُ ذَلِكَ فِي مُضَرٍّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانَتْ وَتَقِفَتْ وَبَنِي  
أَسَدٍ وَهَذِيلٍ وَمَنْ جَاوَزَهُمْ مِنْ خَزَاعَةَ لِمَا كَانُوا أَهْلَ شَطَفٍ وَمَوَاطِنَ غَيْرِ ذَاتِ زُرْعٍ

وَلَا ضَرْعَ وَبَعْدُوا مِنْ أَرْيَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعَادِنِ الْآدَمِ وَالْحُجُوبِ كَيْفَ كَانَتْ  
 أَنْسَابُهُمْ سَرِيحَةً مَحْفُوظَةً لَمْ يَدْخُلْهَا اخْتِلَاطٌ وَلَا عُرِفَ فِيهَا شَوْبٌ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ  
 كَانُوا بِالْثَّلُولِ وَفِي مَعَادِنِ الْخَضِبِ الْمُرَاعِي وَالْعَيْشِ مِنْ حِمِيرٍ وَكَلْبَانَ مِثْلَ لَحْمٍ وَجُدَامٍ  
 وَعَسَّانٍ وَطَيٍّ وَقَضَاعَةٍ وَإِيَادٍ فَاخْتَلَطَتِ أَنْسَابُهُمْ وَتَدَاخَلَتْ شُعُوبُهُمْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 يُوْنَهُمْ مِنْ الْخِلَافِ عِنْدَ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ تَجَمُّعِهِمْ وَتَخَالُطِهِمْ  
 وَهُمْ لَا يَتَعَيَّرُونَ الْحِفَاظَةَ عَلَى النَّسَبِ فِي يُوْنِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ وَإِنَّمَا هَذَا لِلْعَرَبِ فَقَطْ .  
 قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ تَعَلَّمُوا النَّسَبَ وَلَا تَكُونُوا كَنَبِطِ السَّوَادِ إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ  
 عَنْ أَصْلِهِ قَالَ مِنْ قَرِيْبٍ كَذَا هَذَا أَيْ مَا لَحِقَ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ أَهْلَ الْأَرْيَافِ مِنَ الْأَزْدِ حَامٍ  
 مَعَ النَّاسِ عَلَى الْبَلَدِ الطَّيِّبِ وَالْمُرَاعِي الْخُصِيَّةِ فَكَثُرَ الْإِخْتِلَاطُ وَتَدَاخَلَتْ الْأَنْسَابُ  
 وَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ الْإِتِمَاعُ إِلَى الْمَوَاطِنِ فَيُقَالُ جُنْدٌ فَيُسَمَّرِينَ جُنْدٌ  
 دُمَشْقِي جُنْدُ الْعَوَامِ وَانْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُنْ لِطَرَاخِ الْعَرَبِ أَمْرُ النَّسَبِ  
 وَإِنَّمَا كَانَ لَاخْتِصَامُهُمْ بِالْمَوَاطِنِ بَعْدَ الْفَتْحِ حَتَّى عُرِفُوا بِهَا وَصَارَتْ لَهُمْ عَلَامَةٌ  
 زَائِدَةٌ عَلَى النَّسَبِ يَتَمَيَّزُونَ بِهَا عِنْدَ أَرْيَافِهِمْ ثُمَّ وَقَعَ الْإِخْتِلَاطُ فِي الْحَوَافِرِ مَعَ الْعَجَمِ  
 وَغَيْرِهِمْ وَفَسَدَتِ الْأَنْسَابُ بِالْجُمْلَةِ وَفُقِدَتْ تَعَرُّفُهَا مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَاطْرَحَتْ ثُمَّ تَلَاشَتْ  
 الْقَبَائِلُ وَدَثِرَتْ فَدَثِرَتِ الْعَصَبِيَّةُ بِدَثُورِهَا وَبَقِيَ ذَلِكَ فِي الْبَدْوِ كَمَا كَانَ وَاللَّهُ وَارِثُ  
 الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

اعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ يَسْقُطُ إِلَى أَهْلِ نَسَبٍ آخَرَ بِقَرَابَةٍ  
 إِلَيْهِمْ أَوْ حِلْفٍ أَوْ وَلَاءٍ أَوْ لِقَاءٍ مِنْ قَوْمِهِ بِجَنَابَةٍ أَصَابَهَا فَيَدْعِي بِنَسَبِ هَؤُلَاءِ وَيَعُدُّ  
 مِنْهُمْ فِي تَعَرُّفِهِ مِنَ الشُّعْرَةِ وَالْقَوَدِ وَحَمْلِ الدِّيَاكِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِذَا وَجِدَتْ تَعَرُّفَاتُ  
 النَّسَبِ فَكَأَنَّهُ وَجِدَ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِكُونِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا جَرِيَانُ أَحْكَامِهِمْ  
 وَأَحْوَالِهِمْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ اتَّحَمَ بِهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَنَاسَى النَّسَبَ الْأَوَّلَ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيَذْهَبُ  
 أَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ فَيُخْفِي عَلَى الْآكْثَرِ وَمَا زَالَتْ الْأَنْسَابُ تَسْقُطُ مِنْ شُعْبٍ إِلَى شُعْبٍ وَلَتَعْلَمُ  
 قَوْمٌ بِآخَرِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . وَانْظُرْ خِلَافَ النَّاسِ فِي نَسَبِ



آلِ الْمُنْدَرِ وَغَيْرِهِمْ يَتَبَيَّنُ لَكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْهُ شَأْنُ بَيْعَةِ فِي عَزِجَةَ بْنِ هَرْتَمَةَ لَمَّا  
وَلَاهُ عُمَرُ عَلَيْهِمْ فَسَأَلُوهُ الْأَعْفَاءَ مِنْهُ وَقَالُوا هُوَ فِينَا لَرَبِّي أَيْ دَخِلَ وَلَصِيْقِي وَطَلَبُوا  
أَنْ يُؤْتِيَ عَلَيْهِمْ جَرِيرًا فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ عَزِجَةُ صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا  
رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ أَصَبْتُ دَمًا فِي قَوْمي وَخَفْتُ بِهِمْ وَأَنْظُرُ مِنْهُ كَيْفَ اخْتَلَطَ عَزِجَةُ بَيْعَةَ  
وَلَيْسَ جِلْدَتُهُمْ وَدُعِي بِنَسَبِهِمْ حَتَّى تَرْتَمِعَ لِلرَّئِيسَةِ عَلَيْهِمْ لَوْلَا عِلْمُ بَعْضِهِمْ بِوُشَاةِجِهِ  
وَلَوْ عَفَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَآمَنُوا الزَّمَنُ لَتَنَوَّيَ بِالْجُمْلَةِ وَعَدَّ مِنْهُمْ بِكُلِّ وَجْهِ وَمَذْهَبٍ فَأَهْمُهُ  
وَأَعْتَبَرُ بِرَأْيِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَاللَّهُ  
الْمَوْفِيُّ لِلصَّوَابِ بِعَمَلِهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ

### (١١) الفصل الحادي عشر

في ان الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العvisة

إِعْلَمُ أَنَّ كُلَّ حَتَّى أَوْ بَطْنٍ مِنَ الْقَبَائِلِ وَإِنْ كَانُوا عِصَابَةً وَاحِدَةً لِنَسَبِهِمُ الْعَامِّ  
فَفِيهِمْ أَيْضًا عَصِيْبَاتٌ أُخْرَى لِأَنْسَابٍ خَاصَةٍ فِي أَشَدِّ التَّحَامُّمِ مِنَ النَّسَبِ الْعَامِّ لَهُمْ مِثْلُ  
عَشِيرٍ وَاحِدٍ أَوْ أَهْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ أَوْ إِخْوَةٍ بَيْنِ أَبٍ وَاحِدٍ لَا مِثْلَ بَنِي الْقَوْمِ الْأَفَرِيِّينَ أَوْ  
الْأَبْعَدِيِّينَ فَهَؤُلَاءِ أَقْعَدُ بِنَسَبِهِمُ الْخُصُوصِ وَيُشَارِكُونَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَصَائِبِ فِي  
النَّسَبِ الْعَامِّ وَالشُّعْرَةُ نَقَعٌ مِنْ أَهْلِ نَسَبِهِمُ الْخُصُوصِ وَمِنْ أَهْلِ النَّسَبِ الْعَامِّ إِلَّا أَنَّهُمْ  
فِي النَّسَبِ الْخَاصِّ أَشَدُّ اقْتِرَابٍ إِلَى الْعَمَّةِ وَالرَّئِيسَةِ فِيهِمْ إِنَّمَا تَكُونُ فِي نِصَابٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
وَلَا تَكُونُ فِي الْكُلِّ وَلَمَّا كَانَتْ الرَّئِيسَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْقَلْبِ وَجِبَ أَنْ تَكُونَ عَصِيْبَةً  
ذَلِكَ لِذِيَابِ الْأَقْوَى مِنْ سَائِرِ الْعَصَائِبِ لِيَقَعَ الْقَلْبُ بِهَا وَلَيْتِمُ الرَّئِيسَةُ لِأَهْلِهَا فَإِذَا وَجِبَ  
ذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّ الرَّئِيسَةَ عَلَيْهِمْ لَا تَزَالُ فِي ذَلِكَ النِّصَابِ الْخُصُوصِ بِأَهْلِ الْقَلْبِ  
عَلَيْهِمْ إِذْ لَوْ خَرَجَتْ عَنْهُمْ وَصَارَتْ فِي الْعَصَائِبِ الْأُخْرَى النَّازِلَةِ عَنْ عَصَابَتِهِمْ فِي  
الْقَلْبِ لَمَّا تَمَّتْ لَهُمُ الرَّئِيسَةُ فَلَا تَزَالُ فِي ذَلِكَ النِّصَابِ مُتَنَاقِلَةً مِنْ فَرْعٍ مِنْهُمْ إِلَى  
فَرْعٍ وَلَا تَنْتَقِلُ إِلَّا إِلَى الْأَقْوَى مِنْ فُرُوعِهِ لِمَا قُلْنَا مِنْ مِيرِ الْقَلْبِ لِأَنَّ الْإِجْتِمَاعَ  
وَالْعَصِيْبَةَ بِعَثَابَةِ الْمَزَاجِ الْمَتَّكُونَ وَالْمَزَاجُ فِي الْمُتَّكُونَ لَا يَصْلُحُ إِذَا نَكَفَاتِ

(١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفارسية وموجود في النسخة التركية وإبائه اولى لطايفى كلام

الْعَصَائِرُ فَلَا بُدَّ مِنْ غَلَبَةِ أَحَدِهَا وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ التَّكْوِينُ فَهَذَا هُوَ سِرُّ اشْتِرَاطِ الْقَلْبِ فِي  
الْعَصِيَّةِ وَمِنْهُ تَعَيَّنَ اسْتِمْرَارُ الرَّئَاسَةِ فِي النَّصَابِ الْخُصُوصِ بِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ

### الفصل الثاني عشر

في ان الرئاسة على اهل العصية لا تكون في غير نسبهم

وَذَلِكَ أَنَّ الرَّئَاسَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْقَلْبِ وَالْقَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ  
فَلَا بُدَّ فِي الرَّئَاسَةِ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ تَكُونَ مِنْ عَصِيَّةٍ غَالِبَةٍ لِعَصِيَّاتِهِمْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً  
لِأَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ مِنْهُمْ إِذَا أَحَسَّتْ بِغَلَبِ عَصِيَّةِ الرَّئِيسِ لَهُمْ أَقْرَبُوا بِأَلَا ذَعَانٍ وَالْإِتِّبَاعِ  
وَالسَّاقِطِ فِي نَسَبِهِمْ بِالْجُمْلَةِ لَا تَكُونُ لَهُ عَصِيَّةٌ فِيهِمْ بِالنَّسَبِ إِنَّمَا هُوَ مُلْصِقٌ لِرَبِّقٍ  
وَعَايَةِ التَّعَصُّبِ لَهُ بِالْوَلَاءِ وَالْخِلَافِ وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ لَهُ غَلَبًا عَلَيْهِمُ الْبَتَّةَ وَإِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ  
قَدِ اتَّخَمَ بِهِمْ وَاخْتَلَطَ وَتَوَسَّيَ عَهْدَهُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَلَيْسَ جِلْدَتُهُمْ وَدُعَا  
بَنَسَبِهِمْ فَكَيْفَ لَهُ الرَّئَاسَةُ قَبْلَ هَذَا الْإِتِّحَامِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ سَلَفِهِ وَالرَّئَاسَةُ عَلَى الْقَوْمِ  
إِنَّمَا تَكُونُ مُتَنَافِلَةً فِي مَنَبَتٍ وَاحِدَةٍ تَعَيَّنَ لَهُ الْقَلْبُ بِالْعَصِيَّةِ فَالْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لِهَذَا  
الْمُلْصِقِ قَدْ عُرِفَ فِيهَا النِّصَافُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَمَنْعَهُ ذَلِكَ الْإِلْتِصَاقُ مِنَ الرَّئَاسَةِ حِينَئِذٍ  
فَكَيْفَ تَنُوقِلَتْ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى حَالِ الْإِلْتِصَاقِ وَالرَّئَاسَةُ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ مَوْزُونَةً عَنْ  
مُسْتَحِقِّهَا لِمَا قُلْنَاهُ مِنَ التَّغَلُّبِ بِالْعَصِيَّةِ وَقَدْ يَتَشَوَّفُ كَثِيرٌ مِنَ الْأُرُوسَاءِ عَلَى الْقَبَائِلِ  
وَالنَّصَابِ إِلَى أَنْسَابٍ يَلْتَمِجُونَ بِهَا إِمَّا لِحُصُوصِيَّةٍ فَضِيلَةٍ كَانَتْ فِي أَهْلِ ذَلِكَ النَّسَبِ مِنْ  
شُجَاعَةٍ أَوْ كَرَمٍ أَوْ ذِكْرِ كَيْفَ اتَّفَقَ فَيَنْزِعُونَ إِلَى ذَلِكَ النَّسَبِ وَيَتَوَرَّطُونَ بِالِدَّعْوَى فِي  
شُعُوبِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يُوَقِّعُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْقَدَحِ فِي رِئَاسَتِهِمْ وَالطَّعْنِ فِي شَرَفِهِمْ  
وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّاسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَدَّعِيهِ زَنَاطَةُ جُمْلَةِ أَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْهُ  
أَدْعَاةُ أَوْلَادِ رَبَّابِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحِجَارِيِّينَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَحَدِ شُعُوبِ رُغْبَةِ أَنَّهُمْ مِنْ  
بَنِي سُلَيْمٍ ثُمَّ مِنَ الشَّرِيدِ مِنْهُمْ لِحَقِّ جَدِّهِمْ بَنِي عَامِرٍ تَجَارًا يَصْنَعُ الْحَرَجَانُ<sup>(١)</sup> وَاخْتَلَطَ  
بِهِمْ وَاتَّخَمَ بَنَسَبِهِمْ حَتَّى رَأَسَ عَلَيْهِمْ وَيُسَمُّونَهُ الْحِجَارِيَّ وَمِنْ ذَلِكَ أَدْعَاةُ بَنِي عَبْدِ  
الْقَوِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ تُوْجِينٍ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رُغْبَةٍ فِي هَذَا  
النَّسَبِ الشَّرِيفِ وَعَلَّطَا بِأَنَسْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَطِيَّةِ أَبِي عَبْدِ الْقَوِيِّ وَلَمْ يَعْلَمْ دُخُولَ أَحَدٍ

(١) قوله المرحان بكر الحما جمع حرج يفتحن نعل المولى اهـ

مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ إِلَى الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُ كَانَ مُنْذُ أَوَّلِ دَوَلَّتِهِمْ عَلَى دَعْوَةِ الْعُلَوِيِّينَ أَعْدَائِهِمْ  
 مِنَ الْأَدَارِسَةِ وَالْعَبِيدِيِّينَ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ سِبْطِ الْعَبَّاسِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَةِ الْعُلَوِيِّينَ . وَكَذَلِكَ  
 مَا يَدْعِيهِ أَتْبَاعُهُ زِيَانُ مُلُوكِ تَلْمَسَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ بْنِ  
 أَدْرِيسَ ذَهَابًا إِلَى مَا أَشْتَهَرُ فِي نَسَبِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ فَيَقُولُونَ بِلِسَانِهِمُ الزُّنَاقِي  
 أَنْتَ الْقَاسِمُ أَيْ بَنُو الْقَاسِمِ ثُمَّ يَدْعُونَ أَنَّ الْقَاسِمَ هَذَا هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ أَدْرِيسَ أَوْ الْقَاسِمُ  
 بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَدْرِيسَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا فَغَايَةُ الْقَاسِمِ هَذَا أَنَّهُ فَرَّ مِنْ مَكَانِ  
 سُلْطَانِهِ مُسْتَعِيرًا بِهِمْ فَكَيْفَ تَبَيَّنَ لَهُ الرَّئَاسَةُ عَلَيْهِمْ فِي بَادِيَتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ غُلَطٌ مِنْ قِبَلِ  
 أَنَسِ الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْوُجُودِ فِي الْأَدَارِسَةِ فَتَوَسَّعُوا أَنَّ قَاسِمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ وَهُمْ  
 غَيْرُ مُتَحَاجِينَ لِلذِّكْرِ فَإِنْ مَنَّا لَهُمْ لِلْمَلِكِ وَالْعَزَّةِ إِنَّمَا كَانَ بِعَصِيَّتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ يَأْدَعَاهُ  
 عَلَوِيَّةٌ وَلَا عَبَّاسِيَّةٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْأَنْسَابِ وَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَلَى هَذَا الْمُتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمُلُوكِ  
 بِمَنَازِلِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَاشْتَهَرُ حَتَّى يَبْعَدَ عَنِ الرَّدِّ وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ يَمْعُرَاسَ بْنِ زِيَانٍ  
 مُؤَنِّلِ سُلْطَانِهِمْ أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ أَنْكَرَهُ وَقَالَ بَلُغْنِي الزُّنَاقِيَّةَ مَا مَعْنَاهُ أَمَا الدُّنْيَا  
 وَالْمَلِكُ فَلِنَاهُمَا يَسُودُونَا لَا يَهْدَانَا النَّسَبَ وَأَمَا تَفْعُهُمَا فِي الْآخِرَةِ فَمَرْدُودٌ إِلَى اللَّهِ  
 وَأَعْرَضَ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَدْعِيهِ بَنُو سَعْدِ شَيْخُ بَنِي يَزِيدَ  
 مِنْ رُغْبَةِ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَخِيَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَنُو سَلَامَةَ شَيْخُ بَنِي يَدْلَتَنَ  
 مِنْ تَوْجِحِينَ أَنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمٍ وَالزَّوَادَةُ شَيْخُ رِيَّاحٍ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْقَابِ الْبَرَامِكَةِ وَكَذَا  
 بَنُو مَهْنَأَ أَمْرَاهُ طَبِيٍّ بِالْمَشْرِقِ يَدْعُونَ فِيمَا بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْقَابِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ  
 وَرِئَاسَتُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مَانِعَةٌ مِنْ آدَعَاهُ هَذِهِ الْأَنْسَابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَلْ نَعْنِي أَنْ يَكُونُوا  
 مِنْ صَرِيحِ ذَلِكَ النَّسَبِ وَأَقْوَى عَصِيَّاتِهِ فَاعْتَبَرَهُ وَاجْتَنَبَ الْمَعَالِطَ فِيهِ وَلَا تَجْعَلَ مِنْ  
 هَذَا الْبَابِ إِخْلَاقَ مَهْدِيِّ الْمُؤَحِّدِينَ بِنَسَبِ الْعُلَوِيَّةِ فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَتَبِّ  
 الرَّئَاسَةِ فِي هَرِثْمَةِ قَوْمِهِ وَإِنَّمَا رَأَسَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ اشْتِهَارِهِ بِالْعِلْمِ وَالذِّهْنِ وَدُخُولِ  
 قِبَائِلِ الْمَصَالِمَةِ فِي دَعْوَتِهِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَنَابِتِ الْمَتَوَسِّطَةِ فِيهِمْ وَاللَّهُ  
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

## الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصية

ويكون لغريم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب إنما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل في آبائه  
أشرفاً من كورين يكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم بجملة في أهل جلدته لئلا  
وقر في نفوسهم من جملة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نسايتهم وتناسلهم معادن  
قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا  
فقهوا فمعنى الحسب راجع إلى الانتساب وقد بينا أن نعمة الانتساب وفائدتها إنما هي  
العصية للنعمة والتناصر فحيث تكون العصية مرهوبة والنسب فيها زكي لا يحمي  
تكون فائدة النسب أوضح وتثمرها أقوى وتعديد الأشراف من الآباء رائد في فائدتها  
فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصية لوجود نعمة النسب وتفاوت البيوت  
في هذا الشرف يتفاوت العصية لأنه سرها ولا يكون المنفردين من أهل الأمصار  
بيت إلا بالمجاز وإن توهموه فزخرف من الدعاوى وإذا اعتبرت الحسب في أهل  
الأمصار وجنت معناه أن الرجل منهم يعد سلفاً في خلل الخير ومخالطة أهله مع  
الركون إلى العافية ما استطاع وهذا مغاير ليسر العصية التي هي نعمة النسب وتعديد  
الآباء لئلا يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لئلا يخلط ما فيه من تعديد الآباء  
المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير وسالكه وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق  
وإن ثبت أنه حقيقة فهما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في  
بعض مواضعه أولى وقد يكون البيت شرف أول بالعصية والخلال ثم ينسلكون منه  
لذاتها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالنعمة ويتقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب  
يعدون به أنفسهم من أشراف البيوت أهل العصاب وليسوا منها في شيء لذهاب  
العصية جملة وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب أو النعم لأول  
عهدهم موسوسون بذلك وأكثر ما رشح الوسواس في ذلك لئني إسرائيل فإنه كان  
أهم بيت من أعظم بيوت العالم بالعبث أولاً لما تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل  
من لدن إيزهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصية ثانياً وما

أَتَاهُمُ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ ثُمَّ انْصَحُوا مِنْ ذَلِكَ أَجْمَعَ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ فِي الْأَرْضِ وَانْقَرَدُوا بِالِاسْتِعْبَادِ لِلْكَفَرِ  
الْآتَا مِنَ السِّنِينَ وَمَا زَالَ هَذَا أَوْسَاسُ مُصَاحِبَاتِهِمْ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ هَذَا هَارُونِي هَذَا  
مِنْ نَسْلِ يُوْشَعَ هَذَا مِنْ عَقِبِ كَالِبِ هَذَا مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا مَعَ ذَهَابِ الْعَصِيَّةِ وَرُسُوحِ الدَّلِّ  
فِيهِمْ مُنْذُ أَحْقَابِ مَطَاوِيلِهِ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَغَيْرِهِمُ الْمُنْقَطِعِينَ فِي أَنْسَابِهِمْ  
عَنِ الْعَصِيَّةِ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْهَدْيَانِ . وَقَدْ غَلَطَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ فِي هَذَا لَمَّا ذَكَرَ  
الْحَسَبَ فِي كِتَابِ الْخُطَابَةِ مِنْ تَلْغِيصِ كِتَابِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَالْحَسَبُ هُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ  
قَوْمٍ قَدِيمٍ نَزَلَتْهُمُ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَنْفَعُهُ  
قَدَمُ نَزْلِهِمُ بِالْمَدِينَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عَصَابَةٌ يُرْهَبُ بِهَا جَانِبُهُ وَتَحْمِلُ غَيْرُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ  
مِنْهُ فَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ الْحَسَبَ عَلَى تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ فَقَطَّعَ أَنَّ الْخُطَابَةَ إِنَّمَا فِي اسْتِمَالَةِ مَنْ  
يُؤْتَرُ اسْتِمَالَتُهُ وَفِي أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَأَمَّا مَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ الْبِنَةُ فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ وَلَا  
يَقْدِرُ عَلَى اسْتِمَالَتِهِ أَحَدٌ وَلَا يُسْتَمَالُ هُوَ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ مِنَ الْخَضِرِ يَهْدِيهِ الْمَثَابَةُ إِلَّا  
أَنَّ ابْنَ رُشْدٍ ذَرَبَا فِي جَبَلٍ وَبَلَدٍ وَلَمْ يَمَارِسُوا الْعَصِيَّةَ وَلَا آيَسُوا أَحْوَالَهَا فَبَقِيَ فِي أَمْرِ  
الْبَيْتِ وَالْحَسَبِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَرَاجِعْ فِيهِ  
حَقِيقَةَ الْعَصِيَّةِ وَمِزَاجَهَا فِي الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

### الفصل الرابع عشر

في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بوالهيم لا بانسابهم  
وَذَلِكَ أَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الشَّرَفَ بِالْأَصَالَةِ وَالْحَقِيقَةَ إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ فَإِذَا اصْطَنَعَ  
أَهْلُ الْعَصِيَّةِ قَوْمًا مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِمْ أَوْ اسْتَرْقُوا الْعِبْدَانِ وَالْمَوَالِي وَالتَّحَمُّوا بِهِ كَمَا فُلَنَاهُ  
ضَرَبَ مَعَهُمْ أُولَئِكَ الْمَوَالِي وَالْمُصْطَنَعُونَ يَنْسَبُهُمْ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَلَيْسُوا جِلْدَتِهَا  
كَأَنَّهَا عَصَبَتُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْإِنْتِظَامِ فِي الْعَصِيَّةِ مُسَاهَمَةٌ فِي نَسَبِهَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَسَوَاءٌ كَانَ مَوْلَى رِقٍّ أَوْ مَوْلَى اصْطِنَاعٍ وَحَلَفَ  
وَلَيْسَ نَسَبٌ وَلَادَتِهِ يَنْفَعُ لَهُ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ إِذْ فِي مَبَايِنَةِ ذَلِكَ النَّسَبِ وَعَصِيَّةُ ذَلِكَ  
النَّسَبِ مَقْهُودَةٌ لِيَهَابِ مِزَاجِهَا عِنْدَ الْقَهْمِ بِهَذَا النَّسَبِ الْآخِرِ وَفُقْدَانِهِ أَهْلَ عَصَبَتِهَا  
فَيَصِيرُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَيَنْدَرِجُ فِيهِمْ فَإِذَا تَعَدَّدَتْ لَهُ الْأَبَاءُ فِي هَذِهِ الْعَصِيَّةِ كَانَ لَهُ يَنْسَبُهُمْ

شَرَفٌ وَبَيْتٌ عَلَى نَسَبِهِ فِي وَلَائِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ لَا يَتَجَاوِزُهُ إِلَى شَرَفِهِمْ بَلْ يَكُونُ  
 أَدُونُ مِنْهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهَذَا شَأْنُ الْمَوَالِي فِي الدُّوَلِ وَالْخِدْمَةِ كُلِّهِمْ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا  
 يَشْرُفُونَ بِالرُّسُوحِ فِي وِلَاةِ الدُّوَلَةِ وَخِدْمَتِهَا وَتَعَدُّدِ آلِهَا فِي وَلَايَتِهَا أَلَا تَرَى إِلَى مَوَالِي  
 الْأَنْزَاكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَبَنِي نُوبَخْتٍ كَيْفَ أَدْرَكُوا  
 الْبَيْتَ وَالشَّرَفَ وَبَنَوْا الْجِدَّ وَالْأَصَالَةَ بِالرُّسُوحِ فِي وِلَاةِ الدُّوَلَةِ فَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى  
 بْنُ خَالِدٍ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ بَيْتًا وَشَرَفًا بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى وِلَاةِ الرَّشِيدِ وَقَوْمِهِ لَا بِالْإِنْتِسَابِ  
 فِي الْفُرْسِ وَكَذَا مَوَالِي كُلِّ دَوْلَةٍ وَخِدْمَتِهَا إِنَّمَا يَكُونُ لَهُمُ الْبَيْتُ وَالْحَسَبُ بِالرُّسُوحِ  
 فِي وِلَايَتِهَا وَالْأَصَالَةِ فِي أَصْطِنَاعِهَا وَيَضْحِكُ نَسَبُ الْأَقْدَمِ مِنْ غَيْرِ نَسَبِهَا وَيَبْقَى مَلْفَى لَا  
 عِزَّةَ بِهِ فِي أَصَالَتِهِ وَبِحِجْدِهِ وَإِنَّمَا الْمُعْتَبَرُ نَسَبُهُ وَلَايَتُهُ وَأَصْطِنَاعُهُ إِذْ فِيهِ سِرُّ الْعَصَبِيَّةِ  
 الَّتِي بِهَا الْبَيْتُ وَالشَّرَفُ فَكَانَ شَرَفُهُ مُشْتَقًّا مِنْ شَرَفِ مَوَالِيهِ وَبِنَاوُهُ مِنْ بِنَائِهِمْ فَلَمْ  
 يَنْفَعَهُ نَسَبُ وَلَادَتِهِ وَإِنَّمَا بَنَى حِجْدَهُ نَسَبُ الْوِلَاةِ فِي الدُّوَلَةِ وَلِحُجْمَةِ الْأَصْطِنَاعِ فِيهَا  
 وَالتَّرْتِيبِ وَقَدْ يَكُونُ نَسَبُ الْأَوَّلِ فِي لِحْمَةِ عَصَبِيَّتِهِ وَدَوْلَتِهِ فَإِذَا ذَهَبَتْ وَصَارَ وَلَاوُهُ  
 وَأَصْطِنَاعُهُ فِي أُخْرَى لَمْ تَنْفَعَهُ الْأَوَّلَى لِذَهَابِ عَصَبِيَّتِهَا وَانْتَفَعُ بِالثَّانِيَةِ لَوْجُودِهَا وَهَذَا  
 حَالُ بَنِي بَرْمَكٍ إِذَا الْمَقُولُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْفُرْسِ مِنْ سِدَّةِ يَبُوتِ النَّارِ عِنْدَهُمْ  
 وَلَمَّا صَارُوا إِلَى وِلَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يَكُنْ بِالْأَوَّلِ أَعْتَابًا وَإِنَّمَا كَانَ شَرَفُهُمْ مِنْ حَيْثُ  
 وَلَايَتُهُمْ فِي الدُّوَلَةِ وَأَصْطِنَاعُهُمْ وَمَا سِوَى هَذَا قَوْمٌ تَوَسَّسُوا بِهِ النَّفُوسُ الْجَانِحَةُ وَلَا  
 حَقِيقَةَ لَهُمُ الْوُجُودُ شَاهِدٌ بِمَا قُلْنَا وَإِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

### الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في القرب الواحد اربعة ابا

اعْلَمْ أَنَّ الْعَالَمَ الْعَنْصَرِيَّ بِمَا فِيهِ كَانَتْ فَاسِدٌ لَا مِنْ ذَوَاتِهِ وَلَا مِنْ أَحْوَالِهِ  
 فَإِنَّهُ مَكُونَاتٌ مِنَ الْمَعْدِنِ وَالْثَبَاتِ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ كَانَتْ فَاسِدَةً  
 بِالْمَعَابِيَةِ وَكَذَلِكَ مَا يَغْرِضُ لَهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَخُصُوصًا الْإِنْسَانِيَّةِ فَالْعُلُومُ تَنْشَأُ ثُمَّ  
 تُدْرَسُ وَكَذَا الصَّنَائِعُ وَأَمْثَالُهَا وَالْحَسَبُ مِنَ الْمَوَارِضِ الَّتِي تَغْرِضُ لِلْإِدْمِيقِ فَهُوَ كَانَتْ  
 فَاسِدٌ لَا بِحَالَةٍ وَلَيْسَ يُوجَدُ لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ شَرَفٌ مُتَّصِلٌ فِي آبَائِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَامَةٍ بِهِ وَحَيَاةٍ عَلَى السَّيْرِ فِيهِ

وَأَوَّلُ كُلِّ شَرَفٍ خَارِجَةٌ كَمَا قِيلَ وَجِيءَ الْخُرُوجُ عَنِ الرَّأْسَةِ وَالشَّرَفِ إِلَى الصُّعَةِ  
وَالْإِثْدَالِ وَعَدَمِ الْحَسَبِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ شَرَفٍ وَحَسَبٍ قَدَّمَهُ سَابِقٌ عَلَيْهِ شَأْنٌ كُلُّ  
مُحَدَّثٍ ثُمَّ إِنَّ نَهَابَتَهُ فِي أَرْبَعَةِ آبَاءٍ وَذَلِكَ أَنَّ بَابِي الْحَجْدِ عَالِمٌ بِمَا عَانَاهُ فِي بَنَائِهِ وَحَافِظٌ  
عَلَى الْخِلَالِ الَّتِي فِي أَسْبَابِ كَوْنِهِ وَبَقَائِهِ وَابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ مُبَاشِرٌ لِأَبِيهِ فَقَدْ سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ  
وَأَخَذَهُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ مُقْصِرٌ فِي ذَلِكَ تَقْصِيرَ السَّامِعِ بِالشَّيْءِ عَنِ الْمُعَانِي لَهُ ثُمَّ إِذَا جَاءَ  
الثَّلَاثُ كَانَ حَظُّهُ الْإِفْتَاءَ وَالتَّقْلِيدَ خَاصَّةً فَقَصَرَ عَنِ الثَّانِي تَقْصِيرَ الْمُقْلِدِ عَنِ الْمُجْتَمِدِ  
ثُمَّ إِذَا جَاءَ الرَّابِعُ قَصَرَ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ جُمْلَةً وَأَضَاعَ الْخِلَالَ الْخَافِظَةَ لِإِنَاءِ مُجْتَمِدِهِمْ  
وَأَحْتَقَرَهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّ ذَلِكَ الْبَيَانُ لَمْ يَكُنْ بِمُعَانَاةٍ وَلَا تَكْلُفٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَجِبَتْ  
لَهُمْ مِنْهُ أَوَّلُ النَّشَاطِ بِعَجْرَدِ انْتِسَابِهِمْ وَلَيْسَ بِعَصَابَةٍ وَلَا بِخِلَالٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْعِلَاجِ  
بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ حَدُوثُهَا وَلَا سَبَبُهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّهُ النَّسَبُ فَقَطْ فَيَرْبَأُ بِنَفْسِهِ  
عَنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ وَيَرَى الْفَضْلَ لَهُ عَلَيْهِمْ وَثُوقًا بِمَا رَزَقِي فِيهِ مِنْ اسْتِنْبَاحِهِمْ وَجَهْلًا بِمَا  
أَوْجَبَ ذَلِكَ الْإِسْتِنْبَاحُ مِنَ الْخِلَالِ الَّتِي مِنْهَا التَّوَاضُّعُ لَهُمْ وَالْأَخْذُ بِجَمَاعِهِمْ فَلَوْ جِئْتُ  
فَيَعْتَقِرُهُمْ بِذَلِكَ فَيَنْغَضُّونَ عَلَيْهِ وَيَحْتَقِرُونَهُ وَيُدْبِلُونَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْتَبِ  
وَمِنْ فُرُوعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْعَقَبِ لِلْإِذْعَانِ لِعَصَبِيَّتِهِمْ كَمَا قُلْنَا لَهُ بَعْدَ الْوُثُوقِ بِمَا يَرْضَوْنَهُ  
مِنْ خِلَالِهِ فَتَنْمُو فُرُوعُ هَذَا وَتَذْوِي فُرُوعُ الْأَوَّلِ وَتَنْهَدِمُ بِنَاهُ يَتَبَعُ هَذَا فِي الْمُلُوكِ  
وَهَكَذَا فِي بُيُوتِ الْقَبَائِلِ وَالْأَمْراءِ وَأَهْلِ الْعَصِيَّةِ أَجْمَعُ ثُمَّ فِي بُيُوتِ أَهْلِ الْأَنْصَارِ  
إِذَا انْخَطَّتْ بُيُوتٌ نَشَأَتْ بُيُوتٌ أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ إِنْ بَشَأَ بَذْهِكُمْ وَبَأَتْ  
بِخَلْقِي جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَأَشْطَرِطُ الْأَرْبَعَةَ فِي الْأَحْسَبِ إِنَّمَا هُوَ فِي  
الْغَالِبِ وَالْأَقْدَقُ يَدْتَرُ الْبَيْتَ مِنْ دُونِ الْأَرْبَعَةِ وَيَتَلَاثَمُ وَتَهْدِمُ وَقَدْ يَنْصَلُ أَمْرُهُمَا إِلَى  
الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ إِلَّا أَنَّهُ فِي انْخِطَاطِهِ وَذَهَابِ وَاعْتِبَارِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ قَبْلِ الْأَجْبَالِ  
الْأَرْبَعَةِ بَانَ وَمُبَاشِرٌ لَهُ وَمُقْلِدٌ وَهَادِمٌ وَهُوَ أَقْلٌ مَا يُعْكَرُ وَقَدْ اعْتَبَرْتُ الْأَرْبَعَةَ فِي  
نَهَابَةِ الْحَسَبِ فِي بَابِ الْمَدْحِ وَالنِّسَاءِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ  
الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِشَادَةً  
إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ الْغَايَةَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَفِي التَّوَرَاةِ مَا مَعْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ طَائِقٌ غَيْرُ مُطَالَبٍ  
بِذُنُوبِ آبَاءِ الْبَنِينَ عَلَى الثَّوَالِثِ وَالرَّوَابِعِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَعْقَابَ غَايَةً

فِي الْأَنْسَابِ وَالْحَسَبِ . وَفِي كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَزِيفِ الْغَوَانِي أَنَّ كِسْرَى قَالَ  
لِلثُعْمَانِ هَلْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ تَشْتَرُ عَلَى قَبِيلَةٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ يَا بَنِي شَيْءٍ قَالَ مَنْ كَانَ لَهُ  
ثَلَاثَةُ آبَاءَ مُتَوَالِيَةٍ رُؤْسَاءُ ثُمَّ اتَّصَلَ ذَلِكَ بِكَمَالِ الرَّابِعِ فَأَلَيْتُ مِنْ قَبِيلَتِهِ وَطَلَبَ ذَلِكَ  
فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي آلِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَرَارِيِّ وَهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى ذِي الْجَدَيْنِ يَنْتَسِبُ  
شَيْبَانُ وَآلُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مِنْ كَدَّةٍ وَآلُ حَاجِبٍ بْنِ زِرَّارَةَ وَآلُ قَيْسٍ بْنِ عَاصِمٍ  
الْمَنْقَرِيِّ مِنْ بَنِي تَيْمٍ جَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمْ  
الْحُكْمَ وَالْعُدُولَ فَقَامَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرِ ثُمَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ لِقِرَائَتِهِ مِنَ الثُّعْمَانِ ثُمَّ  
بَسَطَ لَهُمْ بَنِي قَيْسٍ وَبَنِي شَيْبَانَ ثُمَّ حَاجِبُ بْنُ زِرَّارَةَ ثُمَّ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَخَطَبُوا وَتَرَدُّوا فَقَالَ  
كِسْرَى كُلُّهُمْ سَيِّدٌ يَصْلُحُ لِمَوْضِعِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْيُونَنَاتُ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْعَرَبِ  
بَعْدَ بَنِي هَاشِمٍ وَمَعَهُمْ يَنْتَسِبُ الْثُلَيْثَانِ مِنْ بَنِي الْحَرْثِ بْنِ كَعْبٍ الْيَسَعِيِّ وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّ الْأَزْبَةَ الْأَبَاءَ نَهَابَةً فِي الْحَسَبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السادس عشر

في ان الام الوحشية اقدر على التغلب من سواها

إِعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْبِدَاوَةُ سَبَبًا فِي الشَّجَاعَةِ كَمَا قُلْنَا فِي الْمُقَدِّمَةِ الثَّانِيَةِ لَا  
جَرَمَ كَانَ هَذَا الْجِيلُ الْوَحْشِيُّ أَشَدَّ شَجَاعَةً مِنَ الْجِيلِ الْآخِرِ فَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى التَّغْلِبِ  
وَأَتَرَاعَ مَا فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ . بَلِ الْجِيلُ الْوَاحِدُ يَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُ فِي ذَلِكَ  
بِاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ فَكُلُّمَا تَرَلُّوا الْأَزْيَافَ وَتَفَنَّقُوا النَّعِيمَ وَالْفُؤَادَ عَوَانِدَ الْخُصْبِ فِي  
الْمَعَاشِ وَالنَّعِيمِ نَقَصَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ بِمِقْدَارِ مَا نَقَصَ مِنْ تَوْحُّشِهِمْ وَبِدَاوَتِهِمْ وَأَعْتَبِ  
ذَلِكَ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْفُجَّارِ يَدُوَّاجِنَ الطَّبَائِخِ وَالْبَقَرِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْحُمُرِ إِذَا زَالَ تَوْحُّشُهَا  
بِمُخَاطَلَةِ الْأَدَمِيِّينَ وَأَخْصَبَ عَيْشُهَا كَيْفَ يَخْتَلِفُ حَالُهَا فِي الْإِنْتِهَاضِ وَالشَّدَّةِ حَتَّى فِي  
مِشْيَتِهَا وَحُسْنِ أَدِيمِهَا وَكَذَلِكَ الْأَدَمِيُّ الْمُتَوْحُّشُ إِذَا آتَى وَأَلْفَ وَسَبَبَهُ أَنْ تَكُونَ  
السَّجَايَا وَالطَّبَائِغُ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْمَأْلُوفَاتِ وَالْعَوَانِدِ وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ لِلْأُمَمِ إِنَّمَا يَكُونُ  
بِالْأَقْدَامِ . وَالْبَسَالَةُ فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْيَالِ أَعَزَّوَقَ فِي الْبِدَاوَةِ وَأَكْثَرَ تَوْحُّشًا  
كَانَ أَقْرَبَ إِلَى التَّغْلِبِ عَلَى سِوَاهِ إِذَا تَقَارَبَا فِي الْعُدَدِ وَتَكَافَا فِي الْقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ وَانْظُرْ  
فِي ذَلِكَ شَأْنَ مُضَرٍّ مَعَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ حَمِيدٍ وَكَمَلَانَ السَّاقِفِينَ إِلَى الْمَلِكِ وَالنَّعِيمِ وَمَعَ



رَبِيعَةَ الْمُتَوَطِّنِينَ أَرِيَاثَ الْعِرَاقِ وَنَعِيمَهُ لَمَّا بَقِيَ مُضَرٌّ فِي يَدَاوَتِهِمْ وَقَدَّمَهُمْ الْآخَرُونَ إِلَى خَضِبِ الْعَيْشِ وَغَضَارَةِ النَّعِيمِ كَيْفَ أَرْهَفَتِ الْيَدَاوَةُ حَذَمٌ فِي التَّغْلِبِ فَعَلِبُوهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَأَنْزَعُوهُمْ مِنْهُمْ وَهَذَا حَالُ بَنِي طِيٍّ وَبَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْمَةَ وَبَنِي سُلَيْمِ بْنِ مَنصُورٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لَمَّا تَأَخَّرُوا فِي بَادِيَتِهِمْ عَنْ سَائِرِ قَبَائِلِ مُضَرَ وَالْيَمَنِ وَلَمْ يَتَلَبَّسُوا بِشَيْءٍ مِنْ دِيَانِهِمْ كَيْفَ أَمْسَكَتْ حَالُ الْيَدَاوَةِ عَلَيْهِمْ قُوَّةَ عَصِيَّتِهِمْ وَلَمْ تَخْلُفْهَا مَذَاهِبُ التَّرَفِ حَتَّى صَارُوا أَغْلَبَ عَلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَكَذَا كُلُّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ يَلِي نَعِيمًا وَعَيْشًا خَصِيًّا دُونَ الْحَيِّ الْآخَرِ فَإِنَّ الْحَيَّ الْمُبْتَدِيَ يَكُونُ أَغْلَبَ لَهُ وَأَقْدَرُ عَلَيْهِ إِذَا تَكَافَأَا فِي الْقُوَّةِ وَالْعَدَدِ سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وَذَلِكَ لِأَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ بِهَا تَكُونُ الْحِمَايَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَكُلُّ أَمْرٍ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْأَدَمِيِّينَ بِالطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَجْتَاجُونَ فِي كُلِّ أَجْتِمَاعٍ إِلَى وَازِعٍ وَحَاكِمْ يَزَعُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ وَالْأَلَمْ تَرَى قُدْرَتَهُ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّغْلِبُ هُوَ الْمَلَكُ وَهُوَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الرَّئَاسَةِ لِأَنَّ الرَّئَاسَةَ إِنَّمَا هِيَ سُودْدٌ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمَلَكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمَلَكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُ الْعَصَبِيَّةِ إِذَا بَلَغَ إِلَى رُتْبَةِ طَلَبٍ مَا فَوْقَهَا فَإِذَا بَلَغَ رُتْبَةَ السُّودْدِ وَالْإِتْبَاعِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى التَّغْلِبِ وَالْقَهْرِ لَا يَتَرَكُهُ لِأَنَّهُ مَطْلُوبٌ لِلنَّفْسِ وَلَا يَتِمُّ اقْتِدَارُهَا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مُتَبَوِّعًا فَالتَّغْلِبُ الْمَلَكُ غَايَةُ الْعَصَبِيَّةِ كَمَا رَأَيْتُمْ إِنْ الْقَبِيلَ الْوَاحِدَ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ بَيُوتَاتٌ مُفَرِّقَةٌ وَعَصَبِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَلَا بُدَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ تَكُونُ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِهَا تَغْلِبُهَا وَتَسْتَبِيعُهَا وَتَأْتِمُ جَمِيعَ الْعَصَبِيَّاتِ فِيهَا وَتَصِيرُ كَأَنَّهَا عَصَبِيَّةٌ وَاحِدَةٌ كَثُرَى وَإِلَّا وَقَعَ الْإِفْتِرَاقُ الْمُنْفِصُ إِلَى الْإِخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ التَّغْلِبُ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ عَلَى قَوْمٍ طَلَبَتْ بِطَبْعِهَا التَّغْلِبَ عَلَى أَهْلِ عَصَبِيَّةٍ أُخْرَى بِعِيدَةٍ عَنْهَا فَإِنْ كَانَتْهَا أَوْ مَانَعَتْهَا كَانُوا أَقْنَالًا وَأَنْظَارًا وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا التَّغْلِبُ عَلَى حَوَازِنِهَا

وَقَوْمَهَا شَأْنَ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ الْمُعْتَرِفَةِ فِي الْعَالَمِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا وَاسْتَتَبَعَتْهَا أَلْتَحَمَتْ بِهَا أَيْضًا  
وَزَادَتْ قُوَّةً فِي الْغَلَبِ إِلَى قُوَّتِهَا وَطَلَبَتْ غَايَةَ مِنَ الْغَلَبِ وَالْتَّحَكُّمِ أَعْلَى مِنَ الْغَايَةِ  
الْأُولَى وَأَبْعَدَ وَمَكْنًا دَائِمًا حَتَّى تُكَافِيَ بِقُوَّتِهَا قُوَّةَ الدَّوْلَةِ فِي هَرَمِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا  
مُضَاعَفٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ أَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا وَانْتَزَعَتْ الْأَمْرَ مِنْ يَدِهَا وَصَارَ  
الْمَلِكُ أَجْمَعُ لَهَا وَإِنْ انْتَهَتْ قُوَّتُهَا وَلَمْ يُقَارَنْ ذَلِكَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا قَارَنَ حَاجَتَهَا  
إِلَى الْأَسْتَظْهَارِ بِأَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ أَنْتَظَمَتِهَا الدَّوْلَةُ فِي أَوْلِيَائِهَا تَسْتَظْهِرُ بِهَا عَلَى مَا بَيْنَ مَنْ  
مَقَاصِدِهَا وَذَلِكَ مَلِكٌ آخَرُ دُونَ الْمَلِكِ الْمُسْتَفِيدِ وَهُوَ كَمَا وَقَعَ لِلتُّرْكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي  
الْعَبَّاسِ وَإِسْتِجَاجُهُ وَزَنَانَتُهُ مَعَ كَرَامَةِ وَلِيِّيْ حَمْدَانَ مَعَ مُلُوكِ الشَّيْعَةِ مِنَ الْعُلُوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ  
فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ غَايَةُ الْعَصَبِيَّةِ وَأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ إِلَى غَايَتِهَا حَصَلَ لِلْقَبِيلَةِ الْمَلِكُ  
إِمَّا بِالْأَسْتِئْذَارِ أَوْ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَسَعُهُ الْوَقْتُ الْمُقَارَنُ لِذَلِكَ وَإِنْ عَاقَمَ  
عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ عَوَائِقُ كَمَا بُيِّنَهُ وَقَفَتْ فِي مَقَامِهَا إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ بِأَمْرِ

### الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانفاس القبيل في النعيم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا غَلَبَتْ بِعَصَبِيَّاتِهَا بَعْضَ الْغَلَبِ اسْتَوْلَتْ عَلَى النِّعْمَةِ بِمِقْدَارِهِ  
وَشَارَكَتْ أَهْلَ النِّعَمِ وَالْخِصْبِ فِي نِعْمَتِهِمْ وَخِصْبِهِمْ وَصَرَبَتْ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ بِسَهْمٍ وَحِصَّةٍ  
بِمِقْدَارِ غَلَبِهَا وَاسْتَظْهَارِ الدَّوْلَةِ بِهَا فَإِنْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ مِنَ الْقُوَّةِ يَحِثُّ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ  
فِي أَنْتِزَاعِ أَمْرِهَا وَلَا مُشَارَكَتِهَا فِيهِ أَدْعَى ذَلِكَ الْقَبِيلَ لَوْلَايَتِهَا وَالْقُبُوعِ بِمَا يَسُوعُونَ  
مِنْ نِعْمَتِهَا وَيُسْرِكُونَ فِيهِ مِنْ جِيَابِهَا وَلَمْ تَسْمُ أَمَالُهُمْ إِلَى مَنِيٍّ مِنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَلَا  
أَسْبَابِهِ إِنَّمَا هَمُّهُمْ النِّعَمُ وَالْكُسْبُ وَخِصْبُ الْعَيْشِ وَالشُّكُونُ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ إِلَى  
الدَّوَةِ وَالرَّاحَةِ وَالْأَخْذِ بِمَذَاهِبِ الْمَلِكِ فِي الْمَبَائِي وَالْمَلَابِسِ وَالْأَسْتِغْنَاءِ مِنْ ذَلِكَ  
وَالْمَتَانِقِ فِيهِ بِمِقْدَارِ مَا حَصَلَ مِنَ الرِّيَاشِ وَالتُّرْفِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ تَوَاجِعِ ذَلِكَ فَتَذْهَبُ  
خُشُوعَةُ الْبِدَاوَةِ وَتَضَعُ الْعَصَبِيَّةُ وَالْبَسَالَةُ وَتَتَنَعَّمُونَ فِيمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنَ الْبَسْطَةِ وَتَنْشَأُ  
بَنُوهُمْ وَأَعْقَابُهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ التُّرْفِ عَنْ خِدْمَةِ أَنْفُسِهِمْ وَوِلَايَةِ حَاجَاتِهِمْ  
وَيَسْتَنَكِفُونَ عَنْ سَائِرِ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ خُلُقًا لَهُمْ  
وَسَجِيَّةً فَتَنْقُصُ عَصَبِيَّتُهُمْ وَبَسَالَتُهُمْ فِي الْأَجْيَالِ بَعْدَهُمْ بِتَعَاقُهَا إِلَى أَنْ تَقْرِضَ الْعَصَبِيَّةُ

فَيَاذُنُونَ بِالْإِنْقِرَاضِ وَعَلَى قَدَرٍ تَرْفِهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ يَكُونُ إِشْرَافُهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ فَضْلًا عَنْ الْمُلْكِ فَإِنَّ عَوَارِضَ التَّرَفِ وَالْفَرْقِ فِي النِّعَمِ كَاسِرٌ مِنْ سَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ الَّتِي يَهِيَ التَّغْلِبُ وَإِذَا انْقَرَضَتِ الْعَصِيَّةُ فَصَرَ الْقَبِيلُ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَضْلًا عَنْ الْمَطْلَبَةِ وَالتَّعَمُّدِ الْأَمِّ سَوَامٌ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّرَفَ مِنْ عَوَائِي الْمُلْكِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل التاسع عشر

في ان من عوائق الملك المذلة للقبيل والانتقاد الى سوام  
وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَذَلَّةَ وَالْإِنْقِيَادَ كَاسِرَانِ لِسَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ وَشِدَّتِيهَا فَإِنَّ انْقِيَادَهُمْ  
وَمَذَلَّتَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى فِقْدَانِهَا فَمَا رَتَبُوا الْمَذَلَّةَ حَتَّى عَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ فَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ  
عَاجِزًا عَنِ الْمُقَاوَمَةِ وَالْمَطْلَبَةِ وَأَعْتَبَرِ ذَلِكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا دَعَاهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
إِلَى مَلِكِ الشَّامِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَهُمْ مُلْكُهَا كَيْفَ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ وَقَالُوا  
إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا أَيْ يَخْرُجُوا مِنْهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا  
يَضْرِبُ مِنْ قُدْرَتِهِ غَيْرَ عَصِيَّتَيْنَا وَتَكُونُ مِنْ هُجْرَتِكَ يَا مُوسَى وَلَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِمْ نَجْوَا  
وَأَرْسَلُوا الْعَصِيانَ وَقَالُوا لَهُ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا أَسُوا مِنَ  
أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعِجْزِ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ وَالْمَطْلَبَةِ كَمَا نَقَضِيهِ الْآيَةَ وَمَا يُؤْتَرُ فِي تَفْسِيرِهَا  
وَذَلِكَ بِمَا حَصَلَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِي الْإِنْقِيَادِ وَمَا رَتَبُوا مِنَ الدَّلِيلِ الْقَبْطِ أَحْقَابًا حَتَّى ذَهَبَتْ  
الْعَصِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا حَقَّ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَنَّ الشَّامَ  
لَهُمْ وَأَنَّ الْعِمَالِقَةَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَرْبَعِي فَرِسَتِهِمْ بِحُكْمِهِمْ مِنَ اللَّهِ قُدْرَهُ لَهُمْ فَأَقْصَرُوا  
عَنْ ذَلِكَ وَعَجَزُوا تَعْوِيلًا عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعِجْزِ عَنِ الْمَطْلَبَةِ لِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ  
خُلُقِي الْمَذَلَّةِ وَطَعَنُوا فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ قَمَا قَبَهُمُ اللَّهُ بِأَلَتِهِ  
وَهُوَ أَنَّهُمْ تَاهُوا فِي قَفْرِ مِنَ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَمِصْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَأْوُوا فِيهَا  
الْعُمَرَانُ وَلَا تَزَلُّوا مِصْرًا وَلَا خَالَطُوا بَشَرًا كَمَا قَصَّ الْقُرْآنُ لِمِنْظَةِ الْعِمَالِقَةِ بِالشَّامِ  
وَالْقَبْطِ بِمِصْرَ عَلَيْهِمُ الْعِجْزُ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ كَمَا زَعَمُوهُ وَبَطْنُهُمْ مِنْ مَسَاقِ الْآيَةِ وَمَقَرُّهُمْ  
أَنَّ حِكْمَةَ ذَلِكَ أَلَتِهِمْ مَقْصُودَةٌ وَهِيَ فَنَاءُ الْجِيلِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ قَصَصَةِ الدَّلِيلِ وَالْقَهْرِ  
وَالْقُوَّةِ وَتَحَقَّقُوا بِهِ وَأَسَدُوا مِنْ عَصِيَّتِهِمْ حَتَّى نَشَأَ فِي ذَلِكَ أَلَتِهِمْ جِيلٌ آخَرُ عَزِيزٌ لَا  
يَعْرِفُ الْأَحْكَامَ وَالْقَهْرَ وَلَا يُسَامُ بِالْمَذَلَّةِ فَنَشَأَتْ بِذَلِكَ عَصِيَّةٌ أُخْرَى أَقْدَرُوا بِهَا

عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَالْغَلْبِ وَيُظْهِرُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً أَقَلُّ مَا يَأْتِي فِيهَا فَنَاءُ  
 جِيلٍ وَنَشَأُ جِيلٍ آخَرَ سُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ وَفِي هَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى شَأْنِ الْعَصِيَّةِ  
 وَأَنَّهَا فِي آتِي تَكُونُ بِهَا الْمُدَافَعَةُ وَالْمُقَاوَمَةُ وَالْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَأَنَّ مِنْ قَدَمَاهَا عِزٌّ  
 عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُلْحَقُ بِهَذَا الْفَصْلُ فِيمَا يُوجِبُ الْمَدْلَةَ لِلْقَبِيلِ شَأْنُ الْمَغَارِمِ  
 وَالضَّرَائِبِ فَإِنَّ الْقَبِيلَ الْمَغَارِمِينَ مَا أُعْطُوا الْيَدَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى رَضُوا بِالْمَدْلَةِ فِيهِ لِأَنَّ  
 فِي الْمَغَارِمِ وَالضَّرَائِبِ ضِمًّا وَمَدْلَةً لَا تَحْتَمِلُهَا النَّفْسُ إِلَّا إِذَا اسْتَهْوَتْهُ عَنِ الْقَتْلِ  
 وَالنَّكَفِ وَأَنَّ عَمَائِيَّتَهُمْ حِينَئِذٍ ضَعِيفَةٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ وَمَنْ كَانَتْ عَصِيَّتُهُ لَا  
 تَدْفَعُ عَنْهُ الضَّمِّ فَكَيْفَ لَهُ بِالْمُقَاوَمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْإِقْبَادُ لِلذَّلِّ وَالْمَدْلَةُ  
 عَاقِبَةُ كَمَا قَدْ مَنَاهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنُ الْحَرْثِ لَمَّا رَأَى سِكَّةَ  
 الْحِجْرَاتِ فِي بَعْضِ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُمُ الذَّلُّ فَهُوَ دَلِيلٌ  
 صَرِيحٌ عَلَى أَنَّ الْمَغْرَمَ مُوجِبٌ لِلذَّلَّةِ هَذَا إِلَى مَا يَصْحُبُ ذُلَّ الْمَغَارِمِ مِنْ خُلُقِ الْمَكْرِ  
 وَالْخُدَيْعَةِ بِسَبَبِ مَلَكَهَ الْقَهْرُ فَإِذَا رَأَيْتَ الْقَبِيلَ بِالْمَغَارِمِ فِي رِبْقَةٍ مِنَ الذَّلِّ فَلَا  
 تَطْمَعَنَّ لَهَا بِمُلْكٍ آخَرَ الدَّهْرِ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلَطُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ  
 كَانُوا شَاوِيَةً يُودُونَ الْمَغَارِمَ لَمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ غَلَطٌ فَاحِشٌ كَمَا  
 رَأَيْتَ إِذْ لَوْ وَقَعَ ذَلِكَ لَمَّا اسْتَنْبَأَ لَهُمْ مُلْكٌ وَلَا نَمَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَانْظُرْ فِيمَا قَالَهُ شَهْرُ بَرَّازُ  
 مَلِكِ الْبَابِ لِعَبِيدِ الرَّحْمَنِ آتِينَ رَيْبَةً لَمَّا أَطْلَعَ عَلَيْهِ وَسْأَلَ شَهْرُ بَرَّازُ أَمَانَهُ عَلَى أَنْ  
 يَكُونُ لَهُ فَقَالَ أَنَا الْيَوْمَ مِنْكُمْ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ وَصَعْرِي مَعَكُمْ فَمَرْحَبًا بِكُمْ وَبَارَكَ  
 اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ وَجِزَيْنَا إِلَيْكُمْ النَّصْرَ لَكُمْ وَالْقِيَامَ بِمَا تُحِبُّونَ وَلَا تَدُلُّونَا بِالْجِزْيَةِ فَتَهْوِنَا  
 لِعَدُوِّكُمْ فَاعْتَبِرْ هَذَا فِيمَا قُلْنَا فَإِنَّهُ كَافٍ

### الفصل العشرون

في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لَمَّا كَانَ الْمُلْكُ طَبِيعِيًّا لِلْإِنْسَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ طَبِيعَةِ الْأَجْنَاعِ كَمَا قُلْنَا وَكَانَ  
 الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ إِلَى خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ بِأَصْلِ فِطْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ النَّاطِقَةِ الْعَاقِلَةِ  
 لِأَنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ الْقَوَى الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي فِيهِ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ فَهُوَ  
 إِلَى الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ أَقْرَبُ وَالْمُلْكُ وَالسِّيَاسَةُ إِنَّمَا كَانَا لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ لِأَنَّهُمَا

لِلْإِنْسَانِ خَاصَّةً لَا لِلْعِيَّانِ فَإِذَا خَلَّالُ الْخَيْرِ فِيهِ هِيَ الَّتِي تُنَاسِبُ السِّيَاسَةَ وَالْمُلْكَ إِذَا  
الْخَيْرُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاسَةِ وَقَدْ كَرَّرْنَا أَنَّ الْمَجْدَ لَهُ أَصْلٌ يُنْتَبِى عَلَيْهِ وَتَحَقُّقٌ بِهِ  
حَقِيقَتُهُ وَهُوَ الْعَصِيَّةُ وَالْعَشِيرُ وَقَرَعَ بِتَمِيمٍ وَجُودَهُ وَيُكْمِلُهُ وَهُوَ الْخَلَّالُ وَإِذَا كَانَ  
الْمُلْكُ غَايَةً لِلْعَصِيَّةِ فَهُوَ غَايَةُ لَفَرْوَعِيهَا وَمُشْعِمَاتِهَا وَهِيَ الْخَلَّالُ لِأَنَّ وَجُودَهُ دُونَ مُشْعِمَاتِهِ  
كَوَجُودِ مَخْصَصٍ مَقْطُوعِ الْأَعْضَاءِ أَوْ ظُهُورِهِ عُرْيَانًا بَيْنَ النَّاسِ وَإِذَا كَانَ وَجُودُ الْعَصِيَّةِ  
فَقَطٌّ مِنْ غَيْرِ انْتَحَالَ الْخَلَّالُ الْحَمِيدَةَ نَقَصًا فِي أَهْلِ الْيُبُوتِ وَالْأَحْسَابِ فَمَا ظَنُّكَ  
بِأَهْلِ الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ لِكُلِّ مَجْدٍ وَنَهَايَةُ لِكُلِّ حَسَبٍ وَأَيْضًا فَالسِّيَاسَةُ وَالْمُلْكُ  
هِيَ كِفَالَةُ اللَّفْلَقِ وَخِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ لِتَنْفِيذِ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ وَأَحْكَامُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ  
وَعِبَادِهِ إِنَّمَا هِيَ بِالْخَيْرِ وَمُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ كَمَا تَشْهَدُ بِهِ الشَّرَائِعُ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِ إِنَّمَا  
هِيَ مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّيْطَانِ بِخِلَافِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقُدْرِهِ فَإِنَّهُ فَاعِلٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا  
وَمُقَدَّرُهُمَا إِذْ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ الْكَفِيلَةُ بِالْقُدْرَةِ وَأَوْنِسَتْ مِنْهُ  
خِلَالَ الْخَيْرِ الْمُنَاسِبَةِ لِتَنْفِيذِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ لِلْخِلَافَةِ فِي الْعِبَادِ وَكَفَالَةِ  
الْخَلْقِ وَوُجِدَتْ فِيهِ الصَّلَاحَةُ لِذَلِكَ وَهَذَا الْبَرَهَانُ أَوْتَقَى مِنَ الْأَوَّلِ وَأَصَحُّ مِنْهُ فَقَدْ  
تَبَيَّنَ أَنَّ خِلَالَ الْخَيْرِ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِ الْمُلْكِ لِمَنْ وَجِدَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ فَإِذَا نَظَرْنَا فِي  
أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ التَّوْحِيهِ وَالْأَمْرِ فَوَجَدْنَاهُمْ  
يَتَنَاقَسُونَ فِي الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ مِنَ الْكُورِ وَالْعَفْوِ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْإِحْتِمَالِ مِنْ غَيْرِ الْقَادِرِ  
وَالْفَرَى لِلضُّيُوفِ وَحَمَلِ الْكُلِّ وَكَسْبِ الْمُعْدِمِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ  
وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي صَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَتَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ وَإِجْلَالِ الْعُلَمَاءِ الْحَامِلِينَ لَهَا  
وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا يَتَحَدَّدُونَ لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِهِمْ وَاعْتِقَادِ أَهْلِ الدِّينِ  
وَالْتَبَرُّكِ بِهِمْ وَرَغْبَةِ الدَّعَاءِ مِنْهُمْ وَالْحُبِّاءِ مِنَ الْأَكْبَرِ وَالْمَنَاجِيهِ وَتَوْقِيرِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ  
وَالْإِتِّبَادِ إِلَى الْحَقِّ مَعَ الدَّاعِي إِلَيْهِ وَإِنْصَافِ الْمُسْتَظْفِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالتَّبَدُّلِ فِي  
أَحْوَالِهِمْ وَالْإِقْفَادِ لِلْحَقِّ وَالتَّوَاضُّعِ لِلْمُسْكِينِ وَاسْتِجَاعِ شَكْوَى الْمُسْتَغِيثِينَ وَالتَّوَدُّعِ  
بِالشَّرَائِعِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا وَعَلَى أَسْبَابِهَا وَالتَّجَانُّفِ عَنِ الْفُتْرِ وَالْمَكْرِ وَالْخُدَيْعَةِ  
وَتَقْضِ الْعَهْدِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ خُلُقُ السِّيَاسَةِ قَدْ حَصَلَتْ لَدِينِهِمْ وَاسْتَحَقُّوا بِهَا  
أَنْ يَكُونُوا سَاسَةً لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ أَوْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَنَّهُ خَيْرٌ سَافَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ

مُنَاسِبٌ لِعَصِيَّتِهِمْ وَعَلَيْهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ سُدَى فِيهِمْ وَلَا وَجِدَ عَيْبًا مِنْهُمْ وَالْمَلِكُ أُنْسَبُ  
الْمَرَاتِبِ وَالْخَيْرَاتِ لِعَصِيَّتِهِمْ فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَأَذَّنَ لَهُمْ بِالْمَلِكِ وَسَاقَهُ إِلَيْهِمْ  
وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَأَذَّنَ اللَّهُ بِاتِّقَاضِ الْمَلِكِ مِنْ أُمَّةٍ حَمَلَهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ  
الْمَذْمُومَاتِ وَاتِّعَالِ الرِّذَائِلِ وَسُلُوكِ طُرُقِهَا فَتَفْقَدُ الْفَضَائِلُ السِّيَاسِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً وَلَا  
تَزَالُ فِي اتِّقَاصٍ إِلَى أَنْ يُخْرِجَ الْمَلِكُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُمْ لِيَكُونَ نَعِيًا  
عَلَيْهِمْ فِي سَلْبٍ مَا كَانَ اللَّهُ قَدْ آتَاهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَجَعَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَإِذَا  
أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرِيبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَاسْتَقَرَّتْ  
ذَلِكَ وَتَبَعَتْ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ تَحْدٌ كَثِيرًا مِمَّا فَلَنَاهُ وَرَسَمَاهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ خِلَالِ الْكِمَالِ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْقَبَائِلُ أُلُو الْعَصِيَّةِ وَتَكُونُ شَاهِدَةً  
لَهُمْ بِالْمَلِكِ إِكْرَامُ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلِ الْأَخْسَابِ وَأَصْنَافِ التِّجَارِ  
وَالْعُرَبَاءِ وَإِنْزَالُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِكْرَامَ الْقَبَائِلِ وَأَهْلِ الْعَصِيَّاتِ وَالْعَسَائِرِ  
يَمُنُّ بِنَاهِضُهُمْ فِي الشَّرَفِ وَيُعَازِيهِمْ حَبْلُ الْعَسِيرِ وَالْعَصِيَّةِ وَيُشَارِكُهُمْ فِي اتِّسَاعِ  
أَجْلَاهُ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ يَحْتَمِلُ عَلَيْهِ فِي الْأَكْثَرِ الرَّغْبَةَ فِي الْجَاهِ أَوْ الْخِفَافَةَ مِنْ قَوْمِ  
الْمُكْرَمِ أَوْ النَّاسِ مِثْلَهَا مِنْهُ وَأَمَّا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ عَصِيَّةٌ تُنْفَى وَلَا جَاهٌ  
يُرْتَجَى فَيَنْدَفِعُ الشُّكُّ فِي شَأْنِ كَرَامَتِهِمْ وَيَتَحَفُّضُ الْقَصْدُ فِيهِمْ أَنَّهُ لِلتَّجَدُّ وَاتِّعَالِ  
الْكِمَالِ فِي الْخِلَالِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى السِّيَاسَةِ بِالْكَلْبَةِ لِأَنَّ إِكْرَامَ أَقْبَالِهِ وَأَمْثَالِهِ  
ضَرُورِيٌّ فِي السِّيَاسَةِ اخْتِصَاصٌ بَيْنَ قَبِيلِهِ وَنُظَرَائِهِ وَإِكْرَامُ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْفَضَائِلِ  
وَالْخُصُوصِيَّاتِ كِمَالٌ فِي السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ فَالصَّالِحُونَ الَّذِينَ وَالْعُلَمَاءُ الْجَاهِدِيُّونَ إِلَيْهِمْ فِي  
إِقَامَةِ مَرَامِهِمُ الشَّرِيعَةِ وَالتَّجَارُ لِلتَّرْغِيبِ حَتَّى تَعِمَّ الْمَنْفَعَةُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالْعُرَبَاءُ مِنْ  
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَإِنْزَالُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْأَنْصَافِ وَهُوَ مِنَ الْعَدْلِ فِعْلٌ يَوْجُودُ  
ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ عَصِيَّتِهِمْ أَنْتِمَافَهُمُ السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَهِيَ الْمَلِكُ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَأَذَّنَ بِوُجُودِهَا  
فِيهِمْ لَوْجُودِ عِلَامَاتِهَا وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَا يَذْهَبُ مِنَ الْقَبِيلِ أَهْلُ الْمَلِكِ إِذَا تَأَذَّنَ اللَّهُ  
تَعَالَى بِسَلْبِ مُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ إِكْرَامُ هَذَا الصَّنَفِ مِنَ الْخَلْقِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ ذَهَبَ  
مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفَضَائِلَ قَدْ أَخَذَتْ فِي الزَّهَابِ عَنْهُمْ وَأَرْتَقَبَ زَوَالَ الْمَلِكِ  
مِنْهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومُ سِوَاهُ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع

وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْغَلَبِ وَالْإِسْتِدَادِ كَمَا قُلْنَا، وَاسْتِعْبَادِ الطَّوَائِفِ  
أَقْدَرْتِهِمْ عَلَى تَحَارِبِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ وَلَأَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ مِنَ الْأَهْلِينَ مَنْزِلَةَ الْمُفْتَرِسِ مِنَ  
الْحَيَوَانَاتِ النَّمِيمِ وَهَوَلَاءِ مِثْلُ الْعَرَبِ وَزَنَانَةَ وَمَنْ فِي مَعَنَاهُمْ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالْتَرَكْمَانِ  
وَأَهْلِ اللَّثَامِ مِنْ صَنَهَاجَةَ وَأَيْضًا هَوَلَاءِ الْمُتَوَحِّشُونَ لَيْسَ لَهُمْ وَطَنٌ يَرْتَافُونَ مِنْهُ وَلَا  
بَلَدٌ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فَنَسَبَةُ الْأَقْطَارِ وَالْمَوَاطِنِ إِلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ فَلِهَذَا لَا يَقْتَصِرُونَ عَلَى  
مَلَكَةٍ قُطْرٍ وَمَا جَاوَزَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَ حُدُودِ أَقِيمٍ بَلْ يَطْفُرُونَ إِلَى  
الْأَقَالِمِ الْبَعِيدَةِ وَيَتَغَابِرُونَ عَلَى الْأُمَمِ النَّائِبَةِ وَأَنْظُرْ مَا يُحْصِي فِي ذَلِكَ عَنْ عُمَرُ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بُويعَ وَقَامَ يُخْرِضُ النَّاسَ عَلَى الْعِرَاقِ فَقَالَ إِنْ الْحِجَازَ لَيْسَ لَكُمْ بِدَارٍ  
إِلَّا عَلَى الْجُعَةِ وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ إِلَّا بِذَلِكَ أَيْنَ الْقُرَاهُ الْمُهَاجِرُونَ عَنْ مَوْعِدِ اللَّهِ  
سَبَرُوا فِي الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَ كُمْ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ أَنْ يُورِثَكُمُوهَا فَقَالَ لِيُظْهِرَهُ عَلَى  
الْدَّرِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِحَالِ الْعَرَبِ السَّالِفَةِ مِنْ قَبْلُ مِثْلُ  
الْبَيَاعَةِ وَحَبْرٍ كَيْفَ كَانُوا يَخْطُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَرَّةً وَإِلَى الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ  
أُخْرَى وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِيَغْتَرِبَ مِنَ الْأُمَمِ وَكَذَلِكَ حَالُ الْمَلْعَمِينَ مِنَ الْمَغْرِبِ لَمَّا  
تَزَعُّوا إِلَى الْمَلِكِ طَفَرُوا مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَبَجَلَانَهُمْ مِنْهُ فِي جِوَارِ السُّودَانِ إِلَى  
الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ فِي مَمَالِكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ وَهَذَا شَأْنُ هَذِهِ الْأُمَمِ  
الْوَحْشِيَّةِ فَلِذَلِكَ تَكُونُ دَوْلَتُهُمْ أَوْسَعَ نِطَاقًا وَأَبْعَدَ مِنْ مَرَكَزِهَا نِهَايَةً وَاللَّهُ يَقْدَرُ  
الْقِيلَ وَالنَّهَارَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا شَرِيكَ لَهُ

## الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب آخر منها ما دامت لم العصبية

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ بَعْدَ سَوْدَةِ الْغَلَبِ وَالْإِذْعَانِ لَهُمْ مِنْ  
سَائِرِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ فَيَتَعَيَّنُ مِنْهُمْ الْمُبْشِرُونَ لِلْأَمْرِ الْحَامِلُونَ سَرِيرَةَ الْمَلِكِ وَلَا يَكُونُ

ذَلِكَ لِجَمِيعِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ الَّتِي يَصِيقُ عَنْهَا نِطَاقُ الْمَرْاحِمَةِ وَالْغَبَرَةِ الَّتِي  
تَجْدَعُ أَنْوْفَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَطَاوِلِينَ لِلرُّتْبَةِ فَإِذَا تَعَيَّنَ أُولَئِكَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ أَنْفَسُوا  
فِي النِّعَمِ وَغَرِقُوا فِي بَحْرِ التَّرَفِ وَالْخِصْبِ وَاسْتَعْبَدُوا إِخْوَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجِيلِ وَأَتَقَوْهُمْ  
فِي وُجُوهِ الدَّوْلَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَبَقِيَ الَّذِينَ بَعْدُوا عَنِ الْأَمْرِ وَكَبَحُوا عَنِ الْمَشَارَكَةِ فِي ظِلِّ  
مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ الَّتِي شَارَكُوهَا بِسَبَبِهِمْ وَبِعَيْتِجَاهِ مِنَ الْهَرَمِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ  
فَإِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَوَّلِينَ الْأَيَّامُ وَأَبَادَ غَضَرَاءُ هُمُ الْهَرَمِ فَطَجَّتْهُمْ الدَّوْلَةُ وَأَكَلَ الدَّهْرُ  
عَلَيْهِمْ وَشَرَبَ بِمَا أَرَهَقَ النَّعِيمُ مِنْ حُلْمِهِمْ وَاسْتَقَتْ غَرِيزَةُ التَّرَفِ مِنْ مَائِهِمْ وَبَلَّغُوا  
غَايَتَهُمْ مِنْ طَبِيعَةِ التَّمَدُّنِ الْإِنْسَانِيِّ وَالتَّغْلِبِ السِّيَاسِيِّ (شعر)

كَدَوْدٍ الْقَرْ بِنَسِجٍ ثُمَّ يَفْنَى بِعِزِّ كَرِّ نَسِجِهِ فِي الْإِنْعِكَاسِ

كَانَتْ حِينَئِذٍ عَصِيَّةُ الْآخَرِينَ مَوْفُورَةً وَسُورَةُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَاسِرِ مُحْفُوظَةً وَشَارَهُمْ  
فِي الْقَلْبِ مَعْلُومَةٌ فَتَنَسَّوْا آمَالَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي كَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ الْغَالِبَةِ مِنْ  
جَنَسِ عَصِيَّتِهِمْ وَتَرَفُّعِ الْمَنَازَعَةِ لِمَا عَرِفَ مِنْ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَوْلُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَيَصِيرُ  
الْيَهُمُ وَكَذَا يَتَفَقَّ فِيهِمْ مَعَ مَنْ بَقِيَ أَيْضًا مُتَبَدِّلًا عَنْهُ مِنْ عَشَائِرِ أُمَمِهِمْ فَلَا يَزَالُ الْمَلِكُ  
مُتَلَبِّغًا فِي الْأُمَمَةِ إِلَى أَنْ تَتَكَسَّرَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ مِنْهَا أَوْ يَفْنَى سَائِرُ عَشَائِرِهَا سَنَةً اللَّهُ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ وَاعْتَرِزَ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الْقَرْبِ لِمَا أَنْقَرَضَ  
مُلْكُ عَادٍ قَامَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ تَمُودَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ الْعَمَالِقَةُ وَمِنْ  
بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ حَمِيرَ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ التَّبَاعَةُ مِنْ حَمِيرَ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ  
الْأَذْوَاهُ كَذَلِكَ ثُمَّ جَاءَتِ الدَّوْلَةُ لِمُضَرَ وَكَذَا الْقُرْسُ لِمَا أَنْقَرَضَ أَمْرَ الْكُفَيْيَةِ مَلِكُ  
مِنْ بَعْدِهِمْ السَّاسَانِيَّةُ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهِمْ أَجْمَعُ بِالْإِسْلَامِ وَكَذَا الْيُونَانِيُّونَ  
أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَانْتَقَلَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَكَذَا الْبَرْبَرُ بِالْمَغْرِبِ لِمَا أَنْقَرَضَ  
أَمْرُ مِغْرَاوَةَ وَكُنَامَةَ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَى صَنْهَاجَةَ ثُمَّ الْمَلِكِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ  
مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعُوبِ زَنَاطَةَ وَهَكَذَا سَنَةُ اللَّهُ فِي عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ إِنَّمَا  
يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْأَجْيَالِ وَالْمُلُوكِ يُخْلَفُهُ التَّرَفُ وَبُذْهَبُهُ كَمَا سَنَدَّ كُرُهُ  
بَعْدَ إِذَا أَنْقَرَضَتْ دَوْلَةٌ فَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرُ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ عَصِيَّةٌ مُشَارِكَةٌ لِعَصِيَّتِهِمْ  
الَّتِي عَرِفَ لَهَا التَّسْلِيمُ وَالْإِتْقَادُ وَأَوْنِسَ مِنْهَا الْقَلْبُ لِجَمِيعِ الْعَصِيَّاتِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يُوْجَدُ



فِي السَّبِّ الْقَرِيبِ مِنْهُمْ لِأَن تَقَاوَتْ الْعَصِيَّةُ بِحَسَبِ مَا قَرُبَ مِنْ ذَلِكَ السَّبِّ الَّتِي فِي  
فِيهِ أَوْ بَعْدَ حَتَّى إِذَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ تَبْدِيلٌ كَبِيرٌ مِنْ تَحْوِيلِ مِلَّةٍ أَوْ ذَهَابِ عُمْرَانٍ أَوْ مَا  
شَاءَ اللَّهُ مِنْ قُدْرَتِهِ فَيُخَيِّدُ بِخُرُوجِ عَنْ ذَلِكَ الْحَيْلِ إِلَى الْحَيْلِ الَّذِي يَأْذُنُ اللَّهُ بِقِيَامِهِ  
بِذَلِكَ التَّبْدِيلِ كَمَا وَقَعَ لِمُضَرَّ حِينَ غَلَبُوا عَلَى الْأَمَمِ وَالْأَوَّلِ وَأَخَذُوا الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي  
أَهْلِ الْعَالَمِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَكْبُوحِينَ عَنْهُ أَحْقَابًا

### الفصل الثالث والعشرون

في ان المغلوب مولع ابداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه

ونخلته وسائر احواله وعوائده

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَمْتَقِدُ الْكَمَالَ فِي مَنْ غَلَبَهَا وَاتَّقَدَّتْ إِلَيْهِ إِمَّا  
لِنَظَرِهِ بِالْكَمَالِ بِمَا وَفَّرَ عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ مِنْ أَنَّ اقْتِيَادَهَا لَيْسَ لِقَلْبٍ  
طَبِيعِيٍّ إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْغَالِبِ فَإِذَا غَالِطَتْ بِذَلِكَ وَاتَّصَلَ لَهَا اعْتِقَادًا فَأَتَتْهُ جَمِيعُ  
مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْاِقْتِيَادُ أَوْ لِمَا تَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَنَّ غَلَبَ  
الْغَالِبُ لَهَا لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةَ بِأَسٍ وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا اتَّخَذَتْهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ  
تُغَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنِ الْقَلْبِ وَهَذَا رَاجِعٌ لِلْأَوَّلِ وَلِلَّذِي تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا  
بِالْغَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اقْتِيَادِهَا وَأَشْكَالِهَا بَلْ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ وَانْظُرْ  
ذَلِكَ فِي الْاِبْتِنَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ كَيْفَ يُجِدُّهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِاعْتِقَادِهِمْ  
الْكَمَالَ فِيهِمْ وَانْظُرْ إِلَى كُلِّ فُطْرٍ مِنَ الْأَفْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ زِيَّ الْحَاطِيَةِ  
وَيُجِنْدُ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّهُمْ الْغَالِبُونَ لَهُمْ حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ تَجَاوِرُ أُخْرَى  
وَلَهَا الْقَلْبُ عَلَيْهَا فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشَبُّهِ وَالْاِقْتِيَادِ حَظٌّ كَبِيرٌ كَمَا هُوَ فِي الْأَنْدَلُسِ  
لِهَذَا الْعَهْدِ مَعَ أُمِّ الْجَلَالَةِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ وَالْكَثِيرِ  
مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ حَتَّى فِي رَسْمِ التَّمَاثِيلِ فِي الْجُدُرَانِ وَالْمَصَانِعِ وَالْبُيُوتِ حَتَّى لَقَدْ  
يَسْتَشْعِرُ مِنْ ذَلِكَ النَّاطِرُ بَعِينَ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْتِيلَاءِ وَالْأَمْرِ لِلَّهِ وَتَأْمَلْ  
فِي هَذَا مِرْقُوعِهِمُ الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ إِذَا الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَعَتَّ بِدِينِهِ  
وَالرَّعِيَّةُ مُتَقَدِّدُونَ بِهِ لِاعْتِقَادِ الْكَمَالِ فِيهِ اعْتِقَادَ الْاِبْتِنَاءِ بِآبَائِهِمْ وَالْمُتَعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِيهِمْ  
وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع والعشرون

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها امرع اليها الفناء

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفُوسِ مِنَ التَّكَاسُلِ إِذَا مَلَكَتْ رُوحَهَا عَلَيْهَا  
وَصَارَتْ بِإِلَاسْتِعْبَادِ آلَةٍ لِسَوَاهَا وَعَالَةً عَلَيْهِمْ فَيَقْصُرُ الْأَمَلُ وَيَضَعُفُ التَّنَاسُلُ وَالْإِعْتِمَادُ  
إِنَّمَا هُوَ عَنْ جِدَةِ الْأَمَلِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ النَّشَاطِ فِي الْقُوَى الْحَيَوَانِيَةِ فَإِذَا ذَهَبَ الْأَمَلُ  
بِالتَّكَاسُلِ وَذَهَبَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَكَانَتْ الْعَصَبِيَّةُ ذَاهِبَةً بِالْغَلَبِ الْحَاصِلِ  
عَلَيْهِمْ تَنَاقَصَ عُمرَانَهُمْ وَتَلَاسَّتْ مَكَاسِبُهُمْ وَمَسَاعِيهِمْ وَعَجِزُوا عَنْ الْمُدَافَعَةِ عَنْ  
أَنْفُسِهِمْ بِمَا خَصَّدَ الْغَلَبُ مِنْ شَوْكَتِهِمْ فَأَصْبَحُوا مُغْلِبِينَ لِكُلِّ مُغْلَبٍ وَطَعْمَةٍ لِكُلِّ  
أَكَلٍ وَسَوَاءٌ كَانُوا حَاصِلًا عَلَى غَايَتِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَمْ لَمْ يَحْصُلُوا. وَفِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمِثْرٍ آخَرَ  
وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ رَيْسٌ يَطْبَعُهُ بِمُقْتَضَى الْإِسْتِغْلَافِ الَّذِي خَلَقَ لَهُ وَالرَّيْسُ إِذَا غَلِبَ عَلَى  
رِئَاسَتِهِ وَكَبِيعَ عَنْ غَايَةِ عِزِّهِ تَكَاسَلَ حَتَّى عَنْ شَبَعٍ بَطْنِهِ وَرِيٍّ كَبِيدِهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي  
أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَةِ. وَلَقَدْ يُقَالُ مِثْلُهُ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرَسَةِ وَإِنَّمَا لَا تَسَافِدُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ  
فِي مَلَكَةِ الْأَدَمِيِّينَ فَلَا يَزَالُ هَذَا الْقَبِيلُ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فِي تَنَاقُصٍ وَاضْمِحْلَالٍ  
إِلَى أَنْ يَأْخُذَهُمُ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أُمَّةِ الْفَرَسِ كَيْفَ كَانَتْ قَدَمَاتُ  
الْعَالَمِ كَثْرَةً وَلَمَّا فَنِيَتْ حَامِيَتُهُمْ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ بَقِيَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ  
يُقَالُ إِنَّ سَعْدًا أَخَصَى مَا وَرَاءَ الْمَدَائِنِ فَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْهُمْ  
سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا رَبُّ بَيْتٍ وَلَمَّا تَحَصَّلُوا فِي مَلَكَةِ الْعَرَبِ وَقَبْضَةِ الْقَهْرِ لَمْ يَكُنْ  
بِقَاوُؤُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَدَرُّوا كَأَن لَمْ يَكُونُوا وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَطْلَمٌ نَزَلَ بِهِمْ أَوْ عُدْوَانٌ  
شَمَلَهُمْ فَلَمَكَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْعَدْلِ مَا عَلِمَتْ وَإِنَّمَا هِيَ طَبِيعَةٌ فِي الْإِنْسَانِ إِذَا غَلَبَ  
عَلَى أَمْرِهِ وَصَارَ آلَةً لِقَوِيهِ وَلَوْلَا إِنَّمَا نُدْعِي الرِّقَاقَ فِي الْغَالِبِ أُمَّةُ السُّودَانِ لِنَقْصِ  
الْإِنْسَانِيَةِ فِيهِمْ وَقَوِيهِمْ مِنْ عَرْضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمِ كَمَا فَلَنَاهُ أَوْ مِنْ بَرَجُو بِاتِّظَافِهِ  
فِي رِبْقَةِ الرِّقَاقِ حُصُولَ رُبَّةٍ أَوْ فَادَةٍ مَالٍ أَوْ عِزٍّ كَمَا يَقَعُ لِمَالِكِ الثَّرَكِ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْمُلُوجِ مِنَ الْجَلَاظَةِ وَالْإِفْرَنْجَةِ فَإِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةً بِاسْتِخْلَاصِ الدَّوْلَةِ لَوْسٍ فَلَا يَأْتُونَ  
مِنَ الرِّقَاقِ لِمَا يَأْمُلُونَهُ مِنَ الْجَاهِ وَالرُّبِّيَّةِ بِاصْطِفَاءِ الدَّوْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ  
وَبِهِ التَّوْبِقُ

## الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِطَبِيعَةِ التَّوَحُّشِ الَّذِي فِيهِمْ أَهْلُ أَتْنَهَابٍ وَعَيْثُ يَنْتَهَبُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ مَغَالِةٍ وَلَا رُكُوبِ خَطَرٍ وَيَقْرُونَ إِلَى مُتَجَعِّعِهِمْ بِالْقَمَرِ وَلَا يَنْتَهَبُونَ إِلَى الْمَرْاحَةِ وَالْحِمَارَةِ إِلَّا إِذَا دَعَوْا بِذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَكُلُّ مَعْقِلٍ أَوْ مُسْتَصْعَبٍ عَلَيْهِمْ فَهُمْ تَارِكُوهُ إِلَى مَا يَسْتَهْلُ عَنْهُ وَلَا يَعْزُضُونَ لَهُ وَالْقَبَائِلُ الْمُتَمَتِّعَةُ عَلَيْهِمْ بِأَوْعَارِ الْجِبَالِ بِمَنْجَاةٍ مِنْ عَيْثِهِمْ وَفَسَادِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَسَمَّوْنَ إِلَيْهِمْ الْهَضَابَ وَلَا يَرْكَبُونَ الصَّعَابَ وَلَا يُحَاوِلُونَ الْخَطَرَ وَأَمَّا الْبَسَائِطُ فَتَمْتَلِكُ أَقْدَرُوا عَلَيْهَا بِفَقْدَانِ الْحَامِيَةِ وَضَعْفِ الدَّوَلَةِ فِيهِ نَهَبٌ لَهُمْ وَطَعْمَةٌ لَا يَكْلِمُهُمْ يَرُدُّونَ عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالنَّهْبَ وَالزَّخْفَ لِسُوءِهَا عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ أَهْلُهَا مُغْلِبِينَ لَهُمْ ثُمَّ يَتَعَاوَرُونَهُمْ بِاخْتِلَافِ الْأَيْدِي وَانْحِرَافِ السِّيَاسَةِ إِلَى أَنْ يَنْقَرِضَ عُمَرَانُهُمْ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

## الفصل السادس والعشرون

في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الحراب

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَحْشِيَّةٌ بِاسْتِحْكَامِ عَوَائِدِ التَّوَحُّشِ وَأَسْبَابِهِ فِيهِمْ قَصَارٌ لَهُمْ خُلُقًا وَحِيلَةٌ وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَلْدُودًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ رِبْقَةِ الْحُكْمِ وَعَدَمِ الْأَنْتِقَادِ لِلْسِّيَاسَةِ وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ مُنَافِيَةٌ لِلْعُمَرَانِ وَمُنَافِضَةٌ لَهُ فَنَاقِيَةُ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَةِ كُلِّهَا عِنْدَهُمُ الرِّحْلَةُ وَالْتِغَالِبُ وَذَلِكَ مُنَافِضٌ لِلسُّكُونِ الَّذِي بِهِ الْعُمَرَانُ وَمُنَافٍ لَهُ فَالْحِجْرُ مَثَلًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِنَصْبِهِ أَتَانِي الْقَدِيرُ فَيَنْقُلُونَهُ مِنَ الْمَبَانِي وَيَخْرُبُونَهَا عَلَيْهِ وَيَعْدُونَهُ لِلنَّكْلِ وَالْخُسْبِ أَيْضًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِيَعْمُرُوا بِهِ خِيَامَهُمْ وَيَتَخَذُوا الْأَوْتَادَ مِنْهُ لِيُؤَيِّسَهُمْ فَيَخْرَبُونَ السَّقْفَ عَلَيْهِ لِلذَّكَاءِ قَصَارَتِ طَبِيعُهُ وَجُرْدِمِ مُنَافِيَةِ الْبِنَاءِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعُمَرَانِ هَذَا فِي حَالِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَيْضًا فَطَبِيعَتُهُمْ أَتْنَهَابٌ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَنْتَ رَزَقَهُمْ فِي ظِلَالِ رِمَاحِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي اخْتِدَادِ أَمْوَالِ النَّاسِ حِدٌّ يَنْتَهَبُونَ إِلَيْهِ بَلْ كَلَّمَ أَمْتًا أَعْيُنُهُمْ إِلَى مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ أَوْ مَاعُونٍ أَتْنَهَبُوهُ فَإِذَا تَمَّ أَقْدَانُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالْتِغَالِبِ وَالْمَلِكِ بَطَلَتْ السِّيَاسَةُ فِي حِفْظِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَخَرِبَ الْعُمَرَانُ وَأَيْضًا فَلَا نَهْجَ

يُكَلِّفُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْخَرْفِ أَعْمَالَهُمْ لَا يَرَوْنَ لَهَا قِيمَةً وَلَا  
فِئْطًا مِنَ الْأَجْرِ وَالْثَمَنِ وَالْأَعْمَالُ كَمَا سَنَذْكُرُهُ هِيَ أَصْلُ الْمَكَّاسِبِ وَحَقِيقَتُهَا  
وَإِذَا فَسَدَتِ الْأَعْمَالُ وَصَارَتْ نَجَسًا ضَعُفَتِ الْأَمَالُ فِي الْمَكَّاسِبِ وَانْقَبَضَتِ الْأَيْدِي  
عَنِ الْعَمَلِ وَابْتَدَعَ السَّاكِنُ وَفَسَدَ الْعُمَرَانُ وَأَيْضًا فَإِنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ عَنَابَةٌ بِالْأَحْكَامِ  
وَزَجَرَ النَّاسِ عَنِ الْمَقَاسِدِ وَدَفَاعَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ إِنَّمَا هُمْ مِمَّنْ مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ  
أَمْوَالِ النَّاسِ نَهَبًا أَوْ غَرَامَةً فَإِذَا تَوَصَّلُوا إِلَى ذَلِكَ وَحَبَلُوا عَلَيْهِ أَعْرَضُوا عَمَّا بَعْدَهُ  
مِنْ تَسْدِيدِ أَحْوَالِهِمْ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَفَهَرِ بَعْضِهِمْ عَنْ أَغْرَاضِ الْمَقَاسِدِ وَرُبَّمَا  
فَرَضُوا الْعُقُوبَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْفَائِدَةِ وَالْجِبَابَةِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا  
كَمَا هُوَ شَأْنُهُمْ وَذَلِكَ لَيْسَ بِمُعْنٍ فِي دَفْعِ الْمَقَاسِدِ وَزَجَرَ الْمُتَعَرِّضِ لَهَا بَلْ يَكُونُ  
ذَلِكَ زَائِدًا فِيهَا لِاسْتِنْهَالِ الْغَرَمِ فِي جَانِبِ حُصُولِ الْغَرَضِ فَتَبْقَى الرِّعَايَا فِي مَلَكَّتِهِمْ  
كَأَنَّهَا قَوْضَى <sup>(١)</sup> دُونَ حُكْمٍ وَالْقَوْضَى مَهْلِكَةُ النَّبَشِ مُفْسِدَةٌ لِلْعُمَرَانِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ  
أَنْ وُجُودَ الْمَلِكِ خَاصَّةً طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ لَا يَسْتَقِيمُ وَوُجُودُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ إِلَّا بِهَا  
وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْفَصْلِ وَأَيْضًا لَهُمْ مُتَنَافِسُونَ فِي الرِّئَاسَةِ وَقُلَّ أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
الْأَمْرَ لِغَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ أَوْ كَبِيرَ عَشِيرَتِهِ إِلَّا فِي الْأَقَلِّ وَعَلَى كَرَاهِيَّةٍ مِنْ  
أَجْلِ الْحَيَاءِ فَيَتَعَدَّدُ الْحُكْمُ مِنْهُمْ وَالْأُمُورُ وَتُخْتَلَفُ الْأَيْدِي عَلَى الرِّعَايَةِ فِي الْجِبَابَةِ  
وَالْأَحْكَامِ فَيَفْسُدُ الْعُمَرَانُ وَيَنْتَقِضُ قَالِ الْأَعْرَابِيُّ الْوَاثِقُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا  
سَأَلَهُ عَنِ الْحُجَّاجِ وَأَرَادَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالْعُمَرَانِ فَقَالَ تَرَكْتَهُ يَظْلِمُ  
وَحَدَهُ وَانْظُرْ إِلَى مَا مَلَكَوهُ وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْطَانِ مِنْ لَدُنْ الْحَقِيقَةِ كَيْفَ تَقْوُضَ  
عُمَرَانُهُ وَافْقَرِ سَاكِنُهُ وَبَدَلْتَ الْأَرْضَ فِيهِ غَيْرَ الْأَرْضِ فَالْيَمِينَ قَرَارَهُمْ خَرَابٌ إِلَّا  
قَلِيلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَعِرَاقِ الْعَرَبِ كَذَلِكَ قَدْ خَرَبَ عُمَرَانُهُ الَّذِي كَانَ لِلْفُرْسِ أَجْمَعَ  
وَالشَّامُ لِهَذَا الْعَهْدِ كَذَلِكَ وَأَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ لَمَّا جَازَ إِلَيْهَا بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ مِنْذُ  
أَوَّلِ أَلْفَانَةِ الْخَمْسَةِ وَتَمَرَّسُوا بِهَا لِثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنَ السِّنِينَ قَدْ لَحِقَ بِهَا وَعَادَتْ  
بَسَاطَتُهَا خَرَابًا كُلُّهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانِ وَالْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ كُلِّهِ عُمَرَانًا تَشْهَدُ  
بِذَلِكَ آثَارُ الْعُمَرَانِ فِيهِ مِنَ الْعَمَالِمِ وَتَمَائِيلِ الْبِنَاءِ وَشَوَاهِدِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ وَاللَّهِ

## الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصفة دينية من نبوة او ولاية

او اثر عظيم من الدين على الجملة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ خُلِقُوا التَّوْحُشَ الَّذِي فِيهِمْ أَصْعَبُ الْأُمَمِ اتِّقِيادًا بَعْضُهُمْ  
لِبَعْضٍ لِلْفَلْظَةِ وَالْأَنَفَةِ وَبُعْدِ الْهَيْمَةِ وَالْمَنَافَةِ فِي الرَّتَابَةِ فَقَلَّمَا يَجْتَمِعُ أَهْوَاؤُهُمْ فَإِذَا  
كَانَ الَّذِينَ بَالِئُوهُ أَوْ الْوَلَايَةِ كَانَ الْوَارِثُ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَذَهَبَ خُلُقُ الْكَبِيرِ  
وَالْمَنَافَةِ مِنْهُمْ فَسَهْلَ اتِّقِيادُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ وَذَلِكَ بِمَا يَسْمَلُهُمْ مِنَ الدِّينِ الْمَذْهَبِ  
لِلْفَلْظَةِ وَالْأَنَفَةِ الْوَارِثُ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّنَافُسِ فَإِذَا كَانَ فِيهِمُ النَّبِيُّ أَوْ الْوَلِيُّ الَّذِي  
يَعْتَمِدُ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَذْهَبُ عَنْهُمْ مَذْمُومَاتُ الْأَخْلَاقِ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَحْمُودِهَا  
وَيُؤَلِّفُ كُلَّ مَتْنِهِمْ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ تَمَّ اجْتِمَاعُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمُ التَّقَلُّبُ وَالْمَلَكُ وَهُمْ مَعَ  
ذَلِكَ أَسْرَعُ النَّاسِ قَبُولًا لِلْحَقِّ وَالْهُدَى لِسَلَامَةِ طِبَاعِهِمْ مِنْ عَوَجِ الْفَلَكَاتِ وَبَرَاءَتِهَا  
مِنْ دَمِيمِ الْأَخْلَاقِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خُلُقِ التَّوْحُشِ الْقَرِيبِ الْمَعَانَاةِ الْمُنْعِيَةِ الْقَبُولِ  
الْخَيْرِ بِبَقَائِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَبُعْدِهِ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النَّفُوسِ مِنْ قَبِيحِ الْعَوَائِدِ  
وَسُوءِ الْمَلَكَاتِ فَإِنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ

## الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ بِدَاوَةٍ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا فِي الْفَقْرِ  
وَأَعْنَى عَنْ حَاجَاتِ الثَّلُولِ وَجُوبِهَا لِاعْتِيَادِهِمُ الشُّطْفَ وَخُشُونَةَ الْعَيْشِ فَاسْتَغْنَوْا عَنْ  
غَيْرِهِمْ فَصَعِبَ اتِّقِيَادُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لِإِبْلَافِهِمْ ذَلِكَ وَلِلتَّوْحُشِ وَرَبِّسُهُمْ مُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ  
عَالِبًا لِلْعَصِيَةِ الَّتِي بِهَا الْمُدَافَعَةُ فَكَانَ مُضْطَرًّا إِلَى إِحْسَانِ مَلَكَتِهِمْ وَتَرْكِ مُرَاعَمَتِهِمْ  
لِمَا لَا يَخْتَلُ عَلَيْهِ شَأْنُ عَصِيَّتِهِ فَيَكُونُ فِيهَا هَلَاكُهُمْ هَلَاكًا كَمَا وَهَلَاكُهُمْ وَسِيَّاسَةُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ  
تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ السَّائِسُ وَارِثًا بِالْقَهْرِ وَالْإِلَافَةِ تَسْتَقِيمُ سِيَاسَتُهُ وَأَيْضًا فَإِنَّ مِنَ  
طَبِيعَتِهِمْ كَمَا قَدَّمَاهُ أَخَذَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ خَاصَّةً وَالنَّجَافِي عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنْ

الْأَحْكَامَ يَنْهَمُ وَدَفَاعَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فَإِذَا مَلَكَوا أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ جَعَلُوا  
 غَايَةَ مُلْكِهِمُ الْإِتِّتَاعَ بِأَخْذِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَتَرْكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ يَنْهَمُ  
 وَرُبَّمَا جَعَلُوا الْقَوَابِلَ عَلَى الْمَفَاسِدِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَكْثِيرِ الْحَيَايَاتِ وَتَحْصِيلِ  
 الْفَوَائِدِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ وَازِعًا وَرُبَّمَا يَكُونُ بَاعِنًا بِحَسْبِ الْأَعْرَاضِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْمَفَاسِدِ  
 وَاسْتِهَانَةً مَا يُعْطِي مِنْ مَالِهِ فِي جَانِبِ غَرَضِهِ فَتَنْمُو الْمَفَاسِدُ بِذَلِكَ وَيَقَعُ تَغْرِيبُ  
 الْعُمَرَاءِ فَتَبْقَى تِلْكَ الْأُمَّةُ كَأَنَّهَا قُوَّةٌ مُسْتَطِيلَةٌ أَيْدِي بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَلَا يَسْتَقِيمُ  
 لَهَا عُمُرَانُ وَتَغْرِبُ سَرِيعًا شَأْنُ الْقُوَّةِ كَمَا قَدَّمَاهُ فَبَعْدَتْ طِبَاعُ الْعَرَبِ لِذَلِكَ كُلِّهِ  
 عَنْ سِيَاسَةِ الْمُلْكِ وَإِنَّمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ انْقِلَابِ طِبَاعِهِمْ وَتَبَدُّلِهَا بِصِغَرِ دِينِهِ  
 تَمْحُوزًا مِنْهُمْ وَتَجْعَلُ الْوَارِعَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَتَحْمِلُهُمْ عَلَى دَفَاعِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ  
 عَنْ بَعْضٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِدَوَلَّتِهِمْ فِي الْعِلْمَةِ لَمَّا شَهِدَ لَهُمُ الدِّينُ أَمْرًا  
 السِّيَاسَةَ بِالشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا الْمُرَاعَاةَ لِإِمْصَالِحِ الْعُمَرَاءِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتَتَابَعَ فِيهَا  
 الْخُلَفَاءُ عَظَمَ حِينَئِذٍ مُلْكُهُمْ وَقَوِيَ سُلْطَانُهُمْ كَانَ رُؤُسُهُمْ إِذَا رَأَى الْمُسْلِمِينَ  
 يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُ أَكَلَ عُمْرُ كَيْدِي يُعَلِّمُ الْكِلَابَ الْأَدَابَ ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ  
 انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ عَنِ الدَّوْلَةِ أَجْيَالٌ نَبَذُوا الدِّينَ فَتَسُوا السِّيَاسَةَ وَرَجَعُوا إِلَى قَفَرِهِمْ وَجَهْلِهِمَا  
 شَأْنُ عَصِيَّتِهِمْ مَعَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ يُعْغِيهِمْ عَنِ الْإِتِّقَادِ وَإِعْطَاءِ النِّصْفَةِ فَتَوْحُّشُوا كَمَا  
 كَانُوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ الْخُلَفَاءِ وَمِنْ حِيلِهِمْ وَلَمَّا ذَهَبَ  
 أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَأَنْجَحِي رُسْمُهَا انْقَطَعَ الْأَمْرُ جُمْلَةً مِنْ أَيْدِيهِمْ وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الْعَجَمُ دُونَهُمْ  
 وَأَقَامُوا فِي بَادِيَةِ قَفَارِهِمْ لَا يَبْرِفُونَ الْمُلْكَ وَلَا سِيَاسَتَهُ بَلْ قَدْ يَجْهَلُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ  
 قَدْ كَانُوا لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْقَدِيمِ وَمَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ فِي الْخَلِيفَةِ مَا كَانَ  
 لِأَجْيَالِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ وَدَوْلٍ عَادٍ وَتَمُودٍ وَالْعَالِقَةِ وَحَمِيرٍ وَالتَّبَاعَةِ شَاهِدُهُ ذَلِكَ ثُمَّ  
 دَوْلَةُ مُضَرَ فِي الْإِسْلَامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ لَكِنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لَمَّا  
 تَسُوا الدِّينَ فَرَجَعُوا إِلَى أَصْلِهِمْ مِنَ الْبِلَاوَةِ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَجْيَالِ غَلَبٌ  
 عَلَى الدَّوْلَةِ الْمُسْتَضْعَفَةِ كَمَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا يَكُونُ مَالُهُ وَغَايَتُهُ إِلَّا الْخَوِيبُ  
 مَا يَسْتَوِلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُمَرَاءِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ

## الفصل التاسع والعشرون

في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار

قَدْ نَقَدَمْنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْبَدَايَةِ نَاقِصٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَوَاصِرِ وَالْأَمْصَارِ لِأَنَّ الْأُمُورَ  
الضَّرُورِيَّةَ فِي أَمْرِ عُمَرَ بْنِ لَيْسَ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ لِأَهْلِ الْبَدَايَةِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ لِدَيْهِمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ  
أُمُورٌ أَفْلَحَ وَمَوَادُّهَا مَعْدُومَةٌ وَمُعْظَمُهَا الصَّنَائِعُ فَلَا تُوجَدُ لِدَيْهِمْ فِي الْكَلْبَةِ مِنْ تِجَارٍ  
وَحَيَاطٍ وَخَدَادٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا يُقِيمُ لَهُمْ ضَرُورِيَّاتَ مَعَاشِهِمْ فِي أَفْلَحَ وَغَيْرِهِ وَكَذَا  
الدَّنَائِيرِ وَالْدَرَاهِمِ مَفْقُودَةٌ لِدَيْهِمْ وَإِنَّمَا يَأْتِيهِمْ أَعْوَاضُهَا مِنْ مَغْلٍ الزَّرَاعَةِ وَأَعْيَانِ  
الْحَيَوَانِ أَوْ فَضْلَاتِهِ الْبَنَاتِ وَالْأَبْنَاءِ وَأَشْعَارًا وَهَؤُلَاءِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ فَيَعْوِضُونَ عَنْهُمْ  
عَنْهُ بِالْأَنْبِيَةِ وَالْأَمْصَارِ إِلَّا أَنَّ حَاجَتَهُمْ إِلَى الْأَمْصَارِ فِي الضَّرُورِيِّ وَحَاجَةُ أَهْلِ  
الْأَمْصَارِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجَةِ وَالْكَمَالِ فَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْأَمْصَارِ بِطَبِيعَةِ وَجُودِهِمْ  
فَمَا دَامُوا فِي الْبَدَايَةِ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ مَلِكٌ وَلَا أَسْتِلاَءٌ عَلَى الْأَمْصَارِ فَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى  
أَهْلِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَتَى دَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَطَالَبُوهُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ  
فِي الْمِصْرِ مَلِكٌ كَانَ خُضُوعُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِقَلْبِ الْمَلِكِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمِصْرِ مَلِكٌ  
فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رِئَاسَةٍ وَنَوْعِ أَسْتِلاَءٍ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَلَى الْبَاقِينَ وَإِلَّا انْقَضَتْ عُمُرَانُهُ  
وَذَلِكَ الرَّئِيسُ يَحْتَمِلُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالسَّعْيِ فِي مَصَالِحِهِ إِمَّا طَوْعًا يَبْدُلُ أَلْمَالَ لَهُمْ ثُمَّ  
يُبْدِي لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فِي مِصْرِهِ فَيَسْتَقِيمُ عُمُرَانُهُمْ وَإِمَّا كَرْهًا  
إِنْ تَمَتَّ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ بِالْغَرِيبِ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ جَانِبٌ مِنْهُمْ يُغَالِبُ بِهِ  
الْبَاقِينَ فَيَضْطَرُّ الْبَاقُونَ إِلَى طَاعَتِهِ بِمَا يَتَوَقَّعُونَ لِنَاكِ مِنْ فَسَادِ عُمُرَانِهِمْ وَرُبَّمَا لَا يَسْمَهُمْ  
مُفَارَقَةُ نَاكِ الدَّوَاحِي إِلَى جِهَاتٍ أُخْرَى لِأَنَّ كُلَّ الْجِهَاتِ مَعْمُورٌ بِالْبَدَايَةِ الَّذِينَ غَلَبُوا  
عَلَيْهَا وَمَعَّوَهَا مِنْ غَيْرِهَا فَلَا يَجِدُ هَؤُلَاءِ مَلْجَأًا إِلَّا طَاعَةَ الْمِصْرِ فَهُمْ بِالضَّرُورَةِ مَغْلُوبُونَ  
لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهُ فَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ

## الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك

كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

### الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبة

وَذَلِكَ اَنَا قَرَرْنَا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْمَغَالِبَةَ وَالْمُعَانَعَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْعَصْبَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ الشُّعْرَةِ وَالْتِزَامِ وَأَسَيَاتِهِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دُونَ صَاحِبِهِ ثُمَّ إِنْ الْمَلِكُ مَنْصُوبٌ شَرِيفٌ مَلْدُودٌ يَشْتَمِلُ عَلَى جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّهَوَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَلَاذِ النَّفْسَانِيَّةِ فَيَقَعُ فِيهِ التَّنَافُسُ غَالِبًا وَقَلَّ أَنْ يَسْلِمَهُ أَحَدٌ لِصَاحِبِهِ إِلَّا إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ فَتَقَعُ الْمَنَازَعَةُ وَتُقْضَى إِلَى الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْمَغَالِبَةُ وَشَيْءٌ مِنْهَا لَا يَقَعُ إِلَّا بِالْعَصْبَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَمَّا وَهَذَا الْأَمْرُ بَعِيدٌ عَنْ أَهْلِهِمُ الْجُمْهُورِ بِالْجُمْلَةِ وَمُتَنَاسُونَ لَهُ لِأَنَّهُمْ نَسُوا عَهْدَ تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ مِنْذُ أَوَّلِهَا وَطَالَ أَمَدُ مَرَبَاكُمُ فِي الْحَضَارَةِ وَتَعَاقَبُوا فِيهَا جَيْلًا بَعْدَ جَيْلٍ فَلَا يَعْرِفُونَ مَا فَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ إِنَّمَا يَذْكُرُونَ أَصْحَابَ الدَّوْلَةِ وَقَدْ اسْتَحْكَمَتْ صَبْغَتُهُمْ وَوَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُمْ وَالْإِسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعَصْبَةِ فِي تَمْهِيدِ أُمُورِهِمْ وَلَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ مِنْ أَوَّلِهِ وَمَا لَقِيَ أَوَّلُهُمْ مِنَ الْمُتَعَابِ بِدُونِهِ وَخُصُوصًا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي نِسْيَانِ هَذِهِ الْعَصْبَةِ وَتَرْكِهَا طُولَ الْأَمَدِ وَاسْتِغْنَائِهِمْ فِي الْغَالِبِ عَنْ قُوَّةِ الْعَصْبَةِ بِمَا تَلَاشَى وَطَنُهُمْ وَخَلَا مِنْ الْعَصَائِبِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### الفصل الثاني

في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَ الْعَامَّةَ فِي أَوَّلِهَا يَضَعُ عَلَى النُّفُوسِ الْإِتْقَادَ لِمَا إِلَّا بِقُوَّةٍ قَوِيَّةٍ مِنَ الْقَلْبِ لِلْغَرَابَةِ وَأَنَّ الْبَاسَ لَمْ يَأْتُوا مِلْكَهَا وَلَا اعْتَادُوهُ فَإِذَا اسْتَقَرَّتِ أَرْثَاسَةً فِي أَهْلِ النَّصَابِ الْخُصُوصِ بِالْمَلِكِ فِي الدَّوْلَةِ وَتَوَارَثُوهُ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرٍ فِي أَعْقَابِ كَثِيرِينَ وَدَوَّلٍ مُتَعَاقِلَةٍ نَسِيَتْ النُّفُوسُ شَأْنَ الْأَوَّلِيَّةِ وَاسْتَحْكَمَتْ لِأَهْلِ ذَلِكَ النَّصَابِ صَبْغَةُ الرَّثَاسَةِ وَرَسَخَ فِي الْعَقَائِدِ دِينَ الْإِتْقَادِ لَهُمْ وَالتَّسْلِيمِ وَقَاتَلَ النَّاسُ مَعَهُمْ



عَلَى أَمْرِهِمْ فَقَالَهُمْ عَلَى الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فَلَمْ يَخْتَارُوا حِينَئِذٍ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى كَبِيرِ عَصَابَةٍ  
بَلْ كَانَ طَاعَتَهَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لَا يَبْدُلُ وَلَا يُعْلَمُ خِلَافُهُ وَلَا أَمْرٌ مَا يَوْضَعُ الْكَلَامُ فِي  
الْإِمَامَةِ آخِرَ الْكَلَامِ عَلَى الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ كَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ عَقُودِهَا وَيَكُونُ اسْتَظْهَارُهُمْ  
حِينَئِذٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ الْخَصُوصَةِ إِمَّا بِالْمَوَالِي وَالْمُضْطَظَّعِينَ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي  
ظِلِّ الْعَصْبَةِ وَغَيْرِهَا وَإِمَّا بِالْعَصَائِبِ الْخَارِجِينَ عَنْ نَسَبِهَا الدَّخِلِينَ فِي وَلَايَتِهَا وَمِنْهُ  
هَذَا وَقَعَ لِنَبِيِّ الْعَبَّاسِ فَإِنَّ عَصْبَةَ الْعَرَبِ كَانَتْ فَسَدَتْ لِعَهْدِ دَوْلَةِ الْمُتَّصِمِ وَأَتَتْهُ  
الْوَاثِقُ وَاسْتَظْهَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِالْمَوَالِي مِنَ الْعَجَمِ وَالتُّرْكَ وَالِدَلِّمْ وَالسُّجُوفِيَّةِ  
وغيرِهِمْ ثُمَّ تَغَلَّبَ الْعَجَمُ الْأَوَّلِيَاءُ عَلَى النَّوَاحِي وَتَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ فَلَمْ تَكُنْ تَعْدُو أَعْمَالَ  
بَغْدَادَ حَتَّى رَحَبَ إِلَيْهَا الدَّلِّمُ وَمَلَكَوْهَا وَصَارَ الْخَلَائِقُ فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ  
وَمَلَكَ السُّجُوفِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارُوا فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَرَحَبَتْ آخِرُ النَّكَارِ  
فَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ وَحَمَوْا رِسْمَ الدَّوْلَةِ وَكَذَا صَنَاجِعُهَا بِالْعَرَبِ فَسَدَتْ عَصْبَتُهُمْ مِنْهُ الدَّوْلَةُ  
الْخَامِسَةُ أَوْ مَا قَبْلَهَا وَاسْتَمَرَّتْ لَهُمُ الدَّوْلَةُ مُتَقَلِّصَةً الظِّلِّ بِالْمَهْدِيَّةِ وَبِحِجَابَةِ الْقَلْعَةِ  
وَسَائِرِ ثُغُورِ أَرَفْرِيقَةٍ وَرُبَمَا تَنَزَّى بِشَيْءٍ الثُّغُورِ مَنْ نَارَعَهُمُ الْمَلِكُ وَأَعْتَصَمَ فِيهَا وَالسُّلْطَانُ  
وَالْمَلِكُ مَعَ ذَلِكَ مُسَلِّمٌ لَهُمْ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِأَنْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَجَاءَ الْمَوْجِدُونَ بِقُوَّةِ  
قُوَّةٍ مِنَ الْعَصْبَةِ فِي الْمَصَامِدَةِ فَحَمَوْا آثَارَهُمْ وَكَذَا دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ لَمَّا فَسَدَتْ  
عَصْبَتُهَا مِنَ الْعَرَبِ اسْتَوْلَى مُلُوكُ الطَّوَائِفِ عَلَى أَمْرِهَا وَأَقْتَسَمُوا خِلْفَتَهَا وَتَنَافَسُوا بَيْنَهُمْ  
وَتَوَزَّعُوا بِمَالِكِ الدَّوْلَةِ وَانْتَزَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا كَانَ فِي وَلَايَتِهِ وَشَمَخَ بِأَنفِهِ وَبَلَّغَهُمْ  
شَأْنُ الْعَجَمِ مَعَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فَتَلَقَّبُوا بِالْأَقَابِ الْمَلِكِ وَلَبَّسُوا شَارَتَهُ وَأَمْنُوا مِمَّنْ يَنْقُضُ  
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُغَيِّرُهُ لِأَنَّ الْأَنْدَلُسَ لَيْسَ يَدَارِ عَصَائِبَ وَلَا قَبَائِلَ كَمَا سَنَدَّ كُرُهُ  
وَاسْتَمَرَّ لَهُمْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ ابْنُ شَرَفٍ

مِمَّا يُزْهَدُنِي فِي أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ      أَسْمَاءُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ  
الْأَقَابُ مَمْلُوكَةٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا      كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةً الْأَسَدِ

فَاسْتَظْهَرُوا عَلَى أَمْرِهِمْ بِالْمَوَالِي وَالْمُضْطَظَّعِينَ وَالطَّرَاءَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ  
مِنْ قَبَائِلِ الْبُرَيْرِ وَزَنَانَةَ وَغَيْرِهِمْ أَقْدَاءُ بِالدَّوْلَةِ فِي آخِرِ أَمْرِهَا فِي الْاسْتَظْهَارِ بِهِمْ حِينَ  
ضَعَفَتْ عَصْبَةُ الْعَرَبِ وَاسْتَبَدَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى الدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُمْ دَوْلٌ عَظِيمَةٌ

اسْتَبَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَحَظَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُلْكِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ  
الَّتِي أَقْسَمُوهَا وَلَمْ يَزَالُوا فِي سُلْطَانِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى جَازَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرُ الْمُرَاطُوتُ أَهْلُ  
العَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ مِنْ لَمْتُونَةٍ فَاسْتَبَدُّوا بِهِمْ وَأَزَالُوهُمْ عَنْ مَرَكَرِهِمْ وَنَحَوِ أَثَارَهُمْ وَلَمْ يَقْتَدِرُوا  
عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ لَدَيْهِمْ فَبَهَذِهِ الْعَصِيَّةِ يَكُونُ تَمْهِيدُ الدَّوْلَةِ وَحِمَايَتُهَا مِنْ  
أَوَّلِهَا وَقَدْ ظَنَّ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ حَامِيَةَ الدَّوْلِ بِإِطْلَاقِ هُمْ الْجُنْدِ أَهْلُ الْعَطَاءِ الْمَفْرُوضِ  
مَعَ الْأَهْلِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ سِرَاجَ الْمُلُوكِ وَكَلَامُهُ لَا يَتَنَاوَلُ تَاسِيْسَ  
الدَّوْلِ الْعَامَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَإِنَّمَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِالدَّوْلِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ التَّمْهِيدِ وَاسْتِقْرَارِ  
الْمُلْكِ فِي النَّصَابِ وَاسْتِحْكَامِ الصِّغَةِ لِأَهْلِهَا فَارْتَجُلُ إِنَّمَا أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ عِنْدَ هَرَمِهَا  
وَحَلَقِي جَدَّتِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى الْأَسَاطِيرِ بِالْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ ثُمَّ إِلَى الْمُسْتَغْدِمِينَ مِنْ  
وَرَأَيْهِمْ بِالْأَجْرِ عَلَى الْمُدَافَعَةِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَدْرَكَ دَوْلَ الطَّوَائِبِ وَذَلِكَ عِنْدَ اخْتِلَالِ بَنِي  
أُمَيَّةَ وَانْقِرَاضِ عَصِيَّتَيْهَا مِنَ الْعَرَبِ وَاسْتِبْدَادِ كُلِّ أَمِيرٍ بِقَطْرِهِ وَكَانَ فِي إِيَالَةِ الْمُسْتَعِينِ  
بَنِي هُودَ وَأَبْنَاءُ الْمُظَفَّرِ أَهْلُ سِرْقِسْطَةِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْعَصِيَّةِ شَيْءٌ لِأَسْتِغْلَاةِ  
الْتَرَفِ عَلَى الْعَرَبِ مُنْذُ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ السِّنِينَ وَهَلَاكِهِمْ وَلَمْ يَزَلْ سُلْطَانًا مُسْتَبَدًّا بِالْمُلْكِ  
عَنْ عَشَائِرِهِ قَدْ اسْتَفْضَكْتَ لَهُ صِغَةَ الْأَسْتِبْدَادِ مُنْذُ عَهْدِ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَّةِ الْعَصِيَّةِ فَهُوَ  
لِذَلِكَ لَا يَتَّزِعُ فِيهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَجْرَاءِ مِنَ الْمُتَرْزِقَةِ فَأُطْلِقُ الطَّرْطُوشِيُّ الْقَوْلَ  
فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَتَفَنَّظْ لِكَيْفِيَّةِ الْأَمْرِ مُنْذُ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ  
فَتَفَنَّظْ أَنْتَ لَهُ وَأَقْهَمِ سِرَّ اللَّهِ فِيهِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثالث

في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصية  
وذلك أنه إذا كان لعصية غلب كثير على الأمر والأجبال وفي نفوس القائمين  
بأمره من أهل القاصية إذعان لهم وأتقياد فإذا نزح إليهم هذا الخارج وأنشد عن  
مقرئ ملوكهم ومنبت عزه أشتعلوا عليه وقاموا بأمره وظاهره على شانه وعنوا بتمهيد  
دولته يرجون استغرازه في نصايه وتناوله الأمر من يد أعياصه وجزاءه لهم على مظاهريه  
بأصطفايهم لرتب الملك وخططه من وزارة أو قيادة أو ولاية نفر ولا يطعمون في  
مشاركته في شيء من سلطانه تسلياً لعصيته وأتقياداً لئلا استنحسهم له وإقومه من

صَبَغَهُ الْقَلْبُ فِي الْعَالَمِ وَعَقِيدَهُ إِيمَانِيَّةً اسْتَقَرَّتْ فِي الْأَذْعَانِ لَهُمْ فَلَوْ رَأَوْهَا مَعَهُ أَوْ  
دُونَهُ لَزَلَتْ الْأَرْضُ زَلْزَالًا وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلدَّارِسَةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْقَى وَالْعَبِيدِينَ  
بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَمِصْرَ لَمَّا أَتَبَدَّ الْعَالَمِيُّونَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْأَفْقَاةِ وَابْتَدَعُوا عَنْ مَقَرِّ  
الْخِلَافَةِ وَسَمَوْا إِلَى طَلْكُهَا مِنْ أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْكَمَتْ الصَّبْغَةُ لِبَنِي عَبْدِ  
مَنَافٍ لِبَنِي أُمَيَّةٍ أَوَّلًا ثُمَّ لِبَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِهِمْ فَخَرَجُوا بِالْقَاصِيَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَدَعَوْا  
لِأَنْفُسِهِمْ وَقَامَ بِأَمْرِهِمُ الْبَرَابِرَةُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَأَوْرُبُهُ وَمَغِيلَةُ لِلدَّارِسَةِ وَكُتَامَةُ  
وَصَنْهَاجَةُ وَهَوَارَةُ لِلْعَبِيدِينَ فَسَيَّدُوا دَوْلَتَهُمْ وَهَدُّوا بِعَصَائِهِمْ أَمْرَهُمْ وَأَقْتَطَعُوا مِنْ  
مَمَالِكِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْمَغْرِبَ كُلَّهُ ثُمَّ أَفْرِيقِيَّةً وَلَمْ يَزَلْ ظِلُّ الدَّوْلَةِ يَتَقَلَّصُ وَظَالُّ الْعَبِيدِينَ  
يَبْتَذِرُ إِلَى أَنْ مَلَكَوا مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَقَامَهُمْ فِي الْمَمَالِكِ إِلَّا سِلَاسِيَّةً شَقَّ  
الْأُتْبَلَمَةَ وَهَوَالَاءَ الْبَرَابِرَةَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِمْ مُسْلِمُونَ لِلْعَبِيدِينَ أَمْرَهُمْ  
مُذْنُونَ لِمَلِكِهِمْ وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي الرُّثْبَةِ عِنْدَهُمْ خَاصَّةً تَسْلِيًا لِمَا حَصَلَ مِنْ  
صَبْغَةِ الْمَلِكِ لِبَنِي هَاشِمٍ وَلَمَّا اسْتَحْكَمَ مِنَ الْقَلْبِ لِقُرَيْشٍ وَمِصْرَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ فَلَمْ  
يَزَلِ الْمَلِكُ فِي أَعْقَابِهِمْ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ بِأَمْرِهَا وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاسنيلاء العظيمة الملك اصلها الدين

اما من نبوة او دعوة حق

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْقَلْبِ وَالْقَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَاتِّقَاقِ  
الْأَهْوَاءِ عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَجَمْعِ الْقُلُوبِ وَتَأْلِيفِهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِعُيُونِهِ مِنَ اللَّهِ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ  
قَالَ تَعَالَى لَوْ أَتَفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَسِرُّهُ أَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا  
تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْعَمَلِ إِلَى الدُّنْيَا حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفَسَا الْخِلَافُ وَإِذَا انْصَرَفَتْ  
إِلَى الْحَقِّ وَرَفَضَتْ الدُّنْيَا وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ ائْتَحَدَتْ وَجِبَتْهَا فَدَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَلَّ  
الْخِلَافُ وَحَسُنَ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُدُ وَأَتَسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِلذَّكَاءِ فَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ كَمَا  
نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصية

التي كانت لها من عددها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّ الصِّغَةَ الدِّينِيَّةَ تَذْهَبُ بِالتَّنَافُسِ وَالتَّحَاسُدِ الَّذِي فِي أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَتُفَرِّدُ الْوُجْهَةَ إِلَى الْحَقِّ فَإِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْإِسْتِبْصَارُ فِي أَمْرِهِمْ لَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ لِأَنَّ الْوُجْهَةَ وَاحِدَةً وَالْمَطْلُوبُ مُتَسَاوٍ عِنْدَهُمْ وَهُمْ مُسْتَعِينُونَ عَلَيْهِ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الَّتِي هُمْ طَالِبُهَا وَإِنْ كَانُوا أَضْعَافَهُمْ فَأَغْرَضَهُمْ مُتَبَايِنَةٌ بِالْبَاطِلِ وَتَعَادُلُهُمْ لِنَقِيَّةِ الْمَوْتِ حَاصِلٌ فَلَا يَقَاوِمُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ بَلْ يَغْلِبُونَ عَلَيْهِمْ وَيَعَاجِلُهُمُ الْفَنَاءُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ الذَّرَفِ وَالذَّلِّ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلْعَرَبِ صَدْرَ الْإِسْلَامِ فِي الْفَتْوحَاتِ فَكَانَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَادِسِيَّةِ وَالزُّمُرُوكِ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا فِي كُلِّ مَعْسَكٍ وَجُمُوعُ فَارِسَ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا بِالْقَادِسِيَّةِ وَجُمُوعُ هَزَقِلَ عَلَى مَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ أَرْبَعِمِائَةَ أَلْفٍ فَلَمْ يَقِفْ لِلْعَرَبِ أَحَدٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَهَزَمُوهُمْ وَغَلَبُوهُمْ عَلَى مَا بِيَدَيْهِمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي دَوْلَةِ لِمَثُونَةَ وَدَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ كَانَ فَقَدْ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْقَبَائِلِ كَثِيرٌ عَنِ يَقَاوِمِهِمْ فِي الْعَدْرِ وَالْعَصِيَّةِ أَوْ يَتَفَتَّ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّ الْاجْتِمَاعَ الدِّينِيَّ ضَاعَفَ قُوَّةَ عَصِيَّتِهِمْ بِالْإِسْتِبْصَارِ وَالْإِسْمَاتَةِ كَمَا فَلَنَاهُ فَلَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ إِذَا حَالَتْ صِغَةُ الدِّينِ وَفَسَدَتْ كَيْفَ يَنْتَقِضُ الْأَمْرُ وَيَصِيرُ الْقَلْبُ عَلَى نِسْبَةِ الْعَصِيَّةِ وَحَدَا دُونَ زِيَادَةِ الدِّينِ فَتَغْلِبُ الدَّوْلَةُ مَنْ كَانَ تَحْتَ يَدَيْهَا مِنَ الْعَصَائِبِ الْمُكَافَّةِ لَهَا أَوْ الزَّائِدَةِ الْقُوَّةِ عَلَيْهَا الدِّينَ غَلَبَتْهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الدِّينِ لِقُوَّتِهَا وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ عَصِيَّةٍ مِنْهَا وَأَشَدَّ بِدَاوَةً وَاعْتَبِرَ هَذَا فِي الْمُوحِدِينَ مَعَ زَنَانَةِ لَمَّا كَانَتْ زَنَانَةُ أُنْدَى مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَأَشَدَّ تَوْحُّشًا وَكَانَ لِلْمَصَامِدَةِ الدَّعْوَةُ الدِّينِيَّةُ بِاتِّبَاعِ الْمَهْدِيِّ فَلَمَّا صَبَّغَتْهَا وَتَضَاعَفَتْ قُوَّةُ عَصِيَّتِهِمْ بِهَا فَغَلَبُوا عَلَى زَنَانَةِ أَوَّلًا وَاسْتَبْجَوْهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ حَيْثُ الْعَصِيَّةُ وَالْبِدَاوَةُ أَشَدَّ مِنْهُمْ فَلَمَّا خَلَوْا مِنْ تِلْكَ الصِّغَةِ الدِّينِيَّةِ انْتَفَضَتْ عَلَيْهِمْ زَنَانَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغَلَبُوهُمْ عَلَى الْأَمْرِ وَانْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

## الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا نتم  
وهذا لما قدمناه من أن كل أمر نحمل عليه السكافة فلا بد له من العصبية وفي  
الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبيا إلا في منته من قومه وإذا كان هذا في  
الأنبياء وهم أولى الناس بمغزى العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تغرق له العادة في  
القلب بغير عصبية وقد وقع هذا لأبن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع النعلين  
في التصوف ثار بالاندلس داعيا إلى الحق وسمي أصحابه بالمرباطيين قبيل دعوة  
المهدي فاستتب له الأمر قليلا لشغل لمتونه بما دهمهم من أمر الموحدين ولم تكن  
هناك عصابات ولا قبائل يدفعونه عن شأنه فلم يلبث حين استولى الموحدون على  
المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعتهم من عقيله بخص أركش وأمكنهم  
من نشره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت توتره تسعى نوزة الرباطيين  
ومن هذا الباب أحوال الثوار القاطنين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فإن كثيرا  
من المنحطلين للعبادة وسلك طرق الذين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من  
الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء في الثواب  
عليه من الله فبكثرت أتباعهم والمتكثرون بهم من القوغاء والدهماء وبغض ضئون أنفسهم  
في ذلك للممالك وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين لأن  
الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى  
الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسلمه فإن لم  
يستطع فليقلبه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا  
المطالبة القوية التي من وراءها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان  
حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعتائر والعصائب وهم  
المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة  
والله حكيم عليهم فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به  
الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الملاك وأما إن كان من المتكلسين بذلك في

طَلَبَ الرِّقَاسَةَ فَاجْتَدَرَ أَنْ تَعُوْهُ الْعَوَاقِبُ وَتَنْقُطِعَ بِهِ الْمَهَالِكُ لِأَنَّهُ أَمَرَ اللَّهُ لَا يَنْتَبِهُ إِلَّا  
 بِرِضَاةِ وَإِعَانَتِهِ وَتَاخُلَاصِهِ لَهُ وَالتَّصَيُّحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ مُسْلِمٌ وَلَا يَرْتَابُ  
 فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ وَأَوَّلُ أَبْنَاءِ هَذِهِ الزَّعَمَةِ فِي الْمَلِكَةِ بِيغْدَادَ حَبِيبٌ وَقَعَتْ فِتْنَةٌ طَاهِرٌ  
 وَقُتِلَ الْأَبِينُ وَأَبْطَأَ الدَّامُونُ بِخُرَاسَانَ عَنْ مُقَدِّمِ الْعِرَاقِ ثُمَّ عَهْدَ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى  
 الرِّضِيِّ مِنْ آلِ الْحُسَيْنِ فَكَشَفَتْ بَنُو الْعَبَّاسِ عَنْ وَجْهِ التَّكْبِيرِ عَلَيْهِ وَتَدَاعَوْا لِلْقِيَامِ  
 وَخَلَعَ طَاعَتَهُ الدَّامُونُ وَالْأَسْبَدَالُ مِنْهُ وَبُوعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَوَقَعَ الْخُرْجُ  
 بِيغْدَادَ وَأَنْطَلَقَتْ أَيْدِي الزَّعَمَةِ بِهَا مِنَ الشُّطَارِ وَالْحَزْبِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْعَاقِبَةِ وَالصُّوْبِ  
 وَقَطَعُوا السَّبِيلَ وَأَمْلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ نَهَابِ النَّاسِ وَبَاعُوهَا عِلَاقِيَّةً فِي الْأَسْوَاقِ وَاسْتَعْدَى  
 أَهْلُهَا الْحُكْمَ فَلَمْ يَدُومُوا فِتْوَانَهُ أَهْلُ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ عَلَى مَنَعِ الْفَسَاقِ وَكَفَّ  
 عَادِيَتَهُمْ وَقَامَ بِيغْدَادَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِخَالِدِ الدُّزْبُوسِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ  
 وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاجَابَهُ خَلْقٌ وَقَاتَلَ أَهْلَ الزَّعَاوَةِ فَغَلَبَهُمْ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِيهِمْ  
 بِالضَّرْبِ وَالتَّنْكِيلِ ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ سَوَادِ أَهْلِ بَغْدَادَ يُعْرَفُ بِسَمَلِ  
 آبِنِ سَلَامَةِ الْأَنْصَارِيِّ وَيُكْنَى أَبَا حَاتِمٍ وَعَلَّقَ مُصْحَفًا فِي عُنُقِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ كَافَّةً مِنْ بَيْنِ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَنَزَلَتْ دُونُهُمْ وَنَزَلَ قَصْرُ  
 طَاهِرٍ وَاتَّخَذَ الدُّزْبُوسُ وَطَائِفَ بِيغْدَادَ وَمَنَعَ كُلَّ مَنْ أَخَافَ الْمَارَةَ وَمَنَعَ الْخَفَاةَ  
 لِأُولَئِكَ الشُّطَارِ وَقَالَ لَهُ خَالِدُ الدُّزْبُوسِ أَنَا لَا أَعِيبُ عَلَى السُّلْطَانِ فَقَالَ لَهُ سَهْلٌ لَكِي  
 أَقَاتِلَ كُلَّ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَتْ مِنْ كَانَ وَذَلِكَ سَنَةً إِحْدَى وَثَمَانِينَ  
 وَجَهَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ الْعَسَاكِرَ فَغَلَبَهُ وَأَسْرَهُ وَأَخْلَ أَمْرُهُ سَرِيعًا وَذَهَبَ وَتَجَا  
 بِنَفْسِهِ ثُمَّ أَتَتْهُ هَذَا الْعَمَلُ بَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَوْسُومِينَ بِأَخْذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ  
 وَلَا يَغْرُفُونَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي إِقَامَتِهِ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَغْبَةِ أَمْرِهِمْ وَمَالِ  
 أَحْوَالِهِمْ وَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ إِمَّا الْمَدَاوَةِ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنُّونِ وَإِمَّا  
 التَّنْكِيلَ بِالْقَتْلِ أَوْ الضَّرْبِ إِنْ أَخَذُوا هَرَجًا وَإِمَّا إِذَا هُوَ الشُّخْرِيَّةُ مِنْهُمْ وَعَدَّهُمْ  
 مِنْ جُمْلَةِ الصَّفَاعِينَ وَقَدْ يَنْتَسِبُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَاطِمِيِّينَ الْمُنْتَظَرِ إِمَّا بِأَنَّهُ هُوَ أَوْ بِأَنَّهُ دَاعٍ  
 لَهُ وَلَيْسَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى عِلْمِهِ مِنْ أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَلَا مَا هُوَ وَأَكْثَرُ الْمُنْتَجِلِينَ لِمِثْلِ هَذَا

يُجِدُهُمْ مُوسِسِينَ أَوْ مُجَانِبِينَ أَوْ مُلَبِّسِينَ يَطْلُبُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ رَأْسَةً أَمْتَلَتْ  
بِهَا جَوَانِحَهُمْ وَعَجَزُوا عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا الْعَادِيَةِ فَيَحْسِبُونَ أَنَّ هَذَا  
مِنْ الْأَسْبَابِ الْبَالِغَةِ بِهِمْ إِلَى مَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَحْسِبُونَ مَا يَنَالُهُمْ فِيهِ مِنْ  
أَهْلَكَةٍ فَيُسْرِعَ إِلَيْهِمْ الْقَتْلُ بِمَا يُعِدُّونَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَتَسْوَةِ سَاقِيَةِ مَكْرِهِمْ وَقَدْ كَانَ  
لِأَوَّلِ هَذِهِ أَلْمَائَةٍ خَرَجَ بِالسُّوسِ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ يُدْعَى الثُّوْبَذَرِيُّ عَمِدًا إِلَى  
مَسْجِدٍ مَسَاةٍ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ هُنَاكَ وَزَعَمَ أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنْتَظَرُ نَائِبًا عَلَى الْعَامَةِ هُنَاكَ  
بِمَا مَلَاقُوا بِهِمْ مِنَ الْحَدَثَانِ بَانْتِظَارِهِ هُنَاكَ وَأَنَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ يَكُونُ أَصْلُ دَعْوَتِهِ  
فَتَهَاقَفَتْ عَلَيْهِ طَوَائِفُ مِنْ عَامَةِ الْبَرْبَرِ تَهَاقَفَتِ الْفَرَّاشُ ثُمَّ خَشِيَ زُوسَاهُمْ اتِّسَاعَ  
نَطَاقِ الْفِتْنَةِ فَدَسَّ إِلَيْهِ كَبِيرُ الْمَصَامِدَةِ يَوْمَئِذٍ عُمَرُ السُّكْسُوبِيُّ مِنْ قَتْلِهِ فِي  
فَوَاشِيهِ وَكَذَلِكَ خَرَجَ فِي عِمَارِهِ أَيْضًا لِأَوَّلِ هَذِهِ أَلْمَائَةٍ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْعَبَّاسِ  
وَأَدْعَى مِثْلَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَاتَّبَعَ تَعِيقَهُ الْأَرْدَلُونَ مِنْ سَفَهَاءِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ وَأَغْمَارِهِمْ  
وَزَحَّتْ إِلَى بَادِيٍّ مِنْ أَمْصَارِهِمْ وَدَخَلَهَا عَنْوَةٌ ثُمَّ قِيلَ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ ظُهُورِ  
دَعْوَتِهِ وَمَتَّحَى فِي أَهْلِكَ الْإِدُولِيَّتِ وَأَمثالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَالْفَلَطُ فِيهِ مِنَ الْفَتْلَةِ  
عَنِ اخْتِيَارِ الْعَصِيَّةِ فِي مِثْلِهَا وَأَمَّا إِنْ كَانَ التَّلْبِيسُ فَأَحْرَى أَنْ لَا يَسِدَّ لَهُ أَمْرٌ وَأَنْ  
يَبُوءَ بِإِغْمِهِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبَ غَيْرُهُ  
وَلَا مَعْبُودَ سِوَهُ

### الفصل السابع

في أن كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عِصَابَةَ الدَّوْلَةِ وَقَوْمَهَا الْقَائِمِينَ بِهَا الْمُتَمَهِّدِينَ لَهَا لَا بُدَّ مِنْ  
تَوْزِيْعِهِمْ حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالثُّغُورِ الَّتِي تُصِيرُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا لِحِمَايَتِهَا مِنَ  
الْعَدُوِّ وَإِمْنَاءِ أَحْكَامِ الدَّوْلَةِ فِيهَا مِنْ جَبَايَةٍ وَرَدَعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِذَا تَوَزَّعَتِ الْعِصَابَةُ  
كُلُّهَا عَلَى الثُّغُورِ وَالْمَمَالِكِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَقَادُ عَدَدِهَا وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَمَالِكُ حِينَئِذٍ إِلَى  
حَدِّ يَكُونُ ثَغَرًا لِلدَّوْلَةِ وَتَحْمًا لَوَطَنِهَا وَنِطَاقًا لِمَزَكِرِ مُلْكِهَا فَإِنْ تَكَفَّلَتِ الدَّوْلَةُ بِهَذَا  
ذَلِكَ زِيَادَةً عَلَى مَا بِيَدِهَا بَقِيَ دُونَ حَاطِيَةٍ وَكَانَ مَوْضِعًا لِانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَالْعُجَاوِرِ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ التَّجَاسُرِ وَخَرْقِ سِيَاجِ أَلْمِيَّةِ

وَمَا كَانَتْ الْعِصَابَةُ مَوْفُورَةً وَلَمْ يَنْقُذْ عَدَدُهَا فِي تَوَزُّعِ الْحِمَصِ عَلَى الشُّعُورِ وَاللَّوَاحِي  
بِقِي فِي الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ عَلَى تَنَاوُلِ مَا وَرَاءَ الْعَالِيَةِ حَتَّى يَنْفَسِحَ نِطَاقُهَا إِلَى غَايَتِهِ وَالْعِلَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ  
فِي ذَلِكَ هِيَ قُوَّةُ الْعَصِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ وَكُلُّ قُوَّةٍ يَصْدُرُ عَنْهَا فِعْلٌ مِنَ الْأَنْعَالِ  
فَشَأْنُهَا ذَلِكَ فِي فِعْلِهَا وَالِدَّوْلَةُ فِي مَرْكَزِهَا أَشَدُّ مِمَّا يَكُونُ فِي الطَّرَفِ وَالنِّطَاقُ وَإِذَا  
انْتَهَتْ إِلَى النِّطَاقِ الَّذِي هُوَ الْعَالِيَةُ عَجِزَتْ وَأَقْصَرَتْ عَمَّا وَرَاءَهُ شَأْنُ الْأَشْجَةِ وَالْأَنْوَارِ  
إِذَا انْبَعَثَتْ مِنَ الْمَرَكَزِ وَالِدَّوَانِيرُ الْمُنْفَسِحَةِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مِنَ الْفَرِّ عَلَيْهِ ثُمَّ إِذَا  
أَدْرَكَهَا الْحَرَمُ وَالضُّعْفُ فَإِنَّمَا تَأْخُذُ فِي التَّنَاقُصِ مِنْ جِبَةِ الْأَطْرَافِ وَلَا يَزَالُ الْمَرْكَزُ  
مَحْفُوظًا إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِاتِّقْرَاضِ الْأَمْرِ جُمْلَةً فَيُنْزِلُ بِكَوْنِ اتِّقْرَاضِ الْمَرْكَزِ  
وَإِذَا غَلِبَ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنْ مَرْكَزِهَا فَلَا يَنْفَعُهَا بَقَاةُ الْأَطْرَافِ وَالنِّطَاقِ بَلْ تَقْتَحِلُ لَوْفَتِهَا  
فَإِنَّ الْمَرْكَزَ كَالْقَلْبِ الَّذِي تَنْبَعُ مِنْهُ الرُّوحُ فَإِذَا غَلِبَ عَلَى الْقَلْبِ وَمِثَالُكَ انْتَهَزَمَ جَمِيعُ  
الْأَطْرَافِ وَانْظُرْ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ كَانَ مَرْكَزُهَا الْمَدَائِنُ فَلَمَّا غَلِبَ الْمُسْلِمُونَ  
عَلَى الْمَدَائِنِ اتِّقْرَضَ أَمْرُ فَارِسَ أَجْمَعٍ وَلَمْ يَنْفَعِ يَزْدَجُرْدُ مَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنْ أَطْرَافِ  
مَمْلِكَتِهِ وَيَا لِعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ الدَّوْلَةُ الرُّومِيَّةُ بِالشَّامِ لَمَّا كَانَ مَرْكَزُهَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَغَلِبَهُمُ  
الْمُسْلِمُونَ بِالشَّامِ تَحَبَّرُوا إِلَى مَرْكَزِهِمُ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يَصْرُفْهُمْ انْتِزَاعُ الشَّامِ مِنْ  
أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا بِهَا إِلَى أَنْ تَأَذَّنَ اللَّهُ بِاتِّقْرَاضِهِ وَانْظُرْ أَيْضًا شَأْنَ  
الْعَرَبِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لَمَّا كَانَتْ عَصَائِبُهُمْ مَوْفُورَةً كَيْفَ غَلَبُوا عَلَى مَا جَاوَزَهُمْ مِنَ  
الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَصِصَرَ لِأَسْرَعِ وَقْتٍ ثُمَّ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ السَّنْدِ وَالْجَنْشَةِ  
وَأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا تَقَرَّقُوا حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالشُّعُورِ وَنَزَلُوهَا  
حَامِيَةً وَنَفَذَ عَدَدُهُمْ فِي تِلْكَ التَّوْزِيعَاتِ أَقْصَرُوا عَنِ الْفَتْوحَاتِ بَعْدُ وَانْتَهَى أَمْرُ الْإِسْلَامِ  
وَلَمْ يَتَجَاوَزْ تِلْكَ الْحُدُودَ وَمِنْهَا تَرَاجَعَتِ الدَّوْلَةُ حَتَّى تَأَذَّنَ اللَّهُ بِاتِّقْرَاضِهَا وَكَذَا كَانَ  
حَالُ الدُّوَلِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ وَعِنْدَ  
نَقَادِ عَدَدِهِمُ بِالتَّوْزِيعِ يَنْقَطِعُ لَهُمُ الْفَتْحُ وَالْإِسْتِيلَاءُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ



## الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها  
في القوة والكمثرة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّةِ هُمُ الْحَامِيَةُ الَّذِينَ  
يَنْزِلُونَ بِمَمْلَكَاتِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا وَيَنْقَسِمُونَ عَلَيْهَا فَمَا كَانَ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَامَّةِ قَبِيلَهَا  
قَوْمًا أَهْلُ عَصَائِبِهَا أَكْثَرَ كَانَتْ أَقْوَى وَأَكْثَرَ مَمْلَكَاتِهَا وَأَوْطَانًا وَكَانَ مَلِكُهَا أَوْسَعَ لِلذِّكْرِ  
وَأَعْتَبَرَ ذَلِكَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَمَّا أَتَتْ اللَّهُ كَلِمَةُ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَدَدُ  
الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعَشْرَةَ  
أَلْفٍ مِنْ مُصَرٍّ وَتَحْطَانِ مَا بَيْنَ فَارَسٍ وَرَاجِلٍ إِلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْوَفَاةِ  
فَلَمَّا تَوَجَّهُوا لِيَطْلُبَ مَا فِي أَيْدِي الْأُمَمِ مِنَ الْمَلِكِ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ حِمَى وَلَا وَزَرَ فَا سَنِيحُ  
حِمَى فَارَسٍ وَأَرْوَمِ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ فِي الْعَالَمِ لِهَدِيمِ وَالْتِزَاقِ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْأَفْرَاقِ وَالْبَرْزِ بِالْمَغْرِبِ وَالْقُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَخَطُوا مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشُّوسِ الْأَفْصَى  
وَمَنْ أَلِيمَنِ إِلَى التُّزُكِ بِأَفْصَى الشِّمَالِ وَاسْتَوَلُوا عَلَى الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ ثُمَّ أَنْظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ  
دَوْلَةً صَنَاهَاةٍ وَالْمُوحِدِينَ مَعَ الْعَبِيدِينَ قَبْلَهُمْ لَمَّا كَانَ كُنَامَةُ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ الْعَبِيدِينَ  
أَكْثَرَ مِنْ صَنَاهَاةٍ وَمِنْ الْمَصَامِدَةِ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَعْظَمَ فَمَلَكُوا أَفْرِيقَةَ وَالْمَغْرِبَ  
وَالشَّامَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازَ ثُمَّ أَنْظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْلَةً زَنَانَةَ لَمَّا كَانَ عَدَدُهُمْ أَقَلَّ مِنَ الْمَصَامِدَةِ  
فَقَصَرَ مَلِكُهُمْ عَنْ مَلِكِ الْمُوحِدِينَ لِقُصُورِ عَدَدِهِمْ عَنْ عَدَدِ الْمَصَامِدَةِ مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ  
ثُمَّ أَعْتَبَرَ بَعْدَ ذَلِكَ حَالَ الدَّوْلَتَيْنِ لِهَذَا الْعَهْدِ لِرِزَانَةِ بَنِي مُرَيْنَ وَبَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانَتْ  
دَوْلَتُهُمْ أَقْوَى مِنْهَا وَأَوْسَعَ نِطَاقًا وَكَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الْغَلَبُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . يُقَالُ إِنَّ  
عَدَدَ بَنِي مُرَيْنَ لِأَوَّلِ مَلِكِهِمْ كَانَ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَإِنَّ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانُوا أَلْفًا إِلَّا  
أَنَّ الدَّوْلَةَ بِالزَّيْفِ وَكَثْرَةِ التَّابِعِ كَثُرَتْ مِنْ أَعْدَادِهِمْ وَعَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ فِي أَعْدَادِ  
الْمُتَغَلِبِينَ لِأَوَّلِ الْمَلِكِ يَكُونُ اتِّسَاعُ الدَّوْلَةِ وَقُوَّتُهَا وَأَمَّا طَوْلُ أَمْدِهَا أَيْضًا فَعَلَى تِلْكَ  
النِّسْبَةِ لِأَنَّ عُمَرَ الْحَادِثِ مِنْ قُوَّةِ مَزَاجِهِ وَمَزَاجِ الدَّوْلِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ  
الْعَصِيَّةُ قَوِيَّةً كَانَ الْمَزَاجُ نَاقِيًا لَهَا وَكَانَ أَمْدُ الْعُمَرِ طَوِيلًا وَالْعَصِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِكَثْرَةِ  
الْعَدَدِ وَوُقُورِهِ كَمَا فَلَنَاهُ وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَدُورُ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ

الْأَطْرَافِ فَإِذَا كَانَتْ مَمَّا لَهَا كَثِيرَةٌ كَانَتْ أَطْرَافُهَا بَعِيدَةً عَنْ مَرْكَزِهَا وَكَثِيرَةٌ وَكُلُّ  
 نَقْصٍ يَقَعُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَمَنٍ فَتَكْثُرُ أَرْزَامُنُ النِّقْصِ لِكَثْرَةِ الْمَمَالِكِ وَاخْتِصَاصِ  
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِنَقْصٍ وَزَمَانٍ فَيَكُونُ أَمْدُهَا أَطْوَلُ الدُّوَلِ لَا بُدَّ الْعَبَّاسِ أَهْلُ الْمَرْكَزِ  
 وَلَا بُدَّ أُمَيَّةِ الْمُسْتَعِدَّةِ وَلَا بُدَّ لِمَنْدَلِسٍ وَلَمْ يَنْقُصْ أَمْرُ جَمِيعِهِمْ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ مِنْ  
 الْهَجْرَةِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيَّينَ كَانَتْ أَمْدُهَا قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدَوْلَةُ صَهْبَاجَةَ  
 دُونَهُمْ مِنْ لَدُنْ تَقْلِيدِ مُعِزِّ الدُّوَلَةِ أَمْرًا قَرِيبَةً لِمَكِينِ بْنِ زَيْرِي فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ  
 وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى حِينَ اسْتِيْلَاءِ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى الْقَلْعَةِ وَبِحَابَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ  
 وَدَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَنَاهَتْ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَكَذَا نَسَبُ الدُّوَلِ فِي  
 أَعْمَارِهَا عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ

### الفصل التاسع

في ان الاوطان والكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة  
 والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء وآب وراء كل رأي منها وهوى  
 عصبية تمنع دونهما فيكثر الانقسام على الدولة والخروج عليها في كل وقت وإن  
 كانت ذات عصبية لأن كل عصبية ممن تحت يدها تطعن في نفسها منعة وقوة وانظر  
 ما وقع من ذلك بأفريقية والمغرب منذ أول الإسلام ولهذا العهد فإن ساكني هذه  
 الأوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الأول الذي كان لابن  
 أبي مرزج عليهم وعلى الإفريقية شيئاً وعادوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد  
 أخرى وعظم الاضطغان من المسلمين فيهم ولما استقر الذين عندهم عادوا إلى الثورة  
 والخروج والأخذ بيد الخوارج مرات عديدة قال ابن أبي زيد ارتدت البرابرة  
 بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعون ولاية موسى  
 بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر أن أفريقية مفرقة لقلوب أهلها إشارة  
 إلى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الإذعان والافتقار ولم  
 يكن الفراق لذلك العهد يتلك الصفة ولا الشام إنما كانت حاميتها من فارس  
 والروم والكافة دهماء أهل مدن وأمصار فلما غلبهم المسلمون على الأمر وانزعوه  
 من أيديهم لم يبق فيها ممانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن

نُحْصَى وَكُلُّهُمْ بِأَدِيَّةٍ وَأَهْلُ عَصَائِبٍ وَعَشَائِرٍ وَكَلَّمَا دَلَّكَتْ قَبِيلَةً عَادَتِ الْآخَرَى  
مَكَانَهَا وَإِلَى دِينِهَا مِنَ الْخِلَافِ وَالزَّدَةِ فَطَالَ أَمْرُ الْعَرَبِ فِي تَهْمِيدِ الدَّوْلَةِ يَوْطَلِ  
أَفْرِيقِيَّةً وَالْمَغْرِبِ وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِالشَّامِ لِعَهْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ فِيهِ مِنْ قَبَائِلِ  
فَلَسْطِينَ وَكَعَمَانَ وَبَنِي عَيْصُو وَبَنِي مَدْيَنَ وَبَنِي لُوطٍ وَالرُّثُومَ وَالْيُونَانَ وَالْعَمَالِقَةَ وَأَكْثَرُ بَيْشَ  
وَالنَّبْطِ مِنْ جَانِبِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلَ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً وَتَنَوُّعًا فِي الْعَصَبِيَّةِ فَصَعُبَ عَلَى  
بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهْمِيدُ دَوْلَتِهِمْ وَزُسُوحُ أَمْرِهِمْ وَأَضْطَرَبَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى  
وَمَسَرَى ذَلِكَ الْخِلَافُ إِلَيْهِمْ فَأَخْلَعُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَخَرَجُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُلْكٌ  
مُوَطَّدٌ سَائِرًا بِأَيِّهِمْ إِلَى أَنْ غَلَبَهُمُ الْفَرَسُ ثُمَّ يُونَانَ ثُمَّ الرُّثُومُ آخِرُ أَمْرِهِمْ عِنْدَ الْبُلَاءِ  
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبِهِ كَسَى هَذَا أَيْضًا الْأَوْطَانَ الْخَالِيَةَ مِنَ الْعَصَبِيَّاتِ يَسْهُلُ تَهْمِيدُ  
الدَّوْلَةِ فِيهَا وَيَكُونُ سُلْطَانُهَا وَازْعًا لِقَلَّةِ الْهَرْجِ وَالْإِنْتِقَاضِ وَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ فِيهَا إِلَى  
كَثِيرٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ إِذْ فِي خُلُوقِهِ مِنَ الْقَبَائِلِ  
وَالْعَصَبِيَّاتِ كَانَ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ مَعْدِنًا لَهُمْ كَمَا فَلَنَاهُ فَمَلِكُ مِصْرَ فِي غَايَةِ الدَّعَةِ وَالرُّسُوحِ  
لِقَلَّةِ الْخَوَارِجِ وَأَهْلُ الْعَصَائِبِ إِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ وَدَوْلَتُهَا قَانِمَةٌ بِمُلُوكِ التَّرَكِ  
وَعَصَائِبِهِمْ يَغْلِبُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَنْتَقِلُ الْأَمْرُ فِيهِمْ مِنْ مَنْتَبِثٍ إِلَى مَنْتَبِثٍ  
وَالْخِلَافَةُ مُسَمَّاةٌ لِلْعَبَاسِيِّ مِنْ أَعْقَابِ الْخُلَفَاءِ يَبْدُدَادُ وَكَذَلِكَ شَانَ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّ  
عَصَبِيَّةَ ابْنِ الْأَخْمَرِ سُلْطَانِهَا لَمْ تَكُنْ لِأَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ يَقْوِيَّةً وَلَا كَانَتْ كَرَاتٍ إِنَّمَا يَكُونُ  
أَهْلُ يَتِّ مِنْ يَبُوتِ الْعَرَبِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بَقَا مِنْ ذَلِكَ الْقَلِيلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ  
الْأَنْدَلُسِ لَمَّا انْفَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْهُمْ وَمَلَكَهُمْ الْبُزَيْرُ مِنْ اِمْتُونَةٍ وَالْمُوحِدِينَ  
سَمَّوْا مِلَكْتَهُمْ وَثَقَلَتْ وَطَانَتُهُمْ عَلَيْهِمْ فَأَشْرَبَتْ الْقُلُوبَ بَقَضَائِهِمْ وَأَمَكْنَ الْمُوَحِدُونَ  
وَالسَّادَةُ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ كَثِيرًا مِنَ الْخُصُونِ لِلطَّاعِيَةِ فِي سَبِيلِ الْأَسْتِظْهَارِ بِهِ عَلَى شَأْنِهِمْ  
مِنْ تَمَلُّكِ الْخَضِرَةِ مَرَاكِبَ فَأَجْتَمَعَ مَنْ كَانَ بَقِيَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ مَعَاوِنُ  
مِنْ يَبُوتِ الْعَرَبِ تَجَاجَى بِهِمُ الْمَنْتَبِثُ عَنِ الْخَاضِرَةِ وَالْأَمْصَارِ بَعْضُ الشَّيْءِ وَرَسَّغُوا فِي  
الْعَصَبِيَّةِ مِثْلَ ابْنِ هُوْدٍ وَابْنِ الْأَخْمَرِ وَابْنِ مَرْدَنِيَشَ وَأَمْثَالِهِمْ فَقَامَ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ  
وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَاسِيَّةِ بِالْمَشْرِقِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْمُوَحِدِينَ  
فَنَبَذُوا إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَأَخْرَجُوهُمْ وَأَسْتَقَلَّ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ سَمَّا ابْنَ

الْأَحْمَرِ لِلْأَمْرِ وَخَالَفَ ابْنُ هُوْدٍ فِي دَعْوَتِهِ قَدَمًا هُوَذَا لِابْنِ أَبِي حَنْصٍ صَاحِبِ أُرْبُيْقَةَ  
 مِنَ الْمُوحِدِينَ وَقَامَ بِالْأَمْرِ وَتَنَاوَلَهُ بِعَصَابَةِ قَرِيْبَةٍ مِنْ قَرَابَتِهِ كَانُوا يُسَوِّنُ الرُّؤْسَاءَ وَلَمْ  
 يَتَخَجَّ لَأَكْثَرِ مِنْهُمْ لِقَلَّةِ الْعَصَابِ بِالْأَنْدَلُسِ وَإِنَّمَا سُلْطَانُ وَرَعِيَّةٌ ثُمَّ اسْتَظْهَرَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ عَلَى الطَّاعِيَةِ بَعْنٌ يُعْزِزُ إِلَيْهِ الْبَحْرَ مِنْ أَعْيَاصِ زَنَانَةٍ فَصَارُوا مَعَهُ عُسْبَةً عَلَى  
 الْمَشَاغِرَةِ وَالرِّبَاطِ ثُمَّ سَمِيَ لِصَاحِبٍ مِنْ مُلُوكِ زَنَانَةِ أَمَلٍ فِي الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ  
 فَصَارَ أَوَّلُكَ الْأَعْيَاصِ عَصَابَةُ ابْنِ الْأَحْمَرِ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ إِلَى أَنْ تَأْتَلَ  
 أَمْرُهُ وَرَضَخَ وَالْفَتْهُ النَّفُوسُ وَتَحْجَزُ النَّاسُ عَنْ مُطَالَبَتِهِ وَوَرَثَهُ أَعْقَابُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا تَقُنُّ  
 أَنَّهُ يَغْيِرُ عَصَابَةَ قَلْبَتِ كَذَلِكَ وَقَدْ كَانَ مَبْدَأُهُ بِعَصَابَةٍ إِلَّا أَنَّهَا قَلِيلَةٌ وَعَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ  
 فَإِنْ قُطِرَ الْأَنْدَلُسُ لِقَلَّةِ الْعَصَابِ وَالْقَبَائِلِ فِيهِ يَغْيِي عَنْ كَثَرَةِ الْعَصِيَّةِ فِي الْخُلْبِ  
 عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل العاشر

في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُلُوكَ كَمَا قَدَمْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ وَالْعَصِيَّةُ مُتَأَلِّفَةٌ مِنْ عَصَبَاتٍ  
 كَثِيرَةٍ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهَا أَقْوَى مِنَ الْأُخْرَى كُلُّهَا فَتَقْلِبُهَا وَتَسْتَوِلِي عَلَيْهَا حَتَّى تُصِيرَهَا  
 جَمِيعًا فِي ضِمْنِهَا وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِجْتِمَاعُ وَالْقَلْبُ عَلَى النَّاسِ وَالْأَمْرُ وَسِرُّهُ أَنَّ الْعَصِيَّةَ  
 الْعَامَّةَ لِلْقَبِيلِ هِيَ مِثْلُ الْمَزَاجِ لِلْمَتَكُونِ وَالْمَزَاجُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنِ الْعَنَاصِرِ وَقَدْ تَبَيَّنَ  
 فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْعَنَاصِرَ إِذَا اجْتَمَعَتْ مَتَكافئةٌ فَلَا يَقَعُ مِنْهَا مَزَاجٌ أَصْلًا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ  
 أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا هِيَ الْعَالِيَةُ عَلَى الْكُلِّ حَتَّى يَجْمَعَهَا وَتَوَلِّفَهَا وَتُصِيرَهَا عَصِيَّةً  
 وَاحِدَةً شَامِلَةً لْجَمِيعِ الْعَصَابِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي ضِمْنِهَا وَتِلْكَ الْعَصِيَّةُ الْكُبْرَى إِنَّمَا  
 تَكُونُ إِقْدَمُ أَهْلِ بَيْتٍ وَرِئَاسَةٌ فِيهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ رِئِيسًا لَهُمْ غَالِبًا  
 عَلَيْهِمْ فَيَتَعَيَّنُ رِئِيسًا لِلْعَصِيَّاتِ كُلِّهَا لِقَلْبِ مَبْنِيَّتِ الْجَمِيعِ وَإِذَا تَعَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ قَرْنُ الطَّيْبَةِ  
 الْحَبَوَانِيَّةِ خَلْقُ الْكِبَرِ وَالْأَنَفَةِ فَيَأْتِي حِينَئِذٍ مِنَ الْمُسَاهِمَةِ وَالْمَشَارَكَةِ فِي اسْتِنَاعِهِمْ  
 وَالنَّصْرِ فِيهِمْ وَيَجِيئُ خَلْقُ التَّأَلُّهِ الَّذِي فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ السِّيَاسَةُ مِنْ  
 انْفِرَادِ الْحَاكِمِ لِفَسَادِ الْكُلِّ بِاخْتِلَافِ الْحُكْمِ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَقَسَدَتْ  
 فَتَجِدُ حِينَئِذٍ أَنْوَافَ الْعَصَبِيَّاتِ وَتَقْلَعُ شَكَائَهُمْ عَنْ أَنْ يَسْمُوا إِلَى مَشَارَكَتِهِ فِي النُّصْرَةِ

وَتَفَرَّغُ عَصِيَّتُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَتَتَفَرَّدُ بِهِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى لَا يَبْرُكَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْأَمْرِ لَا نَافَةَ وَلَا جَمَلَ فَيَتَفَرَّدُ بِذَلِكَ التَّجِدُ بِكُلِّيَّتِهِ وَيُدْفَعُهُمْ عَنْ مُسَاهَمَتِهِ وَقَدْ يَتِمُّ ذَلِكَ لِلأَوَّلِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِلثَّانِي وَالثَّلَاثِ عَلَى قَدَرِ مُنَافَعَةِ الْعَصِيَّاتِ وَقُوَّتِهَا إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الدَّوْلَةِ سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الحادي عشر

في ان من طبيعة الملك الترف

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا تَغَلَّبَتْ وَمَلَكَتْ مَا بِأَيْدِي أَهْلِ الْمُلْكِ قَبْلَهَا كَثُرَ رِيشُهَا وَنَمَتْهَا فَكَثُرَ عَوَائِدُهُمْ وَتَجَاوَزُونَ صَرُورَاتِ الْعَيْشِ وَخُسُوفَتُهُ إِلَى نَوَائِلِهِ وَرِقَّتِهِ وَزِيَّتِهِ وَيَذْمُونَ إِلَى اتِّبَاعِ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَتَصِيرُ لِيْلِكَ النَوَائِلِ عَوَائِدُ صَرُورَةٍ فِي تَحْصِيلِهَا وَتَبَزُّعُوتٍ مَعَ ذَلِكَ إِلَى رِقَّةِ الْأَحْوَالِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَايِسِ وَالْأَنْرُشِ وَالْأَلَانِيَةِ وَتَتَفَخَّرُونَ فِي ذَلِكَ وَتُفَاخِرُونَ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَكْلِ الطَّيِّبِ وَنَسِ الْأَلْيَنِ وَزُكُوبِ الْفَارِهِ وَتُبَاغِي خَلْقَهُمْ فِي ذَلِكَ سَلَفَهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَعَلَى قَدَرِ مَلَكَتِهِمْ يَكُونُ حَظُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرْفُهُمْ فِيهِ إِلَى أَنْ يُلْغَوْا مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةِ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَهَا بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَعَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهَا سَنَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثاني عشر

في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَا يَحْصُلُ لَهَا الْمُلْكُ إِلَّا بِالْمُطَابَاةِ وَالْمُطَابَاةِ غَايَتُهَا الْقَلْبُ وَالْمُلْكُ وَإِذَا حَصَلَتْ الْقَايَةُ انْقَضَى السَّعْيُ إِلَيْهَا (قال الشاعر)  
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ يَتِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
فَإِذَا حَصَلَ الْمُلْكُ أَفْصَرُوا عَنِ الْمَتَاعِ الَّتِي كَانُوا يَتَكَلَّفُونَهَا فِي طَلَبِهِ وَاتَّزَوْا الرِّاحَةَ وَالسُّكُونَ وَالدَّعَةَ وَرَجَعُوا إِلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْمَبَانِي وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَلَايِسِ فَيَتَوَنَّقُونَ الْقُصُورَ وَيُجْرُونَ الْمِيَاهَ وَيَفْرَسُونَ أَرْيَاضَ وَاسْتَمْتَعُونَ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا وَيُؤْثِرُونَ الرِّاحَةَ عَلَى الْمَتَاعِ وَيَتَأَقُّونَ فِي أَحْوَالِ الْمَلَايِسِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْأَلَانِيَةِ وَالْقُرُشِ مَا اسْتَطَاعُوا وَيَأْلُقُونَ ذَلِكَ وَيُؤْثِرُونَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ أَجْلِهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَزَايَدُ فِيهِمْ

إِلَى أَنْ يَتَذَكَّرَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث عشر

في انه اذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة

اقبلت الدولة على الهرم

وَيَبَاطِنُهُ مِنْ وَجْهِهِ . الْأَوَّلُ أَنَّهَا تَقْتَضِي الْإِنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ كَمَا فَلَتَاهُ وَمَهْمَا كَانَ  
الْمَجْدُ مُشْتَرِكًا بَيْنَ الْعَصَابَةِ وَكَانَ سَعْيُهُمْ لَهُ وَاحِدًا كَانَتْ مَهْمُهُمْ فِي التَّغْلِبِ عَلَى الْغَيْرِ  
وَالدَّبَّ عَنِ الْخُوزَةِ أَسُوءَ فِي طُمُوحِهَا وَقُوَّةِ شَكَاكِمِهَا وَزَمَانُهَا إِلَى الْعَزِّ جَمِيعًا يَسْتَطِيعُونَ  
الْمَوْتَ فِي بِنَاءِ مَجْدِهِمْ وَيُؤَثِّرُونَ الْهَلَاكَ عَلَى نَسَائِدِهِ وَإِذَا انْفَرَدَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِالْمَجْدِ  
فَرَعَ عَصِيَّتَهُمْ وَكَبَّحَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَأَسْتَأْثَرَ بِالْأَمْوَالِ دُونَهُمْ فَتَبَكَسَلُوا عَنِ الْغَزْوِ وَفَقِلَ  
رُجْمُهُمْ وَزَيْعُوا الْمَدْلَةَ وَالْإِسْتِعْبَادَ ثُمَّ زَيَّيَ الْجِيلُ الثَّانِي مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ يُعْصِبُونَ مَا يَنَالُونَهُ  
مِنَ الْعَطَاءِ أَجْرًا مِنَ السُّلْطَانِ لَهُمْ عَنِ الْحِمَايَةِ وَالْمَعُونَةِ لَا يَجْعَرِي فِي عُقُولِهِمْ سِوَاهُ وَقُلَّ  
أَنْ يَسْتَأْجِرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ وَهْنًا فِي الدَّوْلَةِ وَخَضًا مِنَ الشُّوْكَةِ  
وَيُقِيلُ بِهِ عَلَى مَنَاحِي الضَّعْفِ وَالْهَرَمِ لِفَسَادِ الْعَصَابَةِ بِذَهَابِ الْبَأْسِ مِنْ أَهْلِهَا . وَالْوَجْهُ  
الثَّانِي أَنَّ طَبِيعَةَ الْمَلِكِ تَقْتَضِي التَّرَفَّ كَمَا قَدَّمَاهُ فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَتَزِيدُ نَفَقَاتُهُمْ  
عَلَى أُعْطِيَاتِهِمْ وَلَا يَبْنِي دَخْلُهُمْ بِخَرْجِهِمْ فَالْفَقِيرُ مِنْهُمْ يَهْلِكُ وَالْمَتْرَفُ يَسْتَفْرِقُ عَطَاءَهُ  
بِتَرْفِهِ ثُمَّ يَزْدَادُ ذَلِكَ فِي أَجْبَاهِهِمُ الْمَتَأَخَّرَةِ إِلَى أَنْ يَقْصُرَ الْعَطَاءُ كُلُّهُ عَنِ التَّرَفِّ  
وَعَوَائِدِهِ وَتَمَسَّهُمْ الْحَاجَةُ وَتَطَالِبُهُمْ مَلُوكُهُمْ بِمَحْضَرِ نَفَقَاتِهِمْ فِي الْغَزْوِ وَالْخُرُوبِ فَلَا  
يَجِدُونَ وَلِجَّةً عَنْهَا يَفُوقُونَ بِهِمُ الْعُقُوبَاتِ وَيَنْتَزِعُونَ مَا فِي أَيْدِي الْكَثِيرِ مِنْهُمْ يَسْتَأْثِرُونَ  
بِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ يُؤَثِّرُونَ بِهِ أَبْنَاءَهُمْ وَصَنَائِعَ دَوْلَتِهِمْ فَيَضْعِفُونَهُمْ لِلذَّلِكِ عَنْ إِقَامَةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَيَضْعِفُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بَضْعُهُمْ وَأَبْنَاءُ إِذَا كَثُرَ التَّرَفُّ فِي الدَّوْلَةِ وَصَارَ عَطَاؤُهُمْ  
مُقْصَرًا عَنْ حَاجَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِهِمْ أَحْتَاجُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الَّذِي هُوَ السُّلْطَانُ إِلَى الزِّيَادَةِ  
فِي أُعْطِيَاتِهِمْ حَتَّى يَسُدَّ خَلْلَهُمْ وَيَزِيحَ عِلْلَهُمْ وَالْجَبَايَةُ مِقْدَارُهَا مَعْلُومٌ وَلَا تَزِيدُ وَلَا  
تَقْصُ وَإِنْ زَادَتْ بِمَا يُسْتَحْدَثُ مِنَ الْمَكُوسِ فَيَصِيرُ مِقْدَارُهَا بَعْدَ الزِّيَادَةِ نَحْدُودًا  
فَإِذَا وَزَعَتْ الْجَبَايَةُ عَلَى الْأَعْطِيَاتِ وَقَدْ حَدَثَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمَا حَدَثَ مِنْ  
تَرْفِهِمْ وَكَثَرَتْ نَفَقَاتِهِمْ تَقْصُ عَدَدُ الْحِمَايَةِ حِينَئِذٍ عَمَّا كَانَ قَبْلَ زِيَادَةِ الْأَعْطِيَاتِ ثُمَّ

بِعَظْمِ التَّرَفِ وَتَكْثُرِ مَقَادِيرِ الْأَعْطِيَّاتِ لِلذَّكَاءِ فَيَنْقُصُ عَدَدُ الْحَاكِمَةِ وَثَالِثًا وَرَابِعًا إِلَى  
أَنْ يَبْعُدَ الْمُسْكِرُ إِلَى أَقَلِّ الْأَعْدَادِ فَتَضَعُ الْحِمَايَةَ لِلذَّكَاءِ وَتَسْقُطُ قُوَّةُ الدَّوْلَةِ وَيَتَجَاسَرُ  
عَلَيْهَا مَنْ يَجَاوِزُهَا مِنَ الدُّوَلِ أَوْ مَنْ هُوَ تَحْتَ يَدَيْهَا مِنَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَيَأْذَنُ اللَّهُ  
فِيهَا بِالْقَتْلِ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَأَيْضًا فَالتَّرَفُ مُفْسِدٌ لِلخَلْقِ بِمَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ  
الْوَانِ الشَّرِّ وَالنَّسْفَةِ وَعَوَائِدِهَا كَمَا بَأْتِي فِي فَصْلِ الْحِصَارَةِ فَتَذْهَبُ مِنْهُمْ خِلَالُ  
الْخَيْرِ الَّتِي كَانَتْ عَلَامَةً عَلَى الْمَلِكِ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَيَصِفُونَ بِمَا يَبْقِيهَا مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ  
فَيَكُونُ عَلَامَةً عَلَى الْإِدْبَارِ وَالْإِنْقِرَاضِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ وَتَأْخُذُ  
الدَّوْلَةُ مَبَادِيءَ الْعَطَبِ وَتَضَعُ أَحْوَالَهَا وَتَنْزِلُ بِهَا أَمْرًا مِنْ مَنَةِ الْمُهْرَمِ إِلَى أَنْ  
يُقْضَى عَلَيْهَا. أَلَوْجُهُ الثَّالِثُ أَنَّ طَبِيعَةَ الْمَلِكِ تَقْضِي الدَّعَاةَ كَمَا ذَكَرْنَا وَإِذَا اخْتَلَعُوا  
الدَّعَاةَ وَارَاحَةً مَا لَمْ تَلْقَ وَخَلَقًا صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ طَبِيعَةً وَجِيلَةً شَانَ الْعَوَائِدِ كُلِّهَا وَإِبْلَافِهَا  
فَقَرَى أَجْبَأَ لَهُمُ الْخَادَةُ فِي غِنَاةِ الْعَيْشِ وَمَبَادِي التَّرَفِ وَالدَّعَاةِ وَتَقْلِبُ خَلْقُ التَّوَحُّشِ  
وَيَسُونَ عَوَائِدَ الدَّوَاةِ الَّتِي كَانَ يَهَا الْمَلِكُ مِنْ شِدَّةِ الْبَاسِ وَتَعُوذُ الْإِنْتِرَاسِ وَرُكُوبِ  
الْبَيْدَاءِ وَهَدَايَةِ الْفَقْرِ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّوقَةِ مِنَ الْخَصْرِ إِلَّا فِي التَّقَافَةِ وَالشَّارَةِ  
فَتَضَعُ حِمَايَتَهُمْ وَيَذْهَبُ بِأَمْرِهِمْ وَتُخْضَعُ شُؤْنُهُمْ وَيَعُوذُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا  
تُلْبَسُ مِنَ ثِيَابِ الْمُهْرَمِ ثُمَّ لَا يَزَالُونَ يَتَلَوَّنُونَ بِعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْحِصَارَةِ وَالسُّكُونِ وَالدَّعَاةِ  
وَرِقَّةِ الْخَاشِيَةِ فِي جَمِيعِ أَحْزَالِهِمْ وَيَتَغَمَّسُونَ فِيهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَبْعُدُونَ عَنِ الدَّوَاةِ  
وَالْخُشُونَةِ وَيَسْلُخُونَ عَنْهَا شَيْئًا فَيَسُونَ خَلْقَ الْبَسَالَةِ الَّتِي كَانَتْ يَهَا الْحِمَايَةَ وَالْمُدَافَعَةَ  
حَتَّى يَبْعُدُوا عَمَلًا عَلَى حَاكِمِيَّةٍ أُخْرَى إِنْ كَانَتْ لَهُمْ وَأَعْيَزَ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ الَّتِي أَخْبَارُهَا  
فِي الصُّبْحِ لَدَيْكَ تَجِدُ مَا قُلْتَهُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحًا مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ فِي الدَّوْلَةِ  
إِذَا طَرَفَهَا هَذَا الْمُهْرَمُ بِالْتَّرَفِ وَارَاحَةٍ أَنْ يَتَخَيَّرَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْصَارًا وَشَيْعَةً مِنْ غَيْرِ  
جِلْدَتِهِمْ مِمَّنْ تَعُوذُ الْخُشُونَةُ فَيَتَخَذُهُمْ جُنْدًا يَكُونُ أَصْبَرَ عَلَى الْحَرْبِ وَأَقْدَرُ عَلَى مُعَانَاةِ  
الْشَّدَائِدِ مِنَ الْجُوعِ وَالسَّطَفِ وَيَكُونُ ذَلِكَ دَوَاءً لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْمُهْرَمِ الَّذِي عَسَاهُ أَنْ  
يَطْرُقَهَا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهَا بِأَمْرِهِ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَإِنَّ غَالِبَ  
جُنْدِهَا أَلْمَوَالِي مِنَ التُّرْكِ فَتَخَيَّرَ مُلُوكُهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمَمَالِكِ الَّتِي يَحْمِلُونَ بَيْنَ الْيَمِينِ وَزُسَانَا  
وَجُنْدًا فَيَكُونُونَ أَجْرًا عَلَى الْحَرْبِ وَأَصْبَرَ عَلَى السَّطَفِ مِنْ أُنْبَاءِ الْمَمَالِكِ الَّذِينَ

كَانُوا قَبْلَهُمْ وَزُبُوا فِي مَاءِ النِّعَمِ وَالسُّلْطَانِ وَظِلِّهِ وَكَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِأَفْرِيقِيَّةٍ  
فَإِنَّ صَاحِبَهَا كَثِيرًا مَا يَتَّخِذُ أَجْنَادَهُ مِنْ زَنَانَةٍ وَالْعَرَبِ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُمْ وَيَتْرُكُ أَهْلَ  
الدَّوْلَةِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلتَّرَفِ فَتَسْتَعِيدُ الدَّوْلَةُ بِذَلِكَ عُمَرَاً آخَرَ سَالِمًا مِنَ الْهَرَمِ وَاللَّهِ  
وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للأشخاص

إِعْلَمُ أَنَّ الْعُمَرَ الطَّبِيعِيَّ لِلْأَشْخَاصِ عَلَى مَا زَعَمَ الْأَطِبَّاءُ وَالْمُتَحِمُّونَ مِائَةً وَعِشْرُونَ  
سَنَةً وَهِيَ سِنُو الْقَمَرِ الْكَبْرَى عِنْدَ الْمُتَحِمِّينَ وَيَتَغَيَّرُ الْعُمَرُ فِي كُلِّ جِيلٍ بِحَسَبِ  
الْقِرَآنَاتِ فَيَزِيدُ عَنْ هَذَا وَيَنْقُصُ مِنْهُ فَتَكُونُ أَعْمَارُ بَعْضِ أَهْلِ الْقِرَآنَاتِ مِائَةً تَامَةً  
وَبَعْضِهِمْ ثَمَانِينَ أَوْ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ أُدْلَةُ الْقِرَآنَاتِ عِنْدَ النَّاطِرِينَ فِيهَا  
وَأَعْمَارُ هَذِهِ الْجَمَلَةِ مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَزِيدُ عَلَى الْعُمَرِ  
الطَّبِيعِيِّ الَّذِي هُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ إِلَّا فِي الصُّورِ النَّادِرَةِ وَعَلَى الْأَدْوَاعِ الْغَرِيبَةِ مِنَ  
الْفَلَكَ كَمَا وَقَعَ فِي شَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَلِيلٌ مِنْ قَوْمٍ عَادَ وَتَعَوَّدَ وَأَمَّا أَعْمَارُ  
الدُّوَلِ أَيْضًا وَإِنْ كَانَتْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْقِرَآنَاتِ إِلَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي الْغَالِبِ لَا تَعْدُو  
أَعْمَارَ ثَلَاثَةِ أَجْيَالٍ وَالْجِيلُ هُوَ عُمَرُ شَخْصٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعُمَرِ الْاَوْسَطِ فَيَكُونُ  
أَرْبَعِينَ الَّذِي هُوَ أَنْتَهَاءُ الْعُمُورِ وَالنَّشْوءُ إِلَى غَايَتِهِ قَالَ تَعَالَى حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ عُمَرَ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ هُوَ عُمَرُ الْجِيلِ وَيُؤَيِّدُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ  
فِي حِكْمَةِ التَّبَيُّهِ الَّذِي وَقَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْأَرْبَعِينَ فِيهِ فَتَاهُ الْجِيلِ  
الْأَحْيَاءُ وَنَشَأَةُ جِيلٍ آخَرَ لَمْ يَهْدُوا الدَّلَّ وَلَا عَرَفُوهُ فَدَلَّ عَلَى اخْتِبَارِ الْأَرْبَعِينَ فِي  
عُمَرِ الْجِيلِ الَّذِي هُوَ عُمَرُ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ عُمَرَ الدَّوْلَةِ لَا يَعْدُو فِي الْغَالِبِ  
ثَلَاثَةَ أَجْيَالٍ لِأَنَّ الْجِيلَ الْأَوَّلَ لَمْ يَزَلْ أَوْ عَلَى خُلُقِ الْبِدَاوَةِ وَخُشُونَتِهَا وَتَوْخُّشِهَا مِنْ  
شَطَطِ الْعَبَسِ وَالْبَسَاطَةِ وَالْإِفْتِرَاسِ وَالْإِشْتِرَاكِ فِي الْعِبَادَةِ فَلَا تَزَالُ بِذَلِكَ سُورَةُ الْعَصِيدَةِ  
مَحْمُولَةً فِيهِمْ فَحَدَّثُوهُمْ مَرْهَفٌ وَجَانِبُهُمْ مَرْهُوبٌ وَالنَّاسُ لَهُمْ مَغْلُوبُونَ وَالْجِيلُ الثَّانِي  
مَحْمُولٌ حَالُهُمْ بِالْمَلِكِ وَالتَّرَفِ مِنَ الْبِدَاوَةِ إِلَى الْحَضَارَةِ وَمِنْ الشَّطَطِ إِلَى التَّرَفِ  
وَالْحَصْبِ وَمِنْ الْإِشْتِرَاكِ فِي الْعِبَادَةِ إِلَى انْفِرَادِ الْوَاحِدِ بِهِ وَكَسَلِ الْبَاكِينَ عَنْ



السَّخِي فِيهِ مِنْ عَزِ الْأَسْطَلَّةِ إِلَى ذُلِّ الْأَسْكَانَةِ فَتَنْكَسِرُ سَوْرَةُ الْعَصِيَّةِ بَعْضُ  
الشَّيْءِ وَتَوُتَسُ مِنْهُمْ أَلْمَانَةُ وَالْخُضُوعُ وَيَقْبِي لَهُمُ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ بَمَا أَدْرَكُوا الْجِيلَ  
الْأَوَّلَ وَبَاشَرُوا أَحْوَالَهُمْ وَشَهِدُوا اعْتَزَالَهُمْ وَسَعْيَهُمْ إِلَى التَّجِدِّ وَرَأْيَهُمْ فِي الدُّفَاعَةِ  
وَالْحَيَاةِ فَلَا يَسْعَهُمْ تَرْكُ ذَلِكَ بِالْكَفَالَةِ وَإِنْ ذَهَبَ مِنْهُ مَا ذَهَبَ وَيَكُونُونَ عَلَى رَجَاءٍ  
مِنْ مُرْجَعَةِ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانَتْ لِلْجِيلِ الْأَوَّلِ أَوْ عَلَى ظَنٍّ مِنْ وُجُودِهَا فِيهِمْ وَأَمَّا  
الْجِيلُ الثَّلَاثُ فَيَنْسَوْنَ عَهْدَ الْبِدَاوَةِ وَالْخُشُونَةَ كَأَن لَمْ تَكُنْ وَيَفْقِدُونَ حِلَاوَةَ الْعِزِّ  
وَالْعَصِيَّةِ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ مَلَكَهَةِ الْقَهْرِ وَيَبْلُغُ فِيهِمُ التَّرَفُ غَايَتَهُ يَمَا تَبْنَقُوهُ مِنَ النِّعَمِ  
وَعُضَارَةِ الْعَيْشِ فَيَصِيرُونَ عِيَالًا عَلَى الدَّوْلَةِ وَمِنْ جُمْلَةِ النِّسَاءِ وَالْوُلَدَانِ الْمُتَحَنِّينَ  
لِلدُّفَاعَةِ عَنْهُمْ وَتَسْقُطُ الْعَصِيَّةُ بِالْجُمْلَةِ وَيَنْسَرُ الْحَيَاةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَالْمُطَالَبَةُ  
وَيَلْتَسُونَ عَلَى النَّاسِ فِي الثَّارَةِ وَالزِّي وَرُكُوبِ الْخَيْلِ وَحُسْنِ الثَّقَافَةِ يَوْمُونَ بِهَا وَهُمْ  
فِي الْأَكْثَرِ أَجْنَبٌ مِنَ السُّوَانِ عَلَى ظُهُورِهَا فَإِذَا جَاءَ الْمُطَالِبُ لَهُمْ لَمْ يَقَاوِمُوا  
مُدَافَعَتَهُ فَيَحْتَاجُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِلَى الْأَسْطَهَارِ بِسَوَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّجَدِّ وَيَسْتَكْثِرُ  
بِالْمَوَالِي وَيَصْطَلِحُ مَنْ يُغْنِي عَنِ الدَّوْلَةِ بَعْضُ الْغَنَاءِ حَتَّى يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِإِقْرَاضِهَا فَتَذْهَبُ  
الدَّوْلَةُ بِمَا حَمَلَتْ قَهْدَهُ كَمَا تَرَاهُ ثَلَاثَةُ أَجْيَالٍ فِيهَا يَكُونُ مَرَمُ الدَّوْلَةِ وَتُغْلَقُهَا  
وَلِهَذَا كَانَ اقْتِرَاضُ الْحَسَبِ فِي الْجِيلِ الرَّابِعِ كَمَا مَرَّ فِي أَنَّ التَّجَدِّ وَالْحَسَبَ إِنَّمَا هُوَ  
أَذْبَعُ آبَاءَ وَقَدْ أَتَيْنَاكَ فِيهِ بِبِرْهَانٍ طَبِيعِي كَافٍ ظَاهِرٍ مَبْنِيٍّ عَلَى مَا مَهَّدْنَاهُ قَبْلُ مِنْ  
الْمُقَدِّمَاتِ فَتَأَمَّلْهُ فَلَنْ تَعْدُو وَجْهَ الْحَقِّ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْإِنْصَافِ وَهَذِهِ الْأَجْيَالُ  
الْثَلَاثَةُ عُمُرُهَا مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً عَلَى مَآرٍ وَلَا تَعْدُو الدَّوْلُ فِي الْعَالِي هَذَا الْعُمُرُ بِتَقَرُّبِ  
قَبْلِهِ أَوْ بَعْدِهِ إِلَّا إِنْ عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ آخَرُ مِنْ فِتْنَانِ الْمُطَالِبِ فَيَكُونُ أَلْهَرَمُ حَاصِلًا  
مُسْتَوِيًا وَالْمُطَالِبُ لَمْ يَحْضُرْهَا وَلَوْ قَدْ جَاءَ الْمُطَالِبُ لَمَّا وَجَدَ مُدَافِعًا فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ  
لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ قَهْدًا الْعُمُرُ لِلدَّوْلَةِ بِمِثَابَةِ عُمُرِ الشَّخْصِ مِنَ التَّزْيِيدِ  
إِلَى مَنْ أَوْفَوْهُ ثُمَّ إِلَى مَنْ الرُّجُوعِ وَلِهَذَا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي الْمَشْهُورِ أَنَّ  
عُمُرَ الدَّوْلَةِ مِائَةٌ سَنَةً وَهَذَا مَعْنَاهُ فَأَعْبِرْهُ وَاتَّخِذْ مِنْهُ قَانُونًا يُصَحِّحُ لَكَ عَدَدَ الْأَبَاءِ فِي  
عُمُودِ النَّسَبِ الَّذِي تُرِيدُهُ مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ السِّنِينَ الْمَاضِيَةِ إِذَا كُنْتَ قَدْ اسْتَرْتَبْتَ فِي  
عَدْدِهِمْ وَكَانَتْ السِّنُونَ الْمَاضِيَةُ مِنْذُ أَوَّلِهِمْ مُحْصَلَةً لَدَيْكَ فَقَدْ لِكُلِّ مِائَةٍ مِنَ السِّنِينَ

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآبَاءِ فَإِنْ تَقَدَّتْ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ مَعَ تَعَوُّدِ عَدَدِهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ وَإِنْ تَقَصَّتْ عَنْهُ  
بِجِبِلٍ فَقَدْ غَلِطَ عَدَدُهُمْ بِزِيَادَةِ وَاحِدٍ فِي عَمُودِ النَّسَبِ وَإِنْ زَادَتْ بِمِثْلِهِ فَقَدْ سَقَطَ وَاحِدٌ  
وَكَذَلِكَ تَأْخُذُ عَدَدُ السِّنِينَ مِنْ عَدَدِهِمْ إِذَا كَانَ مُحْصَلًا لَدَيْكَ فَتَأَمَّلْهُ مُعْجَدُهُ فِي الْغَالِبِ  
صَحِيحًا وَأَلَّهُ بِقَدْرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

### الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

إِعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَطْوَارَ طَبِيعِيَّةٌ لِلدُّوَلِ فَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْمَلِكُ إِنَّمَا هُوَ  
بِالْعَصَبِيَّةِ وَيَمَّا تَبَعُهَا مِنْ شِدَّةِ الْبَاسِ وَتَعَوُّدِ الْإِفْتِرَاسِ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غَالِيًا إِلَّا مَعَ  
الْبَدَاوَةِ فَطَوْرُ الدُّوَلَةِ مِنْ أَوَّلِهَا بِدَاوَةٌ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ الْمَلِكُ تَبِعَهُ الرِّفْقُ وَاتَّسَاعُ الْأَحْوَالِ  
وَالْحَضَارَةِ إِنَّمَا هِيَ تَقَنُّنٌ فِي التَّرَفِّ وَإِحْكَامُ الصَّنَائِعِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي وُجُوهِهِ وَمَذَاهِبِهِ  
مِنَ الْمَطَايِخِ وَالْمَلَايِسِ وَالْمَبَانِي وَالْفُرُشِ وَالْأَلْبَانِيَةِ وَسَائِرِ عَوَانِدِ الْمَنْزِلِ وَأَحْوَالِهِ  
فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا صَنَائِعٌ فِي اسْتِجَادَتِهِ وَالنَّاقِي فِيهِ تَخَلُّصٌ بِهِ وَيَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا  
وَيَتَكَثَّرُ بِاخْتِلَافِ مَا تَنَزَّعَ إِلَيْهِ الدُّنُوسُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَالنَّعْمِ بِأَحْوَالِ  
التَّرَفِّ وَمَا تَتَلَوَّنُ بِهِ مِنَ الْعَوَانِدِ فَصَارَ طَوْرُ الْحَضَارَةِ فِي الْمَلِكِ يَتَّبِعُ طَوْرَ الْبَدَاوَةِ  
ضَرُورَةً لِضَرُورَةِ تَبَعِيَّةِ الرِّفْقِ لِلْمَلِكِ وَأَهْلُ الدُّوَلِ أَبَدًا يُقَلِّدُونَ فِي طَوْرِ الْحَضَارَةِ  
وَأَحْوَالِهَا لِلدُّوَلَةِ السَّابِقَةِ قَبْلَهُمْ فَأَحْوَالُهُمْ يُشَاهِدُونَ وَمِنْهُمْ فِي الْغَالِبِ بِأَخْذُونَ وَمِثْلُ هَذَا  
وَقَعَ لِلْعَرَبِ لَمَّا كَانَ الْقَتْعُ وَمَلَكَوا فَارِسَ وَالرُّومَ وَاسْتَغْنَمُوا بَنَاتِهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَلَمْ  
يَكُونُوا لِلذَّكَاءِ الْعَهْدِ فِي مِثْلِهِ مِنْ الْحَضَارَةِ فَقَدْ حَكَمِي أَنَّهُ قَدِيمٌ لَهُمُ الْمَرْفَقُ فَكَانُوا  
يَحْسِبُونَهُ رِفَاءً وَعَتَرُوا عَلَى الْكَافُورِ فِي خَزَائِنِ كِسْرَى فَاسْتَغْمَلُوهُ فِي عَجَبِهِمْ مِلْعَامًا وَمِثَالُ  
ذَلِكَ كَثِيرٌ فَلَمَّا اسْتَعْبَدُوا أَهْلَ الدُّوَلِ قَبْلَهُمْ وَاسْتَغْمَلُوهُمْ فِي مِهْنِهِمْ وَحَاجَاتِ مَنَازِلِهِمْ  
وَأَخْتَارُوا مِنْهُمْ الْمَهْرَةَ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ وَالْقَوْمَةَ عَلَيْهِمْ أَفَادَوْهُمْ عِلَاجَ ذَلِكَ وَالْقِيَامَ  
عَلَى عَمَلِهِ وَالنَّفَقَةَ فِيهِ مَعَ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ اتَّسَاعِ الْعَيْشِ وَالنَّفَقَةِ فِي أَحْوَالِهِ قَبْلَهُوا الْعَالِيَةَ  
فِي ذَلِكَ وَتَطَوَّرُوا بِطَوْرِ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِّ فِي الْأَحْوَالِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ  
وَالْمَلَايِسِ وَالْمَبَانِي وَالْأَسَاحَةِ وَالْفُرُشِ وَالْأَلْبَانِيَةِ وَسَائِرِ الْمَاعُودِ وَالْخَزَائِنِ وَكَذَلِكَ  
أَحْوَالُهُمْ فِي أَيَّامِ الْمُبَاهَاةِ وَالْوَلَايَةِ وَلِيَالِي الْأَعْرَاسِ فَأَتَوْا مِنْ ذَلِكَ وَرَاءَ الْعَالِيَةِ وَأَنْظَرُوا

مَا نَقَلَهُ السَّعُودِيُّ وَالطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا فِي أَعْرَاسِ الْمَأْمُونِ بِبُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ  
 بْنِ سَهْلٍ وَمَا بَدَّلَ أَبُوهُمَا حَاشِيَةَ الْمَأْمُونِ حِينَ وَافَاهُ فِي خِطْبَتِهَا إِلَى دَارِهِ بِفَمِ الصَّلْحِ  
 وَكَرَبَ إِلَيْهَا فِي السَّنِينَ وَمَا أَتَقَى فِي أَمْلَاكِهَا وَمَا نَحَلَهَا الْمَأْمُونُ وَأَتَقَى فِي عَرَسِهَا  
 نَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْغَيْبِ فَمَنْهُ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ نَزَلَ يَوْمَ الْأَمْلَاكِ فِي الصَّبِيحِ الَّذِي  
 حَضَرَهُ حَاشِيَةُ الْمَأْمُونِ فَتَنَزَّ عَلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ بِنَادٍ الْمَسْكُ مَلَكُوتُهُ عَلَى  
 الرِّقَاعِ بِالضِّيَاعِ وَالْعَقَارِ مَسُوعَةَ لِحْنِ حَصَاتٍ فِي يَدِهِ بِقَعِ اِكْلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا  
 أَدَاهُ إِلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ وَالْبَيْتُ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ بَدْرَ الدَّنَائِرِ فِي كُلِّ بَدْرَةٍ عَشْرَةُ  
 آلَافٍ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ بَدْرَ الدَّرَاهِمِ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَتَقَى عَلَى مَقَامَةِ الْمَأْمُونِ  
 بِدَارِهِ اضْعَافَ ذَلِكَ وَمِنْهُ أَنَّ الْمَأْمُونِ أَعْطَاهَا فِي مُهِمَّهَا لَيْلَةً زِنَافَهَا أَلْفَ حَصَاةٍ مِنْ  
 الْيَاقُوتِ وَأَوْقَدَ شَمُوعَ الْعَنْبَرِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِائَةَ مِنْ وَهُوَ رَطْلٌ وَثُلَاثُ (١)  
 وَبَسَطَ لَهَا فُرْشًا كَانَ الْخَصِيرُ مِنْهَا مَنْسُوجًا بِالذَّهَبِ مُكَلَّلًا بِاللُّزْ وَالْيَاقُوتِ وَقَالَ  
 الْمَأْمُونُ حِينَ رَأَاهُ قَاتِلُ اللَّهِ أَبَا نُوَاسٍ كَأَنَّهُ أَبْهَرُ مِمَّا حَيْثُ يَقُولُ فِي صِنَةِ الْخَوَرِ  
 كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاهُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وَأَعَدَّ بِدَارِ الطَّبَخِ مِنَ الْحَطَبِ لِلَّيْلَةِ الْوَلِيحَةِ نَقْلَ مِائَةِ وَأَرْبَعِينَ بَقْلًا مَدَّةَ عَامٍ كَامِلٍ  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفَنِي الْحَطَبِ لِلَّيْلَتَيْنِ وَأَوْقَدُوا الْجَرِيدَ يَصْبُونُ عَلَيْهِ الرِّبْتَ  
 وَأَوْعَزَ إِلَى الثَّوَاتِيَةِ بِإِحْضَارِ أَلْسُنٍ لِإِجَازَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ النَّاسِ بِدِجْلَةٍ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى  
 قُصُورِ الْمَلِكِ بِمَدِينَةِ الْمَأْمُونِ لِحُضُورِ الْوَلِيحَةِ فَكَانَتْ الْحُرَاقَاتُ (٢) الْمَعْدَةُ لِنَلِكِ  
 ثَلَاثِينَ أَلْفًا أَجَازُوا النَّاسَ فِيهَا أَخْرِيَاتِ بَهَارِهِمْ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا وَأَمَثَالِهِ وَكَذَلِكَ عَرَسُ  
 الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي الثُّونِ بِطَلِيطِلَةَ نَقَلَهُ ابْنُ سَامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ وَأَبْنُ حَيَّانَ بَعْدَ أَنْ  
 كَانُوا كُلُّهُمْ فِي الطُّورِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبِدَاوَةِ عَاجِزِينَ عَنِ ذَلِكَ جُمْلَةً لِفَقْدَانِ أَسْبَابِهِ  
 وَالْقَائِمِينَ عَلَى صَنَائِعِهِ فِي غَضَاضَتِهِمْ وَسَدَاجَتِهِمْ بِذِكْرِ أُنْ الْحَجَّاجِ أَوَّلًا فِي اخْتِمَانِ  
 بَعْضِ وَلِيِّهِ فَأَسْتَحْضَرَ بَعْضَ الدَّهَاقِينِ يَسْأَلُهُ عَنْ وَلَايِمِ الْفَرَسِ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِأَعْظَمِ  
 صَنِيعٍ شَهِدْتُهُ فَقَالَ لَهُ تَمَّ أَيْهَا الْأَمِيرُ شَهِدْتُ بَعْضَ مَرَايِبَةٍ كَسَمَرَى وَقَدْ صَنَعَ لِأَهْلِ

(١) قوله وثلاثان الذي كتب في اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة المتوسطة ثلاثان

(٢) الحرافات بالغ جمع حرافة سفينة فيها مراحي نار يرمي بها العدو مخار

فَارْسَ صَنِيعًا أَحْضَرَ فِيهِ صِغَافَ الذَّهَبِ عَلَى آخِرَةِ الْفِضَّةِ أَرْبَعًا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَتَحْمِلُهُ  
 أَرْبَعُ وَصَافَتْ وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّاسِ فَإِذَا طَعِمُوا أَثْبَمُوا أَرْبَعَتَهُمُ الْمَائِدَةَ  
 بِصِحْفَيْهَا وَوَصَفَايَهَا فَقَالَ الْحِجَاجُ يَا غَلَامُ أَتَحْرُ الْجُرُزَ وَأَطْعِمُ النَّاسَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ  
 بِهَذِهِ الْأَبْهَةِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أُعْطِيَهُ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَوَائِزُهُمْ فَإِنَّمَا كَانَ  
 أَكْثَرُهَا الْإِبِلَ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَبِدَاوَتِهِمْ ثُمَّ كَانَتْ الْجَوَائِزُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 وَالْعَبِيدِيَّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَلِمْتُ مِنْ أَحْمَالِ الْمَالِ وَنَحْوِ الثِّيَابِ وَإِعْدَادِ الْخَيْلِ بِمَرَاكِبِهَا  
 وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ كُنَامَةٍ مَعَ الْأَعَالِيَةِ بِأَفْرِيقَةٍ وَكَذَا بَنِي طَفَّحٍ بِمِصْرَ وَشَأْنُ لِمُتُونَةَ  
 مَعَ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْمُوحِدِينَ كَذَلِكَ وَشَأْنُ زَنَانَةَ مَعَ الْمُوحِدِينَ وَهَلُمَّ  
 جَرًّا تَنْتَقِلُ الْحِضَارَةُ مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ إِلَى الدُّوَلِ الْخَالِفَةِ فَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ الْفُرْسِ لِلْعَرَبِ  
 بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى مُلُوكِ الْمَغْرِبِ مِنَ  
 الْمُوحِدِينَ وَزَنَانَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الدِّلَمِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ ثُمَّ  
 إِلَى السَّلْجُوقِيَّةِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ الْعَمَلِيكِ بِمِصْرَ وَالتَّتَرِ بِالْعِرَاقَيْنِ وَعَلَى قَدَرِ عِظَمِ الدَّوْلَةِ  
 يَكُونُ شَأْنُهَا فِي الْحِضَارَةِ إِذْ أُمُورُ الْحِضَارَةِ مِنْ تَوَابِعِ التَّرَفِ وَالْتَّرَفُ مِنْ تَوَابِعِ  
 الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ وَالزَّرْوَةُ وَالنِّعْمَةُ مِنْ تَوَابِعِ الْمَلِكِ وَمِقْدَارُ مَا يَسْتَوِلِي عَلَيْهِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ  
 فَقَلَى نِسْبَةُ الْمَلِكِ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ فَاعْتَبِرْهُ وَتَفَهَّمْهُ وَتَأَمَّلْهُ مُجِدِّدًا مَحِيحًا فِي الْعُمُرَانِ  
 وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السادس عشر

في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْقَلِيلَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَالتَّرَفُ كَثُرَ التَّنَاسُلُ وَالْوُلُودُ  
 وَالْعُمُومِيَّةُ فَكَثُرَتِ الْعِصَابَةُ وَاسْتَكْتَرُوا أَيْضًا مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ وَرَبَّيْنَا جِبَالَهُمْ  
 فِي جَوْ ذَلِكَ النِّعَمِ وَالرَّفَةِ فَازْدَادُوا بِهِ عَدَدًا إِلَى عَدَدِهِمْ وَقُوَّةَ إِلَى قُوَّتِهِمْ بِسَبَبِ  
 كَثَرَةِ الْعِصَابِ حِينَئِذٍ يَكْثُرُ الْعَدَدُ فَإِذَا ذَهَبَ الْجِيلُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَآخَذَتِ الدَّوْلَةُ  
 فِي الْهَرَمِ لَمْ تَسْتَقِلْ أُولَئِكَ الصَّنَائِعُ وَالْمَوَالِي بِأَنْفُسِهِمْ فِي تَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ وَتَمْهِيدِ  
 مَلِكِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِنَّمَا كَانُوا عِيَالًا عَلَى أَهْلِهَا وَمَعُونَةً لَهَا فَإِذَا  
 ذَهَبَ الْأَصْلُ لَمْ يَسْتَقِلْ الْفَرْعُ بِالرُّسُوحِ فَيَذْهَبُ وَيَتَلَقَّى وَلَا تَبْقَى الدَّوْلَةُ عَلَى حَالِهَا

مِنَ الْقُوَّةِ وَاعْتَبَرْنَا هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ عَدَدُ الْعَرَبِ كَمَا قُلْنَا  
لِعَهْدِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا وَمَا يُقَارِبُهَا مِنْ مُضَرٍّ وَفُحْطَانٍ وَلَمَّا بَلَغَ التَّرَفُّ  
مِبَالِغَهُ فِي الدَّوْلَةِ وَتَوَقَّرَ نُمُوهُمْ يَتَوَقَّرُ النِّعْمَةُ وَاسْتَكْتَرَّ اخْتِلَافُهُ مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ  
بَلَغَ ذَلِكَ الْعَدَدُ إِلَى أَضْعَافِهِ يُقَالُ إِنَّ الْمُعْتَصِمَ نَازَلَ غُمُورِيَّةً لَمَّا أَفْتَتَحَهَا فِي تِسْعِمِائَةِ  
أَلْفٍ وَلَا يَبْعُدُ مِثْلُ هَذَا الْعَدَدِ أَنْ يَكُونَ مَحِيحًا إِذَا أَعْتَبَرْتَ حَامِيَتَهُمْ فِي الثَّغُورِ الدَّائِيَةِ  
وَالْقَاصِيَةِ شَرْقًا وَغَرْبًا إِلَى الْجُنْدِ الْحَاقِلِينَ سَرِيرَ الْمَلِكِ وَالْمَوَالِي وَالْمُصْطَفِعِينَ وَقَالَ  
الْمُسْعُودِيُّ أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَاصَّةً أَيَّامَ الْمَأْمُونِ لِيَلَّا تَفَاقَ عَالِمُهُمْ  
فَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا بَيْنَ ذِكْرَانٍ وَإِنَّا نَظَرْنَا فَبَلَغَ هَذَا الْعَدَدُ لِأَوَّلِ مِنْ بَإِتْيَانِي سَنَةٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ سَبَابَةَ الرِّقَّةِ وَالنِّعْمِ الَّذِي حَصَلَ لِلدَّوْلَةِ وَرَبِّي فِيهِ أَجْبَاهُهُمْ وَإِلَّا فَعَدَدُ الْعَرَبِ  
لِلْأَوَّلِ الْفَتْحِ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَالِمِ

### الفصل السابع عشر

في أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار  
إِعْلَمُ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَتَقَلَّبُ فِي أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ وَحَالَاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ وَيَكْتَسِبُ الْعَالَمُونَ  
بِهَا فِي كُلِّ طَوْرٍ خُلُقًا مِنْ أَحْوَالِ ذَلِكَ الطَّوْرِ لَا يَكُونُ مِثْلُهُ فِي الطَّوْرِ الْآخِرِ لِأَنَّ  
الْخُلُقَ تَابِعٌ بِالطَّبْعِ لِمِزَاجِ الْحَالِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَحَالَاتِ الدَّوْلَةِ وَأَطْوَارُهَا لَا تَعْدُو فِي  
الْغَالِبِ خَمْسَةَ أَطْوَارٍ. الطَّوْرُ الْأَوَّلُ طَوْرُ الظُّفْرِ بِالْبَغْيَةِ وَغَلَبِ الْمُدَافِعِ وَالْمُضَامِعِ  
وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْمَلِكِ وَانْتِزَاعِهِ مِنْ أَيْدِي الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ أَسْوَدَ قَوْمِهِ فِي  
اِكْتِسَابِ النِّجْدِ وَجَبَابَةِ الْمَالِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنِ الْحُوزَةِ وَالْحِمَايَةِ لَا يَنْفَرُدُ دُونَهُمْ بِشَيْءٍ  
لَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْغَلَبُ وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَعْدَ بَحَالِهَا. الطَّوْرُ الثَّانِي  
طَوْرُ الْإِسْتِبدَادِ عَلَى قَوْمِهِ وَالْإِنْفِرَادِ دُونَهُمْ بِالْمَلِكِ وَكَبْهِهِ عَنِ التَّطَاوُلِ الْمُسَاهِمَةِ  
وَالْمُشَارَكَةِ وَيَكُونُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ مَعْنِيًا بِأَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ وَاتِّخَاذِ  
الْمَوَالِي وَالْعَمَلِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ لِيَجْذَعَ أَتُوفَ أَهْلِ عَصِيَّتِهِ وَعَشِيرَتِهِ الْقَدَاسِمِينَ  
لَهُ فِي نِسْبَةِ الْأَضَارِبِينَ فِي الْمَلِكِ بِمِثْلِ مَهْمِهِ فَيُؤَدِّعُهُمْ عَنِ الْأَمْرِ وَيَصُدِّقُهُمْ عَنِ  
مَوَارِدِهِ وَيَرُدُّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ أَنْ يُخْلِصُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَفِرَّ الْأَمْرُ فِي نِصَابِهِ وَيَفِرُّ أَهْلُ  
يَتِيهِ بِمَا يَتَنَبَّي مِنْ تَجْدِيدِ قِيَادِي مِنْ مُدَافِعَتِهِمْ وَمُعَالِجَتِهِمْ مِثْلَ مَا عَانَاهُ الْأَوَّلُونَ فِي طَلَبِ

الْأَمْرَ أَوْ أَشَدَّ لَأَنَّ الْأَوَّلِينَ دَانَعُوا الْأَجَانِبَ فَكَانَ ظَهْرُهُمْ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ أَهْلَ  
 الْعَصِيَّةِ بِأَجْدِهِمْ وَهَذَا بُدَافِعُ الْأَقَارِبِ لَا يُظَاهِرُهُ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ  
 الْأَبَادِ قَبِيزَ كَبْ صُعْبًا مِنَ الْأَمْرِ. الطُّورُ الثَّلَاثُ طَوْرُ الْقَرَاغِ وَاللَّحْمَةُ لِتَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ  
 الْمَلِكِ مِمَّا تَنْزِعُ طِبَاطِغُ النَّسْرِ إِلَيْهِ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَالِ وَتَخْلِيدِ الْأَنْكَارِ وَبَعْدَ الصِّبَةِ  
 فَيَسْتَنْزِعُ وَسْعَةً فِي الْجِبَالَةِ وَضَبْطَ الدَّخْلِ وَالْخُرُجِ وَإِحْصَاءَ النِّفَقَاتِ وَالْقَصْدِ فِيهَا  
 وَتَشْيِيدَ الْمَبَانِي الْحَاذِلَةِ وَالْمَصَانِعِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَمْصَارِ الْمُتَسَعِّةِ وَالْهَيْأَةِ كُلِّ الْمُرْتَبَعَةِ  
 وَإِجَارَةِ الْوُفُودِ مِنْ أَشْرَافِ الْأُمَمِ وَوُجُوهِ الْقَبَائِلِ وَبَثِّ الْمَعْرُوفِ فِي أَهْلِهِ هَذَا مَعَ  
 التَّوَسُّعِ عَلَى صَنَائِعِهِ وَحَاشِيَتِهِ فِي أَحْوَالِهِمْ بِالْمَالِ وَتِلْجَاهِ وَاعْتِرَاضِ جُنُودِهِ وَإِدْرَارِ  
 أَرْزَاقِهِمْ وَإِنْصَانِهِمْ فِي أَعْطِيَايَتِهِمْ لِكُلِّ هِلَالٍ حَتَّى يَظْهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي مَلَأْسِهِمْ  
 وَشُكْبِهِمْ وَشَرَاتِهِمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ يَبْهِي بِهِمُ الدُّوَلُ الْمُسَالِمَةَ وَيُرْمِي الدُّوَلُ الْعُجْرَانَةَ  
 وَهَذَا الطُّورُ آخِرُ أَطْوَارِ الْأَسْتِبْدَادِ مِنْ أَجْنَابِ الدُّوَلَةِ لِأَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ كُلِّهَا  
 مُسْتَقْبِلُونَ بَارَأَتِهِمْ بِأَنْوَاعِ الْعِزِّ مُمْضِعُونَ الطَّرِيقَ لِنَبْعِهِمْ. الطُّورُ الرَّابِعُ طَوْرُ  
 الْقَنُوعِ وَالْمُسَالَمَةِ وَيَكُونُ صَاحِبُ الدُّوَلَةِ فِي هَذَا قَانِعًا بِمَا بَنَى أَوَّلُهُ سَلِيمًا لِأَنْظَارِهِ  
 مِنَ الْمُلُوكِ وَأَقْنَالِهِ مَقْلِدًا لِلْمَاضِينَ مِنْ سَلَفِهِ فَيَتَّبِعُ آثَارَهُمْ حَدَّوْهُ الدَّمْلَ بِاللَّعْلِ وَيَقْنِي  
 طَرَفَهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَاجِيعِ الْأَقْنِدَاءِ وَيَرَى أَنَّ فِي الْخُرُوجِ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ فُسَادُ أَمْرِهِ وَأَنَّهُمْ  
 أَبْصَرُ بِمَا بَنَوْا مِنْ مَجْدِهِ. الطُّورُ الْخَامِسُ طَوْرُ الْأَسْرَافِ وَالتَّبْدِيرِ وَيَكُونُ صَاحِبُ  
 الدُّوَلَةِ فِي هَذَا الطُّورِ مُتْلِفًا لِمَا حَمَعَ أَوَّلُهُ فِي سَبِيلِ الشَّهَوَاتِ وَالْعَلَاذِ وَالْكَرَمِ عَلَى  
 بَطَانَتِهِ وَفِي عِبَالِهِ وَاصْطِنَاعِ أَخْذَانِ السُّوءِ وَخَضْرَاءِ الدِّمَنِ وَتَقْلِيدِهِمْ عَظِيمَاتِ الْأُمُورِ  
 الَّتِي لَا يَسْتَقْبِلُونَ بِحَمَلِهَا وَلَا يَغْرِفُونَ مَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ نَهْيًا مُسْتَفْسِدَ الْكِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ  
 مِنْ قَوْمِهِ وَصَنَائِعِ سَلَفِهِ حَتَّى يَفْطَنُوا عَلَيْهِ وَيَتَخَذَلُوا عَنْ نَصْرَتِهِ مُضْطَرَعًا مِنْ جُنْدِهِ  
 بِمَا اتَّفَقَ مِنْ أَعْطِيَايَتِهِمْ فِي شَهَوَاتِهِ وَحَبَبِ عَنْهُمْ وَجْهَ مُبَاشَرَتِهِ وَتَقْنِيدِهِ فَيَكُونُ تَغَرُّبًا  
 لِمَا كَانَ سَلَفُهُ يُؤَسِّسُونَ وَهَادِمًا لِمَا كَانُوا يَبْنُونَ وَفِي هَذَا الطُّورِ تَحْصُلُ فِي الدُّوَلَةِ طَبِيعَةُ  
 الْهَرَمِ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهَا الْمَرَضُ الْمَزْمُنُ الَّذِي لَا تَكَادُ تَخْلُصُ مِنْهُ وَلَا يَكُونُ لَهَا مَعَهُ  
 بُرٌّ إِلَى أَنْ تَقْرَضَ كَمَا بُنِيَتْ فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي نَسَرَدَهَا وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَثَارَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عَنِ الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا كَانَتْ أَوَّلًا وَعَلَى قَدَرِهَا  
يَكُونُ الْأَثَرُ فَمِنْ ذَلِكَ مَبَاقِي الدَّوْلَةِ وَمِثْلُهَا الْعَظِيمَةُ فَإِنَّمَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ  
الدَّوْلَةِ فِي أَصْلِهَا لِأَنَّهَا لَا تَنْتُمِ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْفَعْلَةِ وَاجْتِمَاعِ الْأَيْدِي عَلَى الْعَمَلِ بِالْعَمَلِ  
فِيهِ فَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً فَسِجَّةُ الْجَوَانِبِ كَثِيرَةٌ الْمَالِكُ وَالرَّعَايَا كَانَ الْفَعْلَةُ  
كَثِيرِينَ جِدًّا وَحُسْرُوا مِنْ أَفَاقِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا فَتَمَّ الْعَمَلُ عَلَى أَعْظَمِ مِثْلِهِ لَا تَرَى  
إِلَى مَصَانِعِ قَوْمٍ عَادٍ وَتَمُودَ وَمَا قَصَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُمْ وَانْظُرْ بِالْمُشَاهَدَةِ إِيوَانَ كِسْرَى  
وَمَا اقْتَدَرَ فِيهِ الْفَرَسُ حَتَّى إِنَّهُ عَزَمَ الرُّشْدَ عَلَى هَدْمِهِ وَتَحْرِيهَ فَتَكْأَدُ عَنْهُ وَتُفْرِعُ  
فِيهِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْعَجُزُ وَقَصَّةُ اسْتِشَارَتِهِ لِيَحْيَى ابْنَ خَالِدٍ فِي شَأْنِهِ مَعْرُوفَةٌ فَانْظُرْ كَيْفَ  
تَقْتَدِرُ دَوْلَةٌ عَلَى بِنَاءِ لَا تَسْتَطِيعُ أُخْرَى عَلَى هَدْمِهِ مَعَ بَوْنِ مَا بَيْنَ الْهَدْمِ وَالْبِنَاءِ فِي السَّهُولَةِ  
تَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ بَوْنَ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَانْظُرْ إِلَى بِلَاطِ الْوَلِيدِ بِدِمَشْقَ وَجَامِعِ بَنِي أُمَيَّةَ  
بِقَرْطَبَةٍ وَالْقَنْطَرَةَ الَّتِي عَلَى وَادِيهَا وَكَذَلِكَ بِنَاءُ الْحَنَابَا لِجَلْبِ الْمَاءِ إِلَى قَرْطَابَةَ فِيهِ  
الْفَنَاءُ الرَّأْيِيَّةُ عَلَيْهَا وَأَثَارُ شَرْشَالٍ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَهْرَامُ بِمِصْرَ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ  
الْمَائِلَةِ لِلْعِيَانِ يُعْلَمُ مِنْهُ اخْتِلَافُ الدَّوَلِ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ  
لِلْأَقْدَمِينَ إِنَّمَا كَانَتْ بِأَهْنَدَامٍ وَاجْتِمَاعِ الْفَعْلَةِ وَكَثْرَةِ الْأَيْدِي عَلَيْهَا فَبِذَلِكَ شُدَّتْ  
تِلْكَ أَلْيَا كُلِّ وَالْمَصَانِعِ وَلَا تَتَوَحَّمُ مَا تَتَوَحَّمُ الْعَامَةُ أَنَّ ذَلِكَ لِعَظَمِ أَجْسَامِ الْأَقْدَمِينَ  
عَنْ أَجْسَامِنَا فِي أَطْرَاقِهَا وَأَقْطَارِهَا فَلَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ كَبِيرُ بَوْنٍ كَمَا نَحْنُ بَيْنَ  
أَلْيَا كُلِّ وَالْأَثَارِ وَقَدْ وَلِحَ الْقُصَاصُ بِذَلِكَ وَتَعَالَوْا فِيهِ وَسَطَرُوا عَنْ عَادٍ وَتَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ  
فِي ذَلِكَ أَخْبَارًا عَرَبِيَّةً فِي الْكَذِبِ مِنْ أَغْرِبِهَا مَا يَكُونُ عَنْ عَوْجِ بْنِ عِنَاقٍ <sup>(١)</sup> رَجُلٍ  
مِنَ الْعَمَالِقَةِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ بَنُو إِمْرَأِيلَ فِي الشَّامِ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِيُطْلِقَهُ يَتَأَوَّلُ السَّمَكُ  
مِنَ الْبَحْرِ وَيَشْرِيهِ إِلَى السَّمْسِ وَيَزِيدُونَ إِلَى جَهْلِهِمْ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ الْجَهْلُ بِأَحْوَالِ  
الْكَوَاكِبِ لِمَا اعْتَقَدُوا أَنَّ لِلشَّمْسِ حَرَارَةً وَأَنَّهَا شَدِيدَةٌ فِيمَا قُرْبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ

(١) قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب المجهول دوج بن عوق بالواو والمهور على السفة الناس

عنى النون قوله نصر المهور بن

اِنَّ الْحَرَّ هُوَ الضَّوُّهٗ وَاِنَّ الضَّوُّهٗ فَيَمَّا قَرُبَ مِنَ الْاَرْضِ اَكْثَرَ لِاتْعَكَّاسِ الْاَشِعَّةِ  
 مِنْ سَطْحِ الْاَرْضِ بِمُقَابَلَةِ الْاَضْوَاءِ فَتَضَاعَفُ الْحَرَارَةُ هُنَا لِاَجْلِ ذَلِكَ وَاِذَا تَجَاوَزَتْ  
 مَطَارِحَ الْاَشِعَّةِ اَلْمُنْعَكِسَةِ فَلَا حَرَّ هُنَاكَ بَلْ يَكُونُ فِيهِ الْبَرْدُ حَيْثُ تَجَارِي السَّحَابُ  
 وَاِنَّ الشَّمْسَ فِي نَفْسِهَا لَا حَارَةً وَلَا بَارِدَةً وَاِنَّمَا هِيَ جِسْمٌ بَسِيطٌ مُضِيءٌ لَا مِزَاجَ لَهُ  
 وَكَذَلِكَ عُوجُ بَنِي عِنَاقٍ هُوَ فَيَمَّا ذَكَرُوهُ مِنَ الْعَمَالِقَةِ اَوْ مِنَ الْعَكَمَاتِيِّينَ الَّذِينَ  
 كَانُوا فَرِيسَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ فَتْحِهِمُ الشَّامَ وَأَطْوَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجِسْمَانَهُمَا لِلذَّكَ  
 الْعَهْدِ قَرِيبَةٌ مِنْ هِيَاكِلِنَا يَشْهَدُ لِنَاكَ اَبْوَابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَإِنَّهَا وَإِنْ خُرِبَتْ  
 وَجُدِدَتْ لَمْ تَزَلِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى أَشْكَالِهَا وَمَقَاوِيرِ أَبْوَابِهَا وَكَيْفَ يَكُونُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ  
 عُوجٍ وَبَيْنَ أَهْلِ عَصْرِهِ هَذَا الْعِقْدَارِ وَاِنَّمَا مَثَارُ غُلْظِهِمْ فِي هَذَا أَنَّهُمْ اسْتَعْظَمُوا آثَارَ  
 الْأَمْرِ وَلَمْ يَقْهَمُوا حَالَ الدُّوَلِ فِي الْأَجْتِمَاعِ وَالنَّعَاوُنِ وَمَا يَحْتَصِلُ بِذَلِكَ وَبِالْهَنْدَامِ مِنَ  
 الْآثَارِ الْعَظِيمَةِ فَصَرَفُوهُ إِلَى قُوَّةِ الْأَجْسَامِ وَشِدَّتِهَا بِعَظَمِ هِيَاكِلِهَا وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ  
 وَقَدْ زَعَمَ الْمَسْعُودِيُّ وَنَقَلَهُ عَنِ الْفَلَّاسِيَّةِ مَزْعَمًا لَا مُسْتَدَلٌّ لَهُ إِلَّا التَّحْكُمُ وَهُوَ أَنَّ  
 الطَّبِيعَةَ الَّتِي هِيَ جَبَلَةٌ لِلْأَجْسَامِ لَمَّا رَأَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَانَتْ فِي تَمَامِ الْكُرَّةِ وَنَهَابَةِ الْقُوَّةِ  
 وَالْكَمَالِ وَكَانَتْ الْأَعْمَارُ أَطْوَلُ وَالْأَجْسَامُ أَقْوَى لِكَمَالِ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ فَإِنْ طُرُوهُ  
 أَلْمَوْتُ إِنَّمَا هُوَ بِأَحْلَالِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ قُوَّةٌ كَانَتْ الْأَعْمَارُ أَرِيدَ فَكَانَ  
 الْعَالَمُ فِي أَوَّلِيَّةِ نَشَأَتِهِ تَامَ الْأَعْمَارُ كَامِلَ الْأَجْسَامِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَنَاقَضُ لِنُقْصَانِ الْمَادَّةِ  
 إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَنَاقَضُ إِلَى وَقْتِ الْإِحْلَالِ  
 وَاتَّقَرُّضِ الْعَالَمِ وَهَذَا رَأْيِي لَا وَجْهَ لَهُ إِلَّا التَّحْكُمُ كَمَا تَرَامُ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ  
 وَلَا سَبَبٌ بُرْهَانِيٌّ وَنَحْنُ نَشَاهِدُ مَسَاكِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَبْوَابَهُمْ وَطُرُقَهُمْ فَيَمَّا أَخَذْتُهُ مِنْ  
 الْبَيْتَانِ وَالْهِيَائِ كُلِّ وَالدِّيَارِ وَالْمَسَاكِينِ كَدِيدَارِ ثَمُودَ الْمَخْخُوتَةِ فِي الصَّلْدِ مِنَ الْمَخْخُوتِ يُونَا  
 صِفَارًا وَأَبْوَابَهَا صَيْقَةً وَقَدْ أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّهَا دِيَارُهُمْ وَنَعَى عَنْ اسْتِعْمَالِ  
 مِيَاهِهِمْ وَطَرَحَ مَا عُنِيَ بِهِ وَاهْرَقَ وَقَالَ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا  
 أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ وَكَذَلِكَ أَرْضُ عَادَ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَسَائِرَ  
 بَقَاعِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَخَلَقَ مَا قَرَّرْنَاهُ وَمِنْ آثَارِ الدُّوَلِ أَيْضًا حَالُهَا فِي الْأَعْرَاسِ  
 وَالْأَوَلَامِرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي وِلِيَمَةِ بُورَانٍ وَصَنِيعِ الْحَبَّاجِ وَابْنِ ذِي النُّونِ وَقَدْ مَرَّ



ذَلِكَ كُلُّهُ وَمَنْ آثَارَهَا أَيْضًا عَطَايَا الدُّوَلِ وَأَتَمَّتْ تَكُونُ عَلَى نِسْبَتِهَا وَيَطْهَرُ ذَلِكَ  
 فِيهَا وَلَوْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْهَرَمِ فَإِنَّ الْهَرَمَ الَّذِي لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ مُلْكِهِمْ  
 وَعَلَيْهِمْ لِلنَّاسِ وَالْهَرَمُ لَا تَزَالُ مُصَاحِبَةً لَهُمْ إِلَى اقْتِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَأَعْتَبَ ذَلِكَ بِمَجَازِئِ  
 ابْنِ ذِي بَزَنٍ لَوْفِدٍ قُرَيْشِي كَيْفَ أَعْطَاهُمْ مِنْ أَرْطَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَعْبَدِ  
 وَالْوَصَائِفِ عَشْرًا عَشْرًا وَمِنْ كَرِشِ الْعَنْبَرِ وَاحِدَةً وَأَضَعَتْ ذَلِكَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهِ  
 لِعَبْدِ الْمُطَّلَبِ وَإِنَّمَا مُلْكُهُ يَوْمَئِذٍ قَرَارَةُ الْبَيْعِ خَاصَّةً تَحْتَ اسْتِيفَادَةِ فَارِسٍ وَإِنَّمَا حَمَلَهُ  
 عَلَى ذَلِكَ هِمَّةٌ نَفْسِهِ بِمَا كَانَ لِقَوْمِهِ التَّابِعَةِ مِنَ الْمُلْكِ فِي الْأَرْضِ وَالْقَلْبِ عَلَى الْأَمْرِ  
 فِي الْبَرِّاقَتَيْنِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ وَكَانَ الصَّنَاجِرُونَ بِأَفْرِيقَةٍ أَيْضًا إِذَا أَجَازُوا الْوَفْدَ مِنْ  
 أُمَرَاءِ زَنَاتَةِ الْوَفْدِيِّينَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّمَا يُعْطَوْنَهُمُ الْمَالُ أَحْمَالًا وَالْكِسَاءُ ثُغُونًا مَمْلُوءَةً  
 وَالْحُمَلَاتُ جَنَازِبَ عَدِيدَةً وَفِي تَارِيخِ ابْنِ الرِّقْبِيِّ مِنْ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ  
 كَانَ عَطَايَا الْبَرَامِكَةِ وَجَرَائِزُهُمْ وَتَقَاتُ هُتْمُ وَكَانُوا إِذَا كَسَبُوا مُعْدِمًا فَإِنَّمَا هُوَ الْوِلَايَةُ  
 وَالنِّعْمَةُ آخِرُ الدَّهْرِ لَا الْعَطَايَا الَّتِي يَسْتَفِدُّهُ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ  
 كَثِيرَةٌ مَسْطُورَةٌ وَهِيَ كُلُّهَا عَلَى نِسْبَةِ الدُّوَلِ جَارِيَةٌ هَذَا جَوْهَرُ الصِّقَايِي الْكَاتِبِ  
 فَائِدُ جَيْشِ الْعَبِيدِيِّينَ لَمَّا أَرْتَحَلَ إِلَى فَخْرٍ مِصْرَ اسْتَعَدَّ مِنْ الْفَقِيرِ وَأَنْ بَانَ حِمْلٍ مِنْ  
 الْمَالِ وَلَا تَنْتَهِي الْيَوْمَ دَوْلَةٌ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَكَذَلِكَ وَجِدَ يَخْطُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ  
 عَبْدِ الْحَمِيدِ عَمَلٌ بِمَا يَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ يَفْقَدُ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي  
 نَقْلَتْهُ مِنْ جَرَابِ الدَّوْلَةِ (غلات السواد) سَبْعٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْحِلَالِ الْبُجْرَانِيَّةِ مِائَتًا حِلَّةً وَمِنْ طِينِ الْخَطْمِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ  
 رِطْلًا (كَكَر) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ (كورد حلة)  
 عِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَثَمَانِمِائَةَ دَرَاهِمٍ (حلوان) أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ (الاهواز) خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَمِنْ السُّكَّرِ ثَلَاثُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (فارس) سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنْ مَاءِ الْوَرْدِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 قَارُورَةٍ وَمِنْ الزَّبْتِ الْأَسْوَدِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (كركمان) أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ  
 دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِائَتَانِ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْمَتَاعِ الْيَمَانِيِّ خَمْسِمِائَةَ تَوْبٍ وَمِنْ التَّمْرِ عِشْرُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (مَكْرَان) أَرْبَعُمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّةً (السند وما يليه) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ

أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَخَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ أَلْعُودِ الْهِنْدِيِّ مِائَةٌ وَتَمْسُونِ رِطْلًا  
 (سجستان) أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الْفَيَّابِ الْخَمِينَةِ ثَلَاثُمِائَةِ ثَوْبٍ وَمِنْ  
 أَلْفَانِيدِ عَشْرُونَ رِطْلًا (خراسان) ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ نَقَرِ  
 أَلْفِصَةِ أَلْفَا نَقْرَةٍ وَمِنْ الْبَرَّازِينِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَمِنْ الرَّقِيقِ أَلْفُ رَأْسٍ وَمِنْ أَلْتَمَاعِ  
 عَشْرُونَ أَلْفَ ثَوْبٍ وَمِنْ الْإِهْلِيلِجِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (جرجان) اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الْإِبْرِيسِمِ أَلْفُ شَقَّةٍ (فوس) أَلْفُ أَلْفِ مَرَّتَيْنِ وَخَمْسُمِائَةِ  
 مِنْ نَقَرِ أَلْفِصَةِ (طبرستان والروبان ونهاوند) سِتَّةُ آلَافِ أَلْفِ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ  
 وَمِنْ أَلْقَرَشِ الطَّابَرِيِّ سِتُّمِائَةِ قِطْعَةٍ وَمِنْ الْأَكْسِيَةِ مِائَتَانِ وَمِنْ أَلْتِيَابِ خَمْسُمِائَةِ ثَوْبٍ  
 وَمِنْ أَلْمَتَادِيلِ ثَلَاثُمِائَةِ وَمِنْ أَلْجَمَامَاتِ ثَلَاثُمِائَةِ (الري) اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْعَسَلِ عَشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (همدان) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ وَمِنْ رُبِّ الرُّمَّانِ أَلْفُ رِطْلٍ وَمِنْ أَلْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ  
 (ما بين البصرة والمكوفة) عَشْرَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 (ماسيدان والدينار<sup>(١)</sup>) أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (شهرزور) سِتَّةُ آلَافِ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (الموصل وما يليها) أَرْبَعَةُ وَعِشْرُونَ أَلْفَ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْعَسَلِ الْأَبْيَضِ عَشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ رِطْلٍ (اذريجان) أَرْبَعَةُ  
 آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) أَرْبَعَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الرَّقِيقِ أَلْفُ رَأْسٍ وَمِنْ أَلْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ زِقٍ وَمِنْ  
 الْبَزَاةِ<sup>(٢)</sup> عَشْرَةٌ وَمِنْ الْأَكْسِيَةِ عَشْرُونَ (ارمينية) ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْبَسَطِ<sup>(٣)</sup> أَلْعَنْزُورِ عَشْرُونَ وَمِنْ الرُّزْمِ خَمْسُمِائَةٍ وَثَلَاثُونَ رِطْلًا وَمِنْ  
 أَلْمَسَائِجِ الشَّرِّ مَا هِيَ عَشْرَةُ آلَافِ رِطْلٍ وَمِنْ أَلصُّونِجِ عَشْرَةُ آلَافِ رِطْلٍ وَمِنْ  
 أَلْبَغَالِ مِائَتَانِ وَمِنْ أَلْمَهَرَةِ ثَلَاثُونَ (قندرين) أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِنْ الزَّيْتِ أَلْفُ  
 حِمْلٍ (دمشق) أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (الاردن) سَبْعَةٌ  
 وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (فلسطين) ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ وَمِنْ

(١) قوله والدينار والظاهر انما الدينار وفي الترجمة التركية ما يدان ودين اه (٢) قوله ومن  
 اجهزة في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه (٣) وفي نسخة الفسط

أَزَيْتِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ رَطْلٍ (مصر) أَلْفُ أَلْفٍ دِينَارٍ وَتِسْعُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (برقة) أَلْفُ أَلْفٍ دِينَارٍ مَرَّتَيْنِ (افريقية) ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنَ الْبَسِطِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ (اليمن) ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ سِوَى الْمَتَاعِ (الحجاز) ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ أَنْتَهَى . وَأَمَّا الْأَنْدَلُسُ فَأَلَّذِي ذَكَرَهُ الْفُقَاتُ مِنْ مَوْزٍ خِيْبَا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ خَلَفَ فِي يَوْمٍ أَمْوَالَهُ خَمْسَةَ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَكُونُ جُمْلَتُهَا بِأَلْفِ قَطَايِرٍ تَحْمِلُ ثَمَنَ ثَلَاثَةِ أَلْفِ قَطَايِرٍ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ تَوَارِيخِ الرَّشِيدِ أَنَّ التَّحْمُولَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فِي أَيَّامِهِ سَبْعَةُ أَلْفِ قَطَايِرٍ وَتَحْمِيلُ ثَلَاثَةِ قَطَايِرٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَاعْتَبَرْتُ ذَلِكَ فِي نِسْبِ الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَلَا تُحْكِرُنَّ مَا لَيْسَ بِمَعْرُودٍ عِنْدَكَ وَلَا فِي عَصْرِكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْثَالِهِ فَتَضَيِّقُ حَوَاصِلَكَ عِنْدَ مُلْتَقَطِ الْمُمَكِّنَاتِ فَكثيرٌ مِنَ الْخَوَاصِ إِذَا سَمِعُوا أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَنِ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ بَادَرُوا بِالْإِنْكَارِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْعَوَابِ فَإِنَّ أَحْزَالَ الْأَوْجِدِ وَالْعُمُرَانَ مُتَفَاوِتَةً وَمَنْ أَدْرَكَ مِنْهَا رُبَّةً سَعَى أَوْ وَسَطَى فَلَا يَحْصُرُ الْمَدَارِكُ كُلُّهَا فِيهَا وَنَحْنُ إِذَا اعْتَبَرْنَا مَا يُنْقَلُ لَنَا عَنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَبَنِي أُمَيَّةٍ وَالْعَبِيدِيَّةِ وَنَاسَبْنَا الْعَصَبِجَ مِنْ ذَلِكَ وَالَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ بِالَّذِي نَشَاهِدُهُ مِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ الَّتِي هِيَ أَقْوَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا وَجَدْنَا بَيْنَهَا بَوْنًا وَهُوَ لَمَّا بَيْنَهَا مِنَ التَّفَاوُتِ فِي أَصْلِ قُوَّتِهَا وَعُمُرَانِهَا مَالِكِيهَا فَلَا تَأْتِي كُلُّهَا جَارِيَةً عَلَى نِسْبَةِ الْأَصْلِ فِي الْقُوَّةِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَلَا يَسَعُنَا إِنْكَارُ ذَلِكَ عَنْهَا إِذْ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ فِي غَايَةِ الشُّهْرِ وَالْوَضُوحِ بَلْ فِيهَا مَا يُلْحَقُ بِالْمُسْتَفْضِ وَالْمُتَوَاتِرِ وَفِيهَا الْمَعَانِ وَالْمَشَاهِدُ مِنْ أَثَارِ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ تُخَذُ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُنْقُولَةِ مَرَاتِبَ الدُّوَلِ فِي قُوَّتِهَا أَوْ ضَعْفِهَا وَضَخَامَتِهَا أَوْ صِفَرِهَا وَاعْتَبَرْتُ ذَلِكَ بِمَا نَقَصْتُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ الْمُسْتَظَرَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ وَرَدَ بِالْمَغْرِبِ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي عَتَانَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي مُرَّةٍ رَجُلٌ مِنْ مَشِيخَةِ طَنْجَةَ يُعْرَفُ بِأَبْنِ بَطْوَلَةَ<sup>(١)</sup> كَانَ رَجُلًا مِنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً قَبْلَهَا إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَقَلَّبَ فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ وَالْهِنْدِ وَدَخَلَ مَدِينَةَ دَهْلِي حَاضِرَةَ مَلِكِ الْهِنْدِ وَهُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهٍ وَاتَّصَلَ بِكَ كَيْفَ لِلِئَالِ الْهِنْدِ وَهُوَ فَيَرُوزْجَرُ وَكَانَ لَهُ مِنْهُ مَكَانٌ وَاسْتَعْمَلَهُ فِي خِطَةِ الْقَضَاءِ بِمَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ فِي عَمَلِهِ ثُمَّ أُنْقَلِبَ إِلَى الْمَغْرِبِ

(١) كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥هـ وانتهى بها سنة ٧٥٤هـ وهي عجيبة ومختصرة ٧ كراريس اهـ

وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ وَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ شَأْنِ رَحْمَتِهِ وَمَا رَأَى مِنَ الْعَجَائِبِ  
بِمَالِكِ الْأَرْضِ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ دَوْلَةِ صَاحِبِ الْهِنْدِ وَيَأْتِي مِنْ أَحْوَالِهِ  
بِمَا يَسْتَعْرِبُهُ السَّامِعُونَ مِثْلَ أَنَّ مَلِكَ الْهِنْدِ إِذَا خَرَجَ إِلَى السَّرِّ أَحْفَى أَهْلَ مَدِينَتِهِ  
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ وَفَرَضَ لَهُمْ رِزْقَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ تُدْفَعُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهِ وَأَنَّهُ  
عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَرِّهِ يَدْخُلُ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ يَبْزُدُ فِيهِ النَّاسُ كُلَّهُ إِلَى سَحَرَاءِ الْبَلَدِ  
وَيَطُوفُونَ بِهِ وَيَنْصَبُ أَمَامَهُ فِي ذَلِكَ الْحَقْلِ مَنَاجِيْقَاتٌ عَلَى الظَّهْرِ تُرْمَى بِهَا شُكَّارُ  
الدَّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ عَلَى النَّاسِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ إِيَّوَانَهُ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ فَتَنَّاخِي  
النَّاسُ بِتَكْذِيبِهِ وَلَقِيتُ أَيَّامُنِي وَزِيرَ السُّلْطَانِ فَارِسَ بْنِ وَرْدَارِ الْبَعِيدِ أَصَابَتْ  
فَقَاوِضُهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَأَرَبْتُهُ إِنْكَارَ أَخْبَارِ ذَلِكَ الرَّجُلِ لِمَا اسْتَنَاضَ فِي النَّاسِ  
مِنْ تَكْذِيبِهِ فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ فَارِسُ إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَنْكَرَ مِثْلَ هَذَا مِنْ أَحْوَالِ الدُّوَلِ  
بِمَا أَنْتَ لَمْ تَرَهُ فَتَكُونُ كَابْنِ الْوَزِيرِ النَّائِيءِ فِي السِّجْنِ وَذَلِكَ أَنَّ وَزِيرًا أَعْتَقَلَهُ  
سُلْطَانُهُ وَمَكَثَ فِي السِّجْنِ سَنَيْنَ رَبِي فِيهَا أَبْنَهُ فِي ذَلِكَ الْعَتَبِ فَلَمَّا أَدْرَكَ وَعَقَلَ  
سَأَلَ عَنِ اللُّحْمَانِ الَّتِي كَانَ يَتَعَذَّى بِهَا فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ هَذَا لَحْمُ الْغَنَمِ فَقَالَ وَمَا الْغَنَمُ فَيَصْنَعُهَا  
لَهُ أَبُوهُ بِشِجَاتِهَا وَتُعَوِّثُهَا فَيَقُولُ يَا أَبَتِ تَرَاهَا مِثْلَ الْفَارِ فَيَنْكِرُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ أَبْنُ الْغَنَمِ  
مِنَ الْفَارِ وَكَذًا فِي لَحْمِ الْأَيْلِ وَالْبَقَرِ إِذْ لَمْ يُعَايِنِ فِي تَحْسِيهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا الْفَارَ  
فَيَحْسِبُهَا كُلُّهَا أَبْنَاءَ جِنْسِ الْفَارِ وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا يُعَايِرُ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ كَمَا يُعَايِرُهُمْ  
الْوَسْوَاسُ فِي الزِّيَادَةِ عِنْدَ قَصْدِ الْأَغْرَابِ كَمَا قَدَّمَاهُ أَوَّلَ الْكِتَابِ فَلْيَرْجِعِ  
الْإِنْسَانُ إِلَى أَصُولِهِ وَلْيَكُنْ مُهْتَمًّا عَلَى نَفْسِهِ وَمُمَيِّزًا بَيْنَ طَبِيعَةِ الْمُمْكِنِ وَالْمُتَمَنِّعِ  
بِصَرِيحِ عَقْلِهِ وَمُسْتَقِيمِ فِطْرَتِهِ فَمَا دَخَلَ فِي نِطَاقِ الْإِمْكَانِ قَلِيلُهُ وَمَا خَرَجَ عَنْهُ رَفِضُهُ  
وَلَيْسَ بُرَادُنَا الْإِمْكَانَ الْعَقْلِيَّ الْمَطْلُوقَ فَإِنَّ نِطَاقَهُ أَوْسَعُ شَيْءٍ فَلَا يُفْرَضُ حَدًّا بَيْنَ  
الْوَاقِعَاتِ وَإِنَّمَا بُرَادُنَا الْإِمْكَانَ بِحَسَبِ الْمَادَّةِ الَّتِي لِلشَّيْءِ فَإِنَّا إِذَا نَظَرْنَا أَصْلَ الشَّيْءِ  
وَجِنْسَهُ وَصَنَفَهُ وَمَقْدَارَ عَظَمِهِ وَقُوَّتِهِ أَجَرَيْنَا الْحُكْمَ مِنْ نِسْبَةِ ذَلِكَ عَلَى أَحْوَالِهِ  
وَحَكَمْنَا بِالْإِمْتِنَاعِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْ نِطَاقِهِ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ  
وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين  
اعلم ان صاحب الدولة إنما ينم أمره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهراؤه  
على شأيه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم بقاد أعمال مملكتيه ووزارته دولته  
وجباية أمواله لأنهم أعوانه على القلب وشركاؤه في الأمر ومساهموه في سائر مهماته  
هذا ما دام الطور الأول للدولة كما قلناه فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد  
عنهم والانفراد بالتجديد وادفعهم عنه بالمراح صاروا في حقيقة الأمر من بعض  
أعدائه واحتاج في مدافعتهم عن الأمر وصددهم عن المشاركة إلى أولياء آخرين من  
غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب إليه من سائرهم  
وأخص به قربا وأصطناعا وأولى إبانرا وجاهلا لما أنهم يستعينون دونه في مدافعة  
قومه عن الأمر الذي كان لهم والرغبة التي ألهمها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب  
الدولة ويخصهم بمزيد التكرمة والإيثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقلدهم  
جليل الأعمال والولايات من الوزارة والقيادة والحجاية وما يختص به لنفسه وتكون  
خالصة له دون قومه من ألقاب المملكة لأنهم حينئذ أولادوه الأقربون ونصحاؤه  
الخاصون وذلك حينئذ مؤذن بأهتضام الدولة وعلامة على العرض العزم في فيها الفساد  
العصبية التي كان بناء القلب عليها ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الإتهان وعداوة  
السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبأل ذلك على الدولة ولا يطمع  
في برئها من هذا الداء لأنه ما مضى يتأكد في الأعقاب إلى أن يذهب رسمها واعتبر  
ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا إنما يستظهرون في حروبهم وولاية أعمالهم  
برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن زياد بن أبي سفيان  
والحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة  
وموسى بن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار وأمثالهم  
من رجال آل العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها أيضا  
برجال آل العرب فلما صارت الدولة للانفراد بالتجديد وكبح العرب عن التطاول  
للولايات صارت الوزارة للجمع والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني

طَاهِرٌ ثُمَّ بَنَى بُيُوتَهُ بِمَوَالِي الْأَثَرِ كَمَثَلِ بَعَا وَوَصِيفٍ وَالْمِشِّ وَبَاكِكَ وَأَبْنِ طُولُوتَ  
وَأَبْنَاءِهِمْ وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ مِنْ مَوَالِي الْأَعْجَمِ فَتَكُونُ الدَّوْلَةُ لِغَيْرِهِ مِنْ مَهْدِهَا وَالْعِزُّ لِغَيْرِهِ مِنْ  
اجْتِلَاءِ سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في احوال الموالي والمصطنعين في الدول

اعْلَمْ أَنَّ الْمُصْطَنَعِينَ فِي الدُّوَلِ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْأَتْحَامِ بِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَتَفَاوَتُ  
قَدِيمُهُمْ وَحَدِيثُهُمْ فِي الْأَتْحَامِ بِصَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِي الْعَصِيَّةِ مِنَ  
الْمَدَافِعَةِ وَالْمُعَاذَةِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالنَّسَبِ لِأَجْلِ النَّصْرِ فِي ذَوِي الْأَرْحَامِ وَالْقُرْبَى وَالْتِمَازِ  
فِي الْأَجَانِبِ وَالْبَعْدَاءِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَالْوَلَايَةُ وَالْخَالِفَةُ بِالرَّقِ أَوْ بِالْخَلْفِ تَنْزِلُ مَنْزِلَةً  
ذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ النَّسَبِ وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا فَإِنَّمَا هُوَ وَهْمِيٌّ وَالْمَعْنَى الَّذِي كَانَ بِهِ الْأَتْحَامُ  
إِنَّمَا هُوَ الْعِشْرَةُ وَالْمَدَافِعَةُ وَطُولُ الْمَسَارَسَةِ وَالصَّحْبَةِ بِالْمَرْبِيِّ وَالرِّضَاعِ وَسَائِرِ  
أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ وَإِذَا حَصَلَ الْأَتْحَامُ بِذَلِكَ جَاءَتِ الثَّمَرَةُ وَالنَّصَارُ وَهَذَا مُشَاهِدٌ  
بَيْنَ النَّاسِ وَاعْتَبِرْ مِثْلَهُ فِي الْأَصْطِنَاعِ فَإِنَّهُ يَحْدُثُ بَيْنَ الْمُصْطَنَعِ وَمَنْ أَصْطَنَعَهُ نِسْبَةً  
خَاصَّةً مِنَ الْوَصْلَةِ تَنْزِلُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ وَتُؤَدِّي لَلْحِمَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسَبٌ فَتَمَرَّاتُ  
النَّسَبِ مَوْجُودَةٌ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ بَيْنَ الْقَبِيلِ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِمْ قَبْلَ حُصُولِ الْمُلْكِ  
لَهُمْ كَانَتْ عُرُوفُهَا أَوْشَجَ وَعَقَائِدُهَا أَصَحَّ وَنَسَبُهَا أَمْرَحَ لَوْجِهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ قَبْلَ  
الْمُلْكِ أَسْوَةٌ فِي حَالِهِمْ فَلَا يَتَمَيَّزُ النَّسَبُ عَنِ الْوَلَايَةِ إِلَّا عِنْدَ الْأَقَلِّ مِنْهُمْ فَيَتَنَزَّلُونَ  
مِنْهُمْ مَنْزِلَةً ذَوِي قَرَابَتِهِمْ وَأَهْلُ أَرْحَامِهِمْ وَإِذَا أَصْطَنَعُوهُمْ بَعْدَ الْمُلْكِ كَانَتْ مَرْتَبَةُ  
الْمُلْكِ مُتَمَيِّزَةً لِلْسَيِّدِ عَنِ الْمَوْكَلِ وَلِأَهْلِ الْقَرَابَةِ عَنِ أَهْلِ الْوَلَايَةِ وَالْأَصْطِنَاعِ لِمَا  
يَقْتَضِيهِ أَحْوَالُ الرِّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ مِنْ تَمَيُّزِ الرُّتَبِ وَتَفَاوُتِهَا فَتَتَمَيَّزُ حَالَتُهُمْ وَيَتَنَزَّلُونَ  
مَنْزِلَةً الْأَجَانِبِ وَيَكُونُ الْأَتْحَامُ بَيْنَهُمْ أَوْضَعُ وَالنَّصَارُ لِلذَلِكَ أَبَعَدَ وَذَلِكَ أَقْصَى  
مِنَ الْأَصْطِنَاعِ قَبْلَ الْمُلْكِ أَلَوْجِهَةُ الثَّانِي أَنَّ الْأَصْطِنَاعَ قَبْلَ الْمُلْكِ يَبْعُدُ عَهْدُهُ عَنِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ يَطُولُ الزَّمَانُ وَيُخْفِي شَأْنَ تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَيُظَنُّ بِهَا فِي الْأَكْثَرِ النَّسَبُ  
فَيَقْوَى حَالُ الْعَصِيَّةِ وَأَمَّا بَعْدَ الْمُلْكِ فَيَقْرُبُ الْعَهْدُ وَيَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ الْأَكْثَرُ فَتَبِينُ  
لِلْحِمَةِ وَتَتَمَيَّزُ عَنِ النَّسَبِ فَتَضَعُ الْعَصِيَّةُ بِالنَّسَبِ إِلَى الْوَلَايَةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ

الدَّوْلَةَ وَأَعْتَبَرَ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ وَأَلْزَمَ نَاسَاتِ بَعْدِهِ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَصْطِنَاعُهُ قَبْلَ حُصُولِ  
الزَّيْنَةِ وَالْمَلِكِ لِمُصْطَنِعِهِ بَعْدَهُ أَشَدَّ اتِّحَامًا بِهِ وَأَقْرَبَ قَرَابَةً إِلَيْهِ وَبَتَّزَلَ مِنْهُ مَنَزَلَةٌ  
ابْنَانَهُ وَإِخْوَانَهُ وَذَوِي رَحِمِهِ وَمَنْ كَانَ أَصْطِنَاعُهُ بَعْدَ حُصُولِ الْمَلِكِ وَأَلْزَمَ نَاسَةَ لِمُصْطَنِعِهِ  
لَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَاللَّحْمَةِ مَا لِلأَوَّلِينَ وَهَذَا مُسَاهِدٌ بِالْعِيَانِ حَتَّى إِنْ الدَّوْلَةَ فِي  
آخِرِ عُمْرِهَا تَرْجِعُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَجَانِبِ وَأَصْطِنَاعِهِمْ وَلَا يَبْنِي لَهُمْ بَعْدَ كَمَا بَنَاهُ  
الْمُصْطَنِعُونَ قَبْلَ الدَّوْلَةِ لِقَرَبِ الْعَهْدِ حِينَئِذٍ بِأَوْلِيَّتِهِمْ وَمُشَارَفَةِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْإِنْقِرَاضِ  
فَيَكُونُونَ مُخْطِئِينَ فِي مَهَاوِي الضَّعَةِ وَإِنَّمَا يَعْمَلُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَصْطِنَاعِهِمْ  
وَالْعُدُولِ إِلَيْهِمْ عَنْ أَوْلِيَانِهَا الْأَقْدَمِينَ وَصَنَائِعِهَا الْأَوَّلِينَ مَا يَغْتَرِبُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ  
الْعَزْوِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَقَلَّةِ الْخُضُوعِ لَهُ وَتَنْظَرُهُ بِمَا يَنْظُرُهُ بِهِ قَبِيلُهُ وَأَهْلُ نَسَبِهِ لِنَاكِدِ  
اللَّحْمَةِ مِنْذُ الْعُصُورِ الْمُتَطَوَّلَةِ بِالْعَرَبِ وَالْإِتِّصَالِ بِآبَائِهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَالْإِنْتِظَامِ مَعَ  
كِبَرَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِذَلِكَ دَالَّةٌ عَلَيْهِ وَاعْتِرَازٌ قَبْلَ فُرُوقِهِمْ بِسَبَبِهَا صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
وَيُعْدِلُ عَنْهُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ سِوَاهُمْ وَيَكُونُ عَهْدُ اسْتِغْلَالِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ قَرِيبًا فَلَا  
يَلْغَوْنَ رُتَبَ الْعَجْدِ وَيَتَقَوْنَ عَلَى حَالِهِمْ مِنَ الْخَارِجَةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي آخِرِهَا  
وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ اسْمُ الصَّنَائِعِ وَالْأَوْلِيَاءِ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُخْدَنُونَ فَخَدْمٌ  
وَأَعْوَانٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

### الفصل الحادي والعشرون

فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه

إِذَا اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ فِي نِصَابٍ مُعَيَّنٍ وَمُنْتَبِثٍ وَاحِدٍ مِنْ أَقْبِيلِ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ  
وَأَتَقَرَّدُوا بِهِ وَدَفَعُوا سَائِرَ أَقْبِيلِ عَنْهُ وَتَدَاوَلَهُ بَنُوهُمْ وَوَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِحَسَبِ التَّرْشِيحِ  
فَرُبَّمَا حَدَثَ التَّغْلُبُ عَلَى الْمُنْصَبِ مِنْ وَزَرَانِهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ وَسَبَبُهُ فِي الْأَكْثَرِ وَلَايَةُ  
صَيِّ صَغِيرٍ أَوْ مُضْعَفٍ مِنْ أَهْلِ الْمُنْتَبِثِ بِتَرْشِيحِ اللَّوْلَايَةِ بَعْدَ أَبِيهِ أَوْ بِتَرْشِيحِ ذَوِيهِ  
وَحَوْلِهِ وَيُؤْتَسَّرُ مِنْهُ الْعِزُّ عَنِ الْقِيَامِ بِالْمَلِكِ فَيَقُومُ بِهِ كِفَالُهُ مِنْ وَزَرَاءِ أَبِيهِ وَحَاشِيَتِهِ  
وَمَوَالِيهِ أَوْ قَبِيلِهِ وَبُورِي يَحْفَظُ أَمْرَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤْتَسَّرَ مِنْهُ الْأَسْتَبْدَادُ وَيَجْعَلَ ذَلِكَ  
دَرَبَةً لِلْمَلِكِ فَيَحْجُبُ الصَّيِّ عَنِ النَّاسِ وَيُعَوِّدُهُ إِلَيْهَا تَرْفُ أَوْحَالِهِ وَيَسْمِعُهُ فِي مَرَاغِبِهَا  
مَتَى أَمْكَنَهُ وَيُنْسِيهِ النَّظَرَ فِي الْأُمُورِ السُّلْطَانِيَّةِ حَتَّى يَسْتَبْدِدَ عَلَيْهِ وَهُوَ بِمَا عَوَّدَهُ يَعْتَقِدُ

أَنَّ حَظَّ السُّلْطَانِ مِنَ الْمُلْكِ إِنَّمَا هُوَ جُلُوسُ السَّرِيرِ وَإِعْطَاءُ الصَّنْفَةِ وَخِطَابُ التَّهْوِيلِ وَالْقُعُودُ مَعَ النِّسَاءِ خَلْفَ الْحِجَابِ وَأَنَّ الْحُلَّ وَالرِّبَاطَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَمُبَاشَرَةَ الْأَحْوَالِ الْمُلْكِيَّةِ وَتَقْدِيمَهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجَيْشِ وَالْمَالِ وَالنُّفُورِ إِنَّمَا هُوَ لِلْوَزِيرِ وَيُسَلِّمُ لَهُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَسْتَحْكِمَ لَهُ صِبْغَةُ الرِّئَاسَةِ وَالْأَسْتِبدَادِ وَيَتَحَوَّلَ الْمُلْكُ إِلَيْهِ وَيُؤْتَرِ بِهِ عَشِيرَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي بُوَيْهِ وَالتُّرْكِ وَكَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ وَغَيْرِهِمْ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بَنِي أَبِي عَامِرٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَدْ يَنْقُطُ ذَلِكَ الْمَحْجُورُ الدَّغْلُ لِشَأْنِهِ فَيَحَاوِلُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ رِبْقَةِ الْحَجَرِ وَالْأَسْتِبدَادِ وَيَرْجِعُ الْمُلْكُ إِلَى نَصَابِهِ وَيَضْرِبُ عَلَى أَيْدِي الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِ إِمَّا يَقْتُلُ أَوْ يَرْفَعُ عَنِ الرِّبَةِ فَقَطْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي النَّادِرِ الْأَقْلَى لِأَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا أُخِلَّتْ فِي تَغْلِبِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ اسْتَعْرَ لَهَا ذَلِكَ وَقَلَّ أَنْ تَخْرُجَ عَنْهُ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُوْجَدُ فِي الْأَكْثَرِ عَنْ أَحْوَالِ التَّرَفِّ وَنَشْأَةِ أَبْنَاءِ الْمُلْكِ مُتَغَمِّسِينَ فِي نَعِيمِهِ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الرُّجُولَةِ وَآلَفُوا اخِلَاقَ الدَّايَاتِ وَالْأَطْفَارِ وَرَبُّوا عَلَيْهَا فَلَا يَتَزَعُونَ إِلَى رِئَاسَةٍ وَلَا يَعْرِفُونَ اسْتِبدَادًا مِنْ تَغْلِبِ إِنَّمَا مَهْمُهُمْ فِي الْقُتُوعِ بِالْأَهْلِيَّةِ وَالتَّنَمُّسِ فِي اللَّذَاتِ وَأَنْوَاعِ التَّرَفِّ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ لِلْمَوَالِي وَالْمُصْطَفِينَ عِنْدَ اسْتِبدَادِ عَشِيرَةِ الْمُلْكِ عَلَى قَوْمِهِمْ وَأَنْفَرَادِهِمْ بِهِ دُونَهُمْ وَهُوَ عَارِضٌ لِلدَّوْلَةِ ضَرُورِيٌّ كَمَا قَدْ مَنَاهُ وَهَذَانِ مَرَضَانِ لَا بُرَى لِلدَّوْلَةِ مِنْهُمَا إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَا يَكُونُ مِنْ بَشَاءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

## الفصل الثاني والعشرون

في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في القرب الخاص بالملك وذلك أَنَّ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ حَصَلَ لِأَوَّلِهِ مَذْأُولُ الدَّوْلَةِ بِعَصِيَّةِ قَوْمِهِ وَعَصِيَّةِ آلِيهِ اسْتَبْعَتْهُمْ حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ لَهُ وَقُومِهِ صِبْغَةُ الْمُلْكِ وَالتَّغْلِبُ وَحِينَ لَمْ تَزَلْ بِأَقِيَّةٍ وَبِهَا اتَّخَفَظَ رَسْمُ الدَّوْلَةِ وَبَقَاوَاهَا وَهَذَا التَّغْلِبُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ عَصِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ الْمُلْكِ أَوْ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ فَعَصِيَّتُهُ مُنْدرِجَةٌ فِي عَصِيَّةِ أَهْلِ الْمُلْكِ وَتَابِعَةٌ لَهَا وَلَيْسَ لَهُ صِبْغَةٌ فِي الْمُلْكِ وَهُوَ لَا يَحَاوِلُ فِي اسْتِبدَادِهِ أَنْتِزَاعَ ثَمَرَاتِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْإِبْرَامِ وَالْقَضْيِ يَوْمَ فِيهَا أَهْلُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ مُتَصَرِّفٌ عَنْ سُلْطَانِهِ مُنْفِذٌ فِي ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ لِأَحْكَامِهِ فَهُوَ يَتَجَافَى عَنْ مِجَاتِ الْمُلْكِ وَشَارَاتِهِ



وَأَلْقَاهُ جُنْدَهُ وَبَعِدَ نَفْسَهُ عَنِ التَّهَمَةِ بِذَلِكَ وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الْأَسْتِئْذَانُ لِأَنَّهُ مُسْتَبْرَأٌ فِي  
 اسْتِئْذَانِهِ ذَلِكَ بِالْحِجَابِ الَّذِي ضَرَبَهُ السُّلْطَانُ وَأَوَّلُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَنِ الْقَبِيلِ مِنْذُ  
 أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَمَعَالِطُ عَنْهُ بِالنِّيَابَةِ وَلَوْ تَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَنَفْسِهِ <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ  
 وَقَبِيلُ الْمَلِكِ وَحَاوَلُوا الْأَسْتِئْذَانُ بِهِ دُونَهُ لِأَنَّهُ لَمْ تَسْتَحْكَمْ لَهُ فِي ذَلِكَ صِبْغَةٌ تَعْمَلُهُمْ  
 عَلَى التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْإِنْفِيَادِ فِيهِكَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّاسِرِ  
 بْنِ مَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ حِينَ سَمَا إِلَى مُشَارَكَةِ هِشَامٍ وَأَهْلٍ يَتَنَبَّأُ فِي لَقَبِ الْخِلَافَةِ وَلَمْ  
 يَقْنَعْ بِمَا قَبِيعَ بِهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مِنَ الْأَسْتِئْذَانِ بِالْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْمَرَامِ الْمُتَبَاعَةِ فَطَلَبَ  
 مِنْ هِشَامٍ خَلِيفَتِهِ أَنْ يَهْدِيَهُ بِالْخِلَافَةِ فَنَفَسَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَنُومِرْ وَانْ وَسَائِرُ قُرَيْشٍ وَبَايَعُوا  
 لِابْنِ عَمِّ الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ النَّاسِرِ وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِي ذَلِكَ  
 خَرَابٌ دَوْلَةُ الْعَامِرِ بْنِ وَهْلَاكَ الْمُؤَيَّدِ خَلِيفَتِهِمْ وَأَسْتَبْدَلَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَعْيَاصِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَى آخِرِهَا وَاخْتَلَتْ مَرَامِمْ مَلِكِهِمْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثالث والعشرون

في حقيقة الملك واصنافه

أَلْمَلِكُ مَنْصِبٌ طَبِيعِيٌّ لِلْإِنْسَانِ لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْبَشَرَ لَا يُمْكِنُ حَيَاتُهُمْ وَوُجُودُهُمْ  
 إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ وَفَرْوَرِيَاتِهِمْ وَإِذَا اجْتَمَعُوا دَعَتْ الضَّرُورَةُ  
 إِلَى الْمَعَامَلَةِ وَاقْتِضَاءِ الْحَاجَاتِ وَمَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ إِلَى حَاجَتِهِ بِأَخْذِهَا مِنْ  
 صَاحِبِهَا لِمَا فِي الطَّبِيعَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيُمَانَعُهُ الْآخَرُ  
 عَنْهَا بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ وَالْإِنْفَةِ وَمُقْتَضَى الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ فَيَقَعُ التَّنَازُعُ الْمُقْضِي  
 إِلَى الْمَقَاتَلَةِ وَهِيَ تُؤَدِّي إِلَى الْخُرْجِ وَسَقَاتِ الدِّمَاءِ وَإِذَا هَابَ الْغُيُوسُ الْمُقْضِي ذَلِكَ إِلَى  
 انْقِطَاعِ النَّوْعِ وَهُوَ مِمَّا خَصَّهُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ بِالْحِفَاطَةِ فَاسْتَحَالَ بِقَاوِمِهِمْ قُوَّتِي دُونَ  
 حَاكِمٍ يَرْعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَاحْتِاجُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى الْوِزَاعِ وَهُوَ الْحَاكِمُ  
 عَلَيْهِمْ وَهُوَ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ الْمُتَحَكِّمُ وَلَا يَدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ  
 الْعَصِيَّةِ لِمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ أَنَّ الْمُطَالِبَاتِ كُلَّهَا وَالْمُدَافَعَاتِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَهَذَا الْمَلِكُ  
 كَمَا تَرَاهُ مَنْصِبٌ شَرِيفٌ تَتَوَجَّهُ نَفْعُهُ الْمُطَالِبَاتُ وَيَعْتَاجُ إِلَى الْمُدَافَعَاتِ وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ

(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكرر الفاء يقال نفس عابو الشيء كفروح لم يره اهلاً له كذا في القاموس

مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِأَلْعَصَبَاتِ كَمَا مَرَّ وَالْعَصَبَاتُ مُتَقَاوِنَةٌ وَكُلُّ عَصَبِيَّةٍ فَلَهَا تَحَكُّمٌ وَتَقَلُّبٌ عَلَى مَنْ يَلِيهَا مِنْ قَوْمِهَا وَعَشِيرَتِهَا وَلَيْسَ الْمَلِكُ لِكُلِّ عَصَبِيَّةٍ وَإِنَّمَا الْمَلِكُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِمَنْ يَسْتَعِيدُ الرَّعِيَّةَ وَيَحْيِي الْأَمْوَالَ وَيَبْعَثُ الْبُعُوثَ وَيَحْمِي الثُّغُورَ وَلَا تَكُونُ فَوْقَ يَدِهِ قَاهِرَةٌ وَهَذَا مَعْنَى الْمَلِكِ وَحَقِيقَتُهُ فِي الْمَشْهُورِ فَمَنْ قَصَرَتْ يَدُ عَصَبِيَّتِهِ عَنْ بَعْضِهَا مِثْلَ حِمَايَةِ الثُّغُورِ أَوْ جَبَايَةِ الْأَمْوَالَ أَوْ بَعَثَ الْبُعُوثَ فَهُوَ مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ يَتِمَّ حَقِيقَتُهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَرَبِ فِي دَوْلَةِ الْأَعَالِيَةِ بِالْقَيْرَوَانِ وَلِبُلُوكِ الْعَجَمِ صَدَرَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةُ وَمَنْ قَصَرَتْ يَدُ عَصَبِيَّتِهِ أَيْضًا عَنِ الْأَسْتِعْلَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْعَصَبَاتِ وَالضَّرْبِ عَلَى سَائِرِ الْأَيْدِي وَكَانَ فَوْقَهُ حُكْمٌ غَيْرُهُ فَهُوَ أَيْضًا مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ يَتِمَّ حَقِيقَتُهُ وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ أُمَرَاءِ النَّوَاحِي وَرُؤَسَاءِ الْجِهَاتِ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ دَوْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْمَتَّسِعَةِ النَّطَاقِ أَغْنَى تَوْجُدُ مُلُوكٍ عَلَى قَوْمِهِمْ فِي النَّوَاحِي الْقَاصِيَةِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي جَمَعَتْهُمْ مِثْلَ صَنْهَاجَةٍ مَعَ الْعَبِيدِيَّينَ وَزَنَانَةَ مَعَ الْأُمَوِيَّينَ تَارَةً وَالْعَبِيدِيَّينَ تَارَةً أُخْرَى وَمِثْلُ مُلُوكِ الْعَجَمِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمِثْلُ مُلُوكِ الطُّوَانِفِ مِنَ الْفَرَسِ مَعَ الْأَلِيسَكَنْدَرِ وَقَوْمِهِ الْبُونَانِيِّينَ وَكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَاعْتَبِرْهُ تَجِدُهُ وَآلَهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

### الفصل الرابع والعشرون

في ان ارماف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر

إِعْلَمْ أَنَّ مَصْلَحَةَ الرَّعِيَّةِ فِي السُّلْطَانِ لَيْسَتْ فِي ذَاتِهِ وَجَسْمِهِ مِنْ حُسْنِ شَكْلِهِ أَوْ مَلَاحَةِ وَجْهِهِ أَوْ عَظَمِ جُنْمَانِهِ أَوْ اتِّسَاعِ عِلْمِهِ أَوْ جُرْدَةِ خَطِّهِ أَوْ ثِقُوبِ ذَهَبِهِ وَإِنَّمَا مَصْلَحَتُهُمْ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْإِضَافِيَّةِ وَهِيَ نِسْبَةٌ بَيْنَ مُتَنَسِّبَيْنِ حَقِيقَةُ السُّلْطَانِ أَنَّهُ الْمَلِكُ لِلرَّعِيَّةِ الْقَائِمُ فِي أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ فَالسُّلْطَانُ مَنْ لَهُ رَعِيَّةٌ وَالرَّعِيَّةُ مَنْ لَهَا سُلْطَانٌ وَالصِّفَةُ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْمَلَكَ وَهِيَ كَوْنُهُ بِمُلْكِهِمْ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَلَكَ وَتَوَابِعُهَا مِنَ الْجُودَةِ بِمَكَانٍ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَمْرِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ حَمِيلَةً صَالِحَةً كَانَ ذَلِكَ مَصْلَحَةً لَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً مُتَعَسِّفَةً كَانَ ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ وَلَا كَالَهُمْ وَيَعُودُ حُسْنُ الْمَلَكَ إِلَى الزَّفَقِ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ قَاهِرًا بَاطِشًا بِالْعُقُوبَاتِ مُقْبًا عَنْ عَوَزَاتِ النَّاسِ وَتَعْدِيدِ ذُنُوبِهِمْ مُتَمَلِّهِمُ الْخُوفِ وَالذُّلَّ وَلَادُوا مِنْهُ بِالْكَتِيبِ وَالْمَكْرِ

وَالْقَدِيمَةَ فَخَلَقُوا بِهَا وَفَسَدَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ وَرُبَّمَا خَذَلُوهُ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ  
وَالْمُدَامَعَاتِ فَفَسَدَتْ الْحُدَايَةُ يَنْسَادُ النَّيَاتُ وَرُبَّمَا أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ ذَلِكَ فَتَنَسَّدَ الدَّوْلَةُ  
وَيُخْرَبُ السِّيَاحُ وَإِنْ دَامَ أَمْرُهُ عَلَيْهِمْ وَقَرُّهُ فَسَدَتْ الْعَصَبِيَّةُ لَهُ أَقَانَاهُ أَوَّلًا وَتَسَدَّ السِّيَاحُ  
مِنْ أَصْلِهِ بِأَلْعَجَزِ عَنِ الْحِمَايَةِ وَإِذَا كَانَ رَفِيقًا بِهِمْ مُتَجَاوِزًا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ أَسْتَنَامُوا إِلَيْهِ  
وَلَاذُوا بِهِ وَأَشْرَبُوا تَحَبُّهُ وَأَسْتَأْثَرُوا دُونَهُ فِي مَحَارِبِهِ أَعْدَائِهِ فَاسْتَقَامَ الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ وَأَمَّا تَوَابِعُ حُسْنِ الْمَلَائِكَةِ فَعَمِي النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْمُدَامَعَةُ عَنْهُمْ فَالْمُدَامَعَةُ بِهَا  
تَنْهَى حَقِيقَةُ الْمَلِكِ وَأَمَّا النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانُ لَهُمْ فَمِنْ جُمَلَةِ الرِّفْقِ بِهِمْ وَالنَّظَرِ  
لَهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَهِيَ أَصْلُ كِبِيرٍ مِنَ التَّعَبُّبِ إِلَى الرَّعِيَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَلَمًا تَكُونُ مَلَائِكَةُ  
الرِّفْقِ فِي مَنْ يَكُونُ يَقَطًا شَدِيدَ الذِّكَاةِ مِنَ النَّاسِ وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الرِّفْقُ فِي  
الْغَفْلِ وَالْمُتَغَفِّلِ وَأَقْلُ مَا يَكُونُ فِي الْيَقِظِ لِأَنَّهُ يُكَلِّفُ الرَّعِيَّةَ قُوَّةَ طَائِفَتِهِمْ لِنُفُوذِ  
نَظَرِهِ فِيهَا وَرَاءَ مَدَارِكِهِمْ وَأَطْلَاعِهِ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ فِي مَبَادِرِهَا بِالرَّعِيَّةِ فِيهِلِكُونُ  
لِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيرُوا عَلَى سِرِّ أَوْضَعْتَكُمْ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ اشْتَرَطَ الشَّارِعُ  
فِي الْحَاكِمِ قَلَّةَ الْإِفْرَاطِ فِي الذِّكَاةِ وَبِأَخْذِهِ مِنْ قِصَّةِ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ لَهُمَا عَزَلَهُ  
عُمَرُ عَنِ الْعِرَاقِ وَقَالَ لَهُ لِمَ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَجِزْ أُمُّ الْخَيْثَانَةِ فَقَالَ عُمَرُ لَمْ  
أَعَزْلِكَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَمْلَأَ فَضْلَ عَقْلِكَ عَنِ النَّاسِ فَأُخَذَ مِنْ  
هَذَا أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَكُونُ مُفْرَطُ الذِّكَاةِ وَالْكَيْسِ مِثْلَ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ وَعُمَرُ  
بِْنُ الْعَاصِ إِذَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ التَّعَفُّفِ وَسُوءِ الْمَلَائِكَةِ وَمَعْلُ الْوُجُودِ عَلَى مَا لَيْسَ فِي  
طَبْعِهِ كَمَا بَأْتِي فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ وَاللَّهُ خَيْرُ الدَّالِّكِينَ وَتَقَرَّرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْكَيْسَ  
وَالذِّكَاةَ عَيْبٌ فِي صَاحِبِ السِّيَاسَةِ لِأَنَّهُ إِفْرَاطٌ فِي الْفِكْرِ كَمَا أَنَّ الْبَلَادَةَ إِفْرَاطٌ فِي  
الْجُمُودِ وَالطَّرْفَانِ مَذْمُومَانِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَالنَّعْوُودُ هُوَ التَّوَسُّطُ كَمَا فِي الْكَرَمِ  
مَعَ التَّبَذِيرِ وَالْبُخْلِ وَكَذَا فِي الشُّجَاعَةِ مَعَ الْهَوَجِ وَالْجَبْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الصِّفَاتِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ وَلِهَذَا يُوصَفُ الشَّدِيدُ الْكَيْسُ بِصِفَاتِ الشَّيْطَانِ فَيُقَالُ شَيْطَانٌ وَمُتَشَبِّهٌ  
وَأَمْتَالِ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ

## الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والامامة

لَمَّا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْمَلِكِ أَنَّهُ الْإِجْتِمَاعُ الْفَرُوقِيُّ لِلْبَشَرِ وَمُقْتَضَاهُ التَّغَلُّبُ وَالْقَهْرُ  
 اللَّذَانِ هُمَا مِنْ آثَارِ الذُّصَبِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ كَانَتْ أَحْكَامُ صَاحِبِهِ فِي الْغَالِبِ جَائِزَةً عَنِ  
 الْحَقِّ مُجْتَمِعَةً بَيْنَ تَحْتِ يَدِهِ مِنَ الْخَلْقِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ لِحِمْلِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْغَالِبِ عَلَى  
 مَا لَيْسَ فِي طَوْفِهِمْ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَشَمُورَاتِهِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ مِنَ الْخَلْفِ  
 وَالسَّلَفِ مِنْهُمْ فَتَعَسَّرَ طَاعَتُهُ لِذَلِكَ وَتَجَبَّى الْعَصِيَّةُ الْمُفْضِيَّةُ إِلَى الْهَرَجِ وَالْقَتْلِ فَوَجَبَ  
 أَنْ يُرْجَعَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوَانِينِ سِيَاسِيَّةٍ مَفْرُوضَةٍ يُسَلِّمُهَا الْكَافَّةُ يَتَقَادُونَ إِلَى أَحْكَامِهَا  
 كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِلْفَرَسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَإِذَا خَلَّتِ الدَّوْلَةُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ  
 لَمْ يَسْتَنْبِ أَمْرُهَا وَلَمْ يَتِمَّ اسْتِيفَاؤُهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ فَإِذَا كَانَتْ  
 هَذِهِ الْقَوَانِينُ مَفْرُوضَةً مِنَ الْعُقَلَاءِ وَأَكْبَرِ الدَّوْلَةِ وَبُصْرَانِيَا كَانَتْ سِيَاسَةً عَقْلِيَّةً وَإِذَا  
 كَانَتْ مَفْرُوضَةً مِنَ اللَّهِ يُشَارِعُ بِقَرَرِهَا وَيَشْرَعُهَا كَانَتْ سِيَاسَةً دِينِيَّةً نَافِعَةً فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِمْ دُنْيَاهُمْ فَقَطُّ فَإِنَّهَا كَلَّمَا عَبَثَ  
 وَبَاطَلَ إِذْ غَايَتُهَا الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَسْبُكُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا فَأَلْمَقْصُودُ  
 بِهِمْ إِنَّمَا هُوَ دِينُهُمُ الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ فِي آخِرَتِهِمْ مِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فَجَعَلَتْ الشَّرَائِعُ بِحَمْلِهِمْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ  
 عِبَادَةٍ وَمُعَامَلَةٍ حَتَّى فِي الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ طَائِعِيٌّ لِلِاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ فَأَجَرَتْهُ عَلَى  
 مَنَاجِ الدِّينِ لِيَكُونَ الْكُلُّ مُحَوَّطًا بِنَظَرِ الشَّارِعِ فَمَا كَانَ مِنْهُ يُقْتَضَى الْقَهْرُ وَالْغَلَبُ  
 وَإِهْمَالُ الْقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ فِي مَرْعَاهَا فَجَوْرٌ وَعُدْوَانٌ وَمَذْمُومٌ عِنْدَهُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى  
 الْحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَمَا كَانَ مِنْهُ يُقْتَضَى السِّيَاسَةِ وَأَحْكَامُهَا قَدْ مَوْمٌ أَيْضًا لِأَنَّهُ نَظَرُ  
 بِغَيْرِ نُورِ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ لِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ  
 الْكَافَّةِ فِيهَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ آخِرَتِهِمْ وَأَعْمَالُ الْبَشَرِ كُلُّهَا عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي  
 مَعَادِهِمْ مِنْ مَلِكٍ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ  
 وَأَحْكَامُ السِّيَاسَةِ إِنَّمَا تُطْلَعُ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا فَقَطُّ بَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا  
 وَمَقْصُودُ الشَّارِعِ بِالنَّاسِ صَلَاحَ آخِرَتِهِمْ فَوَجَبَ بِمُقْتَضَى الشَّرَائِعِ حَمْلُ الْكَافَّةِ

عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ وَكَانَ لِهَذَا الْحُكْمِ لِأَهْلِ الشَّرِيعَةِ  
وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ قَامَ فِيهِ مَقَامُهُمْ وَهُمْ الْخُلَفَاءُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى الْخِلَافَةِ  
وَأَنَّ الْمَلِكَ الطَّبِيعِيَّ هُوَ حَمَلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى الْفَرْضِ وَالشَّهْوَةِ وَالسِّيَاسِيِّ هُوَ حَمَلُ  
الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَالْخِلَافَةِ  
هِيَ حَمَلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ فِي مَصَالِحِهِمِ الْأَخْرَوِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ الرَّاجِعَةِ  
إِلَيْهَا إِذَا أَحْوَالُ الدُّنْيَا تَزَجُّعُ كُلُّهَا عِنْدَ الشَّارِعِ إِلَى اعْتِبَارِهَا بِمَصَالِحِ الْآخِرَةِ فَعَبَّرَ فِي  
الْحَقِيقَةِ خِلَافَةً عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ قَافِلَهُمْ ذَلِكَ  
وَأَعْتَبَرَهُ فِيمَا نَوَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ وَ اللَّهِ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

### الفصل السادس والعشرون

في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

وَإِذَا قَدْ بَيَّنَّا حَقِيقَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ وَأَنَّهُ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِي حِفْظِ الدِّينِ  
وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ نَسَى خِلَافَةً وَإِمَامَةً وَالْقَائِمُ بِهِ خَلِيفَةٌ وَإِمَامًا قَائِمًا تَسْمِيَتُهُ إِمَامًا  
فَتَشْبِيهَا بِإِمَامِ الصَّلَاةِ فِي اتِّبَاعِهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَلِهَذَا يُقَالُ الْإِمَامَةُ الْكُبْرَى وَأَمَّا  
تَسْمِيَتُهُ خَلِيفَةً فَلِكُونِهِ يُخْلَفُ النَّبِيَّ فِي أَمْتِهِ فَيُقَالُ خَلِيفَةُ بِإِطْلَاقٍ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ  
وَأَخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَتِهِ خَلِيفَةً اللَّهُ فَأَجَارَهُ بَعْضُهُمْ أَقْبِيَّاسًا مِنَ الْخِلَافَةِ الْعَامَةِ الَّتِي لِلْأَدَمِيِّينَ  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَقَوْلُهُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَنْعَ  
الْجُمْهُورُ مِنْهُ لِأَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ لَيْسَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَى أَبُو بَكْرٍ عَنْهُ لَمَّا دُعِيَ بِهِ وَقَالَ لَسْتُ  
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَنَّ الْأَسْخِلَافَاتِ إِنَّمَا هُوَ  
فِي حَقِّ الْقَائِمِ وَأَمَّا الْخَاضِرُ فَلَا تُحْمَلُ إِبْرَاءُ نَصْبِ الْإِمَامِ وَاجِبٌ قَدْ عُرِفَ وَجُوبُهُ فِي  
الشَّرْعِ بِاجْتِمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّالِعِينَ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ  
وَقَاتِهِ بَادَرُوا إِلَى تَبِيعَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَسْلِيمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ وَكَذَلِكَ فِي  
كُلِّ عَصْرِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَلَمْ تُتْرَكِ النَّاسُ فَوْضَى فِي عَصْرِ مِنْ الْأَعْصَارِ وَأَسْتَقَرَّ ذَلِكَ  
إِجْمَاعًا دَالًّا عَلَى وَجُوبِ نَصْبِ الْإِمَامِ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ مَدْرَكَ وَجُوبِهِ  
الْعَقْلُ وَأَنَّ الْإِجْمَاعَ الَّذِي وَقَعَ إِنَّمَا هُوَ قَضَاءُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فِيهِ قَالُوا وَإِنَّمَا وَجَبَ  
بِالْعَقْلِ لِمَرُورِهِ بِالْإِجْتِمَاعِ لِلْبَشَرِ وَاسْتِحْصَالِهِ حِكَايَتِهِمْ وَوُجُودِهِمْ مُتَفَرِّدِينَ وَمِنْ ضَرُورَةِ

الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض فما لم يكن الحاكم أوازع أفصى ذلك إلى  
الخرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع  
الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه المحكماء في وجوب النبوات في البشر  
وقد نهينا على فساده وأن إحدى مقدماته أن أوازع إنما يكون بشرع من الله تسلم  
له الكفاة تسليم إيمان واعتقاد وهو غير مسلم لأن الأوازع قد يكون بسطوة الملك  
وقهر أهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في أمم الجحوس وغيرهم ممن ليس له  
كتاب أو لم تبلغه الدعوة أو تقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتغير  
الظلم عليه بحكم العقل فادعواهم أن ارتفاع التنازع إنما يكون بوجود الشرع  
هناك ونصب الإمام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الإمام يكون بوجود  
الروساء أهل الشوكة أو بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينهض دليهم  
العقلي المبني على هذه المقدمة قتل على أن مدرك وجوبه إنما هو بالشرع وهو  
الاجتماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النص رأساً لا  
بالعقل ولا بالشرع منهم الآدم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب  
عند هؤلاء إنما هو إمضاء الحكم الشرع فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ  
أحكام الله تعالى لم يفتح إلى إمام ولا يجب نصبه وهؤلاء يخرجون بالاجتماع  
والذي حملهم على هذا المذهب إنما هو الفراغ عن الملك ومداحيه من الاستطالة  
والغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة محتلة بدم ذلك والنهي على أهله  
ومرغبة في رفضه وأعلم أن الشرع لم يدم الملك لذاته ولا حظار القيام به وإنما دم  
المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك أن في هذه مفاسد  
مخطورة وهي من توابعه كما أننى على العدل والنصف وإقامة مرايم الدين والذب  
عنه وأوجب بإزائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فإذا إنما وقع الدم للملك  
على صفة وحال دون حال أخرى ولم يدمه لذاته ولا طلب تركه كما دم الشهوة  
والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لدعاية الضرورة إليها وأما  
المراد قصرهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه  
عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من أنبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده

ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الْقِرَارَ عَنِ الْمَلِكِ بَعْدَ وَجوبِ هَذَا النَّصْبِ لَا يُغْنِيكُمْ شَيْئًا لِأَنَّكُمْ مُوَافِقُونَ عَلَى وَجوبِ إِقَامَةِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْعَصْبِيَّةِ وَالشُّعْبَةِ وَالْعَصْبِيَّةُ مُقْتَضِيَةٌ بِطَبْعِهَا لِلْمَلِكِ فَيَحْصُلُ الْمَلِكُ وَإِنْ لَمْ يَنْصَبْ إِمَامًا وَهُوَ عَيْنُ مَا قَرَّرْتُمْ عَنْهُ وَإِذَا قَرَّرَ أَنَّ هَذَا النَّصْبَ وَاجِبٌ بِإِجْمَاعٍ فَهُوَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ وَرَاجِعٌ إِلَى اخْتِيَارِ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْحِلِّ فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ نَصْبُهُ وَيَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا طَاعَتُهُ يَقُولُ لَهُ تَعَالَى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَأَمَّا شُرُوطُ هَذَا الْمَنْصَبِ فَهِيَ أَرْبَعَةٌ الْعِلْمُ وَالْعَدَالَةُ وَالْكَفَايَةُ وَسَلَامَةُ الْخَوَاسِ وَالْأَعْضَاءِ مِمَّا يُؤْتَرُ فِي الرَّأْيِ وَالْعَمَلِ وَأَخْتَلَفَ فِي شَرْطِ خَامِسٍ وَهُوَ النَّسَبُ الْقُرْبِيُّ فَأَمَّا اشْتِرَاطُ الْعِلْمِ فَظَاهِرٌ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مُنْتَدًا لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا كَانَ عَالِمًا بِهَا وَمَا لَمْ يَعْلَمْهَا لَا يَصِحُّ تَقْدِيمُهُ لَهَا وَلَا يَكْفِي مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا لِأَنَّ التَّقْلِيدَ نَقْصٌ وَالْإِمَامَةُ تَسْتَدْعِي الْكَمَالَ فِي الْأَوْصَافِ وَالْأَحْوَالِ وَأَمَّا الْعَدَالَةُ فَلِأَنَّهُ مَنْصِبٌ دِينِي يَنْظُرُ فِي سَائِرِ الْمَنَاصِبِ الَّتِي فِي شَرْطِهَا فَكَانَ أَوَّلَى بِاشْتِرَاطِهَا فِيهِ وَلَا خِلَافَ فِي انْتِفَاءِ الْعَدَالَةِ فِيهِ بِفَسْقِ الْجَوَارِحِ مِنْ أَرْكَابِ الْمُحْظُورَاتِ وَأَمْثَالِهَا وَفِي انْتِفَائِهَا بِالْبِدْعِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ خِلَافٌ وَأَمَّا الْكَفَايَةُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ جَرِيئًا عَلَى إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاتِّقَامِ الْحُرُوبِ بِصِدْقٍ بِهَا كَيْفِيًّا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهَا عَارِفًا بِالْعَصْبِيَّةِ وَأَحْوَالِ الدَّعَاءِ قَوِيًّا عَلَى مُعَانَاةِ السِّيَاسَةِ لِيَصِحَّ لَهُ بِذَلِكَ مَا جُعِلَ إِلَيْهِ مِنْ حِمَايَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْعُدُوِّ وَإِقَامَةِ الْأَحْكَامِ وَتَنْذِيرِ الْمَصَالِحِ وَأَمَّا سَلَامَةُ الْخَوَاسِ وَالْأَعْضَاءِ مِنَ النِّقْصِ وَالْمُطَلَّةِ كَالْجُنُونِ وَالنَّمْيِ وَالصَّمِّ وَالْخَرَسِ وَمَا يُؤْتَرُ فَقَدْهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ فِي الْعَمَلِ كَقِفْدِ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَالْأَنْثَيْنِ فَتَشَرْطُ السَّلَامَةُ مِنْهَا كُلُّهَا لِتَأْثِيرِ ذَلِكَ فِي تِمَامِ عَمَلِهِ وَفِيَاكِهِ بِمَا جُعِلَ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يَسِينُ فِي الْمَنْظَرِ فَقَطْ كَقِفْدِ إِحْدَى هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فَشَرْطُ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطُ كَمَالٍ وَيُلْحَقُ بِفَقْدَانِ الْأَعْضَاءِ الْمَنْعُ مِنَ التَّصَرُّفِ وَهُوَ ضَرْبَانِ ضَرْبٌ يُلْحَقُ بِهِ فِي اشْتِرَاطِ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطُ وَجُوبِ وَهُوَ الْقَهْرُ وَالْتِمَازُ عَنِ التَّصَرُّفِ جُمْلَةً بِالْأَسْرِ وَشِبْهِهِ وَضَرْبٌ لَا يُلْحَقُ بِهِ وَهُوَ الْحُجْرُ بِاسْتِغْلَاءِ بَعْضِ أَعْوَانِهِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عِصْيَانٍ وَلَا مُسَاقَاةٍ فَيَنْتَقِلُ النَّظَرُ فِي حَالِ هَذَا الْمُسْتَوَلِيِّ فَإِنْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الدِّينِ وَالْعَدْلِ وَحَمِيدِ السِّيَاسَةِ جَازَ قَرَارُهُ وَإِلَّا اسْتَنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَفِضُ بِهِ عَنْ ذَلِكَ وَيَدْفَعُ عَلَيْهِ

حَتَّى يَنْفَدَ فِعْلُ الْخَلِيفَةِ وَأَمَّا النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَلِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ يَوْمَ السَّيْفَةِ عَلَى ذَلِكَ  
 وَاجْتِهَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْإِنصَارِ لِمَا هُمُو بِوَسْعَةِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَقَالُوا مَنَا أَمِيرٌ  
 وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ وَبَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ أَوْصَانَا بِأَنْ نُحْسِنَ إِلَى مُخْسِنِكُمْ وَنَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ وَلَوْ كَانَتْ إِلَّا مَارَةً فِيكُمْ  
 لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِكُمْ فَجَعَلُوا الْإِنصَارَ وَرَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ  
 وَعَدَلُوا عَمَّا كَانُوا هُمُو بِهِ مِنْ بَيْعَةِ سَعْدٍ لِذَلِكَ وَثَبَّتَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ لَا يَزَالُ هَذَا  
 الْأَمْرُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمثالُ هَذِهِ الْأَدْلَةِ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ  
 قُرَيْشٍ وَتَلَاثَتْ عَصِيَّتُهُمْ بِمَا نَالَهُمْ مِنَ التَّرَفِّ وَالنِّعَمِ وَبِمَا أَنْفَقَتْهُمْ الدَّوْلَةُ فِي سَائِرِ  
 أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَجَزُوا بِذَلِكَ عَنْ حَمْلِ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ وَصَارَ الْحُلُّ  
 وَالْعَقْدُ لَهُمْ فَاشْتَبِهَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ حَتَّى ذَهَبُوا إِلَى تَقْيِ اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ  
 وَعَوَّلُوا عَلَى ظَوَاهِرِ فِي ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ وُلِّيَ  
 عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ذُو رِيَّةٍ وَهَذَا لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِخُرَاجِ التَّمْثِيلِ  
 وَالْقُرْصِ لِلْمُبَالَاغَةِ فِي إِيْجَابِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَمِثْلَ قَوْلِ عُمَرَ لَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى حَذِيفَةَ  
 حَيًّا لَوَلَيْتُهُ أَوْ لَمَّا دَخَلْتَنِي فِيهِ الظُّنَّةُ وَهُوَ أَيْضًا لَا يُبَيِّدُ ذَلِكَ لِمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَذْعَبَ  
 الصَّحَابَةِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ وَأَيْضًا قَوْلِي الْقَوْمُ مِنْهُمْ وَعَصِيَّةُ الْوَلَاءِ حَاصِلَةٌ لِسَالِمٍ فِي قُرَيْشٍ  
 وَهِيَ الْفَائِدَةُ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَلَمَّا اسْتَعْظَمَ عُمَرُ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَرَأَى شُرُوطَهَا كَانَهَا  
 مَفْقُودَةً فِي ظَنِّهِ عَدَلَ إِلَى سَالِمٍ لِتَوْفُرِ شُرُوطِ الْخِلَافَةِ عِنْدَهُ فِيهِ حَتَّى مِنَ النَّسَبِ الْمُنْبَغِ  
 لِلْعَصِيَّةِ كَمَا نَذَرْتُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُرَاحَةُ النَّسَبِ فَرَأَاهُ غَيْرَ مُخْتِاجٍ إِلَيْهِ إِذِ الْفَائِدَةُ  
 فِي النَّسَبِ إِنَّمَا هِيَ الْعَصِيَّةُ وَهِيَ حَاصِلَةٌ مِنَ الْوَلَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ حِرْصًا مِنْ عُمَرَ رِضَايَ اللَّهِ  
 عَنْهُ عَلَى النَّظَرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَقْلِيدِ أَمْرِهِمْ لِمَنْ لَا تَلْحَقُهُ فِيهِ لَائِمَةٌ وَلَا عَلَيْهِ فِيهِ عَيْدَةٌ  
 وَمِنَ الْفَائِدَةِ بَقِيَّ اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ الْقَادِي أَبُو بَكْرٍ الْأَبْلَقَانِيُّ لَمَّا أَدْرَكَ عَلَيْهِ عَصِيَّةُ  
 قُرَيْشٍ مِنَ التَّلَاثَةِ وَالْأَضْمِحْلَالِ وَاسْتَبْدَادِ مُلُوكِ الْعَجَمِ مِنَ الْخُلَفَاءِ فَاسْقَطَ شَرْطَ  
 الْقُرَشِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِرَأْيِ الْخَوَارِجِ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ حَالِ الْخُلَفَاءِ لِهَيْدِهِ وَبَقِيَّ  
 الْمُجْمُورُ عَلَى الْقَوْلِ بِاشْتِرَاطِهَا وَصَحَّحَ الْإِمَامَةُ الْقُرَشِيَّةَ وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ الْقِيَامِ بِأُمُورِ  
 الْمُسْلِمِينَ وَرُدَّ عَلَيْهِمْ سَقُوطُ شَرْطِ الْكِفَايَةِ الَّتِي يَقْوَى بِهَا عَلَى أَمْرِ لَأَنَّهُ إِذَا ذَهَبَتْ



السُّوَكَةُ بِدَهَابِ الْعَصِيَّةِ فَقَدْ ذَهَبَتِ الْكِفَايَةُ وَإِذَا وَقَعَ الْإِخْلَالُ بِشَرْطِ الْكِفَايَةِ  
تَطَرَّقَ ذَلِكَ أَيْضًا إِلَى الْعِلْمِ وَالَّذِينَ وَسَقَطَ اعْتِبَارُ شُرُوطِ هَذَا الْمَنْتَظَبِ وَهُوَ خِلَافُ  
الْإِجْتِمَاعِ وَلِتَنْصَكُمُ الْآنَ فِي حِكْمَةِ اشْتِرَاطِ النَّسَبِ لِيَتَحَقَّقَ بِهِ الصَّوَابُ فِي هَلِهِ  
الْمَذَاهِبِ فَقُولُوا إِنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مَقَاصِدَ وَحَكَمٍ تَشْتَمِلُ  
عَلَيْهَا وَتُشْرَعُ لِأَجْلِهَا وَتَحْتَ إِذَا بَحِثْنَا عَنْ الْحِكْمَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ الْقُرْنِيِّ وَمَقْصِدِ  
الشَّارِعِ مِنْهُ لَمْ يَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى التَّبَرُّكِ بِوَصْلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هُوَ فِي  
الْمَشْهُورِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْوَصْلَةُ مُوجِبَةً وَالتَّبَرُّكُ بِهَا حَاصِلًا لَكِنَّ التَّبَرُّكَ لَيْسَ مِنْ  
الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ كَمَا عَلِمْتَ فَلَا بُدَّ إِذَنْ مِنَ الْمَصْلَحَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَهِيَ  
الْمَقْصُودَةُ مِنْ شُرُوعِهَا وَإِذَا سَبَرْنَا وَقَسَمْنَا لَمْ نَجِدْهَا إِلَّا اعْتِبَارَ الْعَصِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ  
بِهَا الْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَيَرْتَفِعُ اخْلَافُ وَالْفُرْقَةُ بِوُجُودِهَا لِصَاحِبِ الْمَنْتَظَبِ فَتَسْكُنُ  
إِلَيْهِ أَلْمَلَةُ وَأَهْلُهَا وَيَنْتَظِمُ حَيْلُ الْأَلْفَةِ فِيهَا وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا عَصَبَةً مُضَرَّ وَأَصْلَهُمْ  
وَأَهْلُ الْغَلَبِ مِنْهُمْ وَكَانَ لَهُمْ عَلَى سَائِرِ مُقَرَّرِ الْعِزَّةِ بِالْكَثَرَةِ وَالْعَصِيَّةِ وَالشَّرَفِ  
فَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَعْتَرِفُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَيَسْتَكِينُونَ لِعَظِيمِهِمْ فَلَوْ جُعِلَ الْأَمْرُ فِي سِرَاهُمْ  
لَتَوَفَّقَ اقْتِرَاقُ الْكَلِمَةِ بِمُخَالَفَتِهِمْ وَعَدَمُ اتِّقَادِهِمْ وَلَا يَقْدِرُ غَيْرُهُمْ مِنْ قِبَالِ مُضَرَّ  
أَنْ يَرُدُّهُمْ عَنِ الْخِلَافِ وَلَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْكُرَّةِ فَتَنْفَرِقَ الْجَمَاعَةُ وَتَخْتَلِفَ الْكَلِمَةُ  
وَالشَّارِعُ يَحْذَرُ مِنْ ذَلِكَ حَرَبًا عَلَى اتِّفَاقِهِمْ وَرَفْعِ التَّنَازُعِ وَالشَّنَاتِ بَيْنَهُمْ لِيَحْصَلَ  
اللَّحْمَةُ وَالْعَصِيَّةُ وَتَحْسُنَ الْحِمَايَةُ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ لَأَنَّهُمْ قَادِرُونَ  
عَلَى سَوْقِ النَّاسِ بِعَصَا الْغَلَبِ إِلَى مَا يَرَادُ مِنْهُمْ فَلَا يُخْشَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ خِلَافِ عَلَيْهِمْ  
وَلَا فُرْقَةٍ لَأَنَّهُمْ كَفِيلُونَ حِينَئِذٍ يَدْفَعُهَا وَمَنْعَ النَّاسِ مِنْهَا فَأَشْرَطَ نَسَبُهُمُ الْقُرْنِيُّ  
فِي هَذَا الْمَنْتَظَبِ وَهُمْ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ لِيَكُونَ أَبْلَغُ فِي أَنْظَامِ أَلْمَلَةِ وَاتِّفَاقِ  
الْكَلِمَةِ وَإِذَا انْتَضَمَتْ كَلِمَتُهُمْ انْتَضَمَتْ بِأَنْظَامِهَا كَلِمَةُ مُضَرَّ أَجْمَعَ فَأَذِنَ لَهُمْ  
سَائِرُ الْعَرَبِ وَانْقَادَتِ الْأُمَمُ سِوَاهُمْ إِلَى أَحْكَامِ أَلْمَلَةِ وَوُطِّئَتْ جُنُودُهُمْ قَاصِيَةَ الْبِلَادِ  
كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ الْفَتْوحَاتِ وَاسْتَمَرَّ بَعْدَهَا فِي الدُّوَلَتَيْنِ إِلَى أَنْ اضْجَعَلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ  
وَتَلَاشَتْ عَصِيَّةُ الْعَرَبِ وَبُعِلَتْ مَا كَانَ لِقُرَيْشٍ مِنَ الْكَثَرَةِ وَالْغَلَبِ عَلَى بَطُونِ مُضَرَّ  
مَنْ مَارَسَ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَسِيرَهُمْ وَتَقَطَّنَ لِذَلِكَ فِي أَحْوَالِهِمْ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ أَنْزِلًا إِسْتَحَقَّ

إِنِّي كِتَابِ السَّيْرِ وَغَيْرِهِ فَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ اشْتِرَاطَ الْقُرْشِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِنَفْعِ النَّكَاحِ بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْقَلْبِ وَعَلِمْنَا أَنَّ الشَّارِعَ لَا يَخْصُ الْأَحْكَامَ بِحِيلٍ وَلَا عَصْرٍ وَلَا أُمَّةٍ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْكِنَايَةِ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهَا وَطَوَدْنَا الْعِلْمَةَ الْمُشْتَمَلَةَ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْقُرْشِيَّةِ وَهِيَ وَجُودُ الْعَصِيَّةِ فَاشْتَرَطْنَا فِي الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْمٍ أُولِي عَصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ غَالِبَةٍ عَلَى مَنْ مَعَهَا لِعَصْرِهَا لِيَسْتَدْبِعُوا مِنْ سِوَاهُمْ وَتَجْتَمِعَ الْكَلِمَةُ عَلَى حَسَنِ الْحَمْدِ وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ فِي الْأَفْطَارِ وَالْآفَاقِ كَمَا كَانَ فِي الْقُرْشِيَّةِ إِذِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ كَانَتْ عَامَةً وَعَصِيَّةُ الْعَرَبِ كَانَتْ وَافِيَةً بِهَا فَعَلُّوا سَائِرَ الْأَسْمِ وَإِنَّمَا يَخْصُ لِهَذَا الْعَهْدِ كُلِّ قَطْرٍ يَمُنُّ تَكُونُ لَهُ فِيهِ الْعَصِيَّةُ الْغَالِبَةُ وَإِذَا نَظَرْتَ سِرَّ اللَّهِ فِي الْخِلَافَةِ لَمْ تَعُدْ هَذَا لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا جَعَلَ الْخَلِيفَةَ نَائِبًا عَنْهُ فِي الْقِيَامِ بِأُمُورِ عِبَادِهِ لِيَعْمَلَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَيَرْدُّهُمْ عَنْ مَضَارِهِمْ وَهُوَ مُحَاطَبٌ بِذَلِكَ وَلَا يَخَاطَبُ بِالْأَمْرِ إِلَّا مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ أَلَا تَرَى مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَطِيبِ <sup>(١)</sup> فِي شَأْنِ النِّسَاءِ وَأَنْهَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ جُعِلَ نَبَأٌ لِلرِّجَالِ وَلَمْ يَدْخُلَنَّ فِي الْحُطَابِ بِالْوَضْعِ وَإِنَّمَا دَخَلَ عَنْدهُ بِالْقِيَاسِ وَذَلِكَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لِمَنْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَكَانَ الرِّجَالُ قَوَامِينَ عَلَيْهِمْ اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ فِيهَا قَائِمٌ عَلَى نَفْسِهِ فَخُطِبُوهَا فِيهَا بِالْوَضْعِ لَا بِالْقِيَاسِ ثُمَّ إِنَّ التَّوَجُّدَ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ بِأَمْرٍ أَوْ جِيلٍ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ وَقُلْ أَنْ يَكُونَ الْآيَرُ الشَّرْعِيُّ مُخَالَفًا لِلْآيَرِ التَّوَجُّدِيِّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل السابع والعشرون

في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة

إِعْلَمُ أَنَّ الشَّيْعَةَ لَفَتْهُمُ الْعَصَبُ وَالْإِتْبَاعُ وَبُطِّلَتْ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْخَلْفِ وَالسَّلَفِ عَلَى اتِّبَاعِ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَذَاهِبُهُمْ جَمِيعًا مُتَّفِقِينَ عَلَيْهِ أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الَّتِي تَفُوضُ إِلَى نَظَرِ الْأُمَّةِ وَيَتَعَيَّنُ الْقَائِمُ بِهَا بِعَيْنِهِمْ بَلْ هِيَ رُكْنٌ مِنَ الدِّينِ وَقَاعِدَةٌ الْإِسْلَامِ وَلَا يَجُوزُ لِنَبِيِّ إِغْفَالُهُ وَلَا تَفْوِضُهُ إِلَى الْأُمَّةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْيِينُ الْإِمَامِ لَهُمْ وَيَكُونُ مَعْصُومًا مِنَ الْكِبَايَرِ وَالصَّغَائِرِ وَإِنْ

عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي عِنْتَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِنُصُوصٍ يَقُولُونَهَا وَيُؤَدُّونَهَا  
عَلَى مُقْتَضَى مَذْهَبِهِمْ لَا يَعْرِفُهَا جِهَانِدَةُ السُّنَّةِ وَلَا تَقْلَةُ الشَّرِيعَةِ بَلْ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ  
أَوْ مَطْعُونٌ فِي طَرِيقِهِ أَوْ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَتَقْسِيمِ هَذِهِ النُّصُوصِ عِنْدَهُمْ إِلَى  
جَلْبِي وَخَفِيٍّ فَالْجَلْبِيُّ مِثْلُ قَوْلِهِ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ قَالُوا وَلَمْ تَطْرُدْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ  
إِلَّا فِي عَلِيٍّ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُمَرُ أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمِنْهَا قَوْلُهُ أَفْضَاكُمْ عَلِيٌّ  
وَلَا مَعْنَى لِلْإِمَامَةِ إِلَّا الْقَضَاءُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِأَوَّلِي الْأَمْرِ الْوَاجِبَةِ طَاعَتِهِمْ  
بِقَوْلِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوَّلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَالْمُرَادُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ وَلِهَذَا  
كَانَ حُكْمًا فِي قَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ دُونَ غَيْرِهِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ مَنْ بَايَعَنِي عَلَى  
رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَوَلِيٌّ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِي فَلَمْ يَبَايَعَهُ إِلَّا عَلِيٌّ وَمِنْ الْخَفِيِّ عِنْدَهُمْ بَعَثُ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا لِقِرَاءَةِ سُورَةِ بَرَاءَةِ فِي الْمَوْسِمِ حِينَ أَتَرَلْتَ فَإِنَّهُ بَعَثَ  
بِهَا أَوَّلًا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ لِيَلْقَهُ رَجُلٌ مِنْكَ أَوْ مِنْ قَوْمِكَ فَبَعَثَ عَلِيًّا لِيَكُونَ  
الْقَارِءَ الْمُبْتَغَى قَالُوا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ وَابْنُ قَيِّمٍ قَدْ عَلِمَ بِغُرُوبِ أَنَّهُ قَدْ مَآ أَحَدًا عَلَى  
عَلِيٍّ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَدْ مَآ عَلَيْهِمَا فِي غَزَاتَيْنِ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ مَرَّةً وَعُمَرُ بْنُ الْكَلاصِ  
آخَرَى وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدَلَّةٌ شَاهِدَةٌ بِتَعْيِينِ عَلِيٍّ لِلْخِلَافَةِ دُونَ غَيْرِهِ فَمِنْهَا مَا هُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ  
وَمِنْهَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ تَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِ عَلِيٍّ  
وَلِشَخْصِيَّةٍ وَكَذَلِكَ تَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْإِمَامِيَّةُ وَيَتَّبِعُونَ مِنَ السَّيِّغِينَ  
حَيْثُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى وَبَايَعُوهُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ النُّصُوصِ وَبِغَيْرِهَا فِي إِمَامَتِهِمَا وَلَا يَلْتَفِتُ  
إِلَى نَقْلِ الْقَدَحِ فِيهِمَا مِنْ غُلَاظِهِمْ فَهُوَ مَرْدُودٌ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ  
الْأَدَلَّةُ إِنَّمَا أَقْضَتْ تَعْيِينَ عَلِيٍّ بِالْوَصْفِ لَا بِالشَّخْصِ وَالنَّاسُ مُقْصِرُونَ حَيْثُ لَمْ يَضَعُوا  
الْوَصْفَ مَوْضِعَهُ وَلَا هُمْ الزَّيْدِيَّةُ وَلَا يَتَّبِعُونَ مِنَ السَّيِّغِينَ وَلَا يَغْضُونَ فِي إِمَامَتِهِمَا مَعَ  
قَوْلِهِمْ يَأْنِ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْهُمَا لَكِنَّهُمْ يَجُوزُونَ إِمَامَةَ الْمُفْضُولِ مَعَ وُجُودِ الْأَفْضَلِ ثُمَّ  
أَخْتَلَفَتْ قَوْلُهُ هَؤُلَاءِ الشَّيْبَةِ فِي مَسَاقِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ عَلِيٍّ فَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا فِي وَلَدِ فَاطِمَةَ  
بِالنِّصْنِ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى مَا يُدْكَرُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ بِسْمُونَ الْإِمَامِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى  
مَقَاتِلِهِمْ بِأَشْرَاطِ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَتَعْيِينِهِ فِي الْإِيمَانِ وَهِيَ أَصْلٌ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا  
فِي وَلَدِ فَاطِمَةَ لَكِنَّ بِالْأَخْيَارِ مَعَ الشُّبُوحِ وَبِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مِنْهُمْ عَالِمًا

زَاهِدًا جَوَادًا شَجَاعًا وَيَخْرُجُ دَاعِيًا إِلَى إِمَامَتِهِ وَهَؤُلَاءِ هُمْ الزَّيْدِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى صَاحِبِ  
 الْمَذْهَبِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّبِيطِ وَقَدْ كَانَ يُنَازِرُ أَخَاهُ مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ عَلَى  
 اشْتِرَاطِ الْخُرُوجِ فِي الْإِمَامَةِ فَيُلْزِمُهُ الْبَاقِرُ أَنْ لَا يَكُونَ أَبُوهُمَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ إِمَامًا  
 لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ وَلَا تَعَرَّضَ لِلْخُرُوجِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَتَّبِعِي عَلَيْهِ مَذَاهِبَ الْمُعْتَرِلَةِ وَأَخَذَهُ  
 آبَاؤُهُ عَنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ وَلَمَّا نَازَرَ الْأَمَامِيَّةَ زَيْدًا فِي إِمَامَةِ الشَّيْخَيْنِ وَرَأَوْهُ يَقُولُ  
 بِإِمَامَتِهِمَا وَلَا يَتَّبِعُ مِنْهُمَا رَفْضُهُ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَبِذَلِكَ شُمُّوا رَاضَةً وَمِنْهُمْ  
 مَنْ سَاقَهَا بَعْدَ عَلِيٍّ وَآبَتِيهِ السَّبِيطِينَ إِلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِمَا مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ  
 ثُمَّ إِلَى وَلَدِهِ وَهُمْ الْكَيْسَانِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى كَيْسَانَ مَوْلَاهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ اخْتِلَافَاتٌ  
 كَثِيرَةٌ تَرَكَّاهَا اخْتِصَارًا وَمِنْهُمْ طَوْئِفٌ يُسَوِّنُ الْغَلَاةَ تَجَاوَزُوا حَدَّ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ  
 فِي الْقَوْلِ بِالْوَهْبِيَّةِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ إِمَامًا عَلَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ اتَّصَفُوا بِصِفَاتِ الْإِلَوهِيَّةِ أَوْ أَنَّ  
 الْإِلَهَ حَلَّ فِي ذَاتِهِ الْبَشَرِيَّةَ وَهُوَ قَوْلُ بِالْحُلُولِ يُوَافِقُ مَذْهَبَ النَّصَارَى فِي عَيْسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ حَرَّقَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ مَنْ ذَهَبَ فِيهِ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ وَخَطَّ  
 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ الْخُتَّارُ بْنُ أَبِي عَيْنٍ لَمَّا بَلَغَهُ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْهُ فَصَرَخَ بِأَعْيُنِهِ وَالْبَرَاءَةُ  
 مِنْهُ وَكَذَلِكَ فَعَلَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِمَنْ بَلَغَهُ مِثْلُ هَذَا عَنْهُ وَمِنْهُمْ  
 مَنْ يَقُولُ إِنَّ كَمَالَ الْإِمَامِ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ فَإِذَا مَاتَ انْتَقَلَتْ رُوحُهُ إِلَى إِمَامٍ آخَرَ  
 يَكُونُ فِيهِ ذَلِكَ الْكَمَالُ وَهُوَ قَوْلُ بِالتَّنَاسُخِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْغَلَاةِ مَنْ يَقِفُ عِنْدَ وَاحِدٍ  
 مِنَ الْأَئِمَّةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ بِحَسَبِ مَنْ يُعَيِّنُ لِلذَلِكَ عَنْدهُمْ وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْوَاقِفِيَّةُ  
 فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هُوَ حَقٌّ لَمْ يَمُتْ إِلَّا أَنَّهُ غَائِبٌ عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ وَيَسْتَشْهِدُونَ لِذَلِكَ  
 بِقِصَّةِ الْخَضِرِ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنَّهُ فِي السَّحَابِ وَالرَّعْدُ صَوْتُهُ  
 وَالْبَرْقُ فِي صَوْتِهِ وَقَالُوا مِثْلَهُ فِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَإِنَّهُ فِي جَبَلٍ رَضَوِيٍّ مِنْ أَرْضِ  
 الْحِجَازِ وَقَالَ شَاعِرُهُمْ

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ	وَلَا أَلَا الْحَقُّ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ
عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ	هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بَيْنَهُمْ خِفَاءُ
فَسَبِطٌ سَبِطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ	وَسَبِطٌ غَيْبُهُ كَرِّيْلَاهُ
وَسَبِطٌ لَا يَدُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى	يَقُودَ الْجَيْشَ بِقَدَمِهِ الْإِلَوَاهُ

تَغَيَّبَ لَا يَرَى فِيهِمْ زَمَانًا يَرْضَوْنَ عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ

وَقَالَ مِثْلَهُ غُلَاةُ الْأُمَايَةِ وَخُصُوصًا الْإِثْنَا عَشْرِيَّةُ مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الثَّلَاثِي عَشَرَ مِنْ  
 أَيْمَتِهِمْ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَسْكَرِيِّ وَيَلْقُبُونَهُ الْمَهْدِيَّ دَخَلَ فِي سِرْدَابٍ بِدَارِهِمْ  
 فِي اللَّيْلَةِ وَتَغَيَّبَ حِينَ اعْتَقِلَ مَعَ أُمِّهِ وَغَابَ هُنَاكَ وَهُوَ يَخْرُجُ آخِرَ الزَّمَانِ قِيمَلًا الْأَرْضَ  
 عَدَلًا يُشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَدِيثِ الْوَاقِعِ فِي كِتَابِ التَّرْمِذِيِّ فِي الْمَهْدِيِّ وَهُمْ إِلَى  
 الْأَنِّ يَنْتَظِرُونَهُ وَيَسْمُونَهُ الْمُنتَظَرُ لِلذَّكَ وَبَقُونُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ يَبْكِبُ  
 هَذَا السِّرْدَابَ وَقَدْ قَدَّمُوا مَرْكَبًا فِيهِتَفُونَ بِأَسْمِهِ وَيَدْعُونَهُ لِلْخُرُوجِ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ  
 ثُمَّ يَنْفَضُونَ وَيَرْجِعُونَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّيْلَةِ الْآتِيَةِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَيْدًا الْعَهْدِ وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ  
 الْوَأَقِفَةِ يَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي مَاتَ يَرْجِعُ إِلَى حَيَاتِهِ الدُّنْيَا وَيَسْتَشْهَدُونَ لِلذَّكَ بِمَا  
 وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَقَتِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ  
 حِينَ ضُرِبَ بِعِظَامِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أَمَرُوا بِذَبْحِهَا وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى  
 طَرِيقِ الْحُجَّةِ وَلَا يَصِحُّ الْإِسْتِشْهَادُ بِهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّيِّدُ  
 الْحَمِيرِيُّ وَمِنْ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ

إِذَا مَا أَلَمَرَهُ شَابَ لَهُ قَدَالٌ وَعَلَّلَهُ الْمَوَاشِطُ بِالْخِصَابِ  
 فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاشَتِهِ وَأَوْدَى فَقُمْ يَا صَاحِبَ نَبْكِ عَلَى الشَّبَابِ  
 إِلَى يَوْمٍ يَنْتُوبُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى دُنْيَاهُمْ قَبْلَ الْحِسَابِ  
 فَلَيْسَ بِعَائِدٍ مَا قَاتَ مِنْهُ إِلَى أَحَدٍ إِلَى يَوْمِ الْإِيَابِ  
 أَدِينُ بَأَنَّ ذَلِكَ دِينُ حَقٍّ وَمَا أَنَا فِي الشُّوْرِ بِذِي أَرْتِيَابِ  
 كَذَلِكَ اللَّهُ أَخْبَرَ عَنِ النَّاسِ حَبْرًا مِنْ بَعْدِ دَرَسٍ فِي التَّرَابِ

وَقَدْ كَفَانَا مَوْتَهُ هَؤُلَاءِ الْغُلَاةُ أَيْمَةُ الشَّيْعَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَا وَيَطْلُونَ أَسْجَادَ جَانِبَيْهِمْ  
 عَلَيْهَا وَأَمَّا الْكِسَانِيَّةُ فَسَافُوا الْإِمَامَةَ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ إِلَى ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ  
 وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَاشِيَّةُ ثُمَّ أَفْتَرَقُوا مِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا بَعْدَهُ إِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ الْحُسَيْنِ  
 ابْنِ عَلِيٍّ وَآخَرُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هَاشِمٍ لَمَّا مَاتَ بِأَرْضِ السَّرَافِ مَنْصَرَفًا مِنَ السَّامِ  
 أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَوْصَى مُحَمَّدٌ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ  
 بِالْإِمَامِ وَأَوْصَى إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِيَّةِ الْمُلَقَّبِ بِالسَّفَاحِ وَأَوْصَى هُوَ

إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَلَقَبِ بِالْمَنْصُورِ وَانْتَقَلَتْ فِي وَلَدِهِ بِالْأَنْصَرِ وَالْمَهْدِ وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهِمْ وَهَذَا مَذْهَبُ الْهَاشِمِيِّينَ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَكَانَ مِنْهُمْ  
أَبُو مُسْلِمٍ وَسَائِمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو سَلَمَةَ الْخَلَّالُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ شِيعَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَرَبَّمَا  
يَعْتَضِدُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَصُلُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَبَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ حَيًّا وَفَتَ  
الْوَفَاءَ وَهُوَ أَوْلَى بِالْوَرَاثَةِ بِعَصَبِيَّةِ الْعُمَمَةِ وَأَمَّا الزُّيْدِيَّةُ فَسَاقُوا الْأِمَامَةَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ  
فِيهَا وَإِنَّمَا بِاخْتِيَارِ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ لَا بِالْأَنْصَرِ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ ثُمَّ  
أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ ابْنِهِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ صَاحِبُ هَذَا الْمَذْهَبِ وَخَرَجَ بِالْكَوْفَةِ دَاعِيًا  
إِلَى الْأِمَامَةِ فَقُتِلَ وَصَلِبَ بِالْكِنَاسَةِ وَقَالَ الزُّيْدِيَّةُ بِإِمَامَةِ ابْنِهِ يَحْيَى مِنْ بَعْدِهِ فَمَضَى  
إِلَى خُرَاسَانَ وَقُتِلَ بِالْجَوْزْجَانِ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ  
الْحُسَيْنِ السَّبِطِ وَيُقَالُ لَهُ النَّفْسُ الزُّكِّيَّةُ فَخَرَجَ بِالْحِجَازِ وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ وَجَاءَتْهُ عَسَاكِرُ  
الْمَنْصُورِ فَقُتِلَ وَعُهِدَ إِلَى أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ فَقَامَ بِالْبَصْرَةِ وَمَعَهُ عِيسَى بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ  
فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ عَسَاكِرَهُ فَهَرَمَ وَقُتِلَ إِبْرَاهِيمُ وَعِيسَى وَكَانَ جَعْفَرُ الصَّادِقِ أَخْبَرَهُمْ  
بِذَلِكَ كُلِّهِ وَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي كَرَامَاتِهِ وَذَمَّتْ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ الْأِمَامَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ  
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّفْسُ الزُّكِّيَّةُ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ وَعُمَرُ هُوَ أَخُو زَيْدِ  
ابْنِ عَلِيٍّ فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بِالطَّالِقَانِ فَقَضَى عَلَيْهِ وَسَبَقَ إِلَى الْمَعْتَمِرِ فَجَسَّهُ  
وَمَاتَ فِي جَبَسِهِ وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الزُّيْدِيَّةِ إِنَّ الْأِمَامَ بَعْدَ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ هُوَ أَخُوهُ  
عِيسَى الَّذِي حَضَرَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قِتَالِهِ مَعَ مَنْصُورٍ وَقَتَلُوا الْأِمَامَةَ فِي عَقْبِهِ  
وَالِيهِ انْتَسَبَ دَعْوَى الزُّنْجِ كَمَا نَذَرُوهُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الزُّيْدِيَّةِ إِنَّ  
الْأِمَامَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخُوهُ أَدْرِيسُ الَّذِي فَرَّ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمَاتَ هُنَالِكَ  
وَقَامَ بِأَمْرِهِ ابْنُهُ أَدْرِيسُ وَأَخْطَأَ مَدِينَةَ فَاسَ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ عَقْبُهُ مُلُوكًا بِالْمَغْرِبِ  
إِلَى أَنْ انْقَرَضُوا كَمَا نَذَرُوهُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَبَقِيَ أَمْرُ الزُّيْدِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرَ مُنْتَظِمٍ  
وَكَانَ مِنْهُمْ الدَّاعِي الَّذِي مَلَكَ طَبْرِسْتَانَ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ  
ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّبِطِ وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ ثُمَّ قَامَ بِهِذِهِ الدَّعْوَةُ  
فِي الدَّلِيلِ النَّاصِرِ الْأَطْرُوشِ مِنْهُمْ وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِهِ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ  
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ وَأَخُو زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَكَانَتْ لِبَنِيهِ بِطَبْرِسْتَانَ دَوْلَةٌ وَتَوَصَّلَ

الدِّينَ مِنْ نَسَبِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَالْإِسْتِبدَادِ عَلَى الْخُلَفَاءِ بِعَدَدِ كَمَا نَذَرُ فِي أَخْبَارِهِمْ .  
 وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَسَأَلُوا الْإِمَامَةَ مِنْ عَلِيِّ الرِّضَى إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ بِالتَّوَصُّيَةِ ثُمَّ إِلَى أَخِيهِ  
 الْحُسَيْنِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَمِنْ هُنَا أَقْبَرُوا فَرَفَقِينَ فَرَفَقَ سَاقُوهَا إِلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَيَعْرِفُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالْإِمَامِ  
 وَهُمْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَفَرَقَ سَاقُوهَا إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْكَاطِمِ وَهُمْ الْإِثْنَا عَشَرِيَّةُ لَوْفُونَهُمْ  
 عِنْدَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْإِثْمَةِ وَقَوْلُهُمْ بِغَيْبِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا مَرَّ فَأَمَّا الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ  
 فَقَالُوا يَا إِمَامَةَ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامَ بِالنَّصِّ مِنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ وَقَالَتِ النَّصُّ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ وَإِنْ  
 كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ أَبِيهِ إِنَّمَا هُوَ بَقَاءُ الْإِمَامَةِ فِي عَقِبِهِ كَقِصَّةِ هَارُونَ مَعَ مُوسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِمَا قَالُوا ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْإِمَامَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ وَهُوَ أَوَّلُ  
 الْإِثْمَةِ الْمَسْتُورِينَ لِأَنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُمْ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُ شَوْكَةٌ فَيَسْتَتِرُ وَتَكُونُ دَعَاؤُهُ  
 ظَاهِرِينَ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ وَإِذَا كَانَتْ لَهُ شَوْكَةٌ ظَهَرَ وَأُظْهِرَ دَعْوَتُهُ قَالُوا وَبَعْدَ  
 مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ ابْنُهُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ وَبَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَبِيبُ وَهُوَ آخِرُ الْمَسْتُورِينَ  
 وَبَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْمُهْدِي الَّذِي أَظْهَرَ دَعْوَتَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ فِي كُتَامَةٍ وَتَتَابَعَ  
 النَّاسُ عَلَى دَعْوَتِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ مَعْتَقِلِهِ بِسِجِلْمَاسَةَ وَمَلِكِ الْقَبْرِوَانِ وَالْمَغْرِبِ وَمَلِكِ  
 بَنْوَةٍ مِنْ بَعْدِ مِصْرَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيُسَمَّى هَؤُلَاءِ نِسْبَةً إِلَى الْقَوْلِ يَا إِمَامَةَ  
 إِسْمَاعِيلَ وَيُسَمُّونَ أَيْضًا بِالْبَاطِنِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى قَوْلِهِمْ بِالْإِمَامِ الْبَاطِنِ أَيْ الْمَسْتُورِ وَيُسَمُّونَ  
 أَيْضًا الْحِلَّةَ لِمَا فِي ضَمَنِ مَقَالَتِهِمْ مِنَ الْإِلْحَادِ وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ قَدِيمَةٌ وَمَقَالَاتٌ جَدِيدَةٌ  
 دَعَا إِلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحِ فِي آخِرِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَمَلِكُ حُصُونًا بِالسَّامِ وَالْعِرَاقِ  
 وَلَمْ تَزَلْ دَعْوَتُهُ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوَزَّعَ الْهَلَاكُ بَيْنَ مَلُوكِ التُّرْكِ بِمِصْرَ وَمَلُوكِ التُّرْكِ بِالْعِرَاقِ  
 فَأَقْرَضَتْ وَمَقَالَاتُ هَذَا الصَّبَّاحِ فِي دَعْوَتِهِ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرِ سَنَانِي \*  
 وَأَمَّا الْإِثْنَا عَشَرِيَّةُ فَرُبَّمَا خُصُّوا بِاسْمِ الْإِمَامِيَّةِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ فَقَالُوا يَا إِمَامَةَ  
 مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ لَوْفَاةِ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامِ فِي جِهَادِ أَبِيهِمَا  
 جَعْفَرٍ فَتَصَّ عَلَى إِمَامَةِ مُوسَى هَذَا ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الرِّضَا الَّذِي عَهْدَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَمَاتَ  
 قَبْلَهُ فَلَمْ يَنْبِ لَهُ أَمْرٌ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ التَّقِيُّ ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الْهَادِي ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَسَنِ  
 الْعَسْكَرِيِّ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمُهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي قَدْ مَاتَ قَبْلَ وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ





عَلَى الْمَصَالِحِ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ عَبْدًا مُتَصَرِّقًا طَوْعَ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ وَكَذَا الْعَصِيَّةُ حَيْثُ  
 ذَمُّهَا الشَّارِعُ وَقَالَ لَنْ تَنْتَفِعَ مِنْكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ فَإِنَّمَا مُرَادُهُ حَيْثُ تَكُونُ  
 الْعَصِيَّةُ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَحْوَالِهِ كَمَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فَخْرٌ بِهَا أَوْ حَقٌّ  
 عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّ ذَلِكَ نَجَانٌ مِنْ أَفْعَالِ الْعُقَلَاءِ وَغَيْرِ نَافِعٍ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
 فَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْعَصِيَّةُ فِي الْحَقِّ وَإِقَامَةُ أَمْرِ اللَّهِ فَأَمْرٌ مَطْلُوبٌ وَلَوْ بَطَلَ لَبَطَلَتِ الشَّرَائِعُ  
 إِذْ لَا يَتِمُّ قَوَامُهَا إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ كَمَا فَلَنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكَذَا الْمَلِكُ لِمَا ذَمَّهُ الشَّارِعُ لَمْ يَذُمَّ  
 مِنْهُ الْقَلْبُ بِالْحَقِّ وَفَهَرُ الْكَافَّةِ عَلَى الدِّينِ وَرِعَاةِ الْمَصَالِحِ وَإِنَّمَا ذَمُّهُ لِمَا فِيهِ مِنْ  
 اتِّغَالِبِ الْبَاطِلِ وَتَضَرُّفِ الْأَدَمِيِّينَ طَوْعَ الْأَغْرَاضِ وَالْأَهْوَاءِ كَمَا فَلَنَاهُ فَلَوْ كُنَّ  
 الْمَلِكُ مُخْلِصًا فِي غَلْبِهِ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لِلَّهِ وَلِحَمْلِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ لَمْ يَكُنْ  
 ذَلِكَ مَذْمُومًا وَقَدْ قَالَ سَلَمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ  
 بَعْدِي لِمَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَعْزِلُ عَنِ الْبَاطِلِ فِي الْبُؤَةِ وَالْمَلِكِ \* وَلَمَّا لَقِيَ مُعَاوِيَةَ  
 عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ فِي أَهْلِ الْمَلِكِ وَزِيَّةٍ مِنْ  
 الْعُمَيْدِ وَالْعُدَّةِ اسْتَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ أَكْسَرُوبِيَّةً بِأَمْعُوْبِيَّةٍ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَنَا فِي تَفَرُّجَةِ الْعَدُوِّ وَبِنَا إِلَى مَبَايِعِهِمْ بِزِيَّةِ الْعَرَبِ وَالْجِهَادِ حَاجَةٌ فَسَكَتَ وَلَمْ يَخْطِئْهُ  
 لِمَا أَخْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الْحَقِّ وَالِدِّينِ فَلَوْ كَانَ الْقَصْدُ رَفْضُ الْمَلِكِ مِنْ  
 أَصْلِهِ لَمْ يَقْنَعْهُ الْجَوَابُ فِي تِلْكَ الْكُسْرُوبِيَّةِ وَاتِّعَالِهَا بَلْ كَانَ يُعْرِضُ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْهَا  
 بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ بِالْكُسْرُوبِيَّةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَارِسَ فِي مُلْكِهِمْ مِنْ  
 ارْتِكَابِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَسُلُوكِ سَبِيلِهِ وَالْعُقْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَأَجَابَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَنَّ الْقَصْدَ  
 بِذَلِكَ لَيْسَ كُسْرُوبِيَّةً فَارِسَ وَبَاطِلُهُمْ وَإِنَّمَا قَصْدُهُ بِهَا وَجْهٌ اللَّهُ فَسَكَتَ \* وَهَكَذَا  
 كَانَ شَأْنُ الصَّحَابَةِ فِي رَفْضِ الْمَلِكِ وَأَخَوَالِهِ وَنِسَائِهِ عَوَائِدِهِ حَذَرًا مِنَ التَّبَايُحِ بِالْبَاطِلِ  
 وَلَمَّا اسْتَفْضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الصَّلَاةِ إِذْ هِيَ أَمُّ  
 أُمُورِ الدِّينِ وَأَرْتَضَاهُ النَّاسُ لِلْخِلَافَةِ وَهِيَ تَحْمِلُ الْكَافَّةَ عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَجْرِ  
 لِلْمَلِكِ ذِكْرٌ لِمَا أَنَّهُ مَظَنَّةُ الْبَاطِلِ وَنَجَلَةُ يَوْمِئِذٍ لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ فَقَامَ  
 بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ مَا شَاءَ اللَّهُ مُتَعَمِّدًا سَنَنُ صَاحِبِهِ وَقَاتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ حَتَّى اجْتَمَعَ الْعَرَبُ  
 عَلَى الْأَيْسَلَامِ ثُمَّ عُوِدَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْنَعَى أَثَرَهُ وَقَاتَلَ الْأَمَمَ فَعَلَبَهُمْ وَأَذِنَ لِلْعَرَبِ بِانْتِزَاعِ

مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْمَلِكِ فَقَبِلُوهُمْ عَلَيْهِ وَأَنْزَعُوهُ مِنْهُمْ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى عُمَانَ بْنِ  
 عَفَّانَ ثُمَّ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْكُلُّ مُتَبَرِّئُونَ مِنَ الْمَلِكِ مُنْكَبُونَ عَنْ طَرَفِهِ  
 وَكَكَذَلِكَ لَدَيْهِمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ غَضَاةٍ إِلَّا سَلَامٌ وَبِدَاوَةَ الْعَرَبِ فَقَدْ كَانُوا أَبَعَدَ  
 الْأَمَمِ عَنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَتَرَفَهَا لَا مِنْ حَيْثُ دِينُهُمُ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي الْعَمَلِ  
 وَلَا مِنْ حَيْثُ بَدَاوَتُهُمْ وَمَوَاطِنُهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةِ الْعَيْشِ وَشَطَفِهِ الَّذِي أَلْفُوهُ  
 فَلَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ أَسْعَبَ عَيْشًا مِنْ مُصَرِّ لَمَّا كَانُوا بِالْحِجَازِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ ذَاتِ  
 زَرْعٍ وَلَا ضَرْعٍ وَكَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنَ الْأَزْيَافِ وَجُوبِهَا لِبُعْدِهَا وَأَخْطَاصِهَا بِمَنْ وَلِيَهَا  
 مِنْ رَيْبَةٍ وَالْيَمَنِ فَلَمْ يَكُونُوا يَطَّوُلُونَ إِلَى خِصْبِهَا وَلَقَدْ كَانُوا كَثِيرًا مَا يَأْكُلُونَ  
 الْعُقَارِبَ وَالْخَنَافِسَ وَيَقْرُونَ بِأَكْلِ الْعَلَنِيِّ وَهُوَ وَبَرَ الْأَيْلِ بِمَنْوَنِهِ بِالْحِجَازَةِ فِي الدَّمِ  
 وَيَطْبُخُونَهُ وَقَرِيبًا مِنْ هَذَا كَانَتْ حَالُ فَرْنَسٍ فِي مَطَاعِمِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ  
 عَصِيَّةُ الْعَرَبِ عَلَى الدِّينِ بِمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَحَفُوا  
 إِلَى أَمَمِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَطَلَبُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِوَعْدِ الصِّدْقِ فَأَبْزَوْا  
 مُلْكَهُمْ وَأَسْتَبَاحُوا دِيْنَاهُمْ فَزَخَرَتْ بِحَاذِ الرَّفَةِ لَدَيْهِمْ حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ الْوَاحِدُ يَقْسِمُ  
 لَهُ فِي بَعْضِ الْفَرَواتِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ أَوْ نَحْوَهَا فَاسْتَوَلَوْا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ  
 الْحَضَرُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَلَى خُشُونَةِ عَيْشِهِمْ فَكَانَ عُمَرُ يُرْقِعُ ثَوْبَهُ بِالْجِلْدِ وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ  
 يَا صَفْرَاهُ وَيَا بَيْضَاهُ غَيْرِي غَيْرِي وَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَحَافَى عَنْ أَكْلِ الدَّجَاجِ لِأَنَّهُ لَمْ  
 يَعْهَدْهَا لِلْعَرَبِ لِقِلَّتِهَا يَوْمَئِذٍ وَكَانَتْ الْمَنَاقِلُ مَفْقُودَةً عِنْدَهُمْ بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا يَأْكُلُونَ  
 الْخِنْطَةَ بِنِخَالِهَا وَمَكَاسِيهِمْ مَعَ هَذَا أُمَّةٌ مَا كَانَتْ لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْعَالَمِ قَالَ السَّعُودِيُّ  
 فِي أَيَّامِ عُمَانَ أَقْتَنَى الصَّخَابَةُ الصِّيَاعَ وَالْمَالُ فَكَانَ لَهُ يَوْمَ قَتْلٍ عِنْدَ خَازِنِهِ خَمْسُونَ  
 وَمِائَةً أَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَقِيَمَةُ ضِيَاعِهِ بِوَادِي الْقَرْيِ وَحَنَيْنَ وَغَيْرِهِمَا  
 مَا تَنَاءَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلْفَ إِبِلًا وَخَيْلًا كَثِيرَةً وَبَلَغَ الثَّمَنُ الْوَاحِدُ مِنْ مَتْرُوكِ الْأُرْبِيِّ بَعْدَ  
 وَقَاتِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلْفَ أَلْفِ فَرَسٍ وَأَلْفَ أُمَّةٍ وَكَانَتْ غَلَّةُ طَلْحَةٍ مِنَ الْعِرَاقِ  
 أَلْفَ دِينَارٍ كُلُّ يَوْمٍ وَمِنْ نَاحِيَةِ السَّرَّاءِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ عَلَى مَرْبِطِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 بْنِ عَوْفٍ أَلْفُ فَرَسٍ وَلَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ وَعَشْرَةُ أَلْفٍ مِنَ الْفَنَمِ وَبَلَغَ الرُّبْعُ مِنْ مَتْرُوكِهِ  
 بَعْدَ وَقَاتِهِ أَرْبَعَةٌ وَتَمَانِينَ أَلْفًا وَخَلْفَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا كَانَ يُكْسَرُ

بِالْفُؤُسِ غَيْرَ مَا خَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَبَنَى الزُّبَيْرُ دَارَهُ  
بِالْبَصْرَةِ وَكَذَلِكَ بَنَى بَعْصَرُ وَالْكُوفَةُ وَالْأَسْكَندَرِيَّةُ وَكَذَلِكَ بَنَى طَلْحَةُ دَارَهُ  
بِالْكُوفَةِ وَشَبَدَ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَبَنَاهَا بِالْحَصْنِ وَالْأَجْرُ وَالسَّاجُ وَبَنَى سَعْدُ بْنُ أَبِي  
وَقَّاصٍ دَارَهُ بِالْعُقَيْبِ وَرَفَعَ مِنْهَا وَأَوْسَعَ فضاءَهَا وَجَعَلَ عَلَى أَعْلَاهَا شُرُفَاتٍ وَبَنَى  
الْمُقَدَّادُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَجَعَلَهَا بِحُصَّةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَخَلَفَ لِعَلِيِّ بْنِ مُنْبِيهِ خَمْسِينَ  
أَلْفَ دِينَارٍ وَعَقَارًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا قِيمَتُهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ أَهْلُ كَلَامٍ الْمَسْغُودِي  
فَكَانَتْ مَكَايِبُ الْقَوْمِ كَمَا تَرَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَنِيْعًا عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ إِذْ هِيَ أَمْوَالٌ  
حَلَالٌ لِأَنَّهُمْ غَنَائِمٌ وَقِيُومٌ وَلَمْ يَكُنْ تَصَرُّفُهُمْ فِيهَا بِإِسْرَافٍ إِنَّمَا كَانُوا عَلَى قَصْدٍ فِي  
أَحْوَالِهِمْ كَمَا قُلْنَا فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ الْأَسْتِكْشَارُ مِنَ الدُّنْيَا مَتَمُّوْمًا  
فَأِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى مَا أَشْرَأْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالْخُرُوجِ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ وَإِذَا كَانَتْ  
حَالُهُمْ قَصْدًا وَتَفَقَّاهُمْ فِي سُبُلِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ كَانَتْ ذَلِكَ الْأَسْتِكْشَارُ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى  
طُرُقِ الْحَقِّ وَكَتْسَابِ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَمَّا تَدَرَّجَتْ الْيَدَاوَةُ وَالْفَضَاضَةُ إِلَى نِهَائِهَا  
وَجَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ أَلَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ كَمَا قُلْنَا وَحَصَلَ التَّغْلِبُ وَالْقَهْرُ كَانَ  
حُكْمُ ذَلِكَ الْمَلِكِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ ذَلِكَ الرَّقِيقِ وَالْأَسْتِكْشَارُ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَمْ يَصْرِفُوا  
ذَلِكَ التَّغْلِبُ فِي بَاطِلٍ وَلَا خَرَجُوا بِهِ عَنْ مَقَاصِدِ الدِّيَانَةِ وَمَذَاهِبِ الْحَقِّ \* وَلَمَّا وَقَعَتْ  
الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَهِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ كَانَ طَرِيقُهُمْ فِيهَا الْحَقُّ وَالْإِحْتِمَادُ وَلَمْ  
يَكُونُوا فِي مَحَازِئِهِمْ لِفَرَسٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ لِإِثَارٍ بَاطِلٍ أَوْ لِاسْتِشْعَارٍ حَقْدٍ كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ  
مَتَوَهَّمٌ وَيَنْزِعُ إِلَيْهِ مُلْحِدٌ وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ أَجْتِهَادُهُمْ فِي الْحَقِّ وَسَنَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ نَظَرَ  
صَاحِبِهِ بِأَجْتِهَادِهِ فِي الْحَقِّ فَاقْتَلَوْا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْمُسِيبُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةُ قَائِمًا  
فِيهَا بِقَصْدِ الْبَاطِلِ إِنَّمَا قَصَدَ الْحَقَّ وَأَخْطَأَ وَالْكُلُّ كَانُوا فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى حَقٍّ ثُمَّ  
اِقْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الْإِفْتِرَادَ بِالْحَجْدِ وَاسْتِشْنَاءَ الْوَاحِدِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَةَ أَنْ  
يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ هُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ سَاقَتْهُ الْعَصِيَّةُ بِطَبِيعَتِهَا وَاسْتَشْعَرَتْهُ بِنِوَأَمِيَّةٍ وَمَنْ  
لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ مُعَاوِيَةَ فِي اقْتِفَاءِ الْحَقِّ مِنْ اتِّبَاعِهِمْ فَأَعَصَوْا عَلَيْهِ وَاسْتَمَاتُوا  
دُونَهُ وَلَوْ حَمَلَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَخَالَفَهُمْ فِي الْإِفْتِرَادِ بِالْأَمْرِ لَوُثِّعَ فِي  
اِفْتِرَاقِ الْعَكِيمَةِ أَلَّتِي كَانَ جَمْعُهَا وَتَأْلِفُهَا أَمْرٌ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ لَيْسَ وَزَاهٍ كَبِيرٌ مُحَالِفَةٌ

وَقَدْ كَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْفَاسِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنِ  
أَبِي بَكْرٍ لَوْ كَانَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَوَلَّيْتُهِ الْخِلَافَةَ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ لَفَعَلَ وَلَكِنَّهُ  
كَانَ يَحْشَى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَهْلَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ الْأَمْرَ  
عَنْهُمْ إِلَّا نَفَعَ الْفَرْقَةَ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا حَمَلَ عَلَيْهِ مَنَازِعُ الْمَلِكِ الَّتِي فِي مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ  
فَالْمَلِكُ إِذَا حَصَلَ وَفَرَضْنَا أَنَّ الْوَاحِدَ انْفَرَدَ بِهِ وَصَرَفَهُ فِي مَذَاهِبِ الْحَقِّ وَوُجُوهِهِ  
لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ نَكِيرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ انْفَرَدَ سُلَيْمَانُ وَأَبُوهُ دَاوُدُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا بِمَلِكِ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَا اقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ الْإِنْفِرَادِ بِهِ وَكَانُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ النُّبُوَّةِ  
وَالْحَقِّ وَكَذَلِكَ عَهْدُ مُعَاوِيَةَ إِلَى يَزِيدَ خَوْفًا مِنْ اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ بِمَا كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ  
لَمْ يَرْضُوا تَسْلِيمَ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ فَلَوْ قَدْ عَهِدَ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ ظَنَّهُمْ  
كَانَ بِهِ صَالِحًا وَلَا يَرْتَابُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلَا يُظَنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُهُ فَلَمْ يَكُنْ لِيُعْهَدَ إِلَيْهِ  
وَهُوَ يَعْتَقِدُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسْقِ حَاشَا لِلَّهِ لِمُعَاوِيَةَ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ كَانَ مَرْوَانُ  
ابْنَ الْحَكَمِ وَأَبْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا مُلُوكًا لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُمْ فِي الْمَلِكِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْإِطْلَاقِ  
وَالْبَغْيِ إِنَّمَا كَانُوا مُتَحَرِّينَ لِمَقَاصِدِ الْحَقِّ جُهِدَهُمْ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ تَعْمَلُهُمْ عَلَى بَعْضِهَا  
مِثْلَ خَشْيَةِ اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّذِي هُوَ أَمُّ لَدَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَقْصِدٍ يَشْهَدُ لِدَلَالِكَ مَا كَانُوا  
عَلَيْهِ مِنَ الْإِتْبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَمَا عَلِمَ السَّلَفُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ فَقَدْ اخْتَجَّ مَالِكُ  
فِي الْمُوطَّأِ بِعَمَلِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَمَّا مَرْوَانُ فَكَانَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ التَّابِعِينَ وَوَعَدَ النَّهْمُ  
مَعْرُوفَةً ثُمَّ تَدَرَّجَ الْأَمْرُ فِي وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانُوا مِنَ الدِّينِ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ  
وَتَوَسَّطَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَزَعَّ إِلَى طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَزَلَّةِ وَالصَّحَابَةِ جُهْدُهُ وَلَمْ  
يُهْمِلْ ثُمَّ جَاءَ خَلْفُهُمْ وَاسْتَعْمَلُوا طَبِيعَةَ الْمَلِكِ فِي أَغْرَافِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَقَاصِدِهِمْ وَتَوَسَّأُوا  
مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ مِنْ تَحَرِّيِ الْقَصْدِ فِيهَا وَاعْتِمَادِ الْحَقِّ فِي مَذَاهِبِهَا فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا  
دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ نَعَاوَا عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ وَأَدَالُوا بِالْدَّعْوَةِ الْعَبَاسِيَّةِ مِنْهُمْ وَوَلَّى رِجَالَهَا الْأَمْرَ  
فَكَانُوا مِنَ الْعَدَالَةِ بِمَكَانٍ وَصَرَفُوا الْمَلِكَ فِي وَجْهِهِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى  
جَاءَ بَنُو الرَّشِيدِ مِنْ بَعْدِهِ فَكَانَتْ مِنْهُمْ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ ثُمَّ أَقْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَنِيهِمْ  
فَاعْطَوْا الْمَلِكَ وَالتَّرَفَ حَقَّهُ وَانْتَمَسُوا فِي الدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا وَتَبَدُّوا الدِّينَ وَرَأَوْهُمْ ظَهْرِيًّا  
فَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِمُجْرِمِهِمْ وَاتَّزَاعَ الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ جُمْلَةً وَأَمَكْنَ سِوَاهُمْ وَاللَّهُ لَا

يُظَلِّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَمَنْ تَأَمَّلَ سَيْرَ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَاخْتِلَافَهُمْ فِي تَحَرِّيِ الْحَقِّ  
 مِنَ الْبَاطِلِ عَلِمَ صِحَّةَ مَا قُلْنَا وَقد حَكَاهُ الْمَسْمُودِيُّ مِثْلَهُ فِي أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةٍ عَنْ  
 أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ وَقد حَضَرَ عُمُومَتُهُ وَذَكَرُوا بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ أَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ فَكَانَ  
 جَبَّارًا لَا يَبَالِي بِمَا صَنَعَ وَأَمَّا سُلَيْمَانُ فَكَانَ هَمُّهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَأَمَّا عُمَرُ فَكَانَ أَعْوَدَ  
 بَيْنَ عُمَيَّانَ وَكَانَ رَجُلُ الْقَوْمِ هِشَامُ قَالَ وَلَمْ يَزَلْ بَنُو أُمَيَّةٍ ضَاطِحِينَ لِمَا مَهَّدَ لَهُمْ مِنْ  
 السُّلْطَانِ يُحَوِّطُونَهُ وَيَصُونُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ مَعَ تَسْتَمِيمٍ مَعَ أَلْيِ الْأُمُورِ وَرَفْضِهِمْ  
 دِيْنِيَّاهُ حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتَرَفِّينَ فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ قَصْدَ الشَّهَوَاتِ وَرُكُوبَ  
 اللَّذَاتِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِهِ وَأَمَّا لَمَكْرُوهٍ مَعَ أَطْرَاجِهِمْ صِبَاةَ الْخِلَافَةِ  
 وَاسْتِغْنَائِهِمْ بِحَقِّ الرِّئَاسَةِ وَضَعْفِهِمْ عَنِ السِّيَاسَةِ فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعَزَّ وَالْبَسْمُومُ الدَّلُّ وَتَقَى  
 عَنْهُمْ التَّعَمُّ ثُمَّ اسْتَحْضَرَ عَبْدُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> بَنَ مَرْوَانَ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ مَعَ مَلِكِ النَّوْبَةِ لَمَّا  
 دَخَلَ أَرْضَهُمْ فَأَرَاهُمُ السَّفَاحَ قَالَ أَقَمْتُ مَلِكِيًا أَنَا فِي مَلِكِهِمْ فَقَعَدَ عَلَى الْأَرْضِ  
 وَقد بَسِطَ لِي فُرُوسَ ذَاتُ قِيَمَةٍ فَقُلْتُ مَا مَنَعَكَ عَنِ الْقُعُودِ عَلَى ثِيَابِنَا فَقَالَ إِنِّي مَلِكٌ  
 وَحَقٌّ لِكُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ إِذْ رَفَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ لِي لِمَ تَشْرِبُونَ الْخَمْرَ  
 وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ فَقُلْتُ اجْتَرَأْتُ عَلَى ذَلِكَ عِيْدُنَا وَأَتْبَاعُنَا قَالَ فَلِمَ تَطْشُونَ  
 الزَّرْعَ بِدَوَابِّكُمْ وَالْفَسَادَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ قُلْتُ فَعَلْ ذَلِكَ عِيْدُنَا وَأَتْبَاعُنَا يَجْهَلُهُمْ قَالَ  
 فَلِمَ تَلْبَسُونَ الدِّيْبَاجَ وَالذَّهَبَ وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ قُلْتُ ذَهَبَ مِنَّا  
 الْمَلِكُ وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ الْعَجَمِ دَخَلُوا فِي دِينِنَا فَلَبَسُوا ذَلِكَ عَلَى الْكُرْهِ مِنَّا فَأَطْرَقَ  
 يَنْكُتُ يَدِيهِ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ عِيْدُنَا وَأَتْبَاعُنَا وَأَعَاجِمُ دَخَلُوا فِي دِينِنَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ  
 إِلَيَّ وَقَالَ لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَخْلَطْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَتَيْتُمْ مَا عَنْتُهُ  
 مُهَيِّئِينَ وَظَلَمْتُمْ فِيهَا مَلِكَكُمْ فَلَمَّا كُنْتُمْ فَلَمَّا كُنْتُمْ اللَّهُ الْعَزَّ وَالْبَسْمُومُ الدَّلُّ يَذْنُوكُمْ وَلِلَّهِ تَقَرُّهُ لَمْ  
 يَبْلُغْ غَايَتُهَا فِيكُمْ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَحُلَّ بِكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ بِلَدِي فَيَنَالَنِي مَعَكُمْ وَإِنَّمَا  
 الْضِيَّافَةُ ثَلَاثُ قَنَزُودٍ مَا أَحْتَجُّ إِلَيْهِ وَأَرْجُلُ عَنْ أَرْضِي فَتَجَبَّ الْمَنْصُورُ وَأَطْرَقَ فَقَدْ  
 تَبَيَّنَ لَكَ كَيْفَ انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ فِي أَوَّلِهِ خِلَافَةً وَوَارَعَ  
 كُلَّ أَحَدٍ فِيهَا مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ الدِّينُ وَكَانُوا يُؤْثِرُونَهُ عَلَى أُمُورِ دِيْنَانِهِمْ وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى

(١) قوله عبدالله كذا في النسخة التوسيمية وبعض الارسية وفي بعضها عبد الملك واظنه تصحيفا فالة نصر

هَلَاكِهِمْ وَخَدَعَهُمْ دُونَ الْكَافَّةِ فَبَدَا عُثْمَانُ لَمَّا حُصِرَ فِي الدَّارِ جَاءَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَابْنُ جَعْفَرٍ وَأَمْثَالُهُمْ يُرِيدُونَ الْمُدَافَعَةَ عَنْهُ فَأَبَى وَمَنَعَ مِنْ سَلِّ السُّيُوفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ خِيفَةَ الْفُرْقَةِ وَحِفْظًا لِلْإِثْلَافَةِ الَّتِي بِهَا حَفِظُ الْكَلِمَةِ وَلَوْ أَدَّى إِلَى هَلَاكِهِ وَهَذَا عَلِيُّ أَشَارَ عَلَيْهِ الْمَغِيرَةَ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ بِاسْتِيفَاءِ الزُّبَيْرِ وَمُعَاوِيَةَ وَطَلْحَةَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى يَمِينِهِ وَتُنْفَقَ الْكَلِمَةُ وَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ مِنْ أَمْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ فَأَبَى فَرَزًّا مِنَ الْغَيْشِ الَّذِي يُبَاقِيهِ إِلَّا سَلَامٌ وَغَدَا عَلَيْهِ الْمَغِيرَةُ مِنَ الْغَدَاةِ فَقَالَ لَقَدْ أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِالْأَمْسِ بِمَا أَشْرْتُ ثُمَّ عُدْتُ إِلَى نَظَرِي فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا رَأْيُهُ أَنْتَ فَقَالَ عَلِيُّ لَا وَاللَّهِ بَلْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَصْغِيحِي بِالْأَمْسِ وَعَشَشْتَنِي الْيَوْمَ وَلَكِنْ مَنَعَنِي مِمَّا أَشْرْتُ بِهِ زَائِدُ الْحَقِّ وَهَكَذَا كَانَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي إِصْلَاحِ دِينِهِمْ بِفَسَادِ دُنْيَاهُمْ وَتَحْنُ

تَرْقُوعِ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينَئَا بَقِيَ وَلَا مَا تُرْقَعُ

فَقَدْ رَأَيْتُ كَيْفَ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْمَلِكِ وَبَقِيَتْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ مِنْ تَحْرِي الدِّينِ وَمَدَاهِيهِ وَالْجَزْيِ عَلَى مَنَاجِ الْحَقِّ وَلَمْ يَظْهَرْ الْغَيْبُ إِلَّا فِي الْوَاظِعِ الَّذِي كَانَ دِينًا ثُمَّ انْقَلَبَ عَصِيَّةً وَسَيْفًا وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ وَابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالصِّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَعْضُ وَلَدِهِ ثُمَّ ذَهَبَتْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَسْمَاءُ وَصَارَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا وَجَرَتْ طَبِيعَةُ الْقَلْبِ إِلَى غَايَتِهَا وَأَسْعَمِلَتْ فِي أَغْرَاضِهَا مِنَ الْقَهْرِ وَالنَّقْلِ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لَوْلِي عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمَّا جَاءَ بَعْدَ الرَّشِيدِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَسْمُ الْخِلَافَةِ بَاقِيًا فِيهِمْ لِبَقَاءِ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ فِي الطُّوَرَيْنِ مُلْتَمِسٌ بَعْضُهُمَا بَعْضٍ ثُمَّ ذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَأَثَرُهَا يَذْهَابُ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَفَنَاءُ جِيلِهِمْ وَتَلَاشِي أَحْوَالِهِمْ وَبَقِيَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا كَمَا كَانَ الشَّانُ فِي مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمُشْرِقِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَبَرُّكًا وَالْمَلِكِ بِجَمْعِ أَلْقَابِهِ وَمَنَاجِيهِ لَهُمْ وَلَيْسَ الْخَلِيفَةُ مِنْهُ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ قَعَلَ مُلُوكُ زَنَاتِهِ بِالْمَغْرِبِ مِثْلَ صَنَاهُجَةٍ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ وَمَغْرَاوَةٍ وَبَنِي يَفْرُوتٍ أَيْضًا مَعَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ بِالْقَبْرَوَانِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ وَجَدَتْ بِدُونِ الْمَلِكِ أَوَّلًا ثُمَّ التَّبَسُّتَ مَعَانِيهِمَا وَاخْتَلَطَتْ ثُمَّ أَتَقَرَّدَ الْمَلِكُ حَيْثُ أَتَقَرَّقَتْ عَصِيَّتُهُ مِنْ عَصِيَّةِ الْخِلَافَةِ وَاللَّهُ

## الفصل التاسع والعشرون

في معنى البيعة<sup>(١)</sup>

إِعْلَمْ أَنَّ الْبَيْعَةَ فِي الْعَهْدِ عَلَى الطَّاعَةِ كَانَ الْمُبَايَعُ بِعَاهِدِ أَمِيرِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسَلِّمُ لَهُ  
النَّظَرَ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَنَازِعُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيَطِيعُهُ فِيمَا يَكُونُ  
بِهِ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى الْمُنْشِطِ وَالْمُكْرِهِ وَكَانُوا إِذَا بَايَعُوا الْأَمِيرَ وَعَقَدُوا عَهْدَهُ جَعَلُوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي يَدِهِ تَأْكِيدًا لِلْعَهْدِ فَأُشْبِهَ ذَلِكَ فِعْلُ الْبَائِعِ وَالْمُسْتَبْرِي فُسِّمِيَ بَيْعَةً مُصَدَّرَ  
بَاعَ وَصَارَتْ الْبَيْعَةُ مُصَاحَفَةً بِالْأَيْدِي هَذَا مَذْلُومُهَا فِي عُرْفِ اللَّغَةِ وَمَعْنَى الشَّرْعِ وَهُوَ  
الْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ فِي بَيْعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَعِنْدَ الشَّعْرَةِ وَحَيْثُمَا  
وَرَدَ هَذَا اللفظُ وَمِنَهُ بَيْعَةُ الْخُلَفَاءِ وَمِنَهُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ كَانَ الْخُلَفَاءُ يُسْتَحْلِفُونَ عَلَى الْعَهْدِ  
وَيَسْتَوْعِبُونَ الْأَيْمَانَ كُلَّهَا لِذَلِكَ قُسِّمِيَ هَذَا الْأَيْمَانُ بَابُ أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ وَكَانَ الْأَكْرَاهُ  
فِيهَا أَكْثَرَ وَأَغْلَبَ وَلِهَذَا لَمَّا أَفْتَى مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْقُوطُ يَمِينُ الْأَكْرَاهِ أَنْكِرَهَا  
الْوَلَاةُ عَلَيْهِ وَرَأَوْهَا قَادِحَةً فِي أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ وَوَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ مِحْنَةِ الْأَئِمَّامِ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا مَا الْبَيْعَةُ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَعَيَّ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ الْكَسْرُ وَبَعْدَ مِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ  
أَوْ الْيَدِ أَوْ الرَّجْلِ أَوْ الدَّلِيلِ أَطْلُقُ عَلَيْهَا اسْمُ الْبَيْعَةِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ عَلَى الطَّاعَةِ بِحَازِلٍ لَمَّا  
كَانَ هَذَا الْخُضُوعُ فِي التَّحِيَّةِ وَالتَّزَامِ الْأَدَابِ مِنْ لَوَازِمِ الطَّاعَةِ وَتَوَابِعِهَا وَغَلَبَ فِيهِ  
حَتَّى صَارَتْ حَقِيقَةً عَرُفِيَّةً وَأَسْتَفْنَى بِهَا عَنْ مُصَاحَفَةِ أَيْدِي النَّاسِ الَّتِي فِي الْحَقِيقَةِ فِي  
الْأَصْلِ لَمَّا فِي الْمُصَاحَفَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالْإِتِّبَالِ الْمُنَافِيَيْنِ لِلرَّئَاسَةِ وَصَوْنِ  
الْمَنْتَصِبِ الْمُلُوكِيِّ إِلَّا فِي الْأَقْلِ مِنْ يَقْصِدُ التَّوَاضُّعَ مِنَ الْمُلُوكِ فَيَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ مَعَ  
خَوَاصِهِ وَمَشَاهِيرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ رَعِيَّتِهِ فَأَقْبَهُمْ مَعْنَى الْبَيْعَةِ فِي الْعُرْفِ فَإِنَّهُ أَكِيدُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتَهُ لَمَّا يَلْزَمُهُ مِنْ حَقِّ سُلْطَانِهِ وَإِمَامِهِ وَلَا تَكُونُ أَفْعَالُهُ عِبَادًا وَبِجَانًا  
وَأَعْتَبِرَ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِكَ مَعَ الْمُلُوكِ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

(١) البيعة بفتح الموحدة اما بكسرها على وزن شبعة يسكون الياء فيها فهي معبد الهناري ١٠١٥

## الفصل الثلاثون

في ولاية العهد

إِعْلَمُ أَنَّا قَدَّمْنَا الْكَلَامَ فِي الْإِمَامَةِ وَمَشَرُوعِيَّتِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا  
 لِلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ لِرَبِّبِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ وَالْأَمِينُ عَلَيْهِمْ يَنْظُرُ لَهُمْ ذَلِكَ فِي  
 حَيَاتِهِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَيَقِيمَ لَهُمْ مَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ كَمَا كَانَ هُوَ  
 يَتَوَلَّاهَا وَيَتَّقُونَ يَنْظُرُهُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا وَثَقُوا بِهِ فِيمَا قَبْلُ وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْعِ  
 بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِهِ وَأَنْعِقَادِهِ إِذْ وَقَعَ بِعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعُمَرَا  
 بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَجَازَوْهُ وَأَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِ طَاعَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ  
 وَكَذَلِكَ عَهْدَ عُمَرَ فِي الثَّوَرِي إِلَى السَّنَةِ بَقِيَّةِ الْعُسْرَةِ وَجَعَلَ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا لِلْمُسْلِمِينَ  
 فَقَوَّضَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَجْتَهَدَ وَنَظَرَ  
 الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدَهُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى عُثْمَانَ وَتَلَّى عَلَيْهِ فَأَثَرُ عُثْمَانَ بِالْبَيْعَةِ عَلَى ذَلِكَ لِمَوَاقِفِهِ  
 إِيَّاهُ عَلَى زُرُومِ الْإِفْتِدَاءِ بِالشَّيْخَيْنِ فِي كُلِّ مَا يَبْعَثُ دُونَ أَجْتِهَادِهِ فَأَنْعَقَدَ أَمْرُ عُثْمَانَ  
 لِلذَّكَاءِ وَأَوْجَبُوا طَاعَتَهُ وَالْمَلَائِمَ مِنَ الصَّحَابَةِ حَاضِرُونَ لِلْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةِ وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ  
 مِنْهُمْ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْعَهْدِ عَارِفُونَ بِمَشْرُوعِيَّتِهِ وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ  
 كَمَا عُرِفَ وَلَا يَتَّهَمُ الْإِمَامُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَإِنْ عَهْدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ لِأَنَّهُ مَأْمُونٌ  
 عَلَى النَّظَرِ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَأَوَّلَى أَنْ لَا يَحْتَمِلَ فِيهَا تَبِعَةً بَعْدَ مَمَاتِهِ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ  
 بِاتِّهَامِهِ فِي الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ أَوْ لِمَنْ خَصَّصَ التَّهْمَةَ بِالْوَلَدِ دُونَ الْوَالِدِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ  
 الظَّنِّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دَاعِيَةٌ تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ إِبْتَارِ مَصْلَحَةٍ أَوْ  
 تَوْفَعٍ مُسَدِّدَةٍ فَتَنْتَفِي الظَّنُّ فِي ذَلِكَ رَأْسًا كَمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ مُعَاوِيَةَ لِابْنِهِ يَزِيدَ وَإِنْ  
 كَانَ فِعْلُ مُعَاوِيَةَ مَعَ وَفَاقِ النَّاسِ لَهُ حُجَّةٌ فِي الْبَابِ وَالَّذِي دَعَا مُعَاوِيَةَ لِإِبْتَارِ ابْنِهِ يَزِيدَ  
 بِالْعَهْدِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ إِنَّمَا هُوَ مِرَاعَاةُ الْمَصْلَحَةِ فِي اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ أَهْوَانِهِمْ  
 بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِذْ بَنُو أُمَيَّةٍ يَوْمَئِذٍ لَا يَرْضُونَ سِوَاهُمْ  
 وَهُمْ عَصَابَةُ قُرَيْشٍ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ أَجْمَعٌ وَأَهْلُ الْقَلْبِ مِنْهُمْ فَأَثَرُهُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ يَمُنُّ  
 بِظَنِّ أَنَّهُ أَوَّلَى بِهَا وَعَدَلَ عَنِ الْفَاضِلِ إِلَى الْمَفْضُولِ حِرْصًا عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَاجْتِمَاعِ  
 الْأَهْوَاءِ الَّتِي شَأْنُهُ أَهَمُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَإِنْ كَانَ لَا يَظُنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُ هَذَا فَعَدَالَتُهُ



وَصَحْبُهُ مَانِعَةٌ مِنْ سِوَى ذَلِكَ وَحُضُورُ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ لِنَيْلِكَ وَسُكُوتُهُمْ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَى انْتِفَاءِ الرَّيْبِ فِيهِ فَلْيَسُوا بِمَنْ يَأْخُذُكُمْ فِي الْحَقِّ هَوَادَّةً وَلَيْسَ مُعَاوِيَةَ مِمَّنْ تَأْخُذُهُ الْعَزَّةُ فِي قَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُمْ كَلَّمُوا أَجَلَ مِنْ ذَلِكَ وَعَدَّ اللَّهُ مَانِعَةً مِنْهُ وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُمَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ تَحْمُولٌ عَلَى تَوَدُّعِهِ مِنَ الدُّخُولِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ مُبَاحًا كَانَ أَوْ تَحْظُورًا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِلَافَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمُهورُ إِلَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ وَتَوَدُّوا الْخِلَافَ مَعْرُوفٌ ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ مُعَاوِيَةَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْكُمُونَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ مِثْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالسَّفَّاحَ وَالْمُصَوِّرَ وَالْمُهَديَّ وَالزُّبَيْرَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَمْثَلَهُمْ مِنْ عَرَفَتْ عَدَائَتَهُمْ وَحَسَنَ رَأْيِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرُ لَهُمْ وَلَا يُعَابُ عَلَيْهِمْ إِذَا تَارَ أُنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَخُرُوجَهُمْ عَنْ سُنَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلَةِ فِي ذَلِكَ فَتَأَنَّهُمْ غَيْرُ شَأْنٍ أُولَئِكَ الْخُلَفَاءُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حِينٍ لَمْ تَحْدُثْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَكَانَ الْوِزَارُ دِينِيًّا فَعِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَازِعٌ مِنْ نَفْسِهِ فَهَدُوا إِلَى مَنْ يَرْتَضِيهِ الدِّينُ قَطْعًا وَاتَّزَوْهُ عَلَى غَيْرِهِ وَوَكَّلُوا كُلَّ مَنْ يَسْمُو إِلَى ذَلِكَ إِلَى وَازِعٍ وَأَمَّا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ لَدُنْ مُعَاوِيَةَ فَكَانَتِ الْعَصِيَّةُ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَى عَائِيهَا مِنَ الْمَلِكِ وَالْوِزَارِ الَّذِي قَدْ ضَعُفَ وَاجْتَبَحَ إِلَى الْوِزَارِ السُّلْطَانِي وَالْعَصْبَانِي فَلَوْ عَهْدَ إِلَى غَيْرٍ مِنْ تَرْتَضِيهِ الْعَصِيَّةُ لَرَدَّتْ ذَلِكَ الْعَهْدَ وَانْتَقَضَ أَمْرُهُ سَرِيعًا وَصَارَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْفِرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا بَالُ الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ كَانَا وَالْيَقِينَ عَلَى مِثَالِي وَأَنَا الْيَوْمَ وَالْغَدِ عَلَى مِثْلِكَ يُشِيرُ إِلَى وَازِعٍ الَّذِينَ أَفَلَا تَرَى إِلَى الْأُمَمِ لَمَّا عَهْدَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَسَمَاهُ الرِّضَا كَيْفَ أَنْفَكْتَ الْعَبَّاسِيَّةَ ذَلِكَ وَتَقَضُوا يَتَعَهُ وَبَابِعُوا لِعَمِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَديِّ وَظَهَرَ مِنَ الْهَوَجِ وَالْخِلَافِ وَانْقِطَاعِ السُّبُلِ وَتَعَدُّ الثُّوَارِ وَالْفُجَّارِ مَا كَادَ أَنْ يَصْلَحَ الْأَمْرُ حَتَّى بَادَرَ الْأُمَمُ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادَ وَرَدَّ أَمْرَهُمْ لِمَعَاهِدِهِ فَلَا بَدَّ مِنْ اعْتِبَارِ ذَلِكَ فِي الْعَهْدِ فَالْمُصَوِّرُ تَخْتَلِفُ بِالْخِلَافِ مَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ وَالْقَبَائِلِ وَالْعَصَبِيَّاتِ وَتَخْتَلِفُ بِالْخِلَافِ الْمَصَالِحُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا حُكْمٌ يَخْصُهُ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ بِالْعَهْدِ حِفْظَ التِّرَاثِ عَلَى الْأَبْنَاءِ فَلَيْسَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدِّينِيَّةِ إِذْ هُوَ أَمْرٌ

مِنْ اللَّهِ يَخْصُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَبْخِي أَنْ مُحْسِنَ فِيهِ النَّبِيُّ مَا أَمَكَّنْ خَوْفًا مِنْ  
 أَلْعَبَثِ بِالْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَلِكِ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ \* وَعَرَضَ هُنَا أُمُورٌ تَدْعُو  
 الْفَرُوزَةَ إِلَى بَيَانِ الْحَقِّ فِيهَا \* فَالْأَوَّلُ مِنْهَا مَا حَدَّثَ فِي يَزِيدَ مِنَ الْفَسْقِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ  
 فَإِنَّكَ أَنْ تَنْظُرَ بِمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ يَزِيدَ فَإِنَّهُ أَعْدَلَ مِنْ ذَلِكَ  
 وَأَفْضَلُ بَلْ كَانَ يَعْدِلُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي مَبَاحِ الْغِنَاءِ وَبَيْنَهُمَا عَنْهُ وَهُوَ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَكَانَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِيهِ مُخْتَلِفَةً وَلَكَمَا حَدَّثَ فِي يَزِيدَ مَا حَدَّثَ مِنَ الْفَسْقِ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ  
 حِينَئِذٍ فِي شَأْنِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِ وَتَقَضَّ يَعْتَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ  
 الْحُسَيْنُ وَعَبَدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ اتَّبَعَهُمَا فِي ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ لِمَا  
 فِيهِ مِنْ إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ وَكَثْرَةِ الْقَتْلِ مَعَ الْعِزِّ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ لِأَنَّ شَوْكَةَ يَزِيدَ يَوْمَئِذٍ هِيَ  
 عَصَابَةُ بَنِي أُمَيَّةَ وَجُوهُورِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُرَيْشٍ وَتَسْتَعِجُ عَصِيَّةُ مُصْرَ أَجْمَعِ وَهِيَ  
 أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَوْكَةٍ وَلَا تُطَاقُ مَقَاوِمَتُهُمْ فَأَقْصَرُوا عَنْ يَزِيدَ بِسَبِّ ذَلِكَ وَأَقَامُوا عَلَى  
 الدُّعَاءِ بِهَدَايَتِهِ وَالرَّاحَةِ مِنْهُ وَهَذَا كَانَ شَأْنُ جُوهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُلِّ مُجْتَمِعِينَ وَلَا  
 يُنْكَرُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْقَرِيبِينَ فَمَقَاصِدُهُمْ فِي الْبَرِّ وَتَعَزُّي الْحَقِّ مَعْرُوفَةٌ وَقَفْنَا اللَّهُ  
 لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ \* وَالْأَمْرُ الثَّانِي هُوَ شَأْنُ الْعَهْدِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تَدْعِيهِ  
 الشَّيْعَةُ مِنْ وَصِيَّتِهِ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَصِحَّ وَلَا نَقَلَهُ أَحَدٌ مِنَ أئِمَّةِ النَّقْلِ  
 وَالَّذِي وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ طَلَبِ الدَّوَاءِ وَالْفِرْطَاسِ لِيَكْتُبَ الْوَصِيَّةَ وَأَنَّ عُمَرَ مَنَعَ  
 مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ وَكَذَا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طُعِنَ وَسُئِلَ  
 فِي الْعَهْدِ فَقَالَ إِنْ أَعْيِدَ فَقَدْ عَهْدَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ  
 مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْيِدْ وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ لِلْعَبَّاسِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ دَعَاهُ لِلدُّخُولِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَأَلَانِهِ عَنْ  
 شَأْنِهِمَا فِي الْعَهْدِ فَأَبَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّهُ إِنْ مَنَعْنَا مِنْهَا فَلَا نَطْمَعُ فِيهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَوْصَ وَلَا عَهْدَ إِلَى أَحَدٍ وَشَبْهَةُ الْإِمَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ الْإِمَامَةِ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ كَمَا يَزْعُمُونَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ  
 الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ الْمُعَوَّضَةِ إِلَى نَظَرِ الْخَلْقِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ لَكَانَ شَأْنُهَا  
 شَأْنَ الصَّلَاةِ وَلَكِنْ يُسْتَخْلَفُ فِيهَا كَمَا اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ فِي الصَّلَاةِ وَلَكِنْ يَشْهَرُ

كَمَا اشْتَهَرَ أَمْرُ الصَّلَاةِ وَاجْتِنَاجُ الصَّحَابَةِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ بِقِيَامِهَا عَلَى الصَّلَاةِ  
 فِي قَوْلِهِمْ أَرَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِنَا أَفَلَا تَرْضَاهُ لِدِينَانَا دَلِيلٌ عَلَى  
 أَنَّ الرِّسَالَةَ لَمْ تَنْفَعْ وَيَدُلُّ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَالْعَهْدَ بَهَا لَمْ يَكُنْ مُهِمًّا  
 كَمَا هُوَ الْيَوْمَ وَشَأْنُ الْعَصِيَّةِ الْمُرَاعَاةُ فِي الْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقُ فِي تَجَارِي الْعَادَةِ  
 لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ بِذَلِكَ لِاعْتِبَارٍ لِأَنَّ أَمْرَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ كَانَ كُلُّهُ يَخُورِقُ الْعَادَةَ  
 مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ وَاسْتِعْمَالِ النَّاسِ دُونَهُ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا  
 يَشَاهِدُونَهَا فِي حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ لِنَصْرِهِمْ وَتَرَدُّدِ خَيْرِ السَّمَاءِ بَيْنَهُمْ وَتَجَدُّدِ خُطَابِ  
 اللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ تُكَلِّفُ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَخْتِجْ إِلَى مُرَاعَاةِ الْعَصِيَّةِ لِمَا تُشْمَلُ النَّاسُ مِنْ صِبْغَةِ  
 الْإِقْبَادِ وَالْإِدْعَانِ وَمَا يَسْتَفْرِغُ مِنْ تَتَابُعِ الْعُجُزَاتِ الْخَارِفَةِ وَالْأَحْوَالِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَاقِعَةِ  
 وَالْمَلَائِكَةِ الْمُتَرَدِّدَةِ الَّتِي وَجُوهُهَا مِنْهَا وَدُهِشُوا مِنْ تَتَابُعِهَا فَكَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَالْمُلْكِ  
 وَالْعَهْدِ وَالْعَصِيَّةِ وَسَائِرِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مُنْدَرِجًا فِي ذَلِكَ الْقَبِيلِ كَمَا وَقَعَ فَلَمَّا انْتَهَصَرَ  
 ذَلِكَ الْمَدَدُ يَنْهَابُ تِلْكَ الْعُجُزَاتِ ثُمَّ يَفْنَاءُ الْقُرُونُ الَّذِينَ شَاهَدُواهَا فَاسْتَحَالَ تِلْكَ  
 الصِّبْغَةُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَذَهَبَتِ الْخَوَارِقُ وَصَارَ الْعُكْمُ لِلْعَادَةِ كَمَا كَانَ فَاعْتَبِرْ أَمْرَ  
 الْعَصِيَّةِ وَتَجَارِي الْعَوَائِدِ فِيهَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَقَاسِدِ وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ وَالْخِلَافَةُ  
 وَالْعَهْدُ جِهًا مُهِمًّا مِنَ الْمُهِيْمَاتِ الْأَكْبَدَةِ كَمَا زَعَمُوا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ فَانْظُرْ  
 كَيْفَ كَانَتِ الْخِلَافَةُ لِعَهْدِ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مُهِمَّةٍ فَلَمْ يَعْبُدْ فِيهَا ثُمَّ تَدَرَّجَتْ  
 الْأَمْعِيَّةُ زَمَانَ الْخِلَافَةِ بَعْضُ الشَّيْءِ بِمَا دَعَتْ الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ فِي الْحِمَايَةِ وَالْجِهَادِ وَشَأْنِ  
 الرِّدَّةِ وَالْفَتْوَحَاتِ فَكَانُوا بِالْخِيَارِ فِي الْفِعْلِ وَالْتِزَاكِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 ثُمَّ صَارَتِ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الْأُمُورِ لِلْإِثْنَةِ عَلَى الْحِمَايَةِ وَالْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ فَاعْتَبِرْتَ فِيهَا  
 الْعَصِيَّةَ الَّتِي هِيَ مِيرَ الْوَارِعِ عَنِ الْقُرْفَةِ وَالتَّخَاذُلِ وَمَنْشَأُ الْاجْتِمَاعِ وَالتَّوَاقُّفِ الْكَفِيلُ  
 بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا \* وَالْأَمْرُ الثَّلَاثُ شَأْنُ الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ فِي الْإِسْلَامِ  
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالنَّبَايِينِ فَاعْلَمْ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ إِنَّمَا يَقَعُ فِي الْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ وَيَنْشَأُ عَنِ  
 الْاجْتِهَادِ فِي الْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ وَالْمُجْتَهِدُونَ إِذَا اخْتَلَفُوا فَإِنْ قُلْنَا  
 إِنَّ الْحَقَّ فِي الْمَسَائِلِ الْاجْتِهَادِيَّةِ وَاحِدٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ وَمَنْ لَمْ يُصَادِفْهُ فَهُوَ مُخْطِئٌ  
 فَإِنْ جِهَتَهُ لَا تَتَعَيَّنُ بِاجْتِمَاعِ بَيْتِي الْكُلِّ عَلَى اخْتِمَالِ الْإِصَابَةِ وَلَا يَتَعَيَّنُ الْخُطْئُ

مِنْهَا وَالنَّائِبُ مَدْفُوعٌ عَنِ الْكُلِّ إِنْجَاءً وَإِنْ قُلْنَا إِنْ الْكُلُّ حَقٌّ وَإِنْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ  
 مُصِيبٌ فَأَحْرَى بِنَفْسِي الْخَطَأُ وَالنَّائِبُ وَغَايَةُ الْخِلَافِ الَّذِي بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالنَّائِبِينَ أَنَّهُ  
 خِلَافٌ أَجْتَهَدِي فِي مَسَائِلِ دِينِيَّةٍ ظَنِيَّةٍ وَهَذَا حُكْمُهُ وَالَّذِي وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ  
 إِنَّمَا هُوَ وَاقِعَةٌ عَلَيَّ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَمَعَ الزُّبَيْرِ وَعَاشَةَ وَطَلْحَةَ وَوَاقِعَةُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ  
 وَوَاقِعَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّا وَاقِعَةُ عَلَيَّ فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ  
 مُفْتَرِقِينَ فِي الْأَمْصَارِ فَلَمْ يَشْهَدُوا بِيَعَةَ عَلَيَّ وَالَّذِينَ شَهِدُوا فَمِنْهُمْ مَنْ بَايَعَ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 تَوَقَّفَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ وَيَتَفَقَّهُوا عَلَى إِمَامِ كَسَعِدٍ وَسَعِيدٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ  
 وَالْمُعْبِرَةَ بْنِ شُعْبَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَقَدَامَةَ بْنِ مَطْعُونٍ وَابْنَ سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَكَعْبَ  
 بْنِ مَالِكٍ وَالنُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ وَحَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَمُسْلِمَةَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَفَضَالَهَ بْنَ عُبَيْدٍ وَأَمْثَالَهُمْ  
 مِنْ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَمْصَارِ عَدَلُوا عَنْ بَيْعَتِهِ أَيْضًا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ  
 عُثْمَانَ وَتَرَكُوا الْأَمْرَ فَوْضَى حَتَّى يَكُونَ شُرُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ يُوَلُّونَهُ وَظَنُّوا بِعَلَيٍّ  
 هَوَادَةً فِي الشُّكُوتِ عَنْ نَصْرِ عُثْمَانَ مِنْ قَاتِلِهِ لَا فِي الْمَأْلَاةِ عَلَيْهِ فَخَاشَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَلَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ إِذَا صَرَخَ بِعَلَامَتِهِ إِنَّمَا يُوَجِّهُهَا عَلَيْهِ فِي سُكُوتِهِ فَقَطُّ ثُمَّ اخْتَلَفُوا  
 بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَى عَلَيٌّ أَنَّ بَيْعَتَهُ قَدْ انْعَقَدَتْ وَلَزِمَتْ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا بِاجْتِمَاعٍ مَنْ اجْتَمَعَ  
 عَلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ دَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْطِنِ الصَّحَابَةِ وَأَرْجَاءِ الْأَمْرِ فِي  
 الْمُطَلَبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَى اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ فَيَسْكُنُ حِينُئذٍ مِنْ ذَلِكَ  
 وَرَأَى الْآخَرُونَ أَنَّ بَيْعَتَهُ لَمْ تَنْعَقِدْ لِافْتِرَاقِ الصَّحَابَةِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ بِالْإِفْتَاقِ وَلَمْ  
 يَحْضُرْ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا تَكُونُ الْبَيْعَةُ إِلَّا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَلَا تَلْزِمُ بِعَقْدِ  
 مَنْ تَوَلَّاهَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ مِنْ الْقَلِيلِ مِنْهُمْ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ حِينُئذٍ فَوْضَى فَيْطَلُبُونَ  
 أَوْ لَا بِدَمِ عُثْمَانَ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ عَلَى إِمَامٍ وَذَهَبَ إِلَى هَذَا مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ  
 وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَاشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَطَلْحَةُ وَابْنُ مُحَمَّدٍ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ  
 وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ  
 تَخَلَّفُوا عَنْ بَيْعَةِ عَلَيٍّ بِالْمَدِينَةِ كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْعَصْرِ الثَّانِي مِنْ بَعْدِهِمْ  
 اتَّفَقُوا عَلَى انْعِقَادِ بَيْعَةِ عَلَيٍّ وَلُزُومِهَا لِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ وَتَصَوُّبِ رَأْيِهِ فِيمَا ذَهَبَ  
 إِلَيْهِ وَتَعْيِينِ الْخَطَأِ مِنْ جِهَةِ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ وَخُصُوصًا طَلْحَةَ

وَأُرْزِزَ لِانْتِفَاضِهِمَا عَلَى عِلَيٍّ بَعْدَ الْبَيْعَةِ لَهُ فِيمَا يُقَالُ مَعَ دَفْعِ الْتَائِيهِ عَنْ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
كَالشَّانِ فِي الْجُنْتَيْنِ وَصَارَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الثَّانِي عَلَى أَحَدِ قَوْلِي أَهْلِ  
الْعَصْرِ الْأَوَّلِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَلَقَدْ سُئِلَ عِلَيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَتْلِ الْجَمَلِ وَصِفَتِهِ  
فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَلْبُهُ نَفِيٌّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ يُشِيرُ إِلَى  
الْفَرِيقَيْنِ نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ فَلَا يَقَعَنَّ عِنْدَكَ رَيْبٌ فِي عَدَالَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا قَدَحٌ فِي  
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ مِنْ عِلْمَتِ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ إِنَّمَا هِيَ عَنِ الْمُسْتَنْدَاتِ وَعَدَالَتِهِمْ  
مَعْرُوضٌ مِنْهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا قَوْلًا لِلْمُعْتَرِثَةِ فِيمَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ  
أَهْلِ الْحَقِّ وَلَا عَرَّجَ عَلَيْهِ وَإِذَا نَظَرْتَ بَعَيْنِ الْإِنصَافِ عَذَرَتِ النَّاسَ أَجْمَعِينَ فِي شَأْنِ  
الْإِخْتِلَافِ فِي عُثْمَانَ وَإِخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ مِنْ بَعْدِ وَعِلْمَتِ أَنَّهَا كَانَتْ فِتْنَةً أَهْبَى اللَّهُ  
بِهَا الْأُمَّةَ يَتِمُّوا الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عُدُوَّهُمْ وَمَلَكَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَزَلُّوا  
الْأَمْصَارَ عَلَى حُدُودِهِمْ بِالْبَصَرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
نَزَلُوا هَذِهِ الْأَمْصَارَ جُنَاةً لَمْ يَسْتَكْبَرُوا مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا  
ارْتَاضُوا بِخَلْفِهِ مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْعَصِيَّةِ وَالْفَخْرِ وَالْبُغْدِ عَنْ  
سَكِينَةِ الْإِيمَانِ وَإِذَا بِهِمْ عِنْدَ اسْتِخْلَالِ الدَّوْلَةِ قَدْ أَصْبَحُوا فِي مِلْكَةِ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَثَانَةٍ وَتَقِيفٌ وَهَذِلٌ وَأَهْلُ الْحِجَازِ وَيَثْرِبُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ  
إِلَى الْإِيمَانِ فَاسْتَنْكَفُوا مِنْ ذَلِكَ وَعَصَوْا بِهِ لِمَا يَرَوْنَ لِنَفْسِهِمْ مِنَ التَّقَدُّمِ بِأَسَابِهِمْ  
وَكَثَرَتِهِمْ وَمُضَادَّةِ فَارِسَ وَالرُّومِ مِثْلَ قِبَائِلِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ رَيْعَةَ  
وَقِبَائِلِ كَثَدَةَ وَالْأَزْدِ مِنَ الْيَمَنِ وَتَيْمٍ وَقَيْسٍ مِنْ مُضَرَ فَصَارُوا إِلَى الْغَضِّ مِنْ قُرَيْشٍ  
وَالْإِنْفَةِ عَلَيْهِمْ وَالتَّعْرِيزِ فِي طَاعَتِهِمْ وَالتَّعَلُّلِ فِي ذَلِكَ بِالنِّظَمِ مِنْهُمْ وَالِاسْتِعْدَاءِ  
عَلَيْهِمْ وَالطُّغْنِ فِيهِمْ بِالْعِجْزِ عَنِ السُّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الْقِسْمِ عَنِ السُّوِيَّةِ وَنَشَتْ الْمَقَالَةُ  
بِذَلِكَ وَانْتَهَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُمْ مِنْ عِلْمَتِ فَأَعْظَمُوهُ وَأَلْفَعُوهُ عُثْمَانُ فَبَعَثَ إِلَى الْأَمْصَارِ  
مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْخَبَرَ بَعَثَ ابْنُ عُمَرَ وَحُمَيْدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَمْثَالُهُمْ فَلَمَّ  
يُنْكِرُوا عَلَى الْأَمْرَاءِ شَيْئًا وَلَا رَأَوْا عَلَيْهِمْ طَعْنًا وَأَدَّوْا ذَلِكَ كَمَا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَقْطَعْ  
الطُّغْنُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَمَا زَالَتِ الشَّنَاعَاتُ تَنْمُو وَرُمِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقِيبَةَ وَهُوَ عَلَى  
الْكُوفَةِ بِشَرْبِ الْخَمْرِ وَشَهَادَةِ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَحَدَّثَ عُثْمَانُ وَعَزَلَهُ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ

مِنْ أَهْلِ الْأَنْصَارِ يَسْأَلُونَ عَزَلَ الْعُمَالِ وَشَكَا إِلَى عَائِشَةَ وَعَلِيٍّ وَارْثَبِرَ وَطَلْحَةَ وَعَزَلَ  
 لَهُمْ عُثْمَانُ بَعْضَ الْعُمَالِ فَلَمْ تَنْقُطْ بِذَلِكَ أَسْنَتُهُمْ بَلْ وَنَدَّ سَمِيدُ بْنُ الْعَامِي وَهُوَ  
 عَلَى الْكُوفَةِ فَلَمَّا رَجَعَ اعْتَرَضُوهُ بِالطَّرِيقِ وَرَدُّوهُ مَعْزُولًا ثُمَّ أَتَقَلَّ الْخِلَافَ بَيْنَ  
 عُثْمَانَ وَمَنْ بَعَثَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ وَتَقَوُّوا عَلَيْهِ امْتِنَاعَهُ مِنَ الْعَزْلِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
 عَلَى جُرْحَةٍ ثُمَّ تَقَلُّوا النَّكِيرَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِ وَهُوَ مَتَسَكٍّ بِالْإِحْتِيَادِ وَهُمْ أَيْضًا  
 كَذَلِكَ ثُمَّ تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنَ الْغَوَاةِ وَجَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ يَظْهَرُونَ طَلَبَ النَّصْفَةِ مِنْ عُثْمَانَ  
 وَهُمْ يُضْعِفُونَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِ وَفِيهِمْ مِنَ الْبَصَرَةِ وَالْكُوفَةِ وَمِصْرَ وَقَامَ مَعَهُمْ فِي  
 ذَلِكَ عَلِيٌّ وَعَائِشَةُ وَارْثَبِرُ وَطَلْحَةُ وَغَيْرُهُمْ يَمُوتُونَ تَسْكِينًا لِلْأُمُورِ وَرُجُوعَ عُثْمَانَ إِلَى  
 رَأْيِهِمْ وَعَزَلَ لَهُمْ عَامِلٌ مِصْرَ فَأَنْصَرَفُوا قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ لَبَسُوا بِكِتَابِ مُدَلِّسٍ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّهُمْ لَقَوْهُ فِي يَدِ حَامِلِهِ إِلَى عَامِلٍ مِصْرَ بِأَنْ يَقْتُلَهُمْ وَحَلَفَ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا مَكِينًا  
 مِنْ مَرْوَانَ فَإِنَّهُ كَذَبُكَ خَلَفَ مَرْوَانَ فَقَالَ لَيْسَ فِي الْحُكْمِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا فَخَاصَرُوهُ  
 بِدَارِهِ ثُمَّ بَيَّتُوهُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ وَقَتَلُوهُ وَانْفَتَحَ بَابُ الْفِتْنَةِ فَلِكُلِّ مِنْ هَؤُلَاءِ  
 عَذْرٌ فِيمَا وَقَعَ وَكُلُّهُمْ كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِأَمْرِ الدِّينِ وَلَا يُضَيِّعُونَ شَيْئًا مِنْ تَعْلِقَاتِهِ ثُمَّ نَظَرُوا  
 بَعْدَ هَذَا الْوَاقِعِ وَاجْتَهَدُوا وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَعَالِمٌ بِهِمْ وَنَحْنُ لَا نَنْظُرُ بِهِمْ إِلَّا  
 خَيْرًا لِمَا شَهِدَتْ بِهِ أَحْوَالُهُمْ وَقَالَاتِ الصَّادِقِ فِيهِمْ وَأَمَّا الْحَسَنِ فَإِنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ فَسْقُ  
 يَزِيدَ عِنْدَ الْكَافَّةِ مِنَ أَهْلِ عَصْرِهِ بَعَثَتْ شَيْعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْكُوفَةِ لِلْحُسَيْنِ أَنْ  
 يَأْتِيَهُمْ فَيَقُومُوا بِأَمْرِهِ فَرَأَى الْحَسَنِ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ مَتَعِينَ مِنْ أَجْلِ فَسْقِهِ لَا  
 سِيَّمًا مِنْ لَهْ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ وَظَنَّا مِنْ نَفْسِهِ بِأَهْلِيَّتِهِ وَشَوْكِهِ فَأَمَّا الْأَهْلِيَّةُ فَكَانَتْ  
 كَمَا ظَنَّنَا وَزِيَادَةً وَأَمَّا الشُّوْكَهُ فَغَلِطَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ فِيهَا لِأَنَّ عَصِيَّةَ مِصْرَ كَانَتْ فِي فُرَيْشٍ  
 وَعَصِيَّةَ عَبْدِ مَنَافٍ إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ تَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُمْ فُرَيْشٌ وَسَائِرُ النَّاسِ وَلَا  
 يُنْكِرُونَهُ وَإِنَّمَا نَسِيَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْأِسْلَامِ لِمَا شَغَلَ النَّاسَ مِنَ الدُّهُولِ بِالْخَوَارِقِ  
 وَأَمْرُ الْوَسْخِيِّ وَتَرَدُّدُ الْمَلَائِكَةِ لِنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَغْفَلُوا أُمُورَ عَوَانِدِهِمْ وَذَهَبَتْ  
 عَصِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَازَعُهَا وَنُسِيَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَصِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْحِمَايَةِ وَالِدَفَاعِ  
 يُنْتَفَعُ بِهَا فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ وَالَّذِينَ فِيهَا مُحْكَمٌ وَالْعَادَةُ مَعْزُولَةٌ  
 حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْرُ النُّبُوَّةِ وَالْخَوَارِقِ الْمَهْوُولَةِ تَرَاجَعَ الْحُكْمُ بَعْضُ النَّاسِ لِلْعَوَانِدِ

فَعَادَتِ الْعَصِيَّةُ كَمَا كَانَتْ وَلَمِنْ كَانَتْ وَاصْبَحَتْ مُضَرَّ أَطْوَعَ لِنَبِيِّ أُمَّةٍ مِنْ سِرَاهِمٍ  
بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ غُلُطُ الْحُسَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ فِي أَمْرِ دُنْيَوِي لَا بُصْرُهُ  
الْفَلْطُ فِيهِ وَأَمَّا الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فَلَمْ يَغْلُطْ فِيهِ لِأَنَّهُ مَنُوطٌ بِظَنِّهِ وَكَانَ ظَنُّهُ الْقُدْرَةَ عَلَى  
ذَلِكَ وَلَقَدْ عَدَّلَهُ ابْنُ الْعَبَّاسِ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الْحَنَفِيَّةِ آخَرُهُ وَغَيْرُهُ  
فِي سَبِيلِهِ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَلِمُوا غُلُطَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ لِمَا أَرَادَهُ  
اللَّهُ وَأَمَّا غَيْرُ الْحُسَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحِجَازِ وَمَعَ يَزِيدَ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِنْ  
التَّابِعِينَ لَهُمْ فَرَأَوْا أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَجُوزُ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ  
الْخُرْجِ وَالزَّمَامِ فَأَقْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَابِعُوا الْحُسَيْنَ وَلَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ وَلَا أَنْعَمُوا  
لِأَنَّهُ مُجْتَمِدٌ وَهُوَ أَسْوَأُ الْمُجْتَمِدِينَ وَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْفَلْطُ أَنْ أَقُولَ بِتَأْيِيمٍ هُوَ لَا بِخِطَائِهِ  
الْحُسَيْنَ وَقَعُودِهِمْ عَنْ نَصَرِهِ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ وَكَانُوا مَعَ يَزِيدَ وَلَمْ يَرَوْا الْخُرُوجَ  
عَلَيْهِ وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَسْتَشْهَدُ بِهِمْ وَهُوَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى فَضْلِهِ وَحَقِّهِ يَقُولُ سَلُوا جَابِرَ بْنَ  
عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَ سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَآتِسَ بْنَ مَالِكٍ وَسَهْلَ بْنَ سَعِيدٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَأَمْثَلَهُمْ  
وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ قُعُودَهُمْ عَنْ نَصَرِهِ وَلَا تَعَرَّضَ لِنُكْلِ لَعَلِيهِ أَنَّهُ عَنْ أَجْتِهَادٍ وَإِنْ  
كَانَ هُوَ عَلَى أَجْتِهَادٍ وَيَكُونُ ذَلِكَ كَمَا يُعَدُّ الشَّافِعِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالْحَنَفِيُّ عَلَى شُرْبِ  
النَّبِيذِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَقِتَالَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ أَجْتِهَادٍ هَؤُلَاءِ وَإِنْ كَانَ خِلَافُهُ  
عَنِ أَجْتِهَادِهِمْ وَإِنَّمَا أَتَّفَقَ بِقِتَالِهِ يَزِيدَ وَأَصْحَابُهُ وَلَا يَقُولُونَ إِنَّ يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا  
وَلَمْ يُجِزْ هَؤُلَاءِ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ فَأَفْعَالُهُ عِنْدَهُمْ صَحِيحَةٌ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَنْفَعُ مِنْ أَعْمَالِ  
الْفَاسِقِ مَا كَانَ مَشْرُوعًا وَقِتَالُ الْبَغَاةِ عِنْدَهُمْ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ  
وَهُوَ مَقْهُودٌ فِي مَسْئَلَتِنَا فَلَا يَجُوزُ قِتَالُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ وَلَا لِيَزِيدَ بَلْ هِيَ مِنْ فَعْلَاتِهِ  
الْمُؤَكَّدَةِ لِنَفْسِهِ وَالْحُسَيْنِ فِيهَا شَهِيدٌ مُثَابٌّ وَهُوَ عَلَى حَقٍّ وَأَجْتِهَادٍ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ  
كَانُوا مَعَ يَزِيدَ عَلَى حَقٍّ أَيْضًا وَأَجْتِهَادٍ وَقَدْ غَلُطَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ  
فِي هَذَا فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْعَوَاصِمِ وَالْقَوَاصِمِ مَا مَعْنَاهُ . إِنَّ الْحُسَيْنَ قَتَلَ  
بِشَرْعٍ جَدِّهِ وَهُوَ غَلُطٌ حَمَلْتُهُ عَلَيْهِ الْفُتْلَةُ عَنْ أَشْرَاطِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَمَنْ أَعْدَلَ مِنْ  
الْحُسَيْنِ فِي زَمَانِهِ فِي إِمَامَتِهِ وَعَدَالَتِهِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْآرَاءِ وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ رَأَى  
فِي مَنَامِهِ مَا رَأَاهُ الْحُسَيْنُ وَظَنَّ كَمَا ظَنَّ وَعَلَّطَهُ فِي أَمْرِ الشُّوْكَةِ أَعْظَمَ لِأَنَّ بَنِي أَسَدٍ

لَا يَقَامُونَ بِنِي أُتِيَّةٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ وَالْقَوْلُ يَتَعَيَّنُ الْخَطَأُ فِي جِهَةِ مُعَاوِيَةَ مَعَ عَلِيٍّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْأَجْمَاعَ هُنَاكَ قَضَى لَنَا بِهِ وَلَمْ يُجِدْهُ هَاهُنَا. وَأَمَّا مَا يَزِيدُ تَعَيَّنَ خَطَأُهُ فَسَقُهُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ صَاحِبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَالَةً وَنَاهِيكَ بَعْدَ ذَلِكَ اخْتِجَاعُ مَالِكٍ بِفَعْلِهِ وَعُدُولُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ إِلَى يَتَعَيَّنَ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَمْ تَتَعَيَّنْ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ هَاهُنَا أَهْلُ الْقَعْدِ وَالْحَلِّ كَيْسِيَّةَ مَرْوَانَ وَابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَالْكُلُّ مُجْتَمِعُونَ مَحْمُولُونَ عَلَى الْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ فِي جِهَةِ مِنْهُمَا وَالْقَتْلُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ بَعْدَ تَقْرِيرِ مَا فَرَزْنَاهُ يَجِبُ عَلَى قَوَاعِدِ الْفَقْهِ وَقَوَائِينِهِ مَعَ أَنَّهُ شَهِيدٌ مُثَابٌ بِاعْتِبَارِ قَضِيهِ وَتَحْرِيرِهِ الْحَقُّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نُحْمَلَ عَلَيْهِ أَفْعَالُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَهُمْ خِيَارُ الْأُمَّةِ وَإِذَا جَعَلْنَاهُمْ عُرْضَةً لِلْقَدْحِ فَمَنْ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالْعَدَالَةِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ فَرِيْقُ فَرِيْقِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ فَيَجْعَلُ الْخَيْرَةَ وَهِيَ الْعَدَالَةُ مُخْتَصَّةً بِالْفَرِيقِ الْأَوَّلِ وَالَّذِي يَلِيهِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُعَوِّدَ نَفْسَكَ أَوْ لِسَانَكَ التَّعَرُّضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا يُشَوِّشُ قَلْبَكَ بِالرَّيْبِ فِي شَيْءٍ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُمْ وَالتَّامِينَ لَهُمْ مَذَاهِبُ الْحَقِّ وَطُرُقُهُ مَا اسْتَطَعَتْ فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ وَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا عَنْ يَتَنَنَةٍ وَمَا قَاتَلُوا أَوْ قَتَلُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ جِهَادٍ أَوْ إِظْهَارِ حَقٍّ وَاعْتَقَدَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ لِيَقْتَدِيَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَنْ يَخْتَارُهُ مِنْهُمْ وَيَجْعَلُهُ إِمَامَةً وَهَادِيَةً وَدَلِيلَةً فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَتَبَيَّنَ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَكْوَانِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِلَيْهِ الْمُنْجَا وَالْمَصِيرُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والثلاثون

### في الخطط الدينية الخلافة

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْخِلَافَةِ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا فَصَاحِبُ الشَّرْعِ مُصَرَّفٌ فِي الْأَمْرَيْنِ أَمَّا فِي الدِّينِ فَيَمْتَقِضِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةَ الَّذِي هُوَ مَأْمُورٌ بِتَبْلِيغِهَا وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَيْهَا وَأَمَّا سِيَاسَةُ الدُّنْيَا فَيَمْتَقِضِي رِعَايَةَ لِمَصَالِحِهِمْ فِي الْعُمُرَانِ الْبَشَرِيِّ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْعُمُرَانُ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ وَأَنَّ رِعَايَةَ مَصَالِحِهِ كَذَلِكَ لِكَلَّا يَفْسُدَ إِنْ أَهْمَلَتْ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْمَلِكَ وَسَطَوْتُهُ كَافٍ فِي حُصُولِ هَذِهِ الْمَصَالِحِ نَعَمْ إِنَّمَا تَكُونُ أَكْمَلَ إِذَا كَانَتْ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ



الْمَصَالِحُ فَقَدْ صَارَ الْمَلِكُ يَنْدَرُجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ إِذَا كَانَ إِسْلَامِيًّا وَيَكُونُ مِنْ تَوَابِعِهَا  
 وَقَدْ يَنْفَرِدُ إِذَا كَانَتْ فِي غَيْرِ الْمِلَّةِ وَلَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرَاتِبُ خَادِمَةٍ وَوُظَائِفُ تَائِعَةٍ  
 تُتَعَبَّنُ خُطَطًا وَتَنْوَزُ عَلَى رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَظَائِفُ فِقْهُومٍ كُلِّ وَاحِدٍ يُوْظِفُهُ حَسَبَ مَا يَعْينُهُ  
 الْمَلِكُ الَّذِي تَكُونُ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَيْهِمْ فَيَمُنُّ بِذَلِكَ أَمْرُهُ وَيَحْسُنُ قِيَامَهُ بِسُلْطَانِهِ وَأَمَّا  
 الْمَنْصِبُ الْخِلَافِيُّ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَنْدَرُجُ تَحْتَهُ بِهَذَا الْأَعْتِبَارِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَتَنْصَرِفُهُ  
 الدِّيْنِي يَخْتَصُّ بِمُخِطَطٍ وَمَرَاتِبُ لَا تُعْرَفُ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ إِلَّا سَلَامِيْن فَلَنْذَكُرُ الْآنَ الْخِطَطَ  
 الدِّيْنِيَّةَ الْمُخْتَصَّةَ بِالْخِلَافَةِ وَنَرْجِعُ إِلَى الْخِطَطِ الْمُلْكِيَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْخِطَطَ  
 الدِّيْنِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْفَتَا وَالْقَضَاءِ وَالْجِهَادِ وَالْحِسْبَةِ كُلِّهَا سَنَدَرُجُهُ تَحْتَ  
 الْإِمَامَةِ الْكُبْرَى الَّتِي فِي الْخِلَافَةِ فَكَانَهَا الْإِمَامُ الْكَبِيرُ وَالْأَصْلُ الْجَمِيعُ وَهَلِيهُ  
 كُلُّهَا مُنْفَرَعَةٌ عَنْهَا وَدَاخِلَةٌ فِيهَا لِلْعُمُومِ نَظَرُ الْخِلَافَةِ وَتَصَرُّفُهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِ الْمِلَّةِ  
 الدِّيْنِيَّةِ وَالذَّنْبِيَّةِ وَتَنْفِيذُ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فِيهَا عَلَى الْعُمُومِ فَأَمَّا إِمَامَةُ الصَّلَاةِ فِيهِ أَرْفَعُ  
 هَذِهِ الْخِطَطَ كُلِّهَا وَأَرْفَعُ مِنَ الْمَلِكِ بِمُخْصُوصِهِ الْمُنْدَرِجِ مَعَهَا تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَقَدْ  
 يَشْهَدُ لِنَاكَ اسْتِدْلَالُ الصَّحَابَةِ فِي شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي  
 الصَّلَاةِ عَلَى اسْتِخْلَافِهِ فِي السِّيَاسَةِ فِي قَوْلِهِمْ ارْتَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِيُنْبِئَنَا أَفَلَا نَرْضَاهُ لِدُنْيَانَا فَلَئَلْنَا أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْفَعُ مِنَ السِّيَاسَةِ لِمَا صَحَّ الْقِيَاسُ وَإِذَا  
 ثَبَتَ ذَلِكَ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَسَاجِدَ فِي الْمَدِينَةِ صِنْفَانِ مَسَاجِدُ عَظِيمَةٍ كَثِيرَةٌ الْعَاشِيَّةُ  
 مُعَدَّةٌ لِلصَّلَوَاتِ الْمَشْهُودَةِ وَأُخْرَى دُونَهَا مُخْتَصَّةٌ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ وَلَيْسَتْ لِلصَّلَوَاتِ  
 الْعَامَةِ فَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْعَظِيمَةُ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَوْ مَنْ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ  
 مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ مِنْ وَزِيرٍ أَوْ قَاضٍ فَيَنْصِبُ لَهَا الْإِمَامَ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ  
 وَالْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَالْحُسُوفَيْنِ وَالْإِسْتِسْقَاءِ وَتَعَيَّنَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ طَرِيقِ  
 الْأَوَّلَى وَالْإِسْتِحْسَانِ وَلِثَلَاثَاتٍ الرَّعَايَا عَلَيْهِ فِي قِيَمَةٍ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ  
 وَقَدْ يَقُولُ بِالْوُجُوبِ فِي ذَلِكَ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ إِمَامَةِ الْجُمُعَةِ فَيَكُونُ نَصَبُ الْإِمَامِ  
 لَهَا عَنْدهُ وَاجِبًا وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْمُخْتَصَّةُ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ  
 وَلَا يَخْتَلِجُ إِلَى نَظَرِ خَلِيفَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ وَأَحْكَامُ هَذِهِ الْوَلَايَةِ وَشُرُوطُهَا وَالْمَوْكَلَفَاتُ فِيهَا  
 مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَمَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلْمَاوَرِدِيِّ وَغَيْرِهِ

فَلَا نَظُولُ بِذِكْرِهَا وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ لَا يَقْبَلُونَهَا لِقَبُولِهَا مِنَ النَّاسِ وَانْظُرْ  
 مِنْ طَعْنٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْأَذَانِ بِالصَّلَاةِ وَتَرْصُدْ لِنَظَرِكَ فِي أَوْقَاتِهَا  
 يَشْهَدُ لَكَ ذَلِكَ بِمُبَاشَرَتِهِمْ لَهَا وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَخْلِفِينَ فِيهَا وَكَذَا كَانَ رِجَالُ  
 الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتَشَارُوا بِهَا وَأَسْتَغْظَمُوا لِزِيَّتِهَا بِحُكْمِ عَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
 أَنَّهُ قَالَ لِحَاجِبِهِ قَدْ جَعَلْتَ لَكَ حِجَابَةً يَأْتِي إِلَّا عَنِ ثَلَاثَةِ صَاحِبِ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ يَنْسُدُ  
 بِالْأَخِيرِ وَالْأَذَانُ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَالْبَرِيدُ فَإِنْ فِي تَأْخِيرِهِ فَسَادُ الْقَاصِيَةِ  
 فَلَمَّا جَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَعَوَارِضُهُ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالتَّرَفُّعِ عَنْ مُسَاوَاةِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ  
 وَدُنْيَاهُمْ اسْتَنَابُوا فِي الصَّلَاةِ فَكَانُوا يَسْتَأْذِنُونَ بِهَا فِي الْأَحْيَانِ وَفِي الصَّلَوَاتِ الْعَامَةِ  
 كَالْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ إِشَارَةً وَتَذَكُّرًا فَعَلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ  
 صَدَرَ دَوْلَتِهِمْ وَأَمَّا الْفَتَا فَلِلْخَلِيفَةِ تَصْنُحُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالتَّدْرِيسُ وَرَدَّ الْفَتَا إِلَى مَنْ  
 هُوَ أَهْلُهَا وَإِعَانَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْعُ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهَا وَزَجْرُهُ لِأَنَّهُ مِنْ مَصَالِحِ  
 الْمُسْلِمِينَ فِي أَدْيَانِهِمْ فَجَبُّ عَلَيْهِ مُرَاعَاتُهَا لِئَلَّا يَتَعَرَّضَ لِلنَّكَرِ مِنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ  
 النَّاسَ وَالْمُدْرِسَ الْأَنْتِصَابَ لِلْعِلْمِ وَبَيْتِهِ وَالْجُلُوسَ لِذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ فَإِنْ كَانَتْ  
 مِنْ الْمَسَاجِدِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ الْوَلَايَةُ عَلَيْهَا وَالنَّظَرُ فِي أَمْرِهَا كَمَا مَرَّ فَلَا بُدَّ مِنْ  
 اسْتِثْنَائِهِ فِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مَسَاجِدِ الْعَامَةِ فَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى إِذْنِ عَلَى أَنَّهُ  
 يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمُفْتِينَ وَالْمُدْرِسِينَ رَاجِعٌ مِنْ نَفْسِهِ بِمَنْعِهِ عَنْ  
 التَّصَدِّي لِمَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَهْدِي وَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَشِيدُ وَفِي الْأَثَرِ  
 أَجْرُكُمْ عَلَى الْفَتَا أَجْرُكُمْ عَلَى جَرَائِمِ جَهَنَّمَ فَلِلسُّلْطَانِ فِيهِمْ لِلنَّظَرِ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ  
 مَا تَوْجِبُهُ الْمصلحةُ مِنْ إِجَازَةٍ أَوْ رَدٍّ وَأَمَّا الْقَضَاءُ فَهُوَ مِنَ الْوُظَائِفِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ  
 الْخِلَافَةِ لِأَنَّهُ مَتَّصِبُ الْفَضْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْخُصُومَاتِ حَسَبًا لِلتَّوَادَعِ وَقَطْعًا لِلتَّنَازُعِ إِلَّا  
 أَنَّهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَقَاتِلَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فَكَانَ لِلنَّكَرِ مِنْ وَظَائِفِ  
 الْخِلَافَةِ وَمُنْذَرِجًا فِي عُمُومِهَا وَكَانَ الْخُلَفَاءُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يُبَاشِرُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا  
 يَجْعَلُونَ الْقَضَاءَ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَأَوَّلُ مَنْ دَفَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَفَوَّضَهُ فِيهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ قَوْلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ وَوَلَّى شَرِيحًا بِالْبَصْرَةِ وَوَلَّى أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ  
 بِالْكُوفَةِ وَكُتِبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابُ الْمَشْهُورُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ

وَيَسْتَوْفَا فِيهِ يَقُولُ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسَنَةٌ مُتَبَعَةٌ فَأَقْبَلْهُمْ  
 إِذَا أَدْلَى إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكْلُمُ بِيحَقِّ لَا تَقْذَلْهُ وَأَسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَتَجْلِسُ  
 وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعُ شَرِيفٌ فِي حِفْظِكَ وَلَا يَأْسَ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ  
 ادَّعَى وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وَالصَّحْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَوْ حَرَامًا أَوْ  
 حَرَمَ حَلَالًا وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضَيْتَهُ أَمْسٍ فَرَأَجَفْتَ الْيَوْمَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ  
 لِرُسُودِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي  
 الْبَاطِلِ أَنْتَهُمْ فِيمَا يَتَلَجَّجُ فِي صَدْرِكَ بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ثُمَّ أَعْرِفِ الْأَمْثَالَ  
 وَالْأَشْيَاءَ وَفَسِّ الْأُمُورَ بِنَظَائِرِهَا وَأَجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَايَةً أَوْ بَيِّنَةً أَمْدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ  
 فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَطَلَّتْ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَتَقَى لِلشُّكِّ  
 وَأَجَلٌ لِلْعَمَى الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا بِجَلَدٍ فِي حَدٍّ أَوْ تَجَرَّى عَلَيْهِ  
 شَهَادَةٌ زُورٌ أَوْ ظَنِينًا فِي نَسَبٍ أَوْ وَلَاهَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَفَا عَنِ الْإِيمَانِ وَدَرَأَ  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَإِبْرَأَكَ وَالْقَلْقَ وَالضَّجَرَ وَالتَّأَثُّبَ بِالْخُصُومِ فَإِنْ اسْتَفْرَارَ الْحَقُّ فِي مَوَاطِنِ  
 الْحَقِّ بِعَظَمِ اللَّهِ بِهِ الْأَجْرُ وَيُحْسِنُ بِهِ الدَّكْرُ وَالسَّلَامُ إِنْتَهَى كِتَابُ عُمْرٍ وَإِنَّمَا  
 كَانُوا يَقْلُدُونَ الْقَضَاءَ لغيرِهِمْ وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ لِقَائِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَكَثَرَتْ  
 أَشْغَالُهُمْ مِنَ الْجِهَادِ وَالْفُتُوحَاتِ وَسَدَّ الثُّغُورِ وَحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِمَّا يَقُومُ بِهِ  
 غَيْرُهُمْ لِعَظَمِ الْعَنَانَةِ فَاسْتَحَقُّوا الْقَضَاءَ فِي الْوَقَائِعِ بَيْنَ النَّاسِ وَاسْتَخْلَفُوا فِيهِ مَنْ يَقُومُ  
 بِهِ تَخْفِيفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَقْلُدُونَهُ أَهْلَ عَصَابَتِهِمْ بِالنَّسَبِ أَوْ الْوَلَاءِ  
 وَلَا يَقْلُدُونَهُ لِمَنْ بَعْدَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَمَّا أَحْكَامُ هَذَا الْمَنْصِبِ وَشُرُوطُهُ فَمَعْرُوفَةٌ  
 فِي كُتُبِ الْفَقْهِ وَخُصُوصًا كُتُبُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَّا أَنَّ الْقَائِمِيَّ إِنَّمَا كَانَ لَهُ  
 فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ الْفَضْلُ بَيْنَ الْخُصُومِ فَقَطْ ثُمَّ دُفِعَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُورٌ أُخْرَى عَلَى  
 التَّنْذِيرِ بِحَسَبِ اشْتِغَالِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ بِالسِّيَاسَةِ الْكُبْرَى وَاسْتَقَرَّ مَنَصِبُ الْقَضَاءِ  
 آخِرَ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ يَجْمَعُ مَعَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْخُصُومِ اسْتِيفَاءَ بَعْضِ الْحَقُوقِ الْعَامَّةِ  
 لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّظَرِ فِي أَمْوَالِ الْحَاجِرِينَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَجَانِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَغْلُوبِينَ وَأَهْلِ  
 السَّفَرِ وَفِي وَصَايَا الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَافِهِمْ وَتَزْوِيجِ الْأَبَامَى عِنْدَ فَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى رَأْيٍ مِنْ  
 وَاهٍ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الطَّرْفَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ وَتَصْفِيهِ الشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ وَالْأَثْوَابِ وَاسْتِيفَاءِ

الْعِلْمِ وَالْخَبْرَةِ فِيهِمْ بِالْعَدَالَةِ وَالْجَرَحِ لِيَحْصَلَ لَهُ الْوُثُوقُ بِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ كُلُّهَا  
 مِنْ تَعْلَقَاتٍ وَظَائِفَةٍ وَتَوَاجِعٍ وَلَا يَتَّبِعُهُ وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ قَبْلُ يَجْعَلُونَ الْقَاضِيَ النَّظَرَ  
 فِي الْمَظَالِمِ وَهِيَ وَظِيفَةٌ مُتَزَجَّةٌ مِنْ سَطْوَةِ السُّلْطَنَةِ وَتَصَفَةِ الْقَضَاءِ وَتَحْتَاجُ إِلَى عُلُوِّ  
 يَدٍ وَعَظِيمِ رَهْبَةٍ تَقْمَعُ الظَّالِمَ مِنَ الْخُصَمَيْنِ وَتَزْجُرُ الْمُتَعَدِّيَّ وَكَانَهُ يُنْضِي مَا عَجَزَ  
 الْقَضَاءُ أَوْ غَيْرُهُمْ عَنْ مُضَاهَاةِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ فِي الْبَيِّنَاتِ وَالْقُرَيْرِ وَأَعْتَادِ الْأَمَارَاتِ  
 وَالْقَرَائِنِ وَتَأْخِيرِ الْحُكْمِ إِلَى اسْتِجْلَاءِ الْحَقِّ وَحَمْلِ الْخُصَمَيْنِ عَلَى الصِّلَحِ وَاسْتِخْلَافِ  
 الشُّهُودِ وَذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي \* وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ يَبَاشِرُونَهَا بِأَنْفُسِهِمْ  
 إِلَى أَيَّامِ الْمُتَهْدِي مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَهَا لِقَضَائِهِمْ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ مَعَ قَاضِيهِ أَبِي أَدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَكََمَا فَعَلَهُ الْمَأْمُونُ بِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ  
 وَالْمُعْتَصِمُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَ الْقَاضِيَ قِيَادَةَ الْجِهَادِ فِي عَسَاكِرِ  
 الطَّوَائِفِ وَكَانَ بِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ يُخْرَجُ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ بِالطَّائِفَةِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ  
 وَكَذَا مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاسِرِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ تَوَلِيَّةُ  
 هَذِهِ الْوُظَائِفِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْخُلَفَاءِ أَوْ مَنْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لَهُ مِنْ وَزِيرٍ مُقَوَّضٍ أَوْ  
 سُلْطَانٍ مُتَغَلِّبٍ وَكَانَ أَيْضًا النَّظَرُ فِي الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 وَالْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ رَاجِعًا إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَهِيَ  
 وَظِيفَةٌ أُخْرَى دِينِيَّةٌ كَانَتْ مِنَ الْوُظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ فِي تِلْكَ الدَّوَلِ تَوْسِعُ النَّظَرَ فِيهَا عَنْ  
 أَحْكَامِ الْقَضَاءِ قَلِيلًا فَيَجْعَلُ لِلثَّعْمَةِ فِي الْحُكْمِ تَجَالًا وَيَفْرِضُ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةَ قَبْلَ  
 ثُبُوتِ الْجَرَائِمِ وَيُقِيمُ الْحُدُودَ الثَّابِتَةَ فِي مَحَالِّهَا وَيَتَحَكَّمُ فِي الْقَوَدِ وَالْقِصَاصِ وَيَقِيمُ  
 التَّنْزِيهِ وَالنَّادِبَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَنْتَهَ عَنِ الْجَرِيمَةِ ثُمَّ تُنَوِّسُ شَأْنَهُاتِ الْوُظَائِفِ ثَلَاثِينَ  
 فِي الدَّوَلِ الَّتِي تُنَوِّسُ فِيهَا أَمْرُ الْخِلَافَةِ فَصَادَرُ الْمَظَالِمِ رَاجِعًا إِلَى السُّلْطَانِ كَانَ  
 لَهُ تَقْوِيزٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَانْقَسَمَتِ وَظِيفَةُ الشَّرْطَةِ فِسْمَيْنِ مِنْهَا  
 وَظِيفَةُ الثَّعْمَةِ عَلَى الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ حُدُودِهَا وَمُبَاشَرَةُ الْقَطْعِ وَالْقِصَاصِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ  
 وَنُصِبَ لِذَلِكَ فِي هَذِهِ الدَّوَلِ حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِيهَا بِمُوجِبِ السِّيَاسَةِ دُونَ مُرَاجَعَةِ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَيُسَمَّى تَارَةً بِاسْمِ الْوَالِي وَتَارَةً بِاسْمِ الشَّرْطَةِ وَبَقِيَ فِسْمُ  
 التَّنَازِيرِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ فِي الْجَرَائِمِ الثَّابِتَةِ شَرَفًا فَجُمِعَ ذَلِكَ لِلْقَاضِي مَعَ مَا تَقَدَّمَ وَصَادَ

ذَلِكَ مِنْ تَوَاسِعِ وَظِيفَةٍ وَلَاتِيهِ وَأَسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ وَخَرَجَتْ هَذِهِ  
الْوِظِيفَةُ عَنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ لَهَا كَانَ خِلَافَةً دِينِيَّةً وَهَذِهِ الْخِلَافَةُ مِنْ  
مَرَامِ الْدِّينِ فَكَانُوا لَا يُؤَلُّونَ فِيهَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ عَصِيَّتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ بِالْخَلِيفِ  
أَوْ بِالرَّقِ أَوْ بِالْأَسْطِنَاعِ مِنْ يَوْثُقَ بِكْفَايَتِهِ أَوْ غِنَانِهِ فَيَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ وَلَمَّا أَتَوْا  
شَانَ الْخِلَافَةَ وَطَوَّرُوهَا وَصَارَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مَلِكًا أَوْ سُلْطَانًا صَارَتْ هَذِهِ الْخِلَافَةُ الدِّينِيَّةُ  
بَعِيدَةً عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِأَنَّهُمَا لَيْسَتْ مِنَ الْقَابِ الْمَلِكِ وَلَا مَرَامِيهِ ثُمَّ خَرَجَ الْأَمْرُ  
جُمْلَةً مِنَ الْعَرَبِ وَصَارَ الْمَلِكُ لِسَوَامٍ مِنْ أُمَّةِ التُّرْكِ وَالْبَرْبَرِ فَأَزْدَادَتْ هَذِهِ الْخِلَافَةُ  
الْخِلَافَةَ بَعْدًا عَنْهُمْ بِعَتَاكُمَا وَعَصِيَّتِيهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ دِينُهُمْ  
وَأَنَّ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ وَأَحْكَامُهُ وَشَرَائِعُهُ تَخْلُصُهُمْ بَيْنَ الْأَمْرِ وَطَوْبَهُمْ  
وَعَزِيمُهُمْ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤَلُّونَهَا جَانِبًا مِنَ الْبَعْظِ لِمَا دَانُوا بِالْمِلَّةِ نَقَطَ فَصَارُوا  
بِقُلُوبِهِمْ مِنْ غَيْرِ عَصَابَتِهِمْ مِنْ كَانَ تَاهَلُ لَهَا فِي دَوْلِ الْخُلَفَاءِ السَّالَةِ وَكَانَ أُولَئِكَ  
الْمُتَاهِلُونَ بِمَا أَخَذَهُمْ تَرْفُ الدَّوْلِ مُنْذُ مِثْنِ مِنَ السَّنِينَ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الدَّيَاوَةِ وَخُسُونَتَهَا  
وَالنَّبَسَا بِالْخِصَارَةِ فِي عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَدَعَوْتِهِمْ وَقِلَّةِ الْمَمَانَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ  
الْخِلَافَةُ فِي الدَّوْلِ الْمُلُوكِيَّةِ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مَخْصَصَةً بِهَذَا الصَّنَفِ مِنَ الْمُسْتَغْنَيْنِ فِي  
أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَنَزَلَ أَهْلُهَا عَنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ لِفَقْدِ الْأَمَلِيَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
الْخِصَارَةِ لِحَقِّهِمْ مِنَ الْإِحْتِقَارِ مَا لَحِقَ الْخِصَرِ الْمُنْغَمِسِينَ فِي التَّرَفِ وَالِدَّةِ الْبَعْدَاءِ عَنْ  
عَصِيَّةِ الْمَلِكِ الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى الْحَامِيَةِ وَصَارَ اعْتِبَارُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ أَجْلِ قِيَامِهَا  
بِالْمِلَّةِ وَأَخَذَهَا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لِمَا أَنَّهُمْ الْحَامِلُونَ لِلْأَحْكَامِ الْمُقْتَدُونَ بِهَا وَلَمْ  
يَكُنْ إِشَارَتُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ حَبِثِيذِ إِكْرَامًا لِذَوَاتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَتَّبَعُ مِنْ التَّجَمُّلِ  
بِمَكَائِهِمْ فِي تَجَالِسِ الْمَلِكِ لِتَعْظِيمِ الرَّبِّ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا مِنْ الْحَلِّ  
وَالْعَقْدِ شَيْءٌ وَإِنْ حَضَرُوهُ مُحْضَرٌ رَسْمِيٌّ لَا حَقِيقَةً وَرَأَاهُ إِذْ حَقِيقَةُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ إِنَّمَا  
يَنْ لَاهِلِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ فَلَا حِلَّ لَهُ وَلَا عَقْدَ لَهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخَذَ  
الْأَحْكَامَ الشَّرِيعَةَ عَنْهُمْ وَتَلَقَّى الْفَتَاوَى مِنْهُمْ فَتَمَّ وَأَمَّا الدُّوْنُ وَرُبَّمَا يَطُنُّ بَعْضُ  
النَّاسِ أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا وَرَأَاهُ ذَلِكَ وَأَنَّ فِعْلَ الْمُلُوكِ فِيهَا فَعْلُهُمْ مِنْ إِخْرَاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْقَضَاءِ  
مِنْ الشُّرُوزِ مَرْجُوحٌ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُلُوكُ وَرَأَاهُ الْأَنْبِيَاءُ قَاعِلَمُ أَنَّ

ذَلِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنَنَّا وَحُكْمُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِنَّمَا يَجْرَى عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ  
 الْأُمَمِ وَإِلَّا كَانَ بَعِيدًا عَنِ السِّيَاسَةِ فَطَبِيعَةُ الْأُمَمِ فِي هَؤُلَاءِ لَا تَقْضِي لَهُمْ شَيْئًا  
 مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الشُّورَى وَالْحُلَّ وَالْقَدْرَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ عَصِيَّةٍ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى حَلِّ  
 أَوْ عَقْدٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِه وَأَمَّا مَنْ لَا عَصِيَّةَ لَهُ وَلَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا مِنْ  
 حِمَايَتِهَا وَإِنَّمَا هُوَ عِيَالٌ عَلَى غَيْرِهِ فَأَيُّ مَدْخَلٍ لَهُ فِي الشُّورَى أَوْ أَيُّ مَعْنَى يَدْعُو إِلَى  
 اعْتِبَارِهِ فِيهَا أَلَيْسَ إِلَّا شَوْرَاهُ فِيمَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَمَوْجُودَةٌ فِي  
 الْأَسْتِفْثَاءِ خَاصَّةً وَأَمَّا شَوْرَاهُ فِي السِّيَاسَةِ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا لِتَقْدَانِهِ الْعَصِيَّةَ وَالْقِيَامَ عَلَى  
 مَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا وَأَحْكَامِهَا وَإِنَّمَا إِكْرَامُهُمْ مِنْ تَبَرُّعَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ الشَّاهِدَةِ  
 لَهُمْ بِجَعْلِ الْأَعْتِقَادِ فِي الدِّينِ وَتَعْظِيمِ مَنْ يَنْسَبُ إِلَيْهِ بِأَيِّ جِهَةٍ أَنْتَسَبَ وَأَمَّا قَوْلُهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفُقَهَاءَ فِي الْأَغْلِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمَا اخْتَفَ  
 بِهِ إِنَّمَا حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَقْوَالًا فِي كَيْفِيَّةِ الْأَعْمَالِ فِي الْعِبَادَاتِ وَكَيْفِيَّةِ الْقَضَاءِ فِي  
 الْمُعَامَلَاتِ بِنُصْرَتِهَا عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا هَذِهِ غَايَةُ أَكْبَرِهِمْ وَلَا يَتَصَيَّنُونَ إِلَّا  
 بِالْأَقْلِ مِنْهَا وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالسَّلَفُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ مِنْ  
 الْمُسْلِمِينَ حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ اتِّصَافًا بِهَا وَتَحَقُّقًا بِمَذَاهِبِهَا فَمَنْ حَمَلَهَا اتِّصَافًا وَتَحَقُّقًا دُونَ تَقْلِيدِ  
 قَوْمٍ مِنَ الْوَارِثِينَ مِثْلَ أَهْلِ رِسَالَةِ الْقُسَيْرِيِّ وَهِيَ أَجْتَمَعَتْ لَهُ الْأُمَرَاءُ فَهُوَ الْعَالِمُ وَهُوَ  
 الْوَارِثُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِثْلَ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ وَالْأَلَمَةِ الْأَزَبَةِ وَمَنْ أَقْنَى طَرِيقَهُمْ  
 وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِمْ وَإِذَا انْقَرَدَ وَاحِدٌ مِنَ الْأُمَمَةِ بِأَحَدِ الْأُمَرَاءِ فَالْعَابِدُ أَحَقُّ بِالْوَرَاثَةِ  
 مِنَ الْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لِأَنَّ الْعَابِدَ وَرِثَ بَصِيفَةٍ وَالْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لَمْ يَرِثْ  
 شَيْئًا إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ أَقْوَالٍ يَنْصَحُهَا عَلَيْنَا فِي كَيْفِيَّاتِ الْعَمَلِ وَهَؤُلَاءِ أَكْثَرُ فَقَهَاءِ  
 عَصَرِنَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ

(المدالة) \* وَهِيَ وَظِيفَةٌ دَرَجِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِلْقَضَاءِ وَمِنْ مَوَادِّ تَضَرُّعِهِ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ  
 الْوِظِيفَةِ الْقِيَامُ عَنْ إِذْنِ الْقَاضِي بِالْمُتَهَادَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ تَعَمُّلًا عِنْدَ  
 الْأَشْهَادِ وَأَدَاءُ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَكُتِبَ فِي السَّيِّلَاتِ يُحْفَظُ بِهِ حُقُوقُ النَّاسِ وَأَمْلَأَ كُهُمْ  
 وَدُبُونُهُمْ وَسَائِرُ مُعَامَلَاتِهِمْ وَشَرَطُ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ الْإِتِّصَافُ بِالْعِدَالَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْزَّهَادَةِ  
 مِنَ الْجَرَحِ ثُمَّ الْقِيَامُ بِكُتُبِ السَّيِّلَاتِ وَالْعُقُودِ مِنْ جِهَةِ عِبَارَاتِهَا وَانْظِمَامِ فُصُولِهَا وَمِنْ

جَهَةِ إِحْكَامِ شُرُوطِهَا الشَّرْعِيَّةِ وَعُقُودِهَا فَيُجْتَنَبُ حِينَئِذٍ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْفَقْدِ  
وَلِأَجْلِ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَمَا يَجْتَنَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَرَانِ<sup>(١)</sup> عَلَى ذَلِكَ وَالْمَارَسَةِ لَهُ اخْتِصَاصٌ  
ذَلِكَ يَعْضُ الْمُدُولُ وَصَارَ الصَّنْفُ الْقَائِمُونَ بِهِ كَأَنَّهُمْ مُخْتَصَّوْنَ بِالْعَدَالَةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
وَإِنَّمَا الْعَدَالَةُ مِنْ شُرُوطِ اخْتِصَاصِهِمْ بِالْوُظُفَةِ وَيَجِبُ عَلَى الْقَاضِي تَصَنُّعُ أَحْزَالِهِمْ  
وَالْكَشْفُ عَنْ سِيرِهِمْ رِعَايَةً لَشَرْطِ الْعَدَالَةِ فِيهِمْ وَأَنْ لَا يُهْمِلَ ذَلِكَ لِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ  
مِنْ حِفْظِ حُقُوقِ النَّاسِ فَالْعَهْدَةُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَهُوَ ضَامِنٌ دَرَكُهُ وَإِذَا تَعَيَّنَ هَؤُلَاءِ  
لِهَذِهِ الْوُظُفَةِ عَمَّتِ الْقَائِدَةُ فِي تَعْيِينِ مَنْ تَخَفَى عَدَالَتُهُ عَلَى الْقَضَا بِسَبَبِ اتِّسَاعِ الْأَمْصَارِ  
وَأَشْبَاهِ الْأَحْزَالِ وَأَضْطِرَّارِ الْقَضَا إِلَى الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ بِالْبَيِّنَاتِ الْمُتَوَقَّعةِ  
فَيُعَوَّلُونَ غَالِبًا فِي الْوُثُوقِ بِهَا عَلَى هَذَا الصَّنْفِ وَلَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ دَكَكَيْنِ وَمَصَاطِبُ  
يَخْتَصُّونَ بِالْجُلُوسِ عَلَيْهَا فَيَتَعَاهَدُهُمْ أَصْحَابُ الْمُعَامَلَاتِ لِلِإِنْشَاءِ وَتَقْيِيدِهِ بِالْكِتَابِ  
وَصَارَ مَدْلُولُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ هَذِهِ الْوُظُفَةِ الَّتِي تَبَيَّنَ مَدْلُولُهَا وَبَيْنَ الْعَدَالَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ الْجَرْحِ وَقَدْ بَيَّنَّا وَدَانَ وَيُفَرِّقَانِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الحسبة والسكة

إِمَّا الْحُسْبَةَ فَبُيْ وَظُفَةُ دِينِيَّةٌ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ  
الَّذِي هُوَ فَرَضٌ عَلَى الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ يُعَيَّنُ لِنَظَرِهِ لِمَا يَرَاهُ أَهْلًا لَهُ فَيَتَعَيَّنُ فَرَضُهُ  
عَلَيْهِ وَيَتَّخِذُ الْأَعْزَانَ عَلَى ذَلِكَ وَيُبَيِّنُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَيُعَزِّزُ وَيُؤَدِّبُ عَلَى قَدَرِهَا  
وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فِي الْمَدِينَةِ مِثْلَ الْمَنَعِ مِنَ الْمُضَاقَةِ فِي الطَّرِيقَاتِ  
وَمَنْعِ الْحَمَالِينَ وَأَهْلِ السُّفَنِ مِنَ الْإِكْثَارِ فِي الْحَمْلِ وَالْحُكْمِ عَلَى أَهْلِ الْمَكَانِ  
الْمُتَدَاعِيَةِ لِلِسُقُوطِ بِهِمْ وَإِزَالَةِ مَا يَقُوعُ مِنْ ضَرَرِهَا عَلَى السَّالِيَةِ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي  
الْمُعْتَمِلِينَ فِي الْمَكَايِبِ وَغَيْرِهَا فِي الْإِبْلَاحِ فِي ضَرْبِهِمْ لِلشُّبَّانِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَلَا  
يَتَوَقَّفُ حُكْمُهُ عَلَى تَنَازُعٍ أَوْ اسْتِعْدَاءٍ بَلْ لَهُ النَّظَرُ وَالْحُكْمُ فِيهَا يَصِلُ إِلَى عِلْمِهِ  
مِنْ ذَلِكَ وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ وَلَيْسَ لَهُ إِمْضَاءُ الْحُكْمِ فِي الدَّعَاوِي مُطْلَقًا بَلْ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَشِّ  
وَالْتَدَلِّيسِ فِي الْأَعْيَاشِ وَغَيْرِهَا فِي الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ وَلَهُ أَيْضًا حَمْلُ الْمُعَاطِلِينَ  
عَلَى الْأَنْصَافِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ سَمَاعٌ بَيْنَهُ وَلَا إِفْقَادٌ حُكْمٍ وَكَأَنَّهُمَا أَحْكَامُ

يُنْزَهُ الْقَاضِي عَنْهَا لِعُمُومِهَا وَسُهُولَةِ أَغْوَاضِهَا فَتُدْفَعُ إِلَى صَاحِبِ هَذِهِ الْوِظَايِفَةِ لِيَقُومَ بِهَا  
فَوْضُئُهَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ خَادِمَةً لِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ وَقَدْ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ مِثْلَ الْعَبِيدِيَّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأُمُورِيَّينَ بِالْأَنْدَلُسِ دَاخِلَةً فِي عُمُومِ  
وِلَايَةِ الْقَاضِي بَوَلِي فِيهَا بِاخْتِيَارِهِ ثُمَّ لَمَّا انْفَرَدَتْ وَظِيفَةُ السُّلْطَانِ عَنِ الْخِلَافَةِ وَصَارَ  
نَظَرُهُ عَامًّا فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ أُنْدَرَجَتْ فِي وَظَائِفِ الْمَلِكِ وَأُفْرِدَتْ بِالْوِلَايَةِ  
وَأَمَّا السِّكَّةُ فَبَعِي النَّظَرُ فِي النُّقُودِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَحِفْظُهَا مِمَّا يَدْخُلُهَا  
مِنَ الْفِئَةِ أَوْ النِّقْصِ إِنْ كَانَ يُتَعَامَلُ بِهَا عَدَدًا أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَيُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ  
جَمِيعِ الْأَعْيَارَاتِ ثُمَّ فِي وَضْعِ عِلَامَةِ السُّلْطَانِ عَلَى تِلْكَ النُّقُودِ بِالْإِسْتِجَادَةِ وَالْخُلُوصِ  
يَرْسُمُ تِلْكَ الْعِلَامَةَ فِيهَا مِنْ خَاتَمٍ حَدِيدٍ أَتُخَذُ لِلذَّكَاءِ وَتُقَشُّ فِيهِ نُقُوشٌ خَاصَّةٌ بِهِ فَيُوضَعُ  
عَلَى الدِّرْتَارِ بَعْدَ أَنْ يَقْدَرَ وَيُضْرَبَ عَلَيْهِ بِالْمِطْرَقَةِ حَتَّى تُرْمَمَ فِيهِ تِلْكَ النُّقُوشُ وَتَكُونَ  
عِلَامَةً عَلَى جُودِيَّةِ بِحَسَبِ الْقَابَةِ الَّتِي وَقَفَتْ عِنْدَهَا السَّبْكُ وَالْخُلْيُصُ فِي مُتَعَارِفِ أَهْلِ  
الْقَطْرِ وَمَذَاهِبِ الدُّوَلَةِ الْخَاصَّةِ فَإِنَّ السَّبْكُ وَالْخُلْيُصُ فِي النُّقُودِ لَا يَقِفُ عِنْدَ غَايَةِ  
وَأَمَّا تَرْجِعُ غَايَتُهُ إِلَى الْاجْتِنَادِ فَإِذَا وَقَفَ أَهْلُ الْفَنِّ أَوْ الْقَطْرِ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّخْلِصِ  
وَقَفُوا عِنْدَهَا وَسَمَّوْهَا إِمَامًا وَعِيَارًا يَتَّبِعُونَ بِهِ نُقُودَهُمْ وَيَتَّقِدُونَهَا بِمِثَالَتِهَا فَإِنْ نَقَصَ  
عَنِ ذَلِكَ كَانَتْ زَيْفًا وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِصَاحِبِ هَذِهِ الْوِظَايِفَةِ وَهِيَ دِينِيَّةٌ بِهَذَا  
الْأَعْيَارِ فَتَنْدَرِجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَقَدْ كَانَتْ تَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ وِلَايَةِ الْقَاضِي ثُمَّ أُفْرِدَتْ  
لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَبْشَةِ هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ فِي الْوِظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَبَقِيَ مِنْهَا  
وَظَائِفٌ ذَمِيَّتٌ يَتَهَابُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ وَآخَرَى صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً فَوْظِيفَةً إِلَّا مَارَةً وَلَوْ زَارَتُهُ  
وَالْحَرْبُ وَالْخُرَاجُ صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً تَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا فِي أَمَّا كَيْفَا بَعْدَ وَظِيفَةِ الْجِهَادِ وَوَظِيفَةُ  
الْجِهَادِ بَطَلَتْ بِطُلَانِهِ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنَ الدُّوَلِ يُعَارِسُونَهُ وَيُدْرَجُونَ أَحْكَامَهُ غَالِبًا فِي  
السُّلْطَانِيَّاتِ وَكَذَا تَقَابَةُ الْأَنْسَابِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْخِلَافَةِ أَوْ الْحَقِّ فِي بَيْتِ الْمَالِ  
قَدْ بَطَلَتْ لِدُنُورِ الْخِلَافَةِ وَرُسُومِهَا وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ أُنْدَرَجَتْ رُسُومُ الْخِلَافَةِ وَوَظَائِفُهَا فِي  
رُسُومِ الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ كَيْفَ يَشَاءُ



في القلب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء  
وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم  
وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الأمر  
على ذلك إلى أن هلك فلما بويع لعمر بعده إلى كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استنقلوا هذا القلب بكثرته وطول إضافته وأنه  
يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى الجنة وينتهي منه التمييز بتعدد الإضافات  
وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا القلب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى  
به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث بأسم الأمير وهو فعل من الإمارة وقد كان  
الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة  
أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية  
وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه  
يا أمير المؤمنين فاستخمنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال إن أول من دعاه  
بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمر بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يزيد جاء  
بافتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أيت أمير  
المؤمنين وسميها أصحابه فاستخمنوه وقالوا أصبت والله أسمة إنه والله أمير المؤمنين  
حقاً فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركون  
فيها أحد سواهم إلا سائر دولة بني أمية ثم إن الشيعة خصوا علياً باسم الإمام فغلاة  
بالإمامة التي هي اخت الخلافة وتعرفاً بمذهبهم في أنه أحق بالإمامة الصلاة من  
أبي بكر لما هو مذهبهم ويدعونهم بخصوه بهذا القلب ولعن يسوقون إليه منصب  
الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم في الخلفاء  
حتى إذا استولون على الدولة يحولون القلب فيما بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله  
شيعة بني العباس فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالإمام إلى إبراهيم الذي جهروا  
بالدعاء له وعقدوا الزيات للحرب على أمره فلما هلك دعي أخوه السفاح أمير المؤمنين  
وكنّا الرافضة بأفريقها فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم من ولد إسماعيل بالإمام حتى

أَنْتَهَى الْأَمْرَ إِلَى عِيْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَكَانُوا أَيْضًا يَدْعُوْنَهُ بِالْإِمَامِ وَلِأَنَّهُ أَيْ الْقَائِمِ  
 مِنْ بَعْدِهِ فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ لَهُمُ الْأَمْرَ دَعَوْا مِنْ بَعْدِهِمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَا الْأَدَارِسَةُ  
 بِالْمَغْرِبِ كَانُوا يَلْقَوْنَ أَدْرِيسَ بِالْإِمَامِ وَأَبْنَهُ أَدْرِيسَ الْأَصْفَرَ كَذَلِكَ وَهَكَذَا شَأْنُهُمْ  
 وَتَوَارَثَ الْخُلَفَاءُ هَذَا الْقَلْبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعَلُوهُ سِمَةً لِمَنْ يَمْلِكُ الْحِجَازَ وَالشَّامَ  
 وَالْعِرَاقَ وَالْمَوَاطِنَ الَّتِي فِي دِيَارِ الْعَرَبِ وَمَرَاكِرُ الدَّوْلَةِ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ وَالْفَتْحِ وَازْدَادَ  
 لِذَلِكَ فِي عُنُقِ الدَّوْلَةِ وَبَذْخِهَا لِقَبِّ آخِرِ الْخُلَفَاءِ بِتَمْيِزٍ بِهِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَشْرَافِ بَيْنَهُمْ فَاسْتَحْدَثَ لِذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ حِجَابًا لِأَسْمَائِهِمْ  
 الْأَعْلَامَ عَنْ أَسْمَائِهِمَا فِي السِّنَةِ السُّوْفَى وَصَوَّنَا لَهَا عَنِ الْإِنْبِدَالِ فَتَلَقَّوْا بِالسَّجَّاحِ وَالنَّصُورِ  
 وَالْمَهْدِيِّ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَاقْتَفَى أَتْرَافُ فِي ذَلِكَ الْعَبِيدِيُّونَ بِأَفْرِيقَةٍ  
 وَمِصْرَ وَتَجَاوَى بَنُو أُمَيَّةَ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَشْرِقِ قَبْلَهُمْ مَعَ الْفَضَاخَةِ وَالسَّذَاجَةِ لِأَنَّ  
 الْعُرُوبِيَّةَ وَمَنَازِعَهَا لَمْ تَفَارِقْهُمْ حِينَئِذٍ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْهُمْ شِعَارُ الْبِدَاوَةِ إِلَى شِعَارِ الْخِطَاوَةِ  
 وَأَمَّا بِالْأَنْدَلُسِ فَتَلَقَّوْا كَسَلْفِهِمْ مَعَ مَا عَمِلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ ذَلِكَ بِالْقُصُورِ  
 عَنْ مَلِكِ الْحِجَازِ أَصْلِ الْعَرَبِ وَالْمِلَّةِ وَالْبُعْدِ عَنْ دَارِ الْخِلَافَةِ الَّتِي فِي مَرْكَزِ الْقَصَبَةِ  
 وَأَتَمُّهُمْ إِنَّمَا مَنَعُوا بِإِمَارَةِ الْقَاصِيَةِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مَهَالِكِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى إِذَا جَاءَ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخْلُ الْآخِرُ مِنْهُمْ وَهُوَ النَّاصِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
 ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لِأَوَّلِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَاسْتَهْرَ مَا نَالَ الْخِلَافَةَ بِالْمَشْرِقِ  
 مِنَ الْحُجْرِ وَاسْتَبْدَادِ الْمَوَالِي وَغَيْبِهِمْ فِي الْخُلَفَاءِ بِالْعَزْلِ وَالْإِسْتِبْدَالِ وَالْقَتْلِ وَالسَّلْبِ  
 ذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا إِلَى مِثْلِ مَذَاهِبِ الْخُلَفَاءِ بِالْمَشْرِقِ وَأَفْرِيقَةٍ وَتَسَمَّى  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ وَأَخْلَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَادَةٌ وَمَذْهَبُ لِقَنِ عَنْهُ  
 وَلَمْ يَكُنْ لِأَبَائِهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ عَصِيَّةُ  
 الْعَرَبِ أَجْمَعٍ وَذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَ الْمَوَالِي مِنَ الْعَجَمِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَالصَّنَائِعِ  
 عَلَى الْعَبِيدِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ وَصَنَاهُجُ عَلَى أَمْرِهِمْ أَفْرِيقَةُ وَزَنَانَةُ عَلَى الْعَرَبِ وَمُلُوكُ  
 الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى أَمْرِ بَنِي أُمَيَّةَ وَاقْتَسَمُوهُ وَافْتَرَقَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ فَاخْتَلَفَتْ  
 مَذَاهِبُ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ فِي الْأَخْتِصَاصِ بِالْأَقَابِ بَعْدَ أَنْ تَسَوَّأَ جَمِيعًا  
 بِأَسْمِ السُّلْطَانِ فَأَمَّا مُلُوكُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَجَمِ فَكَانَ الْخُلَفَاءُ يَخْضَعُونَ لَهُمْ بِالْأَقَابِ

تَشْرِيفِيَّةٍ حَتَّى يُسْتَشَرَّ مِنْهَا أَنْفَادُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ وَحُسْنُ وَلَايَتِهِمْ مِثْلَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَعِصْدِ  
الدَّوْلَةِ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ وَمَعَزِ الدَّوْلَةِ وَتَصِيرُ الدَّوْلَةُ وَنِظَامُ الْمَلِكِ وَبِهَاءُ الدَّوْلَةِ وَذَخِيرَةُ  
الْمَلِكِ وَأَمْثَالُ هَذِهِ وَكَانَ الْعَبِيدِيُّونَ أَيْضًا يَخْصُونَ بِهَا أُمَرَاءَ صَنْهَاجَةَ فَلَمَّا اسْتَبَدُّوا  
عَلَى الْخِلَافَةِ قَنَعُوا بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ وَتَجَافَوْا عَنِ الْأَقْبَابِ الْخِلَافَةِ أَدَبًا مَعَهَا وَعُدُولًا عَنْ  
مِمَّا فِيهَا الْمُخْتَصَّةُ بِهَا شَأْنُ الْمُتَغَلِّبِينَ الْمُسْتَبَدِّينَ كَمَا قُلْنَا وَنَزَعَ الْمُتَأَخَّرُونَ أَعَاجِمُ  
الْمَشْرِقِ حِينَ قَوِيَ اسْتِبْدَادُهُمْ عَلَى الْمَلِكِ وَعَلَا كِبَرُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ وَتَلَاشَتْ  
عَصِيَّةُ الْخِلَافَةِ وَأَضْمَحَتْ بِالْجُمْلَةِ إِلَى انْتِحَالِ الْأَقْبَابِ الْخَاصَّةِ بِالْمَلِكِ مِثْلِ النَّاصِرِ  
وَالْمَنْصُورِ وَزِيَادَةِ عَلَى الْأَقْبَابِ يَخْصُونَ بِهَا قَبْلَ هَذَا الْإِنْتِحَالِ مُعَرَّةً بِالْخُرُوجِ عَنْ رِيفَةِ  
الْوِلَاةِ وَالْأَصْطِنَاعِ بِمَا أَضَافُوهَا إِلَى الَّذِينَ فَقَطْ يَقُولُونَ صَلَاحُ الدِّينِ أَسَدُ الدِّينِ  
نُورُ الدِّينِ وَأَمَّا مُلُوكُ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ فَاقْتَسَمُوا الْأَقْبَابَ الْخِلَافَةَ وَتَوَزَّعُوا الْقُوَّةَ  
اسْتِبْدَادَهُمْ عَلَيْهَا بِمَا كَانُوا مِنْ قَبْلِهَا وَعَصِيَّتَهَا فَتَلَقَّبُوا بِالنَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمُعْتَمِدِ  
وَالْمُظَفَّرِ وَأَمْثَالِهَا كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي شَرَفٍ يَتَنَبَّأُ عَلَيْهِمْ

بِمَا يَزِيدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسِ أَسْمَاءُ مُعْتَمِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ

أَلْقَابُ مَمْلُوكِيَّةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍهَا كَأَنَّهُ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

وَأَمَّا صَنْهَاجَةُ فَاقْتَصَرُوا عَنِ الْأَقْبَابِ الَّتِي كَانَتْ لِلْخُلَفَاءِ الْعَبِيدِيِّينَ لِيَقْبُونَ بِهَا لِلتَّنَوُّهِ مِثْلَ  
نَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَمَعَزِ الدَّوْلَةِ وَأَتَّصَلْ لَهُمْ ذَلِكَ لَمَّا أَدَالُوا مِنْ دَعْوَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِدَعْوَةِ  
الْعَبَاسِيِّينَ ثُمَّ بَعْدَتْ الشُّقَّةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخِلَافَةِ وَنَسُوا عَهْدَهَا فَنَسُوا هَذِهِ الْأَقْبَابَ وَاقْتَصَرُوا  
عَلَى أَسْمِ السُّلْطَانِ وَكَذَا شَأْنُ مُلُوكِ مَغْرِبِ الْأَنْدَلُسِ لَمْ يَنْتَحِلُوا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْبَابِ  
إِلَّا أَسْمَ السُّلْطَانِ جَزَاءً عَلَى مَذَاهِبِ الْبِدَاوَةِ وَالْفَضَاضَةِ وَلَمَّا عُيِي رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَعَطَّلَ  
دَسْتُهَا وَقَامَ بِالْمَغْرِبِ مِنْ قِبَلِ الْبَرْبَرِ يُوسُفُ بْنُ نَاشِفِينَ مَلِكُ لِمَنْوَةِ فَمَلَكَ الْعُدُونِ  
وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِقْدَاءِ نَزَعَتْ بِهِ هِمَّتُهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ الْخُلَفَاءِ تَكْمِيلًا  
لِعَرَامِيمِ دِينِهِ فَخَاطَبَ الْمُسْتَظْهَرَ الْعَبَّاسِيَّ وَأَوْفَدَ عَلَيْهِ يَعْتَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَزَاقِيِّ وَابْنَهُ  
الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مِنْ مَشِيخَةِ إِشْبِيلِيَّةٍ بَطْلَانٍ تَوَلَّيْنَاهُ إِيَّاهَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَتَقْلِيدُهُ ذَلِكَ  
فَاتَّقَبَلُوا إِلَيْهِ بَعْدَ الْخِلَافَةِ لَهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَأَسْتَشَارَ زِيَمُومَ فِي لُبُوسِهِ وَرَتْبَتِهِ وَخَاطَبَهُ  
فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَشْرِيفًا وَاخْتِصَاصًا فَأَخَذَهَا أَقْبَابًا وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ دُعَايَ لَهُ بِأَمِيرٍ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِ أَدْبَا مَعَ رُبْنَةِ الْخِلَافَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِمْ وَقَوْمُهُ الْمُرَابِطُونَ مِنْ انْتِحَالِ  
 الدِّينِ وَاتِّبَاعِ الشَّيْءِ وَجَاءَ الْمَهْدِيُّ عَلَى أَثَرِهِمْ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ  
 الْأَشْعَرِيَّةِ نَاعِيًا عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ عُدُولَهُمْ عَنْهَا إِلَى تَقْلِيدِ السَّلَفِ فِي تَرْكِ النَّاوِيلِ  
 لظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَمَا يُؤْوِلُ إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنَ التَّجْسِيمِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيَّةِ  
 وَسَمَّى أَتْبَاءَهُ الْمُؤَحِّدِينَ تَعْرِيفًا بِذَلِكَ التَّكْبِيرِ وَكَانَ يَرَى رَأْيَ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي  
 الْأِمَامِ الْمَعْصُومِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ يُحْفَظُ بِوُجُودِهِ نِظَامُ هَذَا الْعَالَمِ فَسَمَّى  
 بِالْإِمَامِ لِمَا قُلْنَاهُ أَوَّلًا مِنْ مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ فِي الْقَابِ خُلَفَائِهِمْ وَأَزْدَفَ بِالْمَعْصُومِ  
 إِشَارَةً إِلَى مَذْهَبِهِ فِي عِصْمَةِ الْأِمَامِ وَتَنَزَّهَ عِنْدَ أَتْبَاعِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَذًا  
 بِمَذَاهِبِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الشَّيْعَةِ وَلِمَا فِيهَا مِنْ مُشَارَكَةِ الْأَعْمَارِ وَالْوِلْدَانِ مِنْ أَعْقَابِ  
 أَهْلِ الْخِلَافَةِ يَوْمَئِذٍ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ انْتَحَلَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَلِيُّ عَهْدِهِ الْقَبَّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَجَرَى عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ خُلَفَاؤُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَآلُ أَبِي حَفْصٍ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتِثْنَاءً بِهِ  
 عَمَّنْ سِوَاهُمْ لِمَا دَعَا إِلَيْهِ شَيْخُهُمُ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَأَوْلِيَاؤُهُ مِنْ  
 بَعْدِهِ كَذَلِكَ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ لِانْتِفَاءِ عَصِيَّةِ فَرِيشٍ وَتَلَاشِيهَا فَكَانَ ذَلِكَ دَائِمَهُمْ وَلَمَّا  
 انْتَقَضَ الْأَمْرُ بِالْمَغْرِبِ وَانْتَزَعَتْ زَنَانُهُ ذَهَبَ أَوْلَهُمْ مَذَاهِبُ الْبِدَاوَةِ وَالسَّاجَةِ وَاتَّبَاعِ  
 لِمَثُونَةٍ فِي انْتِحَالِ الْقَبِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدْبَا مَعَ رُبْنَةِ الْخِلَافَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَى طَاعَتِهَا  
 لِبَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَوَّلًا وَلِبَنِي أَبِي حَفْصٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ تَزَعَّ الْمُتَاخِرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَبِّ  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَانْتَحَلُوهُ لِهَذَا الْعَهْدِ اسْتِثْلَافًا فِي مَنَازِعِ الْمُلُوكِ وَتَتَمِيمًا لِمَذَاهِبِهِ  
 وَسَيَانِهِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

### الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

إِعْلَمُ أَنَّ الْمِلَّةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ قَائِمٍ عِنْدَ غَيْبَةِ النَّبِيِّ بِحَمْلِهِمْ عَلَى أَحْكَامِهَا وَشَرَائِعِهَا  
 وَيَكُونُ كَخَلِيفَةٍ فِيهِمْ لِلنَّبِيِّ فِيهَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ وَالنُّوعِ الْإِنْسَانِي أَيْضًا بِمَا  
 تَقَدَّمَ مِنْ ضَرُورَةِ السِّيَاسَةِ فِيهِمْ لِلِاجْتِمَاعِ الشَّرْعِيِّ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ فُخْصٍ بِحَمْلِهِمْ عَلَى  
 مَصَالِحِهِمْ وَبِزَعْمِهِمْ عَنْ مَقَالِدِهِمْ بِالْقَهْرِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْمَلِكِ وَالْمِلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِمَا  
 كَانَ الْجِهَادُ فِيهَا مَشْرُوعًا لِعُمُومِ الدَّعْوَةِ وَحَمْلِ السَّكَاةِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ طَوْعًا أَوْ

كُرْهًا اخْتَلَتْ فِيهَا اخِلَافَةُ وَالْمَلِكُ لَتَوَجُّهِ الشُّوْكَةِ مِنَ الْقَائِمِينَ بِهَا إِلَيْهَا مَعَ وَأَمَّا  
مَا سِوَى الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَلَمْ تَكُنْ دَعْوَتُهُمْ عَامَّةً وَلَا الْجِهَادُ عِنْدَهُمْ مَشْرُوعًا إِلَّا  
فِي الْمُدَافَعَةِ فَقَطَّ قَصَارَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ الدِّينِ فِيهَا لَا يَغْنِيهِ شَيْءٌ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا  
وَقَعَ الْمَلِكُ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بِالْعُرْضِ وَالْأَمْرِ غَيْرِ دِينِي وَهُوَ مَا اقْتَضَتْ لَهُمُ الْعَصِيَّةُ لِمَا  
فِيهَا مِنَ الطَّلَبِ لِلْمَلِكِ بِالطَّبَعِ لِمَا قَدَّمَاهُ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ بِالْغَلَبِ عَلَى الْأَمْرِ  
كَمَا فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِنَّمَا هُمْ مَطْلُوبُونَ بِإِقَامَةِ دِينِهِمْ فِي خَاصَّتِهِمْ وَلِلْمَلِكِ بَقِي  
بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَيُوشَعَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ لَا يَحْتَسِبُونَ  
بَشِيءًا مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُمُومُهُمْ إِقَامَةُ دِينِهِمْ فَقَطَّ وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ بَيْنَهُمْ يُسَمَّى  
الْكُوهَنَ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُقِيمُ لَهُمُ أَمْرَ الصَّلَاةِ وَالْقُرْبَانِ وَيَشْرِطُونَ  
فِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَةِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُعْقِبْ ثُمَّ اخْتَارُوا  
لِإِقَامَةِ السِّيَاسَةِ الَّتِي فِي الْبَشَرِ بِالطَّبَعِ سَبْعِينَ سَنَةً كَانُوا يَتْلُونَ أَحْكَامَهُمْ الْعَامَّةَ  
وَالْكُوهَنَ أَعْظَمَ مِنْهُمْ رُتْبَةً فِي الدِّينِ وَابْعَدُ عَنْ شُعَبِ الْأَحْكَامِ وَأَبْصَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ  
إِلَى أَنْ اسْتَحْكَمَتْ طَبِيعَةُ الْعَصِيَّةِ وَنَحَضَتْ الشُّوْكَةُ لِلْمَلِكِ فَعَلَبُوا الْكَنْعَانِيِّينَ عَلَى  
الْأَرْضِ الَّتِي أَوْزَعَهُمُ اللَّهُ يَتَ الْمَقْدِسِ وَمَا جَاوَرَهَا كَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَحَارَبْتَهُمْ أُمُّ الْفِلَسْطِينِ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْأَزْمَنَ وَأَزْدَنَ وَعَمَانَ  
وَمَارِبَ وَرَاسَتَهُمْ فِي ذَلِكَ رَاحِمَةً إِلَى شِيُوخِهِمْ وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ  
سَنَةٍ وَلَمْ تَكُنْ بِهِمْ صَوْلَةُ الْمَلِكِ وَضَجَرُ بَنِي طَالُوتَ وَعَلَبَ الْأُمَمُ وَقَتْلَ جَالُوتَ مَلِكُ  
الْفِلَسْطِينِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ دَاوُدُ ثُمَّ سَلِمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَاسْتَحْلَلَ مُلْكُهُ وَأَمْتَدَّ  
إِلَى الْحِجَازِ ثُمَّ أَطْرَافِ الْيَمَنِ ثُمَّ إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِ الرُّومِ ثُمَّ اقْتَرَقَ الْأَسْبَاطُ مِنْ بَعْدِ  
سَلِمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ فِي الدُّوَلِ كَمَا قَدَّمَاهُ إِلَى دَوْلَتَيْنِ كَانَتَا  
إِحْدَاهُمَا بِالْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ لِلْأَسْبَاطِ الْعَشْرَةِ وَالْأُخْرَى بِالْقُدْسِ وَالشَّامِ لِبَنِي يَهُوذَا  
وَبَنِيَامِينَ ثُمَّ عَلَيْهِمْ بَحْتَ نَصْرٍ مَلِكُ بَابِلَ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَوَّلًا الْأَسْبَاطُ  
الْعَشْرَةُ ثُمَّ ثَانِيًا بَنِي يَهُوذَا وَبَنِي الْقُدْسِ بَعْدَ اتِّصَالِ مُلْكِهِمْ نَحْوَ أَلْفِ سَنَةٍ وَخَرَبَ  
مَسْجِدَهُمْ وَأَخْرَقَ تَوَارَتَهُمْ وَأَمَاتَ دِينَهُمْ وَنَقَلَهُمْ إِلَى أَصْهَانَ وَبِلَادِ الْفِرَاقِ إِلَى أَنْ  
رَدَّهُمْ بَعْضُ مُلُوكِ الْكَلْبِيَّةِ مِنَ الْفَرَسِ إِلَى يَتِ الْقُدْسِ مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ

خُرُوجِهِمْ فَبَنُوا الْمَسْجِدَ وَأَقَامُوا أَمْرَ دِينِهِمْ عَلَى الرَّسْمِ الْأَوَّلِ لِلْكَهَنَةِ فَقَطَّ وَالْمَلِكُ  
 لِلْفَرَسِ ثُمَّ غَلَبَ الْأَسْكَدَرُ وَبَنُو يُونَانَ عَلَى الْفَرَسِ وَصَارَ الْيَهُودُ فِي مَلَكَتِهِمْ ثُمَّ  
 قَسَلَ أَمْرُ الْيُونَانِيِّينَ فَأَعَزَّ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ بِالْعَصِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْ الْأَسْتِيلَاءِ  
 عَلَيْهِمْ وَقَامَ بِمَلِكِهِمُ الْكَهَنَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِيهِمْ مِنْ بَنِي حَشْتَايَ وَقَاتَلُوا يُونَانَ حَتَّى  
 انْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَعَلَيْهِمُ الرُّومُ فَصَارُوا مَتَعَةً أَمْرِهِمْ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَفِيهَا  
 بَنُو هِيرُودُسَ أَصْهَارُ بَنِي حَشْتَايَ وَبَقِيَتْ دَوْلَتُهُمْ فَحَاصَرُوهُمْ مَدَّةً ثُمَّ أَفْتَحُوهَا غَنَوَةً  
 وَأَفْحَشُوا فِي الْقَتْلِ وَالْهَدْمِ وَالْخَرْبِ وَخَرَبُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا إِلَى رُومَةٍ وَمَا  
 وَرَاءَهَا وَهُوَ الْخَرَابُ الثَّانِي لِلْمَسْجِدِ وَبَسَمِيَهُ الْيَهُودُ بِالْجَلَوَةِ الْكَبْرَى فَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ  
 بَعْدَهَا مَلِكٌ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَةِ مِنْهُمْ وَبَقُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَلَكَتِ الرُّومِ مِنْ بَعْدِهِمْ يُقِيمُ  
 لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمُ الرَّئِيسُ عَلَيْهِمُ الْمُسَمَّى بِالْكُوهِنِ ثُمَّ جَاءَ الْمَسِيحُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
 عَلَيْهِ بِمَا جَاءَهُ بِهِ مِنَ الدِّينِ وَالنَّسَخِ لِبَعْضِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ  
 الْعَجِيبَةُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
 وَأَمْنَاهُ وَكَانَتْهُمْ الْخَوَارِيزُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ وَبَعَثَ مِنْهُمْ رُسُلًا إِلَى  
 الْأَفَاقِ دَاعِينَ إِلَى مِلَّتِهِ وَذَلِكَ أَيَّامُ أَوْغُسْطُسَ أَوَّلِ مُلُوكِ الْقِيَامَةِ وَفِي مَدَّةِ هِيرُودُسَ  
 مَلِكِ الْيَهُودِ الَّذِي أَنْزَعَ الْمَلِكُ مِنْ بَنِي حَشْمَتَايَ أَصْهَارِهِ فَحَسَدَهُ الْيَهُودُ وَكَذَّبُوهُ  
 وَكَاتَبَ هِيرُودُسُ مَلَكَهُمْ مَلِكَ الْقِيَامَةِ أَوْغُسْطُسَ يُغْرِيهِ بِهِ فَأَذِنَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ  
 وَوَقَعَ مَا تَلَاَهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَمْرِهِ وَأَفْتَرَقَ الْخَوَارِيزُ شَيْعًا وَدَخَلَ أَكْثَرُهُمْ بِلَادَ الرُّومِ  
 دَاعِينَ إِلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَكَانَ بِطَرُسُ كَبِيرُهُمْ فَتَزَلَّ بِرُومَةٍ دَارَ مَلِكِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ  
 كَتَبُوا الْإِنْجِيلَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي ثَلَاثِ أَرْبَعٍ عَلَى اخْتِلَافٍ  
 رَوَايَاتِهِمْ فَكَتَبَ مَتَّى إِنْجِيلَهُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَنَقَلَهُ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدِي  
 مِنْهُمْ إِلَى اللِّسَانِ الْأَلْبَنِيِّ وَكَتَبَ لَوْقَا مِنْهُمْ إِنْجِيلَهُ بِاللَّاتِينِيِّ إِلَى بَعْضِ أَكْبَادِ الرُّومِ  
 وَكَتَبَ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدِي مِنْهُمْ إِنْجِيلَهُ بِرُومَةٍ وَكَتَبَ بِطَرُسُ إِنْجِيلَهُ بِاللَّاتِينِيِّ وَنَسَبَهُ  
 إِلَى مَرْقَاصَ تَلْمِيذِهِ وَاخْتَلَفَتْ هَذِهِ النُّسخُ الْأَرْبَعُ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ كُلُّهَا  
 وَحْيًا صَرَفًا بَلْ مَشُوبَةٌ بِكَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِكَلَامِ الْخَوَارِيزِ وَكُلُّهَا مَوَاعِظُ  
 وَفِصَصٌ وَالْأَحْكَامُ فِيهَا قَلِيلَةٌ جَدًّا وَاجْتَمَعَ الْخَوَارِيزُ الرُّسُلُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ بِرُومَةٍ

وَوَضَعُوا قَوَانِينَ أَلْمَلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَصَيَّرُوها يَدَ أَقْلِيحَنْطُسَ تَلْمِيذِ بَطْرُسَ وَكَتَبُوا فِيهَا  
عَدَدَ الْكُتُبِ الَّتِي يَجِبُ قَبُولُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا مِنْ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ الْقَدِيمَةِ الثَّوَرَةِ وَهِيَ خَمْسَةُ  
أَسْفَارٍ وَكِتَابُ يَشُوعَ وَكِتَابُ الْقَضَاءِ وَكِتَابُ رَاعُوثَ وَكِتَابُ يَهُودَا وَأَسْفَارُ الْمُلُوكِ  
أَرْبَعَةٌ وَسِتْرُ بَنِيَامِينَ وَكُتُبُ الْمُقَابِيْنِ لِأَنَّ كِرْيُونَ ثَلَاثَةٌ وَكِتَابُ عَزْرَا الْإِمَامِ  
وَكِتَابُ أُوشِيرَ وَقِصَّةُ هَامَانَ وَكِتَابُ أَيُّوبَ الصَّدِيقِ وَزَامِيرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُتُبُ  
ابْنِهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةٌ وَنُبُوءَاتُ الْأَنْبِيَاءِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ سِتَّةٌ عَشَرَ وَكِتَابُ  
يَشُوعَ بْنِ شَارِيخَ وَزِيرِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ شَرِيعَةِ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَتَقَاتُ مِنْ  
الْحَوَارِيِّينَ نُسْخُ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعِ وَكُتُبُ الْقَتَالِيقُونَ سَبْعُ رِسَائِلَ وَتَامِنُهَا الْإِبْرِيكِسُ  
فِي قِصَصِ الرُّسُلِ وَكِتَابُ بُولُسَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ رِسَالَةً وَكِتَابُ أَقْلِيحَنْطُسَ وَبِهِ الْأَحْكَامُ  
وَكِتَابُ أَبُوغَالْمِيسَ فِيهِ رُؤْيَا يُوَحْنَا بْنِ زَبْدِي وَأَخْتَلَفَتْ شَأْنُ الْقِيَامَةِ فِي الْأَخْذِ  
بِهِذِهِ الشَّرِيعَةِ تَارَةً وَتَعْظِيمِ أَهْلِهَا ثُمَّ تَرْكُهَا أُخْرَى وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ وَالْبَغْيِ إِلَى  
أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ وَأَخَذَ بِهَا وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا وَكَانَ صَاحِبُ هَذَا الدَّرَجِ وَالْمَقِيمُ  
لِعِمْرَاسِيهِ بِسْمُوْنَهُ الْبَطْرِكُ وَهُوَ رَئِيسُ أَلْمَلَّةِ عِنْدَهُمْ وَخَلِيفَةُ الْمَسِيحِ فِيهِمْ يَبْعَثُ  
نُوبَاهُ وَخُلَفَاءَهُ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ النَّصْرَانِيَّةِ وَيُسَمُّوْنَهُ الْأَسْقَفُ أَيْ نَائِبَ الْبَطْرِكِ  
وَيُسَمُّونَ الْإِمَامَ الَّذِي يَقِيْمُ الصَّلَاةَ وَيُقْتَرِبُهُمْ فِي الدِّينِ بِالْقِسْيسِ وَيَسَوِّنُ الْمُقْطَعَ  
الَّذِي حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْخَلْقِ لِلْعِبَادَةِ بِالْأَرْهَابِ وَأَكْثَرُ خُلَاطِئِهِمْ فِي الصَّوَامِعِ وَكَانَ  
بَطْرُسُ الرُّسُولُ وَرَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ وَكَبِيرُ التَّلَامِيذِ بِرُومَةٍ يَقِيْمُ بِهَا دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى  
أَنْ قَتَلُوهُ يَدْرُونَ خَامِسُ الْقِيَامَةِ فِيمَنْ قَتَلَ مِنَ الْبَطَارِكِ وَالْأَسَاقِفَةِ ثُمَّ قَامَ بِخِلَافَتِهِ فِي  
كُرْنِي رُومَةٍ آريُّوسُ وَكَانَ مَرْفَاسُ الْإِنْجِيلِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ دَاعِيًا  
سَبْعَ سِنِينَ فَقَامَ بَعْدَهُ حَنَانِيَا وَتَسَمَّى بِالْبَطْرِكِ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَطَارِكَةِ فِيهَا وَجَعَلَ مَعَهُ  
اَلثَمْنِي عَشَرَ فِئَا عَلَى أَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْبَطْرِكُ يَكُونُ وَاحِدٌ مِنَ الْاَلثَمْنِي عَشَرَ مَكَانَهُ وَيَخْتَارُ  
مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدًا مَكَانَ ذَلِكَ الثَّانِي عَشَرَ فَكَانَ أَمْرُ الْبَطَارِكَةِ إِلَى الْقُسُوسِ ثُمَّ لَمَّا  
وَقَعَ الْإِخْلَافُ بَيْنَهُمْ فِي قَوَائِدِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِ وَاجْتَمَعُوا بِبَغْيَةٍ أَبَايَمَ قُسْطَنْطِينِ  
لِتَحْرِيرِ الْحَقِّ فِي الدِّينِ وَاتَّفَقَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَمَانِيَةٌ عَشَرَ مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ عَلَى رَأْيِ وَاحِدٍ فِي  
الدِّينِ فَكَتَبُوهُ وَسَمُّوهُ الْإِمَامَ وَصَيَّرُوهُ أَصْلًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ فِيمَا كَتَبُوهُ أَنَّ

الْبَطْرِكَ الْقَائِمَ بِالَّذِينَ لَا يُرْجَعُ فِي تَعْيِينِهِ إِلَى اخْتِيَارِ الْأَقْسَةِ كَمَا فَرَضَهُ حَتَانِيَا لَعَلَّ  
 مِرْقَاسَ وَأَبْطَلُوا ذَلِكَ الرَّأْيَ وَإِنَّمَا يُقَدَّمُ عَنْ بَلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ مِنْ أُنْمَةِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَرُؤُسَانِهِمْ فَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَقْرِيرِ قَوَاعِدِ الَّذِينَ وَكَانَتْ لَهُمْ  
 تَجَسُّمَاتٌ فِي تَقْرِيرِهِ وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ فَبَقِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ وَاتَّصَلَ  
 فِيهِمْ نِيَابَةُ الْأَسَافَةِ عَنِ الْبَطَارِكَةِ وَكَانَ الْأَسَافَةُ يَدْعُونَ الْبَطْرِكَ بِالْأَبِ أَيْضًا  
 تَعْظِيمًا لَهُ فَاشْتَبَهَ الْإِسْمُ فِي أَغْصَارِ مُتَطَاوِلَةٍ يُقَالُ آخِرُهَا بَطْرِكِيَّةٌ هَرَقَلَ بِاسْكَنْدَرِيَّةَ  
 فَأَرَادُوا أَنْ يُمَيِّزُوا الْبَطْرِكَ عَنِ الْأَقْسَبِ فِي التَّعْظِيمِ فَدَعَوْهُ الْآبَاءَ وَمَعْنَاهُ أَبُو الْآبَاءِ  
 وَظَهَرَ هَذَا الْإِسْمُ أَوَّلَ ظُهُورِهِ بِمِصْرَ عَلَى مَا زَعَمَ جِرْجِيسُ بْنُ الْعَمِيدِ فِي تَارِيخِهِ ثُمَّ  
 نَقَلُوهُ إِلَى صَاحِبِ الْكُرْسِيِّ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُمْ وَهُوَ كُرْسِيُّ بَطْرُسِ الرَّسُولِ كَمَا قَدَّمَاهُ  
 فَلَمْ يَزَلْ سِمَةً عَلَيْهِ حَتَّى الْآنَ ثُمَّ اخْتَلَفَتِ النَّصَارَى فِي دِينِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَفِيهَا يَتَقَدُّونَهُ  
 فِي الْمَسِيحِ وَصَارُوا طَوَائِفَ وَفِرَقًا وَاسْتَظْهَرُوا بِمُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ كُلِّ عَلَى صَاحِبِهِ  
 فَاخْتَلَفَ الْحَالُ فِي الْعُصُورِ فِي ظُهُورِ فِرْقَةٍ دُونَ فِرْقَةٍ إِلَى أَنْ اسْتَفْرَتَ لَهُمْ ثَلَاثُ  
 طَوَائِفَ فِي فِرْقَتِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى غَيْرِهَا وَهُمْ الْمَلِكِيَّةُ وَالْمَقْوِيَّةُ وَالنَّسْطُورِيَّةُ ثُمَّ  
 اخْتَصَّتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ بِبَطْرِكَ فَبَطْرِكَ رُومَةَ الْيَوْمِ الْمُسَمَّى بِالْآبَاءِ عَلَى رَأْيِ  
 الْمَلِكِيَّةِ وَرُومَةَ لِإِلْفَرَنْجِيَّةِ وَمَلِكُهُمْ قَائِمٌ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ وَبَطْرِكَ الْمُعَاهِدِينَ بِمِصْرَ  
 عَلَى رَأْيِ الْمَقْوِيَّةِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيَّهِمْ وَالْحَبْشَةَ يَدِينُونَ يَدِينُهُمْ وَبَطْرِكَ مِصْرَ  
 فِيهِمْ أَسَافَةُ يُنَبِّهُونَ عَنْهُ فِي إِقَامَةِ دِينِهِمْ هُنَاكَ وَاخْتَصَّ أَسْمُ الْآبَاءِ بِبَطْرِكَ رُومَةَ  
 لِهَذَا التَّهْدِ وَلَا تُسَمَّى الْيَمَانِيَّةُ بَطْرِكُهُمْ بِهَذَا الْإِسْمِ وَصَبَطُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ بِيَاءَ بَيْنَ مُوَحَّدَتَيْنِ  
 مِنْ أَسْفَلِ وَالنُّطْقِي بِهَا مُخْتَمَةٌ وَالثَّانِيَّةُ مُشَدَّدَةٌ وَمِنْ مَذَاهِبِ الْآبَاءِ عِنْدَ الْإِلْفَرَنْجِيَّةِ أَنَّهُ  
 يَحْفَظُهُمْ عَلَى الْإِتْقَانِ لِلْمَلِكِ وَاحِدٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ تَحَرُّجًا مِنْ  
 اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ وَيَتَحَرَّجُ بِهِ الْعَصِيَّةُ الَّتِي لَا فَوْقَهَا مِنْهُمْ لِتَكُونَ بَدُءَ عَالِيَةٍ عَلَى  
 جَمِيعِهِمْ وَيُسَمُّونَهُ الْإِلْفَرَنْجِيَّةَ وَحَرَفَتُهُ الْوَسْطِيَّانِ النَّالِ وَالظَّاءُ الْمُتَحَمِّتَيْنِ وَمَبَايِرُهُ  
 يَضَعُ النَّجَاحَ عَلَى رَأْسِهِ لِلتَّبَرُّكِ فَيُسَمَّى الْمَوْجُوعُ وَلَعَلَّهُ مَعْنَى لَفْظَةِ الْإِلْفَرَنْجِيَّةِ وَهَذَا



مُخَصَّنٌ مَا أَوْزَدَنَاهُ مِنْ مَرْحَ هَذَيْنِ الْإِسْتَعِينِ الَّذِينَ هُمَا أَلْبَابَا وَالْكُوهِنُ وَاللَّهُ يُضِلُّ  
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

## الفصل الرابع والثلاثون

في مراتب الملك والسلطان والقابها

إِغْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي نَفْسِهِ ضَعِيفٌ يُحْمَلُ أَمْرًا ثَقِيلًا فَلَا يَدُّ لَهُ مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ بِأَنْتَاءِ  
جَنْسِهِ وَإِذَا كَانَ يَسْتَعِينُ بِهِمْ فِي ضَرُورَةِ مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَهْنِهِ <sup>(١)</sup> فَمَا ظَنُّكَ بِسِيَاسَةِ نَوْعِهِ  
وَمَنْ أَسْتَرْعَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى حِمَايَةِ الْكَافَّةِ مِنْ عَدُوِّهِ بِالْمُدَافَعَةِ  
عَنْهُمْ وَإِلَى كَفِّ عَدُوَّانٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي أَنْفُسِهِمْ بِإِنْفَاءِ الْأَحْكَامِ الْوَارِثَةِ  
فِيهِمْ وَكَفِّ الْعَدُوَّانِ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِمْ بِإِصْلَاحِ سَائِلَتِهِمْ وَإِلَى حَمْلِهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ  
وَمَا تَعْمَهُمْ بِهِ الْبَلْوَى فِي مَعَاثِهِمْ وَمَعَامِلَاتِهِمْ مِنْ تَقْدِيرِ الْمَعَايِشِ وَالْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ  
حَذَرًا مِنَ التَّطْفِيفِ وَإِلَى النَّظَرِ فِي السَّيَكَّةِ بِحِفْظِ النُّقُودِ الَّتِي يَتَعَامَلُونَ بِهَا مِنَ الْفِشْرِ  
وَالِإِلَى سِيَاسَتِهِمْ بِمَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الْإِتْقَانِ لَهُ وَالرَّضَى بِمَقَاصِدِهِ مِنْهُمْ وَأَقْرَادِهِ  
بِالتَّجِدِّدِ دُونَهُمْ فَيَتَحَمَّلُ مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ الْغَايَةِ مِنْ مُعَانَاةِ الْقُلُوبِ فَالْبَعْضُ الْأَشْرَافُ  
مِنْ الْحُكَمَاءِ لِمُعَانَاةِ ثَقَلِ الْجِبَالِ مِنْ أَمَّا كَيْفَا أَهْوَى عَلَيَّ مِنْ مُعَانَاةِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ  
إِنَّ الْإِسْتِعَانَةَ إِذَا كَانَتْ بِأُولِي الْقُرْبَى مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ أَوْ الذَّرِيَةِ أَوْ الْأَصْطِنَاعِ  
الْقَدِيمِ لِلدَّوْلَةِ كَانَتْ أَكْمَلَ إِمَّا يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِنْ مُجَانَسَةِ خَلْقِهِمْ لِخَلْقِهِ فَنَتَمُّ الْمُسَاكَلَةِ  
فِي الْإِسْتِعَانَةِ قَالَ تَعَالَى وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَوْزَرِي  
وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ بِسَيْفِهِ أَوْ قَلَمِهِ أَوْ رَأْيِهِ أَوْ مَعَارِفِهِ  
أَوْ مُجَابَاةِ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَزِدَّ حِمْلًا عَلَيْهِ فَيُشْغَلُوهُ عَنِ النَّظَرِ فِي مُهْمَاتِهِمْ أَوْ يَدْفَعُ النَّظَرَ  
فِي الْمَلِكِ كُلِّهِ وَيَعُولَ عَلَى كِفَايَتِهِ فِي ذَلِكَ وَاضْطِلَاعِهِ فَلِلَّذَلِكَ قَدْ تَوَجَّدُ فِي رَجُلٍ  
وَاحِدٍ وَقَدْ تَفَرَّقُ فِي أَشْخَاصٍ وَقَدْ يَتَفَرَّعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ كَالْقَلَمِ  
يَتَفَرَّعُ إِلَى قَلَمِ الرِّسَالِ وَالنَّخَاطَاتِ وَقَلَمِ الصُّكُوكِ وَالْإِفْطَاعَاتِ وَإِلَى قَلَمِ الْحِمَايَةِ  
وَهُوَ صَاحِبُ الْجَبَايَةِ وَالْعَطَاءِ وَدِيَوَانِ الْخَيْسِ وَكَالسَيْفِ يَتَفَرَّعُ إِلَى صَاحِبِ الْحَرْبِ

وَصَاحِبِ الشَّرِطَةِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ وَوَلَايَةِ الثُّغُورِ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْوُظَائِفَ السُّلْطَانِيَّةَ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ الْأِسْلَامِيَّةِ مُنْدرِجَةٌ تَحْتَ الْخِلَافَةِ لِاحْتِمَالِ مَنَصِبِ الْخِلَافَةِ عَلَى الدِّينِ وَالْأَنْبِيَاءِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ قَالَا أَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِجَمِيعِهَا وَمَوْجُودَةٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فِي سَائِرِ وُجُوهِهَا لِمُؤَمَّرِهَا تَعْلَقُ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالْفَقِيهَ يَنْظُرُ فِي مَرْتَبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَتَرْوِطُ تَقْلِيدَهَا اسْتِنْدَادًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَهُوَ مَعْنَى السُّلْطَانِ أَوْ تَعْوِضًا مِنْهَا وَهُوَ مَعْنَى الْوِزَارَةِ عِنْدَهُمْ كَمَا بَيَّانِي فِي نَظَرِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأُمُورِ وَسَائِرِ السِّيَاسَاتِ مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا وَفِي مُوجِبَاتِ الْعَزْلِ إِنْ عَرَضَتْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَكَذَا فِي سَائِرِ الْوُظَائِفِ الَّتِي تَحْتَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ وَزَارَةٍ أَوْ حِجَابِيَّةٍ أَوْ وِلَايَةٍ لَا بُدَّ لِلْفَقِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ كَمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ أَنْسَحَابِ حُكْمِ الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْمِلَّةِ الْأِسْلَامِيَّةِ عَلَى رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنْ كَلَّمْنَا فِي وُظَائِفِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَرُتْبَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِمُقْتَضَى طَبِيعَةِ الْعُمَرَانِ وَوُجُودِ الْبَشَرِ لَا يَمَّا يَخْصُفُهَا مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا كَمَا عَلِمْتَ فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ مَعَ أَنَّهَا مُسْتَوْفَاةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ مِثْلِ كِتَابِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ الْبَاوَزْدِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْلَامِ الْفُقَهَاءِ فَإِنْ أَرَدْتَ اسْتِنْفَاءَهَا عَنْكَ بِمُطَالَعَتِهَا هُنَاكَ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي الْوُظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَأَفْرَدْنَاهَا لِنُمِيزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوُظَائِفِ السُّلْطَانِيَّةِ فَقَطَّ لَا لِتَحْقِيقِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا وَإِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ بِمَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ فِي الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ وَاللَّهُ الْمَوْفِيُّ

الوزارة \* وهي أُمُّ الْخَطَطِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرَّتَبِ الْمُلُوكِيَّةِ لِأَنَّ اسْمَهَا يَدُلُّ عَلَى مُطْلَقِ الْإِعَانَةِ فَإِنَّ الْوِزَارَةَ مَا خُوذَةُ إِمَّا مِنَ الْمُوَازَرَةِ وَهِيَ الْعُمَاوَنَةُ أَوْ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ الثَّقَلُ كَأَنَّهُ يُحْمَلُ مَعَ مَقَاعِلِهِ أَوْ زَارُهُ وَانْقَالَهُ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْعُمَاوَنَةِ الْمُطْلَقَةِ وَقَدْ كُنَّا قَدْ مَنَاهُ فِي أَوَّلِ الْقَصْرِ أَنَّ أَحْوَالَ السُّلْطَانِ وَتَصَرُّفَاتِهِ لَا تَعْدُو أَرْبَعَةً لِأَنَّهَا إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ حِمَايَةِ الْكَافَّةِ وَأَسْبَابِهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجِدِّ وَالسِّلَاحِ وَالْحُرُوبِ وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ الْوَزِيرُ الْمُتَعَارَفُ فِي النُّوَلِ الْقَدِيمَةِ بِالْمَشْرِقِ وَلِهَذَا الْقَهْدُ بِالْمَغْرِبِ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ مَخَاطَبَاتِهِ لِنَبِّدَ عَنْهُ فِي

أُمُور حَيَاةِ الْمَالِ وَإِنْفَاكِهِ وَضَبْطُ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ وَجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ بِمَضْبَطَةٍ وَصَاحِبُ  
هَذَا هُوَ صَاحِبُ الْمَالِ وَالْحَيَاةِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْوَزِيرِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ وَإِمَا أَنْ  
يَكُونَ فِي مُدَافَعَةِ النَّاسِ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْهُ أَنْ يَزِدَّحُوا عَلَيْهِ فَيُشْغَلُوا عَنْ فَهْمِهِ وَهَذَا  
رَاجِعٌ لِصَاحِبِ الْبَابِ الَّذِي يَحْتَجُّهُ فَلَا تَعْدُو أحوَالُهُ هَذِهِ إِلَّا أَرْبَعَةً بِوَجْهِهِ وَكُلُّ خَطِيئَةٍ  
أَوْ رُتْبَةٍ مِنْ رُتْبِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فَإِلَيْهَا يَرْجِعُ إِلَّا أَنْ الْأَرْقِعَ مِنْهَا مَا كَانَتْ الْأَعَانَةُ  
فِيهِ عَامَّةً فَمَا تَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ مِنْ ذَلِكَ الصَّنِفِ إِذْ هُوَ يَقْتَضِي مُبَاشَرَةَ السُّلْطَانِ دَائِمًا  
وَمُشَارَكَتَهُ فِي كُلِّ صَنْفٍ مِنْ أحوَالِ مُلْكِهِ وَأَمَّا مَا كَانَ خَاصًّا بِبَعْضِ النَّاسِ أَوْ  
بِبَعْضِ الْجِهَاتِ فَيَكُونُ دُونَ الرُّتْبَةِ الْأُخْرَى كَقِيَادَةِ ثَغَرٍ أَوْ وِلَايَةِ حَيَاةٍ خَاصَّةٍ أَوْ  
النَّظَرِ فِي أَمْرِ خَاصٍّ كَحِسْبَةِ الطُّعَامِ أَوْ النَّظَرِ فِي السِّبْكِ فَإِنْ هَذِهِ كُلُّهَا نَظَرٌ فِي  
أحوَالٍ خَاصَّةٍ فَيَكُونُ صَاحِبُهَا بَعْدَ لَاهِلِ النَّظَرِ الْعَامِ وَتَكُونُ رُتْبَتُهُ مَرْدُوسَةً لِأُولَئِكَ  
وَمَا زَالَ الْأَمْرُ فِي الدُّوَلِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مَكْنَزًا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ وَصَارَ الْأَمْرُ خِلَافَةً  
فَقَدِمَتْ تِلْكَ الْأَخْطَاطُ كُلُّهَا بِذِهَابِ رَسْمِ الْمَلِكِ إِلَى مَا هُوَ طَبِيعِيٌّ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ بِالرَّأْيِ  
وَالْمُفَاوَضَةِ فِيهِ فَلَمْ يُعْمَكِنْ زَوَالُهُ إِذْ هُوَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ وَيَفَاوِضُهُمْ فِي مَهْمَاتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَيَخُصُّ مَعَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ  
بِمُفْصَلَاتٍ أُخْرَى حَتَّى كَانَ الْعَرَبُ الَّذِينَ عَرَفُوا الدُّوَلِ وَأحوَالَهَا فِي كُسْرَى وَقِصْرَ  
وَالنَّجَاشِيِّ يُسَمُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَزِيرَهُ وَلَمْ يَكُنْ لِقَظُ الْوَزِيرِ يُعْرَفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْعِلَاقِ  
رُتْبَةُ الْمَلِكِ بِسُلْجَةِ الْإِسْلَامِ وَكَذَا عُمَرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانُ مَعَ عُمَرَ وَأَمَّا  
حَالُ الْحَيَاةِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْحِسْبَانِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بَرْتِنَةٌ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا عَرَبًا أَمِيَّةِينَ  
لَا يُحْسِنُونَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ فَكَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ فِي الْحِسَابِ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ أَفْرَادًا  
مِنْ مَوَالِي الْجَعْمِ مِنْ يَمِينِهِ وَكَانَ قَلِيلًا فِيهِمْ وَأَمَّا أَشْرَافُهُمْ فَلَمْ يَكُونُوا يُعِيدُونَهُ  
لِأَنَّ الْأَمِيَّةَ كَانَتْ صِفَتُهُمُ الَّتِي أَمْتَازُوا بِهَا وَكَذَا حَالُ التَّخَطُّبَاتِ وَتَنْفِيدِ الْأُمُورِ لَمْ  
تَكُنْ عِنْدَهُمْ رُتْبَةٌ خَاصَّةٌ لِلْأَمِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَالْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ فِي كِتْمَانِ الْقَوْلِ  
وَتَأْدِيَتِهِ وَلَمْ تَفْرُجِ السِّيَاسَةَ إِلَى اخْتِبَارِهِ لِأَنَّ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا هِيَ دِينٌ لَيْسَتْ مِنَ السِّيَاسَةِ  
الْمُلْكِيَّةِ فِي شَيْءٍ وَأَيْضًا فَلَمْ تَكُنْ الْكِتَابَةُ صِنَاعَةً فَيُسْتَجَادُ لِعِلْمِهَا أَحْسَنُهَا لِأَنَّ  
الْكُلَّ كَانُوا يُعْبِرُونَ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ بِالْبَلْغِ الْعِبَارَاتِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَخْطَاطُ فَكَانَ الْخَلِيفَةُ

يَسْتَنْدِبُ فِي كِتَابِهِ مَتَى عَنْ لَهُ مَنْ يُخْسِنُهُ وَأَمَّا مُدَانَعَةُ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْ أَبَوَاهِمَا  
فَكَانَ حَتَّوْرًا بِالشَّرِيعَةِ فَلَمْ يَقَعُوا فَلَمَّا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَجَاءَتْ رُسُومُ  
السُّلْطَانِ وَالْقَابِ كَانِ أَوَّلُ شَيْءٍ بَدِئَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ شَأْنُ الْبَابِ وَسَدُّ دُونِ الْمَجُورِ بِمَا  
كَانُوا يَخْشَوْنَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ اغْتِيَالِ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ كَمَا وَقَعَ بِعُمَرَ وَعَلِيٍّ وَمُعاوِيَةَ  
وَعُمَرَ بْنِ الْعَاصِ وَغَيْرِهِمْ مَعَ مَا فِي فَتْحِهِ مِنْ أَرْذِ حَامِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ وَشُعْلَاهُمْ بِهِمْ عَنْ  
الْمِهْمَاتِ فَأَتَقَدَّوْا مِنْ يَقُومُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَسَمَوْهُ الْحَاجِبَ وَقَدْ جَاءَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا  
وَلَّى حَاجِبُهُ قَالَ لَهُ قَدْ وَلَيْتُكَ حَاجِبًا بَابِي إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةِ الدُّوَرِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعِي  
اللَّهِ وَصَاحِبُ الْبَرِّ يَدُ فَرَّ مَا جَاءَ بِهِ وَصَاحِبُ الطَّعَامِ إِثْمًا يَفْسُدُ ثُمَّ اسْتَفْجَلَ الْمَلِكُ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَظَاهَرَ الْمَشَاوِرَ وَالْعَيْنِ فِي أُمُورِ الْقَبَائِلِ وَالنَّصَائِبِ وَاسْتِنْلَاهُمُ وَاطْلَقَ عَلَيْهِ أَمْنُ  
الْوَزِيرِ وَبَنَى أَمْرَ الْحِسْبَانِ فِي الْمَوَالِي وَالذَّمِينِ وَاتَّخَذَ لِلتَّجَلَّاتِ كَاتِبَ مَخْصُوصٍ  
حَوْطَةً عَلَى أَمْرَارِ السُّلْطَانِ أَنْ تَشْتَهَرَ فَتَفْسُدَ سِيَاسَتُهُ مَعَ قَوْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِهِ ثَابِتَةٌ  
الْوَزِيرِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَحْتِيجَ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْخَطُ وَالْكِتَابُ لَا مِنْ حَيْثُ اللِّسَانُ الَّذِي هُوَ  
الْكَلَامُ إِذِ اللِّسَانُ لِلذِّكْرِ الْعَهْدِ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَفْسُدْ فَكَانَتْ أَوْزَارُهُ لَذَلِكَ أَرْزَقَ رُتَبَهُمْ  
يَوْمَئِذٍ فِي سَائِرِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ نَكَانَ النَّظَرُ لِلْوَزِيرِ عَامًا فِي أَحْوَالِ التَّنْذِيرِ وَالْمَنَاوِضَاتِ  
وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَاتِ وَالطَّلَابَاتِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ النَّظَرِ فِي دِيَوَانِ الْجُنْدِ وَفَرْضِ الْعَطَاةِ  
بِالْأَهْلِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَاسْتَفْجَلَ الْمَلِكُ وَعَظَّمَتْ مَرَاتِبُهُ  
وَأَزْدَفَعَتْ وَعَظَّمَ شَأْنُ الْوَزِيرِ وَصَارَتْ إِلَيْهِ الْبَابَةُ فِي إِنْقَازِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ تَعَيَّنَتْ مَرَاتِبُهُ  
فِي الدَّوْلَةِ وَعَنْتَ لَهَا الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهَا الرِّقَابُ وَجُعِلَ لَهَا النَّظَرُ فِي دِيَوَانِ الْحِسْبَانِ  
لَمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ خِطَّتُهُ مِنْ قِسْمِ الْأَعْطِيَاةِ فِي الْجُنْدِ فَاحْتَاجَ إِلَى النَّظَرِ فِي جَمْعِهِ وَتَقْرِيقِهِ  
وَأُضِفَتْ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِيهِ ثُمَّ جُعِلَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْقَلَمِ وَالتَّزْمِيلِ لِصَوْنِ أَمْرَارِ السُّلْطَانِ  
وَلِحِفْظِ الْبَلَاغَةِ لِمَا كَانَ اللِّسَانُ قَدْ فَسَدَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَجُعِلَ الْخَاتَمُ لِسَجَلَاتِ السُّلْطَانِ  
لِيَحْفَظَهَا مِنَ الذَّفَاعِ وَالشَّيَاعِ وَدَفِعَ إِلَيْهِ فَصَارَ أَمْرُ الْوَزِيرِ جَامِعًا لِحَفْظِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ  
وَسَائِرِ مَتَانِي أَوْزَارِهِ وَالْمُعَاوَنَةِ حَتَّى لَقِيَ دُعَى جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِالسُّلْطَانِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ  
إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ نَظَرِهِ وَتِكَايِهِ بِالدَّوْلَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ مِنَ الرُّتَبِ السُّلْطَانِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
الْحَاجِبَةُ الَّتِي فِي الْقِيَامِ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ لَاسْتِنْسَافِهِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ فِي

الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاون فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان  
أخرى وصار الوزير إذا استبد محتاجا إلى استنابة الخليفة إياه لذلك ليصح الأحكام  
الشرعية وتجي على حالها كما تقدمت فاقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ وهي  
حال ما يكون السلطان قائما على نفسه وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير  
مستديرا عليه ثم استمر الاستبداد وصار الأمر لملوك النجم وتعطل رتب اختلاف ولم  
يكن لأولئك المتغلبين أن يتسلطوا القاب خلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء  
في القاب لأنهم خول لهم ففسدوا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى  
أمير الأمراء أو بالسلطان إلى ما يحليه به الخليفة من ألقاب كما تراه في ألقابهم  
وتروكوا اسم الوزارة إلى من يتولاهم للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى  
آخر دولتهم وقد ألسن خلال ذلك كله وصارت صناعة يتحملها بعض الناس  
فأمهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولأنهم عجم وليست تلك البلاغة في المقصودة من  
لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات واخضعت به وصارت خادمة للوزير واخضعت  
اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع إليها ويده مع ذلك عالية على أهل  
الرتب وأمره نافذ في الكل إما نيابة أو استبدادا واستمر الأمر على هذا ثم جاءت  
دولة الترك آخرًا بمصر قروا أن الوزارة قد ابتدلت يترفع أولئك عنها ودفعها لمن  
يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصارت مروسة نافصة  
فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب  
الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب في  
مدلوله واخضعت اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية وأما دولة بني أمية بالاندلس  
فأقبلوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم فسدوا خطته أضاقا وأفردوا لكل  
صنف وزيرًا جعلوا الحسبان المال وزيرًا والتزويل وزيرًا والنظر في حوائج المتغلبين  
وزيرًا والنظر في أحوال أهل الثغور وزيرًا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش  
منصدة لهم ويبتدون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفرد للتدبير بينهم وبين  
الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم ببشارة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن

مَجَالِسِهِمْ وَخَصَّوهُ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ هَذَا إِلَى آخِرِ دَوْلَتِهِمْ فَأَرْزَقَتْ خِطَّةُ  
 الْحَاجِبِ وَمَرْبَتُهُ عَلَى سَائِرِ الرُّبُوبِ حَتَّى صَارَ مُلُوكُ الطُّوَائِفِ يَتَحَلَّلُونَ لِقَبَائِلِهِمْ فَأَكْثَرُهُمْ  
 يَوْمئِذٍ يُسَمَّى الْحَاجِبَ كَمَا نَذَرْنَاهُ ثُمَّ جَاءَتْ دَوْلَةُ الشَّيْخَةِ بِأَفْرِيقَةِ وَالْقَيْرَوَانِ وَكَانَ  
 لِلْقَائِمِينَ بِهَا رُسُوحٌ فِي الْبِدَاوَةِ فَأَغْفَلُوا أَمْرَ هَذِهِ الْخِطِطِ أَوَّلًا وَتَفَقَّحُوا أَسْمَاءَهَا كَمَا  
 تَرَاهُ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهِمْ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَغْفَلَتْ الْأَمْرَ  
 أَوَّلًا لِلْبِدَاوَةِ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى اتِّحَالِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ وَكَانَ اسْمُ الْوَزِيرِ فِي مَدْلُولِهِ ثُمَّ  
 اتَّبَعُوا دَوْلَةَ الْأُمُويِّينَ وَقَلَّدُوها فِي مَذَاهِبِ السُّلْطَانِ وَأَخْتَارُوا اسْمَ الْوَزِيرِ لِمَنْ  
 يَحْجُبُ السُّلْطَانِ فِي مَجْلِسِهِ وَيَقِفُ بِالْوُقُودِ وَالِدَاحِلِينَ عَلَى السُّلْطَانِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي تَحْيِيهِمْ  
 وَخِطَابِهِمْ وَالْآدَابِ الَّتِي تَلْزَمُ فِي الْكُفُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَفَعُوا خِطَّةَ الْحَاجِبَةِ عَنْهُ مَا  
 شَاءُوا وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَيَسْتَوْنَ  
 هَذَا الَّذِي يَقِفُ بِالنَّاسِ عَلَى حُدُودِ الْآدَابِ فِي الْإِلْقَاءِ وَالنَّجِيَّةِ فِي مَجَالِسِ السُّلْطَانِ  
 وَالتَّقَدُّمِ بِالْوُقُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ الدُّيُودَارِ وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ اسْتِجَابَ كَاتِبِ السِّرِّ وَأَهْجَابِ  
 الْبَرِيدِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي حَاجَاتِ السُّلْطَانِ بِالْقَاصِيَةِ وَبِالْحَافِزَةِ وَحَالِهِمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُوَلِّي الْأُمُورِ لِمَنْ يَشَاءُ

(الحجابه) \* قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْقَبَّ كَانَ مَخْصُوصًا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ  
 وَالْعَبَّاسِيَّةِ يَمْنَحُ الْحَاجِبُ السُّلْطَانِ عَنِ الْعَامَّةِ وَيُغْلِقُ بَابَهُ دُونَهُمْ أَوْ يَفْتَحُهُ لَهُمْ عَلَى  
 قَدَرِهِ فِي مَوَاقِيْتِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ مُنْزَلَةً يَوْمًا عَنِ الْخِطِطِ مَرْوُوسَةً لَهَا إِذَا الْوَزِيرُ مُتَصَرِّفٌ  
 فِيهَا بِمَا يَرَاهُ وَهَكَذَا كَانَتْ سَائِرُ أَهْلَامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى هَذَا الْعَهْدِ فَيَعْبُرُ مَرْوُوسَةً  
 لِصَاحِبِ الْخِطَّةِ الْعَلِيَّ الْمَسْعُومِ بِالْأَنْبَابِ \* وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ  
 الْحَاجِبَةُ لِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانِ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَيَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُزَرَاءِ  
 قَمَنَ دُونَهُمْ فَكَانَتْ فِي دَوْلَتِهِمْ رَنْجِيَّةً غَائِبَةً كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِهِمْ كَتَبَنَ حَدِيدَ وَغَيْرِهِ  
 مِنْ مَجَابِيهِمْ ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْأَسْتِغْدَادُ عَلَى الدَّوْلَةِ اخْتَصَّ الْمُسْتَبْدُ بِأَسْمِ الْحَاجِبَةِ لِشَرْفِهَا  
 فَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنَاؤُهُ كَذَلِكَ وَلَمَّا بَدَّوْا فِي مَظَاهِيرِ الْمُلْكِ وَأَطْوَارِهِ  
 جَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ فَلَمْ يَتَرَكُوا لِقَبَائِلِهِمْ وَكَانُوا يَسْتَرْفَعُونَ عَنْهُمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ  
 مُلْكًا بَعْدَ اتِّحَالِ الْأَلْقَابِ وَالْمُلْكِ وَأَسْمَائِهِ لِأَبْدَلِهِ مِنْ ذِكْرِ الْحَاجِبِ وَذِي الْوِزَارَتَيْنِ

يَعْنُونَ بِهِ السِّفَ وَالْقَلَمَ وَيَدُلُّونَ بِالْحِجَابَةِ عَلَى حِجَابَةِ السُّلْطَانِ عَنِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ  
وَيَذِي الْوِزَارَتَيْنِ عَنْ جَمْعِهِ لِحِطَّتِي السِّفَ وَالْقَلَمَ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِي دَوْلِ الْمَغْرِبِ  
وَأَفْرِيقَةِ ذِكْرٍ لِهَذَا الْأَسْمِ لِلدَّوَاةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَرُبَّمَا يُوْجَدُ فِي دَوْلَةِ الْقَيْدِيَيْنِ  
يَمِصْرَ عِنْدَ اسْتِعْظَامِهَا وَحَضَارَتِهَا إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ لَمْ  
تَسْتَمْكِنْ فِيهَا الْخِصَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى اتِّجَالِ الْأَلْقَابِ وَتَمْيِيزِ الْخِطَطِ وَتَعْيِينِهَا بِالْأَسْمَاءِ  
إِلَّا آخِرًا فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الرُّتَبِ إِلَّا الْوِزِيرُ فَكَانُوا أَوَّلًا يَخْصُونَ بِهَذَا الْأَسْمِ  
الْكَاتِبَ الْمُتَصَرِّفَ الْمُشَارِكَ لِلسُّلْطَانِ فِي خَاصِّ أَمْرِهِ كَابْنِ عَطِيَّةٍ وَعَبْدِ السَّلَامِ  
الْكُوفِيِّ وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْحِسَابِ وَالْإِشْغَالِ الْمَالِيَّةِ ثُمَّ صَارَ بَعْدَ ذَلِكَ  
أَسْمُ الْوِزِيرِ لِأَهْلِ نَسَبِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمُوحِدِينَ كَابْنِ جَالِمٍ وَعَبْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ أَسْمُ  
الْحَاجِبِ مَعْرُوفًا فِي دَوْلَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ \* وَأَمَّا بُوْأَيُّ حَنْضَلٍ بِأَفْرِيقَةِ فَكَانَتْ الرِّئَاسَةُ  
فِي دَوْلَتِهِمْ أَوَّلًا وَالتَّقْدِمُ لِوِزِيرٍ وَالرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ وَكَانَ يَخْصُ بِاسْمِ شَيْخِ الْمُوحِدِينَ  
وَكَانَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْوِلَايَاتِ وَالْعَزَلُ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ وَالْمُحْرُوبِ وَأَخْصَصَ الْحِسْبَانُ  
وَالدَّيُونَ بِرُبِّيَّةٍ أُخْرَى وَبُسْمَى مُتَوَلِّيَهَا بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ يَنْظُرُ فِيهَا النَّظَرَ الْمُطْلَقَ فِي  
الدَّخْلِ وَالخُرُجِ وَيَحَاسِبُ وَيَسْتَخْلَصُ الْأَمْوَالَ وَيُعَاقِبُ عَلَى التَّفْرِيطِ وَكَانَ مِنْ شَرْطِهِ  
أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُوحِدِينَ وَأَخْصَصَ عِنْدَهُمُ الْقَلَمَ أَيْضًا بِمَنْ يُجِدُ التَّرْسِيلَ وَيُؤَمِّنُ  
عَلَى الْأَمْوَالِ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ مُنْتَحَلِ الْقَوْمِ وَلَا التَّرْسِيلَ بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ  
يُشْتَرَطْ فِيهِ النَّسَبُ وَاجْتَبَا السُّلْطَانُ لِاتِّسَاعِ مُلْكِهِ وَكَثْرَةِ الْمُتَرَفِّعِينَ بِدَارِهِ إِلَى  
قَهْرْمَانٍ خَاصٍّ بِدَارِهِ فِي أَحْوَالِهِ يُعْجِرُهَا عَلَى قَدَرِهَا وَتَرْتَّبُهَا مِنْ رِزْقٍ وَعَطَاةٍ وَكُفُورَةٍ  
وَنَفَقَةٍ فِي الْمَطَابَخِ وَالْإِصْطِبَلَاتِ وَغَيْرِهَا وَحَصَرَ الدُّخِيرَةَ وَتَنْفِيزَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْجَبَايَةِ فَخَصَّوهُ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ وَرُبَّمَا أَضَافُوا إِلَيْهِ كِتَابَةَ الْعَلَامَةِ عَلَى  
السَّيْلَاتِ إِذَا اتَّفَقَ أَنَّهُ يُحْسِنُ صِنَاعَةَ الْكِتَابَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوهُ خُزَيْنَةً وَسَمَّرَ الْأَمْرَ عَلَى  
ذَلِكَ وَحَبَّبَ السُّلْطَانُ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ فَصَارَ هَذَا الْحَاجِبُ وَاسِطَةً بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَهْلِ  
الرُّتَبِ كُلِّهِمْ ثُمَّ جَمَعَ لَهُ آخِرُ الدَّوْلَةِ السِّفَ وَالْحَرْبَ ثُمَّ الرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ فَصَارَتْ الْحِطَّةُ  
أَرْزَقَ الرُّتَبِ وَأَوْعَبَهَا لِلخَطِّ ثُمَّ جَاءَ الْأَسْتِيفَادُ وَالْحَجَرُ مَدَّةً مِنْ بَعْدِ السُّلْطَانِ الثَّانِي عَشَرَ  
مِنْهُمْ ثُمَّ اسْتَبَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَفِيدُهُ السُّلْطَانُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَذْهَبَ آثارُ الْحَجَرِ

وَالْأَسْبَدَارُ بِإِذْهَابِ خِطَّةِ الْحِجَابَةِ الَّتِي كَانَتْ سُلَامًا إِلَيْهِ وَبَاشَرًا أُمُورَهُ كُلَّهَا بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ  
اِسْتِعَانَةٍ بِأَحَدٍ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ

وَأَمَّا دَوْلَةُ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَعْظَمُهَا دَوْلَةُ بَنِي مُرَيْنَ فَلَا أَثَرَ لِأَسْمِ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا رِثَاسَةُ الْحَرْبِ وَالْعَسَاكِرُ فَعِنْدَ الْوَزِيرِ وَرُتَبَةُ الْقَلَمِ فِي الْحِسْبَانِ وَالرِّسَالِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى مَنْ يُخَيِّنُهَا مِنْ أَهْلِهَا وَإِنْ اخْتَصَّتْ بَعْضُ الْيُوزِ الْمُصْطَفِيِّينَ فِي دَوْلَتِهِمْ وَقَدْ  
تَجَمَّعَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ تَفَرَّقَ وَأَمَّا بَابُ السُّلْطَانِ وَحُجَّتُهُ عَنِ الْعَامَةِ فَعِنْدَ رُتَبَةِ عِنْدَهُمْ فَيَسَّرُ  
صَاحِبُهَا عِنْدَهُمْ بِالْمَرْوَارِ وَمَعْنَاهُ الْمَقْدَمُ عَلَى الْجَنَادَةِ الْمُتَصَرِّفِينَ بِبَابِ السُّلْطَانِ فِي  
تَنْفِيزِ أَوْامِرِهِ وَتَصْرِيفِ عُقُوبَاتِهِ وَإِنْ زَالَ سَطْوَانُهُ وَحَفِظَ الْمُعْتَقَلِينَ فِي سَجُونِهِ وَالْعَرِيفُ  
عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ فَالْبَابُ لَهُ وَأَخَذَ النَّاسُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي دَارِ الْعَامَةِ رَاجِعٌ  
إِلَيْهِ فَكَاتِبُهَا وَزَارَةُ صُغْرَى. وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فَلَا أَثَرَ عِنْدَهُمْ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ  
الْأَلْقَابِ وَلَا تَمَيِّزُ الْخِطَطِ لِبِدَاوَةِ دَوْلَتِهِمْ وَقُصُورِهَا وَإِنَّمَا يَخْصُونَ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ فِي  
بَعْضِ الْأَحْوَالِ مُنْقَذَ الْخَاصِّ بِالسُّلْطَانِ فِي دَارِهِ كَمَا كَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ وَقَدْ  
يَجْمَعُونَ لَهُ الْحِسْبَانِ وَاسْتَجِلَّ كَمَا كَانَ فِيهَا حَمَلُهُ عَلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الدَّوْلَةِ بِمَا كَانُوا فِي  
نَبْعَتِهَا وَقَالَمِينَ بِدَعْوَتِهَا مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَالْمَخْصُوصُ عِنْدَهُمْ بِالْحِسْبَانِ وَتَنْفِيزُ حَالِ السُّلْطَانِ  
وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْمَالِيَةِ يُسَمُّونَهُ بِالْوَكِيلِ وَأَمَّا الْوَزِيرُ فَكَالْوَزِيرِ إِلَّا أَنَّهُ يُجْمَعُ لَهُ التَّرْسِيلُ  
وَالسُّلْطَانُ عِنْدَهُمْ يَضَعُ خِطَّةً عَلَى السَّيْلَاتِ كُلِّهَا فَلَيْسَ هُنَاكَ خِطَّةُ الْعَامَةِ كَمَا لِيَاغِيهِمْ مِنَ الدُّوَلِ  
وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ بِمِصْرَ فَاسْمُ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ مَوْضِعُ الْحَاكِمِ مِنْ أَهْلِ الشُّوْكَةِ وَهُمْ التُّرْكُ  
يُنْفِذُ الْأَحْكَامَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ وَهُمْ مُتَعَدِّدُونَ وَهَذِهِ الْوُظَيْفَةُ عِنْدَهُمْ نَمَتْ وَظِلْفَةُ  
النِّيَابَةِ الَّتِي لَهَا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَفِي الْعَامَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلِلنَّائِبِ النُّوْلِيَّةُ وَالْعَزْلُ  
فِي بَعْضِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْأَحْبَانِ وَيَقْطَعُ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَيَتِمُّهَا وَتَنْفِذُ أَوْامِرُهُ  
كَمَا تَنْفِذُ الْمَرَاسِمَ السُّلْطَانِيَّةَ وَكَانَ لَهُ النِّيَابَةُ الْمُطْلَقَةُ عَنِ السُّلْطَانِ وَالْحُجَابُ الْحُكْمُ فَقَطْ  
فِي طَبَقَاتِ الْعَامَةِ وَالْجُنْدِ عِنْدَ التَّرَافُعِ إِلَيْهِمْ وَإِجْبَارِ مَنْ أَبَى الْإِتْقَادَ لِلْحُكْمِ وَطَوْرُهُمْ  
نَمَتْ طَوْرَ النِّيَابَةِ وَالْوَزِيرُ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ هُوَ صَاحِبُ جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ عَلَى  
أَخْلَافِ أَصْنَافِهَا مِنْ خَرَاجٍ أَوْ مَكْسٍ أَوْ جَزْيَةٍ ثُمَّ فِي تَصْرِيفِهَا فِي الْأَتَقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ



أَوْ الْحَرَائِثِ الْمُقَدَّرَةِ وَلَمْ مَعَ ذَلِكَ التَّوَلُّيَّةُ وَالْعَزْلُ فِي سَائِرِ الْعُمَالِ الْمُبَايَرِينَ لَهُمْ  
الْحَيَاةِ وَالْتَفِيدِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَتَبَايُنِ أَصْنَافِهِمْ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَكُونُ هَذَا  
الْوَزِيرُ مِنْ صِنْفِ الْقَبِيضِ الْقَائِمِينَ عَلَى دِيْوَانِ الْحِسَابِ وَالْحَيَاةِ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ فِي  
مِصْرٍ مِنْذُ عُسُورٍ قَدِيمَةٍ وَقَدْ بُوْلِيَهَا السُّلْطَانُ بَعْضُ الْأَحْيَانِ لِأَهْلِ الشُّوْكَةِ مِنْ رِجَالَاتِ  
الْثَّرِكَةِ أَوْ أَبْنَاءِهِمْ عَلَى حَسَبِ الدَّاعِيَةِ لِلْثَّرِكَةِ وَاللَّهُ مُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَمِصْرُهُمْ بِحِكْمَتِهِ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### ديوان الاعمال والحيات

إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مِنَ الْوُظَائِفِ الصَّرُورِيَّةِ لِلْمَلِكِ وَهِيَ الْقِيَامُ عَلَى أَعْمَالِ  
الْحَيَاةِ وَحِفْظِ حَقُوقِ الدَّوْلَةِ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَإِحْصَاءِ الْعَسَاكِرِ بِأَمْنَانِهِمْ وَتَقْدِيرِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَصَرْفِ أَعْطِيَايِهِمْ فِي إِبَاتَانِهَا وَالرُّجُوعِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَوَائِنِ الَّتِي يَرْتَبِهَا قَوْمَةُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَقَهَارَةِ الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا مَسْطُورَةٌ فِي كِتَابٍ شَاهِدٍ بِتَفَاصِيلِ ذَلِكَ فِي  
الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ مَبْنِيٌّ عَلَى جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنَ الْحِسَابِ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا الْمَهَرَّةُ مِنْ أَهْلِ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْكِتَابُ بِالْذِيْوَانِ وَكَذَلِكَ مَكَانُ جُلُوسِ الْعُمَالِ  
الْمُبَايَرِينَ لَهَا \* وَيُقَالُ إِنْ أَصَلَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ أَنَّ كِسْرَى نَظَرَ يَوْمًا إِلَى كِتَابِ  
دِيْوَانِهِ وَهُوَ يَحْسِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَأَنَّهُمْ يُعَادُونَ فَقَالَ دِيْوَانُهُ أَيْ تَجَانِبِينَ بِلُغَةِ الْفَرَسِ  
قَسَمِي مَوْضِعَهُمْ بِذَلِكَ وَحُذِفَتِ الْهَاءُ لِكَثْرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ مُخَفِّفًا فَقِيلَ دِيْوَانٌ ثُمَّ نُقِلَ هَذَا  
الْأَسْمُ إِلَى كِتَابِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُتَضَمِّنِ لِلْقَوَائِنِ وَالْحِسْبَانَاتِ وَقِيلَ إِنَّهُ أَسْمُ  
لِلشَّيَاطِينِ بِالْفَارَسِيَّةِ سُمِّيَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ لِسُرْعَةِ تَقْوِيزِهِمْ فِي قَهْرِ الْأُمُورِ وَوُفُوفِهِمْ عَلَى  
الْجُلِيِّ مِنْهَا وَالْخَفِيِّ وَجَمْعِهِمْ لِمَا شَذَّ وَتَفَرَّقَ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَكَانِ جُلُوسِهِمْ لِتِلْكَ الْأَعْمَالِ  
وَعَلَى هَذَا قَبْلَنَا وَلِأَنَّ أَسْمُ الدِّيْوَانِ كِتَابُ الْأَسْئَالِ وَمَكَانُ جُلُوسِهِ بَابُ السُّلْطَانِ عَلَى مَا  
يَأْتِي بَعْدُ وَقَدْ تَفَرَّدُ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ بِنَاطِرٍ وَاحِدٍ يَنْظُرُ فِي سَائِرِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ يَفْرُدُ  
كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا بِنَاطِرٍ كَمَا يَفْرُدُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ النَّظَرُ فِي الْعَسَاكِرِ وَإِقْفَاعَاتِهِمْ  
وَحِسْبَانِ أَعْطِيَايِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مُصْطَلَحِ الدَّوْلَةِ وَمَا قَرَّرَهُ أَوَّلُهَا . وَاعْلَمْ  
أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ إِنَّمَا تَحْدُثُ فِي الدُّوَلِ عِنْدَ تَمَكُّنِ الْقَلْبِ وَالْأَسْنِيْلَةِ وَالنَّظَرِ فِي  
أَعْطَافِ الْمَلِكِ وَفُنُونِ التَّمْيِيدِ وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الدِّيْوَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُوسْلَامِيَّةِ عُمَرُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَالُ لِسَبَبٍ مَالٌ أَتَى بِهِ أَبُوهُ بِزَوْجَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَأَسْتَكْثَرُوهُ  
 وَتَعَبُوا فِي قِسْمِهِ فَسَمَوْا إِلَى إِحْصَاءِ الْأَمْوَالِ وَضَبُّ الطَّعَاةِ وَالْحَقُوقِ فَأَشَارَ خَالِدُ بْنُ  
 الْأَوْليدِ بِالْأَدْيَانِ وَقَالَ رَأَيْتُ مُلُوكَ الشَّامِ يَدُونُونَ فَقِيلَ مِنْهُ عَمْرٌ وَقِيلَ بَلْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِهِ  
 الْهَرِيرَانُ لَمَّا رَأَاهُ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ يَغِيرُ دِيوَانَ قَيْلٍ لَهُ وَمَنْ يَعْلَمُ يَغِيْبُهُ مَنْ يَغِيْبُ مِنْهُمْ  
 فَإِنَّ مَنْ تَخَلَّفَ أَخْلَ بِمَكَانِهِ وَإِنَّمَا يَضْبُ ذَلِكَ الْكِتَابُ فَأَثْبَتَ لَهُمْ دِيوَانًا وَسَأَلَ  
 عُمَرُ عَنْ أَسْمِ الدِّيَوَانِ فَعَبَّرَ لَهُ وَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ أَمْرٌ عَقِيلَ بَنُ أَبِي طَالِبٍ وَتَحَرَّمَ  
 ابْنُ نَوْفَلٍ وَجُبَيْرُ بْنُ مَطْعَمٍ وَكَانُوا مِنْ كُتَّابِ قُرَيْشٍ فَكَتَبُوا دِيوَانَ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
 عَلَى تَرْتِيبِ الْأَنْسَابِ مُبْتَدَأً مِنْ قُرَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا بَعْدَهَا الْأَقْرَبُ  
 فَالْأَقْرَبُ هَكَذَا كَانَ أَيْدِيَهُ دِيوَانُ الْجَيْشِ وَرَوَى الزُّهْرِيُّ بْنُ سَعِيدٍ بَنُ الْمُسَيَّبِ  
 أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْعَهْرِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَمَّا دِيوَانُ الْخُرَاجِ وَالْحَبَايَاتِ فَبَقِيَ بَعْدَ  
 الْإِسْلَامِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ دِيوَانِ الْعِرَاقِ بِالْفَارِسِيَّةِ وَدِيوَانِ الشَّامِ بِالرُّومِيَّةِ  
 وَكُتَابُ الدَّوَاوِينَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ مِنَ الْقَرِيقِينَ وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَاسْتَحَالَ  
 الْأَمْرُ مُلْكًا وَانْقَلَبَ الْقَوْمُ مِنْ غَضَاضَةِ الْبِدَاوَةِ إِلَى رَوْقِي الْحِضَارَةِ وَبَنَ سِدَاجَةَ  
 الْأُمِّيَّةَ إِلَى حَنْقِ الْكِتَابَةِ وَظَهَرَ فِي الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ مَهْرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالْحِسْبَانِ  
 فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَلِيمَانُ بْنُ سَعْدٍ وَالْمَلِكُ الْأَزْدِيُّ لِعَهْدِهِ أَنْ يَنْقُلَ دِيوَانَ الشَّامِ إِلَى  
 الْقُرَيْبَةِ فَأَكْمَلَهُ لِسَنَةِ مِنْ يَوْمِ أَيْدِيهِ وَوَقَفَ عَلَيْهِ سَرْحُونُ كَاتِبِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ  
 لِكُتَّابِ الرُّومِ أَطْلُبُوا الْعِشْنَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَقَدْ قَطَعَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ . وَأَمَّا دِيوَانُ  
 الْعِرَاقِ فَأَمَرَ الْحُجَّاجُ كَاتِبُهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِالْقُرَيْبَةِ وَالْفَارِسِيَّةِ  
 وَلَقِّنَ ذَلِكَ عَنْ زَادَانَ قُرُوخَ كَاتِبِ الْحُجَّاجِ قَبْلَهُ وَلَمَّا قُتِلَ زَادَانُ فِي حَرْبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 ابْنِ الْأَشْعَثِ اسْتَخْلَفَ الْحُجَّاجُ صَالِحًا هُنَا مَكَانَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْقُلَ الدِّيَوَانَ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ  
 إِلَى الْقُرَيْبَةِ فَعَلَّ وَرَغِمَ لِلْكَاتِبِ كُتَابُ الْفَرَسِ وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ لِلَّهِ دَرُّ  
 صَالِحٍ مَا أَعْظَمَ مِثْنَهُ عَلَى الْكِتَابِ ثُمَّ جُعِلَتْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 مُضَافَةً إِلَى مَنْ كَانَ لَهُ النَّظَرُ فِيهِ كَمَا كَانَ شَأْنُ بَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلِ بْنِ نُوْبَيْتٍ  
 وَغَيْرِهِمْ مِنْ وَزَرَاءِ الدَّوْلَةِ . وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا  
 يَخْتَصُّ بِالْجَيْشِ أَوْ يَتَّسِلُ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَتَمْيِيزِ النَّوَاحِي بِالصِّلَحِ وَالْعُنُودِ وَفِي تَقْلِيدِ

هذه الوظيفة لمن يكون مشروط الناظر فيها والكتائب وقوانين الحسابات فأمر راجع  
إلى كتب الأحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وإنما تكلم  
فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من  
الملك بل هي ثالثة أركانها لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه  
فأنتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال فينفرد  
صاحبها لذلك بجزء من رئاسة الملك وكذلك كان الأمر في دولة بني أمية بالأندلس  
والطوائف بعدهم وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين  
يسنقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعب نظر الزلافة والمال فيها  
ثم تنفذها على قدرها وفي موافقتها وكان يعرف بصاحب الأشغال وكان رئيسا يليها  
في الجهات غير الموحدين بمن يحسنها ولما استبد بنو أبي حفص بأفريقية وكان شأن  
الجالية من الأندلس فقدم عليهم أهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الأندلس  
مثل بني سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببني أبي الحسن فاستكفوا بهم  
في ذلك وجعلوا لهم النظر في الأشغال كما كان لهم بالأندلس ودألوا فيها بينهم وبين  
الموحدين ثم استنقل بها أهل الحسبان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما  
استغلت أمر الحاجب ونفذ أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم  
وصار صاحبه مروءوسا للحاجب وأصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرئاسة التي كانت  
له في الدولة وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخارج مجموع لواحد  
وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع إلى ديوانه ونظيره  
مُعقب ينظر السلطان أو الوزير خطه معتبر في صحة الحسبان في الخارج والعطاء  
هذه أصول الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة  
السلطان وأما هذه الرتبة في دولة الترك فمشتوعة وصاحب ديوان العطاء يعرف  
بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة  
للدولة وهو أعلى رتب الناظرين في الأموال لأن النظر في الأموال عندهم يتنوع إلى  
رتب كثيرة لا تنساح دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الأموال والجيابات عن  
أن يسنقل بضبط الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر العام

مِنْهَا هَذَا الْخَصُوصُ بِاسْمِ الْوَزِيرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ رَدِيفٌ لِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي السُّلْطَانِ  
وَأَهْلُ عَصِيَّتِهِ وَأَرْبَابُ السُّيُوفِ فِي الدَّوْلَةِ يَرْجِعُ نَظْرُ الْوَزِيرِ إِلَى نَظَرِهِ وَيَجْتَنِدُ جِهَتَهُ  
فِي مُتَابَعَتِهِ وَيُسَيِّعُ عَنْهُمْ أَسَازُ الدَّوْلَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْأَرْوَاحِ الْأَكْبَرِ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ  
الْمُجْتَنِدِ وَأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَيَتَّبِعُ هَذِهِ الْخُطَّةَ خُطَطُ عَنْهُمْ أُخْرَى كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْأُمُورِ  
وَالْحِسَابِ مَقْصُودَةُ النَّظَرِ إِلَى أُمُورٍ خَاصَةٍ مِثْلَ نَظَرِ الْخَاصِ وَهُوَ الْبَاشِيرُ لِأُمُورِ  
السُّلْطَانِ الْخَاصَةِ بِهِ مِنْ إِقْطَاعَاتِهِ أَوْ مُسْهِمَانِهِ مِنْ أُمُورِ الْخَرَاجِ وَبِلَادِ الْحَيَاةِ بِمَا لَيْسَ  
مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ الْعَامَّةِ وَهُوَ تَحْتَ يَدِ الْأَمِيرِ أَسَازُ الدَّارِ وَإِنْ كَانَ الْوَزِيرُ مِنْ  
الْمُجْتَنِدِ فَلَا يَكُونُ لِأَسَازِ الدَّارِ نَظَرٌ عَلَيْهِ وَتَنْظَرُ الْخَاصِ تَحْتَ يَدِ الْخَازِنِ لِأُمُورِ السُّلْطَانِ  
مِنْ مَمَالِكِهِ الْمُسَمَّى خَازِنُ الدَّارِ لِاخْتِصَاصِ وَظَائِفِهَا بِأَمَالِ السُّلْطَانِ الْخَاصِ . هَذَا  
بَيَانُ هَذِهِ الْخُطَّةِ بِدَوْلَةِ التُّرْكَ بِالْمَشْرِقِ بَعْدَ مَا قَدَّمَناه مِنْ أَرْهَابِهَا بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ  
الْأُمُورِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

### ديوان الرسائل والكتابة

هَذِهِ الْوَظِيفَةُ غَيْرُ ضَرُورِيَّةٍ فِي الْمُلْكِ لِاسْتِغْنَاءِ كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ عَنْهَا رَأْسًا كَمَا فِي  
الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْبِدَاوَةِ الَّتِي لَمْ يَأْخُذْهَا تَهْذِيبُ الْحِفَاظَةِ وَلَا اسْتِحْكَامُ الصَّنَائِعِ وَإِنَّمَا  
أَكْبَدَ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ شَأْنُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَالْبَلَاغَةِ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ  
الْمَقَاصِدِ فَصَارَ الْكِتَابُ يُؤَدِّي كُنْهَ الْحَاجَةِ بِأَبْلَغٍ مِنَ الْعِبَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَكْثَرِ  
وَكَانَ الْكَاتِبُ لِلْأَمِيرِ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ نَسَبِهِ وَمِنْ عِظَمَائِهِ فَيَسِيلُهُ كَمَا كَانَ لِلْخُلَفَاءِ وَأَمْرَاءِ  
الْعِمَّانِيَّةِ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ لِعِظَمِ أَمَانَتِهِمْ وَخُلُوصِ أَسْرَارِهِمْ فَلَمَّا فَسَدَ اللِّسَانُ وَصَارَ  
صِنَاعَةُ اخْتِصَاصٍ بِمَنْ يُحْسِنُهُ وَكَانَتْ عِنْدَ بَنِي الْعَبَّاسِ رَفِيعَةً وَكَانَ الْكَاتِبُ يَصْدُرُ النِّجَالَتِ  
مُطْلَقَةً وَيَكْتُبُ فِي آخِرِهَا أَمْتَهُ وَيَخْتُمُ عَلَيْهَا بِخَاتَمِ السُّلْطَانِ وَهُوَ طَائِعٌ مَقْشُوفٌ فِيهِ  
أَسْمُ السُّلْطَانِ أَوْ شَارَتُهُ يُغْمَسُ فِي طِينٍ أَحْمَرَ مُدَابَّ بِالْمَاءِ وَيُسَيَّ طِينُ الْخَتْمِ  
وَيُطْبَعُ بِهِ عَلَى طَرَفِي السَّجَلِ عِنْدَ طَبِيعِهِ وَالصَّافِي ثُمَّ صَارَتْ السَّجَلَاتُ مِنْ بَعْدِهِمْ تُصَدَّرُ  
بِأَسْمِ السُّلْطَانِ وَيَضَعُ الْكَاتِبُ فِيهَا عَلَامَتَهُ أَوَّلًا أَوْ آخِرًا عَلَى حَسَبِ الْإِخْتِيَارِ فِي تَعْلِيلِهَا  
وَفِي أَنْظِلِهَا ثُمَّ قَدْ نَزَلَ هَذِهِ الْخُطَّةُ بِأَرْتِفَاعِ الْمَكَانِ عِنْدَ السُّلْطَانِ لِعَبَرِ صَاحِبِهَا مِنْ أَهْلِ  
الْمَرَاتِبِ فِي الدَّوْلَةِ أَوْ اسْتِنْدَادِ وَزِيرٍ عَلَيْهِ فَتَصِيرُ عَلَامَةُ هَذَا الْكِتَابِ مُلَاقَةً الْحُكْمِ

بِعَلَامَةِ الرَّئِيسِ عَلَيْهِ يَسْتَدِلُّ بِهَا فَيَكْتُبُ صُورَةَ عَلَامَتِهِ الْمَعْبُودَةِ وَالْحُكْمَ لِعَلَامَةِ ذَلِكَ  
الرَّئِيسِ كَمَا وَقَعَ آخِرُ الدَّوْلَةِ الْخَفِصِيَّةِ لَمَّا أَرْتَفَعَ شَأْنُ الْحَيَاةِ وَصَارَ أَمْرُهَا إِلَى التَّفْوِيزِ  
ثُمَّ الْإِسْتِدَارَةِ صَارَ حُكْمُ الْعَلَامَةِ إِلَى الْكَاتِبِ مَلْفَى وَصُورَتُهَا نَائِجَةً إِنْ بَاعًا لِمَا سَلَفَ مِنْ أَمْرِهَا  
فَصَارَ الْحَاجِبُ يَرِيْمُ لِلْكَاتِبِ إِمضَاءَ كِتَابِهِ ذَلِكَ يَخْطُ بَصْنَعُهُ وَيَخْتَارُ لَهُ مَنْ صَبَغَ الْإِنْقَاذَ  
مَا شَاءَ فَيَا تَمُرُ الْكَاتِبُ لَهُ وَيَصْعُقُ الْعَلَامَةُ الْمَعْتَادَةُ وَقَدْ يَخْتَصُّ السُّلْطَانُ لِنَفْسِهِ بِوَضْعِ  
ذَلِكَ إِذَا كَانَ مُسْتَبْدًا بِأَمْرِهِ قَائِمًا عَلَى نَفْسِهِ فَيَرِيْمُ الْأَمْرَ لِلْكَاتِبِ لِيَضَعَ عَلَامَتَهُ \* وَمِنْ  
خَطِّطِ الْكِتَابَةِ التَّوْقِيعُ وَهُوَ أَنْ يَجْلِسَ الْكَاتِبُ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ فِي مَجَالِسِ حُكْمِهِ  
وَقَضَائِهِ وَيُوقَّعُ عَلَى الْقِصَصِ الْمَرْفُوعَةِ إِلَيْهِ أَحْكَامُهَا وَالْفَصْلِ فِيهَا مُتَلَفَةً مِنَ السُّلْطَانِ بِأَوْجِزِ  
لَفْظٍ وَأَبْلَغِهِ فَإِذَا أَنْ تَصَدَّرَ كَذَلِكَ وَإِذَا أَنْ يَحْدُثُ الْكَاتِبُ عَلَى مِثَالِهَا فِي سِجْلِ يَكُونُ يَدِ  
صَاحِبِ الْقِصَّةِ وَيَحْتَاجُ الْمَوْقِعُ إِلَى عَارِضَةٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ يَسْتَقِيمُ بِهَا تَوْقِيعُهُ وَقَدْ كَانَتْ  
جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يُوقَّعُ فِي الْقِصَصِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَيَزِي بِالْقِصَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا  
فَكَانَتْ تَوْقِيعَاتُهُ يَتَنَافَسُ الْبَلَاغَةُ فِي تَحْصِيلِهَا لِلْوُقُوفِ فِيهَا عَلَى أَسَالِبِ الْبَلَاغَةِ وَقُورَتِهَا  
حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ نَبَاحُ كُلِّ قِصَّةٍ مِنْهَا يَدِينَارٌ وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ الدُّوَلِ \* وَأَعْلَمُ  
أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْخِطَّةِ لَا يَدْرِي مَنْ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَرْفَعَ طَبَقَاتِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْمَرْوَةِ  
وَالْحِشْمَةِ مِنْهُمْ وَزِيَادَةُ الْعِلْمِ وَعَارِضَةُ الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهُ مَعْرُوضٌ لِلنَّظَرِ فِي أَصُولِ الْعِلْمِ لِمَا  
يَعْرَضُ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمَقَاصِدِ أَحْكَامِهِمْ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَشْرَةُ  
الْمُلُوكِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْأَدَابِ وَالْتِخَالُفِ بِالْأَفْضَالِ مَعَ مَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ فِي التَّرْسِيلِ وَتَطْبِيقِ  
مَقَاصِدِ الْكَلَامِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَأَسْرَارِهَا وَقَدْ تَكُونُ الرُّتْبَةُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ مُسْتَنَدَةً  
إِلَى أَرْبَابِ السُّيُوفِ لِمَا يَقْتَضِيهِ طَبْعُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبَعْدِ عَنْ مُعَانَاةِ الْعُلُومِ لِأَجْلِ سَدَاجَةِ  
الْعَصِيَّةِ فَيَخْتَصُّ السُّلْطَانُ أَهْلَ عَصِيَّتِهِ بِخَطِّطِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ رُتْبَتِهِ فَيَقْلُدُ أَلْمَالُ وَالسِّيفُ  
وَالْكِتَابَةُ مِنْهُمْ فَأَمَّا رُتْبَةُ السِّيفِ فَتَسْتَعْنِي عَنْ مُعَانَاةِ الْعِلْمِ وَأَمَّا أَلْمَالُ وَالْكِتَابَةُ  
فَيَضْطَرُّ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَاغَةُ فِي هَذِهِ وَالْحَسْبَانِ فِي الْآخَرَى فَيَخْتَارُونَ لَهَا مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ  
مَا دَعَتْ إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ وَيَقْلُدُونَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَكُونُ يَدُ آخَرٍ مِنَ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ غَالِبَةً  
عَلَى يَدِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ مُنْصَرِّفًا عَنْ نَظَرِهِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
فَإِنَّ الْكِتَابَةَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ لِصَاحِبِ الْإِنشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ تَحْتَ يَدِ أَمِيرٍ مِنَ أَهْلِ

عَصِيَّةُ السُّلْطَانِ يُعْرِفُ بِالِدُّوَيْدَارِ وَتَعْوِيلُ السُّلْطَانِ وَوُتُقُهُ بِهِ وَاسْتِنَامَتُهُ فِي غَالِبِ  
أَحْوَالِهِ إِلَيْهِ وَتَعْوِيلُهُ عَلَى الْآخِرِ فِي أَحْوَالِ الْبَلَاغَةِ وَتَطْبِيقِ الْمَقَاصِدِ وَكُنْهَانِ الْأَسْرَارِ  
وغير ذلك من تَوَابِعِهَا \* وَأَمَّا الشُّرُوطُ الْمُتَعَبَّرَةُ فِي صَاحِبِ الْمُدَّةِ الرَّثْبَةِ الَّتِي يُلَاحِظُهَا  
السُّلْطَانُ فِي اخْتِيَارِهِ وَاتِّعَاقِهِ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ فَعِي كَثِيرَةٌ وَأَحْسَنُ مَنْ اسْتَوْعَبَهَا  
عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْكَتَابِ وَهِيَ أَمَّا بَعْدَ حِفْظِكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ  
صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطِكُمْ وَوَقَّكُمْ وَأَرْشَدَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمَكْرُمِينَ  
أَصْنَافًا وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً وَصَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ الصَّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْحَاوِلَاتِ  
إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ فَجَعَلَ كُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ  
أَهْلُ الْأَدَبِ وَالْمَرْوَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ يَكُمُ يَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ تَحَاسُّنًا وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا  
وَيُنْصَحَائِكُمْ يَصْلُحُ اللَّهُ لِلْعَاقِبِ سُلْطَانَهُمْ وَتَعْمُرُ بِلَدَانَهُمْ لَا يَسْتَغْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ وَلَا  
يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ فَمَوْعِدُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ  
وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي بِهَا يَبْصُرُونَ وَالسِّنْتِمْ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ وَأَيْدِيهِمْ الَّتِي بِهَا يَنْطُشُونَ فَاثْمَعُكُمْ  
اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ مَا أَضَاهَاهُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ  
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَخْرَجَ إِلَى اجْتِمَاعٍ خِلَالَ الْخَيْرِ الْمُحْمَدَةِ وَخِصَالِ  
الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكِتَابُ إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا  
الْكِتَابِ مِنْ صِنْتِكُمْ فَإِنَّ الْكَاتِبَ بِحْتَاجٍ فِي نَفْسِهِ وَبِحْتَاجٍ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَتَّقِي  
بِهِ فِي مِهْمَاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ قَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ مُقْدِمًا  
فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ مُخْتِمًا فِي مَوْضِعِ الْأَجْتِمَاعِ مُؤَثِّرًا لِلْعَقَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ  
كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ وَفِيًا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا يَأْتِي مِنَ التَّوَارِثِ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا  
وَالطُّوَارِقَ فِي أَمَاكِنِهَا قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ وَإِنْ لَمْ يَحْكَمْهُ أَخَذَ  
مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ يَعْرِفُ بِغَيْرِ زَعْفٍ عَقْلُهُ وَحَسَنَ أَدَبُهُ وَفَضْلَ تَجَرُّبِهِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ  
وُرُودِهِ وَعَاقِبَتُهُ مَا يَصُدُّ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ فَيَعُدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عَدْبَةً وَعِتَادَةً وَيَهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَةً  
وَعَادَتَهُ تَنْتَاقِسُوا يَا مَعَشَرَ الْكِتَابِ فِي صُنُوفِ الْأَدَبِ وَتَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَابْدَأُوا بِعِلْمِ كِتَابِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا ثِقَافُ السِّنْتِكُمْ ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ حَلِيَّةُ

كُتِبَ كُمْ وَأَرْزُوا الْأَشْعَارَ وَأَعْرِفُوا غَرَبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَانْفِجِمْ وَأَحَادِثُهَا  
 وَسِيرَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ أَكْمَرُ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هَمُّكُمْ وَلَا تُضِعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ  
 فَإِنَّهُ قَوْمٌ كُتِبَ الْخُرَاجُ وَأَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَيْنِيهَا وَدَيْنِيهَا وَسَفَسَانِ  
 الْأُمُورِ وَمَحَافِرُهَا فَإِنَّهَا مُذِلَّةٌ لِلرَّقَابِ مُفْسِدَةٌ لِلْكِتَابِ وَتَزْهَوُ صِنَاعَتُكُمْ عَنِ الدِّنَاءِ  
 وَأَرْبَاوَا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْأَجْهَالَاتِ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَبِيرَ  
 وَالسَّخْفَ وَالْعِظَمَةَ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلَبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِخْنَةٍ وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ  
 وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ الْبَقَى لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ وَإِنَّ نَبَا الزَّمَانِ  
 بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَأَعْظِفُوا عَلَيْهِ وَأَسْؤُهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالُهُ وَبَثُّبِ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَإِنْ أَقْعَدَ  
 أَحَدًا مِنْكُمْ الْكَبِيرَ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فَرُوزُوهُ وَعَظُمُوهُ وَشَاوَرُوهُ وَاسْتَظْهَرُوهُ  
 بِفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ وَقَدِيرِ مَعْرِفَتِهِ وَلَيْكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ أَصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ يَوْمَ  
 حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَحَاطَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مُحْدَمَةٌ فَلَا يَصِفُهَا إِلَّا إِلَى  
 صَاحِبِهَا وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ وَلْيَحْدَرْ السَّقْفَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلِكَ عِنْدَ تَغْيِيرِ  
 الْحَالِ فَإِنَّ الْغَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى الْقِرَاءَةِ وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَهُمْ فَقَدْ  
 عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ مَنْ يَبْدُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ فَوَاجِبٌ  
 عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِدَ لَهُ مِنْ وَقَائِهِ وَشُكْرِهِ وَأَحْسِنَالِهِ وَخَيْرِهِ وَنَصِيحَتِهِ وَكَيْفَانِ مِيرَةٍ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ  
 مَا هُوَ جَزَاءُ الْحَقِّهِ وَبَصْدِيقِ ذَلِكَ يَفْعَالِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْإِضْطِرَارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ فَاسْتَشِيرُوا  
 ذَلِكَ وَفَقِّعْكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرَّخَاءِ وَالشَّدَةِ وَالْحَرَمَانِ وَالْمُؤَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ  
 وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَتَعَمَّتِ السَّيِّئَةُ هَذِهِ مِنْ وَسْمِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ وَإِذَا  
 وَلَّى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْصِرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ أَمْرٌ فَلْيَرِاقِبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُوزِنْ  
 طَاعَتَهُ وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحْبَبُهُمْ إِلَيْهِ  
 أَرْزَقَهُمْ بِعِيَالِهِ ثُمَّ لَيْكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرِمًا وَلِلْفُقَرَاءِ مُؤَفِّرًا وَلِلْبِلَادِ  
 عَامِرًا وَلِلرَّعِيَةِ مُنَافِقًا وَعَنْ أَذَانٍ مُخْلَفًا وَلَيْكُنْ فِي تَجَلُّسِهِ مُتَوَاضِعًا حَلِيمًا وَفِي سَجَلَاتِ  
 خَرَاجِهِ وَاسْتِقْضَاءِ حُقُوقِهِ رَفِيقًا وَإِذَا صَحِبَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَبِرْ خَلَاقَتَهُ فَإِذَا عَرَفَ  
 حُسْنَهَا وَفُجْهَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنَ الْحَسَنِ وَأَحْتَالَ عَلَى صَرْفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْفُجْجِ  
 بِاللُّطْفِ حِيلَةً وَأَجْمَلَ وَسِيلَةً وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ الْبَهِيمَةِ إِذَا كَانَ بِصِيرًا بِسَاسَتِهَا

الْتَمَسَ مَعْرِفَةَ أَخْلَاقِهَا فَإِنْ كَانَتْ رُحُومًا لَمْ يَهْجُهَا إِذَا رَكِبَهَا وَإِنْ كَانَتْ شُبُوبًا أَتَقَاهَا  
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَإِنْ خَافَ مِنْهَا شَرُّوْدًا تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا وَإِنْ كَانَتْ حَرُوتًا قَمَعَ  
بِرْفِيقِ هَوَاهَا فِي طَرَفِهَا فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَظْفَهَا يَسِيرًا فَيَسْلُسُ لَهُ فَيَادُهَا فِي هَذَا الْوَصْفِ  
مِنْ السِّيَاسَةِ دَلَالٌ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ وَعَامَلَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ وَالْكَاتِبُ يُفَضِّلُ  
أَدَبَهُ وَشَرِيفَ صُنْعِهِ وَلَطِيفَ حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُعَاوَرُهُ مِنَ النَّاسِ وَيُنَظَرُهُ وَيَقْبَهُمْ  
عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطَوْتَهُ أَوْ لِي بِالرَّفِيقِ لِصَاحِبِهِ وَمُدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِ مِنْ سَائِسِ الْبَيْعَةِ  
الَّتِي لَا تُعْبَرُ جَوَابًا وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا وَلَا تَقْتَهُمْ خُطَابًا إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا  
أَلَّا رَاكِبٌ عَلَيْهَا إِلَّا قَارَقُوهَا وَحَمَلُكُمْ اللَّهُ فِي النَّظَرِ وَأَعْمَلُوا مَا أُنْكِرَكُمْ فِيهِ مِنْ  
الرُّوْبَةِ وَالْمَكْرِ تَأْمَنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ مَحَبَّتِهِمُ النَّبُوَّةَ وَالْإِسْتِقَالَ وَالْجَفْوَةَ وَبَصِيرُ  
مِنْكُمْ إِلَى الْمَوْافَقَةِ وَتَصِيرُوا مِنْهُ إِلَى الْمَوَاخَاةِ وَالشَّفَقَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا يُعَاوَزَنَّ  
الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةٍ مَجْلِسٍ وَمَلْبَسَةٍ وَمَرْكَبَةٍ وَمَطْعَمَةٍ وَمَشْرَبَةٍ وَبَنَائِهِ وَخَدْمَةٍ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ قَدَرِ حَقِّهِ فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفٍ صَنَعَكُمْ خَدَمَةً  
لَا تُحْمَلُونَ فِي خِدْمَتِكُمْ عَلَى الْقَصِيرِ وَحِفْظَةً لَاتُحْمَلُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالْتِذِيرِ  
وَأَسْتَعِينُوا عَلَى عَفَاكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُمْ لَكُمْ وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ وَأَحْذَرُوا  
مَتَافِ السَّرَفِ وَسُوءِ عَاقِبَةِ التَّرَفِ فَإِنَّهُمَا يُفْقِيَانِ الْفَقْرَ وَيُذِلَّانِ الرِّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا  
وَسَيِّمَا الْكُتَّابِ وَأَرْبَابِ الْأَدَابِ وَالْأُمُورِ أَشْبَاهُ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَدِلُّوا عَلَى  
مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَعَرُّبَتُكُمْ ثُمَّ اسْأَلُوا مَنْ مَسَّالِكِ التَّنْذِيرِ أَوْضَحُهَا  
مَحَبَّةً وَأَصْدَقُهَا حُجَّةً وَأَحْمَدُهَا عَاقِبَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ التَّنْذِيرَ أَفْعَى مُنْجِيَةً وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ  
لِصَاحِبِهِ عَنْ إِنْقَازِ عِلْمِهِ وَرُوبَتِهِ فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ قَصْدَ الْكَافِي مِنْ  
مَنْطِقِهِ وَلُيُوجِزْ فِي أَبْنَائِهِ وَجَوَابِهِ وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَّتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصَاحَةُ لُغَلِهِ  
وَمَدْفَعَةُ لِلشَّاعِلِ عَنْ إِكْثَارِهِ وَلِيُضَرِّحْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَةِ تَوْفِيقِهِ وَإِمْدَادِهِ بِتَسْديدهِ مَخَافَةٍ  
وَقُوَّةٍ فِي الْغَلَطِ الْمُضِرِّ بِدَنِيهِ وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانٌّ أَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنْ  
الَّذِي بَرَزَ مِنْ حِمْلِ صُنْعَتِهِ وَقُوَّةِ حُرْكَتِهِ إِنَّمَا هُوَ يُفَضِّلُ حِيلَتِهِ وَحُسْنَ تَدْبِيرِهِ فَقَدْ  
تَمَرَّضَ بِظَنِّهِ أَوْ مَقَاتَلَتِهِ إِلَى أَنْ يَكْثِلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ فَيَصِيرُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ  
كَانَ وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ وَلَا يَقُلُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرُ بِالْأُمُورِ وَأَحْمَلُ



لِعِبَادِ التَّدْبِيرِ مِنْ مَرَاتِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ  
ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَخْبَدُ فِي  
طَرِيقَتِهِ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ بِبَنِي عَتِيرِ  
أَغْبَرَارِ بَرَاءِيهِ وَلَا تَزَكِيَةٍ لِنَفْسِهِ وَلَا يُكَاثِرَ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ  
وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ وَالتَّوَعُّدِ  
بِنِعْمَتِهِ وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ مَنْ تَلَزَمَهُ النَّصِيحَةُ تَلَزَمَهُ الْعَمَلُ  
وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغَرَّةُ كَلَامِهِ بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلِذَلِكَ  
جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَتَمَمْتُهُ بِهِ تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِلَيْكُمْ يَا عَشَرَ الطَّلِبَةِ وَالْكِتَبَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ  
سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيَدِهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ  
(الشرطة) \* وَيُسَمَّى صَاحِبُهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَفْرِيقِيَّةِ الْحَاكِمِ وَفِي دَوْلَةِ أَهْلِ  
الْأَنْدَلُسِ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ الْوَالِي وَفِي وَطَنِهِ مَرْدُوسَةُ لِصَاحِبِ السَّيْفِ  
فِي الدَّوْلَةِ وَحُكْمُهُ نَائِدٌ فِي صَاحِبِهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ أَصْلُ وَضْعِهَا فِي الدَّوْلَةِ  
الْعَبَّاسِيَّةِ لِمَنْ يُقِيمُ أَحْكَامَ الْجَرَائِمِ فِي حَالِ اسْتِبْدَادِهَا أَوَّلًا ثُمَّ الْحُدُودَ بَعْدَ اسْتِيفَانِهَا  
فَإِنَّ التَّهَمَ الَّتِي تَعْرِضُ فِي الْجَرَائِمِ لَا تَنْظَرُ لِلشَّرْعِ إِلَّا فِي اسْتِيفَاءِ حُدُودِهَا وَلِلنَّاسِيَةِ  
النَّظَرُ فِي اسْتِيفَاءِ مُوجِبَاتِهَا بِإِفْرَازِ يُكْرَهُهُ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ إِذَا اخْتَفَتْ بِهِ الْقَرَأَنُ لِمَا  
تُوجِبُهُ الْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ الَّذِي يَقُومُ بِهِذَا الْاسْتِبْدَادَ وَبِاسْتِيفَاءِ الْحُدُودِ  
بَعْدَهُ إِذَا نَزَلَتْ عَنْهُ الْقَادِي بِسَمَى صَاحِبُ الشَّرْطَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي الْحُدُودِ  
وَالدَّمَاءِ بِإِطْلَاقٍ وَأَفْرَدُوهُمَا مِنْ نَظَرِ الْقَادِي وَنَزَعُوا هَذِهِ الْمَرْبَّةَ وَقَلَدُوها كِبَارُ الْقَوَادِ  
وَعُظَمَاءُ الْأَخَاصِ مِنْ مَوَالِيهِمْ وَلَمْ تَكُنْ عَامَّةُ التَّنْفِيزِ فِي طَبَقَاتِ النَّاسِ إِنَّمَا كَانَتْ  
حُكْمُهُمْ عَلَى الدَّهْمَاءِ وَأَهْلِ الرَّبِّ وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِي الرَّاغِعِ وَالْقَبْرَةُ ثُمَّ عَظُمَتْ  
نَبَاهَتُهَا فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَنُوعَتْ إِلَى شَرْطَةِ كُبْرَى وَشَرْطَةِ صُغْرَى وَجُعِلَ  
حُكْمُ الْكُبْرَى عَلَى الْأَخَاصِ وَالْدَّهْمَاءِ وَجُعِلَ لَهُ الْحُكْمُ عَلَى أَهْلِ الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الظَّلَامَاتِ وَعَلَى أَيْدِي أَفَارِجِهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِ  
وَجُعِلَ صَاحِبُ الصُّغْرَى مَخْصُوصًا بِالْعَامَةِ وَنُصِبَ لِصَاحِبِ الْكُبْرَى كُرْسِيُّ بِيَابِ دَارِ  
السُّلْطَانِ وَرِجَالُ بَنِيهِ وَالْمَقَاعِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَبْرَحُونَ عَنْهَا إِلَّا فِي تَصْرِيفِهِ وَكَانَتْ

وَلَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا كَآبِرٌ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ حَتَّى كَانَتْ تَرْشِيحًا لِلرَّوَاةِ وَالْحِجَابَةِ  
وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِالْمَغْرِبِ فَكَانَ لَهَا حِطٌّ مِنَ التَّنْبِيهِ وَإِنْ لَمْ يَجْعَلُوهَا  
عَامَّةً وَكَانَ لَا يَلِيهَا إِلَّا رِجَالُ الدَّوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَكِبَرَاؤُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَلْحَافٌ عَلَى أَهْلِ  
الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ ثُمَّ قَسَدَ الْيَوْمَ مَنْصِبُهَا وَخَرَجَتْ عَنْ رِجَالِ الْمُوحِدِينَ وَصَارَتْ  
وَلَا يَتَّبِعُهَا لِمَنْ قَامَ بِهَا مِنْ الْمُصْطَفِيِّينَ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
فَوَلَا يَتَّبِعُهَا فِي يَوْمٍ مَوَالِيَهُمْ وَأَهْلُ أَصْطِنَاعِهِمْ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فِي رِجَالِ  
التُّرْكِ أَوْ أَعْقَابِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُمْ مِنَ التُّرْكِ يَتَخَيَّرُونَهُمْ لَهَا فِي النَّظَرِ بِنَا يَطْهَرُ مِنْهُمْ  
مِنْ الصَّلَابَةِ وَالْمَضَاءِ فِي الْأَحْكَامِ لِقِطْعِ مَوَادِّ الْفَسَادِ وَحَسَمِ أَبْوَابِ الدَّعَاةِ وَتَغْرِيبِ  
مَوَاطِنِ الْفُسُوقِ وَتَفْرِيقِ بَجَائِعِهِ مَعَ إِقَامَةِ الْأَحْدُودِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ كَمَا نَقَضِيهِ رِعَايَةَ  
الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فِي الْمَدِينَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ  
(قيادة الاساطيل) \* وَهِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ وَخِطَطِهَا فِي مَلِكِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيْقَةِ  
وَمَرْؤَسَةِ إِيصَابِ السَّيْفِ وَتَحْتَ حُكْمِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَيُسَمَّى صَاحِبُهَا فِي  
عَرَبِيهِمُ الْبَلَكَنْدِ يَتَخَيَّرُ الْأَلَمَ مَقُولًا مِنْ لُغَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ فَإِنَّهُ اسْمُهَا فِي أَصْطِلَاحِ لُغَتِهِمْ  
وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ بِمَلِكِ أَفْرِيْقَةِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّهَا جَمِيعًا عَلَى صِفَةِ الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ وَعَلَى عُدُوَّتِهِ الْجَنُوبِيَّةِ بِإِلَادِ الْبَرِّ كُلِّهِمْ مِنْ سَبْتَةِ إِلَى  
الشَّامِ وَعَلَى عُدُوَّتِهِ الشَّمَالِيَّةِ بِإِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِيَّةِ وَالرُّومِ إِلَى إِيْلَادِ  
الشَّامِ أَيْضًا وَيُسَمَّى الْبَحْرُ الرُّومِيُّ وَالْبَحْرُ الشَّامِيُّ نِسْبَةً إِلَى أَهْلِ عُدُوَّتِهِ وَالسَّاكِنِينَ  
بِسَيْفِ هَذَا الْبَحْرِ وَسَوَاحِلِهِ مِنْ عُدُوَّتِهِ يُعَانُونَ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا لَا تُعَانِيهِ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ  
الْبَحَارُ فَقَدْ كَانَتْ الرُّومُ وَالْإِفْرَنْجِيَّةُ وَالْقُوطُ بِالْعُدُوَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
وَكَانَتْ أَكْثَرُ حُرُوبِهِمْ وَمَنَاجِرِهِمْ فِي الشُّمْنِ فَكَانُوا مَهْرَةً فِي رُكُوبِهِ وَالْحَرْبِ فِي  
أَسَاطِيلِهِ وَلَمَّا أَسَفَ مِنْ أَسَفٍ مِنْهُمْ إِلَى مَلِكِ الْعُدُوَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِثْلَ الرُّومِ إِلَى أَفْرِيْقَةِ  
وَالْقُوطِ إِلَى الْمَغْرِبِ أَجَازُوا فِي الْأَسَاطِيلِ وَمَلَّكُوها وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْبَرِّ بِهَا وَانْتَزَعُوا  
مِنْ أَيْدِيهِمْ أَمْزَهَا وَكَانَ لَهَا بِهَا الْمَدُنُ الْحَافِلَةُ مِثْلَ قَرْطَاجَةَ وَسَبِيْطَلَةَ وَجُلُوْلَةَ وَمِرْنَاقَ  
وَبِرْثَالَةَ وَطَنْجَةَ وَكَانَ صَاحِبُ قَرْطَاجَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحَارِبُ صَاحِبَ رُومَةَ وَيَعْتُدُّ  
الْأَسَاطِيلَ لِحَرْبِهِ مَشْحُونَةً بِالْعَاسِكِرِ وَالْعِيدِ فَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةً لِأَهْلِ هَذَا الْبَحْرِ

السَّكِينِ حَفَافِهِ مَعْرُوفَةٍ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَلَمَّا مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ مَضَرَ كَتَبَ عُمَرُ  
 ابْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ صِفَ لِي الْبَحْرَ نَكْتُبَ إِلَيْهِ  
 إِنْ الْبَحْرَ خَلَقَ عَظِيمٌ يَرْكُوبُهُ خَلَقَ ضَعِيفٌ دُودٌ عَلَى عُودٍ فَأَوْعَزَ حِينَئِذٍ بِبَنِي الْمُسْلِمِينَ  
 مِنْ رُكُوبِهِ وَلَمْ يَرْكُوبْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا مَنْ أَتَتْكَ عَلَى عُمَرُ فِي رُكُوبِهِ وَنَالَ مِنْ  
 عِقَابِهِ كَمَا فَعَلَ بِعَرْفَجَةَ بْنِ هُرَيْثَةَ الْأَزْدِيِّ سَيِّدِ بَجِيلَةٍ لَمَّا أَغْرَاهُ عَمَانُ بَنَاهُ غَزْوَهُ  
 فِي الْبَحْرِ فَأَنْصَرَ عَلَيْهِ وَعَنْفَهُ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ لِلْغَزْوِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّانُ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا  
 كَانَ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ أَذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي رُكُوبِهِ وَالْجِهَادِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ  
 أَنَّ الْعَرَبَ لِيَدَاوِيهِمْ لَمْ يَكُونُوا مَهْرَةً فِي نِقَافَتِهِ وَرُكُوبِهِ وَالرُّومُ وَالْأَفَرَجَةُ لِمَا رَسَبَتْهُمْ  
 أَحْوَالُهُ وَمَرَبَاهُمْ فِي التَّقَابِ عَلَى أَعْوَادِهِ مَرُونَا عَلَيْهِ وَأَحْكَمُوا الدَّرَابَةَ بِنِقَافَتِهِ فَلَمَّا  
 اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ وَشَمَّحَ سُلْطَانُهُمْ وَصَارَتْ أُمَمُ الْعَجَمِ خَوْلًا لَهُمْ وَتَفَتْ أَيْدِيهِمْ  
 وَتَقَرَّبَ كُلُّ ذِي صَنْعَةٍ إِلَيْهِمْ بِمَبْلَغِ صِنَاعَتِهِ وَاسْتَحْدَمُوا مِنَ الْوَتَائِيَةِ فِي حَاجَاتِهِمْ  
 الْبَحْرِيَّةِ أُمَمًا وَتَكَرَّرَتْ مُمَارَسَتُهُمْ لِلْبَحْرِ وَنِقَافَتُهُ وَاسْتَحْدَمُوا بِصَرَاءِهَا فَفَسَرُوهَا إِلَى  
 الْجِهَادِ فِيهِ وَأَنْشَأُوا السُّنَنَ فِيهِ وَالشُّوَارِي وَشَعْنُوا الْأَسَاطِيلَ بِالْأَزْجَالِ وَالسِّلَاحِ وَأَطْلَوْهَا  
 الْعَاكِرَ وَالْمُقَاتِلَةَ لِمَنْ وَرَاءَ الْبَحْرِ مِنْ أُمَمِ الْكُفْرِ وَأَخْصَوْا بِذَلِكَ مِنْ مَمَالِكِهِمْ  
 وَتَغَوَّرُوا مَا كَانَ أَقْرَبَ لِهَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى حَافَتِهِ مِثْلَ الشَّامِ وَأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ  
 وَأَوْعَزَ الْخَلِيفَةُ عَبْدَ الْمَلِكِ إِلَى حَسَّانَ بْنِ النُّعْمَانِ عَامِلِ أَفْرِيقِيَّةٍ بِاتِّخَاذِ دَارِ صِنَاعَةِ  
 بَنِي إِسْرَافِيلَ لِإِنْشَاءِ الْآلَاتِ الْبَحْرِيَّةِ حِرْصًا عَلَى مَرَامِ الْجِهَادِ وَنَهْمًا كَانَ فَتَحَ صِفَالِيَةَ أَيَّامَ  
 زِيَادَةَ اللَّهِ الْأَوَّلِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى يَدِ أَسَدِ بْنِ الْقُرَاتِ شَيْخِ الْقَتَنِاءِ وَفَتَحَ  
 قُوصْرَةَ أَيْضًا فِي أَيَّامِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ أَغْرَى صِفَالِيَةَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بْنِ  
 أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَفُتِحَتْ عَلَى يَدِ ابْنِ الْأَغْلَبِ وَقَانِدِهِ أَسَدِ بْنِ الْقُرَاتِ  
 وَكَانَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَسَاطِيلُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ فِي دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ لِنُعَاقِبِ  
 إِلَى بِلَادِهِمَا فِي سَبِيلِ الْفِتْنَةِ فَتَجَسُّسُ خِلَالَ السَّوَاهِلِ بِالْإِفْسَادِ وَالْخَرْبِ وَأَنْتَهَى  
 اسْطُولُ الْأَنْدَلُسِ أَيَّامَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ إِلَى مَا تَنَتَّى مَرْكَبُ أَوْ فُخَّوْهَا وَاسْطُولُ  
 أَفْرِيقِيَّةِ كَذَلِكَ مِثْلَهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَكَانَ قَائِدُ الْأَسَاطِيلِ بِالْأَنْدَلُسِ ابْنُ دُمَاحِصَ  
 وَمَرَقَاهَا لِلْحِطِّ وَالْإِفْلَاحِ بِجَابَةِ وَالْمِرْبَةِ وَكَانَتْ أَسَاطِيلُهَا مُجْتَمِعَةً مِنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ

مِنْ كُلِّ بَلَدٍ لِيُخَذَ فِيهِ الْفَسَنُ أَسْطُولٌ يُرْجَعُ نَظَرُهُ إِلَى قَائِدِهِ مِنَ الْتَوَانِيَةِ يَدِيرُ أَمْرَ حَرْبِهِ  
 وَسِلَاحِهِ وَمَقَاتِلِهِ وَرَيْسُ يَدِيرُ أَمْرَ جَرَبَتِهِ بِالرَّيْحِ أَوْ بِالْعُجْدِيفِ وَأَمْرُ إِزْسَائِهِ فِي  
 مَرْتَبَتِهِ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأَسَاطِيلُ لِقَرُوفِ مُحَمَّدٍ أَوْ غَرَضِ سُلْطَانِيٍّ مِنْهُمْ عَسَكَرَتْ بِمَرْتَبَتِهَا  
 الْمَعْلُومِ وَمَحَبَّتِ السُّلْطَانِ بِرِجَالِهِ وَأَعْجَادِ عَسَاكِرِهِ وَمَوَالِيهِ وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ أَمِيرٍ وَاحِدٍ  
 مِنْ أَعْلَى طَبَقَاتِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يُرْجِعُونَ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ ثُمَّ يَسْرِحُهُمْ لَوُجْهِهِمْ وَيَنْتَظِرُ  
 إِيَابَهُمْ بِالْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِعَهْدَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ غَلَبُوا عَلَى هَذَا  
 الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ وَعَظُمَتِ صَوْلَتُهُمْ وَسُلْطَانُهُمْ فِيهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلْأَمْرِ النَّصْرَانِيَّةِ  
 قَبْلُ بِأَسَاطِيلِهِمْ بَشْيَءٌ مِنْ جَوَانِبِهِ وَامْتَطَوْا ظَهْرَهُ لِلْفَتْحِ سَائِرَ أَيَّامِهِمْ فَكَانَتْ لَهُمْ  
 الْمَقَامَاتُ الْمَعْلُومَةُ مِنَ الْفَتْحِ وَالْغَنَائِمِ وَمَلِكُ سَائِرِ الْجَزَائِرِ الْمُنْقَطِعَةِ عَنِ السَّوَاهِلِ  
 فِيهِ مِثْلُ مَيُورِقَةٍ وَمَنْوُوقَةٍ وَيَاسَةٍ وَمِرْدَانِيَّةٍ وَصِقْلِيَّةٍ وَقَوْمَرَةٍ وَمَالِطَةٍ وَأَفْرِيطِشٍ  
 وَقَبْرُسٍ وَسَائِرِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَالْإِفْرَنْجِ وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّرِيفِيُّ وَأَبْنَاؤُهُ يَغْزُونَ  
 أَسَاطِيلَهُمْ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ جَزِيرَةَ جَنُودِ فَتَقْلِبُ بِالظُّفْرِ وَالْغَنِيمَةِ وَافْتَتَحَ مُجَاهِدُ الْعَامِرِيُّ  
 صَاحِبُ دَانِيَّةٍ مِنْ مُلُوكِ الطُّوَانِفِ جَزِيرَةَ مِرْدَانِيَّةٍ فِي أَسَاطِيلِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 وَأَرْبَعِمِائَةٍ النَّصَارَى لَوْفَتِهَا وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ تَغَلَّبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ لُجَةِ هَذَا  
 الْبَحْرِ وَصَارَتْ أَسَاطِيلُهُمْ فِيهِمْ جَانِيَّةً وَذَاهِبَةً وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ تُجْعِزُ الْبَحْرَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ مِنْ صِقْلِيَّةٍ إِلَى الْبَرِّ الْكَبِيرِ الْمَقَابِلِ لَهَا مِنَ الْعُدُوَّةِ الشَّمَالِيَّةِ تَقُوعُ بِمُلُوكِ  
 الْإِفْرَنْجِ وَتُخْشِنُ فِي مَمَالِكِهِمْ كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ بَنِي الْحُسَيْنِ مُلُوكِ صِقْلِيَّةِ الْقَائِمِينَ  
 فِيهَا يَدْعُوهُ الْعَبِيدِيُّونَ وَأَتَحَازَتْ أُمَمُ النَّصْرَانِيَّةِ بِأَسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْجَنَابِ الشَّمَالِيِّ النَّزَرِيِّ  
 مِنْهُ مِنْ سَوَاحِلِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِيَّةِ وَجَزَائِرِ الرُّومَانِيَّةِ لَا يَبْذُونَهَا وَأَسَاطِيلُ الْمُسْلِمِينَ  
 قَدْ خَرَبَتْ عَلَيْهِمْ خِرَاءَ الْأَسَدِ عَلَى فَرَسَتِهِ وَقَدْ مَلَأَتْ الْأَكْثَرُ مِنْ بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ  
 عُدَّةً وَعَدَدًا وَاخْتَلَفَتْ فِي طُرُقِهِ سِلْعًا وَحَرْبًا فَلَمْ تَظْهَرْ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِيهِ أَوْلَاحٌ حَتَّى إِذَا  
 أَدْرَكَ الدَّوْلَةُ الْفُيُودِيَّةَ وَالْأُمُورِيَّةَ الْفَسْلَ وَالْوَهْنَ وَطَرَفَهَا الْإِعْتِلَالُ مَدَّ النَّصَارَى أَيْدِيَهُمْ  
 إِلَى جَزَائِرِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيَّةِ مِثْلَ صِقْلِيَّةٍ وَأَفْرِيطِشٍ وَمَالِطَةٍ فَمَلِكُوها ثُمَّ الْحَوَاطِي سَوَاحِلِ الشَّامِ  
 فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ وَمَلِكُوا طَرَابُلُسَ وَعَسْقَلَانَ وَصُورَ وَعَكَاةَ وَاسْتَوَلَوْا عَلَى جَمِيعِ الثُّغُورِ  
 بِسَوَاحِلِ الشَّامِ وَغَلَبُوا عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَبَنَوْا عَلَيْهِ كِبَسَةً لِمَظْهَرِ دِينِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ وَغَلَبُوا

بِئِ خَزَرُونَ عَلَى طَرَابُلُسَ ثُمَّ عَلَى قَائِسَ وَصَفَائِسَ وَوَضَعُوا عَلَيْهِمُ الْجَزِيَّةَ ثُمَّ مَلَكَوا الْمُهَذَّبَةَ مَقَرَّ  
مَلُوكِ الْعَبِيدِينَ مِنْ يَدِ أَعْقَابِ بَلَكِينَ بْنِ زِيرِي وَكَانَتْ لَهُمْ فِي الْمَائَةِ الْخَامِسَةِ  
الْكُرَّةُ بِهَذَا الْبَحْرِ وَضَعَتْ شَأْنُ الْأَسَاطِيلِ فِي دَوْلَةِ مِصْرَ وَالشَّامِ إِلَى أَنْ انْقَطَعَ وَلَمْ  
يَعْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْعَهْدِ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ عُنَايَةٌ فَجَاوَزَتْ  
الْحُدُودَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ قَبْلَ رَسْمِ هَذِهِ الْوُضُفَةِ هُنَاكَ وَبَقِيَتْ  
بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ قَصَارَتٌ مُخْتَصَّةٌ بِهَا وَكَانَ الْجَانِبُ الْغَرْبِيُّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
مَوْفُورَ الْأَسَاطِيلِ ثَابِتَ الْقُوَّةَ لَمْ يَشْجِفْهُ عَدُوٌّ وَلَا كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ كُرَّةٌ فَكَانَ قَائِدُ  
الْأَسْطُولِ بِهِ لِهَيْدِ لِمَتُونَةَ بَنِي مَيْمُونِ رُؤَسَاءَ جَزِيرَةِ قَادِسَ وَمِنْ أَيْدِيهِمْ أَخَذَهَا  
عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بِسَلِيمِيهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَأَتَتْهُ عِدَّةُ أَسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْمَائَةِ مِنْ بِلَادِ  
الْعُدُوتَيْنِ جَمِيعًا \* وَلَمَّا اسْتَحْلَلَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ فِي الْمَائَةِ السَّادِسَةِ وَمَلَكَوا  
الْعُدُوتَيْنِ أَقَامُوا خِطَّةَ هَذَا الْأَسْطُولِ عَلَى أُمِّ مَاعُوفٍ وَأَعْظَمَ مَا عَهْدَ وَكَانَ قَائِدُ  
أَسْطُولِهِمْ أَحْمَدُ الصَّقِيلِيُّ أَصْلُهُ مِنْ صَدِّ غِيَارِ الْمُوطَنِينَ بِجَزِيرَةِ سَرُوكِشَ أَسْرَهُ النَّصَارَى  
مِنْ سَوَاحِلِهَا وَرَبَّى عِنْدَهُمْ وَاسْتَخْلَصَهُ صَاحِبُ صِقْلِيَّةَ وَاسْتَكْفَاهُ ثُمَّ هَلَكَ وَوَلَّى ابْنُهُ  
فَأُخْطِطَ بِبَعْضِ الزَّرْعَاتِ وَخَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَحِقَ بِتُونِسَ وَنَزَلَ عَلَى السَّيِّدِ بِهَا مِنْ بَنِي  
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَأَجَازَ مَرَائِشَ قَتْلَقَاهُ الْخَلِيفَةُ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِالْمَبْرَةِ  
وَالْكِرَامَةِ وَأَجَزَلَ الصَّلَةَ وَلَقْدَهُ أَمْرُ أَسَاطِيلِهِ جَلَّى فِي جِهَادِ أُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ وَكَانَتْ  
لَهُ آثَارٌ وَأَخْبَارٌ وَمَقَامَاتٌ مَذْكُورَةٌ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ \* وَأَنْتَهَتْ أَسَاطِيلُ  
الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِهِ فِي الْكُرَّةِ وَالْإِسْتِجَادَةِ إِلَى مَا لَمْ تَبْلُغْهُ مِنْ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ فِيمَا  
عَهْدَنَاهُ وَلَمَّا قَامَ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ مَلِكُ مِصْرَ وَالشَّامِ لِعَهْدِهِ بِاسْتِزْجَاعِ  
شُعُورِ الشَّامِ مِنْ يَدِ أُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ وَتَطْهِيرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَنَابَعَتْ أَسَاطِيلُهُمْ بِالْمَدَدِ  
لِلَّذَلِكَ الثُّغُورِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَرِيبَةٍ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّذِي كَانُوا قَدْ اسْتَوَلَوْا عَلَيْهِ فَأَمْدُوهُمْ  
بِالْعَدَدِ وَالْأَفْوَاتِ وَلَمْ تَقَاوِمَهُمْ أَسَاطِيلُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ لِاسْتِغْرَارِ الْعَلْبِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ  
الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْبَحْرِ يَرَى وَتَعَدَّدُ أَسَاطِيلُهُمْ فِيهِ وَضَعَفَ الْمُسْلِمِينَ مِنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ  
عَنْ مُمَانَعَتِهِمْ هُنَاكَ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ قَبْلُ فَأَوْقَدَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى أَبِي بَقُوبِ الْمَنْصُورِ  
سُلْطَانَ الْمَغْرِبِ لِعَهْدِهِ مِنَ الْمُوحِدِينَ رَسُولَهُ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ مُنْقِذٍ مِنْ بَيْتِ بَنِي مُنْقِذٍ

مُلُوكٍ شَبَدَرٍ وَكَانَ مَلِكُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَبْقَى عَلَيْهِمْ فِي دَوْلَتِهِ بَعَثَ عَبْدَ الْمُصْطَرِّمِ مِنْهُمْ  
 هَذَا إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ طَالِبًا مَدَدَ الْأَسَاطِيلِ لِيَحُولَ فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أَسَاطِيلِ الْأَجَانِبِ  
 وَبَيْنَ مَرَايِمِ مِنْ أَمْدَادِ النُّصْرَانِيَّةِ يَتَغَوَّرُ الشَّامَ وَأَصْحَبَةَ كِتَابَةِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءِ  
 الْفَاضِلِ الْيَسَّانِيِّ يَقُولُ فِي افْتِنَاحِهِ فَتَحَ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا أَبْوَابَ الْمَنَاجِحِ وَالْيَمَانَ حَسْبَمَا  
 نَقَلَهُ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْفَتْحِ الْقَيْسِيِّ فَقِمَ عَلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ نَجَافِيَهُمْ عَنْ  
 خِطَابِهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَنَاجِحِ الْبَرِّ وَأَنْكَرَامَةِ وَرَدِّهِمْ  
 إِلَى مَرْسُلِهِمْ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى اخْتِصَاصِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ  
 بِالْأَسَاطِيلِ وَمَا حَصَلَ لِلنُّصْرَانِيَّةِ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْأَسْطِطَالَةِ وَعَدَمِ  
 عِنَايَةِ الدَّوَلِ بِمِصْرَ وَالشَّامَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَمَا بَعْدَهُ لِشَأْنِ الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ  
 مِنْهَا لِلدَّوَلَةِ وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ وَأَعْتَلَّتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ وَاسْتَوْلَتْ أُمَمُ  
 الْجَلَّاقَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْجَاوَا وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَمَا كُفُوا  
 الْجَوَائِزُ الَّتِي بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْبَحْرِ أَرْوَحِي قَوِيَّتِ رِيغُهُمْ فِي بَسِطِ هَذَا الْبَحْرِ وَاشْتَدَّتْ  
 شَوْكَتُهُمْ وَكَثُرَتْ فِيهِ أَسَاطِيلُهُمْ وَتَرَاجَعَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ إِلَى الْمَسَاوِافِ مَعَهُمْ  
 كَمَا وَقَعَ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ مَلِكِ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّ أَسَاطِيلَهُ كَانَتْ عِنْدَ  
 مَرَايِمِ الْجِيَادِ مِثْلَ عُدَّةِ النُّصْرَانِيَّةِ وَعَدِيدِهِمْ ثُمَّ تَرَاجَعَتْ عَنْ ذَلِكَ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ أضعفَ الدَّوَلَةُ وَنَسِيكَانِ عَوَائِدِ الْبَحْرِ بِكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ الْبَدَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَانْقِطَاعِ  
 الْعَوَائِدِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَرَجَعَ النَّصَارَى فِيهِ إِلَى دِينِهِمُ الْمَعْرُوفِ مِنَ الدُّدْبَةِ فِيهِ وَالْمَرَانِ  
 عَلَيْهِ وَالْبَصَرِ بِأَحْوَالِهِ وَغَلَبَ الْأَنَمُ فِي لُجَّتِهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ كَالْأَجَانِبِ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ لَهُمْ الْمَرَانُ عَلَيْهِ لَوْ وَجَدُوا كَثَرَةً مِنْ الْأَنْصَارِ  
 وَالْأَعْوَانِ أَوْ قِلَّةً مِنَ الدَّوَلَةِ تَسْتَجِيشُ لَهُمْ أَعْوَانًا وَتَوْضِيعُ لَهُمْ فِي هَذَا الْفَرَضِ مَسَلَكًا  
 وَبَقِيَتْ الرُّتْبَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الدَّوَلَةِ الْغَرْبِيَّةِ مَحْفُوظَةً وَالرَّمَمُ فِي مُعَانَاةِ الْأَسَاطِيلِ بِالْإِنْشَاءِ  
 وَالرُّكُوبِ مَعَهُدًا لِمَا عَسَاهُ أَنْ تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الْأَغْرَاضِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْبِلَادِ  
 الْبَحْرِيَّةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَبِيحُونَ الرِّيحَ عَلَى الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ فَيَنْ الْمُسْتَبِيرِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
 عَنْ كُتْبِ الْحَبْدَانِ أَنَّهُ لَا بَدَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُرَّةِ عَلَى النُّصْرَانِيَّةِ وَافْتِنَاحِ مَا وَرَاءَ  
 الْبَحْرِ مِنْ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الْأَسَاطِيلِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ

## الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

إِعْلَمَنَّ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا أَنَّ الْحَاجَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ إِلَى السَّيْفِ مَا دَامَ أَهْلُهَا فِي تَمْهِيدِ أَمْرِهِمْ أَشَدَّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْقَلَمِ لِأَنَّ الْقَلَمَ فِي تِلْكَ الْحَالِ خَادِمٌ فَقَطْ مُنْفَذٌ لِحُكْمِ السُّلْطَانِي وَالسَّيْفُ شَرِيكٌ فِي الْمَعُونَةِ وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ تَضَعُ عَصِيَّتَهُمَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَقِلُّ أَهْلُهَا بِمَا يَنَالُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي قَدَمْنَاهُ فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الْأَسْطِغْثَارِ بِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَتَقْوَى الْحَاجَةُ إِلَيْهِمْ فِي حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ الشَّأْنُ أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي تَمْهِيدِهَا فَيَكُونُ لِلْسَّيْفِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْقَلَمِ فِي الْحَالَتَيْنِ وَيَكُونُ أَرْبَابُ السَّيْفِ حِينَئِذٍ أَوْسَعَ جَاهًا وَأَكْثَرُ نِعْمَةً وَاسْتِئْثَارًا وَأَمَّا فِي وَسْطِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَعِينُ صَاحِبُهَا بِنُصْرِ الشَّيْءِ عَنِ السَّيْفِ لِأَنَّهُ قَدْ تَمَهَّدَ أَمْرُهُ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا فِي تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْجَبَايَةِ وَالضَّبْطِ وَبِهَازَةِ الدُّوَلِ وَتَنْفِذِ الْأَحْكَامِ وَالْقَلَمُ هُوَ الذِّمِينُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَعْظُمُ الْحَاجَةُ إِلَى تَصْرِيفِهِ وَتَكُونُ السُّيُوفُ مُهْمَلَةً فِي مَضَاجِعِ اعْتِمَادِهَا إِلَّا إِذَا أَنْابَتْ نَائِبَةٌ أَوْ دُعِيَتْ إِلَى سِدْرِ فُرْجَةٍ وَمِمَّا سَوَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا فَتَكُونُ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ فِي هَذِهِ الْحَاجَةِ أَوْسَعَ جَاهًا وَأَعْلَى رُتْبَةً وَأَعْظَمَ نِعْمَةً وَتُرُوءَةً وَأَقْرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ مَجْلِسًا وَأَكْثَرَ إِلَيْهِ تَرَدُّدًا وَفِي خُلُوتِهِ نَجِيًّا لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ أَلْتَهُ الْيَقِينُ بِهَا يَسْتَغْثِرُ عَلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ مَلِكِهِ وَالنَّظَرُ إِلَى أَعْظَافِهِ وَتَثْقِيفِ أَطْرَافِهِ وَالْمُبَاهَاةُ بِأَحْوَالِهِ وَيَكُونُ الْوُزَرَاءُ حِينَئِذٍ وَأَهْلُ السُّيُوفِ مُسْتَعْتَقِينَ عَنْ بَاطِنِ السُّلْطَانِ حَذِيرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَوَادِرِهِ \* وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو سُلَيْمٍ لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا الْفَرَسِ أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدُّهُمَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السادس والثلاثون

في شارات الملك والسلطان الخاصة به

إِعْلَمَنَّ أَنَّ لِّلْسلْطَانِ شَارَاتٍ وَأَحْوَالًا تَقْتَضِيهَا الْأَجَبَةُ وَالْبَذْخُ فَيَحْتَصِصُ بِهَا وَيَتَمَيَّزُ

بِأَنْتِهَا عَنِ الرَّعِيَّةِ وَالْبَطَانَةِ وَسَائِرِ الرُّؤَسَاءِ فِي دَوْلَتِهِ فَلَنَذْكُرَ مَا هُوَ مُشْتَبَرٌ مِنْهَا  
وَيَمْتَلِغُ الْمَعْرِفَةَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ  
الآلَةُ \* فَمِنْ شَارَاتِ الْمَلَائِكَةِ اتِّخَاذُ الْآلَةِ مِنْ تَنْشِيرِ الْأَلْوِيَةِ وَالرَّايَاتِ وَقَرَعَ الطُّبُولِ  
وَالنَّفْعِ فِي الْأَبْوَابِ وَالْقُرُونِ وَقَدْ ذَكَرَ أَرْسَطُو فِي الْكِتَابِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ فِي السِّيَاسَةِ  
أَنَّ السِّرَّ فِي ذَلِكَ إِرْهَابُ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْأَصْوَاتَ الْمُمَانِلَةَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي النَّفُوسِ  
بِالرَّوْعَةِ وَتَعْمَرِي إِنَّهُ أَمْرٌ وَجَدَانِيٌّ فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ يَبْعُدُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَهَذَا  
السَّبَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرْسَطُو إِنْ كَانَ ذَكَرَهُ فَهُوَ صَحِيحٌ بَعْضُ الْأَعْتِبَارَاتِ \* وَأَمَّا  
الْحَقُّ فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَنَّ النَّفْسَ عِنْدَ مَمَاعِ الدِّنَمِ وَالْأَصْوَاتِ يَدْرِكُهَا الْفَرْحُ وَالطَّرَبُ بِلا  
شَكٍّ فَيُصِيبُ مَزَاجَ الرُّوحِ نَشْوَةً يَسْتَسْهِلُ بِهَا الصَّعْبَ وَيَسْتَمِيتُ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ  
الَّذِي هُوَ فِيهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ حَتَّى فِي الْحَيَوَانَاتِ الْفُجَمِ بِأَنْفِعَالِ الْأَيْلِ بِالْحِدَاءِ وَالْحَيْلِ  
بِالصَّبْرِ وَالصَّرِيحِ كَمَا عَلِمْتَ وَيَزِيدُ ذَلِكَ تَأْثِيرًا إِذَا كَانَتْ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً كَمَا  
فِي الْغَنَاءِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَحْدُثُ لِسَامِعِهِ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى لِأَجْلِ ذَلِكَ لَنَتَّخِذَ الْفُجَمِ فِي  
مَوَاطِنِ حُرُوبِهِمُ الْآلَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةَ <sup>(١)</sup> لَا طَبْلًا وَلَا بُوْقًا فَيُحْدِثُ الْمَعْنُوسَ بِالسُّلْطَانِ فِي  
مَوَكِبِهِ بِالْأَنِيمِ وَيَنْشُونَ بِحُجْرَتِهِمْ كَوْنُ نَفُوسِ الشُّجْعَانِ بِضَرْبِهِمْ إِلَى الْأَسْتِمَاتَةِ وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِي  
حُرُوبِ الْعَرَبِ مَنْ يَتَغَنَّى أَمَامَ الْمَوَكِبِ بِالشَّعْرِ وَيُطْرِبُ فَيُجِيشُ هِمَّهُمُ الْأَبْطَالَ بِمَا فِيهَا  
وَيُسَارِعُونَ إِلَى جَلَالِ الْحَرْبِ وَيَبْتَغِي كُلُّ قَرْنٍ إِلَى قَرْنِهِ وَكَذَلِكَ زِنَانَةُ مِنْ أَسْمِ الْمَغْرِبِ  
يَتَقَدَّمُ الشَّاعِرُ عِنْدَهُمْ أَمَامَ الصُّنُوفِ وَيَتَغَنَّى فَيُحَرِّكُ بِغَنَائِهِ الْجِبَالَ الرَّوَاسِي وَيَبْعَثُ عَلَى  
الْأَسْتِمَاتَةِ مَنْ لَا يَبْظُنُّ بِهَا وَيُسَمِّنُ ذَلِكَ الْغَنَاءَ نَاصُوكَايَتِ وَأَصْلُهُ كُلُّهُ فَرْحٌ يَبْعَثُ فِي  
النَّفْسِ فَنَتَبِعُ عَنْهُ الشَّجَاعَةُ كَمَا نَتَبِعُ عَنْ نَشْوَةِ الْحَمْرِ بِمَا حَدَّثَ عَنْهَا مِنَ الْفَرْحِ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ وَأَمَّا تَكْذِيرُ الرَّايَاتِ وَتَلْوِينُهَا وَإِطْلَاقُهَا فَالْقَصْدُ بِهِ التَّهْوِيلُ لِأَنَّ كَثْرَتَهُ بِمَا تَحْدُثُ  
فِي النَّفُوسِ مِنَ التَّهْوِيلِ زِيَادَةً فِي الْأَقْدَامِ وَأَحْوَالِ النَّفُوسِ وَتَلْوِينُهَا بِتَأْثِيرِهِ وَاللَّهُ أَخْلَاقُ  
الْعَالَمِينَ \* ثُمَّ إِنَّ الْمُلُوكَ وَالِدُولَ يَخْتَلِفُونَ فِي اتِّخَاذِ هَذِهِ الشَّارَاتِ فَمِنْهُمْ مُكْثَرٌ وَمِنْهُمْ  
مُقَلِّلٌ بِحَسَبِ اتِّسَاعِ الدَّوْلَةِ وَعِظَمِهَا فَأَمَّا الرَّايَاتُ فَإِنَّهَا شِعَارُ الْحُرُوبِ مِنْ عَهْدِ خَلْقِهَا

(١) قوله موسيقوفي نخته الموسيقاية: وهي صحيحة لأن الموسيقى بكسر الهمزة بين الغنيين اسم للغم  
والإنحان وتوفيقها ويقال فيها موسيقار ويقال لصاحب الآلة موسيقار انظر ادب مغنية الشيخ محمد شهاب



وَلَمْ تَزَلِ الْأُمَمُ نَغْفِدَها فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وَالْفِرَواتِ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَمِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ \* وَأَمَّا قَرْعُ الطُّبُولِ وَالنَّفْخُ فِي الْأَبْواقِ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ  
الْحَمْلَةِ مُجَابِينَ عَنْهُ تَنْزُهاً عَنْ غِلْظَةِ الْمَلِكِ وَرَفْضاً لِأَحْوالِهِ وَأَحْقادِها لِأَبْنَيْهِ الَّتِي لَبَسَتْ  
مِنَ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ حَتَّى إِذَا انْقَلَبَتِ الْخِلافةُ مُلْكاً وَتَبَحَّجُوا بِزَهْرَةِ الدِّينِ وَنَعِمَها وَلَا بَسَمَها  
الْمَوالي مِنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ أَهْلِ الدُّولِ السَّالِفَةِ وَأَرْوَمَ ما كانَ أَوْلَكِ يَنْتَحِلُونَهُ مِنْ  
مَذاهِبِ الْبَذَخِ وَالزَّرَفِ فَكَانَ مِمَّا اسْتَحْسَنُوهُ اتِّخَاذاً لآلَةٍ فَأَخَذُواها وَأَذْنُوا لِعَمالِهِمْ  
فِي اتِّخَاذِها تَنْوِيهاً بِالْمَلِكِ وَاهْلِهِ فَكَثُرَ ما كانَ الْعامِلُ صَاحِبُ الثَّغْرِ أَوْ قَائِدُ الْجَيْشِ  
يَعْتَدِلُهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوِ الْمُعْتَصِمِينَ لِوَأْتِهِ وَيُخْرِجُ إِلَى بَعْثِهِ أَوْ عَمَلِهِ مِنْ دَارِ  
الْخَلِيفَةِ أَوْ دَارِهِ فِي مَوْكِبٍ مِنْ أَصْحَابِ الرِّايَاتِ وَالْآلاتِ فَلَا يُعَيِّزُ بَيْنَ مَوْكِبِ الْعامِلِ  
وَالْخَلِيفَةِ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْأَوِيَّةِ وَقِلَّتِها أَوْ بِما أَخْضَعَ بِهِ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْأَلْوانِ لِرايَتِهِ كَالسَّوَادِ  
فِي رايَاتِ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ رايَتَهُمْ كَانَتْ سُوداً حَزَنًا عَلَى شُهَدائِهِمْ مِنْ بَنِي هاشِمٍ وَنَعِيماً  
عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فِي قَتْلِهِمْ وَلِلَّذِي سُمِّيَ الْمُسَوَّدَةُ \* وَلَمَّا أَفْتَرَقَ أَمْرُ الْأَهاشِمِيِّينَ وَخَرَجَ  
الطَّالِبِيُّونَ عَلَى الْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَعَصَرَ ذَهَبُوا إِلَى مُحالِقَتِهِمْ فِي ذَلِكَ فَأَتَّخَذُوا  
الرَّايَاتَ بِيضاً وَسَمُّوا الْمُبِيشَةَ لِذَلِكَ سائرَ أَيَّامِ الْعَبِيدِيِّينَ وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ فِي  
ذَلِكَ الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ كَالدَّاعِي بِطَبْرِسْتانَ وَدَّاعِي صَعْدَةَ أَوْ مَنَ إِلَى بَدْعَةِ الرَّاغِبَةِ  
مِنْ غَيْرِهِمْ كَالْفَرَّاطِيَّةِ وَلَمَّا نَزَعَ الْمَأْمُونُ عَنْ لُبْسِ السَّوَادِ وَشَعَارِهِ فِي دَوْلَتِهِ عَدَلَ إِلَى  
لَوْنِ الْخَضِرَةِ لِيَجْعَلَ رايَتَهُ خَضِرَةً وَأَمَّا الْأَسْكَكُتَارُ مِنْها فَلَا يَنْتَهِي إِلَى حَدٍّ وَقَدْ كَانَتْ  
آلَةُ الْمُعْتَصِمِيِّينَ أَمَّا خَرَجَ الْعَزِيزُ إِلَى فَتْحِ الشَّامِ خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْبُنُودِ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ  
الْأَبْواقِ وَأَمَّا مُلْكُ الْبَرَبَرِ بِالْمَغْرِبِ مِنْ صَنْجَاهَةٍ وَغَيْرِها فَلَمْ يُخْصَصُوا بِلَوْنٍ وَاحِدٍ بَلْ  
وَشَوْها بِالذَّهَبِ وَاتَّخَذُواها مِنَ الْحَرِيرِ الْخالِصِ مَلَوْنَةً وَاسْتَحْمَرُوا عَلَى الْأَذْنِ فِيها لِعَمالِهِمْ  
حَتَّى إِذَا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ زَنانَةِ قَصْرُوا الْآلَةَ مِنَ الطُّبُولِ وَالْبُنُودِ  
عَلَى السُّلْطانِ وَخَطَرُوها عَلَى مَنْ سِوَاهُ مِنْ عُمالِهِ وَجَمَلُوا لَها مَوْكِباً خَاصاً يَنْتَعُ أَثَرُ السُّلْطانِ  
فِي مَسِيرِهِ يُسَمَّى السَّاقَةَ وَهُمْ فِيهِ بَيْنَ مُكْثَرٍ وَمَقْلٍ بِاِخْتِلافِ مَذاهِبِ الدُّولِ فِي ذَلِكَ  
فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى سَبْعَةٍ مِنَ الْعَدَدِ تَبَرُّكا بِالسَّبعَةِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَبَنِي  
الْأَحْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَشْرَةَ وَالْعِشْرِينَ كَمَا هُوَ عِنْدَ زَنانَةِ وَقَدْ بَلَغَتْ فِي

أَيَّامُ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ فِيمَا أَدْرَكَنَاهُ مِائَةٌ مِنْ الطُّبُولِ وَمِائَةٌ مِنَ الْبُنُودِ مُلَوَّنَةٌ  
بِالْحَرِيرِ مَسْجُوجَةٌ بِالذَّهَبِ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَيَاذُنُونَ لِلْوَلَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْقَوَادِي فِي  
اتِّخَاذِ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْكُتَاتِ يَضَاهُ وَطِلَ صَغِيرِ أَيَّامِ الْحَرْبِ لَا يَتَجَاوَزُونَ  
ذَلِكَ وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ لِهَذَا الْفَهْدِ بِالْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُونَ رَايَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً وَفِي رَأْسِهَا  
خَصْلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ يُسَمُّونَهَا الشَّالَشَ وَالْخَزَرِ وَفِي شِعَارِ السُّلْطَانِ عِنْدَهُمْ ثُمَّ اتَّعَدُّ  
الرَّايَاتِ وَيُسَمُّونَهَا السَّنَاقِقَ وَاحِدُهَا سَنَقَقٌ وَفِي الرَّايَةِ لِبَاسَانِهِمْ وَأَمَّا الطُّبُولُ فَيُبَالِغُونَ  
فِي الْأَسْنِكَةِ مِنْهَا وَيُسَمُّونَهَا الْكُوسَاتِ وَيُيَحُونُ لِكُلِّ أَمِيرٍ أَوْ قَائِدٍ عَسْكَرٍ أَنْ  
يَتَّخِذَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ إِلَّا الْخَزَرِ فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِالسُّلْطَانِ وَأَمَّا الْجَلَالَةُ لِهَذَا الْفَهْدِ مِنْ  
أُمَمٍ إِلَّا فَرَنْجِيَّةً بِالْأَنْدَلُسِ فَأَكْثَرُ شَأْنِهِمْ اتِّخَاذُ الْأَلْوَانِ الْقَلِيلَةِ ذَاهِيَةٍ فِي أَنْجَبِ صُعْدَا  
وَمَعَهَا قِرْعُ الْأَوْتَارِ مِنَ الطَّنَابِيرِ وَتُخَمَّرُ الْغِيَطَاتُ يَذْهَبُونَ فِيهَا مَذْهَبُ الْغَنَاءِ وَطَرِيقُهُ فِي مَوَاطِنِ  
حُرُوبِهِمْ هَكَذَا يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ وَعَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَانِسِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِلْعَالَمِينَ

(السري) وَأَمَّا السَّرِيرُ وَالْمَنْبَرُ وَالْخُفُّ وَالْكَرْمِي فِيهِ أَعْوَادٌ مَنصُوبَةٌ أَوْ أَرَاكُتُ  
مُنْصَبَةٌ لِحُلُوسِ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا رُتَنَةٌ عَنْ أَهْلِ نَجْلِيهِ أَنْ يُسَاقِبَهُمْ فِي الصَّعِيدِ وَلَمْ يَزَلْ  
ذَلِكَ مِنْ سُنَنِ الْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَفِي دَوْلِ الْعَجَمِ وَقَدْ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى أَسِرَةِ الذَّهَبِ  
وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ كَرْمِيٌّ وَسَرِيرٌ مِنْ عَاجٍ مُنْشَى بِالذَّهَبِ  
إِلَّا أَنَّهُ لَا تَأْخُذُ بِهِ الدُّوْلُ إِلَّا بَعْدَ الْأَسْتِحْضَالِ وَالْتَرَفِ شَأْنِ الْأَهْمَةِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا  
وَأَمَّا فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ الْبِلَادَةِ فَلَا يَتَشَوَّقُونَ إِلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهُ فِي الْإِسْلَامِ  
مُعَاوِيَةُ وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِيهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ بَدَنْتُ فَأَذْنُوا لَهُ فَاتَّخَذَهُ وَاتَّبَعَهُ الْمُلُوكُ  
الْإِسْلَامِيُّونَ فِيهِ وَصَارَ مِنْ مَنَازِعِ الْأَهْمَةِ وَلَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَدَايِ بِمِصْرَ يَجْلِسُ  
فِي قَصْرِهِ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْعَرَبِ وَيَأْتِيهِ الْمُقَوِّسُ إِلَى قَصْرِهِ وَهَهُ مَرِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ  
مَحْمُولًا عَلَى الْأَيْدِي لِحُلُوسِهِ شَأْنُ الْمُلُوكِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمَامُهُ وَلَا يُغَيِّرُونَ عَلَيْهِ وَفَاءَهُ  
بِمَا أَعْتَقَدَ مِنْهُمْ مِنَ الْقِيَمَةِ وَأَطْرَاحًا لِأَهْمَةِ الْمُلْكِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لِنَبِيِّ الْعَبَّاسِ  
وَالْعَلِيدِينَ وَسَائِرِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا مِنَ الْأَسِرَةِ وَالْمَنَابِرِ وَالنُّفُوسِ مَا عَفَا عَنْ  
الْأَكْسَرَةِ وَالْقَبَاصِرَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

(السكة) وهي ألحمت على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صوراً أو كلمات منقوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رؤوس تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يغتر عيار النقود من ذلك الخس في خلوصه بالسكة مرة بعد أخرى وبعد تقدير اشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يسطح عليه فيكون التعامل بها عدداً وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزناً ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الحديده المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش المائلة على الدنانير والدراهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علماً عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من الممشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش يختم السلطان عليها بذلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها ويتشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهدها أو تمثيل حصن أو حيوان أو صنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم . ولما جاء الإسلام أغل ذلك لسداجة الدين وبداهة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم ويزدونها في معاملتهم إلى الوزن ويتصارفون بها بينهم إلى أن تباحش الغش في الدنانير والدراهم لفتنة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدراهم وتميز الممشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحداً الله الحمد ثم ولي ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك تجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل أول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الإسلام ستة دنانير والمقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فكان عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم

أَيَّامَ الْفُرْسِ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً وَكَانَ مِنْهَا عَلَى وَزْنِ الْمِثْقَالِ عِشْرُونَ فِيرَاطًا وَمِنْهَا اثْنَا عَشَرَ  
 وَمِنْهَا عَشْرَةٌ فَلَمَّا أُخْبِرَ إِلَى تَقْدِيرِهِ فِي الزَّكَاةِ أَخَذَ الْوَسْطَ وَذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ فِيرَاطًا  
 فَكَانَ الْمِثْقَالُ دِرْهَمًا وَثَلَاثَةَ أَسْبَاعٍ دِرْهَمٌ وَقِيلَ كَانَتْ مِنْهَا الْبَغْلِيُّ بِشِمَانِيَّةٍ دَوَانِقُ  
 وَالطَّبْرِيُّ أَرْبَعَةٌ دَوَانِقُ وَالْمَغْرِبِيُّ ثَمَانِيَّةٌ دَوَانِقُ وَالْيَمَنِيُّ سِتَّةٌ دَوَانِقُ فَأَمَرَ عُمَرُ أَنْ يُنْظَرَ  
 الْأَغْلَبُ فِي التَّعَامُلِ فَكَانَ الْبَغْلِيُّ وَالطَّبْرِيُّ اثْنَتَيْ عَشَرَ دَانِقًا وَكَانَ الدِّرْهَمُ سِتَّةَ  
 دَوَانِقٍ وَإِنْ زِدْتَ ثَلَاثَةَ أَسْبَاعٍ كَانَ مِثْقَالًا وَإِذَا انْقَصَتْ ثَلَاثَةُ أَعْشَارِ الْمِثْقَالِ كَانَ  
 دِرْهَمًا فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ اخْتِذَا السِّكَّةِ لِصِيَانَةِ النِّقْدِ الْجَارِيَيْنِ فِي مَعَامِلَةِ  
 الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفِشِّ عَيْنَ مَقْدَارِهَا عَلَى هَذَا الَّذِي اسْتَقَرَّ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَاتَّخَذَ فِيهِ كَلِمَاتٍ لَا صَوْرًا لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَ الْكَلَامَ وَالْبَلَاغَةَ أَقْرَبَ مَنَاجِيهِ وَأَظْهَرَهَا  
 مَعَ أَنَّ الشَّرْعَ يَنْهَى عَنِ الصُّورِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَحَرَّ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَيَّامِ الْمِلَّةِ كُلِّهَا  
 وَكَانَ الدِّرْبَارُ وَالْدِرْهَمُ عَلَى شَكْلَيْنِ مُدَوَّرَيْنِ وَالْمَكْتَابَةُ عَلَيْهِمَا فِي دَوَائِرٍ مُتَوَازِيَةٍ  
 يُكْتَبُ فِيهَا مِنْ أَحَدِ التَّوَجَّهَيْنِ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَهْلِيلًا وَتَعْبِيدًا وَصَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ وَاللَّهُ وَفِي  
 الْوَجْهِ الثَّانِي التَّأْرِخُ وَأَسْمُ الْخَلِيفَةِ وَهَكَذَا أَيَّامُ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ  
 وَأَمَّا صَنْجَاهُ فَلَمْ يَتَّخِذُوا سِكَّةً إِلَّا آخِرَ الْأَمْرِ اتَّخَذَهَا مُنْصَرِفًا صَاحِبُ بَيْعَانَةٍ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 ابْنُ حَمَادٍ فِي تَارِيخِهِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ كَانَ مِمَّا سَنَّ لَهُمُ الْهَيْدِيَّ اخْتِذَا  
 سِكَّةِ الدِّرْهَمِ مُرْبِعَ الشَّكْلِ وَأَنْ يُرْسَمَ فِي دَائِرَتِهِ الدِّرْبَارُ شَكْلُ مُرْبَعٍ فِي وَسْطِهِ  
 وَيُمْلَأُ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ تَهْلِيلًا وَتَعْبِيدًا وَمِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ كُتِبَ فِي السُّطُورِ بِأَسْمِهِ  
 وَأَسْمِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَعَلَّ ذَلِكَ الْمُوَحِّدُونَ وَكَانَتْ سِكَّتُهُمْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَلَقَدْ كَانَ الْهَيْدِيُّ ثِمًا يُنْقَلُ يُنْعَتُ قَبْلَ ظُهُورِهِ بِصَاحِبِ الدِّرْهَمِ الْمُرْبَعِ نَعْتُهُ بِذَلِكَ  
 الْمُسْكُتُونَ بِالْخُدَّانِ مِنْ قَبْلِهِ الْخُفَيْرُونَ فِي مَلَاحِيهِمْ عَنْ دَوْلَتِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ  
 إِهَذَا الْعَهْدِ فَسِكَّتُهُمْ غَيْرُ مُقَدَّرَةٍ وَإِنَّمَا يَتَعَامَلُونَ بِالدَّنَانِيرِ وَالْدِرَاهِمِ وَزَنًا بِالصَّنَجَاتِ  
 الَّتِي قُدِّرَتْ بَعْدَهُ مِنْهَا وَلَا يَطْبَعُونَ عَلَيْهَا بِالسِّكَّةِ نَقُوشَ الْكَلِمَاتِ بِالتَّهْلِيلِ وَالصَّلَاةِ وَأَسْمِ  
 السُّلْطَانِ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ  
 وَلْتَحْتَمِ الْكَلَامُ فِي السِّكَّةِ بِذِكْرِ حَقِيقَةِ الدِّرْهَمِ وَالْدِّرْبَارِ الشَّرْعِيَيْنِ وَيَكُنْ  
 حَقِيقَةً مِقْدَارِهِمَا

وَذَلِكَ أَنَّ الدِّينَارَ وَالذِّرْهَمَ مُخْتَلِفَا السِّكَّةِ فِي الْمِقْدَارِ وَالْمَوَازِينِ بِالْآفَاقِ  
وَالْأَمْصَارِ وَمَا فِي الْأَعْمَالِ وَالشَّرْعِ قَدْ تَعَرَّضَ لِذِكْرِهِمَا وَعَلَّقَ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ  
بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ وَالْأَنْكَحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا فَلَا بُدَّ لِهَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَقِيقَةِ وَمِقْدَارِ  
مَعَيَّنٍ فِي تَقْدِيرِ تَجَرِّي عَلَيْهِمَا أَحْكَامَهُ دُونَ غَيْرِ الشَّرْعِيِّ مِنْهَا فَأَعْلَمَ أَنَّ الْإِجْمَاعَ  
مُنْتَقِدٌ مِنْذُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَعَهْدِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ الذِّرْهَمَ الشَّرْعِيُّ هُوَ الَّذِي تَزَنُ  
الْعَشْرَةُ مِنْهُ سَبْعَةُ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَوْقِيَّةُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ ذِرْهَمًا وَهُوَ عَلَى هَذَا سَبْعَةُ  
أَعْشَارِ الدِّينَارِ وَوزن المِثْقَالِ مِنَ الذَّهَبِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ فَالذِّرْهَمُ  
الَّذِي هُوَ سَبْعَةُ أَعْشَارِهِ خَمْسُونَ حَبَّةً وَخُمْسًا حَبَّةً وَهَذِهِ الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِالْإِجْمَاعِ  
فَإِنَّ الذِّرْهَمَ الْجَاهِلِيَّ كَانَ يَنْهَمُ عَلَى أَنْوَاعٍ أَجْوَدُهَا الطَّبَرِيُّ وَهُوَ أَرْبَعَةُ دَوَانِقٍ وَابْنُ  
وَهُوَ ثَمَانِيَةُ دَوَانِقٍ فَعَمَلُوا الشَّرْعِيُّ يَنْهَمُ وَهُوَ سِتَّةُ دَوَانِقٍ فَكَانُوا يُوجِبُونَ الزَّكَاةَ  
فِي مِائَةِ ذِرْهَمٍ بَغْلِيَّةً وَمِائَةِ طَبَرِيَّةٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ وَسَطًا وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ  
كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَضْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ إِجْمَاعِ النَّاسِ بَعْدَ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ .  
ذَكَرَ ذَلِكَ الْخَطَّاطُ فِي كِتَابِ مَعَالِمِ السَّنَنِ وَالْمَوَازِينِ فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَأَنكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِمَا يَلْزِمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الدِّينَارُ وَالذِّرْهَمُ الشَّرْعِيَّانِ  
مَجْهُولَيْنِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مَعَ تَعَلُّقِ الْحَقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ  
وَالْأَنْكَحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعْلُومَيِ الْمِقْدَارِ فِي ذَلِكَ  
العصرِ لِجُرْيَانِ الْأَحْكَامِ يَوْمئِذٍ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِمَا مِنَ الْحَقُوقِ وَكَانَ مِقْدَارُهُمَا غَيْرَ مُتَخَصِّصٍ  
فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا كَانَ مُتَعَارِفًا بَيْنَهُمَا بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ عَلَى الْمِقْدَارِ فِي مِقْدَارِهِمَا  
وَزَنَتَهُمَا حَتَّى اسْتَفْجَلَ الْإِسْلَامُ وَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ وَدَعَتْ الْحَالُ إِلَى تَخْصِيصِهِمَا فِي  
الْمِقْدَارِ وَالْوِزْنِ كَمَا هُوَ عِنْدَ الشَّرْعِ لِتَسْتَرِيحُوا مِنْ كِلْفَةِ التَّقْدِيرِ وَقَارَنَ ذَلِكَ أَيَّامَ  
عَبْدِ الْمَلِكِ فَشَخَّصَ مِقْدَارَهُمَا وَعَيْنَهُمَا فِي الْخَارِجِ كَمَا هُوَ فِي الدِّهْنِ وَنَقَشَ عَلَيْهِمَا  
السِّكَّةَ بِأَسْمِهِ وَتَأْرِيخِهِ أَثَرُ الشَّهَادَتَيْنِ الْإِيمَانِيَّتَيْنِ وَطَرَحَ التَّقْوِدَ الْجَاهِلِيَّةَ رَأْسًا  
حَتَّى خَلَصَتْ وَنَقَشَ عَلَيْهَا سِكَّةً وَتَلَاثَتِي وَجُودَهَا فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَحِيدُ عَنْهُ  
وَمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ اخْتِيَارُ أَهْلِ السِّكَّةِ فِي الدَّوَلِ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمِقْدَارِ الشَّرْعِيِّ فِي  
الدِّينَارِ وَالذِّرْهَمِ وَاخْتَلَفَتْ فِي كُلِّ الْأَفْطَارِ وَالْآفَاقِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى تَصَوُّرِ مِقَادِيرِهِمَا

الشَّرْعِيَّةُ ذَهْنًا كَمَا كَانَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَصَارَ أَهْلُ كُلِّ أَتَقَى يَسْتَخْرِجُونَ الْحَقُّوقَ  
الشَّرْعِيَّةَ مِنْ سِيَكَتِهِمْ بِمَعْرِفَةِ النَّسَبِ الَّتِي يَنْهَا وَيَبِينُ مَقَادِيرَهَا الشَّرْعِيَّةَ وَأَمَّا وَزَنُ  
الدِّينَارِ بِأَثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ الْوَسَطِ فَبُذِلَ الَّذِي تَقْلَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَعَلَيْهِ الْإِجَاعُ  
إِلَّا أَنْ حَزَمَ خَالَفَ ذَلِكَ وَزَعَمَ أَنَّ وَزَنَهُ أَرْبَعٌ وَتَمَانُونَ حَبَّةً . تَقْلُ ذَلِكَ عَنْهُ الْقَاضِي  
عَبْدُ الْحَقِّ وَرَدُّهُ الْمُحَقِّقُونَ وَعُدُوهُ وَهَمًّا وَعَظْمًا وَهُوَ الصَّحِيحُ وَاللَّهُ يُعْقِلُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ  
وَكَذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَوْقِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْمُتَعَارِفَةُ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْمُتَعَارِفَةَ  
مُخْتَلَفَةٌ بِاخْتِلَافِ الْأَفْطَارِ وَالشَّرْعِيَّةَ مُتَّحِدَةٌ ذَهْنًا لَا اخْتِلَافَ فِيهَا وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
فَقَدَرَهُ بِتَقْدِيرٍ

(الخاتم) وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَهُوَ مِنَ الْخِلَاطِ الشَّاطِائِنَةِ وَالْوُظَائِفِ الْمُلْكِيَّةِ وَالْخَتَمُ عَلَى  
الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مَعْرُوفٌ لِلْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ  
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى قَيْصَرَ قَبِيلِ لَهُ إِنْ أَلْجَمَ لَا يَقْبَلُونَ  
كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ فِيهِ . يُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ  
الْبُخَارِيُّ جَعَلَ الثَّلَاثُ الْكَلِمَاتِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ وَخَتَمَ بِهِ وَقَالَ لَا يَنْقُشُ أَحَدٌ ثَلَاثَةً قَالَ  
وَخَتَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ سَقَطَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بَيْتِ أَرِيْسٍ وَكَانَتْ قَلِيلَةً  
الْمَاءِ فَلَمْ يَذْكُرْ قَعْرُهَا بَعْدَ وَاعْتَمَ عُثْمَانُ وَتَطَيَّرَ مِنْهُ وَصَنَعَ آخَرَ عَلَى مِثْلِهِ وَفِي كَيْفِيَّةِ  
نَقْشِ الْخَاتَمِ وَالْخَتَمِ بِهِ وَجُوهٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ يُطْلَقُ عَلَى آلَةٍ الَّتِي يُجْعَلُ فِي الْأَصْبَعِ وَمِنْهُ  
خَتَمٌ إِذَا لَبَسَهُ وَيُطْلَقُ عَلَى النِّهَايَةِ وَالْتَّامِ وَمِنْهُ خَتَمْتُ الْأَمْرَ إِذَا بَلَغْتُ آخِرَهُ وَخَتَمْتُ  
الْقُرْآنَ كَذَلِكَ وَمِنْهُ خَاتَمُ الْبَيْتَيْنِ وَخَاتَمُ الْأَمْرِ وَيُطْلَقُ عَلَى السَّدَادِ الَّذِي يُسَدُّ بِهِ الْأَوَانِي  
وَالدِّينَانِ وَيُقَالُ فِيهِ خِتَامٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى خِتَامُهُ مِسْكٌ وَقَدْ غُلِطَ مِنْ قَسَرِ ذَلِكَ بِالنِّهَايَةِ  
وَالتَّامِ قَالَ لِأَنَّ آخِرَ مَا يَجِدُونَهُ فِي شَرَاهِمِهِمْ رِيحُ الْمِسْكِ وَلَيْسَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هُوَ  
مِنْ الْخِتَامِ الَّذِي هُوَ السَّدَادُ لِأَنَّ الْخَتَمَ يُجْعَلُ لَهَا فِي الدِّينِ سَدَادُ الطِّينِ أَوْ الْقَارِ يَحْفَظُهَا  
وَيُطَيَّبُ عَرَفَهَا وَذَوْقَهَا فَبُذِلَ فِي وَصْفِ خَمْرِ الْجَنَّةِ بِأَنَّ سَدَادَهَا مِنَ الْمِسْكِ وَهُوَ أَطْيَبُ  
عَرَقًا وَذَوْقًا مِنَ الْقَارِ وَالطِّينِ الْمَعْمُودَيْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا صَحَّ إِطْلَاقُ الْخَاتَمِ عَلَى هَذِهِ كَلِمَاتِهَا  
صَحَّ إِطْلَاقُهُ عَلَى آخِرِهَا النَّائِيَةِ عَنْهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ إِذَا نَقِشَتْ بِهِ كَلِمَاتٌ أَوْ أَشْكَالٌ  
ثُمَّ غُمِسَ فِي مَدَفٍ مِنَ الطِّينِ أَوْ مِدَادٍ وَوُضِعَ عَلَى صَنْعِ الْفَرَطَاسِ بَقِيَ أَكْثَرُ الْكَلِمَاتِ

فِي ذَلِكَ الصَّنْعِ. وَكَذَلِكَ إِذَا طُبِعَ بِهِ عَلَى جِسْمِهِ أَنْ كَالْتَّصِفَ فَإِنَّهُ يَبْقَى نَقْشُ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ مِنْ تَسْمِيَةِ فِيهِ وَإِذَا كَانَتْ كَلِمَاتُ وَأَرْسَمَتْ فَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْجِهَةِ الْبَسْرَى  
 إِذَا كَانَ النَّقْشُ عَلَى الْأَسْتَقَامَةِ مِنَ الْبَيْتِ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْجِهَةِ الْبَيْتِ إِذَا كَانَ النَّقْشُ  
 مِنَ الْجِهَةِ الْبَسْرَى لِأَنَّ الْخَتْمَ يَقْلِبُ جِهَةَ الْخَطِّ فِي الصَّنْعِ عَمَّا كَانَ فِي النَّقْشِ مِنْ بَيْنِ  
 أَوْ يَسَارٍ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْخَتْمُ هَذَا الْخَاتَمُ بِغَمْسِهِ فِي الْعِدَادِ أَوِ الطِّينِ وَوَضْعِهِ  
 فِي الصَّنْعِ فَتَنْقَشَ الْكَلِمَاتُ فِيهِ وَيَكُونُ هَذَا مِنْ مَعْنَى النِّهَايَةِ وَالْخَاتَمُ بِمَعْنَى صَحَّةِ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ وَتَفْوِذِهِ كَانَ الْكِتَابُ إِنَّمَا يَتِمُّ الْعَمَلُ بِهِ بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَهُوَ مِنْ دُونِهَا  
 مَا لَيْسَ بِتَامٍ وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْخَتْمُ بِأَلْخَطِّ آخِرَ الْكِتَابِ أَوْ أَوَّلَهُ بِكَلِمَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ  
 مِنْ تَحْمِيدٍ أَوْ تَسْبِيحٍ أَوْ بِاسْمِ السُّلْطَانِ أَوِ الْأَمِيرِ أَوْ صَاحِبِ الْكِتَابِ مَنْ كَانَ أَوْ  
 تَمَّ مِنْ نَعْوَتِهِ يَكُونُ ذَلِكَ الْخَطُّ عِلَامَةً عَلَى صَحَّةِ الْكِتَابِ وَتَفْوِذِهِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ فِي  
 الْمُتَعَارِفِ عِلَامَةً وَيُسَمَّى خَتَمًا تَشْبِيهُ لَهُ بِأَثَرِ الْخَاتَمِ الْإِصْبَغِيِّ فِي النَّقْشِ وَمِنْ هَذَا  
 خَاتَمُ الْقَاضِي الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ لِلْخُصُومِ أَيْ عِلَامَتُهُ وَخَطُّهُ الَّذِي يَفْقِدُ بِهِمَا أَحْكَامُهُ  
 وَمِنْهُ خَاتَمُ السُّلْطَانِ أَوِ الْخَلِيفَةِ أَيْ عِلَامَتُهُ قَالَ الرَّشِيدُ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ  
 يَسْتَوْرِزَ جَعْفَرًا وَيَسْتَبْدِلَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ أَخِيهِ فَقَالَ لِأَيِّهِمَا يَحْيَى يَا أَبْتَ إِنِّي أَرَدْتُ  
 أَنْ أَحُولَ الْخَاتَمَ مِنْ بَيْتِي إِلَى شِمَالِي فَكُنِّي لَهُ بِالْخَاتَمِ عَنِ الْوِزَارَةِ لِمَا كَانَتْ الْعِلَامَةُ  
 عَلَى الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مِنْ وَظَائِفِ الْوِزَارَةِ لِعَهْدِهِمْ وَيَتَهَدُّ لَصِحَّةِ هَذَا الْإِطْلَاقِ مَا  
 نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ عِنْدَ مُرَاوَدَتِهِ إِيَّاهُ فِي الصَّلْحِ صَحِيفَةً يَتَضَاءُ  
 خَتَمَ عَلَى أَسْفَلِهَا وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَشْتَرِطَ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمْتُ أَسْفَلَهَا مَا شِئْتَ  
 فَهُوَ لَكَ وَمَعْنَى الْخَتْمِ هُنَا عِلَامَةُ فِي آخِرِ الصَّحِيفَةِ بِخَطِّهِ أَوْ غَيْرِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُخْتَمَ بِهِ  
 فِي جِسْمِهِ لَيْتَنَ فَتَنْقَشَ فِيهِ حُرُوفُهُ وَيَجْعَلَ عَلَى مَوْضِعِ الْحَزْمِ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حَزَمَ  
 وَعَلَى الْمَوَدُّعَاتِ وَهُوَ مِنَ السَّدَادِ كَمَا مَرَّ وَهُوَ فِي الْوَجْهِينِ آثَارُ الْخَاتَمِ فَيُطَاقُ عَلَيْهِ  
 خَاتَمٌ وَأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ الْخَتْمَ عَلَى الْكِتَابِ أَيْ الْعِلَامَةَ مُعَاوِيَةُ لِأَنَّهُ أَمَرَ لِعَمْرِ بْنِ الزُّبَيْرِ  
 عِنْدَ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ بِمِائَةِ أَلْفِ فَتَحَ الْكِتَابَ وَصَيَّرَ الْمِائَةَ مِائَتَيْنِ وَرَفَعَ زِيَادٌ حِسَابَهُ  
 فَأَنكَرَهَا مُعَاوِيَةُ وَطَلَّبَ بِهَا عَمْرٌ وَجَسَهُ حَتَّى قَضَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَخَذَ مُعَاوِيَةُ  
 عِنْدَ ذَلِكَ دِيوانَ الْخَاتَمِ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَقَالَ آخَرُونَ وَحَزَمَ الْكِتَابَ وَلَمْ تَكُنْ

نَحْزَمُ أَيَّ جَعَلَ لَهَا السَّادَ وَدِيَّانُ الْخَتَمِ عِبَارَةٌ عَنِ الْكِتَابِ الْقَائِمِينَ عَلَى إِنْقَازِ  
 صُكُوبِ السُّلْطَانِ وَالْخَتَمِ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْهَلَامَةِ أَوْ بِالْحَزْمِ وَقَدْ يُطْلَقُ الدِّيَّانُ عَلَى مَكَانِ  
 جُلُوسِ هَؤُلَاءِ الْكِتَابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي دِيَّانِ الْأَعْمَالِ وَالْحَزْمُ لِلْكِتَابِ يَكُونُ  
 إِمَّا بِدَسِ الزُّورِ كَمَا فِي عُرْفِ كُتَابِ الْمَغْرِبِ وَإِمَّا بِإِلْصَاقِ رَأْسِ الصُّحُفَةِ عَلَى مَا  
 تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ كَمَا فِي عُرْفِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَقَدْ يُفَعَّلُ عَلَى مَكَانِ الدَّسِ أَوْ  
 الْإِلْصَاقِ هَلَامَةٌ بِؤْمْنٍ مَعَهَا مِنْ فَتْحِهِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى مَا فِيهِ فَأَهْلُ الْمَغْرِبِ يَجْعَلُونَ عَلَى  
 مَكَانِ الدَّسِ قِطْعَةً مِنَ الشَّمْعِ وَيَخْتُمُونَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ تُقَسِّتُ فِيهِ هَلَامَةٌ لِلذِّكْرِ فَيَرْتَسِدُ  
 النَّقْشُ فِي الشَّمْعِ وَكَانَ فِي الْمَشْرِقِ فِي الدَّوَلِ الْقَدِيمَةِ يُخْتَمُ عَلَى مَكَانِ اللَّصْقِ بِخَاتَمٍ  
 مَنقُوشٍ أَيْضًا قَدْ غُمِسَ فِي مَدَافٍ مِنَ الطِّينِ مُدَّةً لِلذِّكْرِ صِبْغُهُ أَحْمَرٌ فَيَرْتَسِمُ ذَلِكَ  
 النَّقْشُ عَلَيْهِ وَكَانَ هَذَا الطِّينُ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يُعْرَفُ بِطِينِ الْخَتَمِ وَكَانَ يُجَلَّبُ مِنْ  
 سِرَافٍ فَيُظْهِرُ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهَا فَهَذَا الْخَاتَمُ الَّذِي هُوَ الْهَلَامَةُ الْمَكْتُوبَةُ أَوْ النَّقْشُ  
 لِلسَّادِ وَالْحَزْمُ لِلْكِتَابِ خَاصٌّ بِدِيَّانِ الرِّسَالِ وَكَانَ ذَلِكَ لِلْوُزَيْرِ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 ثُمَّ اخْتَلَفَ الْعُرْفُ وَصَارَ لِمَنْ إِلَيْهِ التَّرْشِيلُ وَدِيَّانُ الْكِتَابِ فِي الدَّوَلَةِ ثُمَّ صَارُوا فِي  
 دَوْلِ الْمَغْرِبِ يَعْدُونَ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ الْخَاتَمُ لِلْإِصْبَعِ فَيَسْتَحِيدُونَ صَوْنَهُ  
 مِنَ الذَّهَبِ وَيُرْصَعُونَهُ بِالْفُصُوصِ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالْفَرُوزِ وَالزُّمُرُودِ وَيَلْبَسُهُ السُّلْطَانُ  
 شَارَةً فِي عُرْفِهِمْ كَمَا كَانَتْ الْبَرْدَةُ وَالْقَضِيبُ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْمِظَلَّةُ فِي الدَّوَلَةِ  
 الْعَبْسِيَّةِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ بِحُكْمِهِ

(الطراز) \* مِنْ أَجْلِهِ الْمَلِكُ وَالسُّلْطَانُ وَمَذَاهِبُ الدَّوَلِ أَنْ تُرْتَمَ أَسْمَاؤُهُمْ أَوْ  
 عِلَامَاتُ تَخْتَصُّ بِهِمْ فِي طِرَازِ أَثْوَابِهِمُ الْمَعْدَّةُ لِلْبَاهِيهِ مِنَ الْخَرِيرِ أَوِ الْهَدْيِاجِ أَوْ  
 الْأَبْرِيسِمِ تُعْتَبَرُ كِتَابَةً خَطِيئَةً فِي تَسْجِيقِ الثُّوبِ الْحَلَامِ وَإِسْدَاؤُهَا بِخَطِّ الدَّهَبِ أَوْ مَا يَخَالِفُ  
 لَوْنِ الثُّوبِ مِنَ الْخُيُوطِ الْمَلُوكَةِ مِنْ غَيْرِ الدَّهَبِ عَلَى مَا يُحْكِمُهُ الصَّنَاعُ فِي تَقْدِيرِ ذَلِكَ  
 وَوَضْعِهِ فِي صِنَاعَةِ تَسْجِيمِهِمْ فَتَصِيرُ أَثْيَابُ الْمُلُوكِ مَعْلَمَةً بِذَلِكَ الطَّرَازِ قَصْدُ التَّنْوِيهِ  
 بِإِلَاسِهَا مِنَ السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ أَوْ التَّنْوِيهِ بِمَنْ يَخْتَصُّهُ السُّلْطَانُ بِمَلْبُوسِهِ إِذَا قَصَدَ  
 تَشْرِيفَهُ بِذَلِكَ أَوْ لِأَنَّهُ لَوْظِيَّةٌ مِنْ وَطَائِفِ دَوْلَتِهِ وَكَانَ مُلُوكُ الْعَجَمِ مِنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ  
 يَجْعَلُونَ ذَلِكَ الطَّرَازَ بِصُورِ الْمُلُوكِ وَأَشْكَالِهِمْ أَوْ أَشْكَالِ وَصُورِ مَعِينَةٍ لِذَلِكَ ثُمَّ



أَعْتَصَصَ مُلُوكُ الْإِسْلَامِ عَنْ ذَلِكَ يَكْتَسِبُ أَسْمَاءَهُمْ مَعَ كَلِمَاتِ أُخْرَى تَجْعَلُ تَجْرِي تَجْرِي  
 الْقَالِ أَوْ السَّجَلَاتِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَتَيْنِ مِنْ أَمَةِ الْأُمُورِ وَأَقْنَمِ الْأَحْوَالِ وَكَانَتْ  
 الدُّوْرُ الْمَعْدَّةُ لِنَسْخِ أَثَوَابِهِمْ فِي قُصُورِهِمْ تَسَى دُورَ الطَّرَازِ لِلْكَانِ وَكَانَ الْقَائِمُ عَلَى  
 النَّظَرِ فِيهَا يُسَمَّى صَاحِبَ الطَّرَازِ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الصَّبَاغِ وَالْأَلَةِ وَالْحَاكَةِ فِيهَا وَإِجْرَاءِ  
 أَرْزَاقِهِمْ وَتَسْهِيلِ أَلَانِهِمْ وَمُشَارَفَةِ أَعْمَالِهِمْ وَكَانُوا يَقْلُدُونَ ذَلِكَ لِحُوصَالِ دَوْلَتِهِمْ وَثِقَاتِ  
 مَوَالِيهِمْ وَكَذَلِكَ كَانَ الْحَالُ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَالطُّوَائِفِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَفِي  
 دَوْلَةِ الْبَيْدِيَّيْنَ بِمِصْرَ وَمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ لَمَّا ضَاقَ  
 نِطَاقُ الدُّوْلَةِ عَنِ التَّرَبِّ وَالْفَنَنِ فِيهِ لِيَضْرِبَ نِطَاقُهَا فِي الْإِسْتِبْلَاءِ وَتَعَدَّدَتِ الدُّوْلُ تَعَطَّلَتْ  
 هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ وَالْوِلَايَةُ عَلَيْهَا مِنْ أَكْثَرِ الدُّوْلِ بِالْجُمْلَةِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ  
 بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ بَنِي أُمَيَّةَ أَوَّلَ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ لَمْ يَأْخُذُوا بِذَلِكَ أَوَّلَ دَوْلَتِهِمْ لِمَا كَانُوا  
 عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِعِ الدِّيَانَةِ وَالسَّجَاذَةِ الَّتِي لَقْنُوهَا عَنْ إِمَامِيهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ تُوْمَرْتِ الْمَهْدِيِّ  
 وَكَانُوا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ فَسَقَطَتْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ مِنْ دَوْلَتِهِمْ وَاسْتَدْرَكَ  
 مِنْهَا أَعْقَابُهُمْ آخِرَ الدَّوْلَةِ طَرَفًا لَمْ يَكُنْ يَتْلَقُ النَّبَاهَةُ وَأَمَّا لِهَذَا الْعَهْدِ فَأَدْرَكْنَا بِالْمَغْرِبِ  
 فِي الدَّوْلَةِ الْمُرَبِّيَّةِ لِعُقُوبَاتِهَا وَثُمُوحِهَا رَسْمًا جَلِيلًا لَقْنُوهَا مِنْ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَخْمَرِ مُعَاصِرِهِمْ  
 بِالْأَنْدَلُسِ وَاتَّبَعَ هُوَ فِي ذَلِكَ مُلُوكُ الطُّوَائِفِ فَأَتَى مِنْهُ بِلَخْصَةٍ شَاهِدَةٍ بِالْأَثَرِ وَأَمَّا دَوْلَةُ  
 الْأَرْزَاقِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَفِيهَا مِنَ الطَّرَازِ تَجْرِي آخِرُ عَلَى مِقْدَارِ مَلِكِهِمْ وَعُزْمَرَانِ  
 بِلَادِهِمْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُصْنَعُ فِي دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ وَلَيْسَتْ مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِمْ وَإِنَّمَا  
 يَنْسَجُ مَا تَطْلُبُهُ الدَّوْلَةُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ صُنَاعِهِ مِنَ الْحَرِيرِ وَمِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَيُسَمُّونَهُ  
 الْمَزْرُكَشَ لَفْظَةً أَعْجَمِيَّةً وَيُرْسَمُ أَسْمُ السُّلْطَانِ أَوِ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ وَيُعَدُّ الصَّنَاعُ لَهُمْ فِيمَا  
 يُعْدُونَهُ لِلدَّوْلَةِ مِنْ طَرَفِ الصَّنَاعَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا وَاللَّهُ مُقَدِّرُ الْكُلِّ وَالنَّهَارِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْخَوَارِثِينَ

### الفساطيط والسياب

إِعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْ شَارَاتِ الْمُلْكِ وَتَرَفِهِ اتِّخَاذُ الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ وَالْقَارَاتِ مِنْ ثِيَابِ  
 الْكِسْتَانِ وَالصُّوفِ وَالْقَطَنِ قِيَابَى بِهَا فِي الْأَسْفَارِ وَتَوَخُّعُ مِنْهَا الْأَزْوَاجُ مَا بَيْنَ كَبِيرِ  
 وَصَغِيرِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ فِي الثَّرْوَةِ وَالْبَسَارِ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ فِي يَوْمِهِمْ  
 الَّتِي جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِاتِّخَاذِهَا قَبْلَ الْمُلْكِ وَكَانَ الْعَرَبُ لِعَهْدِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ

إِنَّمَا يَسْكُونُ يَوْمَهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ خِيَامًا مِنَ الْوَبَرِ وَالصُّوفِ وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ لِنَلِكِ  
 الْعَهْدِ بَادِينَ إِلَّا الْأَقَلَّ مِنْهُمْ فَكَانَتْ أَسْفَارُهُمْ لِعَزْوَانِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ يَطْعُونَهُمْ وَسَائِرِ  
 حِلَلِهِمْ وَأَحْيَائِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوُلْدِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَكَانَتْ عَسَاكِرُهُمْ  
 لِنَلِكِ كَثِيرَةً الْحُلُمِ بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْمَنَازِلِ مُتَفَرِّقَةً الْأَحْيَاءُ يَغِيبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَنْ  
 نَظَرِ صَاحِبِهِ مِنَ الْأُخْرَى كَشَأْنِ الْعَرَبِ وَلِنَلِكِ مَا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَحْتَاجُ إِلَى سَافَةِ  
 تَحْشُدِ النَّاسِ عَلَى أَثَرِهِ أَنْ يَقِيمُوا إِذَا ظَلَمَ وَنَقَلَ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْحُجَّاجَ حِينَ  
 أَشَارَ بِهِ رُوحُ بْنُ زَنْبَاعٍ وَقَصَّتْهُمْ فِي إِحْرَاقِ فَسَاطِيطِ رُوحٍ وَخِيَامِهِ لِأَوَّلِ وَلَائِهِ  
 حِينَ وَجَدَهُمْ مُقِيمِينَ فِي يَوْمِ رَجُلِ عَبْدِ الْمَلِكِ قِصَّةً مَشْهُورَةً وَبِئْسَ هَذِهِ الْوَلَايَةُ تُعْرَفُ  
 رُبَّةُ الْحُجَّاجِ بَيْنَ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى إِرَادَتَهُمْ عَلَى الظُّعْنِ إِلَّا مَنْ بَأْمَنُ بَوَادِرِ  
 السُّفَهَاءِ مِنْ أَحْيَائِهِمْ بِمَا لَهُ مِنَ الْعَصِيَّةِ الْخَائِلَةِ دُونَ ذَلِكَ وَلِنَلِكِ أَخَصَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ  
 بِهَذِهِ الرُّبَّةِ ثَقَةً بِغَنَائِهِ فِيهَا بِعَصِيَّتِهِ وَصِرَافَتِهِ فَلَمَّا تَنَنَّتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَذَاهِبِ  
 الْخِصَارَةِ وَالْبَذَخِ وَتَزَلُّوا الْمَدْنَ وَالْأَمْصَارَ وَانْقَلَبُوا مِنْ سُكْنَى الْخِيَامِ إِلَى سُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَمِنْ ظَهْرِ الْخُفِّ إِلَى ظَهْرِ الْحَافِرِ انْقَدُوا لِلْسُّكْنَى فِي أَسْفَارِهِمْ نِيَابَ الْكَتَّانِ  
 بِسْتَعْمَلُونَ مِنْهَا يَوْمًا مُخْتَلَفَةً الْأَشْكَالَ مَقْدَرَةً لِأَمْثَالِ مِنَ الْقَوَرَاءِ وَالْمُسْتَطِيلَةِ وَالْمَرْبَعَةِ  
 وَيَحْتَفِلُونَ فِيهَا بِأَبْلَغِ مَذَاهِبِ الْإِحْفَالِ وَالزَّيْنَةِ وَيُدِيرُ الْأَمِيرُ وَالْقَائِدُ لِلْعَسَاكِرِ عَلَى  
 فَسَاطِيطِهِ وَقَارَاتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ سِيَاجًا مِنَ الْكَتَّانِ يُسَمَّى فِي الْمَغْرِبِ بِلِسَانِ الْبُزَيْرِ الَّذِي  
 هُوَ لِسَانُ أَهْلِهِ أَفْرَاكُ بِالْكَافِ وَالْقَافِ وَيَخْتَصُّ بِهِ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ الْقَطْرِ لَا يَكُونُ  
 لِقَعِيرِهِ. وَأَمَّا فِي الْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُهُ كُلُّ أَمِيرٍ وَإِنْ كَانَ دُونَ السُّلْطَانِ ثُمَّ يَخْتِجُ الدَّعَاةُ  
 بِالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ إِلَى الْمَقَامِ بِقُصُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ تَخَفُّ لِنَلِكِ ظَهْرُهُمْ وَلَقَارَتِ السِّيَاجِ  
 بَيْنَ مَنَازِلِ الْعَسْكَرِ وَاجْتَمَعَ الْجُنُودُ وَالسُّلْطَانُ فِي مَعْمَرٍ وَاحِدٍ يَحْضُرُهُ الْبَصَرُ فِي بَسِيطَةٍ  
 زَهْوًا أَيْقَانًا لِاخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ وَاسْتَمَرَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي بَذَخِهَا وَتَرَفِّهَا  
 وَكَذَا كَانَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَزَنَانَةُ الْإِلَهِ أَظَلَّتْنَا كَانَ سَفَرُهُمْ أَوَّلَ أَمْرِهِمْ فِي يَوْمِ سَكْنَاهُمْ  
 قَبْلَ الْمَلِكِ مِنَ الْخِيَامِ وَالْقِيَامِينَ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِّ وَسُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَعَادُوا إِلَى سُكْنَى الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ بَلَّغُوا مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا أَرَادُوهُ وَهُوَ مِنْ  
 التَّرَفِّ بِمَكَانٍ إِلَّا أَنَّ الْعَسَاكِرَ بِهِ تَصِيرُ عُرْضَةً لِلْيَبَاتِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تَشْمَلُهُمْ

فِيهِ الصَّحَّةُ وَلِحَفَّتِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ الَّذِينَ تَكُونُ الْإِسْمَانَةُ دُونَهُمْ فَيُحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَعْقُظٍ آخَرَ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

### المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وَهُمَا مِنَ الْأُمُورِ الْخَلْفَاءِ وَمِنْ شَارَاتِ الْمُلْكِ الْإِسْلَامِيِّ وَلَمْ يُعْرِفْ فِي غَيْرِ دَوْلِ  
الْإِسْلَامِ . فَأَمَّا الْبَيْتُ الْمَقْصُورَةُ مِنَ الْمَسْجِدِ لِصَلَاةِ السُّلْطَانِ فَيَتَّخِذُ سِيَجَاً عَلَى الْحَرَابِ  
فَيُحَوِّزُهُ وَمَا بِلَيْهِ فَأَوَّلُ مَنْ أَخَذَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَيَّانٍ حِينَ دَخَلَ الْخَارِجِي وَالْقِصَّةُ  
مَعْرُوفَةٌ وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَهَا مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ حِينَ طَعَنَهُ الْيَمَانِيُّ ثُمَّ أَخَذَهَا  
الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِمَا وَصَارَتْ سُنَّةً فِي تَعْيِينِ السُّلْطَانِ عَنِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ إِنَّمَا  
تُعَدُّ عِنْدَ حُصُولِ التَّرَفِّ فِي الدَّوْلَةِ وَالْإِسْتِحْجَالِ شَأْنَ أَحْوَالِ الْأَيَّةِ كُلِّهَا وَمَا زَالَ  
الشَّأْنُ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا وَعِنْدَ اقْتِرَاقِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَتَعَدُّ الدَّوْلُ  
بِالْمَشْرِقِ وَكَذَا بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ اقْتِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَتَعَدُّ مُلُوكَ الطَّوَائِفِ وَأَمَّا  
الْمَغْرِبُ فَكَانَ بَنُو الْأَغْلَبِ يَتَّخِذُونَهَا بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ الْخُلَفَاءُ الْفَيْيُودُونَ ثُمَّ وَاللَّهُمَّ عَلَى  
الْمَغْرِبِ مِنْ صَهَابَةِ بَنُو بَادِيسَ بَقَاسَ وَبَنُو حَمَادٍ بِالْقُلْعَةِ ثُمَّ مَلِكُ الْمُوَحِّدُونَ سَائِرَ  
الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَتَحَوُّوا ذَلِكَ أَرْكَمَهُ عَلَى طَرِيقَةِ الْيَدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ شِعَارَهُمْ وَلَمَّا  
اسْتَحْلَتِ الدَّوْلَةُ وَأَخَذَتْ بِحُظْيِهَا مِنَ التَّرَفِّ وَجَاءَ أَبُو يَحْيَى الْمَنْصُورُ ثَالِثُ مُلُوكِهِمْ  
فَأَخَذَ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ وَبَقِيَ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةَ لِمُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَهَكَذَا كَانَ  
الشَّأْنُ فِي سَائِرِ الدَّوْلَةِ سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ . وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْخُطْبَةِ فَكَانَ  
الشَّأْنُ أَوَّلًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَلَابَتِ الصَّلَاةُ بِأَنْفُسِهِمْ فَكَانُوا يَدْعُونَ لِذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرَّضَى عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَوَّلُ مَنْ أَخَذَ الْمَنِيرَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ  
لَمَّا بَنَى جَامِعَهُ بِمِصْرَ وَأَوَّلُ مَنْ دَعَا لِلْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنِيرِ أَبُو عَبَّاسٍ دَعَا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا فِي خُطْبَتِهِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ عَامِلٌ لَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْصُرْ عَلِيًّا عَلَى الْحَقِّ وَاتَّصِلْ  
أَتَمَلَّ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ وَبَعْدَ أَخَذَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَنِيرَ بَلَّغَ عُمَرُو بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ  
فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُو بْنُ الْخَطَّابِ أَمَّا بَعْدَ فَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَنِيرًا تَرْقِي بِهِ عَلَى رِقَابِ  
الْمُسْلِمِينَ أَوْ مَا يَكْنِيكَ أَنْ تَكُونَ قَائِمًا وَالْمُسْلِمُونَ تَحْتَ عَقِيكَ قَعَرُمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا  
مَا كَسَرْتَهُ فَلَمَّا حَدَّثَ الْأَيُّهُ وَحَدَّثَ فِي الْخُلَفَاءِ الْمَنَاعِ مِنَ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ اسْتَنْبَاهَا

فِيهِمَا فَكَانَ الْخَطِيبُ يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنِيرِ تَوْبَهَا بِاسْمِهِ وَدُعَاءَ لَهُ بِمَا جَعَلَ  
 اللَّهُ مَصْنَعَهُ الْعَالَمُ فِيهِ وَلَئِنْ تِلْكَ السَّاعَةُ مَظْنَةٌ لِلْإِجَابَةِ وَلَمَّا ثَبَتَ عَنِ السَّلَافِ فِي قَوْلِهِمْ  
 مَنْ كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ فَلْيَضَعَهَا فِي السُّلْطَانِ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يُفَرِّدُ بِذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَ  
 الْحَجْرُ وَالْإِسْتِئْذَانُ صَارَ الْمُتَغَايُونَ عَلَى الدُّوَلِ كَثِيرًا مَا يُشَارِكُونَ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ  
 وَيُشَادُّ بِاسْمِهِمْ عَقِبَ اسْمِهِ وَذَهَبَ ذَلِكَ بِذَهَابِ تِلْكَ الدُّوَلِ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى اخْتِصَاصِ  
 السُّلْطَانِ بِالْدُّعَاءِ لَهُ عَلَى الْمَنِيرِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ وَحُظِرَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهِ أَحَدٌ أَوْ يَسْمُوَ  
 إِلَيْهِ وَكَثِيرًا مَا يُغْفِلُ الْمُعَاهِدُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ هَذَا الرَّسْمَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ فِي  
 اسْتُلُوبِ الْفَضَاةِ وَمَتَاحِي الْبِدَاوَةِ فِي التَّغَافُلِ وَالْحُسُونَةِ وَيَقْنَعُونَ بِالْدُّعَاءِ عَلَى الْأَيْهَامِ  
 وَالْإِجْمَالِ لِمَنْ وَلِيَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَيُسَوُّونَ مِثْلَ هَذِهِ الْخَطِيبَةِ إِذَا كَانَتْ عَلَى هَذَا  
 الْمَنْحَى عَبَاسِيَّةً يَنْوِنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ عَلَى الْإِجْمَالِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْعَبَاسِيَّ تَقْلِيدًا فِي  
 ذَلِكَ لِمَا سَلَتْ مِنَ الْأَمْرِ وَلَا يَفْهَمُونَ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَعْيِينِهِ وَالْتِصَالِ بِاسْمِهِ بِخَصَصِ  
 أَنْ يَغْمُرَ اسْمَ بَنِي زِيَّانَ عَاهِدَ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ لَمَّا غَلَبَهُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَّا يَعْجَبُ بَنُ  
 أَبِي حَنْصٍ عَلَى تَلَمُّسَانٍ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي إِعَادَةِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ عَلَى شُرُوطٍ شَرَطَهَا كَانَ فِيهَا  
 ذِكْرُ اسْمِهِ عَلَى مَنَابِرِ عَمَلِهِ فَقَالَ يَغْمُرُ اسْمُ تِلْكَ أَعْوَادُهُمْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا مَنْ شَاهَدُوا  
 وَكَذَلِكَ يَقُوبُ بَنُ عَبْدِ الْحَقِّ عَاهِدَ دَوْلَةِ بَنِي مُرِينَ حَضَرَهُ رَسُولُ الْمُتَنَصِّرِ الْخَلِيفَةِ  
 يُونُسَ مِنْ بَنِي أَبِي حَنْصٍ وَتَالِكَ مَلُوكِهِمْ وَتَخَلَّفَ بَعْضُ أَيَّامِهِ عَنْ شُهُودِ الْجُمُعَةِ فَقِيلَ  
 لَهُ لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الرَّسُولُ كَرَاهِيَةً لِحُلُولِ الْخَطِيبَةِ مِنْ ذِكْرِ سُلْطَانِهِ فَأَذِنَ فِي الدُّعَاءِ لَهُ  
 وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَخْذِهِمْ بِدَعْوَتِهِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي بَدَائَتِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي الْفَضَاةِ  
 وَالْبِدَاوَةِ فَإِذَا انْتَبَهَتْ عِيُونُ سِيَاسَتِهِمْ وَتَنْظَرُوا فِي أَعْطَافِ مَلِكِهِمْ وَاسْتَشْدُوا شَيْئَاتِ  
 الْحِفَاظَةِ وَمَغَايِي الدُّخْرِ وَالْأَلْبَةِ انْتَحَلُوا جَمِيعَ هَذِهِ السِّمَاتِ وَفَقِنُوا فِيهَا وَتَجَارَوْا إِلَى  
 غَايَتِهَا وَأَتَوْهَا مِنَ الْمَشَارِكَةِ فِيهَا وَجَزَعُوا مِنْ أَفْتِقَادِهَا وَخَلَوْا دَوْلَتِهِمْ مِنْ آثَارِهَا وَالْعَالَمُ  
 يُسْتَأْنُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ

### الفصل السابع والثلاثون

في الحروب ومذاهب الامم وترتيبها

إِذْ عَلِمَ أَنَّ الْحُرُوبَ وَأَنْوَاعَ الْمَقَاتِلَةِ لَمْ تَزَلْ وَاقِعَةً فِي الْخَلِيقَةِ مُنْذُ بَرَأَهَا اللَّهُ وَأَصْلَهَا

إِرَادَةُ اِتِّقَامِ بَعْضِ النَّاسِ مِنْ بَعْضٍ وَيَتَمَسَّكُ لِكُلِّ مِنْهَا أَهْلٌ عَصِيَّةٌ فَإِذَا تَدَامَرُوا لِلذَّكَاءِ  
وَتَوَاقَفَتِ الطَّائِفَتَانِ إِحْدَاهُمَا تَطْلُبُ اِلْتِقَامَ وَالْأُخْرَى تُدَانِعُ كَأَنَّ الْحَرْبَ وَهُوَ أَمْرٌ  
طَبِيعِيٌّ فِي النَّبَرِ لَا تَخْلُوعَتُهُ أُمَّةٌ وَلَا جِيلٌ وَسَبَبُ هَذَا اِلْتِقَامُ فِي الْأَكْثَرِ إِمَّا غِيَرَةً  
وَمُنَافَسَةً وَإِمَّا عُدْوَانًا وَإِمَّا غَضَبَ اللَّهِ وَلِدِينِهِ. وَإِمَّا غَضَبَ الْمَلِكِ وَسَمِيَّ فِي تَمَيُّدِهِ  
فَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَجَاوِرَةِ وَالْعَشَائِرِ الْمُتَنَازِلَةِ وَالثَّانِي وَهُوَ  
الْعُدْوَانُ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَتَمِّ أَوْ خَشْيَةِ السَّاكِنِينَ بِالْقَفْرِ كَالْعَرَبِ وَالْثُلُوكِ  
وَالْثُرُكْمَانِ وَالْأَكْرَادِ وَأَشْبَاهِهِمْ لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا أَرْزَاقَهُمْ فِي رِمَاحِهِمْ وَمَعَانِيَهُمْ نِيَمًا  
بِأَيْدِي غَيْرِهِمْ وَمَنْ دَاقَهُمْ عَنْ مَتَابِعِهِ آذَنُوهُ بِالْحَرْبِ وَلَا بُعِيَةَ لَهُمْ نِيَمًا وَرَأَى ذَلِكَ مِنْ  
رُتْبَةٍ وَلَا مَلِكٍ وَإِنَّمَا مَهْمُهمُ وَنُصِبُ أَعْيُنِهِمْ غَلَبَ النَّاسِ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالثَّالِثُ هُوَ  
الْمُسَمَّى فِي الشَّرِيعَةِ بِالْجِيَادِ وَالرَّابِعُ هُوَ حُرُوبُ الدُّوَلِ مَعَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهَا وَالْمُكَانِينَ  
لِطَاعَتِهَا فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ مِنَ الْحُرُوبِ الصِّفَانِ الْأَوَّلَانِ مِنْهَا حُرُوبُ بَغْيٍ وَفِتْنَةٍ  
وَالصِّفَانِ الْآخِرَانِ حُرُوبُ جِهَادٍ وَعَدْلٍ وَصِفَةُ الْحُرُوبِ أَوَّاقِعُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ مِنْذُ  
أَوَّلِ وُجُودِهِمْ عَلَى تَوْعِينَ نَوْعٍ يَارْخُفُ صُوفًا وَنَوْعٍ يَالْكُرَّ وَالْقَرَّ أَمَّا الَّذِي يَارْخُفُ  
فَهُوَ قِتَالُ الْعَجَمِ كُلِّهِمْ عَلَى تَعَاقُبِ أَجْيَالِهِمْ وَأَمَّا الَّذِي يَالْكُرَّ وَالْقَرَّ فَهُوَ قِتَالُ الْعَرَبِ  
وَالْبَرْبَرِ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَقِتَالُ الرُّخْفِ أَوْ ثِقَى وَأَشَدُّ مِنْ قِتَالِ الْكُرَّ وَالْقَرَّ وَذَلِكَ  
لِأَنَّ قِتَالُ الرُّخْفِ يُورَثُ فِيهِ الصُّوفُ وَتُسَمَّى كَمَا تُسَمَّى الْقِدَاحُ أَوْ صُوفُ الصَّلَاةِ  
وَيَمُشُونَ بِصُوفِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ قُدَمًا فَلِذَلِكَ تَكُونُ أَثْبَتَ عِنْدَ الْمَصَارِعِ وَأَصْدَقَ فِي  
الْقِتَالِ وَأَرْحَبَ الْعَدُوِّ لِأَنَّهُ كَالْحَائِطِ الْمُمْتَدِّ وَالْقَصْرِ الْمَشِيدِ لَا يُطْمَعُ فِي إِزَالَتِهِ وَفِي  
التَّنْزِيلِ إِنَّ اللَّهَ يُعِيبُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَنًا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ أَيْ يَشُدُّ  
بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالثَّبَاتِ وَفِي الْحَدِيثِ الْكَرِيمِ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا  
وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ حِكْمَةُ إِجَابِ الثَّبَاتِ وَتَحْرِيمِ التَّوَلَّى فِي الرُّخْفِ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ  
الْصَّفِّ فِي الْقِتَالِ حِفْظُ النِّظَامِ كَمَا قُلْنَا قَدْ وَلَّى الْعَدُوُّ ظَهْرَهُ فَقَدْ أَخْلَى بِالْمَصَافِرِ  
وَبَاءَ بِأَيْمِهِمُ الْهَرِيمَةُ إِنْ وَقَعَتْ وَصَارَ كَأَنَّهُ جَرَّمَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا مَنْ مِنْهُمْ عَدُوٌّ  
فَعَظُمَ الذَّنْبُ لِعُمُومِ الْمَقْسَدِ وَتَعَدُّهَا إِلَى الَّذِينَ يَخْرُقُ سِيَاحِهِمُ عَدُوٌّ مِنَ الْكِبَارِ وَيُظْهَرُ  
مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ أَنَّ قِتَالُ الرُّخْفِ أَشَدُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَأَمَّا قِتَالُ الْكُرَّ وَالْقَرَّ فَلَيْسَ فِيهِ

مِنَ الشَّدِيدِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْهَزِيمَةِ مَا فِي قِتَالِ الرَّحْفِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ يَتَخَذُونَ وَرَاءَهُمْ فِي  
 الْقِتَالِ مَصَافًا ثَابِتًا يَلْبِثُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَرْ وَالْقَرْ وَيَقُومُ لَهُمْ مَقَامُ قِتَالِ الرَّحْفِ كَمَا  
 تَذَكَّرُهُ بَعْدُ ثُمَّ إِنَّ الدُّوَلِ الْقَدِيمَةَ الْكَثِيرَةَ الْجُنُودِ الْمُتَسِعَةَ الْمَمَالِكِ كَانُوا يَقْسِمُونَ  
 الْجَيُوشَ وَالْمَسَاكِرَ أَقْسَامًا يُسَمُّونَهَا كَرَادِسَ وَيُسَوِّنُونَ فِي كُلِّ كَرْدُوسٍ صُنُوفَهُ وَسَبَبُ  
 ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ جُنُودُهُمُ الْكَثْرَةَ الْبَالِغَةَ وَحَشِدُوا مِنْ قَاصِيَةِ النُّوَاحِي اسْتَدْعَى  
 ذَلِكَ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا اخْتَلَطُوا فِي مَجَالِ الْحَرْبِ وَأَعْتَرَوْا مَعَ عَدُوِّهِمُ الطَّعْنَ  
 وَالضَّرْبَ فَيُخْشَى مِنْ تَدَافُعِهِمْ فَيَأْتِيهِمْ لِأَجْلِ التُّكْرَارِ وَجْهَلِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَلِذَلِكَ كَانُوا  
 يَقْسِمُونَ الْمَسَاكِرَ جُمُوعًا وَيَضْمِنُونَ الْمُتَعَارِفِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَيُرْتَبِنَهَا قَرِيبًا مِنَ التَّرْتِيبِ  
 الطَّبِيعِيِّ فِي الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ وَرئيسُ الْعَسَاكِرِ كُلِّهَا مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ قَائِدٍ فِي الْقَلْبِ وَيُسَمُّونَ هَذَا  
 التَّرْتِيبَ التَّعْبِيَّةَ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَالدُّوَلَتَيْنِ وَصَدْرُ الْأَسْلَامِ فَيَجْعَلُونَ  
 بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَلِكَ عَسْكَرًا مَغْزِي دَائِصُ مَوْفُوهِ مَتَمِّزًا بِقَائِدِهِ وَرَأَيْتُهُ وَشِعَارِهِ وَيُسَوِّنُهُ الْمُقَدِّمَةَ  
 ثُمَّ عَسْكَرًا آخَرَ نَاحِيَةِ الْيَمِينِ عَنْ مَوْقِفِ الْمَلِكِ وَعَلَى مَتْنِهِ يُسَمُّونَهُ الْمِيسَمَةَ ثُمَّ عَسْكَرًا  
 آخَرَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامَلِ كَذَلِكَ يُسَمُّونَهُ الْمِيسَرَةَ ثُمَّ عَسْكَرًا آخَرَ مِنْ وَرَاءِ الْعَسْكَرِ  
 يُسَمُّونَهُ السَّافَةَ وَيَقِفُ الْمَلِكُ وَأَصْحَابُهُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ وَيُسَمُّونَ مَوْفِقَهُ  
 الْقَلْبَ فَإِذَا تَمَّ لَهُمْ هَذَا التَّرْتِيبُ الْمُحْكَمُ إِمَّا فِي مَدَى وَاحِدٍ لِلْبَصَرِ أَوْ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ  
 أَكْثَرُهَا الْيَوْمُ وَالْيَوْمَانِ بَيْنَ كُلِّ عَسْكَرَيْنِ مِنْهَا أَوْ كَيْفَمَا أَعْطَاهُ حَالُ الْعَسَاكِرِ فِي  
 الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَيَحْشِدُ يَكُونُ الرَّحْفُ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ التَّعْبِيَّةِ وَانْفَازُ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ  
 الْفَتْوحَاتِ وَأَخْبَارِ الدُّوَلَتَيْنِ بِالْمَشْرِقِ وَكَيْفَ كَانَتْ الْعَسَاكِرُ لِعَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ تَتَخَلَّفُ  
 عَنْ رَحِيلِهِ لِبُعْدِ الْمَدَى فِي التَّعْبِيَّةِ فَأُخْبِجَ لِمَنْ يَسُوقُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَعَيْنَ ذَلِكَ الْجَبَاجِ  
 ابْنُ يُوسُفَ كَمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِ وَكَانَ فِي الدُّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ مِنْهُ وَهُوَ يَجْهَلُ فِيمَا لَدَيْنَا لِأَنَّا إِنَّمَا أَذْرُكُنَا دُولًا قَابِلَةً الْعَسَاكِرِ  
 لَا تَنْتَهِي فِي مَجَالِ الْحَرْبِ إِلَى التَّنَاكُرِ بَلْ أَكْثَرُ الْجَيُوشِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مَعًا يَجْعَلُهُمْ  
 لَدَيْنَا حَالَةً أَوْ مَدِينَةً وَيعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قُوَّتَهُ وَيُنَادِيهِ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ بِاسْمِهِ وَلَقَبِهِ  
 فَأَسْتَفْتَى عَنْ تِلْكَ التَّعْبِيَّةِ

وَمِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْكَرْ وَالْقَرْ فِي الْحُرُوبِ فَرَبُّ الْمَصَافِ وَرَاءَ عَسْكَرِهِمْ مِنْ

الْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْجَمْعُ فَيَتَخَذُونَهَا مَلْجَأً لِلْغِيَالَةِ فِي كَرِيمٍ وَتَرْفَعُ يَطْلُبُونَ بِهِ ثَبَاتَ  
 الْمَقَاتِلَةِ لِيَكُونَ أَدْوَمَ لِلْحَرْبِ وَأَقْرَبَ إِلَى الْقَلْبِ وَقَدْ بَقِيَ أَهْلُ الرِّحْفِ أَيْضًا  
 لِيَزِيدَهُمْ ثَبَاتًا وَشِدَّةً فَقَدْ كَانَ الْفَرَسُ وَمِنْ أَهْلِ الرِّحْفِ يَتَخَذُونَ الْقَبِيلَةَ فِي الْحُرُوبِ  
 وَيَحْمِلُونَ عَلَيْهَا أَبْرَاجًا مِنْ الْحَسْبِ أَمْثَالُ الصُّرُوحِ مَسْحُوتَةٌ بِالْمَقَاتِلَةِ وَالسَّلَاحِ وَالرَّايَاتِ  
 وَيَصْفُونَهَا وَرَاءَهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ كَأَنَّهَا حِصُونٌ فَتَقْوِي بِذَلِكَ نَفْسَهُمْ وَيَزِدَادُ وَثْقَهُمْ  
 وَأَنْظُرْ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقَادِسِيَّةِ وَإِنَّ فَارِسَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَشْتَدُّوا بِهِمْ عَلَى  
 الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَشْتَدَّتْ رِجَالَاتُ مِنَ الْعَرَبِ فَخَالَطُوهُمْ وَبَعِثُوها بِالسُّوفِ عَلَى خِرَاطِمِهَا  
 فَتَفَرَّتْ وَنَكَصَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا إِلَى مَرَابِطِهَا بِالْمَدَائِنِ فَجَاءَ مُسَكَّرٌ فَارِسٌ لِذَلِكَ وَأَنْهَرُوا  
 فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ \* وَأَمَّا الرُّومُ وَمُلُوكُ الْقُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرُ الْجَمْعِ فَكَانُوا يَتَخَذُونَ  
 لِذَلِكَ الْأَمِيرَةَ يَتَصَيَّبُونَ لِلْمَلِكِ سَرِيرَهُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ وَيَحْفَ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ وَحَاشِيَتِهِ  
 وَجُنُودِهِ مِنْ هُوَ زَعِيمٌ بِالْإِسْتِثْنَةِ دُونَهُ وَتَرْفَعُ الرَّايَاتُ فِي أَرْكَانِ السَّرِيرِ وَيُحْدِقُ بِهِ سِنَاجٌ  
 آخَرُ مِنَ الرَّمَاةِ وَالرَّجَالَةِ قَبِيعُكُمْ مَبْكَلُ السَّرِيرِ وَيَصِيرُ فِتْنَةُ الْمَقَاتِلَةِ وَمَلْجَأٌ لِلْكَرِّ  
 وَالْفَرِّ وَجَعَلَ ذَلِكَ الْفَرَسُ أَيَّامَ الْقَادِسِيَّةِ وَكَانَ رُسْنُهُمْ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ نَصْبِهِ لِحُلُومِهِ  
 حَتَّى اخْتَلَفَتْ صُفُوفُ فَارِسَ وَخَالَطَهُ الْعَرَبُ فِي سَرِيرِهِ ذَلِكَ فَتَحُولَ عَنْهُ إِلَى الْفَرَاتِ وَقُتِلَ \*  
 وَأَمَّا أَهْلُ الْكَرِّ وَالْفَرِّ مِنَ الْعَرَبِ وَأَكْثَرُ الْأُمَمِ الْبَدَوِيَّةِ الرَّحَالَةُ يَصِفُونَ لِذَلِكَ  
 إِبْلَهُمْ وَالظَّهْرَ الَّذِي يَعْمَلُ طَعَانَهُمْ فَيَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ وَيُسَبِّحُونَهَا بِالْحَبُودَةِ وَلَيْسَ أُمَّةٌ  
 مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَهِيَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي حُرُوبِهَا وَتَرَاهُ أَوْثَقَ فِي الْجَوْلَةِ وَأَمِنَ مِنَ الْغَرَّةِ وَالْهَرِيمَةِ  
 وَهُوَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ وَقَدْ أَغْفَلَتْهُ الدُّوَلُ لِعَهْدِنَا بِالْجَمَلَةِ وَأَعْتَاضُوا عَنْهُ بِالظَّهْرِ الْحَامِلِ لِلْإِنْقَالِ  
 وَالْفَسَاطِيطِ يَجْعَلُونَهَا سَاقَةً مِنْ خَلْفِهِمْ وَلَا تُفْنِي غِنَاءَ الْقَبِيلَةِ وَالْإِبِلِ فَصَارَتْ أَلْسَاكِرُ  
 بِذَلِكَ غُرْصَةً لِلْهَزَائِمِ وَمُسْتَشْعَرَةً لِلْفِرَارِ فِي الْعَوَاقِفِ \* وَكَانَ الْحَرْبُ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ  
 كُلَّهُ رَحْفًا وَكَانَ الْعَرَبُ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ الْكَرَّ وَالْفَرَّ لَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَوَّلَ  
 الْإِسْلَامِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ أَعْدَاءَهُمْ كَانُوا يَقَاتِلُونَ رَحْفًا يَضْطَرُّونَ إِلَى مَقَاتِلَتِهِمْ  
 بِثَلِّ فِتَالِهِمُ الثَّانِي أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَمِيتِينَ فِي جِهَادِهِمْ لِمَا رَغِبُوا فِيهِ مِنَ الصَّبْرِ وَلِمَا رَسَخَ  
 فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالزَّحْنِ إِلَى الْإِسْتِثْنَةِ أَقْرَبُ \* وَأَوَّلُ مَنْ أَبْطَلَ الصَّفَّ فِي الْحُرُوبِ  
 وَصَارَ إِلَى التَّعْيِثَةِ كِرَادِيسَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فِي قِتَالِ الضَّحَّاكِ الْخَارِجِيِّ وَالْجَبْرِ بَعْدَهُ

قَالَ الطَّبْرِيُّ لَمَّا ذَكَرَ قِتَالَ الْحَبِيرِيِّ قَوْلِي أَخْوَارِجَ عَلَيْهِمْ شَيْبَانَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
 الشُّكْرِيِّ وَيَلْقُبُ أَبَا الْإِلْفَاءِ قَاتَلَهُمْ مَرْوَانُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْكَرَادِيسِ وَأَبْطَلَ الصَّفَّ مِنْ  
 يَوْمَيْدٍ أَنْتَهَى فَنُتَوِيحِي قِتَالَ الزَّخْفِ بِإِبْطَالِ الصَّفِّ ثُمَّ تَوَسَّيَ الصَّفَّ وَرَأَى الْمُقَاتِلَةَ بِمَا  
 دَاخَلَ الثُّوَلَ مِنَ التَّرَفِ وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَئِذٍ كَانَتْ بَدْوِيَّةً وَسَكَنَاهُمْ أَهْلِيَامُ كَانُوا  
 يَسْتَكْبِرُونَ مِنَ الْإِبِلِ وَسَكَنَى النِّسَاءُ وَالْوِلْدَانُ مَعَهُمْ فِي الْأَحْيَاءِ فَلَمَّا حَصَلُوا عَلَى تَرْفِ  
 الْمَلِكِ وَالْفَوَاسِكِيِّ الْقَصْرِ وَالْحَوَاضِ وَتَرَكُوا شَأْنَ الْبَادِيَةِ وَالْفَقْرِ سَوَّاهُ لِدَاكِ عَهْدِ الْإِبِلِ  
 وَالطَّعَانِ وَصَعِبَ عَلَيْهِمْ اتِّخَاذُهَا فَخَلَفُوا النِّسَاءَ فِي الْأَسْفَارِ وَحَمَلَهُمُ الْمَلِكُ وَالتَّرَفُ عَلَى اتِّخَاذِ  
 السَّاطِطِ وَالْأَخْبِيَّةِ فَأَقْصَرُوا عَلَى الظَّهِيرِ الْحَامِلِ لِلْإِثْقَالِ<sup>(١)</sup> وَالْأَبْنِيَّةِ وَكَانَ ذَلِكَ صِنْتَهُمْ فِي  
 الْحَرْبِ وَلَا يَبْغِي كُلُّ الْغَنَاءِ لِأَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى الْأَسْمَانَةِ كَمَا يَدْعُو إِلَيْهَا الْأَهْلُ وَالْمَالُ فَيُخَفُّ  
 الْهَبْرُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَتَصْرِفُهُمُ الْهَيْعَاتُ وَتُخَرِّمُ صُنُوفَهُمْ وَلِمَا ذَكَرْتَاهُ مِنْ فَرْبِ الْمَصَافِ  
 وَرَأَى الْعَسَاكِرُ وَتَأَكَّدَهُ فِي قِتَالِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ صَارَ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ يَتَّخِذُونَ طَائِفَةً مِنْ  
 الْإِفْرِنجِ فِي جَنْدِهِمْ وَاخْتَصَوْ بِذَلِكَ لِأَنَّ قِتَالَ أَهْلِ وَطَنِهِمْ كُلَّهُ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ وَالسُّلْطَانُ  
 يَتَأَكَّدُ فِي حَقِّهِ فَرْبُ الْمَصَافِ لِيَكُونَ رِدَا الْمُقَاتِلَةِ أَمَامَهُ فَلَا يَدْعُو مَنْ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ ذَلِكَ  
 الصَّفِّ مِنْ قَوْمٍ مَعْتَوِدِينَ الثِّبَاتِ فِي الزَّخْفِ وَالْإِفْرِنجِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ  
 فَانْهَزَمَ السُّلْطَانُ وَالْعَسَاكِرُ بِإِجْفَالِهِمْ فَاجْتَنَاجَ الْمُلُوكُ بِالْمَغْرِبِ أَنْ يَتَّخِذُوا جُنْدًا مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَّةِ الْمُتَعَوِّدَةِ الثِّبَاتِ فِي الزَّخْفِ وَهُمْ الْإِفْرِنجُ وَيُرْتَبُونَ مَصَافَهُمْ الْمُحْدِقِ بِهِمْ مِنْهَا هَذَا عَلَى مَا  
 فِيهِ مِنَ الْأَسْمَانَةِ بِأَهْلِ الْكِفْرِ وَإِنَّهُمْ اسْتَحْفَظُوا ذَلِكَ لِلْفَرِّ وَالْإِفْرِنجِ أَرَيْنَا كَمَا مِنْ  
 مَخَافَةِ الْإِفْرِنجِ عَلَى مَصَافِ السُّلْطَانِ وَالْإِفْرِنجِ لَا يَغْرِبُونَ غَيْرَ الثِّبَاتِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ  
 عَادَتَهُمْ فِي الْقِتَالِ الزَّخْفُ فَكَانُوا أَقْوَمَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ فِي الْمَغْرِبِ  
 إِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَرْبِ مَعَ أَمْرِ الْعَرَبِ وَالْبَزِيرِ وَقِتَالَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَأَمَّا فِي الْجِهَادِ  
 فَلَا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ حَذَرًا مِنْ مُمَالَاتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ  
 أَبَدَيْنَا سَبَبَهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءَ عَلَيْهِمْ \* وَبَلَّغْنَا أَنَّ أَمْرَ التَّرَكِّ لِهَذَا الْعَهْدِ قِتَالُهُمْ مُنَاضِلَةً  
 بِالسَّهَامِ وَأَنَّ نَصِبَةَ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ بِالْمَصَافِ وَأَنَّهُمْ يَقْسِمُونَ بِثَلَاثَةِ صُفُوفٍ يَضْرِبُونَ  
 صَفًّا وَرَأَى صَفًّا وَيَتَرَجَّلُونَ عَنْ خِيُولِهِمْ وَيَقْرَعُونَ فِيهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَتَنَاضَلُونَ

١ قوله للاتقال والابنية مراده بالابنية الخيام كايبل عليه قوله في فصل المحدث الاتي فربما اذا نزلوا وضربوا البنية



جُلُوسًا وَكُلُّ رِذْيَةٍ لَدَيْهِ أَمَامَهُ أَنْ يَكْتَسِبَهُمُ الْعَدُوُّ إِلَى أَنْ يَتَّيَّأَ النَّصْرُ لِأَحَدِ الطَّائِفَتَيْنِ  
عَلَى الْأُخْرَى وَهِيَ تَعْنِيهِ مُحْكَمَةٌ غَرِيبَةٌ \* وَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِ الْأَوَّلِ فِي حُرُوبِهِمْ حَقَرُ  
الْخُنَادِقِ عَلَى مَعْسُكِهِمْ عِنْدَ مَا يَتَقَارَبُونَ لِلزَّخْبِ حَدًّا مِنْ مَعْرَةِ الْبَيَاتِ وَالنَّجْمِ عَلَى  
الْعَسْكَرِ بِاللَّيْلِ لِمَا فِي ظُلْمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْخَوْفِ فَلَبِذُ الْجَيْشِ بِالْفِرَارِ  
وَتَجِدُ النَّفُوسَ فِي الظُّلْمَةِ سِتْرًا مِنْ عَارِهِ فَإِذَا تَسَاوَوْا فِي ذَلِكَ أُرْجِفَ الْعَسْكَرُ وَوَقَّتِ  
الْمَرْيَمَةُ فَكَانُوا لِذَلِكَ يَحْتَفِرُونَ الْخُنَادِقَ عَلَى مَعْسُكِهِمْ إِذَا نَزَلُوا وَصَرَبُوا أَبْنَتَهُمْ  
وَيُذِيرُونَ الْخَفَائِرَ نِطَاقًا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ حَرِصًا أَنْ يَخْلِطَهُمُ الْعَدُوُّ بِالْبَيَاتِ  
فَيَحْتَازُوا وَكَانَتْ لِلدُّوَلِ فِي أُمْتَالِ هَذَا قُوَّةٌ وَعَلَيْهِ اقْتِدَارٌ بِاخْتِسَادِ الرِّجَالِ وَجَمْعِ  
الْأَيْدِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ وَفُورِ الْعَمْرِانِ وَتَخَافَةُ الْمَلِكِ  
فَلَمَّا خَرِبَ الْعَمْرَانُ وَتَبِعَهُ ضَعْفُ الدُّوَلِ وَقَلَّةُ الْجُنُودِ وَعَدَمُ الْإِعْلَافَةِ لِنَبِيِّ هَذَا الشَّائِئِ  
جُمْلَةً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْقَادِرِينَ وَانْظُرْ وَصِيَّةَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَحَرَّيْضَهُ  
لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ صَنِيعِ تَجِدِ كَثِيرًا مِنْ عِلْمِ الْحَرْبِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْصَرَ بِهَا مِنْهُ قَالَ فِي  
كَلَامِهِ لَهُ فَسَوْا صُنُوفَكُمْ كَالْبَيْتَانِ الْمَرْصُوسِ وَقَدِمُوا الدَّارِعَ وَأَخِرُوا الْحَامِيرَ وَعَضُوا  
عَلَى الْأَصْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى السُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالتَّبَوُّا عَلَى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَضْوَنُ لِلْأَسِنَّةِ  
وَعَضُوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ اللَّجَاشِ وَأَسْكَنُ الْقُلُوبِ وَأَخْفَوُ الْأَصْوَاتِ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفُشْلِ  
وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ وَأَقِيمُوا رَايَاتَكُمْ فَلَا تُحِيلُوهَا وَلَا تُجْعِلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجَاعِكُمْ وَأَسْعِيْنُوا  
بِالصِّدْقِ وَالصَّبْرِ فَإِنَّهُ يَقْدِرُ الصَّبْرُ يَنْزِلُ النَّصْرُ وَقَالَ الْأَشْتَرُ يَوْمَئِذٍ يَحْرُسُ الْأَزْدَ عَضُوا  
عَلَى التَّوَاجِدِ مِنَ الْأَصْرَاسِ وَاسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ وَشُدُّوا شِدَّةَ قَوْمِ مَوْثُورٍ بَيْنَ ثَنَارُونَ  
بِأَبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَقَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ لئَلَّا يَسْبِقُوا بِوَتَرٍ  
وَلَا يَلْحَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَارٌ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ شَاعِرُ لِمَتُونَةٍ  
وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي كَلِمَةٍ يَمْدَحُ بِهَا تَاشِفِينَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ وَبَصَفَ بَنَاتَهُ فِي حَرْبٍ  
شَهِدَهَا وَبَدَّ كَرُّهُ بِأُمُورِ الْحَرْبِ فِي وَصَايَا تَحْدِيدَاتٍ تَنْبِيهُ عَلَى مَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنْ

سِيَاسَةِ الْحَرْبِ يَقُولُ فِيهَا

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الَّذِي يَتَقَنَّعُ  
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْهَامُ الْأَرْوَعُ  
وَمَنْ الَّذِي غَدَرَ الْعَدُوُّ بِهِ دُجَى  
فَأَنْقَضَ كُلُّ وَهْوٍ لَا يَتَزَعَّزُعُ

تَمْضِي الْفَوَارِسُ وَالطَّعَانُ يَصُدُّهَا  
وَاللَّيْلُ مِنْ وَصَحِ التَّرَائِكِ إِنَّهُ  
أَنْتَ فَرَعْتُمْ يَا بَنِي صَنْهَاجَةَ  
إِنْسَانُ عَيْنٍ لَمْ يُصِبْهَا مِنْكُمْ  
وَصَدَدْتُمْ عَنْ تَأَشِينٍ وَإِنَّهُ  
مَا أَنْتُمْ إِلَّا أُسُودُ خَفِيَّةٍ  
يَا تَأَشِينُ أَفَمِ لِحْيَتِكَ عُذْرُهُ

ومنها في سياسة الحرب

أَهْدِيكَ مِنْ آدَبِ السِّيَاسَةِ مَا بِهِ  
لَا إِنِّي أَذْرِي بِهَا لِكَيْهَا  
وَالنَّسْرُ مِنَ الْحَلَقِ الْمُضَافَةِ أَلْيَ  
وَالْهِنْدُوَائِي الرِّبِّيُّ فَإِنَّهُ  
وَأَرْكَبُ مِنَ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ عِدَّةً  
خَنِيذٍ عَلَيْكَ إِذَا ضَرَبَتْ تَحَلَّةٌ  
وَالْوَادُ لَا تَعْبُرُهُ وَأَنْزِلْ عَنْدَهُ  
وَأَجْعَلْ مُنَاجِرَةَ الْجَبُوشِ عَشِيَّةً  
وَإِذَا تَضَاقَبَ الْجَبُوشُ بِمَعْرِكَ  
وَأَصْدَمْتُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ  
وَأَجْعَلْ مِنَ الطَّلَاحِ أَهْلَ شَهَامَةٍ  
لَا تَسْمَعُ الْكَذَّابَ جَاءَكَ رُجُئًا

قَوْلُهُ وَأَصْدَمْتُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ أَلَيْتُ مُخَالَفَ لِمَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ  
فَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي عُبَيْدٍ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ لَمَّا وَلَّاهُ حَرْبَ فَارِسَ وَالْفِرَاقِ فَقَالَ لَدَا سَمِعَ  
وَاطْمَئِنَّا مِنَ اخْتِطَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْرِكْهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَا تُجِيبَنَّ مُسْرِعًا  
حَتَّى تَتَبَيَّنَ فَايْنَهَا الْحَرْبُ وَلَا يَصْلُحْ لَهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيدُ الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ  
وَالْكَفَّ وَقَالَ لَهُ فِي أُخْرَى إِنَّهُ لَنْ يَمْنَعَنِي أَنْ أُوَمِّرَ سَانِطًا إِلَّا سُرْعَتُهُ فِي الْحَرْبِ

وَفِي التَّسَرُّعِ فِي الْحَرْبِ إِلَّا عَنْ يَكَنِ ضِيَاعٍ وَاللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ لَأَمَرْتُهُ لِمَكِّنَ الْحَرْبِ لَا  
يُصْلِحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيثُ هَذَا كَلَامُ عُمَرَ وَهُوَ شَاهِدٌ بِأَنَّ التَّنَاقُلَ فِي الْحَرْبِ أَوَّلَى  
مِنَ التَّخُوفِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَالُ تِلْكَ الْحَرْبِ وَذَلِكَ عَكْسُ مَا قَالَهُ الصَّيْرِيُّ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ  
أَنَّ الصَّدَمَ بَعْدَ الْيَكَنِ فَلَهُ وَجْهٌ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ \* وَلَا وَثُوقَ فِي الْحَرْبِ بِالظُّفَرِ وَإِنْ  
حَصَلَتْ أَسْبَابُهُ مِنَ الْعِدَّةِ وَالْعِيدِ وَإِنَّمَا الظُّفَرُ فِيهَا وَالْغَلْبُ مِنْ قِبَلِ الْبَحْثِ وَالْإِتِّفَاقِ  
وَيَكُنْ ذَلِكَ أَنَّ أَسْبَابَ الْغَلْبِ فِي الْأَكْثَرِ مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أُمُورٍ ظَاهِرَةٍ وَهِيَ الْحَيَاةُ  
وَوُفُورُهَا وَكَمَالُ الْأَسْلِحَةِ وَاسْتِجَادَتُهَا وَكَثْرَةُ الشُّجْعَانِ وَتَرْتِيبُ الْمَصَافِ وَمِنْهُ صِدْقُ  
الْقِتَالِ وَمَا جَرَى يَجْرَى ذَلِكَ وَمِنْ أُمُورٍ خَفِيَّةٍ وَهِيَ إِمَامٌ مِنْ خِدَاعِ الْبَشَرِ وَحِيلِهِمْ فِي  
الْأَرْجَافِ وَالنَّشَانِيعِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا التَّخْذِيلُ وَفِي التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَّاكِنِ الْمُرْتَقِعَةِ لِيَكُونَ  
الْحَرْبُ مِنْ أَعْلَى فَيَتَوَهَّمُ الْمُنْخِضُ لِنِائِكَ وَفِي الْكُفُونِ فِي الْفِيَاضِ وَمُطْمَئِنِّ الْأَرْضِ  
وَالْتَوَارِي بِالْكُدَى حَوْلَ الْعُدُوِّ حَتَّى يَبْدَأُوا لَهُمُ الْعَسْكَرُ دَفْعَةً وَقَدْ تَوَرَّطُوا فَيَتَلَمَّحُونَ  
إِلَى النَّجَاةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الْخَفِيَّةُ أُمُورًا سَمَاوِيَّةً لَا قُدْرَةَ  
لِلْبَشَرِ عَلَى اكْتِسَابِهَا تَلْقَى فِي الْقُلُوبِ فَيَسْتَوِلِي الرَّهَبُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِهَا فَتَخْتَلُ مَرَاكِزُهُمْ  
فَتَقَعُ الْهَرَبَةُ وَأَكْثَرُ مَا تَقَعُ الْهَرَبُ عَنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ لِكثَرَتِهَا بِعَمَلٍ لِكُلِّ  
وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ فِيهَا حِرْصًا عَلَى الْقَلْبِ فَلَا بَدَّ مِنْ وَفُوعِ التَّأْثِيرِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدِهِمَا  
ضَرُورَةٌ وَلِلذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَمِنْ أَمْثَالِ الْقَرْبِ رَبُّ حِيلَةٍ  
أَنْتَعَمَ مِنْ قِبَلِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ وَفُوعَ الْقَلْبِ فِي الْحُرُوبِ غَالِبًا عَنْ أَسْبَابِ خَفِيَّةٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ  
وَوُفُوعِ الْأَشْيَاءِ عَنْ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ هُوَ مَعْنَى الْبَحْثِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْتَبَرَهُ وَتَنَبَّهَ  
مِنْ وَفُوعِ الْقَلْبِ عَنِ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ كَمَا شَرَحْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَرَّتْ  
بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَمَا وَقَعَ مِنْ عَلَيْهِ لِلْمُشْرِكِينَ فِي حَيَاتِهِ بِالْعَدَدِ الْقَلِيلِ وَالْغَلْبِ  
الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ كَذَلِكَ فِي الْفَتْوحَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكَمَّلَ لِنَبِيِّهِ بِالْفَاءِ  
الرُّغْبِ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ حَتَّى يَسْتَوِلِي عَلَى قُلُوبِهِمْ فَيَنْهَزُ مَوَاضِعَهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ الرُّغْبُ فِي قُلُوبِهِمْ سَبَبًا لِلْهَزَائِمِ فِي الْفَتْوحَاتِ الْأَسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
أَنَّهُ خَفِيَ عَنِ الْعَيْنِ \* وَقَدْ ذَكَرَ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْغَلْبِ فِي الْحَرْبِ أَنْ  
تُقْضَلَ عِدَّةُ الْفُرْسَانِ الْمَشَاهِيرِ مِنَ الشُّجْعَانِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى غِلْمِهِمْ فِي الْجَانِبِ

الآخر مثل أن يكون أحد الجانبين فيه عشرة أو عشرون من الشجكان المشاهير وفي  
الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له القلب وأعاد  
في ذلك وأبدى وهو راجع إلى الأسباب الظاهرة التي قدمنا ولنس بصحيح وإنما الصحيح  
المعتبر في القلب حال العصبية أن يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم  
وفي الجانب الآخر عصاب متعددة لأن العصاب إذا كانت متعددة يقع بينها من  
التخاذل ما يقع في الوجدان المتفرقين الفاقدين للعصبية تنزل كل عصابة منهم منزلة  
الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصبته واحدة لأجل  
ذلك فتفهمه وأعلم أنه أصح في الاعتبار مما ذهب إليه الطرطوشي ولم يجعله على ذلك  
لأنسيان شأن العصبية في حلة وبلدة وأنهم إنما يرون ذلك الدقاع والحماة والمطالبة  
إلى الوجدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسا وقد بينا ذلك  
أول الكتاب مع أن هذا وأمثاله على تقدير صحته إنما هو من الأسباب الظاهرة  
مثل اتفاق الجيش في العدة وصديق القتال وكثرة الأسلحة وما أشبهها فكيف يجعل  
ذلك كميلا بالقلب ونحن قد قررنا لك الآن أن شيئا منها لا يعارض الأسباب الخفية  
من الحيل والخداع ولا الأمور السماوية من الرغب والخذلان الإلهي فاقمهم وتفهم  
أحوال الكون والله مقدر الليل والنهار \* ويلحق بمعنى القلب في الخروب وأن أسبابه  
خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل أن تصادف موضعها في أحد من طبقات  
الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتحليين للفضائل على العموم وكثير ممن  
اشتهر بالشتر وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد  
تصادف موضعها وتكون طبعا على صاحبها والسبب في ذلك أن الشهرة والصيت إنما  
هما بالإخبار والإخبار يدخلها الدهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب  
والتشيع ويدخلها الأوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال لخفاها  
بالتأيس والتضع أو لجهل الناقل ويدخلها التقرب لأصحاب التحلة والمراتب الدنيوية  
بالثناء والمدح وتعيين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثناء  
والناس مطأولون إلى الدنيا وأسبابها من جاء أو تزوة ولتسوا من الأكثر براغيين في  
الفضائل ولا منافسين في أهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن

أَسْبَابُ خَفِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ وَتَكُونُ غَيْرَ مُطَابِقَةٍ وَكُلُّ مَا حَصَلَ بِسَبَبِ خَفِيٍّ فَهُوَ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ  
بِالْتَّبَعِ كَمَا تَقَرَّرَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثامن والثلاثون

في الجباية وسبب قلتها وكثرها

اعْلَمْ أَنَّ الْجَبَايَةَ أَوَّلُ الدَّوْلَةِ تَكُونُ قَلِيلَةً الْوَزَائِعُ كَثِيرَةً الْجُمْلَةُ وَآخِرُ الدَّوْلَةِ تَكُونُ  
كَثِيرَةً الْوَزَائِعُ قَلِيلَةً الْجُمْلَةُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنْ كَانَتْ عَلَى سُنَنِ الدِّينِ فَلَيْسَتْ  
تَقْتَضِي إِلَّا الْمَغَارِمَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْخَرَاجِ وَالْجَزْيَةِ وَهِيَ قَلِيلَةُ الْوَزَائِعِ لِأَنَّ مِقْدَارَ  
الرَّكَاةِ مِنَ الْمَالِ قَلِيلٌ كَمَا عَلِمْتَ وَكَذَا زَكَاةُ الْحَبِّبِ وَالْمَالِشِيَّةِ وَكَذَا الْجَزْيَةُ وَالْخَرَاجُ  
وَجَمِيعُ الْمَغَارِمِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ حُدُودٌ لَا تُتَعَدَّى وَإِنْ كَانَتْ عَلَى سُنَنِ التَّغْلِبِ وَالْعَصِيَّةِ  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْبِدَاوَةِ فِي أَوَّلِهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَالْبِدَاوَةُ تَقْتَضِي الْمُسَاحَقَةَ وَالْمُكَارَمَةَ وَخَفَضَ  
الْجَنَاحَ وَالْتَّجَاعِيَّ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْفَقْلَةَ عَنْ تَحْصِيلِ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّادِرِ فَيَقُلُ لِذَلِكَ  
مِقْدَارُ الْوُظَيْفَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْوُزَيْعَةُ الَّتِي تَجْمَعُ الْأَمْوَالُ مِنْ جَمْعِهَا وَإِذَا قَلَّتِ الْوَزَائِعُ  
وَالْوُظَايِفُ عَلَى الرِّعَايَا نَشِطُوا لِلْعَمَلِ وَرَغِبُوا فِيهِ فَيَكْثُرُ الْأَعْمَارُ وَيَتَزَايَدُ الْحُصُولُ  
الْأَغْبَاطُ بِقِلَّةِ الْمَغْرَمِ وَإِذَا كَثُرَ الْأَعْمَارُ كَثُرَتْ أَعْدَادُ تِلْكَ الْوُظَايِفِ وَالْوَزَائِعِ  
فَيَكْثُرُ الْجَبَايَةُ الَّتِي فِي جُمْلَتِهَا فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدَّوْلَةُ وَاتَّصَلَتْ وَتَعَاقَبَ مُلُوكُهَا وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ وَانْصَفَوْا بِالْكَيْسِ وَذَهَبَ مِرُّ الْبِدَاوَةِ وَالسَّادَجَةِ وَخُلِقَ مِنْ الْأَغْضَاءِ وَالتَّجَاعِي  
وَجَاءَ الْمُلْكُ الْعَضُوضُ وَالْحِفَاظَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْكَيْسِ وَتَخَلَّى أَهْلُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ  
يُحْلِقُ التَّحْدِثُ وَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَحَوَائِجُهُمْ بِسَبَبِ مَا انْفَعَسُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالتَّرَفِ  
فَيَكْثُرُونَ الْوُظَايِفَ وَالْوَزَائِعَ حِينَئِذٍ عَلَى الرِّعَايَا وَالْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ  
الْمَغَارِمِ وَيَزِيدُونَ فِي كُلِّ وَظِيْفَةٍ وَوُزَيْعَةٍ مِقْدَارًا عَظِيمًا لِيَكْثُرَ لَهُمُ الْجَبَايَةُ وَيَسْمَعُونَ  
الْمُكْرَسَ عَلَى الْمُبَايَعَاتِ وَفِي الْأَبْوَابِ كَمَا نَذَرْنَا بَعْدُ ثُمَّ تَنْدَرِجُ الزِّيَادَاتُ فِيهَا بِمِقْدَارِ  
بَعْدَ مِقْدَارٍ تَنْدَرِجُ عَوَائِدُ الدَّوْلَةِ فِي التَّرَفِ وَكَثْرَةِ الْحَاجَاتِ وَالْإِنْفَاقِ بِسَبَبِهِ حَتَّى تُثْقَلَ  
الْمَغَارِمُ عَلَى الرِّعَايَا وَتَهْتَضِمُهُمْ وَتَصِيرُ عَادَةً مَقْرُوضَةً لِأَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ تَنْدَرِجُ قَلِيلًا  
قَلِيلًا وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ مِنْ زَادِهَا عَلَى التَّعْيِينِ وَلَا مِنْ هَوَاضِمِهَا إِنَّمَا ثَبَتَ عَلَى الرِّعَايَا فِي  
الْأَعْمَارِ لِلذَّهَابِ الْأَمَلِ مِنْ نُفُوسِهِمْ بِقِلَّةِ النِّفَعِ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نَفْعِهِ وَمَغَارِمِهِ وَبَيَّنَّ

ثَمَرَتِهِ وَقَائِدَتِهِ فَتَنْقِصُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَيْدِي عَنِ الْأَعْتِمَارِ جُمْلَةً فَتَنْقُصُ جُمْلَةُ الْحَيَاةِ حِينَئِذٍ يَنْقُصَانِ تِلْكَ الْوَزَائِعَ مِنْهَا وَرُبَّمَا يَزِيدُونَ فِي مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ النَّقْصَ فِي الْحَيَاةِ وَيَحْسِبُونَهُ جَبْرًا لِمَا نَقَصَ حَتَّى تَنْتَهِيَ كُلُّ وَظِيفَةٍ وَزَيْرَةٍ إِلَى غَايَةٍ لَيْسَ وراءَهَا نَفْعٌ وَلَا فَايِدَةٌ لِكَثْرَةِ الْإِتْمَانِ حِينَئِذٍ فِي الْأَعْتِمَارِ وَكَثْرَةِ الْمَعَارِمِ وَعَدَمِ وِفَاءِ الْفَائِدَةِ الْمَرْجُوءَةِ بِهِ فَلَا تَزَالُ الْجُمْلَةُ فِي نَقْصٍ وَمِقْدَارُ الْوَزَائِعِ وَالْوُظَائِفِ فِي زِيَادَةٍ لِمَا يَنْتَقِدُونَهُ مِنْ جَبَرِ الْجُمْلَةِ بِهَا إِلَى أَنْ يَنْتَقِصَ الْعُمَرَانُ بِذَهَابِ الْأَمَالِ مِنَ الْأَعْتِمَارِ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ لِأَنَّ فَايِدَةَ الْأَعْتِمَارِ عَائِدَةٌ إِلَيْهَا وَإِذَا فُهِمَتْ ذَلِكَ عَلِمَتْ أَنَّ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الْأَعْتِمَارِ تَقَايُلُ مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْمُعْتَمَرِينَ مَا أَمَكَّنَ فِيمَالِكَ تَبَسُّطَ النَّفُوسِ إِلَيْهِ لِتَقْتِيَا بِإِدْرَاكِ الْمَنْتَفَعَةِ فِيهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكُ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَيَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ضرب المكوس واخر الدولة

اعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا بِدَوِيَّةٍ كَمَا فَلْنَا فَتَكُونُ لِذَلِكَ قَلِيلَةً الْحَاجَاتِ لِعَدَمِ الزَّرْفِ وَعَوَائِدِهِ فَيَكُونُ خَرْجُهَا وَإِنْفَاقُهَا قَلِيلًا فَيَكُونُ فِي الْحَيَاةِ حِينَئِذٍ وَقَالَ بَارِزِيدٌ مِنْهَا كَثِيرٌ عَنْ حَاجَاتِهِمْ ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَأْخُذَ بِدِينِ الْخِصَارَةِ فِي الزَّرْفِ وَعَوَائِدِهَا وَتَجْرِي عَلَى نَهْجِ الدُّوَلِ السَّابِقَةِ قَبْلَهَا فَيَكْثُرُ لِذَلِكَ خَرَاجُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَيَكْثُرُ خَرَاجُ السُّلْطَانِ خُصُوصًا كَثْرَةً بِالْفَنَةِ يَنْفَقَتِهِ فِي خَاصَّتِهِ وَكَثْرَةَ عَطَائِهِ وَلَا تَقِي بِذَلِكَ الْحَيَاةُ فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الْحَيَاةِ لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَاقِمِيَّةُ مِنَ الْعَطَاءِ وَالسُّلْطَانُ مِنَ النَّفَقَةِ فَيَزِيدُ فِي مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ أَوَّلًا كَمَا فَلْنَا ثُمَّ يَزِيدُ الْخَرَاجَ وَالْحَاجَاتُ وَالتَّجَرُّعُ فِي عَوَائِدِ الزَّرْفِ وَفِي الْعَطَاءِ لِلْحَاقِمِيَّةِ وَيُدْرِكُ الدَّوْلَةُ الْهَرَمُ وَتَضَعُ عِصَابَتَهَا عَنْ حَيَاةِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْقَاصِيَةِ فَتَقِلُّ الْحَيَاةُ وَتَكْثُرُ الْعَوَائِدُ وَيَكْثُرُ بِكَثْرَتِهَا أَرْزَاقُ الْجُنْدِ وَعَطَاؤُهُمْ فَيَسْتَحْدِثُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْوَاعًا مِنَ الْحَيَاةِ يَضُرُّهَا عَلَى الْبَيَاعَاتِ وَيَقْرُضُ لَهَا قَدْرًا مَعْلُومًا عَلَى الْأَثْمَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَعَلَى أَعْيَانِ السِّلَعِ فِي أَمْوَالِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَعَ هَذَا مُضْطَرٌّ لِذَلِكَ بِمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ طُرُقُ النَّاسِ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ مِنْ زِيَادَةِ الْجُيُوشِ وَالْحَاقِمِيَّةِ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ زِيَادَةً بِالْفَنَةِ فَتَكْسَدُ

الأسواق لفساد الآمال. وَيُؤْذِنُ ذَلِكَ بِأَخْلَالِ الْعُمَرَانِ وَيَعُودُ عَلَى الدَّوْلَةِ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَنْزَائِدُ إِلَى أَنْ تَصْحَلْ وَقَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْهُ بِأَمْصَارِ الْمَشْرِقِ فِي أَخْرِيَّاتِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْعَبِيدِيَّةِ كَثِيرٌ وَفُرِضَتِ الْمَغَارِمُ حَتَّى عَلَى الْحَاجِّ فِي الْمَوْصِمِ وَأَسْقَطَ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو بَنْتَلَاءٍ الرُّسُومَ جُمْلَةً وَأَعَادَهَا بِأَثَارِ الْخَيْرِ وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ لِعَهْدِ الطُّوْائِفِ حَتَّى مَحَى رَسْمَهُ يُوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينِ أَمِيرُ الْمُرَاطِبِينَ وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِأَمْصَارِ الْحَرِيدِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ لِهَذَا الْعَهْدِ حِينَ اسْتَبَدَّ بِهَا رُؤُوسَاوَهَا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الاربعون

في ان التجارة من السلطان مضرة بالراعايا ومفسدة للحباية

إِذْ عَلِمَ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا ضَاقَتْ حَبَائِثُهَا بِمَا قَدَّمَاهُ مِنَ التَّرْفِ وَكَثُرَتِ الْعَوَائِدُ وَالنَّفَقَاتُ وَقَصُرَ الْخَاصِلُ مِنْ حَبَائِثِهَا عَلَى الْوَفَاءِ بِحَاجَاتِهَا وَتَقَاتِهَا وَاحْتِاجَتْ إِلَى مَزِيدِ الْمَالِ وَالْحَبَائِثِ فَتَارَةً تَوْضَعُ الْمَكُوسُ عَلَى يَبَاعَاتِ الرَّاْعَايَا وَأَسْوَاقِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَتَارَةً يَأْزِي بِأَدَاةٍ فِي أَلْقَابِ الْمَكُوسِ إِنْ كَانَ قَدْ اسْتَعْدِثَ مِنْ قَبْلُ وَتَارَةً بِمُقَاسَمَةِ الْعُمَالِ وَالْحَبَايَةِ وَامْتِنَاكِ عِظَامِهِمْ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى شَيْءٍ طَائِلٍ مِنْ أَمْوَالِ الْحَبَائِثِ لَا يَظْهَرُ الْحُسْبَانُ وَتَارَةً بِاسْتِحْدَاثِ التِّجَارَةِ وَالْإِلَاحَةِ لِلسُّلْطَانِ عَلَى تَسْمِيَةِ الْحَبَائِثِ لِمَا يَرَوْنَ التِّجَارَةَ وَالْفَلَاحِينَ يَحْصُلُونَ عَلَى الْعَوَائِدِ وَالْعَلَّاتِ مَعَ بَسَاةِ أَمْوَالِهِمْ وَأَنَّ الْأَرْزَاقَ تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فَيَأْخُذُونَ فِي أَكْتِسَابِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ لِاسْتِغْلَالِهِ فِي شِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَالتَّعَرُّضِ بِهَا لِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَارِ الْحَبَائِثِ وَتَكُنْزِ الْعَوَائِدِ وَهُوَ غَلَطٌ عَظِيمٌ وَإِذْ خَالَ الضَّرَرُ عَلَى الرَّاْعَايَا مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَأَوْلَا مُضَابَقَةَ الْفَلَاحِينَ وَالتِّجَارَةِ فِي شِرَاءِ الْحَيَوَانِ وَالْبَضَائِعِ وَتَبْسِيرِ أَسْبَابِ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّاْعَايَا مُتَكَاثِرُونَ فِي الْبَسَارِ مُتَقَارِبُونَ وَمُزَاحِمَةٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا تَنْتَعِي إِلَى غَايَةِ مَوْجُودِهِمْ أَوْ تَقَرُّبُ وَإِذَا رَاقَهُمُ السُّلْطَانُ فِي ذَلِكَ وَمَالَهُ أَعْظَمُ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَحْصُلُ عَلَى غَرَضِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ حَاجَاتِهِ وَيَدْخُلُ عَلَى النَّفُوسِ مِنْ ذَلِكَ غَمٌّ وَتَكْدٌ ثُمَّ إِنْ السُّلْطَانُ قَدْ بَنْتَرَ عَ الْكَثِيرِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَعَرَّضَ لَهُ غَضًا أَوْ بِأَنْسَرِ ثَمَنٍ أَوْ لَا يَجِدُ مِنْ بِنَاقَشِهِ فِي شِرَائِهِ فَيَحْسِبُ ثَمَنَهُ عَلَى بَاقِيهِ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ فَوَائِدُ الْفَلَاحَةِ وَمُعْلَاهَا كُلُّهَا مِنْ زَرْعٍ أَوْ حَرْبٍ أَوْ عَسَلٍ أَوْ سَكَّرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ

الثَّلَاثَ وَحَصَلَتْ بَضَائِعُ التِّجَارَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ فَلَا يَنْتَظِرُونَ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَلَا  
 تَفَاقُ الْبَيَاعَاتِ لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَكَالُفُ الدَّوْلَةِ فَيُكَلِّفُونَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ مِنْ  
 تَاجِرٍ أَوْ فَلَاحٍ شِرَاءَ تِلْكَ الْبَضَائِعِ وَلَا يَرْضَوْنَ فِي أَثْمَانِهَا إِلَّا الْقِيمَ وَأَزِيدَ فَيَسْتَوْعِبُونَ  
 فِي ذَلِكَ نَاضَ أَمْوَالَهُمْ وَبَقِيَ تِلْكَ الْبَضَائِعُ بِأَيْدِيهِمْ عُرُوضًا جَامِدَةً وَيَمْكُثُونَ عَطْلًا  
 مِنَ الْإِدَارَةِ الَّتِي فِيهَا كَسَبُهُمْ وَمَعَاشُهُمْ وَرُبَّمَا تَدْعُوهُمْ الْفُرُورَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ  
 فَيَبِيعُونَ تِلْكَ السِّلْعَ عَلَى كَسَادٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ بِأَخْسَ ثَمَنٍ وَرُبَّمَا يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ عَلَى  
 التَّاجِرِ وَالْفَلَاحِ مِنْهُمْ بِمَا يَذْهَبُ رَأْسُ مَالِهِ فَيَقْعُدُ عَنْ سُوقِهِ وَبَتَعَدُّ ذَلِكَ وَبَتَكَرَّرُ  
 وَيَدْخُلُ بِهِ عَلَى الرِّعَايَا مِنَ الْعَنَتِ وَالْمُضَابِقَةِ وَفَسَادِ الْأَرْبَاحِ مَا يَقْبِضُ أَمْوَالَهُمْ عَنْ  
 السَّعْيِ فِي ذَلِكَ جُمْلَةً وَيُؤَدِّي إِلَى فُسَادِ الْحَيَاةِ فَإِنَّ مُعْظَمَ الْحَيَاةِ إِنَّمَا فِي مِنَ الْفَلَاحِينَ  
 وَالتَّجَارِ وَلَا سِوَمَا بَعْدَ وَضْعِ الْمُكُوسِ وَنُفُوزِ الْحَيَاةِ بِهَا فَإِذَا انْقَبَضَ الْفَلَاحُونَ عَنْ  
 الْفِلَاحَةِ وَقَعَدَ التَّجَارُ عَنْ التِّجَارَةِ ذَهَبَتِ الْحَيَاةُ جُمْلَةً أَوْ دَخَلَتِ النِّقْصُ الْمُنْفَاحِشُ وَإِذَا  
 قَابَسَ السُّلْطَانُ بَيْنَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْحَيَاةِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَاحِ الْقَلِيلَةِ وَجَدَهَا بِالنِّسْبَةِ  
 إِلَى الْحَيَاةِ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ ثُمَّ إِنَّهُ وَلَوْ كَانَ مُفِيدًا فَيَذْهَبُ لَهُ بِحِطِّ عَظِيمٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِيمَا  
 يُعَايَنُهُ مِنْ شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يُوجَدَ فِيهِ مِنَ الْعَكْسِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ فِي  
 تِلْكَ الْأَصْفَقَاتِ لَكَانَ تَكْسِبُهَا كُلُّهَا حَاصِلًا مِنْ جِهَةِ الْحَيَاةِ ثُمَّ فِيهِ التَّعَرُّضُ لِأَهْلِ  
 عُمَرَانِهِ وَاخْتِلَالُ الدَّوْلَةِ بِفَسَادِهِمْ وَنَقْصِهِمْ فَإِنَّ الرِّعَايَا إِذَا قَعَدُوا عَنْ تَنْمِيهِ أَمْوَالِهِمْ  
 بِالْفِلَاحَةِ وَالتِّجَارَةِ نَقَصَتْ وَتَلَاشَتْ بِالنِّفَقَاتِ وَكَانَ فِيهَا تَلَاثُ أَحْوَالِهِمْ فَأَقْبَهُمْ ذَلِكَ  
 وَكَانَ الْفَرَسُ لَا يَمْلِكُ أَنْ يَمْلِكُوا عَلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ثُمَّ يَخْتَارُونَهُ مِنْ أَهْلِ  
 الْفَضْلِ وَالذِّينِ وَالْأَدَبِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ يَشْتَرِطُونَ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ  
 الْعَدْلَ وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ صِنْعَةً فَيُضَرَّ بِحَيْرَانِهِ وَلَا يَتَاجَرَ فَيُحِبَّ غَلَاءَ الْأَسْوَاقِ فِي الْبَضَائِعِ  
 وَأَنْ لَا يَسْتَعْدِمَ الْعَبِيدَ فَإِنَّهُمْ لَا يَشِيرُونَ بِخَيْرٍ وَلَا مَصْلَحَةٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا  
 يَنْبَغِي مَالَهُ وَلَا يَدْرُ مَوْجُودَهُ إِلَّا الْحَيَاةَ وَإِذَا رَأَاهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَدْلِ فِي أَهْلِ الْأَمْوَالِ  
 وَالنَّظَرِ لَهُمْ بِذَلِكَ فَيَذَلِكُ تَبْسِطُ أَمْوَالِهِمْ وَتَنْشَرِحُ صُدُورُهُمْ لِلْأَخْذِ فِي تَنْمِيهِ الْأَمْوَالِ  
 وَتَنْمِيَّتِهَا فَتَعْظُمُ مِنْهَا حَيَاةُ السُّلْطَانِ وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ قَلْعٍ فَإِنَّمَا هُوَ مَضَرَّةٌ  
 عَاجِلَةٌ لِلرِّعَايَا وَفَسَادٌ لِلْحَيَاةِ وَنَقْصٌ لِلْعِمَارَةِ وَقَدْ بَتَّهِ الْحَالُ بِهَوْلَاءِ الْمُسْلِمِينَ لِلتِّجَارَةِ



وَالْفَلَاحَةَ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْمُتَغَلِّبِينَ فِي الْبُلْدَانِ أَنَّهُمْ يَتَعَرَّضُونَ لِشِرَاءِ الْفَلَاحَةِ وَالسَّلَامِ  
 مِنْ أَرْبَابِهَا الْوَارِدِينَ عَلَى بَلَدِهِمْ وَيَقْرَضُونَ لِنَفْسِهِمْ مِنَ الثَّمَنِ مَا يَشَاءُونَ وَيَبِيعُونَهَا فِي  
 وَقْتِهَا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعَايَا بِمَا يَقْرَضُونَ مِنَ الثَّمَنِ وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلَى  
 وَأَقْرَبُ إِلَى فَسَادِ الرِّعَايَةِ وَأَخْلَالِ أَحْوَالِهِمْ وَزُبْمًا يَحْمِلُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ  
 يَدْخُلُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ أَغْنَى الثُّجَارَ وَالْفَلَاحِينَ لِمَا فِي صِنَاعَتِهِ الَّتِي تَشَأُ عَلَيْهَا فَيَحْمِلُ  
 السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَيَضْرِبُ مَعَهُ بِسَهْمٍ لِنَفْسِهِ لِيَحْصَلَ عَلَى غَرَضِهِ مِنْ جَمْعِ أَلْمَالِ سَرِيعًا  
 وَلَا سِيَمًا مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ النِّجَارَةِ بِلَا مَغْرَمٍ وَلَا مَكْسٍ فَإِنَّهَا أَجْدَرُ بِنُجُومِ الْأَمْوَالِ  
 وَأَسْرَعُ فِي تَتْمِيمِهِ وَلَا يَقْتَرِحُ مَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنَ التَّرَرِّ بِتَقْصِصِ حَبَائِثِهِ فَيَبْغِي  
 لِلسُّلْطَانِ أَنْ يَتَخَذَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَيُغْرِضَ عَنْ سَعَايَتِهِمُ الْمُضِرَّةَ بِحَبَائِثِهِ وَسُلْطَانِيَّةِ وَاللَّهُ  
 يَهْدِيكُمْ رُشْدًا أَنْفُسِنَا وَبِنَفْعِنَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحَبَابَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ تَتَوَزَّعُ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلِ وَالْعَصَبَةِ  
 بِمِقْدَارِ غِنَائِهِمْ وَعَصَابَتِهِمْ وَلِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فِي تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ  
 فَرِئْسُهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَجَانِفٍ لَهُمْ عَمَّا يَسْتَمُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْتِئْذَانِ عَلَيْهِمْ فَلَهُ عَلَيْهِمْ عِزَّةٌ  
 وَلَهُ إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ فَلَا يَطِيرُ فِي مُهْمَانِهِ مِنَ الْحَبَابَةِ إِلَّا الْأَوَّلُ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَجِدُ حَاشِيَتَهُ  
 لِنَفْسِهِ وَأَذْيَالَهُ مِنَ الْأُزُرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْمَوَالِي مُتَمَلِّقِينَ فِي الْغَالِبِ وَجَاهَهُمْ مُتَقَلِّصُونَ  
 لِأَنَّهُمْ مِنْ جِوَارِ مَخْدُومِيهِمْ وَيَطَافُهُ قَدْ ضَاقَ بِمَنْ يُزَاحِمُهُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ فَإِذَا اسْتَحْلَتْ  
 طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَحَصَلَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْأَسْتِئْذَانُ عَلَى قَوْمِهِ فَقَضَى أَيْدِيَهُمْ عَنْ الْحَبَابَاتِ  
 إِلَّا مَا يَطِيرُ لَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِي مُهْمَانِهِمْ وَتَقِلُّ حُظُوظُهُمْ إِذْ ذَلِكَ لِقِلَّةِ غِنَائِهِمْ فِي  
 الدَّوْلَةِ بِمَا أَنْكَبَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَصَارَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعُ مُسَاهِمِينَ لَهُمْ فِي الْقِيَامِ بِالدَّوْلَةِ  
 وَتَمْهِيدِ الْأَمْرِ فَيَنْفَرِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ بِالْحَبَابَةِ أَوْ مُغْتَمِّهَا وَيَحْتَوِي عَلَى الْأَمْوَالِ  
 وَيَحْتَجِثُهَا لِلنَّفَقَاتِ فِي مُهْمَاتِ الْأَحْوَالِ فَتَكْثُرُ ثَرَوَتُهُ وَتَعْتَلِي خَزَائِنُهُ وَيَتَسَّعُ نِطَاقُ  
 جَاهِهِ وَيَعْتَزُّ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ بِعِظَمِ حَالِ حَاشِيَتِهِ وَذَوِيهِ مِنْ وَزِيرٍ وَكَاتِبٍ وَحَاجِبٍ  
 وَمَوْلَى وَمُرْطِيٍّ وَيَتَسَّعُ جَاهُهُمْ وَيَقْتَنُونَ الْأَمْوَالِ وَيَبْنُونَ لِنَفْسِهِمْ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي

أَلْمَرَمِ بِتَلَاثِي الْعَصِيَةِ وَفَاءَ الْقَلِيلِ الْمُعَاهِدِينَ لِلدَّوْلَةِ أَحْتَاجَ صَاحِبُ الْأَمْرِ حِينَئِذٍ إِلَى الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ لِكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ وَالْمَنَازِعِينَ وَالثَّوَارِ وَتَوْهَمِ الْإِنْتِقَاضِ فَصَارَ خَرَجُهُ لِيُظْمِرَ بِهِ وَأَعْوَانِهِ وَهُمْ أَرْبَابُ السُّيُوفِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّاتِ وَأَتَقَى خَزَائِنَهُ وَحَاصِلَهُ فِي مُهَيَّاتِ الدَّوْلَةِ وَقَلَّتْ مَعَ ذَلِكَ الْحَيَاةُ لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ فَيَقِلُّ الْخَرَجُ وَتَشَدُّ حَاجَةُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ فَيَتَقَلَّصُ ظِلُّ النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ عَنِ الْخَوَاصِ وَالتَّجَارِبِ وَالْكَتَابِ يَتَقَلَّصُ الْجَاهُ عَنْهُمْ وَضَيِقَ نِطَاقُهُ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ تَشَدُّ حَاجَةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ وَتَنْفَقُ أَبْنَاءُ الْبَطَانَةِ وَالْحَاشِيَةِ مَا تَأْتِلُهُ أَبَاؤُهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا مِنْ إِعَانَةِ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَيَقْبُلُونَ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَسَلَفُهُمْ مِنَ الْمُنَاصِحَةِ وَيَرَى صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ أَحَقُّ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الَّتِي أُكْنُسَتْ فِي دَوْلَةِ سَلَفِهِ وَيَجَاهِدُهُمْ فَيُضْطَلِمُهَا وَيَنْزِعُهَا مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ شَيْئًا شَبِيحًا وَوَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى نِسْبَةِ رُتَبِهِمْ وَتَنْصَكِرُ الدَّوْلَةُ لَهُمْ وَيَعُودُ بِكَالِ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِفَنَاءِ حَاشِيَتِهَا وَرِجَالِهَا وَأَهْلِ الدَّرَجَةِ وَالنِّعْمَةِ مِنْ بَطَانَتِهَا وَيَتَقَوَّضُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ مَبَانِي الْحَجْدِ بَعْدَ أَنْ يَدْعُمَهُ أَهْلُهُ وَيَرْفَعُوهُ. وَانْظُرْ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ لِوُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي بَنِي قُحْطَبَةَ وَبَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي مَهَلٍ وَبَنِي طَاهِرٍ وَأَمْثَلِهِمْ ثُمَّ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ انْحِلَالِهَا أَيَّامَ الطَّوَانِفِ فِي بَنِي شَهِيدٍ وَبَنِي أَبِي عَبْدِ وَبَنِي حُدَيْرٍ وَبَنِي بُرْدٍ وَأَمْثَلِهِمْ وَكَذَلِكَ فِي الدَّوْلَةِ الَّتِي أَدْرَكْنَاهَا لِعَهْدِنَا سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ

فصل \* وَلَمَّا يَتَوَقَّعُ أَهْلُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعَاطِبِ صَارَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَنْزِعُونَ إِلَى الْفِرَارِ عَنِ الرُّتَبِ وَالْتِخَالُصِ مِنْ رِبْقَةِ السُّلْطَانِ بِمَا حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مَالِ الدَّوْلَةِ إِلَى قُطْرٍ آخَرَ وَيُرُونَ أَنَّهُ أَهْنٌ لَهُمْ وَأَسْلَمٌ فِي إِتْقَانِهِ وَحُصُولِ ثَمَرَتِهِ وَهُوَ مِنَ الْإِعْلَاطِ وَالْحَاشِيَةِ وَالْأَوْهَامِ الْمُفْسِدَةِ لِأَخْوَالِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخُلَاصَ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ الْحُصُولِ فِيهِ عَسِيرٌ مُتَّبِعٌ فَإِنْ صَاحِبُ هَذَا الْغَرَضِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمَلِكُ نَفْسُهُ فَلَا تُمْكِنُهُ الرِّعْيَةُ مِنْ ذَلِكَ طَرَفَةً عَيْنٍ وَلَا أَهْلُ الْعَصِيَةِ الْمُرَاحِمُونَ لَهُ بَلْ فِي ظُهُورِ ذَلِكَ مِنْهُ هَذَمٌ لِمُلْكِهِ وَإِتْلَافٌ لِنَفْسِهِ بِتِجَارِي الْعَادَةِ بِذَلِكَ لِأَنَّ رِبْقَةَ الْمَلِكِ يَعْسُرُ الْخُلَاصَ مِنْهَا وَلَا سِيَّامَا عِنْدَ اسْتِنْحَالِ الدَّوْلَةِ وَضَيْقِ نِطَاقِهَا وَمَا يَغْرِضُ فِيهَا مِنَ الْبُعْدِ عَنِ الْحَجْدِ وَالْخِلَالِ وَالْتِخَالُصِ بِالسَّرِّ وَأَمَّا إِذَا كَانَ صَاحِبُ هَذَا الْغَرَضِ مِنْ بَطَانَةِ السُّلْطَانِ

وَحَاشِيَتِهِ وَأَهْلَ الرَّتَبِ فِي دَوْلَتِهِ فَقَالَ أَنْ يُغْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ أَمَّا أَوَّلًا فَلَمَّا بَرَأَهُ  
 الْمُلُوكُ أَنْ ذَوَّبَهُمْ وَحَاشِيَتَهُمْ بَلْ وَسَائِرَ رَعَايَاهُمْ مِمَّا لِكُلِّهِمْ مَطْعَمُونَ ذَلِكَ ذَاتَ صُدُورِهِمْ  
 فَلَا يَسْمَحُونَ بِحُلِّ رِبْقَتِهِ مِنْ أَعْدَمَةٍ ضَا بِأَسْرَارِهِمْ وَأَخْوَالِهِمْ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَغَيْرَةٌ  
 مِنْ خِدْمَتِهِ لِسَوَاهِهِمْ وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ يَمْنَعُونَ أَهْلَ دَوْلَتِهِمْ مِنَ السَّرِّ لِنَرِيضَةٍ  
 أَلْحَجَّ لِمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ وَفُوعِهِمْ بِأَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَحْجِ سَائِرَ أَيَّامِهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ  
 دَوْلَتِهِمْ وَمَا أُبَيِّحَ الْحَجَّ لِأَهْلِ الدَّوَلِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِ شَأْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَرُجُوعِهَا  
 إِلَى الطَّوَائِفِ وَأَمَّا ثَانِيًا فَلَانْتَهَمَ وَإِنْ سَخَّوْا بِحُلِّ رِبْقَتِهِ فَلَا يَسْمَحُونَ بِالتَّجَافِي عَنْ ذَلِكَ  
 الْمَالِ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ مَالِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ دَوْلَتِهِمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ سَبَبُ  
 إِلَّا بِهَا وَفِي ظِلِّ جَاهِهَا فَتَعَوُّمُ نَفْسِهِمْ عَلَى انْتِزَاعِ ذَلِكَ الدَّالِّ وَالنِّقَامِ كَمَا هُوَ جُزْءٌ  
 مِنَ الدَّوَلَةِ يَتَنَبَّهُونَ بِهِ ثُمَّ إِذَا تَوَهَّمُوا أَنَّهُ خُلِصَ بِذَلِكَ الْمَالِ إِلَى قَطْرِ آخَرٍ وَهُوَ فِي  
 النَّادِرِ الْأَوَّلِ فَتَحْتَدُّ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْمُلُوكِ بِذَلِكَ الْقَطْرِ وَيَنْزِعُونَهُ بِالْإِرْهَابِ وَالنَّخْوِيفِ  
 تَعَرِيضًا أَوْ بِالْقَهْرِ ظَاهِرًا لِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ مَالُ الْحَيَاةِ وَالدَّوَلِ وَأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلانْتِفَاقِ فِي  
 الْمَصَالِحِ وَإِذَا كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَمْتَدُّ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالسَّارِ الْمُتَكَسِّبِينَ مِنْ وَجُوهِ  
 الْمَعَاشِ فَأُخْرَى بِهَا أَنْ تَمْتَدَّ إِلَى أَمْوَالِ الْحَيَاةِ وَالدَّوَلِ الَّتِي تَعُدُّ السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِالشَّرْعِ  
 وَالْعَادَةِ وَلَقَدْ حَاوَلَ السُّلْطَانُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ الْغِيَاثِيُّ تَأْسِيعَ أَوْ عَاشِرُ مُلُوكِ  
 الْحَفْصِيِّينَ بِأَفْرِيقَةِ الْخُرُوجِ عَنْ عَهْدَةِ الْمُلِكِ وَاللِّعَاقِ بِعِصْرِ فِرَارًا مِنْ طَلَبِ صَاحِبِ  
 الثُّغُورِ الْغُرَابِيَّةِ لَمَّا اسْتَجْمَعَ لِعَزْوِ ثُونِسَ فَأَسْتَعْمَلَ الْغِيَاثِيُّ الرِّحْلَةَ إِلَى تَغْرِ صَرَابَلَسَ  
 يُوتَرِي بِتَمْنِيْلِيهِ وَرَكِبَ السَّنِينَ مِنْ هُنَاكَ وَخَلَصَ إِلَى الْأَسْكَدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ حَمَلَ  
 جَمِيعَ مَا وَجَدَهُ بَيْتَ الْمَالِ مِنَ الصَّامِتِ وَالذَّخِيرَةِ وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ بِخِزَانَتِهِمْ مِثْلَ  
 الْمَتَاعِ وَالْعَقَارِ وَالْجَوْهَرِ حَتَّى الْكَتَبِ وَأَخْتَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مِصْرَ وَنَزَلَ ذَلِكَ  
 الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُنَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِنَ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَأَكْرَمَ نَزْلَهُ وَرَفَعَ  
 مَجْلِسَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَخْلَصُ ذَخِيرَتَهُ شَيْئًا شَيْئًا بِالْعَرِيضِ إِلَى أَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَبْقَ  
 مَعَاشُ ابْنِ الْغِيَاثِيِّ إِلَّا فِي جِرَائِيَةِ الَّتِي فَرَضَ لَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ  
 حَسْبَمَا نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِ فَهَذَا وَمِثَالُهُ مِنْ جُمْلَةِ الْوَسْوَاسِ الَّذِي يَتَعَرَّى أَهْلُ الدَّوَلِ  
 لِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ مُلُوكِهِمْ مِنَ الْمَعَاطِبِ وَإِنَّمَا يَخْلُصُونَ إِنْ اتَّفَقَ لَهُمُ الْخُلَاصُ بِأَنْفُسِهِمْ

وَمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنَ الْحَاجَةِ فَلَقَطَ وَوَهْمٌ وَالَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الشَّهْرَةِ بِخِدْمَةِ الدَّوْلِ كَافٍ فِي وَجْدَانِ الْمَعَاشِ لَهُمْ بِالْجَرَائِزِ السُّلْطَانِيَّةِ أَوْ بِالْجَاهِ فِي اتِّحَالِ طُرُقِ الْكَسْبِ مِنَ التِّجَارَةِ وَالْفِلَاحَةِ وَالدَّوْلِ أَنْسَابٌ لَكِنْ  
 النَّاسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْتَحُ  
 وَاللَّهُ مُبَاهِجُهُ هُوَ الرِّزْقُ وَهُوَ الْمُوقِفُ بَيْنَهُ وَقَضِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص المطاء من السلطان نقص في الحجابة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ لِلْعَالَمِ وَمِنْهُ مَادَّةُ الْعُمَرَاءِ فَإِذَا احْتَجَّ السُّلْطَانُ الْأَمْوَالَ أَوْ الْحِجَابَاتِ أَوْ فَقِدَتْ فَلَمْ يَصْرِفْهَا فِي مَصَارِفِهَا قَلَّ حِينَئِذٍ مَا بِيَدِي الْحَاشِيَةِ وَالْحَامِيَةِ وَانْقَطَعَ أَيْضًا مَا كَانَ يَصِلُ مِنْهُمْ لِحَاشِيَتِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَقَلَّتْ تَفَقَّاهُ جُمْلَةً وَهُمْ مُعْظَمُ السُّوَادِ وَتَفَقَّاهُ أَكْثَرُ مَادَّةِ الْأَسْوَاقِ بَيْنَ سِوَاهُمْ فَيَقْعُ الْكَسَادُ حِينَئِذٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَضَعُفُ الْأَزْبَاحُ فِي الْمَتَاجِرِ يَقِلُّ الْخَرَجُ لِذَلِكَ لِأَنَّ الْخَرَجَ وَالْحِجَابَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْأَعْتِمَارِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَتَفَاقِي الْأَسْوَاقِ وَطَلَبِ النَّاسِ لِلْفَوَائِدِ وَالْأَزْبَاحِ وَوَبَالَ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالنِّقْصِ لِقِلَّةِ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ حِينَئِذٍ يَقِلُّ الْخَرَجُ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ كَمَا قُلْنَا هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ أَمْ الْأَسْوَاقِ كُلِّهَا وَأَصْلُهَا وَمَادَّتُهَا فِي الدُّخْلِ وَالخَرْجِ فَإِنْ كَسَدَتْ وَقَلَّتْ مَصَارِفُهَا فَاجْتَرِدَ بِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَسْوَاقِ أَنْ يُلْحَقَهَا مِثْلُ ذَلِكَ وَأَشَدُّ مِنْهُ وَأَيْضًا فَالْمَالُ إِنَّمَا هُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَمِنْهُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا حَبَسَهُ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ فَقَدَتْهُ الرَّعِيَّةُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان الظلم موزن بخراب العمران

إِعْلَمْ أَنَّ الْعُدُونَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ ذَاهِبٌ بِأَمْوَالِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَكَتْسِهَا لِمَا يَرَوْنَهُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنَّ غَايَتَهَا وَمَصِيرَهَا أَنْتَهَابُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَإِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ فِي كِتْسِهَا وَتَحْصِيلِهَا انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَعَلَى قَدَرِ الْأَعْتِدَاءِ وَنَسْبَتِهِ يَكُونُ انْقِبَاضُ الرُّعَايَا عَنِ السَّعْيِ فِي الْإِكْتِسَابِ فَإِذَا كَانَ الْأَعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَلَمًا فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ كَانَ الْقَعُودُ عَنِ الْكَسْبِ كَذَلِكَ لِدِهَابِهِ بِالْأَمَالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ

مِنْ جَمِيعِ أَتْرَابِهَا وَإِنْ كَانَ الْإِعْتِدَالُ يَسِيرًا كَانَ الْإِنْقِيَاضُ عَنِ الْكَسْبِ عَلَى نِسْبَتِهِ  
 وَالْعُمُرَانُ وَوُفُورُهُ وَتَفَاقُ أَسْوَاقِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَعْمَالِ وَسَعْيِ النَّاسِ فِي الْمَصَالِحِ  
 وَالْمَكَاسِبِ ذَاهِبِينَ وَجَائِينَ فَإِذَا قَعَدَ النَّاسُ عَنِ الْمَعَاشِ وَانْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ  
 الْمَكَاسِبِ كَسَدَتْ أَسْوَاقُ الْعُمُرَانِ وَانْقَضَتْ الْأَحْوَالُ وَابْتَدَعَ النَّاسُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ  
 غَيْرِ تِلْكَ الْإِبَالَةِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ فِيمَا خَرَجَ عَنْ نِطَاقِهَا فَخَفَّ سَاكِنُ الْقَطْرِ وَخَلَّتْ  
 دِيَارُهُ وَخَرَجَتْ أَمْصَارُهُ وَاخْتَلَّ بِاخْتِلَالِهِ حَالُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ لِمَا أَنَّهَا صُورَةٌ  
 لِلْعُمُرَانِ تَفْسُدُ بِفَسَادِ مَا دَنَيْتَهَا فَصُرُورَةٌ وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي أَخْبَارِ  
 الْفُرْسِ عَنِ الْمُؤَبَّدَانِ صَاحِبِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ أَيَّامَ بَهْرَامَ بْنِ بَهْرَامَ وَمَا عَرَّضَ بِهِ لِلْمَلِكِ  
 فِي إِنْكَارِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْفُتْلَةِ عَنْ عَائِدَتِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِضَرْبِ الْمَثَالِ فِي  
 ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الْيَوْمِ حِينَ سَمِعَ الْمَلِكُ أَصْوَاتَهَا وَسَأَلَهُ عَنْ فَهْمِ كَلَامِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّ يَوْمًا  
 ذَكَرَ أَيْدُومُ نِكَاحَ يَوْمٍ أَتَيْتِي وَإِنَّهَا شَرَطَتْ عَلَيْهِ عِشْرِينَ قَرْيَةً مِنَ الْخُرَابِ فِي أَيَّامِ بَهْرَامَ  
 فَقَبِلَ شَرْطَهَا وَقَالَ لَهَا إِنْ دَامَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ أَقَطْتُكَ أَلْفَ قَرْيَةٍ وَهَذَا أَسْهَلُ مَرَامٍ فَتَبَّهَ  
 الْمَلِكُ مِنْ غَفْلَتِهِ وَخَلَا بِالْمُؤَبَّدَانِ وَسَأَلَهُ عَنْ مُرَادِهِ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْمَلِكَ  
 لَا يَتِمُّ عِزُّهُ إِلَّا بِالْشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالنَّصْرِ فِي أَمْرِهِ وَتَنْهِيهِ وَلَا قِيَامَ  
 لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْمَالِ وَلَا  
 سَبِيلَ إِلَى الْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ الْمَنْصُوبُ  
 بَيْنَ الْخَلْقِ نَصَبُهُ الرَّبُّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَدَتُ إِلَى الضِّيَاعِ  
 فَأَتَرَعْتَهَا مِنْ أَزْبَابِهَا وَعُمَارَهَا وَتَمَّ أَزْبَابُ الْخُرَاجِ وَمَنْ تَوَخَّذَ مِنْهُمْ الْأَمْوَالُ وَأَقْطَعْتَهَا  
 الْحَاشِيَةَ وَالْخَدَمَ وَأَهْلَ الْبَطَالَةِ فَتَرَكُوا الْعِمَارَةَ وَالنَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ وَمَا بَصُلُحُ الضِّيَاعِ  
 وَسُوحُوا فِي الْخُرَاجِ لِقَرْنِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَوَقَعَ الْخَيْفُ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَزْبَابِ الْخُرَاجِ وَعُمَارِ  
 الضِّيَاعِ فَأَتَجَلَّوْا عَنْ ضِيَاعِهِمْ وَخَلُّوا دِيَارَهُمْ وَأَوْتُوا إِلَى مَا تَعَدَّرَ مِنَ الضِّيَاعِ فَسَكَنُوهَا  
 فَقَلَّتِ الْعِمَارَةُ وَخَرِبَتِ الضِّيَاعُ وَقَلَّتِ الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْجُنُودُ وَالرَّعِيَّةُ وَطَمَعَ فِي  
 مَلِكٍ فَارِسٍ مَنْ جَاوَزَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ لِمَلِيهِمْ بِانْقِطَاعِ الْمَوَادِّ الَّتِي لَا اسْتَقِيمُ دَعَائِمُ  
 الْمَلِكِ إِلَّا بِهَا فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى النَّظَرِ فِي مَلِكِهِ وَاتَّزَعَتِ الضِّيَاعُ مِنْ  
 أَيْدِيهِ الْخَاصَّةِ وَرَدَّتْ عَلَى أَزْبَابِهَا وَحُمِلُوا عَلَى رُؤُوسِهِمُ السَّالِفَةِ وَأَخَذُوا فِي الْعِمَارَةِ وَفُورِي

مَنْ ضَعُفَ مِنْهُمْ تَعَمَّرَتِ الْأَرْضُ وَأَخْصَبَتِ الْبِلَادُ وَكَثُرَتِ الْأَمْوَالُ عِنْدَ جِبَاةِ الْخُرَاجِ  
 وَقَوِيَتِ الْجُنُودُ وَقُطِعَتِ مَوَادُّ الْأَعْدَاءِ وَتُخِنَتِ الثُّغُورُ وَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَى مُبَاشَرَةِ أُمُورِهِ  
 بِنَفْسِهِ فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ وَاتَّعَظَمَ مَلِكُهُ فَتَفَهَّمُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّ الظُّلْمَ تَخْرُبُ لِلْعُمَرَاءِ  
 وَأَنَّ عَائِدَةَ الْخُرَابِ فِي الْعُمَرَاءِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالْفَسَادِ وَالْإِنْتِفَاضِ وَلَا تَنْظُرُ فِي ذَلِكَ إِلَى  
 أَنَّ الْأَعْتِدَاءَ قَدْ يُوجَدُ بِالْأَمْصَارِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي بَهَا وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا خُرَابٌ وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قَبْلِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْأَعْتِدَاءِ وَأَحْوَالِ أَهْلِ الْمِصْرِ فَلَمَّا كَانَ  
 الْمِصْرُ كَبِيرًا وَعُمَرَاؤُهُ كَثِيرًا وَأَحْوَالُهُ مُتَّسِعَةً بِمَا لَا يَتَحَصَّرُ كَانَ وَقُوعُ النِّقْصِ فِيهِ بِالْإِعْتِدَاءِ  
 وَالظُّلْمِ يَسِيرًا لِأَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَقَعُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِذَا خَفِيَ بِكَثْرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتَّسَعَ  
 الْأَعْمَالُ فِي الْمِصْرِ لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُهُ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ وَقَدْ تَذَهَّبَ نَاكُ الدَّوْلَةِ الْمُعْتَدِيَةِ مِنْ  
 أَصْلِهَا قَبْلَ خُرَابِ الْمِصْرِ وَتَجِبِي الدَّوْلَةُ الْأُخْرَى فَتَرْقَعُهُ بِجِدَّتِهَا وَتَجْبُرُ النِّقْصَ الَّذِي كَانَ  
 خَفِيًّا فِيهِ فَلَا يَكَادُ يُشْعِرُ بِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ حُصُولَ  
 النِّقْصِ فِي الْعُمَرَاءِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ أَمْرٌ وَقِيعٌ لَا يَدُ مِنْهُ لِمَا قَدَّمَاهُ وَوَبَّالُهُ عَائِدَةُ عَلَى  
 الدُّوَلِ وَلَا تَحْسَبَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا هُوَ أَخْذُ الْمَالِ أَوْ الْمَلِكِ مِنْ يَدِ مَالِكِهِ مِنْ غَيْرِ عَوَاضٍ  
 وَلَا سَبَبٍ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَلِ الظُّلْمُ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ وَكُلٌّ مِنْ أَخْذِ مَلِكٍ أَحَدٍ أَوْ غَسْبَةٍ  
 فِي عَمَلِهِ أَوْ طَائِبَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ فَرَضٍ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَفْرَضْهُ الشَّرْعُ فَقَدْ ظَلَمَهُ فَجِبَاةُ  
 الْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُعْتَدُونَ عَلَيْهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُنْتَهَبُونَ لَهَا ظَلَمَةٌ وَالْمَانِعُونَ  
 لِحُقُوقِ النَّاسِ ظَلَمَةٌ وَخُصَابُ الْأَمْلاِكِ عَلَى الْعُمُومِ ظَلَمَةٌ وَوَبَّالُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَائِدَةُ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 بِخُرَابِ الْعُمَرَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّتُهَا لِإِذْهَابِهِ الْأَمَالَ مِنْ أَهْلِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ  
 الْمَقْصُودَةُ لِلشَّارِعِ فِي تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَهُوَ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنْ فُسَادِ الْعُمَرَاءِ وَخُرَابِهِ وَذَلِكَ  
 مُؤَذِّنٌ بِانْقِطَاعِ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ وَهِيَ الْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ الدَّرَاعِيَّةُ لِلشَّرْعِ فِي جَمِيعِ  
 مَقَاصِدِهِ الْضَّرُورِيَّةِ الْخَمْسَةِ مِنْ حِفْظِ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّسْلِ وَالْمَالِ فَلَمَّا كَانَ  
 الظُّلْمُ كَمَا رَأَيْتَ مُؤَذِّنًا بِانْقِطَاعِ النَّوعِ لِمَا أَدَّى إِلَيْهِ مِنْ تَخْرِيبِ الْعُمَرَاءِ كَانَتْ  
 حِكْمَةُ الْخَطَرِ فِيهِ مُوجِبَةً فَكَانَ تَحْرِيمُهُ سَهْمًا وَأَدْلَتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ  
 مِنْ أَنْ يَأْخُذَهَا قَانُونُ الضَّبْطِ وَالْحَصْرِ وَلَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرًا عَلَى الظُّلْمِ لَوَضِعَ بِإِزَائِهِ  
 مِنَ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةِ مَا وَضِعَ بِإِزَاءِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ لِلنَّوعِ الَّتِي يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى

أَقْرَبَهَا مِنْ أَرْزَاوَاتِ الْقَتْلِ وَالسُّكْرِ إِلَّا أَنْ الظُّلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ  
 إِنَّمَا يَقَعُ مِنْ أَهْلِ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ فَيُؤَلِّغُ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْرِيرِ الْوَعِيدِ فِيهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ  
 أَوْازِعٌ فِيهِ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ يَظْلَمُ لِلْعَبِيدِ وَلَا تَقُولُونَ إِنَّ الْعُقُوبَةَ قَدْ وُضِعَتْ  
 بِأَرْزَاءِ الْحِرَابَةِ فِي الشَّرْعِ وَهِيَ مِنْ ظُلْمِ الْقَادِرِ لِأَنَّ الْحَرْبَ زَمَنَ حِرَابَتِهِ قَادِرٌ فَإِنْ فِي  
 الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ طَرِيقَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُولَ الْعُقُوبَةُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ مِنَ الْحَيَايَاتِ فِي نَفْسِ  
 أَمْوَالٍ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَالْمُطَالَبَةِ بِحَيَاتِهِ  
 وَمَا نَفْسُ الْحِرَابَةِ فِيهِ خُلُوفٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ الطَّرِيقُ الثَّانِي أَنْ تَقُولَ الْحَرْبُ لَا يُوَصَفُ  
 بِالْقُدْرَةِ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَعْنِي بِقُدْرَةِ الظُّلْمِ أَيْدِ الْمَبْسُوطَةِ الَّتِي لَا تَعَارِضُهَا قُدْرَةٌ فِيهِ الْمُؤَذِّنَةُ  
 بِالْخَرَابِ وَمَا قُدْرَةُ الْحَرْبِ فَإِنَّمَا هِيَ إِخَافَةٌ يَجْعَلُهَا ذَرِيعَةً لِأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَالْمُدَافَعَةِ  
 عَنْهَا بِيَدِ الْكُلِّ مَوْجُودَةٌ شَرْعًا وَسِيَاسَةً فَلَيْسَتْ مِنَ الْقُدْرِ الْمُؤَذِّنِ بِالْخَرَابِ وَاللَّهُ  
 قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَمِنْ أَشَدِّ الظُّلَمَاتِ وَأَعْظَمِهَا فِي إِفْسَادِ الْعُمَرَانِ تَكْلِيفُ الْأَعْمَالِ  
 وَتَسْخِيرُ الرِّعَايَا بِغَيْرِ حَقٍّ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنْ قِلِيلِ الْمُتَمَوَّلَاتِ كَمَا سَبَّيْنَا فِي  
 بَابِ الرِّزْقِ لِأَنَّ الرِّزْقَ وَالنَّكْسَبَ إِنَّمَا هُوَ قِيمُ أَعْمَالِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ فَإِذَا مَسَاعِيَهُمْ  
 وَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا مُتَمَوَّلَاتٌ وَمَكَاسِبُهُمْ بَلْ لَا مَكَاسِبَ لَهُمْ سِوَاهَا فَإِنَّ الرِّعَايَةَ  
 الْمُتَعَمِّلِينَ فِي الْعِمَارَةِ إِنَّمَا مَعَاشُهُمْ وَمَكَاسِبُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ذَلِكَ فَإِذَا كَانُوا أَعْمَلُ  
 فِي غَيْرِ شَأْنِهِمْ وَأَتَّخَذُوا سِخْرِيًا فِي مَعَايِهِمْ بَطَلَ كَسْبُهُمْ وَأَغْنَصُوا قِيَمَةَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ  
 وَهُوَ مُتَمَوَّلُهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الضَّرَرُ وَذَهَبَ لَهُمْ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنْ مَعَايِهِمْ بَلْ هُوَ مَعَاشُهُمْ  
 بِالْجُمْلَةِ وَإِنْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَفْسَدَ أَمَالَهُمْ فِي الْعِمَارَةِ وَقَعَدُوا عَنِ السَّخْرِ فِيهَا  
 جُمْلَةً فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْتِفَاضِ الْعُمَرَانِ وَتَغَرُّبِهِ وَاللَّهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ  
 وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي الظُّلْمِ وَإِفْسَادِ الْعُمَرَانِ وَالِدَوْلَةِ التَّسْلُطُ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ  
 بِشِرَاءٍ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ ثُمَّ قَرْضُ الْبَضَائِعِ عَلَيْهِمْ بِأَرْزَعِ الْأَثْمَانِ عَلَى  
 وَجْهِ الغَضَبِ وَالْإِكْرَاهِ فِي الشِّرَاءِ وَالتَّيْعِ وَرُبَّمَا تَقْرَضُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَثْمَانُ عَلَى  
 التَّوَاهِي وَالتَّجْبِيلِ فَيَسْتَلُونَ فِي تِلْكَ الْخِسَارَةِ الَّتِي تَلْقَوْنَهَا بِمَا مُخَدِّمُهُمُ الْمُطَاعِمُ مِنْ جَبْرِ  
 ذَلِكَ بِحَقْوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِي تِلْكَ الْبَضَائِعِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْعِلَاءِ إِلَى يَبْعِهَا بِأَبْخَسِ  
 الْأَثْمَانِ وَتَعُودُ خِسَارَةً مَا بَيْنَ الصَّفَتَيْنِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَقَدْ يَبُغِي ذَلِكَ أَصْنَافُ

التِّجَارِ الْمُقْبِيَةِ بِالْمَدِينَةِ وَالْوَارِدِينَ مِنَ الْآفَاقِ فِي الْبَضَائِعِ وَسَائِرِ السُّوقِ وَأَهْلُ  
الدِّسَّاكِينِ فِي الْمَاكِلِ وَالْقَوَاكِهِ وَأَهْلُ الصَّنَائِعِ فِيمَا يَتَّخِذُ مِنَ الْآلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ  
فَتَشْمَلُ الْخِيسَارَةَ سَائِرَ الْأَصْنَافِ وَالطَّبَقَاتِ وَتَتَوَالَى عَلَى السَّاعَاتِ وَتُجِيفُ بِرُؤُوسِ  
الْأَمْوَالِ وَلَا يَجِدُونَ عِنَهَا وَلِجَمَّةً إِلَّا الْقَمْعُودَ عَنِ الْأَسْوَاقِ لِذَهَابِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فِي  
جَبْرِهَا بِالْأَزْبَاحِ وَيَتَأَقَّلُ الْوَارِدُونَ مِنَ الْآفَاقِ لِشِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَيَتَمَحَّرُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
فَتَكْشُدُ الْأَسْوَاقُ وَيَبْطُلُ مَعَاشُ الرُّعَايَا لِأَنَّ عَامَتَهُ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَإِذَا كَانَتْ  
الْأَسْوَاقُ عَطْلًا مِنْهَا بَطَلَ مَعَاشُهُمْ وَتَنْقُصُ حَيَاتُهُ السُّلْطَانِ أَوْ تَقْشُدُ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا مِنْ  
أَوْسَطِ الدَّوْلَةِ وَمَا بَعْدَهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ الدُّكُوسِ عَلَى الْبَيَاعَاتِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَيُؤَوَّلُ ذَلِكَ  
إِلَى ثَلَاثِي الدَّوْلَةِ وَفَسَادِ عُمَرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَتَطَرَّقُ هَذَا الْخَلَلُ عَلَى النَّدْرِ وَلَا يُشْعُرُ  
بِهِ هَذَا مَا كَانَ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الدَّرَائِعِ وَالْأَسْبَابِ إِلَى اخْتِزِ الْأَمْوَالِ وَأَمَّا اخْتُزُهَا مُجَانًا  
وَالْعُدُونُ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَحُرْيَمِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَأَعْرَافِهِمْ فَهُوَ يُفْغِي  
إِلَى الْخَلَلِ وَالْفَسَادِ دَفْعَةً وَتَنْقِصُ الدَّوْلَةَ مَرِيحًا بِمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْخُرْجِ الْمُنْفِي إِلَى  
الْإِنْتِقَاضِ وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَقَاسِدِ حَظَرَ الشَّرْعُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَشَرَعَ الدُّمُكَايَسَةَ فِي  
الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَحَظَرَ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ سَدًّا لِأَبْوَابِ الْمَقَاسِدِ الْمُنْفِيَةِ إِلَى  
انْتِقَاضِ الْعُمَرَانِ بِالْخُرْجِ أَوْ بَطْلَانِ الْمَعَاشِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الدَّاعِيَ لِذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا هُوَ  
حَاجَةُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ إِلَى الْإِكْتِسَادِ مِنَ الْمَالِ بِمَا يَرْضَى لَهُمْ مِنَ التَّرَفِ فِي الْأَحْوَالِ  
فَتَكْثُرُ نَفَقَاتُهُمْ وَيَعْظُمُ الْخُرْجُ وَلَا يَبْقَى لَهُ الدَّخْلُ عَلَى الْقَوَائِنِ الْمُعْتَادَةِ يَسْتَعْدُونَ  
أَلْفَاكًا وَوُجُوهًا يُوسِعُونَ بِهَا الْجَبَابَةَ لِيَبْقَى لَهُمُ الدَّخْلُ بِالْخُرْجِ ثُمَّ لَا يَزَالُ التَّرَفُ يَزِيدُ  
وَالْخُرْجُ يَسْبِيهِ يَكْثُرُ وَالْحَاجَةُ إِلَى أَمْوَالِ النَّاسِ تَشْتَدُّ وَيَطَاقُ الدَّوْلَةَ بِذَلِكَ يَزِيدُ  
إِلَى أَنْ تُعْجِي دَائِرَتُهَا وَيَذْهَبَ بِرُسْمِهَا وَيَغْلِبَهَا طَالِبُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الرابع والاربعون

في ان الحجاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند الهرم  
إِعْلَمَ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَكُونُ بَعِيدَةً عَنْ مَنَازِعِ الْمُلْكِ كَمَا قَدَّمَاهُ  
لِأَنَّهُ لَا نَدَّ لَهَا مِنْ النَّصِيبَةِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ أَمْرُهَا وَيَحْصُلُ أَسْيَلُهَا وَالْإِدَاوَةُ هِيَ شِعَارُ  
النَّصِيبَةِ والدَّوْلَةُ إِنْ كَانَ قِيَامُهَا بِالذِّينِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ مَنَازِعِ الْمُلْكِ وَإِنْ كَانَ قِيَامُهَا



بِعَنِ الْقَلْبِ فَقَطَّ فَإِلْدَاوَةُ الْإِي بِهَا يَحْصُلُ الْقَلْبُ بَعِيدَةً أَيْضًا عَنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَمَذَاهِبِهِ  
 فَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا بِدَوِيَّةٍ كَانَتْ صَالِحِيهَا عَلَى حَالِ الْفَضَاخَةِ وَالْبِدَاوَةِ  
 وَالْقُرْبِ مِنَ النَّاسِ وَسُوءِ الْإِذْنِ فَإِذَا رَسَخَ عِزُّهُ وَصَارَ إِلَى الْإِفْتِرَادِ بِنَفْسِهِ عَنِ  
 النَّاسِ لِلْحَدِيثِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ فِي خَوَاصِّ شُؤْنِهِ لِمَا يَكْثُرُ حَيْثُ يَحْشِيئُهُ قَيْطَلُ  
 الْإِفْتِرَادِ مِنَ الْعَلَمَةِ مَا اسْتَطَاعَ وَيَتَّخِذُ الْإِذْنَ بِبَابِهِ عَلَى مَنْ لَا يَأْمَنُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ  
 دَوْلَتِهِ وَيَتَّخِذُ حَاجِيًا لَهُ عَنِ النَّاسِ بِقِيَمَةِ بَابِهِ لِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ ثُمَّ إِذَا اسْتَفْعَلَ الْمَلِكُ  
 وَجَاءَتْ مَذَاهِبُهُ وَمَنَازِعُهُ اسْتَحَالَتْ أَخْلَاقُ صَالِحِي الدَّوْلَةِ إِلَى أَخْلَاقِ الْمَلِكِ وَفِي أَخْلَاقِ  
 غَرِيبَةٍ مُتَخَصُّصَةٍ يَحْتَاجُ مُبَاشَرُهَا إِلَى مُدَارِكِهَا وَمُعَامَلَتِهَا بِمَا يَجِبُ لَهَا وَرُبَّمَا جَبَلَ تِلْكَ  
 الْأَخْلَاقُ مِنْهُمْ بَعْضُ مَنْ يَبَاشِرُهُمْ فَوَقَعَ فِيمَا لَا يَرْضِيهِمْ فَسَخِطُوا وَصَارُوا إِلَى حَالَةِ الْإِنْتِقَامِ  
 مِنْهُ فَأَتَقَرَّدَ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَدَبِ الْخَوَاصِّ مِنَ أَوْلِيَائِهِمْ وَجَبُّوا غَيْرَ أَوْلِيكَ الْخَاصَّةِ  
 عَنِ لِقَائِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حِفْظًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُعَانِيَةِ مَا يُسَخِطُهُمْ عَلَى النَّاسِ مِنَ  
 التَّعَرُّضِ لِعِقَابِهِمْ فَصَارَ لَهُمْ حِجَابٌ آخَرُ أَحْصَى مِنَ الْحِجَابِ الْأَوَّلِ بِنُفْضِي إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
 خَوَاصُّهُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَلَمَةِ وَالْحِجَابِ الثَّانِي بِنُفْضِي إِلَى  
 حِجَابِ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَلَمَةِ وَالْحِجَابِ الْأَوَّلِ يَكُونُ فِي أَوَّلِ  
 الدَّوْلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا كَمَا حَدَّثَ لِأَيَّامِ مُعَاوِيَةَ وَعَبْدِ الْمَلِكِ وَخُلَفَائِهِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ  
 الْقَائِمُ عَلَى ذَلِكَ الْحِجَابِ يُسَمَّى عِنْدَهُمُ الْحَاجِبُ جَزِيًّا عَلَى مَذْهَبِ الْإِسْتِغْنَاءِ الصَّحِيحِ  
 ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجَدَتِ الدَّوْلَةُ مِنَ التَّرَفِّ وَالْعِزِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ  
 وَكَمَلَتْ خَلْقُ الْمَلِكِ عَلَى مَا يَجِبُ فِيهَا فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِجَابِ الثَّانِي وَصَارَ اسْمُ الْحَاجِبِ  
 أَحْصَى بِهِ وَصَارَ بِبَابِ الْخُلَفَاءِ دَارَانُ لِلْعِيَاسِيَّةِ دَارُ الْخَاصَّةِ وَدَارُ الْعَلَمَةِ كَمَا هُوَ مَسْطُورٌ  
 فِي أَخْبَارِهِمْ ثُمَّ حَدَّثَ فِي الدَّوْلِ حِجَابٌ ثَالِثٌ أَحْصَى مِنَ الْأَوَّلِينَ وَهُوَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ الْحَجَرِ  
 عَلَى صَالِحِ الدَّوْلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الدَّوْلَةِ وَخَوَاصَّ الْمَلِكِ إِذَا نَصَبُوا الْأَنْبَاءَ مِنَ الْأَعْقَابِ  
 وَحَاوَلُوا الْإِسْتِنَادَ عَلَيْهِمْ فَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ ذَلِكَ الْمُسْتَبِدُّ أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُ بِطَانَةُ ابْنِهِ  
 وَخَوَاصُّ أَوْلِيَائِهِ يَوْمَهُ أَنْ فِي مُبَاشَرَتِهِمْ إِيَّاهُ خَرَقَ حِجَابَ أَلْمِيَّةِ وَفَسَادَ قَانُونِ الْأَدَبِ  
 لِقَطْعِ بِذَلِكَ لِقَاءِ الْغَيْرِ وَيُعَوِّدُهُ مَلَاسَةً أَخْلَاقِيَّةً هُوَ حَتَّى لَا يَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُ إِلَى أَنْ  
 يَسْتَحْكِمَ الْأَسْيَلَاءَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ هَذَا الْحِجَابُ مِنْ دَوَائِعِهِ وَهَذَا الْحِجَابُ لَا يَقَعُ فِي

الغالب إلا أواخر الدولة كما قدمناه في النجى ويكون دليلاً على حرمة الدولة ونفاد قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لأن القائمين بالدولة يحاولون على ذلك يطبّعهم عند حرمة الدولة وذهاب الاستبداد من أعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومباريه

### الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم أن أول ما يقع من آثار الحرمة في الدولة انقسامها وذلك أن الملك عندما يستفعل ويتأخر من أحوال الترف والتعمير إلى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالجمود ويفترده به ويألف حينئذ عن المشاركة ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين له نصبه فربما أرتاب الساهمون له في ذلك بأنفسهم ونزعوا إلى القاصية إليهم من يلقى بهم مثل حالهم من الاعتزاز والاستزابة ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النزاع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة أو يكاد وأنظر ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حزيناً مجتمعا ونطاقاً ممتداً في الاتساع وعصية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم يبق عرق من الخلافة سائر أيامه إلا ما كان من بدعة الخوارج المستعيتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك انزع ملك ولا رئاسة ولم يتم أمرهم لراحمتهم العصبية القوية ثم لما خرج الأمر من بني أمية واستقل بنو العباس بالأمر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف واذنت بالانقراض عن القاصية نزع عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس قاصية دولة الإسلام فاستحدث بها ملكاً واقطعها عن دولتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع أدريس إلى المغرب وخرج به وقام بأمره وأمر ابنه من بعده البربرية من أوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تقلصاً فاضطرب الأعلى في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كتماناً وصنهاجاً واستولوا على إفريقية والمغرب ثم مضر والشام والحجاز وغلبوا على الأداسة وقسموا الدولة دولتين أخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس

مَرْكَزَ الْعَرَبِ وَأَصْلَهُمْ وَمَادَّتُهُمُ الْإِسْلَامُ وَدَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ الْمُجْدِدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ  
 مُلْكُهُمُ الْقَدِيمُ وَخِلَافَتُهُمْ بِالْمَشْرِقِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ  
 وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ أَنْقَرَضَاهَا مُتَقَارِبًا أَوْ جَمِيعًا وَكَذَلِكَ انْقَسَمَتِ دَوْلَةُ  
 بَنِي الْعَبَّاسِ بِدَوْلٍ أُخْرَى وَكَانَ بِالْقَاصِيَةِ بَنُو سَاسَانَ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ وَالْعُلُوبِيَّةَ  
 فِي الدَّلِيمِ وَطَبْرِسْتَانَ وَآلَ ذَلِكَ إِلَى اسْتِيلَاءِ الدَّلِيمِ عَلَى الْعَرَّاقِينَ وَعَلَى بَغْدَادَ وَالْخُلَفَاءِ  
 ثُمَّ جَاءَ السُّجُوقِيَّةُ فَمَلَكَوا جَمِيعَ ذَلِكَ ثُمَّ انْقَسَمَتِ دَوْلَتُهُمْ أَيْضًا بَعْدَ الْإِسْتِغْثَالِ كَمَا  
 هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَكَذَلِكَ أَعْتَبَرَهُ فِي دَوْلَةٍ صِنَهَاجَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةَ لَمَّا بَلَغَتْ  
 إِلَى غَايَتِهَا أَيَّامَ بَادِيَسَ بْنِ الْمَنْصُورِ خَرَجَ عَلَيْهِ حَمَادٌ وَاقْتَطَعَ مَا لِكَ الْعَرَبِ لِنَفْسِهِ  
 مَا بَيْنَ جَبَلِ أَوْرَاسَ إِلَى تَلَمَّسَانَ وَمَلُوبِيَّةَ وَأَخْطَطَ الْقَلْعَةَ بِجَبَلِ كُنَامَةِ حِيَالِ الْمَسِيلَةِ وَنَزَلَهَا  
 وَاسْتَوَلَى عَلَى مَرْكَزِهِمْ أَشِيرَ بِجَبَلِ نِطْرِي وَاسْتَحْدَثَ مُلْكًا آخَرَ قَسِيمًا لِمُلْكِ آلِ بَادِيَسَ  
 وَبَقِيَ آلُ بَادِيَسَ بِالْقَبْرِزَوَانِ وَمَا إِلَيْهَا وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَ أَمْرُهَا جَمِيعًا وَكَذَلِكَ  
 دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ لَمَّا انْقَلَصَ ظِلُّهَا نَارَ بِأَفْرِيقِيَّةَ بَنُو أَبِي حَفْصٍ فَاسْتَقَلُّوا بِهَا وَاسْتَحْدَثُوا  
 مُلْكًا لِأَعْقَابِيهِمْ بِبَوَاحِيهَا ثُمَّ لَمَّا اسْتَفْعَلَ أَمْرُهُمْ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْقَابِيَةِ خَرَجَ عَلَى الْعَمَالِكِ  
 الْغُرَبِيَّةِ مِنَ أَعْقَابِيهِمْ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ بِمَحْيَى ابْنِ السُّلْطَانِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ إِبْرَاهِيمَ رَابِعَ خُلَفَائِهِمْ  
 وَاسْتَحْدَثَ مُلْكًا بِبَجَابَةِ وَقَسَطِينَةَ وَمَا إِلَيْهَا أَوْرَثَهُ بَنِيهِ وَتَسَمَّوْا بِهِ الدَّوْلَةَ فَسَمَّيْنِ  
 ثُمَّ اسْتَوَلَوْا عَلَى كَرْمِيَّةِ الْخَضِرَةِ يُونُسَ ثُمَّ انْقَسَمَ الْمُلْكُ مَا بَيْنَ أَعْقَابِيهِمْ ثُمَّ عَادَ الْإِسْتِيلَاءُ  
 فِيهِمْ وَقَدْ بَنَتْهُي الْإِنْقِسَامُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ دَوْلَتَيْنِ وَثَلَاثَ فِي غَيْرِ أَعْيَاصِ الْمُلْكِ مِنْ قَوْمِهِ  
 كَمَا وَقَعَ فِي مُلُوكِ الطُّوْائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ وَفِي مُلْكِ صِنَهَاجَةَ بِأَفْرِيقِيَّةَ  
 فَقَدْ كَانَ لِآخِرِ دَوْلَتِهِمْ فِي كُلِّ حُصْنٍ مِنْ حُصُونِ أَفْرِيقِيَّةَ نَائِرٌ مُسْتَقِلٌّ بِأَمْرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ  
 ذِكْرُهُ وَكَذَا حَالُ الْجُرَيْدِ وَالزَّابِ مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ فَبِئْسَ هَذَا الْعَهْدُ كَمَا نَذَرُوه وَمَا كَذَا شَأْنُ  
 كُلِّ دَوْلَةٍ لَا بُدَّ وَأَنْ بَعْضُ فِيهَا عَوَارِضُ الْهَرَمِ بِالْتَرَفِ وَالِدَعَّةُ وَتَقْلُصُ ظِلُّ الْعَلَبِ فَيَنْقَسِمُ  
 أَعْيَاصُهَا وَمَنْ يَغْلِبُ مِنْ رِجَالِهَا دَوْلَتُهَا لِأَمْرٍ وَيَتَعَدَّدُ فِيهَا الدُّوَلُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل السادس والاربعون

في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَ الْعَوَارِضِ الْمُؤَذِّنَةِ بِالْهَرَمِ وَأَسْبَابَهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَبَيْنَا أَنَّهَا

تَعَدُّ لِلدَّوْلَةِ بِالطَّبَعِ وَأَنَّهَا كُلُّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لَهَا وَإِذَا كَانَ الْهَرَمُ طَبِيعِيًّا فِي الدَّوْلَةِ  
كَانَ حَدُوثُهُ بِمِثَابَةِ حَدُوثِ الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ كَمَا يَحْدُثُ الْهَرَمُ فِي الْمَرْجِ الْحَيَوَانِيِّ  
وَالْهَرَمُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُرْمِيَةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ دَوَائُهَا وَلَا ارْتِفَاعُهَا إِلَّا أَنَّهُ طَبِيعِيٌّ وَالْأُمُورُ  
الطَّبِيعِيَّةُ لَا تَبْدَلُ وَقَدْ بَيَّنَّاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ عَنِ لَهْ يَقْظَةُ فِي السِّيَاسَةِ فَيَرَى مَا  
نَزَلَ بِدَوْلَتِهِمْ مِنْ عَوَارِضِ الْهَرَمِ وَيُظَنُّ أَنَّهُ مُمَكِنٌ الْإِرْتِفَاعُ فَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بِتِلْكَ الدَّوْلَةِ  
وَأَصْلَاحِ زَوَاجِعِهَا عَنْ ذَلِكَ الْهَرَمِ وَيَحْسَبُهُ أَنَّهُ لِحَقِّهَا بِتَقْصِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ  
وَعَفْلَتِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلدَّوْلَةِ وَالْعَوَائِدُ هِيَ الْمَانِعَةُ لَهُ مِنْ تَلَايِفِهَا  
وَالْعَوَائِدُ مِثْلُ طَبِيعِيَّةٍ أُخْرَى فَإِنْ مِنْ أَدْرَكَ مِثْلًا أَبَاهُ وَأَكْثَرَ أَهْلِ بَيْتِهِ يَلْبَسُونَ  
الْحَرِيرَ وَالذِّيَابِجَ وَيَتَحَلَّوْنَ بِالذَّهَبِ فِي السَّلَاحِ وَالْمَرَكَابِ وَيَتَحَنَّبُونَ عَنِ النَّاسِ فِي  
الْعَجَائِلِ وَالصَّلَواتِ فَلَا يُمْكِنُهُ مُخَالَفَةُ سَلَفِهِ فِي ذَلِكَ إِلَّا لِحُشُونَةٍ فِي اللَّيَاسِ وَالزُّيِّ  
وَالْإِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ إِذَا الْعَوَائِدُ حِينَئِذٍ تَمْنَعُهُ وَتَقْضِي عَلَيْهِ رُتْكَبَهُ وَلَوْ فَعَلَهُ لَرُمِيَ  
بِالْجُنُونِ وَالْوَسْوَاسِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْعَوَائِدِ دَفْعَةً وَخُذِي عَلَيْهِ عَائِدَةُ ذَلِكَ وَعَاقِبَتُهُ فِي  
سُلْطَانِهِ وَانْظُرْ شَأْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي إِنْكَارِ الْعَوَائِدِ وَمُخَالَفَتِهَا لَوْلَا أَنَّهُ يَدُ الْإِلَهِ وَالنَّصْرُ  
السَّمَاوِيُّ وَبَرَّيَا تَكُونُ الْعَصِيَّةُ قَدْ ذَهَبَتْ فَتَكُونُ الْأَبْهَةُ تَعَوُّضٌ عَنْ مَوَاقِعِهَا مِنْ  
النَّفُوسِ فَإِذَا أُرِيَتْ تِلْكَ الْأَبْهَةُ مَعَ ضَعْفِ الْعَصِيَّةِ تَجَاسَرَتْ الرِّعَايَا عَلَى الدَّوْلَةِ بِذَهَابِ  
أَوْهَامِ الْأَبْهَةِ فَتَنْدَرِعُ الدَّوْلَةُ بِتِلْكَ الْأَبْهَةِ مَا أَمْكَنَهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ الْأَمْرُ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ  
عِنْدَ آخِرِ الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ تُؤْمَرُ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ ارْتَفَعَ عَنْهَا وَيُبْوِضُ ذُبَالُهَا إِيمَاضَةَ الْخُمودِ  
كَمَا يَبْقَى فِي الذُّبَالِ الْمُسْتَعْمَلِ فَإِنَّهُ عِنْدَ مُقَارَبَةِ انْطِفَائِهِ يُبْوِضُ إِيمَاضَةَ نُومٍ أَنَّهَا شَتَعَالٌ  
وَهِيَ انْطِفَاءٌ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَلَا تُغْفِلْ مِرَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتَهُ فِي أَطْرَادِ وَجُودِهِ عَلَى مَا  
قَدَّرَ فِيهِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

## الفصل السابع والاربعون

### في كيفية طروق الخلل للدولة

إِعْلَمْ أَنَّ مَبْنَى الْمَلِكِ عَلَى أَسَاسَيْنِ لَا يَدُ مِنْهُمَا فَالْأَوَّلُ الشُّوْكَ وَالْعَصِيَّةُ وَهُوَ الْمَعْبَرَةُ عَنِ  
الْجُنْدِ وَالثَّانِي الْمَالُ الَّذِي هُوَ قِيَامُ أُولَئِكَ الْجُنْدِ وَإِقَامَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ  
الْأَحْوَالِ وَالْخَلَلِ إِذَا طَرَقَ الدَّوْلَةُ طَرَقَهَا فِي هَذَيْنِ الْأَسَاسَيْنِ فَلَنَذْكُرَ أَوَّلَ طَرُوقِ

اَلْخَلَالِ فِي السُّوَكَةِ وَالْعَصِيَّةِ ثُمَّ نَزَجُ إِلَى طُرُوفِهِ فِي اَلْعَمَالِ وَالْجَنَابَةِ وَاعْلَمْ أَنَّ تَمْنِيدَ  
 الدَّوْلَةِ وَتَأْسِيسَهَا كَمَا فَعَلْنَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ عَصِيَّةٍ كَبْرَى جَاءَهُ  
 الْعَصَائِبُ مُسْتَنْبِةً لَهَا وَهِيَ عَصِيَّةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ عَشِيرَةٍ وَقَبِيلَةٍ فَإِذَا جَاءَتْ  
 الدَّوْلَةُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ التَّرَفِ وَجَدَعَ أَتُوفِ أَهْلَ الْعَصِيَّةِ كَانَ أَوَّلُ مَا يَجِدَعُ أَتُوفِ  
 عَشِيرَتِهِ وَذَوِي قُرْبَاهُ الْمُقَامِسِينَ لَهُ فِي أَسْمِ الْمَلِكِ فَيَسْتَبِيدُ فِي جَلْعِ أَتُوفِهِمْ بِمَا بَلَغَ  
 مِنْ سَوَادِهِمْ لِمَكَانِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَالْعَزِزِّ وَالْغَلْبِ فَيَحْطُ بِهِمْ هَادِمَانِ وَهُمَا التَّرَفُ وَالْقَهْرُ  
 ثُمَّ يَصِيرُ الْقَهْرُ آخِرًا إِلَى الْقَتْلِ لِمَا يَحْصُلُ مِنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ رُسُخِ الْمَلِكِ لِصَاحِبِ  
 الْأَمْرِ فَيَقْلُبُ غَيْرَتَهُ مِنْهُمْ إِلَى الْخَوْفِ عَلَى مُلْكِهِ فَيَأْخُذُهُمُ بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ وَسَلْبِ  
 النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ الَّذِي تَعَوَّدُوا الْكَثِيرَ مِنْهُ فَيَهْلِكُونَ وَتَفْسُدُ عَصِيَّةُ صَاحِبِ  
 الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ وَهِيَ الْعَصِيَّةُ الْكَبْرَى الَّتِي كَانَتْ تَجْمَعُ بِهَا الْعَصَائِبُ وَتَسْتَنْبِطُهَا فَتَنْحَلُّ  
 عَنْ وَثَرِهَا وَتَضَعُفُ شَكِيمَتُهَا وَتُسَبِّدُ عَنْهَا بِالْإِطَانَةِ مِنْ مَوَالِي النِّعْمَةِ وَصَنَائِعِ الْإِحْسَانِ  
 وَلْتَأْخُذْ مِنْهُمْ عَصِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسَتْ مِثْلُ تِلْكَ الشَّدَةِ الشَّكِيمَةِ لِفَقْدَانِ الرَّحْمِ وَالْقَرَابَةِ  
 مِنْهَا وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ شَأْنَ الْعَصِيَّةِ وَفُوتُهَا إِنَّمَا هِيَ بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحْمِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ  
 فِي ذَلِكَ فَيَنْفَرِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَنِ الْعَشِيرِ وَالْأَنْصَارِ الطَّبِيعِيِّ وَيَحْسُ بِذَلِكَ أَهْلُ  
 الْعَصَائِبِ الْآخَرَى فَيَتَجَامَرُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى إِيَّانَتِهِ تَجَامَرًا طَبِيعِيًّا فَيَهْلِكُهُمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
 وَيَتَبَخَّرُ بِالْقَتْلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيُقْلَدُ الْآخَرُ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْأَوَّلِ مَعَ مَا  
 يَكُونُ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ مِنْ مُهْلِكَةِ التَّرَفِ الَّذِي قَدَمْنَا فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِمُ الْمَلَاكُ بِالْتَّرَفِ  
 وَالْقَتْلِ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنْ صِبْغَةِ تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَيُفْشُوا بِعِزَّتِهَا وَتُوزَرَّتْهَا وَيَصِيرُوا أَوْجَرَ  
 عَلَى الْحِمَايَةِ وَيَقُولُونَ لِذَلِكَ فَتَقُلُ الْحِمَايَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْأَطْرَافِ وَالْأُثُورِ فَتَنْتَجَسِرُ الرِّعَايَا  
 عَلَى بَعْضِ الدَّعْوَةِ فِي الْأَطْرَافِ وَيَبَادِرُ الْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَعْيَاصِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى  
 تِلْكَ الْأَطْرَافِ لِمَا يَرْجُونَ حَيْثُ مِنْ حُصُولِ غَرَضِهِمْ بِمُجَابَعَةِ أَهْلِ الْقَاصِيَةِ لَهُمْ  
 وَأَمْنِهِمْ مِنْ وَصُولِ الْحَمَايَةِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَدَرَّجُ وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ يَتَضَاقُ حَتَّى  
 تَصِيرُ الْخَوَارِجُ فِي أَقْرَبِ الْأَمَاكِنِ إِلَى مَرَكَزِ الدَّوْلَةِ وَرُبَّمَا انْقَسَمَتِ الدَّوْلَةُ عِنْدَ  
 ذَلِكَ بِدَوَلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ عَلَى قَدَرِ قُوَّتِهَا فِي الْأَصْلِ كَمَا فَعَلْنَا وَنَقُومُ بِأَمْرِهَا غَيْرُ أَهْلِ  
 عَصِيَّتِهَا لَكِنْ إِذْغَاةً لِأَهْلِ عَصِيَّتِهَا وَلِعَلَّيْهِمُ الْمَعْمُودُ وَاعْتَبِرْ هَذَا فِي دَوْلَةِ الْعَرَبِ فِي

إِلَّا سَلَامَ كَيْفَ انْتَهَتْ أَوَّلًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْحَنْدِ وَالصَّيْنِ وَكَانَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةٍ نَافِلًا فِي جَمِيعِ  
 الْعَرَبِ بِعَصِيَّةِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ حَتَّى لَقِيَ أَمْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدِمَشْقٍ بِقَتْلِ  
 عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِقَرْطَبَةٍ فَقَتِلَ وَلَمْ يَرِدْ أَمْرُهُ ثُمَّ تَلَاثَتْ عَصِيَّةُ بَنِي أُمَيَّةٍ  
 بِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ التَّرَفِ فَأَقْرَضُوا وَجَاءَ بَنُو الْعَبَّاسِ فَفَضُّوا مِنْ أَعْنَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَقَتَلُوا  
 الطَّالِبِينَ وَشَرَدُوهُمْ فَأَتَحَلَّتْ عَصِيَّةُ عَبْدِ مَنَافٍ وَتَلَاثَتْ وَتَجَاسَرَ الْعَرَبُ عَلَيْهِمْ فَأَسْبَدَ  
 عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْقَاصِيَةِ مِثْلُ بَنِي الْأَغْلَبِ بِأَفْرِيقَةِ وَأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ وَأَنْقَسَمَتِ  
 الدَّوْلَةُ ثُمَّ خَرَجَ بَنُو أَدْرِيسَ بِالْمَغْرِبِ وَقَامَ الْبُزْزُ بِأَمْرِهِمْ إِذْ عَانَا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي لَهُمْ  
 وَأَمَّا أَنْ تَصِلَهُمْ مَقَابِلَةُ أَوْ حَامِيَةُ الدَّوْلَةِ فَإِذَا خَرَجَ الدُّعَاةُ آخِرًا فَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْأَطْرَافِ  
 وَالْقَاصِيَةِ وَتَحْصِلُ لَهُمْ هُنَاكَ دَعْوَةٌ وَمَلَكٌ تَنْقَسِمُ بِهِ الدَّوْلَةُ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ مَتَى زَادَتِ  
 الدَّوْلَةُ تَقْلُصًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَرْكَزِ وَتَضَعُ الْبَطَانَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا أَخَذَ مِنْهَا التَّرَوُّ  
 فَتَهْلِكُ وَتَضْحَلُ وَتَضَعُ الدَّوْلَةُ الْمُنْقَسِمَةُ كُلُّهَا وَرُبَّمَا طَالَ أَمْدُهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَسْتَغْنِي  
 عَنِ الْعَصِيَّةِ بِمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الصَّبْغَةِ فِي نَفُوسِ أَهْلِ إِيَابَاتِهَا وَهِيَ صِبْغَةُ الْإِنْفِيَادِ وَالنَّسِيمِ  
 مِنْهُ الدَّسِينُ الطَّوِيلَةُ الَّتِي لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ مَبْدَأُهَا وَلَا أَوَّلِيَّتُهَا فَلَا يَعْقِلُونَ إِلَّا  
 التَّسْلِيمَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَغْنِي بِذَلِكَ عَنْ قُوَّةِ الْعَصَائِبِ وَبِكُفْيِ صَاحِبِهَا بِمَا حَصَلَ  
 لَهَا فِي تَمْيِيدِ أَمْرِهَا الْإِجْرَاءِ عَلَى الْحَامِيَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَمُرْتَرِقٍ وَيَعْضُدُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي  
 النَّفُوسِ عَامَّةً مِنَ التَّسْلِيمِ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ عَصِيَانًا أَوْ خُرُوجًا إِلَّا وَالْجَمُودُ  
 مُنْكَرُونَ عَلَيْهِ نَخَالِفُونَ لَهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّصَدِّي لِنِذَلِكَ وَلَوْ جَبَدَ جَبْدَهُ وَرُبَّمَا كَانَتْ  
 الدَّوْلَةُ فِي هَذَا الْحَالِ أَسْلَمَ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمَنَازِعَةِ لِاسْتِحْكَامِ صِبْغَةِ التَّسْلِيمِ وَالْإِنْفِيَادِ  
 لَهُمْ فَلَا تَكَادُ النَّفُوسُ تُعَدِّثُ سِرًّا بِمُخَالَفَةٍ وَلَا يَخْتَلِجُ فِي ضَمِيرِهَا انْخِرَافٌ عَنْ  
 الطَّاعَةِ فَيَكُونُ أَسْلَمَ مِنَ الْخُرْجِ وَالْإِنْتِقَاضِ الَّذِي يُعَدِّثُ مِنَ الْعَصَائِبِ وَالنَّسَائِرِ  
 ثُمَّ لَا يَزَالُ أَمْرُ الدَّوْلَةِ كَذَلِكَ يُوجِي تَلَاثَتِي فِي ذَاتِهَا شَأْنُ الْحَرَارَةِ الْفَرِيزِيَّةِ فِي الْبَدَنِ  
 الْعَادِمِ لِلْغَدَاءِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَفَاتِهَا الْمَقْدُورِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ دَوْلَةٍ  
 أَمَدٌ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . وَأَمَّا الْخُلَلُ الَّذِي يَطْرُقُ مِنْ جِهَةِ  
 الْمَالِ فَاعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِهَا تَكُونُ بَدْوِيَّةً كَمَا مَرَّ فَيَكُونُ خُلُقُ الرِّفْيِ بِالرَّعَايَا  
 وَالْقَصْدِ فِي النِّفَقَاتِ وَالْتِمَظُّفِ عَنِ الْأَمْوَالِ فَلْيَتَجَنَّبَ عَنِ الْإِمْعَانِ فِي الْحَبَابَةِ وَالْتَحَذُّلِ

وَالْكَيْسَ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَحَسْبَانَ الْعُمَالِ وَلَا دَاعِيَةَ جُنَيْدٍ إِلَى الْأَسْرَافِ فِي الْفَقَةِ  
فَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى كَثَرَةِ الْمَالِ ثُمَّ يَحْصُلُ الْأَسْتِيْلَاءُ وَيَعْظُمُ وَيَسْتَفْجِلُ الْمَلِكُ فَيَدْعُو  
إِلَى التَّرَفِّ وَيَكْثُرُ الْإِنْفَاقُ بِسَبَبِهِ فَتَعْظُمُ نَفَقَاتُ السُّلْطَانِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَى التَّمَوُّمِ  
بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ وَأَرْزَاقِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ يَعْظُمُ التَّرَفُّ فَيَكْثُرُ الْأَسْرَافُ فِي النِّفَقَاتِ وَيَنْتَشِرُ ذَلِكَ فِي الرِّعِيَّةِ  
لَأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِا وَعَوَائِدِهَا وَيَحْتَاجُ السُّلْطَانُ إِلَى صَرْبِ الْمُكُوسِ عَلَى  
أَنْعَامِ الْبَيْعَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ لِإِذْ رَارِ الْجَبَايَةِ لِمَا يَرَاهُ مِنْ تَرَفِّ الْمَدِينَةِ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمْ  
بِأَرْزَاقِهِ وَلِمَا يَحْتَاجُ هُوَ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ سُلْطَانِهِ وَأَرْزَاقِ جُنْدِهِ ثُمَّ تَزِيدُ عَوَائِدُ التَّرَفِّ  
فَلَا تَقِي بِهَا الْمُكُوسُ وَتَكُونُ الدَّوْلَةُ قَدْ اسْتَفْجَلَتْ فِي الْأَسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهَا  
مِنَ الرِّعَايَا فَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى جَمْعِ الْمَالِ مِنْ أَمْوَالِ الرِّعَايَا مِنْ مَكْسٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ تَقْدِ  
فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِشِبْهِهِ أَوْ بَغَيْرِ شِبْهِهِ وَيَكُونُ الْجُنْدُ فِي ذَلِكَ الطُّورِ قَدْ تَجَاسَرَ عَلَى  
الدَّوْلَةِ بِمَا لَحِقَهَا مِنَ الْفُشْلِ وَالْهَرَمِ فِي الْعَصِيَّةِ فَتَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتَدَاوَى بِسَكِينَةٍ  
الْعَطَايَا وَكَثَرَةُ الْإِنْفَاقِ فِيهِمْ وَلَا يَتَجَدُّ عَنْ ذَلِكَ وَلِجَمَّةٍ وَتَكُونُ جَبَايَةُ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ  
قَدْ عَظُمَتْ نَزَوَاتُهُمْ فِي هَذَا الطُّورِ بِكَثَرَةِ الْجَبَايَةِ وَكَوْنِهَا بِأَيْدِيهِمْ وَبِمَا أَسْعَى لِنَلِكِ  
مِنْ جَاهِهِمْ فَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ بِاخْتِجَانِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْجَبَايَةِ وَتَنْشُو السَّعَايَةَ فِيهِمْ بَعْضُهُمْ  
مِنْ بَعْضٍ لِلْمُنَافَسَةِ وَالْحَقْدِ فَتَعْمُمُ النُّكَبَاتُ وَالْمُصَادَرَاتُ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ  
تَذْهَبَ نَزَوَاتُهُمْ وَتَتَلَاشَى أَحْوَالُهُمْ وَيَفْقَدَ مَا كَانَ لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْأَهْبَةِ وَالْجَمَالِ بِهِمْ وَإِذَا  
أَصْطَلَمَتْ نِعْمَتُهُمْ لِنَهْمَاتِهِمْ الدَّوْلَةُ إِلَى أَهْلِ التَّرَوُّفِ مِنَ الرِّعَايَا سِوَاهُمْ وَيَكُونُ الْوَهْنُ  
فِي هَذَا الطُّورِ قَدْ لَحِقَ الشُّوْكَ وَضَعُفَتْ عَنِ الْأَسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ فَتَنْصَرِفُ سِيَاسَةُ صَاحِبِ  
الدَّوْلَةِ جُنَيْدٍ إِلَى مُدَارَاةِ الْأُمُورِ بِبَدْلِ الْمَالِ وَيَرَاهُ أَرْفَعُ مِنَ السَّيْفِ لِقَلَّةِ غِنَايِهِ فَتَعْظُمُ  
حَاجَتُهُ إِلَى الْأَمْوَالِ زِيَادَةً عَلَى النِّفَقَاتِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ وَلَا يَفْنَى فِيمَا يُرِيدُ وَيَعْظُمُ الْهَرَمُ  
بِالدَّوْلَةِ وَيَتَجَاسَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ النُّوَاسِيِ وَالِدَّوْلَةُ تَنْحَلُّ عُرْمَا فِي كُلِّ طَوْرٍ مِنْ هَذِهِ إِلَى  
أَنْ تُقْفِي إِلَى الْهَلَاكِ وَتَنْعَوِضُ مِنَ الْأَسْتِيْلَاءِ الْكَكَلُ فَإِنْ قَصَدَهَا طَالِبُ اتِّزَاعِهَا مِنْ  
أَيْدِي الْقَائِمِينَ بِهَا وَإِلَّا بَقِيَتْ وَهِيَ تَتَلَاشَى إِلَى أَنْ تَضْمَحِلَّ كَالذُّبَالِ فِي السَّرَاجِ إِذَا  
فِي زَيْبُهُ وَطَلْقِي وَآلَهُ مَالِكُ الْأُمُورِ وَمُدِيرُ الْأَسْوَاقِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

## الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع

إِعْلَمَنَّ أَنَّ نَشَأَةَ الدُّوَلِ وَبِدَائِهَا إِذَا أَخْلَتِ الدُّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ فِي الْهَرَمِ وَالْإِنْتِقَاصُ  
يَكُونُ عَلَى نَوْعَيْنِ إِمَّا بَأَن يَسْتَبْدَ وُلَاةُ الْأَعْمَالِ فِي الدُّوْلَةِ بِالْقَاصِيَةِ عِنْدَمَا يَتَقَلَّصُ  
ظِلْمُهَا عَنْهُمْ فَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَوْلَةٌ يَسْتَجِدُّهَا لِقَوْمِهِ وَمَا يَسْتَقِرُّ فِي نَصَابِهِ يُرِثُهُ  
عَنْهُ أَبْنَاؤُهُ أَوْ مَوَالِيهِ وَيَسْتَفْعِلُ لَهُمُ الْمَلِكُ بِالتَّدْرِيجِ وَرُبَّمَا يَزِدُّ حُمُونَ عَلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ  
وَيَتَقَارِعُونَ عَلَيْهِ وَيَتَنَازَعُونَ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ بِهِ وَيَغْلِبُ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ فَضْلُ قُوَّةٍ عَلَى  
صَاحِبِهِ وَيَتَزَعُّ مَا فِي يَدِهِ كَمَا وَقَعَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِينَ أَخَذَتْ دَوْلَتُهُمْ فِي الْهَرَمِ  
وَتَقَلَّصَ ظِلْمُهَا عَنِ الْقَاصِيَةِ وَاسْتَبَدَّ بَنُو سَاسَانَ بِمَا وَرَاءَ النِّهَرِ وَبَنُو حَمْدَانَ بِالْمَوْصِلِ وَالشَّامِ  
وَبَنُو طُولُونَ بِمِصْرَ وَكَمَا وَقَعَ بِالْدَوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَافْتَرَقَ مَلِكُهَا فِي الطَّوَائِفِ  
الَّذِينَ كَانُوا وَلاَتَهَا فِي الْأَعْمَالِ وَانْقَسَمَتِ دَوْلَا وَمُلُوكًا أَوْرَثُوهَا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ  
قَرَابَتِهِمْ أَوْ مَوَالِيهِمْ وَهَذَا النُّوعُ لَا يَكُونُ يَنْتَهِي وَبَيْنَ الدُّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ حَرْبًا لَأَنَّهُمْ  
مُسْتَقَرُونَ فِي رِئَاسَتِهِمْ وَلَا يَطْمَعُونَ فِي الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى الدُّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ بِحَرْبٍ وَإِنَّمَا  
الدُّوْلَةُ أَدْرَكَهَا الْهَرَمُ وَتَقَلَّصَ ظِلْمُهَا عَنِ الْقَاصِيَةِ وَتَحْجَزَتْ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا وَالنُّوعُ الثَّانِي  
بَأَن يَخْرُجَ عَلَى الدُّوْلَةِ خَارِجٌ مِمَّنْ يُجَاوِزُهَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ إِمَّا يَدْعُوهُ بِحَمَلِ النَّاسِ  
عَلَيْهَا كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهَا أَوْ يَكُونُ صَاحِبَ شَوْكَةٍ وَعَصِيَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي قَوْمِهِ قَدْ اسْتَفْعَلَ أَمْرُهُ  
فَيَسْمُو بِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَقَدْ حَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَعْزَازِ عَلَى الدُّوْلَةِ  
الْمُسْتَقَرَّةِ وَمَا نَزَلَ بِهَا مِنَ الْهَرَمِ فَيَتَعَيَّنُ لَهُ وَلِقَوْمِهِ الْإِسْتِيْلَاءُ عَلَيْهَا وَيُمَكِّثُ بِهِنَّ بِالْمُطَالَبَةِ  
إِلَى أَنْ يَغْلِبُوا بِهَا وَيَزْنُونَ<sup>(١)</sup> كَمَا بَيَّنَّ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزه

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الدُّوْلَ الْحَادِثَةَ الْمَجْدِدَةَ نَوْعَانِ نَوْعٌ مِنْ وَلايَةِ الْأَطْرَافِ إِذَا  
تَقَلَّصَ ظِلْمُ الدُّوْلَةِ عَنْهُمْ وَانْحَسَرَ تِيَارُهَا وَهَوْلَاةُهَا يَقَعُ مِنْهُمْ مُطَالَبَةٌ لِلدُّوْلَةِ فِي الْأَكْثَرِ  
كَمَا قَدَّمْنَاهُ لِأَنَّ قُصَارَاهُمُ الْقَنُوعُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَهُوَ نَهْيُهُ قُوَّتِهِمْ وَالنُّوعُ الثَّانِي نَوْعٌ

(١) موله ويزنون وفي نسخة ويرفون من الرفو بالراء والغاء اهـ



الدُّعَاةُ وَالْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ وَهَؤُلَاءِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْمُطَالَبَةِ لِأَنَّ قُوَّتَهُمْ وَافِيَةٌ بِهَا فَإِنْ ذَلِكَ  
إِنَّمَا يَكُونُ فِي نِصَابٍ يَكُونُ لَهُ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْإِعْتِرَازِ مَا هُوَ كِفَاةٌ ذَلِكَ وَوَافٍ بِهِ  
فَيَقَعُ بَيْنَهُمْ وَيَتَبَيَّنُ الدَّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ حُرُوبٌ سَجَالٌ تَكَكَّرُ وَتَتَّصِلُ إِلَى أَنْ يَقَعَ لَهُمْ  
الْإِسْتِيْلَاءُ وَالظُّفْرُ بِالْمَطْلُوبِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ فِي الْعَالِيَةِ ظَفْرٌ بِأَنَّهُ تَاجِرَةٌ وَالسَّبَبُ فِي  
ذَلِكَ أَنَّ الظُّفْرَ فِي الْحَرْبِ إِنَّمَا يَقَعُ كَمَا قَدْ مَنَاهُ بِأُمُورٍ تَقْسَائِيَّةٍ وَهَدِيَّةٍ وَإِنْ كُنَّ  
الْعُدَدُ وَالسَّلَاحُ وَصِدْقُ الْقِتَالِ كَفِيلًا بِهِ لَكِنَّهُ قَامِرٌ مَعَ تِلْكَ الْأُمُورِ الْوَهْمِيَّةِ كَمَا  
مَرَّ وَلِذَلِكَ كَانَ اخْتِدَاعٌ مِنْ أَرْزَقٍ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْحَرْبِ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الظُّفْرُ بِهِ وَفِي  
الْحَدِيثِ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَالدَّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ قَدْ صَبَرَتْ الْعَوَائِدُ الْمَأْلُوفَةُ طَاعَتَهَا غُرُوبَةً  
وَاجِبَةٌ كَمَا أَتَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَتَكْثُرُ بِذَلِكَ الْعَوَائِدُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْبَدَةِ  
وَيَكْثُرُ مِنْ هِمِّ أَتْبَاعِهِ وَأَهْلِ شَوْكَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْأَقْرَبُونَ مِنْ بَطَانَتِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي  
طَاعَتِهِ وَمَوْازَرَتِهِ إِلَّا أَنَّ الْأَخْرَيْنَ أَكْثَرُ وَقَدْ دَخَلَهُمُ الْفُتْلُ بِتِلْكَ الْعَقَائِدِ فِي التَّلَاسِيمِ  
لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَيَحْصُلُ بَعْضُ الْقُتُورِ مِنْهُمْ وَلَا يَكَادُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يَرْجِعُ  
إِلَى الصَّبْرِ وَالْمُطَاوَلَةِ حَتَّى يَبْضَحَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَتَضْجَعُ عَقَائِدُ التَّلَاسِيمِ لَهَا  
مِنْ قُوَّتِهِ وَتَبْثُثُ مِنْهُمْ الْعِلْمُ لِصِدْقِ الْمُطَالَبَةِ مَعَهُ يَقَعُ الظُّفْرُ وَالْإِسْتِيْلَاءُ وَأَيْضًا  
فَالدَّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ كَثِيرَةُ الرِّزْقِ بِمَا اسْتَحَقَّ لَهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَتَوْسَعُ مِنَ النِّعَمِ  
وَاللَّذَاتِ وَاخْتَصُّوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ فَيَكْثُرُ عِنْدَهُمُ ارْتِبَاطُ الْخِيُولِ  
وَالسَّيَّاحَةِ وَالْأَسْلِحَةِ وَتَعَظُمُ فِيهِمُ الْأَبْهَةُ الْمَالَكِيَّةُ وَيَفِيضُ الْعَطَاءُ بَيْنَهُمْ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
أَخْيَارًا وَأَضْطَرَارًا فَيُرْهِقُونَ بِذَلِكَ كُلَّهُ عَدُوَّهُمْ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْبَدَةِ يَمْتَرِلُ عَنْ  
ذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَأَحْوَالِ الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ فَيَسْبِقُ إِلَى قُلُوبِهِمْ أَوْهَامُ  
الرَّغْبِ بِمَا يَتَأَمَّلُونَ مِنْ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَيُحْزِنُونَ عَنْ قِتَالِهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
فَيَصِيرُ أَمْرُهُمْ إِلَى الْمُطَاوَلَةِ حَتَّى تَأْخُذَ الْمُسْتَقَرَّةُ مَا خَذَهَا مِنَ الْحَرْمِ وَيَسْتَحْكِمَ  
أَخْلَاقُهَا فِيهَا فِي الْعَصِيَّةِ وَالْجَبَايَةِ فَيَنْتَهَرُ جَيْشُهَا صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْبَدَةِ فُرْصَتُهُ فِي  
الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا بَعْدَ حِينَ مُنْذِ الْمُطَالَبَةِ سَنَةً اللَّهُ فِي عِبَادِهِ وَأَيْضًا فَاهِلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْبَدَةِ  
كُلُّهُمْ مَبَايِنُونَ لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَفِي سَائِرِ مَنَاجِيهِمْ ثُمَّ هُمْ مُفَازُونَ  
لَهُمْ وَمَتَابِدُونَ بِمَا وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْمُطَالَبَةِ وَيَعْظِمُهُمْ فِي الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ فَتَنْهَكُنْ

الْمُبَاعَدَةِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ سِرًّا وَجَهْرًا وَلَا يَصِلُ إِلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَحْدَةِ خَبْرٌ عَنْ  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يُصِيبُونَ مِنْهُ غَرَةً<sup>(١)</sup> بَاطِنًا وَظَاهِرًا لَا تَقْطَاعُ الْمُدَاخَلَةَ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ  
 فَيَقِيمُونَ عَلَى الْمَطَالَبَةِ وَهُمْ فِي إِحْجَامٍ وَيَتَكَلَّمُونَ عَنِ الْمُنَاجَزَةِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِزَوَالِ  
 الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَفَنَاءِ عُمْرِهَا وَوُقُورِ الْخَلْقِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَاتَّضَحَ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ  
 الْمُسْتَحْدَةِ مَعَ مَا كَانَ يَخْفَى مِنْهُمْ مِنْ هَرَمِهَا وَتَلَاشِيهَا وَقَدْ عَظُمَتْ قُوَّتُهُمْ بِمَا أَقْطَعُوهُ  
 مِنْ أَعْمَالِهَا وَتَقْصُوهَ مِنْ أَطْرَافِهَا فَتَبَعَتْهُمْ بِدَا وَاحِدَةٍ لِلْمُنَاجَزَةِ وَيَذْهَبُ مَا كَانَ  
 بَثٌّ فِي عَزَائِمِهِمْ مِنَ التَّوَهُّمَاتِ وَتَنْتَهِي الْمَطَاوِلَةُ إِلَى حُدُودِهَا وَيَقَعُ الْإِسْتِغْلَاءُ آخِرًا  
 بِالْمُعَاجَلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِينَ ظَهَرُوا حِينَ قَامَ الشَّيْعَةُ بِخُرَاسَانَ  
 بَعْدَ انْقِضَادِ الدَّعْوَةِ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْمَطَالَبَةِ عَشْرَ سِنِينَ أَوْ تَرِيدُ وَحِينَئِذٍ تَمَّ لَهُمُ الظَّفَرُ  
 وَاسْتَوَلُوا عَلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَكَذَا الْعُلُوِيَّةُ بِطَبْرِسْتَانَ عِنْدَ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ فِي الدَّلِيلِ  
 كَيْفَ كَانَتْ مَطَاوِلَتُهُمْ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ثُمَّ لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْعُلُوِيَّةِ وَسَمَا  
 الدَّلِيلُ إِلَى مُلْكِ فَارِسَ وَالْعِرَاقَيْنِ فَمَكَّوْا سِنِينَ كَثِيرَةً يَطَاوِلُونَ حَتَّى أَقْطَعُوا  
 أَصْهَابَهُ ثُمَّ اسْتَوَلُوا عَلَى الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ وَكَذَا الْعَبِيدِيُّونَ أَقَامَ دَاعِيَتَهُمْ بِالْمَغْرِبِ  
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ بَيْنِي كِتَامَةَ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ عَشْرَ سِنِينَ وَيَرِيدُ تَطَاوُلَ بَنِي الْأَغْلَبِ  
 بِأَفْرِيقِيَّةَ حَتَّى ظَفَرَ بِهِمْ وَاسْتَوَلُوا عَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ وَسَمَّوْا إِلَى مُلْكِ مِصْرَ فَمَكَّوْا  
 ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا فِي طَلَبِهَا يَمْهَرُونَ إِلَيْهَا الْعَسَاكِرَ وَالْأَسَاطِيلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَسْعَوْنَ  
 الْمَدَدَ لِمُدَافَعَتِهِمْ بَرًّا وَبَحْرًا مِنْ بَغْدَادَ وَالشَّامَ وَمَلَكُوا الْأِسْكَندَرِيَّةَ وَالْقَيْسِيَّةَ  
 وَالصَّعِيدَ وَتَخَطَّتْ دَعْوَتُهُمْ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْحِجَازِ وَأَقِيمَتْ بِالْحَرَمَيْنِ ثُمَّ نَادَلَ قَائِدُهُمْ  
 جَوْهَرَ الْكَاتِبِ بِعَسَاكِرِهِ مَدِينَةَ مِصْرَ وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا وَأَقْلَعَ دَوْلَةَ بَنِي طَلْحٍ مِنْ أَصُولِهَا  
 وَأَخْطَطَ الْقَاهِرَةَ لِحُجَاةِ الْخَلِيفَةِ بَعْدَ الْمُعْزِ لِدِينِ اللَّهِ فَتَزَلَّهَا لِسْتِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا مِنْذُ  
 اسْتِغْلَائِهِمْ عَلَى الْأِسْكَندَرِيَّةِ وَكَذَا السُّجُوفِيَّةُ مُلُوكُ الْأَثَرِ لَمَّا اسْتَوَلُوا عَلَى بَنِي سَاسَانَ  
 وَأَجَازُوا مِنْ رِوَاةِ النَّهْرِ مَكَّوْا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يَطَاوِلُونَ بَنِي سَبَكْتِكِينَ بِخُرَاسَانَ  
 حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى دَوْلَتِهِ ثُمَّ زَحَنُوا إِلَى بَغْدَادَ فَاسْتَوَلُوا عَلَيْهَا وَعَلَى الْخَلِيفَةِ بِهَا بَعْدَ أَيَّامٍ  
 مِنَ الدَّهْرِ وَكَذَا التَّنُّرُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَرَجُوا مِنَ الْمَفَازَةِ عَامَ سَبْعَةِ عَشَرَ وَسِتِّمِائَةٍ فَلَمْ  
 يَبْقَ لَهُمُ الْإِسْتِغْلَاءُ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَذَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ خَرَجَ بِهِ الْمُرَابِطُونَ مِنْ

لِثُنُونَةٍ عَلَى مَلُوكِهِ مِنْ مِغْرَاوَةٍ فَطَاوَلُوهُمْ سِنِينَ ثُمَّ اسْتَوَلَوْا عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ الْمُؤَحِّدُونَ  
يَدْعُوهُمْ عَلَى لِثُنُونَةٍ فَمَكَثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُحَارِبُونَهُمْ حَتَّى اسْتَوَلَوْا عَلَى  
كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَاكِشَ وَكَذَا بَنُو مَرْيَمَ مِنْ زَنَاتِهِ خَرَجُوا عَلَى الْمُؤَحِّدِينَ فَمَكَثُوا يُطَاوِلُونَهُمْ  
نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَاسْتَوَلَوْا عَلَى فَارِسَ وَأَقْطَعُوهَا وَأَعْمَالَهَا مِنْ بَنِيهِمْ ثُمَّ أَقَامُوا  
فِي مُحَارَبَتِهِمْ ثَلَاثِينَ أُخْرَى حَتَّى اسْتَوَلَوْا عَلَى كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَاكِشَ حَسْبَمَا نَذَرُ ذَلِكَ  
كَلَمَةً فِي تَوَارِيخِ هَذِهِ الدُّوَلِ فَهَكَذَا حَالُ الدُّوَلِ الْمُسْتَعِدَّةِ مَعَ الْمُسْتَقَرَّةِ فِي الْمَطَالِبَةِ  
وَالْمَطَاوَلَةِ سَنَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي  
الْفُتُوحَاتِ إِلَّا سَلَامِيَّةً وَكَيْفَ كَانَ اسْتِبْلَاؤُهُمْ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ ثَلَاثَ أَوْ أَرْبَعٍ مِنْ  
وَقَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مُعْجَزَةً مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا  
سِرِّهَا اسْتِثْنَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ اسْتِيعَادًا بِالْإِيمَانِ وَمَا أَوْفَقَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ  
عَدُوِّهِمْ مِنَ الرُّغْبِ وَالْتِهَادِ فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ الْمَعْرُورَةِ فِي مَطَاوَلَةِ الدُّوَلِ  
الْمُسْتَعِدَّةِ لِلْمُسْتَقَرَّةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارِقًا فَهُوَ مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
الْمُعْتَارِفِ ظُهُورُهَا فِي الْمِلَّةِ الْأَسْلَامِيَّةِ وَالْمُعْجَزَاتِ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا الْأُمُورُ الْعَادِيَّةُ وَلَا  
يُعْتَرَضُ بِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخمسون

في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات  
إِعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ لَكَ فِيمَا سَلَفَ أَنَّ الدُّوَلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ  
فِي مَلَكَئِهَا وَالْأَعْيَادِ فِي إِبَالَتِهَا إِمَّا مِنَ الدِّينِ إِنْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ دِينِيَّةً أَوْ مِنَ  
الْمُكَارَمَةِ وَالْحِمَايَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْبِدَاوَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلدُّوَلِ وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَكَةُ  
رَفِيقَةً مُخِصَّةً انْبَسَطَ أَمَالُ الرِّعَايَا وَانْتَشَعُوا لِلْعُمُرَانِ وَأَسْبَابِهِ تَتَوَفَّرُ وَيَكْثُرُ التَّنَاسُلُ  
وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَأْتَدْرِجُ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ بَعْدَ جِيلٍ أَوْ جِيلَيْنِ فِي الْأَقْلِ وَفِي  
انْقِضَاءِ الْجِيلَيْنِ تُشْرِفُ الدُّوَلَةُ عَلَى نِهَايَةِ عُمُرِهَا الطَّبِيعِيِّ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ الْعُمُرَانُ فِي  
غَايَةِ الْوُفُورِ وَالنَّمَاءِ وَلَا تَقُولُ إِنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ أَوَّلَ الدُّوَلَةِ يَكُونُ فِيهَا الْإِحْجَافُ  
بِالرِّعَايَا وَسُوءِ الْمَلَكَةِ فَذَلِكَ صَحِيحٌ وَلَا يُعَارِضُ مَا قُلْنَا لِأَنَّ الْإِحْجَافَ وَإِنْ حَدَثَ  
حِينَئِذٍ وَقَلَّتِ الْجِبَابَاتُ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي تَنَاقُصِ الْعُمُرَانِ بَعْدَ حِينٍ مِنْ أَجْلِ التَّدْرِجِ

فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْجَمَاعَاتِ وَالْمَوْتَانَ تَكْثُرُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدُّوَلِ  
وَالسَّبَبُ فِيهِ إِمَّا الْجَمَاعَاتُ فَلْيَبْضِ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْقَتْلِ فِي الْأَكْثَرِ بِسَبَبِ مَا يَبْقَى  
فِي آخِرِ الدُّوَلَةِ مِنَ الْعُدُوانِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْجَبَايَاتِ أَوْ الْفِتَنِ الْوَارِثَةِ فِي انْتِفَاصِ الرُّعَايَا  
وَكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ لَهُمْ الدُّوَلَةُ يَقِلُّ اخْتِكَارُ الزَّرْعِ غَالِبًا وَلَيْسَ صِلَاحُ الزَّرْعِ وَتَمَرُّهُ  
بِمُسْتَعْمِرِ التَّوْجُودِ وَلَا عَلَى وَبَرَةٍ وَاحِدَةٍ فَطَبِيعَةُ الْعَالَمِ فِي كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَقِلَّتِهَا مُخْتَلِفَةٌ  
وَالْمَطَرُ يَقْوَى وَيَضْعَفُ وَيَقِلُّ وَيَكْثُرُ وَالزَّرْعُ وَالْفَيْكَارُ وَالضَّرْعُ عَلَى نِسْبَتِهِ إِلَّا أَنَّ  
النَّاسَ وَانْفُون فِي أَقْوَانِهِمْ بِالْاِخْتِكَارِ فَإِذَا قُفِدَ الْاِخْتِكَارُ عَظُمَ تَوَقُّعُ النَّاسِ لِلْجَمَاعَاتِ  
فَقَلَّ الزَّرْعُ وَعَجَزَ عَنْهُ أَوَّلُو الْخِصَاصَةِ فَهَلَكُوا وَكَانَ بَعْضُ السَّنَوَاتِ الْاِخْتِكَارُ مَفْقُودًا  
فَسَلَّ النَّاسُ الْجُوعَ وَأَمَّا كَثْرَةُ الْمَوْتَانِ فَلَهَا أَسْبَابٌ مِنْ كَثْرَةِ الْجَمَاعَاتِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ  
أَوْ كَثْرَةِ الْفِتَنِ لِاخْتِلَالِ الدُّوَلَةِ فَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَالْقَتْلُ أَوْ وَفُوعُ الْوَبَاءِ وَسَبَبُهُ فِي  
الْغَالِبِ فَسَادُ الْهَوَاءِ يَكْثُرُهُ الْعُمَرَانُ لِكَثْرَةِ مَا يَخَالطُهُ مِنَ الْعَفَنِ وَالرُّطُوبَاتِ الْفَاسِدَةِ  
وَإِذَا فَسَدَ الْهَوَاءُ وَهُوَ غِذَاءُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَمَلَأَ سَاحِلًا دَائِمًا فَيَسْرِي الْفَسَادُ إِلَى  
مَوَاجِهِ فَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ قَوِيًّا وَقَعَ الْمَرَضُ فِي الرِّئَةِ وَهَلِيهِ فِي الطَّوَاعِينِ وَأَمْرَاهُمَا  
مَخْصُوصَةٌ بِالرِّئَةِ وَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ دُونَ الْقَوِيِّ وَالْكَثِيرِ فَيَكْثُرُ الْعَفَنُ وَتَضَاعَفَ  
تَكْثُرُ الْحُمُكِيَّاتِ فِي الْأَنْزِجَةِ وَتَعْرِضُ الْأَبْدَانُ وَتَهْلِكُ وَسَبَبُ كَثْرَةِ الْعَفَنِ وَالرُّطُوبَاتِ  
الْفَاسِدَةِ فِي هَذَا كُلِّهِ كَثْرَةُ الْعُمَرَانِ وَوُفُورُهُ آخِرُ الدُّوَلَةِ لِمَا كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مِنْ حُسْنِ  
الْمَلَكَةِ وَرِفْقِهَا وَقِلَّةِ الْمَغْرَمِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَلِهَذَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ  
تَحُلُّلَ الْخَلَاءِ وَالْقَفْرِ بَيْنَ الْعُمَرَانِ ضَرُورِيٌّ لِيَكُونَ تَمُوجُ الْهَوَاءِ بِذَهَبٍ بِمَا يَحْتَضِرُ فِي  
الْهَوَاءِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْعَفَنِ بِمَخَالطَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَيَأْتِي بِالْهَوَاءِ الصَّحِيحِ وَلِهَذَا أَيْضًا فَإِنَّ  
الْمَوْتَانَ يَكُونُ فِي الْمَدِينِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمَرَانِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا بِكَثِيرٍ كَمَصْرِ بِالنَّسْرِقِ  
وَقَاسَ بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الحادي والخمسون

فِي أَنَّ الْعُمَرَانَ الْبَشَرِيَّ لَا يَدُلُّهُ مِنْ سِيَاسَةٍ يَنْتَظِمُ بِهَا أَمْرُهُ  
إِعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الْاِجْتِمَاعَ الْبَشَرِيَّ ضَرُورِيٌّ وَهُوَ مَعْنَى  
الْعُمَرَانِ الَّذِي تَتَكَلَّمُ فِيهِ وَأَنَّهُ لَا يَدُلُّهُمْ فِي الْاِجْتِمَاعِ مِنْ وَازِعٍ حَاكِمٍ يَرْجِعُونَ

إِلَيْهِ وَحُكْمُهُ فِيهِمْ تَارَةً يَكُونُ مُسْتَنَدًا إِلَى شَرْعٍ مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُوجِبُ أَتْقِيَادَهُمْ  
إِلَيْهِ إِيْمَانُهُمْ بِالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُبْلَغُهُ وَتَارَةً إِلَى سِيَاسَةٍ عَقْلِيَّةٍ يُوجِبُ  
أَتْقِيَادَهُمْ إِلَيْهَا مَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ ثَوَابِ ذَلِكَ الْحَاكِمِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَصَالِحِهِمْ فَلَا دُلَى  
يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِعِلْمِ الشَّارِعِ بِالْمَصَالِحِ فِي الْعَاقِبَةِ وَلِمُرَاعَاةِ نَجَاةِ  
الْعِبَادِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّانِيَةُ إِنَّمَا يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا فَقَطْ وَمَا تَسْمَعُهُ مِنَ السِّيَاسَةِ  
الْمَدِينِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ  
وَاحِدٍ مِنَ أَهْلِ ذَلِكَ الْجَمْعِ فِي نَفْسِهِ وَخَلْقِهِ حَتَّى يَسْتَغْنَوْا عَنِ الْحُكْمِ رَأْسًا  
وَيُسَمُّونَ الْجَمْعَ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ مَا يُسَمَّى مِنْ ذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ الْفَاعِلَةِ وَالْقَوَانِينِ  
الْمُرَاعَاةِ فِي ذَلِكَ بِالسِّيَاسَةِ الْمَدِينِيَّةِ وَلَيْسَ مُرَادُهُمُ السِّيَاسَةَ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ  
الْإِجْتِمَاعِ بِالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ غَيْرُ تِلْكَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ الْفَاعِلَةُ عِنْدَهُمْ نَادِرَةٌ أَوْ  
بَعِيدَةٌ الْوُقُوعِ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهَا عَلَى جِهَةِ الْفَرَضِ وَالْقَدِيرِ ثُمَّ إِنَّ السِّيَاسَةَ الْعَقْلِيَّةَ  
الَّتِي قَدَّمْنَاهَا تَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا يُرَاعَى فِيهَا الْمَصَالِحُ عَلَى التَّمُومِ وَمَصَالِحُ  
السُّلْطَانِ فِي اسْتِقَامَةِ مُلْكِهِ عَلَى الْخُصُوصِ وَهَذِهِ كَانَتْ سِيَاسَةَ الْفَرَسِ وَهِيَ عَلَى جِهَةِ  
الْحُكْمَةِ وَقَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي الْمِلَّةِ وَلِئِمَّةِ الْخِلَافَةِ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ  
مُغْنِيَةٌ عَنْهَا فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَةِ وَأَحْكَامُ الْمُلِكِ مُنْدرِجَةٌ فِيهَا. أَلَوْجَةُ الثَّانِي  
أَنْ يُرَاعَى فِيهَا مَصْلَحَةُ السُّلْطَانِ وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ الْمُلْكُ مَعَ الْقَهْرِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَتَكُونُ  
الْمَصَالِحُ الْعَامَّةُ فِي هَذِهِ نَبْأًا وَهَذِهِ السِّيَاسَةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْإِجْتِمَاعِ الَّتِي لِسَائِرِ  
الْمُلُوكِ فِي الْعَالَمِ مِنْ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ يَجْرُونَ مِنْهَا عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ  
الشَّرِيعَةُ الْأَيْسَلَامِيَّةُ بِحَسَبِ جِهَتِهِمْ فَقَوَانِينُهَا إِذَا جُمِعَتْ مِنْ أَحْكَامِ شَرْعِيَّةٍ وَآدَابِ  
خَلْقِيَّةٍ وَقَوَانِينِ فِي الْإِجْتِمَاعِ طَبِيعِيَّةٍ وَأَشْيَاءَ مِنْ مُرَاعَاةِ الشُّوْكَ وَالْعَصَبِيَّةِ ضَرُورِيَّةٍ  
وَالْأَقْبَدَاءِ فِيهَا بِالشَّرْعِ أَوْلَا ثُمَّ الْحُكْمَاءُ فِي آدَابِهِمْ وَالْمُلُوكُ فِي سَيْرِهِمْ وَمِنْ أَحْسَنِ  
مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ وَأَوْدَعَ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لَمَّا وَلَاهُ  
الْمَأْمُونُ أَرْقَةَ وَمِصرَ وَمَا بَيْنَهُمَا فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ طَاهِرٌ كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ عِنْدَ إِلَيْهِ  
فِيهِ وَصَاةٌ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دَوْلَتِهِ وَسُلْطَانَتِهِ مِنَ الْآدَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُلُوكِيَّةِ وَحُثٌّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَنَحَاسِنِ النِّسَمِ بِمَا لَا يَسْتَعِينُ عَنْهُ مُلْكُ

وَلَا سُوْفَةٌ. وَنَصَّ الْكِتَابَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُدُودِهِ  
لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ آيَاتِهِ سَخَطُهُ وَآخِظُ رِعِيَّتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالزَّمَنُ مَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنَ اللَّعَافَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ  
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصُمُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَبُنْجِيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ  
عِقَابِهِ وَأَلِيمٌ عَذَابُهُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ الرَّاغِبَةَ عَلَيْكَ مِنْ أَسْرَعِ عَاكِ  
أَرْزَمٍ مِنْ عِبَادِهِ وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالذَّفْعَ  
عَنْ حَرِيْمِهِمْ وَتَصْبِيهِمْ وَالْحَقْنَ لِيَمَانِيهِمْ وَالْأَمْنَ لِيَرْبِهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ  
وَمَوْأَدَهُ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْفِقَكَ عَلَيْهِ وَسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُنْجِيكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدِمْتَ وَأَخَّرْتَ  
فَفَرَّغْ لِنَفْسِكَ فِيمَكَ وَعَقْلَكَ وَبَصْرَكَ وَلَا يُشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَإِنَّهُ رَأْسُ أَرْكَ وَمِلَاكُ  
شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقِفُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيُسَكِّنُ أَوَّلُ مَا نُلْزِمُ بِهِ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ فَعَلَّكَ  
الْمَوْاطَبَةَ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ  
قَبْلَكَ وَتَوَابِعِهَا عَلَى سُنَنِهَا مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ لَهَا وَافْتِتَاحِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا وَرَتْلِ  
فِي قِرَاءَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ وَتَشْهَدِكَ وَلِتَصْرَفَ فِيهِ رَأْيُكَ وَنَيْتُكَ  
وَأَحْضُضْ عَلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ مَعَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ وَأَدْنَى عَلَيْهَا فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ ثُمَّ أَتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَالْمُتَابَعَةِ عَلَى خَلَاتِقِهِ وَاتِّفَاقِ أَثَرِ السَّائِبِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَرْثَا سَمِعَ  
عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْوَاهُ وَبَارُؤِمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرٍ  
وَنَهْيٍ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَإِنْجَامِهِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
ثُمَّ قُمْ فِيهِ بِالْحَقِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَدْبِإَنَّ عَنِ الْعَدْلِ فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ لِقُرْبِ  
مِنْ النَّاسِ أَوْ لِبَعِيدٍ وَآثِرِ الْفَقْرَ وَالْهَلَةَ وَالْدِّينَ وَحَدِّثَهُ وَكِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْعَالَمِينَ  
بِهِ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَزَيَّنُّ بِهِ الْمَرْءُ الْفَقْرُ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَتَحْتُ عَلَيْهِ وَالْمَعْرِفَةُ  
بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي  
عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمَوْبِقَاتِ كُلِّهَا وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَزِدَادُ الْمَرْءَ مَعْرِفَةً وَاجْتِلَالًا  
لَهُ وَدَرَكًا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ لِأَمْرِكَ وَالْهَيْبَةِ  
لِسُلْطَانِكَ وَالْأَنَسَةِ بِكَ وَالنِّقَّةَ بِعَدْلِكَ وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ

تَعَالَى وَلَا أَخَصَّ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَائِلٌ عَلَى  
التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقِيَامُ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ بِالْإِقْتِصَادِ وَكُنَّا فِي  
دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تَقْصِرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ  
وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ وَالْإِعَانَةِ وَالْإِسْتِكْنَارِ مِنَ الْبَرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ إِذَا كَانَ يُطَلَّبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ  
تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمِرَاقَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا  
يُورِثُ الْعِزَّ وَيُحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّكَ لَنْ تَحُوطَ نَفْسَكَ مِنْ قَائِلٍ وَلَا تَنْصَلِحَ أُمُورَكَ  
بِأَفْضَلِ مَنْهُ فَإِنَّهُ وَاهِتٌ بِهِ نَسِيمُ أُمُورِكَ وَتَزِدْ مَقْدِيرَكَ وَتَصْلَحْ عَامِلَكَ وَخَاصَّتَكَ وَأَخْسِنِ  
ظَنَّاكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَقِمَّ لَكَ رَعِيَّتُكَ وَالتَّمِيسُ الْوَسِيلَةُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَسْتَدِمُ  
بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَلَا تُنْهِمُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا نُؤْيِيهِ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ  
أَمْرَهُ فَإِنْ إِبْقَاعَ الثَّغْمِ بِالْبُرَاءِ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ بِهِمْ أَتَمَّ إِثْمُهُمْ فَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حَسَنَ  
الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَاطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَارْزُقْهُمْ فِيهِمْ بِعَيْنِكَ ذَلِكَ عَلَى أَسْطِطَاعِهِمْ  
وَبِرَاضَتِهِمْ وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانُ فِي أَمْرِكَ مَمْنُومًا فَإِنَّهُ يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ  
وَهْنِكَ وَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ بِسُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ مَا يَنْقُصُ لِقَادَةَ عَيْنِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ  
تَجِدُ بِحَسَنِ الظَّنِّ قُوَّةَ وَرَاحَةٍ وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ  
النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَلَا يَمْنَعُكَ حَسَنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ  
وَالرَّافَةُ بِرَعِيَّتِكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمَسْئَلَةَ وَتَلْبَحَثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ  
وَحِبَاطَةِ الرَّعِيَةِ وَالظَّرِّ فِي حَوَائِجِهِمْ وَحَمَلِ مَوْفَاتِهِمْ أَيْسَرُ عِنْدَكَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ  
فَإِنَّهُ أَقْوَمُ لِلدِّينِ وَأَحْيَا لِلسُّنَةِ وَأَخْلَصُ نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا وَتَقَرَّدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ  
تَقَرَّدُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَتَجِزِي بِمَا أَحْسَنَ وَمُواخَذٌ بِمَا أَسَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّرَهُ وَأَمْلَكَ بِعَنْ نَسُوهُ وَتَرَاعَاهُ  
نَهَجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى وَأَقَمَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ نَازِلِهِمْ  
وَمَا اسْتَحَقُّهُ وَلَا تَعْمَلُ ذَلِكَ وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنْ فِي  
تَفَرُّطِكَ فِي ذَلِكَ مَا يَفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنَّاكَ وَأَعْتَزِمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسُّنَنِ  
الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ بِسَلَامٍ لَكَ دِينُكَ وَتَقَمَّ لَكَ مَرْئُوكُ وَإِذَا عَاهَدْتَ  
عَهْدًا فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبَلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَعْصِ عَنْ عَيْبِ

كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَشَدُّ لِسَانِكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَابْغِضْ  
 أَهْلَ النَّمِيْمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فُسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآخِلِهَا تَقْرِيبُ الْكَذُوبِ وَالْمُجْرِمَةِ  
 عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآئِمِ وَالزُّورُ وَالنَّمِيْمَةُ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ النَّمِيْمَةَ لَا  
 يَسْلُمُ صَاحِبُهَا وَقَاتِلُهَا لَا يَسْلُمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَعِيمُ لَهُ أَمْرٌ وَأَحْبِبْ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
 وَالصِّدْقِ وَأَعِزَّ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ وَأَسِ الصُّعْفَاءَ وَصِلِ الرَّحِمَ وَأَبْغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ  
 تَعَالَى وَإِعْزِزْ أَمْرَهُ وَالتَّمَسُّنَ فِيهِ ثَوَابُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ وَأَحْبِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورِ  
 وَأَصْرِفْ عَنْهُمَا رَأْيَكَ وَأَظْهِرْ بَرَاءَتَكَ مِنْ ذَلِكَ رَعِيَّتِكَ وَأَنْعِمْ بِالْعَدْلِ فِي سِيَاسَتِهِمْ  
 وَتُمْ بِالْحَقِّ فِيهِمْ وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِكَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَامْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ  
 وَاتَّخِذِ الْجُلْمَ وَالْوَقَارَ وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالطِّيْشَ وَالْفُرُورَ فِيمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ  
 أَنَا مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقِلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
 وَأَخْلَصَ لِلَّهِ وَحْدَهُ النَّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ  
 وَيَتَزَعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ وَلَنْ يَجِدَ تَغْيِيرَ النَّمِيْمَةِ وَحُلُولَ النِّقْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَمْرَعُ مِنْهُ إِلَى حَمَلَةِ  
 النَّمِيْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ وَالْمَبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدُّوَلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعَمَ اللَّهِ وَإِحْسَانَهُ  
 وَاسْتَطَاعُوا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ  
 وَكُوزُكَ الَّتِي تَدْخِرُ وَتَكْثُرُ الْبِرَّ وَالْتَقْوَى وَاسْتِصْلَاحُ الرُّعْيَةِ وَعِمَارَةُ بِلَادِهِمُ وَالْتَفَقُّدُ  
 لِأُمُورِهِمْ وَالْحِفْظُ لِدِمَائِهِمْ وَالْإِعَانَةُ لِمَلِكُوهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا اكْتُنِزَتْ وَادْخُرَتْ  
 فِي الْخَزَائِنِ لَا تَنْمُو وَإِذَا كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرُّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفَتْ الْأَذِيَّةَ  
 عَنْهُمْ نَمَتْ وَزَكَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَةُ وَتَرْتَّبَتْ بِهَا الْوَلَايَةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ وَأَعْتَقَدَ  
 فِيهَا الْعِزُّ وَالْمَنْعَمَةُ فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَقْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ  
 وَوَقْرٍ مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حُقُوقَهُمْ وَأَوْفٍ مِنْ ذَلِكَ حِصَّةَهُمْ وَتَعَهَّدَ مَا  
 يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّبْتَ النَّمِيْمَةَ عَلَيْكَ وَاسْتَوْجَبْتَ الْعَزِيدَ  
 مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى حَيَاةٍ خَرَجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رَعِيَّتِكَ وَعَمَلِكَ أَفْذَرُ  
 وَكَانَ الْجَمِيعُ لِمَا شَمَلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لِمَا عَمَلْتَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا كُلِّ مَا  
 أَرَدْتَ وَأَجَبَدَ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَكَ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَلِيَعْلَمْ حَقُّكَ فِيهِ وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنَ  
 الْمَالِ مَا أَتَّفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْرِفَ لِلشَّاكِرِينَ حَقَّهُمْ وَأَتِيهِمْ عَلَيْهِ وَإِيَّاكَ أَنْ



تُسَبِّحُكَ الدُّنْيَا وَغُرُورُهَا هَوْلَ الْآخِرَةِ فَتَتَكَاوَنَ بِمَا يَحْتَقُ عَلَيْكَ فَإِنَّ التَّوَّابِينَ يُورِثُ التَّغَرُّبُ  
وَالْتَّغَرُّبُ يُورِثُ الْبَوَارَ وَيَسْكُنُ عَمَلُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَرْجُ الثَّوَابَ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ  
سُبْحَانَهُ قَدْ اسْتَبْعَ عَلَيْكَ فَضْلَهُ وَأَعْتَصِمَ بِالشُّكْرِ وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدْ بِرَدِّكَ اللَّهُ خَيْرًا  
وَإِحْسَانًا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ وَإِحْسَانِ الْغَسِينِ وَلَا  
تُحَقِّرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُمَالِ أَنْ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا وَلَا تَصِلَنَّ كُفُورًا وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا  
وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَعَامًا وَلَا تَأْمَنَّ عَدَاوًا وَلَا تُوَالِلَنَّ فَاسِقًا وَلَا تُتَبِعَنَّ غَاوِيًا وَلَا تَحْمَدَنَّ  
مُرَائِيًا وَلَا تُحَقِّرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تُرَدِّنَّ سَائِلًا فَيَبْرَأَ وَلَا تُحْسِنَنَّ بِاطْلَالًا وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْهِكًا  
وَلَا تُغْلِقَنَّ وَعْدًا وَلَا تَزْهَوَنَّ فُحْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تَبَايِنَنَّ رَجَاءً وَلَا تَمْسِسَنَّ مَرَحًا  
وَلَا تُفَرِّطَنَّ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَلَا تَرْفَعْ لِلنَّعَامِ عَيْنًا وَلَا تُغْمِضَنَّ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ  
أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَكْثِرْ مِشَاوَرَةَ الْفُقَهَاءِ وَاسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ  
بِالْحِلْمِ وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي  
مَشُورَتِكَ أَهْلَ الرِّفْقَةِ وَالْبُخْلِ وَلَا تَسْمَعْ لَهُمْ قَوْلًا فَإِنَّ ضَرَرَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمْ  
وَلَيْسَ مِثْلُ السَّرْعِ فَسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِيهِ أَمْرٌ رَعِيَّتِكَ مِنَ النِّجَى وَعَلِمَ أَنَّكَ إِذَا  
كُنْتَ حَرِيصًا كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ قَلِيلَ اللَّطِيَةِ وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ  
أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّ رَعِيَّتَكَ إِنَّمَا تَعْقُدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أَمْرِ الْوَيْسِ وَتَرْكِ الْجَوْرِ  
عَلَيْهِمْ وَابْتِدْئِ مَنْ صَافَاكَ مِنْ أَوْلِيَاكَ بِالْإِفْصَالِ عَلَيْهِمْ وَحَسَنِ اللَّطِيَةِ لَهُمْ وَاجْتَنِبِ  
الشَّيْخَ وَعَلِمَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى الْإِنْسَانُ بِهِ رَبَّهُ وَإِنَّ الْعَامِيَ بِتَوَلُّهِ جُزِي وَمَوْ قَوْلُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يُوَقِّ شَيْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ وَاجْعَلْ  
لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ فَيْتِكَ حَقًّا وَنَصيبًا وَابْقِ أَنْ الْجُودَ أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْعِبَادَةِ فَأَعِدْ لِنَفْسِكَ  
خَلْقًا وَأَرْضَ يَدِ عَمَلٍ وَمَذْهَبًا وَتَقَدَّرَ الْجُنْدُ فِي دَوَابِّهِمْ وَمَكَاتِبِهِمْ وَأَدَّرَ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ  
وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ يَذْهَبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ فَاقْتُمْ بِقِيَمَةِ لَكَ أَمْرُهُمْ وَتَزِيدْ  
قُلُوبَهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا وَحَسْبُ ذِي السُّلْطَانِ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى جُنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ذَا رَحْمَةٍ فِي عَدْلِهِ وَحِيطَةٍ وَإِنصَافٍ وَعِنَايَةٍ وَشَفَقَةٍ وَرِيَّةٍ  
وَتَوْسِعَةٍ فَرَايِلَ مَكْرُوهُ أَحَدِ الْبَائِسِينَ بِاسْتِشْعَارِ فَضِيلَةِ الْبَابِ الْآخِرِ وَزُورِ الْعَمَلِ بِهِ  
تَلَقَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَفَلَاحًا وَعَلِمَ أَنَّ الْفَضَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ

الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي تَعْدُلُ عَلَيْهِ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي  
 الْأَرْضِ وَبِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ أَحْوَالُ الرِّعِيَةِ وَتَأْمَنُ السُّبُلُ  
 وَيَتَصَفَّى الْمَظْلُومُ وَتَأْخُذُ النَّاسُ حُقُوقَهُمْ وَتَحْسُنُ الدِّعْيَةُ وَيُؤَدَّى حَقُّ الطَّاعَةِ  
 وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْعَالِيَةَ وَالسَّلَامَةَ وَيُقِيمُ الدِّينَ وَيَجْزِي السَّنَنَ وَالشَّرَائِعَ فِي تَجَارِبِهَا وَاشْتَدَّ  
 فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوَرَّعَ عَنِ النُّطْفِ وَأَمْسَ لِقَامَةِ الْحُدُودِ وَأَقِيلَ الْجَمَلَةُ وَأَبْعَدَ  
 عَنِ الصَّخْرِ وَالْقَلْقِ وَأَقْنَعَ بِالْقَسَمِ وَانْتَفَعَ بِعَجْرَتِكَ وَأَنْتَبَهَ فِي ذِمَّتِكَ وَأَسَدَّدَ فِي مَنَظِقِكَ  
 وَأَنْصَبَ الْخَصْمَ وَقَفَّ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَأَبْلَغَ فِي الْحِجَةِ وَلَا يَأْخُذُكَ فِي أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ  
 مُحَابَاةٌ وَلَا تَجَامَلَةٌ وَلَا لُزْمَةٌ لِأَيِّهِمْ وَتَثَبَّتْ وَتَأَنَّنَ وَرَأَيْتَ وَنَظَرْتَ وَتَذَكَّرْتَ وَتَذَبَّرْتَ وَاعْتَبَرْتَ  
 وَتَوَاضَعَ لِرَبِّكَ وَأَرْفَقَ بِجَمِيعِ الرِّعِيَةِ وَسَلَّطَ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى سَنَكِ  
 دَمٍ فَإِنَّ الدِّمَاءَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُمْكِنُ عَظِيمُ أَنْتَهَا كَمَا لَمَّا يَغْيَرُ حَقِّهَا وَانْظُرْ هَذَا  
 الْخُرَاجَ الَّذِي اسْتَقَامَتْ عَلَيْهِ الرِّعِيَةُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ عِزًّا وَرَفْعَةً وَلِأَهْلِهِ  
 تَوْسِعَةً وَمِنَعَةً وَلِلدُّوْمِ وَعَدُوِّهِمْ كِبَاءً وَغَيْظًا وَلِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ مُكَادِبِهِمْ ذُلًّا وَصَغَارًا  
 فَوزِعَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالتَّسْوِيَةِ وَالْعُمُومِ وَلَا تَدْفَعَنَّ شَيْئًا مِنْهُ عَنْ شَرِيفٍ  
 لِشَرِيفٍ وَلَا عَنْ غَنِيٍّ لِغَنِيٍّ وَلَا عَنْ كَاتِبٍ لَكَ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ وَلَا حَاشِيَتِكَ وَلَا  
 تَأْخُذَنَّ مِنْهُ فَوْقَ الْإِحْتِمَالِ وَلَا تُكَلِّفْ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ وَأَحْمِلِ النَّاسَ كُلَّهُمْ  
 عَلَى أَمْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَعٌ لِنَفْسِهِمْ وَأَلْزَمُ لِرِضَاءِ الْعَامَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ  
 حَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيْعَهُمْ فَخُذْ  
 مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ عَقُومٍ وَنَفْذِهِ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدَعِهِمْ وَاسْتَعْمِلْ  
 عَلَيْهِمْ أُولِي الرِّأْيِ وَالتَّذَبُّيرِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالتَّخْبِيرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ وَوَسِّعْ  
 عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقْلُدُتَ وَأَسْنِدُ إِلَيْكَ فَلَا  
 يُشْفَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا يَصْرَفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ فَإِنَّكَ مَتَى أَتَرْتَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ  
 اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحُسْنَ الْأَصْدُقَةِ فِي عَمَلِكَ وَاجْتَرَدْتَ بِهِ  
 الْحِجَةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتْ عَلَى الصَّلَاحِ فَدَرَبْتَ الْخَيْرَاتِ بِيْلَدِكَ وَنَشَتْ الْعِمَارَةُ  
 بِتَاجِرَتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّقْتَ أَمْوَالُكَ وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى  
 أَرْيَاضِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ وَكَنتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ

مَرْضَى الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ وَكَنتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَاللَّهُ وَقُوتُهُ وَعُدَّةُ  
فَنَافِسٍ فِي ذَلِكَ وَلَا تَقْدِمُ عَلَيْهِ شَيْئًا مُحَمَّدٌ عَاقِبَةُ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاجْعَلْ فِي  
كُلِّ كُوزَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ  
حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ كُلِّهَا فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرِ  
فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ  
حُسْنَ الدِّفَاعِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ خُذْ  
فِيهِ عِدَّتَهُ فَإِنَّهُ رُبَّمَا تَنْظُرُ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ وَقَدَرَهُ وَأَنَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ وَاعْجَبَهُ  
فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِ أَهْلِكُهُ وَنَقُضَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ  
وَبَاشِرُهُ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَأَكْثَرَ مِنْ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ  
وَأَفْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِفَدْلِكَ وَأَكْثِرْ مَبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ الْغَدَا مُرًّا وَحَوَادِثَ  
تُلهِيكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخَّرْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا  
أَخَّرْتَ عَمَلَهُ أَجْتَمَعَ عَلَيْكَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ فَيَشْقُوكَ ذَلِكَ حَتَّى تَعْرِضَ مِنْهُ وَإِذَا أَمَضْتَ  
لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ بَذَنَكَ وَنَفْسَكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ سُلْطَانِكَ وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ  
وَذَوِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ مِمَّنْ بَلَوْتَ صَفَاءَ طَوِيلَتِهِمْ وَشَهِدْتَ مَوَدَّتِهِمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتِهِمْ  
بِالنُّصْحِ وَالْحِفَافَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنِ إِلَيْهِمْ وَتَعَاهَدِ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ  
قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ وَاحْتَمَلِ مَوَوتَتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا يَجْعَدُوا لِلْحَاجَتَيْنِ مَسًّا  
وَأَفْرُدْ نَفْسَكَ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ  
وَالْحَقِيقُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْئَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الْأَصْلَاحِ  
مِنْ رَعِيَّتِكَ وَزُمْرُكُمْ يَرْفَعُ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لَتَنْظُرَ فِيمَا يَصْلُحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ  
وَتَعَاهَدَ ذَوِي الْبَأْسَاءِ وَابْتِاسَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ اقْتِنَاءً  
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَاةِ لَهُمْ لِيُصْلِحَ اللَّهُ بِذَلِكَ  
عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَاتٍ وَزِيَادَةً وَاجْرُ لِلْأَصْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَتَقْدِمْ حِمْلَةَ الْقُرْآنِ  
مِنْهُمْ وَالْحَافِظِينَ لَا كَثَرَهُ فِي الْجُرْبَانَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ وَأَنْصِبْ لِعَرْضَى الْمُسْلِمِينَ دُورًا  
تَأْوِيهِمْ وَتُقْوَامًا يَرْفِقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَّاءَ يُعَالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْفِيفَهُمْ بِشَمَوَاتِهِمْ مَا لَمْ يُوَدَّرْ  
ذَلِكَ إِلَى إِسْرَافٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا أُعْطُوا حُقُوقَهُمْ وَأَفْضَلَ أَمَانِيهِمْ

لَمْ يُرْضِهِمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَطِيبْ أَنْفُسَهُمْ دُونَ رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَى وُلَاتِهِمْ طَمَعًا فِي نَدَى  
الزِّيَادَةِ وَفَضْلِ الزَّفَقِي مِنْهُمْ وَرَبَّمَا تَبَرَّمَ الْمُتَصَفِّحُ لِأُمُورِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ  
وَيُسْخِلُ فِكْرَهُ وَذَهَبَتْ فِيهَا مَا يَنَالُهُ بِهِ مِنْ مَوْوَنَةٍ وَسَقَمَةٍ وَلَيْسَ مَنْ يَرْغَبُ فِي الْعَدَا  
وَيَعْرِفُ مُحَاسِنَ أُمُورِهِ فِي الْعَاجِلِ وَفَضْلَ ثَوَابِ الْآجِلِ كَالَّذِي يَسْتَقْبِلُ مَا يَقْرِبُهُ إِلَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى وَيَلْتَمِسُ رَحْمَتَهُ وَأَكْثَرَ الْأَذْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ وَأَبْرَزَ لَهُمْ وَجْهَكَ وَسَكَّرَ  
لَهُمْ حَوَاسِكَ وَأَخْفَضَ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَظْهَرَ لَهُمْ بَشْرَكَ وَلِنْ لَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالشَّلْطَةِ  
وَأَعْطَفَ عَلَيْهِمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ وَإِذَا أَعْطَيْتَ فَأَعْطِ بِسَخَاةٍ وَطِيبِ نَفْسٍ وَالنَّيَّاسِ  
لِلصَّيْمَةِ وَالْآخِرِ مِنْ غَيْرِ تَكْدِيرٍ وَلَا أَمْتِنَانِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى ذَلِكَ تَبَارَةٌ مُرْبِيَّةٌ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَنْ مَضَى قَلْبَكَ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ  
وَأَزْ نَاسَةٍ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأَمَمِ الْبَائِدَةِ ثُمَّ اعْتَصِمْ فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى وَالْوُفُوفِ عِنْدَ تَحَبُّتِهِ وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَنِهِ وَبِقَامَةِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَاجْتَنِبْهَا  
مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ وَدَعَا إِلَى سُخْطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عُمَالِكَ مِنْ  
الْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا يَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقُ إِسْرَافًا وَأَكْثِرْ مَجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ  
وَمُسَاوَرَتَهُمْ وَمَخَالَطَتَهُمْ وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعَ السُّنَنِ وَإِقَامَتَهَا وَإِبْتَارَ مَسْكَرِمِ الْأَخْلَاقِ  
وَمَعَالِيهَا وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ يَمْنَعْهُ  
هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ فَإِنَّ أَوْلِيكَ أَنْصَحُ  
أَوْلِيَانِكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ وَانْظُرْ عُمَالِكَ الَّذِينَ يَحْضُرُونَكَ وَكُنْ أَبْكَ فَوْقَ لِكُلِّ  
رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكُنْهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ  
عُمَالِكَ وَأُمُورِ الدُّوَلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُوْرِدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ  
وَعَقْلَكَ وَكَثِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدَبُّرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحُزْمِ فَأَنْصَحْهُ وَأَسْخَرْ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِلنَّكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى الْمَسْئَلَةِ عَنْهُ وَالتَّشَبُّثِ فِيهِ وَلَا تَمْنَحْ  
عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تَوْثِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْإِسْتِقَامَةَ  
وَالْعَمَلُ فِي أُمُورِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ وَتَهْنَأْ كِتَابِي  
إِلَيْكَ وَأَنْهِيَ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلُ بِهِ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِكَ وَأَسْخَرْهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الصَّالِحِ وَأَهْلِهِ وَلِيَكُنْ أَعْظَمُ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلُ رَعِيَّتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ



الْمُنْكَرُونَ كَمَا نَذَرْتُهُ إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى  
التَّعْدِيلِ فَأَذَاوَجْنَا طَاعِنًا فِي بَعْضِ رِجَالِ الْأَسَانِيدِ بِغَفْلَةٍ أَوْ بِسُوءِ حِفْظٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ  
سُوءِ رَأْيٍ تَطَرَّقَ ذَلِكَ إِلَى صَحِيحَةِ الْحَدِيثِ وَأَوْهَنَ مِنْهَا وَلَا تَقُولَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ رُبَّمَا يَطَّرِقُ  
إِلَى رِجَالِ الصَّحِيحِينَ فَإِنَّ الْإِجْمَاعَ قَدْ اتَّصَلَ فِي الْأُمَّةِ عَلَى تَلْقِيهِمَا بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ  
بِمَا فِيهِمَا وَفِي الْإِجْمَاعِ أَعْظَمُ حِمَايَةٍ وَأَحْسَنُ دَفْعًا وَلَيْسَ غَيْرُ الصَّحِيحِينَ بِمِثْلَيْهِمَا  
فِي ذَلِكَ فَقَدْ تَجَدَّدَ مَجَالُ الْكَلَامِ فِي أَسَانِيدِهَا بِمَا نُقِلَ عَنْ أَيْمَةِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ.  
وَلَقَدْ تَوَعَّلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَلَى مَا نُقِلَ السَّهْلِيُّ عَنْهُ فِي جَمْعِهِ لِلْحَادِثِ  
الْوَارِدَةِ فِي الْمَهْدِيِّ فَقَالَ وَمِنْ أَغْرِبِهَا اسْتَدَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْكَافُ فِي فَوَائِدِ  
الْأَخْبَارِ مُسْتَنَدًا إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَذَبَ بِالْمَهْدِيِّ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ كَذَبَ بِالْأَجَالِ فَقَدْ كَذَبَ  
وَقَالَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِثْلُ ذَلِكَ فِيمَا أَحْسَبُ وَحَسِبْتُ هَذَا عُلُوءًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِصَحَّةِ طَرِيقِهِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الْإِسْكَافَ عِنْدَهُمْ مِنْهُمْ وَضَاعَ.  
وَأَمَّا الثَّرْمِذِيُّ فَخَرَجَ هُوَ وَابْنُ دَاوُدَ بِسَنَدَيْهِمَا إِلَى أَبِي عُبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ عَامِرٍ بْنِ أَبِي  
الْحُجُودِ أَحَدِ الْقُرَاءِ السَّبْعَةِ إِلَى زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِ  
رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمَهُ أَسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ أَسْمُ أَبِي هَذَا لَقَطَأُ بِي دَاوُدَ  
وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ إِنَّ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ هُوَ صَاحِبُ  
وَلَقَطَأُ الثَّرْمِذِيُّ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمَهُ أَسْمِي  
وَفِي لَفْظٍ آخَرَ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَكِلَاهُمَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَرَوَاهُ أَيْضًا  
مِنْ طَرِيقٍ مَوْفُوعًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ الْحَاكِمُ رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ وَزَائِدَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ  
أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَامِرٍ قَالَ وَطَرِقَ عَامِرٌ عَنْ زُرِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ عَلَى  
مَا أَصْلَحَتْهُ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ بِأَخْبَارِ عَامِرٍ إِذْ هُوَ إِمَامٌ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ (إِنْتَهَى) إِلَّا  
أَنَّ عَامِرًا قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَارْتَأَى الْقُرْآنَ خَيْرًا أَثَقَّةً وَلَا أَعْمَشُ  
أَحْفَظُ مِنْهُ وَكَانَ شُعْبَةُ يَخْتَارُ الْأَعْمَشَ عَلَيْهِ فِي تَثْبِيتِ الْحَدِيثِ وَقَالَ الْعِجْلِيُّ كَانَ يَخْتَلِفُ  
عَلَيْهِ فِي زُرِّ وَآبِي وَائِلٍ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ رِوَايَتِهِ عَنْهُمَا وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ

كَانَ ثَقَّةً إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ الْخَطَا فِي حَدِيثِهِ وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ فِي حَدِيثِهِ اضْطَرَّابُ  
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قُلْتُ لِأَبِي إِنْ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ عَاصِمٌ ثَقَّةٌ فَقَالَ  
 لَيْسَ مَحَلُّهُ هَذَا وَقَدْ تَكَلَّمْتُ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ فَقَالَ كُلُّ مَنْ اسْمُهُ عَاصِمٌ سَيِّئٌ الْخِفَظُ  
 وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ مَحَلُّهُ عِنْدِي مَحَلُّ الصَّدِّيقِ صَالِحُ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ الْخِفَظُ  
 وَاخْتَلَفْتُ فِيهِ قَوْلَ النَّسَائِيِّ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي حَدِيثِهِ تَكْرَرُ وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ  
 الْقَطَّانِيُّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سُوءُ الْخِفَظِ وَقَالَ الدَّارُقُطَنِيُّ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ وَقَالَ يَحْيَى  
 الْقَطَّانُ مَا وَجَدْتُ رَجُلًا اسْمُهُ عَاصِمٌ إِلَّا وَجَدْتُهُ رَدِيءَ الْخِفَظِ وَقَالَ أَيْضًا سَمِعْتُ  
 شُعْبَةَ يَقُولُ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي الْجَوْذِيِّ فِي النَّاسِ مَا فِيهَا وَقَالَ الذَّهَبِيُّ ثَبَّتْ فِي  
 الْفِرَاءَةِ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَإِنْ أَخْبَحَ أَحَدٌ بَانَ الشَّيْخَيْنِ أَخْرَجَاهُ لَهُ فَقَوْلُ أَخْرَجَاهُ  
 مَقْرُونًا يَغْيَرُهُ لَا أَصْلًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ  
 رِوَايَةِ قُطْنِ بْنِ خَلِيفَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي مُرَّةٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبِثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهُمَا  
 عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جُورًا وَقُطْنُ بْنُ خَلِيفَةَ وَإِنْ وَثِقَهُ أَحْمَدُ وَيَحْيَى ابْنُ الْقَطَّانِ وَابْنُ  
 مُعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَفِيهِ تَشْعِيرٌ قَلِيلٌ وَقَالَ ابْنُ  
 مُعِينٍ مَرَّةً ثَقَّةٌ شَيْعِيٌّ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ كُنَّا نَمُرُّ عَلَى قُطْنٍ وَهُوَ مَطْرُوحٌ  
 لَا تَكْتُمُ عَنْهُ وَقَالَ مَرَّةً كُنْتُ أَمُرُّ بِهِ وَأَدْعُهُ مِثْلَ الْكَلْبِ وَقَالَ الدَّارُقُطَنِيُّ لَا يُحْتَجُّ  
 بِهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ مَا تَرَكْتُ الرِّوَايَةَ عَنْهُ إِلَّا لِسُوءِ مَذْهَبِهِ وَقَالَ الْجَرَجَانِيُّ  
 زَائِعٌ غَيْرُ ثَقَّةٍ أَتَيْتُهُ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا يَسْنِدُهُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَرْوَانَ  
 ابْنَ الْمُعْبِرَةِ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ النَّسْفِيِّ  
 قَالَ قَالَ عَلِيٌّ وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ إِنْ أَبَيْ هَذَا سَيِّدٌ كَمَا مَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَفْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِأَمْرِ نَبِيِّكُمْ يُشَبِّهُهُ فِي الْخُلُقِ وَلَا يُشَبِّهُهُ فِي  
 الْخُلُقِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقَالَ هَارُونُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ مَطْرِفِ بْنِ طَرِيفٍ  
 عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ هِلَالِ بْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَنصُورٌ يُوَطِّئُ  
 أَوْ يُمْسِكُنِ لَيْلٍ مُحَمَّدٌ كَمَا مَكَّنْتُ فَرِيضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ

عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ أَوْ قَالَ إِيَّاجَتُهُ سَكَتَ أَبُو دَاوُدَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي  
 هَارُونَ هُوَ مِنْ وَلَدِ الشَّيْخَةِ وَقَالَ السَّيِّمَانِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي عُمَرَ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ  
 لَا بَأْسَ فِي حَدِيثِهِ خَطَأٌ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ صَدَقَ لَهُ أَوْهَامٌ وَأَمَّا أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْخِيُّ وَإِنْ  
 خَرَجَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ اخْتَلَطَ آخِرَ عُمُرِهِ وَرَوَاتُهُ عَنْ عَلِيٍّ مُنْقَطِعَةٌ  
 وَكَذَلِكَ رَوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْمَغِيرَةِ . وَأَمَّا السَّنَدُ الثَّانِي فَأَبُو الْحَسَنِ فِيهِ  
 وَهْلَالُ بْنُ عُمَرَ مَجْهُولَانِ وَلَمْ يُعْرِفْ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مِنْ رَوَايَةِ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْهُ  
 أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقِ عَلِيٍّ  
 ابْنَ نَعِيلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَبِّبِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ يَقُولُ الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَلَقَطَ الْحَاكِمُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَذْكُرُ الْمَهْدِيَّ فَقَالَ نَعَمْ هُوَ حَقٌّ وَهُوَ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ وَلَمْ يَتَّكُمْ عَلَيْهِ بِالصَّحِيحِ وَلَا  
 غَيْرِهِ وَقَدْ ضَعَّفَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْقُمَيْلِيُّ وَقَالَ لَا يَتَّبَعُ عَلِيُّ بْنُ نَعِيلٍ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرِفُ إِلَّا بِهِ  
 وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ رَوَايَةِ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ صَاحِبٍ لَهُ عَنْ  
 أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيُفْرَجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا  
 إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُغَيِّرُ جُوهَهُ وَهُوَ كَارِهِ فَيَأْبِئُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ  
 فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ فَيُخَصِّفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَإِذَا رَأَى النَّاسُ  
 ذَلِكَ أَنَاهُ أَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيَأْبِئُونَهُ ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ  
 أَخُوهُ كَلْبٌ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا فَيُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ وَالْخَلِيفَةُ لَمَنْ لَمْ  
 يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ فَيَقْسِمُ الْمَالُ وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَيَلْبِي الْأَسْلَامَ بِحُرَّانِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَلَيْثُ سَبْعَ سِنِينَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ تِسْعَ سِنِينَ ثُمَّ رَوَاهُ  
 أَبُو دَاوُدَ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ  
 الْمُبْتَهَمُ فِي الْأَسْنَادِ الْأَوَّلِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحَيْنِ لَا مَطْعَنَ فِيهِمْ وَلَا مَتَمَرٌ وَقَدْ  
 يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ رَوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ وَقَتَادَةُ مُدْبِسٌ وَقَدْ عَنَّهُ وَالْمُدْبِسُ لَا يُقْبَلُ  
 مِنْ حَدِيثِهِ إِلَّا مَا صُرِّحَ فِيهِ بِالسَّمَاعِ مَعَ أَنَّ الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
 نَعَمْ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي أَبْوَابِهِ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا وَتَابَعَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
 الْخَلْدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ إِنْ نِي



الْأَنْفَ بِمَلَأَ الْأَرْضَ فِسْطًا وَعَدَلًا كَمَا مَلَأْتَ ظُلُمًا وَجَوْرًا بِمَلِكٍ سَبَّحَ مِنْهُ هَذَا لَفْظُ  
 أَبِي دَاوُدَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَلَفْظُ الْحَاكِمِ الْمَهْدِيِّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَنْتُمْ الْأَنْفَ أَقْنَى أَجَلِ  
 بِمَلَأَ الْأَرْضَ فِسْطًا وَعَدَلًا كَمَا مَلَأْتَ جَوْرًا وَظُلُمًا بِعَيْشٍ دُكْدَا وَيَسْطُ يَسَارَهُ  
 وَإِصْبَعَيْنِ مِنْ يَمِينِهِ السَّبَابَةِ وَالْأَيْتَامَ وَعَقْدَ ثَلَاثَ قَالِ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ  
 عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْ ١٠٠ هـ. وَعُمَرَانُ الْقُطَانُ مُخْتَلَفٌ فِي الْإِخْتِجَاعِ بِهِ إِنَّمَا أَخْرَجَ  
 لَهُ الْأَجْبَارِيُّ اسْتِشْهَادًا لَا أَصْلًا وَكَانَ يَحْيَى الْقُطَانُ لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ  
 لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِشَيْءٍ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَالِحًا  
 الْحَدِيثُ وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ كَانَ حَرُورِيًّا وَكَانَ يَرَى السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلَةِ وَقَالَ  
 النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْأَجْرِيُّ سَأَلْتُ أَبَا دَاوُدَ عَنْهُ فَقَالَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ  
 وَمَا تَعَيَّنَ إِلَّا خَيْرًا وَسَمِعْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى ذَكَرَهُ فَقَالَ ضَعِيفٌ أَقْنَى فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ يَفْتَوِي شَدِيدَةً فِيهَا سَفَكَ الدِّمَاءَ وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ  
 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ الْعَمِيِّ عَنْ أَبِي صَدِيقٍ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
 الْخُدْرِيِّ قَالَ خَشِينًا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ شَيْءٍ حَدَّثَ قَسَالًا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 إِنْ فِي أُمِّي الْمَهْدِيِّ يَخْرُجُ وَبِعَيْشٍ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا زَيْدُ النَّشَاكُ قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَاكَ  
 قَالَ سَمِعْتُ قَالَ فَيَحْيَى إِلَيْهِ يَقُولُ يَا مَهْدِيٍّ أَعْطِنِي قَالَ فَيَحْتَوِلُهُ فِي تَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ  
 يَحْمِلَهُ لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَفْظُ أَبِي مَاجَةَ وَالْحَاكِمِ يَكُونُ فِي أُمِّي الْمَهْدِيِّ إِنْ قَصَرَ  
 فَسَبَّحَ وَإِلَّا فَتَسَبَّحَ أَمَّا فِيهِ نِعْمَةٌ لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ تَوَفَّى الْأَرْضَ أَكَلَهَا وَلَا  
 يُدْخِرُ مِنْهُ شَيْئًا وَالْمَالُ يَوْمُئِذٍ كُدُوسٌ يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ يَا مَهْدِيٍّ أَعْطِنِي يَقُولُ خُذْ  
 إِنْتَهَى وَزَيْدُ الْعَمِيِّ وَإِنْ قَالَ فِيهِ الدَّارُ فُطِنِي وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مُعِينٍ إِنَّهُ صَالِحٌ  
 وَزَادَ أَحْمَدُ إِنَّهُ فَوْقَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ وَفَضْلُ بْنُ عَيْسَى إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ ضَعِيفٌ  
 بَكْتُوبُ حَدِيثُهُ وَلَا يَخْتَجُّ بِهِ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى لَا شَيْءَ وَقَالَ مَرَّةً  
 يَكْتُوبُ حَدِيثَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْأَجْرِيُّ مُتَمَسِّكٌ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ بِقَوِيٍّ وَاهِي  
 الْحَدِيثُ ضَعِيفًا وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِذَاكَ وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ شُعْبَةُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ  
 وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَامَّةً مَا يَرْوَاهُ وَمَنْ يَرْوَاهُ عَنْهُمْ ضَعْفًا عَلَيَّ أَنْ شُعْبَةَ قَدْ رَوَى عَنْهُ وَلَعَلَّ

شُبَّةَ لَمْ يَرْوِ عَنْ أَضْعَفَ مِنْهُ وَقَدْ يَقَالُ إِنَّ حَدِيثَ الرَّمَازِيِّ وَقَعَ تَفْسِيرًا لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْتَوِ الْمَالَ حَتَّى لَا يَبْقَى عَدَا وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْتَوِ الْمَالَ حَتَّى لَا يَبْقَى آخَرِي عَنْهُمَا قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَبْقَى عَدَا وَانْتَهَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَقَعْ فِيهَا ذِكْرُ الْمَهْدِيِّ وَلَا دَلِيلٌ يَقُومُ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ مِنْهَا وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّجَاشِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْلَأَ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا وَعُدُونًا ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي رَجُلٌ يَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْتُ ظُلْمًا وَعُدُونًا وَقَالَ فِيهِ الْحَاكِمُ هَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجْ جَاهُ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّجَاشِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ وَيَخْرِجُ الْأَرْضَ نَبَاتًا وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَابًا وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا بَعْنِي حِجَابًا وَقَالَ فِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْأَسْنَادُ وَلَمْ يَخْرُجْ جَاهُ مَعَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عُبَيْدٍ لَمْ يَخْرُجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثِّقَاتِ وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ أَحَدًا تَكَلَّمَ فِيهِ ثُمَّ رَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَسَدِ بْنِ مُوسَى عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ مَطَرِ الزُّرَّاقِ وَأَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّجَاشِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَمْلَأُ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عَثَرَتِي فِيمَلِكُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ لِأَنَّهُ أَخْرَجَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ وَعَنْ شَيْخِهِ مَطَرِ الزُّرَّاقِ وَأَمَّا شَيْخُهُ الْآخَرُ وَهُوَ أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ فَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا مِنْهُمْ بِأَنَّ كِتَابَهُ لَا حَاجَةَ إِلَى بَسْطِ أَقْوَالِ الْأَنْعَمَةِ فِي تَضَعِيفِهِ وَأَمَّا الرَّاوي لَهُ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ فَهُوَ أَسَدُ بْنُ مُوسَى يُلَقَّبُ أَسَدَ السَّنَةِ وَإِنْ قَالَ الْبُخَارِيُّ مَشْهُورُ الْحَدِيثِ وَاسْتَشْهَدَ بِهِ فِي صَحِيحِهِ وَاحْتِجَّ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى نَفَقَةٌ لَوْ لَمْ يُصَنَّفْ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَقَالَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْأَوَّاصِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ وَاصِلٍ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ

النَّاجِي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيِّ أَحَدِ بَنِي بَهْدَلَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ  
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّيِّ يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ يُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ  
 وَجَلَّ لَهُ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَيَخْرُجُ الْأَرْضُ بِرُكْبَهَا وَتُمَلَأُ الْأَرْضُ مِنْهُ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا  
 مِلَّتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَعْمَلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ مِائِينَ وَيُنْزِلُ عَلَى بَيْتِ الْقُدْسِ وَقَالَ  
 الطَّبْرَانِيُّ فِيهِ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَهَ وَيَبْنِ أَبِي  
 سَعِيدٍ أَحَدًا إِلَّا أَبَا الْوَاصِلِ فَإِنَّهُ رَوَاهُ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنْتَهَى وَهَذَا  
 الْحَسَنُ بْنُ يَزِيدَ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَلَمْ يَعْرِفْهُ بَأْكَثَرِ مِمَّا فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِنْ  
 رَوَاتِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَرَوَايَةُ أَبِي الصَّدِّيقِ عَنْهُ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ إِنَّهُ يُجْهَلُ  
 لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ وَأَمَّا أَبُو الْوَاصِلِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ فَلَمْ  
 يَخْرُجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَقَالَ فِيهِ  
 يَرْوَى عَنْ أَنَسٍ رَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ وَعَتَابُ بْنُ بُشَيْرٍ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ السُّنَنِ  
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ  
 قَالَ يَتِمُّ نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقْبَلَ فَنُفِئُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمَّا  
 رَأَوْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ قَالَ فَقُلْتُ مَا تَرَالُ تَرَى  
 فِي وَجْهِكَ شَيْئًا تَكْرَهُهُ فَقَالَ إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّا أَهْلُ  
 بَيْتِي سَلَفُونُ بَعْدِي بَلَاءٌ وَتَشْرِيدٌ وَتَطْرِيدٌ حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ  
 رِابَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ النَّجَبَ فَلَا يَعْطُونَهُ فَيُقَاتِلُونَ وَيُبْصِرُونَ فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا  
 فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْخُلُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَأُهَا قِسْطًا كَمَا مَلَأُهَا جَوْرًا  
 فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبِوًا عَلَى الثَّلْجِ أَنْتَهَى . وَهَذَا الْحَدِيثُ يُعْرَفُ  
 عِنْدَ الْحَدِيثِيِّينَ بِحَدِيثِ الرِّبَاتِ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ رَوَاهُ فِيهِ شُعْبَةُ . كَانَ رَفَاعًا  
 يَعْنِي يَرْفَعُ الْأَحَادِيثَ أَلَيْ لَا تُعْرَفُ مَرْفُوعَةً وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ مِنْ كِبَارِ أُمَّةِ  
 الشُّعْبَةِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ وَقَالَ مَرَّةً حَدِيثُهُ لَيْسَ بِذَلِكَ وَقَالَ يَعْجِي  
 ابْنُ مُعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْعِجْلِيُّ جَائِزُ الْحَدِيثِ وَكَانَ بِآخِرِهِ يَلْقَنُ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ  
 يَكْتُوبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ الْمُجَرِّجَانِي سَمِعْتُهُمْ  
 يُضَعِّفُونَ حَدِيثَهُ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا تَرَكَ حَدِيثَهُ وَغَيْرُهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ وَقَالَ

أَنَّنِي عِدِّي هُوَ مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمَعَ ضَعْفِهِ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ  
 لَكِنَّ مَقْرُونًا يَغْيِرُهُ وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا كَثْرُونَ عَلَى ضَعْفِهِ وَقَدْ صَرَحَ الْأَيْمَةُ بِتَضْعِيفِ  
 هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ حَدِيثُ الرِّبَابِ وَقَالَ  
 وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ فِيهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ أَبُو قُدَامَةَ سَمِعْتُ  
 أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرِّبَابِ لَوْ حَلَفْتُ عِنْدِي خَمْسِينَ يَمِينًا  
 أُسَامَةَ مَا صَدَّقْتُهُ أَهَذَا مَذْهَبُ إِبْرَاهِيمَ أَهَذَا مَذْهَبُ عُلْقَمَةَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ وَأُورِدَ  
 الْعَيْلِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الضُّعْفَاءِ وَقَالَ الدَّهْلِيُّ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَخَرَجَ أَبُو مُجَاة عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ بَاسِينَ الْعَيْلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ وَيَاسِينَ الْعَيْلِيُّ  
 وَإِنْ قَالَ فِيهِ أَبُو مُعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ أَصْطِلَاحِهِ  
 قُوَّةٌ فِي التَّضْعِيفِ جِدًّا وَأُورِدَ لَهُ أَبُو عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ وَالذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ هَذَا  
 الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِ الْأَسْتِنْكَارِ لَهُ وَقَالَ هُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ  
 عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِنَّا الْمَهْدِيُّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ بَلْ مِنَّا يَا مَعْشَرَ اللَّهِ كَمَا بَنَّا فَنَحْ وَبَنَّا بَسْتَنْقِدُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَبَنَّا  
 يُؤَلِّفُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ عِدَاوَةٍ بَيْنَهُ كَمَا بَنَّا أَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ عِدَاوَةِ الشِّرْكِ قَالَ  
 عَلِيٌّ أُمُومُونُ أَمْ كَاكِرُونَ قَالَ مُتَنُونَ وَكَافِرُونَ انْتَهَى وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُهِيمَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
 مَعْرُوفٌ الْحَالِ وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ جَابِرٍ الْخَضِرِيُّ وَهُوَ أَوْضَعُ مِنْهُ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 رَوَى عَنْ جَابِرٍ مَنَاكِيرٌ وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَكْذِبُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ لَيْسَ بِثِقَةٍ وَقَالَ كَانَ أَبُو  
 لُهِيمَةَ شَيْخًا أَحَقَّ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَكَانَ يَقُولُ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ وَكَانَ يَمْلِكُ مَعْنًا فَيُضِرُّ  
 سَحَابَهُ فَيَقُولُ هَذَا عَلِيٌّ قَدْ مَرَّ فِي السَّحَابِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِتْنَةٌ يَحْصُلُ النَّاسُ فِيهَا  
 كَمَا يَحْصُلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ فَلَا تَسْبُو أَهْلَ الشَّامِ وَلَكِنْ سَبُّوا أَشْرَازَهُمْ فَإِنْ فِيهِمْ  
 لَا يَبْدَالَ يُوْشِكُ أَنْ يُرْسَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ صَيْبٌ مِنَ السَّمَاءِ يَفْرِقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْ  
 قَاتَلَتْهُمْ أَلْعَالِبُ غَلَبَتْهُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ خَارِجٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي ثَلَاثِ رَيَابِتِ الْمُكْثَرِ  
 يَقُولُ بِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَالْمَقِيلُ يَقُولُ بِهِمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا وَأَمَّا زُهُمُ أَمَّا يَلْقَوْنَ

سَبْعَ رَايَاتٍ تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ مِنْهَا رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمَلِكَ فَيَقْتُلُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا وَيَرْدُّ اللَّهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْقَتْلَ وَنِعْمَتَهُمْ وَفَاصِيَتَهُمْ وَرَأْيَهُمْ ١٠٠٠. وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ لُهِيعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ مَعْرُوفٌ بِالْحَالِ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَقَالَ صَحِيحٌ إِلَّا سَنَادَهُ وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ فِي رِوَايَتِهِ ثُمَّ بَيَّنَّاهُ الْمُنَاسِقَةَ فَبَرَّدَ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى الْقِتْمِ الْخِ وَالنَّاسِ فِي طَرِيقِهِ ابْنُ لُهِيعَةَ وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ كَمَا ذَكَرَ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ هَيْبَتُكُمْ عَقْدَ يَدَيْهِ سَبْعًا فَقَالَ ذَلِكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ اللَّهُ اللَّهُ قُلِيلٌ وَيَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ قَوْمًا قَوْمًا كَقَرْعِ السَّحَابِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فَلَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ وَلَا يَقْرَحُونَ بِأَحَدٍ دَخَلَ فِيهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَى عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ لَمْ يَسْبِقْهُمْ الْأَوَّلُونَ وَلَا يَدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ وَعَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ أَتَرِيدُهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْأَخْشَبَيْنِ قُلْتُ لَا جَرَمَ وَاللَّهِ وَلَا أَدْعُهَا حَتَّى أَمُوتَ وَمَاتَ بَيْنَا بَيْنِي مَكَّةَ قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ انْتَهَى وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ فَقَطْ فَإِنَّ فِيهِ عَمَّارًا الذَّهَبِيَّ وَيُونُسَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ وَلَمْ يَخْرُجْ لُهُمَا الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ عَمْرُو بْنُ تَحْمَدَ الْعَبْقَرِيُّ وَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ الْبُخَارِيُّ أَحْمَدًا بَلْ اسْتَشْهَدَا مَعَ مَا بَقِيَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ تَشْيِيعِ عَمَّارِ الذَّهَبِيِّ وَهُوَ وَإِنْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَعِينٍ وَأَبُو حَاتِمٍ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ عَنْ سَفِيَّانَ أَنَّ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ قَطَعَ عِرْقَ يَدَيْهِ قُلْتُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي النَّشِيعِ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِوَايَةِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زِيَادِ الْيَمَامِيِّ عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَحْصُرُ وَلَدَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ سَادَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَا وَحَمْرَةُ وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمَهْدِيُّ انْتَهَى وَعِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ وَإِنْ أَخْرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ فَإِنَّمَا أَخْرَجَ لَهُ مُتَابِعَةٌ وَقَدْ ضَعَفَهُ بَعْضُ وَثَّقَهُ آخَرُونَ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ هُوَ مُدْلِسٌ فَلَا يَقْبَلُ إِلَى أَنْ يَبْصُرَ بِالسَّمَاعِ عَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ لَا تَذَرِي مَنْ هُوَ ثُمَّ قَالَ الصَّوَابُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ زِيَادٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَإِنْ وَثَّقَهُ يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ

مُعِين لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الثَّوْرِيُّ قَالُوا لِأَنَّهُ رَأَاهُ يُفْنِي فِي مَسَائِلَ وَيُخْطِئُ فِيهَا وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ كَانَ مِنْ خَشِ عَطَاؤُهُ فَلَا يَحْتَجُّ فِيهِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ سَعِيدُ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَدْعِي أَنَّهُ سَمِعَ عَرْضَ كُتُبِ مَالِكٍ وَالنَّاسُ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَهُوَ هُنَا يَبْغِضَادَ لَمْ يَحْتَجْ فَكَيْفَ سَمِعَهَا وَجَعَلَهُ اللَّهُ فِي مَنْ لَمْ يَقْدَحْ فِيهِ كَلَامٌ مِنْ تَكَلَّمَ فِيهِ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْفُوقًا عَلَيْهِ قَالَ مُجَاهِدٌ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ لَوْ لَمْ أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْلُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ فَقَالَ مُجَاهِدٌ فَإِنَّهُ فِي سِتْرِ لَا أَذْكَرُهُ لَعَنَ يَكْرَهُ قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَرْبَعَةٌ مَنَا السَّفَاحُ وَمَنَا الْمُنْدِرُ وَمَنَا الْمَهْدِيُّ قَالَ فَقَالَ مُجَاهِدُ بَيْنَ لِي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَا السَّفَاحُ فَرُبَّمَا قُتِلَ أَنْصَارُهُ وَعَفَا عَنْ عَدُوِّهِ وَأَمَا الْمُنْدِرُ أَرَاهُ قَالَ فَإِنَّهُ يُعْطِي الْمَالَ الْكَثِيرَ وَلَا يَتَعَاضَمُ فِي نَفْسِهِ وَيُسِيكُ الْقَلِيلَ مِنْ حَقِّهِ وَأَمَا الْمَنْصُورُ فَإِنَّهُ يُعْطِي النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ الشُّطْرَ مِمَّا كَانَ يُعْطِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ وَالْمَنْصُورُ يَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ وَأَمَا الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَتَأْمِنُ الْبِهَائِمُ السِّيَاحَ وَتُلْقِي الْأَرْضُ أَفْلَاحًا كَيْدِهَا قَالَ قُلْتُ وَمَا أَفْلَاحُ كَيْدِهَا قَالَ أَمْثَالُ الْأَسْطُوانَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَقَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجْ جَاهُ وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهَاجِرٍ عَنْ أَبِيهِ وَإِسْمَاعِيلُ ضَعِيفٌ وَإِبْرَاهِيمُ أَبُوهُ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ فَلَا يَكْتَرُونَ عَلَى تَضَعِيفِهِ ١٠٠٠. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ عِنْدَ كِبَرِكُمْ ثَلَاثَةَ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَبْقَى إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ثُمَّ تَطْلُعُ الرِّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ قَالَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَيَأْبُوهُ وَلَوْ حَبْرًا عَلَى الثَّلَجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ ١٠٠٠. وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحَّاحِينَ إِلَّا أَنَّ فِيهِ أَبَا قَلَابَةَ الْجَرْمِيَّ وَذَكَرَ اللَّهُمِّيَّ وَغَيْرَهُ أَنَّهُ مُدْلَسٌ وَفِيهِ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِاتِّدْلَسِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنَنْ وَلَمْ يُصْرَحْ بِالسَّمَاعِ فَلَا يَقْبَلُ وَفِيهِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بْنُ هَمَّامٍ وَكَانَ مَشْهُورًا بِالتَّشْيِيعِ وَعَمِي فِي آخِرِهِ وَفَتَنِهِ فَخَلَطَ قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ فِي الْفَضَائِلِ لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَتَسَبَّوْهُ إِلَى التَّشْيِيعِ إِنَّتْهِ. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جِرْزٍ الزُّبَيْدِيِّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ

لِهَيْمَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ جَابِرٍ الْخَضِرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قِيَاطُونَ لِلْمُهَدِيِّ بَعْنِي  
سُلْطَانَهُ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ تَقَرَّدَ بِهِ ابْنُ لِهَيْمَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي حَدِيثٍ عَلِيُّ الَّذِي خَرَجَهُ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ أَنَّ ابْنَ لِهَيْمَةَ ضَعِيفٌ وَأَنَّ شَيْخَهُ عُمَرَ بْنَ جَابِرٍ أَوْضَعُ  
مَنْهُ وَخَرَجَ الْبَزَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ وَالْفُطَيْحِيُّ فِي الطَّبْرَانِيِّ عَنْ  
أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمُهَدِيُّ إِنْ قَصَرَ فَسَعِ  
وَلَا فَمَكَانٍ وَلَا فَتَسْعَ تَعْمُ فِيهَا أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا بِمِثْلِهَا تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا  
وَلَا تَنْدَخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنَ الْبَنَاتِ وَالْمَالِ كُذُوسٌ يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ يَا مُهَدِي اعْطِنِي  
فَيَقُولُ خُذْ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَارِيُّ تَقَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الْفُجِييُّ زَادَ الْبَزَارِيُّ وَلَا نَعْلَمُ  
أَنَّهُ تَابَعَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ وَإِنْ وَثِقَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ جَبَانٍ أَيْضًا بِمَا ذَكَرَهُ فِي الثَّقَاتِ  
وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ صَالِحٌ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ  
لَيْسَ عِنْدِي بِذَلِكَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ الْفُجِييَّ  
حَدَّثَ بِأَحَادِيثٍ وَأَنَا شَاهِدٌ لَمْ تَكُنْ بِهَا تَرْكُهَا عَلَى عَمْدٍ وَكَتَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْهُ  
كَأَنَّهُ ضَعِيفٌ وَخَرَجَهُ أَبُو بَعْلَى الْمُوصِلِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ حَدَّثَنِي خَلِيلِي  
أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ  
يَمِينٍ يَفْضِرُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ قَالَ قُلْتُ وَكَمْ يَمْلِكُ قَالَ خَمْسًا وَأَنْتَيْنِ قَالَ قُلْتُ وَمَا  
خَمْسًا وَأَنْتَيْنِ قَالَ لَا أَذْرِي ١٠٠ وَهَذَا السَّنَدُ غَيْرُ مُتَّحَجٍّ بِهِ وَإِنْ قَالَ فِيهِ بَشِيرُ بْنُ نَهْكَ  
وَقَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ لَا يَحْتَجُّ بِهِ فَقَدْ أَحْتَجُّ بِهِ الشَّيْخَانُ وَوَثِقَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِ  
أَبِي حَاتِمٍ لَا يَحْتَجُّ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ رَجَاهُ ابْنُ أَبِي رَجَاهٍ الْبَشْكِرِيُّ وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ قَالَ  
أَبُو زُرْعَةَ وَثِقَهُ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ ضَعِيفٌ وَقَالَ مَرَّةً صَالِحٌ وَعَلَى  
لَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ حَدِيثًا وَاحِدًا وَخَرَجَ أَبُو بَكْرِ الْبَزَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي  
مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ عَنْ قُرَّةَ بِنِ ابْنِ أَبِي قَالٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
لَتَمْلَأَنَّ الْأَرْضُ جُورًا وَظُلْمًا فَإِذَا مَلَأَتْ جُورًا وَظُلْمًا بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي اسْمُهُ  
أَسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ أَسْمُ أَبِي يَمْلَأُهَا عَدْلًا وَنِسْطًا كَمَا مَلَأَتْ جُورًا وَظُلْمًا فَلَا تَمْنَعُ السَّمَاءُ  
مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا وَلَا تَنْدَخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ تَبَاتِهَا يَلْبِثُ فِيكُمْ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا أَوْ تِسْعًا

بِعَنِي مَنِينَ ١٠٠. وَفِيهِ دَاوُدُ بْنُ الْحُجْبِيِّ بْنِ الْحُجْمِ عَنْ أَبِيهِ وَهُمَا ضَعِيفَانِ جِدًّا وَخَرَجَ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي مُجْمَعِهِ الْأَوْسَطِ عَنْ أَبِي عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ يَسَارِهِ وَالْعَبَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ إِذْ  
تَلَاَحَى الْعَبَّاسُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَغْلَطَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْعَبَّاسِ فَأَخَذَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ يَبْدِي الْعَبَّاسَ وَيَبْدِي عَلِيَّ وَقَالَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ جَوْرًا  
وظُلْمًا وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ  
بِالْفَتَى التَّيْمِيِّ فَإِنَّهُ يُقِيلُ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ وَهُوَ صَاحِبُ رَايَةِ الْمُهَدِيِّ اِشْعَبِي. وَفِيهِ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُحَيْمَةَ وَهُمَا ضَعِيفَانِ ١٠١. وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُجْمَعِهِ  
الْأَوْسَطِ عَنْ طُلُوعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ  
لَا يَسْكُنُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلَّا تَسَاجَرَ جَانِبٌ حَتَّى يَبْدِيَ مُتَادٍ مِنَ السَّكَاةِ إِنْ أَمِيرُكُمْ فَلَانٌ.  
١٠٢. وَفِيهِ الثَّمَنِيُّ بْنُ الصَّيْحَاحِ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَضَرُّعٌ يَذْكُرُ الْمُهَدِيَّ  
وَأَمَّا ذِكْرُهُ فِي أَبَوَيْهِ وَتَرْجُمَتِهِ أَسْتَشْنَسَا قَهْدَهُ جُمْلَةً الْأَحَادِيثِ الَّتِي خَرَجَهَا  
الْأَثَمَةُ فِي شَأْنِ الْمُهَدِيِّ وَخُرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتُ لَمْ يَخْلُصْ مِنْهَا مِنْ  
الْقَدْرِ إِلَّا الْقَلِيلُ وَالْأَقْلُ مِنْهُ وَرَبَّمَا تَمَسَكَ الْمُنْكَرُونَ لِشَأْنِهِ بِمَارَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ  
خَالِدِ الْجَنْدَبِيِّ عَنْ أَبِي بَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ عَنِ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ  
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا مُهَدِيَّ إِلَّا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ  
مُعِينٍ فِي مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ إِنَّهُ نَفَقٌ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ تَقَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ  
إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَأَخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ فَعَرَّةٌ يَزُودُونَهُ كَمَا نَقَدْتُمْ وَيُنَسَّبُ ذَلِكَ  
لِمُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَمَرَّةٌ يَزُودُونَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي بَانَ عَنِ الْحُسَيْنِ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُسلًا قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فَرَجَعَ إِلَى رَوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ  
مَجْهُولٌ عَنْ أَبِي بَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ مَتْرُوكٌ عَنِ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَهُوَ مُنْقَطِعٌ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ مُضْطَرِبٌ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ لَامَهْدِيَّ إِلَّا عَيْسَى أَيْ  
لَا يَسْكُنُ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عَيْسَى يُحَاوِلُونَ بِهَذَا التَّأْوِيلَ رَدَّ الْإِحْتِجَاجِ بِهِ أَوْ الْجَمْعَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ وَهُوَ مَذْفُوعٌ بِحَدِيثِ جُرَيْجٍ وَمِثْلِهِ مِنَ الْخَوَارِقِ وَأَمَّا التَّصَوُّفَةُ فَلَمْ  
يَكُنِ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ يَخُوضُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِي الْجَاهِلَةِ



بِالْأَعْمَالِ وَمَا يَحْصُلُ عَنْهَا مِنْ تَتَابُجِ الْمَوَاجِدِ وَالْأَحْوَالِ وَكَانَ كَلَامُ الْإِمَامِيَّةِ وَالرَافِضَةِ  
 مِنَ الشَّيْعَةِ فِي تَفْضِيلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَالْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَادِّعَاءِ الْوَصِيَّةِ لَهُ  
 بِذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْبَرُّى مِنَ الشَّيْخَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي مَذَاهِبِهِمْ  
 ثُمَّ حَدَّثَ فِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْإِمَامِ الْمُعْصُومِ وَكَثُرَتِ التَّأْلِيفُ فِي مَذَاهِبِهِمْ وَجَاءَ  
 الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنْهُمْ يَدْعُونَ الْوَهْبَةَ الْإِمَامِ بِنَوْعٍ مِنَ الْحُلُولِ وَآخَرُونَ يَدْعُونَ رَجْعَةَ  
 مِنْ مَاتَ مِنَ الْأَلَمَةِ بِنَوْعٍ التَّنَاسُخِ وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ عِجْجِيٍّ مَنْ يَقْطَعُ بِمَوْتِهِ مِنْهُمْ  
 وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ عَوْدَ الْأَمْرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَاهُ مِنَ  
 الْأَحَادِيثِ فِي الْمَهْدِيِّ وَغَيْرِهَا ثُمَّ حَدَّثَ أَيْضًا عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْكَلَامُ  
 فِي الْكُشْفِ وَفِيَا وَرَاءَ الْحُسْنِ وَظَهَرَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ الْقَوْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْحُلُولِ  
 وَالْوَحْدَةِ فَشَارَكُوا فِيهَا الْإِمَامِيَّةَ وَالرَافِضَةَ يَقُولُهُمْ بِالْوَهْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَحُلُولِ الْإِلَهِ فِيهِمْ  
 وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَالْإِبْدَالِ وَكَأَنَّهُ يُحَاكِي مَذْهَبَ الرَافِضَةِ فِي الْإِمَامِ  
 وَالنُّقْبَاءِ وَأَشْرَبُوا أَقْوَالَ الشَّيْعَةِ وَتَوَعَّلُوا فِي الدَّرْيَانَةِ بِمَذَاهِبِهِمْ حَتَّى جَعَلُوا مُسْتَدَّةً طَرِيقَهُمْ  
 فِي لُبْسِ الْخُرْقَةِ أَنْ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْبَسَهَا الْحُسَيْنَ الْبَصْرِيَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ  
 بِالْإِزَامِ الطَّرِيقَةِ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ بِالْحَبِيدِ مِنْ شُيُوحِهِمْ وَلَا يَعْلَمُ هَذَا عَنْ عَلِيٍّ مِنْ  
 وَجْهِ صَحِيحٍ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ خَاصَّةً بِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَلِ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ  
 أُسْوَةٌ فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَفِي تَخْصِصِ هَذَا بِعَلِيٍّ دُونَهُمْ وَرَاحَةُ مِنَ التَّشْيِيعِ قَوِيَّةٌ فِيهِمْ  
 مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْقَوْمِ دَخَلُوهُمْ فِي التَّشْيِيعِ وَأَخْرَجُوهُمْ فِي سُلُوكِهِ وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا  
 الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَأَمَثَلَاتُ كُتُبِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ مِنَ الرَافِضَةِ وَكُتُبُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ  
 الْمُتَّصِفَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الْفَاطِمِيَّةِ الْمُتَنَظَّرِ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُعَلِّمُهُ عَلَى بَعْضِ وَيُلْقِيهِ بَعْضُهُمْ  
 عَنْ بَعْضٍ وَكَأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصُولٍ وَاهِيَةٍ مِنَ التَّفْرِيقَيْنِ وَرُبَّمَا يَسْتَدِلُّ بَعْضُهُمْ بِكَلَامِ  
 الْمُتَّحِينَ فِي الْفَرَانَاتِ وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الْكَلَامِ فِي الْمَلَا حِمٍ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا  
 فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِي هَذَا وَكَثُرَ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي شَأْنِ  
 الْفَاطِمِيَّةِ ابْنِ الْقَرَبِيِّ الْحَاجَبِيِّ فِي كِتَابِ عُنُقَاءِ مَغْرِبٍ وَأَبْنُ فَيْفِي فِي كِتَابِ خَلْعِ  
 التَّعْلِينِ وَعَبْدُ الْحَقِّ بْنُ سَبْعِينَ وَأَبْنُ أَبِي وَاصِلٍ تَلْمِيزُهُ فِي شَرْحِهِ لِكِتَابِ خَلْعِ التَّعْلِينِ  
 وَكَثُرَ كَلِمَاتُهُمْ فِي شَأْنِهِ أَلْفَاذٌ وَأَمْثَالٌ وَرُبَّمَا بَصَرَحُونَ فِي الْأَقْلِ أَوْ بَصَرَحَ مُفْسِرُو

كَلَامِهِمْ وَحَاصِلُ مَذْهَبِهِمْ فِيهِ عَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ أَنَّ النَّبُوَّةَ بِهَا ظَهَرَ الْحَقُّ  
وَالْهَدْيُ بَعْدَ الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَأَنَّهَا تَعْقِبُهَا الْخِلَافَةُ ثُمَّ يَتَّبِعُ الْخِلَافَةَ الْمَلِكُ ثُمَّ يَعُودُ مُجِيبًا  
وَتَكْبِيرًا وَبَاطِلًا قَالُوا وَلَمَّا كَانَ فِي الْمَعْبُودِ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ إِلَى مَا كَانَتْ وَجِبَتْ  
أَنْ يَتَّبِعَ أَمْرُ النَّبُوَّةِ وَالْحَقِّ بِالْوِلَايَةِ ثُمَّ يَخْلَافُهَا ثُمَّ يَتَّبِعُهَا الدَّجَلُ مَكَانَ الْمَلِكِ وَالْتَّسْلُطُ  
ثُمَّ يَعُودُ الْكُفْرُ بِحَالِهِ يُشِيرُونَ بِهَذَا إِمَّا وَقَعَ مِنْ شَأْنِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ بَعْدَهَا وَالْمَلِكِ  
بَعْدَ الْخِلَافَةِ هَذِهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ وَكَذَلِكَ الْوِلَايَةُ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْفَاطِمِيِّ وَالْدَّجَلُ بَعْدَهَا  
كِتَابَةٌ عَنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ عَلَى أَثَرِهِ وَالْكَفْرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ عَلَى نِسْبَةٍ  
الْثَلَاثِ الْمَرَاتِبِ الْأُولَى قَالُوا وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ لِقُرَيْشٍ حُكْمًا شَرْعِيًّا بِالْإِجْمَاعِ  
الَّذِي لَا يُوهِنُهُ إِنْكَارُ مَنْ لَمْ يَزَاوِلْ عِلْمُهُ وَجِبَتْ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ هُوَ أَحَقُّ  
مَنْ قُرَيْشٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَّا ظَاهِرًا كَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَإِمَّا بَاطِنًا مِمَّنْ  
كَانَ مِنْ حَقِيقَةِ آلِ آلٍ وَآلَالٍ مَنْ إِذَا حَضَرَ لَمْ يَلْقَبْ مَنْ هُوَ أَلَهُ وَأَبْنُ الْعَرَبِيِّ  
الْحَنَابِلِيُّ سَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ عَقْفَاهُ مُغْرِبٌ مِنْ تَأْلِيْفِهِ خَاتِمَ الْأَوَّلِيَاءِ وَكُنِيَ عَنْهُ بِابْنَةِ  
الْفَضَّةِ إِشَارَةً إِلَى حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
مَثَلِي فِيكُمْ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَبْتَنَى بَيْتًا وَأَكْمَلَهُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ  
إِلَّا مَوْضِعُ لُبْنَةٍ فَأَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ فَيُفْسِرُونَ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ بِاللُّبْنَةِ حَتَّى أَكْمَلَتْ الْبَيَانَ  
وَمَعْنَاهُ النَّبِيُّ الَّذِي حَصَلَتْ لَهُ النَّبُوَّةُ الْكَمَالَةُ وَيُتِمُّونَ الْوِلَايَةَ فِي تَقَاوُتِ مَرَاتِبِهَا  
بِالنَّبُوَّةِ وَيَجْعَلُونَ صَاحِبَ الْكَمَالِ فِيهَا خَاتِمَ الْأَوَّلِيَاءِ أَيْ حَائِزَ الرُّتَبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ  
الْوِلَايَةِ كَمَا كَانَ خَاتِمَ الْأَنْبِيَاءِ حَائِزًا لِلْمَرْتَبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ النَّبُوَّةِ فَكُنِيَ الشَّارِحُ  
عَنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْخَاتِمَةِ بِابْنَةِ الْبَيْتِ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ وَمَعْنَاهُ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ  
فِيهِمَا فَبِنَةُ لُبْنَةٍ وَوَاحِدَةٍ فِي التَّمْثِيلِ فِي النَّبُوَّةِ لُبْنَةُ ذَهَبٌ وَفِي الْوِلَايَةِ لُبْنَةُ فِضَّةٌ لِلتَّفَاوُتِ  
بَيْنَ الرُّتَبَتَيْنِ كَمَا بَيَّنَّ الدَّهَبُ وَالْفِضَّةُ فَيَجْعَلُونَ لُبْنَةَ الدَّهَبِ كِتَابَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِبْنَةَ الْفِضَّةِ كِتَابَةً عَنْ هَذَا الْوَلِيِّ الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَذَلِكَ خَاتِمَ الْأَنْبِيَاءِ  
وَهَذَا خَاتِمَ الْأَوَّلِيَاءِ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِيهِمَا نَقَلَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ عَنْهُ وَهَذَا الْإِمَامُ  
الْمُنْتَظَرُ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَظُهُورُهُ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ مُضِيِّ خ ف ج مِنْ  
الْأَخْيَرَةِ وَرَسَمَ حُرُوفًا ثَلَاثَةً يُرِيدُ عَدْدَهَا بِحِسَابِ الْجُمْلِ وَهُوَ الْخَاءُ الْمُهْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ

فَوَقُ سِتْمِائَةٍ وَأَلْفَاهُ أَخْتُ أَلْفَإِ بِسْمَانِينَ وَالْحِجْمُ الْمُعْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ أَسْفَلُ ثَلَاثَةٌ  
وَذَلِكَ سِتْمِائَةٌ وَثَلَاثٌ وَتَمَانُونَ سَنَةً وَفِي آخِرِ الْقَرْنِ السَّابِعِ وَلَمَّا أَنْصَرَمَ هَذَا الْعَصْرُ  
وَلَمْ يَظْهَرْ حَمَلُ ذَلِكَ بَعْضُ الْمُقْلِدِينَ لَهُمْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِتِلْكَ الْمُدَّةِ مَوْلَاهُ وَعَبَّرَ  
بِظُهُورِهِ عَنْ مَوْلَاهُ وَأَنَّ خُرُوجَهُ يَكُونُ بَعْدَ الْعَشْرِ وَالسَّجِّ الْمِائَةِ فَإِنَّهُ إِلَّا مَا مِمَّا النَّاجِمُ مِنْ  
بَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ قَالَ وَإِذَا كَانَ مَوْلَاهُ كَمَا زَعَمَ أَبْنُ الْعَرَبِيِّ سَنَةً ثَلَاثٌ وَتَمَانِينَ  
وَسِتْمِائَةٍ فَيَكُونُ عُمُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً قَالَ وَزَعَمُوا أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَالِ  
يَكُونُ سَنَةً ثَلَاثٌ وَأَرْبَعِينَ وَسِتْمِائَةٍ مِنَ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ وَأَبْتِدَاءُ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ  
عِنْدَهُمْ مِنْ يَوْمِ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَمَامِ أَلْفِ سَنَةٍ قَالَ أَبْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
فِي شَرْحِهِ كِتَابَ خَلْعِ الثَّلَاثِينَ الْوَلِيِّ الْمُنْتَظَرِ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْمَشَارِ إِلَى مُحَمَّدٍ  
الْمُهْدِيِّ وَخَاتِمِ الْأَوَّلِيَاءِ وَلَيْسَ هُوَ بَنِي وَإِنَّمَا هُوَ وَلِيُّ أَيْبَتَهُ رُوحُهُ وَحَبِيبُهُ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَالَمُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ وَقَالَ عَلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنِّيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَمْ تَزَلِ الْبَشَرَى تَتَابَعُ بِهِ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ إِلَى قُبُلِ الْخَمْسِمِائَةِ نِصْفِ الْيَوْمِ  
وَنَاسِكَتٌ وَتَضَاعَفَتْ بِشَاشِيرِ الْمَشَاجِرِ بِتَقَرُّبِ وَقْتِهِ وَأَزْدِلَافِ زَمَانِهِ مُنْذُ انْقَضَتْ  
إِلَى هَلْمِ جَرَا قَالَ وَذَكَرَ الْكِنْدِيُّ أَنَّ هَذَا الْوَلِيَّ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الظُّهْرِ  
وَيُعَدِّدُ إِلَّا سَلَامًا وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَنْقُحُ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ وَيَصِلُ إِلَى رُومِيَةٍ فَيَفْتَحُهَا  
وَيَسِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَيَفْتَحُهَا وَيَفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَيَصِيرُ لَهُ مُلْكُ الْأَرْضِ فَيَنْقُضِي  
الْمُسْلِمُونَ وَيَعْلُو إِلَّا سَلَامٌ وَيُظْهِرُ دِينَ الْحَنِيفَةِ فَإِنَّ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ  
وَقْتُ صَلَاةٍ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ وَقَالَ الْكِنْدِيُّ أَيْضًا  
الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ غَيْرُ الْمُعْجَمَةِ بَعْنِي الْمَفْتُوحَ بِهَا سُورَةُ الْقُرْآنِ جُمْلَةً عُلْدَهَا سِتْمِائَةٌ  
وَثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ وَسِتًّا دَجَالِيَّةٌ ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيُصَلِّحُ الدُّنْيَا  
وَتَمُتُّ الشَّأَءَ مَعَ الذَّنْبِ ثُمَّ مَبْلَغُ مُلْكِ الْعَجَمِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مَعَ عِيسَى مِائَةً وَسِتُّونَ عَامًا  
عِنْدَ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَفِي قِيَامِ دَوْلَةِ الْعَدْلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ عَامًا قَالَ أَبْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
وَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ لَا مُهْدِي إِلَّا عِيسَى فَمَعْنَاهُ لَا مُهْدِي تُسَاوِي هِدَايَتَهُ هِدَايَتَهُ وَقِيلَ لَا  
يَتَكَلَّمُ فِي الْمُهْدِي إِلَّا عِيسَى وَهَذَا مَذْبُوحٌ بِحَدِيثِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِ وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ  
أَنَّهُ قَالَ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً



كَالْوَلَدِ كَثِيرُ خِيَلَانِ آلِهِ فِي حَدِيثِ آخَرٍ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ وَإِلَى الْبَيْضِ وَالْحُمْرَةِ  
 فِي آخَرٍ أَنَّهُ يَزْوَجُ فِي الْقَرْبِ وَالْقَرْبُ دَلُّ الْبِكَايَةِ يُرِيدُ أَنَّهُ يَزْوَجُ مِنْهَا وَلَكِنْ زَوْجَتُهُ  
 وَذَكَرَ وَقَاتَهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا وَجَاءَهُ أَنَّ عِيسَى يَمُوتُ بِالْمَدِينَةِ وَيُدْفَنُ إِلَى جَانِبِ عُمَرَ  
 ابْنِ الْخَطَّابِ وَجَاءَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ يُحْشَرَانِ بَيْنَ نَبِيَيْنِ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاطِلٍ وَالشَّيْخَةُ  
 تَقُولُ إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ مَسِيحُ الْمَسَاحِجِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ قُلْتُ وَعَلَيْهِ حَمَلُ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ  
 حَدِيثٌ لَا مَهْدِي إِلَّا عِيسَى أَيْ لَا يَكُونُ مَهْدِي إِلَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي نَسَبَتْهُ إِلَى الشَّرِيعَةِ  
 الْحَمْدِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمُسَوِيَّةِ فِي الْإِتْبَاعِ وَعَدَمِ النَّسَخِ إِلَى كَلَامِهِ  
 مِنْ أَمْثَالِ هَذَا يُعَيِّنُونَ فِيهِ الْوَفْقَ وَالرَّجُلَ وَالْمَكَانَ بِأَدْلَةٍ وَاهِيَةٍ وَتَحْكُمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ  
 فَيَقْضِي الزَّمَانَ وَلَا أَثَرَ لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ فَيَرْجِعُونَ إِلَى تَجْدِيدِ رَأْيِ آخَرٍ مُتَحَلٍّ كَمَا  
 تَرَاهُمْ مِنْ مَقُومَاتٍ لِقَوِيَّةٍ وَأَشْيَاءَ مُخَيَّلِيَةٍ وَأَحْكَامٍ تُجَوِّمِيَّةٍ فِي هَذَا انْقَضَتْ أَعْمَارُ الْأَوَّلِ  
 مِنْهُمْ وَالْآخِرِ وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ الَّذِينَ عَصَرْنَاهُمْ فَأَكْثَرُهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى ظُهُورِ رَجُلٍ  
 مُجَدِّدٍ لِأَحْكَامِ الْعَالَمِ وَمَرَامِهِ الْحَقِّ وَيَعَيِّنُونَ ظُهُورَهُ لِمَا قُرْبَ مِنْ عَصَرِنَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ  
 مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَبَعْضُهُمْ يُطْلِقُ الْقَوْلَ فِيهِ سَمِعْنَاهُ مِنْ جَمَاعَةٍ أَكْثَرُهُمْ أَبُو يَعْقُوبَ الْبَادَمِيُّ  
 كَبِيرُ الْأَوَّلِيَاءِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَأَخْبَرَنِي عَنْهُ حَافِظُهُ صَاحِبُنَا  
 أَبُو يَعْقُبٍ زَكَرِيَّا عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيِّ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَدْكُورِ  
 هَذَا آخِرُ مَا أَطْلَعْنَا عَلَيْهِ أَوْ بَلَّغْنَا مِنْ كَلَامِهِ هُوَ لَا الْمُتَصَوِّفَةَ وَمَا أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ  
 مِنْ أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ قَدْ اسْتَوْفَيْنَا جَمِيعَهُ بِمَبْلَغٍ طَائِفَتَنَا وَالْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَرَّرَ  
 لَدَيْكَ أَنَّهُ لَا نَتَمَّ دَعْوَةُ مِنَ الدِّينِ وَالْمَلِكِ إِلَّا بِوُجُودِ شَوْكَةِ عَصِيَّةٍ تُظَاهِرُهُ وَتُدَافِعُ  
 عَنْهُ مِنْ يَدْفَعُهُ حَتَّى يَتِمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ وَقَدْ قَرَرْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ الَّتِي  
 أَرَيْنَاكَ هُنَاكَ وَعَصِيَّةُ الْفَاطِمِيِّينَ بَلْ وَفُرِشَ أَجْمَعَ قَدْ تَلَاسَتْ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَوُجِدَ  
 أَسْمَ آخَرُونَ قَدْ اسْتَعْلَتْ عَصِيَّتُهُمْ عَلَى عَصِيَّةِ فُرُشٍ إِلَّا مَا بَقِيَ بِالْحِجَازِ فِي مَكَّةَ وَيَنْبَغِي  
 بِالْمَدِينَةِ مِنَ الطَّالِبِينَ مِنْ بَنِي حَسَنِ وَبَنِي حُسَيْنٍ وَبَنِي جَعْفَرٍ وَهُمْ مُنْشَرُونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ  
 وَغَالِبُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَصَائِبُ بَدْوِيَّةٍ مُتَفَرِّقُونَ فِي مَوَاطِنِهِمْ وَإِمَارَاتِهِمْ وَآرَائِهِمْ يَتَلَفُّونَ  
 الْأَفَاقَ مِنَ الْكَثَرَةِ فَإِنْ مَعَ ظُهُورِ هَذَا الْمَهْدِيِّ فَلَا وَجْهَ لظُهُورِ دَعْوَتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ  
 مِنْهُمْ وَيُؤَيِّتُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي اتِّبَاعِهِ حَتَّى تَتِمَّ لَهُ شَوْكَةُ وَعَصِيَّةُ وَاهِيَةٌ بِإِظْهَارِ

كَلِمَتِهِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَأَمَّا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ مِثْلُ أَنْ يَدْعُو فَاطِمِي مِنْهُمْ إِلَى  
مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَفْئِي مِنَ الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ عَصِيَّةٍ وَلَا شَوْكَةٍ إِلَّا تَجَرَّدَ نِسْبَةٍ فِي أَهْلِ  
الْبَيْتِ فَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ وَلَا يُمَكِّنُ لِمَا اسْتَفَنَاهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ الصَّحِيحَةِ وَأَمَّا مَا تَدْعِيهِ الْعَامَّةُ  
وَالْأَعْمَارُ مِنَ الدَّهْمَاءِ مِمَّنْ لَا يَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَقْلِ يَهْدِيهِ وَلَا عِلْمٍ يُفِيدُهُ فَيُجِيبُونَ  
ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَفِي غَيْرِ مَكَانٍ ثَقِيلًا لِمَا اشْتَهَرَتْ مِنْ ظُهُورِ فَاطِمِيٍّ وَلَا يَلْمُونَ  
حَقِيقَةَ الْأَمْرِ كَمَا يَنْبَغُ وَأَكْثَرُ مَا يُجِيبُونَ فِي ذَلِكَ الْقَاصِيَةَ مِنَ الْمَمَالِكِ وَأَحْزَانِ  
الْعُمُرَانِ مِثْلُ الزَّوَابِ بِأَفْرِيقَةِ وَالسُّوسِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْ ضُعْفَاءِ الْبَصَائِرِ  
يَقْصِدُونَ رِبَاطًا بِمَاسَةٍ لِمَا كَانَ ذَلِكَ الرِّبَاطُ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْمُتَلَمِّينَ مِنْ كِدَالَةِ وَاعْتِقَادِهِمْ  
أَنَّهُ مِنْهُمْ أَوْ قَائِمُونَ بِدَعْوَتِهِ زَعْمًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ إِلَّا غَرَابَةُ تِلْكَ الْأُمْرِ وَبَعْدَهُمْ عَنْ  
يَقِينِ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِهَا مِنْ كَثَرَةِ أَوْ قِلَّةِ أَوْ ضَعْفِ أَوْ قُوَّةِ وَلِبُعْدِ الْقَاصِيَةِ عَنْ مَنَالِ  
الدَّلِيلِ وَخُرُوجِهَا عَنْ نِطَاقِهَا فَتَقَوَّى عِنْدَهُمُ الْأَوْعَامُ فِي ظُهُورِهِ هُنَاكَ بِخُرُوجِهِ عَنْ رِبْقَةِ  
الدَّلِيلِ وَمَنَالِ الْأَحْكَامِ وَالْقَهْرِ وَلَا تَعْصُولُ لَدَيْهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا هَذَا وَقَدْ يَقْصِدُ ذَلِكَ  
الْمَوْضِعَ كَثِيرٌ مِنْ ضُعْفَاءِ الْقَوْلِ لِلتَّلَاسِ بِدَعْوَةِ بَيْتِهِ تَمَامَهَا وَسَوَاسِهَا وَحُمَقًا وَقَتْلَ  
كَثِيرٍ مِنْهُمْ اخْبَرَنِي شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَبْلِيَّ قَالَ خَرَجَ رِبَاطًا مَاسَةً لِأَوَّلِ  
الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَعَصَرَ السُّلْطَانُ يُونُسُ بْنُ يَعْقُوبَ رَجُلٌ مِنْ مُتَعَلِّي التَّصَوُّفِ يُعْرَفُ  
بِالتَّوَيُّزِيِّ نِسْبَةً إِلَى تَوَزَّرَ مُصَغَّرًا وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنْتَظَرُ وَاتَّبَعَهُ الْكَثِيرُ مِنْ  
أَهْلِ السُّوسِ مِنْ ضَالَّةٍ وَكَرْوَلةٍ وَعَظُمَ أَمْرُهُ وَخَافَهُ رُؤَسَاءُ الْمَصَامِدَةِ عَلَى أَمْرِهِمْ فَدَسَّ  
عَلَيْهِ السَّكْسُوسِيُّ مِنْ قَتْلِهِ بَنَاتًا وَأَتَمَّلَ أَمْرُهُ وَكَذَلِكَ ظَهَرَ فِي عِمَارَةٍ فِي آخِرِ الْمِائَةِ  
السَّابِعَةِ وَعَشْرِ التَّسْعِينَ مِنْهَا رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْعَبَّاسِ وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ وَاتَّبَعَهُ الدَّهْمَاءُ  
مِنْ عِمَارَةٍ وَدَخَلَ مَدِينَةَ فَاسَ عُنُوةً وَحَرَّقَ أَسْوَاقَهَا وَأَزْهَلَ إِلَى بَلَدِ الْمَرْمَةِ فَقَتَلَ بِهَا  
غِيلَةً وَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ وَاخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْمَذْكُورُ بِغَرِيبَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا  
وَهُوَ أَنَّهُ صَحِبَ فِي حِجَّةٍ فِي رِبَاطِ الْعِبَادِ وَهُوَ مَدْفَنُ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ فِي جَبَلِ تَلْمَسَانَ  
الْمُطَّلِ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ سُكَّانِ كَرْبَلَاءَ كَانَ مَتَّبِعًا كَثِيرًا تَلْمِيزًا  
وَأَخْلَادًا قَالَ وَكَانَ الرِّجَالُ مِنْ مَوْطِنِهِ يَتْلَقُونَهُ بِالْتَفَاتٍ فِي أَكْثَرِ الْبُلْدَانِ قَالَ  
وَتَا كُنْتُ الصُّحْبَةَ يَنْتَابُ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَأَنْكَشَفَ لِي أَمْرُهُمْ وَأَنْتَهُمْ إِنَّمَا جَلَوْا

مِنْ مَوَاطِنِهِمْ يَكْرَهُ بِلَاءَ لَطَلَبِ هَذَا الْأَمْرِ وَاتِّحَالِ دَعْوَةِ الْفَاطِمِيِّ بِالْمَغْرِبِ فَلَمَّا عَيْنَ  
 دَوْلَةَ بَنِي مُرَيْنَ وَيُوصَفُ بْنُ يَعْقُوبَ يَوْمَئِذٍ مُتَارِلٌ تَلَمَّسَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَرْجِعُوا فَقَدْ  
 أَرَزَى بِنَا الْغَلَطُ وَلَيْتَ هَذَا الْوَقْتُ وَقَفْنَا وَبَدَّلُ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عَلَى أَنَّهُ  
 مُسْتَبْصِرٌ فِي أَنْ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَةِ الْمُكَافَأَةِ لِأَهْلِ الْوَقْتِ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ  
 غَرِيبٌ فِي هَذِهِ الْأَوْطَانِ وَلَا شَوْكَ لَهُ وَأَنَّ عَصِيَّةَ بَنِي مُرَيْنَ لِنَظَرِ الْقَهْدِ لَا بِقَاوِمِهَا أَحَدٌ  
 مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ اسْتَكَانَ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ وَأَقْصَرَ عَنْ مَطَامِعِهِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ  
 أَنَّ عَصِيَّةَ الْفَوَاطِمِ وَفُرَيْشٍ أَجْمَعَ قَدْ ذَهَبَتْ لَا سِمَاعًا فِي الْمَغْرِبِ إِلَّا أَنَّ الْعَصَبَ  
 لِشَأْنِهِ لَمْ يَزُكْ لِهَذَا الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَدْ كَانَتْ بِالْمَغْرِبِ إِيْلَهُ  
 الْأَصُورِ الْقَرِيبَةِ نَزْعَةٌ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِالسُّنَّةِ لَا يَنْتَحِلُونَ فِيهَا دَعْوَةَ الْفَاطِمِيِّ  
 وَلَا غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يَتَزَعُ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ الْوَاحِدُ فَالْوَاحِدُ إِلَى إِقَامَةِ السُّنَّةِ  
 وَتَقْبِيرِ الْمُنْكَرِ وَبَعْنِي بِذَلِكَ وَيَكْثُرُ تَابِعُهُ وَكَثُرَ مَا يُعْتَوْنَ بِإِصْلَاحِ السَّائِلَةِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ فَسَادِ الْأَعْرَابِ فِيهَا لِمَا قَدْ سَنَاهُ مِنْ طَبِيعَةِ مَعَاشِهِمْ فَيَأْخُذُونَ فِي تَغْيِيرِ  
 الْمُنْكَرِ بِمَا اسْتَطَاعُوا إِلَّا أَنَّ الصِّفَةَ الدِّينِيَّةَ فِيهِمْ لَمْ تَسْتَحْكَمْ لِمَا أَنَّ تَوْبَةَ الْعَرَبِ  
 وَرُجُوعَهُمْ إِلَى الدِّينِ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ بِهَا الْإِقْصَارَ عَنِ الْغَارَةِ وَالنَّهْبِ لَا بِعَقْلٍ فِي تَوْبَتِهِمْ  
 وَإِقْبَالِهِمْ إِلَى مَنَاحِي الدِّيَانَةِ غَيْرَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا الْمَعْصِيَةُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قَبْلَ الْمَقْرُبَةِ وَمِنْهَا  
 تَوْبَتُهُمْ فَتَجِدُ ذَلِكَ الْمُنْتَحِلَ لِلدُّعَاةِ وَالْقَائِمِ بِزَعْمِهِ بِالسُّنَّةِ غَيْرَ مُتَعَمِّقِينَ فِي فُرُوعِ  
 الْإِقْتِدَاءِ وَالْإِتْبَاعِ إِنَّمَا دِينُهُمُ الْأَعْرَاضُ عَنِ النَّهْبِ وَالْبَغْيِ وَإِفْسَادِ السَّائِلَةِ ثُمَّ  
 الْأَقْبَالُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْمَعَاشِ بِأَقْصَى جُهِدِهِمْ وَشَتَّى بَيْنَ هَذَا الْأَجْرِ مِنْ إِصْلَاحِ  
 الْخَلْقِ وَمِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا فَاتَّفَقَهُمَا مُنْتَحِلٌ لَا تَسْتَحْكَمْ لَهُ صِفَةُ فِي الدِّينِ وَلَا يَكْمُلُ  
 لَهُ نَزْوَعٌ عَنِ الْبَاطِلِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَلَا يَكْثُرُونَ وَيَخْتَلِفُ حَالُ صَاحِبِ الدُّعَاةِ مَعَهُمْ فِي  
 اسْتِحْكَامِ دِينِهِ وَوَلَايَتِهِ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَابِعِهِ فَإِذَا هَلَكَ أَتَحَلَّ أَمْرُهُمْ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ  
 وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بِأَفْرِيقَةِ رَجُلٍ مِنْ كَتَبِ مِنْ سُلَيْمٍ يُسَمَّى قَالِمٍ بْنُ مَرْوَةَ بْنِ أَحْمَدَ فِي  
 الْمِائَةِ السَّابِعَةِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ آخَرٌ مِنْ بَادِيَةِ رِيَّاحٍ مِنْ بَطْنِ مِنْهُمْ يُعْرَفُونَ بِمُسْلَمٍ  
 وَكَانَ يُسَمَّى سَعَادَةَ وَكَانَ أَشَدَّ دِينًا مِنَ الْأَوَّلِ وَأَقْوَمَ طَرِيقَةً فِي نَفْسِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ  
 يَسْتَبِأْ أَمْرُ تَابِعِهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ حَسْبَمَا بَأَيِّ ذِكْرٍ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَ ذِكْرِ قَبَائِلِ

سَلِيمٍ وَرِيَّاحٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نَاسٌ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ يَتَشَبَّهُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيَلْسُونُ فِيهَا وَيَتَحَلُّونَ أَسْمَهُ السَّنَةِ وَلَيْسُوا عَلَيْهَا إِلَّا الْأَقْلَ فَلَا يَتِمُّ لَهُمْ وَلَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ . انتهى

### الفصل الثالث والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن معنى الجفر

إِعْلَمُ أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ النَّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ التَّشَوُّقَ إِلَى عَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ وَعِلْمَ مَا يَحْدُثُ لَهُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ سِيمَا الْحَوَادِثِ الْعَامَّةِ كَمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَعْرِفَةِ مَدَدِ الدُّوَلِ أَوْ تَفَاوُثِهَا وَالتَّطَلُّعَ إِلَى هَذَا طَبِيعَةٌ مَجْبُولُونَ عَلَيْهَا وَلِلذَلِكَ تَجِدُ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَتَامِ وَالْأَخْبَارِ مِنَ الْكُتُبِ لِمَنْ فَصَلَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوْفِيَّةِ مَعْرُوفَةٌ وَقَدْ تَجِدُ فِي الْمَدُنِ صِنْفَانِ النَّاسِ يَتَحَلُّونَ الْمَعَاشَ مِنْ ذَلِكَ لِإِحْلَاسِهِمْ بِحَرَمِ النَّاسِ عَلَيْهِ فَيَنْتَصِبُونَ لَهُمْ فِي الطَّرَفَاتِ وَالْأَكْبَادِ يَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَتَقْدُو عَلَيْهِمْ وَتَرْوَحُ نِسْوَانُ الْمَدِينَةِ وَصِبَانُهَا وَكَثِيرٌ مِنْ ضُعَفَاءِ الْقَوْلِ يَسْتَكْشِفُونَ عَوَاقِبَ أَمْرِهِمْ فِي الْكُتُبِ وَالْجَاهِ وَالْمَعَاشِ وَالْمَعَاشِرَةِ وَالْعَادَوَةِ وَأَمثال ذلك مَا بَيْنَ خَطَرٍ فِي الرَّمْلِ وَيُسْمَوْنَ الْعُجَمَ وَطَرَقَ بِالْحَصِي وَالْحُجُوبِ وَيُسْمَوْنَ الْحَاسِبَ وَتَنْظَرُ فِي الْحَرَابِ وَالْمَيَاةِ وَيُسْمَوْنَ ضَارِبَ الْمَنْدَلِ وَهُوَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْقَائِيَةِ فِي الْأَمْصَارِ لِمَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ الْبَشَرُ تَحْجُوبُونَ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا مَنْ أطلعه الله عليه مِنْ عِنْدِهِ فِي نَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ وَأَكْثَرُ مَا بَعَثَنِي بِذَلِكَ وَيَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْمُلُوكُ فِي أَمَادِ دَوْلَتِهِمْ وَلِلذَلِكَ أَنْصَرَفَتِ الْعِنَايَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَكُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ يُوجَدُ لَهُمْ كَلَامٌ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مُنْجِمٍ أَوْ وَبِيٍّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ مُلْكٍ يَرْتَقِبُونَهُ أَوْ دَوْلَةٍ يَحْدِثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا وَمَا يَحْدُثُ لَهُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَالْمَلَّاحِمِ وَمُدَّةِ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَعَدَدِ الْمُلُوكِ فِيهَا وَالتَّعَرُّضِ لِأَسْمَائِهِمْ وَيُسَمَّى مِثْلُ ذَلِكَ الْخُدَّائِ وَكَانَ فِي الْعَرَبِ الْكُتُبَانُ وَالْعَرَّافُونَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرُوا بِمَا سَيَكُونُ الْعَرَبِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْدَّوْلَةِ كَمَا وَقَعَ لَشَقٍّ وَسَطِيعٍ فِي تَاوِيلِ رُؤْيَا رَيْبَعَةَ بْنِ نَصْرٍ مِنْ مُلُوكِ الْبَلَمَنْ أَخْبَرَهُمْ بِمُلْكِ الْحَبْشَةِ بِإِلَادِهِمْ ثُمَّ رُجِعَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ ظَهَرَ الْمُلْكُ وَالْدَّوْلَةُ لِلْعَرَبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ



تَأْوِيلُ سَطِيحِ لِرُؤْيَا الْمُؤْبَدَانِ حَيْثُ بَعَثَ إِلَيْهِ كَسْرَى بِهَا مَعَ عَبْدِ الْمَسِيحِ وَأَخْبَرَهُمْ  
يُظْهِرُ دَوْلَةَ الْعَرَبِ وَكَذَا كَانَ فِي جِيلِ الْبَرِّ كَهَانَ مِنْ أَشْهُرِهِمْ مُوسَى بْنُ صَالِحٍ مِنْ  
بَنِي يَفْرَنْ وَيُقَالُ مِنْ عَمْرَةٍ لَهُ كَلِمَاتٌ حَدَّثَانِي عَلَى طَرِيقَةِ الشَّعْرِ بِرِطَانَتِهِمْ وَفِيهَا حَدَّثَانِ  
كَثِيرٌ وَمُعْظَمُهُ فِيمَا يَكُونُ لِرِزَانَةِ مِنَ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ بِالْمَغْرِبِ وَهِيَ مُدَاوَلَةٌ بَيْنَ  
أَهْلِ الْجِيلِ وَهُمْ يَزْعُمُونَ تَارَةً أَنَّهُ وَلِيٌّ وَتَارَةً أَنَّهُ كَاهِنٌ وَقَدْ يَزْعُمُ بَعْضُ زَعِيمِهِمْ أَنَّهُ  
كَانَ نَبِيًّا لِأَنَّ تَارِيخَهُ عِنْدَهُمْ قَبْلَ الْفُجْرَةِ يَكْثِيرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ يَسْتَدُ الْجِيلُ إِلَى  
خَبَرِ الْأَنْبِيَاءِ إِنْ كَانَ لِعَهْدِهِمْ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّ أَنْبِيَاءَهُمُ الْمُتَعَايِينَ فِيهِمْ  
كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ بِمِثْلِهِ عِنْدَمَا يَسْأَلُونَهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَوَقَعَ  
مِنْهُ كَثِيرٌ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى بَقَاءِ الدُّنْيَا وَمَدَّتِهَا عَلَى الْعُمُومِ وَفِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الدَّوْلَةِ وَأَعْمَارِهَا  
عَلَى الْخُصُوصِ وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ فِي مَنْ صَدَرَ الْإِسْلَامُ لِأَثَارِ مَقُولَةٍ عَنِ الصَّحَابَةِ  
وْخُصُوصًا مَسْلَمَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ كَتَبِ الْأَحْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مَنِيَّةٍ وَأَمَّا هَلْهَا وَرُبَّمَا  
أَقْبَسُوا بَعْضُ ذَلِكَ مِنْ ظَوَاهِرِ مَا ثَوَّرَهُ وَتَأْوِيلَاتِ مُخْتَلَفَةٍ وَوَقَعَ لِحَفَظِهِ وَأَمَّا هَلْ مِنْ أَهْلِ  
الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَنْدٌ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْكَشْفُ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْوَلَايَةِ وَإِذَا  
كَانَ مِثْلُهُ لَا يَنْكُرُ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوَّلِيَاءِ فِي ذَوْبِهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ فِيكُمْ مَعْدَنِينَ فَهُمْ أَوَّلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الرُّتَبِ الشَّرِيفَةِ وَالْكَرَامَاتِ  
الْمَوْهُوبَةِ وَأَمَّا بَعْدَ صَدْرِ الدَّلِيلِ وَحَبِثَ عِلْقُ النَّاسِ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَصْطِلَاحَاتِ  
وَتُرْجِمَتْ كُتُبُ الْحُكْمَاءِ إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْثَرُ مُعْتَمِدِهِمْ فِي ذَلِكَ كَلَامُ  
الْمُنْجِمِينَ فِي الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِنَ الْفَرَائِدِ وَفِي التَّوَالِيدِ وَالْمَسَائِلِ  
وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ مِنَ الطَّوَالِعِ لَهَا وَهِيَ شَكْلُ الْفَلَكَ عِنْدَ حَدُوثِهَا فَلَمَّا كَرَى الْآنَ  
مَا وَقَعَ لِأَهْلِ الْأَثَرِ فِي ذَلِكَ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى كَلَامِ الْمُنْجِمِينَ أَمَّا أَهْلُ الْأَثَرِ فَلَهُمْ فِي  
مُدَّةِ اللَّيْلِ وَبَقَاءِ الدُّنْيَا عَلَى مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ الشَّهْرِ فَلِئَلَّا تَقُلَ عَنِ الطَّبَرِيِّ مَا  
يَقْتَضِي أَنَّ مُدَّةَ بَقَاءِ الدُّنْيَا مِنْذُ الْمِلَّةِ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ وَنَقِصُ ذَلِكَ يَظْهَرُ كَلِمَتِهِ وَمُسْتَدُّ  
الطَّبَرِيِّ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الدُّنْيَا جُمُعَةٌ مِنْ جُمُعِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يَذْكُرْ  
لِذَلِكَ دَلِيلًا وَسَمِعَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ تَقْدِيرُ الدُّنْيَا بِأَيَّامِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهِيَ سَبْعَةٌ  
ثُمَّ الْيَوْمُ بِأَنْفِ سَنَةِ لِقَوْلِهِ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي

الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ  
 مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَقَالَ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِالسَّابِقَةِ  
 وَالْوَسْطَى وَقَدَّرَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ حِينَ صَبْرُورَةِ ظِلِّ كُلِّ شَيْءٍ  
 مِثْلِيهِ يَكُونُ عَلَى الْقَرِيبِ نِصْفَ سَاعٍ وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْوَسْطَى عَلَى السَّابِقَةِ فَتَكُونُ هَذِهِ  
 الْمُدَّةُ نِصْفَ سَاعٍ الْجُمُعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ وَبُؤْيِدُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَنْ يُغَيَّرَ اللَّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةُ نِصْفَ يَوْمٍ قَدْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا قَبْلَ الْمِلَّةِ  
 خَمْسَةُ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنِيَّةٍ أَنَّهَا خَمْسَةُ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةِ سَنَةٍ أَغْنَى  
 الْمَاعِيَّ وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا كُلُّهَا سِتَّةُ آلَافٍ سَنَةٍ قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثَيْنِ  
 مَا يَشْهَدُ لشيءٍ بِمَا ذَكَرَهُ مَعَ وَقُوعِ الْوُجُودِ بِخِلَافِهِ فَأَمَّا قَوْلُهُ لَنْ يُغَيَّرَ اللَّهُ أَنْ  
 يُؤَخَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةُ نِصْفَ يَوْمٍ فَلَا يَقْتَضِي نَقْيَ الزِّيَادَةِ عَلَى النِّصْفِ وَأَمَّا قَوْلُهُ بُعِثْتُ  
 أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ فَإنَّمَا فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْقُرْبِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ  
 وَلَا شَرَعٌ غَيْرُ شَرْعِهِ ثُمَّ رَجَعَ السُّهَيْلِيُّ إِلَى تَعْيِينِ أَمَدِ الْمِلَّةِ مِنْ مَدْرَكِ آخِرِ لَوْ سَاعَهُ  
 التَّخْفِيقُ وَهُوَ أَنَّهُ جَمَعَ الْحُرُوفَ الْمُقْطَعَةَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ بَعْدَ حَذْفِ الْمُكَرَّرِ قَالَ  
 وَهِيَ أَرْبَعَةُ عَشَرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ (الْمِ يَسْطَعُ نَصِ حَقِ كَرُو) فَأَخَذَ عَدَدَهَا بِحِسَابِ  
 الْجَمَلِ فَكَانَ سَبْعِمِائَةً وَثَلَاثَةً<sup>(١)</sup> أَضَافَهُ إِلَى الْمُنْقَضِي مِنَ آلَافِ الْآخِرِ قَبْلَ بُعْثِهِ  
 فَهَذِهِ فِي مُدَّةِ الْمِلَّةِ قَالَ وَلَا يَعْدُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَقَوَائِدِهَا  
 قُلْتُ وَكَوْنُهُ لَا يَعْدُ لَا يَقْتَضِي ظُهُورَهُ وَلَا التَّعْوِيلَ عَلَيْهِ وَالَّذِي حَمَلَ السُّهَيْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هُوَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السِّيرِ لِابْنِ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُخْطَبٍ مِنْ أَجَارِ الْيَهُودِ  
 وَهُمَا أَبُو بَاسِرٍ وَأَخُوهُ حَيْثُ حِينَ سَمِعَا مِنَ الْأَحْرَفِ الْمُقْطَعَةِ أَلَمْ وَتَا وَلَا هَا عَلَى يَكَانَ  
 الْمُدَّةُ بِهَذَا الْحِسَابِ قَبْلَتْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فَاسْتَقْلَا الْمُدَّةَ وَجَاءَ حَيْثُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَأَلِهِ هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ فَقَالَ الْمَصْنُوعُ ثُمَّ اسْتَزَادَ الرَّثْمُ ثُمَّ اسْتَزَادَ الْمَرْفَ فَكَانَتْ  
 إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَاسْتَطَالَ الْمُدَّةَ وَقَالَ قَدْ لَيْسَ عَلَيْنَا أَمْرٌ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى  
 لَا تَنْدُرِي أَقْلِيلًا أَعْطَيْتِ أَمْ كَثِيرًا ثُمَّ ذَهَبُوا عَنْهُ وَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَاسِرٍ مَا يَذَرِيكُمْ  
 لَعَلَّهُ أَعْطَى عَدَدَهَا كُلُّهَا تِسْعِمِائَةً وَأَرْبَعِ سِنِينَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ قَدْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْهُ

آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ وَلَا يَقُومُ مِنَ الْقَصَةِ دَلِيلٌ عَلَى  
 تَفْهِيمِ الْمَلَةِ بِهَذَا الْعَدَدِ لِأَنَّ دَلَالَهَ هَذِهِ الْحُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَعْدَادِ لَيْسَتْ طَبِيعِيَّةً وَلَا  
 عَقْلِيَّةً وَإِنَّمَا هِيَ بِالْوَضْعِ وَالْإِصْطِلَاحِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ حِسَابَ الْجَمَلِ نَعَمْ إِنَّهُ قَدِيمٌ  
 مَشْهُورٌ وَقَدِيمُ الْإِصْطِلَاحِ لَا يَصِيرُ حُجَّةً وَلَيْسَ أَبُو بَايَرٍ وَأَخُوهُ حَيٌّ مِمَّنْ يُؤْخَذُ رَأْيُهُ  
 فِي ذَلِكَ دَلِيلًا وَلَا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بَادِيَةً بِالْحِجَازِ غَفْلَةً عَنِ الصَّنَائِعِ  
 وَالْعُلُومِ حَتَّى عَنْ عِلْمِ شَرِيعَتِهِمْ وَفَقِهِ كِتَابِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَإِنَّمَا يَتَّفِقُونَ مِثْلَ هَذَا الْحِسَابِ  
 كَمَا تُلَقِّفُهُ الْعَوَامُّ فِي كُلِّ مَلَةٍ فَلَا يَنْهَضُ السُّبُّلِيُّ دَلِيلٌ عَلَى مَا ادَّعَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَعَ  
 فِي الْمَلَةِ فِي حَدَثَانِ دَوَّلَتِهَا عَلَى الْخُصُوصِ مُسْنَدٌ مِنَ الْأَثَرِ إِجْمَالِيٌّ فِي حَدِيثِ خُرَاجِهِ  
 أَبُو دَاوُدَ عَنْ حَدِيثِهِ بَنِي الْيَمَانِ مِنْ طَرِيقِ شَيْخِهِ تَحْمِيدِ بْنِ يَعْقُبَ الدَّقْبِيَّ عَنْ سَعِيدِ  
 ابْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرْوَجَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي قَبِيصَةَ بْنِ  
 ذُو بَيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ حَدِيثُهُ بَنِي الْيَمَانِ وَأَنَّهُ مَا أَدْرِي أَنِّي أَعْلَمُ بِأَمْرِ تَنَاسُوهُ  
 وَأَنَّهُ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدٍ فَتَنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا لَا يَبْلُغُ مِنْ  
 مَعَهُ ثَلَاثِينَ قَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ مَمَّاهُ بِأَسْمِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ وَفِيْلَتِهِ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَقَدْ  
 تَقَدَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي رِسَالَتِهِ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ وَهَذَا الْحَدِيثُ إِذَا كَانَ  
 صَحِيحًا فَهُوَ يُجْعَلُ وَيُتَقَرَّرُ فِي بَيَانِ إِجْمَالِهِ وَتَعْيِينِ مُبْهَمَاتِهِ إِلَى أَنْ تَأْتِيَ أُخْرَى يَجُودُ  
 أَصَابِيهَا وَقَدْ وَقَعَ إِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ كِتَابِ الشُّنَنِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ فَوَقَعَ  
 فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ حَدِيثِهِ أَيْضًا قَالَ نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيئًا  
 فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَلَّتْ عَنْهُ حِفْظُهُ مِنْ حِفْظِهِ وَنَسِيَهُ  
 مِنْ نَسِيهِ قَدْ عَلَّمَهُ أَحْجَاهُ هَذَا ۚ وَلَقَدْ الْبُخَارِيُّ مَا تَرَكَ شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا  
 ذَكَرَهُ وَفِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ يَنْهَارًا ثُمَّ قَامَ خَطِيئًا فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ  
 إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ حِفْظُهُ مِنْ حِفْظِهِ وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيهِ ۚ وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا تَحْمُولَةٌ عَلَى مَا  
 نَبَّهَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ وَالْأَشْرَاطِ لَا غَيْرَ لِأَنَّهُ الْمَعْمُودُ مِنَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ التَّحْمُولَاتِ وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الَّتِي تَقَرَّرُ بِهَا أَبُو دَاوُدَ فِي  
 هَذِهِ الطَّرِيقِ شَاذَةٌ مُنْكَرَةٌ مَعَ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ائْتَفَقُوا فِي رِجَالِهِ فَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ فِي

ابْنُ فَرُوحٍ أَحَادِيثُهُ مَنَّا كَثِيرٌ وَقَالَ الْبُخَارِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ وَيُنْكِرُ وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ  
 أَحَادِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَوَقَّعَهُ ابْنُ مَعِينٍ  
 فَإِنَّمَا خَرَجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا وَضَعْفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ ابْنُ  
 حَاتِمٍ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يَمْتَنِعُ بِهِ وَأَبُو قَبِيصَةَ ابْنُ دُؤَيْبٍ مَجْبُولٌ فَتَضَعُفُ هَذِهِ الزِّيَادَةُ  
 الَّتِي وَقَعَتْ لِأَبِي دَاوُدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ مَعَ شَذُوذِهَا كَمَا مَرَّ . وَقَدْ  
 يَسْتَنِدُونَ فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ عَلَى الْخُصُوصِ إِلَى كِتَابِ الْجَعْفَرِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ فِيهِ عِلْمَ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ مِنْ طَرِيقِ الْأَثَارِ وَالْجُودِ لَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْرِفُونَ أَصْلَ ذَلِكَ وَلَا  
 مُسْتَنَدَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ كِتَابَ الْجَعْفَرِ كَانَ أَصْلُهُ أَنَّ هَارُونَ بْنَ سَعِيدٍ الْجَعْفَرِيُّ وَهُوَ رَأْسُ  
 الزُّبَيْدِيَّةِ كَانَ لَهُ كِتَابٌ يَرْوِيهِ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَفِيهِ عِلْمٌ مَا سَيَقُفُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَى  
 الْعُمُومِ وَلِبَعْضِ الْأَخْصَاصِ مِنْهُمْ عَلَى الْخُصُوصِ وَقَعَ ذَلِكَ لِلْجَعْفَرِ وَنَظَائِرِهِ مِنْ رِجَالِهِمْ  
 عَلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ وَالْكَسَفِ الَّذِي يَقَعُ لِمِثْلِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَانَ مَكْتُوبًا عِنْدَ  
 جَعْفَرٍ فِي جِلْدِ ثَوَرٍ صَغِيرٍ فَرَوَاهُ عَنْهُ هَارُونَ الْجَعْفَرِيُّ وَكَتَبَهُ وَسَمَّاهُ الْجَعْفَرُ بِاسْمِ الْخَلِائِدِ  
 الَّذِي كُتِبَ فِيهِ لِأَنَّ الْجَعْفَرُ فِي اللَّغَةِ هُوَ الصَّغِيرُ وَصَارَ هَذَا الْإِسْمُ عَلَمًا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ  
 عِنْدَهُمْ وَكَانَ فِيهِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ مِنْ غَرَائِبِ أَلْهَامِي مَرْوِيَّةٍ عَنْ جَعْفَرٍ  
 الصَّادِقِ وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ تَحْصِلْ رِوَايَتُهُ وَلَا عُرِفَ عَيْنُهُ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ مِنْهُ شَوَاطِئُ مِنَ  
 الْكَلِمَاتِ لَا يَصْحَبُهَا دَلِيلٌ وَلَوْ صَحَّ السَّنَدُ إِلَى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ لَكَانَ فِيهِ نِعَمُ الْمُسْتَنَدِ  
 مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ فَهَبْ أَهْلُ الْكِرَامَاتِ وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُعَذِّرُ بَعْضَ  
 قَرَابَتِهِ بِوَقَائِعِ نَكُونِ لَهُمْ فَتَصَحَّحُ كَمَا يَقُولُ وَقَدْ حَدَّثَ يَحْيَى بْنُ عَمِيرٍ زَيْدٌ مِنْ مَصْرَعِهِ  
 وَعَصَاهُ يَخْرُجُ وَقِيلَ بِالْجُودِ جَانٌ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِذَا كَانَتِ الْكِرَامَةُ تَقَعُ لِغَيْرِهِمْ  
 فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ عِلْمًا وَدِينًا وَأَثَارًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَعَيْنَايَةُ مِنَ اللَّهِ بِالْأَصْلِ الْكَرِيمِ تَشْهَدُ  
 لِفُرُوعِهِ الطَّيِّبَةِ وَقَدْ يُقَالُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ غَيْرُ مَتَّسِقٍ إِلَى  
 أَحَدٍ وَفِي أَخْبَارِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ كَثِيرٌ مِنْهُ وَانْظُرْ مَا حَكَاهُ ابْنُ الرَّقِيقِ فِي لِقَاءِ أَبِي  
 عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْخِيِّ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ وَمَا حَدَّثَاهُ بِهِ وَكَيْفَ  
 بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ دَاعِيَتِهِمْ بِالْيَمَنِ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبَثَّ الدَّعْوَةَ  
 فِيهِ عَلَى عِلْمِهِ لِقَتْنَهُ أَنَّ دَعْوَتَهُ تَمُّ هُنَاكَ وَأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ لَمَّا بَنَى الْمَهْدِيَّةَ بَعْدَ اسْتِغْثَالِ

دَوْلَتِهِمْ بِأَفْرِيقَةٍ قَالَ بَنَيْنَاهُ لِنِعْتَمِ بِهَا الْقَوَاطِمُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَرَاهُمْ مَوْتَفَتْ صَاحِبِ  
 الْحِمَارِ أَبِي يَزِيدَ بِأَهْدِيَّةٍ وَكَانَ يُسَالُ عَنْ مُنْتَهَى مَوْقِفِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْخَبَرُ يُلَوِّغُهُ إِلَى  
 الْمَكَانِ الَّذِي عِنْتَهُ جَدُّهُ أَبُو عَيْدٍ اللَّهُ فَأَقْبَنَ بِالظَّفَرِ وَبَرَزَ مِنَ الْبَلَدِ فَهَرَمَهُ وَاتَّبَعَهُ  
 إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابِ فَظَفَرَ بِهِ وَقَتْلَهُ وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا الْمُتَعَمِّقُونَ فَيَسْتَنْدُونَ  
 فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ إِلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ أَمَّا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِثْلُ الْمُلُوكِ وَالْأَدُولِ  
 فَمِنْ الْقِرَآنَاتِ وَخُصُوصًا بَيْنَ الْعُلَوِّيِّينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلَوِّيِّينَ رُحَلَ وَالْمُشْتَرِيَّ يَقْتَرِنَانِ فِي  
 كُلِّ عِشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ثُمَّ يَبُودُ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجٍ آخَرَ فِي تِلْكَ الْمُثْلَثَةِ مِنَ التَّثْلِيثِ  
 الْأَيْمَنِ ثُمَّ بَعْدَهُ إِلَى آخَرٍ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي الْمُثْلَثَةِ الْوَاحِدَةِ ثِنْتِي عَشْرَةَ  
 مَرَّةً تَسْتَوِي بِرُوحِهِ الثَّلَاثَةُ فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَبُودُ فَيَسْتَوِي بِهَا فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَبُودُ  
 ثَالِثَةً ثُمَّ رَابِعَةً فَيَسْتَوِي فِي الْمُثْلَثَةِ ثِنْتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَأَرْبَعَ عَوْدَاتٍ فِي مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ  
 سَنَةً وَيَكُونُ اتِّقَالُهُ فِي كُلِّ بُرْجٍ عَلَى التَّثْلِيثِ الْأَيْمَنِ وَيَنْتَقِلُ مِنَ الْمُثْلَثَةِ إِلَى الْمُثْلَثَةِ  
 الَّتِي تَلِيهَا أَعْيُ الْبُرْجِ الَّذِي يَلِي الْبُرْجِ الْآخِرَ مِنَ الْقِرَانِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي الْمُثْلَثَةِ وَهَذَا  
 الْقِرَانُ الَّذِي هُوَ قِرَانُ الْعُلَوِّيِّينَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَوَسْطٍ فَالْكَبِيرُ هُوَ أَجْمَاعُ  
 الْعُلَوِّيِّينَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَلَكَ إِلَى أَنْ يَبُودَ إِلَيْهَا بَعْدَ سَعِمَائِيَّةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مَرَّةً  
 وَاحِدَةً وَالْوَسْطُ هُوَ أَقْتِرَانُ الْعُلَوِّيِّينَ فِي كُلِّ مُثْلَثَةٍ اثْنَتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَبَعْدَ مُشْتَبَبٍ  
 وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَنْتَقِلُ إِلَى مُثْلَثَةٍ أُخْرَى وَالصَّغِيرُ هُوَ أَقْتِرَانُ الْعُلَوِّيِّينَ فِي دَرَجَةٍ بُرْجٍ  
 وَبَعْدَ عِشْرِينَ سَنَةً يَقْتَرِنَانِ فِي بُرْجٍ آخَرَ عَلَى تِلْكَ الْأَيْمَنِ فِي مِثْلِ دَرَجَةٍ أَوْ دَقَائِقِهِ  
 مِثَالُ ذَلِكَ وَقَعُ الْقِرَانُ يَكُونُ أَوَّلَ دَقِيقَةٍ مِنَ الْحَمَلِ وَبَعْدَ عِشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ  
 الْأَسَدِ وَهَلِيهِ كُلُّهَا نَارِيَّةٌ وَهَذَا كُلُّهُ قِرَانٌ صَغِيرٌ ثُمَّ يَبُودُ إِلَى أَوَّلِ الْحَمَلِ بَعْدَ سِتِّينَ  
 سَنَةً وَيُسَمَّى دَوْرَ الْقِرَانِ وَعَوْدَ الْقِرَانِ وَبَعْدَ مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَنْتَقِلُ مِنَ النَّارِيَّةِ إِلَى  
 التَّرَابِيَّةِ لِأَنَّهَا بَعْدُهَا وَهَذَا قِرَانٌ وَسْطٌ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْهَوَائِيَّةِ ثُمَّ الْمَائِيَّةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى  
 أَوَّلِ الْحَمَلِ فِي سَعِمَائِيَّةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْقِرَانُ الْكَبِيرُ يَدُلُّ عَلَى عِظَامِ  
 الْأُمُورِ مِثْلَ تَغْيِيرِ الْمُلُوكِ وَالْأَدُولَةِ وَاتِّقَالِ الْمُلُوكِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْوَسْطُ عَلَى ظُهُورِ  
 الْمُتَعَمِّقِينَ وَالطَّالِبِينَ لِلْمُلُوكِ وَالصَّغِيرُ عَلَى ظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَالِدُّعَاةِ وَخَرَابِ الْمَدُنِ أَوْ  
 عُمَرَانِهَا وَيَقَعُ فِي أَتْنَاءِ هَذِهِ الْقِرَآنَاتِ قِرَانُ التَّحْسِينِ فِي بُرْجِ السَّرْطَانِ فِي كُلِّ ثَلَاثِينَ

سَنَةً مَرَّةً وَيُسَمَّى الرَّاجِ وَيُزَجُّ السَّرَطَانُ هُوَ طَالِعُ الْعَالَمِ وَفِيهِ وَبَالَ زُحَلٍ وَهَبُوطُ  
 الْمَرْيَجِ فَتَعُظُمُ دَلَالَةُ هَذَا الْقِرَانِ فِي الْفَتَنِ وَالْحُرُوبِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَظُهُورِ الْخَوَارِجِ  
 وَحَرَكَةِ الْمَسَاكِرِ وَعِصَابَاتِ الْجُنْدِ وَالْوَبَاءِ وَالْقَحْطِ وَيَدُومُ ذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي عَلَى قَدَرِ  
 السَّعَادَةِ وَالنُّحُوسَةِ فِي وَقْتِ قِرَانِهِمَا عَلَى قَدَرِ تَبَسُّيرِ الدَّلِيلِ فِيهِ قَالَ جِرَاسُ بْنُ أَحْمَدَ  
 الْحَاسِبِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلْفَهُ لِنِظَامِ الْمَلِكِ وَرَجُوعِ الْمَرْيَجِ إِلَى الْقَرْبِ لَهَا ثَمَرٌ  
 عَظِيمٌ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلًا فَالْمَوْلِدُ النَّبَوِيُّ كَانَ عِنْدَ قِرَانِ الْعُلُوبَيْنِ  
 بِبُرْجِ الْقَرْبِ فَلَمَّا رَجَعَ هُنَاكَ حَدَّثَ التَّشْوِيشُ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَكَثُرَ الْمَرَضُ فِي أَهْلِ  
 الْعِلْمِ وَالِدِينِ وَنَقَصَتْ أَحْوَالُهُمْ وَرُبَّمَا أَهْدَمَ بَعْضُ بَيُوتِ الْبَيَادَةِ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ  
 عِنْدَ قَتْلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْمَتَوَكِّلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِذَا  
 رُوِعِيَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ مَعَ أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْأَحْكَامِ وَذَكَرَ شَاذَانُ  
 الْبَلْخِي أَنَّ الْمِلَّةَ تَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ وَقَدْ ظَهَرَ كَذِبُ هَذَا الْقَوْلِ وَقَالَ  
 أَبُو مَعْشَرٍ يَظْهَرُ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْهَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ وَقَالَ خِرَاشُ  
 رَأَيْتُ فِي كُتُبِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمُتَّبِعِينَ أَخْبَرُوا كَسْرَى عَنْ مَلِكِ الْعَرَبِ وَظُهُورِ النُّبُوَّةِ  
 فِيهِمْ وَأَنَّ دَلِيلَهُمُ الزُّهْرَةَ وَكَانَتْ فِي شَرْفِهَا فَيَبْقَى الْمَلِكُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقَالَ  
 أَبُو مَعْشَرٍ فِي كِتَابِ الْقِرَانَاتِ الْقِسْمَةُ إِذَا أَنْتَبَتْ إِلَى السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْحَوْتِ فِيهَا  
 شَرْفُ الزُّهْرَةِ وَوَلَعَ الْقِرَانُ مَعَ ذَلِكَ بِبُرْجِ الْقَرْبِ وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ ظَهَرَتْ حِينَئِذٍ  
 دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَكَانَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ وَيَكُونُ قُوَّةُ مُلْكِهِ وَمُدَّتُهُ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ دَرَجَاتِ شَرْفِ  
 الزُّهْرَةِ وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً بِتَقَرُّبٍ مِنْ بُرْجِ الْحَوْتِ وَمُدَّةُ ذَلِكَ سِتِّمِائَةٍ وَعِشْرُ  
 سِنِينَ وَكَانَ ظُهُورُ أَبِي مُسْلِمٍ عِنْدَ انْتِقَالِ الزُّهْرَةِ وَوُقُوعِ الْقِسْمَةِ أَوَّلَ الْحَمَلِ وَصَاحِبُ  
 الْجَدِّ الْمُشْتَرِي وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ إِنَّ مُدَّةَ الْمِلَّةِ تَنْتَهِي إِلَى سِتِّمِائَةٍ  
 وَثَلَاثِ تِسْعِينَ سَنَةً قَالَ لِأَنَّ الزُّهْرَةَ كَانَتْ عِنْدَ قِرَانِ الْمِلَّةِ فِي ثَمَانِ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً  
 وَثَلَاثِينَ دَقِيقَةً مِنَ الْحَوْتِ فَالْبَاقِي إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَمَانِ عَشْرَةَ دَقِيقَةً وَدَقَائِقُهَا  
 سِتُونَ فَيَكُونُ سِتِّمِائَةٍ وَثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ وَهَذِهِ مُدَّةُ الْمِلَّةِ بِاتِّفَاقِ الْحُكَمَاءِ  
 وَبَعْضُهُدُ الْخُرُوفِ الْوَاقِعَةِ فِي أَوَّلِ السُّورِ بِحَذْفِ الْمُكَرَّرِ وَأَعْتَابِهِ بِحِسَابِ الْجَمَلِ  
 قُلْتُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْغَالِبُ أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ مُسْتَنَدُ السُّهَيْلِيِّ فِيمَا تَقْلَنَاهُ

عَنْهُ قَالَ خِرَاشُ سَأَلَ هِرْمُزُ إِفْرِيدَ الْحَكِيمَ عَنْ مُدَّةِ أَرْدَشِيرَ وَوَلَدِهِ مُلُوكِ السَّاسَانِيَّةِ فَقَالَ دَلِيلُ مُلْكِهِ الْمُشْتَرِي وَكَانَ فِي شَرْفِهِ فَيُعْطَى أَطْوَلُ السِّنِينَ وَأَجُودَهَا أَرْبَعُمِائَةٍ وَسَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ تَزِيدُ الزُّهْرَةُ وَتَكُونُ فِي شَرْفِهَا وَحِي دَلِيلُ الْعَرَبِ فَيَمْلِكُونَ لِأَنَّ طَالِعَ الْقِرَانِ الْمِيزَانَ وَصَاحِبِهِ الزُّهْرَةَ وَكَانَتْ عِنْدَ الْقِرَانِ فِي شَرْفِهَا فَدَلَّ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَسَأَلَ كِسْرَى أُنُوشِروَانَ وَزَيْدَهُ بَزَرْجَهَرِ الْحَكِيمَ عَنْ خُرُوجِ الْمَلِكِ مِنْ فَارِسَ إِلَى الْعَرَبِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَائِمَ مِنْهُمْ يُؤَلِّقُ لِحْمَسَ وَأَرْبَعِينَ مِنْ دَوْلَتِهِ وَيَمْلِكُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ وَالْمُشْتَرِي يَنْصُصُ إِلَى الزُّهْرَةِ وَيَنْتَقِلُ الْقِرَانُ مِنَ الْهَوَائِيَّةِ إِلَى الْعَقَرِ وَهُوَ مَا نِي وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ تُفْضِي لِلْمَلِكَةِ بِمُدَّةِ دَوْرِ الزُّهْرَةِ وَحِي أَلْفَ وَسِتِّينَ سَنَةً وَسَأَلَ كِسْرَى أَبَرْيُوزَ الْيُوسَ الْحَكِيمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِ بَزَرْجَهَرِ وَقَالَ نُوفِلُ الرُّومِيِّ الْمُنْجِمُ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ إِنَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ تَبْقَى مُدَّةَ الْقِرَانِ الْكَبِيرِ تِسْعِمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً فَإِذَا عَادَ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجِ الْعَقَرِ كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْمِلَّةِ وَتَغْيَرُ وَضْعُ الْكَوَاكِبِ عَنْ هَيْئَتِهَا فِي قِرَانِ الْمِلَّةِ فَخَبِيرُذِ إِمَّا أَنْ يَفْتَرِ الْعَمَلُ بِهِ أَوْ يَتَجَدَّدَ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا يُوجِبُ خِلَافَ الظَّنِّ قَالَ خِرَاشُ وَاتَّقُوا عَلَى أَنْ خَرَابَ الْعَالَمِ يَكُونُ بِأَسْنِيَلَاءِ الْمَاءِ وَالنَّارِ حَتَّى تَهْلِكَ سَائِرُ الْمُكُونَاتِ وَذَلِكَ عِنْدَ مَا يَقْطَعُ قَلْبُ الْأَسَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَحِي حَدَّ الْمَرِيخِ وَذَلِكَ بَعْدَ مُضِيِّ تِسْعِمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَذَكَرَ خِرَاشُ أَنَّ مَلِكَ زَابَلِسْتَانَ بَعَثَ إِلَى الْمَأْمُونِ بِحَكِيمِهِ ذُو بَانَ أُنْعَفَهُ بِهِ فِي هَدِيَّةٍ وَأَنَّهُ تَصَرَّفَ لِلْمَأْمُونِ فِي الْأَخْيَارَاتِ بِمُحْرُوبِ أَخِيهِ وَبِعَقْدِ الْإِلْوَاءِ لِطَاهِرٍ وَأَنَّ الْمَأْمُونِ أَعْظَمَ حِكْمَتَهُ فَسَأَلَهُ عَنْ مُدَّةِ مُلْكِهِمْ فَأَخْبَرَهُ بِأَنْقِطَاعِ الْمَلِكِ مِنْ عَقِبِهِ وَاتِّصَالِهِ فِي وَلَدِ أَخِيهِ وَأَنَّ الْعَجَمَ يَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْخِلَافَةِ مِنَ الدَّلِيلِ فِي دَوْلَةِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَيَكُونُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ ثُمَّ يَسُوءُ حَالُهُمْ ثُمَّ تَظْهَرُ التَّرْكُ مِنْ شَمَالِ الْمَشْرِقِ فَيَمْلِكُونَ إِلَى الشَّامِ وَالْفَرَاتِ وَسَيَحُونَ وَسَيَمْلِكُونَ بِلَادَ الرُّومِ وَيَكُونُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا فَقَالَ مِنْ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ وَمِنْ أَحْكَامِ صَصَةَ بْنِ دَاهِرِ الْهِنْدِيِّ الَّذِي وَضَعَ السِّطْرَنْجَ قُلْتُ وَالتَّرْكُ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَى ظُهُورِهِمْ بَعْدَ الدَّلِيلِ هُمُ السُّلُوقِيَّةُ وَقَدْ انْقَضَتْ دَوْلَتُهُمْ أَوَّلَ الْقَرْنِ السَّابِعِ قَالَ خِرَاشُ وَاتَّقِ الْفِرَانَ إِلَى الْمِثْلَةِ الْمِائَةِ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ يَكُونُ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَتَمَامِائَةٍ

لِيَزْدَجِرْدَ وَبَعْدَهَا إِلَى بُرْجِ الْعَقَرِ حَيْثُ كَانَ قِرَانُ الْمِلَّةِ سَنَةً ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ قَالَ وَالَّذِي  
 فِي الْحَوْتِ هُوَ أَوَّلُ الْإِنْتِقَالِ وَالَّذِي فِي الْعَقَرِ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ دَلَائِلُ الْمِلَّةِ قَالَ وَتَعْوِيلُ  
 السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْقِرَانِ الْأَوَّلِ فِي الْمَثَلَاتِ الْمَائِيَّةِ فِي ثَانِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ  
 وَتَمَافَاثِهِ وَلَمْ يَسْتَوْفِ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ وَأَمَّا مُسْتَنَدُ الْمُتَحَمِّينَ فِي دَوْلَةِ عَلِيٍّ الْخُصُوصِ  
 قِرْنِ الْقِرَانِ الْأَوْسَطِ وَهَيْئَةُ الْفَلَكَ عِنْدَ وَقْعِهِ لِأَنَّ لَهُ دِلَالَةَ عِنْدَهُمْ عَلَى حَدُوثِ الدَّوْلَةِ  
 وَجِهَاتِهَا مِنَ النُّمُورِ وَالْقَائِمِينَ بِهَا مِنَ الْأُمَمِ وَعَدَدِ مُلُوكِهِمْ وَأَمْنَائِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَنَحْلِهِمْ  
 وَأَدْيَانِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَخُرُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرَ أَبُو مُعْتَمِرٍ فِي كِتَابِهِ فِي الْقِرَانَاتِ وَقَدْ تَوَجَّدَ هَلِهِ  
 الدِّلَالَةُ مِنَ الْقِرَانِ الْأَصْغَرِ إِذَا كَانَ الْأَوْسَطُ دَالًّا عَلَيْهِ فَمِنْ هَذَا يُوجَدُ الْكَلَامُ فِي الدُّوَلِ  
 وَقَدْ كَانَ يَقُوبُ ابْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ مُنْجِمُ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ وَضَعَ فِي الْقِرَانَاتِ الْكَائِنَةَ  
 فِي الْمِلَّةِ كِتَابًا مَاءَ الشَّيْخَةِ بِالْجَنْفِ بِاسْمِ كِتَابِهِمُ الْمُنْسُوبِ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَذَكَرَ  
 فِيهِ فِيمَا يُقَالُ حَدَّثَنَا دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنَّهَا نِهَازَتْ وَأَشَارَ إِلَى انْقِرَافِهَا وَالْحَادِثَةَ عَلَى  
 بَعْدَادِ أَنَّهَا تَقَعُ فِي انْتِصَافِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ وَأَنَّهَا تَقْرَأُ بِهَا يَكُونُ انْقِرَافُ الْمِلَّةِ وَلَمْ تَقِفْ  
 عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَبَرِ هَذَا الْكِتَابِ وَلَا رَأَيْنَا مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَلَعَلَّهُ غَرِقَ فِي كَثِيرِهِمُ الَّتِي طَرَحَهَا  
 هَلَاكُ مَوْلِكِ الْبُخَارَى فِي دَجَلَةٍ عِنْدَ اسْتِغْلَاقِهِمْ عَلَى بَعْدَادِ وَقَتْلِ الْمُسْتَعَصِمِ آخِرِ الْخُلَفَاءِ وَقَدْ  
 وَقَعَ بِالْمَغْرِبِ جُزْءٌ مُنْسُوبٌ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ يُسَمُّونَهُ الْجَنْفُ الصَّغِيرُ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَضَعَ لِي  
 عَبْدُ الْمُؤْمِنِ لِذِكْرِ الْأَوَّلِينَ مِنْ مُلُوكِ الْمُوَحِّدِينَ فِيهِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَمُطَابَقَةٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ عَنْ  
 ذَلِكَ مِنْ حَدَّثَانِهِ وَكَذَّبَ مَا بَعْدَهُ وَكَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ بَعْدِ الْكِنْدِيِّ مُنْجِمُونَ  
 وَكُتِبَ فِي الْخُدَّانِ وَأَنْظَرُ مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ فِي أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِي بَدِيلٍ مِنْ أَصْحَابِ  
 صَنَائِعِ الدَّوْلَةِ قَالَ بَعَثَ إِلَيَّ الرَّبِيعُ وَالْحَسَنُ فِي غَزَاتِهِمَا مَعَ الرَّشِيدِ أَيَّامَ إِيهِ لِحَيْثُمَا  
 جَوَّفَ اللَّيْلِ فَإِذَا عِنْدَهُمَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الدَّوْلَةِ يَعْنِي الْخُدَّانَ وَإِذَا مَدَّةُ الْمَهْدِيِّ فِيهِ  
 عَشْرُ سِنِينَ فَقُلْتُ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَخْفَى عَلَى الْمَهْدِيِّ وَقَدْ مَفَى مِنْ دَوْلَتِهِ مَا مَفَى فَإِذَا  
 وَقَفَ عَلَيْهِ كُنْتُمْ قَدْ نَعَيْتُمْ إِلَيْهِ نَفْسَهُ قَالَا فَمَا الْحِيلَةُ فَاسْتَدْعَيْتُ عَنبَسَةَ الْوَرَّاقِ مَوْلَى  
 آلِ بَدِيلٍ وَقُلْتُ لَهُ اسْمَعْ هَذِهِ الْوَرَقَةَ وَأَكْتُبْ مَكَانَ عَشْرِ أَرْبَعِينَ فَعَمَلُ فَوَ اللَّهِ لَوْلَا  
 أَنِّي رَأَيْتُ الْعَشْرَةَ فِي تِلْكَ الْوَرَقَةِ وَالْأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ مَا كُنْتُ أَشْكُ أَنَّهَا هِيَ ثُمَّ كَتَبَ  
 النَّاسُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي حَدَّثَانِ الدُّوَلِ مَنْظُومًا وَمَشْهُورًا وَرَجَزًا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ



وَبِأَيْدِي النَّاسِ مُتَقَرِّفَةٌ كَثِيرٌ مِنْهَا وَتُسَمَّى الْمَلَاخِمَ وَبَعْضُهَا فِي حَدَثَانِ الْعِلَّةِ عَلَى الْمَمُومِ  
وَبَعْضُهَا فِي دَوْلَةٍ عَلَى الْخُصُوصِ وَكُلُّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَشَاهِيرَ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَلَيْسَ مِنْهَا أَصْلٌ  
يُعْتَمَدُ عَلَى رَوَايَتِهِ عَنْ وَاضِعِهِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ قِمِينَ هَذِهِ الْمَلَاخِمَ بِأَلْمَغْرِبِ قَصِيدَةُ ابْنِ  
مُرَّانَةَ مِنْ بَحْرِ الطُّوِيلِ عَلَى رَوِيِّ الرِّاءِ وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَتَحْسِبُ الْعَامَّةُ أَنَّهَا مِنْ  
الْحَدَثَانِ الْعَامِ فَيُطْلِقُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا عَلَى الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالَّذِي مَعْنَاهُ مِنْ شَيْوَحِنَا  
أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِدَوْلَةٍ لِمَثُونَةٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قَبِيلَ دَوْلَتِهِمْ وَذَكَرَ فِيهَا أَسْتِغْلَاءُ هُمْ عَلَى  
سَبْتِهِ مِنْ بَدِ مَوَالِي بَنِي حَمُودٍ وَمُلْكِهِمْ لِعُدُوهِ الْأَنْدَالِ وَمِنْ الْمَلَاخِمِ بَيْدُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
أَيْضًا قَصِيدَةُ تَسْمَى التَّبَعِيَّةُ أَوَّلُهَا

طَرِبْتُ وَمَا ذَاكَ مِنِّي طَرِبَ وَقَدْ يَطْرِبُ الطَّائِرُ الْمَغْتَصَبَ  
وَمَا ذَاكَ مِنِّي اللَّهُ أَرَاهُ وَلَكِنْ لِيَذْكَارَ بَعْضُ السَّبَبِ  
قَرِيبًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ يَنْتِ أَوْ أَلْفٍ فِيمَا يُقَالُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَأَشَارَ  
فِيهَا إِلَى الْفَاطِمِيِّ وَغَيْرِهِ وَالطَّاهِرُ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ وَمِنْ الْمَلَاخِمِ بِالْمَغْرِبِ أَيْضًا مَلْعِيَّةٌ  
مِنْ الشُّعْرِ الرَّجَلِيِّ مَنْسُوبَةٌ لِبَعْضِ الْيَهُودِ ذَكَرَ فِيهَا أَحْكَامَ الْفِرَاقَاتِ لِعَصْرِ الْعُلُوِّينِ  
وَالنَّحْسِينَ وَغَيْرَهَا وَذَكَرَ مِثْلَهُ قَتِيلًا يَفَاسَ وَكَانَ كَذَلِكَ فِيمَا زَعَمُوهُ وَأَوَّلُهُ  
فِي صَبْغِ ذَا الْأَزْرَقِ لَشَرْفِهِ خِيَارًا فَافْهَمُوا بِاقُومِ هَذِهِ الْإِشَارَا  
نَجْمُ زَحَلِ أَخْبِرْ بِذِي الْعِلَامَا وَبَدَلِ الشُّكْلَا وَهِيَ سِلَامَا  
شَاشِيَةٌ زَرْقًا بَدَلِ الْعَامَا وَشَاشِ الْأَزْرَقِ بَدَلِ الْفَرَارَا  
يَقُولُ فِي آخِرِهِ

قَدْ تَمَّذَا التَّجَنُّسُ لِنَاسٍ يَهُودِيٍّ يَصْلُبُ فِي بِلْدَةِ فَاَسَ فِي يَوْمِ عِيدِ  
حَتَّى يَجِيَهُ النَّاسُ مِنَ الْبُؤَادِيٍّ وَقَتْلُهُ بِاقُومِ عَلَى الْفَرَادِ  
وَأَيَّانُهُ نَعْمُو الْخَمْسِمِائَةِ وَهِيَ فِي الْفِرَاقَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَمِنْ مَلَاخِمِ الْمَغْرِبِ  
أَيْضًا قَصِيدَةُ مِنْ عَرُوضِ الْمُتَقَارِبِ عَلَى رَوِيِّ الْبَاءِ فِي حَدَثَانِ دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ  
بُنُوسَ مِنَ الْمُوحِدِينَ مَنْسُوبَةٌ لِابْنِ الْأَبَارِ وَقَالَ لِي قَاضِي قُسْطَنْطِينِيَّةِ الْخَطِيبُ الْكَبِيرُ  
أَبُو عَلِيٍّ بْنُ بَادِيَسَ وَكَانَ بِصِيرَاجًا يَقُولُهُ وَلَهُ قَدَمٌ فِي التَّنْجِيمِ فَقَالَ لِي إِنْ هَذَا ابْنُ الْأَبَارِ  
لَيْسَ هُوَ الْحَافِظُ الْأَنْدَالِي الْكَاتِبُ مَقْتُولُ الْمُسْتَنْصِرِ وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ خِيَاطٌ مِنْ أَهْلِ

تُونِسَ تَوَاطَّاتِ شُهْرَتُهُ مَعَ شُهْرَةِ الْحَافِظِ وَكَانَ وَالِدِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يُنْسِدُ هَذِهِ  
الْأَيَّاتِ مِنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَبَقِيَ بَعْضُهَا فِي حِفْظِي مَطْلَعًا

عَذِيرِي مِنْ زَمَنِ قَلْبٍ      يَنْزُ بِكَرْفِهِ الْأَذْنِبِ  
وَيَبْعَثُ مِنْ جَيْشِهِ قَائِدًا      وَيَبْقَى هُنَاكَ عَلَى مَرْقَبِ  
فَتَأْتِي إِلَى السَّيِّحِ أَخْبَارُهُ      فَيُقِيلُ كُلَّ جَمَلٍ الْأَجْرِبِ  
وَيُظْهِرُ مِنْ عَذْلِهِ سِيرَةً      وَتِلْكَ سِيَاسَةُ مُسْتَجَلِبِ

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فَأَمَّا<sup>(١)</sup> رَأَيْتِ الرُّسُومَ أَمَعَتْ      وَلَمْ يُنَزَّ حَقٌّ لِإِيَّيْهِ مَنَصِبِ  
تُغْذِي فِي التَّرَحُّلِ عَنْ تُونِسِ      وَوَدَّعَ مَعَالِمَهَا وَأَذْهَبِ  
فَسَوَتْ تَكُونُ بِهَا فَتْنَةٌ      تُصِيفُ الْبَرِيَّةَ إِلَى الْمَذْنِبِ

وَوَقَفْتُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَلْحَمَةٍ أُخْرَى فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَتَّاسٍ هَؤُلَاءِ يَتُونِسَ فِيهَا بَعْدَ  
السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى الشَّهِيدِ عَاشِرِ مَلُوكِهِمْ ذِكْرُ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ مِنْ بَعْدِهِ يَقُولُ فِيهَا  
وَبَعْدَ أَبِي عَبْدِ الْأَلَّةِ شَقِيقُهُ      وَيُعْرِفُ بِالْوَثَابِ فِي نُسْخَةِ الْأَصْلِ

إِلَّا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَمْلِكْهَا بَعْدَ أَخِيهِ وَكَانَ يُعْنِي بِذَلِكَ نَفْسَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ وَدَرَسَ  
الْمَلَاخِمَ فِي الْمَغْرِبِ أَيْضًا الْمَلْعَبَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْهَوِثِيِّ عَلَى لُغَةِ الْعَامَّةِ فِي عَرُوضِ الْبَلَدِ

دعني بدمي الهتان      فترت الامطار ولم تقتر

واستقت كلها الويدان      وافى تملى وتهدر

وَمِنْ طَوِيلَةٍ وَمَحْفُوظَةٍ بَيْنَ عَامَةِ الْمَغْرِبِ الْآخِصَى وَالْغَالِبِ عَلَيْهَا الْوَضْعُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ مِنْهَا  
قَوْلٌ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ يُحَرِّفُهُ الْعَامَّةُ أَوْ الْحَارِفُ فِيهِ مَنْ يَتَحَلَّلُهَا مِنَ الْخَاصَّةِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ  
عَلَى مَلْحَمَةٍ مُنْسُوبَةٍ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَافِظِيِّ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ شَبِهَ الْأَلْفَاظَ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا  
اللَّهُ لِيَحْلُلَهُ إِلَى أَوْفَاقٍ عَدَدِيَّةٍ وَرُمُوزٍ مَلْفُوزَةٍ وَأَشْكَالٍ حَيَوَانَاتٍ تَامَّةٍ وَرُؤُوسٍ مَقْطَعَةٍ  
وَتَمَاثِيلَ مِنْ حَيَوَانَاتٍ غَرِيبَةٍ وَفِي آخِرِهَا قَصِيدَةٌ عَلَى رُويِ الْأَلَامِ وَالْغَالِبِ أَنَّهَا كُلُّهَا  
غَيْرٌ صَحِيحَةٌ لِأَنَّهَا لَمْ تَنْشَأْ عَنْ أَصْلِ عَلِيٍّ مِنْ نِجَامَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَسَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ

١ قوله فاما رايت اصله فان رايت زهدت ما وادغبت في ان الشرطة المحذوف نوبها خطأ وفي نسخة فلما  
رايت والاولى في الموجودة في النسخة التونسية له قاله نصر

مَلَاحِمٍ أُخْرَى مَسْئُوبَةً لِأَبْنِ سِينَاءَ وَأَبْنِ عَقَابٍ وَلَيْسَ فِي مَنَاءِ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى الصِّحَّةِ لِأَنَّ  
ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقِرَائَاتِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ أَيْضًا عَلَى مَلْحَمَةٍ مِنْ حَدَثَانِ دَوْلَةِ  
الْتُرْكِ مَسْئُوبَةٍ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ يُسَمَّى الْبَاجِرِيُّ وَكَلَّمَهَا الْفَارُجُ بِالْحُرُوفِ أَوَّلَهَا

إِنْ شِئْتَ تَكْشِفُ سِرَّ الْخَفَرِ يَا سُوْلِي مِنْ عِلْمٍ جَفَرٍ وَمِنْ وَالِدِ الْحَسَنِ  
فَأَقْبَهُمْ وَكُنْ وَاعِيًا حَرَفًا وَجُمْلَةً وَالْوَصَفُ فَأَقْبَهُمْ كَيْفَ الْحَادِقِ الْقَطَنِ  
أَمَّا الَّذِي قَبْلَ عَصْرِي لَسْتُ أَذْكُرُهُ لَكِنِّي أَذْكُرُ الْآيَاتِ مِنَ الزَّمَنِ  
بِشَهْرِ يَبْرَسَ بَقِيَ بَعْدَ خَمْسَتِهَا بِجَاءَ مِيَمٍ بِطَيْشٍ نَامَ فِي الْكُنْ  
شَيْنَ لَهُ أَثَرٌ مِنْ مَنَاحِ سُرَّتِهِ لَهُ الْقَضَاءُ قَضَى أَيَّ ذَلِكَ الْمَنَاحِ  
فَقَصُرَ وَالشَّامُ مَعَ أَرْضِ الْعِرَاقِ لَهُ وَأَذْرِبِجَارُ فِي مَلِكٍ إِلَى الْيَمَنِ  
وَأَيُّهَا كَبِيرَةٌ وَالْقَابِ أَنْهَا مَوْضُوعَةٌ وَمِثْلُ صِنْعَتِهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ كَثِيرٌ

وَمَعْرُوفٌ أَلَا نَحْالُ

حَكَى الْمُؤَرِّخُونَ لِأَخْبَارِ بَغْدَادَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا أَيَّامُ الْمُقْتَدِرِ وَرَأَى ذَكَرِي يُعْرَفُ  
بِالدَّانَالِيِّ بَيْتُ الْأَوْدَاقِ وَيَكْتُبُ فِيهَا بِحُطٍّ عَظِيمٍ يَرْمُزُ فِيهِ بِحُرُوفٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ  
الدَّوْلَةِ وَيُشِيرُ بِهَا إِلَى مَا يُعْرَفُ مِنْهُمْ إِلَهُ مِنْ أَحْوَالِ الرِّفْعَةِ وَالْجَاهِ كَانَتْهَا مَلَاحِمٌ وَيَحْصُلُ  
عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ وَضَعَ فِي بَعْضِ دَفَائِرِهِ مِيَمًا مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ  
وَجَاءَ بِهِ إِلَى مُفْلِحِ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ فَقَالَ لَهُ هَذَا كِتَابَةٌ عَنْكَ وَهُوَ مُفْلِحٌ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ  
وَذَكَرَ عَنْهُ مَا يَرْضَاهُ وَيَنَالُهُ مِنَ الدَّوْلَةِ وَنَسَبَ لِنَيْكَ عِلَالَاتٍ يُعْمَدُ بِهَا عَلَيْهِ فَبَدَّلَ لَهُ  
مَا أَغْنَاهُ بِهِ ثُمَّ وَضَعَهُ لِلْوَزِيرِ ابْنِ الْقَاسِمِ بْنِ وَهْبٍ عَلَى مُفْلِحٍ هَذَا وَكَانَ مَعْرُوفًا لِحُجَّاهُ  
بِأَوْدَاقٍ مِثْلِهَا وَذَكَرَ أَمَمُ الْوَزِيرِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَيَعْلَمَاتُ ذَكَرَهَا وَإِنَّهُ لِي  
الْوَزَارَةُ لِلثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ وَيَقْبَرُ الْأَعْدَاءُ وَتَعْمُرُ الدُّنْيَا  
فِي أَيَّامِهِ وَاقِفَتْ مُفْلِحًا هَذَا عَلَى الْأَوْدَاقِ وَذَكَرَ فِيهَا كَوَائِنَ أُخْرَى وَمَلَاحِمٍ مِنْ هَذَا  
النَّوعِ مِمَّا وَقَعَ وَمِمَّا لَمْ يَقَعْ وَنَسَبَ حَبِيبُهُ إِلَى دَانَالٍ فَأُجِيبَ بِهِ مُفْلِحٌ وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ  
الْمُقْتَدِرُ وَاهْتَدَى مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ وَالْعِلَالَاتِ إِلَى ابْنِ وَهْبٍ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَوِزَارَتِهِ  
بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ الْعَرِيقَةِ فِي الْكَيْدِ وَالْجَهْلِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلْفَارِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ  
الْمَلْحَمَةَ الَّتِي يَنْسَبُونَهَا إِلَى الْبَاجِرِيِّ مِنْ هَذَا النَّوعِ وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَكْمَلَ الدِّينِ ابْنَ

شَيْخِ الْحَنْفِيَّةِ مِنَ النَّجْمِ بِالْذِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَعَنْ هَذَا الرَّجُلِ  
الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَهُوَ الْبَاجَرِيُّ وَقَدْ كَانَ عَارِفًا بِطَرِيقَتِهِمْ فَقَالَ كَانَ مِنْ  
الْقَلْدَرِيَّةِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي حَاقِ اللَّحْيَةِ وَكَانَ يُحَدِّثُ عَمَّا يَكُونُ بِطَرِيقِ الْكُشْفِ وَيُؤَيِّ  
إِلَى رِجَالِ مُتَبِعِي عِنْدَهُ وَيُنَازِلُ عَلَيْهِمْ بِمُحَرُوفٍ يُعَيِّنُهَا فِي فَمِنِهَا لَمَنْ يَرَاهُ مِنْهُمْ وَرُبَّمَا  
يُظَاهِرُ نَظْمُ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ قَلِيلَةٍ كَانَ يَتَعَاهَدُهَا فَتَنَوَّلَتْ عَنْهُ وَوَلَعَ النَّاسُ بِهَا وَجَعَلُوهَا  
مَلْحَمَةً مَرْمُوزَةً وَزَادَ فِيهَا الْخَرَّاصُونَ مِنْ ذَلِكَ الْخِنَاسِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَشَغِلَ الْعَامَةُ بِفِكَ  
رُمُوزِهَا وَهُوَ أَمْرٌ مُمْتَنِعٌ إِذِ الرَّمْزُ إِنَّمَا يَهْدِي إِلَى كُشْفِهِ قَانُونٌ يَعْرِفُ قَبْلَهُ وَيُوضَعُ  
لَهُ وَأَمَّا مِثْلُ هَذِهِ الْحُرُوفِ فَلِدَلَالَتِهَا عَلَى الْمُرَادِ مِنْهَا غُصُوصَةٌ بِهَذَا النَّظْمِ لَا تَجَاوِزُهُ  
فَرَأَيْتُ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ الْفَاضِلِ شِفَاءً لِمَا كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ  
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع

### من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال  
وفيه سوابق ولواحق

### الفصل الاول

في ان الدول من المدن والامصار وانما توجد ثانية عن الملك  
وَيَأْتِيهِ أَنْ الْبِنَاءِ وَاخْتِطَاطِ الْمَنَازِلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَنَازِعِ الْحِضَارَةِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا  
الْتَرَفُ وَالِدَعَةُ كَمَا قَدْ مَتَّاهُ وَذَلِكَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبِدَاوَةِ وَنَازِعٌ عَنْهَا وَأَيْضًا فَالْمَدُنُ وَالْأَمْصَارُ  
ذَاتُ هِيََاكِلٍ وَأَجْزَامٍ عَظِيمَةٍ وَبِنَاءٍ كَبِيرٍ وَهِيَ مَوْضِعَةٌ لِلْعُمُومِ لَا لِلْخُصُوصِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى اجْتِمَاعِ الْأَبْدِي وَكَثْرَةِ التَّعَاوُنِ وَلَيْسَتْ مِنَ الْأُمُورِ الْفَرُورِيَّةِ لِلنَّاسِ الَّتِي تَمُّ بِهَا  
الْبَلَوَى حَتَّى يَكُونُ نَزْوُهُمْ إِلَيْهَا أَضْطِرَارًا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِكْرَاهِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَسَوْفِيهِمْ  
إِلَيْهِ مُضْغَمَدِينَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ أَوْ مُرْعَيْنَ فِي الثَّوَابِ وَالْآخِرِ الَّذِي لَا يَبْقَى يَكْثَرُهُ إِلَّا

الْمَلِكُ وَالِدَوْلَةُ فَلَا بُدَّ فِي تَمْصِيرِ الْأَمْصَارِ وَأَخْطَاطِ الْمُدُنِ مِنَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكِ ثُمَّ إِذَا  
 بُنِيَ الْمَدِينَةُ وَكَمُلَ تَنْبِيدُهَا بِحَسَبِ نَظَرٍ مِنْ شَيْدِهَا وَبِمَا أَقْتَضَتْهُ الْأَحْوَالُ السَّائِيَةُ  
 وَالْأَرْضِيَّةُ فِيهَا فَعُمِرَ الدَّوْلَةُ حِينَئِذٍ عُمُرُهَا فَإِنْ كَانَ عُمُرُ الدَّوْلَةِ قَصِيرًا وَقَفَتِ الْحَالُ فِيهَا  
 عِنْدَ أَنْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَتَرَاجَعَ عُمُرَانِهَا وَخَرَبَتْ وَإِنْ كَانَ أَمَدُ الدَّوْلَةِ طَوِيلًا وَتَمَدَّتْ مُنْقَسِمَةً  
 فَلَا تَزَالُ الْمَصَانِعُ فِيهَا تُشَادُّ وَالْمَنَازِلُ الرَّجِيَّةُ تَكْثُرُ وَتَتَعَدَّدُ وَنِطَاقُ الْأَسْوَاقِ  
 يَتَبَاعَدُ وَتَنْفَسِحُ إِلَى أَنْ تَنْسَحِ أَلْخَطَّةُ وَتَبْعُدَ الْمَسَافَةُ وَتَنْفَسِحَ ذَرَعُ الْمَسَاحَةِ كَمَا وَقَعَ  
 بِبَغْدَادَ وَأَمْثَالِهَا. ذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَأْرِيجِهِ أَنَّ الْحُمَامَاتِ بَلَغَ عَدْدُهَا بِبَغْدَادَ لِعَهْدِ  
 الْمَأْمُونِ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ أَلْفَ حَمَامٍ وَكَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى مُدُنٍ وَأَمْصَارٍ مُتَلَاصِقَةٍ وَمُتَفَارِقَةٍ  
 تَجَاوَزُ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةً وَحْدَهَا يَجْمَعُهَا سُورٌ وَاحِدٌ لِإِفْرَاطِ الْعُمُرَانِ وَكَذَا حَالُ  
 الْقَيْسَرِيَّةِ وَتُرُطُيَّةِ وَالْمَهْدِيَّةِ فِي الْعِلَّةِ الْأَسْلَامِيَّةِ وَحَالُ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ بَعْدَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا بَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمُشْتَبِدَةِ لِلْمَدِينَةِ فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ إِضْوَاحِي تِلْكَ  
 الْمَدِينَةِ وَمَا قَادَرَهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَسَائِطِ بَادِيَةً بِمِدَّتِهَا الْعُمُرَانُ دَائِمًا فَيَكُونُ ذَلِكَ  
 حَافِظًا لِوُجُودِهَا وَبَسْتَمِرَّ عُمُرُهَا بَعْدَ الدَّوْلَةِ كَمَا تَرَاهُ بِنَاسٍ وَبِحَاجَةٍ مِنَ الْغَرْبِ وَبِعِرَاقِ  
 التَّجَمُّعِ مِنَ الْمَشْرِقِ الْمَوْجُودِ لَهَا الْعُمُرَانُ مِنَ الْجِبَالِ لِأَنَّ أَهْلَ الدِّيَارَةِ إِذَا أَنْتَهَتْ  
 أَحْوَالُهُمْ إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الرِّفَةِ وَالْكَسْبِ تَدْعُو إِلَى الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ الَّذِي فِي طَبِيعَةِ  
 الْبَشَرِ فَيَتَزَلُّونَ الْمُدُنَ وَالْأَمْصَارَ وَيَتَأَهَّلُونَ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِنَاكَ الْمَدِينَةِ الْمُؤَسَّسَةِ  
 مَادَّةٌ تَقْدِمُهَا الْعُمُرَانُ يَتَرَادَفُ السَّاكِنُ مِنْ بَدْوِهَا فَيَكُونُ انْقِرَاضُ الدَّوْلَةِ خَرَقًا  
 لِسِيَاحِهَا فَيَزُولُ حِفْظُهَا وَيَتَنَاقَصُ عُمُرَانُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَتَذَعَّرَ سَاكِنُهَا وَتُخْرَبَ  
 كَمَا وَقَعَ بِمِصْرَ وَبَغْدَادَ وَالْكُوفَةِ بِالْمَشْرِقِ وَالْقَيْسَرِيَّةِ وَالْمَهْدِيَّةِ وَقَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ  
 بِالْمَغْرِبِ وَأَمْثَالِهَا فَفَهْمُهُ وَرُبَّمَا يَنْزِلُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ انْقِرَاضِ حِفْظِهَا الْأَوَّلِينَ مَلِكٌ  
 آخَرُ وَدَوْلَةٌ ثَانِيَةٌ بِخِذِّهَا قَرَارًا وَكُرْسِيًا يَسْتَفْنِي بِهَا عَنْ أَخْطَاطِ مَدِينَةٍ يَنْزِلُهَا فَتَحْفَظُ  
 تِلْكَ الدَّوْلَةُ سِيَاحِهَا وَتَتَزَايِدُ مَبَانِيهَا وَمَصَانِعُهَا يَتَزَايِدُ أَحْوَالُ الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَتَرْفَعُهَا  
 وَتَسْتَعِيدُ عُمُرَانِهَا عُمَرًا آخَرَ كَمَا وَقَعَ بِنَاسٍ وَالْقَاهِرَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني

في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَبَائِلَ وَالْعَصَائِبَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ اضْطَرُّوا لِلْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَمْصَارِ لِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنَ الدَّعَى وَالرَّاحَةِ وَحَطَّ الْأَثْقَالِ وَاسْتِكْمَالِ مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أُمُورِ الْعُمُرَانِ فِي الْبَدْوِ وَالثَّانِي دَفْعُ مَا يَتَوَقَّعُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ أَمْرِ الْمَنَازِعِينَ وَالْمَشَاغِبِينَ لِأَنَّ الْمِصْرَ الَّذِي يَكُونُ فِي تَوَاحِيهِمْ رُبَّمَا يَكُونُ مَلْجَأً لِمَنْ يَرُومُ مَنَازِعَتَهُمْ وَالْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ وَاتِّزَاعَ ذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي سَمَوْا إِلَيْهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَيَعْتَصِمُ بِذَلِكَ الْمِصْرِ وَيُقَالِيهِمْ وَمُعَالَبَةُ الْمِصْرِ عَلَى نِهَايَةِ مِنَ الصُّعُوبَةِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْمِصْرُ يَقُومُ مَقَامَ الْعَسَاكِرِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْتِنَاعِ وَنِكَايَةِ الْحَرْبِ مِنْ وَرَاءِ الْجُدُرَانِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى كَثِيرٍ عِنْدَ وَلَا عَظِيمٍ شَوْكَةٍ لِأَنَّ الشُّوْكَةَ وَالْعَصَابَةَ إِنَّمَا احْتِجَّ إِلَيْهِمَا فِي الْحَرْبِ لِلثَّبَاتِ لِمَا يَقَعُ مِنْ بَعْدِ كَرَّةِ الْقَوْمِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ عِنْدَ الْجَوْلَةِ وَثَبَاتِ هَؤُلَاءِ بِالْجُدُرَانِ فَلَا يَضْطَرُّونَ إِلَى كَبِيرِ عَصَابَةٍ وَلَا عِنْدَ فَيَكُونُ حَالُ هَذَا الْحُصْنِ وَمَنْ يَتَّصِمُ بِهِ مِنَ الْمَنَازِعِينَ مِمَّا يَبْتَغِي فِي عَصْدِ الْأُمَّةِ أَلْفِي تَرُومٍ الْأَسْيِلَاءِ وَيَتَخَذُ شَوْكَةً أَسْيِلَانِيًا فَإِذَا كَانَتْ بَيْنَ أَجْنَابِهِمْ أَمْصَارًا انْتَضَمُوا فِيهَا فِي أَسْيِلَانِهِمْ لِلْأَمْنِ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْإِخْطَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِصْرٌ اسْتَحْدَثُوهُ ضَرُورَةً لِلتَّكْمِيلِ عُمُرَانِهِمْ أَوْ لَوْلَا وَحَطَّ أَثْقَالُهُمْ وَلَيْكُونُ شَجَا فِي حَلْقِي مِنْ يَرُومِ الْعِزَّةِ وَالْأَمْتِنَاعِ عَلَيْهِمْ مِنْ طَوَائِفِهِمْ وَعَصَائِبِهِمْ فَتَعَبِنَ أَنَّ الْمَلِكَ يَدْعُو إِلَى نَزُولِ الْأَمْصَارِ وَالْأَسْيِلَاءِ عَلَيْهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الثالث

في ان المدن العظيمة والمياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير

قَدْ قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي آثَارِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمَبَانِي وَغَيْرِهَا وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نَسَبِهَا وَذَلِكَ أَنَّ تَشْيِيدَ الْمَدْنِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِاجْتِمَاعِ الْقَعْلَةِ وَكَثَرَتِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ فَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً مُتَّسِعَةً أَلَمَّا لِلِكِ حُسْرُ الْقَعْلَةِ مِنْ أَقْطَارِهَا وَجُمِعَتْ أَيْدِيهِمْ عَلَى عَمَلِهَا وَرُبَّمَا اسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِالْهِنْدَامِ الَّذِي يُضَاعِفُ الْقَوِيَّ وَالْقَدِيرَ فِي حِمْلِ أَثْقَالِ الْبِنَاءِ

لِعَجْزِ الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَضَعْفِهَا عَنْ ذَلِكَ كَالْعُجَالِ وَغَيْرِهِ وَرُبَّمَا يَتَوَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ الْأَقْدَمِينَ وَمَصَانِعِهِمِ الْعَظِيمَةِ مِثْلَ إِيوَانِ كِسْرَى وَأَهْرَامِ مِصْرَ  
وَحَنَابِئِ الْمَعْلُوقَةِ وَشَرْشَالِ بَا الْمَغْرِبِ إِنَّمَا كَانَتْ بِقُدْرِهِمْ مَتَرَفَيْنِ أَوْ مَجْتَمِعَيْنِ فَيَتَخِيلُ  
لَهُمْ أَجْسَامًا تَنَاسِبُ ذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ كَثِيرٌ فِي طَوْلِهَا وَقُدْرَتِهَا لَتَنَاسِبُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
الْقُدْرِ الَّتِي صَدَرَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي عَنْهَا وَيُقَالُ عَنْ شَأْنِ الْهِنْدَامِ وَالْعُجَالِ وَمَا أَقْتَضَتْهُ فِي  
ذَلِكَ الصَّنَاعَةُ الْهِنْدَسِيَّةُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّبِينَ فِي الْبِلَادِ يُعَايِنُ فِي شَأْنِ الْبِنَاءِ وَاسْتِعْمَالِ  
الْحِجَلِ فِي نَقْلِ الْأَجْزَامِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُعْتَنِينَ بِذَلِكَ مِنَ الْعِجْمِ مَا يَشْهَدُ لَهُ بِمَا قُلْنَا  
عَيَانًا وَكَثُرَ آثَارُ الْأَقْدَمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَسْمِيهَا الْعَامَّةُ عَادِيَّةً نِسْبَةً إِلَى قَوْمِ عَادٍ لِتَوْثِيهِمْ  
أَنَّ مَبَانِي عَادٍ وَمَصَانِعَهُمْ إِنَّمَا عَظُمَتْ لِعَظَمِ أَجْسَامِهِمْ وَتَضَاعَفَ قُدْرُهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
فَقَدْ تَجِدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنْ آثَارِ الْأَذْيَانِ تُعْرَفُ بِمَقَادِيرِ أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْأَمِّ وَهِيَ فِي  
مِثْلِ ذَلِكَ الْعَظَمِ أَوْ أَعْظَمَ كَمَا يُولَنُ كِسْرَى وَمَبَانِي الْعَبِيدِينَ مِنَ الشَّيْخَةِ بِأَفْرِيقَةِ  
وَالصَّنَهْجِيَّينَ وَأَتْرُفُهُمْ بَادٍ إِلَى الْيَوْمِ فِي صَوْمَعَةٍ قَلَمَةٍ بَنَى حَمَادٌ وَكَذَلِكَ بَنَاهُ الْأَغَالِبَةُ فِي  
جَامِعِ الْقَيْرَوَانِ وَبَنَاهُ الْمُؤَحِّدِينَ فِي رِبَاطِ الْفَتْحِ وَرِبَاطِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ لِهَذَا  
أَذْيَانِ سَنَةِ فِي الْمَنْصُورَةِ بِإِزَاءِ تَلَمْسَانَ وَكَذَلِكَ الْحَنَابِئِ الَّتِي جَلَبَ إِلَيْهَا أَهْلُ قُرَاطَجَةَ  
الْمَاءِ فِي الْفَتْحِ الرَّأكِبَةِ عَلَيْهَا مَائِلَةٌ لِهَذَا الْعَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَبَانِي وَالْهَيَاكِالِ الَّتِي نُقِلَتْ  
إِلَيْنَا أَخْبَارُ أَهْلِهَا قَرِيبًا وَبَعِيدًا وَثَبُتًا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِإِفْرَاطٍ فِي مَقَادِيرِ أَجْسَامِهِمْ وَإِنَّمَا  
هَذَا رَأْيِي وَلَيْعَ بِهِ الْقَصَاصُ عَنْ قَوْمِ عَادٍ وَمُؤَدِّ الْعَمَالِقَةِ وَنَجِدُ يَوْتُ مُؤَدِّ فِي الْحَجَرِ مَنْحُوتَةً  
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهَا يُوتُوهُمْ بِعَرُوبِهَا الرُّكْبُ الْحِجَازِيُّ  
أَكْثَرَ السِّنِينَ وَيُشَاهِدُونَهَا لِاتِّزَادِ فِي جَوْهَا وَمَسَاحَتِهَا وَتَمَسَّكِهَا عَلَى الْمُتَمَاهِدِ وَإِنَّهُمْ  
لَيَبَالِغُونَ فِيهَا بِعَتَقْدُونِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَوْجَ بَنِ عَنَاقٍ مِنْ جِبَلِ الْعَمَالِقَةِ  
كَانَ يَتَأَوَّلُ السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ طَرِبًا فَيَشْوِيهِ فِي الشَّمْسِ يَزْعُمُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ حَارَّةٌ  
فِي مَا قَرُبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْخُرَّ فِيهَا لَدَبْنَا هُوَ الضَّوُّ لَا تَعْكَاسُ الشَّمَاعُ فَيَقَابِلُهُ سَطْحُ  
الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَأَمَّا الشَّمْسُ فِي نَفْسِهَا فَغَيْرُ حَارَّةٍ وَلَا بَارِدَةٌ وَإِنَّمَا هِيَ كَوْكَبٌ مُضِيءٌ  
لَا مِرَاجَ لَهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ فَيُنَبِّهُ مِنْ هَذَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي حَيْثُ ذَكَرْنَا أَنَّ آثَارَ الدَّوْلَةِ عَلَى  
نِسْبَةِ قُوَّتِهَا فِي أَصْلِهَا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يُرِيدُ

## الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة جدا لا تستعمل بيناتها الدولة الواحدة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَاجَةِ الْبِنَاءِ إِلَى التَّعَاوُنِ وَمُضَاعَفَةِ الْقُدْرِ الْبَشَرِيِّ  
وَقَدْ تَكُونُ الْمَبَانِي فِي عَظَمِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْقُدْرِ مُفْرَدَةً أَوْ مُضَاعَفَةً بِأَهْلِهَا كَمَا قُلْنَا  
فَيُجْتَنَبُ إِلَى مُعَاوَدَةِ قُدْرٍ أُخْرَى، مِثْلَهَا فِي أَزْمِنَةٍ مُتَعَاكِفَةٍ إِلَى أَنْ تَنِيَّ فَيَتَدَيَّ الْأَوَّلُ  
مِنْهُمْ بِالْبِنَاءِ وَبَعْقِيهِ الثَّانِي وَالثَّالِثُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ اسْتَمَكَّ شَأْنُهُ فِي حَضَرِ  
الْقَعْلَةِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي حَتَّى يَتِمَّ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ وَيَكْمَلَ وَيَكُونُ مَائِلًا لِلْعِيَانِ بَطْنُهُ  
مَنْ يَرَاهُ مِنَ الْآخِرِينَ أَنَّهُ بِنَاءُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَنَظَرُ فِي ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ الْمُؤَرِّخُونَ فِي بِنَاءِ  
سَيِّدِ مَارِبَ وَأَنَّ الَّذِي بَنَاهُ سَبَا بْنُ يَشَجَبَ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَطَافَهُ الْمَوْتُ عَنْ  
إِنْعَامِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكُ حَبِيرَ مِنْ بَعْدِهِ وَمِثْلُ هَذَا مَا نُقِلَ فِي بِنَاءِ قِرَاطَجَةَ وَقَنَاتِهَا الرَّابِثَةِ  
عَلَى الْحَنَابَا الْعَادِيَةِ وَأَكْثَرُ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ فِي الْغَالِبِ هَذَا شَأْنُهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَنَّ  
الْمَبَانِي الْعَظِيمَةَ لِهَيْدِنَا نَجِدَ الْمَلِكَ الْوَاحِدَ يَشْرَعُ فِي اخْتِطَاطِهَا وَتَأْسِيسِهَا فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعْ  
أَثَرُهُ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي إِتْمَامِهَا بَقِيََتْ بِحَالِهَا وَلَمْ يَكْمَلِ الْقَصْدُ فِيهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ  
أَيْضًا أَنَّا نَجِدُ أَثَارًا كَثِيرَةً مِنَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ تَجُزُّ الدُّوَلُ عَنْ هَدْمِهَا وَتَقْرِبُهَا مَعَ  
أَنَّ الْهَدْمَ أَسْرَعَ مِنَ الْبِنَاءِ يَكْثُرُ لِأَنَّ الْهَدْمَ رُجُوعٌ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ الْقَدَمُ وَالْبِنَاءُ  
عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ فَإِذَا وَجَدْنَا بِنَاءً تَضَعُفُ قُوَّتُنَا الْبَشَرِيَّةُ عَنْ هَدْمِهِ مَعَ سَهُولَةِ الْهَدْمِ  
عَلِمْنَا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي أَسَّسَتْهُ مُفْرَطَةُ الْقُوَّةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَثَرُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهَذَا مِثْلُ مَا  
وَقَعَ لِلْعَرَبِ فِي إِيْوَانَ كِنَرَى لَمَّا اعْتَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ  
وَهُوَ فِي حَبْسِهِ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ وَاتْرُكْهُ مَائِلًا يَسْتَدِلُّ  
بِهِ عَلَى عَظَمِ مُلْكِ آبَائِكَ الَّذِينَ سَلَبُوا الْمُلْكَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْهَيْكَلِ فَاتَّهَمَهُ فِي النَّصِيحَةِ  
وَقَالَ أَخَذْتَهُ الثَّغْرَةَ لِلتَّجَمُّعِ وَاللَّهُ لَأَصْرَعَنَّهُ وَشَرَعَ فِي هَدْمِهِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي عَلَيْهِ وَأَخَذَ  
لَهُ الْقَوْسُ وَحِمَاهُ بِالنَّارِ وَصَبَّ عَلَيْهِ الْخَلَّ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ التَّجَمُّعُ بَعْدَ ذَلِكَ كَلَّهِ وَخَافَتْ  
الْقَضِيحَةُ بَعَثَتْ إِلَى يَحْيَى يَسْتَشِيرُهُ ثَانِيًا فِي التَّجَافِي عَنْ الْهَدْمِ فَقَالَ لَا تَفْعَلْ وَاسْتَمَرَ  
عَلَى ذَلِكَ لَيْثًا يُقَالُ عَجَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكُ الْعَرَبِ عَنْ هَدْمِ مَصْنَعٍ مِنْ مَصَانِعِ التَّجَمُّعِ  
فَعَرَفَهَا الرَّشِيدُ وَأَفْصَرَ عَنْ هَدْمِهِ وَكَذَلِكَ اتَّفَقَ لِلْعَامُونَ فِي هَدْمِ الْأَهْرَامِ الَّتِي بِمِصْرَ



وَجَمَعَ الْقَلَّةَ لِهَدْمِهَا فَلَمْ يَحُلْ بِطَائِلٍ وَشَرَعُوا فِي تَقْيِهِ فَأَنْتَهَوْا إِلَى جَوِّ بَيْنَ الْحَائِطِ وَالظَّاهِرِ  
وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْحِطَّانِ وَمِثَالِكَ كَانَ مُتَعَيِّ هَدْمِهِمْ وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ فِيمَا يُقَالُ مَنْفَذُ ظَاهِرٍ  
وَيَزْعُمُ الزَّاعِمُونَ أَنَّهُ وَجَدَ رَكَازًا بَيْنَ تِلْكَ الْحِطَّانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَكَذَلِكَ حَتَايَا الْمُهَلَّقَةِ  
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ تَفْتَحُ أَهْلُ مَدِينَةِ تُونِسَ إِلَى انْتِفَاقِ الْحِجَارَةِ لِبَنَائِهِمْ وَتَسْتَحِيدُ الصَّنَاعُ  
حِجَارَةَ تِلْكَ الْحَنَائِيَا فَيَحَاوِلُونَ عَلَى هَدْمِهَا الْأَيَّامَ الْعَدِيدَةَ وَلَا يَسْقُطُ الصَّغِيرُ مِنْ جُذُرِهَا  
إِلَّا بَعْدَ عَصَبِ الرِّبِيِّ وَيَجْتَمِعُ لَهُ الْمُحَاوِلُ الشَّهْرُ شَهْدَتْ مِنْهَا فِي أَيَّامِ صِبَايَ  
كَثِيرًا وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ

### الفصل الخامس

فما تجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن المراعاة  
إِعْلَمُ أَنَّ الْمَدُنَ قَرَارٌ يَتَخَذُهُ الْأَمُّ عِنْدَ حُصُولِ الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ مِنَ التَّرَفِ وَدَوَاعِيهِ  
فَتُؤَثِّرُ الدَّعَةُ وَالشُّكُونُ وَتَتَوَجَّهُ إِلَى اتِّخَاذِ الدَّنَائِلِ الْقَرَارِ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْقَرَارُ  
وَالْمَأْوَى وَجَبَ أَنْ يُرَاعَى فِيهِ دَفْعُ الْمَضَارِّ بِالْحِمَايَةِ مِنْ طَوَارِقِهَا وَجَبَ التَّنَافِعُ  
وَتَسْهِيلُ الْمَرَافِقِ لَهَا فَأَمَّا الْحِمَايَةُ مِنَ الْمَضَارِّ فَيُرَاعَى لَهَا أَنْ يَدَارَ عَلَى مَنَازِلِهَا جَمِيعًا  
سِيَّاحُ الْأَسْوَارِ وَأَنْ يَكُونَ وَضْعُ ذَلِكَ فِي مُتَنَعٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ إِمَّا عَلَى هَضْبَةٍ مُتَوَعِّدَةٍ  
مِنَ الْجَبَلِ وَإِمَّا بِاسْتِدَارَةِ بَحْرِ أَوْ نَهَرٍ بِهَا حَتَّى لَا يُوَصَلَ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى جِسْرِ  
أَوْ قَنْطَرَةٍ يَصُفُّ مَنَازِلَهَا عَلَى الْمَدْوِ وَيَضَاعَفُ امْتِنَاعُهَا وَحَصْنُهَا وَبِمَا يُرَاعَى فِي ذَلِكَ  
لِلْحِمَايَةِ مِنَ الْأَلْفَاتِ السَّمَاوِيَةِ طِيبُ الْهَوَاءِ لِلسَّلَامَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَإِنَّ الْهَوَاءَ إِذَا كَانَ  
رَاكِدًا خَبِيثًا أَوْ مُجَاورًا لِلْمِيَاءِ الْفَاسِدَةِ أَوْ مُتَافِعٍ مُتَعَفِّفٍ أَوْ مُرُوجٍ خَبِيثَةٍ أَمْرَعَ إِلَيْهَا  
الْعَفَنُ مِنْ مُجَاوَرَتِهَا فَاسْتَرَعَ الْمَرَضُ لِلْعِيْوَانِ الْكَائِنِينَ فِيهِ لَا تَحَالَةَ وَهَذَا مُشَاهِدُ وَالْمَدُنُ  
الَّتِي لَمْ يُرَاعَ فِيهَا طِيبُ الْهَوَاءِ كَثِيرَةٌ الْأَمْرَاضِ فِي الْعَالِيَةِ وَقَدْ أَشْهَرَ بِذَلِكَ فِي قَطْرِ  
الْمَغْرِبِ بِلَدُ قَائِسَ مِنْ بِلَادِ الْجُرَيْدِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ فَلَا يَكَادُ سَاكِنُهَا أَوْ طَارِقُهَا يَخْلُصُ مِنْ  
حُصْنِ الْعَفَنِ بِوَجْهِهِ وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ حَدَثَ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ مِنْ قَبْلُ وَتَقَلَّ  
الْبُكَرِيُّ فِي مَبَبِّ حُلُونِهِ أَنَّهُ وَقَعَ فِيهَا حَفَرٌ ظَهَرَ فِيهِ إِنْاءٌ مِنْ نُحَاسٍ مَخْتُمٌ بِالرَّصَاصِ  
فَلَمَّا فُضَّ خَتَامُهُ صَدَّ مِنْهُ دُخَانٌ إِلَى الْجَوِّ وَانْقَطَعَ وَكَانَ ذَلِكَ مَبْدَأَ أَمْرَاضِ النُّحُمَاتِ  
فِيهِ وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الْإِنْاءَ كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِ الطَّلَسْمَاتِ لِوَبَائِهِ وَأَنَّهُ

ذَهَبَ مِنْهُ يَدَاهُ فَرَجَعَ إِلَيْهَا الْعَفْنُ وَالْوَبَاءُ وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَالَمَةِ وَمَبَاحِثِهِمْ  
 الرُّكْبَةِ وَالْبَكْرِي لَمْ يَكُنْ مِنْ تَبَاهَةِ الْعِلْمِ وَأَسْنَانَةِ الْبَصِيرَةِ بَعِثْتُ يَدُوعَ مِثْلَ هَذَا  
 أَوْ يَبْنِي خَرْقَةً فَتَقْلَهُ كَمَا تَسْمَعُ وَالَّذِي يَكْشِفُ لَكَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَهْوِيَّةَ  
 الْعَفْنَةَ أَكْثَرُ مَا يَهْتَمُّهَا لِتَعْفِينِ الْأَجْسَامِ وَأَمْرَاضِ الْحُمَيَاتِ رُكُودُهَا فَإِذَا تَغَلَّتْهَا الرِّيحُ  
 وَتَقَشَّتْ وَذَهَبَتْ بِهَا يَمِينًا وَشِمَالًا خَفَّ شَأْنُ الْعَفْنِ وَالْمَرَضِ الْبَادِي مِنْهَا لِلْحَيَوَانَاتِ وَالْبِلْدِ  
 إِذَا كَانَ كَثِيرُ السَّكَنِ وَكَثُرَتْ حَرَكَاتُ أَهْلِهِ فَيَتَمَوَّجُ الْهَوَاءُ ضَرُورَةً وَتَحْدُثُ  
 الرِّيحُ الْمُتَغَلَّلَةُ لِلْهَوَاءِ الرَّائِدِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مُعِينًا لَهُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْتِمَوجِ وَإِذَا خَفَّ  
 السَّكُنُ لَمْ يَمِيدِ الْهَوَاءُ مُعِينًا عَلَى حَرَكَتِهِ وَتَمَوَّجِهِ وَبَقِيَ سَاكِئًا رَاصِدًا وَعَظُمَ عَفْنُهُ  
 وَكَثُرَ ضَرَرُهُ وَبَلَدٌ قَابِلٌ هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ مَا كَانَتْ أَفْرِيقِيَّةٌ مُسْتَعِدَّةٌ الْعُمُرَانِ كَثِيرَةً  
 السَّكَنِ تَمَوَّجُ يَأْهَلُهَا مَوْجًا فَكَانَ ذَلِكَ مُعِينًا عَلَى تَمَوَّجِ الْهَوَاءِ وَأَضْطَرَّابِهِ وَتَخْفِيفِ  
 الْأَذَى مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا كَثِيرُ عَفْنٍ وَلَا مَرَضٍ وَعِنْدَ مَا خَفَّ سَاكِئًا رَكَدَ هَوَاؤُهَا  
 الْمُتَعَفِّنُ بِفَسَادِ مِيَاهِهَا فَكَثُرَ الْعَفْنُ وَالْمَرَضُ فَهَذَا وَجْهُهُ لَا غَيْرُ وَقَدْ رَأَيْنَا عَكْسَ  
 ذَلِكَ فِي بِلَادٍ وَضَعَتْ وَلَمْ يُرَاعَ فِيهَا طِيبُ الْهَوَاءِ وَكَانَتْ أَوَّلًا قَلِيلَةَ السَّكَنِ فَكَانَتْ  
 أَمْرَاضُهَا كَثِيرَةً فَلَمَّا كَثُرَ سُكَّانُهَا أُنْقَلَّ حَالُهَا عَنْ ذَلِكَ وَهَذَا مِثْلُ دَارِ الْمَلِكِ بِفَاسَ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ الْمُسَمَّى بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ وَكَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ فَتَفْهَمُ نَجْدًا مَا قُلْنَاهُ لَكَ  
 وَأَمَّا جَلْبُ الْمَنَافِعِ وَالْمَرَافِقِ لِلْبَلَدِ فَيُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ مِنْهَا أَلَمَاءُ بَأَن يَكُونَ الْبَلَدُ عَلَى  
 نَهْرٍ أَوْ بِإِزَائِهَا عَيْنٌ عَذْبَةٌ ثَرَّةٌ فَإِنْ وَجِدَ أَلَمَاءٌ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ يَسْهَلُ عَلَى السَّكَنِ  
 حَاجَةُ أَلَمَاءٍ وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ فَيَكُونُ لَهُمْ فِي وَجُودِهِ مَرْفَقَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَّةٌ وَمِمَّا يُرَاعَى  
 مِنَ الْمَرَافِقِ فِي الْمَدِينِ طِيبُ الْمَرَاعِي لِسَائِمَتِهِمْ إِذَا صَاحِبُ كُلِّ قَرَارٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ  
 دَوَجِنِ الْحَيَوَانِ لِلنَّجَاحِ وَالْفَضْرَعِ وَالرُّكُوبِ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْمَرْعَى فَإِذَا كَانَ قَرِيبًا  
 طَيِّبًا كَانَ ذَلِكَ أَرْفَقَ بِحَالِهِمْ لِمَا يِعَانُونَ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي بُعْدِهِ وَمِمَّا يُرَاعَى أَيْضًا  
 الْمَزَارِعُ فَإِنَّ الزَّرْعَ فِي الْأَفْوَاقِ فَإِذَا كَانَتْ مَزَارِعُ الْبَلَدِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ  
 مَنَهِلًا فِي اتِّخَاذِهِ وَأَقْرَبَ فِي تَحْصِيلِهِ وَمِنْ ذَلِكَ الشَّجَرُ لِلْحَطَبِ وَالنِّبَاءُ فَإِنَّ الْحَطَبَ مِمَّا  
 تَعْمُ الْبَلُوسَى فِي اتِّخَاذِهِ لَوْفِدِ الْبَيْرَانِ لِلْأَصْطِلَاءِ وَالطَّبَّخِ وَالْخَشَبِ أَيْضًا ضَرُورِي  
 لِسَقْفِهِمْ وَكَثِيرٌ مِمَّا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْخَشَبُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهِمْ وَقَدْ يُرَاعَى أَيْضًا قُرْبُهَا مِنْ

الْبَحْرَ لِتَسْهِيلِ الْحَاجَاتِ الْقَاصِيَةِ مِنَ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَثَابَةِ الْأَوَّلِ  
وَهَذِهِ كُلُّهَا مُتَّفَاوَةٌ بِتَفَاوُتِ الْحَاجَاتِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةُ السَّائِكِينَ وَقَدْ يَكُونُ الْوَاضِعُ  
غَافِلًا عَنْ حُسْنِ الْأَخْتِيَارِ الطَّيِّبِيِّ أَوْ إِنَّمَا يُرَاعِي مَا هُوَ أَهْمٌ عَلَى نَفْسِهِ وَتَوَمُّهُ وَلَا  
يَذْكُرُ حَاجَةَ غَيْرِهِمْ كَمَا قَعَلَهُ الْقَرْبُ لِأَوَّلِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدُنِ الَّتِي اخْتَطَوْهَا  
بِالْعِرَاقِ وَأَفْرِيقِيَّةَ فَأَيُّهُمْ لَمْ يُرَاعُوا فِيهَا إِلَّا الْأَهْلَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَرَايِ الْإِبِلِ وَمَا يَصْلُحُ  
لَهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ الْمَالِحِ وَلَمْ يُرَاعُوا الْمَاءَ وَلَا الْمَزَارِعَ وَلَا الْحَطَبَ وَلَا مَرَايِ  
السَّائِمَةِ مِنْ ذَوَاتِ الظَّلْفِ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ كَالْقَيْرَوَانِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَأَمْثَالِهَا  
وَلِهَذَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْخُرَابِ مَا لَمْ تُرَاعَ فِيهَا الْأُمُورُ الطَّيِّبَةُ

وَمَا يُرَاعَى فِي الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي عَلَى الْبَحْرِ أَنْ تَكُونَ فِي جَبَلٍ أَوْ تَكُونَ بَيْنَ  
أَمَةٍ مِنَ الْأُمَمِ مُؤَوَّذَةً أَلَدَدِ تَكُونُ مَرِيحًا لِلْمَدِينَةِ مَتَى طَرَفَهَا طَارِقٌ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَانَتْ حَامِيَةً الْبَحْرِ وَلَمْ يَكُنْ بِسَاحَتِهَا عُمُرَانُ  
لِلْقِبَائِلِ أَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ وَلَا مَوْضِعُهَا مُتَوَعَّدٌ مِنَ الْجَبَلِ كَانَتْ فِي غِرَةِ اللَّيَّاتِ وَسَبِيلَ طُرُوقِهَا  
فِي الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ عَلَى عَدُوِّهَا وَتَحِيْفُهُ لَهَا لِمَا يَأْمُنُ مِنْ وُجُودِ الْعَرَبِخِ لَهَا وَأَنَّ  
الْخَضِرَ الْمُتَوَعَّدِينَ لِلدَّعَةِ قَدْ صَارُوا عِيَالًا وَخَرَجُوا عَنْ حُكْمِ الْمُقَاتِلَةِ وَهَذِهِ  
كَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَطَرَابُلُسَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبُونَةَ وَسَلَا وَمَتَى كَانَتْ الْقِبَائِلُ  
وَالْعَصَائِبُ مُوْطِنِينَ بِقَرْيَها بِحَيْثُ يَبْلُغُهُمُ الصَّرِيخُ وَالنَّعِيرُ وَكَانَتْ مُتَوَعَّدَةً الْمَسَالِكِ عَلَى  
مَنْ يَرُومُهَا بِاخْتِطَاطِهَا فِي هَضَابِ الْجِبَالِ وَتَلَى أَسْنَنَتِهَا كَانَ لَهَا بِذَلِكَ مَنَعَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَيَسُّوْا مِنْ طُرُوقِهَا لِمَا يَكْبُدُونَهُ مِنْ وَعَرِهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ إِبْجَابَةِ صَرِيخِهَا كَمَا فِي  
سَبْتَةِ وَبِجَابَةِ وَبَلَدِ الْقُلِّ عَلَى صَفَرِهَا فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَأَعْتَبَرَهُ فِي اخْتِصَاصِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ  
بِاسْمِ الْغُرِّ مِنَ لَدُنِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مَعَ أَنَّ الدَّعْوَةَ مِنْ زَوَائِهَا بِبَرَقَةٍ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَإِنَّمَا أَعْتَبِرَ  
فِي ذَلِكَ لِحَقَاقَةِ الْمُتَوَقَّعَةِ فِيهَا مِنَ الْبَحْرِ لِسَهُولَةِ وَضْعِهَا وَلِلذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ طُرُوقُ الْعَدُوِّ  
لِلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَطَرَابُلُسَ فِي الْمَلَةِ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

إِلَّمَّ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَضْلَ مِنَ الْأَرْضِ بِقَاعًا اخْتَصَمَهَا بِشَرِيفِهِ وَجَعَلَهَا مَوَاطِنَ

لِعِبَادَتِهِ يُضَاعَفُ فِيهَا الثَّوَابُ وَيَتَمَوْبُهَا الْأَجُورُ وَأَخْبَرَنَا بِذَلِكَ عَلَى النَّسَنِ رُسُلُهُ وَأَنْبِيَائُهُ  
لَطْفًا بِعِبَادِهِ وَتَسْيِيلًا لِمَنْطَرِقِ السَّعَادَةِ لَهُمْ. وَكَانَتْ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَفْضَلُ بَقَاعِ  
الْأَرْضِ حَسَبًا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَهِيَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ أَمَّا أَلَيْتُ  
الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ فَوَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمَرَهُ اللَّهُ بَيْنَائِهِ وَأَنْ  
يُؤْذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَيْهِ فَبَنَاهُ هُوَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ كَمَا نَصَّهُ الْقُرْآنُ وَقَامَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ  
فِيهِ وَسَكَنَ إِسْمَاعِيلُ بِهِ مَعَ هَاجِرَ وَمَنْ نَزَلَ مَعَهُمْ مِنْ جُرْهُمَ إِلَى أَنْ قَبِضَهُمَا اللَّهُ وَدُفِنَا  
بِالْعَجْرِ مِنْهُ. وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ بَنَاهُ دَاوُدُ وَسَلِّمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَمَرَهُمَا اللَّهُ بَيْنَا  
مَسْجِدِهِ وَتَضَبَّيَا كُلَّهُ وَدُفِنَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْلَيْهِ.  
وَالْمَدِينَةُ مَهَاجِرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَجْرِ إِلَيْهَا  
وَأَقَامَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِهَا فَبَنَى مَسْجِدَهُ الْحَرَامَ بِهَا وَكَانَ مَلْعَدُهُ الشَّرِيفُ فِي تَرْجِيحِهَا  
فَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ قُرْبُ عَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَمَوْىِ أَفْئِدَتِهِمْ وَعِظْمَةُ دِينِهِمْ وَفِي الْأَثَارِ  
مِنْ فَضْلِهَا وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ فِي مَجَاوَرَتِهَا وَالصَّلَاةِ فِيهَا كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ فَلَنُشِيرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ  
الْخَبَرِ عَنْ أَوَّلِيَّةِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَكَيْفَ تَدَرَّجَتْ أَحْوَالُهَا إِلَى أَنْ كَمُلَ ظُهُورُهَا  
فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا مَكَّةُ فَأَوَّلِيَّتُهَا فِيمَا يُقَالُ أَنَّ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَنَاهَا قُبَالَةَ أَلَيْتِ  
الْمَعْمُورِ ثُمَّ هَدَمَهَا الطُّوفَانُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِيهِ خَبَرٌ صَحِيحٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَقْنَسُوهُ  
مِنْ تَحْمِيلِ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ  
إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَغَيْرَتِهَا مِنْ هَاجِرَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَأَوْحَى  
اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجِرَ بِالْفَلَاةِ فَوَضَعُهَا فِي مَكَانِ الْبَيْتِ وَسَارَ  
عَنْهَا وَكَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمَا مِنَ اللَّطْفِ فِي نَبْعِ مَاءٍ زَمَزَمَ وَمُرُورِ الرِّفْقَةِ مِنْ جُرْهُمَ  
بِهَا حَتَّى اخْتَمَلُوهُمَا وَسَكَنُوا إِلَيْهَا وَنَزَلُوا مَعَهَا حَوَالِي زَمَزَمَ كَمَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ  
فَاتَّخَذَ إِسْمَاعِيلُ بِمَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَيْتًا يَأْوِي إِلَيْهِ وَأَدَارَ عَلَيْهِ سِيَاجًا مِنَ الرَّدَمِ وَجَعَلَهُ  
زَرْبًا لِقَعْمِهِ وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِرَارًا لِرِيبَاتِهِ مِنَ الشَّامِ أَمَرَ فِي آخِرِهَا  
بِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ مَكَانَ ذَلِكَ الرَّبِّ فَبَنَاهُ وَاسْتَعَانَ فِيهِ بِابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى  
حُجِّهِ وَبَقِيَ إِسْمَاعِيلُ سَاكِنًا بِهِ وَلَمَّا قُبِضَتْ أُمُّهُ هَاجِرُ وَقَامَ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ أَلَيْتِ  
مَعَ أَخْوَالِهِمْ مِنْ جُرْهُمَ ثُمَّ الْعَمَالِقُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَاسْتَحَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ وَالنَّاسُ يَهْرَعُونَ

إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ لَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ دَنَا  
 أَوْ نَأَى فَقَدْ نَقَلَ أَنَّ التَّبَاعَةَ كَانَتْ تَتَّبِعُ الْبَيْتَ وَتُعَظِّمُهُ وَأَنَّ بَنِي كَسَاهَا الْمَلَأَةُ  
 وَالْوَصَائِلَ وَأَمَرَ بِتَطْيِيرِهَا وَجَعَلَ لَهَا مَفْتَاخًا وَنَقَلَ أَيْضًا أَنَّ الْقُرْسَ كَانَتْ تَتَّبِعُهُ وَتُقَرِّبُ  
 إِلَيْهِ وَأَنَّ غَزَالِي النَّعَبِ الَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ اخْتَفَرَ زَمَرَمَ كَانَا مِنْ  
 قُرَايِنِهِمْ وَلَمْ يَزَلْ لُجُزُهُمُ الْوِلَايَةَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ قَبْلِ خُرُوجِهِمْ حَتَّى إِذَا  
 خَرَجَتْ خَزَاعَةُ وَأَقَامُوا بِهَا بَعْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ كَثُرَ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ وَانْتَشَرُوا وَاتَّسَعُوا إِلَى  
 كَثَانَةٍ ثُمَّ كَثَانَةٌ إِلَى قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَسَاءَتْ وَِلَايَةُ خَزَاعَةَ فَعَلَبَتْهُمْ قُرَيْشٌ عَلَى أَمْرِهِ  
 وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْبَيْتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ قَصِيَّ بَنٍ كِلَابٍ بَنَى الْبَيْتَ وَسَفَقَهُ بِخَشَبِ  
 الدَّمِ وَجَرَّ يَدَ النَّخْلِ وَقَالَ الْأَعَشَى

خَلَفْتُ بِقُورِي رَاهِبَ النُّورِ وَالْيَاقِي بَنَاهَا قَصِيَّ وَالْمِضَاضُ بْنُ جُرْهُمٍ  
 ثُمَّ أَصَابَ الْبَيْتَ سَيْلٌ وَيُقَالُ حَرِيقٌ وَتَهَدَّمُ وَأَعَادُوا بِنَاءَهُ وَجَمَعُوا النَّفَقَةَ لِذَلِكَ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ وَأَنْكَسَرَتْ سَفِينَةُ بِسَاحِلِ جِلَّةَ فَأَشْعَرُوا خَشَبَهَا لِلسَّقْفِ وَكَانَتْ جُدْرَانُهُ فَوْقَ  
 الْقَامَةِ يَجْعَلُوهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَكَانَ الْبَابُ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ لِيَجْعَلُوهُ فَوْقَ الْقَامَةِ لِئَلَّا  
 تَدْخُلَهُ السُّيُولُ وَقَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ عَنْ إِمْتَامِهِ فَقَصَّروا عَنْ قَوَاعِيدِهِ وَتَرَكُوا مِنْهُ سِتًّا  
 أَذْرَعًا وَشِبْرًا أَدَارُوهَا بِجِدَارٍ قَصِيرٍ يُطَافُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ الْحَجَرُ وَبَقِيَ الْبَيْتُ عَلَى هَذَا  
 الْبِنَاءِ إِلَى أَنْ تَخَصَّنَ ابْنُ الْأَرْبِيِّ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا لِنَفْسِهِ وَزَحَفَتْ إِلَيْهِ جُبُوشُ يَزِيدَ  
 بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْمُخَصَّصِينَ بْنِ نُمَيْرٍ السَّكُونِيَّ وَرَمَى الْبَيْتَ سَنَةً أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ فَأَصَابَهُ  
 حَرِيقٌ يُقَالُ مِنَ الْفُطْرِ الَّذِي رَمَوْا بِهِ عَلَى ابْنِ الْأَرْبِيِّ فَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ بَعْدَ  
 أَنْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الْعَصَابَةُ فِي بِنَائِهِ وَأَخْرَجَ عَلَيْهِمْ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدٍ يَكْفُرُ لَرَدَدْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِيدِ إِبْرَاهِيمَ  
 وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا فَهَدَمَهُ وَكَشَفَ عَنْ أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَمَعَ  
 أَوْجُوهَ وَالْأَكَابِرَ حَتَّى عَابَنُوهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالْتَّحَرِّيِ فِي حِفْظِ الْقِبْلَةِ عَلَى النَّاسِ  
 فَأَدَارَ عَلَى الْأَسَاسِ الْخَشَبَ وَنَصَبَ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارَ حِفْظًا لِلْقِبْلَةِ وَبَعَثَ إِلَى صَنَاءِ  
 فِي الْفِضَةِ وَالْكِلْسِ لِيَحْمِلَهَا وَسَأَلَ عَنْ مَقْطَعِ الْحِجَارَةِ الْأَوَّلِ لِيَجْمَعَ مِنْهَا مَا أَخْتِاجُ  
 إِلَيْهِ ثُمَّ شَرَعَ فِي الْبِنَاءِ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَ جُدْرَانَهَا سَبْعًا وَعِشْرِينَ

ذَرَاْعًا وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ لِاصِقَيْنِ بِالْأَرْضِ كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِهِ وَجَعَلَ قَرْشَهَا وَإِزْرَهَا  
 بِالْأَرْخَامِ وَصَاغَ لَهَا الْمَفَاتِيحَ وَصَفَّاحَ الْأَبْوَابِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ جَاءَ الْحُجَّاجُ لِحَصَارِهِ أَيَّامَ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ وَرَوَى عَلَى الْمَسْجِدِ بِالْمُخَنِّفَاتِ إِلَى أَنْ تَصَدَّعَتْ حِطَانُهَا ثُمَّ لَمَّا ظَفَرَ  
 بَابُنِ الزُّبَيْرِ شَاوَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِيمَا بَنَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَيْتِ فَأَمَرَهُ بِهَدْمِهِ وَرَدَّ الْبَيْتَ  
 عَلَى قَوَاعِدِ قُرَيْشٍ كَمَا فِي الْيَوْمِ وَيُقَالُ إِنَّهُ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ حِينَ عَلِمَ صِحَّةَ رِوَايَةِ ابْنِ  
 الزُّبَيْرِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَقَالَ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُ أَبَا حَبِيبٍ فِي أَمْرِ الْبَيْتِ وَبَنَائِهِ  
 مَا تَعْمَلُ فَهَدَمَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا سِتَّ أَذْرُعٍ وَشِبْرًا مَكَانَ الْحَجَرِ وَبَنَاهَا عَلَى أَسَاسِ قُرَيْشٍ  
 وَسَدَّ الْبَابَ الْغُرَبِيَّ وَمَا تَحْتَ عَتَبَةِ بَابِهَا الْيَوْمَ مِنَ الْبَابِ الشَّرَفِيِّ وَتَرَكَ سَائِرَهَا لَمْ يَغَيِّرْ  
 مِنْهُ شَيْئًا فَكُلُّ الْبِنَاءِ الَّذِي فِيهِ الْيَوْمَ بَنَاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَبَنَاهُ الْحُجَّاجُ فِي الْخَائِطِ صَلَٰةُ  
 ظَاهِرَةُ الْعِيَانِ لِحُجَّةٍ فَاهِرَةٌ بَنَ الْبِنَاءُ بَيْنَ الْبِنَاءِ وَتَمَيَّزَ عَنِ الْبِنَاءِ بِعَدَدِ إِبْصَعٍ شَيْءُ  
 الصَّدْعِ وَقَدْ لَحِمَ وَبَعِضُ مِنْهَا إِشْكَالٌ قَوِيٌّ لِنَفَائِذِهِ لَمَّا يَقُولُهُ الْفُقَهَاءُ فِي أَمْرِ الطَّوَائِفِ  
 وَيَحْذَرُ الطَّائِفُ أَنْ يَمِيلَ عَلَى الشَّاذِرِ زَوَانِ الدَّائِرِ عَلَى أَسَاسِ الْجُدُرِ مِنْ أَسْفَلِهَا فَيَقَعَ  
 طَوَائِفُهُ دَاخِلَ الْبَيْتِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْجُدُرَ إِنَّمَا قَامَتْ عَلَى بَعْضِ الْأَسَاسِ وَتَرَكَ بَعْضُهُ وَهُوَ  
 مَكَانُ الشَّاذِرِ زَوَانٍ وَكَذَا قَالُوا فِي تَقْيِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لَا بَدْءَ مِنْ رُجُوعِ الطَّائِفِ مِنَ  
 التَّقْيِيلِ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا لِمَا يَقَعُ بَعْضُ طَوَائِفِهِ دَاخِلَ الْبَيْتِ وَإِذَا كَانَتْ الْجُدُرَانِ  
 كُلُّهُمَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ إِنَّمَا بُنِيَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ فَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ  
 وَلَا تَخْلَصُ مِنْ هَذَا إِلَّا بِأَحَدٍ أَوْ بَيْنَ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْحُجَّاجُ هَدَمَ جَدِيعَهُ وَأَعَادَهُ  
 وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ إِلَّا أَنَّ الْعِيَانَ فِي شَوَاهِدِ الْبِنَاءِ بِالْعِلَامِ مَا بَيْنَ الْبِنَاءِ بَيْنَ وَتَمَيَّزَ أَحَدُ  
 الشَّقَيْنِ مِنَ أَعْلَاهُ عَلَى الْآخَرِ فِي الصَّنَاعَةِ يَرُدُّ ذَلِكَ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَمْ يَرُدَّ  
 الْبَيْتَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ جَمِيعِ حِجَابِهِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْحَجَرِ فَقَطْ لِيَدْخُلَهُ فَيُحْيِيَ  
 الْآنَ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَيْسَتْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَهَذَا بَعِيدٌ وَلَا تَحِصُنِ مِنْ  
 هَذَيْنِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ثُمَّ إِنَّ مَسَاحَةَ الْبَيْتِ وَهُوَ الْمَسْجِدُ كَانَ فَضَاءً لِلطَّائِفِينَ  
 وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ جُدُرٌ أَيَّامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ كَثُرَ  
 النَّاسُ فَأَشْتَرَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُورًا هَدَمَهَا وَزَادَهَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَدَارَ عَلَيْهَا جِدَارًا  
 دُونَ الْقَاعَةِ وَقَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ عُثْمَانُ ثُمَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَنَاهُ بِعَمْدٍ

الرَّحْمِ ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْمَنْصُورُ وَأَبْنَةُ الْمَهْدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ وَوَقَّتْ الزَّيَادَةُ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ لِعَهْدِنَا . وَتَشْرِيفُ اللَّهِ إِيَّاهَا أَلَيْتَ وَعَيْنَاتُهُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحَاطَ بِهِ وَكَفَى بِذَلِكَ أَنْ جَعَلَهُ مَهِيظًا لِلْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةِ وَمَكَانًا لِلْعِبَادَةِ وَفَرَضَ شَرَائِعَ الْحُجِّ وَمَنَاسِكَهَا وَأَوْجَبَ حَرَمَهُ مِنْ سَائِرِ نَوَاحِيهِ مِنْ حُقُوقِ التَّعْظِيمِ وَأَلْحَقَ مَا لَمْ يُوْجِبْهُ لِعِزِّهِ فَمَنَعَ كُلَّ مَنْ خَالَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ مِنْ دُخُولِ ذَلِكَ الْحَرَمِ وَأَوْجَبَ عَلَى دَاخِلِهِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الْخُطْبِ إِلَّا إِذَا رَأَى يَسْتُرُهُ وَحَمَى الْعَائِدَ بِهِ وَالرَّائِعَ فِي مَسَاحِيهِ مِنْ مَوَاقِعِ الْآفَاقِ فَلَا يُرَامُ فِيهِ خَائِفٌ وَلَا بَصَادٌ لَهُ وَحُشٌّ وَلَا يُحْتَطَبُ لَهُ شَجَرٌ . وَحَدَّ الْحَرَمَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِدِهِ الْحَرَمَةُ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ إِلَى التَّنْعِيمِ وَمِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ إِلَى الثَّنِيَّةِ مِنْ جَبَلِ الْمُنْقَطِعِ وَمِنْ طَرِيقِ الطَّائِفِ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ إِلَى بَطْنِ نَمْرَةٍ وَمِنْ طَرِيقِ جَدَّةِ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ إِلَى مُنْقَطِعِ الْعَشَائِرِ . هَذَا شَأْنُ مَكَّةَ وَخَبَرُهَا وَتُسَمَّى أُمُّ الْقُرَى وَتُسَمَّى الْكُتَيْبَةُ لِغُلُوبِهَا مِنْ أَسْرِ الْكُفْرِ وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا بَكَّةَ قَالَ الْأَعْمَشِيُّ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِيَّاهَا أَيْ يَدْفَعُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ بَاهُ بَكَّةَ أَبْدَلُوهَا بِمَا كَمَا قَالُوا لَا زَبٌ وَلَا زِمٌ لِقُرْبِ الْخُرُوجِ . وَقَالَ النَّخَعِيُّ بِأَبَاءِ وَبِالْمِيمِ الْبَلَدُ وَقَالَ الرَّهْرِيُّ بِأَبَاءِ الْمَسْحِدِ كُلِّهِ وَبِالْمِيمِ الْحَرَمَ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَمُ مُنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ تُعْظِمُهُ وَالْمُلُوكُ تَبْتَثُ إِلَيْهَا بِالْأَمْوَالِ وَالْخَوَارِجِ مِثْلَ كَسْرَى وَغَيْرِهِ وَفَصَّةُ الْأَسْبَافِ وَغَرَالِي الْأَنْهَابِ الَّذِينَ وَجَّهَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ أَحْتَفَرُ زَمْزَمَ مَعْرُوفَةً وَقَدْ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَفْتَتَحَ مَكَّةَ فِي الْحَبِّ الَّذِي كَانَ فِيهَا سَبْعِينَ أَلْفَ أَوْقِيَّةٍ مِنَ الْأَنْهَابِ . كَمَا كَانَ الْمُلُوكُ يَهْدُونَ لَيْلَتَ فِيهَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ مُكْرَرَةً مَرَّتَيْنِ بِمَائَتَيْ قَنْطَارٍ وَزَنًا وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَعْنَتْ بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِكَ فَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ ذَكَرَ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يُحْزِكْهُ هَكَذَا قَالَ الْأَزْزَقِيُّ وَفِي الْبَخَارِيِّ . يُسْتَدُّ إِلَى أَبِي وَائِلٍ قَالَ جَلَسْتُ إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عَثْمَانَ وَقَالَ جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا صَهْرَاءَ وَلَا يَتِيمًا إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ قَالَ وَلَمْ قُلْتُ فَلَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ فَقَالَ هُمَا اللَّذَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا وَخَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَتَانَا ذَلِكَ الدَّالُّ إِلَى أَنْ كَانَتْ فِتْنَةُ الْأَنْطُسِيِّ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ سَنَةَ نِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ حِينَ غَلَبَ مَكَّةَ عُمَدُ إِلَى

الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ مَا فِي خَزَائِنِهَا وَقَالَ مَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةُ هَذَا أَلَمَالُ مَوْضُوعًا فِيهَا لَا يَنْتَفِعُ بِهِ  
 نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ تَسْعِينَ بِهِ عَلَى حَرْبِنَا وَأَخْرَجَهُ وَتَصَرَّفَ فِيهِ وَبَطَلَتِ الذَّخِيرَةُ مِنَ الْكَعْبَةِ  
 مِنْ يَوْمَئِذٍ . ( واما بيت المقدس ) وَهُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى فَكَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِ أَيَّامَ الصَّالِحَةِ  
 مَوْضِعَ الزُّهْرَةِ وَكَانُوا يَقْرَبُونَ إِلَيْهِ الزَّيْتَ فِيمَا يَقْرَبُونَهُ يَصُبُّونَهُ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي هُنَاكَ  
 ثُمَّ دُيِّرَ ذَلِكَ الْهَيْكَلُ وَاتَّخَذَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ مَلَكَوْهَا قِبْلَةً لِصَلَاتِهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّ  
 مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا خَرَجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ لِتَمْلِكِيهِمْ بَيْتَ الْقُدْسِ كَمَا  
 وَعَدَ اللَّهُ آبَاءَهُمْ إِسْرَائِيلَ وَأَبَاهُ إِسْحَاقَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَقَامُوا بِأَرْضِ الْبَلَدِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِاتِّخَاذِ  
 قِبْلَةٍ مِنْ حَشَبِ السَّطِيعِ عَيْنَ بِالْوَحْيِ مَقْدَارَهَا وَصِفَتَهَا وَهِيَ كَيْفَهَا وَتَمَائِيلُهَا وَأَنْ يَكُونَ  
 فِيهَا النَّابُوتُ وَمَائِدَةٌ بِصَحَافِهَا وَمَنَارَةٌ بِقِنَادِيلِهَا وَأَنْ يَصْنَعَ مَذْبَحًا لِلْقُرْبَانِ وَصَفَ ذَلِكَ  
 كُلَّهُ فِي التَّوْرَةِ أَكْمَلَ وَصَفَ فَصْنَعَ الْقِبْلَةَ وَوَضَعَ فِيهَا تَابُوتَ الْعَهْدِ وَهُوَ النَّابُوتُ  
 الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ الْمَصْنُوعَةُ عِوَضًا عَنِ الْأَلْوَاحِ الْمُنْزَلَةِ بِالْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ لَمَّا تَكَدَّرَتْ  
 وَوَضَعَ الْمَذْبَحَ عِنْدَهَا . وَعَهْدَ اللَّهُ إِلَى مُوسَى بِأَنْ يَكُونَ هَارُونُ صَاحِبَ الْقُرْبَانِ وَتَصَبُّوا  
 تِلْكَ الْقِبْلَةَ بَيْنَ خِيَابِهِمْ فِي الْبَيْتِ يُصَلُّونَ إِلَيْهَا وَيَقْرَبُونَ فِي الْمَذْبَحِ أَمَامَهَا وَيَتَرَضُّونَ  
 لِلْوَحْيِ عِنْدَهَا . وَلَمَّا مَلَكَوْا السَّامَ وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْقِبْلَةُ قِبْلَتَهُمْ وَوَضَعُوهَا عَلَى الصَّخْرَةِ  
 بَيْتَ الْقُدْسِ وَأَرَادَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءَ مَسْجِدِهِ عَلَى الصَّخْرَةِ مَكَانَهَا فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ  
 ذَلِكَ وَعَهْدَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ سُلَيْمَانَ بِنَاؤُهُ لِأَنْ يَحِلَّ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَلِخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ وَقَاتِهِ  
 مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتَّخَذَ عُمْدَةً مِنَ الصَّنَرِ وَجَعَلَ بِهِ مَرَحَ الزُّجَاجِ وَغَشَّى أَبْوَابَهُ  
 وَحِيطَانَهُ بِالذَّهَبِ وَصَاغَ هِيَ كُلَّهُ وَتَمَائِيلُهُ وَأَوْعِيَتُهُ وَمَنَارَتُهُ وَمِفْتَاحُهُ مِنَ الذَّهَبِ وَجَعَلَ  
 فِي ظَهْرِهِ قَبْرًا لِيَضَعَ فِيهِ تَابُوتَ الْعَهْدِ وَهُوَ النَّابُوتُ الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ وَجَاءَ بِهِ مِنْ  
 صِهْيُونَ بَلَدِ أَبِيهِ دَاوُدَ تَعْمِلُهُ الْأَسْبَاطُ وَالْكَهَنُوتُ حَتَّى وَضَعُوهُ فِي الْقَبْرِ وَوَضِعَتِ الْقِبْلَةُ  
 وَالْأَوْعِيَةُ وَالْمَذْبَحُ كُلُّ وَاحِدٍ حَيْثُ أُعِدَّ لَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَقَامَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ  
 خَرَبَهُ بَغْتًا نَصَرَ بَعْدَ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ بِنَائِهِ وَأَحْرَقَ التَّوْرَةَ وَالْعَصَا وَصَاغَ الْهِيَ كُلَّ وَتَرَدَّ  
 الْأَحْجَارُ ثُمَّ لَمَّا أَعَادَهُمْ مُلْكُ الْفَرَسِ بَنَاهُ عَزِيزُ نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِعَهْدِهِ بِإِعَانَةِ بَهْمَنْ  
 مَلِكِ الْفَرَسِ الَّذِي كَانَتْ الْوِلَادَةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ مِنْ سَبْيِ بَغْتٍ نَصَرَ وَحَدَّ لَهُمْ فِي  
 بِنَائِهِ حُدُودًا دُونَ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا ثُمَّ تَدَاوَلَتْهُمْ



مُلُوكُ يُونَانَ وَالْفَرَسِ وَالرُّومِ وَاسْتَفْحَلَ الْمَلِكُ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ لَبِنِي  
حَشَمَتَايَ مِنْ كَهَنَتِهِمْ ثُمَّ أَصْرَحْتُهُمْ دِيرُودُسَ وَلَبِنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ وَبَنَى دِيرُودُسُ بَيْتَ الْقُدُسِ  
عَلَى بِنَاءِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَأْتَى فِيهِ حَتَّى أَكْمَلَهُ فِي سِتِّ سِنِينَ فَلَمَّا جَاءَ طَيْطُسُ  
مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ وَغَابَهُمْ وَمَلَكَ أَمْرُهُمْ خَرَّبَ بَيْتَ الْقُدُسِ وَمَسَجِدَهَا وَأَمَرَ أَنْ يُزْرَعَ  
مَكَانُهَا ثُمَّ أَخَذَ الرُّومُ بِيَدِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَانُوا بِتَعْظِيمِهِ ثُمَّ اخْتَلَفَ حَالُ  
مُلُوكِ الرُّومِ فِي الْأَخْذِ بِيَدِي النَّصَارَى تَارَةً وَبَرَكِهِ أُخْرَى إِلَى أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ  
وَتَبَصَّرَتْ أُمَةُ شِرَازَهُ وَأَرْسَلَتْ إِلَى الْقُدُسِ فِي سَلْبِ الْخَشَبَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا الْمَسِيحُ  
يُزَعِّمُهُمْ فَأَخْبَرَهَا الْقِسَاوَسَةُ بِأَنَّهُ رَمَى بِخَشَبَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَأَتَى عَلَيْهَا الْقَهَامَاتُ وَالْقَادُوزَاتُ  
فَاسْتَفْرَجَتِ الْخَشَبَةَ وَبَنَتْ مَكَانَ تِلْكَ الْقَهَامَاتِ كَنِيسَةً الْقَهَامَاتِ كَانَهَا عَلَى قَبْرِ بَرَعِيمِ  
وَهَرَبَتْ مَا وَجَدَتْ مِنْ عِمَارَةٍ الْبَيْتِ وَأَمَرَتْ بِطَرْحِ الزُّبُلِ وَالْقَهَامَاتِ عَلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى  
غَطَّاهَا وَخَفِيَ مَكَانُهَا جَزَاءُ بَرَعِيمِهَا لِمَا فَعَلُوهُ بِقَبْرِ الْمَسِيحِ ثُمَّ بَنَوْا بِإِزَاءِ الْقَهَامَةِ بَيْتَ لَحْمٍ  
وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي وَلَدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ  
وَحَضَرَ عُمَرُ لِفَتْحِ بَيْتِ الْقُدُسِ وَسَأَلَ عَنِ الصَّخْرَةِ فَأَرَانِي مَكَانَهَا وَقَدْ عَلِمَا أَنَّ الزُّبُلَ  
وَالثَّرَابَ فَكَشَفَ عَنْهَا وَبَنَى عَلَيْهَا مَسْجِدًا عَلَى طَرِيقِ الْبِدَاوَةِ وَعَظَّمُ مِنْ شَأْنِهِ مَا أَدْنَى اللَّهِ  
مِنْ تَعْظِيمِهِ وَمَا سَبَقَ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ فِي فَضْلِهِ حَسْبَمَا ثَبَتَ ثُمَّ أَحْفَلَ الْوَلِيدُ بْنُ  
عَبْدِ الْمَلِكِ فِي تَشْيِيدِ مَسْجِدِهِ عَلَى سُنَنِ مَسَاجِدِ الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ الْأَحْتِفَالِ  
كَمَا فَعَلَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَفِي  
مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَسْمِيهِ بِلَاطِ الْوَلِيدِ وَأَزَمَ مَلِكُ الرُّومِ أَنْ يَبْعَثَ الْقَعْلَةَ  
وَالْمَالَ لِبِنَاءِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ وَأَنْ يُنْقِوَهَا بِالتَّسْفِيسَاءِ فَاطَاعَ لِذَلِكَ وَتَمَّ بِنَاؤُهَا عَلَى  
مَا اقْتَرَحَهُ ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ أَعْوَامَ الْخُلَاصَةِ مِنْ الْغُبُورَةِ فِي آخِرِهَا  
وَكَانَتْ فِي مَلِكَةِ الْعَبِيدِيِّينَ خُلَفَاءِ الْقَاهِرِ مِنَ الشَّيْعَةِ وَأَخْلَعَ أَمْرُهُمْ زَحَفَ الْقَرْمِجَةَ  
إِلَى بَيْتِ الْقُدُسِ فَمَلَكُوهُ وَمَلَكُوا مَعَهُ عَامَةً تُقَوُّ الشَّامَ وَبَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ الْقُدْسَةَ  
مِنْهُ كَنِيسَةً بَكَتُوا بِتَعْظِيمِهَا وَيَفْتَخِرُونَ بِبِنَائِهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقَلَّ صَلَاحُ الدِّينِ بْنِ  
أَبِي الْكُرْدِيِّ بِمَلِكِ مِصْرَ وَالشَّامَ وَتَحَا أَثَرُ الْعَبِيدِيِّينَ وَبَدَعَهُمْ زَحَفَ إِلَى الشَّامِ  
وَجَاهَدَ مَنْ كَانَ بِهِ مِنَ الْقَرْمِجَةِ حَتَّى غَلَبَهُمْ عَلَى بَيْتِ الْقُدُسِ وَعَلَى مَا كَانُوا مَلَكُوهُ

مِنْ تُغُورِ الشَّامِ وَذَلِكَ لِتَحْوِ ثَمَانِينَ وَخَمْسِيَّةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَهَدَمَ تِلْكَ الْكِنِيسَةَ  
 وَأَظْهَرَ الصَّخْرَةَ وَبَنَى الْمَسْجِدَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَبْرُزُ  
 لَكَ إِلَّا شَكْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ  
 أَوَّلِ يَتِّ وَضِعَ فَقَالَ بَيْنَ مَكَّةَ وَبَيْنَ بَنَاءِ يَتِّ الْمَقْدِسِ قِيلَ نَعَمْ يَنْهَأ قَالَ أَرْبَعُونَ  
 سَنَةً فَإِنَّ الْمُدَّةَ بَيْنَ بَنَاءِ مَكَّةَ وَبَيْنَ بَنَاءِ يَتِّ الْمَقْدِسِ بِمِقْدَارِ مَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَسُلَيْمَانَ  
 لِأَنَّ سُلَيْمَانَ بَابِيهِ وَهُوَ يُنْفِثُ عَلَى آلَافٍ يَكْثِيرُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَضْعِ فِي الْحَدِيثِ  
 لَيْسَ الْبِنَاءُ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَوَّلُ يَتِّ عَيْنِ الْعِبَادَةِ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ يَتِّ الْمَقْدِسِ عَيْنِ  
 الْعِبَادَةِ قَبْلَ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ وَقَدْ ثَقُلَ أَنَّ الصَّائِنَةَ بَنُوا عَلَى الصَّخْرَةِ هَيْكَلَ  
 الزُّهْرَةِ فَعَلَلْ ذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَصْعُقُ الْأَصْنَامَ وَالْأَمْثَالَ  
 حَوَالِي الْكَعْبَةِ وَفِي جَوْفِهَا وَالصَّائِنَةُ الَّذِينَ بَنُوا هَيْكَلَ الزُّهْرَةِ كَانُوا عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا تَبْعُدُ مُدَّةُ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً بَيْنَ وَضْعِ مَكَّةَ لِلْعِبَادَةِ وَوَضْعِ يَتِّ الْمَقْدِسِ  
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُنْذَ بَنَاءِ يَتِّ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَى يَتِّ الْمَقْدِسِ سُلَيْمَانُ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَهْنِئْهُ فِيهِ حَلْ هَذَا الْإِشْكَالِ . وَأَمَّا الْمَدِينَةُ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ يَتْرَبُ  
 فَهِيَ مِنْ بَنَاءِ يَتْرَبِ بْنِ هَلَايِيلَ مِنَ الْعَالِقَةِ وَمَلَكَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِيمَا  
 مَلَكَوهُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَارِ ثُمَّ جَاوَزَهُمْ بَنُو قَيْلَةَ مِنْ عَسَّانَ وَعَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَطَلَّ حَصُونُهَا .  
 ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا لِمَا سَبَقَ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهَا فَهَاجَرَ إِلَيْهَا  
 وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَتَبِعَهُ أَتَحَابُهُ وَنَزَلَ بِهَا وَبَنَى مَسْجِدَهُ وَيُوتُهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ اللَّهُ  
 قَدْ أَعَدَّ لَذَلِكَ وَشَرَفَهُ فِي سَابِقِ أَرْزِلِهِ وَأَوَاهُ أَبْنَاءُ قَيْلَةَ وَنَصَرُوهُ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْأَنْصَارَ  
 وَتَمَّتْ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمَاتِ وَغَلَبَ عَلَى قَوْمِهِ وَفَتَحَ  
 مَكَّةَ وَمَلَكَهَا وَظَنَّ الْأَنْصَارُ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ عَنْهُمْ إِلَى بَلَدِهِ فَأَهْمَهُمْ ذَلِكَ فَخَاطَبَهُمْ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَوِّلٍ حَتَّى إِذَا فُيَضَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُلْحَدُهُ الشَّرِيفُ بِهَا وَجَاءَ فِي فَضْلِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مَا لَا خِفَاءَ  
 بِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى مَكَّةَ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا ثَبَتَ  
 عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ عَنْ رَفِيعِ بْنِ خَدَّاجٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 قَالَ الْمَدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ ثَقُلَ ذَلِكَ أَبُو الْوَهَّابِ فِي الْمَعْنَى إِلَى أَحَادِيثِ أُخْرَى

تَدُلُّ بِظَاهِرِهَا عَلَى ذَلِكَ وَخَالَتْ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ . وَأَصْبَحَتْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ثَانِيَةً  
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَجَنَّ إِلَيْهَا الْأُمَمُ بِأَفْئِدَتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فَانْظُرْ كَيْفَ تَنْدَرَجَتْ  
 الْفَضِيلَةُ فِيهِ الْمَسَاجِدِ الْمُعَظَّمَةِ لِأَسْبَقِ مِنْ عَنَابَةِ اللَّهِ لَهَا وَتَقَهَّرَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ  
 وَتَدْرِجُهُ عَلَى تَرْتِيبٍ مُحْكَمٍ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا . وَأَمَّا غَيْرُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ  
 فَلَا تَعْلَمُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا يُقَالُ مِنْ شَأْنِ مَسْجِدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَرَنْدِيبَ مِنْ  
 جَزَائِرِ الْهِنْدِ لِكُنْهٍ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ شَيْءٌ يَعُولُ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَتْ لِلْأُمَمِ فِي الْقَدِيمِ مَسَاجِدُ  
 يُعَظِّمُونَهَا عَلَى جِهَةِ الدِّينِ يَزْعَمُهُمْ مِنْهَا يُوتِ النَّارُ لِلْفَرَسِ وَهِيَ كُلُّ يُونَانَ وَيُوتِ الْعَرَبُ  
 بِالْحِجَازِ أَلَيْ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْدِيهَا فِي غُرُوتِهِ وَقَدْ ذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ مِنْهَا  
 يُونَا لَسْنَا مِنْ ذِكْرِهَا فِي شَيْءٍ إِذْ هِيَ غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ وَلَا هِيَ عَلَى طَرِيقِ دِينِي وَلَا يُلْتَقُ  
 إِلَيْهَا وَلَا إِلَى الْخَبَرِ عَنْهَا وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي التَّوَارِيخِ فَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الْأَخْبَارِ  
 فَعَلَيْهِ بِهَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

### الفصل السابع

في ان المدن والامصار بافرقية والمغرب قليلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْطَارَ كَانَتْ لِلْبَزِيرِ مِنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
 وَكَانَ عُمْرَانُهَا كُلُّهُ بَدَوِيًّا وَلَمْ تَسْتَمِرَّ فِيهِمْ الْحَضَارَةُ حَتَّى تُسْتَكْمَلَ أحوَالُهَا وَالذُّوْلُ  
 أَلَيْ مَلِكْتُهُمْ مِنَ الْإِفْرِجَةِ وَالْعَرَبُ لَمْ يَطْلُ أَمْدُ مَلِكِهِمْ فِيهِمْ حَتَّى تَرْمِخَ الْحَضَارَةُ  
 مِنْهَا فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْبِدَاوَةِ وَشُؤُونُهَا فَكَانُوا إِلَيْهَا أَقْرَبَ فَلَمْ تَكُنْ مَبَانِيهِمْ وَأَيْضًا  
 فَأَصْنَاعُ بَعِيدَةٍ عَنِ الْبَزِيرِ لِأَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَالصَّنَائِعِ مِنْ تَوَابِعِ الْحَضَارَةِ وَإِنَّمَا  
 نِصْفُ الْمَبَانِي بِهَا فَلَا بَدَأَ مِنَ الْخَلْقِ فِي تَعْلَمِهَا فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلْبَزِيرِ النِّجَالُ لَهَا لَمْ يَكُنْ  
 لَهُمْ تَشَوُّقٌ إِلَى الْمَبَانِي فِي فَضْلٍ عَنِ الْمَدُنِ وَأَيْضًا فَهُمْ أَهْلُ عَصَبِيَّاتٍ وَأَنْسَابٍ لَا يَخْلَوُ  
 عَنْ ذَلِكَ جَمْعُ مِنْهُمْ وَالْأَنْسَابُ وَالْعَصَبِيَّةُ أَجْنَحُ إِلَى الْبَدْوِ وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى الْمَدُنِ  
 الدُّعَا وَالسُّكُونُ وَيَصِيرُ سَاكِنًا عَالِيًا عَلَى حَامِيَّتِهَا فَتَجِدُ أَهْلَ الْبَدْوِ لِلذَّكَ يَسْتَنْكِبُونَ  
 عَنْ سُكْنَى الْمَدِينَةِ أَوْ الْإِقَامَةِ بِهَا فَلَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ إِلَّا التَّرَفُّ وَالْفَنَى وَقَلِيلٌ مَا هُوَ  
 فِي النَّاسِ فَلِذَلِكَ كَانَ عُمْرَانُ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرُهُ بَدَوِيًّا أَهْلُ خِيَامٍ  
 وَطَوَاعِينَ وَفِيَاطِينَ وَكَذَلِكَ فِي الْجِبَالِ وَكَانَ عُمْرَانُ بِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرُهُ قُرَى

وَأَمْصَارًا وَرَسَاتِيقَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَعِرَاقِ النَّجْمِ وَأَمْتَالِيَا لِأَرْبِ  
 الْعَجَمِ لَيْسُوا بِأَهْلِ أَنْسَابٍ يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا وَيَتَبَاهَوْنَ فِي مُرَاحَتِهَا وَالْعِيَادِهَا إِلَّا فِي الْأَتْلِ  
 وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدُوِّ لِأَهْلِ الْأَنْسَابِ لِأَنَّ لُحْمَةَ النَّسَبِ أَقْرَبُ وَأَشَدُّ فَتَكُونُ  
 عَصِيَّتُهُ كَذَلِكَ وَتَنْزِعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدُوِّ وَالْجَا فِي عَنِ الْمِصْرِ الَّذِي يَذْهَبُ  
 بِالْبَسَالَةِ وَيَصِيرُهُ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فَأَقْهَمُهُ وَفَسَّ عَلَيْهِ وَاللَّهُ مُجَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَيَهُ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن

في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها

والى من كان قبلها من الدول

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِثْلَهُ فِي الْبَرْبَرِ بَعِيْنِهِ إِذِ الْعَرَبُ أَيْضًا أَعْرَقُوا فِي الْبَدُوِّ  
 وَأَبْغَدُوا عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَيْضًا فَكَانُوا أَجَانِبَ مِنَ الْمَمَالِكِ الَّتِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
 وَلَمَّا تَمَلَّكُوهَا لَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ حَتَّى تَسْتَوْفِي رُسُومَ الْحِجَازَةِ مَعَ أَنَّهُمْ اسْتَفْتَوْا بِمَا  
 وَجَدُوا مِنْ مَبَانِي غَيْرِهِمْ وَأَيْضًا فَكَانَ الَّذِينَ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَا نَعَا مِنْ أَلْمَالَةِ أَوْ الْبَنِيَانِ  
 وَالْأَمْصَارِ فِيهِ فِي غَيْرِ الْقَصْدِ كَمَا عَهَدَ لَهُمْ عُمَرُ حِينَ اسْتَأْذَنُوهُ فِي بِنَاءِ الْكُوفَةِ  
 بِأَلْحِجَازَةِ وَقَدْ وَقَعَ الْحَرْبُ فِي الْقَصَبِ الَّذِي كَانُوا بَنَوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ أَعْمَلُوا وَلَا يَزِيدَنَّ  
 أَحَدٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيْكَانٍ وَلَا تُطَالُوا فِي الْبَنِيَانِ وَالزَّمُوا السَّنَةَ تَلَزَمَكُمْ الدَّوْلَةُ وَعَهْدٌ إِلَى  
 أَوْفَدٍ وَلَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ أَنْ لَا يَزْعُمُوا بِنِيَانًا فَوْقَ الْقَدَرِ قَالُوا وَمَا الْقَدَرُ قَالَ لَا يَقْرُبُكُمْ  
 مِنَ السَّرَفِ وَلَا يُخْرِجُكُمْ عَنِ الْقَصْدِ فَلَمَّا بَعُدَ الْعَهْدُ بِالَّذِينَ وَالنَّحْرُجُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ  
 النَّقَاصِ وَعَلَبَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَالزَّرْفِ وَاسْتَحْدَمَ الْعَرَبُ أُمَّةَ الْفَرَسِ وَأَخَذُوا عَنْهُمْ  
 الصَّنَائِعَ وَالْمَبَانِي وَدَعَتْهُمْ إِلَيْهَا أَحْوَالُ الدَّعَةِ وَالزَّرْفِ فَحِينَئِذٍ شِيدُوا الْمَبَانِي وَالصَّنَائِعَ  
 وَكَانَ عَهْدُ ذَلِكَ قَرِيبًا بِاتِّفَاقِ الدَّوْلَةِ وَلَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ لِكثَرَةِ الْبِنَاءِ وَاسْتَخْطَاطِ  
 الْمَدُنِ وَالْأَمْصَارِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَالْفَرَسُ طَالَتْ مَدَنُهُمْ أَلْفًا  
 مِنَ السِّنِينَ وَكَذَلِكَ الْقَبْطُ وَالنَّبَطُ وَالرُّومُ وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ الْأُولَى مِنْ عَادَ وَتَمُودَ وَالْعَالَمِ  
 وَالْبَيَاعَةِ طَالَتْ أَمَادُهُمْ وَرَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِمْ فَكَانَتْ مَبَانِيَهُمْ وَهِيَ كُلُّهُمْ أَكْثَرُ  
 عَدَدًا وَابْقَى عَلَى الْأَيَّامِ أَثَرًا وَاسْتَبْصَرَ فِي هَذَا تَجِدُهُ كَمَا قُلْتُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ  
 وَمَنْ عَلَيْهَا

## الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل  
والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني  
وثيقة في تشييدها وله والله أعلم وجه آخر وهو أن مسيرهم وذلك فله مراعاتهم لحسن  
الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع  
والمراعي فإنه بالتفاوت في هذا تتفاوت جودة المصير ووراءه من حيث العمران  
الطبيعي والعرب بمنزل عن هذا وإنما يرعون مراعي إيلهم خاصة لا يبالون بالعمارة  
طاب أو خبت ولا قل أو كثير ولا يسألون عن زكاة المزارع والمنايا والاهوية  
لأنهم في الأرض ونقلهم الحبوب من البلد البعيد وأما الزباغ فالفقير مختلف للمنايا  
كلها والظعن كميل لهم بطبيعتها لأن الزباغ إنما تنبت مع القرار والسكنى وكثرة  
الفضلات وأنظر لما أخطأوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يرعوا في اختطاطها  
إلا مراعي إيلهم وما يقرب من الفقر ومساك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع  
الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدمنا أنه يحتاج إليه في  
العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الأمم فيعمرها الناس  
فلذلك وهلة من انحلال أمرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سببا لها في عليها الخراب  
والانحلال كان لهم تكن والله يحكمكم لا معقب لحكمه

## الفصل العاشر

في مبادي الخراب في الامصار

اعلم أن الانصهار إذا أخطت أولا تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء  
من الحجر والخير وغيرها مما يعلى على الحيطان عند التآقي كاللحم والرخام والبرنج  
والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها يومئذ بدويا وآلاتها فاسدة فإذا عظم  
عمران المدينة وكثر ساكنها كثرت الآلات بكثرة الأعمال حينئذ وكثرت الصنائع  
إلى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق بشأنها فإذا تراجع عمرانها وخفت ساكنها  
قلت الصنائع لأجل ذلك وفقدت الإفادة في البناء والإحكام والمعالة عليه بالتتميق  
ثم تقل الأعمال لعدم الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرها

فَتَفْقَدُ وَيَصِيرُ بِنَاؤُهُمْ وَتَشِيدُهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي فِي مَبَانِيهِمْ فَيَنْقُلُونَهَا مِنْ مَصْنَعٍ إِلَى مَصْنَعٍ لِأَجْلِ خَلَاءِ أَكْثَرِ الْمَصَانِعِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ بِقِلَّةِ الْعُمَرَانِ وَنُصُورِهِ عَمَّا كَانَ أَوَّلًا ثُمَّ لَا تَزَالُ تُنْقَلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَمِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ إِلَى أَنْ يَفْقَدَ الْكَثِيرُ مِنْهَا جُمْلَةً يَفْعِدُونَ إِلَى الْبِدَاوَةِ فِي الْبِنَاءِ وَاتِّخَاذِ الطُّوبِ عَوْضًا عَنِ الْحِجَارَةِ وَالْقُصُورِ عَنِ التَّنْمِيَةِ بِالْكَلْبَةِ فَيَعْمَدُونَ بِنَاءَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ بِنَاءِ الْقَرْيَةِ وَالْمَدَرَةِ وَتَنْظُرُ عَلَيْهَا سِيمَاهُ الْبِدَاوَةِ ثُمَّ تَمُرُّ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الْخُرَابِ إِنْ قُدِرَ لَهَا بِهِ سُنَّةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل الحادي عشر

في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها وتفاق الاسواق

انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُرِفَ وَثَبَتَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بِتَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ فِي مَعَاشِهِ وَأَنَّهُمْ مُتَعَاوِنُونَ جَمِيعًا فِي عُمُرَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَالْحَاجَةُ الَّتِي تُحْصَلُ بِتَعَاوُنِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَشْتَدُّ ضَرُورَةُ الْأَكْثَرِ مِنْ عَدَدِهِمْ أَضْعَافًا فَالْقُوَّةُ مِنَ الْخِنِطَةِ مِثْلًا لَا يَسْتَقِلُّ الْوَاحِدُ بِتَحْصِيلِ حِصَّتِهِ مِنْهُ وَإِذَا أَتَدَبَّ لِتَحْصِيلِهِ السَّنَةُ أَوْ الْعَشْرَةُ مِنْ حَدَادٍ وَتِجَارٍ لِلآلَاتِ وَقَانِيمٍ عَلَى الْبَقَرِ وَإِثَارَةِ الْأَرْضِ وَحِصَادِ السَّنْبِلِ وَسَائِرِ مَوْزِنِ الْفُلُجِ وَتَوَزُّعًا عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ أَوْ اجْتَمَعُوا وَحَصَلَ بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الْقُوَّةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قُوَّةٌ لِأَضْعَافِهِمْ مَرَّتَيْنِ فَالْأَعْمَالُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ زَائِدَةٌ عَلَى حَاجَاتِ الْعَامِلِينَ وَضُرُورَاتِهِمْ فَأَهْلُ مَدِينَةٍ أَوْ مَضَرٍّ إِذَا وَزَعَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عَلَى مِقْدَارِ ضُرُورَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ أَكْتَفَى فِيهَا بِالْأَقَلِّ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا زَائِدَةً عَلَى الضَّرُورَاتِ فَتُضَرَفُ فِي حَالَاتِ التَّرَفِّ وَعَوَائِدِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَتَسْتَجْلِبُونَهُ مِنْهُمْ بِأَعْوَاضِهِ وَفِيهِمْ فَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ حِظٌّ مِنَ الْغِنَى وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ فِي بَابِ الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ أَنَّ الْمَكَاسِبَ إِنَّمَا هِيَ فِيمَ الْأَعْمَالِ فَإِذَا كَثُرَتِ الْأَعْمَالُ كَثُرَتْ فِيمَهَا يَنِيهِمْ فَكَثُرَتْ مَكَاسِبُهُمْ ضَرُورَةُ وَدَعْتُهُمْ أَحْوَالُ الرِّفَةِ وَالْغِنَى إِلَى التَّرَفِّ وَحَاجَاتِهِ مِنَ الثَّانِي فِي الْمَسَاكِينِ وَالْمَلَائِسِ وَاسْتِجَادَةِ الْآيَةِ وَالْمَاعُونِ وَاتِّخَاذِ الْخُدَمِ وَالْمَرَائِبِ وَهَلِيزِ كُلِّهَا أَعْمَالٌ تُشَدِّعِي بِقِيمَتِهَا وَيُخَفِّضُ الْمَهْرَةَ فِي صِنَاعَتِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا فَتَتَفَقَّ أَسْوَاقُ الْأَعْمَالِ وَالصَّنَائِعِ وَبِكَثْرٍ دَخَلَ الْمِضَرُّ

وَحَرْجُهُ وَيَحْصُلُ الْبَسَارُ لِمُتَّحِلِي ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِمْ وَمَتَى زَادَ الْعُمَرَانُ زَادَتْ الْأَعْمَالُ  
ثَانِيَةً ثُمَّ زَادَ التَّرَفُ تَابِعًا لِلْكَسْبِ وَزَادَتْ عَوَائِدُهُ وَحَاجَاتُهُ وَاسْتَنْبَطَتِ الصَّنَاعُ  
لِتَحْصِيلِهَا فَزَادَتْ قِيَمُهَا وَتَضَاعَفَتِ الْكَسْبُ فِي الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ ثَانِيَةً وَتَفَقَّتْ سُوقُ الْأَعْمَالِ  
بِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِ وَكَذَا فِي الزِّيَادَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الزَّائِدَةَ كُلَّهَا  
تَخْتَصُّ بِالتَّرَفِ وَالْفَنَى بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْمَعَاشِ فَالْمِصْرُ إِذَا  
فُضِّلَ بِعُمَرَانٍ وَاحِدٍ فَفَضْلُهُ بِزِيَادَةِ كَسْبٍ وَرَفِيعِ عَوَائِدٍ مِنَ التَّرَفِ لَا تُوْجَدُ فِي الْآخِرِ  
فَمَا كَانَ عُمَرَانُهُ مِنَ الْأَمْصَارِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ كَانَ حَالُ أَهْلِهِ فِي التَّرَفِ أَبْلَغَ مِنْ حَالِ  
الْمِصْرِ الَّذِي دُونَهُ عَلَى وَتَبَعِهِ وَاحِدَةٍ فِي الْأَصْنَافِ الْقَاضِيَةِ مَعَ الْقَاضِيَةِ وَالتَّاجِرِ مَعَ  
التَّاجِرِ وَالصَّانِعِ مَعَ الصَّانِعِ وَالسُّوْفِيِّ مَعَ السُّوْفِيِّ وَالْأَمِيرِ مَعَ الْأَمِيرِ وَالشَّرْطِيِّ مَعَ  
الشَّرْطِيِّ \* وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ مِثْلًا بِحَالِ فَاسٍ مَعَ غَدِيرِهَا مِنْ أَمْصَارِهِ مِثْلَ بَجَاةِ  
وَتَلْسَانَ وَسِنْتِهِ تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا كَثِيرًا عَلَى الْجُمْلَةِ ثُمَّ عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ فَحَالُ الْقَاضِيِ  
بِفَاسٍ أَوْسَعُ مِنْ حَالِ الْقَاضِيِ بِتَلْسَانَ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفِ أَهْلِهِ وَكَذَا  
أَيْضًا حَالُ تَلْسَانَ مَعَ وَهْرَانَ أَوْ الْجَزَائِرِ وَحَالُ وَهْرَانَ وَالْجَزَائِرِ مَعَ مَا دُونَهُمَا إِلَى أَنْ  
تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَدَرِّ الَّذِينَ اعْتَمَلَهُمْ فِي ضَرُورِيَّاتِ مَعَائِشِهِمْ فَقَطُّ وَيَقْصِرُونَ عَنْهَا وَمَا  
ذَلِكَ إِلَّا لِتَنَاقُضِ الْأَعْمَالِ فِيهَا فَكَانَتْهَا كُلُّهَا أَسْوَاقُ الْأَعْمَالِ وَالخُرُجُ فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَى  
نَسَبِهِ فَالْقَاضِيِ بِفَاسٍ دَخَلَهُ كِفَاهُ خَرْجِهِ وَكَذَا الْقَاضِيِ بِتَلْسَانَ وَحَيْثُ الدَّخْلُ وَالخُرُجُ  
أَكْثَرُ تَكُونُ الْأَحْوَالُ أَعْظَمَ وَهِيَ بِفَاسٍ أَكْثَرُ لِنَفَاقِ سُوقِ الْأَعْمَالِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
التَّرَفُ فَالْأَحْوَالُ أَضْعَفُ ثُمَّ كَذَا حَالُ وَهْرَانَ وَفُسْطَاطِيَّةِ وَالْجَزَائِرِ وَبِسُكْرَةٍ حَتَّى  
تَنْتَهِيَ كَمَا فُلْنَاهُ إِلَى الْأَمْصَارِ الَّتِي لَا تُؤْتِي أَعْمَالُهَا بِضَرُورَاتِهَا وَلَا تُعْدُ فِي الْأَمْصَارِ إِذَا  
هِيَ مِنْ قِبَلِ الْفَرَى وَالْمَدَرِّ فَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ ضَعْفَاءَ الْأَحْوَالِ  
مُقَارِبِينَ فِي الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ لِمَا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَقِي بِضَرُورَاتِهِمْ وَلَا يَقْضِي مَا يَتَنَلَّوْنَهُ  
كَسْبًا فَلَا تَنْمُو مَكَاسِيَهُمْ وَهُمْ لِذَلِكَ مَسَاكِينُ مُحَاجِرُونَ إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ وَاعْتَبِرْ  
ذَلِكَ حَتَّى فِي أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالسُّؤَالِ فَإِنَّ السَّائِلَ بِفَاسٍ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ السَّائِلِ بِتَلْسَانَ  
أَوْ وَهْرَانَ وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِفَاسٍ السُّؤَالَ يَسْأَلُونَ أَيَّامَ الْأَضَاحِيِّ أَمَانًا ضَعْفَاءَهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ  
يَسْأَلُونَ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَأَقْتِرَاحِ الْمَاكِيلِ مِثْلَ سُؤَالِ الْعَمْرِ وَالسَّعْيِ

وَعَلَّاجِ الطَّبِخِ وَالْمَلَابِيسِ وَالْمَاعُودِ كَالْعُرْبَالِ وَالْآلِيَةِ وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ مِثْلَ هَذَا  
بِتَلْمِزَانٍ أَوْ زُهْرَانٍ لَأَسْتَنْصَرَ وَعَنَفَ وَزَجَرَ وَيَبْلُغُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ عَنْ أَحْوَالِ الْقَاهِرَةِ  
وَمِصْرَ مِنَ التَّرَفِ وَالنِّعَى فِي عَوَائِدِهِمْ مَا يَقْضِي مِنْهُ الْعَجَبُ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ  
بِالْمَغْرِبِ يَنْزِعُونَ مِنَ الثَّقَلَةِ إِلَى مِصْرَ لِذَلِكَ وَإِنَّمَا يَلْتَمِعُونَ مِنْ أَنْ شَأْنُ الرَّفْعِ يَمُنُّ  
أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهَا وَيَعْتَقِدُ الْعَامَّةُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ لِرِيَادَةِ الْبَارِ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْأَفَاقِ  
عَلَى غَيْرِهِمْ أَوْ أَمْوَالِ مَخْتَرَتِهِ لَدَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةٍ وَإِبَارًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ  
الْأَمْصَارِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا تَعَرَّفَهُ مِنْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ أَكْثَرُ مِنْ  
عُمَرَ بْنِ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الَّتِي لَدَيْكَ فَتَعْظُمُ لِنِجَاتِ أَحْوَالِهِمْ وَأَمَّا حَالُ الدُّخْلِ وَالْخُرُجِ  
فَمُتَكَافٍ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَمَتَى عَظُمَ الدُّخْلُ عَظُمَ الْخُرُجُ وَبِالْعَكْسِ وَمَتَى عَظُمَ  
الدُّخْلُ وَخُرُجُ أَتَسَعَتْ أَحْوَالُ السَّائِكِينَ وَوَسَّعَ الْمِصْرُ كُلُّ شَيْءٍ يَبْلُغُكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا  
فَلَا تُنْكِرْهُ وَاعْتَبِرْهُ بِكَثَرَةِ الْعُمَرَانِ وَمَا يَكُونُ عَنْهُ مِنْ كَثَرَةِ الْمُسْكَبَةِ الَّتِي  
بَسَلُ بِسَبِّهَا الْبَذْلُ وَالْإِبَارُ عَلَى مُتَبَعِهِ وَمِثْلُهُ بِشَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ مَعَ يَبُوتِ الْمَدِينَةِ  
الْوَحِيدَةِ وَكَيْفَ تَخْتَابُ أَحْوَالُهَا فِي هِجْرَانِهَا أَوْ غَشْيَانِهَا فَإِنَّ يَبُوتَ أَهْلِ النِّعَمِ وَالزُّوْفَةِ  
وَالْمَوَائِدِ الْخَصِيَةِ مِنْهَا تَكْثُرُ بِسَاحَتِهَا وَأَفْنِيئُهَا يَنْتَرِ الْحُوبُ وَسَوَاقِطُ الْفَتَاتِ فَيَزْدَحِمُ  
عَلَيْهَا غَوَاشِيُ النَّمْلِ وَالْخَنَاسِ وَيَلْحَقُ فَوْقَهَا عَصَائِبُ الطُّيُورِ حَتَّى تَرُوحَ بِطَانًا وَتَمْلَأُ شِبَعًا  
وَرِيًّا وَيَبُوتَ أَهْلُ الْخَصَاصَةِ وَالْفُقَرَاءُ الْكَاسِدَةِ أَرْزَاقُهُمْ لَا يَسْرِي بِسَاحَتِهَا دَيْبٌ وَلَا  
يَحْلِقُ بِجَوَّهَا طَائِرٌ وَلَا تَأْوِي إِلَى زَوَائِمِ يَبُوتِهِمْ فَأَرَهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

تَسْقُطُ الطُّيُورُ حَيْثُ تُلْقِطُ الْحَبَّ م وَتَقْشَى مَنَازِلَ الْكُرْمَاءِ

فَتَأْمَلُ مِرَّ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ وَاعْتَبِرْ غَاشِيَةَ الْأَنْفَاسِ بِغَاشِيَةِ الْعُجْمِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَفَتَاتِ  
الْمَوَائِدِ بِفَضْلَاتِ الرِّزْقِ وَالتَّرَفِ وَسَهُولَتِهَا عَلَى مَنْ يَبْدُلُهَا لَأَسْتَفْنَاتِهِمْ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ  
لَوْجُودِ أَمْثَالِهَا لَدَيْهِمْ وَاعْلَمْ أَنَّ اتِّسَاعَ الْأَحْوَالِ وَكَثَرَةَ النِّعَمِ فِي الْعُمَرَانِ تَابِعٌ لِكَثَرَتِهِ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَدْلَمُ وَهُوَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل الثاني عشر

في اسماء المدن

اعْلَمْ أَنَّ الْأَسْوَاقَ كُلَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى حَاجَاتِ النَّاسِ فَبِهَا الصَّرُورِيُّ وَمِنْهُ الْأَفْوَاقُ



مِنَ الْخُطْطَةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا كَلْبَائِلُهُ وَالْبَصَلِ وَالثُّومِ وَأَشْبَاهِهِ وَبَيْنَهَا الْحَاجِي وَالْكَعْبَالِي  
 مِثْلُ الْأَدَمِ وَالْقَوَاكِهِ وَالْمَلَابِيسِ وَالْمَاعُونِ وَالْمَرَائِكِبِ وَسَائِرِ الْمَصَانِعِ وَالْمَبَانِي فَإِذَا  
 اسْتَجْمَرَ الْمِصْرَ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ رَخِصَتْ أَسْعَارُ الصُّرُورِيِّ مِنَ الْقُوتِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَغَلَّتْ  
 أَسْعَارُ الْكَعْبَالِيِّ مِنَ الْأَدَمِ وَالْقَوَاكِهِ وَمَا يَتَّبِعُهَا وَإِذَا قَلَّ سَاكِنُ الْمِصْرِ وَضَعَتْ  
 عُمُرَانُهُ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحُجُوبَ مِنْ ضَرَرِ زَوَاتِ الْقُوتِ تَنْتَوِيهِ  
 الدُّوَاعِي عَلَى اتِّخَاذِهَا إِذْ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَهْدِلُ قُوْتَ نَفْسِهِ وَلَا قُوْتَ مَنْزِلِهِ لِشَهْرِهِ أَوْ سَنَتِهِ  
 فَيَعْمُ اتِّخَاذُهَا أَهْلَ الْمِصْرِ أَجْمَعِ أَوْ الْآكْثَرِ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ أَوْ فِيمَا قُرْبَ مِنْهُ  
 لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مَتَّخِذٍ لِقُوتِهِ فَتَفْضُلُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ يَتِيهِ فَضْلَةٌ كَبِيرَةٌ تَسُدُّ خَلَّةَ  
 كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمِصْرِ فَتَفْضُلُ الْأَقْوَاتُ عَنْ أَهْلِ الْمِصْرِ مِنْ غَيْرِ شَكِّ  
 فَتَرْخُصُ أَسْعَارُهَا فِي الْقَالِبِ إِلَّا مَا بَصِيحُهَا فِي بَعْضِ السِّنِينَ مِنَ الْأَفَاتِ السَّمَاوِيَّةِ وَلَوْلَا  
 احْتِكَارُ النَّاسِ لَهَا لِمَا يَتَوَقَّعُ مِنْ تِلْكَ الْأَفَاتِ لَبَدَّتْ دُونَ تَمَنٍّ وَلَا عَوْضٍ لِكَثْرَتِهَا  
 بِكَثْرَةِ النُّعْمَانِ . وَأَمَّا سَائِرُ الْمَرَافِقِ مِنَ الْأَدَمِ وَالْقَوَاكِهِ وَمَا إِلَيْهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمُ بِهَا  
 الْبُلُوَى وَلَا يَسْتَفْرِقُ اتِّخَاذُهَا أَعْمَالُ أَهْلِ الْمِصْرِ أَجْمَعِينَ وَلَا الْكَثِيرُ مِنْهُمْ ثُمَّ إِنْ  
 الْمِصْرُ إِذَا كَانَ مُسْتَجْبِرًا مَوْفُورَ النُّعْمَانِ كَثِيرَ حَاجَاتِ التَّرَفِّ تَوَفَّرَتْ جِنْدَةُ الدُّوَاعِي  
 عَلَى طَلَبِ تِلْكَ الْمَرَافِقِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا كُلِّ بِحَسَبِ حَالِهِ فَيَقْصُرُ الْمَوْجُودُ مِنْهَا عَلَى  
 الْحَاجَاتِ قُصُورًا بِالْقَلْبِ وَيَكْثُرُ الْمُسْتَأْمُونَ لَهَا وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا فَتَزْدَحُمُ أَهْلُ الْأَغْرَاضِ  
 وَيَبْدُلُ أَهْلُ التَّرَفِّ وَالزُّرْفِ أَمْتَانَهَا بِإِمْرَافٍ فِي الْغَلَاءِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ  
 فَيَقَعُ فِيهَا الْغَلَاءُ كَمَا تَرَاهُ . وَأَمَّا الصَّنَاعُ وَالْأَعْمَالُ أَيْضًا فِي الْأَنْصَارِ الْمَوْفُورَةِ النُّعْمَانِ  
 فَسَبَبُ الْغَلَاءِ فِيهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ الْأَوَّلُ كَثْرَةُ الْحَاجَةِ لِمَكَانِ التَّرَفِّ فِي الْمِصْرِ بِكَثْرَةِ  
 عُمُرَانِهِ وَالثَّانِي اعْتِزَارُ أَهْلِ الْأَعْمَالِ لِحِدْمَتِهِمْ وَأَمْتَانَهُمْ لِسُهُولَةِ الْعَمَلِ فِي  
 الْمَدِينَةِ بِكَثْرَةِ أَقْوَاتِهَا وَالثَّالِثُ كَثْرَةُ الْمُتَرَفِّينَ وَكَثْرَةُ حَاجَاتِهِمْ إِلَى أَمْتَانِ غَيْرِهِمْ  
 وَإِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّنَاعِ فِي مِهْنِهِمْ فَيَبْذُلُونَ فِي ذَلِكَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ قِيَمَةِ  
 أَعْمَالِهِمْ مَرَّاحَةً وَمُنَافَسَةً فِي الْإِسْتِثَارِ بِهَا فَيَعْتَزُّ الْعَمَالُ وَالصَّنَاعُ وَأَهْلُ الْحِرَفِ وَتَغْلُو  
 أَعْمَالُهُمْ وَتَكْثُرُ نَفَقَاتُ أَهْلِ الْمِصْرِ فِي ذَلِكَ . وَأَمَّا الْأَمْصَارُ الصَّغِيرَةُ وَالْقَلِيلَةُ  
 السَّاكِنِينَ فَأَقْوَاتُهُمْ قَلِيلَةٌ لِقِلَّةِ الْعَمَلِ فِيهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ لِصِغَرِ مِصْرِهِمْ مِنْ عَدَمِ الْقُوتِ

فَيَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَحْتَمِلُ مِنْهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَحْتَكِرُونَهُ فَيَعِزُّ وَجُودُهُ لَدَيْهِمْ وَيَغْلُو ثَمَنُهُ  
عَلَى مُسْتَأْمِرِهِ وَأَمَّا مُرَافِقُهُمْ فَلَا تَدْعُو إِلَيْهَا أَيْضًا حَاجَةُ بَقِيَّةِ السَّائِكِينَ وَضَعْفُ الْأَحْوَالِ  
فَلَا تَتَفَقَّحُ لَدَيْهِمْ سُوقُهُ فَيَخْتَصُّ بِالرَّخِصِ فِي سِعْرِهِ وَقَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ  
قِيَمَةُ مَا يَبْرُضُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَكُوسِ وَالْمَعَارِمِ لِلشُّطَّانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَبَابُ الْحَفْرِ  
وَالْحِجَابِ فِي مَنَافِعِ وَصُولِهَا عَنِ الْيُوعَاتِ لِمَا يَمَسُّهُمْ وَبِذَلِكَ كَانَتْ الْأَسْعَارُ فِي الْأَنْصَارِ  
أَعْلَى مِنَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَادِيَةِ إِذَا الْمَكُوسُ وَالْمَعَارِمُ وَالْفَرَائِضُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ أَوْ  
مَعْدُومَةٌ وَكَثَرَتْهَا فِي الْأَمْصَارِ لَا سِيَّمَا فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ تَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ  
قِيَمَةُ عِلَاجِهَا فِي الْقَلْعِ وَيُحَافِظُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَسْعَارِهَا كَمَا وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَجْلَأُوهُمُ النَّصَارَى إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَبِلَادِهِ الْمُتَوَعَّرَةِ الْخَبِيثَةِ الزَّارِعَةِ  
النَّكِدَةِ النَّبَاتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ الزَّاكِيَةَ وَالْبَلَدَ الطَّيِّبَ فَاحْتَاجُوا إِلَى عِلَاجِ  
الْمَزَارِعِ وَالْفُنْدَنِ لِإِصْلَاحِ نَبَاتِهَا وَقَلْعِهَا وَكَانَ ذَلِكَ الْعِلَاجُ بِأَعْمَالِ ذَاتِ قِيَمٍ وَمَوَادِّ  
مِنَ الزُّبَلِ وَغَيْرِهِ لَهَا مَوْنَةٌ وَصَارَتْ فِي قَلْعِهِمْ تَفَقَّاتٌ لَهَا خَطَرٌ فَاعْتَبَرُوهَا فِي سِعْرِهَا  
وَأَخْضَعُوا قَطْرُ الْأَنْدَلُسِ بِالْفَلَاءِ مُنْذُ اضْطَرُّرُّهُمُ النَّصَارَى إِلَى هَذَا الْعَمُورِ بِالْإِسْلَامِ  
مَعَ سَوَاحِلِهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَيَحْتَسِبُ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا بِفَلَاءِ الْأَسْعَارِ فِي قُطْرِهِمْ أَنَّهَا لِقِلَّةِ  
الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ فِي أَرْضِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَهْمٌ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَمُورِ قَلْعًا فِيمَا عَلِمْنَاهُ  
وَأَقْوَمُهُمْ عَلَيْهِ وَقَدْ أَنْ يَخْلُو مِنْهُمْ سُلْطَانٌ أَوْ سُوقَةٌ عَنْ فِدَانٍ أَوْ مَزْرَعَةٍ أَوْ قَلْعٍ إِلَّا  
قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ وَالْمِهْنِ أَوْ الطَّرَافِ عَلَى الْوُطَنِ مِنَ الْفَرَاوِ الْعِجَاهِدِينَ وَلِهَذَا  
يَخْتَصُّهُمْ السُّلْطَانُ فِي عَطَائِهِمْ بِالْعَوْلَةِ وَحِي أَقْوَانِهِمْ وَعُلُوفَانِهِمْ مِنَ الزَّرْعِ وَإِنَّمَا السَّبَبُ  
فِي غَلَاءِ سِعْرِ الْحُبُوبِ عِنْدَهُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَلَمَّا كَانَتْ بِلَادُ الْبَرْبَرِ بِالنَّكْسِ مِنْ ذَلِكَ  
فِي زَكَاةِ مَتَابِنِهِمْ وَطَيْبِ أَرْضِهِمْ أَرْتَفَعَتْ عَنْهُمْ الْمُؤْنُ جُمْلَةً فِي الْقَلْعِ مَعَ كَثَرَتِهِ  
وَعُمُومَتِهِ فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِرُخْصِ الْأَقْوَاتِ يَلْدُهُمُ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَوْ  
الْوَاحِدِ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثالث عشر

في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمِصْرَ الْكَثِيرَ الْعُمُرَانَ يَكْثُرُ تَرْفُهُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَتَكْثُرُ

حَاجَاتُ سَاكِنِهِ مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَتُعَادُ تِلْكَ الْحَاجَاتُ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهَا فَتَقْلِبُ خُرُوجَاتٍ وَتَصِيرُ فِيهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا مَعَ ذَلِكَ عَزِيْزَةً وَالْمَرَافِقُ غَالِيَةً يَأْزِدُ حَامِ الْأَغْرَاضِ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَيَأْزِدُ مَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الْأَسْوَاقِ وَالْبَيَاعَاتِ وَتُعْتَبَرُ فِي قِيَمِ الْبَيْعَاتِ وَبَعْضُهَا فِيهَا الْغَلَاءُ فِي الْمَرَافِقِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَالِ فَتَكْثُرُ لِذَلِكَ نَفَقَاتُ سَاكِنِهِ كَثْرَةً بَالِغَةً عَلَى نِسْبَةِ عُمُرَانِهِ وَبَعْضُ خَرْجِهِ فَيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ لِلنَّفَقَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فِي خُرُوجَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مَوْثِقَتِهِمْ وَالْبَدْوِيِّ لَمْ يَكُنْ دَخْلُهُ كَثِيرًا سَاكِنًا يُمْكِنُ كَسْبُ الْأَسْوَاقِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي فِي سَبَبِ الْكَسْبِ فَلَمْ يَتَأَمَّلْ كَسْبًا وَلَا مَالًا فَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سُكْنَى الْمِصْرِ الْكَبِيرِ لِقَلَاءِ مَرَافِقِهِ وَعِزَّةِ حَاجَاتِهِ وَهُوَ فِي بَدْوِهِ يَسُدُّ خَلَّتَهُ بِأَقْلٍ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهُ قَائِلٌ عَوَائِدِ التَّرَفِ فِي مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَوْثِقَتِهِ فَلَا يَضْطَرُّ إِلَى الْمَالِ وَكُلُّ مَنْ يَتَشَوَّفُ إِلَى الْمِصْرِ وَسُكْنَاهُ مِنَ الْبَادِيَةِ فَسَرِيعًا مَا يَظْهَرُ عَجْزُهُ وَيَقْتَضِعُ فِي أَسْطِطَانِهِ إِلَّا مَنْ يُقَدِّمُ مِنْهُمْ تَأَمَّلَ الْمَالِ وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْهُ قُوَّةُ الْحَاجَةِ وَيَجْعَلُ إِلَى الْغَالِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَهْلِ الْعُمُرَانِ مِنَ الدَّبْعَةِ وَالْتَّرَفِ فَيَنْتَقِلُ إِلَى الْمِصْرِ وَيَنْتَظِمُ حَالَهُ مَعَ أَحْوَالِ أَهْلِهِ فِي عَوَائِدِهِمْ وَتَرْفِهِمْ وَهَكَذَا شَأْنُ يَدَاوِي عُمُرَانِ الْأَنْصَارِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ مُحِيطٌ

### الفصل الرابع عشر

في إِنْ الْإِفْطَارِ فِي اخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا بِالرَّفَةِ وَالْفَقْرِ مِثْلَ الْأَمْصَارِ

إِعْلَمُ أَنَّ مَا تَوَفَّرَ عُمُرَانُهُ مِنَ الْإِفْطَارِ وَتَعَدَّدَتْ الْأَنْهَارُ فِي جِهَاتِهِ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ انْتَسَبَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهِ وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَمْصَارُهُمْ وَعَظُمَتْ دَوْلَتُهُمْ وَمِمَّا لِكُلِّهُمْ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ وَمِمَّا سَبَّأْنِي ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّهَا سَبَبٌ لِلثَّرْوَةِ بِمَا يَفْضُلُ عَنْهَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بِالْفُرُورِيَّاتِ فِي حَاجَاتِ السَّاكِنِ مِنَ الْفَضْلَةِ الْبَالِغَةِ عَلَى مِقْدَارِ الْعُمُرَانِ وَكَثَرَتِهِ فَيَعُودُ عَلَى النَّاسِ كَسْبًا يَتَأَمَّلُونَهُ حَسْبَمَا نَذَرْتُ ذَلِكَ فِي قِصْلِ الْمَعَاشِ وَيَبَانُ الرِّزْقُ وَالْكَسْبُ فَيَزِيدُ الرِّفَةَ لِذَلِكَ وَتَنْسَعُ الْأَحْوَالُ وَيَجْعَلُ التَّرَفُ وَالْفَنَى وَتَكْثُرُ الْحَاجَاتُ لِلدَّوْلَةِ بِتَفَاقِ الْأَسْوَاقِ فَيَكْثُرُ مَالُهَا وَيَسْتَحْضِرُ سُلْطَانُهَا وَتَنْفَتِنُ فِي اتِّخَاذِ الْمَعَاقِلِ وَالْحُصُونِ وَاتِّخَاذِ الْمَدُنِ وَتَشْيِيدِ الْأَنْصَارِ. وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِإِفْطَارِ الْمَشْرِقِ مِثْلَ مِصْرَ وَالشَّامِ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَنَاحِيَةِ الشَّمَالِ كُلِّهَا

وَأَقْطَارَهَا وَرَأَى الْبَحْرَ الرُّومِيَّ لَمَّا كَثُرَ عُمرَانُهَا كَيْفَ كَثُرَ الْمَالُ فِيهِمْ وَعَظُمَتْ دَوْلَتُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ مَدَنُهُمْ وَخَوَاصِرُهُمْ وَعَظُمَتْ مَتَاجِرُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ فَأَلَدِي شَاهِدُهُ هَذَا الْعَهْدُ مِنْ أَحْوَالِ تِجَارِ الْأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ الْوَارِدِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ فِيهِمْ رِفْهِمْ وَأَتَسَاعِ أَحْوَالِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الْوَصْفُ وَكَذَا تِجَارُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ الْأَنْفَى مِنْ عِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ فِي بَابِ الْغِنَى وَالرِّفَةِ غَرَائِبُ تَعْبِيرُ الرُّكْبَانِ بِحَدِيثِهَا وَرُبَّمَا تَنَقَّلَى بِالْإِنْكَارِ فِي غَالِبِ الْأُمَرِ وَيَحْسَبُ مَنْ يَسْمَعُهَا مِنَ الْعَامَّةِ أَنَّ ذَلِكَ لِرِيَادَةِ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ لِأَنَّ الْعَمَادَانَ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضِّيَّةَ أَكْثَرَ بِأَرْضِهِمْ أَوْ لِأَنَّ ذَهَبَ الْأَقْدَمِينَ مِنَ الْأُمَمِ اسْتَأْثَرُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ قَعْدَرُ الذَّهَبِ الَّذِي نَعْرِفُهُ فِي هَذِهِ الْأَقْطَارِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ وَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ أَقْرَبُ وَجَمِيعُ مَا فِي أَرْضِهِمْ مِنَ الْبِضَاعَةِ فَإِنَّمَا يَجْلِبُونَهُ إِلَى غَيْرِ بِلَادِهِمْ لِلتِّجَارَةِ فَلَوْ كَانَ الْمَالُ عَتِيدًا مَوْفُورًا لِسَيِّئِهِمْ لَمَّا جَلَبُوا بِضَائِهِمْ إِلَى سِوَاهُمْ يَتَفَنُونَ بِهَا الْأَمْوَالُ وَلَا اسْتَفْتَوْا عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْجُمْلَةِ . وَلَقَدْ ذَهَبَ الْمُتَحَيِّمُونَ لَمَّا رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَاسْتَفْتَوْا مَا فِي الْمَشْرِقِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتِّسَاعِهَا وَوُفُورِ أَمْوَالِهَا فَقَالُوا يَا بَنَ عَطَايَا الْكُوَاكِبِ وَالسَّهَامِ فِي مَوَالِدِ الْمَشْرِقِ أَكْثَرُ مِنْهَا حِصَصًا فِي مَوَالِدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَذَلِكَ صَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ الْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الْأَحْكَامِ الْجُمُوعِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الْأَرْضِيَّةِ كَمَا فَلَنَاهُ وَهُمْ إِنَّمَا أَعْطَوْا فِي ذَلِكَ السَّبَبِ الْجُمُوعِيَّ وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطُوا السَّبَبَ الْأَرْضِيَّ وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثَرَةِ الْعُمَرَانِ وَاخْتِصَاصِهِ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ وَكَثَرَةِ الْعُمَرَانِ نَفِيدُ كَثَرَةِ الْكَسْبِ بِكَثَرَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي فِي سَبَبِهِ فَلِذَلِكَ أَخْصَصَ الْمَشْرِقُ بِأَرْضِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَفَاقِ لَا إِنْ ذَلِكَ لِيَجْمُرَ الْأَثَرُ الْجُمُوعِيَّ فَقَدْ فَهِمْتَ مَا أَشْرْنَا لَكَ أَوَّلًا أَنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ بِذَلِكَ وَأَنَّ الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ حُكْمِهِ وَعُمَرَانِ الْأَرْضِ وَطَبِيعَتِهَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ . وَاعْتَبِرْ حَالَهُ هَذَا الرِّفَةِ مِنَ الْعُمَرَانِ فِي قَطْرِ أَفْرِيْقِيَّةَ وَبَرْقَةَ لَمَّا خَفَّ سَكْنُهَا وَتَنَاقَصَ عُمرَانُهَا كَيْفَ تَلَاشَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهَا وَانْتَهَوْا إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَضَعُفَتْ حَيَاتَانِهَا فَقُلْتُ أَمْوَالُ دَوْلَتِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دَوْلُ الشَّيْعَةِ وَصَنَاجَةً بِهَا عَلَى مَا بَلَغَتْ مِنَ الرِّفَةِ وَكَثَرَةِ الْجَبَابِيكِ وَاتِّسَاعِ الْأَحْوَالِ فِي نَفَقَاتِهِمْ وَأَعْطِيَانِهِمْ حَتَّى لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ تَرْفَعُ مِنَ الْفَقِيرِ وَإِنْ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ لِحَاجَاتِهِ وَمِهْمَاتِهِ وَكَانَتْ أَمْوَالُ الدَّوْلَةِ يَحْتِثُ حَمَلُ

جَوهرَ الكُتُبِ فِي سَفَرِهِ إِلَى فَتْحِ مِصرَ أَلْفَ حِملٍ مِنَ أَلَمَالِ يَسْتَعِدُّ بِهَا لِأَرْزَاقِ  
الْجُنُودِ وَأَعْطِيائِهِمْ وَتَفَقَّاتِ الْفَزَاةِ وَقَطَرِ الْمَغْرِبِ وَإِنْ كَانَ فِي الْقَدِيمِ دُونَ أَفْرِيقِيَّةَ  
فَلَمْ يَكُنْ بِأَقْلِيلٍ فِي ذَلِكَ وَكَانَتْ أَحْوَالُهُ فِي دُولِ الْمُوحِدِينَ مُتَّسِعَةً وَجَبَابَتُهُ مَوْفُورَةً  
وَهُوَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ أَفْصَرَ عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُمُرَانِ فِيهِ وَتَنَاقُصِهِ فَقَدْ ذَهَبَ مِنْ عُمُرَانِ  
الْبَزِيرِ فِيهِ أَكْثَرُهُ وَتَقَصَّ عَنْ مَعْبُودِهِ تَقْصَا ظَاهِرًا حَسُوسًا وَكَادَ أَنْ يَحْقُقَ فِي أَحْوَالِهِ  
بِمِثْلِ أَحْوَالِ أَفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ عُمُرَانُهُ مُتَّصِلًا مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ إِلَى بِلَادِ  
السُّودَانِ فِي طُولِ مَا بَيْنَ السُّوسِ الْأَفْصَى وَرَقَّةَ وَحِجِّي الْيَوْمِ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا فَفَكَارَ  
وَحَلَاةَ وَصَحَارَى إِلَّا مَا هُوَ مِنْهَا بِسِيفِ الْبَحْرِ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ مِنَ التَّلُولِ وَاللَّهُ وَارِثُ  
الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الخامس عشر

فِي تَأْتِلِ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ فِي الْأَمْصَارِ وَحَالَ فَوْنُهَا وَمَسْتَفْلَاتِهَا  
إِعْلَمُ أَنَّ تَأْتِلَ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ الْكَثِيرَةِ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً  
وَاحِدَةً وَلَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ إِذْ لَيْسَ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الرِّزْوَةِ مَا يَمْلِكُ بِهِ الْأَمْلَاقَ  
الَّتِي تَخْرُجُ فِيهَا عَنْ أَحَدٍ وَلَا بَلَّتْ أَحْوَالُهُمْ فِي الرِّفَةِ مَا عَسَى أَنْ تَبْلُغَ وَإِنَّمَا يَكُونُ  
مُلْكُهُمْ وَتَأْتِلُهُمْ لَهَا تَذَرِيحًا إِمَّا بِالْوَرَاثَةِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ حَتَّى تَتَأَدَّى أَمْلَاقُ  
الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَاحِدِ وَأَكْثَرُ لِنَلِكٍ أَوْ أَنْ يَكُونُ بِمَجْوَالتِ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّ الْعَقَارَ  
فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَوَّلِ الْآخِرَى عِنْدَ فَنَاءِ الْحَاكِمِيَّةِ وَخَرَقِ السِّيَاحِ وَتَدَاعِي الْمِصْرِ إِلَى  
الْخُرَابِ نَقْلُ النِّيطَةِ بِهِ لِقَلَّةِ الْمَنْعَةِ فِيهَا بِتَلَاثِي الْأَحْوَالِ فَتَرْتَخُصُ فِيهَا وَتَسْلُكُ  
بِالْأَثْمَانِ الْبَسِيرَةِ وَتُتَخَلَّى بِالْمِيرَاثِ إِلَى مُلْكٍ آخَرَ وَقَدْ اسْتَجَدَّ الْمِصْرُ شَبَابَةً بِاسْتِحْطَالِ  
الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَانْتَضَمَتْ لَهُ أَحْوَالٌ رَائِقَةٌ حَسَنَةٌ تَحْصُلُ مِمَّا النِّيطَةُ فِي الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ  
بِكثَرَةٍ مِنْهَا حِينَئِذٍ فَتَعْظُمُ قِيمَتُهَا وَيَكُونُ لَهَا خَطَرٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِ وَهَذَا مَعْنَى الْحَوَالَةِ  
فِيهَا وَيُصْبِحُ مَالُهَا مِنْ أَغْنَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَعِيهِ وَكَتِيبَتِهِ إِذْ فَذَرْتُهُ  
تَعْبُرُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ . وَأَمَّا فَوَائِدُ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ فَعِي غَيْرُ كَثِيرَةٍ لِمَالِكِهَا فِي حَاجَاتِ  
مَعَايِشِهِ إِذْ هِيَ لَا تَفِي بِعَوَائِدِ التَّرَفِّ وَأَسْبَابِهِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْغَالِبِ لِسِتْرِ الْخَلَّةِ وَضَرُورَةِ  
الْمَعَايِشِ وَالَّذِي سَمِعْتُهُ مِنْ مَشِيخَةِ الْبُلْدَانِ أَنَّ الْقَصْدَ بِإِقْنَاءِ الْمُلْكِ مِنَ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ

إِنَّمَا هُوَ أَلْخَشِيَةُ عَلَى مَنْ بَنَى خَلْفَهُ مِنَ الذَّرِيَّةِ الضَّعِيفِ لِيَكُونَ مَرَبِّاهُمْ بِهِ وَرِزْقُهُ فِيهِ وَنُشُوءُهُمْ بِقَائِدَتِهِ مَا دَامُوا عَاجِزِينَ عَنِ الْكِتَابِ فَإِذَا اقْتَدَرُوا عَلَى تَحْصِيلِ الْمَكَاسِبِ سَعَوْا فِيهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَرُبَّمَا يَكُونُ مِنَ الْوُلَدِ مَنْ يَجْزِي عَنِ الْمَكْسَبِ لِيُغْفَرَ فِي بَدَنِهِ أَوْ آفَةٍ فِي عَقْلِهِ الْمَعَاشِي فَيَكُونُ ذَلِكَ الْعَقَارُ قَوَامًا لِحَالِهِ هَذَا قَصْدُ الْمُتَرَفِّينَ فِي اقْتِنَائِهِ وَأَمَّا التَّمَوُّلُ مِنْهُ وَإِجْرَاءُ أَحْوَالِ الْمُتَرَفِّينَ فَلَا وَقَدْ يَحْصُلُ ذَلِكَ مِنْهُ لِلْقَلِيلِ أَوْ النَّادِرِ بِمَجَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَحُصُولِ الْكَثْرَةِ الْبَالِغَةِ مِنْهُ وَالْعَالِي فِي جِنْسِهِ وَقِيَمَتِهِ فِي الْمَضَرِّ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ رُبَّمَا أَمَدَّتْ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْأُمَرَاءِ وَالْوُلَاةِ وَاعْتَصَبُوهُ فِي الْغَالِبِ أَوْ أَرَادُوهُ عَلَى يَدِهِ مِنْهُمْ وَتَأَلَّتْ أَسْحَابُهُ مِنْهُ مَضَارٌّ وَمَحَاطِبٌ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

### الفصل السادس عشر

في حاجات المتولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة

وَذَلِكَ أَنَّ الْخَضِرِيَّ إِذَا عَظُمَ تَمَوُّلُهُ وَكَثُرَ لِلْعَقَارِ وَالْفَيْعِ تَأَثُّلُهُ وَأَصْبَحَ أَغْنَى أَهْلَ الْمَضَرِّ وَرَمَقَتُهُ الْعُيُونُ بِذَلِكَ وَانْقَسَمَتْ أَحْوَالُهُ فِي التَّرَفِّ وَالْعَوَائِدِ زَاخَمَ عَلَيْهَا الْأُمَرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَعَمَّوْا بِهِ وَلِمَا فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدْوَانِ تَمَتَّدَ أَعْيُنُهُمْ إِلَى تَمَلُّكِ مَا بِيَدِهِ وَيُنَافِسُونَهُ فِيهِ وَيَتَحَمَّلُونَ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مُمْكِنٍ حَتَّى يَحْصِلُوهُ فِي رِقَّةٍ حُكْمٍ سُلْطَانِيٍّ وَسَبَبٍ مِنَ الْمُواخَذَةِ ظَاهِرٍ يُنْتَزَعُ بِهِ مَالُهُ وَأَكْثَرُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ جَائِزَةٌ فِي الْغَالِبِ إِذَا الْعَدْلُ انْحَضَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ الْاَثْبَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَعَوَّدُ مُلْكًا عَضُوضًا فَلَا بُدَّ حِينَئِذٍ لِصَاحِبِ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ السَّهْبَةِ فِي الْعُمُرَانِ مِنْ حَامِيَةٍ تَدُودُ عَنْهُ وَجَاوِ يَنْسَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ لِلْمَلِكِ أَوْ خَالِصَةٍ لَهُ أَوْ عَصَبِيَّةٍ يَتَحَامَاهَا السُّلْطَانُ فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَرْتَعُ فِي أَمْنِهَا مِنْ طَوَارِقِ الْعَدَدِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ أَصْبَحَ نَهْبًا يُوْجُوهُ الْخَبَلَاتُ وَأَسْبَابُ الْحُكَّامِ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترجع بانصال الدولة ورسوخها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْخِصَارَةَ فِي أَحْوَالٍ عَادِيَّةٍ زَائِدَةً عَلَى الْفُرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِ

الْعُمَرَانُ زِيَادَةً تَفَاوُتُ بِتَفَاوُتِ الرِّفَةِ وَتَفَاوُتِ الْأَثَرِ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ تَفَاوُتًا غَيْرَ  
 مُنْتَصِرٍ وَلَقَعَ فِيهَا عِنْدَ كَثَرَةِ النَّفْسِ فِي أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَائِعِ  
 وَيَحْتَاجُ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا إِلَى الْقَوْمَةِ عَلَيْهِ وَالْمَهَرَّةُ فِيهِ وَبِقَدَرِ مَا يَزِيدُ مِنْ أَصْنَافِهَا  
 تَزِيدُ أَهْلُ صِنَاعَتِهَا وَيَتَلَوَّنُ ذَلِكَ الْخَيْلُ بِهَا وَمَتَى انْصَلَّتِ الْأَيَّامُ وَتَعَاقَبَتِ تِلْكَ الصَّنَاعَاتُ  
 حَذَقُ أُولَئِكَ الصَّنَاعِ فِي صِنَاعَتِهِمْ وَمَهَرُوا فِي مَعْرِفَتِهَا وَالْأَعْيَارُ يَطُولُهَا وَانْفِصَاحُ أَمَدِهَا  
 وَتَكَرُّرُ امْتِنَالِهَا تَزِيدُهَا اسْتِغْنَاءً كَمَا وَرُسُوحًا وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ لِاسْتِجَارِ  
 الْعُمَرَانِ وَكَثَرَةِ الرِّفَةِ فِي أَهْلِهَا وَذَلِكَ كُلُّهُ إِنَّمَا يَجْعِي مِنْ قَبْلِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ  
 تَجْمَعُ أَمْوَالَ الرِّعِيَةِ وَتَنْفِقُهَا فِي بَطَانَتِهَا وَرِجَالِهَا وَلِتَسِعَ أَحْوَالُهَا بِالْجَاءِ أَكْثَرُ مِنْ  
 اتِّسَاعِهَا بِالْمَالِ فَيَكُونُ دَخْلُ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مِنَ الرِّعَايَا وَخَرْجُهَا فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ فِي  
 مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَصْرِ وَهُمْ أَكْثَرُ فَتَعْظُمُ لِيْلِكَ ثَرَوَتُهُمْ وَيَكْثُرُ غِنَاؤُهُمْ وَتَزِيدُ  
 عَوَائِدُ التَّرَفِ وَمَذَاهِبُهُ وَتَسْتَحْكِمُ لِدَيْهِمُ الصَّنَائِعُ فِي سَائِرِ فُتُونِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْحِضَارَةُ .  
 وَلِهَذَا تَجِدُ الْأَمْصَارَ الَّتِي فِي الْقَاصِيَةِ وَلَوْ كَانَتْ مَوْفُورَةً الْعُمَرَانُ تَغْلِبُ عَلَيْهَا أَحْوَالُ الْبِدَاوَةِ  
 وَتَبْعُدُ عَنِ الْحِضَارَةِ فِي جَمِيعِ مَذَاهِبِهَا بِخِلَافِ الْمَدِينِ الْمَوَسَّطَةِ فِي الْأَنْظَارِ الَّتِي هِيَ  
 مَرْكَزُ الدَّوْلَةِ وَمَقَرُّهَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِجَوَازَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وَفَيْضِ أَمْوَالِهِ فِيهِمْ كَأَمَّا  
 يَخْصُرُ مَا قَرُبَ مِنْهُ فَمَا قَرُبَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْخُفُوفِ عَلَى الْبُعْدِ وَقَدْ قَدِّمْنَا  
 أَنَّ السُّلْطَانَ وَالْدَّوْلَةَ سُوقُ الْعَالَمِ فَالْبَضَائِعُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي السُّوقِ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ وَإِذَا  
 أَبْعَدَتْ عَنِ السُّوقِ أَفْتَقِدَتْ الْبَضَائِعُ جُمْلَةً ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا انْصَلَّتِ تِلْكَ الدَّوْلَةُ وَتَعَاقَبَ  
 مَلُوكُهَا فِي ذَلِكَ الْمَصْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ اسْتَحْكَمَتِ الْحِضَارَةُ فِيهِمْ وَزَادَتْ رُسُوحًا  
 وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ فِي الْيَهُودِ لَمَّا طَالَ مُلْكُهُمْ بِالشَّامِ نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَارْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ رَسَخَتْ  
 حَضَارَتُهُمْ وَحَدَّثُوا فِي أَحْوَالِ الْعَمَاشِ وَعَوَائِدِهِ وَالنَّفْسِ فِي صِنَاعَاتِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ  
 وَالْمَلَأْسِ وَسَائِرِ أَحْوَالِ الْمَنْزِلِ حَتَّى إِنَّمَا لَتُوْخِذُ عَنْهُمْ فِي الْقَابِ إِلَى الْيَوْمِ وَرَسَخَتْ  
 الْحِضَارَةُ أَيْضًا وَعَوَائِدُهَا فِي الشَّامِ مِنْهُمْ وَمِنْ دَوْلَةِ الرُّومِ بَعْدَهُمْ سِتْمِائَةِ سَنَةٍ فَكَانُوا  
 فِي غَلِيَةِ الْحِضَارَةِ . وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْقَبْطُ دَامَ مُلْكُهُمْ فِي الْخِلَافَةِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ  
 فَوَسَخَتْ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ فِي بَلَدِهِمْ مِصْرَ وَأَغْضَبَهُمْ بِهَا مُلْكُ الْيُونَانِ وَالرُّومِ ثُمَّ مُلْكُ  
 الْأِسْلَامِ النَّاسِخُ لِلْكَافِ فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ بِهَا مُتَّصِلَةً وَكَذَلِكَ أَيْضًا رَسَخَتْ

عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالة والبيعة الآفا  
من السنين وأغلبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة البطح والفرس  
بها من لدن الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم الآفا من السنين فلم  
يكن على وجه الأرض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا أيضا  
رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط  
ثم ما أغلبها من ملك بني أمية الآفا من السنين وكلتا الدولتين عظمة فانتصت فيها  
عوائد الحضارة واستحكمت وأما أفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الإسلام  
ملك ضخم إنما قطع الإفريقية إلى أفريقية البحر ومكوا الساحل وكانت طاعة  
البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوقار وأهل المغرب  
لم يجاوزهم دولة وإنما كانوا يبتغون بطاعتهم إلى القوط من وراء البحر ولما جاء  
الله بالإسلام وملك العرب أفريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب إلا قليلا  
أول الإسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن أسنق منهم بأفريقية والمغرب  
لم يجد بهما من الحضارة ما يقد فيه من سلفه إذ كانوا برابر منغمسين في البداوة  
ثم انتفض برابرة المغرب الأقصى لأقرب اليهود على يد مبصرة المطيري أيام هشام  
أبى عبد الملك ولم يرجعوا أمر العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم وإن بايعوا  
لأدريس فلا تعد دولته فيهم عرية لأن البرابرة هم الذين تولوها ولم يكن من العرب  
فيها كثير عدد وبقيت أفريقية للأغالبة ومن إليهم من العرب فكان أهم من الحضارة  
بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك وتعيمه وكثرة عمران القبروان وورث  
ذلك عنهم كثامة ثم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعائة سنة  
وانصرفت دولتهم واستحكمت صفة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب  
بدو العرب الهلاليين عليها وخرّبوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها وإلى هذا  
العهد يؤنس سلف له بالعمالة أو القبروان أو المهدية سلف فقيده من الحضارة  
في شؤون منزله وعوائد أحواله آثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصير بها وكذا  
في أكثر أمصار أفريقية وليس كذلك في المغرب وأمصاره لرؤس الدولة بأفريقية  
أكثر أمدا منذ عهد الأغالبة والشيعة وصنهاجة وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة



الْمُوحِدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ حَظٌّ كَثِيرٌ مِنَ الْحِضَارَةِ وَاسْتَحْكَمَتْ بِهِ عَوَائِدُهَا بِمَا كَانَ  
لِدَوَائِمِهِمْ مِنَ الْأَسْنِيَّةِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَانْتَقَلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَيْهِمْ طَوْعًا  
وَكَرْهًا وَكَانَتْ مِنْ اتِّسَاعِ الْإِطَاقِ مَا عَلِمْتَ فَكَانَ فِيهَا حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحِضَارَةِ  
وَاسْتَحْكَمَهَا وَمُعْظَمُهَا مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ أَهْلُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ جَالِيَةِ  
النَّصَارَى إِلَى أَفْرِيقِيَّةٍ فَأَبْقَوْا فِيهَا وَبِأَمْصَارِهَا مِنَ الْحِضَارَةِ آثَارًا وَمُعْظَمُهَا يَتُونِسَ  
أَمَزَجَتْ بِحِضَارَةِ مِصْرَ وَمَا يَنْقُلُهُ الْمَسَافِرُونَ مِنْ عَوَائِدِهَا فَكَانَ بِذَلِكَ لِلْمَغْرِبِ  
وَأَفْرِيقِيَّةِ حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحِضَارَةِ عِنِّي عَيْنُهُ الْخَلَاءُ وَرَجَعَ إِلَى أَعْقَابِهِ وَعَادَ الْبَزْبُرُ  
بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْخُسُونَةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ تَارُ الْحِضَارَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
أَكْثَرُ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ بَا تَدَاوُلٍ فِيهَا مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَغْرِبِ  
وَالْقُرْبِ عَوَائِدِهِمْ مِنْ عَوَائِدِ أَهْلِ مِصْرَ بِكَثَرَةِ الْمُنْتَرِدِينَ بَيْنَهُمْ . فَتَفْطِنُ لِهَذَا  
السِّرِّ فَإِنَّهُ خَفِيَ عَنِ النَّاسِ وَأَعْلَمَ أَنَّهَا أُمُورٌ مُتَنَاسِبَةٌ وَحَيْ حَالِ الدُّوَلَةِ فِي الْقُوَّةِ  
وَالضَّعْفِ وَكَثَرَةِ الْأُمَّةِ أَوْ النِّجْلِ وَعِظَمِ الْمَدِينَةِ أَوْ الْمِصْرِ وَكَثَرَةِ النِّعْمَةِ وَالْبَسَاسِ  
وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلَةَ وَالْمَلِكَ صُرَّةَ الْخَلِيقَةِ وَالْعُمَرَاءُ وَكُلُّهَا مَادَّةٌ لَهَا مِنْ الرِّعَايَا وَالْأَمْصَارِ  
وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَأَمْوَالِ الْحَيَاةِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَيَسَارُهُمْ فِي الْعَالِبِ مِنَ أَسْوَاقِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ  
وَإِذَا أَفَاضَ السُّلْطَانُ عَطَاءَهُ وَأَمْوَالَهُ فِي أَهْلِهَا أَنْبَتَ فِيهِمْ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
فَعِي دَاهِيَةٌ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَالْخُرَاجِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ فَقَلَى نِسْبَةُ حَالِ الدُّوَلَةِ  
بِكُنُونِ بَسَارِ الرِّعَايَا وَعَلَى نِسْبَةِ بَسَارِ الرِّعَايَا وَكَثَرَتِهِمْ يَكُونُ مَالُ الدُّوَلَةِ وَأَصْلُهُ  
كُلُّهُ الْعُمَرَاءُ وَكَثَرَتُهُ فَاعْتَبِرْهُ وَتَأَمَّلْهُ فِي الدُّوَلِ تَحِيدُهُ وَأَنَّهُ بِحُكْمٍ وَلَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان الحضارة غايبة العمران ونهاية لعمره وانها موزنة بفساده  
قَدْ بَيَّنَّا لَكَ فِيمَا سَلَفَتْ أَنَّ الْمَلِكَ وَالْدُّوَلَةَ غَايَةُ الْعَمَلِيَّةِ وَأَنَّ الْحِضَارَةَ غَايَةُ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّ  
الْعُمَرَاءَ كُلَّهُمْ مِنْ بِدَاوَةٍ وَحِضَارَةٍ وَمَلِكٍ وَسُوقَةٍ لَهُ عُمَرٌ مُحْسُوسٌ كَمَا أَنَّ لِلشَّخْصِ الْوَاحِدِ مِنْ  
اشْتِغَالِ الْمَكُونَاتِ عُمَرًا مُحْسُوسًا وَتَبَيَّنَ فِي الْمَقُولِ وَالْمَقُولِ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ لِلْإِنْسَانِ  
غَايَةً فِي تَزَايُدِ قُوَّاهُ وَتَمُومِهَا وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ مِنَ الْأَرْبَعِينَ وَقَفَتْ الطَّبِيعَةُ عَنْ أَثَرِ الشُّوْءِ  
وَالْمَوْتِ بَرُوهً ثُمَّ تَأَخَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَلْمِطَاطِ فَلْتَعْلَمْ أَنَّ الْحِضَارَةَ فِي الْعُمَرَاءِ أَيْضًا

كَذَلِكَ لِأَنَّهُ غَايَةٌ لَا مَزِيدَ وَرَاءَهَا وَذَلِكَ أَنَّ التَّرَفَ وَالْبِعْمَةَ إِذَا حَصَلَ لِأَهْلِ الْعُمَرَانِ  
دَعَاهُمْ يَطْبَعُهُ إِلَى مَذَاهِبِ الْحِضَارَةِ وَالْخُلُقِ بَعَوَائِدِهَا وَالْحِضَارَةُ كَمَا عَلِمْتَ هِيَ التَّفَنُّ  
فِي التَّرَفِ وَاسْتِجَادَةِ أَحْوَالِهِ وَالنَّكَفُ بِالْصَّنَائِعِ الَّتِي تُؤْتِي مِنْ أَصْنَافِهِ وَسَائِرِ فُتُوهِ  
مِنَ الصَّنَائِعِ الْمُبْتَنِيَةِ لِلْمَطَامِرِ أَوْ الْأَلْبَاسِ أَوْ الْمَبَانِي أَوْ الْقُرَشِ أَوْ الْأَنْبِيَةِ وَلِسَائِرِ  
أَحْوَالِ الْمَنْزِلِ وَالتَّائِي فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ صَنَائِعُ كَثِيرَةٌ لَا يُعْتَاجُ إِلَيْهَا عِنْدَ  
الْبِدَاوَةِ وَعَدَمِ التَّائِي فِيهَا وَإِذَا بَلَغَ التَّائِي فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْمُنْزِلِيَّةِ الْغَايَةَ تَبِعَهُ طَاعَةُ  
الشُّهُورَاتِ فَتَلَوَّنُ النَّفْسُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَائِدِ بِأَلْوَانٍ كَثِيرَةٍ لَا يَسْتَقِيمُ حَالُهَا مَعَهَا فِي دِينِهَا  
وَلَا دُنْيَاهَا أَمَّا دِينُهَا فَلَا يَسْتَحْكَمُ صِبْغَةُ الْعَوَائِدِ الَّتِي يَسْرُ تَرْعُهَا وَأَمَّا دُنْيَاهَا فَلِكثَرَةِ  
الْحَاجَاتِ وَالْمَوْثِقَاتِ الَّتِي تُطَالِبُ بِهَا الْعَوَائِدُ وَيُجْعِلُ وَيُنْكَبُ عَنْ أَلْوَفَاءِ بِهَا وَيَبْأَهُ أَنَّ  
الْمِصْرَ بِالتَّفَنِّ فِي الْحِضَارَةِ تَعْظُمُ تَفَقَّاتُ أَهْلِهَا وَالْحِضَارَةُ تَتَفَاوَتْ بِتَفَاوُتِ الْعُمَرَانِ فَتَمَيَّ  
كَانَ الْعُمَرَانُ أَكْثَرَ كَانَتْ الْحِضَارَةُ أَكْمَلَ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ الْمِصْرَ الْكَبِيرَ  
الْعُمَرَانُ يَخْتَصُّ بِالْغَلَاءِ فِي أَسْوَاقِهِ وَأَسْعَارِ حَاجَتِهِ ثُمَّ تَزِيدُهَا الْمُكُوسُ غَلَاءً لِأَنَّ  
الْحِضَارَةَ إِنَّمَا تَكُونُ عِنْدَ انْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ فِي اسْتِحْجَالِهَا وَهُوَ زَمَنُ وَضْعِ الْمُكُوسِ فِي  
الدُّوَلِ يَكْثُرُ خَرْجُهَا حِينَئِذٍ كَمَا تَقْدَمُ وَالْمُكُوسُ تَعُودُ إِلَى الْبَيْعَاتِ بِالْغَلَاءِ لِأَنَّ  
السُّوقَةَ وَالتَّجَارَةَ كُلَّهُمْ يَحْتَسِبُونَ عَلَى سَاعَتِهِمْ وَيَصَانِعُهُمْ جَمِيعُ مَا يَفْقُونَهُ حَتَّى فِي مَوَاقِفِ  
أَنْفُسِهِمْ فَيَكُونُ الْمَكْسُ لِلذِّكْرِ دَاخِلًا فِي قِيَمِ الْبَيْعَاتِ وَأَتَمَّهَا فَيَعْظُمُ تَفَقَّاتُ أَهْلِ  
الْحِضَارَةِ وَيَخْرُجُ عَنِ الْقَصْدِ إِلَى الْإِسْرَافِ وَلَا يَحْدُونُ وَبِجَعَةٍ عَنْ ذَلِكَ لِمَا مَلَكَهُمْ مِنْ  
أَثَرِ الْعَوَائِدِ وَطَاعَتِهَا وَتَذَمُّبِ مَكَايِدِهِمْ كُلِّهَا فِي الْفَقَاتِ وَيَتَابَعُونَ فِي الْإِمْلَاقِ  
وَالْخَاسَةِ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْفَقْرُ وَيَقِلُّ الْمُسْتَاوُونَ لِلْبَائِعِ فَيَكْسُدُ الْأَسْوَاقُ وَيَفْسُدُ  
حَالُ الْمَدِينَةِ وَدَاعِيَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ إِفْرَاطُ الْحِضَارَةِ وَالتَّرَفِ وَهَذِهِ مُفْسِدَاتُ فِي الْمَدِينَةِ  
عَلَى الْعُومَرِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْعُمَرَانِ وَأَمَّا فَسَادُ أَهْلِهَا فِي ذَاتِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا عَلَى الْخُصُوصِ  
فَمِنْ الْكَذْرِ وَالنَّصَبِ فِي حَاجَاتِ الْعَوَائِدِ وَالتَّلَوُّنِ بِأَلْوَانِ الشَّرِّ فِي تَخَصُّلِهَا وَمَا يَعُودُ عَلَى  
النَّفْسِ مِنَ الْقَصْرِ بَعْدَ تَحْصِيلِهَا بِحُصُولِ لَوْنٍ آخَرَ مِنَ الْأَوَانِ فَلِذَلِكَ يَكْثُرُ مِنْهُمْ الْفِسْقُ  
وَالشَّرُّ وَالسُّفْسَفَةُ وَالتَّحِيلُ عَلَى تَحْصِيلِ الْمَعَاشِ مِنْ وَجْهِهِ وَمِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ وَتَنْصَرِفُ  
النَّفْسُ إِلَى الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ وَالْقُوصِ عَلَيْهِ وَاسْتِجْمَاعِ الْحِيلَةِ لَهُ فَيَجِدُهُمْ أَجْرَاءَ عَلَى

الْكُذِبِ وَالْمُفَارَةِ وَالْفِسْ وَأَخْلَابَهُ وَالسَّرْفَةَ وَالْجُبْنَ فِي الْإِيمَانِ وَالرِّبَا فِي الْبَيَاعَاتِ  
ثُمَّ تَجِدُهُمْ أَبْصَرَ يَطْرُقِ الْفَسْقُ وَمَذَاهِبُهُ وَالْجَاهِرَةُ بِهِ وَيَدْوَعِيهِ وَأَطْرَاحِ الْحِشْمَةِ  
فِي الْخَوْصِ فِيهِ حَتَّى بَيْنَ الْأَقَارِبِ وَذَوِي الْأَحْكَامِ الَّذِينَ تَقْضِي الدَّوَةَ الْحَيَاءُ مِنْهُمْ  
فِي الْإِفْذَاعِ بِذَلِكَ وَتَجِدُهُمْ أَيْضًا أَبْصَرَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ يَدْفَعُونَ بِذَلِكَ مَا عَسَاهُ أَنْ يَنَالَهُمْ  
مِنَ الْقَهْرِ وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنَ الْعِقَابِ عَلَى تِلْكَ الْقَبَائِحِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ عَادَةً وَخُلُقًا  
لَا كَثَرِيهِمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَبِعُوجِ بَحْرِ الْمَدِينَةِ بِالْغَلَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَخْلَاقِ الدُّنْيَةِ  
وَيُجَارِيهِمْ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ نَاشِئَةِ الدَّوْلَةِ وَلَوْلَانِهِمْ مَعْنَى أَهْمَلٍ عَنِ التَّأْدِيبِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ  
خُلُقُ الْجَوَارِ وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ أَسَابٍ وَيُؤْتَانِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ بَشَرٌ مُعْمَلُونَ وَإِنَّمَا  
تَفَاضَلُوا وَتَمَيَّزُوا بِالْخُلُقِ وَأَكْتَسَبَ الْفَضَائِلَ وَاجْتَنَبَ الْأَزْدَالَ فَمَنْ اسْتَعْجَلَتْ فِيهِ  
لَمْ يَنْفَعَهُ زَكَاةُ نَسَبِهِ وَلَا طِيبُ نَسَبِهِ وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ أَعْقَابِ الْبُيُوتِ وَذَوِي  
الْأَحْسَابِ وَالْأَصَالَةِ وَأَهْلِ الدُّوَلِ مُنْطَرِحِينَ فِي الْفُجَارِ مُتَّحِلِينَ لِلْجُرْفِ الدُّنْيَةِ فِي  
مَعَانِيهِمْ بِمَا فَسَدَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَمَا تَلَوَّنُوا بِهِ مِنْ صِبْغَةِ الشَّرِّ وَالسَّفَسْفَةِ وَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ  
فِي الْمَدِينَةِ أَوْ الْأُمَّةِ تَأْذَنَ اللَّهُ بِخَرَابِهَا وَأَنْقَرَضَهَا وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ  
نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَتَوَجَّهْ حِينَئِذٍ  
أَنْ مَكَاسِبُهُمْ حِينَئِذٍ لَا تَنِي بِجَاهَتِهِمْ لِكثَرَةِ الْعَوَائِدِ وَمُطَالَبَةِ النَّفْسِ بِهَا فَلَا تَسْتَقِيمُ  
أَحْوَالُهُمْ وَإِذَا فَسَدَتْ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ وَاحِدًا وَاحِدًا أَخْلَلَ نِظَامَ الْمَدِينَةِ وَخَرَبَتْ  
وَهَذَا مَعْنَى مَا يَقُولُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْخَوَاصِ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَثُرَ فِيهَا غَرَسُ النَّارِجِ  
تَأَذَّنَتْ بِالْخَرَابِ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْعَامَّةِ يَتَحَامَى غَرَسُ النَّارِجِ بِاللُّدُورِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ  
ذَلِكَ وَلَا أَنَّهُ خَاصَّةٌ فِي النَّارِجِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْبَسَاتِينَ وَاجْزَاءَ الْمِيَاهِ هُوَ مِنْ  
تَوَابِعِ الْحِضَارَةِ ثُمَّ إِنَّ النَّارِجَ وَاللَّيَّةَ وَالسَّرَوَ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِمَّا لَا طَعْمَ فِيهِ وَلَا مَنَافِعَ  
هُوَ مِنْ غَايَةِ الْحِضَارَةِ إِذْ لَا يَقْصُدُ بِهَا فِي الْبَسَاتِينَ إِلَّا أَشْكَالَهَا قَطْعًا وَلَا تُغْرَسُ إِلَّا بَعْدَ  
الْتِفَانِ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِ وَهَذَا هُوَ الطَّوَرُ الَّذِي يُغْشَى مَعَهُ هَالِكُ الْمِصْرِ وَخَرَابُهُ كَمَا  
قُلْنَا وَلَقَدْ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الدِّقْلَى وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِذِ الدِّقْلَى لَا يَقْصُدُ بِهَا إِلَّا  
تَلَوُّنُ الْبَسَاتِينَ بَنُوْرَهَا مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَيْضَ وَهُوَ مِنْ مَذَاهِبِ التَّرَفِ وَمِنْ مَقَامِدِ  
الْحِضَارَةِ لِإِنِّهَا كَمَا فِي الشَّهَوَاتِ وَالْإِسْتِزَالِ فِيهَا لِكثَرَةِ التَّرَفِ فَيَقَعُ التَّفَنُّنُ فِي شَهَوَاتِ

الْبَطْنِ مِنَ الْمَا كُلِّ وَالْمَلَاذِ فَيُنْفِي ذَلِكَ إِلَى فَسَادِ النَّوعِ فَأَقْبَهُمْ ذَلِكَ وَأَعْتَبَ بِهِ  
 أَنَّ غَايَةَ الْعُمُرَانِ هِيَ الْحِضَارَةُ وَالتَّرَفُ وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ غَايَتَهُ أَتَقَلَّبَ إِلَى الْفَسَادِ وَأَخَذَ فِي  
 الْحَرَمِ كَالْأَعْمَارِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْحَيَوَانَاتِ بَلْ تَقُولُ إِنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَاصِلَةَ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالتَّرَفِ  
 هِيَ عَيْنُ الْفَسَادِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ بِإِقْتِدَارِهِ عَلَى جَنْبِ مَنَافِعِهِ وَدَفْعِ مَضَارِهِ  
 وَاسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلْسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضَرِيُّ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُبَاشَرَتِهِ حَاجَاتِهِ إِلَّا بِعِزِّ الْمَا  
 حَصَلَ لَهُ مِنَ الدَّعَةِ أَوْ تَرَفًا لِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمَرْبَى فِي النَّعِيمِ وَالتَّرَفِ وَكِلَا الْأَرْبَيْنِ  
 ذَمِيمٌ وَكَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ وَاسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلْسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضَرِيُّ بِمَا  
 قَدْ قَدَّمَ مِنْ خُلُقِ الْإِنْسَانِ بِالتَّرَفِ وَالنَّعِيمِ فِي قَهْرِ التَّأْدِيبِ فَهُوَ بِذَلِكَ عِيَالٌ عَلَى الْحَاكِمَةِ  
 الَّتِي تُدَافِعُ عَنْهُ ثُمَّ هُوَ فَاسِدٌ أَيْضًا غَالِبًا بِمَا فَسَدَتْ مِنْهُ الْعَوَائِدُ وَطَاعَتُهَا وَمَا تَلَوَّثَتْ بِهِ  
 النَّفْسُ مِنْ مَكَانَتِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ إِلَّا فِي الْأَقَلِّ النَّادِرِ وَإِذَا فَسَدَ الْإِنْسَانُ فِي قُدْرَتِهِ  
 عَلَى اخْتِلَافِهِ وَدِينِهِ فَقَدْ فَسَدَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ وَصَارَ مَسْحًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَبِهَا الْإِعْتِبَارُ كَانَ  
 الَّذِينَ يَتَرَبَّوْنَ عَلَى الْحِضَارَةِ وَخُلُقِهَا مُوجِدُونَ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحِضَارَةَ هِيَ  
 سَبَبُ الْوُفُوقِ لِعُمُرِ الْعَالَمِ فِي الْعُمُرَانِ وَالْدَوْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ  
 لَا يَشْغُلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ

### الفصل التاسع عشر

فِي إِنْ الْإِمَارَاتِ تَكُونُ كِرَاسِي الْمَلِكِ تَحْرِبُ بِحِزَابِ الدَّوْلَةِ وَانْقِرَافِهَا  
 قَدْ اسْتَفْرَيْنَا فِي الْعُمُرَانِ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا اخْتَلَّتْ وَانْتَقَضَتْ فَإِنَّ الْمِصْرَ الَّذِي  
 يَكُونُ كُرْسِيًا لِسُلْطَانِهَا يَنْتَقِضُ عُمُرَانُهُ وَرُبَّمَا يَنْتَهِي فِي انْتِقَاضِهِ إِلَى الْحَرْابِ وَلَا يَكَادُ  
 ذَلِكَ يَخْلُفُ وَالسَّبَبُ فِيهِ أُمُورٌ الْأَوَّلُ أَنَّ الدَّوْلَةَ لَا بُدَّ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ الْمُقْتَضِيَةِ  
 لِلتَّجَافِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْبُعْدِ عَنِ التَّحَدُّثِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى تَخْفِيفِ الْجَبَايَةِ وَالْعَوَائِدِ  
 الَّتِي مِنْهَا مَادَّةُ الدَّوْلَةِ فَتَقِلُّ الْتَفَقَّاتُ وَيَقِلُّ التَّرَفُ فَإِذَا صَارَ الْمِصْرُ الَّذِي كَانَ كُرْسِيًا  
 لِلْمَلِكِ فِي مَلَكَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُجْتَدِدَةِ وَتَقَعَتْ أَحْوَالُ التَّرَفِ فِيهَا نَقَصَ التَّرَفُ  
 فَيَمْنَعُ نَحْتًا أَيْدِيهَا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ لِأَنَّ الرِّعَايَا تَبْعُ لِلدَّوْلَةِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى خُلُقِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَّا طَوْعًا لِمَا فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنْ تَقْلِيدِ مَتَّبِعِيهِمْ أَوْ كُرْهًا لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ خُلُقُ الدَّوْلَةِ  
 مِنْ الْإِتْقَانِ عَنِ التَّرَفِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَقِلَّةِ الْعَوَائِدِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْعَوَائِدِ فَتَقْصُرُ

لَتَكْ حِصَارَةُ الْمِصْرِ وَيَذْهَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ مِنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَهُوَ مَعْنَى مَا تَقُولُ فِي خَرَابِ  
 الْمِصْرِ . الْأَمْرُ الثَّانِي أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنَّمَا يَحْصُلُ لَهَا الْمَلِكُ وَالْأَسْتِلاَةُ بِالْقَلْبِ وَإِنَّمَا  
 يَكُونُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ وَالْخُرُوبِ وَالْعِدَاوَةُ يَقْتَضِي مُنَافَاةَ بَيْنِ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ وَتَكْثُرُ  
 أَحَدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَعَلَبُ أَحَدِ الْمُنَافِيَيْنِ يَذْهَبُ بِالْمُنَافِي  
 الْآخَرَ فَتَكُونُ أَحْوَالُ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ مُنْكَرَةً عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَمُسْتَبْشَعَةً وَبِصِحَّةٍ  
 وَخُصُوصًا أَحْوَالُ التَّرَفِّ فَتُقْفَدُ فِي عَرَفِهِمْ بِبُكْبِيرِ الدَّوْلَةِ لَهَا حَتَّى تَنْشَأَ لَهُمْ بِالتَّنْذِيرِ  
 عَوَائِدُ أُخْرَى مِنَ التَّرَفِّ فَتَكُونُ عَنْهَا حِصَارَةٌ مُسْتَأْنَفَةً وَفِي بَيْنِ ذَلِكَ قُصُورُ الْحِصَارَةِ  
 الْأُولَى وَتَقْصُهَا وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ الْعُمَرَانِ فِي الْمِصْرِ . الْأَمْرُ الثَّالِثُ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ لَا  
 يَدُلُّهُمْ مِنْ وَطَنِ وَهُوَ مَنَاشَأُ مِنْهُ أَوَّلِيَّةُ مُلْكِهِمْ وَإِذَا مَلَكَوا مُلْكًا آخَرَ صَارَ تَبَا  
 لِلْأَوَّلِ وَأَمْضَاهُ تَابِعَةٌ لِأَمْصَارِ الْأَوَّلِ وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ وَلَا يَدُ مِنْ تَوْسِطِ  
 الْكُرْمِيِّ نَحْوِ الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ لِأَنَّهُ شِبْهُ الْمَرْكَزِ لِلنِّطَاقِ فَيَبْعُدُ مَكَانُهُ عَنْ  
 مَكَانِ الْكُرْمِيِّ الْأَوَّلِ وَتَهْوِي أَفْتِدَةُ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ فَيَنْتَقِلُ إِلَيْهِ  
 الْعُمَرَانُ وَيَخْفُتُ مِنْ مِصْرِ الْكُرْمِيِّ الْأَوَّلِ وَالْحِصَارَةُ إِنَّمَا هِيَ تَوَلُّوهُ الْعُمَرَانُ كَمَا  
 قَدْ سَمَّاهُ فَتَنْقُصُ حِصَارَتُهُ وَتَمُدُّهُ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِهِ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلشُّجُوعَةِ فِي عُلُوْلِهِمْ  
 يَكْرُسِيهِمْ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى أَصْبَهَانَ وَلِلْعَرَبِ قَبْلَهُمْ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْمَدَائِنِ إِلَى الْكُوفَةِ  
 وَبَلْبَصَرَةَ وَلِبَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْعُدُولِ عَنْ دِمَشْقَ إِلَى بَغْدَادَ وَلِبَنِي مُرِينَ بِالْقُرْبِ فِي  
 الْعُدُولِ عَنْ مَرَاكِشَ إِلَى فَاسَ وَبِالْجَمَلَةِ فَأَتَمَّخَذُ الدَّوْلَةُ الْكُرْمِيَّةَ فِي مِصْرِ  
 يُخْلُ بَعْمَرَانُ الْكُرْمِيِّ الْأَوَّلِ . الْأَمْرُ الرَّابِعُ أَنَّ الدَّوْلَةَ الثَّانِيَةَ لَا يَدُ فِيهَا مِنْ تَبَعِ  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ وَأَشْيَاعُهَا يَتَوَلَّوْنَهَا إِلَى قَطْرِ آخَرٍ يُؤْمِنُ فِيهِ غَالِيَتُهُمْ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْمِصْرِ الْكُرْمِيُّ أَشْيَاعُ الدَّوْلَةِ إِمَّا مِنَ الْحَاكِمَةِ الَّذِينَ تَزَلُّوا بِهِ أَوَّلَ  
 الدَّوْلَةِ أَوْ أَعْيَانُ الْمِصْرِ لِأَنَّ لَهُمْ فِي الْغَالِبِ مَخَالَطَةَ الدَّوْلَةِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَتَنَوُّعَ أَصْنَافِهِمْ  
 بَلْ أَكْثَرُهُمْ نَاشِئٌ فِي الدَّوْلَةِ فَهُمْ شَبَعَةٌ لَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا بِالسُّوَكَةِ وَالْعَصِيَّةِ فَهُمْ  
 بِالْمِيلِ وَالْحَبَّةِ وَالْعَبِيدَةِ وَطَبِيعَةُ الدَّوْلَةِ الْمُجْتَدِدَةِ يَحْوِي أَثَارَ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ فَيَنْقَلِبُ  
 مِنْ مِصْرِ الْكُرْمِيِّ إِلَى وَطَنِهَا الْمُسْتَعْمَنِ فِي مَلِكَتِهَا فَبَعْضُهُمْ عَلَى نَوْعِ التَّغَرُّبِ  
 وَالْخُبْسِ وَبَعْضُهُمْ عَلَى نَوْعِ الْكَرَامَةِ وَالتَّلَطُّفِ يَجِبُ لَا يُؤَدِّي إِلَى الْفَرَةِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي

مِصْرَ الْكُرْمِيَّةِ إِلَّا الْبَاعَةَ وَالْمَحْلُ مِنْ أَهْلِ الْقَلْعِ وَالْعِيَارَةِ وَسَوَادِ الْعَامَةِ وَيَنْزِلُ مَسْكَنَهُمْ  
 حَامِيَتَهَا وَأَشْيَاعُهَا مِنْ يَسْتَدُّ بِهِ الْمِصْرُ وَإِذَا ذَهَبَ مِنَ الْمِصْرِ أَعْيَانُهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ نَقَصَ  
 سَاكِنُهُ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ عُمَرَانِهِ ثُمَّ لَا يَدُّ مِنْ أَنْ يَسْتَجِدَّ عُمَرَانُ آخَرُ فِي ذَلِكَ الدَّوْلَةِ  
 الْجَدِيدَةِ وَتَحْصُلُ فِيهِ حِصَارَةٌ أُخْرَى عَلَى قَدْرِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَثَابَةِ مَنْ لَهُ بَيْتٌ عَلَى  
 أَوْصَافٍ مَخْصُوصَةٍ فَأُظْهِرَ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَإِعَادَةِ بِنَائِهَا عَلَى مَا يَخْتَارُهُ  
 وَيَقْتَرِحُهُ فَيَجْزِبُ ذَلِكَ الْبَيْتَ ثُمَّ يَعِيدُ بِنَاءَهُ ثَانِيًا وَقَدْ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي  
 هِيَ كُرْمِيَّةُ الْمَلِكِ وَشَاهِدَتَاهُ وَعِلْمَتَاهُ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالسَّبَبَ الطَّبِيعِيَّ الْأَوَّلُ  
 فِي ذَلِكَ عَلَى الْجُمْلَةِ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالْمَلِكَ لِلْعُمَرَانِ بِمَثَابَةِ الصُّورَةِ لِلْمَادَةِ وَهُوَ الشَّكْلُ الْخَائِظُ  
 بِنُوعِهِ لَوْجُودِهَا وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُنَا أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ  
 فَالِدَّوْلَةُ دُونَ الْعُمَرَانِ لَا تُتَصَوَّرُ وَالْعُمَرَانُ دُونَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكُ مُتَعَدِّثٌ لَهَا فِي طَبَاعِ  
 الْبَشَرِ مِنَ الْعُدُونِ الدَّاعِي إِلَى الْوَارِثِ فَتَتَعَيَّنُ السِّيَامَةُ لِذَلِكَ إِمَّا الشَّرْعِيَّةُ أَوِ الْمَلِكِيَّةُ  
 وَهُوَ مَعْنَى الدَّوْلَةِ وَإِذَا كُنَّا لَا يَنْفَكَا فَاخْتِلَالُ أَحَدِهِمَا مُؤَثِّرٌ فِي اخْتِلَالِ الْآخَرِ  
 كَمَا أَنَّ عَدَمَهُ مُؤَثِّرٌ فِي عَدَمِهِ وَالْخَلْلُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ خَلْلِ الدَّوْلَةِ الْعَكْلِيَّةِ  
 مِثْلَ دَوْلَةِ الْأَرْوَمِ أَوِ الْفَرَسِ أَوِ الْعَرَبِ عَلَى الْعُمُومِ أَوْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَوْ بَنِي الْعَبَّاسِ كَذَلِكَ  
 وَأَمَّا الدَّوْلَةُ الشَّخْصِيَّةُ مِثْلَ دَوْلَةِ أَنْوَشِرْوَانَ أَوْ هَرْقَلِ أَوْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْ  
 الرَّشِيدِ فَأَخْصَاصُهَا مُعَاقِبَةٌ عَلَى الْعُمَرَانِ حَافِظَةٌ لَوْجُودِهِ وَبِقَائِهِ وَتَرْبِيَةُ الشَّيْءِ بَعْضُهَا  
 مِنْ بَعْضٍ فَلَا تَوَثُّرٌ كَثِيرٌ اخْتِلَالِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ بِالتَّحْقِيقِ الْقَاعِلَةَ فِي مَادَةِ الْعُمَرَانِ إِنَّمَا  
 هِيَ الْقَصِيَّةُ وَالشُّوْكَةُ وَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَى أَشْخَاصِ الدَّوْلَةِ فَإِذَا ذَهَبَتْ تِلْكَ الْقَصِيَّةُ وَدَفَعَتْهَا  
 عَصِيَّةٌ أُخْرَى مُؤَثَّرَةٌ فِي الْعُمَرَانِ ذَهَبَتْ أَهْلُ الشُّوْكَةِ بِأَجْدَعِهِمْ وَعَظُمَ الْخَلْلُ كَمَا  
 قَرَّرْنَاهُ أَوَّلًا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض

وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ الْمِصْرِ يَسْتَدْعِي بَعْضُهَا بَعْضًا لَمَّا فِي طَبِيعَةِ  
 الْعُمَرَانِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنَ الْأَعْمَالِ يَخْتَصُّ بِبَعْضِ أَهْلِ الْمِصْرِ فَيَقُومُونَ عَلَيْهِ  
 وَيَسْتَبْصِرُونَ فِي صِنَاعَتِهِ وَيَخْتَصُّونَ بِوُظَائِفِهِ وَيَجْعَلُونَ مَعَاشَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَهُمْ مِنْهُ لِمُؤَمَّرِ

الْبَلَوَى بِهِ فِي الْمِصْرِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَسْتَدْعِي فِي الْمِصْرِ بِكَوْنِ غَفْلًا إِذْ لَا فَائِدَةَ  
لِاسْتِحْلَهِ فِي الْإِخْتِرَافِ بِهِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنْ ذَلِكَ لِمَصْرُورَةِ الْعَمَاشِ فَيُوجَدُ فِي كُلِّ مِصْرٍ  
كَالْحَيَّاطِ وَالْحُدَّادِ وَالنَّجَّارِ وَأَمْنَالِهَا وَمَا يَسْتَدْعِي لِعَوَائِدِ التَّرَفِّ وَأَحْوَالِهِ فَإِنَّمَا يُوجَدُ  
فِي الْمَدِينِ الْمُسْتَبْجِرَةِ فِي الْعِمَارَةِ الْآخِذَةِ فِي عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَالْحِضَارَةِ مِثْلِ الزَّجَّاجِ  
وَالصَّائِغِ وَالْدَهَّانِ وَالطَّبَّاحِ وَالصَّفَّارِ وَالْفَرَّاشِ وَالنَّبَّاحِ وَأَمثالِ هَذِهِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ  
وَيَقْدَرُ مَا تَزِيدُ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ وَتَسْتَدْعِي أَحْوَالَ التَّرَفِّ تَعُدُّ صَنَائِعُ ذَلِكَ النُّوعِ  
فَتُوجَدُ بِذَلِكَ الْمِصْرِدُونَ غَيْرُهُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْحَمَامَاتُ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تُوجَدُ فِي الْأَمْصَارِ  
الْمُسْتَحْضِرَةِ الْمُسْتَبْجِرَةِ الْعُمُرَانِ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرَفُّ وَالْفَنَى مِنَ التَّنْعَمِ وَلِذَلِكَ  
لَا تَكُونُ فِي الْمَدِينِ الْمَتَوَسِّطَةِ وَإِنْ تَزَعُ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ إِلَيْهَا فَيَخْطُهَا  
وَيُغِيرُ أَحْوَالَهَا إِلَّا أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهَا دَاعِيَةٌ مِنْ كَافَّةِ النَّاسِ فَسَرَّعَانَ مَا تُغْبِرُ وَتُغْرِبُ  
وَتَقْرِ عَنْهَا الْقَوْمَةُ لِقَلَّةِ فَائِدَتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ مِنْهَا وَأَلَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ

### الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الأمصار وتقلب بعضهم على بعض  
مِنْ الْبَيِّنِ أَنَّ الْإِتِّحَامَ وَالْإِتِّصَالَ مَوْجُودٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ نَسَبٍ  
وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهُ كَمَا قَدَّمَاهُ أَضَعَفُ مِمَّا يَكُونُ بِالنَّسَبِ وَأَنَّهُ تَحْصُلُ بِهِ الْعَصَبِيَّةُ بَعْضًا مِمَّا  
تَحْصُلُ بِالنَّسَبِ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مُلتَحِمُونَ بِالْصَّهْرِ يُحِبُّونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى  
أَنْ يَكُونُوا لَحْمًا وَلَحْمًا وَقَرَابَةً قَرَابَةً وَيُحِبُّونَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعُدَاوَةِ وَالصَّدَاقَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ  
الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ مِثْلَهُ فَيَفْتَرِقُونَ شَيْعًا وَعَصَائِبَ فَإِذَا نَزَلَ أَلْهَرَمُ بِالْدَوْلَةِ وَتَقَلَّصَ ظِلُّ  
الدَّوْلَةِ عَنِ الْقَاصِيَةِ أَحْتَاَجَ أَهْلُ أَمْصَارِهَا إِلَى الْقِيَامِ عَلَى أَمْرِهِمُ وَالنَّظَرِ فِي حِمَايَةِ بِلَدِهِمْ  
وَرَجَعُوا إِلَى الشُّوَرَى وَتَمَيَّزَ الْعَلِيَّةُ عَنِ السُّفَلَى وَالنُّفُوسُ طَبَاعِيًا مُتَطَاوِلَةٌ إِلَى الْقَلْبِ  
وَأَلْزَمَتِ نَاسَةً فَتَطْمَحُ الْمَشِيخَةُ خِلَافَ الْجَوِّ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْدَوْلَةِ الْفَاهِرَةِ إِلَى الْإِسْتِنْدَادِ  
وَيُنَازِعُ كُلُّ صَاحِبَةٍ وَيَسْتَوْصِلُونَ بِالْإِتِّبَاعِ مِنَ الْعَوَالِي وَالشَّيْعِ وَالْأَحْلَافِ وَيَبْذُلُونَ  
مَا فِي يَدَيْهِمْ لِلْأَوْثَادِ وَالْأَوْثَابِ فَيَعُوضُ كُلُّ صَاحِبَةٍ وَيَتَبَعِنَ الْقَلْبُ لِبَعْضِهِمْ فَيَعُطِفُ  
عَلَى كِفَائِهِ لِبَعْضٍ مِنْ أَعْتِيهِمْ وَيَتَبَعُهُمْ بِالْقَتْلِ أَوِ التَّغْرِيبِ حَتَّى يَخْضُدَ مِنْهُمْ الشُّوَكُوتُ  
الْأَائِدَةُ وَيَقْلِمُ الْأَطْفَارَ الْخَادِشَةَ وَيَسْتَبِدُّ بِمِصْرِهِ أَجْمَعَ وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ اسْتَحْلَتْ مُلْكًا

بِرُؤْيَا عَقِيهِ فَيَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْمَلِكِ الْأَصْغَرِ مَا يَحْدُثُ فِي الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ مِنْ عَوَارِضِ  
 الْجِدَّةِ وَالْهَرَمِ وَرُبَّمَا يَسْمُوعُ بَعْضُ هَؤُلَاءِ إِلَى مَنَازِعِ الْمُلُوكِ الْأَعَاظِلِ أَصْحَابِ الْقَبَائِلِ  
 وَالْعَسَائِرِ وَالْعَصَبِيَّاتِ وَالزُّخُوفِ وَالْخُرُوبِ وَالْأَقْطَارِ وَالْمَمَالِكِ فَيَنْتَحِلُونَ بِهَا مِنْ الْجُلُوسِ  
 عَلَى السَّرِيرِ وَاتِّخَاذِ الْأَلَةِ وَإِعْدَادِ الْمَوَاقِبِ لِلْسَبْرِ فِي أَقْطَارِ الْبِلَدِ وَالْخَتَمِ وَالْحُسْبِيَّةِ  
 وَالْخَطَابِ بِالْمُؤْمِلِ مَا يَنْبَغُ مِنْهُ مَنْ يَشَاهِدُ أَحْوَالَهُمْ لِمَا أُنْعَلُوهُ مِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ الَّتِي  
 لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ إِنَّمَا دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ تَقْلُصُ الدَّوْلَةِ وَالنِّجَامُ بَعْضُ الْقَرَابَاتِ حَتَّى صَارَتْ عَصَابَةٌ  
 وَقَدْ بَنَزَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَتَجَرَّى عَلَى مَذْهَبِ السَّدَاجَةِ فَرَارًا مِنَ التَّعْرِضِ بِنَفْسِهِ لِلشَّخَرِيَّةِ  
 وَالْعَبَثِ وَقَدْ وَقَعَ هَذَا بِأَفْرِيقَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الْخَفِصِيَّةِ لِأَهْلِ بِلَادِ الْجُرَيْدِ  
 مِنْ طَرَائِلسَ وَقَائِسَ وَتُؤْزَرَ وَتَنْقَطَةَ وَتَفْصَةَ وَبِسْكَرَةَ وَالزَّابِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ سَمَّوْا إِلَى  
 مِثْلِهَا عِنْدَ تَقْلُصِ ظِلِّ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ مِنْذُ عُقُودٍ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَعْلَبُوا عَلَى أَمْصَارِهِمْ  
 وَاسْتَبَدُّوا بِأَمْرِهَا عَلَى الدَّوْلَةِ فِي الْأَحْكَامِ وَالنَّجَابَةِ وَأَعْطَوْا طَاعَةً مَعْرُوفَةً وَصَفَقَةً  
 مَعْرُوضَةً وَأَقْطَعُوا جَانِبًا مِنَ الْمَلَائِنَةِ وَالْمَلَاطِفَةِ وَالْإِقْبَادِ وَهُمْ بِمَعَزِلِ عَنْهُ وَأَوْزَنُوا  
 ذَلِكَ أَعْقَابَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ وَحَدَّثَ فِي خَلْفِهِمْ مِنَ الْعِلَظَةِ وَالْتَجْبَرِ مَا يَحْدُثُ لِأَعْقَابِ الْمُلُوكِ  
 وَخَلْفِهِمْ وَنَظَّمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَادِ السَّلَاطِينِ عَلَى قُرْبِ عَيْنِهِمْ بِالسُّوقَةِ حَتَّى نَحَا ذَلِكَ  
 مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَنْتَزَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا نَذَرُكَ فِي  
 أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ وَقَعَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَاسْتَقْلَّ بِأَمْصَارِ الْجُرَيْدِ  
 أَهْلُهَا وَاسْتَبَدُّوا عَلَى الدَّوْلَةِ حَتَّى أَنْتَزَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَيْخُ الْمُؤَحِّدِينَ وَمَلِكُهُمْ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ  
 بْنُ عَلِيٍّ وَتَقَلَّبَ كُلُّهُمْ مِنْ إِمَارَاتِهِمْ بِهَا إِلَى الْمَغْرِبِ وَنَحَا مِنْ تِلْكَ الْإِلَادِ آثَارُهُمْ كَمَا  
 نَذَرُكَ فِي أَخْبَارِهِ وَكَذَا وَقَعَ بِسَبْتَةِ لِآخِرِ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَهَذَا التَّقَلُّبُ يَكُونُ  
 غَالِبًا فِي أَهْلِ السَّرَوَاتِ وَالْبُيُوتَاتِ الدُّرْمِيَّةِ لِلْمَسِيخَةِ وَالزَّائِسَةِ فِي الْمَصْرِ وَقَدْ يَحْدُثُ  
 التَّقَلُّبُ لِبَعْضِ السَّفَلَةِ مِنَ الْفَوْغَاءِ وَالْدَهْمَاءِ وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ وَاللَّيْثَامُ بِالْأَوْغَادِ  
 لِأَسْبَابٍ يَجْرِمُهَا لَهُ الْمَقْدَارُ فَيَغْلِبُ عَلَى الْمَسِيخَةِ وَالْعِلِيَّةِ إِذَا كَانُوا فَاغِدِينَ لِلْعِصَابَةِ وَاللَّهِ  
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ



في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجليل الغالين عليها او  
 الخنطين لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا  
 العهد عربية وان كان اللسان العربي المصري قد فسدت ملكته وتغير اغرابه  
 والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامة والذين واللملة صورة  
 للوجود والملك وكلها مواد له والصورة مقدمة على المادة والذين انما يستفاد من  
 الشريعة وهي بلسان العرب لما ان الذي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى  
 اللسان العربي من الالسن في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نفي عمر رضي الله عنه  
 عن بطانة الاعاجم وقال انها خب ابي مكر وخديعة فلما هجر الذين اللغات الاعجمية  
 وكان لسان الفاتحين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها لان  
 الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام  
 واطاعة العرب وهجر الامة لغاتهم والسننهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان  
 العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنه  
 النجمية دخيلة فيها وعربية ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض احكامه وتغير  
 او اخرو وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمي لسانا حضريا في جميع امصار  
 الاسلام وايضا فكثر اهل الامصار في اللملة لهذا العهد من اعقاب العرب المالكين  
 لها المالكين في ترفها بما كثروا النجم الذين كانوا بها وورثوا ارضهم وديارهم واللغات  
 متوارثة بقيت لغة الاعقاب على حيال لغة الاباء وان فسدت احكامها بمخالطة  
 الاعاجم شيئا فشيئا وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى اهل الحواضر والامصار بخلاف  
 لغة البدو من العرب فانها كانت اعرق في العروبية ولما تملك النجم من الديلم  
 والسجوقية بعدهم بالمشرق وزنانه واليزيد بالمغرب وصار لهم الملك والاسيلا  
 على جميع الممالك الاسلامية فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه  
 من عنابة المسلمين بالكتاب والمنة اللذين بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجعا  
 لبقاء لغة العربية المضربة من الشعر والكلام الا قليلا بالامصار فلما ملك التتر

وَالْمَفْعُولُ بِالْمَشْرِقِ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمَرْجُحُ وَفَسَدَتِ اللُّغَةُ  
 الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا رَسْمٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ  
 وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَرْضِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الشَّامِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَذَهَبَتْ  
 أَسَالِيبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الشَّعْرِ وَالْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا بَقِيَ تَعْلِيمُهُ صِنَاعِيًّا بِالْقَوَائِنِ  
 الْمُتَدَارِسَةِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَحِفْظُ كَلَامِهِمْ لِمَنْ يَسِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِذَلِكَ وَرُبَّمَا بَقِيَتْ  
 اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُصْرِيَّةُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْأَنْدَلُسِ بِالْمَغْرِبِ لِبَقَاءِ الدِّينِ طَلَبًا لَهَا  
 فَأُحْفِظَتْ بَعْضُ الشَّيْءِ وَأَمَّا فِي مَمَالِكِ الْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ  
 حَتَّى إِنْ كُتِبَ الْعُلُومُ صَارَتْ تُكْتَبُ بِاللِّسَانِ النُّجُمِيِّ وَكَذَا تَدْرِيصُهُ فِي النُّجَالِسِ  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

## الفصل الخامس

### من الكتاب الاول

في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله

من الاحوال وفيه مسائل

### الفصل الاول

في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية

إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُفْتَقِرًا بِالطَّبْعِ إِلَى مَا يَقُونُهُ وَيَمُونُهُ فِي حَالَتِهِ وَأَطْوَارِهِ مِنْ لَدُنْ نَشْؤِهِ  
 إِلَى أَشْدِهِ إِلَى كِبَرِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ لِلْإِنْسَانِ  
 وَأَمَّنْ بِهِ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَا آتَاهُ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
 مِنْهُ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ وَكَثِيرٌ مِنْ شَوَاهِدِهِ وَيَدُ  
 الْإِنْسَانِ مَبْسُوطَةٌ عَلَى الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْإِسْتِخْلَافِ وَأَيَّدِي الْبَشَرِ مُنْشِرَةٌ  
 فِيهِ مُشْتَرِكَةٌ فِي ذَلِكَ وَمَا حَصَلَ عَلَيْهِ يَدُ هَذَا أَمْتَعَ عَنِ الْآخِرِ إِلَّا بِعَوَاضٍ فَأَلِ الْإِنْسَانُ مَتَى  
 اقْتَدَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَجَاوَزَ الضَّعْفَ سَعَى فِي اقْتِنَاءِ الْمَكْسَبِ لِيُنْفِقَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْهَا  
 فِي تَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ وَصَرُورَاتِهِ بِدَفْعِ الْأَعْوَاضِ عَنْهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ

الرِّزْقَ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ سَعْيٍ كَالْمَطَرِ الْمُصْلِحِ لِلزَّرْعَةِ وَأَمَّا هِيَ إِلَّا أَنَّهَا إِنَّمَا  
تَكُونُ مَعِينَةً وَلَا بُدَّ مِنْ سَعْيِهِ مَعَهَا بَأً فَيَتَكُونُ لَهُ تِلْكَ الْمَكْسَبُ مَعَاشًا إِنْ  
كَانَتْ بِمِقْدَارِ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ وَرِبَاشًا وَمَتَمَوْلًا إِنْ زَادَتْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ ذَلِكَ  
الْحَاجِلُ أَوْ الْمُقْتَنَى إِنْ عَادَتْ مِنْعَتُهُ عَلَى الْعَبْدِ وَحَصَلَتْ لَهُ ثَمَرَةٌ مِنْ إِنْقَافِهِ فِي مَصَالِحِهِ  
وَحَاجَاتِهِ سَمِيَ ذَلِكَ رِزْقًا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ  
فَأَنْتَبِ أَذْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِ  
وَلَا حَاجَاتِهِ فَلَا يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَالِكِ رِزْقًا وَالْمَتَمَوْلُ مِنْهُ جِبْتٌ بِسَمِيِّ الْعَبْدِ  
وَقُدْرَتِهِ يُسَمَّى كَسْبًا وَهَذَا مِثْلُ التَّرَاثِ فَإِنَّهُ يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْهَالِكِ كَسْبًا وَلَا يُسَمَّى  
رِزْقًا إِذْ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ مُنْتَفَعٌ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَارِثِينَ مَتَى انْتَفَعُوا بِهِ يُسَمَّى رِزْقًا هَذَا حَقِيقَةُ  
مُسَمًّى الرِّزْقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ اشْتَرَطَ الْمُعْتَرِلُ فِي تَسْمِيَةِ رِزْقًا أَنْ يَكُونَ يَحِثُّ  
بِصِحِّ تَمْلِكِهِ وَمَا لَا يَتَمَلَّكَ عِنْدَهُمْ لَا يُسَمَّى رِزْقًا وَأَخْرَجُوا الْفُصُولَ وَالْأَحْرَامَ كُلَّهَا  
عَنْ أَنْ يُسَمَّى فِيهَا مِنْهَا رِزْقًا وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُ الْفَاقِسَ وَالظَّالِمَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ  
بِرَحْمَتِهِ وَهِدَايَتِهِ مِنْ يَشَاءُ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ سُبْحٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعٌ بَسَطَهَا ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ  
الْكَسْبَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالسَّعْيِ فِي الْإِفْتِنَاءِ وَالْقَصْدِ إِلَى الْخُصُولِ فَلَا بُدَّ فِي الرِّزْقِ مِنْ  
سَعْيٍ وَعَمَلٍ وَلَوْ فِي تَنَاوُلِهِ وَابْتِغَائِهِ مِنْ وَجْهِهِ قَالَ تَعَالَى فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَالسَّعْيُ  
إِلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْهَامِهِ فَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ  
الْإِنْسَانِيَةِ فِي كُلِّ مَكْسُوبٍ وَمَتَمَوْلٍ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَمَلًا يَنْفَعُ مِثْلَ الصَّنَائِعِ نَظَامِهِ  
وَإِنْ كَانَ مُقْتَنَى مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعْدِنِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَمَا  
تَرَاهُ وَإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ وَلَمْ يَقَعْ بِهِ انْتِفَاعٌ ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الشَّجَرَيْنِ الْمَعْدِنَيْنِ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِيمَا لِكُلِّ مَتَمَوْلٍ وَهُمَا الذَّخِيرَةُ وَالْقَنِيَةُ لِأَهْلِ الْعَالَمِ فِي الْغَالِبِ  
وَإِنْ أَقْتَنَى سِوَاهُمَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ لِقَصْدِ تَحْصِيلِهَا بِمَا يَقَعُ فِي غَيْرِهَا مِنْ حَوَالَةِ  
الْأَسْوَاقِ الَّتِي هُمَا عَنْهَا يَمْعَزِلُ فَمَا أَصْلُ الْمَكْسَبِ وَالْقَنِيَةِ وَالذَّخِيرَةِ وَإِذَا تَفَرَّقَ هَذَا  
كُلُّهُ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَا يَفِيدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَقْتْنِيهِ مِنَ الْمَتَمَوْلَاتِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّنَائِعِ  
فَالْمَقَادُ الْمُقْتَنَى مِنْهُ فِيمَا عَمَلُهُ وَهُوَ الْقَصْدُ بِالْقَنِيَةِ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْعَمَلُ وَالْإِنْسَانُ  
يَقْصُودُ بِنَفْسِهِ الْقَنِيَةَ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الصَّنَائِعِ فِي بَعْضِهَا غَيْرُهَا مِثْلُ النِّجَارَةِ وَالْحَيَاكَةِ

مَعَهَا الْخَشَبُ وَالْقَزْلُ إِلَّا أَنَّ الْعَمَلَ فِيهِمَا أَكْثَرُ فَعَيْتُهُ أَكْثَرُ وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ  
 الصَّنَائِعِ فَلَا بُدَّ مِنْ قِيَمَةٍ ذَلِكَ الْمَقَادِرُ وَالْقَنِيَّةِ مِنْ دُخُولِ قِيَمَةِ الْعَمَلِ الَّذِي حَصَلَتْ  
 بِهِ إِذْ لَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ تَحْصُلْ قَنِيَّتُهَا وَقَدْ تَكُونُ مَلَا حِظَةَ الْعَمَلِ ظَاهِرَةً فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا  
 فَتَحْصُلُ لَهُ حِصَّةٌ مِنَ الْقِيَمَةِ عَظُمَتْ أَوْ صَغُرَتْ وَقَدْ تَخْفَى مَلَا حِظَةَ الْعَمَلِ كَمَا فِي أَسْعَارِ  
 الْأَقْوَاتِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ أَعْيَارَ الْأَعْمَالِ وَالنَّفَقَاتِ فِيهَا مَلَا حِظُ فِي أَسْعَارِ الْحُبُوبِ كَمَا  
 قَدَمْنَاهُ لِكُنْهٍ خَفِيَ فِي الْأَقْفَارِ الَّتِي عِلَاجُ الْفُلُحِ فِيهَا وَمَوْتُهُ بَسِيرَةٌ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا  
 الْقَلِيلُ مِنَ أَهْلِ الْفُلُحِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَقَادِرَ وَالْكَتَسِبَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا إِنَّمَا فِي  
 فِيمَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَبَيَّنَ مَسْمَى الرِّزْقِ وَأَنَّهُ الْمَنْتَفَعُ بِهِ فَقَدْ بَانَ مَعْنَى الْكَسْبِ  
 وَالرِّزْقِ وَشَرَحَ مُسَمَّاهاً وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا فُقِدَتِ الْأَعْمَالُ أَوْ قُلْتُ بِاتِّقَاصِ الْعُمُرَانِ  
 تَأْذَنَ اللَّهُ بِرَفْعِ الْكَسْبِ الْأَتْرَى إِلَى الْأَمْصَارِ الْقَلِيلَةِ أَلَا كَيْفَ يَقُولُ الرِّزْقُ  
 وَالْكَسْبُ فِيهَا أَوْ يُفْقَدُ لِقَلَّةِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْأَمْصَارُ الَّتِي يَكُونُ عُمُرَانِهَا  
 أَكْثَرُ يَكُونُ أَهْلُهَا أَوْسَعَ أَحْوَالاً وَأَشَدَّ زَفَاحَةً كَمَا قَدَمْنَاهُ قَبْلَ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ نَقُولُ  
 الْعَامَّةُ فِي الْبِلَادِ إِذَا تَنَاقَصَ عُمُرَانِهَا إِنَّمَا قَدْ ذَهَبَ رِزْقُهَا حَتَّى أَنَّ الْأَنْهَارَ وَالْعِيُونَ  
 يَتَقَطَّعُ جُزْئُهَا فِي الْفَقْرِ لَمَّا أَنَّ قُوَّةَ الْعِيُونَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْإِنْبَاطِ وَالْإِمْتِرَاءِ الَّذِي هُوَ  
 بِالْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَالْحَالِ فِي ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ فَإِلَّا يَكُنْ إِنْبَاطٌ وَلَا أَمْتِرَاءٌ تَضَبَّتْ وَغَارَتْ  
 بِالْجُمْلَةِ كَمَا يَحِفُّ الضَّرْعُ إِذَا تَرَكَ أَمْتِرَؤُهُ وَأَنْظَرُهُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تُهْمَدُ فِيهَا الْعِيُونَ  
 لَا يَأْمُرُ عُمُرَانِهَا ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْهَا الْخُرَابُ كَيْفَ تَعُورُ مِيَاهُهَا جُمْلَةً كَانَتْ لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ  
 مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الثاني

في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

إِعْلَمَ أَنَّ الْمَعَاشَ هُوَ عِبَادَةُ عَنْ ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ وَهُوَ مَفْعُولٌ مِنَ  
 الْعَبَسِ كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَبَسُ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهَيْدِهِ جُعِلَتْ مَوْضِعًا لَهُ عَلَى  
 طَرِيقِ الْمَبْلُغَةِ ثُمَّ إِنْ تَحْصِيلَ الرِّزْقِ وَكَسْبُهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِأَخْذِهِ مِنْ بَدَنِ الْغَيْرِ  
 وَأَنْتِزَاعِهِ بِالْأَقْدَارِ عَلَيْهِ عَلَى قَانُونِ مُتَعَارِفٍ وَيُسَمَّى مَغْرَمًا وَجَبَايَةً وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ  
 مِنَ الْحَيَوَانِ الْوَحْشِيِّ بِأَقْدَارِهِ وَأَخْذِهِ بِرَمِيهِ مِنَ الْبَرِّ أَوِ الْبَحْرِ وَيُسَمَّى أَصْطِيدًا

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ بِاسْتِخْرَاجِ فُضُولِهِ الْمُنْصَرَفَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي  
 مَنَافِعِهِمْ كَالْبَنِّ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرِيرِ مِنْ دُودِهِ وَالْعَسَلِ مِنْ نَحْلِهِ أَوْ يَكُونَ مِنَ النَّبَاتِ  
 فِي الزَّرْعِ وَالشَّجَرِ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ وَإِعْدَادِهِ لِاسْتِخْرَاجِ ثَمَرِهِ وَيُسَمَّى هَذَا كُلُّهُ قَلْعًا وَإِمَّا  
 أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ إِمَّا فِي مَوَادِّ مُعَيَّنَةٍ وَتُسَمَّى الصَّنَائِعُ مِنْ كِتَابَةِ  
 وَنَجَارَةٍ وَخِيطَاةٍ وَحِيَاكَةٍ وَفُرُوسِيَّةٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ أَوْ فِي مَوَادِّ غَيْرِ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ جَمِيعُ  
 الْأَشْيَاءِ النَّاتِجَةِ مِنَ الْبَلَادِ وَأَنْتِقَابِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِيهَا وَيُسَمَّى هَذَا تِجَارَةً  
 فَهَذِهِ وَجُوهُ الْمَعَاشِ وَأَصْنَافُهُ وَهِيَ مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ  
 كَالْحَرِيرِ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا الْمَعَاشُ إِمَارَةٌ وَتِجَارَةٌ وَفِلَاحَةٌ وَصِنَاعَةٌ فَأَمَّا الْإِمَارَةُ  
 فَلَيْسَتْ بِمَذْهَبٍ طَبِيعِيٍّ لِلْمَعَاشِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ  
 الْحَيَايَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَهْلِهَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي وَأَمَّا الْفِلَاحَةُ وَالصَّنَاعَةُ وَالتِّجَارَةُ فَهِيَ وَجُوهُ  
 طَبِيعِيَّةُ الْمَعَاشِ أَمَّا الْفِلَاحَةُ فَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِالنَّاتِ إِذْ هِيَ بَسِيطَةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ  
 فِطْرِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَلَا عِلْمٍ وَلِهَذَا تُنْسَبُ فِي الْخَلِيقَةِ إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ وَأَنَّهُ  
 مَعْلَمُهَا وَأَقَامُ عَلَيْهَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا أَقْدَمُ وَجُوهُ الْمَعَاشِ وَأَنْسَبُهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ وَأَمَّا  
 الصَّنَائِعُ فَهِيَ ثَانِيَتُهَا وَمَتَأَخَّرَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ وَعِلْمِيَّةٌ تُصَرَّفُ فِيهَا الْأَفْكَارُ وَالْأَنْظَارُ  
 وَلِهَذَا لَا يَوْجَدُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَهْلِ الْخَصْرِ الَّذِي هُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبَدْوِ وَثَانٍ عَنْهُ وَمِنْ هَذَا  
 الْمَعْنَى أُسِيَّتَ إِلَى أَدْرِيسَ الْأَبِ الثَّانِي لِلْعَلِيقَةِ فَإِنَّهُ مُسْتَنْبِطُهَا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْبَشَرِ  
 بِالْوَحْيِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا التِّجَارَةُ وَإِنْ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً فِي الْكَسْبِ فَلَا كَثَرُ مِنْ  
 طُرُقِهَا وَمَذَاهِبِهَا إِنَّمَا هِيَ تَحِيلَاتٌ فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا بَيْنَ الْقَائِمَتَيْنِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ  
 لِيَحْصَلَ فَايِدَةُ الْكَسْبِ مِنْ تِلْكَ الْفَضْلَةِ وَلِلَّذِكِ أَبَاحُ الشَّرْعِ فِيهِ الْمُكَاسَبَةَ لِمَا أَنَّهُ  
 مِنْ بَابِ الْمَقَامَرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ أَخْذًا لِمَالٍ الْغَيْرِ عِجَانًا فَلِهَذَا اخْتَصُصَ بِالْمَشْرُوعِيَّةِ

### الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

إِعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ اخْتِغَاذِ الْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْإِمَارَةِ وَالْمَلِكِ  
 الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرْطِيِّ وَالْكَاتِبِ وَيَسْتَعِينُ فِي كُلِّ بَابٍ بِمَنْ يَعْلَمُ

غَنَاءُهُ فِيهِ وَيَتَكَفَّلُ بِأَرْزَاقِهِمْ مِنْ يَتِّبَ مَالِهِ وَهَذَا كُلُّهُ مُتَدَرِّجٌ فِي الْإِمَارَةِ وَمَعَاشِهَا  
 إِذْ كُلُّهُمْ يَتَّسِعُ عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْإِمَارَةِ وَالْمَلِكِ الْأَعْظَمُ هُوَ يَنْبُوعُ جَدَائِلِهِمْ وَأَمَّا مَا  
 دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْخِدْمَةِ فَسَبِيحُهَا أَنَّ أَكْثَرَ الْمُتَرَفِينَ يَتَرَفَّعُ عَنْ مُبَاشَرَةِ حَاجَاتِهِ أَوْ يَكُونُ  
 عَاجِزًا عَنْهَا لِمَا زَيَّنَ عَلَيْهِ مِنْ خُلُقِي النِّعَمِ وَالْتَرَفِ فَيَتَّخِذُ مَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ وَيَقْطَعُهُ عَلَيْهِ  
 أَجْرًا مِنْ مَالِهِ وَهَذِهِ الْحَالَةُ غَيْرُ مَعْدُودَةٍ بِحَسَبِ الرُّجُولِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ إِذْ الْفَقْرُ  
 بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ وَلَئِنْهَا تَزِيدُ فِي الْوُظَائِفِ وَالْخُرُجِ وَتَدُلُّ عَلَى الْعَجْزِ وَأَخْلُتِ اللَّذِي يَنْبَغِي  
 فِي مَذَاهِبِ الرُّجُولِيَّةِ التَّنَزُّهُ عَنْهُمَا إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ تَقْلِبُ طَبَاعَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَوْفَهَا فَهُوَ  
 أَبْنُ عَوَائِدِهِ لَا أَبْنُ نَسَبِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَالْخُلْدِيمُ الَّذِي يَسْتَكْفِي بِهِ وَيُوثِقُ بِغَنَائِهِ كَالْمَقْقُودِ  
 إِذْ الْخُلْدِيمُ الْفَقِيرُ بِذَلِكَ لَا يَدْعُو أَرْبَعَ حَالَاتٍ إِمَّا مُضْطَلِعٌ بِأَمْرِهِ وَلَا مَوْثُوقٌ فِيمَا يَحْصُلُ  
 بِيَدِهِ وَإِمَّا بِالْعَكْسِ فِي إِحْدَاهُمَا فَقَطْ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ مُضْطَلِعًا غَيْرَ مَوْثُوقٍ أَوْ مَوْثُوقًا غَيْرَ  
 مُضْطَلِعٍ فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الْمُضْطَلِعُ الْمَوْثُوقُ فَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدٍ اسْتِعْمَالَهُ بِوَجْهِهِ إِذْ  
 هُوَ بِاضْطِلَاعِهِ وَثِقَتِهِ غَنِيٌّ عَنْ أَهْلِ الرَّتَبِ الدِّينِيَّةِ وَتَحَقُّقِ لِمَقَالِ الْأَجْرِ مِنَ الْخِدْمَةِ  
 لَا فَيْدَارِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا الْأُمَرَاءُ أَهْلُ الْجَلَاءِ الْعَرِضِ لِعُمُومِ  
 الْحَاجَةِ إِلَى الْجَلَاءِ وَأَمَّا الصِّنْفُ الثَّانِي وَهُوَ مِمَّنْ لَيْسَ بِمُضْطَلِعٍ وَلَا مَوْثُوقٍ فَلَا يَنْبَغِي  
 لِمَا قِيلَ اسْتِعْمَالُهُ لِأَنَّهُ يُعْجِزُ بِمُخْدَمِهِ فِي الْأَمْرَيْنِ مَعَ قِيَصِ عَلَيْهِ لِعَدَمِ الْأَصْطِنَاعِ  
 تَارَةً وَبَذْهِبِ مَالِهِ بِالْخِيَانَةِ أُخْرَى فَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ كُلُّهُ عَلَى مَوْلَاهُ فَهَذَانِ الصَّنِفَانِ لَا  
 يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي اسْتِعْمَالِهِمَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْتِعْمَالُ الصَّنِفَيْنِ الْآخَرَيْنِ مَوْثُوقٌ غَيْرَ مُضْطَلِعٍ  
 وَمُضْطَلِعٌ غَيْرَ مَوْثُوقٍ وَلِلنَّاسِ فِي التَّرْجِيحِ بَيْنَهُمَا مَذْهَبَانِ وَلِكُلِّهِ مِنَ التَّرْجِيحَيْنِ وَجْهٌ  
 إِلَّا أَنَّ الْمُضْطَلِعَ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مَوْثُوقٍ أَرْجَحُ لِأَنَّهُ يُؤْمَنُ مِنْ تَقْصِيرِهِ وَيُعَاوَلُ دَلَى التَّحَرُّزِ  
 مِنْ خِيَانَتِهِ جُهْدَ الْإِسْتِطَاعَةِ وَأَمَّا الْمُضْطَلِعُ وَلَوْ كَانَ مَأْمُونًا فَضَرَرُهُ بِالْضَّرِيعِ أَكْثَرُ مِنْ  
 نَفْعِهِ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَأَخَذَهُ قَانُونًا فِي الْإِتِّكَانِ بِالْخِدْمَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرُ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل الرابع

في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكوز لبس تبعاش طبعي  
 اعلم ان كثيرا من ضعفاء العقول في الامصار يحرمون على استخراج الاموال من

تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَتَّبِعُونَ الْكَسْبَ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَمْوَالَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مَخْزَنَةٌ  
كُلُّهَا تَحْتَ الْأَرْضِ مَحْتَمٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِطَلَامٍ سَجَرِيَةٍ لَا يَقْضُ خَتَامَهَا ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَثَرَ  
عَلَى عَلَيْهِ وَاسْتَحْضَرَ مَا يَحُلُّهُ مِنَ الْجُورِ وَالنَّعَاءِ وَالْقُرْبَانِ فَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِأَفْرِيقَةٍ يَرَوْنَ  
أَنَّ الْأَفْرِيقَةَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِهَا دَفَنُوا أَمْوَالَهُمْ كَذَلِكَ وَأَوْدَعُوهَا فِي  
الْصُفُوفِ بِالْكِتَابِ إِلَى أَنْ يَجِدُوا السَّبِيلَ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِالْمَشْرِقِ  
يَرَوْنَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أُمَمِ الْقِبْطِ وَالرُّومِ وَالْفَرَسِ وَيَتَنَاقِلُونَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ تُشَبِّهُ حَدِيثَ  
خُرَاقَةَ مِنْ أَنْتَهَاءِ بَعْضِ الطَّالِبِينَ لِذَلِكَ إِلَى حَنْزِ مَوْضِعِ الْمَالِ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ طَلْسَمَهُ  
وَلَا خَبْرَهُ فَيَحْدِثُونَهُ خَالِيًا أَوْ مَعْمُورًا بِالرِّبْدَانِ أَوْ بِشَاهِدِ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ مَوْضُوعَةً  
وَالْحَرَسِ دُونَهَا مُنْتَظِينَ سُبُوقَهُمْ أَوْ تَعَمُّدُ بِهِ الْأَرْضِ حَتَّى يَنْطَنُّ خَسْفًا أَوْ مِثْلَ ذَلِكَ  
مِنْ الْهَدَرِ وَفَجِدُ كَثِيرًا مِنْ طَلَبَةِ التَّزْوِيرِ بِالْمَغْرِبِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ  
وَأَسْبَابِهِ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْأَوْزَاقِ الْمُتَحَرِّقَةِ الْحَوَاشِي إِمَّا بِخُطُوطٍ تَحْمِيَةٍ أَوْ  
بِمَا تُرْجِمُ بَرَعَتِهِمْ مِنْهَا مِنْ خُطُوطٍ أَهْلُ الدِّقَاتِنِ بِإِعْطَاءِ الْأَمَارَاتِ عَلَيْهَا فِي أَمَاكِيهَا  
يَتَّبِعُونَ بِذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْهُمْ بِمَا يَبْعَثُونَهُ عَلَى الْحَقْرِ وَالطَّلَبِ وَبُؤْهُونَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا  
حَمَلَهُمْ عَلَى الْأِسْتِعَانَةِ بِهِمْ طَلَبُ الْحِجَاهِ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ مَنَالِ الْحُكَّامِ وَالْمَقُوبَاتِ وَرَبَّمَا  
تَكُونُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ نَادِرَةً أَوْ غَرِيبَةً مِنَ الْأَعْمَالِ السَّجَرِيَةِ بِدَوِّهَا عَلَى تَصْدِيقِ مَا  
بَقِيَ مِنْ دَعْوَاهُ وَهُوَ يَمْعَزِلُ عَنِ السَّخْرِ وَطَرَفِهِ فَتَوَلَّعَ كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْمُقُولِ بِجَمْعِ  
الْأَبْدِيِّ عَلَى الْإِحْتِفَارِ وَالتَّسَتُّرِ فِيهِ بِظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مَخَافَةَ الرَّهْبَاءِ وَعَيُونِ أَهْلِ الدُّوَلِ فَإِذَا  
لَمْ يَبْعَثُوا عَلَى شَيْءٍ رَدُّوا ذَلِكَ إِلَى الْجَهْلِ بِالطَّلَسِ الَّذِي خَتَمَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَالِ  
يُخَادِعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَنْ إِخْفَاقِ مَطَامِعِهِمْ وَالَّذِي يَحْتَمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْعَالِيَةِ زِيَادَةً  
عَلَى ضَعْفِ الْعَقْلِ إِنَّمَا هُوَ الْفَجْرُ عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ بِالْوُجُودِ الطَّبِيعِيِّ لِلْكَسْبِ مِنَ  
التَّجَارَةِ وَالْفَلَحِ وَالصَّنَاعَةِ فَيُطْلَبُونَهُ بِالْوُجُودِ الْمُتَحَرِّقَةِ وَعَلَى غَيْرِ الْعَجْزِيِّ الطَّبِيعِيِّ مِنْ  
هَذَا وَآمَنَالِهِ عَجْزًا عَنِ السَّعْيِ فِي الْمَكَاسِبِ وَرُكُونًا إِلَى تَنَاوُلِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ  
وَلَا نَصَبٍ فِي تَحْصِيلِهِ وَكَتْسَابِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُوقِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِتْنَاءِ ذَلِكَ مِنْ  
غَيْرِ وَجْهِهِ فِي نَصَبٍ وَمَتَاعِبٍ وَجَهْدٍ شَدِيدٍ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَيُعْرِضُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ ذَلِكَ  
لِنَسَالِ الْمَقُوبَاتِ وَرَبَّمَا يَحْتَمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ زِيَادَةُ التَّرَفِ وَعَوَائِدُهُ وَخُرُوجُهَا

عَنْ حَدِّ النَّهْيَةِ حَتَّى تَقْصِرَ عَنْهَا وَجْهَهُ الْكَسْبُ وَمَذَاهِبُهُ وَلَا تَقْبَلُ بِمَطَالِبِهَا فَإِذَا عَجَزَ  
عَنِ الْكَسْبِ بِالْجَزْرِ الطَّيِّبِ لَمْ يَجِدْ وَلِيَّةً فِي نَفْسِهِ إِلَّا الْبُغْيَ لِوُجُودِ الْمَالِ الْعَظِيمِ  
دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ كَانَتْ لِيَنْبِي لَهُ ذَلِكَ بِالْعَوَائِدِ الَّتِي حَصَلَ فِي أَسْرَافِهِ فَيُخَرِّصُ عَلَى ابْتِغَاءِ ذَلِكَ  
وَيَسْمَى فِيهِ جُودَهُ وَلِهَذَا نَأْكَثُ مَنْ تَرَاهُمْ يَخْرُصُونَ عَلَى ذَلِكَ هُمْ الْمَتَرَفُونَ مِنْ أَهْلِ  
الدُّوَلَةِ وَمِنْ سُكَّانِ الْأَنْصَارِ الْكَثِيرَةِ التَّرَفِ الْمُسَمَّيَةِ الْأَحْوَالِ مِثْلَ مِصْرَ وَمَا فِي  
مَعْنَاهَا فَجِدْ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ مُغْرَمِينَ بِابْتِغَاءِ ذَلِكَ وَتَعْصِيلِهِ وَهَسَاءَ لَةِ الرُّكْبَانِ عَنْ شَوَادِهِ  
كَمَا يَخْرُصُونَ عَلَى الْكَيْمِيَاءِ هَكَذَا بَلَّغْنِي عَنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي مِفَاوِضِهِ مَنْ يَلْقَوْنَهُ مِنْ  
طَلَبَةِ الْمَعَارِبَةِ لَعَلَّهُمْ يَمْنُونُ مِنْهُ عَلَى دَفِينٍ أَوْ كَنْزٍ وَيَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ أَلْبَحْثَ عَنْ  
تَغْوِيرِ الْمِيَاءِ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الدَّفِينَةِ كُلِّهَا فِي بَحَارِي النَّيْلِ وَأَنَّهُ أَعْظَمُ  
مَا يَسْتَرْ دَفِينًا أَوْ مَخْتَفًى فِي تِلْكَ الْأَنْقَاءِ وَبُيُوتِهِ عَلَيْهِمْ أَحْسَابُ تِلْكَ الدَّفَائِرِ الْمُفْتَعَلَةِ  
فِي الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِجَزِيَةِ النَّيْلِ تَسْتَرًا بِذَلِكَ مِنَ الْكَسْبِ حَتَّى يَحْصَلَ  
عَلَى مَعَاشِهِ فَيُخَرِّصُ سَامِعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى نُضُوبِ الْمَاءِ بِالْأَعْمَالِ السَّخِرِيَّةِ لِتَحْصِيلِ مَبْتَغَاهُ  
مِنْ هَذِهِ كُلِّهَا بِشَأْنِ السَّخِرِ مَتَوَارِتًا فِي ذَلِكَ الْقَطْرِ عَنْ أَوْلِيهِ فَعُلُوهُمْ السَّخِرِيَّةُ وَأَثَارُهَا  
بَاقِيَةٌ بِأَرْزَامِهِمْ فِي الْبَرَارِيِّ وَغَيْرِهَا وَفَصَّةٌ مَحَرَّةٌ فَرَعُونَ شَاهِدَةً بِأَخْصَاءِهِمْ بِذَلِكَ  
وَقَدْ تَنَاقَلَ أَهْلُ الْغَرْبِ قَصِيدَةً يَنْسِبُونَهَا إِلَى حُكَمَاءِ الْمَشْرِقِ تُعْطَى فِيهَا كَيْفِيَّةُ  
الْعَمَلِ بِالتَّغْوِيرِ بِصِنَاعَةِ مِخْرِيَّةٍ حَسْبَمَا تَرَاهُ فِيهَا وَفِي هَذِهِ

يَا طَالِبَ السِّرِّ فِي التَّغْوِيرِ  
دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ صَنَعُوا فِي كُنْهِهِمْ  
وَأَسْمَعْ لِمِصْدِقِ مَقَالَتِي وَتَصْصِيحِي  
فَإِذَا أَرَدْتَ تَغْوِيرَ الْبُيُوتِ الَّتِي  
صَوَّرَ كَصُورَتِكَ الَّتِي أَوْفَقَتْهَا  
وَبَدَأَ مَا سَكَنَ النَّجْلِ الَّذِي  
وَبَصَدْرِهِ هَاءٌ كَمَا عَابَتْهَا  
وَيَطْلُقُ عَلَى الطَّاءَاتِ غَيْرَ مَلَامِسٍ  
وَيَكُونُ حَوْلَ الْكَلِّ خَطٌّ دَائِرٌ  
أَسْمَعْ كَلَامَ الصِّدْقِ مِنْ خَبِيرٍ  
مِنْ قَوْلِ بَهْتَانٍ وَلَقَطِ غُرُورٍ  
إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ لَا يَرَى بِالزُّورِ  
حَارَتَ لَهَا الْأَوْهَامُ فِي التَّدْبِيرِ  
وَالرَّأْسُ رَأْسُ الشَّيْلِ فِي التَّغْوِيرِ  
فِي الدَّلْوِ يُشَلُّ مِنَ قَرَارِ الْبِيرِ  
عَدَدُ الطَّلَاقِ أَحْذَرُ مِنَ التَّكْرِيرِ  
مَشَى الْبَيْبِ الْكَسْبِ التَّخْرِيرِ  
تَرْيِيعُهُ أَوْلَى مِنَ التَّكْوِيرِ



وَأَذْبَجَ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالطَّغَى بِهِ  
 بِالسُّنْدُوسِ وَبِالْبَابِ وَمَبْعَةٍ  
 مِنْ أَحْمَرٍ أَوْ أَصْفَرٍ لَا أَرْقِي  
 وَبَشْدَهُ خَيْطَانُ صُوفٍ أَيْضًا  
 وَالطَّلَاحُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ يَنُوتُوا  
 وَالْبَذْرُ مُتَّصِلٌ بِسَعْدِ عَطَارِدٍ  
 فِي يَوْمٍ سَبَبَتْ سَاعَةَ التَّنْبِيرِ  
 يَعْنِي أَنَّ تَكُونِ الطَّاءَاتِ بَيْنَ قَدَمَيْهِ كَأَنَّهُ يَحْشِي عَلَيْهَا وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ  
 تَمْوِيَّاتِ الْمُتَحَرِّفِينَ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحْوَالٌ غَرِيبَةٌ وَأَصْطِلَاحَاتٌ عَجِيبَةٌ وَتَنْتَهِي التَّخْرِيفَةُ  
 وَالْكَذِبُ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَسْكُنُوا الْمَنَازِلَ الْمَشْهُورَةَ وَالذُّورَ الْمَعْرُوفَةَ لِثَلِثِ هَذِهِ  
 وَيَتَحَفَّرُونَ الْحَفَرَ وَيَضُمُونَ الْمَطَابِقَ فِيهَا وَالشُّوَاهِدَ الَّتِي يَكْتُبُونَهَا فِي صَحَافٍ كَتَبَهُمْ  
 ثُمَّ يَقْصِدُونَ ضَعْفَاءَ الْعُقُولِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الصَّحَافِ وَيَعْنُونَ عَلَى كِبَرِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ  
 وَسُكَاةَ وَيُوهَمُونَ أَنَّ بِهِ دَفِينًا مِنَ الْمَالِ لَا يَعْزُ عَنْ كَثَرَتِهِ وَيَطْلُبُونَ بِالْمَالِ لِأَشْتِرَاءِ  
 الْمُعَاقِيرِ وَالْبُخُورَاتِ لِحُلِّ الطَّلَاسِمِ وَيَعْدُونَهُ يَظْهَرُ الشُّوَاهِدُ الَّتِي قَدْ أَعْدَوْهَا هُنَاكَ  
 بِأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ فَعْلِهِمْ فَيَتَبَعُ لِمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ قَدْ خُدِعَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا  
 يَشْعُرُ وَيَتَنَبَّهُمْ فِي ذَلِكَ أَصْطِلَاحٌ فِي كَلَامِهِمْ يَلْبِسُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ لِيُخْفَى عِنْدَ مُحَاوَرَتِهِمْ  
 فِيمَا يَتْلُونَهُ مِنْ حَفَرٍ وَبُخُورٍ وَذَنْجٍ حَيَوَانٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ عَلَى  
 الْحَقِيقَةِ فَلَا أَصْلَ لَهُ فِي عِلْمِهِ وَلَا خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُنُوزَ وَإِنْ كَانَتْ تُوجَدُ لَكِنَّهَا  
 فِي حُكْمِ النَّادِرِ وَعَلَى وَجْهِ الْإِتِّفَاقِ لَا عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ إِلَيْهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَمْرٍ تَعَمُّ  
 بِهِ الْبَلَوَى حَتَّى يَذْخَرَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَحْتَمُونَ عَلَيْهَا بِالطَّلَاسِمِ لَا  
 فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ وَالرَّكَازُ الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَفَرَسَةُ الْقَهْقَرَاءِ وَهُوَ دَفِينٌ  
 الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا يُوجَدُ بِالْعَثْرِ وَالْإِتِّفَاقِ لَا بِالْقَصْدِ وَالطَّلَبِ وَأَيْضًا فَمَنْ أَخْزَنَ مَالَهُ وَخَمَّ  
 عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ السَّخَرِيَّةِ فَقَدْ بَالَغَ فِي إِخْفَائِهِ فَكَيْفَ يَنْصَبُ عَلَيْهِ الْأَدَلَّةُ وَالْأَمَارَاتُ  
 لِمَنْ يَتَّبِعُهُ وَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي الصَّحَافِ حَتَّى يَطْلُعَ عَلَى ذَخِيرَتِهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ وَالْأَفَاقِ  
 هَذَا يَنْقُضُ قَصْدَ الْإِخْفَاءِ وَأَيْضًا فَأَفْعَالُ الْعُقَلَاءِ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ لِفَرَسٍ مَقْصُودٍ  
 فِي الْإِتِّفَاقِ وَمَنْ أَخْزَنَ الْمَالَ فَإِنَّهُ يَخْتَرِنُهُ لَوْلِيهِ أَوْ قَرِيبِهِ أَوْ مَنْ يُؤْتِرُهُ وَأَمَّا أَنْ

يَقْصِدُ اخْتِاؤه بِالْكَلْبَةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْبَلَاءِ وَالْهَلَاكِ أَوْ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ  
بِالْكَلْبَةِ مِمَّنْ سَبَّأَ فِي مِنَ الْأَمْرِ قَهْذًا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقْلَاءِ بِوَجْهٍ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
أَيُّ أَمْوَالِ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلِنَا وَمَا عَلِمَ فِيهَا مِنَ الْكَثَرَةِ وَالْوُجُودِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْوَالَ مِنْ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَنْعَةِ إِنَّمَا هِيَ مَعَادِنُ وَمَكَاسِبُ مِثْلُ الْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ  
وَالرَّصَاصِ وَسَائِرِ النِّقَاقَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْعُمَرَانِ يُظْهِرُهَا بِالْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ وَيَزِيدُ  
فِيهَا أَوْ يُنْقِصُهَا وَمَا يُوجَدُ مِنْهَا بِأَيْدِي النَّاسِ فَهُوَ مُتَنَاقِلٌ مُتَوَارِثٌ وَرُبَّمَا انْتَقَلَ مِنْ  
قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ وَمِنْ دَوْلَةٍ إِلَى أُخْرَى بِحَسَبِ أَغْرَاضِهِ وَالْعُمَرَانُ الَّذِي يَسْتَدْعِي لَهُ فَإِنْ  
نَقَصَ الْمَالُ فِي الْمَغْرِبِ وَأُفْرِيقِيَّةِ فَلَمْ يَنْقُصْ بِلَادَ الصَّقَالِيَةِ وَالْإِفْرَنْجِ وَإِنْ نَقَصَ فِي  
مِصْرَ وَالشَّامِ فَلَمْ يَنْقُصْ فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَإِنَّمَا هِيَ آلَاتٌ وَالْمَكَاسِبُ وَالْعُمَرَانُ  
يُوقِرُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مَعَ أَنَّ الْمَعَادِنَ يُدْرِكُهَا الْبَلَاءُ كَمَا يُدْرِكُ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ  
وَيُسْرِعُ إِلَى الثَّلُوءِ وَالْجَوْهَرِ أَعْظَمَ مِمَّا يُسْرِعُ إِلَى غَيْرِهِ وَكَذَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنَّحَاسُ  
وَالْحَدِيدُ وَالرَّصَاصُ وَالْقَصْدِيرُ يَتَأَلَّاهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ مَا يَذْهَبُ بِأَعْيَانِهَا لِأَقْرَبِ وَفِي  
وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مِصْرَ مِنْ أَمْرِ الْمَطَالِبِ وَالْكُتُوزِ فَسَبَبُهُ أَنَّ مِصْرَ فِي مَلَكَةِ الْقُبْطِ  
مُنْذُ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُ مِنَ السِّنِينَ وَكَانَ مَوْتَاهُمْ يَذْفُونُ بِمَوْجُودِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
وَالْجَوْهَرِ وَالْآلِيَةِ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ فَلَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ الْقُبْطِ وَمَلَكَ  
الْفَرَسُ بِلَادَهُمْ تَقَرَّوْا عَلَى ذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَشَفُوا عَنْهُ فَأَخَذُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مَا لَا يُوصَفُ  
كَأَلْهَرَامٍ مِنْ قُبُورِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهَا وَكَذَا فَعَلَ الْيُونَانِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَصَارَتْ قُبُورُهُمْ  
مُظَنَّةٌ لِذَلِكَ لِهَذَا الِتِّهَادِ وَيَعْرِضُ عَلَى الدِّفِينِ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَاتِ أَمَّا مَا يَذْفُونَهُ مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ أَوْ مَا يَكْرُمُونَ بِهِ مَوْتَاهُمْ فِي الدِّفِينِ مِنْ أَوْعِيَةٍ وَتَوَاقِيَتٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
مُعْدَّةٌ لِذَلِكَ قَصَّارَتْ قُبُورُ الْقُبْطِ مِنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ مُظَنَّةٌ لَوُجُودِ ذَلِكَ فِيهَا فَلِذَلِكَ  
عُثِيَ أَهْلُ مِصْرَ بِالْبَحْثِ عَنِ الْمَطَالِبِ لَوُجُودِ ذَلِكَ فِيهَا وَاسْتَخْرَاجِهَا حَتَّى إِتَمَّ حِينَ ضَرِبَتْ  
الْمَكُوسُ عَلَى الْأَصْنَافِ آخِرَ الدَّوَلَةِ ضَرِبَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَطَالِبِ وَصَدَرَتْ خَرِيبَةٌ عَلَى مَنْ  
يَسْتَعْمِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْحَقَمِيِّ وَالْمُهَوِّسِينَ فَوُجِدَ بِذَلِكَ الْمُتَعَاطِرُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَطْمَاعِ  
الْقَدِيرَةِ إِلَى الْكُشْفِ عَنْهُ وَالْبَذْعِ بِاسْتَخْرَاجِهِ وَمَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى الْخَبِيَةِ فِي جَمِيعِ  
مَسَاعِيهِمْ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانِ فَيَحْتَاجُ مَنْ وَقَعَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّوَسُّوسِ وَابْتُلِيَ بِهِ أَنْ

يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْغَيْبِ وَالْكَسَلِ فِي طَلَبِ مَعَاشِهِ كَمَا تَعَوَّذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَتَنَصَّرَتْ عَنْ طُرُقِ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ وَلَا يَشْغُلُ نَفْسَهُ بِالْأَحْكَامِ وَالْمَكَادِبِ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

### الفصل الخامس

في ان الجاه مفيد للمال

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ صَاحِبَ الْمَالِ وَالْحُطُوفَةَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَعَاشِ أَكْثَرَ بَسَارًا وَثَرْوَةً مِنْ قَائِدِ الْجَاهِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْجَاهِ مَخْدُومٌ بِالْأَعْمَالِ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ التَّزَلُّفِ وَالْحَاجَةِ إِلَى جَاهِهِ فَأَنْتَاسُ مُعِينُونَ لَهُ بِأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهِ مِنْ ضَرُورِيٍّ أَوْ حَاجِيٍّ أَوْ كَمَا لِي فَتَحْصُلُ فِيمُ نِكَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا مِنْ كَسْبِهِ وَجَمِيعِ مَعَاشَاتِهِ أَنْ تُبَدَلَ فِيهِ الْأَعْوَاضُ مِنَ الْعَمَلِ بِسْتَعْمِلُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ عَرَضٍ فَتَنْتَوَقَّرُ فِيمُ نِكَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِ هُوَ بَيْنَ فِيمُ لِلْأَعْمَالِ بِكَتْسِبِهَا وَفِيمُ أُخْرَى تَدْعُوهُ الضَّرُورَةُ إِلَى إِخْرَاجِهَا فَتَنْتَوَقَّرُ عَلَيْهِ وَالْأَعْمَالُ لِصَاحِبِ الْجَاهِ كَثِيرَةٌ فَتَفِيدُ الْغَنَى لِأَقْرَبِ وَقْتٍ وَيَزْدَادُ مَعَ الْأَبَامِ بَسَارًا وَثَرْوَةً وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَتْ الْأِمَارَةُ أَحَدَ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَقَائِدُ الْجَاهِ بِالْكَلْبَةِ وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ مَالٍ فَلَا يَكُونُ بَسَارُهُ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَالِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ سَعْيِهِ وَهُوَ لَا مُمْ أَكْثَرُ التَّجَارِ وَلِهَذَا يُجَدُّ أَهْلُ الْجَاهِ مِنْهُمْ يَكُونُونَ أَسْرَ بَكْثِيرٍ وَمِمَّا يَشْهَدُ لِنَاكَ أَنَّا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ إِذَا اشْتَهَرُوا حَسَنَ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَعْتَقَدَ الْجُمْهُورُ مُعَامَلَةَ اللَّهِ فِي إِزْفَادِهِمْ فَأَخْلَصَ النَّاسُ فِي إِعَانَتِهِمْ عَلَى أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَالْأَعْمَالِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَأَمْرَعَتْ إِلَيْهِمُ الثَّرْوَةُ وَأَصْبَحُوا بِمَاسِيرٍ مِنْ غَيْرِ مَالٍ مُقْتَنَى إِلَّا مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ فِيمُ الْأَعْمَالِ الَّتِي وَقَعَتِ الْمَعُونَةُ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ رَأْيًا مِنْ ذَلِكَ أَعْدَادًا فِي الْأَمْصَارِ وَالْمَدُنِ وَفِي الْبُيُوتِ يَسْعَى لَهُمُ النَّاسُ فِي الْقُلُوبِ وَالتَّجَرُّ وَكُلُّهُ هُوَ قَاعِدٌ بِمَنْزِلِهِ لَا يَبْرَحُ مِنْ مَكَانِهِ فَيَنْعَمُ مَالُهُ وَيَعْظُمُ كَسْبُهُ وَيَتَأَثَّلُ الْغَنَى مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ وَيَتَجَبُّ مَنْ لَا يَقْطُنُ لِهَذَا السِّرِّ فِي حَالِ ثُرُونِهِ وَأَسْبَابِ غِنَاهُ وَيَسَارِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

## الفصل السادس

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتحاق  
وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قَدْ سَلَفَ لَنَا فِيمَا سَقَى أَنَّ الْكَسْبَ الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ الْبَشَرُ إِنَّمَا هُوَ قِيمٌ أَعْمَالِهِمْ  
وَلَوْ قَدِرَ أَحَدٌ عَطَلَ عَنِ الْعَمَلِ جُمْلَةً لَكَانَ قَافِدَ الْكَسْبِ بِالْكَلْبَةِ وَعَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ  
وَشَرَفِهِ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ يَكُونُ قَدَرُ قِيَمَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ نُمُو كَسْبِهِ  
أَوْ نُقْصَانُهُ وَقَدْ بَيَّنَّا آتِفاً أَنَّ أَجْلَاءَ الْمَالِ لِمَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِنْ تَقَرُّبِ النَّاسِ إِلَيْهِ  
بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي دَفْعِ الْمَضَارِّ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ وَكَانَ مَا يَفْرَقُونَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ  
أَوْ مَالٍ عَوْضًا عَمَّا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ أَجْلَاءِ مِنَ الْأَغْرَاضِ فِي صَالِحٍ أَوْ طَالِحٍ وَتَصِيرُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالُ فِي كَسْبِهِ وَقِيَمَتِهَا أَمْوَالٌ وَثَرَوَةٌ لَهُ فَيَسْتَفِيدُ الْغَنَى وَالنِّسَارَ لِأَقْرَبِ وَقْتٍ  
ثُمَّ إِنَّ أَجْلَاءَ مُتَوَزِعٍ فِي النَّاسِ وَمُتَرَتِّبٍ فِيهِمْ طَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ يَنْتَهِي فِي الْعُلُوِّ إِلَى  
الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَيْسَ قُوَّتُهُمْ بِدُعَايَةٍ وَفِي السُّفْلِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ غُرّاً وَلَا تَقَعَا بَيْنَ أَبْنَاءِ  
جَنَسِهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ طَبَقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَنْتَظِمُ مَعَاشَهُمْ وَيَتَبَسَّرُ  
مَصَالِحَهُمْ وَيَتِمُّ بَقَاؤُهُمْ لِأَنَّ النَّوعَ الْإِنْسَانِيَّ لَا يَتِمُّ وَجُودُهُ إِلَّا بِالْعَاوُنِ وَإِنَّهُ وَإِنْ نَدَرَ  
فَقَدْ ذَلِكَ فِي صُورَةٍ مَفْرُوضَةٍ لَا يَصُحُّ بَقَاؤُهُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْعَاوُنَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْأَكْرَامِ  
عَلَيْهِمْ لِحِيلِهِمْ فِي الْأَكْثَرِ بِمَصَالِحِ النَّوعِ وَلِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الْإِخْتِيَارِ وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ  
إِنَّمَا تَصْدُرُ بِالْفِكْرِ وَالرُّؤْيَى لَا بِالطَّبْعِ وَقَدْ يَمْتَنِعُ مِنَ الْعَاوُنَةِ فَيَتَعَيَّنُ حِمْلُهَا عَلَيْهَا فَلَا  
يُدْنِ مِنْ حَامِلٍ يُكْرِهُهُ أَبْنَاءُ النَّوعِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ لَتِمَّ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي بَقَاءِ هَذَا  
النَّوعِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا مَغْرَبًا وَرَحْمَةً رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْكُمُونَ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَجْلَاءَهُ هُوَ الْقُدْرَةُ الْحَكِيمَةُ لِلْبَشَرِ عَلَى  
الْعَصْرِ فِي مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ جَنَسِهِمْ بِالْإِذْنِ وَالْمَنْعِ وَالتَّسْلُطِ بِالْقَهْرِ وَالْعَلَبَةِ  
لِيَعْمِلَهُمْ عَلَى دَفْعِ مَضَارِّهِمْ وَجَلْبِ مَنَافِعِهِمْ فِي الْعَدْلِ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَعَلَى  
أَغْرَاضِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ مَقْصُودٌ فِي الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِاللَّاتِ وَالثَّانِي  
دَاخِلٌ فِيهَا بِالْعَرَضِ كَسَائِرِ الشُّرُورِ الدَّاخِلَةِ فِي الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَتِمُّ وَجُودُ  
الْخَيْرِ الْكَثِيرِ إِلَّا بِوُجُودِ شَرٍّ يَسِيرٍ مِنْ أَجْلِ الْمَوَادِّ فَلَا يَفُوتُ الْخَيْرُ بِذَلِكَ بَلْ يَقَعُ

عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ الْيَسِيرِ وَهَذَا مَعْنَى وَقُوعِ الظُّلْمِ فِي الْحَقِيقَةِ فَفَضَمَ ثُمَّ إِنَّ  
كُلَّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَاقِ أَهْلِ الْفُتْرَانِ مِنْ مَدِينَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى مَنْ دُونَهَا مِنْ  
الطَّبَاقِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى يَسْتَعِمِدُّ بِإِذِي الْجَاهِ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُ  
وَيَزِدُّادُ كَسْبُهُ نَصْرًا فِيمَنْ تَحْتَ يَدِهِ عَلَى قَدَرٍ مَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ وَالْجَاهُ عَلَى ذَلِكَ دَاخِلٌ  
عَلَى النَّاسِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ وَيَتَّبِعُ وَيَضِيقُ بِحَسَبِ الطَّبَقَةِ وَالطُّورِ الَّذِي فِيهِ  
صَاحِبُهُ فَإِنْ كَانَ الْجَاهُ مُتَسِعًا كَانَ الْكَسْبُ الْثَانِي عَنْهُ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا فَلَيْلًا  
فَقِتْلُهُ وَكَافِدُ الْجَاهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِمُقْدَارِ عَمَلِهِ أَوْ مَالِهِ وَنِسْبَةِ  
سَبْعِهِ ذَاهِبًا وَآيَا فِي تَنْمِيعَتِهِ كَأَكْثَرِ الثَّجَارِ وَأَهْلِ الْفِلَاحَةِ فِي الْغَالِبِ وَأَهْلِ الصَّنَائِعِ  
كَذَلِكَ إِذَا فَقَدُوا الْجَاهَ وَاقْتَصَرُوا عَلَى فَوَائِدِ صَنَائِعِهِمْ فَأَتَتْهُمْ بِصِيْرُونَ إِلَى الْفَقْرِ  
وَالْخِصَاصَةِ فِي الْأَكْثَرِ وَلَا تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ ثَرَوَةٌ وَإِنَّمَا يَرْمِقُونَ الْعَيْشَ تَرْمِيقًا وَيُدَافِعُونَ  
ضَرُورَةَ الْفَقْرِ مُدَافَعَةً وَإِذَا تَفَرَّكَ ذَلِكَ وَأَنَّ الْجَاهَ مُتَفَرِّعٌ وَأَنَّ السَّعَادَةَ وَالْخَيْرَ مُتَفَرِّعَانِ  
يُحْصُولُهُ عَلِمَتْ أَنَّ بَذْلَهُ وَإِقَادَتَهُ مِنْ أَكْثَرِ النِّعَمِ وَأَجَلَهَا وَأَنَّ بَذْلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمُنْعَمِينَ  
وَإِنَّمَا يَبْذُلُهُ إِمْنًا تَحْتَ يَدَيْهِ فَيَكُونُ بَذْلُهُ بِيَدِ عَالِيَةٍ وَعَزْوُهُ فَيَحْتَاجُ طَالِبُهُ وَمُبْتَغِيهِ إِلَى  
خُضُوعٍ وَتَمَلُّقٍ كَمَا يَسْأَلُ أَهْلُ الْعِزِّ وَالْمُلُوكُ وَالْأَفْرَادُ حُصُولَهُ فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنَّ  
الْخُضُوعَ وَالْتِمَاقَ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ هَذَا الْجَاهِ الْحَصْلِ لِلْسَّعَادَةِ وَالْكَسْبِ وَإِنَّ  
أَكْثَرَ أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالسَّعَادَةِ هَذَا التَّمَلُّقَ وَلِهَذَا يُجِدُ الْكَثِيرَ مِنْ بَخْلٍ بِالْتَرَفِّعِ  
وَالشُّمِّ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ غَرَضُ الْجَاهِ فَيَقْتَصِرُونَ فِي التَّكْسِبِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيَصِيرُونَ  
إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْكِبَرَ وَالْتَرَفَّعَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ  
مِنْ تَوْفَرِ الْكَمَالِ وَأَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَى بَضَاعَتِهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ كَالْعَالِمِ الْمُبْتَغِي  
فِي عِلْمِهِ وَالْكَاتِبِ الْجَيِّدِ فِي كِتَابَتِهِ أَوْ الشَّاعِرِ الْبَلِغِ فِي شِعْرِهِ وَكُلُّ مُحْسِنٍ فِي  
صِنَاعَتِهِ يَتَوَهَّمُ أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ لِمَا بِيَدِهِ فَيَحْدُثُ لَهُ تَرْفُّعٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَكَذَا يَتَوَهَّمُ  
أَهْلُ الْأَنْسَابِ مِنْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ أَوْ عَالِمٌ مَشْهُورٌ أَوْ كَامِلٌ فِي طَوْرِ يُعْبَرُونَ بِهِ بِمَا  
وَأَوْهُ أَوْ سَمِعُوهُ مِنْ حَالِ آبَائِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا مِثْلَ ذَلِكَ بِقَرَابَتِهِمْ  
إِلَيْهِمْ وَوَرَاثَتِهِمْ عَنْهُمْ فَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ فِي الْحَاضِرِ بِالْأَمْرِ الْمَعْدُومِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ  
الْحِيلَةِ وَالْبَصْرِ وَالتَّجَارِبِ بِالْأُمُورِ قَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ كَمَالًا فِي نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَاحْتِجَابًا

إِلَيْهِ وَيَجِدُ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافَ كُلَّهُمْ مُتَرَفِعِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِصَاحِبِ الْجَاهِ وَلَا يَتَمَقُّونَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَيَسْتَصْغِرُونَ مِنْ سِوَاهُمْ لَا عِتْقَادَ لَهُمُ الْفَضْلَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَكْفِرُ أَحَدُهُمْ عَنِ الْخُضُوعِ وَلَوْ كَانَ لِلْمَلِكِ وَبَعْدَهُ مِثْلُهُ وَهُوَ أَنَا وَسَنَاهَا وَيَحْسَبُ النَّاسُ فِي مَعَالِمِهِمْ إِيَّاهُ بِمِقْدَارِ مَا يَتَوَهَّمُ فِي نَفْسِهِ وَيَعْقِدُ عَلَى مَنْ قَصَرَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ مِنْ ذَلِكَ وَرُبَّمَا يَدْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ الْتَمُومُ وَالْأَحْزَانُ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ فِيهِ وَيَسْتَمِرُّ فِي عِنَاةٍ عَظِيمٍ مِنْ إِجْبَابِ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ أَوْ إِيَابَةِ النَّاسِ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْصُلُ لَهُ الْمَقْتُ مِنَ النَّاسِ لِمَا فِي طَبَاعِ النَّشْرِ مِنَ الْإِلَاحَةِ وَقُلَّ أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَحَدٍ فِي الْكَمَالِ وَالْتِرْفَعِ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِنَوْعٍ مِنَ الْقَهْرِ وَالْعَلِيَّةِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَمَذَا كُلُّهُ فِي ضَمَنِ الْجَاهِ فَإِذَا فَقَدَ صَاحِبُ هَذَا الْخُلُقِ الْجَاهَ وَهُوَ مَفْقُودٌ لَهُ كَمَا تَبَيَّنَ لَكَ مَقْتَهُ النَّاسُ يَهْذَأُ الْتِرْفَعُ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ حَظٌّ مِنْ إِحْسَانِهِمْ وَفَقَدَ الْجَاهُ لِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِنْهُ لِأَجْلِ الْمَقْتِ وَمَا يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْقُعُودِ عَنْ تَعَاهِدِهِمْ وَعَشْيَانِ مَنَازِلِهِمْ فَفَسَدَ مَعَاشُهُ وَبَقِيَ فِي خِصَاصَةٍ وَقَفَرَ أَوْ قَوَّى ذَلِكَ بِقِلِيلٍ وَأَمَّا الذُّرُوءُ فَلَا تَحْصُلُ لَهُ أَصْلًا وَمِنْ هَذَا أَشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الْكَامِلَ فِي الْمَعْرِفَةِ مُحْرُومٌ مِنَ الْخَطِ وَأَنَّهُ قَدْ حُوسِبَ بِمَا رَزَقَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَأَقْطِعَ لَهُ ذَلِكَ مِنَ الْخَطِ وَهَذَا مَعْنَاهُ وَمَنْ خُلِقَ لِشَيْءٍ بِسَرٍّ لَهُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَقَدْ يَقَعُ فِي الدُّوَلِ أَضْرَابٌ فِي الْعَرَاتِبِ مِنْ أَهْلِ الْخُلُقِ وَيَرْتَفِعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ السَّفَلَةِ وَيَنْزِلُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَلِيَّةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلِ إِذَا بَلَغَتْ نَهَايَتَهَا مِنَ التَّغَلُّبِ وَالْإِسْطِطَالَةِ أَتَقَرَّدَ مِنْهَا مَنَتِ الْمَلِكُ بِمُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَيَبْسُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا صَارُوا فِي مَرَاتِبٍ دُونَ رَتَبَةِ الْمَلِكِ وَتَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ وَكَانَتْهُمْ حَوْلَ لَهُ فَإِذَا اسْتَحَرَّتِ الدُّوَلَةُ وَشَمَخَ الْمَلِكُ تَسَاوَى حِينَئِذٍ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ كُلُّ مَنْ أُنْتَحَى إِلَى خِدْمَتِهِ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِنَصِيحَةٍ وَأَصْطَنَعَهُ السُّلْطَانُ لِنِائِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُهَامَاتِهِ فَجِدَّ كَثِيرًا مِنَ السُّوْقَةِ يَسْعَى فِي التَّقَرُّبِ مِنَ السُّلْطَانِ بِحِجَّةٍ وَنُصْحَةٍ وَيَتَرَفُّ إِلَيْهِ بِوُجُوهِ خِدْمَتِهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِعَظَمِهِ مِنَ الْخُضُوعِ وَالتَّمَلُّقِ لَهُ وَلِحَاشِيَتِهِ وَأَهْلِ نَسَبِهِ حَتَّى يَرْتَبِحَ قَدَمَهُ مَعَهُمْ وَيَنْظِمَهُ السُّلْطَانُ فِي جُمْلَتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ حَظٌّ عَظِيمٌ مِنَ السَّعَادَةِ وَيَنْتَظِمُ فِي عِدَدِ أَهْلِ الدُّوَلَةِ وَنَاشِئَةِ الدُّوَلَةِ حِينَئِذٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهَا الَّذِينَ ذَلَّلُوا أَضْغَانَهُمْ وَمَهْدُوا أَكْفَاهُمْ مَغْتَرِبِينَ يَمَا كَانَ لِأَبَائِهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ أَمْ

تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَعْتَدُونَ بِاتَّارِهِ وَيَجْرُونَ فِي مِضْمَارِ الدَّوْلَةِ يَسِيرُهُ  
فِيمَقْتَهُمُ السُّلْطَانُ لَذَلِكَ وَيُكَادُّهُمْ وَيَمِيلُ إِلَى هَوْلَاءِ الْمُصْطَفِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ  
بِقُدْرِهِمْ وَلَا يَنْهَبُونَ إِلَى دَالَةٍ وَلَا تَرْفَعُ إِنَّمَا دَأْبُهُمُ الْخُضُوعُ لَهُ وَالْتِمَاقُ وَالْإِعْثَالُ فِي  
غَرَضِهِ مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ فَيَتَسَّعَ جَاهُهُمْ وَتَعْلُو مَنَازِلُهُمْ وَتَنْتَصِرُ إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ وَالْخَوَاطِرُ  
يَمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَهُ وَيَقِي نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ فِيهَا هُمْ فِيهِ مِنْ  
التَّرْفَعِ وَالْإِعْتِدَادِ بِالْقُدْرَةِ لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بُعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَقْتًا وَإِثَارًا لَهُوَلَاءِ  
الْمُصْطَفِينَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ تَقْرَضَ الدَّوْلَةُ وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الدَّوْلَةِ وَمِنْهُ جَاءَ شَأْنُ  
الْمُصْطَفِينَ فِي الْغَالِبِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لَرَبِّ سِرَاهُ

### الفصل السابع

في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان

ونحو ذلك لا نعظم ثروتهم في الغالب

وَالسَّبَبُ لِذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِيمَا الْأَعْمَالُ وَأَنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ  
الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَإِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعُمَرَاءِ عَامَةً أَلْبَسُوا بِهِ كَانَتْ فِيمَنْهَا  
أَعْلَمُ وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا أَشَدَّ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَائِعِ الدِّينِيَّةِ لَا تَضْطَرُّ إِلَيْهِمْ عَامَةً الْخَلْقِ  
وَأِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا عِنْدَهُمُ الْخَوَاصُّ مِنْ أَقْبَلِ عَلَى دِينِهِ وَإِنْ أَحْتِجَّ إِلَى الْفَتَا وَالْقَضَاءِ  
فِي الْخُصُومَاتِ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَضْطِرَارِ وَالْعُمُومِ فَيَقَعُ الْأَسْتِغْنَاءُ عَنْ هَوْلَاءِ فِي الْأَكْثَرِ  
وَأِنَّمَا يَهْتَمُّ بِإِقَامَةِ مَرَامِهِمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ يَمَا نَالَهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ فَيَقْسِمُ لَهُمْ  
حَقًّا مِنَ الرِّزْقِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ عَلَى النُّحُوِّ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ لَا بِسَائِرِهِمْ بِأَهْلِ  
الشُّوْكَهْ وَلَا بِأَهْلِ الصَّنَائِعِ مِنْ حَيْثُ الدِّينُ وَالْأَمْرَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِكُنْهَةِ يَقْسِمُ بِحَسَبِ  
عُمُومِ الْحَاجَةِ وَضَرُورَةِ أَهْلِ الْعُمَرَاءِ فَلَا يَبْصَحُ فِي قِسْمِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ وَهُمْ أَيْضًا لِشَرَفِ  
بَضَائِعِهِمْ أَعِزَّةٌ عَلَى الْخَلْقِ وَعِنْدَ نَفْسِهِمْ فَلَا يَخْضَعُونَ لِأَهْلِ الْجَاهِ حَتَّى يَبْأُلُوا مِنْهُ حَقًّا  
يَسْتَدْرُونَ بِهِ الرِّزْقَ بَلْ وَلَا تَقْرَعُ أَوْقَاتُهُمْ لِذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ بِهَذِهِ الْبَضَائِعِ  
الشَّرِيفَةِ الْمُسْتَمْلَةِ عَلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَالْبَدَنِ بَلْ وَلَا يَسْمَعُونَ أَبْثَالُ أَنْفُسِهِمْ لِأَهْلِ  
الدُّنْيَا لِشَرَفِ بَضَائِعِهِمْ فَهُمْ يَمْعِزِلُ عَنْ ذَلِكَ فَلِذَلِكَ لَا تَعْظُمُ ثَرَوَتُهُمْ فِي الْغَالِبِ وَلَقَدْ  
بَاحَتْ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَوَقَعَ بِيَدِي أَوْزَاقٌ مُخْرِقَةٌ مِنْ حِسَابَاتِ الدُّوَاوِينِ

بِدَارِ الْمَأْمُونِ تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدُّخْلِ وَالْخُرُجِ وَكَانَ فِيهَا طَاعَتٌ فِيهِ أَرْزَاقُ  
الْقُضَاةِ وَالْأَيْمَةِ وَالْمَوْذَنِينَ فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ وَعِلْمٌ مِنْهُ صَحَّةُ مَا قُلْتُهِ وَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَضَيْنَا الْعَجَبَ  
مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عَوَالِمِهِ وَاللَّهُ الْخَاطِي الْقَادِرُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثامن

في ان الفلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصِيلٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَبَسِيطٌ فِي مَنْحَاهُ وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُهُ يَنْتَحِلُهُ أَحَدٌ مِنَ  
أَهْلِ الْخَضِرِ فِي الْقَالِبِ وَلَا مِنَ الْمُتَرَفِّينَ وَيَخْتَصُّ مُنْتَحِلُهُ بِالْمَذَلَّةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ وَقَدْ رَأَى السَّكَّةَ يَعْضُ دُورَ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ دَارُ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُ الذُّلُّ  
وَحَمَلَهُ الْبُخَارِيُّ عَلَى الْأَسْكَتَارِ مِنْهُ وَتَرَجَّمَ عَلَيْهِ بَابٌ مَا يُحْذَرُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأَشْتِغَالِ  
بِالْقَةِ الزَّرْعِ أَوْ تَجَاوُزِ الْحَدِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَالسَّبَبُ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْمَغْرَمِ  
الْمُفْضِي إِلَى التَّحَكُّمِ وَالْبِدْءِ الْعَالِيَةِ فَيَكُونُ الْفَارِمُ ذَلِيلًا بَائِسًا يَمَّا تَتَنَاوَلُهُ أَيْدِيهِ  
الْقَهْرُ وَالْأَسْطِطَالَةُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ الزُّكَاةُ مَغْرَمًا  
إِشَارَةً إِلَى الْمَلِكِ الْمُضَوِّصِ التَّاعَرِ لِلنَّاسِ الَّذِي مَعَهُ التَّسَلُّطُ وَالْجُورُ وَنِسْبَانُ حُقُوقِ اللَّهِ  
تَعَالَى فِي الْمُنْمُولَاتِ وَاعْتِبَارُ الْحُقُوقِ كُلِّهَا مَغْرَمٌ لِلْمُلُوكِ وَالذُّلِّ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

إِذَا عَلِمَ أَنَّ التِّجَارَةَ مُحَاوَلَةُ الْكَسْبِ بِتَنْمِيَةِ الْمَالِ بِشِرَاءِ السِّلَعِ بِالرُّخْصِ وَيَتَّبِعُهَا  
بِالْغَلَاءِ أَيْامًا كَانَتْ السِّلَعَةُ مِنْ دَقِيقِي أَوْ زَرْعٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ فَمَا شِئَ ذَلِكَ الْقَدْرُ النَّاسِي  
يَسْمَى رِبْحًا فَالْمُحَاوَلَةُ لِذَلِكَ الرَّبْحِ إِمَّا أَنْ يَخْتَزِنَ السِّلَعَةَ وَيَتَحَيَّنَ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ  
مِنَ الرُّخْصِ إِلَى الْغَلَاءِ فَيَعْطُرُ رِبْحُهُ وَإِمَّا بِأَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ تَفْقُ فِيهِ تِلْكَ السِّلَعَةُ  
أَكْثَرَ مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي اشْتَرَاهَا فِيهِ فَيَعْطُرُ رِبْحُهُ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنَ التُّجَّارِ  
لِطَلَبِ الْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَةِ التِّجَارَةِ أَنَا أَعْلَمُهَا لَكَ فِي كَلِمَتَيْنِ اشْتَرَاهُ الرُّخْصِ وَيَبِيعُ  
الْغَالِي فَقَدْ حَصَلَتِ التِّجَارَةُ إِشَارَةً مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي قَرَّرْنَاهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ



في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة ولهم ينبغي له اجتناب حرفها  
 قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ مَعْنَى التِّجَارَةِ تَنْمِيَةُ الْمَالِ بِشِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَمُحَاوَلَةِ يَبْعِهَا بِأَعْلَى مِنْ  
 ثَمَنِ الشِّرَاءِ إِمَّا بِإِنْتِظَارِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ أَوْ نَقْلَهَا إِلَى بَلَدٍ فِيهِ أَتَقَنُّ وَأَعْلَى أَوْ يَبْعُهَا  
 بِالْفَلَاءِ عَلَى الْأَجَالِ وَهَذَا الرِّبْحُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَصْلِ الْمَالِ يَسِيرٌ إِلَّا أَنَّ الْمَالَ إِذَا  
 كَانَ كَثِيرًا عَظُمَ الرِّبْحُ لِأَنَّ الْقَلِيلَ فِي الْكَثِيرِ كَثِيرٌ ثُمَّ لَا بُدَّ فِي مُحَاوَلَةِ هَذِهِ  
 التَّنْمِيَةِ مِنْ حُصُولِ هَذَا الْمَالِ بِأَيْدِي الْبَلَاةِ فِي شِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَبَيْعِهَا وَمُعَامَلَتِهِمْ فِي  
 تَقَاضِيهِ أَثْمَانِهَا وَأَهْلُ النِّصْفَةِ قَلِيلٌ فَلَا بُدَّ مِنَ الْفِشِّ وَالْطُفَيْفِ الْجُحُفِ بِالْبَضَائِعِ  
 وَمِنْ الْمَطْلِ فِي الْأَثْمَانِ الْجُحُفِ بِالرِّبْحِ كَتَعْطِيلِ الْمُحَاوَلَةِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ وَبِهَا نَمَاوُهُ  
 وَمِنْ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ الْمُسَمَّيَةِ رَأْسِ الْمَالِ إِنْ لَمْ يَتَّقِدْ بِالْكِتَابِ وَالشَّهَادَةِ  
 وَغَيْهِ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ قَلِيلٌ لِأَنَّ الْحُكْمَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الظَّاهِرِ فَيُعَانِي التَّاجِرُ مِنْ ذَلِكَ  
 أَحْوَالًا صَعْبَةً وَلَا يَكَادُ يَحْصُلُ عَلَى ذَلِكَ النَّافِعِ مِنَ الرِّبْحِ إِلَّا بِعِظَمِ الْفَنَاءِ وَالْمَشَقَّةِ  
 أَوْ لَا يَحْصُلُ أَوْ يَتَلَاثَى رَأْسُ مَالِهِ فَإِنْ كَانَ جَرِيئًا عَلَى الْخُصُومَةِ بَصِيرًا بِالْحِسَابِ شَدِيدَ  
 الْمُعَامَلَةِ مَقْدَمًا عَلَى الْحُكْمِ كَلَبَ ذَلِكَ أَقْرَبَ لَهُ إِلَى النِّصْفَةِ بِجُرْأَتِهِ مِنْهُمْ  
 وَمُمَاحَكَتِهِ وَإِلَّا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ جَوْرِ يَدْرُعُ بِهِ يُوقِعُ لَهُ أَلْمِيَّةَ عِنْدَ الْبَلَاةِ وَيَعْمَلُ  
 الْحُكْمَ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ مُعَامِلَتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ النِّصْفَةِ فِي مَالِهِ طَوْنًا فِي الْأَوَّلِ  
 وَكُورًا فِي الثَّانِي وَأَمَّا مَنْ كَانَ فَاقِدًا لِلْجُرْأَةِ وَالْإِقْدَامِ مِنْ نَفْسِهِ فَاقِدَ الْجَاهِ مِنَ الْحُكْمِ  
 فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخْتِيبَ الْإِحْتِرَافَ بِالتِّجَارَةِ لِأَنَّهُ يُعْرِضُ مَالَهُ لِلْبَيْعِ وَالذَّهَابِ وَبَصِيرِ  
 مَا سَكَلَ لِلْبَلَاةِ وَلَا يَكَادُ يَنْتَصِفُ مِنْهُمْ لِأَنَّ الْعَالِبَ فِي النَّاسِ وَخُصُوصًا الرِّعَاعُ وَالْبَلَاةُ  
 شَرُّهُونَ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ سِوَاهُمْ مُتَوَثِّبُونَ عَلَيْهِ وَلَوْلَا وَازِعُ الْأَحْكَامِ لَأَصْبَحَتْ  
 أَمْوَالُ النَّاسِ نَهْبًا وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضٍ لَسَدَّتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
 ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ

### الفصل الحادي عشر

في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك  
 وَذَلِكَ أَنَّ التَّجَارَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ إِنَّمَا يُعَانُونَ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ

الْمُكَاسِبَةِ ضَرُورَةً فَإِنْ أَقْتَصَرَ عَلَيْهَا أَقْتَصَرَتْ بِهِ عَلَى خُلُقِهَا وَبِهِ أَغْنَى خُلُقُ الْمُكَاسِبَةِ  
بَعِيدَةً عَنِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي تَخْلُقُ بِهَا الْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ وَأَمَّا إِنْ اسْتَزْدَلَ خُلُقُهُ بِمَا يَتَّبِعُ  
ذَلِكَ فِي أَهْلِ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنْهُمْ مِنَ الْمُمَاحَكَةِ وَالْعِشِّ وَالْخِلَابَةِ وَتَعَاهُدِ الْإِيمَانِ  
الْكَاذِبَةِ عَلَى الْإِثْمَانِ رَدًّا وَقُبُولًا فَاجْزِ بِذَلِكَ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ الْمَدْلَةِ لِمَا  
هُوَ مَعْرُوفٌ وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ الرَّئَاسَةِ يَتَحَامَوْنَ الْإِخْرَافَ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ لِأَجْلِ مَا يَكْسِبُ  
مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَقَدْ يُوْجَدُ مِنْهُمْ مَنْ يَسْلُمُ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَتَحَامَاهُ لِشَرَفِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ  
جَلَالِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي النَّادِرِ بَيْنَ الْوُجُودِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَهُوَ رَبُّ  
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### الفصل الثاني عشر

في نقل التاجر للسلع

التَّاجِرُ الْبَصِيرُ بِالْبَيْعَةِ لَا يَنْقُلُ مِنَ السِّلَعِ إِلَّا مَا تَمَّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ  
وَالسُّلْطَانِ وَالسُّوقَةِ إِذْ فِي ذَلِكَ تَفَاقُ سِلَعَتِهِ وَأَمَّا إِذَا أَخْصَصَ نَقْلَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَعْضُ  
فَقَطُّ فَقَدْ يَتَعَدَّرُ تَفَاقُ سِلَعَتِهِ حِينَئِذٍ بِإِعْوَارِ الشَّرَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْبَعْضِ لِعَارِضٍ مِنَ الْمَوَارِضِ  
فَتَكْسُدُ سُوقَهُ وَتَقْسُدُ أَرْبَاحَهُ وَكَذَلِكَ إِذَا نَقَلَ السِّلْعَةَ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا فَإِنَّمَا يَنْقُلُ  
الْوَسْطَ مِنْ صِنْفِهَا فَإِنَّ الْعَالِيَّ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ السِّلَعِ إِنَّمَا يُخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ الثَّرْوَةِ  
وَحَاشِيَةُ الدُّوَلَةِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّاسُ أُسُوءَ فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْوَسْطِ مِنْ كُلِّ  
صِنْفٍ فَلْيَتَحَرَّ ذَلِكَ جِهَتُهُ فِيهِ تَفَاقُ سِلَعَتِهِ أَوْ كَسَادُهَا وَكَذَلِكَ يُنْقَلُ السِّلَعُ مِنَ الْبَلَدِ  
الْبَعِيدِ الْمَسَافَةِ أَوْ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ فِي الطَّرِيقَاتِ يَكُونُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ لِلتَّجَارِ وَأَعْظَمُ  
أَرْبَاحًا وَأَكْفَلُ بِجَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ لِأَنَّ السِّلْعَةَ الْمَنْقُولَةَ حِينَئِذٍ تَكُونُ قَلِيلَةً مَعُوزَةً  
لِبُعْدِ مَكَانِهَا أَوْ شِدَّةِ الْغَرَرِ فِي طَرِيقِهَا فَيَقِلُّ حَامِلُهَا وَيَعُورُ وَجُرْهُهَا وَإِذَا قَلَّتْ وَعَزَّتْ  
غَلَّتْ أُنْمَانُهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَلَدُ قَرِيبَ الْمَسَافَةِ وَالطَّرِيقُ سَائِلًا بِالْأَمْنِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ  
يَكْثُرُ نَاقِلُهَا فَتَكْثُرُ وَتَرْتَخِصُ أُنْمَانُهَا وَلِهَذَا تَجِدُ التَّجَارَ الَّذِينَ يُؤَلِّمُونَ بِالْأَسْوَاقِ إِلَى  
بِلَادِ الْبُيُوتَانِ أَرْفَقَ النَّاسُ وَأَكْثَرَهُمْ أَمْوَالًا لِبُعْدِ طَرِيقِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ وَأَعْيَاضُ الْمَفَازَةِ  
الصَّعْبَةِ الْخَطِرَةِ بِالْخَوْفِ وَالْعَطَشِ لَا يُوْجَدُ فِيهَا الْمَاءُ إِلَّا فِي أَمَا كَرْنٍ مَعْلُومَةٍ يَهْتَدِي  
إِلَيْهَا أَدِلَّاهُ الرُّكْبَانُ فَلَا يَرْتَكِبُ خَطَرَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبُعْدَهُ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ النَّاسِ فَتَجِدُ

سِلْعَ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةٌ لَدَيْنَا فَتُخَصَّصُ بِالْعَلَاءِ وَكَذَلِكَ سَلَعُنَا لَهُمْ تَعْتَمِدُ بَضَائِعُ التُّجَّارِ مِنْ تَنَاوُلِهَا وَتُسْرِعُ إِلَيْهِمْ الْغَنَى وَالثَّرْوَةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الْمُسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا إِلَى الْمَشْرِقِ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ أَيْضًا وَأَمَّا الْمُرْتَدُّونَ فِي أَفْقٍ وَاحِدٍ مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ وَبُلْدَانِهِ فَقَاتِلَتْهُمْ قَلِيلَةٌ وَأَرْبَاحُهُمْ تَافِيَةٌ كَثَرَةُ نَاقِلِيهَا وَاللَّهُ هُوَ لِرِزَاقِ ذَوِ الْقُوَّةِ الْمَتِينِ

## الفصل الثالث عشر

### في الاحتكار

وَمِمَّا اشْتَهَرَ عِنْدَ ذَوِي الْبَصَرِ وَالتَّجَرِبَةِ فِي الْأَمْصَارِ أَنَّ احْتِكَارَ الزَّرْعِ لَتَجْعَلَ أَوْقَاتَ الْعَلَاءِ مَسْئُومٌ وَأَنَّهُ يَمُودُ عَلَى فَائِدَتِهِ بِالتَّلَفِ وَاتِّخْصَانِ وَسْبِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى الْأَقْوَاتِ مُضْطَرُّونَ إِلَى مَا يَبْدُلُونَ فِيهَا مِنَ الْمَالِ اضْطِرَارًا فَتَبْقَى النُّفُوسُ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ وَفِي تَعَلُّقِ النُّفُوسِ بِمَا لَهَا سِرٌّ كَبِيرٌ فِي وَبَالِهِ عَلَى مَنْ يَأْخُذُهُ تَجَانًا وَلَعَلَّهُ الَّذِي اعْتَبَرَهُ الشَّارِعُ فِي اخْتِذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَجَانًا فَالنُّفُوسُ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِإِعْطَائِهِ ضَرُورَةً مِنْ غَيْرِ سَعَةٍ فِي الْعَذْرِ فَهُوَ كَالْمَكْرُومِ وَمَا عَدَا الْأَقْوَاتِ وَالْمَأْكُولَاتِ مِنَ الْيَسَاعَاتِ لَا اضْطِرَارَ لِلنَّاسِ إِلَيْهَا وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُمْ عَلَيْهَا الْفَنَنُ فِي الشَّهَوَاتِ فَلَا يَبْدُلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِيهَا إِلَّا بِاخْتِيَارٍ وَحِرْصٍ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ تَعَلُّقٌ بِمَا أُعْطَوْهُ فَلِهَذَا يَكُونُ مَنْ عَرَفَ بِالْإِحْتِكَارِ تَجَمُّعَ الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةِ عَلَى مُتَابَعَتِهِ لِمَا يَلْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ يَفْسُدُ رَجْعُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَسَمِعْتُ فِيمَا يَنَاسِبُ هَذَا حِكَايَةَ ظَرِيفَةٍ عَنْ بَعْضِ مَسِيحَةِ الْمَغْرِبِ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِي قَالَ حَضَرْتُ عِنْدَ الْقَاضِي بَقَاسٍ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ وَهُوَ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ الْكَلْبِيُّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ بَعْضَ الْأَلْقَابِ الْخُزْنِيَّةِ جَرَّابَتِهِ قَالَ فَاطْرُقَ مَلِكًا ثُمَّ قَالَ مَنْ مَكَّسَ الْحَمْرَ فَاسْتَحْكَمَ الْخَادِمُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَتَجَبَّوْا وَسَأَلُوهُ عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ فَقَالَ إِذَا كَانَتْ الْجَنَابَاتُ كُلُّهَا حَرَامًا فَاخْتَارَ مِنْهَا مَا لَا تَنَابِعُهُ نَفْسٌ مُعْطِيَةٍ وَالْحَمْدُ قُلْ أَنْ يَبْذُلَ فِيهَا أَحَدٌ مَالَهُ إِلَّا وَهُوَ طَرِبٌ مَسْرُورٌ بِوُجُودَاتِهِ غَيْرُ أَسْفٍ عَلَيْهِ وَلَا مُتَعَلِّقٌ بِهِ نَفْسُهُ وَهَذِهِ مُلَاحَظَةٌ غَرِيبَةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْلَمُ مَا تَكُنُّ الصُّدُورُ

## الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمخترفين بالرخص

وَذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ وَالْمَعَاشَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالصَّنَاعِ أَوْ التَّجَارَةِ  
وَالْتَّجَارَةِ فِي شِرَاهِ الْبَضَائِعِ وَالسَّلْعِ وَأَدِّ خَارِهَا يَتَحَيَّنُ بِهَا حَوَالَةُ الْأَسْوَاقِ بِالزَّرِّيَادَةِ فِي  
أَتْمَانِيهَا وَيُسَمَّى رِبْحًا وَيَحْصُلُ مِنْهُ الْكَسْبُ وَالْمَعَاشُ لِلْمُخْتَرِفِينَ بِالتَّجَارَةِ دَائِمًا فَإِذَا  
اسْتَدِيمَ الرَّخْصَ فِي سَاعَةٍ أَوْ عَرَضٍ مِنْ مَأْكُولٍ أَوْ مَلْبُوسٍ أَوْ مَتَمَوِّلٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
وَلَمْ يَحْصُلْ لِلتَّاجِرِ حَوَالَةُ الْأَسْوَاقِ فَسَدَ الرِّبْحُ وَالذَّمَامُ يَطُولُ تِلْكَ الْمُدَّةُ وَكَسَدَتْ  
سُوقُ ذَلِكَ الصَّنِيفِ فَفَعَدَ التَّجَارُ عَنْ السَّعْيِ فِيهَا وَفَسَدَتْ رُؤُوسُ أَمْوَالِهِمْ وَأَعْتَبَرُ ذَلِكَ  
أَوَّلًا بِالزَّرْعِ فَإِنَّهُ إِذَا اسْتَدِيمَ رُخْصَةً يَفْسُدُ بِهِ حَالُ الْمُخْتَرِفِينَ بِسَائِرِ أَطْوَارِهِ مِنْ  
الْفَلَحِ وَالزَّرْعَةِ لِقَلَّةِ الرِّبْحِ فِيهِ وَتَذَارِيهِ أَوْ فَقْدِهِ فَيَفْقِدُونَ النِّمَاءَ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ  
يَجِدُونَهُ عَلَى قَلَّةٍ وَيَعْوِدُونَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَتَفْسُدُ أحوَالُهُمْ وَيَصِيرُونَ  
إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ فَسَادُ حَالِ الْمُخْتَرِفِينَ أَيْضًا بِالطَّحْنِ وَالنَّجْرِ وَسَائِرِ مَا  
يَتَعَلَّقُ بِالزَّرْعَةِ مِنَ الْحَرْثِ إِلَى صَيُورَتِهِ مَا سَكُولا وَكَذَا يَفْسُدُ حَالُ الْجُنْدِ إِذَا كَانَتْ  
أَرْزَاقُهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَهْلِ الْقَرْعِ زَرْعًا فَإِنَّهَا تَقْلُ جِبَابَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَيَهْجِرُونَ عَنْ  
إِقَامَةِ الْجُنْدِيَةِ الَّتِي فِي سَبَبِهَا وَمَطَالِبُونَ بِهَا وَمُنْقَطِعُونَ لَهَا فَتَفْسُدُ أحوَالُهُمْ وَكَذَا إِذَا  
اسْتَدِيمَ الرَّخْصَ فِي السُّكْرِ أَوْ الْعَسَلِ فَسَدَ جَمِيعُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَفَعَدَ الْمُخْتَرِفُونَ عَنْ  
التَّجَارَةِ فِيهِ وَكَذَا الْمَلْبُوسَاتُ إِذَا اسْتَدِيمَ فِيهَا الرَّخْصَ فَإِذَا الرَّخْصُ الْمَغْرُطُ يَحْصِفُ  
بِمَعَاشِ الْمُخْتَرِفِينَ بِذَلِكَ الصَّنِيفِ الرَّخِصِ وَكَذَلِكَ الْغَلَاءُ الْمَغْرُطُ أَيْضًا وَإِنَّمَا مَعَاشُ  
النَّاسِ وَكَسْبُهُمْ فِي التَّوَسُّطِ مِنْ ذَلِكَ وَسُرْعَةُ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَعِلْمُ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى  
الْقَوَائِدِ الْمُتَقَرَّرَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْعُمَرَانِ وَإِنَّمَا يُجْمَدُ الرَّخْصُ فِي الزَّرْعِ مِنْ بَيْنِ الْمَبِيعَاتِ  
لِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَاضْطِرَارِ النَّاسِ إِلَى الْآفَاقِ مِنْ بَيْنِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْعَالَةِ مِنَ  
الْخَلْقِ ثُمَّ الْأَكْثَرُ فِي الْعُمَرَانِ فَيَعْمُرُ الرِّفْقُ بِذَلِكَ وَيُرْجَعُ جَانِبُ الْقَوْتِ عَلَى جَانِبِ  
التَّجَارَةِ فِي هَذَا الصَّنِيفِ الْخَاصِ وَاللَّهُ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

في ان خلق التجارة نازلة عن خلق المروءة وبعيدة من المروءة  
 قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع إلى معاناة البيع والشراء وجلب التوائيد  
 والأرباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحكة والتخذي وما رسة الخصومات والتباج  
 وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الأوصاف نقص من الذكاء والمروءة وتجرع فيها لأن  
 الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس فأفعال الخير تعود بإثار الخير والذكاء  
 وأفعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتسكن وترسخ إن سقت وتكررت وتنفص  
 خلال الخير إن تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن المملكات  
 الناشئة عن الأفعال وتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم فمن  
 كان منهم سافلا الطور عالما لأشراط الباعة أهل الغش والخلافة والتجور في الأمان  
 إفرارا وإنكارا كانت رداءه تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن  
 المروءة وأكسبها بالجمل ولا فلا بد له من تأثير المكايسة والمماحكة في  
 مروءته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل  
 قبله أنهم يدبرون بالجاء ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر وأقل من النادر  
 وذلك أن يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب أو ورثة عن أحد من أهل  
 بيته فحصلت له ثروة عينه على الاتصال بأهل الدولة ونكسبه ظهرا وشهرة بين أهل  
 عصره فبر تفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه إلى من يقوم له به من وكلائه وحشمه  
 ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من برة وإتخافه فيبعدونه عن  
 تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر فتكون مروءتهم أرسخ  
 وأبعد عن تلك المحاجاة إلا ما يسري من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب فإنهم  
 يضطرون إلى مشاركة أحوال أولئك الوكلاء ورفاقهم أو خلافيهم فيما يأتون أو يدرون  
 من ذلك إلا أنه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وما تعملون

### الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم  
 اعلم أن الصناعات هي ملكة في أمر عملي فكري ويكونه عمليا هو جسماني

مَحْسُوسٌ وَالْأَحْوَالُ الْجَمْعِيَّةُ الْمَحْسُوسَةُ فَتَقْلِبُهَا بِالنَّبَاشَةِ أَوْ عِبْهَا وَأَكْمَلُ لِأَنَّ  
 الْمُبَاشَرَةَ فِي الْأَحْوَالِ الْجَمْعِيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ أَتَمُّ فَائِدَةٌ وَالْمَلَكَةُ صِفَةٌ رَاسِخَةٌ تَحْصُلُ  
 عَنْ اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَتُكْرَرُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى تَرْتَبِعَ صُورَتَهُ وَعَلَى نِسْبَةِ الْأَصْلِ  
 تَكُونُ الْمَلَكَةُ وَتَقْلِبُ الْمَعَانِيَةَ أَوْ عِبْهَا وَأَتَمُّ مِنْ تَقْلِبِ الْخَبَرِ وَالْعِلْمِ قَالَ مَلَكَةُ الْحَاصِلَةِ  
 عَنِ الْخَبَرِ عَلَى قَدَرِ جُودَةِ التَّعْلِيمِ وَمَلَكَةُ الْمُتَعَلِّمِ فِي الصَّنَاعَةِ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ ثُمَّ  
 إِنَّ الصَّنَائِعَ مِنْهَا الْبَسِيطُ وَمِنْهَا الْمُرَكَّبُ وَالْبَسِيطُ هُوَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالضَّرُورِيَّاتِ  
 وَالْمُرَكَّبُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِلْكَمَالِيَّاتِ وَالْمُتَقَدِّمُ مِنْهَا فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الْبَسِيطُ لِبَسَاطَتِهِ  
 أَوَّلًا وَلِإِنَّهُ يَخْتَصُّ بِالضَّرُورِيِّ الَّذِي لَتَوَفَّرَ الدَّوَاعِي عَلَى تَقْلِبِهِ فَيَكُونُ سَابِقًا فِي التَّعْلِيمِ  
 وَيَكُونُ تَعْلِيمُهُ نَاقِصًا وَلَا يَزَالُ الْفِكْرُ يُخْرِجُ أَصْنَافَهَا وَرَكِبَاتِهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
 بِالْإِسْتِنْبَاطِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى التَّدْرِيجِ حَتَّى تَبْكُلَ وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ دَفْعَةً وَإِنَّمَا يَحْصُلُ  
 فِي أَرْزَاقٍ وَأَجْزَالٍ إِذْ خُرُوجُ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً لَا سِيَّمَا  
 فِي الْأُمُورِ الصَّنَاعِيَّةِ فَلَا يَدُلُّهُ إِذْنٌ مِنْ زَمَانٍ وَلِهَذَا تُجَدُّ الصَّنَائِعُ فِي الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ  
 نَاقِصَةً وَلَا يُوْجَدُ مِنْهَا إِلَّا الْبَسِيطُ فَإِذَا تَزَايَدَتْ حَضَارَتُهَا وَدَعَتْ أُمُورَ التَّرَفِّ فِيهَا إِلَى  
 اسْتِعْمَالِ الصَّنَائِعِ خَرَجَتْ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَتَنْقَسِمُ الصَّنَائِعُ أَيْضًا إِلَى مَا يَخْتَصُّ  
 بِأَمْرِ الْعَاشِ فَرُورِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ ضَرُورِيٍّ وَإِلَى مَا يَخْتَصُّ بِالْأَفْكَارِ الَّتِي هِيَ خَاصَّةٌ  
 لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَمِنَ الْأَوَّلِ الْحَيَاكَةُ وَالْجَزَاةُ وَالنَّجَارَةُ  
 وَالْحَدَادَةُ وَأَمْثَالُهَا وَمِنَ الثَّانِي التَّوَارِثَةُ وَهِيَ مَعْنَاهُ الْكُتُبُ بِالْإِنْتِسَاحِ وَالْجَلِيدُ وَالغِنَاءُ  
 وَالشَّعْرُ وَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَمِنَ الثَّالِثِ الْجَنْدِيَّةُ وَأَمْثَالُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السابع عشر

في ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مَا لَمْ يَسْتَوْفِ الْعُمُرَانُ الْحَضَرِيَّ وَتَتِمَّدَنَّ الْمَدِينَةُ  
 إِنَّمَا هُمُومُهُمْ فِي الضَّرُورِيِّ مِنَ الْعَاشِ وَهُوَ تَحْصِيلُ الْأَقْوَاتِ مِنَ الْخَبْثَةِ وَغَيْرِهَا فَإِذَا  
 تَمَدَّنَتِ الْمَدِينَةُ وَتَزَايَدَتْ فِيهَا الْأَعْمَالُ وَوَفَّتْ بِالضَّرُورِيِّ وَزَادَتْ عَلَيْهِ صَرْفُ الرَّاغِدِ  
 حِينَئِذٍ إِلَى الْكَمَالَاتِ مِنَ الْعَاشِ ثُمَّ إِنَّ الصَّنَائِعَ وَالْعُلُومَ إِنَّمَا هِيَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ  
 حَيْثُ فِكْرُهُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْقُوَّةُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالْغَذَائِيَّةُ فَهُوَ

مُقَدَّم لِفَرُورِيَّةٍ عَلَى الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَهِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الْفَرُورِيَّةِ وَعَلَى مِقْدَارِ عُمُرَانِ  
 الْبَلَدِ تَكُونُ جُودَةُ الصَّنَائِعِ لِلثَّانِي فِيهَا حِينَئِذٍ وَاسْتِحْدَادُهُ مَا يُطْلَبُ مِنْهَا يَحْتِجُ تَوْفِيرَ  
 دَوَاعِي التَّرَفِّ وَالزُّرُورَةِ وَأَمَّا الْعُمُرَانُ الْبَدَوِيُّ أَوْ الْقَلِيلُ فَلَا يَحْتَاجُ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا  
 الْبَسِيطَ خَاصَّةً الْمُسْتَعْمَلَ فِي الْفَرُورِيَّاتِ مِنْ تِجَارٍ أَوْ حَدَادٍ أَوْ خَبَاطٍ أَوْ حَائِكَ أَوْ  
 جَزَارٍ وَإِذَا وَجِدَتْ هَذِهِ بَعْدَ فَلَا تُوجَدُ فِيهِ كَامِلَةً وَلَا مُسْتَحْدَادَةً وَإِنَّمَا يُوْجَدُ مِنْهَا بِمِقْدَارِ  
 الْفَرُورِيَّةِ إِذْ فِي كُلِّهَا وَسَائِلُ إِلَى غَيْرِهَا وَلَيْسَتْ مَقْصُودَةً لِنَافِعِهَا وَإِذَا زَخَرَ بَحْرُ الْعُمُرَانِ  
 وَطُلِبَتْ فِيهِ الْكِمَالَاتُ كَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا الثَّانِي فِي الصَّنَائِعِ وَاسْتِحْدَادِهَا فَكَمَلَتْ  
 بِجَمِيعِ مَتَحَاتِهَا وَتَزَايَدَتْ صَنَائِعُ أُخْرَى مَعَهَا مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ التَّرَفِّ وَأَحْوَالُهُ مِنْ  
 جَزَارٍ وَدَبَاغٍ وَخَزَارٍ وَصَانِغٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَنْتَبِهُ هَذِهِ الْأَصْنَافُ إِذَا اسْتَجَرَّ الْعُمُرَانُ  
 إِلَى أَنْ يُوْجَدَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْكِمَالَاتِ وَالثَّانِي فِيهَا فِي الْغَايَةِ وَتَكُونُ مِنْ وَجْهِ الْمَعَاشِ  
 فِي الْمِصْرِ لِمُنْتَهِيهَا بَلْ تَكُونُ قَائِدَتِهَا مِنْ أَعْظَمِ قَوَائِدِ الْأَعْمَالِ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرَفُّ  
 فِي الْمَدِينَةِ مِثْلَ الدِّهَانِ وَالصَّفَارِ وَالْحَمَائِي وَالطَّبَاقِ وَالشَّمَاعِ وَالْهَرَّاسِ وَمُعَلِّمِ الْغِنَاءِ  
 وَالرَّقْصِ وَقِرْعِ الطُّبُولِ عَلَى التَّزْوِجِ وَمِثْلَ الْوَرَّاقِينَ الَّذِينَ يُعَانُونَ صِنَاعَةَ ائْتِسَاحِ  
 الْكُتُبِ وَتَجْلِيدِهَا وَنَضِيجِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُّ فِي الْمَدِينَةِ  
 مِنَ الْإِسْتِقَالِ بِالْأُمُورِ الْفِكْرِيَّةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَخْرُجُ عَنِ الْحَدِّ إِذَا كَانَ الْعُمُرَانُ  
 خَارِجًا عَنِ الْحَدِّ كَمَا بَلَغْنَا عَنْ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يَعْلَمُ الطُّبُولَ الْعَجْمَ وَالْحُمْرَ  
 الْإِنْسِيَّةَ وَبَتَقِيلُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَجَائِبِ بِإِيَّاهُمْ قَلْبُ الْأَعْيَانِ وَتَعْلِيمُ الْحَيَاءِ وَالرَّقْصِ  
 وَالْمَشْيِ عَلَى الْخَبُوطِ فِي أَمْوَاءِ وَرَفَعَ الْأَثْقَالِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْعِجَارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ  
 الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تُوجَدُ عِنْدَنَا بِالْمَغْرِبِ لِأَنَّ عُمُرَانَ أَمْصَارِهِ لَمْ يَبْلُغْ عُمُرَانَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ  
 أَدَامَ اللَّهُ عُمُرَاتِهَا بِالْمُسْلِمِينَ

### الفصل الثامن عشر

في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امده  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ كُلَّهَا عَوَائِدُ الْعُمُرَانِ وَالْأَوَانِ وَالْعَوَائِدُ إِنَّمَا  
 تَزْدَسُ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَطُولِ الْأَمَدِ فَتَسْتَحْكِمُ صِبْغَةَ ذَلِكَ وَتَزْدَسُ فِي الْأَجْيَالِ  
 وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الصِّبْغَةُ عَسِرَ تَزْعُمُهَا وَلِهَذَا نَجِدُ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي كَانَتْ اسْتَجَرَّتْ فِي

الْحِصَارَةَ لَمَّا تَرَاجَعَ عُمَرَانِهَا وَتَنَاقَصَ بَقِيَتْ فِيهَا أَثَارٌ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا  
 مِنَ الْأَمْصَارِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْعُمَرَانِ وَلَوْ بَلَّغَتْ مَبَالِغًا فِي الْوُفُورِ وَالْجُكْرَةِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا  
 لِأَنَّ أَحْوَالَ تِلْكَ الْقَدِيمَةِ الْعُمَرَانِ مُسْتَحْكِمَةٌ رَاسِخَةٌ بِطُولِ الْأَحْقَابِ وَتَدَاوُلِ الْأَحْوَالِ  
 وَتَكَرُّرِهَا وَهَذِهِ لَمْ يَبْلُغْ الْعَالِيَةَ بَعْدُ وَهَذَا كُلُّهَا فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّا نَجِدُ  
 فِيهَا رُسُومَ الصَّنَائِعِ قَائِمَةً وَأَحْوَالَهَا مُسْتَحْكِمَةً رَاسِخَةً فِي جَمِيعِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ  
 أَمْصَارِهَا كَالْمَبَانِي وَالطَّبْعِ وَأَصْنَافِ الْغَنَاءِ وَاللَّهْوِ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَوْتَارِ وَالرُّنَنِ  
 وَتَنْصِيدِ الْفُرُشِ فِي الْقُصُورِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ وَالْأَوْضَاعِ فِي الْبِنَاءِ وَصَوْنِ الْآيَةِ مِنْ  
 الْمَعَادِنِ وَالْخُوفِ وَجَمِيعِ الْمَوَاعِينِ وَإِقَامَةِ الْأَوَائِرِ وَالْأَعْرَاسِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ الَّتِي  
 يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُّ وَعَوَائِدُهَا فَتَجِدُهُمْ أَقْوَمَ عَلَيْهَا وَأَبْصَرَ بِهَا وَنَجِدُ صَنَائِعَهَا مُسْتَحْكِمَةً  
 لَدَيْهِمْ فَبِهِمْ عَلَى حِصَّةٍ مَوْفُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ وَحَظٌّ مُتَمَيِّزٌ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَإِنْ كَانَ  
 عُمَرَانِهَا قَدْ تَنَاقَصَ وَالْكَثِيرُ مِنْهُ لَا يُسَاوِي عُمَرَانِ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْعُدُودِ وَمَا ذَلِكَ  
 إِلَّا لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ رُسُوحِ الْحِصَارَةِ فِيهِمْ بِرُسُوحِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَمَا قَبْلَهَا مِنْ دَوْلَةِ  
 الْقُوطِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ دَوْلَةِ الطُّوَانِبِ وَهَلُمَّ جَرًّا فَبَلَّغَتْ الْحِصَارَةُ فِيهَا مَبَالِغًا لَمْ تَبْلُغْهُ فِي فَطْرِ  
 الْأُمَايَّةِ بَقْلُ عَنِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ أَيْضًا لَطُولِ أَمَادِ الدُّوَلِ فِيهَا فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا  
 الصَّنَائِعُ وَكَمَلَتْ جَمِيعُ أَصْنَافِهَا عَلَى الْأَسْجَادَةِ وَالْتَنَبِيْقِ وَبَقِيَتْ صِبْغَتُهَا ثَابِتَةً فِي ذَلِكَ  
 الْعُمَرَانِ لَا تَنَارِفُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَقِضَ بِالْكَلْبَةِ حَالُ الصَّنِيعِ إِذَا رَسَخَ فِي الثُّوبِ وَكَذَلِكَ  
 أَيْضًا حَالُ تَوْنِسَ فِيمَا حَصَلَ فِيهَا بِالْحِصَارَةِ مِنَ الدُّوَلِ الصَّنَاجِيَّةِ وَالْمُوحِدِينَ مِنْ  
 بَعْدِهِمْ وَمَا اسْتَحْكَمَ لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
 دُونَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَضَاعِفٌ بِرُسُومِهَا مِنْهَا تُنْقَلُ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ لِقُرْبِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمَا  
 وَتَزْدُودُ الْمُسَافِرِينَ مِنْ فَطْرِهَا إِلَى فَطْرِ مِصْرَ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَرُبَّمَا سَكَنَ أَهْلُهَا هُنَاكَ  
 عَصُورًا فَيَقُولُونَ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَتَحْكَمِ صَنَائِعِهِمْ مَا يَقَعُ لَدَيْهِمْ مَوْقِعَ الْأَسْتَحْسَانِ  
 فَصَارَتْ أَحْوَالُهَا فِي ذَلِكَ مُتَشَابِهَةً مِنْ أَحْوَالِ مِصْرَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ أَحْوَالِ الْأَنْدَلُسِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ سَاكِنِيهَا مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ حِينَ لَجَلَاءِ لِعَهْدِ الْعِمَامَةِ السَّابِعَةِ وَرَسَخَ  
 فِيهَا مِنْ ذَلِكَ أَحْوَالُ وَإِنْ كَانَ عُمَرَانِهَا لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لِدَلِكِ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّ الصَّبْغَةَ  
 إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فَقَلِيلًا مَا يَحُولُ إِلَّا بِزَوَالِ مَحَلِّهَا وَكَذَلِكَ نَجِدُ بِالْقَبْرَوَانِ وَمَرَاكِشَ وَقَلْعَةَ



أَبْنِ حَمَادٍ أَثَرًا بَاقِيًا مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ كُلُّهَا أَلْيَوْمَ خَرَابًا أَوْ فِي حُكْمِ الْخَرَابِ  
وَلَا يَنْفُطُنْ لَهَا إِلَّا الْبَصِيرُ مِنَ النَّاسِ فَيَجِدُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ أَثَارًا تَدُلُّهُ عَلَى مَا كَانَ بِهَا  
كَأَثَرِ الْخَطِّ الْمَحْتُورِ فِي الْكِتَابِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل التاسع عشر

فِي إِنْ الصَّنَائِعِ إِنَّمَا تَسْجَدُ وَتَكْثُرُ إِذَا كَثُرَ طَالِبُهَا  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْمَحُ بِعَمَلِهِ أَنْ يَقَعَ تَجَارًا لِأَنَّهُ كَسْبُهُ  
وَمِنْهُ مَعَاشُهُ إِذْ لَا فَائِدَةَ لَهُ فِي جَمِيعِ عُمْرِهِ فِي شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا فِيمَا لَهُ  
فِيهِمْ فِي مِصْرِهِ لِيَعُودَ عَلَيْهِ بِالْتَفْعِ وَإِنْ كَانَتْ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا التَّفَاقُ  
كَانَتْ حِينَئِذٍ الصَّنَاعَةُ بِمِثَابَةِ السَّلْعَةِ الَّتِي تَنْفَقُ سُوقُهَا وَتَجْلِبُ لِلْبَيْعِ فَتَجْتَمِعُ النَّاسُ فِي  
الْمَدِينَةِ لِتَعْلَمَ تِلْكَ الصَّنَاعَةُ لِيَكُونَ مِنْهَا مَعَاشُهُمْ وَإِذَا لَمْ تَكُنِ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً لَمْ  
تَنْفَقْ سُوقُهَا وَلَا يُوجَّهَ قَصْدٌ إِلَى تَعْلُمِهَا فَاخْتَصَّتْ بِالْتَرَكِ وَتَقَدَّتْ لِلْإِهْمَالِ وَلِهَذَا يُقَالُ  
عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا كُلُّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ بِمَعْنَى أَنْ صِنَاعَتُهُ فِي قِيَمَتِهِ أَيْ  
فِيهِمْ عَمَلُهُ الَّذِي هُوَ مَعَاشُهُ وَأَبْضًا فَهَذَا سِرٌّ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَإِجَادَتَهَا إِنَّمَا  
يَطْلُبُهَا الدَّوْلَةُ فِيهِ الَّتِي تَنْفَقُ سُوقُهَا وَتَوَجَّهَ الطَّالِبَاتُ إِلَيْهَا وَمَا لَمْ تَطْلُبْهُ الدَّوْلَةُ وَإِنَّمَا  
يَطْلُبُهَا غَيْرُهَا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ فَلَيْسَ عَلَى نِسْبَتِهَا لِأَنَّ الدَّوْلَةَ فِي السُّوقِ الْأَعْظَمِ وَفِيهَا  
تَفَاقُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ فِيهَا عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَا تَفَقَّ مِنْهَا كَانَ أَكْثَرًا  
ضَرُورَةً وَالسُّوقَةُ وَإِنْ طَلَبُوا الصَّنَاعَةَ فَلَيْسَ طَلِبُهُمْ بِعَامٍ وَلَا سُوقُهُمْ بِنَافِقَةٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى قَادِرُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ

### الفصل العشرون

فِي إِنْ الْأَمْصَارَ إِذَا قَارَبَتْ الْخَرَابَ انْتَقَضَتْ مِنْهَا الصَّنَائِعُ  
وَذَلِكَ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَسْجَدُ إِذَا احْتَجَّ إِلَيْهَا وَكَثُرَ طَالِبُهَا وَإِذَا ضَعُفَتْ  
أَحْوَالُ الْمِصْرِ وَآخَرَتْ فِي الْهَرَمِ بِانْتِفَاضِ عُمْرَانِهِ وَقَلَّتْ سَاكِنَتُهُ تَنَاقَصَ فِيهِ التَّرَفُ وَزَجَعُوا  
إِلَى الْأَتِصَارِ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فَتَقَلُّ الصَّنَائِعُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ تَوَابِعِ التَّرَفِ لِأَنَّ  
صَاحِبَهَا حِينَئِذٍ لَا يَبْصُرُ لَهُ فِيهَا مَعَاشُهُ فَيَفِرُّ إِلَى غَيْرِهَا أَوْ يَمُوتُ وَلَا يَكُونُ خَلْفٌ مِنْهُ

فِيذَهَبُ رَسْمُ تِلْكَ الصَّنَائِعِ جَمْلَةً كَمَا يَنْهَبُ الْفَقَاشُونَ وَالصُّوَاعُ وَالْكَتَابُ وَالنَّسَاجُ وَأَمْثَالُهُمْ  
مِنَ الصَّنَائِعِ لِحَاجَاتِ التَّرَفِ وَلَا تَزَالُ الصِّنَاعَاتُ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى أَنْ تَضْحَلَ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

### الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْعُمُرَانِ الْخَضِرِيِّ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا وَأَجْعَمُوا مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأَمَمُ النَّصْرَانِيَّةِ عُدُوَّةُ الْبَجْرِ الرَّومِيِّ  
أَقَوْمُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْعُمُرَانِ الْخَضِرِيِّ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْبَدْوِ وَعُمُرَانِهِ حَتَّى  
إِنَّ الْأَيْلَ الْيَاقُوتِ الْعَرَبِ عَلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ وَالْأَعْرَاقِ فِي الْبَدْوِ مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَمَفْقُودَةٌ مَرَاعِيهَا وَأَرْزَالُ الْمِهْمَةِ لِنَتَاجِهَا وَلِهَذَا نَحْنُ أَذْطَانُ الْعَرَبِ وَمَا مَلَكُوهُ  
فِي الْإِسْلَامِ قَلِيلُ الصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ حَتَّى يُجْلِبَ إِلَيْهِ مِنْ فُطْرٍ آخَرَ وَنَظَرُ بِلَادِ الْعَجَمِ  
مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَأَرْضِ التُّرْكِ وَأَمَمُ النَّصْرَانِيَّةِ كَيْفَ اسْتَكْبَرَتْ فِيهِمْ الصَّنَائِعُ  
وَأَسْتَجْلَبَهَا الْأُمَمُ مِنْ عِنْدِهِمْ وَعَجَمُ الْمَغْرِبِ مِنَ الْبَزِيرِ مِثْلُ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ لِرُسُوحِهِمْ  
فِي الْبِدَاوَةِ مِنْذُ أَحْقَابِ مِنَ السِّنِينَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ قُلَّةُ الْأَمْصَارِ يَقْطُرُ مِنْهَا كَمَا قَدَّمَاهُ  
فَالصَّنَائِعُ بِالْمَغْرِبِ لِلْإِسْلَامِ قَلِيلَةٌ وَغَيْرُ مُسْتَحْكِمَةٍ إِلَّا مَا كُنِيَ مِنْ صِنَاعَةِ الصُّوفِ مِنْ  
نَسِجِهِ وَالْجِلْدِ فِي خَزَرِهِ وَدَبِغِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا اسْتَحْضَرُوا بَلَّغُوا فِيهَا الْمَبَالِغَ لِعُمُومِ الْبَلَوَى بِهَا  
وَكَوْنِ مَذَبِنِ أَغْلَبِ السَّاعِ فِي فُطْرِهِمْ لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَقَدْ  
رَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِ مِنْذُ مَلِكِ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ مِنَ الْفُرْسِ وَالْبَطِ وَالْقَبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَيُونَانَ وَالرُّومِ أَحْقَابًا مُتَطَاوِلَةً فَرَسَخَتْ فِيهِمْ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ وَمِنْ جُمْلَتِهَا الصَّنَائِعُ  
كَمَا قَدَّمَاهُ فَلَمْ يَبْجِ رَسْمُهَا وَأَمَّا الْيَمَنُ وَالْبَحْرَانِ وَعُمَانَ وَالْجَزِيرَةُ وَإِنْ مَلَكُوهُ  
الْعَرَبُ إِلَّا أَنَّهُمْ تَدَاوَلُوا مَلَكَهَ الْآفَاقِ مِنَ السِّنِينَ فِي أَمَمِ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ وَاسْتَخْطَوْا  
أَمْصَارَهُ وَمُدُنَهُ وَبَلَّغُوا أَلْفَايَةَ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِ مِثْلَ عَادَ وَتَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَحَدِيرَ  
مِنْ بَعْدِهِمْ وَالتَّبَايَعَةَ وَالْأَذْوَاقَ طَالَ أَمَدُ الْمَلِكِ وَالْحَضَارَةِ وَاسْتَحْكَمَتْ صِبْغَتُهَا وَتَوَقَّرَتْ  
الصَّنَائِعُ وَرَسَخَتْ فَلَمْ تَبَلْ بِلَى الدَّوْلَةِ كَمَا قَدَّمَاهُ فَبَقِيَتْ مُسْتَحْدَةً حَتَّى الْآنَ وَأَخْضَعَتْ بِذَلِكَ  
الْأَوْطَانَ كَصِنَاعَةِ الْوَشْيِ وَالْعَصَبِ وَمَا يُسْتَجَادُ مِنْ حَوَاكِ الْبَيَابِ وَالْحَوِيرِ فِيهَا وَاللَّهُ وَارِثُ

## الفصل الثاني والعشرون

فيمَن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد في ملكة اخرى  
ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورَسَخَتْ في نفسه فلا  
يجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء إلا أن تكون الأولى لم تستحْكَمْ بعد ولم  
تَرَسَخْ صِبْغُهَا والسَّبَبُ في ذلك أن الملكات صفات للنفس والوان فلا تزدحم دفعة  
ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعداداً لحصولها فإذا  
تَلَوَّتْ النفسُ بِالْمَلَكَةِ الْأُخْرَى وَخَرَجَتْ عَنِ الْفِطْرَةِ ضَعُفَ فِيهَا الْأَسْتِعْدَادُ بِاللَّوْنِ  
الْحَاصِلِ مِنْ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَكَانَ قُبُولُهَا لِلْمَلَكَةِ أضعفَ وَهَذَا يَبَيِّنُ بِشَهْدِ لَهُ الْوُجُودُ  
فَقُلْ أَنْ يَجِدَ صَاحِبُ صِنَاعَةٍ يُحْكِمُهَا ثُمَّ يُحْكِمُ مِنْ بَعْدِهَا أُخْرَى وَيَكُونُ فِيهِمَا مَعَا  
عَلَى رُتْبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِجَادَةِ حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْعِلْمِ الَّذِينَ مَلَكَتْهُمْ فِكْرِيَّةٌ فِهِمْ بِهَذِهِ  
الْعُنَايَةِ وَمَنْ حَصَلَ مِنْهُمْ عَلَى مَلَكَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الْعُلُومِ وَأَجَادَهَا فِي الْغَايَةِ فَقُلْ أَنْ يَجِدَ  
مَلَكَةً عَلَيْهِ آخَرَ عَلَى نِسْبَتِهِ بَلْ يَكُونُ مُقْصَرًّا فِيهِ إِنْ طَلَبَهُ إِلَّا فِي الْأَوَّلِ النَّادِرِ مِنَ  
الْأَحْوَالِ وَمَتَنِي سَبَبُهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَسْتِعْدَادِ وَتَلَوْنِيهِ بِلَوْنِ الْمَلَكَةِ الْحَاصِلَةِ فِي  
النَّفْسِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الثالث والعشرون

في الإشارة الى امهات الصنائع

إِعْلَمُ أَنَّ الصَّنَائِعَ فِي النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ كَثِيرَةٌ لِكثَرَةِ الْأَعْمَالِ الْمُتَدَاوِلَةِ فِي  
الْعُمَرَانِ فَبَيِّنْ تَشْدُّعَ الْحَصْرِ وَلَا يَأْخُذْهَا الْعَدُّ إِلَّا أَنْ مِنْهَا مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ  
فِي الْعُمَرَانِ أَوْ شَرِيفٌ بِالْمَوْضِعِ فَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ وَتَبَرَّكُ مَا سِوَاهَا فَأَمَّا الضَّرُورِيُّ  
فَالْفَلَاحَةُ وَالْبِنَاءُ وَالْخِيطَانَةُ وَالنَّجَارَةُ وَالنَّجَاسَةُ وَأَمَّا الشَّرِيفَةُ بِالْمَوْضِعِ فَكَالتَوْلِيدِ  
وَالْكِتَابَةِ وَالْوَرَاةِ وَالْفَنَاءِ وَالطِّبِّ فَأَمَّا التَّوْلِيدُ فَأَتَمَّتْهُ ضَرُورِيَّةٌ فِي الْعُمَرَانِ  
وَعَامَّةُ الْبَلَوَى إِذْ بِهَا تَحْصُلُ حَيَاةُ الْمَوْلُودِ وَلَتَمَّ غَالِبًا وَمَوْضُوعُهَا مَعَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُونَ  
وَأَمَّا الشَّرِيفَةُ فَهُوَ حِفْظُ الصِّحَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَدَفْعُ الْمَرَضِ عَنْهُ وَتَقَرُّعُ

عَنْ عِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَمَوْضُوعِهِ مَعَ ذَلِكَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ وَأَمَّا الْكِتَابَةُ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ  
الْوَرَاثَةِ فَبَعِي حَافِظَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ حَاجَتُهُ وَمَقِيدَةٌ لَهَا عَنِ النَّسْيَانِ وَبُلْغَةٌ غَمَازِ  
النَّفْسِ إِلَى الْبَعِيدِ الْغَائِبِ وَتَخْلِدُهُ تَنَاجِي الْأَفْكَارِ وَالْعُلُومِ فِي الصُّحُفِ وَرَافِعَةٌ رُتَبِ  
الْوُجُودِ الدِّمَاقِي وَأَمَّا الْغِنَاءُ فَهُوَ نَسَبُ الْأَصْوَاتِ وَمَظْهَرُ جَمَالِهَا لِلِإِسْمَاعِ وَكُلُّ هَذِهِ  
الصَّنَائِعِ الثَّلَاثُ دَاعٍ إِلَى مُخَالَطَةِ الْمُلُوكِ الْأَعَاضِمِ فِي خَلَوَاتِهِمْ وَبَحَالِسِ أَنْسِمِهِمْ فَلَهَا  
بِذَلِكَ شَرَفٌ لَيْسَ لِغَيْرِهَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ قِتَابَةٌ وَمُتَمَنِّةٌ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ  
يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَغْرَاضِ وَالِدَّوَاعِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

### الفصل الرابع والعشرون

في صناعة الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ تَمَرُّهَا اِتِّخَاذُ الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ بِالْقِيَامِ عَلَى إِثَارَةِ الْأَرْضِ لَهَا  
أَزْدِرَاعِيهَا وَعِلَاجُ نَبَاتِهَا وَتَعْدِيدُهَا بِالسَّقْيِ وَالْتِمِيزُ إِلَى بُلُوغِ غَايَتِهِ ثُمَّ حِصَادِ سُبُلِهِ  
وَأَسْتِغْرَاجِ حَبِّهِ مِنْ غِلَافِهِ وَإِحْكَامِ الْأَعْمَالِ لِذَلِكَ وَتَحْقِيقِ أَسْبَابِهِ وَذَوَائِعِهِ وَهِيَ  
أَقْدَمُ الصَّنَائِعِ لِمَا أَنَّهَا تَحْصِلُ الْقُوَّةَ الْمُكْمِلَةَ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ غَالِبًا إِذْ يُمَكِّنُ وَجُودَهُ  
مِنْ دُونَ الْقُوَّةِ وَلِهَذَا اخْتَصَّتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ بِالْبَدْوِ إِذْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ أَقْدَمُ مِنَ الْحَضَرِ  
وَسَابِقٌ عَلَيْهِ فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِذَلِكَ بَدْوِيَّةً لَا يَقُومُ عَلَيْهَا الْحَقَرُ وَلَا يَعْرِفُونَهَا لِأَنَّ  
أَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا ثَانِيَةٌ عَلَى الْبِدَاوَةِ فَصَّنَائِعُهُمْ ثَانِيَةٌ عَنْ صَنَائِعِهَا وَتَابِعَةٌ لَهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى مُقِيمُ الْعِبَادِ فِيمَا أَرَادَ

### الفصل الخامس والعشرون

في صناعة البناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ أَوَّلُ صَنَائِعِ الْفُتُرَانِ الْحَضَرِيِّ وَأَقْدَمُهَا وَهِيَ مَعْرِفَةُ ائْتِمَالِ فِي ائْتِمَادِ  
الْبُيُوتِ وَالْمَتَارِلِ لِلنَّكِنِ وَالْمَأْوَى لِلْأَبْدَانِ فِي الْمَدْنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لِمَا جُلَّ  
عَلَيْهِ مِنَ الْفِكْرِ فِي عَوَاقِبِ أَحْوَالِهِ لَا بُدَّ أَنْ يُفَكِّرَ فِيمَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى مِنَ الْحَرِّ  
وَالْبَرْدِ كَأَتِمَّادِ الْبُيُوتِ الْمُكْتَنَفَةِ بِالسَّقْفِ وَالْحِيطَانِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا وَالْبَشَرُ يَخْتَلِفُ  
فِي هَذِهِ الْجِيلَةِ الْفِكْرِيَّةِ فَمِنْهُمْ الْمُعْتَدِلُونَ فِيهَا فَيَتَخَذُونَ ذَلِكَ بِاعْتِدَالِ أَهَالِي الثَّانِي  
وَالثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَيَعْبُدُونَ عَنْ ائْتِمَادِ ذَلِكَ لِقُصُورِ

أَفْكَارِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِ الصَّنَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ فَيُادِرُونَ لِلْغَيْرَانِ وَالْكُفُوفِ الْمَعْدَّةِ مِنْ غَيْرِ  
 عِلَاجٍ ثُمَّ الْمُعْتَدِلُونَ الْمُتَخَذُونَ لِلْمَأْوَى قَدْ يَتَكَثَّرُونَ فِي الْبَسِيطِ الْوَاحِدِ يَحِثُّ  
 يَتَنَاكُزُونَ وَلَا يَتَعَارَفُونَ فَيَحْشُونَ طَرُقَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَيَحْتَاجُونَ إِلَى حِفْظِ مَجْمَعِهِمْ بِإِدَارَةِ  
 مَاءٍ أَوْ أَسْوَارٍ يَحُوطُهُمْ وَيَصِيرُ جَمِيعًا مَدِينَةً وَاحِدَةً وَمِصْرًا وَاحِدًا وَيَحُوطُهُمُ الْحَكْمُ  
 مِنْ دَاخِلٍ يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَقَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْإِنْتِصَافِ وَيَتَخَذُونَ الْمَعَاوِلَ  
 وَالْحَصُونِ لَهُمْ وَلِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِثْلَ الْمُلُوكِ وَمَنْ فِي مَعَانِهِمُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَكِبَارِ  
 الْأَقْبَالِ فِي الْمَدِينِ كُلِّ مَدِينَةٍ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَ وَيَصْطَلِحُونَ عَلَيْهِ وَيُنَاسِبُ مَزَاجَ هَوَائِهِمْ  
 وَأَخْلَافَ أَحْوَالِهِمْ فِي الْفَنَى وَالْفَقْرِ وَكَذَا حَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ  
 يَتَّخِذُ الْقُصُورَ وَالْمَصَانِعَ الْعَظِيمَةَ السَّاحَةَ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى عِدَّةِ الدُّورِ وَالْبُيُوتِ وَالْعُرُفِ  
 الْكَبِيرَةِ لِكَثْرَةِ وَلَدِهِ وَحَشَمِهِ وَعِيَالِهِ وَتَابِعِهِ وَيُؤَسِّسُ جُذُرَانَهَا بِالْجَارَةِ وَيَلْحَمُ بَيْنَهَا  
 بِالْكِلْسِ وَيُعَالِي عَلَيْهَا بِالْأَصْبَغَةِ وَالْجِصِّ وَيُبَالِغُ فِي ذَلِكَ بِالتَّجِيدِ وَالتَّتَمِيقِ إِظْهَارًا  
 لِلْبَسِطَةِ بِالْعِبَادَةِ فِي شَأْنِ الْمَأْوَى وَيَهَيِّئُ مَعَ ذَلِكَ الْأَسْرَابَ وَالْمَطَامِيرَ لِلَاخْتِرَانِ  
 لَأَفْوَاتِهِمْ وَلَا سَطَبَاتٍ لِرَبْطِ مَقَرِّبَاتِهِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجُنُودِ وَكَثْرَةِ الْعَاجِ وَالْحَاشِيَةِ  
 كَالْأَمْرَاءِ وَمَنْ فِي مَعَانِهِمْ مِنْ بَنِي الدَّوْنَةِ وَالْبُيُوتِ لِنَفْسِهِ وَسَكْنِهِ وَلَوْلَاهُ لَا  
 يَتَّبِعِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِقُصُورِ حَالِهِ عَنْهُ وَأَقْصَارِهِ عَلَى الْكُنْ أَلْطَبِيِّ لِلْبَشَرِ وَبَيْنَ  
 ذَلِكَ مَرَاتِبٌ غَيْرُ مُخَصَّصَةٍ وَقَدْ يَحْتَاجُ لَهُدْيُ الصَّنَاعَةِ أَيْضًا عِنْدَ تَأْسِيسِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ  
 الدُّوَلِ الْمَدَنِ الْعَظِيمَةِ وَالْهَيَاكِلِ الْمُزَيَّنَةِ وَيُكَالَفُونَ فِي إِنْقَانِ الْأَوْضَاعِ وَعُلُوِّ الْأَجْرَامِ  
 مَعَ الْأَحْكَامِ لِيَتَّبِعَ الصَّنَاعَةُ مَبَالِغَهَا وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ الَّتِي يُحْصَلُ الدَّوَاعِي لِلذِّكِّ وَأَكْثَرُ  
 مَا نَكُونُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ مِنَ الرَّابِعِ وَمَا حَوْلَيْهِ إِذَا الْأَقَالِيمُ الْمُتَحَرِّقَةُ  
 لَا يَنْبَاءُ فِيهَا وَإِنَّمَا يَتَخَذُونَ الْبُيُوتَ حِفَاظًا مِنَ الْقَصَبِ وَالطِّينِ وَإِنَّمَا يُوجَدُ فِي الْأَقَالِيمِ  
 الْمُعْتَدِلَةِ لَهُ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْقَائِمُونَ عَلَيْهَا مُتَفَاوِتُونَ فَمِنْهُمْ الْبَصِيرُ الْمَاهِرُ وَمِنْهُمْ  
 الْقَاصِرُ ثُمَّ هِيَ تَنْدَرِعُ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً فَمِنْهَا الْبِنَاءُ بِالْجَارَةِ الْمُنْجَدَةِ يُقَامُ بِهَا الْجُذُرَانُ  
 مُلَصَّقًا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالطِّينِ وَالْكِلْسِ الَّذِي يُقَدَّمُ مَعَهَا وَالنَّخِيمُ كَانَهَا جِسْمًا وَاحِدًا  
 وَمِنْهَا الْبِنَاءُ بِالْأَرْبَابِ خَاصَّةً يَتَّخِذُ لَهَا لَوْحَانٍ مِنَ الْخَشَبِ مُقَدَّرَانِ طُولًا وَعَرْضًا بِاخْتِلَافِ  
 الْعَادَاتِ فِي التَّقْدِيرِ وَأَوْسَطُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ فَيُنْصَبَانِ عَلَى أَسَاسٍ وَقَدْ بُوْعِدَ

مَا يَنْهَمَا بِمَا يَرَاهُ صَاحِبُ الْبِنَاءِ فِي عَرْضِ الْأَسَاسِ وَيُوصِلُ بَيْنَهُمَا بِأَذْرُعٍ مِنَ الْخَشَبِ  
يُرَبِّطُ عَلَيْهِمَا بِالْحِجَالِ وَالْجُدْرِ وَيُسَدُّ الْجِهَتَيْنِ الْبَاقِيَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ الْخَلَاءِ بَيْنَهُمَا بِلَوْحَيْنِ  
آخَرَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ ثُمَّ يَوْضَعُ فِيهِ الثَّرَابُ مُخَلِّطًا بِالْكِلْسِ وَيُرَكِّزُ بِالْمَرَكَزِ الْمَعْدَّةَ  
حَتَّى يَنْتَمِ رَكَوْهُ وَيَخْتَلِطُ أَجْزَاؤُهُ ثُمَّ يَزَادُ الثَّرَابُ ثَانِيًا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَمْتَلِئَ ذَلِكَ الْخَلَاءُ  
بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ وَقَدْ تَدَاخَلَتْ أَجْزَاؤُهُ الْكِلْسِ وَالثَّرَابِ وَصَارَتْ جِسْمًا وَاحِدًا ثُمَّ يَعَادُ  
نَصْبُ اللَّوْحَيْنِ عَلَى صُورَةٍ وَيُرَكِّزُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَنْتَمِ وَيَنْظُمَ الْأَلْوَاحُ كُلُّهَا سَطْرًا مِنْ  
فَوْقِ سَطْرِ إِلَى أَنْ يَنْتَظِمَ الْحَائِطُ كُلُّهُ مُلْتَحِمًا كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى الطَّايِفَةُ  
وَصَانِعُهُ الطُّوَابِ وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ أَيْضًا أَنْ يُجَلَّلَ الْحِيطَانُ بِالْكِلْسِ بَعْدَ أَنْ يُحَلَّ  
بِالْمَاءِ وَيُخَمَّرُ أَسْبُوعًا أَوْ أَسْبُوعَيْنِ عَلَى قَدَرِ مَا يَتَنَدَّلُ مِنْ أَجْزَائِهِ عَنِ الْفِرَاطِ النَّارِيَةِ الْمُفْسِدَةِ  
لِللَّحْمِ فَإِذَا تَمَّ لَهُ مَا يَرْضَاهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَاهُ مِنْ فَوْقِ الْحَائِطِ وَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَحِمَ وَمِنْ  
صَنَائِعِ الْبِنَاءِ عَمَلُ السَّقْفِ بِأَنْ يُعَدَّ الْخَشَبُ الْحَكِيمَةُ الْجَوَارِيَةُ أَوْ السَّازِجَةُ عَلَى حَائِطِي  
الْبَيْتِ وَمِنْ قَوْفِهَا الْأَلْوَاحُ كَذَلِكَ مَوْصُولَةٌ بِالْأَسَانِيرِ وَيُصَبُّ عَلَيْهَا الثَّرَابُ وَالْكِلْسُ  
وَيُسَطُّ بِالْمَرَكَزِ حَتَّى تَدَاخَلَ أَجْزَاؤُهَا وَتَلْتَحِمَ وَبُعَالَى عَلَيْهَا الْكِلْسُ كَمَا بُعَالَى  
عَلَى الْحَائِطِ وَمِنْ صِنَاعَةِ الْبِنَاءِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّنْمِيقِ وَالتَّزْيِينِ كَمَا يُصْنَعُ مِنْ فَوْقِ  
الْحِيطَانِ الْأَشْكَالُ الْجَمْعَةُ مِنَ الْجِصِّ يُخَمَّرُ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَسَدًا وَفِيهِ بَقِيَّةُ  
الْبَلِّالِ فَيُشَكَّلُ عَلَى التَّنَاسُبِ تَخَرُّمًا بِمِثْقَابِ الْحَدِيدِ إِلَى أَنْ يَبْقَى لَهُ رَوْنَقٌ وَرَوْنَقٌ  
وَرُبَّمَا عُولِي عَلَى الْحِيطَانِ أَيْضًا يَقْطَعُ الرِّخَامَ وَالْأَجْرَ وَالْخَرْفَ أَوْ بِالصَّدْفِ أَوْ  
السَّجَرِ يَفْصَلُ أَجْزَاءَهُ مُجَالَسَةً أَوْ مُخْتَلَفَةً وَتَوْضَعُ فِي الْكِلْسِ عَلَى نِسْبٍ وَأَوْضَاعٍ  
مُقَدَّرَةٍ عِنْدَهُمْ يَدُو بِهِ الْحَائِطُ لِلْعِيَانِ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرِّيَاضِ الْمُنْمِنَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
مِنْ بِنَاءِ الْحَبَابِ وَالصَّهَارِجِ لِسَعَةِ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ تُعَدَّ فِي الْبُيُوتِ قِصَاعُ الرِّخَامِ الْقَوَارِ  
الْحَكِيمَةُ الْخَرْطُ بِالْقَوَامَاتِ فِي وَسْطِهَا لِنَسَجِ الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى الصَّهْرِجِ فَيُجَلَّبُ إِلَيْهِ مِنْ  
خَارِجِ الْقَوَاتِ الْمُنْفِصَةِ إِلَى الْبُيُوتِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِنَاءِ وَتَخْتَلِفُ الصَّنَاعَةُ فِي  
جَمِيعِ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْحِذْقِ وَالْبَصَرِ وَيَعْتَظُمُ عَمْرَانُ الْمَدِينَةِ وَيَتَسَعُّ فَيُكْثَرُونَ وَرُبَّمَا  
يَرْجِعُ الْحُكَّامُ إِلَى نَظَرِ هَوْلَاءِ فِيمَا هُمْ أَبْصَرُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْبِنَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ  
فِي الْمَدِينِ لِكثَرَةِ الْأَزْدِحَامِ وَالْعُمْرَانِ يَتَسَاحُونَ حَتَّى فِي الْقَفَا وَالْهَوَاءِ الْأَعْلَى

وَالْأَسْفَلُ وَمِنْ الْإِنْتِفَاعِ بظَاهِرِ الْبِنَاءِ مِمَّا يَتَوَقَّعُ مَعَهُ حُصُولُ الضَّرَرِ فِي الْخِطِّانِ فَيَمْنَعُ جَارَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ وَيَخْتَلِفُونَ أَيْضًا فِي اسْتِحْقَاقِ الطَّرِيقِ وَالْمَنَافِدِ لِلْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ وَالْفَضَالَاتِ الْمُسَرَّبَةِ فِي الْقَنَوَاتِ وَرُبَّمَا يَدْعِي بَعْضُهُمْ حَقَّ بَعْضٍ فِي حَاطِطِهِ أَوْ عُلُوِّهِ أَوْ قَنَاتِهِ لِضَائِقِ الْجَوَارِ أَوْ يَدْعِي بَعْضُهُمْ عَلَى جَارِهِ أَخْثَالَ حَاطِطِهِ خَشْيَةَ سُقُوطِهِ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهِدْمِهِ وَدَفْعِ ضَرَرِهِ عَنْ جَارِهِ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى قِسْمَةِ دَارٍ أَوْ عَرَصَةٍ بَيْنَ قَرَيْكَيْنِ يَحِثُّ لَا يَقَعُ مَعَهَا فُسَادٌ فِي الدَّارِ وَلَا إِهْمَالٌ لِمَنْفَعَتِهَا وَأَمثالُ ذَلِكَ وَيَخْتَفِي جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَصَرِ الْعَارِفِينَ بِالْبِنَاءِ وَأَحْوَالِهِ الْمُسْتَدَلِّينَ عَلَيْهَا بِالْعَمَاقِدِ وَالْقَمَطِ وَمَرَاكِرِ الْخَشَبِ وَمِثْلِ الْخِطِّانِ وَأَعْدَالِهَا وَقِسْمِ الْمَسَاكِينِ عَلَى نِسْبَةِ أَوْضَاعِهَا وَمَنَافِعِهَا وَتَسْرِيبِ الْمِيَاهِ فِي الْقَنَوَاتِ مَجْلُوبَةً وَمَرْفُوعَةً يَحِثُّ لَا تَضُرُّ بِمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُيُوتِ وَالْخِطِّانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَهُمْ بِهَذَا كُلِّهِ الْبَصَرُ وَالْحِجْرَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لغيرِهِمْ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُونَ بِالْحُجُودِ وَالْقُصُورِ فِي الْأَجْبَالِ بِاعتِبَارِ الدُّوَلِ وَقُوَّتِهَا فَإِنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ وَكَمَالَهَا إِنَّمَا هُوَ بِكَمَالِ الْخِصَادَةِ وَكَثْرَتِهَا بِكَثْرَةِ الطَّلَابِ لَهَا فَلِذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ بَدْوِيَّةً فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَقْتَضِرُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ إِلَى غَيْرِ قَطْرٍ مَا كَمَا وَقَعَ لِلْوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ وَالْقُدْسِ وَمَسْجِدَهُ بِالْأَشَامِ فَبَعَثَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي الْفَعْلَةِ الْمَهْرَةِ فِي الْبِنَاءِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَنْ حَصَلَ لَهُ غَرَضُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ وَقَدْ يَعْرِفُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْهَنْدَسَةِ مِثْلَ تَسْوِيَةِ الْخِطِّانِ بِالْوِزْنِ وَإِجْرَاءِ الْمِيَاهِ بِأَخْذِ الْإِرْتِفَاعِ وَأَمثالِ ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْبَصَرِ بِشَيْءٍ مِنْ مَسَائِلِهِ وَكَذَلِكَ فِي جَرِّ الْأَثْقَالِ بِالْهَيْكَلِ فَإِنَّ الْأَجْرَامَ الْعَظِيمَةَ إِذَا شِيدَتْ بِالْجَارَةِ الْكَبِيرَةِ يَحْجِزُ قُدْرَ الْفَعْلَةِ عَنْ دَفْعِهَا إِلَى مَكَانِهَا مِنْ الْحَاطِطِ فَتَحِيلُ لِلذَلِكَ بِمُضَاعَفَةِ قُوَّةِ الْحِجْلِ بِإِدْخَالِهِ فِي الْمَعَالِي مِنْ أَثْقَابِ مُقَدَّرَةٍ عَلَى نِسْبِ هَنْدَسِيَّةٍ تُصَوِّرُ الثَّقِيلَ عِنْدَ مُعَانَاةٍ أَرْفَعَ خَفِيفًا فَيَتِمُّ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ لَفَةٍ وَهَذَا إِنَّمَا يَتِمُّ بِأَصُولِ هَنْدَسِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ مُتَدَاوِلَةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبِمِثْلِهَا كَانَ بِنَاءُ أَلْيَا كُلِّ أَلْمَانِلَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّتِي يُحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ بِنَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّ أَبْدَانَهُمْ كَانَتْ عَلَى نِسْبَتِهَا فِي الْعَظَمِ الْجَنِينِ لِي وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ بِالْحِجْلِ الْهَنْدَسِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فَفَهَّمْ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

## الفصل السادس والعشرون

### في صناعة التجارة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْعُمَرَاءِ وَمَادَّتُهَا الْخَشَبُ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ لِلْإِنْسَانِ فِي كُلِّ مَوْكُونٍ مِنَ الْمَوْكُونَاتِ مَنَافِعَ تَكْمُلُ بِهَا ضَرُورَاتُهُ أَوْ حَاجَاتُهُ وَكَانَ مِنْهَا الشَّجَرُ فَإِنَّ لَهُ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ مَا لَا يَنْحَصِرُ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَمِنْ مَنَافِعِهَا اتِّخَاذُهَا خَشَبًا إِذَا بَسَتْ وَأَوَّلُ مَنَافِعِهِ أَنْ يَكُونَ وَقُودًا لِلنَّارِ فِي مَعَاشِهِمْ وَعَصِيًّا لِلْإِسْكَاءِ وَالنُّودِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ ضَرُورِيَّاتِهِمْ وَدَعَائِمِ مَا يُغْنِي مَبْلُهُ مِنْ أَتْقَالِهِمْ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَافِعُ أُخْرَى لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ فَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَيَتَّخِذُونَ مِنْهَا الْعُمَدَ وَالْأَوْتَادَ وَالْجِلَامِيَّ وَالْحُدُوجَ لِبُعَائِهِمْ وَالرِّمَاحَ وَالْقِسِيَّ وَالسِّهَامَ لِسِلَاحِهِمْ وَأَمَّا أَهْلُ الْحَضَرِ فَالْسَّقْفُ لِبُيُوتِهِمْ وَالْأَعْلَاقُ لِأَبْوَابِهِمْ وَالْكَرَاسِيُّ لِحُلُوسِهِمْ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ فَالْخَشَبُ مَادَّةٌ لَهَا وَلَا تَصِيرُ إِلَى الصُّورَةِ الْخَاصَّةِ بِهَا إِلَّا بِالصَّنَاعَةِ وَالصَّنَاعَةُ الْمُنْكَفَلَةُ بِذَلِكَ الْمُحَصَّلَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ صُورِهَا فِي التِّجَارَةِ عَلَى اخْتِلَافِ رَتَبَتِهَا فَيَحْتَاجُ صَاحِبُهَا إِلَى تَقْصِيلِ الْخَشَبِ أَوَّلًا إِمَّا بِخَشَبٍ أَصْفَرَ مِنْهُ أَوْ أَوْحَشٍ ثُمَّ تَرْكِبُ تِلْكَ الْفَصَائِلَ بِحَسَبِ الصُّورِ الْمَطْلُوبَةِ وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يُعَاوَلُ بِصُنْعِهِ إِعْدَادَ تِلْكَ الْفَصَائِلِ بِالْإِنْتِظَامِ إِلَى أَنْ تَصِيرَ أَعْضَاءُ ذَلِكَ الشَّكْلِ الْخُصُوصِ وَالْقَائِمِ عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ هُوَ التَّجَارُ وَهُوَ ضَرُورِيٌّ فِي الْعُمَرَاءِ ثُمَّ إِذَا عَظُمَتِ الْحَضَارَةُ وَجَاءَ التَّرَفُ وَتَأَنَّقَى النَّاسُ فِيمَا يَتَّخِذُونَهُ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ سَقْفِ أَوْ بَابٍ أَوْ كُرْسِيِّ أَوْ مَا عُونُ حَدَثِ النَّاسِ فِي صِنَاعَةِ ذَلِكَ وَاسْتِجَادَتِهِ بِغَرَائِبِ مِنَ الصَّنَاعَةِ كَمَا لَيْسَتْ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فِي شَيْءٍ مِثْلِ التَّخْطِيطِ فِي الْأَبْوَابِ وَالْكَرَاسِيِّ وَمِثْلِ تَهْيِئَةِ الْقَطْعِ مِنَ الْخَشَبِ بِصَّنَاعَةِ الْخَرْطِ بِحَسَبِ بَرِّيَّتِهَا وَتَشْكِيلِهَا ثُمَّ تَوَلَّفَ عَلَى نِسْبِ مُقَدَّرَةٍ وَتَلَحَّمُ بِالْمَسَائِرِ فَيَبْدُو لِرَأْيِ الْعَيْنِ مُتَّحِمَةً وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهَا اخْتِلَافُ الْأَشْكَالِ عَلَى تَنَاسُبِ بَصْنَعِ هَذَا فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَّخَذُ مِنَ الْخَشَبِ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَلَاتِ الْمُتَّخَذَةِ مِنَ الْخَشَبِ مِنْ أَيْ نَوْعٍ كَانَ وَكَذَلِكَ قَدْ يُحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي إِثْشَاءِ الْمَرَائِكِ النَجْرِيَّةِ ذَاتِ الْأَلْوَحِ وَالْأُذُنِ وَبِحِجْزِ الْأَجْرَامِ هَنْدَسِيَّةٌ صُنِعَتْ عَلَى قَالِبِ الْخُوتِ وَأَعْيَانِ سِجِّهِ فِي الْمَاءِ بِقَوَادِمِهِ وَكُلُّهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ الشَّكْلُ أَعُونُ



لَهَا فِي مُضَادَّةِ الْمَاءِ وَجْعَلْ لَهَا عَوْضَ الْحَرَكَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي لِلسَّمَكِ تَعْرِيكُ الرِّيحِ  
وَرُبَّمَا أُعِينَتْ بِحَرَكَةِ الْمَقَادِيفِ كَمَا فِي الْأَسَاطِيلِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ أَصْلِهَا مُحْتَاجَةٌ  
إِلَى أَصْلٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمُهَنْدِسَةِ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِهَا لِأَنَّ إِخْرَاجَ الصُّورِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ مُحْتَاجٌ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّنَاسُبِ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا عُمُومًا أَوْ خُصُوصًا  
وَتَنَاسُبُ الْمَقَادِيرِ لَا يَدَّ فِيهِ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْمُهَنْدِسِ وَلِهَذَا كَانَتْ أَيْمَةُ الْمُهَنْدِسَةِ  
الْبُيُونَانِيُّونَ كُلُّهُمْ أَيْمَةً فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَكَانَ أُوْفِيلِيدُوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَصُولِ فِي  
الْمُهَنْدِسَةِ نَجَّارًا وَبِهَا كَانَ يَعْرِفُ وَكَذَلِكَ أَلْبُونِيوسُ صَاحِبُ كِتَابِ التَّحْرُوطَاتِ وَمِيلَاوُسُ  
وغيرهم وَفِيمَا يُقَالُ أَنَّ مُعَلِّمَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْخَلِيقَةِ هُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِهَا أَنْشَأَ  
سَفِينَةَ النِّجَارَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مُجَرِّزَتُهُ عِنْدَ الطُّوفَانِ وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ مُمَكَّنًا أَغْنَى  
كَوْنَهُ نَجَّارًا إِلَّا أَنَّ كَوْنَهُ أَوَّلَ مَنْ عَلَّمَهَا أَوْ تَعَلَّمَهَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ مِنَ النُّقْلِ عَلَيْهِ لِعَدِّ  
الْآمَادِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْإِشَارَةُ إِلَى قِدَمِ التَّجَارَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ حِكَايَةُ عَنْهَا  
قَبْلَ خَبَرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَعَلَ كَأَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ تَعَلَّمَهَا فَتَنَهَّمُ أَسْرَارَ الصَّنَائِعِ فِي  
الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل السابع والعشرون

#### في صناعة الحياكة والخياطة

هَاتَانِ الصَّنَاعَتَانِ صَرُورَتَانِ فِي الْعُمُرَانِ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ مِنَ الرِّفَعِ فَأَلَاؤُهُ  
يَنْسَجُ الْقَزْلُ مِنَ الصُّوفِ وَالْكَتَانِ وَالْقَطْنِ إِسْدَاءً فِي الطُّولِ وَالْحَمَاءُ فِي الْعَرْضِ  
لِلذَلِكَ النَّسْجِ بِالْإِتِّحَامِ الشَّدِيدِ فَيَتِمُّ مِنْهَا قِطْعٌ مُقَدَّرَةٌ فَيُنَاقِشُ فِيهَا الْأَكْسِيَّةُ مِنَ الصُّوفِ  
لِلْإِسْتِمَالِ وَمِنْهَا الثِّيَابُ مِنَ الْقَطْنِ وَالْكَتَانِ لِلْبَاسِ وَالصَّنَاعَةُ الثَّانِيَةُ لِلتَّقْدِيرِ الْمُنَسُوجَاتِ  
عَلَى اخْتِلَافِ الْأَشْكَالِ وَالْعَوَائِدِ تُفَصَّلُ بِالْمِقْرَاضِ قِطْعًا مُنَاسِبَةً لِلْأَعْضَاءِ الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ  
تُلَحَّمُ تِلْكَ الْقِطْعُ بِالْخِيَاطَةِ الْحَكِيمَةِ وَصَلًا أَوْ تَنْبِيثًا أَوْ تَنْسَجًا عَلَى حَسَبِ نَوْعِ  
الصَّنَاعَةِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مُحْتَصَةٌ بِالْعُمُرَانِ الْخَصَرِيِّ لِمَا أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ يَسْتَعْنُونَ عَنْهَا  
وَإِنَّمَا يَسْتَمْلُونَ الْأَثْوَابَ أَشْجَلًا وَإِنَّمَا تُفَصِّلُ الثِّيَابَ وَتَقْدِيرُهَا وَالْحَمَاءُ بِالْخِيَاطَةِ  
لِلْبَاسِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحِصَارَةِ وَفُنُونِهَا وَتَقِيمُ هَذِهِ فِي سِرِّ تَحْرِيمِ الْخَبْطِ فِي الْحَجِّ لِمَا  
أَنَّ مَشْرُوعِيَةَ الْحَجِّ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَبَذِ الْعَلَانِيَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ كُلِّهَا وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

كَمَا خَلَقْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى لَا يُعْلَقَ الْعَبْدُ قَلْبُهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِ لَا طَبِيبًا وَلَا نِسَاءً وَلَا نَحِيطًا وَلَا خِفًا وَلَا يَتَعَرَّضُ لِصَيْدٍ وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِهِ الَّتِي تَلَوَّنَتْ بِهَا نَفْسُهُ وَخَلَقَهُ مَعَ أَنَّهُ يَفْقَدُ مَا بِالْمَوْتِ ضَرُورَةٌ وَإِنَّمَا يَجِيءُ كَأَنَّهُ وَارِدٌ إِلَى الْحَشْرِ ضَارِعًا بِقَلْبِهِ مُخْلِصًا لِرَبِّهِ وَكَانَ جَزَاؤُهُ إِنْ تَمَّ لَهُ الْإِخْلَاصُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ سُبْحَانَكَ مَا أَزْفَقَكَ بَعِيدًا وَأَرْحَمَكَ بِهِمْ فِي طَلَبِ هِدَايَتِهِمْ إِلَيْكَ وَهَاتَانِ الصِّعَتَانِ قَدِيمَتَانِ فِي الْخَلِيقَةِ لِمَا أَنَّ الدِّفءَ ضَرُورِيٌّ لِلشَّيْرِ فِي الْعُمُرَانِ الْمُتَعَدِّلِ وَأَمَّا الْمَعْرُوفُ إِلَى الْحَرِّ فَلَا يَحْتَاجُ أَهْلُهُ إِلَى دِفءٍ وَلِهَذَا تَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِ مِنَ السُّودَانِ أَنَّهُمْ عُرَاهُ فِي الْغَالِبِ وَلَقَدْ هَدَى الصَّنَاعِ يَنْسِبُهَا الْعَامَّةُ إِلَى أَدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَقْدَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَرُبَّمَا يَنْسِبُونَهَا إِلَى هِرْمِسَ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هِرْمِسَ هُوَ أَدْرِيسُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ

### الفصل الثامن والعشرون

#### في صناعة التوليد

وَبِهِ صِنَاعَةٌ يُعْرَفُ بِهَا الْعَمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَوْلُودِ الْأَدَمِيِّ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مِنَ الرَّفْقِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ رَحِمِهَا وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ ذَلِكَ ثُمَّ مَا يَصْلُحُهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ عَلَى مَا نَذَكَّرُ وَبِهِ مَخْصَصَةٌ لِلنِّسَاءِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ لِمَا أَنَّهُنَّ الظَّاهِرَاتُ بَعْضُهُنَّ عَلَى عَوَازِ بَعْضٍ وَتُسَمَّى الْقَائِمَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُنَّ الْقَائِلَةُ اسْتَعِيرَ فِيهَا مَعْنَى الْإِعْطَاءِ وَالْقَبُولِ كَانَ النِّسَاءُ نُعْطِيهَا الْجَنِينَ وَكَانَتْهَا تَقْبَلُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنِينَ إِذَا اسْتَكْمَلَ خَلْقَهُ فِي الرَّحِمِ وَأَطْوَرَهُ وَبَلَغَ إِلَى غَايَتِهِ وَالْمُدَّةُ الَّتِي قَدَرَهَا اللَّهُ لِمَكْنِهِ فِي تِسْعَةِ أَشْهُرٍ فِي الْغَالِبِ فَيَطْلُبُ الْخُرُوجَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي الْمَوْلُودِ مِنَ الزُّوْعِ لِلذِّكِّ وَيَضِيقُ عَلَيْهِ الْمَنَافِدُ فَيَعْسُرُ وَرُبَّمَا مَرَّقَ بَعْضُ جَوَانِبِ الْفَرْجِ بِالضَّغْطِ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ بَعْضُ مَا كَانَ مِنَ الْأَغْشِيَةِ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَالْإِلْتِحَامِ بِالرَّحِمِ وَهَذِهِ كُلُّهَا الْأَمُّ يَسْتَدُّ بِهَا الْوَجَعَ وَهُوَ مَعْنَى الطَّلُقِ فَتَكُونُ الْقَائِلَةُ مُعِينَةً فِي ذَلِكَ بِبَعْضِ الشَّيْءِ بِغَيْرِ الظَّهِيرِ وَالْوَرَكَيْنِ وَبِإِعْدَادِ الرَّحِمِ مِنَ الْأَسَافِلِ تَسَاقُ بِذَلِكَ فِعْلَ الْمَافَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَنِينَ وَتَسَهِّلُ مَا يَصْغُبُ مِنْهُ بِمَا يُمْكِنُهَا وَعَلَى مَا تَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ عُسْرَةٍ ثُمَّ إِنْ أَخْرَجَ الْجَنِينَ بَقِيََتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّحِمِ الْوَصْلَةُ حَيْثُ كَانَ يَتَغَدَّى مِنْهَا مُتَّصِلَةً مِنْ مَرْتَبِهِ بِمَعَاةٍ وَتِلْكَ

الْوَصْلَةُ عَضْوٌ فَفِي التَّغْدِيَةِ الْمَوْلُودُ خَاصَّةً فَتَقَطَعُهَا الْقَائِلَةُ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْدَى مَكَانَ  
 الْفَضْلَةِ وَلَا تُضَرُّ بِمَعَاذِهِ وَلَا يَرْجِعُ أُمُّهُ ثُمَّ تَدْمِلُ مَكَانَ الْجِرَاحَةِ مِنْهُ بِالْكَفِّ أَوْ بِمَا  
 تَرَاهُ مِنْ وَجْهِهِ أَلَا تَدْرِي كَيْفَ تَدْمِلُ مَكَانَ الْجِرَاحَةِ مِنْهُ بِالْكَفِّ أَوْ بِمَا تَرَاهُ مِنْ وَجْهِهِ  
 الْعِظَامِ سَهْلُ الْإِنْعِطَافِ وَالْإِنْشَاءِ قَرِيبًا تَتَغَيَّرُ أَشْكَالُ أَعْضَائِهِ وَأَوَاقِعُهَا الْقُرْبُ  
 التَّكْوِينِ وَرُطُوبَةُ الْمَوَادِّ فَتَنْتَابِلُهَا الْقَائِلَةُ بِالْقَمَرِ وَالْإِصْلَاحِ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَضْوٍ إِلَى  
 شَكْلِهِ الطَّبِيعِيِّ وَوَضْعِهِ الْمَقْدَرُ لَهُ وَيَتَدَخَّلُ خَلْقُهُ سَوِيًّا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَرُاجِعُ النِّسَاءُ  
 وَتَحَازِيهَا بِالْقَمَرِ وَالْمَلَانِيَةِ خُرُوجِ أَغْشِيَةِ الْحَبْنِ لِأَنَّهَا رُبَّمَا تَأْخُرُ عَنْ خُرُوجِهِ قَلِيلًا  
 وَيُخْشَى عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ تَرُاجِعَ الْمَاسِكَةَ حَالَهَا الطَّبِيعِيَّةَ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ خُرُوجِ الْأَغْشِيَةِ  
 وَهِيَ قَصْلَانِ فَتَعْتَبِرُ وَيَسْتَعِينُ بِمَا أَلْبَسَتْهُ الْمَلَكُ فَتَقَعُ الْمَلَكُ فَتَعَاذِرُ الْقَائِلَةَ هَذَا وَتَحَاوِلُ  
 فِي إِعَانَةِ الدَّفْعِ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ تِلْكَ الْأَغْشِيَةُ الَّتِي كَانَتْ قَدْ تَأَخَّرَتْ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْمَوْلُودِ  
 فَتُخْرِجُ أَعْضَاءَهُ بِالْأَدْمَانِ وَالذُّرُورَاتِ الْقَائِضَةِ لِنَشْأَةِ رُطُوبَاتِ الرَّحِمِ  
 وَتُخْرِجُ لِرَفْعِ لَهَا نَهْ وَتُسَبِّطُهَا لِاسْتِفْرَاحِ نَطُوفِ دِمَاغِهِ وَتُفَرِّغُهُ بِاللُّعُوقِ لِلدَّفْعِ السَّدِيدِ  
 مِنْ مَعَاذِهِ وَتَجُوبُهَا عَنِ الْإِلْتِصَاقِ ثُمَّ تَدَاوِي النِّسَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْوَدْنِ الَّذِي أَصَابَهَا  
 بِالطَّلَقِ وَمَا لَحِقَ رَحِمِهَا مِنَ أَلَمِ الْإِنْفِصَالِ إِذَا الْمَوْلُودُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَضْوًا طَبِيعِيًّا فَحَالَهُ  
 التَّكْوِينِ فِي الرَّحِمِ صَيَّرَتْهُ بِالْإِنْعَامِ كَالْعَضْوِ الْمُتَّصِلِ فَلِذَلِكَ كَانَ فِي انْفِصَالِهِ أَلَمٌ  
 يَقْرُبُ مِنَ أَلَمِ الْقَطْعِ وَتَدَاوِي مَعَ ذَلِكَ مَا يَلْحَقُ الْفَرْجَ مِنَ أَلَمٍ مِنْ جِرَاحَةِ التَّخْزِيقِ  
 عِنْدَ الضَّغْطِ فِي الْخُرُوجِ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدْوَاءُ تَجِدُ هَؤُلَاءِ الْقَرَابِلُ أَبْصَرَ بِدَوَائِمِهَا وَكَذَلِكَ  
 مَا يَبْرُضُ لِلْمَوْلُودِ مَدَّةَ الرِّضَاعِ مِنْ أَدْوَاءٍ فِي بَدَنِهِ إِلَى حِينِ الْفَصَالِ تَجِدُ مِنْ أَبْصَرِهَا  
 مِنَ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ بَدَنَ الْإِنْسَانِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِنَّمَا هُوَ بَدَنُ إِنْسَانٍ  
 بِالْقُوَّةِ فَقَطْ فَإِذَا جَاوَزَ الْفَصَالَ صَارَ بَدَنًا إِنْسَانِيًّا بِالْهَلِ فَكَانَتْ حَاجَتُهُ حِينَئِذٍ إِلَى الطَّبِيبِ  
 أَشَدَّ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ كَمَا تَرَاهُ ضَرُورِيَّةٌ فِي الْعُمُرَانِ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ لَا يَتِمُّ كَوْنُ  
 أَشْخَاصِهِ فِي الْغَالِبِ دُونَهَا وَقَدْ يَبْرُضُ لِبَعْضِ أَشْخَاصِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ عَنِ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ إِمَّا بِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ لَهُمْ مَعْجَزَةٌ وَخَرَقًا لِلْعَادَةِ كَمَا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَوْ بِإِلْهَامٍ وَهِدَايَةٍ بِهِمْ لَهَا الْمَوْلُودُ وَيُفْطَرُ عَلَيْهِمْ فَيَتِمُّ وَجُودُهُمْ  
 مِنْ دُونِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَأَمَّا شَأْنُ الْمَعْجَزَةِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ كَثِيرًا وَمِنْهُ مَا رَوَيْنَا أَنَّ

الَّتِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدَ مَسْرُورًا مَخْتُونًا وَاضْعًا بَدَنَهُ عَلَى الْأَرْضِ شَاخِصًا بِصَرِّهِ  
إِلَى السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ شَأْنُ عَيْسَى فِي الْمَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَأَمَّا شَأْنُ الْإِلَهَامِ فَلَا يَنْصَرِفُ  
وَإِذَا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ تُعْجَمُ مُخْتَصِّ بِغَرَائِبِ الْإِلَهَامَاتِ كَأَنْتَحِلَ وَغَيْرَهَا فَمَا ظَنُّكَ  
بِالْإِنْسَانِ الْمَفْصَلِ عَلَيْهَا وَخُصُوصًا بِمَنْ اخْتَصَّ بِكَرَامَةِ اللَّهِ ثُمَّ الْإِلَهَامُ الْعَامُّ  
لِلْمَوْلُودِينَ فِي الْأَقْبَالِ عَلَى الَّذِي أَوْضَحْتُ شَاعِدٍ عَلَى وَجُودِ الْإِلَهَامِ الْعَامِّ لَهُمْ فَشَأْنُ  
الْعِبَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَعْطَى بِهِ وَمِنْ هُنَا يُفْهَمُ بَطْلَانُ رَأْيِ الْفَارَابِيِّ وَحُكْمَاءِ  
الْأَنْدَلُسِ فِيمَا أَحْتَجُّوا بِهِ لِعَدَمِ انْقِرَاضِ الْأَنْوَاعِ وَأَسْمَحَالَةِ انْقِطَاعِ الْمَكُونَاتِ  
وَخُصُوصًا فِي النَّوَاعِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَقَالُوا لَوْ انْقَطَعَتْ أَشْخَاصُهُ لَأَسْتَحَالَ وَجُودُهَا بَعْدَ ذَلِكَ  
لِتَوْفِيقِهِ عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَا إِذْ لَوْ قَدَرْنَا مَوْلُودًا دُونَ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَفَّالَتِهَا إِلَى حِينِ الْفَصَالِ لَمْ يَتِمَّ بَقَاؤُهُ أَصْلًا وَوُجُودُ الْعَنَائِعِ دُونَ  
الْفِكْرِ مُتَمَنِّعٌ لِأَنَّهُا ثَمَرَتُهُ وَتَابِعَةٌ لَهُ وَتَكَلَّفَ ابْنُ سِينَا فِي الرَّدِّ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ لِمُحَالِفَتِهِ  
إِيَّاهُ وَذَهَابِهِ إِلَى إِمْكَانِ انْقِطَاعِ الْأَنْوَاعِ وَخَرَابِ عَالَمِ التَّكْوِينِ ثُمَّ عَوَّذَهُ ثَانِيًا  
لِانْقِضَاءِهَا فَلِكَيْتِهِ وَأَوْضَاعُ غَرِيبَةٌ تَنْدُرُ فِي الْأَحْقَابِ بِزَعْمِهِ فَتَعْضِي تَغْيِيرُ طَبِئَةٍ مُنَاسِبَةٍ  
لِمَزَاجِهِ بِحَرَارَةٍ مُنَاسِبَةٍ فَيَتِمُّ كَوْنُهُ إِنْسَانًا ثُمَّ يَقِضُّ لَهُ حَيَوَانٌ يُخْلَقُ فِيهِ إِلَهَامًا لِتَرْبِيَّتِهِ  
وَالْحَنُونِ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَجُودُهُ وَفَصَالُهُ وَأَطْنَبَ فِي بَيَانِ ذَلِكَ فِي الرَّسَالَةِ الَّتِي سَمَّاهَا  
رِسَالَةَ حَيٍّ بَنٍ بِقُطْنٍ وَهَذَا الْأَسْتِدْلَالُ غَيْرُ مُصَحِّحٍ وَإِنْ كُنَّا نُوَافِقُهُ عَلَى انْقِطَاعِ  
الْأَنْوَاعِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ فَإِنَّ دَلِيلَهُ مُبْنِيٌّ عَلَى اسْتِنَادِ الْأَفْعَالِ إِلَى الْعِلَّةِ  
الْمُوجِبَةِ وَدَلِيلُ الْقَوْلِ بِالْقَاعِلِ الْخُفْيَارِ يَرُدُّ عَلَيْهِ وَلَا وَاسِطَةَ عَلَى الْقَوْلِ بِالْقَاعِلِ الْخُفْيَارِ  
بَيْنَ الْأَفْعَالِ وَالْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا الذِّكْرِ ثُمَّ لَوْ سَلَّمْنَاهُ جَدَلًا فَبَابُهُ  
مَا يَتَّبِعِي عَلَيْهِ أَطْرَادُ وَجُودِ هَذَا الشَّخْصِ يُخْلَقُ الْإِلَهَامُ لِتَرْبِيَّتِهِ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ وَمَا  
الْفَرُودَةُ الدَّاعِيَةُ لِذَلِكَ وَإِذَا كَانَ الْإِلَهَامُ يُخْلَقُ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ فَمَا الْمَنْعُ مِنْ  
خَلْقِهِ لِلْمَوْلُودِ نَفْسِهِ كَمَا قَرَرْنَاهُ أَوَّلًا وَخَلَقُ الْإِلَهَامِ فِي شَخْصٍ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
خَلْقِهِ فِيهِ لِمَصَالِحِ غَيْرِهِ فَكَلَّا الْمَذْهَبَيْنِ شَاهِدَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِالْبَطْلَانِ فِي مَنَاجِحِهِمَا  
لِمَا قَرَرْتُهُ لَكَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار ودون البادية

هذه الصنعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدها فان ثمرتها حفظ الصحة  
للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمدواة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم وأعلم  
أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث  
الجامع للطبيب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء وأصل كل داء  
البرءة فأما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر وأما قوله الحمية رأس الداء فالحمية  
الجوع وهو الاحتياج من الطعام والمعنى أن الجوع هو الداء العظيم الذي هو أصل  
الآلوية فأما قوله أصل كل داء البرءة فمعنى البرءة إدخال الطعام على الطعام  
في المعدة قبل أن يتم هضم الأول وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الإنسان وحفظ  
حياته بالبقاء يستعمله بالأكل وينفذ فيه القوى المأخضة والغاذية إلى أن يصير دماً  
ملائماً لأجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذ النامية فينقلب لحمًا وعظمًا ومعنى  
الهضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طورًا بعد طور حتى يصير جزءًا بال فعل من  
البدن وتفسيره أن الغذاء إذا حصل في القم ولا كنهه الأشداق أثرت فيه حرارة  
القم طبعًا يسيرًا وقلبت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعامًا  
ثم أجدتها مضغًا فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة قطبها حرارة  
المعدة إلى أن يصير كيموسًا وهو صنو ذلك المطبوخ وترسله إلى الكبد وترسل  
ما راسب منه في المعى ثملا ينفذ إلى العزجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك  
الكيموس إلى أن يصير عيطًا وتطفو عليه رغو من الطبخ هي الصفراء وترسب  
منه أجزاء يابسة في السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه  
فهو البلغم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول ويأخذها طبخ الحفل  
الغريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني  
وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون لحمًا ثم غليظه عظامًا ثم يرسل البدن ما  
يقبل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق والأعاب والخطا والدغ هذه  
صورة الغذاء وخروجه من القوى إلى الفعل لحمًا ثم إن أصل الأمراض ومُعظمها في

الْحَمِيَّاتُ وَسَبَبُهَا أَنَّ الْحَارَّ الْفَرِيزِيَّ قَدْ يَضْمُغُ عَنْ تَمَامِ النَّضْجِ فِي طَبْعِهِ فِي كُلِّ طَوَرٍ  
 مِنْ هُنَا فَيَقْتَضِي ذَلِكَ الْغِذَاءَ دُونَ نَضْجِهِ وَسَبَبُهُ عَالِمًا كَثْرَةُ الْغِذَاءِ فِي السَّعَةِ حَتَّى  
 يَكُونَ أَغْلَبَ عَلَى الْحَارِّ الْفَرِيزِيِّ أَوْ إِدْخَالُ الطَّعَامِ إِلَى الْمَعِدَةِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَوِي طَبْعُ  
 الْأَوَّلُ يَسْتَقِلُّ بِهِ الْحَارُّ الْفَرِيزِيُّ وَيَبْزُقُ الْأَوَّلُ بِحَالِهِ أَوْ يَتَوَزَعُ عَلَيْهِمَا فَيَقْصُرُ عَنْ  
 تَمَامِ الطَّبْعِ وَالنَّضْجِ وَتُرْسِلُهُ الْمَعِدَةُ كَذَلِكَ إِلَى الْكَيْدِ فَلَا تَقْوَى حَرَارَةُ الْكَيْدِ  
 أَيْضًا عَلَى إِنْصَاحِهِ وَرُبَّمَا يَقْبِي فِي الْكَيْدِ مِنَ الْغِذَاءِ الْأَوَّلِ فَضْلَةً غَيْرَ نَافِعَةٍ وَتُرْسِلُ  
 الْكَيْدُ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى الْعُرُوقِ غَيْرَ نَافِعٍ كَمَا هُوَ فَإِذَا أَخَذَ الْبَدَنُ حَاجَتَهُ الْمَلَأَمَةَ  
 أَرْسَلَهُ مَعَ الْقَصَلَاتِ الْأُخْرَى مِنَ الْعُرُوقِ وَالْمَعِزِّ وَالْعَلَابِ إِنْ اقْتَدَرَ عَلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا  
 يَنْجِزُ مِنَ الْكَبِيرِ مِنْهُ قِبَتِي فِي الْعُرُوقِ وَالْكَبِيدِ وَالسَّعَةِ وَتَتَوَارَدُ مَعَ الْأَبْهَامِ وَكُلُّ  
 ذِي رُطُوبَةٍ مِنَ الْمُتَمَزِّجَاتِ إِذَا لَمْ يَأْخُذْهُ الطَّبْعُ وَالنَّضْجُ يُعْفَنُ فَيَتَعَفَّنُ ذَلِكَ الْغِذَاءُ  
 غَيْرُ النَّاصِجِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْخِلْطِ وَكُلُّ مُتَعَفِّنٍ فِيهِ حَرَارَةٌ غَرِيبَةٌ وَتِلْكَ هِيَ الْمَسْمَاةُ فِي  
 بَدَنِ الْإِنْسَانِ بِالْحُمَى وَأَخْبَرَ ذَلِكَ بِالطَّعَامِ إِذَا تَرَكَ حَتَّى يَتَعَفَّنَ وَفِي الرَّبْلِ إِذَا  
 تَعَفَّنَ أَيْضًا كَيْفَ تَنْبَعُثُ فِيهِ الْحَرَارَةُ وَتَأْخُذُ مَا خَذَهَا فَهَذَا مَعْنَى الْحَمِيَّاتِ فِي الْأَبْدَانِ  
 وَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ وَهَلِوِ الْحَمِيَّاتِ عِلَاجُهَا بِقَطْعِ الْغِذَاءِ  
 عَنِ الْمَرِيضِ أَسَابِيعَ مَعْلُومَةٍ ثُمَّ يَتَنَاوَلُ الْأَغْذِيَّةَ الْمَلَأَمَةَ حَتَّى يَنْتَمِ بِرُؤُوسِهِ ذَلِكَ فِي  
 حَالِ الْعِيَةِ عِلَاجٌ فِي التَّحْفِظِ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ يَكُونُ  
 ذَلِكَ الْعَفْنُ فِي غُضُو مَخْصُوصٍ فَيَتَوَلَّدُ عَنْهُ مَرَضٌ فِي ذَلِكَ الْعُضْوِ وَيَعْدُثُ جِرَاحَاتٌ فِي  
 الْبَدَنِ إِمَّا فِي الْأَعْضَاءِ الرَّئِيسِيَّةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا وَقَدْ يَمْرُضُ الْعُضْوُ وَيَعْدُثُ عَنْهُ مَرَضٌ  
 الْقَوَى الْمَوْجُودَةُ لَهُ هُنَا كَلَّهَا جُمَاعُ الْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهَا فِي الْقَالِبِ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ وَهَذَا  
 كُلُّهُ مَرْفُوعٌ إِلَى الطَّيِّبِ وَوُفُوعٌ هُنَا الْأَمْرَاضِ فِي (أَهْلِ) الْخَصْرِ وَالْأَمْصَارِ أَكْثَرُ  
 لِحَصْبِ عَيْشِهِمْ وَكَثْرَةِ مَا كُلُّهُمْ وَقَلَّةِ انْتِصَارِهِمْ عَلَى فَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ وَنَدَمِ  
 تَوْفِيئِهِمْ لِتَنَاوُلِهَا وَكَثِيرًا مَا يَخْطِئُونَ بِالْأَغْذِيَّةِ مِنَ التَّوَابِلِ وَالْقُفُولِ وَالْفَوَاحِي رَحَابًا وَبَابًا  
 فِي سَبِيلِ الْعِلَاجِ بِالطَّبْعِ وَلَا يَقْتَصِرُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى نَوْعٍ أَوْ أَنْوَاعٍ قَرُبًا عَدَدًا فِي  
 الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مِنَ أَلْوَانِ الطَّبْعِ أَرْبَعِينَ نَوْعًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ فَيَصِيرُ الْغِذَاءُ مَزَاجٌ  
 غَرِيبٌ وَرُبَّمَا يَكُونُ غَرِيبًا عَنْ مَلَأَمَةِ الْبَدَنِ وَأَجْزَائِهِ ثُمَّ إِنْ الْأَهْوِيَّةُ فِي الْأَمْصَارِ

تَقْسُدُ بِحَاطَةِ الْأَجْزَةِ الْعَفَنَةِ مِنْ كَثَرَةِ الْقَضَلَاتِ وَالْأَهْوِيَةِ مُنْشِطَةً لِلْأَرْوَاحِ وَمُقَوِّةً  
بِنَشَاطِهَا الْأَثَرَ الْحَارَّ الْغَرِيزِيَّ فِي الْهَضْمِ ثُمَّ الرِّيَاضَةَ مَقْقُودَةً لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ إِذْ هُمْ  
فِي الْقَالِبِ وَادِعُونَ سَاكِئُونَ لَا تَأْخُذُ مِنْهُمْ الرِّيَاضَةُ شَيْئًا وَلَا تُؤْثِرُ فِيهِمْ أَثَرًا فَكَانَ  
وُقُوعُ الْأَمْرَاضِ كَثِيرًا فِي الْعَدُنِ وَالْأَمْصَارِ وَعَلَى قَدَرِ وَقْعِهِ كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى هَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدَنِ فَمَا كَوَّلَهُمْ قَلِيلٌ فِي الْقَالِبِ وَالْجُوعِ أَغْلَبَ عَلَيْهِمْ لِقَلَّةِ الْحُبُوبِ  
حَتَّى صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ عَادَةً وَرُبَّمَا يُظَنُّ أَنَّهَا جَبِلَةٌ لِاسْتِمْرَارِهَا ثُمَّ الْأَدَمُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ  
أَوْ مَقْقُودَةٌ بِالْجُمْلَةِ وَعِلَاجُ الطَّبِخِ بِالتَّوَابِلِ وَالْفَوَاحِشِ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَى تَرْفِ الْخِصَارَةِ  
الَّذِينَ هُمْ بِمَعزُولٍ عَنْهُ فَيَتَوَلَّوْنَ أَغْيَبَتَهُمْ بِبَسِطَةٍ بَعِيدَةٍ عَمَّا يُحَالِطُهَا وَيَقْرُبُ مَرَاجِعَهَا  
مِنْ مَلَأَمَةِ الْبَدَنِ وَأَمَّا أَهْوِيَتُهُمْ فَقَلِيلَةُ الْعَفَنِ لِقَلَّةِ الرُّطُوبَاتِ وَالْعُقُوفَاتِ إِنْ كَانُوا  
ظَوَاعِنَ ثُمَّ إِنْ الرِّيَاضَةُ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ لِكَثَرَةِ الْحَرَكَةِ فِي رَكْضِ الْخَيْلِ أَوْ الصَّيْدِ أَوْ  
طَلَبِ الْحَاجَاتِ لِمَنْدَةِ أَنْفُسِهِمْ فِي حَاجَاتِهِمْ فَيَحْسُنُ بِذَلِكَ كُلُّهُ الْهَضْمُ وَيَجُودُ وَيُقَقَّدُ  
إِذْ خَالَ الطَّعَامُ عَلَى الطَّعَامِ فَتَكُونُ أَمْرَجَتُهُمْ أَصْلَحَ وَابْعَدَ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَتَقِلَّ حَاجَتُهُمْ  
إِلَى الطَّبِّ وَلِهَذَا لَا يَجُودُ الطَّبِيبُ فِي الْبَادِيَةِ بِوَجْهِهِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ إِذْ  
لَوْ أَحْتِيجَ إِلَيْهِ لَوَجِدَ لِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ يَذَلِكُ فِي الْبَدَنِ مَعَاشٌ يَدْعُوهُ إِلَى سَكْنَاهُ سَنَهُ اللَّهُ  
فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ سَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا

### الفصل الثلاثون

في ان الخط والكثابة من عداد الصنائع الانسانية

وَهُوَ رُسُومٌ وَأَشْكَالٌ حَرْفِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الْكَلِمَاتِ الْمَسْمُوعَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ  
فَهُو ثَانِي رُتْبَةٍ مِنَ الدَّلَالَةِ الْقَوِيَّةِ وَهُوَ صِنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ إِذِ الْكِتَابَةُ مِنْ خَوَاصِّ الْإِنْسَانِ  
الَّتِي يُمَيِّزُ بِهَا عَنِ الْحَيَوَانِ وَابْتِغَاءُ قَهْرٍ تَطْلُعُ عَلَى مَا فِي الْأَصْمَارِ وَتَتَأَدَّى بِهَا الْأَغْرَاضُ  
إِلَى الْإِلَادِ الْبَعِيدَةِ فَتَمْتَصِّي الْحَاجَاتِ وَقَدْ دَفَعَتْ مَوْنَهُ الْمُبَاشَرَةَ لَهَا وَيُطْلَعُ بِهَا عَلَى الْعُلُومِ  
وَالْأَمْعَارِ وَصَحْبِ الْأَوَّلِينَ وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ فِي شَرِيفَةِ يَهْدِيهِ الْوُجُوهُ  
وَالْمَنَافِعِ وَخِرُوجُهَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّعْلِيمِ وَعَلَى قَدَرِ  
الْإِجْتِمَاعِ وَالْعُمُرَانِ وَالتَّنَاقُصِ فِي الْكَمَالَاتِ وَالطَّلَبِ لِذَلِكَ تَكُونُ جُودَةُ الْخَطِّ فِي  
الْمَدِينَةِ إِذْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا شَأْنُهَا وَأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْعُمُرَانِ وَلِهَذَا

يُحَدِّثُ أَكْثَرَ الْبَدَوِيِّينَ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ وَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ أَوْ كَتَبَ فَيَكُونُ  
خَطُّهُ قَاصِرًا أَوْ قَرَأَهُ غَيْرَ نَافِذَةٍ وَيُحَدِّثُ تَعْلِيمَ الْخَطِّ فِي الْأَمْصَارِ الْخَارِجِ غَيْرَ نَافِذَةٍ  
أَلْفُ الْبَلِّغِ وَأَحْسَنُ وَأَمْهَلُ طَرِيقًا لِاسْتِحْكَامِ الصَّنِيعَةِ فِيهَا كَمَا يُعْجَى لَنَا عَنْ مِصْرَ  
لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَنَّ بِهَا مُعَلِّمِينَ مُنْتَصِبِينَ لِتَعْلِيمِ الْخَطِّ يَقُومُونَ عَلَى الدِّعَالِ قَوَائِدِ وَأَحْكَامًا  
فِي وَضْعِ كُلِّ حَرْفٍ وَيَزِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَبَاشَرَةَ بِتَعْلِيمِ وَضْعِهِ فَتَعْتَصِدُ لَدَيْهِ رِثَةُ الْعِلْمِ  
وَالْحُسْنِ فِي التَّعْلِيمِ وَتَأْتِي مَلَكَتُهُ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَإِنَّمَا آتَى مِثْلًا مِنْ كَمَالِ الصَّنَائِعِ  
وَوُفُورِهَا بِكَثَرَةِ الْعُمَرَاءِ وَالْفَسَاحِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ كَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ بِالْعِلْمِ مَبَالِغَهُ  
مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِنْفَانِ وَالْجُودَةِ فِي دَوْلَةِ الْبَابِغَةِ مَا بَلَغَتْ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالْزُخْرَفِ وَهُوَ  
الْمُسَمَّى بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الْحِيرَةِ لِمَا كَانَ بِهَا مِنْ دَوْلَةِ آلِ الدُّنْدِيرِ  
نُسْبَاءَ الْبَابِغَةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ وَالْحَبَشِيِّينَ لِمَلِكِ الْعَرَبِ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْخَطُّ عِنْدَهُمْ  
مِنَ الْإِجَادَةِ كَمَا كَانَ عِنْدَ الْبَابِغَةِ لِقُصُورِ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَكَانَتْ الْحِضَارَةُ وَتَوَابِعُهَا  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا قَاصِرَةً عَنْ ذَلِكَ وَمِنَ الْحِيرَةِ لِقُنَّةِ أَهْلِ الطَّائِفِ وَفُرَيْشٍ فِيمَا ذَكَرَ  
وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ مِنَ الْحِيرَةِ هُوَ سَقِيَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَيُقَالُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ  
وَأَخَذَهَا مِنْ أَسْلَمَ بْنِ سُدْرَةَ وَهُوَ قَوْلُ مُسْكِنٍ وَأَقْرَبُ مِنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوهَا  
مِنْ إِيَادَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِقَوْلِ شَاعِرِهِمْ

قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَدِيعًا وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ

وَهُوَ قَوْلٌ بَعِيدٌ لِأَنَّ إِيَادَ وَإِنْ تَزَلُّوا سَاحَةَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يَزَلُوا عَلَى شَأْنِهِمْ مِنَ الْيَدَاوَةِ  
وَالْخَطِّ مِنَ الصَّنَائِعِ الْحَمِيرِيَّةِ وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْخَطِّ وَالْقَلَمِ  
مِنَ الْعَرَبِ لِقُرْبِهِمْ مِنْ سَاحَةِ الْأَمْصَارِ وَضَوَائِحِهَا فَالْقَوْلُ بِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ إِنَّمَا لَقِنُوهَا  
مِنَ الْحِيرَةِ وَلَقِنَهَا الْحِيرَةُ مِنَ الْبَابِغَةِ وَحَمِيرٌ هُوَ الْأَلْبَقُ مِنَ الْأَنْوَالِ وَكَانَ لِحَمِيرٍ كِتَابَةُ  
تُسَمَّى الْمُسْنَدَ حُرُوفُهَا مُنْفَصِلَةٌ وَكَانُوا يَتِمُّونَ مِنْ تَعَلُّمِهَا إِلَّا بِأَذْنِهِمْ وَمِنْ حَمِيرٍ تَعَلَّمَتْ  
مِصْرُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُحَدِّثُونَ لَهَا شَأْنَ الصَّنَائِعِ إِذَا وَقَّتْ بِالْبَدَوِ  
فَلَا تَكُونُ مُحْكَمَةً الْمَذَاهِبِ وَلَا مَائِلَةً إِلَى الْإِنْفَانِ وَالْتِمَاقِ لِيُؤْنِ مَا بَيْنَ الْبَدَوِ  
وَالصَّنَاعَةِ وَاسْتَفْنَاءِ الْبَدَوِ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ وَكَانَتْ كِتَابَةُ الْعَرَبِ بِدَوِيَّةٍ مِثْلَ كِتَابَتِهِمْ أَوْ  
قَرِيبًا مِنْ كِتَابَتِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَوْ نَقُولُ إِنَّ كِتَابَتَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْسَنُ صِنَاعَةٍ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ



أَقْرَبُ إِلَى الْخِصْرَةِ وَمُخَالَطَةِ الْأَمْصَارِ وَالْأَدُولِ وَأَمَّا مُضَرٌّ فَكَانُوا أَعْرَقَ فِي الْبَدْوِ وَأَبْنَدَ  
عَنِ الْخَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ فَكَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ لِأَوَّلِ  
الْإِسْلَامِ غَيْرَ بَالِغٍ إِلَى الْغَايَةِ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْإِجَادَةِ وَلَا إِلَى التَّوَسُّطِ  
لِمَكَانِ الْعَرَبِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالتَّوَحُّشِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَنْظُرْ مَا وَفَّعَ لِأَجْلِ ذَلِكَ  
فِي رِسْمِهِمُ الْمُضْحَفِ حَيْثُ رَسَمَهُ الصَّحَابَةُ يُخَطُّوهُمْ وَكَانَتْ غَيْرَ مُسْتَحْكِمَةٍ فِي الْإِجَادَةِ  
فَخَالَفَ الْكَثِيرُ مِنْ رُسُومِهِمْ مَا أَقْتَضَتْهُ رُسُومُ صِنَاعَةِ الْخَطِّ عِنْدَ أَهْلِهَا ثُمَّ أَقْتَضَى التَّابِعُونَ  
مِنْ السَّلَافِ رِسْمَهُمْ فِيهَا تَبَرُّكَ كَمَا بَيَّانَ رِسْمُهُ أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَيْرُ  
الْخَلْفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ الْمُتَلَفُونَ لِوَحْيِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ كَمَا يَقْتَضِي لِهَذَا الْهَدْيِ خَطُّ وَلِيِّ  
أَوْ عَالِمٍ تَبَرُّكَ كَمَا وَتَبَّعَ رِسْمُهُ خَطًّا أَوْ صَوَابًا وَأَيْنَ نِسْبَةُ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِيمَا كَتَبُوهُ  
فَاتَّبَعَ ذَلِكَ وَاتَّبَتْ رِسْمًا وَتَبَّهَ الْعُلَمَاءُ بِالرَّسْمِ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَلَا تَلَفَنَ فِي ذَلِكَ إِلَى مَا  
يَزَعُمُهُ بَعْضُ الْمُغْتَلِبِينَ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُحْكِمِينَ لِصِنَاعَةِ الْخَطِّ وَأَنَّ مَا يَتَخِيلُ مِنْ  
مُخَالَفَةِ خُطُوطِهِمْ لِأَصُولِ الرَّسْمِ لَيْسَ كَمَا يَتَخِيلُ بَلْ لِكُلِّهَا وَجْهٌ يَقُولُونَ فِي مِثْلِ  
زِيَادَةِ الْأَلْفِ فِي لَا أَذْجَعُهُ إِنَّهُ تَنَبُّهُ عَلَى أَنَّ الدَّجْعَ لَمْ يَقَعْ فِي زِيَادَةِ الْبَاءِ فِي بَابِيَدَ  
إِنَّهُ تَنَبُّهُ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَمَّا ذَلِكَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ إِلَّا التَّكْصُّفُ  
الْمُخَصَّصُ وَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اعْتِقَادُكُمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْزِيهًا لِلصَّحَابَةِ عَنْ تَوْحُّمِ  
النَّقْصِ فِي فَلِهَ إِجَادَةِ الْخَطِّ وَحَسِبُوا أَنَّ الْخَطَّ كَمَالٌ فَتَزَهُوهُمْ عَنْ نَقْصِهِ وَنَسَبُوا إِلَيْهِمْ  
الْكَمَالَ بِإِجَادَتِهِ وَطَلَبُوا تَعْلِيلَ مَا خَالَفَ الْإِجَادَةَ مِنْ رِسْمِهِ وَذَلِكَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ .  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَطَّ لَيْسَ بِكَمَالٍ فِي حَقِّهِمْ إِذِ الْخَطُّ مِنْ جُدَّةِ الصَّنَائِعِ الْمَدَنِيَّةِ الْمَعَاشِيَةِ  
كَمَا رَأَيْتُهُ فِيمَا مَرَّ وَالْكَمَالُ فِي الصَّنَائِعِ أَضَافِي بِكَمَالٍ مُطْلَقٍ إِذَا لَا يَبْعُدُ نَقْصُهُ عَلَى  
الذَّاتِ فِي الدِّينِ وَلَا فِي الْخِلَالِ وَإِنَّمَا يَبْعُدُ عَلَى أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَبِحَسَبِ التَّمَرُّنِ وَالْتِمَاضِ  
عَلَيْهِ لِأَجْلِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِّيًّا وَكَانَ  
ذَلِكَ كَمَالًا فِي حَقِّهِ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِهِ لِشَرَفِهِ وَتَزَهُوهِ عَنِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ  
أَسْبَابُ الْمَعَاشِ وَالتَّمَرُّنِ كُلُّهَا وَابْتَسَتْ الْأُمِّيَّةُ كَمَالًا فِي حَقِّهَا تَحْنٌ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَى  
رَبِّهِ وَتَحْنٌ مُتَعَاوِنُونَ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا حَتَّى الْعُلُومِ الْأَصْطِلَاحِيَّةِ فَإِنَّ  
الْكَمَالَ فِي حَقِّهِ هُوَ تَزَهُوُهُ عَنْهَا جُمْلَةً بِخِلَافِ مَا لَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ الْعَرَبِ وَقَعُوا

الْأَمْصَارَ وَمَلَكَوا أَلْأَمَالِكَ وَنَزَلُوا الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَأَخْتَجَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى الْكِتَابَةِ  
 اسْتَعْمَلُوا أَلْخَطَّ وَطَلَبُوا صِنَاعَتَهُ وَتَعَلَّمُوا وَتَدَاوَلُوهُ فَتَرَفَّتِ الْإِجَادَةُ فِيهِ وَاسْتَحْكَمَ وَبَلَغَ  
 فِي الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ رُتْبَةً مِنَ الْإِثْقَانِ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ دُونَ الْغَايَةِ وَالْخَطُّ الْكُوفِيُّ  
 مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ ثُمَّ انْتَشَرَ الْعَرَبُ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَمَالِكِ وَافْتَحُوا أَفْرَيقِيَّةَ  
 وَالْأَنْدَلُسَ وَأَخْطَطَ بَنُو الْعَبَّاسِ بَغْدَادَ وَتَرَفَّتِ الْخَطُوطُ فِيهَا إِلَى الْغَايَةِ لَمَّا اسْتَجَرَّتْ فِي  
 الْعُمُرَانِ وَكَانَتْ دَارَ الْإِسْلَامِ وَمَرْكَزَ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ الْخَطُّ الْبَغْدَادِيُّ مَعْرُوفَ  
 الرَّسْمِ وَنِيْعَةً الْآفَرِيقِيِّ الْمَعْرُوفِ رَسْمُهُ الْقَدِيمُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَيَقْرُبُ مِنْ أَوْضَاعِ الْخَطِّ  
 الْمَشْرِقِيِّ وَتَحْيِيزِ مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ بِالْأَوْبِيِّينَ فَتَمَيَّزُوا بِأَحْوَالِهِمْ مِنَ الْحِزَاوَةِ وَالصَّنَائِعِ  
 وَالْخَطُوطِ فَتَمَيَّزَ صِنْفُ خَطِّهِمُ الْأَنْدَلُسِيُّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَطَمًا بَحْرُ  
 الْعُمُرَانِ وَالْحِزَاوَةِ فِي الدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ قَطْرٍ وَعِظَامِ الْمَلِكِ وَتَفَقَّتْ أَسْوَاقُ  
 الْعُلُومِ وَانْتَشَخَتْ الْكُتُبُ وَأُجِيدَ كَتَبُهَا وَتَجَلِيدُهَا وَمِلَّتْ بِهَا الْقُصُورُ وَالْخَزَائِنُ  
 الْمُلُوكِيَّةُ بِمَا لَا كِفَاءَ لَهُ وَتَنَافَسَ أَهْلُ الْأَقْطَارِ فِي ذَلِكَ وَتَنَافَعُوا فِيهِ ثُمَّ لَمَّا انْهَكَ نِظَامُ  
 الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنَاقَصَتْ تَنَاقَصَ ذَلِكَ أَجْمَعُ وَدُرِسَتْ مَعَالِمُ بَغْدَادَ بِدُرُوسِ الْخِلَافَةِ  
 فَأَنْتَقَلَ شَأْنُهَا مِنَ الْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ بَلْ وَالْعِلْمِ إِلَى بَصْرَ وَالْقَاهِرَةِ فَلَمْ تَزَلْ أَسْوَاقُهَا بِهَا  
 نَافِقَةً لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ بِهَا مُعَلِّمُونَ يَرْتَمُونَ لِتَعْلِيمِ الْحُرُوفِ بِقَوَانِينِ فِي وَضْعِهَا وَأَشْكَالِهَا  
 مَتَعَارِفَةً بَيْنَهُمْ فَلَا يَلْبَثُ الْمُعَلِّمُ أَوْ يُعَلِّمُ أَشْكَالَ تِلْكَ الْحُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَوْضَاعِ  
 وَقَدْ لَقِنَهَا حَسَنًا وَحَذَقَ فِيهَا دُرْبَةً وَكِتَابًا وَأَخَذَهَا قَوَانِينُ عِلْمِيَّةٍ فَتَحِيَّ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ  
 وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَفْتَرَقُوا فِي الْأَقْطَارِ عِنْدَ تِلَاثِي مَلِكِ الْعَرَبِ بِهَا وَمَنْ خَلَقَهُمْ مِنَ  
 الْأَبَرِّ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمْ أُمُ الْبَصْرَانِيَّةِ فَانْتَشَرُوا فِي عُدُوِّ الْمَغْرِبِ وَأَفْرَيقِيَّةِ مِنَ لَدُنِ  
 الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَشَارَكُوا أَهْلَ الْعُمُرَانِ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الصَّنَائِعِ وَتَعَلَّقُوا  
 بِأَذْيَالِ الدَّوْلَةِ فَغَلَبَ خَطُّهُمْ عَلَى الْخَطِّ الْآفَرِيقِيِّ وَعَفَى عَلَيْهِ وَنُسِيَ خَطُّ الْقَاهِرَةِ  
 وَالْمَهْدِيَّةِ بِبَنِيكَانِ عَوَائِدِهِمَا وَصَنَائِعِهِمَا وَصَارَتْ خَطُوطُ أَهْلِ أَفْرَيقِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الرَّسْمِ  
 الْأَنْدَلُسِيِّ بِبُنُوسٍ وَمَا إِلَيْهَا لِتَوْفُرِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِهَا عِنْدَ الْجَالِيَّةِ مِنْ مَرَقِ الْأَنْدَلُسِ  
 وَبَقِيَ مِنْهُ رَسْمُ بِلَادِ الْأَجْرِيدِ الَّذِينَ لَمْ يَخَالِطُوا كُتَابَ الْأَنْدَلُسِ وَلَا تَمَرَّسُوا بِبُحُورِهِمْ  
 إِنَّمَا كَانُوا يَقْدُونُ عَلَى دَارِ الْمَلِكِ بِبُنُوسٍ فَصَارَ خَطُّ أَهْلِ أَفْرَيقِيَّةِ مِنْ أَحْسَنِ خَطُوطِ

أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى إِذَا انْقَلَصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ الْمُوَحَّدِيَّةِ بَعْضُ الشَّيْءِ وَتَرَاجَعَ أَمْرُ الْحِضَارَةِ  
وَالزَّرْفِ يَتَرَجَّعُ الْعُمَرَانُ نَقَصَ حَيْثُ كَانَ الْخَطُّ وَقَسَدَتْ رُسُومُهُ وَجْهٌ فِيهِ وَجْهٌ  
التَّعْلِيمِ يَفْسَدُ الْحِضَارَةُ وَتَنَاقَصَ الْعُمَرَانُ وَبَقِيَ فِيهِ آثَارُ الْخَطِّ الْأَنْدَلُسِيِّ تَشْهَدُ بِمَا  
كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الصَّنَائِعَ إِذَا رَسَخَتْ بِالْحِضَارَةِ فَيَعْسُرُ تَحْوِيلُهَا  
وَحَصَلَ فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرُوتٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى لَوْ أَنَّ الْخَطَّ الْأَنْدَلُسِيَّ  
لِقُرْبِ جِزَارِهِمْ وَسُقُوطِ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى فَارِسَ قَرِيبًا وَاسْتَعْمَالِهِمْ إِيَّاهُمْ سَائِرَ  
الدَّوْلَةِ وَلَيْسِي عَهْدُ الْخَطِّ فِيمَا بَعْدَ عَنْ سِدَّةِ الْمُلْكِ وَدَارِهِ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ فَصَارَتْ الْخُطُوطُ  
بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِيِّينَ مَائِلَةً إِلَى الرَّدَاءَةِ بَعِيدَةً عَنِ الْجُودَةِ وَصَارَتْ الْكُتُبُ إِذَا  
انْتَسَخَتْ فَلَا فَائِدَةَ تَحْصُلُ لِمُصَفِّحِهَا مِنْهَا إِلَّا الْعَنَاءُ وَالْمَشَقَّةُ اكْتَرَتْ مَا بَقِيَ فِيهَا مِنْ  
الْفَسَادِ وَالْتَفَهِيفِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْكَالِ الْخَطِّيَّةِ عَنِ الْجُودَةِ حَتَّى لَا تَكَادُ تُقْرَأُ إِلَّا بَعْدَ  
عُسْرِ وَوَقَعُ فِيهِ مَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ يَنْقُصُ الْحِضَارَةُ وَقَسَدَ الدُّوَلُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والثلاثون

### في صناعة الوراقة

كَانَتْ الْعِمَانَةُ قَدِيمًا بِالْبُلْدَانِ الْعِلْمِيَّةِ وَالسِّيَرَاتِ فِي تَنْخِيهِهَا وَتَجْلِيدِهَا وَتَضْيِيقِهَا  
بِالزَّوَايَةِ وَالضَّبْطِ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ ضَخَامَةِ الدَّوْلَةِ وَتَوَابِعِ الْحِضَارَةِ وَقَدْ ذَهَبَ  
ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ يَذْهَبُ الدَّوْلَةُ وَتَنَاقُصُ الْعُمَرَانُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْهُ فِي الْعِلْمِ إِلَّا سَلَامِيَّةً  
بِحَرِّ زَاخِرٍ بِالْعِرَاقِ وَالْأَنْدَلُسِ إِذْ هُوَ كُلُّهُ مِنْ تَوَابِعِ الْعُمَرَانِ وَاتَّسَاعِ نِطَاقِ الدَّوْلَةِ  
وَتَفَاقِ اسْتَوَاقِ ذَلِكَ لَدَيْهِمَا فَكَثُرَتْ التَّالِيفَاتُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْبُلْدَانُ وَحَرَّ مِنَ النَّاسِ عَلَى  
تَنَاقُلِهِمَا فِي الْأَفَاقِ وَالْأَعْصَارِ فَانْتَسَخَتْ وَجِلْدَتْ وَجَاءَتْ صِنَاعَةُ الْوَرَقَانِ الْعَمَانِيْنَ  
لِلْإِنْتِسَاخِ وَالْتَضْيِيقِ وَالتَّجْلِيدِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْكِتَابِيَّةِ وَالْبُلْدَانُ وَأَخْضَتْ بِالْأَمْصَارِ  
الْعَظِيمَةِ الْعُمَرَانُ وَكَانَتْ السِّيَرَاتُ أَوَّلًا لِلْإِنْتِسَاخِ الْعِلْمِ وَكُتِبَ الرِّسَالُ السُّلْطَانِيَّةُ  
وَالْإِفْطَاتَاتُ وَالصُّكُوكُ فِي الرُّفُوقِ الْمُهَيَّأَةِ بِالصِّنَاعَةِ مِنَ الْجِلْدِ لِكَثْرَةِ ارْتِفَاعِ وَقَلَّةِ  
الرِّسَالِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالصُّكُوكِ مَعَ ذَلِكَ فَافْتَعَرُوا عَلَى الْكِتَابِ فِي الرِّقِّ تَشْرِيقًا  
لِلْمَكْتُوبَاتِ وَمِثْلًا بِهَا إِلَى الصِّحْفَةِ وَالْإِنْفَانِ ثُمَّ طَمَحَ بِحَرِّ التَّالِيفِ وَالتَّنْدُونِ وَكَثُرَ  
تَرْسِيلُ السُّلْطَانِ وَصُكُوكُهُ وَضَاقَ الرِّقُّ عَنْ ذَلِكَ فَأَشَارَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بِصِنَاعَةِ

الكَافَّةِ وَصَنَعَهُ وَكَتَبَ فِيهِ رَسَائِلُ السُّلْطَانِ وَصُكُوكُهُ وَاتَّخَذَهُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ  
 حُفْطًا لِمَكْتُوبَاتِهِمُ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَبَلَغَتْ الْإِجَادَةُ فِي صِنَاعَتِهِ مَا شَاءَتْ ثُمَّ وَقَفَتْ  
 عَنَائَةُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَهُمْ أَهْلُ الدُّلَى عَلَى ضَبْطِ الدُّوَاوِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَتَفْصِيحِهَا بِالرِّوَايَةِ  
 الْمُسْنَدَةِ إِلَى مَوْلَاهُمَا وَوَاضِعِيهَا لِأَنَّهُ الشَّانُ الْأَمُّ مِنَ التَّصْحِيحِ وَالضَّبْطِ فَبِذَلِكَ تَسْنُدُ  
 الْأَقْوَالِ إِلَى قَائِلِهَا وَالْفَتْيَا إِلَى الْحَاكِمِ بِهَا الْعُجْمِيدِ فِي طَرِيقِ اسْتِنَابَاتِهَا وَمَا لَمْ يَكُنْ  
 تَصْحِيحُ الْمُتُونِ بِإِسْنَادِهَا إِلَى مَدُونِهَا فَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُ قَوْلِ لَهُمْ وَلَا فِتْيَا وَهَكَذَا كَانَ  
 شَأْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحَمَلَتْهُ فِي الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ وَالْآفَاقِ حَتَّى لَقَدْ قُصِرَتْ فَائِدَةُ الصِّنَاعَةِ  
 الْحَدِيثِيَّةِ فِي الرِّوَايَةِ عَلَى هَذِهِ فَقَطْ إِذْ تَمَرَّتْهَا الْكِبَرَى مِنْ مَعْرِفَةِ تَصْحِيحِ الْأَحَادِيثِ  
 وَحُسْنِهَا وَمُسْنَدِهَا وَمُرْسَلِهَا وَقَطُوعِهَا وَمَوْفُوفِهَا مِنْ مَوْضِعِهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَتَخَفَّتْ زُبْدَةُ  
 فِي ذَلِكَ الْأُمَمَاتِ الْمُتَقْلَاةِ بِالْقَبُولِ عِنْدَ الْأُمَمِ وَصَارَ الْقَصْدُ إِلَى ذَلِكَ لِقَوَامِ الْعَمَلِ  
 وَلَمْ تَبْقَ ثَمَرَةُ الرِّوَايَةِ وَالْإِسْتِغَالِ بِهَا إِلَّا فِي تَصْحِيحِ تِلْكَ الْأُمَمَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ وَسِوَاهَا  
 مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ الْفَتْيَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدُّوَاوِينِ وَالتَّالِيفِ الْعِلْمِيَّةِ وَاتِّصَالِ سَنَدِهَا  
 بِمَوْلَاهُمَا لِيَصِحَّ النُّقْلُ عَنْهُمْ وَالْإِسْنَادُ إِلَيْهِمْ وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
 مُعْبَدَةً الطَّرِيقِ وَامْتِنَاعَ الْمَسَالِكِ وَلِهَذَا تَجِدُ الدُّوَاوِينَ الْمُنْتَسِخَةَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي أَقْطَارِهِمْ  
 عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ وَالصَّحَّةِ وَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَيْدِي النَّاسِ فِي الْعَالَمِ  
 أُصُولٌ عَتِيقَةٌ تَشْهَدُ بِبُلُوغِ الْغَايَةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْآفَاقِ يَتَنَاقَلُونَهَا إِلَى الْآنَ  
 وَيَشُدُّونَ عَلَيْهَا يَدَ الضَّمَانَةِ وَلَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ لِهَذَا الْعَهْدِ جَمَلَةً بِالْمَغْرِبِ وَأَهْلِهِ  
 لَا تَقْطَاعَ صِنَاعَةِ الْخَطِّ وَالضَّبْطِ وَالرِّوَايَةِ مِنْهُ بِاتِّقَاصِ عُمَرَانِهِ وَبِدَاوَةِ أَهْلِهِ وَصَارَتْ  
 الْأُمَمَاتُ وَالْدُّوَاوِينُ تُنَسَّخُ بِالْخَطِّ الْيَدَوِيِّ تَنْسَخُهَا طَلَبَةُ الْبَرِّ صَحَائِفُ مُسْتَحْجَمَةٍ بِرَدَاةِ  
 الْخَطِّ وَكَثْرَةِ الْفَسَادِ وَالتَّخْفِيفِ فَتَسْتَغْلِقُ عَلَى مَنْصِفِهَا وَلَا يَحْصُلُ مِنْهَا فَائِدَةٌ إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
 الْكَادِرِ وَأَيْضًا فَقَدْ دَخَلَ الْخَلَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْفَتْيَا فَإِنَّ غَالِبَ الْأَقْوَالِ الْمَعْرُوءَةِ غَيْرُ مَرْوِيَةٍ  
 عَنْ أَيْمَةِ الْمَذْهَبِ وَإِنَّمَا تُلْتَقَى مِنْ تِلْكَ الدُّوَاوِينِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَتَبَعَ ذَلِكَ أَيْضًا مَا  
 يَبْصُرُ إِلَيْهِ بَعْضُ أَيْمَتِهِمْ مِنَ التَّالِيفِ لِقَلَّةِ بَصَرِهِمْ بِصِنَاعَتِهِ وَعَدَمِ الصَّنَاعَةِ الْوَاقِفَةِ  
 بِعِقَاصِيدِهِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الرَّمْزِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَّا نَارَةٌ خَفِيَّةٌ بِالْإِتِّحَادِ وَهِيَ الْأَضْحَالُ  
 فَقَدْ كَادَ الْعِلْمُ يَقْطَعُ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ

أَنَّ صِنَاعَةَ الرَّوَابِيَةِ قَائِمَةٌ بِالْمَشْرِقِ وَتَصْنِيعُ الدَّوَابِّ لِمَنْ يَرُومُهُ بِذَلِكَ مَهْلٌ عَلَى  
مُبْتَغِيهِ لِمَتَأَقِ اسْتَوَاقِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ كَمَا نَدَّ كُرُهُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّ الْخَطَّ الَّذِي بَقِيَ مِنَ  
الْإِجَادَةِ فِي الْإِتْسَاحِ هُنَاكَ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّحْمِيمِ وَفِي خُطُوطِهِمْ وَأَمَّا النَّسْخُ بِحَصْرِ فَسَدَ  
كَمَا فَسَدَ بِالْمَغْرِبِ وَأَسَدَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني والثلاثون

### في صناعة الغناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي تَلْحِينِ الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ بِتَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ عَلَى نِسَبٍ مُنْتَظِمَةٍ  
مَعْرُوفَةٍ يُوقَعُ كُلُّ صَوْتٍ مِنْهَا تَوْقِيعًا عِنْدَ قَطْعِهِ فَيَكُونُ نَغْمَةً ثُمَّ تَوَافَتْ تِلْكَ النِّغْمُ بَعْضُهَا  
إِلَى بَعْضٍ عَلَى نِسَبٍ مُتَعَارِفَةٍ فَيَلْتَمِزُ مِمَّا عَمَّا لِأَجْلِ ذَلِكَ التَّنَاسُبِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنْ  
الْكَيْفِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي عِلْمِ الْمُوسِيقِيِّ أَنَّ الْأَصْوَاتَ تَنْتَسِبُ  
فَيَكُونُ صَوْتٌ نِصْبِ صَوْتٍ وَرُبْعِ آخَرَ وَخُمْسِ آخَرَ وَجُزْءٍ مِنْ أَحَدِ عَشَرَ مِنْ آخَرَ  
وَاخْتِلَافُ هَذِهِ النِّسَبِ عِنْدَ تَأْدِيَتِهَا إِلَى السَّمْعِ بِمُزْجِجِهَا مِنَ النَّسَاطَةِ إِلَى التَّرْكِيبِ  
وَلَيْسَ كُلُّ تَرْكِيبٍ مِنْهَا مَلْدُودًا عِنْدَ السَّمْعِ بَلْ لِلْمَلْدُودِ تَرْكَابٌ خَاصَّةٌ وَهِيَ الَّتِي حَصَرَهَا  
أَهْلُ عِلْمِ الْمُوسِيقِيِّ وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهَا كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ بَسَّاقُ ذَلِكَ التَّلْحِينُ  
فِي النِّغَمَاتِ الْغَنَائِيَّةِ بِتَقْطِيعِ أَصْوَاتٍ أُخْرَى مِنَ الْجَمَادَاتِ إِمَّا بِالْقَرْعِ أَوْ بِالنَّفْخِ فِي  
الْآلَاتِ يُنْخَدُّ لِذَلِكَ قَارِي لَهَا لَذَّةٌ عِنْدَ السَّمْعِ فَيُنْهَى لِهَذَا الْعَهْدِ أَصْنَافٌ مِنْهَا مَا يُسَمُّوهُ  
الشَّبَابَةَ وَهِيَ قَصَبَةُ جَوْفَاهُ بِالْإِنْجَاشِ فِي جَوَانِبِهَا مَعْدُودَةٌ يُنْفَخُ فِيهَا فَتُصَوِّتُ فَيَخْرُجُ الصَّوْتُ  
مِنْ جَوْفِهَا عَلَى سِدَادِهِ مِنْ تِلْكَ الْإِنْجَاشِ وَيَقْطَعُ الصَّوْتُ بِوَضْعِ الْأَصَابِعِ مِنَ الْيَدَيْنِ  
جَمِيعًا عَلَى تِلْكَ الْإِنْجَاشِ وَضْعًا مُتَعَارَفًا حَتَّى يَحْدُثَ النِّسَبُ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ فِيهِ وَتُتَّصِلَ  
كَذَلِكَ مُتَنَاسِبَةً فَيَلْتَمِزُ السَّمْعُ بِإِدْرَاكِهَا لِلتَّنَاسُبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ جِنَاسِ هَذِهِ  
الْآلَةِ الْمِزْمَارُ الَّذِي يُسَمَّى الرِّزْلَامِي وَهُوَ شَكْلُ الْقَصَبَةِ مُخَوَّاتِ الْجَانِبَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ  
جَوْفَاهُ مِنْ غَيْرِ تَدْوِيرٍ لِأَجْلِ اخْتِلَافِهَا مِنْ قِطْعَتَيْنِ مُتَفَرِدَتَيْنِ كَذَلِكَ بِالْإِنْجَاشِ مَعْدُودَةٌ  
يُنْفَخُ فِيهَا بِقَصَبَةٍ صَغِيرَةٍ تُوصَلُ فَيَنْفِذُ النَّفْخُ بِوَاسِطَتِهَا إِلَيْهَا وَتُصَوِّتُ بِنَغْمَةٍ حَادَّةٍ يُجْرَى  
فِيهَا مِنْ تَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ مِنْ تِلْكَ الْإِنْجَاشِ بِالْأَصَابِعِ مِثْلَ مَا يَجْرَى فِي الشَّبَابَةِ  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْآلِ الزَّمَرِ لِهَذَا الْعَهْدِ الْبُوقُ وَهُوَ يُوَقُّ مِنْ نَحَاسٍ أَجْوَدُ فِي مِقْدَارِ

الذراع يَسَّعُ إِلَى أَنْ يَكُونَ اقْتِرَاجٌ مُخْرِجُهُ فِي مِقْدَارِ دُونَ الْكَفِّ فِي شَكْلِ بَرِي  
الْقَلَمِ وَيُفْخَعُ فِيهِ بِقَصَبَةٍ صَغِيرَةٍ تُوْدِي الرِّيحَ مِنَ الْقَمْرِ إِلَيْهِ فَيَخْرُجُ الصَّوْتُ نَحْنًا دَوْبًا  
وَفِيهِ ابْتِغَاشٌ أَيْضًا مَعْدُودَةٌ وَتُقَطَّعُ نَعْمَةٌ مِنْهَا كَذَلِكَ بِالْأَصَابِعِ عَلَى الْأَنَاسِبِ فَيَكُونُ  
مَلْدُودًا وَمِنْهَا آلَاتُ الْأَوْتَارِ وَهِيَ جَوْنَاهُ كُلُّهَا إِمَّا عَلَى شَكْلِ قِطْعَةٍ مِنَ الْكُرَةِ مِثْلِ  
الْمِرْبِطِ وَالرَّبَابِ أَوْ عَلَى شَكْلِ مَرْبَعٍ كَالْقَانُونِ تَوْضَعُ الْأَوْتَارُ عَلَى بَسَائِطِهَا مَشْدُودَةٌ  
فِي رَأْسِهَا إِلَى دُسْرِ جَانِلَةٍ لِيَأْتِيَ شَدُّ الْأَوْتَارِ وَرِخْوُهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ بِإِدَارَتِهَا ثُمَّ  
تُقَرَّعُ الْأَوْتَارُ إِمَّا بِعُودٍ آخَرَ أَوْ بِوَتَرٍ مَشْدُودٍ بَيْنَ طَرَفَيْ قَوْسٍ يَمُرُّ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ  
يُطْلَى بِالسَّمْعِ وَالْكَتْدَرِ وَيُقَطَّعُ الصَّوْتُ فِيهِ بِتَحْقِيفِ الْيَدِ فِي إِزْرَارِهِ أَوْ نَقْلِهِ مِنْ  
وَتَرٍ إِلَى وَتَرٍ وَالْيَدُ الْبَسْرَى مَعَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ آلَاتِ الْأَوْتَارِ تَوْضَعُ بِأَصَابِعِهَا عَلَى  
أَطْرَافِ الْأَوْتَارِ فِيمَا يَقَرَّعُ أَوْ يَمُكُّ بِالْوَتَرِ فَتَحْدُثُ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً مَلْدُودَةٌ  
وَقَدْ يَكُونُ الْقَرَّعُ فِي الطُّسُوتِ بِالْقَضْبَانِ أَوْ فِي الْأَعْوَادِ بَعْضُهَا يَبْعُضُ عَلَى تَوْضِيعٍ مُنَاسِبٍ  
يَحْدُثُ عَنْهُ التَّنَادُّ بِالْمَسْمُوعِ وَلَيَبِينَ لَكَ السَّبَبُ فِي اللَّذَّةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْغِنَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ  
اللَّذَّةَ كَمَا تَقَرَّرُ فِي مَوْضِعِهِ فِي إِدْرَاكِ الْمَلَائِمِ وَالنَّحْسُوسِ إِمَّا تَذَرُكَ مِنْهُ كَيْفِيَّةٌ  
فَإِذَا كَانَتْ مُنَاسِبَةً لِلْمَذْرُوكِ وَمَلَامَةً كَانَتْ مَلْدُودَةٌ وَإِذَا كَانَتْ مُنَافِيَةً لَهُ مُنَافِرَةٌ  
كَانَتْ مُؤَالَةً فَالْمَلَائِمُ مِنَ الطُّعْمِ مَا نَاسَبَتْ كَيْفِيَّتُهُ حَاسَةً الذَّوْقِ فِي مَزَاجِهَا وَكَذَا  
الْمَلَائِمُ مِنَ الْمَلُومَاتِ وَفِي الرُّوَائِجِ مَا نَاسَبَ زِجَاجِ الرُّوحِ الْقَلْبِيِّ الْبَخَارِيِّ لِأَنَّهُ  
الْمَذْرُوكُ وَالْيَدُ تُوْدِيهِ الْحَاسَةُ وَلِهَذَا كَانَتْ الرِّبَاحِيَةُ وَالْأَزْهَارُ الْعَطْرِيَّاتُ أَحْسَنَ  
زَائِحَةٍ وَأَشَدَّ مَلَامَةً لِلرُّوحِ لِقَبْلَةِ الْحَرَارَةِ فِيهَا أَلْتِي هِيَ مِزَاجُ الرُّوحِ الْقَلْبِيِّ وَأَمَّا  
الْمَرْيَاتِيَّاتُ وَالْمَسْمُوعَاتُ فَالْمَلَائِمُ فِيهَا تَنَاسُبُ الْأَوَاضَاعِ فِي أَشْكَالِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا فَهُوَ  
أَنْسَبُ عِنْدَ النَّفْسِ وَأَشَدُّ مَلَامَةً لَهَا فَإِذَا كَانَ الْمَرْيُوتُ مُتَنَاسِبًا فِي أَشْكَالِهِ وَمُخَاطِطِهِ  
أَلْتِي لَهُ يَحْسَبُ مَا دَرَتْ بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ عَمَّا اقْتَضِيهِ مَادَّتُهُ الْخَاصَّةُ مِنْ كِمَالِ الْمُنَاسَبَةِ  
وَالْوَضْعِ وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ فِي كُلِّ مَذْرُوكٍ كَانَ ذَلِكَ حِينَئِذٍ مُنَاسِبًا  
لِلنَّفْسِ الْمَذْرُوكَةِ فَتَلْتَمِذُ بِإِدْرَاكِ مَلَائِمِهَا وَلِهَذَا تَحْدُ الْعَاشِقِينَ الْمُسْتَمْتَرِينَ فِي الْحُبِّ  
يُعْبِزُونَ عَنْ غَايَةِ حُبِّهِمْ وَعَشْفِهِمْ بِامْتِزَاجِ أَرْوَاحِهِمْ بِرُوحِ الْعُجُوبِ وَفِي هَذَا سِرٌّ  
تَقْتَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَهُوَ اتِّحَادُ الْمَبْدَأِ وَإِنْ كَانَ مَا سِوَاكَ إِذَا نَظَرْتَهُ وَتَأَمَّلْتَهُ

وَأَيَّتْ يَتَنَكَّ وَيَبْنِيهِ اتِّحَادًا فِي الْبِلَاءِ وَبَشَهِدَ لَكَ بِهِ اتِّحَادُكُمْ فِي الْكَوْنِ وَمَعْنَاهُ مِنْ  
وَجْهِ آخَرَ أَنَّ الْوُجُودَ يُشْرِكُ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ كَمَا يَقُولُهُ الْحُكَمَاءُ فَتَوَدَّ أَنْ يَخْرُجَ  
إِبْرَاهِيمُ فِيهِ الْكَمَالُ لِتَحْدِيدِهِ بَلْ تَرُومُ النَّفْسَ حِينَئِذٍ الْخُرُوجَ عَنِ الْوَحْمِ إِلَى  
الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ اتِّحَادُ الْمَبْدَأِ وَالْكَوْنِ وَلَمَّا كَانَ أَنْسَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَقْرَبُهَا  
إِلَى أَنْ يَذَرِكَ الْكَمَالُ فِي تَنَاسُبِ مَوْضِعِهَا هُوَ شَكْلُهُ الْإِنْسَانِي كَانَ إِذْ رَأَاهُ الْخَلْقُ  
وَالْحُسْنُ فِي تَخَاطُطِهِ وَأَصْوَاتِهِ مِنَ الْمَدَارِكِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى فِطْرَتِهِ فَلَمَّا بَلَغَ كُلُّ  
إِنْسَانٍ بِالْحُسْنِ مِنَ الْمَرْئِي أَوْ الْمَسْمُوعِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَالْحُسْنُ فِي الْمَسْمُوعِ أَنْ  
تَكُونَ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً لَا مُتَنَافِرَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَهَا كَيْفِيَّاتٌ مِنَ الْحُسْنِ  
وَالْجَمْرِ وَالرَّخَاوَةِ وَالشَّدَةِ وَالْقَلْقَلَةِ وَالضَّغْطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالتَّنَاسُبُ فِيهَا هُوَ الَّذِي يُوجِبُ  
لَهَا الْحُسْنَ فَأَوَّلًا أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى مَدَى دَفْعَةٍ بَلْ يَتَدَرَّجُ ثُمَّ يَرْجِعُ كَذَلِكَ  
وَهَكَذَا إِلَى الْمَثَلِ بَلْ لَا يَدُ مِنْ تَوْسُطِ الْمَقَابِرِ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ وَتَأْمَلْ هَذَا مِنْ أَفْتِحَاحِ  
أَهْلِ اللِّسَانِ التَّرَاكِبِ مِنَ الْخُرُوفِ الْمُتَنَافِرَةِ أَوْ الْمُتَقَارِبَةِ الْمَخَارِجِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ  
وَتَأْنِيًا تَنَاسُبُهَا فِي الْأَجْزَاءِ كَمَا مَرَّ أَوَّلُ الْبَابِ فَيَخْرُجُ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى نِصْفِهِ أَوْ ثُلُثِهِ أَوْ  
جُزْءٍ مِنْ كَذَا مِنْهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ التَّنْقُلُ مُتَنَاسِبًا عَلَى مَا حَصَرَهُ أَهْلُ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا  
كَانَتْ الْأَصْوَاتُ عَلَى تَنَاسُبٍ فِي الْكَيْفِيَّاتِ كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ نَتِجِ الصَّنَاعَةِ كَانَتْ مَلَأَمَةً  
مَلَذُودَةً وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَكُونُ بَسِيطًا وَيَكُونُ كَثِيرًا مِنَ الدَّاسِ مَطْبُوعًا عَلَيْهِ  
لَا يَخْتَارُونَ فِيهِ إِلَى تَعْلِيمٍ وَلَا صُنَاعَةٍ كَمَا نَحْنُ الْمَطْبُوعِينَ عَلَى الْمَوَازِينِ الشَّعْرِيَّةِ وَتَوْقِيعِ  
الرَّقْعِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَتُسَمَّى الْعَامَّةُ هَذِهِ الْقَابِلِيَّةُ بِالْمِضْمَارِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ يَهْدِيهِ  
الْمَثَابَةِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَيَجِدُونَ فِي تَلَاَحِينِ أَصْوَاتِهِمْ كَأَنَّهَا الْمَزَامِيرُ فَيَطْرَبُونَ  
بِحُسْنِ مَسَاقِيمِ وَتَنَاسُبِ نَحْوَاتِهِمْ وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَحْدُثُ بِالْتَرْكِيبِ وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ  
يَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ وَلَا كُلُّ الطَّبَائِعِ تَوَافِقُ صَاحِبَهَا فِي التَّمَلُّكِ بِهِ إِذَا عَلِمَ وَهَذَا هُوَ التَّلْحِينُ  
الَّذِي يَتَكَلَّفُ بِهِ عِلْمُ الْمَوْسِيقِيِّ كَمَا تَشْرَحُهُ بَعْدُ عِنْدَ ذِكْرِ الْعُلُومِ وَقَدْ أَنْكَرَ مَا لَكَ  
رَبِّهِ اللَّهُ تَعَالَى الْقِرَاءَةَ بِالْتَّلْحِينِ وَأَجَارَهَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَلْحِينُ  
الْمَوْسِيقِيِّ الصَّنَاعِيِّ فَإِنَّهُ لَا يَبْنِي أَنْ يَخْتَلَفَ فِي حَظَرِهِ إِذَا صَنَعَ الْغَنَاءَ مَبَانِيَةً لِلْقُرْآنِ  
يَكُلِّ وَجْهٌ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ وَالْأَدَاءَ يَحْتَاجُ إِلَى مَقْدَارٍ مِنَ الصَّوْتِ لِيَمِينِ أَدَاءِ الْخُرُوفِ لَا

مِنْ حَيْثُ انْتَبَاحُ الْحَرَكَاتِ فِي مَوْضِعِهَا وَمَقْدَارِ الْمَدِّ عِنْدَ مَنْ يُطْلِقُهَا أَوْ يُقْصِرُهَا وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ وَالْتَحِينَ أَيْضًا يَتَعَيَّنُ لَهُ مَقْدَارُ مِنَ الصَّوْتِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ مِنْ أَجْلِ التَّنَاسُبِ الَّذِي  
 قُلْنَا فِي حَقِيقَةِ التَّلْحِينِ وَاعْتِبَارُ أَحَدِهِمَا قَدْ يَخْلُ بِالْآخِرِ إِذَا تَعَارَضَا وَتَقَدَّمَ الْأَوَّلُ وَابْتَدَأَ  
 مِنْ تَعْيِيرِ الْأَوَّلِ الْمَنْقُولَةِ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُ التَّلْحِينِ وَالْأَدَاءِ الْمُعْتَبَرِ فِي  
 الْقُرْآنِ بَوَجْهِهِ وَإِنَّمَا مَرَادُهُمُ التَّلْحِينَ الْبَسِيطَ الَّذِي يَهْتَدِي إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمِضْمَارِ بِطَبْعِهِ كَمَا  
 قَدَّمَاهُ فَيُرَدُّ أَصَوَاتُهُ تَرْدِيدًا عَلَى نِسْبِ يَدْرُكُهَا الْعَالِمُ بِالْفَنَاءِ وَغَيْرُهُ وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ  
 بَوَجْهِهِ كَمَا قَالَ مَالِكٌ هَذَا هُوَ مَحَلُّ الْخِلَافِ وَالظَّاهِرُ تَنَزُّهُ الْقُرْآنِ عَنْ هَذَا كُلِّهِ كَمَا  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ الْقُرْآنَ يَحُلُّ خُذُوعَ يَذْكُرُ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ  
 وَلَيْسَ مَقَامُ التَّنْذِيرِ بِإِذْرَاكِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَهَكَذَا كَانَتْ قِرَاءَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُمْ كَمَا فِي أَخْبَارِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ أَوْفَى مِنْ مَرَامٍ مِنْ مَرَامِي  
 آلِ دَاوُدَ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ التَّرْدِيدُ وَالتَّلْحِينُ إِنَّمَا مَعْنَاهُ حَسَنُ الصَّوْتِ وَأَدَاءُ الْقِرَاءَةِ  
 وَالْإِبَانَةُ فِي خَارِجِ الْحُرُوفِ وَالنُّطْقِ بِهَا وَإِذْ قَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْفَنَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَحْدُثُ  
 فِي الْعُمُرَانِ إِذَا تَوَفَّرَ وَتَجَاوَزَ حَدَّ الضَّرُورِيِّ إِلَى الْحَاجِيِّ ثُمَّ إِلَى الْكَمَالِيِّ وَتَنَبَّأُوا  
 فَتَحْدُثُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَدْعِيهَا إِلَّا مَنْ قَرَعَ مِنْ جَمِيعِ حَاجَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ  
 وَالْأُمُومَةِ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَنْزِلِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَطْلُبُهَا إِلَّا الْفَارِغُونَ عَنْ سَائِرِ أَخْوَالِهِمْ  
 تَقَنُّنًا فِي مَذَاهِبِ الْمَكْدُودَاتِ وَكَانَ فِي سُلْطَانِ الْعَجْمِ قَبْلَ الْمِلَّةِ مِنْهَا بَحْرٌ زَائِرٌ فِي  
 أَمْصَارِهِمْ وَمُدُنِهِمْ وَكَانَ مُلُوكُهُمْ يَتَّخِذُونَ ذَلِكَ وَبُؤْلَعُونَ بِهِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ لِمُلُوكِ  
 الْفَرَسِ أَهْتِمَامٌ بِأَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَلَهُمْ مَكَانٌ فِي دَوْلَتِهِمْ وَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَشَاهِدَهُمْ  
 وَتَجَامِعَهُمْ وَيَعْتُونَ فِيهَا وَهَذَا شَأْنُ الْعَجْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْ أَقَانِيهِمْ وَمَمْلَكَةِ  
 مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَمَّا الْعَرَبُ فَكَانَ لَهُمْ أَوَّلًا قَوْلُ الشَّعْرِ يُؤْلَفُونَ فِيهِ الْكَلَامَ أَجْزَاءً  
 مُتَسَاوِيَةً عَلَى تَنَاسُبِ يَنْتَهِي فِي عِدَّةِ حُرُوفِهَا الْمُتَعَرِّكَةِ وَالسَّائِكَةِ وَيُقْصَلُونَ الْكَلَامَ  
 فِي تِلْكَ الْأَجْزَاءِ تَفْصِيلًا يَكُونُ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا مُسْتَقِلًّا بِأَلَا فَاذَةً لَا يَتَعَطَّفُ عَلَى الْآخِرِ  
 وَيُسَوِّهُنَّ أَلَيْتَ فَلَتَايَ الطَّبْعِ بِالْفَجْرِ تَهْ أَوَّلًا ثُمَّ يَتَنَاسَبُ الْأَجْزَاءُ فِي الْمَقَاطِعِ وَالْمَبَادِي  
 ثُمَّ يَتَأَدِّيَةُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ وَتَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَلْتَهْجُوا بِهِ فَا مَنَازَ مِنْ بَيْنِ كَلَامِهِمْ  
 يَحْظَرُ مِنَ الشَّرَفِ لَيْسَ لِقَبْرِهِ لِأَجْلِ اخْتِصَاصِهِ بِهَذَا التَّنَاسُبِ وَجَعَلُوهُ دِيْوَانًا لِأَخْبَارِهِمْ



وَحُكْمِهِمْ وَشَرَفِهِمْ وَحُكْمًا لِقُرَائِهِمْ فِي إِصَابَةِ الْمَعَانِي وَإِجَادَةِ الْأَسَالِبِ وَاسْتَمَرُّوا  
عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّنَاسُبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِ الْأَجْزَاءِ وَالْعَمَلِ وَالْيَأْكُنِ مِنَ الْمَعْرُوفِ  
قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ مِنْ تَنَاسُبِ الْأَصْوَاتِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الْمُوسِيقِيِّ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ  
يَشْعُرُوا بِمَا سِوَاهُ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَمْ يَتَنَجَّأُوا عِلْمًا وَلَا عَرَفُوا صِنَاعَةً وَكَانَتِ الْيَدَاوَةُ أَغْلَبَ  
فِعْلِهِمْ ثُمَّ تَغَيَّرَ الْحَدَاثَةُ مِنْهُمْ فِي حِدَاءِ إِلَيْهِمْ وَالْفَتْنَانِ فِي فُضَاءِ خُلُوتِهِمْ فَجَمَعُوا الْأَصْوَاتَ  
وَتَرَنُّمًا وَكَانُوا يُسُونُ التَّرَنُّمَ إِذَا كَانَ بِالشَّعْرِ غِنَاءً وَإِذَا كَانَ بِالتَّهْلِيلِ أَوْ نَوْعِ  
الْقِرَاءَةِ تَغْيِيرًا بِالْفَتَنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَعَلَّهَا أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَاجُ بِأَنَّهُا تُذَكِّرُ  
بِالْفَائِرِ وَهُوَ الْبَاقِي أَيْ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَرُبَّمَا نَاسَبُوا فِي غِنَائِهِمْ بَيْنَ الْغَنَمَاتِ مُنَاسَبَةً  
بَسِيطَةً كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو رِشْقٍ آخِرَ كِتَابِ الْعُمْدَةِ وَغَيْرُهُ وَكَانُوا يُسُونُهُ السِّنَادَ  
وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِي الْخَلِيفِ الَّذِي يُرْفَعُ عَلَيْهِ وَيُمَسَّى بِالْدَفِّ وَالْمَرْمَارِ  
فَيَضْطَرِبُ وَيَسْتَفْتِ الْحُلُومَ وَكَانُوا يُسُونُ هَذَا الْحَزَجَ وَهَذَا الْبَسِيطُ كُلُّهُ مِنَ التَّلَاحِينِ  
هُوَ مِنْ أَوَّلِهَا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَنَفَّطَنَّ لَهُ الطَّبَاعُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ شَأْنِ الْبَسَاطَةِ كُلِّهَا مِنْ  
الصَّنَائِعِ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا شَأْنُ الْعَرَبِ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَاسْتَوَلُوا  
عَلَى مَمَالِكِ الدُّنْيَا وَحَازُوا سُلْطَانَ الْعَجَمِ وَغَلَبَوْهُمْ عَلَيْهِ وَكَانُوا مِنَ الْيَدَاوَةِ وَالْقَضَاةِ عَلَى  
الْحَالِ الَّتِي عَرَفَتْ لَهُمْ مَعَ غَضَارَةِ الدِّينِ وَشِدَّتِهِ فِي تَرْكِ أَحْوَالِ الْقِرَاجِ وَمَا لَيْسَ  
بِجَائِعٍ فِي دِينٍ وَلَا مَعَاشٍ فَهَجَرُوا ذَلِكَ شَيْئًا مَا وَلَمْ يَكُنِ الْمَلْدُودُ عِنْدَهُمْ إِلَّا تَرْجِيعَ  
الْقِرَاءَةِ وَالتَّرَنُّمِ بِالشَّعْرِ الَّذِي هُوَ دِينُهُمْ وَمَذْهَبُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمُ التَّرَفُ وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ  
الرِّفَةُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَنَائِمِ الْأَنْهَارِ صَارُوا إِلَى تَضَارُعِ الْعَيْشِ وَرِقَّةِ الْحَاشِيَةِ وَاسْتِخْلَافِ  
الْقِرَاجِ وَاقْتِرَاقِ الْمَغْنُونِ مِنَ الْفَرَسِ وَالزُّومِ فَوَقَعُوا إِلَى الْحِجَازِ وَصَارُوا مَوَالِي لِلْعَرَبِ  
وَعَنُوا جَمِيعًا بِالْعِيدَانِ وَالطَّنَائِرِ وَالْمَعَارِيفِ وَالْمَرْامِيرِ وَسَمِعَ الْعَرَبُ تَلْحِينَهُمْ لِلْأَصْوَاتِ  
فَلَعَنُوا عَلَيْهِمْ أَشْعَارَهُمْ وَظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ نَشِيطُ الْفَارِسِيِّ وَطُوبُسُ وَسَائِبُ بْنُ جَابِرٍ مَوْلَى عُبَيْدِ  
اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَسَمِعُوا شِعْرَ الْعَرَبِ وَلَحْنَهُ وَأَجَادُوا فِيهِ وَطَارَ لَهُمْ ذِكْرُهُمْ ثُمَّ أَخَذَ عَنْهُمْ  
مَعْبَدٌ وَطَبَقَتْهُ وَأَبْنُ شُرَيْحٍ وَأَنْظَارُهُ وَمَا زَالَتْ تُنْدَرَجُ إِلَى أَنْ كَمَلَتْ أَيَّامُ بَنِي الْعَبَّاسِ  
عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ وَأَبْنِ إِسْحَاقَ وَأَبْنِ حَمَادٍ وَكَانَ مِنْ  
ذَلِكَ فِي دَوْلَتِهِمْ يَتَغَادَدُ مَا بَعَثَهُ الْحَدِيثُ بَعْدَهُ يَدَوِّجًا لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَعْمُوا فِي اللَّهِ

وَاللَّعِبِ وَاتَّخَذَتِ الْآلَةُ الرَّقْصِ فِي الْمَلِيسِ وَالْقُضْبَانُ وَالْأَشْعَارُ الَّتِي يَتَرْتُمُ بِهَا عَلَيْهِ  
وَجُمْلَ صِنْفًا وَحَدَهُ وَاتَّخَذَتِ الْآلَةُ أُخْرَى لِلرَّقْصِ تُسَمَّى بِالْكَرْجِ وَهِيَ تَمَائِيلُ خَيْلٍ  
مُسْرَجَةٍ مِنَ الْخَشَبِ مُعَلَّقَةٌ بِأَطْرَافِ أَفْبِيَةٍ يَلْبَسُهَا النِّسْوَانُ وَيُحَاكِ كَيْنَ بِهَا امْتِنَاءُ الْخَيْلِ  
فَيَكْرُونَ وَيَفْرُونَ وَيَتَأَفَّقُونَ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ اللَّعِبِ الْمَعْدَّةُ لِلْوَلَامِ وَالْأَعْرَاسُ وَأَيَّامُ  
الْأَعْبَادِ وَتَجَالِسُ الْفَرَاغِ وَاللَّهُوِ وَكَثُرَ ذَلِكَ بِبَغْدَادَ وَأَمْصَارِ الْعِرَاقِ وَانْتَشَرَ مِنْهَا إِلَى  
غَيْرِهَا وَكَانَ لِلْمَوْصِلِيِّينَ عِلَامٌ اسْمُهُ زُرْيَابُ أَخَذَ عَنْهُمْ الْغَنَاءُ فَأَجَادَ فَصَرَفُوهُ إِلَى  
الْمَغْرِبِ غَيْرَةَ مِنْهُ فَلَحِقَ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِيلِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ  
فَبَالَغَ فِي تَكْرِيمِهِ وَرَكِبَ الْقَائِيَةَ وَأَسْنَى لَهُ الْجَوَائِزَ وَالْإِفْطَاءَاتِ وَالْجَرَائِبَ وَأَحْلَاهُ  
مِنْ دَوْلَتِهِ وَتُدْمَائِهِ يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ صِنَاعَةِ الْغَنَاءِ مَا تَنَاقَلُوهُ إِلَى أَرْزَامِ  
الطُّوَانِفِ وَطَيْمًا مِنْهَا بِأَسْبِيلِيَّةٍ يَجْرُ زَاخِرٌ وَتَنَاقَلَ مِنْهَا بَعْدَ ذَهَابِ غَضَارَتِهَا إِلَى بِلَادِ الْعُدُودِ  
بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَانْقَسَمَ عَلَى أَمْصَارِهَا وَبِهَا الْآنَ مِنْهَا صِبَاةٌ عَلَى تَرَجَعِ عُمَرَانِهَا  
وَتَنَاقُصِ دَوْلِهَا وَهَذِهِ الصِّنَاعَةُ أُخْرَى مَا يَحْصُلُ فِي الْعُمَرَانِ مِنَ الصَّنَائِعِ لِأَنَّهَا كَمَا يَكُونُ فِي  
غَيْرِ وَطَنِيَّةٍ مِنَ الْوَطَنَانِفِ إِلَّا وَطَنِيَّةَ الْفَرَاغِ وَالْفَرَحِ وَهُوَ أَيْضًا أَوَّلُ مَا يَنْقَطِعُ مِنَ  
الْعُمَرَانِ عِنْدَ اخْتِلَالِهِ وَتَرَجُعِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب  
فَدَذَّكَرْنَا فِي الْكِتَابِ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ لِلْإِنْسَانِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَأَنَّ  
خُرُوجَهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا هُوَ بِتَجَدُّدِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ عَنِ التَّحْسُّوسَاتِ  
أَوَّلًا ثُمَّ مَا يُكْتَسَبُ بَعْدَهَا بِالْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ إِدْرَاكَاً بِالْفِعْلِ وَعَقْلاً مُحَضَّاً  
فَتَكُونُ ذَاتًا رُوحَانِيَّةً وَبِسْتَكْمَالِ حَيْثُودِهَا وَجُودِهَا فَوَجِبَ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ نَوْعٍ  
مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ يُبِيدُهَا عَقْلاً فَرِيداً وَالصَّنَائِعُ أَبَدًا يَحْصُلُ عَنْهَا وَعَنْ مَلَكَّتِهَا قَانُونٌ  
عِلْمِيٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ تِلْكَ الْمَلَكَةِ فَلِهَذَا كَانَتْ الْحِكْمَةُ فِي التَّجَرِبَةِ تُفِيدُ عَقْلاً وَالْحَضَارَةُ  
الْكَامِلَةُ تُفِيدُ عَقْلاً لِأَنَّهَا مُجْتَمِعَةٌ مِنْ صَنَائِعٍ فِي شَأْنِ تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ وَمُعَاشَرَةِ أَبْنَاءِ  
الْجِنْسِ وَتَحْصِيلِ الْآدَابِ فِي مَخَالِطِهِمْ ثُمَّ الْقِيَامُ بِأُمُورِ الدِّينِ وَاعْتِبَارُ آدَابِهَا وَمُرَاطِلُهَا  
وَهَذِهِ كُلُّهَا قَوَانِينُ تَنْتَظِمُ عُلُومًا يَحْصُلُ مِنْهَا زِيَادَةُ عَقْلِ وَالْكِتَابَةُ مِنْ بَيْنِ الصَّنَائِعِ.

أَكْثَرُ إِفَادَةٍ لِّلذِّكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَيَبَاطُ أَنْ فِي  
الْكِتَابَةِ أَنْتِقَالَ مِنَ الْحُرُوفِ إِلَى الْكَلِمَاتِ وَالْفُطَيَّةِ فِي الْخِيَالِ وَمِنْ الْكَلِمَاتِ  
الْفُطَيَّةِ فِي الْخِيَالِ إِلَى الْمَعَانِي الَّتِي فِي النَّفْسِ ذَلِكَ دَائِمًا فَيَحْصُلُ لَهَا مَلَكَةٌ الْأَنْتِقَالِ مِنَ  
الْأَدِلَّةِ إِلَى الْمَذَلُولَاتِ وَهُوَ مَعْنَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي يُكْسِبُ الْعُلُومَ الْعَجُوزَةَ  
فَيُكْسِبُ بِذَلِكَ مَلَكَةً مِنَ التَّعَقُّلِ تَكُونُ زِيَادَةً عَقْلٍ وَيَتَّصِلُ بِهِ قُوَّةُ فُطَيَّةٍ وَكَبْسٍ فِي  
الْأُمُورِ لِمَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَنْتِقَالِ وَلِلذِّكَ قَالَ كَسْرَى فِي كِتَابِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ بِذَلِكَ  
الْفُطَيَّةِ وَالْكَبْسِ فَقَالَ دِيَوَانَهُ أَيْ شَيَاطِينُ وَجُنُونُ قَالُوا وَذَلِكَ أَصْلُ أَشْتِقَاقِ الدِّيَوَانِ  
لِلْأَهْلِ الْكِتَابَةِ وَيَلْعُقُ بِذَلِكَ الْحَسَابُ فَإِنَّ فِي صِنَاعَةِ الْحَسَابِ نَوْعَ تَصَرُّفٍ فِي الْعَدَدِ  
بِالضَّمِّ وَالتَّنْزِيهِ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِدْلَالٍ كَثِيرٍ فَيَبْقَى مُتَعَوِّدًا لِلِاسْتِدْلَالِ وَالنَّظَرِ  
وَهُوَ مَعْنَى الْعَقْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ



## الفصل السادس

### من الكتاب الاول

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله  
من الاحوال وفيه مقدمة وواحد

### الفصل الاول

في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ شَارَكَتْهُ جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ فِي حَيَوَانِيَّتِهِ مِنَ الْجَسَدِ وَالْحَرَكَةِ  
وَالْغِذَاءِ وَالْكَيْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْفِكْرِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ لِتَحْصِيلِ مَعَاشِهِ  
وَالتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَنْبَاءِ جَانِسِهِ وَالْاجْتِمَاعِ الْعُمِّيِّ لِذَلِكَ التَّعَاوُنِ وَقَبُولِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبَاءُ  
عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّعَمُّلِ بِهِ وَاتِّبَاعِ صَلَاحِ آخَرَاهُ فَهُوَ مُتَكَيِّرٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَائِمًا لَا  
يَفْتَرِغُ عَنِ الْفِكْرِ فِيهِ طَرَفَةً عَيْنٍ بَلِ اخْتِلَاجُ الْفِكْرِ أَمْرٌ مِنْ تَحْرِيقِ الْبَصَرِ وَعَنْ هَذَا  
الْفِكْرِ تَنَشَأُ الْعُلُومُ وَمَا قَدَّمَ مِنْ الصَّنَائِعِ ثُمَّ لِأَجْلِ هَذَا الْفِكْرِ وَمَا جَبَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ  
بَلِ الْحَيَوَانُ مِنْ تَحْصِيلِ مَا تَسْتَعِدُّهُ الطَّبَاعُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ رَاجِعًا فِي تَحْصِيلِ مَا لَيْسَ

عنده من الإدراك فترجع إلى من سبقه يعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو  
أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين بلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويعرض على  
أخذه وعليه ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض  
له لذاته واحدا بعد آخر ويتدبر على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض تلك الحقيقة  
ملكته له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا وتنشوف نفوس  
أهل الجبل النائي إلى تحصیل ذلك فيفزعون إلى أهل معرفته ويحیی التعلم من هذا  
فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبعي في البشر

### الفصل الثاني

في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك أن الحذف في العلم والنقص فيه والاستيلاء عليه إنما هو بمحصل ملكة  
في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله وأساليب فروعه من أصوله وما  
لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذف في ذلك الفن المتناول حاصلا وهذه الملكة  
هي في غير الفهم والوعى لأننا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعىها  
مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدى فيه وبين العاقي الذي لم  
يعرف علما وبين العالم التخرير والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من  
سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعى والملكات كلها جسمانية سواء  
كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها مغسوة  
فتفتقر إلى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير  
المعلمين فيها معتبرا عند كل أهل أفي وجيل ويدل أيضا على أن تعليم العلم صناعة  
اختلف الاصطلاحات فيه فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم  
يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان  
واحدا عند جميعهم ألا ترى إلى علم الكلام كيف تختلف في تعليمه اصطلاح المتقدمين  
والمؤخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعة بعد  
الاصطلاحات في تعليمه متخلفة فدل على أنها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه  
وإذا تقرر ذلك فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ينقطع عن أهل المغرب

بِاخْتِلَالِ عُمْرَانِهِ وَتَنَاقُصِ الدُّوَلِ فِيهِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ تَقْصُصِ الصَّنَائِعِ - وَفَقْدَانِهَا  
كَمَا سَرَّ ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيرَوَانَ وَفَرْطَبَةَ كَانَا حَاضِرَيْنِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَاسْتَجَرَّ عُمْرَانُهُمَا  
وَكَانَ فِيهِمَا لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ أَسْوَاقٌ نَافِثَةٌ وَبُحُورٌ زَاخِرَةٌ وَرَسَّخَ فِيهِمَا التَّعْلِيمُ لِامْتِنَادِ  
عُصُورِهِمَا وَمَا كَانَ فِيهِمَا مِنَ الْحَضَارَةِ فَلَمَّا خَرَبْنَا انْقَطَعَ التَّعْلِيمُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَّا قَلِيلًا  
كَانَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِمَرَاكِشَ مُسْتَفَادًا مِنْهَا وَلَمْ تَرَسَّخِ الْحَضَارَةُ بِمَرَاكِشَ لِبَدَاوَةِ  
الدُّوَلَةِ الْمُوحِدِيَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَقُرْبِ عَهْدِ انْقِرَاضِهَا بِمَبْدِئِهَا فَلَمْ تَنْصِلْ أَحُولُ الْحَضَارَةِ  
فِيهَا إِلَّا فِي الْآفَلِ وَبَعْدَ انْقِرَاضِ الدُّوَلَةِ بِمَرَاكِشَ أَرْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ أَفْرِيقَةِ  
الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ زَيْنُونٍ لِعَهْدِ أَوَاسِطِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ فَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ الْإِمَامِ ابْنِ  
الْخَطِيبِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَحَدِّقَ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالنَّقَلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ  
يَعْلَمُ كَثِيرَ تَعْلِيمِهِمْ حَسَنَ وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شُعَيْبٍ الدَّكَّالِيُّ  
كَانَ أَرْتَحَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَغْرِبِ فَأَخَذَ عَنْ مَشِيخَةٍ مِصْرَ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا  
وَكَانَ تَعْلِيمُهُ مُفِيدًا فَأَخَذَ عَنْهُمَا أَهْلُ تُونِسَ وَأَتَّصَلَ سُنْدُ تَعْلِيمِهِمَا فِي تَلَامِيذِهَا جِيلًا  
بَعْدَ جِيلٍ حَتَّى أَتَى إِلَى الْقَاضِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ شَارِحَ بْنِ الْحَاجِبِ وَتَلْمِيزَهُ  
وَأَنْتَقَلَ مِنْ تُونِسَ إِلَى تَلْمِيزَانِ فِي ابْنِ الْإِمَامِ وَتَلْمِيزَهُ فَاتَّهَ قَرَأَ مَعَ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى  
مَشِيخَةٍ وَاحِدَةٍ فِي تَجَالِسِ بَأَعْيَانِهَا وَتَلْمِيزِ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بِتُونِسَ وَابْنِ الْإِمَامِ بِتَلْمِيزَانِ  
لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنَ الْقَلَّةِ بَعِثْتُ بِخُشْيِ انْقِطَاعِ سُنْدِهِمْ ثُمَّ أَرْتَحَلَ مِنْ زَوَاوَةِ سِلَافِ  
آخِرِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ الْمَشْدَلِيُّ وَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ  
الْحَاجِبِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَقَرَأَ مَعَ شُهَابِ الدِّينِ الْقِرَاقِيِّ فِي تَجَالِسٍ وَاحِدَةٍ  
وَحَدِّقَ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالنَّقَلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ يَعْلَمُ كَثِيرَ تَعْلِيمِهِ مُفِيدٍ وَتَزَلَّ  
بِجَايَةِ وَأَتَّصَلَ سُنْدُ تَعْلِيمِهِ فِي طَلَبَتِهَا وَرُبَّمَا أَنْتَقَلَ إِلَى تَلْمِيزَانِ عُمَرَانُ الْمَشْدَلِيُّ مِنْ  
تَلْمِيزِهِ وَأُظْهِرَ وَبَثَّ طَرِيقَتَهُ فِيهَا وَتَلْمِيزُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ بِجَايَةِ وَتَلْمِيزَانِ قَلِيلٌ أَوْ أَقَلُّ  
مِنَ الْقَلِيلِ وَبَقِيَ فَاكِسُ وَسَائِرُ أَقْطَارِ الْمَغْرِبِ خُلُوعًا مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيمِ مِنْ لَدُنْ  
انْقِرَاضِ تَعْلِيمِ فَرْطَبَةَ وَالْقَبِيرَوَانَ وَلَمْ يَنْصِلْ سُنْدُ التَّعْلِيمِ فَعَسِرَ عَلَيْهِمْ حُصُولُ الْمَلَكَةِ  
وَالْحَذَقِ فِي الْعُلُومِ وَأَبْسَرُ طَرِيقِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَتَقَى اللِّسَانُ بِالْعَاوِزَةِ وَالْمَنَاظَرَةِ فِي  
الْمَسَائِلِ الْعَالِمِيَّةِ فَهُوَ الَّذِي يَقْرُبُ شَأْنَهَا وَيَحْصِلُ مَرَامَهَا فَتَجِدُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بَعْدَ

ذَهَابُ الْكَثِيرِ مِنْ أَعَارِمِهِ فِي مِلَازِمَةِ الْجَالِسِ الْعِلْمِيَّةِ سُكُونًا لَا يَنْطَفِقُونَ وَلَا  
 يُفَاوِضُونَ وَعَنَابَتُهُمْ بِالْحِفْظِ أَكْثَرُ مِنَ الْحَاجَةِ فَلَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ مِنْ مَلَكَهٍ التَّصَرُّفِ  
 فِي الْعِلْمِ وَالْعَلِيمِ ثُمَّ بَعْدَ تَحْصِيلِ مَنْ يَرَى مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ تَجِدُ مَلَكَتَهُ قَاصِرَةً فِي  
 عِلْمِهِ إِنْ فَاوَضَ أَوْ نَاطَرَ أَوْ عَلَّمَ وَمَا أَتَاهُمُ الْقُصُورُ إِلَّا مِنَ قَبْلِ التَّعْلِيمِ وَأَنْقِطَاعِ سِنْدِهِ  
 وَإِلَّا لَوْ حَفِظْتُهُمْ أَبْلَغُ مِنْ حِفْظِ سِوَاهُمْ لِشِدَّةِ عَنَابَتِهِمْ بِهِ وَظَنِهِمْ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْمَلَكَهَةِ  
 الْعِلْمِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَمِمَّا يَشْهَدُ بِذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ أَنَّ الْمُدَّةَ الْمَعِينَةَ لِمُسْكَنِي طَلَبَةِ  
 الْعِلْمِ بِالْمَدَارِسِ عِنْدَهُمْ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً وَهِيَ يَتُونِسُ خَمْسُ سِنِينَ وَهَذِهِ الْمُدَّةُ بِالْمَدَارِسِ  
 عَلَى الْمُتَكَرَّرِ هِيَ أَقَلُّ مَا يَتَأْتِي فِيهَا لِطَائِلِ الْعِلْمِ حُصُولُ مُبْتِغَاهِ مِنَ الْمَلَكَهَةِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ  
 الْيَأْسِ مِنْ تَحْصِيلِهَا فَطَالَ أَمَدُهَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذِهِ الْمُدَّةِ لِأَجْلِ عُسْرِهَا مِنْ قِلَّةِ الْجُودَةِ  
 فِي التَّعْلِيمِ خَاصَّةً لَا يَمَّا سِوَى ذَلِكَ وَامَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَذَهَبَ رَسْمُ التَّعْلِيمِ مِنْ  
 يَتِيمِهِمْ وَذَهَبَتْ عَنَابَتُهُمْ بِالْعُلُومِ لِنَقْصِ عُمرَانِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا مُنْذُ مِائَتَيْنِ مِنَ السِّنِينَ  
 وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رَسْمِ الْعِلْمِ فِيهِمْ إِلَّا فَنُّ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ أَقْتَصَرُوا عَلَيْهِ وَأَحْفَظَ سُنْدُ  
 تَعْلِيمِهِ يَتِيمُهُمْ فَأَحْفَظَ بِحِفْظِهِ وَامَّا الْفَقْهُ يَتِيمُهُمْ فَرَسَمَ خُلُوٌّ وَآثَرُ بَعْدَ عَيْنٍ وَامَّا الْعَقَلِيَّاتُ  
 فَلَا آثَرَ وَلَا عَيْنَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِانْقِطَاعِ سِنْدِ التَّعْلِيمِ فِيهَا بِنَقْصِ الْعُمَرَانِ وَتَغْلِبِ الْعُدُوِّ  
 عَلَى عَامَتِهَا إِلَّا قَلِيلًا يَسِفُ الْبَحْرُ شُغْلُهُمْ بِمَعَاشِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ شُغْلِهِمْ بِمَا بَعْدَهَا وَاللَّهُ  
 غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَامَّا الْمَشْرِقُ فَلَمْ يَنْقُطِعْ سُنْدُ التَّعْلِيمِ فِيهِ بَلْ أَسْوَأُ نَاقِصٌ وَبُجُورُهُ  
 زَاخِرَةٌ لِاتِّصَالِ الْعُمَرَانِ الْمَوْفُورِ وَاتِّصَالِ السِّنْدِ فِيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَأَمْصَارُ الْعَظِيمَةِ الَّتِي  
 كَانَتْ مَعَادِنَ الْعِلْمِ قَدْ خَرَبَتْ مِثْلَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ  
 أَدَالَ مِنْهَا بِأَمْصَارِ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَانْقَلَّ الْعِلْمُ مِنْهَا إِلَى عِرَاقِ الْعَجْمِ بِخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ  
 النَّهْرِ مِنَ الْمَشْرِقِ ثُمَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ تَزَلْ مَوْفُورَةً وَعُمُورَاتُهَا  
 مُصَلًّا وَسُنْدُ التَّعْلِيمِ بِهَا قَائِمًا فَأَهْلُ الْمَشْرِقِ عَلَى الْجُمْلَةِ أَرْتَمَخَ فِي صِنَاعَةِ تَعْلِيمِ  
 الْعِلْمِ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُظَنُّ كَثِيرٌ مِنْ رَحَلَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَنَّ عَقُولَهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ أَكْمَلُ مِنْ عُقُولِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّهُمْ أَشَدُّ  
 تَبَاهَةً وَأَعْظَمَ كَيْسًا يَفْطَرُهُمُ الْأَوَّلَى وَأَنَّ نَفْسَهُمْ النَّاطِقَةَ أَكْمَلُ يَفْطَرُهَا مِنْ نَفْسِ  
 أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَيَعْتَقِدُونَ التَّفَاوُتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَيَتَشَبَّهُونَ لِنَاكَ

وَيُولَعُونَ بِهِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ كَيْسِهِمْ فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بَيْنَ  
فُطْرِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ تَقَاوُتٌ يَهْدِي الْقِمْدَارَ الَّذِي هُوَ تَقَاوُتٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ  
اللَّهُمَّ إِلَّا الْأَقَالِيمَ الْمَعْرِفَةَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَالسَّابِعِ فَإِنَّ الْأَمْرِجَةَ فِيهَا مَنْحَرَفَةٌ  
وَالنُّفُوسَ عَلَى نِسْبَتِهَا كَمَا مَرَّ وَإِنَّمَا الَّذِي فَضَّلَ بِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
هُوَ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ آثَارِ الْحَضَارَةِ مِنَ الْعَقْلِ الْعَزِيدِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي  
الصَّنَائِعِ وَتَزِيدُهُ الْآنَ تَحْقِيقًا وَذَلِكَ أَنَّ الْحَضَرَ لَهُمْ آدَابٌ فِي الْأَحْوَالِ فِي  
الْمَعَاشِ وَالْمَسْكَنِ وَالْبِنَاءِ وَأُمُورَ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَكَذَا سَائِرُ أَعْمَالِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ  
وَمَعَالَتِهِمْ وَجَمِيعُ تَصَرُّفَاتِهِمْ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ آدَابٌ يُوقِفُ عَنْدَهَا فِي جَمِيعِ  
مَا يَتَنَاولُونَهُ وَيَتَلَبَّسُونَ بِهِ مِنْ أَخَذٍ وَتَرْكِ حَتَّى كَانَتْ حُدُودُ لَا تُعَدَّى وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ  
صَنَائِعُ يَتَلَقَّاهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ مُرْتَبَةٌ بِزَجْجِ  
مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ أَنْزِلُ بِكَيْسِهَا عَقْلًا جَدِيدًا تَسْتَعِدُّ بِهِ لِقَبُولِ صِنَاعَةٍ أُخْرَى وَيَتَهَيَّأُ بِهَا  
الْعَقْلُ بِسُرْعَةٍ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعَارِفِ وَلَقَدْ بَلَّغْنَا فِي تَعْلِيمِ الصَّنَائِعِ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ غَايَاتٍ  
لَا تُدْرِكُ مِثْلَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْحُرْمَ الْإِنْسَانِيَّ وَالْحَيَوَانَاتِ الْقُحْمَ مِنَ الْمَعَاشِي وَالطَّائِرِ  
مُفْرَدَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ يَسْتَعْرِبُ نَدْوَرُهَا وَتَعَجُّزُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ عَنْ قَهْمِهَا وَحُسْنُ  
الْمَلَكَاتِ فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَةِ يَزِيدُ الْإِنْسَانَ ذِكَاةً فِي عَقْلِهِ  
وَأَضَاءَةً فِي فِكْرِهِ بِكَثْرَةِ الْمَلَكَاتِ الْحَاصِلَةِ لِلنَّفْسِ إِذْ قَدِمْنَا أَنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَنْشَأُ  
بِالْإِدْرَاكِ وَمَا يَزْجَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ فَيَزِدَادُونَ بِذَلِكَ كَيْسًا لِمَا يَزْجَعُ إِلَى  
النَّفْسِ مِنَ آثَارِ الطَّبِيعَةِ فَيَطْنُهُ الْعَامِيُّ تَقَاوُتًا فِي الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
الْأَتَرِي إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مَعَ أَهْلِ الْبَدْوِ كَيْفَ تَجِدُ الْحَضَرِيَّ مُخَلِّيًا بِالذِّكَاةِ مُمْتَلِئًا  
مِنَ الْكَيْسِ حَتَّى إِنْ الْبَدَوِيَّ لَيَطْنُهُ أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ فِي حَقِيقَةِ إِنْسَانِيَّتِهِ وَعَقْلِهِ وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِجَادَتِهِ فِي مَلَكَاتِ الصَّنَائِعِ وَالْآدَابِ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ  
الْحَضَرِيَّةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْبَدَوِيَّ فَلَمَّا أَمْتَلَأَ الْحَضَرِيُّ مِنَ الصَّنَائِعِ وَمَلَكَاتِهَا وَحُسْنِ  
تَعْلِيمِهَا ظَنَّ كُلُّ مَنْ قَصَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ أَنَّهَا الْكَمَالُ فِي عَقْلِهِ وَأَنَّ نَفْسَ أَهْلِ الْبَدْوِ  
قَاصِرَةٌ بِفِطْرَتِهَا وَجَبَلَتِهَا عَنْ فِطْرَتِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّا نَجِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ مَنْ هُوَ فِي  
أَعْلَى رُتْبَةٍ مِنَ الْفَهْمِ وَالْكَمَالِ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ إِنَّمَا الَّذِي ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مِنْ

ذَلِكَ هُوَ رُؤْيُ الصَّنَائِعِ وَالتَّعْلِيمِ فَإِنَّ لَهَا آثَارًا تَرْجِعُ إِلَى النَّفْسِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَكَذَا  
أَهْلُ الْمَشْرِقِ لَمَّا كَانُوا فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ أَرْضَ رُبَّةٍ وَأَعْلَى قَدَمًا وَكَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
أَقْرَبَ إِلَى الْبِدَاوَةِ لِمَا قَدَّمَاهُ فِي الْفَضْلِ قَبْلَ هَذَا ظَنَّ الْمُعْظَمُونَ فِي بَادِي الرَّأْيِ أَنَّهُ  
لِكَمَالٍ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ اخْتَصَمُوا بِهِ عَنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ فَتَفَهَّمْهُ  
وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَهُوَ إِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

### الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعمق الحضارة  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْعُلَمَاءِ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا  
أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَكْثُرُ فِي الْأَمْصَارِ وَعَلَى نِسْبَةِ عُمْرَانِهَا فِي الْكَثْرَةِ وَالْقَلَّةِ وَالْحَضَارَةِ  
وَالذَّرَفِ تَكُونُ نِسْبَةُ الصَّنَائِعِ فِي الْجُودَةِ وَالْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ أَرْضُ زَانِدٍ عَلَى الْمَعَاشِ فَمَتَى  
فَضَلَّتْ أَعْمَالُ أَهْلِ الْعُمُرَانِ عَنْ مَعَاشِهِمْ أَنْصَرَفَتْ إِلَى مَا وَرَاءَ الْمَعَاشِ مِنَ التَّصَرُّفِ  
فِي خَاصِيَةِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَمَنْ تَشَوَّفَ بِفِطْرَتِهِ إِلَى الْعِلْمِ مِنْ نَسَاءٍ فِي  
الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ غَيْرِ الْمُتَمَدِّدَةِ فَلَا يَجِدُ فِيهَا التَّعْلِيمَ الَّذِي هُوَ صِنَاعِي لِقُدْشَانِ الصَّنَائِعِ  
فِي أَهْلِ الْبَدْوِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَلَا بَدْلَهُ مِنَ الرَّحَلَةِ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْأَمْصَارِ الْمُسْتَبْحَرَةِ  
شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَاعْتَبِرْ مَا قَرَّرْنَاهُ بِحَالِ بَغْدَادِ وَفَرْطَابَةِ وَالْقَيْرَوَانِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ  
لَمَّا كَثُرَ عُمْرَانُهَا صَدَرَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوَتْ فِيهَا الْحَضَارَةُ كَيْفَ زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ الْعِلْمِ  
وَتَفَنَّنُوا فِي أَصْطِلَاحَاتِ التَّعْلِيمِ وَأَصْنَافِ الْعُلُومِ وَأَسْنِبَاطِ الْمَسَائِلِ وَالْفُنُونِ حَتَّى أَرْبَوُا عَلَى  
الْمُتَقَدِّمِينَ وَفَاتُوا الْمَتَأَخِّرِينَ وَلَمَّا تَنَاقَصَ عُمْرَانُهَا وَابْدَعَرُ سَكَّانُهَا انْطَوَى ذَلِكَ الْبَسَاطُ  
يَمَا عَلَيْهِ جُمْلَةٌ وَقَدْ أَلْعِمَ بِهَا وَالتَّعْلِيمُ وَانْقَلَبَ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ وَنَعْنُ  
لِهَذَا الْعَبْدِ نَرَى أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ إِنَّمَا هُوَ بِالْقَاهِرَةِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ لَمَّا أَنَّ عُمْرَانَهَا مُسْتَعِجِرٌ  
وَحَضَارَتُهَا مُسْتَحْكِمَةٌ مِنْذُ الْأَلْفِ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا الصَّنَائِعُ وَتَفَنَّنَتْ وَمِنْ  
جُفَانِهَا تَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَكَدَّ ذَلِكَ فِيهَا وَحَفِظَهُ مَا وَقَعَ لَهُذِهِ الْعُصُورِ بِهَا مِنْذُ مَائَتَيْنِ مِنَ  
السِّنِينَ فِي دَوْلَةِ الْأَرْثُكِ مِنْ أَبَامِ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ وَهَلَمْ جَرًّا وَذَلِكَ أَنَّ أُمَرَاءَ  
الْأَرْثُكِ فِي دَوْلَتِهِمْ يَخْشَوْنَ عَادِيَةَ سُلْطَانِهِمْ عَلَى مَنْ يَخْلَقُونَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ لِمَا لَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
الزَّرَقِ أَوِ الْوِلَاةِ وَلِمَا يَخْشَوْنَ مِنْ مَعَاطِبِ الْمَلِكِ وَنُكْبَاتِهِ فَاسْتَكْتَرُوا مِنْ بِنَاءِ الْمَدَارِسِ



وَالرُّوَابِ وَالرُّبُطِ وَوَقَعُوا عَلَيْهَا الْأَوْقَافُ الْمُغَلَّةُ يَجْعَلُونَ فِيهَا شِرْكَاً لِرَبِّهِمْ يَنْظُرُ عَلَيْهَا أَوْ يُصِيبُ مِنْهَا مَعَ مَا فِيهِمْ غَالِباً مِنَ الْجُحُودِ إِلَى الْخَيْرِ وَالنِّمَاسِ الْأَجُورِ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَفْعَالِ فَكَثُرَتْ الْأَوْقَافُ لِلذَّكَاءِ وَعَظُمَتِ الْغَلَاظُ وَالْفَوَائِدُ وَكَثُرَ طَالِبُ الْعِلْمِ وَمُعَلِّمُهُ بِكَثَرَةِ جِرَائِهِمْ مِنْهَا وَارْتَحَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الْعِرَاقِ وَالْمَغْرِبِ وَتَفَقَّتْ بِهَا أَسْوَاقُ الْعُلُومِ وَزَخَرَتْ بِحَارِهَا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العود

إِعْلَمُ أَنَّ الْعُلُومَ الَّتِي يَخُوضُ فِيهَا الْبَشَرُ وَتَدَاوُلُوهَا فِي الْأَمْصَارِ تَحْصِيلاً وَتَعْلِماً هِيَ عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٌ طَبِيعِيٌّ لِلْإِنْسَانِ يَهْتَدِي إِلَيْهِ بِفِكْرِهِ وَصِنْفٌ ثَقَلِيٌّ يَأْخُذُهُ عَمَلٌ وَضَعَهُ وَالْأَوَّلُ هِيَ الْعُلُومُ الْحِكْمِيَّةُ الْفَلَسَفِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي يُعْكِسُ أَنَّ يَقِفَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ بِطَبِيعَةِ فِكْرِهِ وَيَهْتَدِي بِمَدَارِكِهِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى مَوْضِعَاتِهَا وَمَسَائِلِهَا وَأَنْحَاءِ بَرَاهِينِهَا وَوُجُوهِ تَعْلِيمِهَا حَتَّى يَفْقَهُ (١) نَظَرَهُ وَيَحْتَكِ عَلَى الصَّوَابِ مِنَ الْخَطِأِ فِيهَا مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ ذُو فِكْرٍ وَالثَّانِي هِيَ الْعُلُومُ الثَّقَلِيَّةُ الْوَضْعِيَّةُ وَهِيَ كُلُّهَا مُسْتَنَدَةٌ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ أَوَاضِعِ الشَّرْعِيِّ وَلَا تَجَالُ فِيهَا لِلْعَقْلِ إِلَّا فِي الْخِلَاقِ الْقُرُوعِ مِنْ مَسَائِلِهَا بِالْأَصُولِ لِأَنَّ الْخُرُوجَاتِ الْخَادِمَةَ الْمُتَعَايَةَ لَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ النِّقْلِ الْكَلْبِيِّ بِجَرْدِ وَضْعِهِ فَتَحْتَاجُ إِلَى الْأَخْلَاقِ بِوُجُوهِ قِيَمِيٍّ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْقِيَاسَ يَتَفَرَّعُ عَنِ الْخَبَرِ بِشُبُونِ الْحُكْمِ فِي الْأَصْلِ وَهُوَ ثَقَلِيٌّ فَرَجَعَ هَذَا الْقِيَاسُ إِلَى النِّقْلِ لِيَتَفَرَّعَ عَنْهُ وَأَصْلُ هَذِهِ الْعُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ كُلُّهَا هِيَ الشَّرْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الَّتِي هِيَ بِشَرْعِهَا لَنَا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَهْتَكُهَا لِلْإِفَادَةِ ثُمَّ يَسْتَنْبِغُ ذَلِكَ عُلُومُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي هُوَ لِسَانُ الْعِلْمِ وَبِهِ نُزِّلَ الْقُرْآنُ وَأَصْنَافُ هَذِهِ الْعُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ كَثِيرَةٌ لِأَنَّ الْمُكَافَأَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَهِيَ مَأْخُذَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ بِالذَّنِّ أَوْ بِالْإِجْمَاعِ أَوْ بِالْإِخْلَاقِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ بِالْكِتَابِ بَيَانِ أَلْفَاظِهِ أَوَّلًا وَهَذَا هُوَ عِلْمُ التَّنْسِيرِ ثُمَّ بِإِسْنَادِ نَقْلِهِ وَرَوَايَتِهِ إِلَى الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاخْتِلَافِ

(١) قوله حتى يفقه نظره بعمل وقف متعددا فنقول وقفته على كما أي اطلمته عليه فانه نصر

وَبَابَاتِ الْفُرَاءِ فِي قِرَاءَتِهِ وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ ثُمَّ بِإِسْنَادِ السُّنَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا وَالْكَلَامِ  
 فِي الرُّوَاةِ النَّافِلِينَ لَهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَعَدَالَتِهِمْ لِيَقَعَ الْوُثُوقُ بِأَخْبَارِهِمْ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ  
 أَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ هِيَ عُلُومُ الْحَدِيثِ ثُمَّ لَا بُدَّ فِي اسْتِنْبَاطِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ  
 مِنْ أُصُولٍ مِنْ وَجْهِ قَانُونِي يُفِيدُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ هَذَا الْإِسْتِنْبَاطِ وَهَذَا هُوَ أُصُولُ الْفَقْهِ  
 وَبَعْدَ هَذَا تَحْصُلُ الشَّمْرَةُ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ وَهَذَا هُوَ  
 الْفَقْهُ ثُمَّ إِنَّ التَّكَالِيفَ مِنْهَا بَدَنِي وَمِنْهَا قَلْبِي وَهُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِيمَانِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ  
 مِمَّا لَا يُعْتَقَدُ وَهَذِهِ هِيَ الْقَائِدَاتُ الْإِيمَانِيَّةُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَأُمُورِ الْحُسْنِ وَالنَّعِيمِ  
 وَالْعَذَابِ وَالْقَدَرِ وَالْحِجَابِ عَنْ هَذِهِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي  
 الْفِرَاقِ وَالْحَدِيثِ لَا بُدَّ أَنْ تَتَقَدَّمَ الْعُلُومُ اللَّسَانِيَّةُ لِأَنَّهُ مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهَا وَهِيَ أَصْنَافُ  
 فِيهَا عِلْمُ اللُّغَةِ وَعِلْمُ النُّحْوِ وَعِلْمُ الْبَيَانِ وَعِلْمُ الْأَدَابِ حَسْبَمَا تَنَكَّلُ عَلَيْهَا كُلُّهَا وَهَذِهِ  
 الْعُلُومُ النَّقْلِيَّةُ كُلُّهَا مُخْتَصَّةٌ بِالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَهْلِهَا وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ مِلَّةٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
 لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فَهِيَ مُشَارِكَةٌ لَهَا فِي الْجِنْسِ الْبَعِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ  
 الْمُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ الْمُبْلَغِ لَهَا وَأَمَّا عَلَى الْخُصُوصِ فَبَيَانُهُ  
 لِجَمِيعِ الْمَلِكِ لِأَنَّهَا تَأْسِخُ لَهَا وَكُلُّ مَا قَبْلَهَا مِنْ عُلُومِ الْمَلِكِ قَعْبُورَةٌ وَالنَّظَرُ فِيهَا مَحْظُورٌ  
 فَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ غَيْرِ الْقُرْآنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَا تَصْدَفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكْذِبُوا وَمَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ  
 وَإِنَّا وَاللَّهِكُمْ وَاحِدٌ وَرَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَرَقَةً مِنَ التَّوْرَةِ فَفَضَّبَ حَتَّى تَبَيَّنَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَمْ آتِيكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ نَقِيَّةٍ  
 وَاللَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا آتِيَايَ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ النَّقْلِيَّةَ قَدْ  
 تَقَبَّحَتْ أَسْوَاقُهَا فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَانْتَهَتْ فِيهَا مَدَارِكُ النَّاطِرِينَ إِلَى  
 الْعَالِيَةِ الَّتِي لَا شَيْءَ فَوْقَهَا وَهَذِهِ الْأَصْطِلَاحَاتُ وَرَبَّتِ الْفَنُونُ جَاءَتْ مِنْ وَرَاءِ الْعَالِيَةِ فِي  
 الْحُسْنِ وَالْتِمِيقِ وَكَانَ لِكُلِّ فَنٍّ رِجَالٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَأَوْضَاعٌ يُسْتَفَادُ مِنْهَا التَّعْلِيمُ  
 وَأَخْصَصَ الْمَشْرِقُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمَغْرِبُ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْهَا حَسْبَمَا نَذَكُرُهُ الْآنَ عِنْدَ  
 تَعْدِيدِ هَذِهِ الْفَنُونِ وَقَدْ كَسَدَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَسْوَاقُ الْعِلْمِ بِالْمَغْرِبِ لِنِاقُصِ الْعُمَرَانِ  
 فِيهِ وَأَقْطَاعِ سِنْدِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ كَمَا قَدَّمَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَمَا أَدْرِي مَا فَعَلَ اللَّهُ

بِالْمَشْرِقِ وَالظَّنُّ بِهِ نَقَائِ الْعِلْمِ فِيهِ وَاتِّصَالَ الْعِلْمِ فِي الْعُلُومِ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ  
الضَّرُورِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ لِكثَرَةِ عُمُرَانِهِ وَالْحِصَارَةِ وَوُجُودِ الْإِعَانَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِالْجَرَايَةِ  
مِنَ الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَسْعَتْ بِهَا أَرْزَاقُهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ  
وَبِيَدِهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ

### الفصل الخامس

في علوم القرآن من التفسير والقراءات

الْقُرْآنُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمَكْتُوبُ بَيْنَ دَفْئِي الْمُصْحَفِ وَهُوَ  
مُتَوَاتِرٌ بَيْنَ الْأُمَّةِ إِلَّا أَنَّ الصَّحَابَةَ رَوَوْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرُقٍ  
مُخْتَلِفَةٍ فِي بَعْضِ الْأَفْظَانِ وَكَيْفِيَّاتِ الْحُرُوفِ فِي آدَانِهَا وَتَدْوِيلِ ذَلِكَ وَأَشْهَرُ إِلَى أَنْ  
اسْتَقَرَّتْ مِنْهَا سَبْعُ طُرُقٍ مُعَيَّنَةٍ تَوَاتَرَتْ تَقْلِيلًا أَيْضًا بِآدَانِهَا وَأَخْتَصَّتْ بِالِاتِّسَابِ إِلَى مَنْ  
أَشْهَرَ بِرِوَايَتِهَا مِنَ الْجَمْعِ الْفَنِيهِ فَصَارَتْ هَذِهِ الْقُرْءَاتُ السَّبْعُ أُصُولًا لِلْقِرَاءَةِ وَرُبَّمَا  
زِيدَ بَعْدَ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ أُخَرُ لِحَقِّقِ السَّبْعِ إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَ أَيْمَةِ الْقِرَاءَةِ لَا تَقْوَى قُوَّتُهَا  
فِي النُّقْلِ وَهَذِهِ الْقُرْءَاتُ السَّبْعُ مَعْرُوفَةٌ فِي كَثِيرٍ وَقَدْ خَالَفَتْ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَوَاتُرِ  
طُرُقِهَا لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَيْفِيَّاتٌ لِلْأَدَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِقَاضٍ فِي  
تَوَاتُرِ الْقُرْآنِ وَأَبَاهُ الْأَكْثَرُ وَقَالُوا بِتَوَاتُرِهَا وَقَالَ آخَرُونَ بِتَوَاتُرِ غَيْرِ الْأَدَاءِ مِنْهَا  
كَالْمَدِّ وَالْتَسْبِيلِ لِعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ بِالسَّمْعِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَزَلِ الْقُرَاءُ  
يَتَدَاوَلُونَ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ وَرَوَايَتِهَا إِلَى أَنْ كُتِبَتِ الْعُلُومُ وَدُوَّتْ فَكُتِبَتْ فِيمَا كُتِبَ  
مِنَ الْعُلُومِ وَصَارَتْ صِنَاعَةً مَخْصُوصَةً وَعِلْمًا مُنْفَرِدًا وَتَنَاقَلَهُ النَّاسُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
فِي جِيلٍ بَعْدَ جِيلٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ يَشْرُقِ الْأَنْدَلُسُ مُجَاهِدٌ مِنْ مَوَالِي الْعَامِرِيِّينَ وَكَانَ  
مُعْتَبَرًا بِهَذَا الْقَرْنِ مِنْ بَيْنِ فُتُوهِ الْقُرْآنِ لَمَّا اخْتَدَهُ بِهِ مَوْلَاهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْعَامِرِ  
وَأَجْتَهَدَ فِي تَعْلِيمِهِ وَعَرْضِهِ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَيْمَةِ الْقُرَاءِ بِحَضْرَتِهِ فَكَانَ سَهْمُهُ فِي  
ذَلِكَ وَافِرًا وَأَخْتَصَّ مُجَاهِدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِمَارَةِ دَانِيَةِ وَالْجَوَائِزِ الشَّرِيقَةِ فَتَفَقَّتْ بِهَا سُقُ  
الْقِرَاءَةِ لَمَّا كَانَ هُوَ مِنْ أَيْمَتِهَا وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعَيْنَايَةِ بِسَائِرِ الْعُلُومِ عُمُومًا وَبِالْقِرَاءَاتِ  
خُصُوصًا فَظَهَرَ لِعَهْدِهِ أَبُو عَمْرٍو النَّبَاطِيُّ وَبَلَغَ الْعَالِيَةَ فِيهَا وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا وَانْتَهَتْ إِلَى  
رِوَايَتِهِ أَسَانِيدُهَا وَتَعَدَّدَتْ تَأْلِيفُهُ فِيهَا وَعَمَلُ النَّاسِ عَلَيْهَا وَتَدَلُّوا عَنْ غَيْرِهَا وَاعْتَمَدُوا

مِنْ يَتْنِهَا كِتَابُ التَّيْسِيرِ لَهُ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهَا يَلِيهِ مِنَ الْعُصُورِ وَالْأَجَالِ أَبُو الْقَاسِمِ  
ابْنُ فَيْزَةَ مِنْ أَهْلِ شَاطِئَةِ فَعَمِدَ إِلَى تَهْدِيدِ مَا دَوَّاهُ أَبُو عَمْرٍو وَتَلْجِيصِهِ فَتَنَظَّمَ ذَلِكَ  
كُلَّهُ فِي قَصِيدَةٍ لَفَزَ فِيهَا أَسْمَاءُ الْقُرَاءِ بِحُرُوفِ اب ج د تَرْتِيبًا أَحْكَمَهُ لِيَتَّسِرَ عَلَيْهِ مَا  
قَصَدَهُ مِنَ الْأَخْصَارِ وَلِيَكُونَ أَسْهَلَ لِلْحِفْظِ لِأَجْلِ نَظْمِهَا فَأَمْتَوَعَبَ فِيهَا الْفَنَ اسْتِعْمَالًا  
حَسَنًا وَعَنَى النَّاسُ بِحِفْظِهَا وَتَلْجِيصِهَا لِلْوِلْدَانِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَرَى أَعْمَلٌ عَلَى ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ  
الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَرُبَّمَا أُضِيفَ إِلَى فَنِّ الْقُرَاءَاتِ فَنُّ الرُّسَمِ أَيْضًا وَهِيَ أَوْضَاعُ  
حُرُوفِ الْقُرْآنِ فِي الْمَصْخَفِ وَرُسُومُ الْخَطِّ لِأَنَّ فِيهِ حُرُوفًا كَثِيرَةً وَقَعَ رَسْمُهَا عَلَى  
غَيْرِ الْمَعْرُوفِ مِنْ قِيَاسِ الْخَطِّ كَرِبَادَةِ الْيَاكُ فِي بَابِ يَدٍ وَرِبَادَةِ الْأَلْفِ فِي لَا أَذْبَحُهُ  
وَلَا أَوْضَعُوا وَالْوَاوِ فِي جَزَاءِ وَالظَّالِمِينَ وَحَذَفَ الْأَلْفَاتِ فِي مَوَاضِعَ دُونَ أُخْرَى وَمَا  
رُيِمَ فِيهِ مِنَ النَّأَتِ مَسْدُودًا وَالْأَصْلُ فِيهِ مَرْبُوطٌ عَلَى ذِكْلِ أَلِفَاءَ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَدْ  
مَرَّ تَعْلِيلُ هَذَا الرُّسْمِ الْمُصْحَفِيِّ عِنْدَ الْكَلَامِ فِي الْخَطِّ فَلَمَّا جَاءَتْ هَذِهِ اْمُخَالَفَةُ  
لِلْأَوْضَاعِ الْخَطِّ وَقَانُونِهِ أَخْبِجَ إِلَى حَضَرِهَا فَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا أَيْضًا عِنْدَ كَتَبِهِمْ  
فِي الْعُلُومِ وَانْقَهَتْ بِأَلْفِ الْمَغْرِبِ إِلَى أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي الْمَذْكُورِ فَكَتَبَ فِيهَا كُتُبًا مِنْ  
أَشْهُرِهَا كِتَابُ الْمُفْتِخِ وَأَخَذَ بِهِ النَّاسُ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَنَظَّمَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّاطِئِيُّ فِي  
قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى رِوَايَةِ الرَّاءِ وَلَجَّ النَّاسُ بِحِفْظِهَا ثُمَّ كَثُرَ الْخِلَافُ فِي الرُّسْمِ فِي  
كُلِّ مَكَانٍ وَحُرُوفٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ بُحَّاحٍ مِنْ مَوَالِي بُحَّاحٍ فِي  
كُتُبِهِ وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي وَالْمَشْتَهَرُ بِجَعْلِ عُلُومِهِ وَرِوَايَةِ كُتُبِهِ ثُمَّ نُقِلَ  
بَعْدَهُ خِلَافُ آخَرَ فَتَنَظَّمَ الْخُرَازْمِيُّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَلْفِ الْمَغْرِبِ أَرْجُوزَةً أُخْرَى زَادَ فِيهَا  
عَلَى الْمَفْتِخِ خِلَافًا كَثِيرًا وَعَزَاهُ لِنَاقِلِهِ وَاشْتَهَرَتْ بِأَلْفِ الْمَغْرِبِ وَاقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى حِفْظِهَا  
وَهَجَرُوا بِهَا كُتُبَ أَبِي دَاوُدَ وَأَبِي عَمْرٍو وَالشَّاطِئِيِّ فِي الرُّسْمِ.

(واما التفسير) . فاعلم ان القرآن نزل بلغته العرب وعلى اساليب بلاغتهم  
فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان يزل جملاً جملاً  
وآيات آيات لبيان التوحيد والقروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد  
الايمانية ومنها ما هو في احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون  
نايحاً له وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين الجملة ويميز الناسخ من المنسوخ.

وَيَعْرِفُهُ أَصْحَابُهُ فَعَرَفُوهُ وَعَرَفُوا سَبَبَ نَزُولِ آيَاتِهِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ مِنْهَا مَقُولًا عَنْهُ كَمَا عَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِنَّمَا نَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا نُشَاقِقُ وَأَمَّا ذَلِكَ وَقِيلَ ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضَوْنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَتَدَاوَلَ ذَلِكَ التَّابِعُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَقِيلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالسَّلَفِ حَتَّى صَارَتِ الْمَعَارِفُ عُلُومًا وَذَوَاتُ الْكِتَابِ فَكُتِبَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ وَقِيلَتِ الْآثَارُ الْوَارِدَةُ فِيهِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الطَّبَرِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ وَالْعَمَلِيِّ وَأَمَّا ذَلِكَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فَكُتِبُوا فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ مِنَ الْآثَارِ ثُمَّ صَارَتْ عُلُومُ اللِّسَانِ صِنَاعِيَّةً مِنَ الْكَلَامِ فِي مَوْضِعَاتِ اللَّغَةِ وَأَحْكَامِ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ فِي التَّرَاكِبِ فَوَضِعَتِ الدَّوَابِ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَلَكَاتٍ لِلْعَرَبِ لَا يَرْجِعُ فِيهَا إِلَى نَقْلِ وَلَا كِتَابٍ فَتُسَمَّى ذَلِكَ وَصَارَتْ تُلَقَّى مِنْ كُتُبِ أَهْلِ اللِّسَانِ فَاحْتِجَ إِلَى ذَلِكَ فِي تَقْسِيرِ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ يَلِسَانِ الْعَرَبِ وَعَلَى مِنْهَاجِ بِلَاغَتِهِمْ وَصَارَ التَّفْسِيرُ عَلَى صِنْفَيْنِ تَقْسِيرَ نَقْلِ مُسْتَدِلٍّ إِلَى الْآثَارِ الْمَقُولَةِ عَنِ السَّلَفِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَأَسْبَابُ النُّزُولِ وَمَقَاصِدُ الْآيِ وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِالنَّقْلِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَقَدْ جَمَعَ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي ذَلِكَ وَأَوْعَوْا إِلَّا أَنَّ كُتُبَهُمْ وَمَقُولَاتِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَى الْغَثِ وَالسَّمِينِ وَالْمَقْبُولِ وَالْمَرْدُودِ وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِنَّمَا غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْبِلَادَةُ وَالْأَلِيَّةُ وَإِذَا تَشَوَّفُوا إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِمَّا تَشْتَوِقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ فِي أَسْبَابِ الْمَكُونَاتِ وَبَدَأِ الْخَلِيقَةِ وَأَبْرَارِ الْوُجُودِ فَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُمْ وَهُمْ أَهْلُ التَّوَرَاةِ مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ تَبَعَ دِينَهُمْ مِنَ النَّصَارَى وَأَهْلُ التَّوَرَاةِ الَّذِينَ بَيْنَ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ بِأَذِيَّةٍ مِنْهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا تَعَرَّفَهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُعْظَمُهُمْ مِنْ حِمَيْرِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا بَقُوا عَلَى مَا كَانَتْ عَنْدهُمْ مِمَّا لَا تَعْلُقُ لَهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَخْطِطُونَ لَهَا مِثْلَ أَخْبَارِ بَدَأِ الْخَلِيقَةِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَى الْخِدَتَانِ وَالْمَلَاحِجِ وَأَمَّا ذَلِكَ وَهُوَ لَاءَ مِثْلُ كُتُبِ الْأَجْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مَنِيعٍ وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَمْثَالِهِمْ فَأَمَّا تِلْكَ التَّفَاسِيرُ مِنَ الْمَقُولَاتِ عَنْدهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ أَخْبَارٌ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ مِمَّا يَرْجِعُ إِلَى الْأَحْكَامِ فَتَنْتَرَعَى فِي الصِّحَّةِ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْعَمَلُ وَتَسَاهِلَ الْمُفَسِّرُونَ فِي

مِثْلَ ذَلِكَ وَمَلَأُوا كُتُبَ التَّفْسِيرِ بِهَذِهِ الْمَقُولَاتِ وَأَصْلُهَا كَمَا قُلْنَا عَنْ أَهْلِ التَّوَرَةِ  
الَّذِينَ يَسْكُونُونَ الْبَادِيَةَ وَلَا تَحْقِيقَ عِنْدَهُمْ بِمَعْرِفَةٍ مَا يَقُولُونَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ بَعْدَ  
صِيغَتِهِمْ وَعَظُمَتِ أَفْعَادُهُمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَامَاتِ فِي الدِّينِ وَالْعِلْمَةِ فَتَلَقَّيْتُ  
بِالْقَوْلِ مِنْ يَوْمَيْدٍ فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ إِلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّخْيِصِ وَجَاءَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ  
عَطِيَّةٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِالْمَغْرِبِ فَلَخَّصَ تِلْكَ التَّفَاسِيرَ كُلَّهَا وَتَحَوَّى مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى  
الصَّحِيحَةِ مِنْهَا وَوَضَعَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُتَنَاوِلٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ حَسَنَ الْمَعْنَى  
وَتَبِعَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تِلْكَ الطَّرِيقَةِ عَلَى مِثْلِهَا وَاحِدٍ فِي كِتَابٍ آخَرَ مَشْهُورٍ بِالْمَشْرِقِ  
وَالصَّنْفُ الْآخَرُ مِنَ التَّفْسِيرِ وَهُوَ مَا يَرْجِعُ إِلَى اللِّسَانِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّغَةِ وَالْإِعْرَابِ  
وَالْبَلَاغَةِ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى بِحَسَبِ الْمَقَاصِدِ وَالْأَسَالِبِ وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ التَّفْسِيرِ قَلٌّ  
أَنْ يَتَفَرَّدَ عَنْ الْأَوَّلِ إِذِ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالنَّاتِ وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا بَعْدَ أَنْ صَارَ  
اللِّسَانُ وَعُلُومُهُ صِنَاعَةً نَعَمْ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ غَالِيًا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا أَشْتَمَلُ  
عَلَيْهِ هَذَا الْفَرْقُ مِنَ التَّفَاسِيرِ كِتَابُ الْكَشَافِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ مِنْ أَهْلِ خَوَازِمِ الْعِرَاقِ  
إِلَّا أَنَّ مُؤَلِّفَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَعْتَزَالِ فِي الْعَقَائِدِ قِيَّاسِيٌّ بِالْحِجَاجِ عَلَى مَذَاهِبِهِمُ الْفَاسِدَةِ حَيْثُ  
تَعَرَّضَ فِي آيِ الْقُرْآنِ مِنْ طُرُقِ الْبَلَاغَةِ فَصَارَ ذَلِكَ لِلْحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَخْبَرَاتٍ  
عَنْهُ وَتَعْدِيرٌ لِلْجُمْهُورِ مِنْ مَكَانِهِ مَعَ إِفْرَاقِهِمْ بِرُسُوحِ قَدَمِهِ فِيمَا تَعَلَّقَ بِاللِّسَانِ وَالْبَلَاغَةِ  
وَإِذَا كَانَ النَّاطِرُ فِيهِ وَاقِفًا مَعَ ذَلِكَ عَلَى الْمَذَاهِبِ السُّنِّيَّةِ مُحْسِنًا لِلْحِجَاجِ عَنْهَا فَلَا جَرَمَ  
إِنَّهُ مَأْمُونٌ مِنْ غَوَائِلِهِ فَلَتَقْتَنِمَ مُطَالَعَتُهُ لِعَرَابَةِ فُنُونِهِ فِي اللِّسَانِ وَلَقَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا فِي  
هَذِهِ الْعُصُورِ تَأْلِيفٌ لِبَعْضِ الْأَعْرَاقِيِّينَ وَهُوَ شَرَفُ الدِّينِ الطَّبَّيُّ مِنْ أَهْلِ نُورِيزَ مِنْ  
عِرَاقِ النِّجْمِ شَرَحَ فِيهِ كِتَابَ الزَّمَخْشَرِيِّ هَذَا وَتَبَعَ الْفَاطَةَ وَتَعَرَّضَ لِمَذَاهِبِهِ فِي  
الْأَعْتَزَالِ بِأَدِلَّةٍ تَرْتِيفُهَا وَيَبِينُ أَنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا تَقَعُ فِي الْآيَةِ عَلَى مَا يَرَاهُ أَهْلُ السُّنَّةِ  
لَا عَلَى مَا يَرَاهُ الْمُعْتَزِلَةُ فَأَحْسَنَ فِي ذَلِكَ مَا شَاءَ مَعَ إِمْتِنَاعِهِ فِي سَائِرِ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ  
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

### الفصل السادس

#### في علوم الحديث

وَأَمَّا عُلُومُ الْحَدِيثِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ وَمُتَوَعَّةٌ لِأَنَّ مِنْهَا مَا يُنْظَرُ فِي نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ

وَذَلِكَ بِمَا بَيَّنَّ فِي شَرِيحَتِنَا مِنْ جَوَازِ النَّسْخِ وَوُقُوعِهِ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَتَخَفُّفًا عَنْهُمْ  
بِاعْتِبَارِ مَصَالِحِهِمُ الَّتِي تَكْفُلُ لَهُمْ بِهَا قَالَ تَعَالَى مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ  
مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا فَإِذَا تَعَارَضَ الْخَبَرَانِ بِالْتَفَتِي وَالْإِثْبَاتِ وَتَعَدَّرَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِبَعْضِ النَّاتِئِ  
وَعَلِمَ تَقْدُّمُ أَحَدِهِمَا تَعَيَّنَ أَنَّ الْمُنَاخِرَ نَاسِخٌ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمُنْسُوخِ مِنْ أَمْرِ عُلُومِ  
الْحَدِيثِ وَأَصَحُّهَا قَالَ الزُّهْرِيُّ أَعْيَا الْفُقَهَاءَ وَأَعْجَزُهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا نَاسِخَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ رِضْيَا اللَّهِ عَنْهُ فِيهِ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ وَمِنْ  
عُلُومِ الْأَحَادِيثِ النَّظَرُ فِي الْأَسَانِيدِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِوُقُوعِهِ  
عَلَى السَّنَدِ الْكَامِلِ الشَّرْطِ لِأَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا وَجِبَ بِمَا يَقْلِبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ مِنْ  
إِخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُجْتَهِدُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي يُحْصِلُ ذَلِكَ الظَّنَّ وَهُوَ  
بِمَعْرِفَةِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَإِنَّمَا يَبْتَنُ ذَلِكَ بِالْقَلْبِ عَنْ أَعْلَامِ الَّذِينَ  
يَعْدِلُ بِهِمْ وَبِرَأْيِهِمْ مِنَ الْجَزْحِ وَالْعَقْلَةِ وَيَكُونُ لَنَا ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْقَبُولِ أَوْ التَّرْكِ  
وَكَذَلِكَ مَرَاتِبُ هَذِهِ النُّقْلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفَارُقُهُمْ فِي ذَلِكَ وَتَمَيُّزُهُمْ فِيهِ  
وَاحِدًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ الْأَسَانِيدُ تَتَفَارَقُ بِاتِّصَالِهَا وَأَنْقِطَاعِهَا بِأَنْ يَكُونَ الرَّاوي لَمْ يَلْقَ  
الرَّاويَ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ وَبِإِسْلَامَتِهَا مِنْ أَعْلَالِ الْمُوهِنَةِ لَهَا وَتَنْتَهِي بِالتَّفَاوُتِ إِلَى طَرَفَيْنِ  
فَحُكْمُ بَقُولِ الْأَعْلَى وَزَدَرَ الْأَسْفَلِ وَيُخْتَلَفُ فِي التَّوَسُّطِ بِحَسَبِ الْمَنْقُولِ عَنْ  
أُتَمَّةِ الشَّانِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَلْفَاظُ أَصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِهَا لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَبَةِ مِثْلَ  
الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ وَالضَّعِيفِ وَالْمُرْسَلِ وَالْمَنْقُطِعِ وَالْمُعْضِلِ وَالشَّاذِ وَالْغَرِيبِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مِنْ أَلْفَاظِهِ الْمُتَدَاوِلَةِ بَيْنَهُمْ وَبَوَّبُوا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَنَقَلُوا مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ  
لِأُتَمَّةِ اللِّسَانِ أَوْ الْوَفَاقِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي كَيْفِيَّةِ اخْتِزَانِ رِوَاةٍ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِقِرَاءَةٍ  
أَوْ كِتَابَةٍ أَوْ مَنَاقِلَةٍ أَوْ إِجَازَةٍ وَتَفَاوُتِ رُتَبِهَا وَمَا لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخِلَافِ بِالْقَبُولِ  
وَالزَّدَرِ ثُمَّ اتَّبَعُوا ذَلِكَ بِكَلَامٍ فِي أَلْفَاظِ نَقَعَ فِي مَثُونِ الْحَدِيثِ مِنْ غَرِيبٍ أَوْ مُشْكَلٍ  
أَوْ تَضَعِيفٍ أَوْ مُفْتَرَقٍ مِنْهَا أَوْ مُخْتَلَفٍ وَمَا يَنْسَبُ ذَلِكَ هَذَا مُعْظَمُ مَا يَنْظُرُ فِيهِ أَهْلُ  
الْحَدِيثِ وَغَالِيَهُ وَكَانَتْ أَحْوَالُ نَقْلَةِ الْحَدِيثِ فِي عُمُورِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ  
مَعْرُوفَةً عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ فَمِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَمِنْهُمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ مِنَ الْعِرَاقِ وَمِنْهُمْ  
بِالشَّامِ وَمِنْهُمْ بِالْجَمْعِ مَعْرُوفِينَ مَشْهُورُونَ فِي أَعْصَارِهِمْ وَكَانَتْ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ

فِي أَعْصَارِهِمْ فِي الْأَسَانِيدِ أَعْلَى مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا فِي الصَّحِيحَةِ لِإِسْنَادِهِمْ فِي شُرُوطِ  
 الْقَلِّ مِنَ الْمَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَتَجَانِبِهِمْ عَنْ قَبُولِ الْجَهْلُولِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ وَسَنَدِ الطَّرِيقَةِ  
 الْحِجَازِيَّةِ بَعْدَ السَّلَفِ الْإِمَامِ مَالِكٍ عَالِمِ الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ثُمَّ أَصْحَابُهُ مِثْلُ  
 الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَذْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَانَ عِلْمُ  
 الشَّرِيعَةِ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْأَمْرِ تَقْلِيدًا صِرَافًا ثُمَّ لَهَا السَّلَفُ وَتَحَرَّوْا الصَّحِيحَ حَتَّى اكْتَمَلُوا  
 وَكَتَبَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَ الْمُوطَأِ أَوْدَعَهُ أَصُولَ الْأَحْكَامِ مِنَ الصَّحِيحِ  
 الْمُسْتَفَى عَلَيْهِ وَرَبُّهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ ثُمَّ عَنِ الْحَافِظِ بِمَعْرِفَةِ طُرُقِ الْأَحَادِيثِ وَاسَانِيدِهَا  
 الْخُتْلَفَةِ وَرُبَّمَا يَقَعُ إِسْنَادُ الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ رِوَاةٍ مُخْتَلِفِينَ وَقَدْ يَقَعُ الْحَدِيثُ  
 أَيْضًا فِي أَبْوَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِاخْتِلَافِ الْمَعَانِي الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَغَارِيُّ  
 إِمَامُ الْحَدِيثِ ثِنِي فِي عَصْرِهِ فَخَرَجَ أَحَادِيثَ السُّنَّةِ عَلَى أَبْوَابِهَا فِي مُسْنَدِهِ الصَّحِيحِ بِجَمِيعِ الطَّرُقِ  
 الَّتِي لِلْحِجَازِيِّينَ وَالْعِرَاقِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَاعْتَمَدُوا مِنْهَا مَا أَتَّجَمُوا عَلَيْهِ دُونَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
 وَكَرَّرُوا الْأَحَادِيثَ يُسَوِّفُهَا فِي كُلِّ بَابٍ بِمَعْنَى ذَلِكَ الْبَابِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْحَدِيثُ فَتَكُونُ  
 لِذَلِكَ أَحَادِيثُهُ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى تِسْعَةِ <sup>(١)</sup> آلَافِ حَدِيثٍ وَمِائَتَيْنِ مِنْهَا ثَلَاثَةُ  
 آلَافٍ مُتَكَرِّرَةٍ وَفَرَّقَ الطَّرُقَ وَالْأَسَانِيدَ عَلَيْهَا مُخْتَلَفَةً فِي كُلِّ بَابٍ ثُمَّ جَاءَ الْإِمَامُ  
 مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَالْفَ مُسْنَدَهُ الصَّحِيحَ حَذَا فِيهِ حَذْوُ  
 الْبَغَارِيِّ فِي تَقْلِيدِ التَّجْمَعِ عَلَيْهِ وَحَذَفَ الْمُتَكَرِّرَ مِنْهَا وَجَمَعَ الطَّرُقَ وَالْأَسَانِيدَ  
 وَبَوَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ وَتَرَاوَجَهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَوْعِبِ الصَّحِيحَ كُلَّهُ وَقَدْ اسْتَدْرَكَ  
 النَّاسُ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ ثُمَّ كَتَبَ أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو  
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ بِأَوْسَعِ مِنَ الصَّحِيحِ وَقَصَدُوا مَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ  
 الْعَمَلِ إِمَّا مِنَ الرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْأَسَانِيدِ وَهُوَ الصَّحِيحُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِمَّا مِنَ الَّذِي  
 دُونَهُ مِنَ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا لِلسُّنَّةِ وَالْعَمَلِ وَهَذِهِ هِيَ الْأَسَانِيدُ الْمَشْهُورَةُ  
 فِي النِّمَلَةِ وَهِيَ أَمَهَاتُ كُتُبِ الْحَدِيثِ فِي السُّنَّةِ فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ  
 فِي الْأَعْلَى وَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَالْأَصْطِلَاحَاتِ كُلِّهَا هِيَ عِلْمُ الْحَدِيثِ وَرُبَّمَا يَقْرَأُ  
 عَنْهَا النَّاسِخُ وَالْمُنْسُوخُ فَيَقْبَلُ فَنَّا بِرَأْسِهِ وَكَذَا الْغَرِيبُ وَاللَّاسِ فِيهِ تَأْلِيفُ مَشْهُورَةٍ



ثُمَّ الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ وَقَدْ آلَفَ النَّاسُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَكَثُرُوا وَمِنْ نُحُولِ عُلَمَائِهِ  
وَأُئِمَّتِهِمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاشِي وَتَأَلَّفَهُ فِيهِ مَشْهُورَةٌ وَهُوَ الَّذِي هَدَيْهُ وَأَظْهَرَ مَحَاسِنَهُ  
وَأَشْهَرَ كِتَابَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الصَّلَاحِ كَانَ لِهَدْيِ أَوَائِلِ الْمِائَةِ  
السَّابِعَةِ وَتَلَاَهُ نَجَّي الدِّينِ الْقَوِيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَالْقَنْ شَرِيفٌ فِي مَقْرَاهُ لِأَنَّهُ مَعْرُوفَةٌ مَا  
يُعْظَمُ بِهِ السَّنُّ الْمَقُولَةُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ وَقَدْ انْقَطَعَ لِهَذَا الْهَدْيِ مَخْرُجٌ شَيْءٌ مِنْ  
الْأَحَادِيثِ وَأُسْعِدَ رَاكِبَهَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ إِذِ الْعَادَةُ تَشْهَدُ بِأَن هَؤُلَاءِ الْأُئِمَّةُ عَلَى  
تَعَدُّدِهِمْ وَتَلَا حَقَّ عُسْرِهِمْ وَكَيْفَاتِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ لَمْ يَكُونُوا لِيُغْفَلُوا شَيْئًا مِنَ السَّنَةِ إِذْ  
يَتَرَكُونَ حَتَّى يَبْعَثَ عَلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُ هَذَا بَعِيدٌ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا تَنْصَرِفُ الْعِنَايَةُ لِهَذَا الْهَدْيِ إِلَى  
تَصْحِيحِ الْأُمَمَاتِ الْمَكْتُوبَةِ وَضَبْطِهَا بِالرِّوَايَةِ عَنْ مُصَنِّفِهَا وَالنَّظَرُ فِي أَسَانِيدِهَا إِلَى  
مُؤَلِّفِهَا وَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ مِنَ الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ لِتَتَّصِلَ  
الْأَسَانِيدُ مُحْكَمَةً إِلَى مُنْتَهَاهَا وَلَمْ يَزِدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى الْعِنَايَةِ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذِهِ  
الْأُمَمَاتِ الْخَمْسِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ . فَأَمَّا الْبُخَارِيُّ وَهُوَ أَعْلَاهَا رُبَّةً فَاسْتَصْعَبَ النَّاسُ شَرْحَهُ  
وَأَسْتَغْلَقُوا مَنَاهُ مِنْ أَجْلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَرِجَالِهَا مِنْ  
أَهْلِ الْحِجَازِ وَالْأَشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَأَخْلَافِ النَّاسِ فِيهِمْ وَلِلَّذَلِكَ  
يَحْتَاجُ إِلَى إِمْعَانِ النَّظَرِ فِي التَّفَقُّهِ فِي تَرْجُمِهِ لِأَنَّهُ يَتَرَجَّمُ التَّرْجِمَةُ وَيُورَدُ فِيهَا الْحَدِيثُ  
بِسَنَدٍ أَوْ طَرِيقٍ ثُمَّ يَتَرَجَّمُ أُخْرَى وَيُورَدُ فِيهَا ذَلِكَ الْحَدِيثُ بِعَيْنِهِ لِمَا تَفَضَّلَ مِنْ الْمَعْنَى  
الَّتِي تَرَجَّمُ بِهِ الْبَابُ وَكَذَلِكَ فِي تَرْجِمَةٍ وَتَرْجِمَةٍ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ الْحَدِيثُ فِي أَبْوَابٍ  
كَثِيرَةٍ بِحَسَبِ مَعَانِيهِ وَأَخْلَافِهَا وَمِنْ شَرْحِهِ وَلَمْ يَسْتَوْفِ هَذَا فِيهِ فَلَمْ يُوفَ حَقَّ الشَّرْحِ  
كَأَنَّ بَطَّالَ وَابْنَ الْمُهَلَّبِ وَابْنَ الْتَيْنِ وَنَحْوَهُمْ وَلَقَدْ مَحَبَّتْ كَثِيرًا مِنْ شُيُوخِنَا رِجْمَهُمُ  
اللَّهُ يَقُولُونَ شَرْحُ كِتَابِ الْبُخَارِيِّ دِينَ عَلَى الْأُمَّةِ يَعْنُونَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ لَمْ  
يُوفَ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الشَّرْحِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ . وَأَمَّا صَحِيحُ مُسْلِمٍ فَكَثُرَتْ عِنَايَةُ عُلَمَاءِ  
الْمَغْرِبِ بِهِ وَأَكْبَرُوا عَلَيْهِ وَأَجْعَلُوا عَلَى تَفْصِيلِهِ عَلَى كِتَابِ الْبُخَارِيِّ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِ  
مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ وَأَكْثَرُ مَا وَقَعَ لَهُ فِي التَّرَاوِجِ وَأَمَلَى الْأَمَامُ الْمَارِزِيُّ مِنْ  
فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ عَلَيْهِ شَرْحًا وَسَمَّاهُ الْمُعَلِّمَ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ أَشْتَمَلَ عَلَى عِبُونٍ مِنْ عِلْمِ  
الْحَدِيثِ وَفُتُونٍ مِنَ الْفَقْهِ ثُمَّ أَكْمَلَهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ مِنْ بَعْدِهِ وَتَمَمَّهُ وَسَمَّاهُ إِكْمَالَ

المعلم وتلاههما يحيى الدين التوحي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما  
 نجاء شرحاً وافياً. وأما كتب السنن الأخرى وفيها معظم ما خذ الفقهاء فأكثر شرحها  
 في كتب الفقه إلا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك  
 ما يحتاج إليه من علم الحديث وموضعاتها والآسانيد التي اشتملت على الأحاديث  
 المعمول بها من السنة. وأعلم أن الأحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح  
 وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها أئمة الحديث وجهاً ليدونه وعرفوها ولم يبق طريق  
 في تصحيح ما يصح من قبل. ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها  
 وآسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفتنون إلى أنه قد قلب عن  
 وضعه. ولقد وقع مثل ذلك للإمام محمد بن إسماعيل البخاري حين ورد على بغداد  
 وقصد التحدثون امتحانه فسأله عن أحاديث قبلوا آسانيدها فقال لا أعرف هذه  
 ولكن حدثني فلان ثم أتى بجمع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح ورد كل  
 متن إلى سنده وأقروا له بالإمامة. وأعلم أيضاً أن الأئمة المجتهدين تناولوا في  
 الأكتاف من هذه الصناعة والأفلال فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغ  
 روايته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها ومالك رحمه الله إنما صح عنده ما في كتاب  
 الموطأ<sup>(١)</sup> وعائشة ثلثمائة حديث أو نحوها. وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في  
 مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما أداه إليه اجتهد في ذلك وقد نقول بعض  
 المبغضين المنتسفين إلى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلها قلت روايته  
 ولا سبيل إلى هذا المعتقدي كبار الأئمة لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب  
 والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيشعن عليه طلبه وروايته والجد والتشهير  
 في ذلك ليأخذ الذين عن أصول صحيحة ويتلقى الأحكام عن صاحبها المبلغ لها  
 وإنما قلل منهم من قلل الرواية لأجل المطاعن التي تعرض فيها والعلة التي تعرض  
 في طرقها سيما وأخرج مقدم عند الأكثر فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما  
 يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الآسانيد ويكثر ذلك فتقل روايته

(١) الذي في شرح الرقائي على الموطأ حكاية أقوال خمسة في عدة احاديث اولها ٥٠٠ ثانياً ٢٠٠  
 ثالثاً ألف وبنف رابعاً ١٢٠ خامساً ٦٦٦ وليس فيه قول بما في هذه الصفحة قاله نصر المورقي

لِضَعْفِ فِي الطَّرِيقِ هَذَا مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ أَكْثَرُ رَوَايَةٍ لِلْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِأَنَّ  
 الْمَدِينَةَ دَارُ النُّجْرَةِ وَأَمَّا وَى الصَّحَابَةِ وَمَنْ أَتَقَلَّ مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ كُنْ شُعْلُهُمْ بِالْجِهَادِ  
 أَكْثَرَ وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّمَا قَلَّتْ رَوَايَتُهُ لِمَا شَدَّدَ فِي شُرُوطِ الرِّوَايَةِ وَالْتِمَاطِ  
 وَضَعْفِ رَوَايَةِ الْحَدِيثِ الْبَقِيَّةِ إِذَا عَارَفَهَا الْفِعْلُ النَّفْسِيُّ وَقَلَّتْ مِنْ أَجْلِهَا رَوَايَةُ فَقُلْ  
 حَدِيثُهُ لِأَنَّهُ تَرَكَ رَوَايَةَ الْحَدِيثِ مُتَعَمِّدًا لِحَاشَاةٍ مِنْ ذَلِكَ وَبَدَّلَ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ  
 الْمُجْتَهِدِينَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ اعْتِنَادُ مَذْهَبِهِ بَيْنَهُمْ وَالنَّعْوِيلُ عَلَيْهِ وَأَعْتَبَارُهُ رَدًّا وَقَبُولًا  
 وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَهُمْ الْجُهْدُورُ فَتَوَسَّعُوا فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَ حَدِيثُهُمْ وَالْمُكَلِّ  
 عَنِ اجْتِهَادٍ وَقَدْ تَوَسَّعَ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَتْ رَوَايَتُهُمْ وَرَوَى الطَّعْطَاوِيُّ  
 وَأَكْثَرَ وَكُتِبَ مِنْهُدَهُ وَهُوَ جَلِيلُ الْقَدْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْدِلُ الصَّحَابِينَ لِأَنَّ الشُّرُوطَ  
 الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْبَغَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابَيْهِمَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِمَا بَيْنَ الْأَمَّةِ كَمَا قَالَهُ وَشُرُوطُ  
 الطَّعْطَاوِيِّ غَيْرُ مُتَقَيٍّ عَلَيْهِمَا كَالرِّوَايَةِ عَنِ الْمَسْتَوْرِ الْحَالِ وَغَيْرِهِ فَلِهَذَا قُدِّمَ الصَّحَابِيُّانِ  
 بَلْ وَكُتِبَ السُّنَنِ الْمَعْرُوفَةُ عَلَيْهِ لِتَأْخُرَ شُرُوطُهُ عَنْ شُرُوطِهِمْ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا قِيلَ فِي  
 الصَّحَابِيِّينَ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِهِمَا مِنْ جِهَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى مَعْنَى مَا فِيهِمَا مِنَ الشُّرُوطِ  
 الْمَتَقَيِّ عَلَيْهِمَا فَلَا تَأْخُذُكَ رَيْبٌ فِي ذَلِكَ فَالْقَوْمُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِمْ  
 وَالنَّاسِ الْخَارِجِ الصَّحِيحَةِ لَهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ

### الفصل السابع

فِي عِلْمِ الْفَقْهِ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ  
 أَلْفَهْ مَعْرِفَةُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ بِالْوُجُوبِ وَالْحُدُورِ وَالنَّدْبِ  
 وَالْكَرَاهَةِ وَالْإِبَاحَةِ وَحَيْ مَتَقَاتُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا نَصَبَهُ الشَّارِعُ لِمَعْرِفَتِهَا  
 مِنَ الْأَدَلَّةِ فَإِذَا اسْتَخْرَجْتَ الْأَحْكَامَ مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ قِيلَ لَهَا فِقْهُ وَكَانَ السَّلَفُ  
 يَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلَا بُدَّ مِنْ قُوَّةٍ مَرُورَةٍ أَنَّ  
 الْأَدَلَّةَ غَالِيَهَا مِنَ النُّصُوصِ وَحَيْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَفِي اقْتِضَاءَاتِ الْفَرَائِضِ لِكَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهَا  
 اخْتِلَافٌ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفٌ وَأَيْضًا فَالسُّنَّةُ مُخْتَلِفَةٌ الطَّرِيقُ فِي الثَّبُوتِ وَاتِّعَارُضٌ فِي الْأَكْثَرِ  
 أَحْكَامُهَا فَتَحْتَاجُ إِلَى التَّرْجِيحِ وَهُوَ مُخْتَلِفٌ أَيْضًا فَالْأَدَلَّةُ مِنْ غَيْرِ النُّصُوصِ مُخْتَلِفَةٌ فِيهَا  
 وَأَيْضًا فَالْوَقَائِعُ الْمُجْتَمِعَةُ لَا تُؤْتَى بِهَا النُّصُوصُ وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرُ ظَاهِرٍ فِي الْمَتْنِ

فَيُجْعَلُ عَلَى الْمَنْصُوصِ لِمُسَاهَبَةِ بَيْنَهُمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا إِشَارَاتُ الْخِلَافِ ضَرُورِيَّةُ الْوُفُوعِ  
وَمِنْ هُنَا وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا  
أَهْلَ فِتْنًا وَلَا كَانَ الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْ جَمِيعِهِمْ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُتَّخِذًا بِالْحَامِلِينَ لِلْقُرْآنِ  
الْعَارِفِينَ بِتَأْوِيلِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَمُتَشَابِهِهِ وَمُحْكَمِهِ وَسَائِرِ دَلَالَتِهِ بِمَا تَلْقَوُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ مَنبَعٍ مَعْنَاهُ مِنْهُمْ وَمِنْ عَلَيْهِمْ وَكَانُوا يَسْتَوُونَ لِنِزَالِ الْقُرْآنِ أَيُّ الَّذِينَ  
يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أُمَّةً أُمِّيَّةً فَأَخْضَعَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ قَارِئًا لِلْكِتَابِ  
بِهَذَا الْأَنْسِ لِقِرَائَتِهِ يَوْمَئِذٍ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ صَدَرَ الْعِلْمُ ثُمَّ عَظُمَتْ أَمْصَارُ الْأَسْلَامِ  
وَذَهَبَتِ الْأُمِّيَّةُ مِنَ الْعَرَبِ بِمُمَارَسَةِ الْكِتَابِ وَتَمَكَّنَ الْإِسْتِنْبَاطُ وَكَمُلَ الْفِقْهُ  
وَأَصْبَحَ صِنَاعَةً وَعِلْمًا فَبَدَلُوا بِأَسْمِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَنْتَقَسَمَ الْفِقْهُ فِيهِمْ إِلَى  
طَرِيقَتَيْنِ طَرِيقَةُ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَطَرِيقَةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُمْ  
أَهْلُ الْحِجَازِ وَكَانَ الْحَدِيثُ قَابِلًا فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ لِمَا قَدَّمَاهُ فَاسْتَكْتَرَوْا مِنَ الْقِيَاسِ  
وَمَهَرُوا فِيهِ فَلِذَلِكَ قِيلَ أَهْلُ الرَّأْيِ وَمَقْدَمُ جَمَاعَتِهِمْ الَّذِي اسْتَقَرَّ الْمَذْهَبُ فِيهِ وَفِي  
أَصْحَابِهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَإِمَامُ أَهْلِ الْحِجَازِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ أَنْكَرَ  
الْقِيَاسَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَبْطَلُوا الْأَعْمَلُ بِهِ وَهُمْ الظَّاهِرِيَّةُ وَجَعَلُوا الدَّارَكَ كُلَّهُ  
مُتَخَصِّرَةً فِي النُّصُوصِ وَالْإِجْمَاعِ وَرَدُّوا الْقِيَاسَ الْجَبَلِيَّ وَالْعِلَّةَ الْمَنْصُوصَةَ إِلَى النَّصِّ  
لِأَنَّ النَّصَّ عَلَى الْعِلَّةِ نَصٌّ عَلَى الْحُكْمِ فِي جَمِيعِ مَحَالِّهَا وَكَانَ إِمَامُ هَذَا الْمَذْهَبِ دَاوُدُ  
أَبْنُ عَلِيٍّ وَابْنُهُ وَأَصْحَابُهُمَا وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ فِي مَذَاهِبِ الْجُمْهُورِ الْمُشْتَهَرَةِ  
بَيْنَ الْأُمَّةِ وَشَدَّ أَهْلُ الْبَيْتِ بِمَذَاهِبِ ابْتِدَعُوهَا وَفَقَّهَ أَنْزَلُوهَا بِهِ وَبَنَوْهُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ  
فِي تَنَاوُلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بِالْقُدْحِ وَعَلَى قَوْلِهِمْ بِعِصْمَةِ الْأَئِمَّةِ وَرَفْعِ الْخِلَافِ عَنْ  
أَقْوَالِهِمْ وَحِي كُنْهَا أَصُولٌ وَاهِبَةٌ وَشَدَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْخَوَارِجُ وَلَمْ يَتَغَيَّلِ الْجُمْهُورُ بِمَذَاهِبِهِمْ  
بَلْ أَوْسَعُوا جَانِبَ الْإِنْكَارِ وَالْقُدْحِ فَلَا تَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ وَلَا تَرَوِي كُتُبَهُمْ  
وَلَا أَثَرٌ لِسَنَنِهَا إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِمْ فَكُتِبَ الشِّيعَةُ فِي بِلَادِهِمْ رَحِيحٌ كَانَتْ دَوَلَّتُهُمْ  
قَائِمَةً فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَالْيَمَنِ وَالْخَوَارِجُ كَذَلِكَ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ كُتُبٌ وَتَأَلِيفٌ  
وَأَرَآ فِي الْفِقْهِ غَرِيبَةً ثُمَّ دُرِسَ مَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ الْيَوْمَ بِدُرُوسِ أَيْمَتِهِ وَإِنْكَارِ  
الْجُمْهُورِ عَلَى مُتَحِلِّهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي الْكُتُبِ الْجُلْدَةُ وَرَبَّمَا بِكَفِّ كَثِيرٍ مِنَ الطَّالِبِينَ

مِنْ تَكَلَّفَ بِاتِّحَالِ مَذْهَبِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْكِتَابِ يَرُومُ اخْذَ فِقْهِهِمْ مِنْهَا وَمَذْهَبِهِمْ فَلَا يَخْلُو بِطَائِلٍ وَبَصِيرُ إِلَى مُخَالَفَةِ الْجُمْهُورِ وَإِنْكَارِهِمْ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا عُدَّ بِهِذِهِ الْفِخْلَةَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ بِقَوْلِهِ الْعِلْمُ مِنَ الْكِتَابِ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحِ الْمُعَلِّمِينَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ حَزْمٍ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى عُلُوِّ رُتْبَتِهِ فِي حِفْظِ الْحَدِيثِ وَصَارَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَهَرَبَ فِيهِ بِاجْتِهَادِ زَعْمِهِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَخَالَفَ إِمَامَهُمْ دَاوُدَ وَتَعَرَّضَ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَذَمَّ الْأَدَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَوْسَعُوا مَذْهَبَهُ اسْتِجْانًا وَإِنْكَارًا وَتَلَقَّوْا كُتُبَهُ بِالْإِغْمَالِ وَالْتَرَكِ حَتَّى إِذَا نَحَصَرَ يَنْهَا بِالْأَسْرَاقِ وَرُبَّمَا تَمَرَّقَ فِي بَعْضِ الْأَحْبَانِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَذْهَبُ أَهْلِ الرَّأْيِ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْحِجَازِ . قَالَا أَهْلُ الْعِرَاقِ قَالَا مَاهُمْ الَّذِي اسْتَفْرَقَتْ عَنْهُمْ مَذَاهِبُهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمَقَامُهُ فِي النَّفَقَةِ لَا يُلْحَقُ شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ أَهْلُ جَلَدَتِهِ وَخَصُوصًا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ فَكَانَ إِمَامُهُمْ مَالِكُ ابْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيُّ إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاخْتَصَّ بِزِيَادَةِ مُدْرِكِ آخَرِ لِلْإِحْسَامِ غَيْرِ الْمُدْرِكِ الْمُعْتَبَرَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ وَهُوَ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّهُمْ فِيهَا يَنْفُسُونَ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُتَابِعُونَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ ضَرُورَةٌ لِيَدِينَهُمْ وَافْتِدَائِهِمْ وَهَكَذَا إِلَى الْجِيلِ الْمُبَاشِرِينَ لِنَعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآخِذِينَ ذَلِكَ عَنْهُ وَصَارَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ أَصُولِ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَظَنُّ كَثِيرٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ فَأَنْكَرَهُ لِأَنَّ دَلِيلَ الْإِجْمَاعِ لَا يَخْصُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْ سِوَاهُمْ بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِلْأَئِمَّةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِجْمَاعَ إِنَّمَا هُوَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى الْأَمْرِ الدِّينِيِّ عَنْ اجْتِهَادِ وَمَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَتَّبِعْ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَإِنَّمَا اعْتَبَرَهُ مِنْ حَيْثُ اتَّبَعَ الْجِيلُ بِالْمُشَاهَدَةِ الْجِيلِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَضَرُورَةُ أَفْتِدَائِهِمْ بِعَيْنِ ذَلِكَ يَعْمُ الْمِلَّةُ ذُكِرَتْ فِي بَابِ الْإِجْمَاعِ وَالْأَبْوَابِ بِهَا مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنْ الْإِتِّفَاقِ الْجَمَاعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِجْمَاعِ إِلَّا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ عَنْ نَظَرٍ وَاجْتِهَادٍ فِي الْأَدِلَّةِ وَاتِّفَاقِ هَؤُلَاءِ فِي فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُسْتَنَدِينَ إِلَى مُشَاهَدَةٍ مِنْ قَبْلَهُمْ وَلَوْ ذُكِرَتْ الْمَسْأَلَةُ فِي بَابِ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَرَّرَ أَوْ مَعَ الْأَدِلَّةِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا مِثْلَ مَذْهَبِ الصَّحَابِيِّ وَمَنْعٍ مِنْ قَبْلُنَا وَالْإِسْتِصْحَابِ لَكَانَ الْيَقِينُ كَمَا كَانَ مِنْ بَعْدِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الْمُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ

مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَلَقِيَ أَصْحَابَ الْإِيمَانِ أَيْ حَنِيفَةَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَمَزَجَ طَرِيقَهُ أَهْلُ الْحِجَازِ  
 بِطَرِيقَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَخْصَصَ بِمَذْهَبٍ وَخَالَفَ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنْ  
 مَذْهَبِهِ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ مِنْ عَلَيْهِ الْأَحَدِيثُ وَقَرَأَ  
 أَصْحَابُهُ عَلَى أَصْحَابِ الْإِيمَانِ أَيْ حَنِيفَةَ مَعَ وَفُورٍ يَضَاعَتُهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ فَاخْتَصُوا بِمَذْهَبِ  
 آخَرٍ وَوَقَفَ التَّقْلِيدُ فِي الْأَمْصَارِ عِنْدَهُمْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ وَدَرَسَ الْمُقَلِّدُونَ لِمَنْ سِوَاهُمْ وَسَدَّ  
 النَّاسُ بَابَ الْخِلَافِ وَطَرَفَهُ لَمَّا كَثُرَ تَشَعُّبُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي الْبُلُومِ وَلَمَّا عَاقَ عَنْ  
 الْوُصُولِ إِلَى رُتْبَةِ الْأَجْتِهَادِ وَلَمَّا خُشِيَ مِنْ إِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ وَمَنْ لَا يُوَقُّ  
 بِرَأْيِهِ وَلَا يَدِينُهُ فَصَرَحُوا بِالْعِزِّ وَالْإِعْزَازِ وَزَادُوا النَّاسَ إِلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ كُلِّ مَنْ  
 اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْمُقَلِّدِينَ وَحَظَرُوا أَنْ يَتَدَاوَلَ تَقْلِيدُهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّلَاعُبِ وَلَمْ يَبْقَ  
 إِلَّا نَقْلُ مَذَاهِبِهِمْ وَعَمِلَ كُلُّ مُقَلِّدٍ بِمَذْهَبٍ مِنْ قُلْدِهِ مِنْهُمْ بَعْدَ تَصْحِيحِ الْأُصُولِ  
 وَاتِّصَالَ سَنَدِهَا بِالرَّوَايَةِ لِأَتَّخِذُوا الْيَوْمَ لِلْفَقْهِ غَيْرَ هَذَا وَمَدَّعَى الْأَجْتِهَادِ لِهَذَا الْفَهْدِ  
 مَزْدُودٌ عَلَى عَقِبِهِ مَهْجُورٌ تَقْلِيدُهُ وَقَدْ صَارَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ عَلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ  
 الْأَرْبَعَةِ الْأَرْبَعَةِ فَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَمَقْلُدُهُ قَلِيلٌ لِبُعْدِ مَذْهَبِهِ عَنِ الْأَجْتِهَادِ  
 وَأَصَالَتِهِ فِي مُعَاذَةِ الرَّوَايَةِ وَاللَّخْبَارِ بَعْضُهَا يَبْغِضُ وَأَكْثَرُهُمْ بِالسَّامِ وَالْعِرَاقِ مِنْ  
 بَغْدَادَ وَنَوَاحِيهَا وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِلْسُنَّةِ وَرَوَايَةِ الْحَدِيثِ وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَقُلْدُهُ  
 الْيَوْمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمُسْلِمَةُ الْمَنْدِ وَالْمِصْرَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهَا لِمَا كَانَ  
 مَذْهَبُهُ أَخْصَصَ بِالْعِرَاقِ وَدَارِ السَّلَامِ وَكَانَ تَلْمِيزُهُ صَحَابَةَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 فَكَثُرَتْ نَائِيَتُهُمْ وَمَنَاطَرَاتُهُمْ مَعَ الشَّافِعِيَّةِ وَحَسَنَتِ مَبَاحِثُهُمْ فِي الْخِلَافِيَّاتِ وَجَاءُوا  
 مِنْهَا بِعِلْمٍ مُسْتَظَرَفٍ وَأَنْظَارٍ غَرِيبَةٍ وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَبِالْغَرِيبِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ  
 نَقَلَهُ إِلَيْهِ الْقَاسِمِيُّ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي فِي رِخْلَتَيْهِمَا وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَمَقْلُدُوهُ  
 بِمِصْرَ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهَا وَقَدْ كَانَ أَنْتَشَرَ مَذْهَبُهُ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ  
 وَقَاسَمُوا الْحَنِيفِيَّةَ فِي الذَّنْوَى وَالتَّدْرِيسِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَعَظَمَتِ نَجَالِسُ الْمَنَاطَرَاتِ  
 بَيْنَهُمْ وَشُعِنَتْ كُتُبُ الْخِلَافِيَّاتِ بِأَنْوَاعِ اسْتِدْلَالَتِهِمْ ثُمَّ دُرِسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِدُرُوسِ  
 الْمَشْرِقِ وَأَفْطَارِهِ وَكَانَ الْأَمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أُدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ لَمَّا نَزَلَ عَلَى بَنِي  
 عَبْدِ الْحَكَمِ بِمِصْرَ أَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَمْسَهُ وَأَبْنُ الْقَاسِمِ

وَأَبْنُ الْمَوَازِ وَغَيْرُهُمْ ثُمَّ الْحَارِثُ بْنُ مَسْكِينٍ وَبَنُوهُ ثُمَّ أَتَقَرَّضَ فَقَهُ أَهْلُ السَّنَةِ مِنْ مِصْرَ  
يُظْهِرُ دَوْلَةَ الرَّاغِضَةِ وَتَدَاوَلَ بِهَا فَقَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَتَلَامِيذُ مِنْ سِوَاهُمْ إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ  
دَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الرَّاغِضَةِ عَلَى يَدِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَهُ  
الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ فَمَادَ إِلَى أَحْسَنَ مَا كَانَ وَتَفَقَّحَ سَوْفَهُ  
وَأَشْتَهَرَ مِنْهُمْ مُجَنِّي الدِّينِ التُّوَيْهِ مِنَ الْحَلَبَةِ الَّتِي رَسَيْتَ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ  
بِالشَّامِ وَعِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ أَيْضًا ثُمَّ ابْنُ الرُّفْعَةِ بِمِصْرَ وَنَفِي الدِّينِ بْنُ  
دَقِيقِ الْعِيدِ ثُمَّ نَفِي الدِّينِ السَّبْكِيُّ بَعْدَهُمَا إِلَى أَنْ أَتَيْتَنِي ذَلِكَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ  
بِمِصْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ مِرَاجُ الدِّينِ الْبَلْقِينِيُّ فَهُوَ الْيَوْمَ أَكْبَرُ الشَّافِعِيَّةِ بِمِصْرَ كَبِيرُ  
الْعُلَمَاءِ بَلْ أَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ وَأَمَّا مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاخْتَصَّ بِمَذْهَبِهِ  
أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَإِنْ كَانَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَقْلِدُوا غَيْرَهُ إِلَّا فِي  
الْقَلِيلِ لِمَا أَنَّ رَحْلَتَهُمْ كَانَتْ غَالِبًا إِلَى الْحِجَازِ وَهُوَ مُتَعَيِّ سَفَرِهِمْ وَالْمَدِينَةُ يَوْمَئِذٍ دَارُ  
الْعِلْمِ وَمِنْهَا خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْعِرَاقُ فِي طَرِيقِهِمْ فَأَقْتَصَرُوا عَنْ الْأَخْذِ عَنْ عُلَمَاءِ  
الْمَدِينَةِ وَشَبَّحَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَأَمَّاهُمْ مَالِكٌ وَشِبْوَةُ مِنْ قَبْلِهِ وَتَلْمِيزُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجَعَ  
إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَقَلَدُوهُ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ تَقِلْ إِلَيْهِمْ طَرِيقَتُهُ وَأَيْضًا  
فَأَلْبَدَاوَةُ كَانَتْ غَالِبَةً عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُونُوا يَحْكُمُونَ بِالْحِضَارَةِ الَّتِي  
لَأَهْلِ الْعِرَاقِ فَكَانُوا إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ أَمِيلًا لِمُنَاسَبَةِ الْبَدَاوَةِ وَلِهَذَا لَمْ يَزَلِ الْمَذْهَبُ  
الْمَالِكِيُّ غَضًا عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهُ تَنْفِيحُ الْحِضَارَةِ وَتَهْذِيبُهَا كَمَا وَقَعَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ  
وَلَمَّا صَارَ مَذْهَبُ كُلِّ إِمَامٍ عِلْمًا مَخْصُوصًا عِنْدَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى  
الْاجْتِهَادِ وَالْقِيَاسِ فَاجْتَنَبُوا إِلَى تَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَلْحَاقِ وَتَفْرِيقِهَا عِنْدَ الْأَشْيَاكِهِ  
بَعْدَ الْإِسْتِنَادِ إِلَى الْأَصُولِ الْمَقْرَرَةِ مِنْ مَذَاهِبِ إِمَامِيهِمْ وَصَارَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَتَنَاجَى إِلَى  
مَلَكَةٍ رَاسِخَةٍ يُقَدَّرُ بِهَا عَلَى ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّنْظِيرِ أَوْ التَّفْرِيقِ وَاتَّبَاعَ مَذْهَبَ إِمَامِيهِمْ  
فِيهِمَا مَا اسْتَطَاعُوا وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ هِيَ عِلْمُ الْفَقْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ جَمِيعًا مُقِلَّدُونَ  
لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ تَلَامِيذُهُ أَفَرَقُوا بِمِصْرَ وَالْعِرَاقِ فَكَانَ بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ  
الْقَاضِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَبَقْتَهُ مِثْلُ ابْنِ خُوَيْزَمَنْدَادَ وَأَبْنِ الْأَبَّابِ وَالْقَاضِي وَأَبِي بَكْرٍ  
الْأَهْرَبِيُّ وَالْقَاضِي أَبِي حُسَيْنٍ بْنُ الْقَصَّارِ وَالْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَانَ

بمِصْرَ ابْنِ الْقَاسِمِ وَأَمْتَهُبُ وَأَبْنُ عَبْدِ الْمُحْكَمِ وَالْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينَ وَطَبَقَتُهُمْ وَرَحَلَ  
 مِنَ الْأَنْدَلُسِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ فَأَخَذَ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ وَطَبَقَتِهِ وَبَثَّ مَذْهَبَ مَالِكٍ  
 فِي الْأَنْدَلُسِ وَدَوَّنَ فِيهِ كِتَابَ الْوَاضِحَةِ ثُمَّ دَوَّنَ الْعَتَبِيُّ مِنْ تَلَامِيذِهِ كِتَابَ الْعَتَبِيَّةِ  
 وَرَحَلَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةِ أَسَدُ بْنُ الْقُرَاتِ فَكَتَبَ عَنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ أَوَّلًا ثُمَّ أَنْتَقَلَ  
 إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَكَتَبَ عَلَى ابْنِ الْقَاسِمِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ النِّفَعِ وَجَاءَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ  
 يَكْتَابُهُ وَيُسَمِّي الْأَسَدِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى أَسَدِ بْنِ الْقُرَاتِ فَقَرَأَ بِهَا يُحْنُونَ دَلَى أَسَدٍ ثُمَّ أَرْسَلَ  
 إِلَى الْمَشْرِقِ وَلَقِيَ ابْنَ الْقَاسِمِ وَأَخَذَ عَنْهُ وَعَارَضَهُ بِمَسَائِلِ الْأَسَدِيَّةِ فَرَجَعَ عَنْ كَثِيرٍ  
 مِنْهَا وَكَتَبَ سُحُونُ مَسَائِلَهَا وَدَوَّنَهَا وَأَثَبَتْ مَا رَجَعَ عَنْهُ وَكَتَبَ لِأَسَدٍ أَنْ يَأْخُذَ بِكِتَابِ  
 سُحُونٍ فَأَثَبَتْ مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكَ النَّاسُ كِتَابَهُ وَاتَّبَعُوا مَدْوَنَةَ سُحُونٍ عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ  
 اخْتِلَافِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَبْوَابِ فَكَانَتْ تُسَمَّى الْمَدْوَنَةُ وَالْمُخْتَاطَةُ وَصَكَّفَ أَهْلُ  
 الْقَيْرَوَانِ عَلَى هَذِهِ الْمَدْوَنَةِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْوَاضِحَةِ وَالْعَتَبِيَّةِ ثُمَّ اخْتَصَرَ ابْنُ  
 أَبِي زَيْدٍ الْمَدْوَنَةَ وَالْمُخْتَاطَةَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُخْتَصَرِ وَلَخَّصَهُ أَيْضًا أَبُو سَعِيدٍ  
 الْبَرَادَعِيُّ مِنْ فُقَهَاءِ الْقَيْرَوَانِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْقَزْدِيبِ وَأَعْتَمَدَهُ الشَّيْخَةُ مِنْ أَهْلِ  
 أَفْرِيقِيَّةِ وَآخَذُوا بِهِ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ وَكَذَلِكَ أَعْتَمَدَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كِتَابَ الْعَتَبِيَّةِ  
 وَهَجَرُوا الْوَاضِحَةَ وَمَا سِوَاهَا وَلَمْ تَزَلْ عِلْمَاءُ الْمَذْهَبِ يَتَعَاهَدُونَ هَذِهِ الْأُمَهَاتِ بِالشَّرْحِ  
 وَالْإِبْصَاحِ وَالْجَمْعِ فَكَتَبَ أَهْلُ أَفْرِيقِيَّةِ عَلَى الْمَدْوَنَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا مِثْلَ  
 ابْنِ يُونُسَ وَاللَّخْمِيِّ وَأَبْنِ مُحَمَّدٍ التُّونِسِيِّ وَأَبْنِ بَشِيرٍ وَأَمَّا لِيهِمْ وَكَتَبَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ  
 عَلَى الْعَتَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا مِثْلَ ابْنِ رُشْدٍ وَأَمَّا لِيهِ وَجَمَعَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ جَمِيعَ مَا فِي  
 الْأُمَهَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالْخِلَافِ وَالْأَقْوَالِ فِي كِتَابِ التَّوَادُرِ فَأَشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ أَقْوَالِ  
 الْمَذَاهِبِ وَفَرَّغَ الْأُمَهَاتِ كُلَّهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَنَقَلَ ابْنُ يُونُسَ مُعْظَمَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى  
 الْمَدْوَنَةِ وَزَحَرَتْ بِحَارِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْفَرَاغِ دَوْلَةُ قُرْطُبَةَ وَالْقَيْرَوَانِ  
 ثُمَّ تَمَسَّكَ بِهَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْحَاجِبِ  
 لَخَّصَ فِيهِ طُرُقَ أَهْلِ الْمَذْهَبِ فِي كُلِّ بَابٍ وَتَعْدِيدَ أَقْوَالِهِمْ فِي كُلِّ مَسْئَلَةٍ لَجَاءَ كَأَكْبَرِ تَأْخِيصٍ  
 لِلْمَذْهَبِ وَكَانَتْ الطَّرِيقَةُ الْمَالِكِيَّةُ بَقِيَتْ فِي مِصْرَ مِنْ لَدُنِ الْحَارِثِ بْنِ مِسْكِينَ وَأَبْنِ  
 الْمُبَشِّرِ وَأَبْنِ اللَّيْثِ وَأَبْنِ الرَّشِيقِ وَأَبْنِ شَاسٍ وَكَانَتْ بِالْأَنْدَلُسِ كَنْدَرِيَّةً فِي بَنِي عُوفٍ



وَبَنِي سَنَدٍ وَأَبْنِ عَطَاءَ اللَّهِ وَلَمْ أَدْرِ عَمَّنْ أَخَذَ أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْحَاجِبِ لِكُنْهٍ جَاءَ بَعْدَ  
 أَفْقَرِاضِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَذَهَابِ فِيهِ أَهْلُ الْبَيْتِ وَظُهُورِ فَقَهَاءِ السُّنَّةِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ  
 وَالْمَالِكِيَّةِ وَلَمَّا جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى الْمَغْرِبِ آخَرَ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ عَشَرَ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ  
 مِنْ طَلَبَةِ الْمَغْرِبِ وَخُصُوصًا أَهْلُ بِيحَاةٍ لِمَا كَانَ كَبِيرُ مُتَبَيِّنِهِمْ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ  
 الزَّوَاوِيُّ هُوَ الَّذِي جَلَبَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ كَانَ قَرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِمِصْرَ وَلَسَخَ مُخْتَصَرُهُ  
 ذَلِكَ نَجَاءً بِهِ وَأَنْتَشَرَ يَقْطُرُ بِحَاةٍ فِي تَلْمِيذِهِ وَمِنْهُمْ أَنْتَقَلَ إِلَى سَائِرِ الْأَنْصَارِ الْمَغْرِبِيَّةِ  
 وَطَلَبَةِ الْفَقْهِ بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ يَتَدَاوُلُونَ قِرَاءَتَهُ وَبِتَدَارُسُونَهُ لِمَا يُؤْتِرُ عَنْ الشَّيْخِ  
 نَاصِرِ الدِّينِ مِنَ التَّرْغِيبِ فِيهِ وَقَدْ شَرَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِهِمْ كَأَبْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَأَبْنِ  
 رُشْدٍ وَأَبْنِ هَارُونَ وَكُلُّهُمْ مِنْ مُتَبَيِّنَةِ أَهْلِ تُونِسَ وَسَائِقِي حَلَّتِيهِمْ فِي الْأَجَادَةِ فِي ذَلِكَ  
 أَبْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ بَتَعَاهِدُونَ كِتَابَ التَّهْذِيبِ فِي دُرُوسِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي  
 مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل الثامن

### في علم الفرائض

وَهُوَ مَعْرِفَةُ فُرُوضِ الْوَرَاثَةِ وَتَضْيِيقِ مِهَامِ الْقَرِيبَةِ مِمَّا تَصِحُّ بِاعْتِبَارِ فُرُوضِهَا  
 الْأَصُولُ أَوْ مَنَاسَخَتِهَا وَذَلِكَ إِذَا هَلَكَ أَحَدُ الْوَرَثَةِ وَأَنْكَسَرَتْ مِهَامُهُ عَلَى فُرُوضِ  
 وَرَثَتِهِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَى حِسَبٍ نَضْجِ الْقَرِيبَةِ الْأُولَى حَتَّى يَصِلَ أَهْلُ الْفُرُوضِ  
 جَمِيعًا فِي الْقَرِيبَتَيْنِ إِلَى فُرُوضِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَجَزِئَةٍ وَقَدْ تَكُونُ عَلَيْهِ الْمَنَاسَخَاتُ أَكْثَرَ  
 مِنْ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَتَتَعَدَّدُ لِلنَّكَ بَعْدَ أَكْثَرِ وَيَقْدَرُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَذَلِكَ  
 إِذَا كَانَتْ قَرِيبَةٌ ذَاتُ وَجْهَيْنِ مِثْلُ أَنْ يُقَرَّ بَعْضُ الْوَرَثَةِ بِوَارِثٍ وَيُنْكَرَهُ الْآخَرُ  
 فَتُصَحِّحُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ حِينَئِذٍ وَيَنْظَرُ مَبْلَغُ السِّهَامِ ثُمَّ يُقَسَّمُ التَّرَكُّةُ عَلَى نِسَبِ مِهَامِ  
 الْوَرَثَةِ مِنْ أَصْلِ الْقَرِيبَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَانَ غَالِبًا بِهِ وَجَلَّوهُ فَنَا  
 مُفْرَدًا وَالنَّاسُ فِيهِ تَأَلَّفَتْ كَثِيرَةٌ أَشْهَرُ مَا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْأَنْدَلُسِ  
 كِتَابُ أَبِي نَائِبٍ وَتُخْتَصَرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْخُفَوِيِّ ثُمَّ الْجَعْدِيُّ وَمِنْ مُتَأَخَّرِي  
 أَفْرِيقِيَّةِ ابْنُ التَّمِيمِ الطَّرَابُلُسِيُّ وَأَمَّا هَلُمُّ وَأَمَّا الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ فَلَهُمْ فِيهِ  
 تَأَلَّفَتْ كَثِيرَةٌ وَأَعْمَالُ عَظِيمَةٌ صَعِبَةٌ شَاهِدَةٌ لَهُمْ بِاتِّسَاعِ الْبَالِغِ فِي الْفَقْهِ وَالْحِسَابِ

وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف  
لجميع بين المعقول والمنقول والتوصل به إلى الحقوق في الورتات بوجوه صحيحة  
يقينية عند ما تجهل الخطوط وتشكل على القاصدين والعلماء من أهل الأمصار بها  
عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج  
إلى استخراج الجبرولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والأصرف في الجدور  
وأمثال ذلك فمملأون بها تاليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيها  
بتداولته من وزائهم لغرائبه وقلة وقوعه فهو يفيد المران وتحصيل المصلحة في  
المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج الأكر من أهل هذا الفن على فضله بالحدوث  
للمنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وأنها أول ما ينسى وفي  
رواية نصف العلم خرجه أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد  
بالفرائض فروض الورتاة والذي يظهر أن هذا التحل بعيد وأن المراد بالفرائض  
إنما هي الفرائض التكيفية في العبادات والعادات والموارث وغيرها وبهذا المعنى  
يصح فيها النصفية والثالثة وأما فروض الورتاة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى  
علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص  
أو تخصيصه بفروض الورتاة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون  
والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على عموميه مشتقاً من  
القرض الذي مؤ لفة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع  
الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يعمل إلا على ما كان يعمل  
في عصرهم فهو أبقى بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات

اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة  
وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف وأصول  
الأدلة الشرعية في الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبنية له فعلى عهد النبي  
صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تتلقى بما يوحى إليه من القرآن وبينه بقوله وفعله

يُخِطَّبُ شَفَاعِي لَا يَتَّحُجُّ إِلَى تَقَلُّ وَلَا إِلَى تَنْظَرٍ وَفِيَّاسٍ وَمِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
عَلَيْهِ تَعَدَّرَ الْخِطَابُ الشَّفَاعِيَّ وَأَتَخَفَظَ الْقُرْآنُ بِالتَّوَاتُرِ وَأَمَّا السَّنَةُ فَأُجْمِعُ الصَّحَابَةَ  
رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى وَجوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْهَا قَوْلًا أَوْ فِعْلًا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ  
الَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ وَتَعَيَّنَتْ دَلَالَةُ الشَّرْعِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ بِهَذَا الْإِجْمَاعِ  
ثُمَّ يَنْزُلُ الْإِجْمَاعُ مَنْزِلَتَهُمَا لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى التَّكْيِيدِ عَلَى مُحَالِفَتِهِمْ وَلَا يَكُونُ  
ذَلِكَ إِلَّا عَنْ مُسْتَنَدٍ لِأَنَّ مِثْلَهُمْ لَا يَتَفَقَّهُونَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ ثَابِتٍ مَعَ شَهَادَةِ الْأَدِلَّةِ بِعَصْمَةِ  
الْجَمَاعَةِ فَصَارَ الْإِجْمَاعُ دَلِيلًا ثَابِتًا فِي الشَّرْعِيَّاتِ ثُمَّ نَظَرْنَا فِي طُرُقِ اسْتِدْلَالِ  
الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ فَإِذَا هُمْ يَقْسِمُونَ الْأَشْيَاءَ بِالْأَنْبَاءِ مِنْهَا وَيَنْظُرُونَ  
الْأَمْثَالَ بِالْأَمْثَالِ بِإِجْمَاعٍ مِنْهُمْ وَتَسْلِيمٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ فَإِنْ كَثُرَ مِنْ  
الْوَأَقِعَاتِ بَعْدَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمْ تَنْدَرِجْ فِي النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ فَقَاسُوهَا بِمَا  
ثَبَتَ وَالْحَقُّوْهَا بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ بِشُرُوطٍ فِي ذَلِكَ الْإِلْحَاقِ تَصَحُّحِ تِلْكَ الْمُسَاوَةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ  
أَوْ الْمِثْلَيْنِ حَتَّى يَنْبَغِي عَلَى الظَّنِّ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا وَاحِدٌ وَصَارَ ذَلِكَ دَلِيلًا  
شَرْعِيًّا بِإِجْمَاعِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقِيَاسُ وَهُوَ رَافِعُ الْأَدِلَّةِ وَاتَّفَقَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ  
هُدْيَهُ فِي أُصُولِ الْأَدِلَّةِ وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ فِي الْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ إِلَّا أَنَّهُ شُدُودُ  
وَالْحَقُّ بَعْضُهُمْ بِهِدْيَةِ الْأَرْبَعَةِ أَدِلَّةٍ أُخْرَى لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا لِضَعْفِ مَذَاهِبِهَا  
وَشُدُودِ الْقَوْلِ فِيهَا فَكَانَ أَوَّلُ مَبَاحِثِ هَذَا الْقَنْنِ النَّظَرُ فِي كَوْنِ هُدْيِهِ أَدِلَّةً قَامًا  
بِالْكِتَابِ فَدَلِيلُهُ الْمُعْجِزَةُ الْقَاطِعَةُ فِي مَتْنِهِ وَالتَّوَاتُرُ فِي تَقْلِيدِهِ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ جَهَالٌ لِلِإِحْتِمَالِ  
وَأَمَّا السَّنَةُ وَمَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْهَا فَالْإِجْمَاعُ عَلَى وَجوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِغُّ مِنْهَا كَمَا قَدْ نَافَهُ  
مُعْتَصِدًا بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ فِي حَيَاتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ إِنْفَاقِ الْكُتُبِ  
وَالرُّسُلِ إِلَى النَّوَاجِي بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ آمِرًا وَنَاهِيًا وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَلِإِتِّفَاقِهِمْ  
رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى إِنْكَارِ مُحَالِفَتِهِمْ مَعَ الْعِصْمَةِ الثَّابِتَةِ لِلْأَمَّةِ وَأَمَّا الْقِيَاسُ  
فَبِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْهِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ هُدْيُهُ أُصُولُ الْأَدِلَّةِ ثُمَّ إِنَّ  
الْمَنْقُولَ مِنَ السَّنَةِ مُحْتَاجٌ إِلَى تَصْحِيحِ الْخَبَرِ بِالنَّظَرِ فِي طُرُقِ النَّقْلِ وَعَدَالَةِ النَّاقِلِينَ  
لِتَتَمَيَّزَ الْحَالَةُ الْخَصْلَةُ لِلظَّنِّ بِصِدْقِهِ الَّذِي هُوَ مَنْطِقُ وَجوبِ الْعَمَلِ وَهُدْيُهُ أَيْضًا مِنْ  
قَوَائِدِ الْقَنْنِ وَبَلْحَقٍّ بِذَلِكَ عِنْدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ وَطَلَبِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْهُمَا

معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من فصوله أيضاً وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في  
دلالة الألفاظ وذلك أن استنفادة المعاني على الإطلاق من تراكم الكلام  
على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين  
اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان الكلام ملكة  
لأهلها لم تكن هذه علوم ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج إليها لأنها جيلة  
وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قديماً ألجأهم هذه العجوة لذلك  
بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوم يحتاج إليها الفقيه في معرفة  
أحكام الله تعالى ثم إن هناك استنفادات أخرى خاصة من تراكم الكلام وهي  
استنفادة الأحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكم الكلام  
وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق بل لابد من معرفة  
أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل  
أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستنفاد مثل أن اللغة  
لا تثبت قياساً والمشتراك لا يراد به معناه وما والواو لا تقتضي الترتيب والعام إذا  
أخرجت أفراداً أخص منه هل يبقى جمعة فيما عداها والأمر للوجوب أو الندب والفرع  
أو التراخي والقي يفتي الفساد أو الصحة والمطلق هل يعمل على المقيد والنقص  
على العلة كاف في التعدد أم لا وأمثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها  
من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم إن النظر في القياس من أعظم قواعد هذا الفن لأن  
فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الأحكام وينفتح الوصف الذي  
يغلب على الظن أن الحكم على به في الأصل من تبين أوصاف ذلك التحمل أو وجود  
ذلك الوصف والفرع من معارض يتبع من ترتيب الحكم عليه في مسائل أخرى  
من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن . (واعلم) أن هذا الفن من الفنون المستحدثة  
في الأمة وكان السلف في غيبة عنه بما أن استنفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج  
فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية وأما القوانين التي يحتاج إليها في  
استنفاد الأحكام خصوصاً فمنهم أخذ معظمها وأما الأساسيد فلم يكونوا يحتاجون  
إلى النظر فيها لقرب العصور وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب

الصدور الأول وأقلبت العلوم كلها صناعة كما قرناه من قبل أحتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فنا قائما برأسه مسموّه أصول الفقه وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الأصول والنواحي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلّة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون أيضا كذلك إلا أن كتابة الفقهاء فيها أمس بالفقه واليقى بالفروع إكثرت الأمثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على الذكيات الأنفعية والمتكلمون يجرّدون صير تلك المسائل على الفقه ويميلون إلى الاستدلال العقلي ما أمكن لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على التكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس بأوسع من جميعهم وتتم الأبحاث والشروط التي يحتاج إليها فيه وكملت صناعة أصول الفقه بكامله وتمدّت مسائله وتمهّلت قواعده وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لإمام الحرمين والمصنّف للفرّائي وهما من الأشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لأبي الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت الأربعة قواعد هذا الفن وأركانها ثم لحص هذه الكتب الأربعة محلان من المتكلمين المتأخرين وهما الإمام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الأملّي في كتاب الأحكام واختلفت طرائقهما في الفن بين التحقيق والحجاج فأبى الخطيب أميل إلى الاستكثار من الأدلة والأحجاج والامدّي مولع بتحقيق المذهب وتفرّيع المسائل وأما كتاب المحصول فاختصره تلميذ الإمام سراج الدين الأزموي في كتاب التفصيل وتاج الدين الأزموي في كتاب الحاصل واقتطعت شهاب الدين الفرّائي منهما مقدمات وقواعد في كتاب صغير مائة التفهيمات وكذلك فعل الألبانوي في كتاب المنهاج وعنى المبشرون بهذه الكتبين وشرّحهما كثير من الناس وأما كتاب الأحكام للإمدي وهو أكثر تحقيقا في المسائل فلخصه أبو عمر بن الحاجب في كتابه

المعروف بِالْمُخْتَصَرِ الْكَبِيرِ ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ تَدَاوَلَهُ طَائِفَةُ الْعُلَمَاءِ وَعُيِيَ أَهْلُ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بِهِ وَيُمْتَطِئَتُهُ وَتُرْجِحُهُ وَحَصَلَتْ زُبْدَةُ طَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي  
 هَذَا الْقَرْنِ فِي هَذِهِ الْمُخْتَصَرَاتِ . وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْحَنْفِيَّةِ فَكَبُرُوا فِيهَا كَثِيرًا وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ كِتَابَتِهَا فِيهَا لِلْمُعْتَدِّينَ تَأْلِيفُ أَبِي زَيْدٍ الدُّبُوسِيِّ وَأَحْسَنُ كِتَابَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 فِيهَا تَأْلِيفُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ مِنْ أَتْلَفِهِمْ وَهُوَ مُتَوَعِّبٌ وَجَاءَ ابْنُ السَّاعَاتِيِّ  
 مِنْ فَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ فَجَمَعَ بَيْنَ كِتَابِ الْإِحْكَامِ وَكِتَابِ الْبَزْدَوِيِّ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ  
 وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْبَدَائِعِ فَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَوْضَاعِ وَأَبْدَعِهَا وَأَيَّمَةُ الْعُلَمَاءِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ يَتَدَاوَلُونَهُ قِرَاءَةً وَبَحْثًا وَأَوَّلَاجَ كَثِيرًا مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ يَشْرَحُونَهُ وَالْحُلَّ عَلَى  
 ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ هَذِهِ حَقِيقَةُ هَذَا الْقَرْنِ وَتَعْيِينَ مَوْضُوعَاتِهِ وَتَعْدِيدُ التَّأْلِيفِ الْمَشْهُورَةِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ فِيهِ وَاللَّهُ يَنْفَعُنَا بِالْعِلْمِ وَيَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 (وَأَمَّا الْخِلَافَاتُ) . فَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْفَقْهَ الْمُسْتَنْبَطَ مِنَ الْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ كَثُرَ فِيهِ  
 الْخِلَافُ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ بِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ وَأَنْظَارِهِمْ خِلَافًا لَابَدًا مِنْ وَفْوِهِ لِمَا  
 قَدَّمَاهُ وَاتَّسَعَ ذَلِكَ فِي الْعِلْمِ اتِّسَاعًا عَظِيمًا وَكَانَ لِلْمُقَلِّدِينَ أَنْ يَقْلِدُوا مَنْ شَاءُوا  
 مِنْهُمْ ثُمَّ لَمَّا اتَّعَى ذَلِكَ إِلَى الْأَيْمَةِ الْأَزْبَقَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ وَكَانُوا بِمَكَانٍ  
 مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ أَقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ وَمَنْعُوا مِنْ تَقْلِيدِ سِوَاهُمْ لِذَهَابِ الْاجْتِهَادِ  
 لِعُسُوبَتِهِ وَتَشَعُّبِ الْعُلُومِ الَّتِي فِي مَوَادِّهِ بِاتِّصَالِ الزَّمَانِ وَافْتِقَادِ مَنْ يَقُومُ عَلَى سِوَى  
 هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الْأَزْبَقَةِ فَأَقْبَسَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْأَزْبَقَةُ أَصُولَ الْعِلْمِ وَأَجْرَى الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَالْآخِذِينَ بِأَحْكَامِهَا تَجَرَّى خِلَافٌ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ  
 وَالْأَصُولِ الْفَقْهِيَّةِ وَجَرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُنَظَارَاتُ فِي تَصْحِيحِ كُلِّ مِنْهُمْ مَذْهَبٍ إِمَامِهِ تَجَرَّى  
 عَلَى أَصُولٍ صَحِيحَةٍ وَطَرَائِقٍ قَوِيَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا كُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي قَلَّدَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ  
 وَأَجْرَيْتُ فِي مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا وَفِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْفَقْهِ فَتَارَةً يَكُونُ الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ يُؤَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةً بَيْنَ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ  
 يُؤَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةً بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ يُؤَافِقُ أَحَدَهُمَا وَكَانَ فِي هَذِهِ  
 الْمُنَظَارَاتِ بَيَانُ مَا خِذَ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةُ وَمَثَارَاتُ اخْتِلَافِهِمْ وَمَوَاقِعُ اجْتِهَادِهِمْ كَانَ هَذَا  
 الصَّنِيفُ مِنَ الْعِلْمِ يُسَمَّى بِالْخِلَافِيَّاتِ وَلَا بُدَّ لِصَاحِبِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا

إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُجْتَهِدُ إِلَّا أَنَّ الْمُجْتَهِدَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِلْإِسْتِنْبَاطِ  
وَصَلَحِبِ اخِلَافَاتِ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِحِفْظِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُسْتَنْبِطَةِ مِنْ أَنَّ يَهْدِيَهَا الْخِلَافُ  
بِأَدْلَتِهِ وَهُوَ لَعَمْرِي عِلْمٌ جَلِيلٌ الْفَائِدَةُ فِي مَعْرِفَةِ مَا خِذَ الْأُئِمَّةُ وَأَدْلَتِهِمْ وَمَرَاتِ  
الْمُطَالَعِينَ لَهُ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَ الْحَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ تَأَلَّفِ  
الْمَالِكِيَّةِ لِأَنَّ الْقِيَاسَ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ أَصْلٌ لِلْكَثِيرِ مِنْ فُرُوعِ مَذْهَبِهِمْ كَمَا عَرَفَتْ  
فَهُمْ لِذَلِكَ أَهْلُ النَّظَرِ وَالنَّجْثِ . وَأَمَّا الْمَالِكِيَّةُ فَالْأَثَرُ أَكْثَرُ مُعْتَمِدُهُمْ وَلَيْسُوا بِأَهْلِ  
نَظَرٍ وَأَيْضًا فَكَثَرَتْهُمْ أَهْلُ الْقُرْبِ وَهُمْ بِأَدْيَةِ غُلٍّ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا فِي الْأَوَّلِ وَلِلْعَزَائِلِ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ كِتَابُ الْمَاخِذِ وَلِأَبِي زَيْدٍ الدُّبُوسِيِّ كِتَابُ التَّلْفِيفَةِ وَلِأَبْنِ الْقَصَّارِ  
مِنْ شُبُوخِ الْمَالِكِيَّةِ عُبُونُ الْأَدَلَةِ وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ السَّاعَاتِي فِي مُخْتَصَرِهِ فِي أُصُولِ الْفَقْهِ  
جَمِيعَ مَا بَنَى عَلَيْهَا مِنَ الْفَقْهِ اخِلَافِي مَدْرَجًا فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ مَا بَنَى عَلَيْهَا مِنَ اخِلَافَاتِ  
(وَأَمَّا الجِدَالُ) وَهُوَ مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُنَظَرَةِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْفَقْهِيَّةِ  
وغيرِهِمْ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَابُ الْمُنَظَرَةِ فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ مُتَسِمًا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَنَظِّرِينَ  
فِي الْإِسْتِدْلَالِ وَالْجَوَابِ يُرْسِلُ عَنَانَهُ فِي الْإِخْتِجَاعِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ صَوَابًا وَمِنْهُ مَا  
يَكُونُ خَطَأً فَاحْتَاجَ الْأُئِمَّةُ إِلَى أَنْ يَضَعُوا آدَابًا وَأَحْكَامًا يَقِفُ الْمُتَنَظِّرَانِ عِنْدَ  
حُدُودِهَا فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ وَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُسْتَدِلِّ وَالْمُجِيبِ وَحَيْثُ يَسُوعُ لَهُ  
أَنْ يَكُونَ مُسْتَدِلًّا وَكَيْفَ يَكُونُ مُخْصُوصًا مُنْقَطِعًا وَمَحَلُّ اعْتِرَاضِهِ أَوْ مُعَارَضَتِهِ وَأَيْنَ  
يَجِبُ عَلَيْهِ الشُّكُوتُ وَلِخُصْمِهِ الْكَلَامُ وَالْإِسْتِدْلَالُ وَلِذَلِكَ قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ مَعْرِفَةٌ  
بِالْفَوَاعِدِ مِنَ الْحُدُودِ وَالْآدَابِ فِي الْإِسْتِدْلَالِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى حِفْظِ رَأْيِ وَهْدَمِهِ سِوَا  
كَانَ ذَلِكَ أَرَأَيْ مِنْ الْفَقْهِ أَوْ غَيْرِهِ وَبِحَيْ طَرِيقَتَانِ طَرِيقَةُ الْبَزْدَوِيِّ وَبِحَيْ خَاصَةً بِالْأَدَلَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَالْإِسْتِدْلَالِ وَطَرِيقَةُ الْعَمِيدِيِّ وَبِحَيْ عَامَةً فِي كُلِّ  
دَلِيلٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ مِنْ أَيْ عِلْمٍ كَانَ وَأَكْثَرُهُ اسْتِدْلَالٌ وَهُوَ مِنَ الْمَنَاحِي الْحُسَنَةِ  
وَالْمَعَالِطَاتِ فِيهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَثِيرَةٌ وَإِذَا اعْتَبَرْنَا النَّظَرَ الْمُنَظِقِي كَانَ فِي الْغَالِبِ  
أَشْبَهُ بِالْقِيَاسِ الْمَعَالِطِيِّ وَالسُّوْطِطَائِيِّ إِلَّا أَنَّ صَوْرَ الْأَدَلَةِ وَالْأَقْنَسَةِ فِيهِ مُحْفُوظَةٌ  
مُرَاعَاةً لَتَجَرُّى فِيهَا طُرُقُ الْإِسْتِدْلَالِ كَمَا بَنَى وَهَذَا الْعَمِيدِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
فِيهَا وَنُسِبَتِ الطَّرِيقَةُ إِلَيْهِ وَضَعَ الْكِتَابَ الْمُسَمَّى بِالْإِشَادِ مُخْتَصَرًا وَتَبِعَهُ مِنْ بَعْدِهِ

مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَالنَّسْفِيِّ وَغَيْرِهِ جَاءُوا عَلَى أَثَرِهِ وَسَلَكُوا مَسْلَكَهُ وَكَثُرَتْ فِي  
الطَّرِيقَةِ الدَّالِيفُ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ مَهْجُورَةٌ لِنَقْصِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الْأَمْصَارِ إِلَّا سَلَامِيَّةً  
وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَمَا لَيْتَ وَلَيْسَتْ فَزُرُورِيَّةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل العاشر

#### في علم الكلام

هُوَ عِلْمٌ يَتَضَمَّنُ النُّجَاجَ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالرَّدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ  
الْمُخَرِّفِينَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ عَنْ مَذَاهِبِ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَمِنْ هَذِهِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ  
هُوَ التَّوْحِيدُ فَلْيَقْدِمْ هُنَا لَطِيفَةً فِي بُرْهَانِ عَقْلِيٍّ يَكْشِفُ لَنَا عَنْ التَّوْحِيدِ عَلَى أَقْرَبِ  
الطَّرِيقِ وَالْمَاخِذِ ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى تَحْقِيقِ عِلْمِهِ وَفِيهِمَا يُنْظَرُ وَيُشِيرُ إِلَى حُدُوثِهِ فِي الْعِلْمِ  
وَمَا دَعَا إِلَى وَضْعِهِ فَقَوْلُ إِنِ الْحَوَادِثُ فِي عَالَمِ الْكَائِنَاتِ سِوَاكَ كَانَتْ مِنَ النَّوَائِ  
أَوْ مِنَ الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ أَوْ الْحَيَوَانِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَسْبَابٍ مُتَقَدِّمَةٍ عَلَيْهَا يَنْفَعُ فِي  
مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ وَعَنْهَا يَتِمُّ كَوْنُهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ حَادِثٌ أَيْضًا فَلَا بُدَّ لَهُ  
مِنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ وَلَا تَزَالُ تِلْكَ الْأَسْبَابُ مُرْتَقِيَةً حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
وَمُوجِدِهَا وَخَالِقِهَا سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَتِلْكَ الْأَسْبَابُ فِي أَرْبَاعِهَا تَنْفَسُجُ وَتَنْضَاعُفُ  
طَوْلًا وَعَرْضًا وَتَحَارُّ الْعَقْلُ فِي إِدْرَاكِهَا وَتَعْدِيدِهَا فَإِذَا لَا يَحْصِرُهَا إِلَّا الْعِلْمُ الْحَاطِطُ سِيمَا  
الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِهَا فِي الشَّاهِدِ الْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ  
إِذْ لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْعِلْعِلِّ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَالْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ أُمُورٌ نَفْسَانِيَّةٌ  
نَاشِئَةٌ فِي الْغَالِبِ عَنْ تَصَوُّرَاتٍ سَابِقَةٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتِلْكَ التَّصَوُّرَاتُ هِيَ أَسْبَابُ  
قَصْدِ الْعِلْعِلِّ وَتَذْ تَكُونُ أَسْبَابُ تِلْكَ التَّصَوُّرَاتِ تَصَوُّرَاتٌ أُخْرَى وَكُلُّ مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ  
مِنْ التَّصَوُّرَاتِ تَجْهُولُ سَبَبُهُ إِذْ لَا يَطْلُعُ أَحَدٌ عَلَى مَبَادِيءِ الْأُمُورِ النَّفْسَانِيَّةِ وَلَا عَلَى  
تَرْتِيبِهَا إِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءٌ بَلْقِيهَا اللَّهُ فِي الذِّكْرِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَالْإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنْ  
مَعْرِفَةِ مَبَادِيئِهَا وَغَايَاتِهَا وَإِنَّمَا يُحِيطُ عُلَمَاءُ فِي الْغَالِبِ بِالْإِسْبَابِ الَّتِي هِيَ طَبِيعَةُ ظَاهِرَةٍ  
وَيَقَعُ فِي مَدَارِكِهَا عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ تَحْضُرُ النَّفْسَ وَتَحْتَ طَوْرَهَا وَأَمَّا  
التَّصَوُّرَاتُ فَيَطَاقُهَا أَوْسَعُ مِنَ النَّفْسِ لِأَنَّهَا الْعَقْلُ الَّذِي هُوَ قَوْقُ طَوْرِ النَّفْسِ فَلَا تَذْرُكُ  
الْكَثِيرَ مِنْهَا فَضْلًا عَنِ الْإِحَاطَةِ وَتَأْمَلْ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةَ الشَّارِعِ فِي نَهْيِهِ عَنِ النَّظَرِ



إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْوُقُوفِ مَعَهَا فَإِنَّهُ وَادٍ بِهِمْ فِيهِ الْفِكْرُ وَلَا يَحِلُّ مِنْهُ بَطَائِلٌ وَلَا يَنْظُرُ  
بِحَقِيقَةٍ قَالَ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَرَبُّمَا أَنْقَطَعَ فِي وَقُوفِهِ عَنِ الْأَرْتِقَاءِ إِلَى  
مَا قُوْفُهُ فَرَأَتْ قَدَمَهُ وَأَصْبَحَ مِنَ السَّالِّينَ إِلَهًا لِكَيْنَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِرْمَانِ وَالْخُسْرَانِ  
الْمَعِينِ وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ هَذَا الْوُقُوفُ أَوْ الرُّجُوعَ عَنْهُ فِي قُدْرَتِكَ وَاخْتِيَارِكَ بَلْ هُوَ لَوْثٌ  
يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ وَصِيقَةٌ تَسْتَحْكِمُ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْأَسْبَابِ عَلَى نِسْبَةٍ لَا نَعْلَمُهَا إِذْ لَوْ  
عَلِمْنَاهَا أَتَخَرَّزْنَا مِنْهَا فَلْتَتَخَرَّزَ مِنْ ذَلِكَ يَقْطَعُ النَّظَرَ عَنْهَا جُمْلَةً وَأَيْضًا فَوْجَهُ تَأْثِيرِ  
هَذِهِ الْأَسْبَابِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ مُسَبِّحَاتِهَا تَجْهَلُ لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْعَادَةِ لَا قِطْرَانِ  
الشَّاهِدِ بِالْإِسْتِنَادِ إِلَى الظَّاهِرِ وَحَقِيقَةِ التَّأْثِيرِ وَكَيْفِيَّتِهِ بِجَهْلِهِ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ  
إِلَّا قَلِيلًا فَلِذَلِكَ أَمَرْنَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا وَإِلْغَائِهَا جُمْلَةً وَالتَّوَجُّعِ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
كُلِّهَا وَقَاعِلِهَا وَمُوجِدِهَا لِتَرْسُخِ صِفَةِ التَّوْحِيدِ فِي النَّفْسِ عَلَى مَا عَلَّمْنَا الشَّارِعَ الَّذِي هُوَ  
أَعْرَفُ بِمَصَالِحِ دِينِنَا وَطُرُقِ سَعَادَتِنَا لِأُطْلَاعِهِ بِمَا وَرَاءَ الْحُسْنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَإِنْ وَقَفَ عِنْدَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ  
فَقَدِ انْقَطَعَ وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَأَنْ سَجَّ فِي بَحْرِ النَّظَرِ وَانْبَغَتْ عَنْهَا وَعَنْ  
أَسْبَابِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ قَاتِنًا الضَّامِنَ لَهُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَّا بِالْخَبِيَةِ فَلِذَلِكَ  
نَهَانَا الشَّارِعَ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأَسْبَابِ وَأَمَرَنَا بِالتَّوْحِيدِ الْمَطْلُوقِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ  
الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ وَلَا تَنْفَقَ بِمَا يَزْعُمُ لَكَ الْفِكْرُ مِنْ  
أَنَّهُ مُقْتَدِرٌ عَلَى الْأَحَاطَةِ بِالْكَائِنَاتِ وَأَسْبَابِهَا وَالْوُقُوفِ عَلَى تَفْصِيلِ الْوُجُودِ كُلِّهِ وَسَنِّهِ  
رَأْيِهِ فِي ذَلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرِكٍ فِي بَادِيءِ رَأْيِهِ مُتَحَصِّرٌ فِي مَدَارِكِهِ  
لَا يَبْغُودُهَا وَالْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ أَلَّا تَرَى الْأَصْمَ كَيْفَ  
يَتَحَصَّرُ الْوُجُودُ عِنْدَهُ فِي الْحَسُوسَاتِ الْأَرْبَعِ وَالْمَعْقُولَاتِ وَيَسْقُطُ مِنَ الْوُجُودِ عِنْدَهُ  
صِنْفُ الْمَسْمُوعَاتِ وَكَذَلِكَ الْأَعْمَى أَيْضًا يَسْقُطُ عِنْدَهُ صِنْفُ الْمَرْتَبَاتِ وَلَوْلَا مَا يَرُدُّهُمْ  
إِلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الْأَبَاءِ وَالْمَشِيخَةِ مِنْ أَهْلِ عَصَرِهِمُ وَالْكَافَّةِ لَمَا أَقْرَبُوا بِهِ لِكَيْنَهُمْ  
يَتَّبِعُونَ الْكَافَّةَ فِي اثْبَاتِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ لَا يَمْتَقِضِي فِطْرَتَهُمْ وَطَبِيعَهُ إِدْرَاكَهُمْ وَلَوْ  
سُئِلَ الْحَيَوَانُ الْأَعْجَمُ وَنَطَقَ لَوَجَدْنَاهُ مُنْكَرًا لِلْمَعْقُولَاتِ وَسَاقِطَةً لَدَيْهِ بِالْكَلِمَةِ  
فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَتَلَمَّ هُنَاكَ ضَرْبًا مِنَ الْإِدْرَاكِ غَيْرَ مُدْرِكَانَا لِأَنَّ إِدْرَاكَنَا مَخْلُوقَةٌ

مُخَدَّثَةً وَخَلَقَ اللهُ أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْخَصَرُ بِجَهْلٍ وَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا مِنْ ذَلِكَ وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ فَأَتَيْهِمْ إِدْرَاكَكَ وَمُدْرَكَكَ فِي الْخَصَرِ وَاتَّبِعْ مَا أَمَرَكَ الشَّارِعُ بِهِ مِنْ اعْتِقَادِكَ وَعَمَلِكَ فَهُوَ أَحْرَصُ عَلَى سَعَادَتِكَ وَأَعْلَمُ بِمَا يَنْفَعُكَ لِأَنَّهُ مِنْ طَوْرِ فَوْقِ إِدْرَاكَكَ وَمِنْ نِطَاقٍ أَوْسَعَ مِنْ نِطَاقِ عَقْلِكَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي الْعَقْلِ وَمُدْرَكَكِ بَلِ الْعَقْلُ مِيزَانٌ صَحِيحٌ فَأَحْكَمُهُ بِقِيَّتِهِ لَا كَتِيبَ فِيهَا غَيْرُكَ أَنْكَ لَا تَطْمَعُ أَنْ تَزِنَ بِهِ أُمُورَ التَّوْحِيدِ وَالْآخِرَةِ وَحَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ وَحَقَائِقَ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ وَكُلِّ مَا وَرَاءَ طَوْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ طَمَعٌ فِي مُحَالٍ وَمِثَالُ ذَلِكَ مِثَالُ رَجُلٍ رَأَى الْمِيزَانَ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ الذَّهَبُ فَقَطَّعَ أَنْ يَزِنَ بِهِ الْحِجَالَ وَهَذَا لَا يَدْرُكَ عَلَى أَنَّ الْمِيزَانَ فِي أَحْكَمِهِ غَيْرُ صَادِقٍ لَكِنَّ الْعَقْلَ قَدْ يَقِفُ عِنْدَهُ وَلَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ حَتَّى يَكُونُ لَهُ أَنْ يُحِيطَ بِاللَّهِ وَيَصِفَانِهِ فَإِنَّهُ ذَرَّةٌ مِنْ ذَرَاتِ الْوُجُودِ الْحَاصِلِ مِنْهُ وَتَقَطُّنٌ فِي هَذَا الْفَلْطِ وَمَنْ يَقْدِمُ الْعَقْلَ عَلَى السَّمْعِ فِي أَمثالِ هَذِهِ الْقَضَايَا وَفُصُورِ فِتْنِهِ وَأَضْغِثَالِ رَأْيِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ الْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ وَإِذْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَلَعَلَّ الْأَسْبَابَ إِذَا تَجَاوَزَتْ فِي الْأَرْتِقَاءِ نِطَاقَ إِدْرَاكَكَ وَوُجُودَنَا خَرَجَتْ عَنْ أَنْ تَكُونَ مُدْرَكَةً فَيُضِلُّ الْعَقْلُ فِي يَتْدَاءِ الْأَوْهَامِ وَيَحَارُ وَيَنْقَطِعُ فَأِذَا التَّوْحِيدُ أَوْ الْعَجْزُ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَسْبَابِ وَكَيْفِيَّاتِ تَأْثِيرِهَا وَتَقْوِيضِ ذَلِكَ إِلَى خَالِقِهَا الْخَاطِئِ بِهَا إِذْ لَا فَاعِلَ غَيْرَهُ وَكُلُّهَا تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ وَتَرْجِعُ إِلَى قُدْرَتِهِ وَعِلْمَانَا بِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ صُدُورُنَا عَنْهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الصِّدِّيقِينَ الْعَجْزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكَكَ ثُمَّ إِنَّ الْمَعْتَبَرَ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ لَيْسَ هُوَ الْإِيمَانُ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ حُكْمِي فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِيهِ حُصُولُ صِفَةٍ مِنْهُ تَنْكِيفُ بِهَا النَّفْسُ كَمَا أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ أَيْضًا حُصُولُ مَلَكََةِ الطَّاعَةِ وَالْإِتْقَانِ وَتَقَرُّبُ الْقَلْبِ عَنْ شَوَاطِلِ مَا سِوَى الْمَعْبُودِ حَتَّى يَنْقَلِبَ الْمُرِيدُ السَّالِكُ رِبَانِيًّا وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالِ وَالْعِلْمِ فِي الْمَعَانِدِ فَرَقٌ مَا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْإِتِّصَافِ وَشَرْحُهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّ رَحْمَةَ الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُنْدُوبٌ إِلَيْهَا وَيَقُولُ بِذَلِكَ وَيَعْتَرِفُ بِهِ وَيَذْكُرُ مَا أَخَذَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَهُوَ لَوْ رَأَى يَتِيمًا أَوْ مَسْكِينًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَغْنِينَ لَفَرَّ عَنْهُ وَاسْتَنْكَفَ أَنْ يَبَاشِرَهُ فَضْلًا عَنِ السَّمْعِ عَلَيْهِ لِلرَّحْمَةِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعَطْفِ وَالْحَنَوِ وَالصَّدَقَةِ فَهَذَا إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ

مِنْ رَحْمَةِ الْيَتِيمِ مَقَامَ الْعَلِيمِ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَقَامُ الْحَالِ وَالْإِتِّصَافِ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ  
 يَحْصُلُ لَهُ مَعَ مَقَامِ الْعَلِيمِ وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ رَحْمَةَ الْمُسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
 مَقَامٌ آخَرُ أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْإِتِّصَافُ بِالرَّحْمَةِ وَحُصُولُ مَلَكَتِهَا فَمَتَى رَأَى يَتِيمًا  
 أَوْ مِسْكِينًا بَادَرَ إِلَيْهِ وَمَسَحَ عَلَيْهِ وَالتَّمَسَّ الثَّوَابَ فِي الشَّنَقَةِ عَلَيْهِ لَا يَكَادُ يَصِدُّ عَنْ  
 ذَلِكَ وَلَوْ دَفَعَ عَنْهُ ثُمَّ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِمَا حَضَرَهُ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ وَكَذَا عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ  
 إِتِّصَافِهِ بِهِ وَالْعِلْمِ حَاصِلٌ عَنِ الْإِتِّصَافِ فَزُرُورَةٌ وَهُوَ أَوثَقُ مَبْنَى مِنَ الْعِلْمِ الْحَاصِلِ  
 قَبْلَ الْإِتِّصَافِ وَلَيْسَ الْإِتِّصَافُ بِحَاصِلٍ عَنْ تَجَرُّدِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقَعَ الْأَعْمَلُ وَيَتَكَرَّرَ  
 مَرَارًا غَيْرَ مُتَحَصِّرَةٍ فَتَزِيغُ الْمَلَائِكَةِ وَيَحْصُلُ الْإِتِّصَافُ وَالتَّحْقِيقُ وَيَجِيءُ الْعِلْمُ الثَّانِي  
 الْتَائِعُ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ النَّجْدَ عَنِ الْإِتِّصَافِ قَلِيلُ الْجَدْوَى وَالنَّفْعِ وَهَذَا  
 عِلْمٌ أَكْثَرُ النَّظَارِ وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ الْحَالِي النَّائِثِيُّ عَنِ الْعَادَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ  
 الْكَمَالَ عِنْدَ الشَّارِعِ فِي كُلِّ مَا كَلَّفَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا فَمَا طَلِبَ اعْتِقَادُهُ  
 فَالْكَمَالُ فِيهِ فِي الْعِلْمِ الثَّانِي الْحَاصِلِ عَنِ الْإِتِّصَافِ وَمَا طَلِبَ عَمَلُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ  
 فَالْكَمَالُ فِيهَا فِي حُصُولِ الْإِتِّصَافِ وَالتَّحْقِيقِ بِهَا ثُمَّ إِنْ الْإِقْبَالُ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالْمُوَظَّاعَةِ  
 عَلَيْهَا هُوَ الْحَصْلُ لِهَذِهِ الشَّرِيفَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَأْسِ الْعِبَادَاتِ  
 جَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ صَارَتْ لَهُ صِفَةً وَحَالًا يَجِدُ فِيهَا مُنْتَهَى لَذَائِهِ  
 وَقُرَّةَ عَيْنِهِ وَأَيُّنَ هَذَا مِنْ صَلَاةِ النَّاسِ وَمَنْ لَهُمْ بِهَا قَوْلٌ لِلْمُحْصِلِينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ  
 سَاهُونَ اللَّهُمَّ وَقَفْنَا وَاهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ مِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ مَا قُرْآنُهُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ فِي الْكَيْلِيفِ  
 كُلِّهَا حُصُولُ مَلَكَتِهَا رَاضِيَةً فِي النَّفْسِ يَحْصُلُ عَنْهَا عِلْمٌ اضْطِرَارِيٌّ لِلنَّفْسِ هُوَ التَّوْحِيدُ  
 وَهُوَ الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ وَهُوَ الَّذِي يُحْصَلُ بِهِ السَّعَادَةُ وَأَنَّ ذَلِكَ سَوَاءٌ فِي الْكَيْلِيفِ  
 الْقَلْبِيِّ وَالْبَدَنِيِّ وَبَنِيهِمْ مِنْهُ أَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْكَيْلِيفِ وَبَنِيهِ هُوَ بِهِذِهِ  
 الْمَثَابَةِ دُوَ مَرَاتِبَ أُولَئِكَ التَّصْدِيقِ الْقَلْبِيِّ الْمُوَافِقِ لِلِّسَانِ وَأَعْلَاهَا حُصُولُ كَيْفِيَّةٍ مِنْ  
 ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ الْقَلْبِيِّ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ مُسْتَوَلِيَّةٌ عَلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَنْبِغُ الْجَوَارِحَ  
 وَتَتَدَرَّجُ فِي طَاعَتِهَا جَمِيعُ النَّصْرَفَاتِ حَتَّى تَنْخَرُطَ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا فِي طَاعَةِ ذَلِكَ التَّصْدِيقِ  
 الْإِيمَانِيِّ وَهَذَا أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يَقَارِفُ الْمُؤْمِنُ

مَعَهُ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إِذْ حُصِّلَ الْمَلَكَةُ وَرُسُوحُهَا مَانِعٌ مِنَ الْإِنْخِرَافِ عَنْ مَنَاجِيهِ  
 طَرَفَةِ عَيْنٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَفِي حَدِيثٍ  
 هَرَقْلَ لَمَّا سَأَلَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ خَرْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْوَالِهِ فَقَالَ فِي  
 أَصْحَابِهِ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ مُخْطَئَةً لِيَدِينَهُ قَالَ لَا قَالَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَيْثُ تَخْلُطُ  
 بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبُ وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَلَكَتَهُ لَا يُبَيِّنُ إِذَا اسْتَفْرَغَتْ عُسْرَ عَلَى النَّفْسِ تَخَالَفَتْهَا شَأَنُ  
 الْمَلَكَاتِ إِذَا اسْتَفْرَغَتْ فَأَيُّهَا تَحْصُلُ بِمَثَابَةِ الْجِيلَةِ وَالْفِطْرَةِ وَهَذِهِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعَالِيَةِ  
 مِنَ الْإِيمَانِ وَهِيَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِصْمَةِ لِأَنَّ الْعِصْمَةَ وَاجِبَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَاجِبَةٌ  
 سَابِقًا وَهَذِهِ حَاصِلَةُ الْمُؤْمِنِيَّةِ حُصُولًا تَابِعًا لِأَعْمَالِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَهَذِهِ الْمَلَكََةُ  
 وَرُسُوحُهَا يَبْقَى التَّفَاوُتُ فِي الْإِيمَانِ كَالَّذِي يُتْلَى عَلَيْكَ مِنْ أَقْوَابِلِ السَّلَفِ وَفِي تَرَاجُعِهِ  
 الْبُخَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ الْإِيمَانِ كَثِيرٌ مِنْهُ مِثْلُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَيَزِيدُ  
 وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ تَطَوُّعَ رَمَضَانَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحُجَّةَ مِنَ  
 الْإِيمَانِ وَالْمُرَادُ بِهَذَا كُلُّهُ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَإِلَى مَلَكَتِهِ وَهُوَ  
 فِعْلِيٌّ وَأَمَّا التَّصْدِيقُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَرَاتِبِهِ فَلَا تَفَاوُتَ فِيهِ فَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَائِلَ الْأَسْمَاءِ  
 وَحَمَلَهُ عَلَى التَّصْدِيقِ مُنِعَ مِنَ التَّفَاوُتِ كَمَا قَالَ أَيْمَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَاخِرَ  
 الْأَسْمَاءِ وَحَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكََةِ الَّتِي فِي الْإِيمَانِ الْكَامِلِ ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُتُ وَلَيْسَ  
 ذَلِكَ بِفَادِحٍ فِي اتِّحَادِ حَقِيقَتِهِ الْأُولَى الَّتِي فِي التَّصْدِيقِ إِذِ التَّصْدِيقُ مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ  
 رُتَبِهِ لِأَنَّهُ أَقَلُّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْمُخْلِصُ مِنْ عَهْدَةِ الْكُفْرِ وَالْفَيْصَلُ  
 بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ فَلَا يَجْزِي أَقَلُّ مِنْهُ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَفَاوُتَ وَإِنَّمَا  
 التَّفَاوُتُ فِي الْحَالِ الْخَاصَّةِ عَنِ الْأَعْمَالِ كَمَا قُلْنَا هَافِئِهِمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ وَصَفَ  
 لَنَا هَذَا الْإِيمَانَ الَّذِي فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ وَعَيْتُ أُمُورًا مَخْصُوصَةً  
 كَلَّفْنَا التَّصْدِيقَ بِهَا يَقُولُونَا وَاعْتِقَادَهَا فِي أَنْفُسِنَا مَعَ الْإِقْرَارِ بِالسَّنَنِ وَهِيَ الْعَقَائِدُ الَّتِي  
 تَقَرَّرَتْ فِي الدِّينِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ  
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَهَذِهِ فِي الْعَقَائِدِ  
 الْإِيمَانِيَّةِ الْمَقْرُورَةِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . وَلِنُشِيرَ إِلَيْهَا مُجْمَلَةً لِنُبَيِّنَ لَكَ حَقِيقَةَ هَذَا الْفَرْقِ  
 وَكَيْفِيَّةَ حَدُوثِهِ فنقول . إعلم أن الشَّارِعَ لَمَّا أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهَذَا الْخَالِي الَّذِي رَدَّ

الْأَفْعَالُ كُلُّهَا إِلَيْهِ وَأَفْرَدَهُ بِهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَعَرَفْنَا أَنَّ فِي هَذَا الْإِيمَانِ نَجَاتًا عِنْدَ الْمَوْتِ  
 إِذَا حُضِرْنَا لَمْ يَعْرِفْنَا بِكُنْهِ حَقِيقَةِ هَذَا الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ وَهُوَ إِذَا ذَلِكَ مُتَعَدِّرٌ عَلَى إِدْرَاكِهَا  
 وَمِنْ فَوْقِ طَوْرِنَا فَكَلَّفْنَا أَوَّلًا اعْتِقَادَ تَنْزِيهِهِ فِي ذَاتِهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخُلُوقِينَ وَإِلَّا  
 لَمَا صَحَّ أَنَّهُ خَالِقٌ لَهُمْ لَعَدَمِ الْفَارِقِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ثُمَّ تَنْزِيهِهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ  
 وَإِلَّا أَشَابَهُ الْخُلُوقِينَ ثُمَّ تَوْحِيدِهِ بِالْإِتِّحَادِ وَالْإِلَاحُ بِتَمِّ الْخَلْقِ لِلتَّمَانُعِ ثُمَّ اعْتِقَادُ أَنَّهُ  
 عَالِمٌ قَادِرٌ فَبِذَلِكَ نُبَيِّنُ الْأَفْعَالَ شَاهِدَ قُضِيَّتِهِ لِكَمَالِ الْإِتِّحَادِ وَالْخَلْقِ وَمُرِيدُ وَالْإِلَاحُ  
 بِمُخَصَّصٍ فِيهِ مِنَ الْخُلُوقَاتِ وَمُقَدِّرٌ لِكُلِّ كَائِنٍ وَإِلَّا فَالْإِرَادَةُ حَادِثَةٌ وَأَنَّهُ يُعِيدُنَا  
 بَعْدَ الْمَوْتِ تَكْمِيلًا لِعِبَادَتِهِ بِالْإِبْجَادِ وَلَوْ كَانَ لِأَمْرٍ فَإِنْ كَانَ عَبَسًا فَهُوَ الْبَقَاءُ السَّرْمَدِيُّ  
 بَعْدَ الْمَوْتِ ثُمَّ اعْتِقَادُ بَعْثِ الرُّسُلِ لِلنَّجَاةِ مِنْ شَقَاءِ هَذَا الْعَمَارِ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ  
 بِالسَّقَاةِ وَالسَّعَادَةِ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِنَا بِذَلِكَ وَتَمَامِ لُطْفِهِ بِنَا فِي الْإِتِّبَاءِ بِذَلِكَ وَيَبَارِكُ  
 الطَّرِيقَةُ بِنَ وَأَنَّ الْجَنَّةَ لِلنَّعِيمِ وَجَهَنَّمَ لِلْعَذَابِ هَذِهِ أُمَمَاتُ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مُعَلَّلَةٌ بِأَدِلَّتِهَا  
 الْعَقْلِيَّةِ وَأَدِلَّتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كَثِيرٌ وَعَنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ أَخَذَهَا السَّلَفُ وَأَرْشَدَ  
 إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَحَقَّقَهَا الْأَلِمَةُ إِلَّا أَنَّهُ عَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافٌ فِي تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْعَقَائِدِ  
 أَكْثَرُ مَنَازِلِهَا مِنَ الْإِيمَانِ الْمُشَابَهَةِ فِدَعًا ذَلِكَ إِلَى الْخُطَامِ وَالْأَنَظَرِ وَالْأَسْتِدْلَالِ  
 بِالْعَقْلِ وَرَبَادَةٍ إِلَى النُّقْلِ حَدَّثَ بِذَلِكَ عِلْمُ الْكَلَامِ وَلُبَّيْنُ لَكَ تَفْصِيلُ هَذَا الْجُمْلِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَرَدَّ فِيهِ وَصْفُ الْمَعْبُودِ بِالتَّنْزِيهِ الْمُطْلَقِ الظَّاهِرِ الدَّلَالَةِ مِنْ غَيْرِ  
 تَأْوِيلٍ فِي أَيْ كَثِيرَةٍ وَبِحَيْ سُلُوبٍ كُلِّهَا وَصَرِيحَةٍ فِي بَابِهَا فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا وَوَقَعَ فِي  
 كَلَامِ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّالِبِينَ تَفْسِيرُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ثُمَّ  
 وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ أَيْ أُخْرَى قَلِيلَةٌ نُومِرُ التَّنْشِيهِ وَقَضُوا بِأَنَّ الْآيَاتِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ  
 فَأَمَّنُوا بِهَا وَلَمْ يَتَرَعَّضُوا لِمَعْنَاهَا يَبْحَثُ وَلَا تَأْوِيلَ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْكَبِيرِ مِنْهُمْ إِفْرَاقُهَا  
 كَمَا جَاءَتْ أَيْ آمَنُوا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَا تَتَرَعَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا وَلَا تَفْسِيرِهَا لِجَوَازِ أَنْ  
 تَكُونَ أَبْدَلًا فَيَجِبُ الْوَقْفُ وَالْإِذْعَانُ لَهُ وَشَدَّ لِعَصْرِهِمْ مُبْتَدَعَةً اتَّبَعُوا مَا تَشَابَهَ مِنْ  
 الْآيَاتِ وَتَوَعَّلُوا فِي التَّنْشِيهِ فَفَرَّقُوا فِي الدَّلَالَةِ بِاعْتِقَادِ الْبَدِ وَالْقَدَمِ وَالْوَجْهِ عَمَلًا  
 بِظَوَاهِرِ وَرَدَتْ بِذَلِكَ فَوَقَعُوا فِي التَّجْسِيمِ الصَّرِيحِ وَخَالَفَهُ أَيْ التَّنْزِيهِ الْمُطْلَقِ الَّتِي  
 هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدِ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ لِأَنَّ مَقْصُولَةَ الْجِسْمِ تَقْتَضِي النَّقْصَ وَالْإِفْتِقَارَ وَتَغْلِبُ

آيَاتِ السُّلُوبِ فِي التَّنْزِيهِ الْمُطْلَقِ الَّتِي فِي أَكْثَرِ مَوَارِدِ وَأَوْفَحُ دَلَالَةٍ أَوَّلَى مِنْ  
الَّتِي يَطَوَّاهِرُ بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الَّتِي لَنَا عَنْهَا غِنًى وَجَمَعَ بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ بَيِّنَاتٍ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَقْرُونَ مِنْ شَتَاةِ  
ذَلِكَ يَقُولُهُمْ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ وَلَكِنْ ذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ قَوْلٌ مُتَنَاقِضٌ وَجَمَعَ  
بَيْنَ نَقِيٍّ وَإِنِّي إِنْ كَانَ بِالْعَقُولِيَّةِ وَاحِدَةً مِنَ الْأَجْسَامِ وَإِنْ خَالَفُوا بَيْنَهُمَا وَتَقَوَّا  
الْعَقُولِيَّةَ الْمُتَعَارِفَةَ فَقَدْ وَافَقُونَا فِي التَّنْزِيهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَعْلُهُمْ لِنَظَرِ الْجِسْمِ أَمَّا مَنْ  
أَمَّا يَهُ وَيَتَوَقَّفُ مِثْلَهُ عَلَى الْأُذُنِ وَفَرِيقٌ مِنْهُمْ ذَهَبُوا إِلَى التَّشْبِيهِ فِي الصِّنَاتِ كَمَا بَيَّنَّاتِ  
الْجِهَةِ وَالْإِسْنَاءِ وَالزُّوْلُ وَالصُّوْتِ وَالْحَرْفِ وَأَمَّا ذَلِكَ وَآلَ قَوْلُهُمْ إِلَى التَّجْسِيمِ  
فَنَزَعُوا مِثْلَ الْأَوَّلِينَ إِلَى قَوْلِهِمْ صَوْتٌ لَا كَالْأَصْوَاتِ جِهَةٌ لَا كَالْجِهَاتِ نَزُولٌ لَا  
كَالنُّزُولِ يَنْعُونَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَأَنْدَفَعَ ذَلِكَ بِمَا أَنْدَفَعَ بِهِ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الظُّوَاهِرِ  
إِلَّا أَعْتِقَادَاتُ السَّلَفِ وَمَذَاهِبُهُمْ وَالْإِيمَانُ بِهَا كَمَا فِي لِقَاءِ الْبَكْرِ الْفَنِي دَلَّى مَعَانِيَهَا بَيْنَهَا  
مَعَ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلِهَذَا نَنْظُرُ مَا تَوَاهَى فِي عَقِيدَةِ الرَّسَالَةِ لِأَنَّ أَبِي زَيْدٍ  
وَكِتَابَ التَّخْصِيرِ لَهُ فِي كِتَابِ الْحَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَحْصُونَ ذَلِكَ هَذَا  
الْمَعْنَى وَلَا تَقْضِي عَنْ الْقُرْآنِ الدَّلَالَةَ عَلَى ذَلِكَ فِي غُضُونِ كَلَامِهِمْ ثُمَّ لَمَّا  
كَثُرَتِ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَوَلَّجَ النَّاسُ بِالْأَنْدَوِينَ وَالتَّبَعَتْ فِي سَائِرِ الْأَنْحَاءِ وَأَلْفَ  
الْمُتَكَلِّمِينَ فِي التَّنْزِيهِ حَدَّثَتْ بِدْعَةُ الْمُعْتَزَلَةِ فِي تَعْلِيمِ هَذَا التَّنْزِيهِ فِي آيِ السُّلُوبِ  
فَقَضَوْا بِبَقِيَّةِ صِفَاتِ الْمَعْنَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحَيَاةِ زَائِدَةً عَلَى أَحْكَامِهَا  
لَمَّا بَلَزَمُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَعَدُّ الْقَدِيمِ بِزَعْمِهِمْ وَهُوَ مُرَدُّودٌ بِأَنَّ الصِّنَاتِ لَيْسَتْ عَيْنَ الْأَنْدَاقِ  
وَلَا غَيْرَهَا وَقَضَوْا بِبَقِيَّةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِكُونِهِمَا مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ وَهُوَ مُرَدُّودٌ  
لِعَدَمِ اشْتِرَاطِ الْبَيِّنَةِ فِي مَذَلُولِ هَذَا اللَّفْظِ وَإِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكُ التَّسْمُوعِ أَوْ الْبَصَرِ  
وَقَضَوْا بِبَقِيَّةِ الْكَلَامِ لِسَبَبِهِ مَا فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَلَمْ يَقْبَلُوا صِفَةَ الْكَلَامِ الَّتِي تَقُومُ  
بِالْأَنْفُسِ فَقَضَوْا بِأَنَّ الْقُرْآنَ خَلْقٌ بِدْعَةٌ صَرَخَ السَّلَفُ بِخِلَافِهَا وَعَظَّمُوا دَرَجَتَهُ هَذِهِ الْبِدْعَةُ  
وَلَقَّبَهَا بَعْضُ الْخُلَفَاءِ عَنْ أَئِمَّتِهِمْ فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَخَالَفَهُمْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ فَاسْتَحَالَ  
لِخِلَافِهِمْ إِيسَارُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَانْتِهَاسِ أَهْلِ الشُّنَّةِ بِالْأَدَلَّةِ  
الْعَقْلِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْقَائِدِ دَفْعًا فِي صُدُورِ هَذِهِ الْبِدْعِ وَقَامَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ  
الْأَشْعَرِيُّ إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَتَوَسَّطَ بَيْنَ الطَّرِيقِ وَتَقَى التَّشْبِيهِ وَأَثْبَتَ الصِّنَاتِ

الْمَعْنَوِيَّةُ وَقَصَرَ التَّنْزِيهِ عَلَى مَا قَصَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَشَهِدَتْ لَهُ الْأَدَلَّةُ الْمُخَصَّصَةُ لِعُمُومِهِ  
فَأَثَبَتْ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ الْقَائِمَ بِالنَّفْسِ بِطَرِيقِ  
النَّقْلِ وَالْعَقْلِ وَرَدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِيمَا مَهْدُوهُ لِهَذِهِ الْبِدْعِ  
مِنْ الْقَوْلِ بِالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْأَصْلَحِ وَالْخَيْرِ وَالنَّجِيحِ وَكَمَّلَ الْعُقَايِدَ فِي الْبَعْتَةِ وَأَحْوَالِ  
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ وَأَلْحَقَ بِذَلِكَ الْكَلَامَ فِي الْإِمَامَةِ لِمَا ظَهَرَ جَنَائِذُ  
مِنْ بِدْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهَا مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُ يُجِبُّ عَلَى النَّبِيِّ تَعْيِينَهَا  
وَالخُرُوجُ عَنْ الْمَهْدَةِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ فِي لَهُ وَكَذَلِكَ عَلَى الْأَمَةِ وَقَصَارَى أَمْرِ الْإِمَامَةِ  
أَنَّهَا قَضِيَّةٌ مُصَلِّحَةٌ إِبْرَاهِيمِيَّةٌ وَلَا تُلْقَى بِالْعُقَايِدِ فَلِذَلِكَ أَخْفَوَهَا بِمِثَالِ هَذَا الْقَوْلِ وَنَمَّوْا  
تَجْمُوعَهُ عِلْمَ الْكَلَامِ إِمَامًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ عَلَى الْبِدْعِ وَفِي كَلَامٍ صَرَفَ وَلَيْسَتْ  
بِرَاجِعَةٍ إِلَى عَمَلٍ وَإِمَامًا لِأَنَّ سَبَبَ وَضْعِهِ وَالْخَوْضُ فِيهِ هُوَ تَنَازُعُهُمْ فِي إِبْثَاتِ الْكَلَامِ  
النَّفْسِيِّ وَكَثُرَ أَتْبَاعُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَاقْتَفَى طَرِيقَهُ مِنْ بَعْدِهِ تَلْمِيزُهُ  
كَأَنَّهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ وَأَخَذَ عَنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ فَصَدَّدَ لِلْإِمَامَةِ فِي طَرِيقَتِهِمْ  
وَهَذَبَهَا وَوَضَعَ الْمَقْدِمَاتِ الْعُقَايِدَ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْأَدَلَّةُ وَالْأَنْظَارُ وَذَلِكَ مِثْلُ إِبْثَاتِ  
الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَالْخِلَافِ وَأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُومُ بِالْعَرَضِ وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ وَأَمثالُ  
ذَلِكَ مِمَّا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ أَدَلَّتُهُمْ وَجَمَلَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ تَبَعًا لِلْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي وَجُوبِ  
اعْتِقَادِهَا لِتَتَوَقَّفَ تِلْكَ الْأَدَلَّةُ عَلَيْهَا وَأَنَّ بُطْلَانَ الدَّلِيلِ يُؤْذِبُ بُطْلَانَ الْمَدْلُولِ  
وَجُمِلَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْفُنُونِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدَّرَجِيَّةِ إِلَّا أَنَّ  
صُورَةَ الْأَدَلَّةِ تُعْتَبَرُ بِهَا الْإِنْفِيسَةُ وَلَمْ تَكُنْ جَنَائِذُ ظَاهِرَةً فِي الْمَلَّةِ وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهَا  
بَعْضُ الشَّيْءِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ لِامْتِلَاسَتِهَا لِلْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْمُبَايِنَةِ لِلْعُقَايِدِ  
الشَّرْعِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ فَكَانَتْ مَهْجُورَةً عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ  
الْبَاقِلَانِيُّ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمُعَالِي فَاغْتَلَى فِي الطَّرِيقَةِ كِتَابَ الشَّامِلِ وَأَوْسَعَ الْقَوْلَ  
فِيهِ ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الْإِزْشَادِ وَأَخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا لِعُقَايِدِهِمْ ثُمَّ انْتَشَرَتْ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ عُلُومُ الْمُتَطَلِّقِ فِي الْمَلَّةِ وَقَرَأَهُ النَّاسُ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ بِأَنَّهُ  
قَانُونٌ وَمِيزَانٌ لِلْأَدَلَّةِ فَقَطَّ يَسْبِرُ بِهِ الْأَدَلَّةُ مِنْهَا كَمَا يُسْبِرُ مِنْ سِوَاهَا ثُمَّ نَظَرُوا فِي تِلْكَ  
الْقَوَاعِدِ الْمَقْدِمَاتِ فِي قَوْلِ الْكَلَامِ لِلْأَقْدَمِينَ فَخَالَفُوا الْكَثِيرَ مِنْهَا بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي

أَدَّتْ إِلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا مُقْتَبَسٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَّاسِفَةِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْإِلَهِيَّاتِ فَلَمَّا سَبَّوْهَا بِمَعْيَارِ الْمَنْطِقِ رَدُّهُمْ إِلَى ذَلِكَ فِيهَا وَلَمْ يَتَّقِدُوا بَطْلَانَ  
الْمَدْلُولِ مِنْ بَطْلَانِ دَلِيلِهِ كَمَا صَارَ إِلَيْهِ الْقَائِمِي فَصَارَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنْ مَضْطَلَحِهِمْ  
مُبَايَنَةً لِلطَّرِيقَةِ الْأُولَى وَتُسَمَّى طَرِيقَةُ الْمُتَأَخِّرِينَ وَرُبَّمَا أَدْخَلُوا فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْفَلَّاسِفَةِ  
فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ مِنَ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ وَجَعَلُوهُمْ مِنْ خُصُومِ الْعَقَائِدِ لِتَنَاسُبِ الْكَثِيرِ  
مِنْ مَذَاهِبِ الْمُتَعَدِّعَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي طَرِيقَةِ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْمَنْحَى  
الْفَرَّائِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَبِعَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ وَجَمَاعَةُ قَفْوَا أَرْزُومَ وَأَعْتَمَدُوا تَقْلِيدَهُمْ  
ثُمَّ تَوَعَّلَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي غَالِطَةِ كُتُبِ الْفَلَّاسِفَةِ وَالتَّبَسَّ عَلَيْهِمْ شَأْنُ الْمَوْضُوعِ  
فِي الْعِلْمَيْنِ فَحَبَسُوهُ فِيهِمَا وَاحِدًا مِنْ أَشْيَاءِ الْمَسَائِلِ فِيهِمَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ  
أَمَّا كَانُوا يَسْتَدِلُّونَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِمْ بِالْكَائِنَاتِ وَأَحْوَالِهَا عَلَى وُجُودِ الْبَارِي وَصِفَاتِهِ  
وَهُوَ تَوْعُّدٌ اسْتِدْلَالُهُمْ غَالِيًا وَالْجِسْمِ الطَّبِيعِيِّ يَنْظُرُ فِيهِ الْفَيْلَسُوفُ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَهُوَ  
بَعْضُ مَنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ إِلَّا أَنْ نَظَرَهُ فِيهَا مُخَالِفٌ لِنَظَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي  
الْجِسْمِ مِنْ حَيْثُ يَتَحَرَّكُ وَيَسْكُنُ وَالْمُتَكَلِّمُ يَنْظُرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ  
وَكَلَّا نَظَرَ الْفَيْلَسُوفُ فِي الْإِلَهِيَّاتِ إِنَّمَا هُوَ يَنْظُرُ فِي الْوُجُودِ الْمَطْلُوقِ وَمَا يَقْتَضِيهِ لِنَاتِهِ  
وَيَنْظُرُ الْمُتَكَلِّمُ فِي الْوُجُودِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْجِدِ وَبِالْجُمْلَةِ فَمَوْضُوعُ عِلْمِ  
الْكَلَامِ عِنْدَ أَهْلِهِ . إِنَّمَا هُوَ الْعَقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ بَعْدَ فَرْضِهَا صَحِيحَةً مِنَ الشَّرْعِ مِنْ  
حَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدَلَّ عَلَيْهَا بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فَتُرْفَعُ الْيَدُ وَتَزُولُ الشُّكُوكُ وَتُشْبِهُ  
عَنْ تِلْكَ الْعَقَائِدِ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ الْفَنِّ فِي حَدُوثِهِ وَكَيْفَ تَدْرَجُ كَلَامُ النَّاسِ فِيهِ  
صَدْرًا بَعْدَ صَدْرٍ وَكُلُّهُمْ يُفَرِّضُ الْعَقَائِدَ صَحِيحَةً وَيَسْتَنْهَضُ الْحُجَجَ وَالْأَدَلَّةَ عَلِمَتْ  
حِينَئِذٍ مَا قَرَّرْنَاهُ لَكَ فِي مَوْضُوعِ الْفَنِّ وَأَنَّهُ لَا يَبْدُوهُ وَلَقَدْ اخْتَلَطَتِ الطَّرِيقَتَانِ  
عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالتَّبَسَّتْ مَسَائِلُ الْكَلَامِ بِمَسَائِلِ الْفَلَّاسِفَةِ بِحَيْثُ لَا يَتِمِّيزُ أَحَدُ  
الْفَنِّينِ مِنَ الْآخَرِ وَلَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ طَالِبُهُ مِنْ كُنْهِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ الْبِيضَاوِيُّ فِي الطُّوَالِغِ  
وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ فِي جَمِيعِ تَالِيْفِهِمْ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ قَدْ بَعْنَى بِهَا  
بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ لِلْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَذَاهِبِ وَالْإِعْرَاقِ فِي مَعْرِفَةِ الْحِجَاجِ لَوْفُورِ ذَلِكَ  
فِيهَا وَأَمَّا مُحَاذَاةُ طَرِيقَةِ السَّلَفِ بِعَقَائِدِ عِلْمِ الْكَلَامِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلطَّرِيقَةِ الْقَدِيمَةِ



لِلْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْلُهَا كِتَابُ الْإِشَادِ وَمَا حَذَوْهُ وَمَنْ أَرَادَ إِدْخَالَ الرَّدِّ عَلَى  
الْفَلَّاسَةِ فِي عَقَائِدِهِ فَقَلْبُهُ يَكْتُبُ الْفَرْجَ وَالْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ فَإِنَّهَا وَإِنْ وَقَعَ فِيهَا  
مُخَالَفَةٌ لِلْإِصْلَاحِ الْقَدِيمِ فَلَيْسَ فِيهَا مِنْ الْأَخْطَاطِ فِي الْمَسَائِلِ وَالْأَلْيَاسِ فِي  
الْمَوْضُوعِ مَا فِي طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ  
هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ إِذِ  
الْمُلْحِدَةُ وَالْمُبْتَدِعَةُ قَدْ أَتَرَضُوا وَالْأَيْمَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كَفَوْنَا شَأْنَهُمْ فِيمَا كَتَبُوا  
وَدَوُّوا وَالْأَدَلَةُ الْعَقْلِيَّةُ إِنَّمَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهَا حِينَ دَافَعُوا وَنَصَرُوا وَأَمَّا الْآنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا  
إِلَّا كَلَامٌ تَنَزَّهَ الْبَارِي عَنْ كَثِيرٍ إِيْمَاتِهِ وَإِطْلَاقِهِ وَلَقَدْ سَأَلَ الْجَنِّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ  
قَوْمٍ مِنْهُمْ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَفِضُّونَ فِيهِ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ فَقِيلَ قَوْمٌ يُزَيِّهُونَ اللَّهَ  
بِالْأَدَلَةِ عَنْ صِفَاتِ الْخُلُوثِ وَسِمَاتِ النُّقُصِ فَقَالَ تَقِي الْعَيْبَ حَيْثُ يُسْتَحِيلُ الْعَيْبُ عَيْبٌ  
لَكِنْ قَائِدَتُهُ فِي أَحَادِ النَّاسِ وَطَلَبَةُ الْعِلْمِ قَائِدَةٌ مُعْتَبَرَةٌ إِذْ لَا يَحْسُنُ بِعَامِلِ السُّنَّةِ الْجَهْلُ  
بِالْحُجَجِ النَّظَرِيَّةِ عَلَى عَقَائِدِهَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

## الفصل الحادي عشر

### في علم التصوف

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْحَادِثَةِ فِي الْعِلْمَةِ وَأَصْلُهُ أَنَّ طَرِيقَةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ  
لَمْ تَزَلْ عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَكِبَارِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّالِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ طَرِيقَةً اخْتَلَفَتْ  
وَالْهِدَايَةَ وَأَصْلُهَا الْعُكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْرَاضُ عَنْ  
زُخْرِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَارْتِهَادُ فِيمَا يُقِيلُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَالٍ وَجَلَدٍ وَالْإِقْرَادُ  
عَنِ الْخُلُقِ فِي الْخُلُوةِ لِلْعِبَادَةِ وَكَانَ ذَلِكَ عَامًّا فِي الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ لَمَّا نَشَأَ الْإِقْبَالُ  
عَلَى الدُّنْيَا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ وَجَنَحَ النَّاسُ إِلَى مَخَالَطَةِ الدُّنْيَا اخْتَصُّ الْمُتَقِيلُونَ  
عَلَى الْعِبَادَةِ بِأَسْمِ الصُّوفِيَّةِ وَالْمَنْصُوفَةِ وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْأَسْمِ  
أَشْتِقَاقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا قِيَاسٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَقَبٌ وَمَنْ قَالَ أَشْتَقَاقُهُ مِنَ الصِّفَا  
أَوْ مِنَ الصِّفَةِ بَعِيدٌ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ الْقَوِيِّ قَالَ وَكَذَلِكَ مِنَ الصُّوفِ لِأَنَّهُمْ لَمْ  
يُخْتَصُّوا بِبَلْسِهِ قُلْتُ وَالْأَظْهَرُ إِنْ قِيلَ بِالْأَشْتِقَاقِ أَنَّهُ مِنَ الصُّوفِ وَهُمْ فِي الْغَالِبِ  
مُخْتَصُّونَ بِبَلْسِهِ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي لِبْسِ فَخِرِ النَّيَابِ إِلَى لِبْسِ الصُّوفِ

فَلَمَّا اخْتَصَّ هَؤُلَاءَ بِمَذْهَبِ الزُّهْدِ وَالْإِقْتِرَادِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ اخْتَصَّوْا  
بِمَا خِذَ مُدْرَكَةً لَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ  
بِإِدْرَاكِ إِدْرَاكِهِ وَادْرَاكِهِ تَوَعَّانِ إِدْرَاكِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنَ الْيَقِينِ وَالظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ  
وَإِدْرَاكِ لِلْأَحْوَالِ الْقَائِمَةِ مِنَ الْقُرْحِ وَالْحُزْنِ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالرِّدَى وَالْغَضَبِ  
وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَالْوُجُوحُ الْعَاقِلُ وَالْمُتَمَرِّفُ فِي الْبَدَنِ تَنْشَأُ مِنْ  
إِدْرَاكِاتٍ وَإِرَادَاتٍ وَأَحْوَالٍ وَهِيَ الَّتِي يُمَيَّزُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَبَعْضُهَا يَنْشَأُ مِنْ بَعْضِ  
كَمَا يَنْشَأُ الْعِلْمُ مِنَ الْأَدَلَّةِ وَالْقُرْحُ وَالْحُزْنُ عَنِ إِدْرَاكِ الْمَوْلِمِ أَوْ الْمُتَلَذِّذِ بِهِ  
وَالنَّشَاطُ عَنِ الْحُمَامِ وَالْكَسَلُ عَنِ الْإِعْيَاءِ وَكَذَلِكَ الْمُرِيدُ فِي مُجَاهَدَتِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا  
يُدَّ وَأَنْ يَنْشَأَ لَهُ عَنْ كُلِّ مُجَاهَدَةٍ حَالٌ نَتِيجَةٌ تِلْكَ الْمُجَاهَدَةِ وَتِلْكَ الْحَالُ إِنَّمَا أَنْ  
تَكُونَ تَوَعَّ عِبَادَةٍ قَرَسَخُ وَتَصِيرُ مَقَامًا لِلْمُرِيدِ وَإِنَّمَا أَنْ لَا تَكُونَ عِبَادَةً وَإِنَّمَا  
تَكُونَ صِنْفَةً حَاصِلَةً لِلنَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ أَوْ نَشَاطٍ أَوْ كَسَلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْمَقَامَاتِ وَلَا يَزَالُ الْمُرِيدُ يَتَرَقَّى مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى التَّوْحِيدِ  
وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي فِي الْعَالِيَةِ الْمَطْلُوبَةِ لِلسَّعَادَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ بِشَهْدِ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرِيدُ لَا يَدُلُّهُ مِنَ التَّرَقِّي فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ وَأَصْلُهَا  
كُلُّهَا الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ وَتَقَدُّمُهَا الْإِيمَانُ وَبُصَابِحُهَا وَتَنْشَأُ عَنْهَا الْأَحْوَالُ وَالصَّنَائِعُ  
فَتَأْتِي وَتَذَرَاتُ ثُمَّ تَنْشَأُ عَنْهَا أُخْرَى وَأُخْرَى إِلَى مَقَامِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ وَإِذَا وَقَعَ  
تَقْصِيرٌ فِي النَّتِيجَةِ أَوْ خَلَلَ فَتَعْلَمُ أَنَّهَا إِنَّمَا آتَتْ مِنْ قِبَلِ التَّقْصِيرِ فِي الَّذِي قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ  
فِي الْأَطْوَارِ الْفَنَائِيَّةِ وَالْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ فَهَلْذَا يَحْتَاجُ الْمُرِيدُ إِلَى تَحَاسُّبِ نَفْسِهِ فِي  
سَائِرِ أَعْمَالِهِ وَيَنْظُرُ فِي حَقَائِقِهَا لِأَنَّ حُصُولَ النَّتَائِجِ عَنِ الْأَعْمَالِ غَرُورِيٌّ وَقُصُورُهَا  
مِنْ الْخَلَلِ فِيهَا كَذَلِكَ وَالْمُرِيدُ يَجِدُ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَلَا يُبَارِكُهُمْ  
فِي ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ هَذَا كَانَتْ شَامِلَةً وَغَايَةً أَهْلَ الْعِبَادَاتِ  
إِذَا لَمْ يَنْتَهَوْا إِلَى هَذَا النَّوعِ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالطَّاعَاتِ مُخْلِصَةً مِنْ نَظَرِ الْفَقْهِ فِي الْأَجْزَاءِ  
وَالْأَمْثَالِ وَهَؤُلَاءِ يَسْجُونُ عَنْ نَتَائِجِهَا بِالْآذَوَاتِ وَالْمَوَاجِدِ لِيَطْلَعُوا عَلَى أَنَّهَا خَالِصَةٌ مِنْ  
التَّقْصِيرِ أَوْ لَا فَظَهَرَ أَنَّ أَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ كُلُّهَا تَحَاسُّبُ النَّفْسِ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتَّزَوُّكِ  
وَالْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْآذَوَاتِ وَالْمَوَاجِدِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنِ الْمُجَاهَدَاتِ ثُمَّ تَسْتَقِرُّ لِلْمُرِيدِ

مَقَامًا يَنْزَعِي مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ثُمَّ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ آدَابٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتٌ فِي  
أَلْفَاظٍ تَدُورُ بَيْنَهُمْ إِذَا الْأَوْضَاعُ اللَّغَوِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ لِلْمَعَانِي الْمُتَعَارِفَةِ فَإِذَا عَرَضَ مِنَ  
الْمَعَانِي مَا هُوَ غَيْرُ مُتَعَارِفٍ أَصْطَلَحْنَا عَنْ التَّعْيِيرِ عَنْهُ بِالْفَقْطِ يَتَبَسَّرُ فَهْمُهُ مِنْهُ فَلِهَذَا  
أَخْتَصَّ هَؤُلَاءِ هَذَا الذَّرْعَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ لِوَاحِدٍ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الْكَلَامُ  
فِيهِ وَصَارَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٍ مَخْصُوصٍ بِالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفَتَا وَهِيَ الْأَحْكَامُ  
الْعَامَّةُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْعُقُودَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَصِنْفٍ مَخْصُوصٍ بِالْقَوْمِ فِي الْقِيَامِ بِهِذِهِ  
الْمُجَاهِدَةِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَيْهَا وَالْكَلَامُ فِي الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ الْعَارِضَةِ فِي طَرِيقِهَا  
وَكَيْفِيَّةِ التَّرَقِّي مِنْهَا مِنْ ذَوْقٍ إِلَى ذَوْقٍ وَتُشْرَحُ الْأَصْطِلَاحَاتُ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَهُمْ فِي  
ذَلِكَ فَلَمَّا كُتِبَ الْعُلُومُ وَدُوِّنَتْ وَأُلْتُ الْفُقَهَاءُ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولُهُ وَالْكَلَامُ وَالْتَفْسِيرُ  
وغير ذلك كَتَبَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي طَرِيقِهِمْ فَهَمُّهُمْ مِنْ كُتُبٍ فِي  
الْوَرَعِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ فِي الْأَخْذِ وَالْتَرَكِ كَمَا فَعَلَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي كِتَابِ  
الرِّسَالَةِ وَالسَّهَرُورِيُّ فِي كِتَابِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ وَأَمْثَالُهُمْ وَجَمَعَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ  
بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فِي كِتَابِ الْأَحْيَاءِ فَدَوَّنَ فِيهِ أَحْكَامَ الْوَرَعِ وَالْإِقْتِدَاءِ ثُمَّ بَيَّنَّ آدَابَ  
الْقَوْمِ وَسُنَنَهُمْ وَتُشْرَحُ أَصْطِلَاحَاتُهُمْ فِي عِبَارَاتِهِمْ وَصَارَ عِلْمُ الصُّوفِ فِي الْعِلَّةِ عِلْمًا  
مُدَوَّنًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الطَّرِيقَةُ عِبَادَةً فَقَطْ وَكَانَتْ أَحْكَامًا إِنَّمَا تُلْقَى مِنْ صُدُورِ  
الرُّجَالِ كَمَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ الَّتِي دُوِّنَتْ بِالْكِتَابِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ  
وَالْأُصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْمُجَاهِدَةَ وَالْخُلُوعَ وَالذِّكْرَ تَتَّبِعُهَا غَالِبًا كَشَفُ  
حِجَابِ الْحُسْنِ وَالْإِطْلَاعُ عَلَى عَوَالِمٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ لِصَاحِبِ الْحُسْنِ إِذْ رَأَى شَيْءًا مِنْهَا  
وَالرُّوحُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَالِمِ وَسَبَبُ هَذَا الْكَشَفِ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا رَجَعَ عَنِ الْحُسْنِ  
الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ ضَمَّتْ أَحْوَالَ الْحُسْنِ وَقَوَّيَتْ أَحْوَالَ الرُّوحِ وَغَلَبَتْ سُلْطَانُهُ  
وَتَجَدَّدَ نُشُوهُهُ وَأَعَانَ عَلَى ذَلِكَ الذِّكْرُ فَإِنَّهُ كَالْفِتَاءِ لِنَتْمِيَةِ الرُّوحِ وَلَا يَزَالُ فِي نُشُورٍ  
وَتَزْيِيدٍ إِلَى أَنْ يَصِيرَ شَهِودًا بِهَذَا أَنْ كَانَ عِلْمًا وَيَكْشِفُ حِجَابَ الْحُسْنِ وَيُبَيِّنُ وَجُودَ  
النَّفْسِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَهُوَ عَيْنُ الْإِذْرَاكِ فَيَتَعَرَّضُ حِينَئِذٍ لِلْمَوَاقِبِ الرَّبَّانِيَّةِ  
وَالْعُلُومِ الدُّنْيَا وَالْآلِهِيَّةِ وَتَقَرُّبُ ذَاتِهِ فِي تَحْقِيقِ حَقِيقَتِهَا مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى  
أَفْقِ الْمَلَائِكَةِ وَهَذَا الْكَشَفُ كَثِيرٌ مَا بَعَرَضُ لِأَهْلِ الْمُجَاهِدَةِ فَيَذَرُ كُنْ مِنْ حَقَائِقِ

الْوُجُودَ مَا لَا يَذْرُكُ سِوَاهُمْ وَكَذَلِكَ يُدْرِكُونَ كَثِيرًا مِنَ الْوَاقِعَاتِ قَبْلَ وَفُوعِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ  
 بِهِمْ قُوَى قُوَاهُمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ السَّلْبِيَّةِ وَتَصِيرُ طَوْعًا إِرَادَتُهُمْ فَأَلْعَظَمَاءُ مِنْهُمْ  
 لَا يَتَعَبَّرُونَ هَذَا الْكَشْفَ وَلَا يَتَصَرَّفُونَ وَلَا يُخْبِرُونَ عَنْ حَقِيقَةِ شَيْءٍ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالْإِتِّكُلِ  
 فِيهِ بَلْ يَعْلَمُونَ مَا يَقَعُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ نَجْثَةً وَيَتَعَوَّدُونَ مِنْهُ إِذَا هَاجَمَهُمْ وَقَدْ كَانَتْ  
 الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْجَاهِدَةِ وَكَانَ حَظُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْكَرَامَاتِ  
 أَوْفَرَ الْخَطُوطِ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ بِهَا عِنَايَةٌ وَفِي فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهَا وَتَبِعُهُمْ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ بِمَنْ أَشْتَمَكَتْ رِسَالَةُ  
 التَّفْسِيرِ عَلَى ذِكْرِهِمْ وَمَنْ تَبَعَ طَرِيقَتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 أَنْصَرَفَتْ عِنَايَتُهُمْ إِلَى كَشْفِ الْحُجَابِ وَالْمَدَارِكِ الَّتِي وَرَاءَهُ وَاخْتَلَفَتْ طَرِيقُ  
 الرِّيَاضَةِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ تَعْلِيمِهِمْ فِي إِمَانَةِ الْقُوَى الْحِسِّيَّةِ وَتَغْذِيَةِ الرُّوحِ  
 الْعَاقِلِ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَحْصُلَ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكُهَا لِذَلِكَ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا بِتِمَامِ تَشَوُّبِهَا وَتَغْذِيَتِهَا  
 فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ زَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ قَدْ انْتَحَصَرَ فِي مَدَارِكِهَا حِينَئِذٍ وَأَنَّهُمْ كَشَفُوا  
 ذَوَاتِ الْوُجُودِ وَتَصَوَّرُوا حَقَائِقَهَا كُلَّهَا مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الطُّسْتِ هَكَذَا قَالَ الْغَوَالِي  
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ صُورَةَ الرِّيَاضَةِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْكَشْفَ  
 لَا يَكُونُ مَحِيحًا كَامِلًا عِنْدَهُمْ إِلَّا إِذَا كَانَ نَاشِئًا عَنِ الْأَسْتِقَامَةِ لِأَنَّ الْكَشْفَ قَدْ  
 يَحْصُلُ لِصَاحِبِ الْجُوعِ وَالْخَلْوَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ اسْتِقَامَةٌ كَالسَّجَرَةِ وَغَيْرِهَا  
 مِنَ الْمُرْتَاضِينَ وَلَيْسَ مُرَادُنَا إِلَّا الْكَشْفَ النَّاشِئَ عَنِ الْأَسْتِقَامَةِ وَمِثَالُهُ أَنَّ الْمَرْأَةَ  
 الصَّغِيلَةَ إِذَا كَانَتْ مُعْدَبَةً أَوْ مَقْعَرَةً وَحُودِي بِهَا جِهَةٌ الدَّرْتِي فَإِنَّهُ بِشَكْلِ فِيهِ مَعُوجًا  
 عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ مُسَطَّحَةً تَشَكَّلَ فِيهَا الدَّرْتِي مَحِيحًا فَإِلَّا اسْتِقَامَتِ لِلنَّفْسِ  
 كَالْإِنْسَاطِ الْبَرَاءَةِ فِيمَا يَنْطَبِعُ فِيهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَمَّا عُنِيَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِهَذَا النَّوعِ  
 مِنَ الْكَشْفِ تَكَلَّمُوا فِي حَقَائِقِ الْمَوْجُودَاتِ الْعُلُوبِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ وَحَقَائِقِ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ  
 وَالْعَرْشِ وَالْكَرْمِيِّ وَأَمثال ذلك وَقَصُرَتْ مَدَارِكُ مَنْ لَمْ يَشَارِكْهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ عَنْ  
 فَهْمِ أَدْوَانِهِمْ وَمَوَاجِدِهِمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْفَتْيَا بَيْنَ مُتَكَبِّرِ عَلَيْهِمْ وَمُسَلِّمٍ لَهُمْ وَلَيْسَ  
 الْبُرْهَانُ وَالْأَدْلَى يَنْفَعُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ رَدًّا وَقَبُولًا إِذْ فِي مِنْ قَبِيلِ الْوُجُودِ أَنْبَاءَ وَرُبَّمَا  
 قَصَدَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ يَكُنْ مَذْهَبُهُمْ فِي كَشْفِ الْوُجُودِ وَتَرْتِيبِ حَقَائِقِهِ قَاتِي بِالْأَعْمَاضِ

فَلَا غَمَضَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ وَالْعِلْمِ كَمَا فَعَلَ الْفَرَعَانِيُّ شَارِحُ  
 قَصِيدَةِ ابْنِ الْقَارِضِ فِي الدِّيْبَاجَةِ الَّتِي كَتَبَهَا فِي صَدْرِ ذَلِكَ الشَّرْحِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي  
 صَدُورِ الْوُجُودِ عَنِ الْفَاعِلِ وَتَرْتِيبِهِ أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ صَادِرٌ عَنْ صِفَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي  
 هِيَ مَظْهَرُ الْأَحَدِيَّةِ وَهُمَا مَعًا صَادِرَانِ عَنِ الثَّلَاثِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْوَحْدَةِ لَا  
 غَيْرَ وَيُسَمُّونَ هَذَا الصَّدُورَ بِالتَّجَلِّيِ وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ التَّجَلِّيَّاتِ عِنْدَهُمْ تَجَلِّيُ الذَّاتِ عَلَى نَفْسِهِ  
 وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْكَمَالَ بِإِفَاضَةٍ إِلَى إِيجَادِ الظُّهُورِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَتَنَاقَلُونَهُ  
 كُنْتُ كَنْزًا خَفِيًّا فَأُجِيبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُونِي وَهَذَا الْكَمَالُ فِي  
 الْإِيجَادِ الْمُنْتَزِلِ فِي الْوُجُودِ وَتَفْصِيلِ الْحَقَائِقِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عَالَمُ الْمَعَانِي وَالْحُضُورَةِ  
 الْكَمَالِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْخَمْدِيَّةِ وَفِيهَا حَقَائِقُ الصِّفَاتِ وَاللُّوْحِ وَالْقَلَمِ وَحَقَائِقُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَالرُّسُلِ أَجْمَعِينَ وَالْكَمَلُ مِنْ أَهْلِ أَلَمِلَةِ الْخَمْدِيَّةِ وَهَذَا كُلُّهُ تَفْصِيلُ الْحَقِيقَةِ  
 الْخَمْدِيَّةِ وَيَصْدُرُ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ حَقَائِقُ أُخْرَى فِي الْحُضُورَةِ الْمُهَابِيَّةِ وَهِيَ مَرْتَبَةُ  
 الْمِثَالِ ثُمَّ عَنْهَا الْقَرَشُ ثُمَّ الْكَرْمِيُّ ثُمَّ الْأَفْلَاكُ ثُمَّ عَالَمُ الْعَنَاصِرِ ثُمَّ عَالَمُ التَّرْكِيبِ هَذَا  
 فِي عَالَمِ الرُّتَبِ فَإِذَا تَجَلَّتْ فِيهِ فِي عَالَمِ الثَّقَاتِ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَنْدَبُ مَنْدَبُ أَهْلِ التَّجَلِّيِ  
 وَالْمَظَاهِرِ وَالْحُضُورَاتِ وَهُوَ كَلَامٌ لَا يَقْتَدِرُ أَهْلُ النَّظَرِ إِلَى تَحْصِيلِ مُقْتَضَاهُ لِعُمُومِهِ  
 وَإِعْلَاقِهِ وَبَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَلَامَ صَاحِبِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْوُجْدَانِ وَصَاحِبِ الدَّلِيلِ وَزَبَّحَا  
 أَنْكَرَ بِظَاهِرِ الشَّرْعِ هَذَا التَّرْتِيبَ وَكَذَلِكَ ذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِالْوَحْدَةِ  
 الْمُطْلَقَةِ وَهُوَ رَأْيٌ أَغْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ فِي تَعْقُلِهِ وَتَفَارِيغِهِ يَزْعُمُونَ فِيهِ أَنَّ الْوُجُودَ لَهُ  
 قُوَى فِي تَفَاصِيلِهِ بِهَا كَانَتْ حَقَائِقُ الْمَوْجُودَاتِ وَصُورُهَا وَمَوَادُّهَا وَالْعَنَاصِرُ إِنَّمَا كَانَتْ  
 بِمَا فِيهَا مِنَ الْقُوَى وَكَذَلِكَ مَادَّتُهَا لَهَا فِي تَقْسِيمِهَا قُوَّةٌ بِهَا كَانَ وَجُودُهَا ثُمَّ إِنَّ الْمُرَكَّبَاتِ  
 فِيهَا تِلْكَ الْقُوَى مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَ بِهَا التَّرْكِيبُ كَالْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِيهَا قُوَى  
 الْعَنَاصِرِ بِهَيُولَاهَا وَزِيَادَةُ الْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ ثُمَّ الْقُوَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ الْمَعْدِنِيَّةَ  
 وَزِيَادَةُ قُوَّتِهَا فِي تَقْسِيمِهَا وَكَذَا الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ ثُمَّ الْفَلَكَ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ  
 الْإِنْسَانِيَّةَ وَزِيَادَةَ وَكَذَا الذَّوَاتُ الْأَرْوَاحِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْخَالِصَةُ لِلْكَوْنِ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلِ  
 هِيَ الْقُوَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي أَنْبَتَتْ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ كَلِمَةً وَجُزْئِيَّةً وَجَمْعَتَهَا وَأَحَاطَتْ  
 بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْخِفَاءِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ وَلَا مِنْ

جَهَةِ الْمَادَّةِ فَالْكُلُّ وَاحِدٌ وَهُوَ نَفْسُ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ بَسِيطَةٌ  
وَالْإِعْتِبَارُ هُوَ الْمُفَصَّلُ لَهَا كَالْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ أَلَا تَرَى أَنَّهَا مُنْدَرِجَةٌ فِيهَا وَكَأَنَّهُ  
يَكُونُهَا فَتَارَةً يُمَثِّلُونَهَا بِالْخَنَسِ مَعَ النَّوعِ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ كَمَا ذَكَرْتَاهُ وَتَارَةً بِالْكُلِّ  
مَعَ الْجُزْءِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمِثَالِ وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ يَفْرُونَ مِنَ التَّرْكِيبِ وَالْكَثْرَةِ بِوَجْهِ  
مِنَ الْوُجُودِ وَإِنَّمَا أَوْجِبْنَا عَنْدهُمْ الْوُجُودَ وَالْخَيَالُ وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ  
فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْمَذْمَبِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَا يَقُولُونَهُ فِي الْوَحْدَةِ شَيْءٌ يَمَا نَقُولُهُ الْحُكْمَاءُ فِي  
الْأَلْوَانِ مِنْ أَنَّ وُجُودَهَا مُشْرُوطٌ بِالضَّوِّ فَإِذَا عُدِمَ الضَّوُّ لَمْ تَكُنِ الْأَلْوَانُ مَوْجُودَةً  
بِوَجْهِ وَكَذَا عَنْدهُمْ الْمَوْجُودَاتُ الْمُتَحَسُّسَةُ كُلُّهَا مُشْرُوطَةٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْعَقْلِيِّ  
فَإِذَا الْوُجُودُ الْمُفَصَّلُ كُلُّهُ مُشْرُوطٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ فَلَوْ قَرَضْنَا عَدَمَ الْمُدْرِكِ  
الْبَشَرِيِّ جُمْلَةً لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَفْصِيلُ الْوُجُودِ بَلْ هُوَ بَسِيطٌ وَاحِدٌ فَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَالصَّلَابَةُ  
وَاللِّينُ بَلْ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالنَّارُ وَالسَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ إِنَّمَا وَجِدَتْ لِوُجُودِ الْخَوَاسِرِ  
الْمُدْرِكَةِ لَهَا لِمَا جُعِلَ فِي الْمُدْرِكِ مِنَ التَّفْصِيلِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْجُودِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي  
الْمُدَارِكِ فَقَطْ فَإِذَا فُقِدَتِ الْمُدَارِكُ الْمُفَصَّلَةُ فَلَا تَفْصِيلَ إِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكٌ وَاحِدٌ وَهُوَ  
أَنَا لَا غَيْرُهُ وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ بِحَالِ النَّاهِرِ فَإِنَّهُ إِذَا نَامَ وَفُقِدَ الْحِسُّ الظَّاهِرُ فَقَدْ كَلَّ  
مَحْسُوسٌ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَّا مَا بَفْضِلِهِ لَهُ الْخَيَالُ قَالُوا فَكَيْفَا يُقْطَنُ إِنَّمَا يَعْتَبَرُ تِلْكَ  
الْمُدْرِكَاتُ كُلُّهَا عَلَى التَّفْصِيلِ بِنَوْعِ مُدْرِكِهِ الْبَشَرِيِّ وَلَوْ قُدِّرَ فَقْدُ مُدْرِكِهِ فَقَدْ تَفْصِيلُ  
وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمُ الْمَوْجُودُ لَا الْوُجُودُ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ هَذَا  
مُلْغَضٌ رَأَيْتُمْ عَلَى مَا يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ وَهُوَ فِي غَايَةِ الشَّقْوَ لَئِنَّا نَقْطَعُ بِوُجُودِ  
الْبَلَدِ الَّذِي نَحْنُ مُسَافِرُونَ عَنْهُ وَالْبَيْتِ يَقِينًا مَعَ غَيْبَتِهِ عَنْ أَعْيُنِنَا وَبِوُجُودِ السَّمَاءِ الْمُظْلَمَةِ  
وَالْكَوَاكِبِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْغَائِبَةِ عَنَّا وَالْإِنْسَانِ قَاطِعٍ بِذَلِكَ وَلَا يُكَايِرُ أَحَدٌ  
نَفْسَهُ فِي الْيَقِينِ مَعَ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمُرِيدَ عِنْدَ  
الْكَشْفِ رُبَّمَا يَعْزِضُ لَهُ نَوْمُهُ هَذِهِ الْوَحْدَةُ وَيُسَمَّى ذَلِكَ عَنْدهُمْ مَقَامَ الْجَمْعِ ثُمَّ  
يَتَرَدَّى عَنْهُ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ وَيَعْتَبِرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِمَقَامِ الْفَرْقِ وَهُوَ مَقَامُ  
الْعَارِفِ الْمُحَقِّقِ وَلَا يَدُ الْمُرِيدِ عَنْدهُمْ مِنْ عَقَبَةِ الْجَمْعِ وَهِيَ عَقَبَةُ صَعْبَةٍ لِأَنَّهُ يُخْشَوُ  
عَلَى الْمُرِيدِ مِنْ وَفُوفِهِ عِنْدَمَا تَخْشَرُ صَفَقَتُهُ فَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ثُمَّ

إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْكُتُفِ وَفِيمَا وَرَاءَ الْحِجَنِ  
 تَوَعَّلُوا فِي ذَلِكَ فَدَهَبَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ إِلَى الْخُلُولِ وَالْوَحْدَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ وَمَلَأُوا  
 الصُّحُفَ مِنْهُ مِثْلُ الْهَرَوِيِّ فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ لَهُ وَغَيْرُهُ وَبِعَهُمُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَأَبْنُ  
 سَبْعِينَ وَتَلْمِذُهُمَا ابْنُ الْعَلَيْفِ وَابْنُ الْقَارِضِ وَالْجَمُّ الْأَمْرَائِيلِيُّ فِي قَصَائِدِهِمْ وَكَانَ  
 سَلَفُهُمْ مَخَالِطِينَ لِلْإِمْنَاعِيَّةِ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ الْمَدَائِنِيِّينَ أَيْضًا بِالْخُلُولِ وَالْهَيْبَةِ  
 الْأَنَمَةِ مَذْهَبًا لَمْ يَعْرِفْ لِأَوَّلِهِمْ فَأَشْرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ مَذْهَبَ الْآخَرِ وَاخْتَلَطَ  
 كَلَامُهُمْ وَتَشَابَهَتْ عَقَائِدُهُمْ وَظَهَرَ فِي كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَمَعْنَاهُ رَأْسُ  
 الْغَارِفِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسَاوِيَهُ أَحَدٌ فِي مَقَامِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يَقْبُضَهُ  
 اللَّهُ ثُمَّ يُوَرِّثَ مَقَامَهُ لِآخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرْقَانِ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ  
 الْأَشْرَافَاتِ فِي فُصُولِ التَّصَوُّفِ مِنْهَا فَقَالَ جُلُّ جَنَابِ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ شَرْعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ  
 أَوْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ وَهَذَا كَلَامٌ لَا يَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ  
 شَرْعِي وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخُطَابَةِ وَهُوَ بَيْنَهُ مَا نَقُولُهُ الرَّافِضَةُ وَدَانُوا بِهِ ثُمَّ قَالُوا  
 بِتَرْتِيبٍ وَجُودٍ الْأَوَّلُ بَدَالِ بَعْدَ هَذَا الْقُطْبِ كَمَا قَالَ الشَّيْخَةُ فِي النُّقْبَاءِ حَتَّى إِذَا نَهَضُوا  
 اسْتَدَوْا لِبَاسَ خِرْقَةٍ التَّصَوُّفِ لِيَجْعَلُوهُ أَصْلًا لَطَرِيقَتِهِمْ وَتَخْلِيَهُمْ رَقْعُهُ إِلَى عَلِيِّ رَضِيِّ  
 اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا وَإِلَّا فَعَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُخَصَّصْ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ  
 بِتَخْلِيَةٍ وَلَا طَرِيقَةٍ فِي لِبَاسٍ وَلَا حَالٍ بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَرْهَدَ  
 النَّاسَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكْثَرُهُمْ عِبَادَةٌ وَلَمْ يُخَصَّصْ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
 فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُؤْتَرَفُ عَنْهُ فِي الْخُصُوصِ بَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أَسْوَةً فِي الدِّينِ وَالْزُهْدِ  
 وَالْجَاهِدَةِ يَشْهَدُ لِنَاكَ مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَمَا شَحَنُوا  
 كُتُبَهُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِسَلَفِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِيهِ كَلَامٌ بَنِي أَوْ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّمَا هُوَ  
 مَا خُذُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخَةِ وَالرَّافِضَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ فِي كُتُبِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ثُمَّ إِنَّ  
 كَثِيرًا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْقَنِيَا اتَّخَذُوا الرَّدَّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَاتِ  
 وَأَمَّا نَحْنُ وَشَمَلُوا بِالْكِبَرِ سَائِرَ مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَهُمْ مَعَهُمْ  
 فِيهِ تَفْصِيلٌ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ أَحَدُهَا الْكَلَامُ عَلَى الْجَاهِدَاتِ وَمَا  
 يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَانِ وَالْمَوَاجِدِ وَمَحَاسِنِ النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِيَحْصُلَ تِلْكَ الْأَذْوَانِ الَّتِي

تَصِيرَ مَقَامًا وَيُرْتَفَى مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا وَلَّاهُ وَتَابَهَا الْكَلَامُ فِي الْكُشْفِ وَالْحَقِيقَةِ  
 الْمَذْكُورَةِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مِثْلَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَةِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْنِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ  
 وَالْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ وَالرُّوحِ وَحَقَائِقِ كُلِّ مَوْجُودٍ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ وَتَرْكِيبِ الْأَكْوَانِ فِي  
 صُدُورِهَا عَنْ مَوْجُودِهَا وَتَكُونُهَا كَمَا مَرَّ وَتَالِثُهَا التَّصَرُّفَاتُ فِي الْعَالَمِ وَالْأَكْوَانِ بِأَنْوَاعِ  
 الْكِرَامَاتِ وَزَابِعُهَا الْأَفْظُ الْمُؤَمِّمَةُ الظَّاهِرِ صَدَرَتْ مِنَ الْكَثِيرِ مِنَ أَيْمَةِ الْقَوْمِ يَعْبُرُونَ  
 عَنْهَا فِي أَصْطِلَاحِهِمْ بِالشَّطَطَاتِ تُسْتَشْكَلُ ظَوَاهِرُهَا فَمُنْكَرٌ وَمُخْشَنٌ وَهَيَّاءٌ فَأَمَّا الْكَلَامُ  
 فِي الْجَاهِلِيَّاتِ وَالْمَقَامَاتِ وَمَا يَحْتَضِرُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ فِي تَتَابُعِهَا وَتَحَاسُبِهَا النَّفْسِ  
 عَلَى التَّقْصِيرِ فِي أَسْبَابِهَا فَأَمْرٌ لَا مَدْفَعَ فِيهِ لِأَحَدٍ وَأَذْوَاقُهُمْ فِيهِ صَحِيحَةٌ وَالتَّحَقُّقُ بِهَا هُوَ  
 عَيْنُ السَّعَادَةِ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي كِرَامَاتِ الْقَوْمِ وَأَخْبَارِهِمْ بِالْغَيْبِيَّاتِ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي  
 الْكَائِنَاتِ فَأَمْرٌ صَحِيحٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَإِنْ مَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى إِنْكَارِهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ  
 الْحَقِّ وَمَا أَخْرَجَ بِهِ الْأَسْنَادُ أَبُو إِسْحَاقَ الْأِسْفَرَايَنِيَّ مِنَ أَيْمَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ عَلَى إِنْكَارِهَا  
 لِأَنِّيَاسِهَا بِالْمُعْجِزَةِ فَقَدْ فُرِقَ الْحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بَيْنَهُمَا بِالْتَّحْدِي وَهُوَ دَعْوَى  
 وَقُوعِ الْمُعْجِزَةِ عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا ثُمَّ إِنْ وَقُوعُهَا عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْكَاذِبِ غَيْرُ  
 مَقْدُورٍ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجِزَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَقْلِيَّةٌ فَإِنَّ صِفَةَ نَفْسِهَا التَّصْدِيقُ فَلَوْ وَقَعَتْ مَعَ  
 الْكَاذِبِ لَتَبَدَّلَتْ صِفَتُهَا نَفْسِهَا وَهُوَ مُحَالٌ هَذَا مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِوُقُوعِ الْكَثِيرِ  
 مِنْ هَذِهِ الْكِرَامَاتِ وَإِنْكَارُهَا نَوْعٌ مُكَابَرَةٌ وَقَدْ وَقَعَ لِلصَّحَابَةِ وَأَكْبَارِ السَّالِفِ كَثِيرٌ  
 مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الْكُشْفِ وَإِعْطَاءِ حَقَائِقِ الْعُلُوبَاتِ  
 وَتَرْتِيبِ صُدُورِ الْكَائِنَاتِ فَأَكْثَرُ كَلَامِهِمْ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمُشَابِهَةِ لِمَا أَنَّهُ وَجِبَانِيٌّ  
 عِنْدَهُمْ وَقَالُوا الْوُجُودَانِ عِنْدَهُمْ يَمُوزِلُ عَنْ أَذْوَاقِهِمْ فِيهِ وَاللُّغَاتُ لَا تَطْعَى لَهُ دَلَالََةُ عَلَى  
 مُرَادِهِ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَا تَوْضُعَ لِلْمُتَعَارِفِ وَأَكْثَرُهُ مِنَ الْخُصُوصَاتِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا تَبْعَثَ  
 لِكَلَامِهِمْ فِي ذَلِكَ وَتَرْكُهُ فِيمَا تَرَكَاهُ مِنَ الْمُشَابِهَةِ وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهَمَّ شَيْءٌ مِنْ  
 هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْوُجْهِ الْمُوَافِقِ لظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَأَكْرَمَ بِهَا سَعَادَةً وَأَمَّا الْأَلْفَافُ  
 الْمُؤَمِّمَةُ الَّتِي يَعْبُرُونَ عَنْهَا بِالشَّطَطَاتِ وَيُؤْخِذُهُمْ بِهَا أَهْلُ الشَّرْعِ فَاعْلَمُوا أَنَّ  
 الْأَنْصَافَ فِي شَأْنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ أَهْلُ غَيْبَةٍ عَنِ الْحِسِّ وَالْوَإِرَادَاتِ تَمْلِكُهُمْ حَتَّى  
 يَنْطَلِقُوا عَنْهَا بِمَا لَا يَقْصِدُونَهُ وَصَاحِبُ الْقِيَمَةِ غَيْرُ مُخَاطَبٍ وَالْعَجُوبُ مَعْدُورٌ فَهَنْ



عِلْمُ مِنْهُمْ فَضْلُهُ وَأَقْنِدَاوَهُ حُمِلَ عَلَى الْقَصْدِ الْجَمِيلِ مِنْ هَذَا وَأَنَّ الْعِبَارَةَ عَنِ  
 الْمَوَاجِدِ صَعْبَةٌ إِنْقِدَانِ الْوُضْعِ لَهَا كَمَا وَقَعَ لِأَيِّ يَزِيدُ وَأَمثَالِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَضْلُهُ  
 وَلَا أَشْتَهَرَ فَمَوَازِدُهُ بِمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لَنَا مَا يَحْتَمِلُنَا عَلَى  
 تَأْوِيلِ كَلَامِهِ وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمِثْلِهَا وَهُوَ حَاضِرٌ فِي حِسِّهِ وَلَمْ يَمْلِكْهُ الْحَالُ فَمَوَازِدُهُ  
 أَيْضًا وَلِهَذَا أَقْنَى الْمُفْهَمُ وَأَكْبَرُ الْمُتَصَوِّفَةِ بِقَتْلِ الْحَلَاكِ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي حُضْرٍ وَهُوَ مَالِكٌ  
 لِلْحَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَسَلَفُ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ أَهْلِ أَلْسَانِ سَالَةِ أَعْلَامِ الْعِلْمَةِ الَّذِينَ أَشْرَفْنَا إِلَيْهِمْ  
 مِنْ قَبْلِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَرَصٌ عَلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَلَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَدْرَاكِ إِنَّمَا  
 هُمْهُمْ الْأَتْبَاعُ وَالْإِقْدَاءُ مَا اسْتَطَاعُوا وَمَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ  
 يَحْفَظْ بِهِ بَلْ يَقْرَأُونَ مِنْهُ وَيَرْوُونَ أَنَّهُ مِنَ الْعَوَائِقِ وَالْحِجَابِ وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ  
 النَّفْسُ مَخْلُوقٌ حَدَثٌ وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ لَا تَحْصُرُ فِي مَدَارِكِ الْإِنْسَانِ وَعِلْمُ اللَّهِ أَوْسَعُ  
 وَخَلْقُهُ أَكْبَرُ وَشَرِيعَتُهُ بِالْهِدَايَةِ أَمْلَكُ فَلَا يَنْطَقُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا يَذْكُرُونَ بَلْ حَظَرُوا  
 الْخَوْضَ فِي ذَلِكَ وَمَنْعُوا مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْحِجَابَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْخَوْضِ فِيهِ  
 وَالْوُقُوفِ عِنْدَهُ بَلْ يَلْتَزِمُونَ طَرِيقَتَهُمْ كَمَا كَانُوا فِي عَالَمِ الْحِسِّ قَبْلَ الْكَشْفِ مِنَ  
 الْأَتْبَاعِ وَالْإِقْدَاءِ وَيَأْمُرُونَ أَصْحَابَهُمْ بِالْتِزَامِهَا وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُ  
 الْمُرِيدِ وَاللَّهُ الْمُؤَقِّقُ لِلصَّوَابِ

## الفصل الثاني عشر

في علم تعبير الرويا

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَوْحَدٌ حَدَثٌ فِي الْعِلْمَةِ عِنْدَمَا صَارَتْ الْعُلُومُ صَنَائِعَ  
 وَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا وَأَمَّا الرُّوْيَا وَالْتَعْبِيرُ لَهَا فَقَدْ كَانَ مَوْجُودًا فِي السَّلَفِ كَمَا هُوَ فِي  
 الْخَلْفِ وَزُبْمًا كَانَ فِي الْمُلُوكِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ قَبْلِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا إِلَّا كِتْفَاءً فِيهِ  
 بِكَلَامِ الْمُعْبَرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأِسْلَامِ وَإِلَّا فَالرُّوْيَا مَوْجُودَةٌ فِي صِنْفِ الْبَشَرِ عَلَى الْأَيْضِ طَلَاقٍ  
 وَلَا بَدْءٍ مِنْ تَعْبِيرِهَا فَلَقَدْ كَانَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُعَبِّرُ الرُّوْيَا كَمَا وَقَعَ  
 فِي الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ ثَبُتَ عَنِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالرُّوْيَا مُدْرَكٌ مِنْ مَدَارِكِ الْغَيْبِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّوْيَا  
 الصَّالِحَةُ لِحُزْنٍ مِنْ سِنَةِ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ وَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُبْعِرَاتِ إِلَّا الرُّوْيَا

الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ وَأَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مِنَ الْوَحْيِ أَرُؤِيَا فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقْبَلَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَقُولُ لِصَاحِبَيْهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْآيَةَ  
 رُؤْيَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ لِيَسْتَبْشِرَ بِمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ ظُهُورُ الَّذِينَ وَإِعْزَازُهُ وَأَمَّا  
 السَّبَبُ فِي كَوْنِ الرُّؤْيَا مُدْرِكًا لِلْغَيْبِ فَهُوَ أَنَّ الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ وَهُوَ الْبُخَارُ اللَّطِيفُ الْمُنْبَعِثُ  
 مِنْ تَجْوِيفِ الْقَلْبِ الْخَمْعِيِّ يَنْتَشِرُ فِي الشَّرَيَانَاتِ وَمَعَ الدَّمِ فِي سَائِرِ الْبَدَنِ وَبِهِ  
 تَكْمُلُ أَفْعَالُ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ وَإِحْسَانُهَا فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَلَكُ يَكْتَرِدُ التَّصَرُّفَ فِي  
 الْأَحْسَاسِ بِالْحَوَاسِ الْخَمْسِ وَتَصْرِيفِ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَغَشْيِ سَطْحِ الْبَدَنِ مَا يَنْبَغُ  
 مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ أَنْحَسَ الرُّوحُ مِنْ سَائِرِ أَفْطَارِ الْبَدَنِ إِلَى مَرْكَزِهِ الْقَلْبِيِّ فَيَسْتَحِمُّ بِذَلِكَ  
 لِمَبَادِئِهِ فَعَلَيْهِ فَنَعَطَلَتْ الْحَوَاسُ الظَّاهِرَةُ كُلُّهَا وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى النَّوْمِ كَمَا نَقَدَمُ فِي  
 أَوَّلِ الْكِتَابِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ هُوَ مَطِيَّةٌ لِلرُّوحِ الْعَالِيِّ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالرُّوحُ  
 الْعَالِيُّ مُدْرِكٌ لِجَمِيعِ مَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ بِذَاتِهِ إِذْ حَقِيقَتُهُ وَذَاتُهُ عَيْنُ الْأَدْرَاكِ وَإِنَّمَا  
 يَمْنَعُ مِنْ تَعَلُّقِهِ بِالْمَدَارِكِ الْفَنِيَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ حِجَابِ الْأَشْيَاءِ بِالْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَحَوَاسِهِ  
 فَلَوْ قَدْ خَلَا مِنْ هَذَا الْحِجَابِ وَتَجَرَّدَ عَنْهُ لَرَجَعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ عَيْنُ الْأَدْرَاكِ فَيَعْقِلُ  
 كُلَّ مُدْرِكٍ فَإِذَا تَجَرَّدَ عَنْ بَعْضِهَا خَفَتْ شَوَائِلُهُ فَلَا يَدْرِكُ مِنْ إِدْرَاكِ لَعَنَةِ مِنْ عَالَمِهِ  
 يَقْدِرُ مَا تَجَرَّدَ لَهُ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ خَفَتْ شَوَائِلُ الْحِسِّ الظَّاهِرِ كُلُّهَا وَهِيَ الشَّائِلُ  
 الْأَعْظَمُ فَاسْتَعَدَّ لِقَبُولِ مَا هُنَاكَ مِنَ الْمَدَارِكِ الْإِلَاقَةِ مِنْ عَالَمِهِ وَإِذَا أَدْرَكَ مَا يُدْرِكُ  
 مِنْ عَوَالِمِهِ رَجَعَ إِلَى بَدَنِهِ إِذْ هُوَ مَا دَامَ فِي بَدَنِهِ جِسْمَانِي لَا يُمَكِّنُهُ التَّصَرُّفُ إِلَّا  
 بِالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِلْعِلْمِ إِنَّمَا فِي الدِّمَاغِيَّةِ وَالْمُنْصَرِفِ مِنْهَا  
 هُوَ الْخَيَالُ فَإِنَّهُ يَنْزِعُ مِنَ الصُّورِ الْحَسُوسَةِ صُورًا خَيَالِيَّةً ثُمَّ يَدْفَعُهَا إِلَى الْحَافِظَةِ  
 تَحْفَظُهَا لَهُ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا عِنْدَ النَّظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ وَكَذَلِكَ تَجَرَّدُ النَّفْسُ مِنْهَا  
 صُورًا أُخْرَى تَفْسَانِيَّةً عَقْلِيَّةً فَيَتَرَقَّى التَّجَرُّدُ مِنَ الْحَسُوسِ إِلَى الْعَقُولِ وَالْخَيَالِ  
 وَاسِطَةً بَيْنَهُمَا وَلِذَلِكَ إِذَا أَدْرَكَتِ النَّفْسُ مِنْ عَالَمِهَا مَا تُدْرِكُهُ الْقَنَةُ إِلَى الْخَيَالِ  
 فَيَصُورُهُ بِالصُّورَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْحِسِّ الْمَشْتَرِكِ فَيَرَاهُ النَّائِمُ كَأَنَّهُ مُحَسُّوسٌ  
 فَيَنْزِلُ الْمُدْرِكُ مِنَ الرُّوحِ الْقَلْبِيِّ إِلَى الْحِسِّيِّ وَالْخَيَالِ أَيْضًا وَاسِطَةً هَذِهِ حَقِيقَةُ

الرُّؤْيَا وَمِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ يَظْهَرُ لَكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ وَأَضْعَافِ الْأَحْلَامِ  
الْكَاذِبَةِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا صُورٌ فِي الْخَيَالِ حَالَةٌ النَّوْمِ وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ تِلْكَ الصُّورُ  
مَنْزِلَةً مِنَ الرُّوحِ الْعَقْلِيِّ الْمَذْكُورِ فَهُوَ رُؤْيَا وَإِنْ كَانَتْ مَأْخُذَةً مِنَ الصُّورِ الَّتِي  
فِي الْخَافِظَةِ الَّتِي كَانَ الْخَيَالُ أَوْدَعَهَا إِيَّاهَا مِنْذُ الْبَقْلَةِ فِيهِ أَضْعَافُ أَحْلَامِهِ وَأَمَّا مَعْنَى  
التَّعْبِيرِ فَاعْلَمْ أَنَّ الرُّوحَ الْعَقْلِيَّ إِذَا أَدْرَكَ مَذْرُوعَهُ وَالْقَاهُ إِلَى الْخَيَالِ فُصُورَهُ فَأَمَّا  
يُصَوِّرُهُ فِي الصُّورِ الْمُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ الْمَعْنَى بَعْضُ الشَّيْءِ كَمَا يَذْكُرُ مَعْنَى السُّلْطَانِ  
الْأَعْظَمِ فَيُصَوِّرُهُ الْخَيَالُ بِصُورَةٍ أُنْجَرُ أَوْ يَذْكُرُ الْعِدَاةَ فَيُصَوِّرُهَا الْخَيَالُ فِي صُورَةٍ  
أَلْحِيَّةٍ فَإِذَا اسْتَبْقَطَ وَهُوَ لَمْ يَعْلَمْ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَأَى النُّجُومَ أَوْ الْحَيَّةَ فَيَنْظُرُ الْمَعْبُودَ  
بِقُوَّةِ التَّشْبِيهِ بَعْدَ أَنْ يَتَيَقَّنَ أَنَّ النُّجُومَ صُورَةُ عَصُوسَةٍ وَأَنَّ الْمَذْرُوعَ وَرَأَاهَا وَهُوَ  
يَهْتَدِي بِقَرَائِنٍ أُخْرَى تَعَيَّنَ لَهُ الْمَذْرُوعُ فَيَقُولُ مَثَلًا هُوَ السُّلْطَانُ لِأَنَّ النُّجُومَ خَلَقَ عَظِيمٌ  
يُنَاسِبُ أَنْ يُشَبَّهَ بِهَا السُّلْطَانُ وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ يُنَاسِبُ أَنْ تُشَبَّهَ بِالْعَدُوِّ لِعَظَمِ ضَرَرِهَا  
وَكَذَا الْأَوَانِي تُشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّهُنَّ أَوْعِيَّةٌ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَمِنْ الْعَرَبِيِّ مَا يَكُونُ صَرِيحًا  
لَا يَنْفَعُ إِلَى تَعْبِيرِ لُجْلَامِهَا وَوُضُوحِهَا أَوْ لِقُرْبِ الشَّبَهِ فِيهَا بَيْنَ الْمَذْرُوعِ وَشَبَهِهِ وَلِهَذَا  
وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ رُؤْيَا ثَلَاثَ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِنَ الْمَلَكِ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ  
فَالرُّؤْيَا الَّتِي مِنَ اللَّهِ فِي الصَّرِيحَةِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ إِلَى تَأْوِيلِهَا وَالَّتِي مِنَ الْمَلَكِ فِي الرُّؤْيَا  
الصَّادِقَةِ تَنْفَعُ إِلَى التَّعْبِيرِ وَالرُّؤْيَا الَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ فِي الْأَضْعَافِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَيَالِ  
إِذَا أَلْقَى إِلَيْهِ الرُّوحُ مَذْرُوعَهُ فَإِنَّمَا يُصَوِّرُهُ فِي الْقَوَالِبِ الْمُتَعَادِلَةِ لِلْحَسَنِ وَمَا لَمْ يَكُنْ  
الْحَسَنُ أَدْرَكَهُ قَطُّ فَلَا يُصَوِّرُ فِيهِ فَلَا يُمْكِنُ مِنْ وَلَدِ أَعْمَى أَنْ يُصَوِّرَ لَهُ السُّلْطَانُ  
بِالنُّجُومِ وَلَا الْعَدُوَّ بِالْحَيَّةِ وَلَا النِّسَاءَ بِالْأَوَانِي لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ وَإِنَّمَا يُصَوِّرُ  
لَهُ الْخَيَالُ أَمْثَالَ هَذِهِ فِي شَبَهِهَا وَمُنَاسِبِهَا مِنْ جِنْسِ مَذَارِكِهِ الَّتِي فِي الْمَسْمُوعَاتِ  
وَالْمَسْمُومَاتِ وَلِتَحْفَظَ الْمَعْبُودُ مِنْ مِثْلِ هَذَا قُرْبًا اخْتَلَطَ بِهِ التَّعْبِيرُ وَقَسَدَ قَانُونُهُ ثُمَّ إِنْ  
عَلِمَ التَّعْبِيرُ عِلْمُ بَقَوَانِينِ كَلِمَةٍ بَيْنِي عَلَيْهِمَا الْمَعْبُودُ عِبَارَةً مَا يَقْصُ عَلَيْهِ وَتَأْوِيلُهُ كَمَا  
يَقُولُونَ النُّجُومَ يَذْكُرُ السُّلْطَانَ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ النُّجُومَ يَذْكُرُ عَلَى الْغَيْظِ وَفِي  
مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ النُّجُومَ يَذْكُرُ عَلَى الْهَمِّ وَالْأَمْرِ الْفَاجِحِ وَمِثْلُ مَا يَقُولُونَ الْحَيَّةَ تَذْكُرُ  
عَلَى الْعَدُوِّ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ فِي كَاتِمٍ سِرٍّ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ تَذْكُرُ عَلَى

الْحَيَاةَ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَحْفَظُ الْمَعْبَرُ هَذِهِ الْقَوَائِنَ الْكَلِمَةَ وَيُعْبَرُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِمَا  
تَقْتَضِيهِ الْقَرَائِنُ الَّتِي تُعَيِّنُ مِنْ هَذِهِ الْقَوَائِنِ مَا هُوَ الْيَقِينُ بِالرُّؤْيَا وَتِلْكَ الْقَرَائِنُ مِنْهَا فِي  
الْيَقِظَةِ وَمِنْهَا فِي التَّوَمُّرِ وَمِنْهَا مَا يَقْدُحُ فِي نَفْسِ الْمَعْبَرِ بِالْخَاصِيَةِ الَّتِي خَلِقَتْ فِيهِ وَكُلُّ  
مَيْسَرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْعِلْمُ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ السَّافِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ فِيهِ  
مِنْ أَشْهَرِ الْعُلَمَاءِ وَكُتِبَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْقَوَائِنِ وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَلَفَتْ  
الْكُرَمَائِيُّ فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ أَلَفَ الْمُسْكِلُونَ الْمُتَأَخِّرُونَ وَكَثُرُوا وَالتَّدَاوُلُ  
بَيْنَ أَهْلِ الْغَرْبِ لِهَذَا الْعَهْدِ كُتِبَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَبْرَوَانِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَبْرَوَانِ مِثْلَ  
الْمُسْتَعِ وَغَيْرِهِ وَكِتَابُ الْإِشَارَةِ لِلْسَّالِحِيِّ وَهُوَ عِلْمٌ مُغْيِيٌّ بِدَوْرِ الذُّبُورَةِ لِلنَّاسِ الَّتِي  
يَنْهَمَا كَمَا وَقَعَ فِي الْعَصِيرِ وَاللَّهُ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

### الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي هِيَ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ذُو فِكْرٍ فَعِي غَيْرُ  
مُخْتَصَّةٌ بِعِلَّةٍ بَلْ يَوْجُهُ النَّظَرُ فِيهَا إِلَى أَهْلِ الْمِلَالِ كُلِّهِمْ وَيَسْتَوُونَ فِي مِدَارِهَا وَمَبَاحِثِهَا  
وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْذُ كَانَ عُمْرَانُ الْخَلِيقَةِ وَتَسَمَّى هَذِهِ الْعُلُومُ عُلُومُ  
الْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ الْأَوَّلُ عِلْمُ الْمُنْطَلِقِ وَهُوَ عِلْمٌ بِبَعْضِ  
الْقَرَنِ عَنْ أَلْطَفٍ فِي اقْتِنَاصِ الطَّلَابِ التَّجَوُّلَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَاصَةِ الْعَالَمِيَّةِ وَفَائِدَتُهُ  
تَمْيِيزُ أَلْطَفٍ مِنَ الصَّوَابِ فِيهَا بِاتِّسَاعِ النَّظَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَعَوَارِضِهَا لِيَقِفَ عَلَى  
تَحْقِيقِ الْحَقِّ فِي الْكَائِنَاتِ بِدَيْتَعِي فِكْرِهِ ثُمَّ النَّظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ إِمَّا فِي الْعُصُوسَاتِ  
مِنَ الْأَجْسَامِ الْعُنْصَرِيَّةِ وَالْمَكُونَةِ عَنْهَا مِنَ الْعَمْدِينَ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ وَالْأَجْسَامِ  
الْفَلَاسِكِيَّةِ وَالْحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالنَّفْسِ الَّتِي تَتَّبِعُ عَنْهَا الْحَرَكَاتُ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
هَذَا الْقَنْ بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الثَّانِي مِنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي وَرَاءَ  
الطَّبِيعَةِ مِنَ الْأَرْوَاحَانِيَّاتِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ وَهُوَ الثَّلَاثُ مِنْهَا وَالْعِلْمُ الرَّابِعُ وَهُوَ  
النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ وَيَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ وَتَسَمَّى السَّعَالِمِ أَوَّلُهَا عِلْمُ الْمُتَدَسِّسَةِ وَهُوَ  
النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِمَّا الْمُنْفَصِلَةِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا مَعْدُودَةٌ أَوْ الْمُتَّصِلَةِ  
وَهِيَ إِمَّا ذُو بُعْدٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَطُّ أَوْ ذُو بُعْدَيْنِ وَهُوَ السَّطْحُ أَوْ ذُو أَسْبَاطٍ ثَلَاثَةٍ وَهُوَ

الْجِسْمُ التَّالِيفِيُّ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْمَقَادِيرِ وَمَا يَعْزِضُ لَهَا إِمَّا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا أَوْ مِنْ  
 حَيْثُ نِسْبَةِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَانِيًا عِلْمُ الْأَرْتَمَاطِيْقِي وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَا يَعْزِضُ لِلصَّكْمِ  
 الْمُفْصِلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَدُ وَيُؤْخَذُ لَهُ مِنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَاضِ الْأَاحِقَةِ وَثَالِثًا عِلْمُ  
 الْمَوْسِقِيِّ وَهُوَ مَعْرِفَةُ نِسْبِ الْأَصْوَاتِ وَالنَّغَمِ بِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَتَقْدِيرُهَا بِالْعَدَدِ وَتَمَرُّهُ  
 مَعْرِفَةُ تَلَاحِيْنِ الْغِنَاءِ وَرَابِعًا عِلْمُ الْهَيْئَةِ وَهُوَ تَعْيِينُ الْأَشْكَالِ لِلْأَفْلاكِ وَحَصْرُ أَوْضَاعِهَا  
 وَتَدَدُهَا لِكُلِّ كَوْكَبٍ مِنَ السَّيَّارَةِ وَالْقِيَامُ عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْحَرَكَاتِ السَّمَاوِيَّةِ  
 الْمَشَاهِدَةِ الْمَوْجُودَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَمِنْ رُجُوعِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا وَإِقْبَالِهَا وَإِدْبَارِهَا فَهَذِهِ  
 أَصُولُ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَهِيَ سِمَةُ الْمَنْطِقِ وَهُوَ الْمَقْدَمُ مِنْهَا وَبَعْدَهُ الْعَالِمُ فَلَا زَرْتَمَاطِيْقِي  
 أَوَّلًا ثُمَّ الْمُهَنْدِسَةُ ثُمَّ الْهَيْئَةُ ثُمَّ الْمَوْسِقِيُّ ثُمَّ الطَّبِيعِيَّاتُ ثُمَّ الْأَلْهِيَّاتُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
 فُرُوعٌ تَنْفَرِعُ عَنْهُ فَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ الطَّبُّ وَمِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْعَدَدِ عِلْمُ الْحِسَابِ  
 وَالْفَرَائِضِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَمِنْ فُرُوعِ الْهَيْئَةِ الْأَزْيَاجُ وَهِيَ قَوَانِينُ لِحِسَابِ حَرَكَاتِ  
 الْفُكُوكِ وَتَعْدِيلُهَا لِلْوُقُوفِ عَلَى مَوَاضِعِهَا مَتَى فُصِدَ ذَلِكَ وَمِنْ فُرُوعِهَا النَّظَرُ فِي النُّجُومِ  
 عَلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَتَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهَا وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ عُنِيَ بِهَا فِي الْأَجْيَالِ الَّذِينَ عَرَفْنَا أَخْبَارَهُمُ الْأَمَنَانُ الْعَظِيمَتَانِ فِي  
 الدَّوْلَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَهُمَا فَارِسُ وَالرُّومُ فَكَانَتْ أَسْوَاقُ الْعُلُومِ نَافِقَةً لَدَيْهِمْ عَلَى  
 مَا بَلَغْنَا لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ أَنْ مَوْفُورًا فِيهِمْ وَالْدَّوْلَةُ وَالسُّلْطَانُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَعَصَرِهِ لَهُمْ  
 فَكَانَ لَهُدِيهِ الْعُلُومُ بِحُورٍ زَاخِرَةٍ فِي آفَاقِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ وَكَانَ لِلْكِلْدَانِيَيْنِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ  
 مِنَ السَّرِيَانِيَيْنِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْقُبْطِ عَنَابَةٌ بِالسِّحْرِ وَالنَّجْمَةِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الطَّلَاسِمِ  
 وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُمْ الْأَمُّ مِنْ فَارِسَ وَبُؤْنَانَ فَاخْتَصَّ بِهَا الْقُبْطُ وَطَمَى بَجَرُهَا فِيهِمْ  
 كَمَا وَقَعَ فِي السِّتْلُورِ مِنْ خَبَرِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَشَأْنِ السَّحَرَةِ وَمَا نَقَلَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ  
 مِنْ شَأْنِ الْبَرَارِيِّ بِصَعِيدِ مِصْرَ ثُمَّ تَنَابَعَتِ الْعِلَلُ بِحُظُرِ ذَلِكَ وَتَعَرَّجَهُ فِدْرَسَتْ  
 عُلُومُهُ وَبَطَلَتْ كَانَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بَقَايَا يَتَنَاقَلُهَا مُنْتَحِلُو هَذِهِ الصَّنَائِعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِصَحَّتِهَا مَعَ أَنَّ سُبُوفَ الشَّرْعِ قَائِمَةٌ عَلَى ظُهُورِهَا مَانِعَةٌ مِنْ اخْتِبَارِهَا وَأَمَّا الْفَرُسُ  
 فَكَانَ شَأْنُ هَذِهِ الْعُلُومِ الْقَبْلِيَّةِ عَنْدهُمْ عَظِيمًا وَنَاطِقًا مُتَسَمِّيًا لَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُهُمْ  
 مِنَ الصَّخَامَةِ وَاتِّصَالِ الْمُلْكِ وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ إِنَّمَا وَصَلَتْ إِلَى بُؤْنَانَ مِنْهُمْ

حِينَ قَتَلَ الإسْكَندَرُ دَارًا وَعَلَبَ عَلَى مَمْلَكَةِ الْكِينِيَّةِ فَاسْتَوَلَى عَلَى كُتُبِهِمْ وَعُلُومِهِمْ  
 مِمَّا لَا يَأْخُذُهُ الْحَضَرُ وَلَمَّا فَتَحَتْ أَرْضُ فَارِسَ وَوَجَدُوا فِيهَا كُتُبًا كَثِيرَةً كَتَبَ سَعْدُ  
 ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِيَسْتَأْذِنَهُ فِي شَأْنِهَا وَتَقْبِلَهَا لِلْمُسْلِمِينَ فَكَتَبَ  
 إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ أَطْرَحُوهَا فِي الْمَاءِ فَإِنْ يَكُنْ مَا فِيهَا هَدَى فَقَدْ هَدَانَا اللَّهُ بِأَهْدَى مِنْهُ وَإِنْ  
 يَكُنْ ضَلَالًا فَقَدْ كَفَانَا اللَّهُ فَطَرَحُوهَا فِي الْمَاءِ أَوْ فِي النَّارِ وَذَهَبَتْ عُلُومُ الْفَرَسِ فِيهَا  
 عَنْ أَنْ تَصِلَ إِلَيْنَا. وَأَمَّا الرُّومُ فَكَانَتْ الدَّوْلَةُ مِنْهُمْ أَيْوَانًا أَوَّلًا وَكَانَ لَهُذِهِ الْعُلُومُ  
 بَيْنَهُمْ مَجَالٌ رَحْبٌ وَحَدَّثَهَا مُشَاهِدٌ مِنْ رِجَالِهِمْ مِثْلُ أَسَاطِينِ الْحِكْمَةِ وَغَيْرِهِمْ  
 وَأَخْصَصَ فِيهَا الْمَشَاوِدَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ الرُّوَاقِ بِطَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ فِي التَّلَامِيمِ كَلَّوْا يَقْرَأُونَ  
 فِي رُوَاقٍ يُظِلُّهُمْ مِنَ الشَّمْسِ وَالْبَرْدِ عَلَى مَا زَعَمُوا وَاتَّصَلَ فِيهَا سَنَدُ تَعْلِيمِهِمْ عَلَى مَا  
 يَزْعُمُونَ مِنْ لَدُنْ لِقَانِ الْحَكِيمِ فِي تَلْمِيذِهِ بَقْرَاطَ الَّذِي ثُمَّ إِلَى تَلْمِيذِهِ أَفْلَاطُونُ ثُمَّ  
 إِلَى تَلْمِيذِهِ أَرِسْطُو ثُمَّ إِلَى تَلْمِيذِهِ الإسْكَندَرُ الْآفَرُودَمِي وَتَأَمَّسَطِيُونُ وَغَيْرِهِمْ  
 وَكَانَ أَرِسْطُو مُعَلِّمًا لِلْإِسْكَندَرِ مَلِكِهِمْ الَّذِي غَابَ الْفَرَسُ عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَنْتَزَعَ  
 الْمُلْكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَكَانَ أَرِسْطُو فِي هَذِهِ الْعُلُومِ قَدَمًا وَابْتَدَأَ فِيهِ صِنْتُهَا وَكَانَ يُسَمَّى  
 الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ فَطَارَ لَهُ فِي الْعَالَمِ ذِكْرٌ. وَلَمَّا انْقَرَضَ أَمْرُ الْيُونَانِ وَصَارَ الْأَمْرُ لِلْقِيَامِيَّةِ  
 وَأَخَذُوا بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ هَجَرُوا تِلْكَ الْعُلُومَ كَمَا تَقْتَضِيهِ الْمِلَّةُ وَالشَّرَائِعُ فِيهَا وَبَقِيَتْ  
 فِي صُحُفِهَا وَدَوَائِنِهَا مُخَلَّدَةً بَاقِيَةً فِي خَزَائِنِهِمْ قَدْ مَلَكُوا الشَّامَ وَكُتِبَ هَذِهِ الْعُلُومُ  
 بَاقِيَةً فِيهِمْ ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَكَانَ لِأَهْلِ الظُّهُورِ الَّذِي لَا كِفَاءَ لَهُ وَابْتَزَا الرُّومَ  
 مَلِكُهُمْ فِيمَا ابْتَزَوْهُ لِلْأَمْرِ وَأَبْدَأَ أَمْرُهُمْ بِالسَّادَجَةِ وَالْفَلَّةِ عَنِ الصَّنَائِعِ حَتَّى إِذَا  
 تَبَخَّجَ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْدَّوْلَةِ وَأَخَذَ الْحِضَارَةَ بِالْحِظِّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لغيرِهِمْ مِنَ الْأَمْرِ  
 وَتَنَسَّوْا فِي الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ تَشَوَّقُوا إِلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ بِمَا  
 سَمِعُوا مِنَ الْأَسَافَةِ وَالْآفِيَةِ الْمُعَاهِدِينَ بَعْضُ ذِكْرِ مِنْهَا وَبِمَا سَمِعُوا إِلَيْهِ أَفْكَارَ الْإِنْسَانِ  
 فِيهَا قَبِيَتْ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُتَصَوِّرُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ يَكْتُبُ الْعَالِمِ مُتَرَجِّمَةً  
 قَبِيَتْ إِلَيْهِ بِكِتَابِ أَوْفِيدَيْسَ وَبَعْضُ كُتُبِ الطَّبِيعِيَّاتِ فَقَرَأَهَا الْمُسْلِمُونَ وَأَطْلَعُوا عَلَى  
 مَا فِيهَا وَازْدَادُوا حِرْصًا عَلَى الظُّفْرِ بِمَا بَقِيَ مِنْهَا وَجَاءَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ ذَلِكَ وَكَانَتْ لَهُ فِي  
 الْعِلْمِ رَغْبَةٌ بِمَا كَانَ يَنْتَهِلُهُ فَابْتَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعُلُومَ حِرْصًا وَأَوْفَدَ الرُّسُلَ عَلَى مُلُوكِ الرُّومِ

فِي اسْتِخْرَاجِ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ وَانْتِسَاجِهَا بِالْحِطِّ الْعَرَبِيِّ وَبَعَثَ الْمُتَرْجِمِينَ لِذَلِكَ فَمَا وَعَى  
 مِنْهُ وَأَسْتَوْعَبَ وَعَكَّتْ عَلَيْهَا النُّظَارُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَحَدَّثُوا فِي فُنُونِهَا وَاتَّهَتْ إِلَى  
 الْغَايَةِ أَنْظَارُهُمْ فِيهَا وَخَالِفُوا كَثِيرًا مِنْ آرَاءِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَاخْتَصَّوهُ بِالرَّدِّ وَالْقَبُولِ  
 لَوْ قُوفِ الشُّهُرَةِ عِنْدَهُ وَدَوَّنُوا فِي ذَلِكَ الدَّوَاوِينَ وَأَرْبَوَا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ  
 وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِهِمْ فِي الْعِلْمَةِ أَبُو نَصْرِ الْقَارَاطِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا بِالْمَشْرِقِ وَالْقَاضِي  
 أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ وَأَلْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الصَّائِغِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى آخَرِينَ بَلَّغُوا الْغَايَةَ  
 فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَاخْتَصَّ هَؤُلَاءِ بِالشُّهُرَةِ وَالذِّكْرِ وَاقْتَصَرَ كَثِيرُونَ عَلَى اتِّحَالِ الْعُلَمَاءِ  
 وَمَا يَنْصَافُ إِلَيْهَا مِنْ عُلُومِ النِّجَامَةِ وَالسِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَوَقَّتْ الشُّهُرَةُ فِي هَذَا الْجُمُعِ  
 عَلَى مُسَلِّمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْعَجْرِيَّيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَتَلْمِيذِهِ وَدَخَلَ عَلَى الْعِلْمَةِ مِنْ  
 هَذِهِ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا دَاخِلَةً وَأَسْنَهَتْ الْكُثِيرَ مِنَ النَّاسِ بِمَا جَنَحُوا إِلَيْهَا وَقَلَّدُوا آرَاءَهَا  
 وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ لِمَنْ أَرْتَكَبَهُ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ وَالْأَنْدَلُسَ لَمَّا  
 رَكَّكَتْ رِيحُ الْعُرْمَانِ بَيْنَهُمَا وَتَنَاقَصَتِ الْعُلُومُ بِتَنَاقُصِهِ أَصْحَحَ ذَلِكَ مِنْهُمَا إِلَّا قَلِيلًا مِنْ  
 رُسُومِهِ تَجَدَّدَ فِي تَقَارِيْقِ مَنْ النَّاسِ وَتَحَتَّ رَقَبَةُ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَيَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ أَنَّ بَصَائِغَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُمْ مُؤَفَّرَةً وَخُصُوصًا فِي عِرَاقِ الْعَجَمِ وَمَا  
 بَعْدَهُ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَأَنَّهُمْ عَلَى بَعْضِ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ لِتَوَفُّرِ عُمرَانِهِمْ وَأَسْتِخْرَاجِ  
 الْحَضَارَةِ فِيهِمْ وَلَقَدْ وَقَّتْ بِمِصْرَ عَلَى تَأْلِيفِ مُتَعَدِّدَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ عِظَمَاءِ هَرَاةٍ مِنْ بِلَادِ  
 خُرَاسَانَ بِشَهْرِ بَسْمَدِ الدِّينِ التُّفَازَانِيِّ مِنْهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأُصُولِ الْفَقْهِ وَالْبَيَانِ  
 تَشْهَدُ بِأَنَّهُ لَمْ يَلِكْ رَاسِخَةً فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَفِي أَثْنَانِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ أَطْلَاعًا عَلَى  
 الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَقَدَّمَ عَالِيَةً فِي سَائِرِ الْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ  
 كَذَلِكَ بَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الْفَلَسَفِيَّةَ بِلَادَ الْأَفْرَنْجِيَّةِ مِنْ أَرْضِ رُومَةٍ وَمَا  
 إِلَيْهَا مِنَ الْعُدُوَّةِ الشَّمَالِيَّةِ نَافَقَةُ الْأَسْوَاقِ وَأَنَّ رُسُومَهَا هُنَاكَ مُتَجَدِّدَةٌ وَمَجَالِسُ  
 تَعْلِيمِهَا مُتَعَدِّدَةٌ وَدَوَّابُهَا جَامِعَةٌ مُتَوَفِّرَةٌ وَطَلَبَتُهَا مُتَكَثِّرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا هُنَاكَ  
 وَهُوَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

## الفصل الرابع عشر

في العلوم العددية

وَأَوَّلُهَا الْأَرْثَمَاطِيْقِيُّ وَمُوْمَعْرِفَةُ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ مِنْ حَيْثُ التَّأْلِيفُ إِمَّا عَلَى التَّوَالِي  
أَوْ بِالتَّضْعِيفِ مِثْلُ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ مُتَقَاضِلَةً بِعَدَدٍ وَاحِدٍ فَإِنْ جُمِعَ الطَّرَفَيْنِ مِنْهَا مَسَاوٍ  
لِجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ وَمِثْلُ ضَعْفِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ  
عَدَةً تِلْكَ الْأَعْدَادُ فَرَدًا مِثْلُ الْأَفْرَادِ عَلَى تَوَالِيهَا وَالْأَزْوَاجِ عَلَى تَوَالِيهَا وَمِثْلُ أَنَّ الْأَعْدَادَ  
إِذَا تَوَالَتْ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُ أَوَّلُهَا نِصْفَ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا نِصْفَ ثَالِثِهَا الخ أَوْ يَكُونُ  
أَوَّلُهَا ثُلْثَ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا ثُلْثَ ثَالِثِهَا الخ فَإِنْ ضَرَبَ الطَّرَفَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ كَضَرْبِ  
كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ وَمِثْلُ مُرَبِّعِ الْوَاسِطَةِ  
إِنْ كَانَتْ الْعِدَّةُ فَرْدًا وَذَلِكَ مِثْلُ أَعْدَادِ زَوْجِ الزَّوْجِ الْمُتَوَالِيَةِ مِنْ اثْنَيْنِ فَارْبَعَةٍ  
فَسِتْمَانِيَةٍ فِسْتَةَ عَشَرَ وَمِثْلُ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْخَوَاصِّ الْعَدَدِيَّةِ فِي وَضْعِ الْمُثَلَّثَاتِ الْعَدَدِيَّةِ  
وَالْمُرَبَّعَاتِ وَالْخُمْسَاتِ وَالسُّدُسَاتِ إِذَا وُضِعَتْ مُتَتَالِيَةً فِي سَطْرٍ بِأَنْ يَجْمَعَ مِنْ  
الْوَحِيدِ إِلَى الْعَدَدِ الْآخِرِ فَتَكُونُ مُثَلَّثَةً وَتَتَوَالَى الْمُثَلَّثَاتُ هَكَذَا فِي سَطْرٍ تَعْت  
الْأَضْلَاحَ ثُمَّ تَزِيدُ عَلَى كُلِّ مِثْلٍ ثُلْثَ الضِّلَعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مُرَبَّعَةً وَتَزِيدُ عَلَى  
كُلِّ مُرَبَّعٍ مِثْلَ الضِّلَعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ خُمْسَةً وَهَلُمَّ جَرًّا وَتَتَوَالَى الْأَشْكَالُ  
عَلَى تَوَالِي الْأَضْلَاحِ وَيَحْدُثُ جَدْوَلٌ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ فِيهِ عَرْضُهُ الْأَعْدَادُ عَلَى تَوَالِيهَا  
ثُمَّ الْمُثَلَّثَاتُ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمُرَبَّعَاتُ ثُمَّ الْخُمْسَاتُ الخ وَفِي طُولِهِ كُلُّ عَدَدٍ وَأَشْكَالُهُ  
بَالِقًا مَا بَلَغَ وَتَحْدُثُ فِي جَمْعِهَا وَقِسْمَةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ طَوَلًا وَعَرْضًا خَوَاصٌّ غَرِيبَةٌ  
أَسْتَفْرِيتُ مِنْهَا وَأَقْرَرْتُ فِي دَوَائِبِهِمْ مَسَائِلَهَا كَذَلِكَ مَا يَحْدُثُ لِلزَّوْجِ وَالْفَرْدِ وَزَوْجِ  
الزَّوْجِ وَزَوْجِ الْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَالْفَرْدِ فَإِنْ لِكُلِّ مِنْهَا خَوَاصٌّ مُخْتَصَّةٌ بِهِ تَصْنَعُهَا  
هَذَا الْقَرْنُ وَلَيْسَتْ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا الْقَرْنُ أَوَّلُ أَجْزَاءِ التَّعَالِيمِ وَأَنْتَبِهَا وَيَدْخُلُ فِي بَرَاهِينِ  
الْحِسَابِ وَلِلْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ تَأْلِيفٌ وَأَكْثَرُهُمْ يُدْرِجُونَهُ فِي  
التَّعَالِيمِ وَلَا يُفَرِّدُونَهُ بِالتَّأْلِيفِ فَعَلَّ ذَلِكَ آيْنُ سَيْنَا فِي كِتَابِ الشِّقَاءِ وَالنَّجَا وَغَيْرُهُ  
مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَحْجُوزٌ إِذْ هُوَ غَيْرُ مُتَبَدِّلٍ وَمَنْفَعَتُهُ فِي  
الْبَرَاهِينِ لَا فِي الْحِسَابِ فَهَجَرُوهُ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَصُوا زُبْدَتَهُ فِي الْبَرَاهِينِ الْحِسَابِيَّةِ



كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ الْبَنَاءِ فِي كِتَابِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ . ( ومن فروع علم العدد صناعة الحساب ) . وَفِي صِنَاعَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي حِسَابِ الْأَعْدَادِ بِالْفَتْحِ وَالتَّفْرِيقِ فَأَفْهَمَ يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ بِالْأَفْرَادِ وَهُوَ الْجَمْعُ وَبِالتَّضْعِيفِ نَضَاعِفٌ عَدَدًا بِأَحَادٍ عَدَدٍ آخَرَ وَهَذَا هُوَ الضَّرْبُ وَالتَّفْرِيقُ أَيْضًا يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ إِمَّا بِالْأَفْرَادِ مِثْلَ إِزَالَةِ عَدَدٍ مِنْ عَدَدٍ وَمَعْرِفَةِ الْبَاقِي وَهُوَ الطَّرْحُ أَوْ تَفْصِيلُ عَدَدٍ بِأَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَكُونُ عِدَّتُهَا مُحْصَلَةً وَهُوَ الْقِسْمَةُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا الْفَتْحُ وَالتَّفْرِيقُ فِي الصَّحِيحِ مِنَ الْعَدَدِ أَوْ الْكُسْرِ وَمَعْنَى الْكُسْرِ نِسْبَةُ عَدَدٍ إِلَى عَدَدٍ وَتِلْكَ النِّسْبَةُ تَسَمَّى كُسْرًا وَكَذَلِكَ يَكُونُ بِالْفَتْحِ وَالتَّفْرِيقِ فِي الْجُذُورِ وَمَعْنَاهَا الْعَدَدُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي مِثْلِهِ فَيَكُونُ مِنْهُ الْعَدَدُ الْمُرْبُوعُ فَإِنَّ تِلْكَ الْجُذُورَ أَيْضًا يَدْخُلُهَا الْفَتْحُ وَالتَّفْرِيقُ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ حَادِثَةٌ أُخْرِجَ إِلَيْهَا لِلْحِسَابِ فِي الْمَعَامِلَاتِ وَأَلَّفَ النَّاسُ فِيهَا كَثِيرًا وَتَدَاوَلُوهَا فِي الْأَنْصَارِ بِالتَّعْلِيمِ لِلْوِلْدَانِ وَمِنْ أَحْسَنِ التَّعْلِيمِ عِنْدَهُمُ الْإِبْتِدَاءُ بِهَا لِأَنَّهَا مَعَارِفٌ مُنْقَضَةٌ وَبَرَاهِينٌ مُنْتَظِمَةٌ فَيَنْتَسِلُ عَنْهَا فِي الْغَالِبِ عَقْلٌ مُضِيٌّ دَرْبٌ عَلَى الصَّوَابِ وَقَدْ يُقَالُ مَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِتَعْلِيمِ الْحِسَابِ أَوَّلَ أَمْرِهِ إِنَّهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الصِّدْقُ لِمَا فِي الْحِسَابِ مِنْ مِجْعَةِ الْمَبَانِي وَمُنَاقَشَةِ النَّفْسِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ خُلُقًا وَيَتَعَوَّدُ الصِّدْقُ وَيَلْزِمُهُ مَذْهَبًا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّلَافِيهِ الْمَبْسُوطَةِ فِيهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَغْرِبِ كِتَابُ الْخِصَارِ الصَّغِيرِ وَلِابْنِ الْبَنَاءِ الْمُرَاكِبِيِّ فِيهِ تَلْخِيصٌ صَاطِبٌ لِقَوَانِينِ أَعْمَالِهِ مُفِيدٌ ثُمَّ شَرَحَهُ بِكِتَابِ سَمَاءِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَهُوَ مُسْتَفَادٌ عَلَى الْمُبْتَدِئِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْوُثِيقَةِ الْمَبَانِي وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ أَدْرَكَكَ أَلْسِنَةُ الْعُظَمَاءِ وَهُوَ كِتَابٌ جَدِيدٌ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا جَاءَهُ الْإِسْتِغْلَاقُ مِنْ طَرِيقِ الْبَرَاهِينِ بَيِّنَاتٍ عُلُومِ التَّكَالِيمِ لِأَنَّ مَسَائِلَهَا وَأَعْمَالَهَا وَاضِحَةٌ كُلُّهَا وَإِذَا قُصِدَ شَرْحُهَا فَإِنَّمَا هُوَ إِعْطَاهُ الْغُلَّلَ فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَفِي ذَلِكَ مِنَ التَّسَرُّعِ عَلَى الْفَهْمِ مَا لَا يَوْجَدُ فِي أَعْمَالِ الْمَسَائِلِ قَدَامَةً وَاللَّهُ يَهْدِي بَنُوْرِهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ . ( ومن فروعه الجبر والمقابلة ) . وَفِي صِنَاعَةٍ يُسْتَخْرَجُ بِهَا الْعَدَدُ الْجَهْلُ مِنْ قَبْلِ الْمَعْلُومِ الْمَعْرُوضِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ تَقْتَضِي ذَلِكَ فَأَصْلَحُوا فِيهَا عَلَى أَنْ جَعَلُوا لِلْجَهْلُولَاتِ مَرَاتِبَ مِنْ طَرِيقِ التَّضْعِيفِ بِالضَّرْبِ أَوَّلُهَا أَلْفٌ لِأَنَّهُ بِهِ يَتَعَيَّنُ الْمَطْلُوبُ الْجَهْلُ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ نِسْبَةُ الْجَهْلُولِ إِلَيْهِ وَثَانِيهَا الشَّيْءُ لِأَنَّ كُلَّ جَهْلُولٍ هُوَ مِنْ جِهَةِ إِيَّاهُمُ شَيْءٌ وَهُوَ أَيْضًا جَدْرٌ لِمَا يَلْزَمُ مِنْ تَضْعِيفِهِ

فِي الْمَرْبَةِ الثَّانِيَةِ وَتَالِهَا الْمَالُ وَهُوَ أَمْرٌ مُبْهِمٌ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَى نِسْبَةِ الْأَسِّ فِي  
 الْمَضْرُوبِينَ ثُمَّ يَفْعُ الْعَمَلُ الْمَفْرُوضُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَتُخْرَجُ إِلَى مُعَادَلَةٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ  
 أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ فَيُقَابِلُونَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَجْعَلُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْكَسْرِ حَتَّى  
 يَصِيرَ صَحِيحًا وَيَحْطُونَ الْمَوَاقِبَ إِلَى أَقْلِ الْأَسَاسِ إِنْ أَمَكْنَ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الثَّلَاثَةِ  
 الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْجُرِّ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْعَدَدُ وَالشَّيْءُ وَالْمَالُ فَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ  
 وَوَاحِدٍ تَعَيَّنَ فَالْمَالُ وَالْجُدُورُ يَزُولُ إِيَّاهُمَا بِمُعَادَلَةِ الْعَدَدِ وَيَتَعَيَّنُ وَالْمَالُ وَإِنْ عَادَلَ  
 الْجُدُورُ فَيَتَعَيَّنُ بِعِدَّتِهَا وَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ أَخْرَجَهُ الْعَمَلُ الْمُتَدَسِّعُ  
 مِنْ طَرِيقِ تَفْصِيلِ الضَّرْبِ فِي الْاِثْنَيْنِ وَهِيَ مُبْهِمَةٌ فَيُعَيَّنُ ذَلِكَ الضَّرْبُ الْمَفْصَلُ وَلَا  
 يُمَكِّنُ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَكَثُرٌ مَا أَنْتَهَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى سِتِّ  
 مَسَائِلَ لِأَنَّ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ عَدَدٍ وَجَدَرٍ وَمَالٍ مُفْرَدَةٍ أَوْ مُرَكَّبَةٍ تَحْجِي سِتَّةَ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
 فِي هَذَا الْفَنِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَوَارِزْمِيُّ وَبَعْدَهُ أَبُو كَامِلٍ شُجَاعُ بْنُ أَسْلَمَ وَجَاءَ النَّاسُ  
 عَلَى آثَرِهِ فِيهِ وَكَتَبَهُ فِي مَسَائِلِهِ السِّتِّ مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِيهِ وَفَرَحَهُ  
 كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فَأَجَادُوا وَمِنْ أَحْسَنِ شُرُوحَاتِهِ كِتَابُ الْقُرْطُوبِيِّ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ  
 بَعْضَ أَئِمَّةِ الْعَالِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَنَّهُ الْمُعَامَلَاتُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذِهِ السِّتَةِ  
 الْأَجْنَاسِ وَبَلَّغَهَا إِلَى فَوْقِ الْعِشْرِينَ وَاسْتَفْرَجَ لَهَا كُلِّهَا أَعْمَالًا وَابْتَعَهُ بِرَاهِنٍ مُتَدَسِّعٍ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْمُعَامَلَاتُ ) . وَهُوَ  
 تَصْرِيحُ الْحِسَابِ فِي مُعَامَلَاتِ الْمَدِينِ فِي الْبَيَاعَاتِ وَالْمَسَاحَاتِ وَالزُّكُوتِ وَسَائِرِ مَا  
 يَعْرِضُ فِيهِ الْعَدَدُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ يُصْرَفُ فِي صِنَاعَتِنَا ذَلِكَ الْحِسَابُ فِي الْجَهْلِ وَالْمَعْلُومِ  
 وَالْكَسْرِ وَالصَّحِيحِ وَالْجُدُورِ وَغَيْرِهَا وَالْفَرْضُ مِنْ تَكْثِيرِ الْمَسَائِلِ الْمَفْرُوضَةِ فِيهَا  
 حُصُولُ الْمِرَانِ وَالذَّرِيَّةِ بِتَكَرُّرِ الْعَمَلِ حَتَّى تَرْتَبِعَ الْمَلَكَةُ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ  
 وَلِأَهْلِ الصِّنَاعَةِ الْحِسَابِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ تَأَلَّفَتْ فِيهَا مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ أَشْهُرِهَا مُعَامَلَاتُ  
 الزُّهْرَاوِيِّ وَابْنِ السَّمْعِ وَأَبِي مُسْلِمٍ بْنِ خَلْدُونَ مِنْ تَلْمِيزِ مُسْلِمَةَ الْحَجَرِ بَطْنِيٍّ وَأَمْثَالِهِمْ  
 ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْفَرَائِضُ ) . وَهِيَ صِنَاعَةُ حِسَابِيَّةٌ فِي تَصْحِيحِ الدِّيَّامِ لِلدَّوِيِّ الْفُرُوضِ  
 فِي الْأَوْرَثَاتِ إِذَا تَعَدَّتْ وَهَلَكَ بَعْضُ الْوَارِثِينَ وَأَنْكَسَرَتْ سَهَامُهُ عَلَى وَرَثَتِهِ أَوْ  
 زَادَتْ الْفُرُوضُ عِنْدَ أَجْمَاعِهَا وَتَزَاحَمَ عَلَى الْمَالِ كُلِّهِ أَوْ كَانَ فِي الْفَرِيضَةِ إِفْرَازُ

وَالْإِنْكَارُ مِنْ بَعْضِ الْوَرَثَةِ فَتَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً إِلَى عَمَلٍ يُعَيِّنُ بِهِ سِهَامَ الْقَرِيبَةِ مِنْكُمْ تَصِحُّ وَمِهِمُ الْوَرَثَةُ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ مُصَحَّحًا حَتَّى تَكُونَ حَظُوظُ الْوَارِثِينَ مِنَ الْمَالِ عَلَى نِسْبَةِ سِهَامِهِمْ مِنْ جُمْلَةِ سِهَامِ الْقَرِيبَةِ قَبْدَحُهَا مِنْ صِنَاعَةِ الْحِسَابِ جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْ صَحِيحِهِ وَكُسْرٍ وَجَذْرِهِ وَمَعْلُومِهِ وَتَجْهُولِهِ وَتَرْتَّبُ عَلَى تَرْتِيبِ أَبْوَابِ الْفَرَائِضِ الْفِقْهِيَّةِ وَمَسَائِلِهَا فَتَشْتَمِلُ حِينَئِذٍ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَلَى جُزْءٍ مِنَ الْفِقْهِ وَهُوَ أَخْكَامُ الْوَرَاثَةِ مِنَ الْفَرُوضِ وَالْعَوْلِ وَالْإِفْرَاقِ وَالْإِنْكَارِ وَالْوَصَايَا وَالْتَدْيِيرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِهَا وَعَلَى جُزْءٍ مِنَ الْحِسَابِ وَهُوَ تَصْحِيحُ الشُّهُمَانِ بِاعْتِبَارِ الْحُكْمِ الْفِقْهِيِّ وَهِيَ مِنْ أَجْلِ الْعُلُومِ وَقَدْ يُورَدُ أَهْلُهَا أَحَادِيثُ تَبْوِيهِ تَشْهَدُ بِفَضْلِهَا مِثْلُ الْفَرَائِضِ ثَلَاثُ الْعِلْمِ وَأَمَّا أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ الْعُلُومِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَعِنْدِي أَنَّ ظَوَاهِرَ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي الْفَرَائِضِ الْعَيْنِيَّةِ كَمَا نَقَدَمُ لَا فَرَائِضَ الْوَرَاثَاتِ فَإِنَّهَا أَقَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي كَمِّيَّتِهَا ثَلَاثُ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْفَرَائِضُ الْعَيْنِيَّةُ فَكَثِيرَةٌ وَقَدْ آلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْفَنِّ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَأَوْعَبُوا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ فِيهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابُ ابْنِ ثَابِتٍ وَمُخْتَصَرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَزَنِيِّ وَكِتَابُ ابْنِ الْمُنَمَّرِ وَالْجَعْدِيِّ وَالشَّرَدِيِّ وَغَيْرِهِمْ لَكِنَّ الْقَضْلَ لِلْهَوَنِيِّ فَكِتَابُهُ مُقَدَّمٌ عَلَى جَمِيعِهَا وَقَدْ شَرَحَهُ مِنْ شَيْخُونَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانُ الشُّطْرِيُّ كَبِيرُ مُسْتَفْهَةٍ فَاسْ فَأَوْضَحَ وَأَوْعَبَ وَلَا يُؤَمَّرُ الْحَرَمَيْنِ فِيهَا تَأْلِيفٌ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ تَشْهَدُ بِاتِّسَاعِ بَابِهِ فِي الْعُلُومِ وَرُسُوحِ قَدَمِهِ وَكَذَلِكَ لِلْحَنَفِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَمَقَامَاتُ النَّاسِ فِي الْعُلُومِ مُخْتَلِفَةٌ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بَيْنَهُ وَكَرِيمُهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الخامس عشر

#### في العلوم الهندسية

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا الْمُتَّصِلَةِ كَالْحَطِّ وَالسَّطْحِ وَالْجَسْمِ وَإِمَّا الْمُفْصَلَةِ كَالْأَعْدَادِ وَفِيمَا يَعْزِضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ الدَّائِيَّةِ مِثْلُ أَنَّ كُلَّ مِثْلٍ قَرَوَابَاهُ مِثْلُ قَائِمَتَيْنِ وَمِثْلُ أَنَّ كُلَّ خَطَّيْنِ مُتَوَازِيَيْنِ لَا يَلْتَقِيَانِ فِي وَجْهِهِ وَلَا يَخْرُجَا إِلَى غَيْرِ نِهَآيَةٍ وَمِثْلُ أَنَّ كُلَّ خَطَّيْنِ مُتَقَاطِعَيْنِ فَالزَّائِدَتَانِ الْمُتَقَابِلَتَانِ مِنْهُمَا مُسَاوِيَتَانِ وَمِثْلُ أَنَّ الْأَرْبَعَةَ مَقَادِيرَ الْمُتَنَاسِبَةِ ضَرْبُ الْأَوَّلِ مِنْهَا فِي الثَّلَاثِ كَضَرْبِ الثَّانِي فِي الرَّابِعِ وَأَمَّا ذَلِكَ وَالْكِتَابُ الْمَتْرَجِمُ لِلْيُونَانِيِّينَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كِتَابُ أَوْفَلِيدِسَ وَيُسَمَّى

كِتَابُ الْأُسُولِ وَكِتَابُ الْأَرْكَانِ وَهُوَ أَبْسَطُ مَا وَضِعَ فِيهَا لِلْمُتَعَلِّمِينَ وَأَوَّلُ مَا تُرْجِمُ  
 مِنْ كِتَابِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْعِلْمَةِ أَيَّامُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَنُسَخُهُ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ  
 الْمُتَرْجِمِينَ فَمِنْهَا لِحَنَيْنِ بْنِ إِسْحَاقَ وَلِثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ وَلِيُوسُفَ بْنِ الْحَجَّاجِ وَيَشْتَدُّ عَلَى  
 خَمْسَ عَشْرَةَ مَقَالَةً أَرْبَعٌ فِي السُّطُوحِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْأَقْدَارِ الْتِسَاعِيَّةِ وَآخَرَى فِي  
 نِسْبِ السُّطُوحِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَلَاثٌ فِي الْعَدَدِ وَالْعَاشِرَةِ فِي الْمُنَاطِقَاتِ وَالْقَوَى عَلَى  
 الْمُنَاطِقَاتِ وَمَعْنَاهُ الْجُدُورُ وَخَمْسٌ فِي النِّجْمَاتِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ النَّاسُ اخْتِصَارَاتٍ كَثِيرَةً  
 كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ سِينَا فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ أَفْرَدَ لَهُ جُزْءًا مِنْهَا اخْتَصَصَهُ بِهِ وَكَذَلِكَ ابْنُ الصَّلَاتِ  
 فِي كِتَابِ الْأَقْصَارِ وَغَيْرُهُمْ وَشَرَحَهُ آخَرُونَ شُرُوحًا كَثِيرَةً وَهُوَ مَبْدَأُ الْعُلُومِ الْمُهَنْدِسِيَّةِ  
 بِإِطْلَاقٍ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُهَنْدِسَةَ تَتَبَّعُ صَاحِبَهَا إِضَاءَةً فِي عَقْلِهِ وَاسْتِقَامَةً فِي فِكْرِهِ لِأَنَّ  
 بَرَاهِينَهَا كُلَّهَا بَيِّنَةُ الْإِنْتِظَامِ جَلِيَّةُ التَّرْتِيبِ لَا يَكَادُ الْفَلْطُ يَدْخُلُ أَفْسَسَهَا لِتَرْتِيبِهَا  
 وَاتْنِظَامِهَا فَيَعْدُ الْفِكْرُ بِمُحَارَسَتِهَا عَنِ الْخَطَا وَيَنْشَأُ لِصَاحِبِهَا عَقْلٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَنْهَجِ  
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ أَفْلَاطُونٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُهَنْدِسًا فَلَا يَدْخُلَنَّ مَتَرَانَا  
 وَكَانَ شَيْخُونَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَقُولُونَ مُحَارَسَةُ عِلْمِ الْمُهَنْدِسَةِ لِلْفِكْرِ بِعَثَابَةِ الصَّابِرِينَ لِلثَّوْبِ  
 الَّذِي يَغْسِلُ مِنْهُ الْأَقْدَارُ وَبَقِيَّةٍ مِنَ الْأَوْصَارِ وَالْأَدْرَانِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ  
 مِنْ تَرْتِيبِهِ وَاتْنِظَامِهِ . (ومن فروع هذا الفن الهندسة المخرصة بالاشكال الكروية  
 والمخروطات) . أَمَّا الْأَشْكَالُ الْكُرْوِيَّةُ فَفِيهَا كِتَابَانِ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ  
 إِثَاوْدُوسِيُوسَ وَمِيلَاوُسَ فِي سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَكِتَابُ ثَاوْدُوسِيُوسَ مُقَدِّمٌ فِي التَّعْلِيمِ عَلَى  
 كِتَابِ مِيلَاوُسَ لِتَوْثُقِ كَثِيرٍ مِنْ بَرَاهِينِهِ عَلَيْهِ وَلَا بُدَّ مِنْهَا لِمَنْ يُرِيدُ التَّخَوُّصَ فِي عِلْمِ  
 الْهَيْئَةِ لِأَنَّ بَرَاهِينَهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَيْهِ فَالْكَلَامُ فِي الْهَيْئَةِ كُلُّهُ كَلَامٌ فِي الْكُرَاتِ السَّمَاوِيَّةِ  
 وَمَا يَعْزُضُ فِيهَا مِنَ الْقُطُوعِ وَالِدَوَائِرِ بِأَسْبَابِ الْحُرَكَاتِ كَمَا نَذَكُرُهُ فَقَدْ يَتَوَقَّفُ عَلَى  
 أَحْكَامِ الْأَشْكَالِ الْكُرْوِيَّةِ سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَأَمَّا الْمَخْرُوطَاتُ فَهُوَ مِنْ فُرُوعِ الْمُهَنْدِسَةِ  
 أَيْضًا وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِيمَا يَقَعُ فِي الْأَجْسَامِ الْمَخْرُوطَةِ مِنَ الْأَشْكَالِ وَالْقُطُوعِ وَيَبْرهنُ  
 عَلَى مَا يَعْزُضُ لِذَلِكَ مِنَ الْعَوَارِضِ بِبَرَاهِينِ هَنْدَسِيَّةٍ مُتَوَقِّفَةٍ عَلَى التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفَائِدَتِهَا  
 تَنْظَرُ فِي الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي مَوَادُّهَا الْأَجْسَامُ مِثْلُ النِّجَارَةِ وَالنِّيلَةِ وَكَيْفَ تُصْنَعُ  
 التَّمَائِيلُ الْقَرِيبَةُ وَالْهَيْكَلُ الْقَادِرَةُ وَكَيْفَ يُحْمَلُ عَلَى جَرِّ الْأَنْقَالِ وَتَقِلُّ الْهَيْكَلِ

بِالْهَيْدَامِ وَالْمِجْخَالِ وَآمِثَالُ ذَلِكَ وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ فِي هَذَا الْقَنْ كِتَابًا فِي الْحِيلِ  
 الْعِلْمِيَّةِ يَتَضَمَّنُ مِنَ الصَّنَاعَاتِ الْغَرِيبَةِ وَالْحِيلِ الْمُسْتَظَرَّةِ كُلَّ عَجِيْبَةٍ وَزَيْدًا اسْتَغْلَقَ  
 عَلَى النَّهْمِ اصْصُوبَةُ بَرَاهِينِهِ الْهَنْدَسِيَّةِ وَهُوَ مُوجِدٌ بِأَيْدِي النَّاسِ يَتَسَوَّنُهُ إِلَى بَنِي شَاكِرٍ  
 وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ (ومن فروع الهندسة المساحة) وهو فنٌ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَسْحِ الْأَرْضِ  
 وَمَعْنَاهُ اسْتِخْرَاجُ مِقْدَارِ الْأَرْضِ الْمَعْلُومَةِ بِنِسْبَةِ شَيْءٍ أَوْ ذِرَاعٍ أَوْ غَيْرِهِمَا وَنِسْبَةُ أَرْضٍ  
 مِنْ أَرْضٍ إِذْ قُوِيَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ فِي تَوْظِيْفِ الْخُرَاجِ عَلَى الْمَزَارِعِ  
 وَالْفُنْدِ وَبَسَاتِينِ الْفَرَّاسَةِ وَفِي قِسْمَةِ الْحَوَائِطِ وَالْأَرَاضِي بَيْنَ الشُّرَكَاءِ أَوْ الْوَرَثَةِ وَآمِثَالُ  
 ذَلِكَ وَلِلنَّاسِ فِيهَا مَوْضُوعَاتٌ حَسَنَةٌ وَكَثِيرَةٌ وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ لِلصَّوَابِ بِمَنْهِ وَكَرَمِهِ  
 (المنظرة من فروع الهندسة) وهو علمٌ يَتَبَيَّنُ بِهِ أَسْبَابُ الظَّلْطِ فِي الْإِدْرَاكِ الْبَصَرِيِّ  
 بِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ إِدْرَاكَ الْبَصَرِ يَكُونُ بِمَخْرُوطٍ شُعَاعِي رَأْسُهُ  
 يَقْطَعُهُ الْبَاصِرُ وَقَاعِدَتُهُ الْمَرِيئِيُّ ثُمَّ يَقَعُ الظَّلْطُ كَثِيرًا فِي رُؤْيَةِ الْقَرِيبِ كَثِيرًا وَالْبَعِيدِ  
 صَغِيرًا وَكَذَا رُؤْيَةُ الْأَشْبَاحِ الصَّغِيرَةِ تَحْتَ الْمَاءِ وَوَرَاءَ الْأَجْسَامِ الشَّافَةِ كَبِيرَةٌ وَرُؤْيَةُ  
 النُّقْطَةِ النَّازِلَةِ مِنَ الْمَطَرِ خَطًا مُسْتَقِيمًا وَالسَّلَفَةِ دَائِرَةً وَآمِثَالُ ذَلِكَ قِيَّتَيْنِ فِي هَذَا  
 الْعِلْمِ أَسْبَابُ ذَلِكَ وَكَيْفِيَّاتُهُ بِالْبَرَاهِينِ الْهَنْدَسِيَّةِ وَتَبَيَّنُ بِهِ أَيْضًا اخْتِلَافُ الْمَنْظَرِ  
 فِي الْقَمَرِ بِاخْتِلَافِ الْعُرُوضِ الَّذِي يَبْنِي عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ رُؤْيَةِ الْأَهْلِيَّةِ وَحُصُولِ الْكُسُوفَاتِ  
 وَكَثِيرٌ مِنْ آمِثَالِ هَذَا وَقَدْ أَلَفَ فِي هَذَا الْقَنْ كَثِيرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَشْهُرُ مِنْ أَلْفٍ  
 فِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ابْنُ الْهَيْثَمِ وَبِغَيْرِهِ أَيْضًا تَأَلَّفَ وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الرِّبَاضَةِ وَتَفَارِيعِهَا

## الفصل السادس عشر

### في علم الهيئة

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَرِّكَِةِ وَالْمُتَحَرِّكَِةِ وَيَسْتَدِلُّ  
 مِنْ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ عَلَى أَشْكَالٍ وَأَوْضَاعٍ لِلْأَفْلَاقِ لَزِمَتْ عَنْهَا لِهَيْدِ الْحَرَكَاتِ الْحَسُوسَةِ  
 بِطُرُقِ هَنْدَسِيَّةٍ كَمَا يُبَيِّنُ عَلَى أَنَّ مَرَكْزَ الْأَرْضِ مُبَايِنٌ لِمَرَكْزِ فَلَكِ الشَّمْسِ بِوُجُودِ  
 حَرَكَةِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وَكَمَا يَسْتَدِلُّ بِالرُّجُوعِ وَالِاسْتِقَامَةِ لِلْكَوَاكِبِ عَلَى وُجُودِ  
 أَفْلَاقٍ صَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ لَهَا مُتَحَرِّكَِةٌ دَاخِلٌ فَلَكُهَا الْأَعْظَمُ وَكَمَا يُبَيِّنُ عَلَى وُجُودِ  
 الْأَفْلَاقِ الثَّانِيَةِ مِجْرَكَةِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَكَمَا يُبَيِّنُ عَلَى تَعَدُّدِ الْأَفْلَاقِ لِلْكَوَاكِبِ

الْوَاحِدِ بِتَعْدَادِ الْهَيُولِ لَهُ وَأَمثالِ ذَلِكَ وَإِذْ رَأَى الْمَوْجُودَ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَكَيْفِيَّاتِهَا  
 وَأَجْنَاسِهَا إِنَّمَا هُوَ بِالرَّصْدِ فَإِنَّمَا عَلِمْنَا حَرَكَةَ الْأَفْكَالِ وَالْإِدْبَارِ بِهِ وَكَذَا  
 تَرْكِيبُ الْأَفْلاكِ فِي طَبَقَاتِهَا وَكَذَا الرُّجُوعُ وَالْإِسْتِقَامَةُ وَأَمثالُ ذَلِكَ وَكَانَ الْيُونَانِيُّونَ  
 يَتَعَنُّونَ بِالرَّصْدِ كَثِيرًا وَيَتَّخِذُونَ لَهُ الْأَلَاتِ الَّتِي تَوْضَعُ لِرَّصْدِهَا حَرَكَةَ الْكَوْكَبِ  
 الْمَعِينِ وَكَانَتْ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَاتُ الْحَلْقِي وَصَنَاعَةُ عَمَلِهَا وَالْبَرَاهِينُ عَلَيْهِ فِي مُطَابَقَةِ  
 حَرَكَتِهَا بِحَرَكَةِ الْفَلَكَ مَقُولٌ بِأَيْدِي النَّاسِ وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ تَقَعْ بِهِ عَيْنَاةٌ إِلَّا  
 فِي الْقَلِيلِ وَكَانَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ شَيْءٌ مِنْهُ وَصَنَعَ الْآلَةَ الْمَعْرُوفَةَ لِلرَّصْدِ الْمُسَمَّاةَ  
 ذَاتَ الْحَلْقِي وَشَرَعَ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَتِمَّ وَلَمَّا مَاتَ ذَهَبَ رُسْمُهُ وَأُغْفِلَ وَاعْتَمَدَ مِنْ بَعْدِهِ  
 عَلَى الْأَرْصَادِ الْقَدِيمَةِ وَلَيْسَتْ بِمُعْنِيَةٍ لِاخْتِلَافِ الْحَرَكَاتِ بِاتِّصَالِ الْأَحْقَابِ وَأَنْ  
 مُطَابَقَةُ حَرَكَةِ الْآلَةِ لِلرَّصْدِ بِحَرَكَةِ الْأَفْلاكِ وَالْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْرِيبِ وَهَذِهِ  
 الْهَيْئَةُ صَنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ وَلَيْسَتْ عَلَى مَا يُفْهَمُ فِي الْمَشْهُورِ أَنَّهَا تُعْطِي صُورَةَ السَّمَاوَاتِ وَتُرَتِّبُ  
 الْأَفْلاكَ وَالْكَوَاكِبَ بِالْحَقِيقَةِ بَلْ إِنَّمَا تُعْطِي أَنْ هَذِهِ الصُّورُ وَالْهَيْئَاتُ لِلْأَفْلاكِ لَزِمَتْ  
 عَنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ لَازِمًا لِخِطَابَيْنِ  
 وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ الْحَرَكَاتَ لَازِمَةٌ فَهِيَ اسْتِدْلَالٌ بِاللَّازِمِ عَلَى وُجُودِ الْمَكْزُومِ وَلَا يُعْطِي  
 الْحَقِيقَةَ بِوُجْهِهِ عَلَى أَنَّهُ عِلْمٌ جَلِيلٌ وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ التَّعَالِيمِ وَمِنْ أَحْسَنِ التَّلَاكُفِ فِيهِ  
 كِتَابُ الْمَحِيطِ مَنَسُوبٌ لِطَلِيْمُوسَ وَلَيْسَ مِنْ مُلُوكِ الْيُونَانِ الَّذِينَ أَسْمَاؤُهُمْ بِطَلِيْمُوسُ  
 عَلَى مَا حَقَّقَهُ شَرَا حُ الْكِتَابِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ الْأَيْمَةُ مِنْ حُكَمَاءِ الْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَهُ  
 ابْنُ سِينَا وَأَدْرَجَهُ فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ وَلَفَّصَهُ ابْنُ رُشْدٍ أَيْضًا مِنْ حُكَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ  
 وَابْنُ السَّنَحِ وَابْنُ الصَّلْتِ فِي كِتَابِ الْإِقْتِصَارِ وَابْنُ الْقُرْطَبِيِّ هَيْئَةً مُلَخَّصَةً قَرِيبًا  
 وَحَدَّثَ بَرَاهِينُهَا الْهِنْدِيَّةَ وَاللَّهُ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
 الْعَالَمِينَ . (ومن فروعه علم الازياج) . وَهِيَ صَنَاعَةُ حِسَابِيَّةٌ عَلَى قَوَائِنَ عَدَدِيَّةٍ فِيهَا  
 يَخْصُ كُلُّ كَوْكَبٍ مِنْ طَرِيقِ حَرَكَتِهِ وَمَا أَدَّى إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْهَيْئَةِ فِي وَضْعِهِ مِنْ سُرْعَةٍ  
 وَبُطْءٍ وَاسْتِقَامَةٍ وَرُجُوعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ يُعْرَفُ بِهِ مَوَاضِعُ الْكَوَاكِبِ فِي أَفلاكِهَا لِأَيِّ  
 وَقْتٍ فَرِضَ مِنْ قَبْلِ حِسَابِهَا حَرَكَاتِهَا عَلَى تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْ كُتُبِ  
 الْهَيْئَةِ وَلِهَذَا الصَّنَاعَةُ قَوَائِنُ كَالْمَقْدَمَاتِ وَالْأَصُولِ لَهَا فِي مَعْرِفَةِ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ

وَالْوَارِيعَ الْمَاضِيَةَ وَأُصُولَ مُتَقَرَّرَةٍ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَوْجِ وَالْخَاضِضِ وَالْمَبُولِ وَأَصْنَافِ  
الْحَرَكَاتِ وَاسْتِخْرَاجَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ بَضْعُونَهَا فِي جَدَاوِلَ مُرَبَّيَةٍ تَسْهِيلاً عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ  
وَتُسَمَّى الْأَزْيَاجُ وَيُسَمَّى اسْتِخْرَاجُ مَوَاضِعِ الْكَوَاكِبِ لِلْوَقْتِ الْمَعْرُوضِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
تَعْدِيلاً وَتَقْوِيماً وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَأْكِيْدٌ كَثِيْرَةٌ لِلْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِثْلَ الْبَتَانِي<sup>(١)</sup>  
وَأَبْنِ الْكَمَادِ وَقَدْ عَوَّلَ الْمُتَأَخِّرُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَغْرِبِ عَلَى زِيَجٍ مُتَسَوِّبٍ لِأَبْنِ  
إِسْحَاقَ بْنِ مُبَشَّيْ تُوْنُسَ فِي أَوَّلِ أَلْفِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَبْنَ إِسْحَاقَ عَوَّلَ فِيهِ عَلَى  
الرَّصْدِ وَأَنَّ يَهُودِيًّا كَانَ بِصِفْلِيَّةٍ مَاهِرًا فِي الْهَيْئَةِ وَالْعَالِمِمْ وَكَانَ قَدْ عُنِيَ بِالرَّصْدِ وَكَانَ  
يُبْعَثُ إِلَيْهِ بِمَا يَفْعُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِهَا فَكَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ لِذَلِكَ  
عُتُوًّا بِهِ لَوَاقِفَهُ مَبْتَنَاهُ عَلَى مَا يَزْعُمُونَ وَلِخَصِّهِ أَبْنَ الْبَنَاءِ فِي آخِرِ مَمْلَكَةِ الْمُنْهَاجِ فَوَلَّعَ بِهِ  
النَّاسُ لِمَا سَهَّلَ مِنَ الْأَعْمَالِ فِيهِ وَإِنَّمَا يَخْتِاجُ إِلَى مَوَاضِعِ الْكَوَاكِبِ مِنَ الْفَلَكَ لِلتَّنْبِيْهِ  
عَلَيْهَا الْأَحْكَامَ الْجُومِيَّةَ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْأَنَارِ الَّتِي تَحْدُثُ عَنْهَا بِأَوْضَاعِهَا فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ  
مِنَ الْمُلْكِ وَالذُّوْلِ وَالْمَوَالِيدِ النَّسَبِيَّةِ كَمَا نَبَّيْنَاهُ بَعْدُ وَنُوضِّحُ فِيهِ آدِلَتَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ لِمَا يَجِبُ وَيَرْضَاهُ لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ

### الفصل السابع عشر

#### في علم المنطق

وَهُوَ قَوَانِيْنٌ يُعْرَفُ بِهَا الصَّحِيْحُ مِنَ الْفَاسِدِ فِي الْخُدُودِ الْمَعْرِفَةِ لِلْمَاهِيَّاتِ وَالنَّجْعِ  
الْمُعَيَّنَةِ لِلتَّصْدِيقَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِدْرَاكِ إِنَّمَا هُوَ الْحَسُوسَاتُ بِالْحَوَاسِ  
الْخَمْسِ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ مُشْتَرِكَةٌ فِي هَذَا الْإِدْرَاكِ مِنَ الطَّائِفِ وَغَيْرِهِ وَإِنَّمَا يَسْمِي  
الْإِنْسَانُ عَنْهَا بِإِدْرَاكِ الْكَلِمَاتِ وَهِيَ مَجْرَدَةٌ مِنَ الْحَسُوسَاتِ وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يَحْصُلُ فِي  
الْحَيَالِ مِنَ الْأَشْخَاصِ الْمُتَّفَقَةِ صُورَةٌ مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جَمِيعِ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ الْحَسُوسَةِ وَهِيَ  
الْكَلِمَةُ ثُمَّ يَنْظُرُ الذَّهْنُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ الْمُتَّفَقَةِ وَأَشْخَاصٍ أُخْرَى تَوَافَقَهَا فِي  
بَعْضٍ فَيَحْصُلُ لَهُ صُورَةٌ تَنْطَبِقُ أَيْضًا عَلَيْهِمَا بِاعْتِبَارِ مَا اتَّفَقَ فِيهِ وَلَا يَزَالُ يَرْتَقِي فِي  
التَّجَرُّدِ إِلَى الْكُلِّ الَّذِي لَا يَجِدُ كَلِمًا أُخْرَى مَعَهُ يُوَافِقُهُ فَيَكُونُ لِأَجْلِ ذَلِكَ بَسِيْطًا  
وَهَذَا مِثْلُ مَا يَجْرَدُ مِنْ أَشْخَاصِ الْإِنْسَانِ صُورَةُ النَّوعِ الْمُنْطَبِقَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَهُ

وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَتَجَرُّدِ صُورَةِ الْجَنَسِ الْمُنْطَبِقَةِ عَلَيْهِمَا ثُمَّ يَنْتَهِي إِلَى أَنْ  
يَنْتَهِيَ إِلَى الْجَنَسِ الْعَالِيِّ وَهُوَ الْجَوْهَرُ فَلَا يَمُودُ كُلِّيًّا يُوَفِّقُهُ فِي شَيْءٍ فَيَقِفُ الْعَقْلُ هُنَاكَ  
عَنِ التَّجَرُّدِ ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْفِكْرَ الَّذِي بِهِ يَذْكُرُ الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ  
وَكَانَ الْعِلْمُ إِمَّا تَصَوُّرًا لِلْمَاهِيَّاتِ وَيُعْنِي بِهِ إِذْ رَأَى سَادِجٌ مِنْ غَيْرِ حَكْمٍ مَعَهُ وَإِمَّا تَصْدِيقًا  
أَيَّ حُكْمًا يَثْبُوتُ أَمْرٌ لِأَمْرٍ قَصَارَ سَعْيِ الْفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبَاتِ إِمَّا بِأَنْ يَجْمَعَ  
تِلْكَ الْكَلِمَاتُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ التَّأْلِيفِ فَتَحْصُلُ صُورَةٌ فِي الذِّهْنِ كُلِّيَّةٌ مُنْطَبِقَةٌ  
عَلَى أَفْرَادٍ فِي الْخَارِجِ فَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ الذَّهْنِيَّةُ مُفِيدَةً لِمَعْرِفَةِ مَاهِيَّةِ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ  
وَإِمَّا بِأَنْ يَحْكُمَ بِأَمْرٍ عَلَى أَمْرٍ فَيَثْبُتَ لَهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا وَتَأْيِيدًا فِي الْحَقِيقَةِ رَاجِعَةً  
إِلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّهُ فَائِدَةٌ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ إِنَّمَا فِي مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي فِي مَقْتَضَى  
الْعِلْمِ وَهَذَا السَّعْيُ مِنَ الْفِكْرِ قَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ فَاسِدٍ  
فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَمْيِيزَ الطَّرِيقِ الَّذِي يُسَمَّى بِهِ الْفِكْرُ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ الْعِلْمِيَّةِ لِيَتَمَيَّزَ  
الصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ وَكَانَ ذَلِكَ قَانُونُ الْمَنْطِقِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمُوا  
بِهِ جَمَلًا جَمَلًا وَمَقَرِّقًا وَلَمْ تَهْدُبْ طَرَفُهُ وَلَمْ يَجْمَعْ مَسَائِلُهُ حَتَّى ظَهَرَ فِي يُونَانَ أَرِسْطُو  
قَهْدَبَ مَبَاحِثِهِ وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَفُصِّلَتْ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَفَاتَحَتْهَا وَلِلَّذَلِكَ  
يُسَمَّى بِالْمَعْلَمِ الْأَوَّلِ وَكِتَابُهُ الْمُخْتَصُّصُ بِالْمَنْطِقِ يُسَمَّى النَّصَّ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَمَانِيَةِ  
كُتُبٍ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادِيهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطْلُوبَ التَّصْدِيقِيَّةَ  
عَلَى أَشْخَاءٍ قَدْ مَنَعَهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينُ يَطْبَعُهُ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ  
الظَّنُّ وَهُوَ عَلَى مَرَاتِبٍ فَيَنْظُرُ فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ الْمَطْلُوبُ الَّذِي يُبْدُهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ  
تَكُونَ مُقَدِّمَاتُهُ بِذَلِكَ الْأَعْتِبَارِ وَمِنْ أَيْ جِنْسٍ يَكُونُ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ مِنَ الظَّنِّ وَقَدْ  
يَنْظُرُ فِي الْقِيَاسِ لَا بِاعْتِبَارِ مَطْلُوبٍ مُخْصُوصٍ بَلْ مِنْ جِهَةِ إِتِنَاجِهِ خَاصَّةً وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ  
الْأَوَّلِ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ وَتُعْنِي بِهِ الْمَادَّةُ الْمُنْتِجَةُ لِلْمَطْلُوبِ الْمُخْصُوصِ مِنْ يَقِينٍ  
أَوْ ظَنْنٍ وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ الثَّانِي إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ وَإِتِنَاجُ الْقِيَاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَكَانَتْ  
لِلَّذَلِكَ كُتُبُ الْمَنْطِقِ ثَمَانِيَةً . الْأَوَّلُ فِي الْأَجْنَاسِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا تَجَرُّدُ  
الْمَحْسُوسَاتِ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ قَوْفَهَا جِنْسٌ وَيُسَمَّى كِتَابَ الْمَقُولَاتِ . وَالثَّانِي فِي الْأَفْضَاءِ  
التَّصْدِيقِيَّةِ وَأَصْنَافِهَا وَيُسَمَّى كِتَابَ الْعِبَارَةِ . وَالثَّالِثُ فِي الْقِيَاسِ وَصُورَةِ إِتِنَاجِهِ عَلَى



الْإِطْلَاقُ وَيُسَمَّى كِتَابُ الْقِيَاسِ وَمَذَا آخِرُ النَّظَرِ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ ثُمَّ الرَّابِعُ كِتَابُ  
الْبُرْهَانِ وَمَوْ النَّظَرُ فِي الْقِيَاسِ الْمُنْتَجِ الْيَقِينِ وَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُقَدِّمَاتُهُ يَقِينَةً  
وَيُخْتَصُّ بِشُرُوطٍ أُخْرَى لِإِقَادَةِ الْيَقِينِ مَذْكَورَةٌ فِيهِ مِثْلُ كَوْنِهَا ذَاتِيَّةً وَأَوَّلِيَّةً وَغَيْرَ  
ذَلِكَ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ الْكَلَامُ فِي الْمَعْرِفَاتِ وَالْحُدُودِ إِذِ الْمَطْلُوبُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ  
الْيَقِينُ لِوُجُوبِ الْمَطَابَقَةِ بَيْنَ الْحَدِّ وَالْحُدُودِ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهَا فَلِذَلِكَ اخْتَصَّتْ  
عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِهَذَا الْكِتَابِ . وَالْخَامِسُ كِتَابُ الْجَدَلِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمُنْفِيدُ قَطَعَ  
الْمَشَاغِبَ وَإِقْفَامَ الْخُصَمِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مِنَ الْمَشْهُورَاتِ وَيُخْتَصُّ أَيْضًا  
مِنْ جِهَةِ إِقَادَتِهِ لِهَذَا الْفَرَضِ بِشُرُوطٍ أُخْرَى مِنْ حَيْثُ إِقَادَتُهُ لِهَذَا الْفَرَضِ وَفِي  
مَذْكَورَةٍ هُنَاكَ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ يَذْكَرُ الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَسْتَنْبِطُ مِنْهَا صَاحِبُ الْقِيَاسِ  
قِيَاسَهُ وَفِيهِ عَكُوسُ الْقَضَايَا . وَالسَّادِسُ كِتَابُ السَّنَسَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي يُفِيدُ  
خِلَافَ الْحَقِّ وَبِغَايِلِ بِهِ الْمُنَاطَرُ صَاحِبُهُ وَهُوَ فَاسِدٌ وَهَذَا إِنَّمَا كُتِبَ لِيُعْرَفَ بِهِ  
الْقِيَاسُ الْمُعَاظِلُ فَيَحْذَرُ مِنْهُ . وَالسَّابِعُ كِتَابُ الْخُطَابَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمُنْفِيدُ تَرْغِيبَ  
الْجُمْهُورِ وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُمْ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ . وَالثَّامِنُ  
كِتَابُ الشَّعْرِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي يُفِيدُ التَّمْثِيلَ وَالتَّشْبِيهَ خَاصَّةً لِلْإِقْبَالِ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ  
الْفَرَقَةِ عَنْهُ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مِنَ الْقَضَايَا التَّخْيِيلِيَّةِ هَذِهِ فِي كُتُبِ الْمُنْطَقِ  
الْثَّمَانِيَةِ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ ثُمَّ إِنْ حُكِّمَاءُ الْيُونَانِيِّينَ بَعْدَ أَنْ تَهَدَّبَتِ الصَّنَاعَةُ وَرُبِّتَتْ  
رَأَوْا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ الْمُنْفِيَةِ لِلتَّصَوُّرِ فَاسْتَدْرَكُوا فِيهَا  
مَقَالَةً مُخْتَصَّةً بِهَا مُقَدِّمَةٌ بَيْنَ يَدَيِ الْفَنِّ فَصَارَتْ تِسْعًا وَتُرْجِمَتْ كُلُّهَا فِي الدِّلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
وَكَتَبَهَا وَتَدَاوَلَهَا فَلَا سِفَةَ إِلَّا سَلَامٌ بِالْإِشْرَاحِ وَالْتَفَهِيسِ كَمَا فَهَلَةُ الْفَارَابِيُّ وَأَبْنُ سِينَا  
ثُمَّ أَبْنُ رُشْدٍ مِنْ فَلَا سِفَةَ الْأَنْدَلُسِ وَلَأَبْنُ سِينَا كِتَابُ الشِّفَاءِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عُلُومَ الْفَلَسَفَةِ  
السَّبْعَةِ كُلُّهَا ثُمَّ جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ فَغَيَّرُوا أَصْطِلَاحَ الْمُنْطَقِ وَأَحْضَوْا بِالْإِشْرَاحِ فِي الْكَلِمَاتِ  
الْخَمْسِ ثَمَرَتَهُ وَفِي الْكَلَامِ فِي الْحُدُودِ وَأَرْسُومِ نَقْلُومَا مِنْ كِتَابِ الْبُرْهَانِ وَحَدَّثُوا  
كِتَابَ الْمَقُولَاتِ لِأَنَّ نَظَرَ الْمُنْطَقِيِّ فِيهِ بِالْعَرَضِ لَا بِالْقَاتِبِ وَأَحْضَوْا فِي كِتَابِ الْعِبَارَةِ  
الْكَلَامِ فِي الْمَكْسِيِّ لِأَنَّهُ مِنْ تَوَانِيحِ الْكَلَامِ فِي الْقَضَايَا يَبْغِضُ الرُّجُوهُ ثُمَّ تَكَلَّمُوا  
فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ إِتْنَاهُ لِلْمَطَالِبِ عَلَى التَّمُومِ لَا بِحَسَبِ مَادَّةٍ وَحَدَّثُوا النَّظَرَ فِيهِ

بِحَسَبِ الْمَادَّةِ وَهِيَ الْكِتَابُ الْخَمْسَةُ الْبُرْهَانُ وَالْجَدَلُ وَالْخِطَابَةُ وَالشَّعْرُ وَالسَّفْسَطَةُ  
وَرَبَّمَا يَلِمُ بَعْضُهُمْ بِالْبَسِيرِ مِنْهَا إِمَامًا وَأَغْفَلُوهَا كَأَن لَّمْ تَكُنْ فِي الْمُهِيْمِ الْمُعْتَمَدِ  
فِي الْقَنْ ثُمَّ تَكَلَّمُوا فِيهَا وَضَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَبْجِرًا وَنَظَرُوا فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ  
قَدْ بَرَأَ بِهِ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ آلَةُ الْعِلْمِ فَطَالَ الْكَلَامُ فِيهِ وَاتَّسَعَ وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ  
ذَلِكَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ وَمِنْ بَعْدِهِ أَفْضَلُ الدِّينِ الْخَوَئِجِي وَعَلَى كَثَرَةِ  
مُعْتَمَدِ الْمَشَارِقَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كِتَابٌ كَشَفَ الْأَسْرَارَ وَهُوَ طَوِيلٌ  
وَأَخْتَصَرَ فِيهَا مُخْتَصَرَ الْمَوْجِزِ وَهُوَ حَسَنٌ فِي التَّعْلِيمِ ثُمَّ مُخْتَصَرَ الْجَمَلِ فِي قَدَرِ أَرْبَعَةِ  
أَوْزَاقٍ أَخَذَ بِجَمَاعِ الْقَنْ وَأَصُولِهِ فَتَدَاوَلَهُ الْمُتَعَلِّمُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ وَهَجَرَتْ  
كُتُبُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَطَرَفَهُمْ كَأَن لَّمْ تَكُنْ وَهِيَ مُمْتَلِئَةٌ مِنْ ثَمَرَةِ الْمَنَاطِقِ وَقَالَتْ  
كَمَا قُلْنَا هَؤُلَاءِ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

## الفصل الثامن عشر

### في الطبيعيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَتَنَبَّهُ عَنِ الْجِسْمِ مِنْ جِهَةٍ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ فَيَنْظُرُ فِي  
الْأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَإِنْسَانٍ وَنَبَاتٍ وَمَعْنِينَ وَمَا  
يَتَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعُيُونِ وَالزَّلَازِلِ وَفِي الْجَوْ مِنْ السَّحَابِ وَالْغَارِ وَالزُّعْدِ وَالْبَرْقِ  
وَالصَّوَاعِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِي مَبْدَأِ الْحَرَكَةِ لِلْأَجْسَامِ وَهُوَ عَلَى تَنَوُّعِهَا فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ  
وَالنَّبَاتِ وَكُتِبَ أَرِسْطُو فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ نَزَّجَتْ مَعَ مَا نَزَّجَ مِنْ عُلُومِ  
الْفَلَسَفَةِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ وَأَلَّفَ النَّاسُ عَلَى حَذْوِهَا وَأَوْعَبَ مِنْ أَلْفٍ فِي ذَلِكَ أَهْنُ سِينَا فِي  
كِتَابِ الشِّفَاءِ جَمَعَ فِيهِ الْعُلُومَ السَّبْعَةَ لِلْفَلَسَفَةِ كَمَا قَدْ مَنَّا ثُمَّ لَخَّصَ فِي كِتَابِ النَّجَا وَفِي  
كِتَابِ الْأَشْرَافِ وَكَأَنَّهُ يَخَالِفُ أَرِسْطُو فِي الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلِهَا وَيَقُولُ بِرَأْيِهِ فِيهَا  
وَأَمَّا أَهْنُ رُشْدٍ فَخَصَّ كُتُبَ أَرِسْطُو وَشَرَحَهَا مُتَبَعًا لَهُ غَيْرُ خَالِفٍ وَأَلَّفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ  
كَثِيرًا لَكِنْ هَلِ فِي الْمَشْهُورَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَالْمُعْتَبَرَةِ فِي الصَّنَاعَةِ وَلِأَهْلِ الْمَشْرِقِ عِيَانَةٌ  
بِكِتَابِ الْأَشْرَافِ لِأَبْنِ سِينَا وَلِلْإِمَامِ أَبِي الْخَطِيبِ عَلَيْهِ شَرْحٌ حَسَنٌ وَكَذَا الْأَمِيدِيُّ  
وَشَرَحَهُ أَيْضًا تَصْيِيرُ الطُّوسِي الْمَعْرُوفُ بِمُجَوَّاهِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَبَحَثَ مَعَ  
الْإِمَامِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِهِ فَأَوْفَى عَلَى أَنْظَارِهِ وَبُحُوثِهِ وَفَوَّقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ

## الفصل التاسع عشر

## في علم الطب

وَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ صِنَاعَةُ الطَّبِّ وَهِيَ صِنَاعَةٌ تَنْظُرُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَمْرُضُ وَيَصِحُّ فَيَعْمَلُ صَاحِبُهَا حِظَّ الصَّحَّةِ وَيُرِي الْمَرَضَ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْمَرَضُ الَّذِي يَخْصُ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَأَسْبَابُ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْهَا وَمَا لِكُلِّ مَرَضٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَمْزَجَةِ الْأَدْوِيَةِ وَقُوَّامَا وَعَلَى الْمَرَضِ بِالْعَلَامَاتِ الْمُؤَدِّينَةِ بِنُضْجِهِ وَقَبُولِهِ الدَّوَاءَ أَوَّلًا فِي السَّجِيَّةِ وَالْفَصْلَاتِ وَالنَّبْضِ مُعَاوِزِينَ لِذَلِكَ قُوَّةَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ فِي حَالَتِي الصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَإِنَّمَا الطَّبِيبُ يُخَازِجُهَا وَيُعِينُهَا بِبَعْضِ الشَّيْءِ يَحْسِبُ مَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْمَادَّةِ وَالْفَصْلِ وَالسِّنِّ وَيُسَمَّى الْعِلْمُ الْجَامِعُ لِهَذَا كُلِّهِ عِلْمُ الطَّبِّ وَرُبَّمَا أَفْرَدُوا بَعْضَ الْأَعْضَاءِ بِالْكَلَامِ وَجَعَلُوهُ عِلْمًا خَاصًّا كَالْعَيْنِ وَعِلَالِهَا وَكُنْهَالِهَا وَكَذَلِكَ الْحَقْوَا بِاللَّغْنِ مِنْ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ وَمَعْنَاهَا الْمَنْعَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ الْحَيَوَانِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مَوْضِعِ عِلْمِ الطَّبِّ إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِنْ لَوَاحِقِهِ وَتَوَاسِعِهِ وَإِمَامُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي تَرْتَجِمُ كُتُبَهُ فِيهَا مِنَ الْأَفْئِدَمِينَ جَالِينُوسُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُعَاصِرًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِقَالِ إِنَّهُ مَاتَ بِصِقْلِيَّةٍ فِي سَبِيلِ تَغْلِبِ وَمُطَاوَعَةِ اغْتِرَابٍ وَتَالِيْفِهِ فِيهَا هِيَ الْأَهْبَاتُ الَّتِي اقْتَدَى بِهَا جَمِيعُ الْأَطِبَّاءِ بَعْدَهُ وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أئِمَّةٌ جَاءُوا مِنْ وَرَاءِ الْعَالِيَةِ مِثْلَ الرَّازِي وَالنَّجَاشِيِّ وَأَبِي سَيْنَا وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ وَأَشْهُرُهُمْ ابْنُ زُهَيْرٍ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْمَدِينِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَتْهَا تَقَصَّتْ لَوْ قُوفُ الْعُمَرَانِ وَتَنَاقُصِهِ وَهِيَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تَسْتَدْعِيهَا إِلَّا الْخِصَازَةُ وَالزَّرْفُ كَمَا تَبَيَّنَتْ بَعْدُ .

وَالْبَادِيَةُ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ طِبُّ بَنُوئُهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ عَلَى تَجَرِبَةٍ قَاصِرَةٍ عَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ مُتَوَارِثًا عَنْ مَشَاجِرِ الْحَيِّ وَمُجَازِرِهِ وَرُبَّمَا يَصِحُّ مِنْهُ الْبَعْضُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى قَانُونٍ طَبِيعِيِّ وَلَا عَلَى مُوَافَقَةِ الْمَزَاجِ وَكَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ هَذَا الطَّبِّ كَثِيرٌ وَكَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءُ مَعْرُوفُونَ كَالْحَارِثِ بْنِ كُلَّةٍ وَغَيْرِهِ وَالطَّبُّ الْمَقْبُولُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَيْسَ مِنَ الْوَحْيِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ كَانَ عَادِيًّا لِلْعَرَبِ وَوَقَعَ فِي

ذَكَرَ أَحْوَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَوْعِ ذِكْرِ أَحْوَالِهِ الَّتِي فِي عَادَةٍ وَجِيلَةٍ لَا مِنْ جِهَةٍ أَنَّ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْعَمَلِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بَعَثَ لِيُعَلِّمَنَا الشَّرَائِعَ وَلَمْ يَبْعَثْ لِتَعْرِيفِ الطَّبِّ وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الْعَادِيَّاتِ وَقَدْ وَقَعَ لَهُ فِي شَأْنِ تَلْقِيحِ النَّخْلِ مَا وَقَعَ فَقَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ شَيْءٌ مِنَ الطَّبِّ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَنْقُولَةِ عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا اسْتَعْمِلَ عَلَى جِهَةِ النَّبَرِّكِ وَصَدَّقَ الْقَدِيرُ الْأَيُّمَانِي فَيَكُونُ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي النَّفْعِ وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الطَّبِّ الْعَرَاجِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَثَارِ الْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ كَمَا وَقَعَ فِي مُدَاوَاةِ الْمَبْطُونِ بِالْعَسَلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَمْرِ إِلَى الصَّوَابِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل العشرون

### في الفلاحة

هَذِهِ الْمَنَاعَةُ مِنْ فُرُوعِ الطَّبَّيْعِيَّاتِ وَفِي النَّظَرِ فِي النَّبَاتِ مِنْ حَيْثُ تَنْمِيَّتُهُ وَنُشُوءُهُ بِالسَّحْرِ وَالْعِلَاجِ وَتَعْدُّهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَكَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ بِهَا عِنَايَةٌ كَثِيرَةٌ وَكَانَ النَّظَرُ فِيهَا عِنْدَهُمْ عَامًّا فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْسِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ خَوَاصِهِ وَزُوحَاتِهِ وَمِمَّا كَلَّفَهَا لِرُوحَانِيَّاتِ الْكَوَاكِبِ وَالْمُهَيَّاكِلِ الْمُسْتَعْمِلِ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي بَابِ السَّحْرِ فَقَطَّعَتْ عِنَايَتُهُمْ بِهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَتُرْجِمَ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ كِتَابُ الْفَلَاحَةِ الْبَطْنِيَّةِ مَسْنُوبَةٌ لِعُلَمَاءِ الْبَطْنِ مُشْتَمِلَةٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ كَبِيرٍ وَلَمَّا نَظَرَ أَهْلُ الْمِلَّةِ فِيمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ وَكَانَ بَابُ السَّحْرِ مَسْدُودًا وَالنَّظَرُ فِيهِ مَحْظُورًا فَأَقْصَرُوا مِنْهُ عَلَى الْكَلَامِ فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْسِهِ وَعِلَاجِهِ وَمَا يَعْزُضُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَحَذَفُوا الْكَلَامَ فِي الْفَنِّ الْآخَرِ مِنْهُ جُمْلَةً وَأَخْصَرُوا بَيْنَ النُّوَامِ كِتَابُ الْفَلَاحَةِ الْبَطْنِيَّةِ عَلَى هَذَا الْمَنْهَاجِ وَبَقِيَ الْفَنُّ الْآخَرُ مِنْهُ مُثْقَلًا ثَقُلَ مِنْهُ مَسْلَمَةٌ فِي كُتُبِهِ السَّحَرِيَّةِ الْأَهَمَّاتِ مِنْ مَسَائِلِهِ كَمَا نَذَرُوهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى السَّحْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكُتِبَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْفَلَاحَةِ كَثِيرَةٌ وَلَا يَمْدُونُ فِيهَا الْكَلَامَ فِي الْغَرَاسِ وَالْعِلَاجِ وَحَفِظَ النَّبَاتِ مِنْ حَوَائِجِهِ وَعَوَائِقِهِ وَمَا يَعْزُضُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَفِي مَوْجُودَةٍ

في علم الالهيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي الوجودِ الْمَطْلُوقِ فَأَوَّلًا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ لِلْجِسْمَانِيَّاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ  
مِنَ الْمَاهِيَّاتِ وَالْوَحْدَةِ وَالْكَثَرَةِ وَالْوُجُوبِ وَالْإِمْكَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي  
مَبَادِيهِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَنْهَا رُوحَانِيَّاتٌ ثُمَّ فِي كَيْفِيَّةِ صُدُورِ الْمَوْجُودَاتِ عَنْهَا وَمَرَاتِبِهَا  
ثُمَّ فِي أَحْوَالِ النَّفْسِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَجْسَامِ وَعَوْدِهَا إِلَى الْمَبْدَأِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ مُرِيدٌ  
يَزَعُمُونَ أَنَّهُ يُوقِنُهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ الوجودِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ السَّعَادَةِ فِي  
زَعْمِهِمْ وَسَبَاقِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَهُوَ تَالِي لِلطَّبِيعِيَّاتِ فِي تَرْتِيبِهِمْ وَلِذَلِكَ يُسَمُّوهُ عِلْمًا  
وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ وَكُتِبَ الْعِلْمُ الْأَوَّلُ فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَلِخَصَّةِ ابْنِ سِينَا  
فِي كِتَابِ الشِّنَاءِ وَالنَّبَا وَكَذَلِكَ لَخَصَّةِ ابْنِ رُشْدٍ مِنْ حُكْمَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَلَمَّا وَضَعَ  
الْمُتَأَخِّرُونَ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ وَدَوَّنُوا فِيهَا وَرَدَّ عَلَيْهِمْ لَفْظَالِي مَا رَدَّ مِنْهَا ثُمَّ خَلَطَ  
الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَوْضُوعِ الْإِلَهِيَّاتِ وَمَسَائِلَهُ  
بِمَسَائِلِهَا فَصَارَتْ كَأَنَّهَا فَرْقٌ وَاحِدٌ ثُمَّ غَيَّرُوا تَرْتِيبَ الْحُكْمَاءِ فِي مَسَائِلِ الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْإِلَهِيَّاتِ وَخَلَطُوهُمَا فَنَاحِدًا قَدَّمُوا الْكَلَامَ فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ ثُمَّ اتَّبَعُوهُ بِالْجِسْمَانِيَّاتِ  
وَتَوَابِعِهَا ثُمَّ بِالرُّوحَانِيَّاتِ وَتَوَابِعِهَا إِلَى آخِرِ الْعِلْمِ كَمَا فَعَلَهُ الْأَوَّلَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي  
الْمُبَاحِثِ الْمَشْرِفِيَّةِ وَجَمِيعٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَصَارَ عِلْمُ الْكَلَامِ مُخْتَلَطًا  
بِمَسَائِلِ الْحِكْمَةِ وَكُتِبَتْ تَحْشُوءٌ بِهَا كَانَ الْفَرَضُ مِنْ مَوْضُوعِيهَا وَمَسَائِلِهَا وَاحِدٌ  
وَالنَّسَبُ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ صَوَابٌ لِأَنَّ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ إِنَّمَا هِيَ عَقَائِدُ مُتَلَفَّاتٌ  
مِنَ الشَّرِيعَةِ كَمَا تَقَالَمَ السَّلَفُ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ فِيهَا إِلَى الْعَقْلِ وَلَا تَعْوِيلٍ عَلَيْهِ بِمَعْنَى  
أَنَّهَا لَا تُنْبِتُ إِلَّا بِدِفَاقِ الْعَقْلِ مَعْزُولٍ عَنِ الشَّرْعِ وَأَنْظَارِهِ وَمَا تَحَدَّثَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ  
مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَجِ فَلَيْسَ بِحُجَّتٍ عَنِ الْحَقِّ فِيهَا فَالْتَّعْلِيلُ بِالذَّلِيلِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا  
هُوَ شَأْنُ الْفَلَسَفَةِ بَلْ إِنَّمَا هُوَ التَّمَسُّسُ حُجَّةً عَقْلِيَّةً تَعَضُّدٌ عَقَائِدَ الْإِيمَانِ وَمَذَاهِبَ السَّلَفِ  
فِيهَا وَتَدْفَعُ شُبُهَةَ أَهْلِ الْبِدْعِ عَنْهَا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ مَدَارَكَهُمْ فِيهَا عَقْلِيَّةٌ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ  
تُفَرِّضَ صِحَّةَ الْإِدْلَةِ الْقَلْبِيَّةِ كَمَا تَلَقَّاهَا السَّلَفُ وَاعْتَقَدُوا وَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ  
وَذَلِكَ أَنَّ مَدَارِكَ الشَّرِيعَةِ أَوْسَعُ لِاتِّسَاعِ نِظَائِهَا عَنْ مَدَارِكَ الْأَنْظَارِ الْعَقْلِيَّةِ

فَهِىَ فَوْقَهَا وَحُيْطَ بِهَا لِاسْتِمْدَادِهَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَهُ قَانُونُ الظَّرِّ  
الْفَاضِلِ وَالْمَدَارِكِ الْحَاطِ بِهَا فَإِذَا هَذَا الشَّارِعُ إِلَى مُدْرِكٍ قَبِيحٍ أَنْ تَقْدِمَهُ عَلَى  
مَدَارِكِنَا وَتَتَّقِي بِهِ دُونَهَا وَلَا تَنْظُرْ فِي تَصْحِيحِهِ بِمَدَارِكِ الْعَقْلِ وَلَوْ عَارَضَهُ بَلْ نَحْتَمِدُ مَا  
أَرْتَابَ بِهِ أَعْقَادًا وَعِلْمًا وَتَدَكُّتْ عَمَّا لَمْ تَقْهَمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَقَوَّضَهُ إِلَى الشَّارِعِ وَتَعَزُّلُ  
الْعَقْلِ عَنْهُ وَالْمُسْكِلِينَ إِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ كَلَامُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ فِي مَعَارِضَاتِ  
الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ بِالْبِدْعِ النَّظَرِيَّةِ فَاحْتَاجُوا إِلَى الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ جِنْسِ مَعَارِضَاتِهِمْ  
وَأَسْتَدْعَى ذَلِكَ الْحُجَجَ النَّظَرِيَّةَ وَمُحَادَاةَ الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ بِهَا وَأَمَّا الظَّرُّ فِي مَسَائِلِ  
الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ بِالتَّصْحِيحِ وَالْبَطْلَانِ فَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَلَا مِنْ جِنْسِ  
أَنْظَارِ الْمُسْكِلِينَ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ لِمَتَّزٍ بِهِ بَيْنَ الْفَنَنِ فَإِنَّهَا مَخْطُطَانِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
فِي الْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ وَالْحَقُّ مُغَايِرَةٌ كُلُّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ بِالْمَوْضِعِ وَالْمَسَائِلِ وَإِنَّمَا  
جَاءَ الْإِتْيَاسُ مِنْ اتِّعَادِ الْمَطَالِبِ عِنْدَ الْإِسْتِدْلَالِ وَصَارَ أَحْتِجَاجُ أَهْلِ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ  
إِنْشَاءٌ لِمَطْلَبِ الْإِعْتِدَادِ بِالِدَّلِيلِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ إِنَّمَا هُوَ رَدٌّ عَلَى الْمُتَحِدِينَ وَالْمَطْلُوبُ  
مَفْرُوضُ الصِّدْقِ مَعْلُومُهُ وَكَذَا جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ غَلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ  
بِالْوَاجِدِ أَيْضًا فَمَخْطُطُوا مَسَائِلِ الْفَنَنِ يَفْتَنُهُمْ وَجَعَلُوا الْكَلَامَ وَاحِدًا فِيهَا كُلِّهَا مِثْلَ  
كَلَامِهِمْ فِي الثَّبُوتِ وَالْإِتْعَادِ وَالْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالْمَدَارِكُ فِي هَذِهِ  
الْفَنُونِ الثَّلَاثَةِ مُتَغَايِرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَبْعَدُهَا مِنْ جِنْسِ الْفَنُونِ وَالْعُلُومِ مَدَارِكُ الْمُتَصَوِّفَةِ  
لَأَنَّهُمْ يَدْعُونَ فِيهَا الْوَحْدَانَ وَيَقْرُونَ عَنْ الدَّلِيلِ وَالْوَحْدَانَ بَعِيدٌ عَنِ الْمَدَارِكِ  
الْعِلْمِيَّةِ وَأَبْجَاهُهَا وَتَوَابِعُهَا كَمَا يَنْبَاهُ وَنُبَيِّنُهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

## الفصل الثاني والعشرون

في علوم السحر والطلسمات

وَهِيَ عُلُومٌ بِكَيْفِيَّةِ اسْتِعْدَادَاتِ تَقْتَدِرُ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ بِهَا عَلَى التَّأَثُّرَاتِ فِي عَالَمِ  
الْأَنْصَارِ إِمَّا بِغَيْرِ مُعَيَّنٍ أَوْ مُعَيَّنٍ مِنَ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَوَّلُ هُوَ السِّحْرُ وَالثَّانِي هُوَ  
الطَّلِسمَاتُ وَأَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ مَعْجُوزَةً عِنْدَ الشَّرَائِعِ لِمَا فِيهَا مِنَ الضَّرَرِ وَلِمَا يَشْتَرِطُ  
فِيهَا مِنَ الْوُجُوعِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ مِنْ كُذُوبٍ أَوْ غَيْرِهِ كَانَتْ كُتُبُهَا كَالْمَقْفُودَةِ بَيْنَ النَّاسِ

إِلَّا مَا وَجَدَ فِي كُتُبِ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ فِيمَا قَبْلَ بُرُوءِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ الْقَبْطِ  
وَالْكَلْدَانِيِّينَ فَإِنَّ جَمِيعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَشْرَعُوا الشَّرَائِعَ وَلَا جَاءُوا بِالْأَحْكَامِ  
إِنَّمَا كَانَتْ كُتُبُهُمْ مَوَاعِظَ وَتَوْحِيدًا لِلَّهِ وَتَذْكِيرًا بِالْخَيْرِ وَالنَّارِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ  
فِي أَهْلِ بَابِلَ مِنَ السَّرِيبَانِيِّينَ وَالْكَلْدَانِيِّينَ وَفِي أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقَبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَكَانَ  
لَهُمْ فِيهَا الذَّلَافُ وَالْأَثَرُ وَلَمْ يَتَرَجَّمْ لَنَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِثْلُ الْفِلَاحَةِ  
النَّبَطِيَّةِ مِنْ أَوْضَاعِ أَهْلِ بَابِلَ فَأَخَذَ النَّاسُ مِنْهَا هَذَا الْعِلْمَ وَتَفَتَّنُوا فِيهِ وَوَضِعَتْ بَعْدَ  
ذَلِكَ الْأَوْضَاعُ مِثْلُ مَصَاحِبِ الْكُوكِبِ السَّبْعَةِ وَكِتَابِ طِمَظِمِ الْهِنْدِيِّ فِي صُورِ  
الدَّرَجِ وَالْكُوكِبِ وَغَيْرِهَا ثُمَّ ظَهَرَ بِالْمَشْرِقِ جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ كَبِيرُ السَّحَرَةِ فِي هَذِهِ  
الْعِلْمَةِ فَتَصَنَّفَ كُتُبَ الْقَوْمِ وَاسْتَخْرَجَ الصَّنَاعَةَ وَغَاصَ فِي رِزْدَتِهَا وَاسْتَخْرَجَهَا وَوَضَعَ فِيهَا  
غَيْرَهَا مِنَ الذَّلَافِ وَأَكْثَرَ الْكَلَامِ فِيهَا وَفِي صِنَاعَةِ السِّمِّيَاءِ لِأَنَّهَا مِنْ تَوَابِعِهَا لِأَنَّ  
إِحَالَةَ الْأَجْسَامِ النَّوْعِيَّةِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى أُخْرَى إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ لَا بِالصَّنَاعَةِ  
الْعَمَلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ السَّحَرِ كَمَا نَذَرُوهُ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ جَاءَ مُسْلِمَةُ بْنُ أَحْمَدَ  
الْبُخَرِيُّ بِطَيِّ إِيمَامُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْعَلَمِ وَالسَّحَرِ بَاتٍ فَلَجَّصَ جَمِيعَ تِلْكَ الْكُتُبِ  
وَهَدَّيَهَا وَجَمَعَ طُرُقَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ غَايَةُ الْحَكِيمِ وَلَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ فِي هَذَا  
الْعِلْمِ بَعْدَهُ وَلَقَدْ قَدَّمَ هُنَا مُقَدِّمَةً يَبِينُ بِهَا حَقِيقَةَ السَّحَرِ وَذَلِكَ أَنَّ النُّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ  
وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ بِالْخَوَاصِ وَفِي أَصْنَافٍ كُلِّ صِنْفٍ مُخْتَصٍ  
بِخَاصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بِالنَّوْعِ لَا تُوْجَدُ فِي الصَّنِفِ الْآخَرَ وَصَارَتْ تِلْكَ الْخَوَاصُ فِطْرَةً وَجِبَلَةً  
لِصِنْفِهَا فَنُفُوسُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهَا خَاصِيَّةٌ تَسْمَعُ بِهَا لِلْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ  
وَمُخَاطَبَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا مَرَّ وَمَا يَتَّبِعُ فِي ذَلِكَ  
مِنَ النَّاتِئِ فِي الْأَكْوَانِ وَاسْتِجْلَابِ رُوحَانِيَّةِ الْكُوكِبِ لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا وَالتَّأَثُّرِ  
بِقُوَّةِ نَفْسَانِيَّةٍ أَوْ شَيْطَانِيَّةٍ فَأَمَّا تَأَثُّرُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَدَدُ الْإِلَهِيِّ وَخَاصِيَّةُ رَبَّانِيَّةٍ وَنُفُوسُ  
الْكُهْنَةِ لَهَا خَاصِيَّةُ الْأَطِلَاعِ عَلَى الْمَغْيِبَاتِ بِقُوَّةِ شَيْطَانِيَّةٍ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ  
مُخْتَصٍ بِخَاصِيَّةٍ لَا تُوْجَدُ فِي الْآخَرِ وَالنُّفُوسُ السَّاحِرَةُ عَلَى عَرَابَتِ ثَلَاثَ يَأْتِي شَرْحُهَا  
فَأَوَّلُهَا الْمُؤَثَّرَةُ بِالْهَيْمَةِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَلَا مُعِينٍ وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ الْفَلَسَفَةُ  
السَّحَرُ وَالتَّالِي فِي بَعْضٍ مِنْ مَزَاجِ الْأَفْلَاقِ أَوِ الْعَتَاصِرِ أَوْ خَوَاصِ الْأَعْدَادِ وَيُسَمُّوهُ

الطَّلَسَاتِ وَهُوَ أضعفُ رتبةً مِنَ الْأَوَّلِ وَالثَّالِثُ تَأْثِيرٌ فِي الْقُوَى الْمُتَخَيِّلَةِ يَعْدُ صَاحِبُ  
هَذَا التَّأْثِيرِ إِلَى الْقُوَى الْمُتَخَيِّلَةِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِنَوْعٍ مِنَ التَّصَرُّفِ وَيُلْقِي فِيهَا أَنْوَاعًا  
مِنَ الْخَيَالَاتِ وَالْحُكَاكَ وَضُورًا مِمَّا يَقْصُدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْزِلُهَا إِلَى الْحِسِّ مِنَ الرَّائِبِينَ  
بِقُوَّةِ نَفْسِهِ الْمُعْوَجَّةِ فِيهِ فَيَنْظُرُ الرَّائُونَ كَأَنَّهَا فِي الْخَارِجِ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَمَا  
يُحْكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يَرِي الْبَسَاتِينَ وَالْأَنْهَارَ وَالْقُصُورَ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ  
هَذَا عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ السُّعُودَةَ أَوْ السَّعْبَةَ . هَذَا تَفْصِيلُ مَرَاتِبِهِ ثُمَّ هَذِهِ الْخَاصِيَّةُ تَكُونُ  
فِي السَّاحِرِ بِالقُوَّةِ شَأْنُ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا تَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ بِالرِّيَاضَةِ وَرِيَاضَةِ  
السِّحْرِ كُلِّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْأَفْلَاقِ وَالْكُوكِبِ وَالْعَوَالِمِ الْعَالَوِيَّةِ وَالشَّيْطَانِيَّةِ  
بِأَنْوَاعِ الْمُعْظِمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ فَبَعْدَ ذَلِكَ وَجْهَةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَتُجُودُ  
لَهُ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ فَلِهَذَا كَانَ السِّحْرُ كُفْرًا وَالكُفْرُ مِنْ مَوَادِهِ وَأَسْبَابِهِ  
كَمَا رَأَيْتَ وَلِهَذَا اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي قَتْلِ السَّاحِرِ هَلْ يَكْفُرُهُ السَّابِقُ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ لِعَصْرِفِهِ  
بِالْإِفْسَادِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَكْوَانِ وَالْكُلُّ حَاصِلٌ مِنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ  
الْمَرْتَبَتَانِ الْأُولَايَا مِنَ السِّحْرِ لَهَا حَقِيقَةٌ فِي الْخَارِجِ وَالْمَرْتَبَةُ الْأُخْرَى الثَّالِثَةُ لَا حَقِيقَةَ  
لَهَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي السِّحْرِ هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ فَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ  
نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ  
الْأُخْرَى فَلَيْسَ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَلْ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ اشْتِبَاهِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ وُجُودَ السِّحْرِ لَا مَرْتَبَةَ فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ مِنْ أَجْلِ التَّأْثِيرِ  
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمَّا كُنِ السَّيِّئَاتِ كَذَرُوا يَعْلَمُونَ  
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَيِّنَاتٍ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَخْبَرٍ  
حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا يَقُولُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ  
وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَنُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى  
كَانَ يَجْعَلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَقَعُ الشَّيْءُ وَلَا يَقَعْلُهُ وَجَعَلَ شَجَرَهُ فِي مِشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ وَجَفَّتْ طَلْعُهُ  
وَدُفِنَ فِي بَيْتِ ذِرْوَانَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِي الْمَعُودَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ الثَّمَنَاتِ فِي  
الْعَقْدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لَا يَقْرَأُ عَلَى عَقْدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعَقْدِ الَّتِي سَحَرُ فِيهَا  
إِلَّا انْصَلَّتْ وَأَمَّا وُجُودُ السِّحْرِ فِي أَهْلِ بَابِلَ وَهُمْ الْكَلْدَانِيُّونَ مِنَ الْبَطِّ وَالسَّرْبَانِيَّةِ



فَكَثِيرٌ وَيَنْقُ بِهِ الْقُرْآنُ وَجَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَكَانَ لِلْسِّحْرِ فِي بَابِلَ وَمِصْرَ أَرْزَامٌ بَعَثَهُ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْوَاقٌ نَافِقَةٌ وَلِهَذَا كَانَتْ مُعْجِزَةٌ مُوسَى مِنْ جِنْسٍ مَا يَدْعُونَ وَيَتَنَاقُونَ  
فِيهِ وَبَقِيَ مِنْ آثارِ ذَلِكَ فِي الْبَرَارِيِّ بِصَيْدِ مِصْرَ شَوَاهِدٌ دَلَّاهُ عَلَى ذَلِكَ وَرَأَيْنَا بِالْعِلْيَانِ  
مَنْ يَصُورُ صُورَةَ الشَّخْصِ الْمَسْخُورِ بِخَوَاصِّ أَشْيَاءَ مُقَابِلَةً لِمَا نَوَاهُ وَحَاقِلَهُ مُوجُودَةً  
بِالْمَسْخُورِ وَأَمثالُ تِلْكَ الْمَعَالِي مِنْ أَمَاءٍ وَصِفَاتٍ فِي التَّالِيَةِ وَالْفَرِيقِ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ  
عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي أَقَامَهَا مَقَامَ الشَّخْصِ الْمَسْخُورِ عَيْنًا أَوْ مَعْنَى ثُمَّ يَنْفُثُ مِنْ رِيقِهِ  
بَعْدَ أَجْنَائِهِ فِيهِ بِتَكْرِيرٍ مَخْرُجٍ تِلْكَ الْحُرُوفِ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ وَيَعْقُدُ عَلَى  
ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي سَبَبِ أَعْدَهُ لِذَلِكَ تَقَاوُلًا بِالْعَقْدِ وَالْأَرْزَامِ وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى مَنْ أَشْرَكَ  
بِهِ مِنَ الْإِنِّ فِي نَفْسِهِ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ اسْتِشْعَارًا لِلْعَزِيمَةِ بِالْعَزْمِ وَلِتِلْكَ الْبَيِّنَةِ وَالْأَمَاءِ  
السَّيِّئَةِ رُوحٌ خَبِيثَةٌ تَخْرُجُ مِنْهُ مَعَ النَّفْثِ مُتَعَلِّقَةٌ بِرِيقِهِ الْخَارِجِ مِنْ فِيهِ بِالْمُفْثِ فَتَنْزِلُ  
عَنْهَا أَرْوَاحٌ خَبِيثَةٌ وَيَقَعُ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَسْخُورِ مَا يُحَاوِلُهُ السَّاحِرُ وَشَاهِدُنَا أَيْضًا مِنْ  
الْمُنْتَحِلِينَ لِلْسِّحْرِ وَعَمَلِهِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى كِسَاهِ أَوْ جِلْدِهِ وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ فِي سِرِّهِ فَإِذَا  
هُوَ مَقْطُوعٌ مَخْرُوقٌ وَيُشِيرُ إِلَى بَطْنِ الْغَنَمِ كَذَلِكَ فِي مَرَاعِيهَا بِالتَّبْعِ فَإِذَا أَمْعَاوَهَا سَاقِطَةٌ  
مِنْ بَطْنِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَمِمَّنَّا أَنْ بَارِضَ الْهِنْدِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى إِنْسَانٍ فَيَتَحَنَّنُ  
قَلْبُهُ وَيَقَعُ مِنْهَا وَيَنْقَلِبُ عَنْ قَلْبِهِ فَلَا يُوجَدُ فِي حِشَاهُ وَيُشِيرُ إِلَى الرُّمَانَةِ وَتَفْتَحُ فَلَا  
يُوجَدُ مِنْ حُبُوبِهَا شَيْءٌ وَكَذَلِكَ مِمَّنَّا أَنْ بَارِضَ السُّودَانِ وَأَرْضِ التُّرْكِ مَنْ يَسْخَرُ  
السَّحَابَ فَيُمْطِرُ الْأَرْضَ الْمَخْصُوصَةَ وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا مِنْ عَمَلِ الطَّلَسَمَاتِ عَجَائِبَ فِي  
الْأَعْدَادِ الْمُتَحَابَّةِ وَهِيَ رَكَرِفَةٌ أَحَدُ الْعَدَدَيْنِ مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ وَالْآخَرُ مِائَتَانِ  
وَأَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَمَعْنَى الْمُتَحَابَّةِ أَنْ أَجْزَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ الَّتِي فِيهِ مِنْ نِصْفٍ وَثُلُثٍ  
وَرُبْعٍ وَخُمْسٍ وَأَمْثَالِهَا إِذَا جُمِعَ كَانَتْ مُتَسَاوِيًا لِلْعَدَدِ الْآخَرِ صَاحِبِهِ فَتَسْمَى  
لَأَجْلِ ذَلِكَ الْمُتَحَابَّةِ وَتَقُلُّ أَصْحَابُ الطَّلَسَمَاتِ أَنَّ لِكُلِّ الْأَعْدَادِ أَثَرًا فِي الْإِلَاقَةِ بَيْنَ  
الْمُتَحَابِّينَ وَأَجْنَائِعِيهَا إِذَا وَضِعَ لَهَا مِثَالَانِ أَحَدُهُمَا بِطَالِغِ الزُّهْرَةِ وَهِيَ فِي يَتْنِهَا أَوْ  
شَرَفِهَا نَازِلَةٌ إِلَى الْقَمَرِ نَظَرُ مَوَدَّةٍ وَقَبُولٍ وَيَجْعَلُ طَالِغُ الثَّانِي سَابِعَ الْأَوَّلِ وَيَضَعُ عَلَى  
أَحَدِ الثَّمَالَيْنِ أَحَدَ الْعَدَدَيْنِ وَالْآخَرَ عَلَى الْآخَرِ وَيَقْصِدُ بِالْأَكْثَرِ الَّذِي يُرَادُ  
اِئْتِلَافُهُ أَعْنِي الْمَحْبُوبَ مَا أَدْرِي إِلَّا كَثَرُ كَمِيَّةٍ أَوْ الْآكْثَرُ أَجْزَاءَ فَيَكُونُ لِكُلِّ

مِنَ التَّائِبِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مَا لَا يَكَادُ يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ قَالَ صَاحِبُ  
 الْغَايَةِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ وَكَذَا طَائِعُ الْأَسَدِ وَيُسَى  
 أَيْضًا طَائِعُ الْحَصَى وَهُوَ أَنْ يُرْسَمَ فِي قَالِبٍ هُنْدِ صُورُهُ أَسَدٌ شَائِلًا ذَنَبُهُ عَاضًا عَلَى  
 حَصَاةٍ فَدَفَسَهَا بِصَفَيْنِ وَبَيَّنَ بَدَنَهُ صُورَةَ حَيَّةٍ مُنْسَابَةٍ مِنْ رِجَانِهِ إِلَى قَبَالَةِ وَجْهِهِ  
 فَاعْتَرَفَ فَاهَا فِيهِ وَعَلَى ظَهْرِهِ صُورَةُ عَقْرَبٍ تَدْبُ وَتَحْتَنُ بِرُسْمِهِ حُلُولُ الشَّمْسِ بِالْوَجْهِ  
 الْأَوَّلِ أَوِ الثَّلَاثِ مِنَ الْأَسَدِ بِشَرْطِ صَلَاحِ النَّبَرَيْنِ وَسَلَامَتِهِمَا مِنَ النُّحُوسِ فَإِذَا  
 وَجَدَ ذَلِكَ وَعَثَرَ عَلَيْهِ طَبِيعٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي مَقْدَارِ الْمُنْقَالِ - فَمَا دُونَهُ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَغَمَسَ بَعْدَ فِي الزَّرْعَمَرَانِ مَحْلُولًا بِمَاءِ الْوَرْدِ وَرَفَعَ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ فَلَمَّ بِهِمْ بِزَعْمُونِ  
 أَنْ لِمُسْكِهِ مِنَ الْعَزِ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي مِبَاشَرَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ لَهُ مَا لَا  
 يُعْبَرُ وَكَذَلِكَ لِلْسَّلَاطِينِ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعِزِّ عَلَى مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 أَيْضًا أَهْلُ هَذَا الشَّانِ فِي الْغَايَةِ وَغَيْرِهَا وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ وَكَذَلِكَ وَفَى الْمُسَدِّ  
 الْمُخْفَصِ بِالشَّمْسِ ذَكَرُوا أَنَّهُ يُوضَعُ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي شَرْفِهَا وَسَلَامَتِهَا  
 مِنَ النُّحُوسِ وَسَلَامَةِ الْقَمَرِ بِطَائِلِهِ مُلَوَّكِي يُعْتَبَرُ فِيهِ نَظَرُ صَاحِبِ الْعَاشِرِ لِصَاحِبِ  
 الطَّالِيعِ نَظَرُ مَوَدَّةٍ وَقَبُولٍ وَيَصْلُحُ فِيهِ مَا يَكُونُ مِنْ مَوَالِيدِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَدِلَّةِ  
 الشَّرِيفَةِ وَبُرُوقِ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ بَعْدَ أَنْ يَغْمَسَ فِي الطَّيِّبِ فَرَعْمُوا أَنْ لَهُ أَثَرٌ فِي  
 صَحَابَةِ الْمُلُوكِ وَخِدْمَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكِتَابُ الْغَايَةِ لِمُسَاحَمَةِ بْنِ  
 أَحَدِ النَّجَرِيطِيِّ هُوَ مَدُونَةٌ فِيهِ الصَّنَاعَةُ وَفِيهِ أَسَيَافُهَا وَكَمَالُ مَسَائِلِهَا وَذَكَرَ لَنَا  
 أَنَّ الْأَمَامَ الْفَخْرَ بْنَ الْخَطِيبِ وَضَعَ كِتَابًا فِي ذَلِكَ وَسَمَّاهُ بِالسِّرِّ الْمَكْنُونِ وَأَلَّهُ  
 بِالْمَشْرِقِ يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُهُ وَتَحَنَّنَ لَمْ تَقَفْ عَلَيْهِ وَالْأَمَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ  
 فِيمَا نَظُنُّ وَلَوْلَا الْأَمْرُ بِغِلَافِ ذَلِكَ وَبِالْمَغْرِبِ صَنَفٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابِّينَ لِهَذِهِ  
 الْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةِ يَعْرِفُونَ بِالْبَعَاجِينِ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَوَّلًا أَنَّهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى  
 الْبِكْسَاءِ أَوِ الْجِلْدِ فَيَتَخَرَّقُونَ وَيُشِيرُونَ إِلَى بَطُونِ الْقَنَمِ بِالسَّيْفِ فَتَبْعُ وَيُسَى أَحَدُهُمْ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِاسْمِ الْبَعَاجِ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَتَّصِلُ مِنَ السَّحَرِ بِتَبَعِ الْأَنْعَامِ يُرْهَبُ بِذَلِكَ  
 أَهْلُهَا لِيُعْظَمُوا مِنْ قَضَائِهَا وَهُمْ مُسْتَبْرُونَ بِذَلِكَ فِي الْغَايَةِ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحُكْمِ  
 لَقِيَتْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَشَهِدَتْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ بِذَلِكَ وَأَخْبَرُونِي أَنَّ لَهُمْ وَجْهَةً وَرِيَاضَةً

خَاصَّةً يَدْعَوَاتٍ كَثْرَتِ بِإِشْرَاقِ الرُّوحَانِيَّاتِ الْجِنِّ وَالْكُوكِبِ سَطَرَتْ فِيهَا صَحِيفَةٌ  
عِنْدَهُمْ تُسَمَّى الْخَزِيرِيَّةَ يَتَدَارَسُونَهَا وَأَنْتَهُمْ بِهَذِهِ الرِّيَاضَةِ وَالْوُجْهِةِ يَصِلُونَ إِلَى حُصُولِ هَذِهِ  
الْأَفْعَالِ لَهُمْ وَإِنَّ النَّاسَ ثَبِيرَ الَّذِي لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِي مَا سِوَى الْإِنْسَانِ الْحُرِّ مِنَ الْمَتَاعِ  
وَالْحَيَوَانِ وَالْزَّرَقِيِّ وَبُعِيرُونَ عَنْ ذَلِكَ يَقُولُهُمْ إِنَّمَا تَفْعَلُ فِيمَا تَمَشِي فِيهِ الدَّرَامُ أَيُّ مَا  
يُمْلِكُ وَيُبَايِعُ وَيُسْتَأْزَى مِنْ سَائِرِ الْمَتَمَلِّكَاتِ هَذَا مَا زَعَمُوهُ وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ فَأَخْبَرَنِي  
بِهِ وَأَمَّا أَعْمَالُهُمْ فَظَاهِرَةٌ مُوجُودَةٌ وَقَفْنَا عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا وَعَايَنَتُهَا مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ فِي  
ذَلِكَ هَذَا شَأْنُ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَأَثَرُهُمَا فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا الْفَلَاسِيفَةُ فَفَرَقُوا بَيْنَ  
السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ بَعْدَ أَنْ أَتَبَوْا أَنَّهُمَا جَمِيعًا أَثَرٌ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَاسْتَدَلُّوا عَلَى  
وُجُودِ الْأَثَرِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِأَنَّ لَهَا أَثَارًا فِي بَدَنِهَا عَلَى غَيْرِ النُّجُومِ الطَّبِيعِيِّ وَأَسْبَابِهِ  
الْجِسْمَانِيَّةِ بَلْ أَثَارٌ عَارِضَةٌ مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْأَرْوَاحِ نَارَةٌ كَالسُّخُونَةِ الْحَادِثَةِ عَنِ الْفَرَحِ  
وَالسُّرُورِ وَمِنْ جِهَةِ التَّصَوُّرَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ أُخْرَى كَالَّذِي يَقَعُ مِنْ قِبَلِ التَّوَهُّمِ فَإِنَّ  
الْمَاشِيَّ عَلَى حَرْفٍ حَائِطٍ أَوْ عَلَى حَبْلٍ مُنْتَصِبٍ إِذَا قَوِيَ عِنْدَهُ تَوَهُّمُ السَّقُوطِ سَقَطَ بِإِلَّا  
شَكٍّ وَلِهَذَا يُجَادُّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْوِدُونَ أَنْفُسَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُمْ هَذَا التَّوَهُّمُ  
فَتُجَادُّهُمْ بِمَشُونٍ عَلَى حَرْفٍ الْحَائِطِ وَالْحَبْلِ الْمُنْتَصِبِ وَلَا يَخَافُونَ السَّقُوطَ فُتُبِتَ أَنَّ  
ذَلِكَ مِنْ أَثَارِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَصَوُّرُهَا لِلْسَّقُوطِ مِنْ أَجْلِ التَّوَهُّمِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ  
أَثَرًا لِلنَّفْسِ فِي بَدَنِهَا مِنْ غَيْرِ الْأَسْبَابِ الْجِسْمَانِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا  
مِثْلُ هَذَا الْأَثَرِ فِي غَيْرِ بَدَنِهَا إِذْ لَسَبَتْهَا إِلَى الْإِبْدَانِ فِي ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ النَّاسِ ثَبِيرٌ  
وَاحِدَةٌ لِأَنَّهَا غَيْرُ حَالَةٍ فِي الْبَدَنِ وَلَا مُنْطَبِعَةٍ فِيهِ فُتُبِتَ أَنَّهَا مُؤَثَّرَةٌ فِي سَائِرِ الْأَجْسَامِ  
وَأَمَّا التَّفَرُّقُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ فَهُوَ أَنَّ السِّحْرَ لَا يَخْتِاجُ السَّاحِرَ فِيهِ إِلَى  
مُعِينٍ وَصَاحِبِ الطَّلَسْمَاتِ يَسْتَعِينُ بِرُوحَانِيَّاتِ الْكُوكِبِ وَأَنْبِرَارِ الْأَعْدَادِ وَخَوَاصِّ  
الْمَوْجُودَاتِ وَأَوْضَاعِ الْفَلَكَ الْمُؤَثَّرَةِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ كَمَا يَقُولُهُ الْمُهَيِّمُونَ وَيَقُولُونَ  
السِّحْرُ اتِّحَادُ رُوحِ بَرُوحٍ وَالطَّلَسْمُ اتِّحَادُ رُوحٍ بِجِسْمٍ وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ رَبْطُ الطَّبَائِعِ  
الْعُلَوِيَّةِ السَّامِيَّةِ بِالطَّبَائِعِ السُّفْلِيَّةِ وَالطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ فِي رُوحَانِيَّاتِ الْكُوكِبِ  
وَلِلَّذَلِكَ يَسْتَعِينُ صَاحِبُهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ بِالنَّجْمَةِ وَالسَّاحِرِ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَكْتَسِبٍ لِسِحْرِهِ  
بَلْ هُوَ مَقْطُوعٌ عِنْدَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْجَبِلَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ النَّاسِ ثَبِيرٌ وَالْفَرْقُ عِنْدَهُمْ

بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالسِّحْرِ أَنَّ الْمُعْجِزَةَ قُوَّةُ إِلَهِيَّةٍ تَبْعَثُ عَلَى النَّاسِ ذَلِكَ التَّأْثِيرَ فَبِهِمْ مُؤَيَّدٌ  
 بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ وَالسَّاحِرُ إِنَّمَا يَقْعُلُ ذَلِكَ مِنْ لَدُنْ نَفْسِهِ وَيَقْوِيهِ النَّفْسَانِيَّةُ  
 وَبِإِمْدَادِ الشَّيَاطِينِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ فَيَنْهَمَا الْفَرْقُ فِي الْمَعْقُولِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّاتِ  
 فِي نَفْسِ الْآخَرِ وَإِنَّمَا نَسْتَدِلُّ نَحْنُ عَلَى التَّفَرُّقِ بِالْعَلَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَهِيَ وَجُودُ الْمُعْجِزَةِ  
 لِصَاحِبِ الْخَيْرِ وَفِي مَقَاصِدِ الْخَيْرِ وَاللُّغُوسِ الْمُسْتَحْصَةِ لِلْخَيْرِ وَالْعَدِّي بِهَا عَلَى دَعْوَى  
 النُّبُوَّةِ وَالسِّحْرِ إِنَّمَا يُوجَدُ لِصَاحِبِ الشَّرِّ وَفِي أَعْمَالِ الشَّرِّ فِي الْغَالِبِ مِنَ الْفُرْقِ بَيْنَ  
 الزُّوجَيْنِ وَغَرَبِ الْأَعْدَاءِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَلِللُّغُوسِ الْمُسْتَحْصَةِ لِلشَّرِّ هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا  
 عِنْدَ الْحُكَمَاءِ الْأَلْيَسِينَ وَقَدْ يُوجَدُ لِبَعْضِ الْمُسَوِّفَةِ وَأَصْحَابِ الْكَرَامَاتِ تَأْثِيرٌ أَيْضًا  
 فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ وَلَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ جِنْسِ السِّحْرِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْإِمْدَادِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ طَرِيقَتُهُمْ  
 وَنَمْلَتُهُمْ مِنْ آثَارِ النُّبُوَّةِ وَتَوَابِعِهَا وَلَهُمْ فِي الْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ حِفْظٌ عَلَى قَدَرِ حَالِهِمْ وَإِلَهَانِهِمْ  
 وَتَمَسُّكُهُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَإِذَا اقْتَدَرَ أَحَدُهُمْ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِّ لَا يَأْتِيهَا لِأَنَّهُ مُقَيَّدٌ فِيمَا  
 يَأْتِيهِ بِذَرَّةٍ لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فَمَا لَا يَقَعُ لَهُ فِيهِ إِلَّا ذُنُوبُهُ بِوَجْهِهِ وَمِنْ أَنَاهُ مِنْهُمْ فَقَدْ  
 عَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَزَيْمًا سَلَبَ حَالَهُ وَلَمَّا كَانَتِ الْمُعْجِزَةُ بِإِمْدَادِ رُوحِ اللَّهِ وَالْقُوَى  
 الْإِلَهِيَّةِ فَلِذَلِكَ لَا يَبْعَثُهَا شَيْءٌ مِنَ السِّحْرِ وَنَظَرُ شَأْنِ سِحْرِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى فِي  
 مُعْجِزَةِ الْعَصَا كَيْفَ تَلْقَفَتْ مَا كَانُوا يَدِيهَا فَيَكُونُ وَذَهَبَ سِحْرُهُمْ وَأَمْتَحَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ  
 وَكَذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُعْجِزَاتِ وَمِنْ شَرِّ الثَّقَلَاتِ فِي  
 الْعَقْدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَكَانَ لَا يَقْرَأُهَا عَلَى عَقْدَةٍ مِنَ الْعَقْدِ الَّتِي سِحْرُ فِيهَا  
 إِلَّا أَتَحَلَّتْ فَالسِّحْرُ لَا يَثْبُتُ مَعَ آمَنِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ وَقَدْ قَلَّ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ زَكَرِيَّا  
 كَلَّوِيَانِ وَهِيَ رَابِعَةٌ كَسِرَى كَانَ فِيهَا الْوَفْقُ الْعَبْدِيُّ مُنْسُوجًا بِالذَّهَبِ فِي أَوْضَاعِ  
 فَلَكِيَّةٍ رُصِدَتْ لِلذَّكَاءِ الْوَفْقِ وَوُجِدَتْ الرَّابِعَةُ يَوْمَ قِيلَ رُسُومُ بِالْقَادِسِيَّةِ وَاقِعَةً عَلَى  
 الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْهَزَامِ أَهْلِ فَارِسَ وَشَتَاتِهِمْ وَهُوَ فِيمَا تَزْعُمُ أَهْلُ الطُّلُسَاتِ وَالْأَوْفَاقِ  
 مَخْصُوصٌ بِالْقَلْبِ فِي الْحَرْبِ وَأَنَّ الرَّابِعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا أَوْعَمًا لَا تَنْهَزُمُ أَصْلًا إِلَّا  
 أَنَّ هَذِهِ عَارِضَتُهَا الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ مِنْ إِيمَانِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَتَمَسُّكُهُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَأَمْتَحَلَّ مَعَهَا كُلَّ عَقْدِ سِحْرِي وَلَمْ يَثْبُتْ وَبَطَلَ مَا كَانُوا  
 يَتَعَمَّلُونَ وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ فَلَمْ تَتَفَرَّقْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطُّلُسَاتِ وَجَعَلَتْهُ كُلَّهُ بَابًا وَاحِدًا مَحْظُورًا

لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يُهتَمُّ في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا  
أو في معاشنا الذي فيه صلاح ديننا وما لا يُهتَمُّ في شيء منهما فإن كان فيه ضرر  
أو نوع ضرر كالسحر الحاصل ضرره بالوُفوع ويُحق به الطلسمات لأن أثرهما واحد  
والتلجامة التي فيها نوع ضرر باعتبار التأثير فتفسد العميدة إلا بما يئمه يرد الأمور  
إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً على نفسه في الضر وإن لم يكن مهماً  
عائناً ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قرينة إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه  
ما لا يعنيه فجعل الشرع باب السحر والطلسمات والشعوذة باباً واحداً لما فيها من  
الضرر وخصه بالخطر والتعزير وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي  
ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى ودعوى على وفي ما أدعاه  
قالوا والساحر معروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه وُفوع المعجزة على وفي  
دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها  
الصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال فإذا لا تقع  
المعجزة مع الكاذب بإطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه  
فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل  
في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر  
وكانت على طرفي النقيض في أصل فطرتهما والله يهدي من يشاء وهو القوي  
العزيز لا رب سواه ومن قبل هذه التأثيرات النفسية الإصابت بالعين وهو تأثير  
من نفس المعبان عندما يستحسن بعينه مذكرات أو الذوات أو الأحوال ويفرط في  
استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عن  
أنصف به فيؤثر فساده وهو جيلة فطرية أعني هذه الإصابت بالعين والفرق بينهما  
وبين التأثيرات وإن كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع إلى اختيار فاعلها  
والفطري منها قوة صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل  
بالعين لا يقتل وما ذلك إلا أنه ليس مما يريد ويقصده أو يتركه وإنما هو مجبور  
في صدوره عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

## الفصل الثالث والعشرون

في علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادّة التي يتّيم بها كَوْنُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالصَّنَاعَةِ وَيَشْرَحُ  
 الْعَمَلَ الَّذِي يُوَصِّلُ إِلَى ذَلِكَ فَيَتَصَنَعُونَ الْمَكُونَاتِ كُلَّهَا بَعْدَ مَعْرِفَةِ أَمْرِ جَبْهَتِهَا  
 لَعَلَّهُمْ يَعْتَرُونَ عَلَى الْمَادَّةِ الْمُسْتَعِدَّةِ لِذَلِكَ حَتَّى مِنْ أَعْضَلَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ كَالْعِظَامِ  
 وَالرِّيشِ وَالْبَيْضِ وَالْعُذْرَاتِ فَضْلاً عَنِ الْمَعَادِنِ ثُمَّ يَشْرَحُ الْأَعْمَالَ الَّتِي تَخْرُجُ بِهَا  
 تِلْكَ الْمَادَّةُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ مِثْلَ حَلِّ الْأَجْسَامِ إِلَى أَجْزَائِهَا الطَّبِيعِيَّةِ بِالتَّصْعِيدِ  
 وَالتَّقْطِيرِ وَجَمْدِ الذَّائِبِ مِنْهَا بِالتَّكْلِيسِ وَإِمْنَاءِ الصُّلْبِ بِالْقَهْرِ وَالصَّلَابَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ  
 وَفِي زَمْعِهِمْ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ كُلِّهَا جِسْمٌ طَبِيعِيٌّ بِسُوءِنَةِ الْأَكْسِيرِ وَأَنَّهُ يُلْقَى  
 مِنْهُ عَلَى الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ الْمُسْتَعِدِّ لِقَبُولِ صُورَةِ الذَّهَبِ أَوِ الْفِضَّةِ بِالِاسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ  
 مِنَ الْفِعْلِ مِثْلَ الرِّصَاصِ وَالْقَصْدِيرِ وَالْحَاسِ بَعْدَ أَنْ يُحْتَمَى بِالنَّارِ فَيَعُودُ ذَهَبًا إِبْرِيضًا  
 وَيَكُونُ عَنْ ذَلِكَ الْأَكْسِيرِ إِذَا أَلْفَزُوا فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ بِالرُّوحِ وَعَنِ الْجِسْمِ الَّذِي  
 يُلْقَى عَلَيْهِ بِالْجَسَدِ فَتَشْرَحُ هَذِهِ الْأَصْطِلَاحَاتِ وَصُورَةَ هَذَا الْعَمَلِ الصَّنَاعِيِّ الَّذِي يَقْبَلُ  
 هَذِهِ الْأَجْسَادَ الْمُسْتَعِدَّةَ إِلَى صُورَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ هُوَ عِلْمُ الْكِيمِيَاءِ وَمَا زَالَ النَّاسُ  
 يُؤَلِّقُونَ فِيهَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَرُبَّمَا يُعْزِي الْكَلَامُ فِيهَا إِلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا وَإِمَامُ  
 الْمَدُونِينَ فِيهَا جَابِرُ بْنُ حَيَّانٍ حَتَّى إِنَّهُمْ يُخَصِّصُونَهَا بِهِ فَيُسَوِّمُونَهَا عِلْمُ جَابِرٍ وَلَهُ فِيهَا سَبْعُونَ  
 بِرْسَالَةً كُلُّهَا شَبِيهَةٌ بِالْأَلْفَاظِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَفْتَحُ مَقْفَلَهَا إِلَّا مَنْ أَحَاطَ عِلْمًا بِجَمِيعِ مَا  
 فِيهَا وَالطُّغَرَاءِيُّ مِنْ حُكَمَاءِ الْمَشْرِقِ الْمَتَأَخِّرِينَ لَهُ فِيهَا دَوَائِرٌ وَمَنَاظِرَاتٌ مَعَ  
 أَهْلِهَا وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَكَتَبَ فِيهَا مَسَلَمَةُ الْحَجَرِيَّيْ مِنَ حُكَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ  
 كِتَابَهُ الَّذِي سَمَّاهُ رُتْبَةَ الْحَكِيمِ وَجَعَلَهُ قَرِيبًا لِكِتَابِهِ الْآخَرِ فِي السِّخْرِ وَالطَّلِيسْمَاتِ  
 الَّذِي سَمَّاهُ غَايَةَ الْحَكِيمِ وَزَعَمَ أَنَّ هَاتَيْنِ الصَّنَاعَتَيْنِ هُمَا نَتِيجَتَانِ لِلْعِلْمَةِ وَتَمَرَّتَانِ  
 لِلْعُلُومِ وَمَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِمَا فَهُوَ فَاقِدٌ تَمَرَّةِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ أَجْمَعِ وَكَلَامُهُ فِي ذَلِكَ  
 الْكِتَابِ وَكَلَامُهُمْ أَجْمَعُ فِي تَأْلِيْفِهِمْ فِي الْأَفْزَاقِ يَتَعَدَّرُ فَهْمُهَا عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ  
 أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فِي ذَلِكَ. وَنَحْنُ نَذْكُرُ سَبَبَ عُدُولِهِمْ إِلَى هَذِهِ الرُّمُوزِ وَالْأَلْفَاظِ وَلَا بِنِ  
 الْمُغْيَبِيِّ مِنْ أَمْنَةٍ هَذَا الشَّانِ كَلِمَاتٌ شِعْرِيَّةٌ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ مِنْ أَوَّلِ مَا يَجِيءُ

فِي الشَّعْرِ مَلْعُوزَةٌ كُلُّهَا لَفْزُ الْأَحَاجِي وَالْمُعَانِيَةِ فَلَا تَكَادُ تَقُومُ وَقَدْ يَنْسَبُونَ لِلْعَزَالِي  
 رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضُ النَّالِيَةِ فِيهَا وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ تَكُنْ مَدَارِكُهُ الْعَالِيَةِ  
 لَتَقِفَ عَنْ خَطَا مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْتَحِلَهُ وَرُبَّمَا نَسَبُوا بَعْضَ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ  
 فِيهَا لِحَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَيْبِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَمَنْ الْمَعْلُومُ الَّذِينَ أَنْ خَالِدًا  
 مِنَ الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ وَالْيَدَاوَةَ إِلَيْهِ أَقْرَبُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ فَكَيْفَ  
 لَهُ بِصِنَاةٍ غَرِيبَةٍ أَلْمَنَى مَبْنِيَّةً عَلَى مَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَمْرِ جِتْهَا وَكُتُبِ النَّاطِرِينَ  
 فِي ذَلِكَ مِنَ الطَّبِيعَاتِ وَالطَّبِّ لَمْ تَنْظُرْ بَعْدَ وَلَمْ تُنْزِجْ أَلَلَهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِدُ بْنُ  
 يَزِيدَ آخَرُ مِنْ أَهْلِ الْمَدَارِكِ الصَّنَاعِيَةِ تَشَبُّهُ بِأَنَمِهِ فَمُمْكِنٌ . وَأَنَا أَقُولُ لَكَ هُنَا  
 رِسَالَةً أَبِي بَكْرٍ بْنِ يَشْرُونَ لِأَبِي السَّمْحِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَلَامَهَا مِنْ تَلَابِيذِ مَسْلَمَةَ  
 قَبَسْتَدُلُّ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي شَأْنِهَا إِذَا أُعْطِيَتْهُ حَقُّهُ مِنَ النَّاسِلِ قَالَ  
 ابْنُ يَشْرُونَ بَعْدَ صَدْرٍ مِنَ الرِّسَالَةِ خَارِجٍ عَنِ الْقَرَضِ وَالْمَقْدَمَاتِ الَّتِي لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
 الْكَرِيمَةِ قَدْ ذَكَرَهَا الْأَوَّلُونَ وَأَقْتَصَّ جَمِيعَهَا أَهْلُ الْقَلَسَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ تَكْوِينِ  
 الْمَعَادِنِ وَتَحْقِيقِ الْأَحْجَارِ وَالْجَوَاهِرِ وَطَبَاعِ الْقِيَاعِ وَالْأَمَاكِينِ فَمَنْعَنَا أَشْتَبَاهَا مِنْ  
 ذِكْرِهَا وَلَكِنْ أُبَيِّنُ لَكَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ قَبْدًا بِمَعْرِفَتِهِ فَقَدْ قَالُوا يَتَّبِعِي  
 لَطَلَابُ هَذَا الْعِلْمِ أَنْ يَعْلَمُوا أَوَّلًا ثَلَاثَ خِصَالٍ أَوَّلُهَا هَلْ تَكُونُ وَالثَّانِيَةُ مِنْ أَيْ  
 تَكُونُ وَالثَّالِثَةُ مِنْ أَيْ كَيْفَ تَكُونُ فَإِذَا عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ وَأَحْكَمَهَا فَقَدْ ظَنَرَ  
 بِمَطْلُوبِهِ وَبَلَغَ نِهَابَتَهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ وَأَمَّا الْبَحْثُ عَنْ وُجُودِهَا وَالِاسْتِدْلَالُ عَنْ تَكْوِينِهَا  
 فَقَدْ كَفَيْتَا كَمَا بَيَّأْتُ بِهِ إِلَيْكَ مِنَ الْأَكْثَرِ وَأَمَّا مِنْ أَيْ شَيْءٍ تَكُونُ فَأَيْنَمَا يَرِيدُونَ  
 بِذَلِكَ الْبَحْثَ عَنِ الْحَجَرِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مَوْجُودًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 بِالْقُوَّةِ لِأَنَّهَا مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَزْجِ مِنْهَا تَرَكَّبَتْ أَيْدَاءٌ وَإِلَيْهَا تَرْجِعُ أَنْتَاهَا وَلَكِنْ مِنْ  
 الْأَشْيَاءِ مَا يَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَلَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْهَا مَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلًا نَعَالَجُ  
 وَتُدَبِّرُ وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَالَّتِي لَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلًا لَا نَعَالَجُ وَلَا  
 تُدَبِّرُ لِأَنَّهَا فِيهَا بِالْقُوَّةِ فَقَطُّ وَإِنَّمَا لَمْ يُمَكِّنْ تَفْصِيلًا لِاسْتِغْرَاقِ بَعْضِ طَبَائِعِهَا فِي بَعْضٍ  
 وَفَضْلُ قُوَّةِ الْكَبِيرِ مِنْهَا عَلَى الصَّغِيرِ فَيَتَّبِعِي لَكَ وَفَقَكَ اللَّهُ أَنْ تَعْرِفَ أَوْفَى الْأَحْجَارِ  
 الْمُنْفَصِلَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا الْعَمَلُ وَجِسَهُ وَقُوَّتُهُ وَعَمَلُهُ وَمَا يُدَبِّرُ مِنَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ

وَالنَّفْسَ وَالتَّكْلِيسَ وَالتَّشْيِيفَ وَالتَّقْلِيلَ فَإِنَّ مِنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذِهِ الْأَصُولَ الَّتِي فِي  
عِمَادِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ لَمْ يَتَجَحَّ وَلَمْ يَنْظُرْ بِخَيْرٍ أَبَدًا وَيَتَبَيَّنْ لَكَ أَنَّ تَعْلَمَ هَلْ بُسِكُنَ أَنْ  
يُسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِغَيْرِهِ أَوْ يَكْتَفَى بِهِ وَحْدَهُ وَهَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْإِبْدَاءِ أَوْ شَارَكَهُ غَيْرُهُ  
فَصَارَ فِي التَّدْبِيرِ وَاحِدًا قَسْمِيَّ حِجْرًا وَيَتَبَيَّنْ لَكَ أَنَّ تَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ عَمَلِهِ وَكَمِّيَّةَ أَوْزَانِهِ  
وَأَرْزَامَانِهِ وَكَيْفَ تَرْكِبِ الرُّوحِ فِيهِ وَإِدْخَالَ النَّفْسِ عَلَيْهِ وَهَلْ تَقْدِرُ النَّارُ عَلَى تَفْصِيلِهَا  
مِنْهُ بَعْدَ تَرْكِيبِهَا فَإِنَّ لَمْ تَقْدِرْ فَلَايَ عَلَيْهِ وَمَا السَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِنُكُوتِهَا فَإِنَّ هَذَا هُوَ  
الْمَطْلُوبُ فَأَقْبِمْ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ كُلَّهَا مَدَحَتْ النَّفْسَ وَزَعَمَتْ أَنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ الْجَسَدِ  
وَالْحَامِلَةُ لَهُ وَالْمُفَاعِلَةُ عَنْهُ وَالْمُفَاعِلَةُ فِيهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَسَدَ إِذَا خَرَجَتْ النَّفْسُ مِنْهُ مَاتَ  
وَبَرَدَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نَوْرَ وَإِنَّمَا  
ذَكَرَتْ الْجَسَدَ وَالنَّفْسَ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ شَبِيهَةٌ بِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّذِي تَرْكِيبُهُ عَلَى  
الْغِذَاءِ وَالنَّشَاءِ وَقُوَامَتِهِ وَتَمَامُهُ بِالنَّفْسِ الْحَيَّةِ الدُّورَانِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ الْعُظَامُ وَالْأَشْيَاءُ  
الْمُتَقَابِلَةُ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا بِالْقُوَّةِ الْحَيَّةِ الَّتِي فِيهَا وَإِنَّمَا أَفْعَلُ الْإِنْسَانُ لِاخْتِلَافِ  
تَرْكِيبِ طَبَائِعِهِ وَلَوْ اتَّفَقَتْ طَبَائِعُهُ لَسَكَنَتْ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالضَّادِّ وَلَمْ تَقْدِرِ النَّفْسُ عَلَى  
الْخُرُوجِ مِنْ بَدَنِهِ وَلَسَكَانَ خَالِدًا بَاقِيًا فَسُبْحَانَ مُدَبِّرِ الْأَشْيَاءِ تَعَالَى . وَأَعْلَمْ أَنَّ الطَّبَائِعَ  
الَّتِي يَتَعَدَّى عَنْهَا هَذَا الْعَمَلُ كَيْفِيَّةٌ دَافِعَةٌ فِي الْإِبْدَاءِ قِيَضَةٌ مُخْتَاجَةٌ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ وَلَيْسَ  
لَهَا إِذَا صَارَتْ فِي هَذَا الْحَدِّ أَنْ تَسْتَحِيلَ إِلَى مَا مِنْهُ تَرَكَّبَتْ كَمَا فُلَانُهُ أَتَقَى فِي الْإِنْسَانِ  
لِأَنَّ طَبَائِعَ هَذَا الْجَوْهَرِ قَدْ لَزِمَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَصَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا شَبِيهًا بِالنَّفْسِ فِي قُوَّتِهَا  
وَفِعْلِهَا وَبِالْجَسَدِ فِي تَرْكِيبِهِ وَبِجَسَدِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَبَائِعَ مُفْرَدَةً بِأَعْيَانِهَا فَيَا عَجَبًا مِنْ  
أَفَاعِيلِ الطَّبَائِعِ إِنَّ الْقُوَّةَ لِلضَّعِيفِ الَّذِي يَقْوَى عَلَى تَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ وَتَرْكِيبِهَا وَتَمَامِهَا  
فَلِذَلِكَ قُلْتُ قَوِيٌّ وَضَعِيفٌ وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّغْيِيرُ وَالْفَنَاءُ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ لِلِاخْتِلَافِ  
وَعِلْمِ ذَلِكَ فِي الثَّانِي لِلِاتِّفَاقِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا  
الْعَمَلِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ وَالتَّرْكِيبُ مَوْتٌ وَفَنَاءٌ وَمِمَّا أَلْكَاهُ دَقِيقُ الْعَمَى لِأَنَّ الْحَكِيمَ  
أَرَادَ يَقُولُهُ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ خُرُوجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الوجودِ لِأَنَّهُ مَا دَامَ عَلَى تَرْكِيبِهِ الْأَوَّلِ  
فَهُوَ فَإِنْ لَا مُحَالَةَ فَإِذَا رُكِبَ التَّرْكِيبُ الثَّانِي عَدِمَ الْفَنَاءُ وَالتَّرْكِيبُ الثَّانِي لَا يَكُونُ إِلَّا  
بَعْدَ التَّفْصِيلِ وَالتَّقْطِيعِ فَإِذَا التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا الْعَمَلِ خَاصَّةٌ فَإِذَا بَقِيَ الْجَسَدُ



اَلْمَحْلُولُ اَنْبَسَطَ فِيهِ لِعَدَمِ الصُّورَةِ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْجَسَدِ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ الَّتِي لَا صُورَةَ  
 لَهَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَزْنَ لَهُ فِيهِ وَسَتَرَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ  
 أَنَّ اخْتِلَاطَ اللَّطِيفِ بِالْأَطْيَفِ أَهْوَنُ مِنْ اخْتِلَاطِ الْغَلِيظِ بِالْغَلِيظِ وَإِنَّمَا أُريدُ بِذَلِكَ  
 التَّشَاكُلُ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَنْصِلُ بِأَشْكَالِهَا وَذَكَرْتُ لَكَ ذَلِكَ  
 لَتَعْلَمَ أَنَّ الْعَمَلَ أَوفَقُ وَأَيَسَرُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَطْنَفِ الرُّوحَانِيَةِ مِنْهَا مِنَ الْغَلِيظَةِ الْجِسْمَانِيَةِ  
 وَقَدْ يَتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ الْأَحْجَارَ أَقْوَى وَأَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْأَرْوَاحِ كَمَا تَرَى  
 النَّهْبَ وَالْحَدِيدَ وَالنَّحَاسَ أَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْكِبْرِيَةِ وَالزُّبْقِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَرْوَاحِ  
 فَأَقُولُ إِنَّ الْأَجْسَادَ قَدْ كَانَتْ أَرْوَاحًا فِي بَدَنِهَا فَلَمَّا أَصَابَهَا حَرُّ الْكَيَانِ قَلَبَهَا أَجْسَادًا  
 لَرَجَةِ غَلِيظَةٍ فَلَمْ تَقْدِرِ النَّارُ عَلَى أَكْلِهَا لِإِفْرَاطِ غَلِيظَتِهَا وَلَزَجِهَا فَإِذَا أَفْرَطَتِ النَّارُ  
 عَلَيْهَا صَبَرَتْهَا أَرْوَاحًا كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ خَلْقِهَا وَإِنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ اللَّطِيفَةُ إِذَا أَصَابَتْهَا  
 النَّارُ أَبْقَتْ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَيْهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا صَبَرَ الْأَجْسَادُ فِي هَذِهِ  
 الْحَالَةِ وَصَبَرَ الْأَرْوَاحُ فِي هَذَا الْحَالِ فَيَوْمَ أَجَلٍ مَا تَعْرِفُهُ أَقُولُ إِنَّمَا أَبْقَتْ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ  
 لِأَشْتِمَالِهَا وَلَطَافَتِهَا وَإِنَّمَا أَشْتَمَلَتْ لِكَثْرَةِ رُطُوبَتِهَا وَلِأَنَّ النَّارَ إِذَا أَحْسَتْ بِالرُّطُوبَةِ  
 تَعَلَّقَتْ بِهَا لِأَنَّهَا هَوَائِيَّةٌ تَشَاكِلُ النَّارَ وَلَا تَزَالُ تَعْتَدِي بِهَا إِلَى أَنْ تَفْنَى وَكَذَلِكَ  
 الْأَجْسَادُ إِذَا أَحْسَتْ بِوُجُودِ النَّارِ إِلَيْهَا لِعِلَّةِ تَلَزُّجِهَا وَغَلِيظَتِهَا وَإِنَّمَا صَارَتْ تِلْكَ الْأَجْسَادُ  
 لَا تَشْتَعِلُ لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءٍ صَابِرٍ عَلَى النَّارِ فَلَطِيفُهُ مُتَّحِدٌ بِكَثِيفِهِ لِطَوْلِ  
 الطَّبَخِ اللَّبَيْنِ الْمَازِجِ لِلْأَشْيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُتَلَاشٍ إِذَا تَلَاشَى بِالنَّارِ لِعِفَاقَةِ  
 لَطِيفِهِ مِنْ كَثِيفِهِ وَدُخُولِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ عَلَى غَيْرِ التَّحْلِيلِ وَالْمُوَافَقَةِ فَصَارَ ذَلِكَ  
 الْإِتِّصَامُ وَالْمُتَدَاخُلُ مُجَاوِرَةً لَا مُعَارَاجَةً فَسَهِّلَ بِذَلِكَ اقْتِرَافَهُمَا كَالْمَاءِ وَالزُّبْقِ وَمَا  
 أَشَبَّهُهُمَا وَإِنَّمَا وَصَفْتُ ذَلِكَ لِنَسْتِدْلَالٍ بِهِ عَلَى تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَتَقَابُلِهَا فَإِذَا عَلِمْتَ  
 ذَلِكَ عَلِمَا شَافِيًا فَقَدْ أَخَذْتَ حَظَّكَ مِنْهَا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَخْلَاطَ الَّتِي فِي  
 طَبَائِعِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُوَافَقَةٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ مُفَصَّلَةٌ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ يَجْمَعُهَا نِظَامٌ وَاحِدٌ  
 يَتَذَيَّرُ وَاحِدٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ فِي الْجُزْءِ مِنْهُ وَلَا فِي الْكُلِّ كَمَا قَالَ الْفِيلَسُوفُ  
 أَنَّكَ إِذَا أَحْكَمْتَ تَذْيِيرَ الطَّبَائِعِ وَتَالَيْفَهَا وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا فَقَدْ أَحْكَمْتَ مَا  
 أَرَدْتَ إِحْكَامَهُ وَقِيَامَهُ إِذِ الطَّبِيعَةُ وَاحِدَةٌ لَا غَرِيبَ فِيهَا فَمَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهَا غَرِيبًا

فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَقَعَ فِي الْخَطَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ إِذَا حَلَّ لَهَا جَسَدٌ مِنْ قَوَائِمِهَا  
عَلَى مَا يَنْبَغِي فِي الْحُلِّ حَتَّى يَشْأَكِلَهَا فِي الرِّقَةِ وَاللَّطَافَةِ انْتَسَطَتْ فِيهِ وَجَرَتْ مَعَهُ حَيْشَمًا  
جَرَى لِأَنَّ الْأَجْسَادَ مَا دَامَتْ غَلِيظَةً جَافِيَةً لَا تَنْبَسِطُ وَلَا تَنْزَاجُ وَحَلَّ الْأَجْسَادُ لَا يَكُونُ  
يَغْيِرُ الْأَرْوَاحَ فَافْتَرَمَ هَذَا اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ وَأَعْلَمَ هَذَا أَنَّ هَذَا الْحُلَّ فِي جَسَدِ الْحَيَوَانِ  
هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَتَمَحِيلُ وَلَا يَنْقُصُ وَهُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الطَّبَائِعَ وَيُصَوِّبُهَا وَيُظْهِرُ لَهَا  
أَلْوَانًا وَأَزْهَارًا عَجِيبَةً وَلَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ يَحُلُّ خِلَافَ هَذَا هُوَ الْحُلُّ النَّامُ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلنَّجَاةِ  
وَأَمَّا حُلُّهَا بِمَا يُؤَافِقُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ حَرَقَ النَّارِ حَتَّى يَرْزُلَ عَنِ الْغَلِظِ وَتَنْقَلِبُ الطَّبَائِعُ  
عَنْ حَالَتِهَا إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَنْقَلِبَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْغَلِظِ فَإِذَا بَلَّتْ الْأَجْسَادُ نَهَائَتَهَا مِنْ  
الْتِحَالِيلِ وَالْتَلَطُّيْبِ ظَهَرَتْ لَهَا هُنَاكَ قُوَّةُ تُمْسِكُ وَتَغُصُّ وَتَقْلِبُ وَتَنْفِذُ وَكُلُّ  
عَمَلٍ لَا يَرَى لَهُ مُضَادًّا فِي أَوَّلِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَارِدَ مِنَ الطَّبَائِعِ  
هُوَ يَبْسُ الْأَشْيَاءَ وَيَعْقِدُ رُطُوبَتَهَا وَالْحَارُّ مِنْهَا يُظْهِرُ رُطُوبَتَهَا وَيَعْقِدُ يَبْسَهَا وَإِنَّمَا أَفْرَدْتُ  
الْحَرَّ وَالْبَرْدَ لِأَنَّهُمَا فَعَالَانِ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبْسُ مُنْفَعِلَانِ وَعَلَى أَنْفَعَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
لِصَاحِبِهِ تَحْدُثُ الْأَجْسَامُ وَتَتَكَوَّنُ وَإِنْ كَانَ الْحَرُّ أَكْثَرَ فَعَالًا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرْدِ لِأَنَّ  
الْبَرْدَ لَيْسَ لَهُ نَقْلُ الْأَشْيَاءِ وَلَا تَحْوُكَهَا وَالْحَرُّ هُوَ عِلَّةُ الْحَرَكَةِ وَمَتَى ضَعُفَتْ عِلَّةُ الْكَوْنِ  
وَهُوَ الْحَرَارَةُ لَمْ يَتِمَّ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا كَمَا أَنَّ إِذَا أَفْرَطَتِ الْحَرَارَةُ عَلَى شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ  
تَمَّ بَرْدٌ أَحْرَقَتْهُ وَأَهْلَكَتْهُ فَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْعِلَّةِ أَحْتِجُّ إِلَى الْبَارِدِ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ  
لِيَقْوَى بِهِ كُلُّ ضِدِّهِ عَلَى ضِدِّهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُ حَرَّ النَّارِ وَلَمْ يَحْذَرِ الْفَلَسَافَةُ أَكْبَرَ شَيْءٍ إِلَّا  
مِنَ النَّبَرَانِ الْحَرِيقَةِ وَأَمَرَتْ بِتَطْيِيرِ الطَّبَائِعِ وَالْأَنْفَاسِ وَإِخْرَاجِ دَيْسِهَا وَرُطُوبَتِهَا  
وَقَتْلِ أَفَاتِهَا وَأَوْسَاقِهَا عَنْهَا عَلَى ذَلِكَ اسْتِقَامَ رَأْيُهُمْ وَتَنْدَبِيرُهُمْ فَإِنَّمَا عَمَلُهُمْ إِنَّمَا هُوَ  
مَعَ النَّارِ أَوَّلًا وَإِلَيْهَا بِصِيرُ أَخِيرًا فَلِذَلِكَ قَالُوا إِيَّاكُمْ وَالنَّبَرَانِ الْحَرِيقَاتِ وَإِنَّمَا أَرَادُوا  
بِذَلِكَ نَقْيَ الْأَفَاتِ الَّتِي مَعَهَا فَتَجْمَعُ عَلَى الْجَسَدِ اثْنَتَيْنِ فَتَكُونُ مُسْرِعٌ لِهَلَاكِهِ وَكَذَلِكَ  
كُلُّ شَيْءٍ إِنَّمَا يَتَلَاقَى وَيَفْسُدُ مِنْ ذَاتِهِ لِتَضَادِّ طَبَائِعِهِ وَاخْتِلَافِهِ فَيَوْسُطُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ  
فَلَمْ يَجِدْ مَا يَقْوِيهِ وَيُعِينُهُ إِلَّا قَهْرَهُ الْأَقْفَى وَأَهْلَكَتْهُ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحُكَمَاءَ كُلَّهُمْ ذَكَرَتْ  
تَزَادَ الْأَرْوَاحَ عَلَى الْأَجْسَادِ مِرَارًا لِيَكُونَ الرِّمُّ إِلَيْهَا وَأَقْوَى عَلَى قِتَالِ النَّارِ إِذَا هِيَ  
بَاسْرَتِهَا عِنْدَ الْإِلَافَةِ أَعْنِي بِذَلِكَ النَّارَ الْمَنْصَرِيَّةَ فَاعْلَمْنَاهُ . وَلِنَقُلْ آلَانَ عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي

يُمْكِنُ مِنْهُ الْعَمَلُ عَلَى مَا ذُكِرَتْهُ الْفَلَاسِفَةُ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَعِنْتُهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي  
الْحَيَوَانَ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي النَّبَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي الْمَعَادِنِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
زَعَمَ أَنَّهُ فِي الْجَمِيعِ وَهَذِهِ الدِّعَاوَى لَيْسَتْ بِنَا حَاجَةً إِلَى اسْتِقْصَائِهَا وَمُنَاطَرَةِ أَهْلِهَا عَلَيْهَا  
لَأَنَّ الْكَلَامَ بَطُولُ جِدَا وَقَدْ فُتُّ فِيهَا تَقَدَّمَ إِنَّ الْعَمَلَ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِأَلْفَوْهٍ  
لِأَنَّ الطَّبَائِعَ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ كَذَلِكَ فَتَرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ  
الْعَمَلُ بِأَلْفَوْهٍ وَالْفِعْلُ فَنَقْصِدُ إِلَى مَا قَالَهُ الْخَرَّائِيُّ إِنَّ الصَّبْغَ كُلَّهُ أَحَدُ صِبْغَيْنِ إِمَّا  
صِبْغَ جَسَدٍ كَالْعُغْرَانِ فِي الثُّوبِ أَلَا يَبِضُّ حَتَّى يَتَوَلَّى فِيهِ وَهُوَ مُضْجِلٌ مُتَقَبِّضٌ أَلَا يَكُوبُ  
وَالصَّبْغُ الثَّانِي تَغْلِيْبُ الْجَوْهَرِ مِنْ جَوْهَرٍ نَفْسِهِ إِلَى جَوْهَرٍ غَيْرِهِ وَلَوْ نَبِهَ كَتَقْلِيْبِ  
الشَّجَرِ بِلِ التُّرَابِ إِلَى نَفْسِهِ وَقَلْبُ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ إِلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَصِيرَ التُّرَابُ نَبَاتًا  
وَالنَّبَاتُ حَيَوَانًا وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِالرُّوحِ الْحَيِّ وَالْكَيَانَ الْفَاعِلِ الَّذِي لَهُ تَوَلِيدُ  
الْأَجْزَامِ وَقَلْبُ الْأَعْيَانِ فَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَتَقُولُ إِنَّ الْعَمَلَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِمَّا  
فِي الْحَيَوَانَ وَإِمَّا فِي النَّبَاتِ وَبُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّهُمَا مَطْبُوعَانِ عَلَى الْغِذَاءِ وَبِهِ قُوَاهُمَا  
وَعَمَامُهُمَا فَأَمَّا النَّبَاتُ فَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْحَيَوَانَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْقُوَّةِ وَلِذَلِكَ قُلُ خَوْضُ  
الْحِكْمَاءِ فِيهِ وَأَمَّا الْحَيَوَانَ فَهُوَ آخَرُ الْأَسْتَحَالَاتِ الثَّلَاثِ وَنَهَائِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْدِنَ  
يَسْتَحِيلُ نَبَاتًا وَالنَّبَاتُ يَسْتَحِيلُ حَيَوَانًا وَالْحَيَوَانَ لَا يَسْتَحِيلُ إِلَى شَيْءٍ هُوَ أَلْفُ مِنْهُ  
إِلَّا أَنْ يَنْعَكِسَ رَاجِعًا إِلَى الْغَلْظِ وَأَنَّهُ أَيْضًا لَا يُوْجَدُ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ تَعَلَّقَ فِيهِ الرُّوحُ  
أَلَحِيَّةٌ غَيْرُهُ وَالرُّوحُ أَلْفُ مَا فِي الْعَالَمِ وَلَمْ تَعَلَّقْ الرُّوحُ بِالْحَيَوَانَ إِلَّا بِمَسَاكِلِهِ  
إِيَّاهَا فَأَمَّا الرُّوحُ أَلِي فِي النَّبَاتِ فَإِنَّهَا بَسِيرَةٌ فِيهَا غَلْظٌ وَكَثَافَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَفْرَقَةٌ  
كَامَنَةٌ فِي لِنَاطِهَا وَغَلْظُ جَسَدِ النَّبَاتِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ لِنَاطِهَا وَغَلْظُ رُوحِهِ وَالرُّوحُ  
الْمُسْتَفْرَقَةُ أَلْفُ مِنَ الرُّوحِ الْكَامَنَةِ كَثِيرًا وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَفْرَقَةَ لَهَا قَبُولُ الْغِذَاءِ  
وَالنَّقْلُ وَالنَّفْسُ وَلَيْسَ لِلْكَامَنَةِ غَيْرُ قَبُولِ الْغِذَاءِ وَحَدَهُ وَلَا تَجَرِي إِذَا قَبِستَ بِالرُّوحِ  
الْحَيَّةِ إِلَّا كَالْأَرْضِ عِنْدَ الْمَاءِ كَذَلِكَ النَّبَاتُ عِنْدَ الْحَيَوَانَ فَالْعَمَلُ فِي الْحَيَوَانَ أَعْلَى  
وَأَرْفَعُ وَأَهْوَنُ وَأَيْسَرُ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا عَرَفَ ذَلِكَ أَنْ يُعْجِبَ مَا كَانَ سَهْلًا وَيَتَذَكَّرَ مَا  
يَغْشَى فِيهِ عَسْرًا وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَيَوَانَ عِنْدَ الْحِكْمَاءِ يَنْقَسِمُ أَقْسَامًا مِنَ الْأَهْمِيَّاتِ أَلِي  
هِيَ الطَّبَائِعُ وَالْحَيَوَانَةُ أَلِي هِيَ الْمَوَالِيدُ وَهَذَا مَعْرُوفٌ مُتَبَسِّرٌ الْقَهْمُ فَلِذَلِكَ قَسَمَتْ

الْحُكْمَاءُ الْفَاعِلِينَ وَالْمَوَالِدَ أَقْسَامًا حَيَّةً وَأَقْسَامًا مَيِّتَةً يَجْعَلُوا كُلُّ مُخَرَّجٍ فَإِلَّا  
 حَيًّا وَكُلُّ سَاكِنٍ مَمْلُوءًا مَيِّتًا وَقَسَمُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ. وَفِي الْأَجْسَادِ الدَّائِبَةِ  
 وَفِي الْعَقَائِرِ الْمَعْدِنِيَّةِ فَسَمَوْا كُلُّ شَيْءٍ يَذُوبُ فِي النَّارِ وَيَطِيرُ وَيَسْتَعْمَلُ حَيًّا وَمَا كَانَ  
 عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ سَمَوْهُ مَيِّتًا فَأَمَّا الْحَيَّوَانُ وَالنبَاتُ فَسَمَوْا كُلُّ مَا انْفَصَلَ مِنْهَا طَبَائِعُ أَرْبَعًا  
 حَيًّا وَمَا لَمْ يَنْفَصِلْ سَمَوْهُ مَيِّتًا ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا جَمِيعَ الْأَقْسَامِ الْحَيَّةِ فَلَمْ يَجِدُوا لَوْفِي هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ مِمَّا يَنْفَصِلُ فَضُولًا أَرْبَعَةً ظَاهِرَةً لِلْعَيَانِ وَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الشَّجَرِ الَّذِي فِي  
 الْحَيَّوَانِ فَبَحَثُوا عَنْ جَنْبِهِ حَتَّى عَرَفُوهُ وَأَخَذُوهُ وَدَبَّرُوهُ فَتَكَيَّفَ لَهُمْ مِنْهُ الَّذِي أَرَادُوا  
 وَقَدْ يَتَكَيَّفُ مِثْلُ هَذَا فِي الْمَعَادِنِ وَالنبَاتِ بَعْدَ جَمْعِ الْعَقَائِرِ وَخَلْطِهَا ثُمَّ تَفَصَّلُ بَعْدَ  
 ذَلِكَ فَأَمَّا النَّبَاتُ فَمِنْهُ مَا يَنْفَصِلُ بَعْضُ هَذِهِ الْفُضُولِ مِثْلُ الْأَشْنَانِ وَأَمَّا الْمَعَادِنُ فَفِيهَا  
 أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ وَأَنْفَاسٌ إِذَا مَزُجَتْ وَدَبِّرَتْ كَانَ مِنْهَا مَا لَهُ تَأْثِيرٌ وَقَدْ دَبَّرْنَا كُلَّ  
 ذَلِكَ فَكَانَ الْحَيَّوَانُ مِنْهَا أَعْلَى وَأَرْفَعُ وَتَدْبِيرُهُ أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا هُوَ  
 الشَّجَرُ الْمَوْجُودُ فِي الْحَيَّوَانِ وَطَرِيقُ وَجُرْدِهِ إِنَّا بَيِّنَّا أَنَّ الْحَيَّوَانِ أَرْفَعُ الْمَوَالِدِ وَكَلَدَا  
 مَا تَرَكَبْنَاهُ فَهُوَ أَلْطَفُ مِنْهُ كَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّمَا كَانَ النَّبَاتُ أَلْطَفَ مِنَ الْأَرْضِ  
 لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَوْهَرِهِ الصَّافِي وَجَسَدِهِ اللَّطِيفُ فَوَجَبَ لَهُ بِذَلِكَ اللَّطَافَةُ وَالزُّقَّةُ وَكَذَا  
 هَذَا الشَّجَرُ الْحَيَّوَانِي بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ فِي التُّرَابِ وَبِالْجَمْلَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَّوَانِ شَيْءٌ  
 يَنْفَصِلُ طَبَائِعُ أَرْبَعًا غَيْرُهُ فَأَفْهَمَ هَذَا الْقَوْلُ فَإِنَّهُ لَا يَكْدُ يَنْفَعِي إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ بَيْنَ الْجَاهِلَةِ  
 وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ مَا هِيَ هَذَا الشَّجَرُ وَأَعْلَمْتُكَ جَنْسَهُ وَأَنَا أَبْيَنُ لَكَ  
 وَجُوهَ تَدْبِيرِهِ حَتَّى يَكْمُلَ الَّذِي شَرَطْنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الْإِنْصَافِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
 (التدبير على بركة الله) خُذِ الشَّجَرَ الْكَرِيمَ فَأَوْدِعْهُ الْفُرْعَةَ وَالْإِبْنِيقَ وَفَصِّلْ  
 طَبَائِعَ الْأَرْبَعِ الَّتِي فِي النَّارِ وَالْهَوَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَحِي الْجَسَدُ وَالصَّبْغُ بَإِذَا عَزَلْتَ  
 الْمَاءَ عَنِ التُّرَابِ وَالْهَوَاءَ عَنِ النَّارِ فَارْفَعْ كُلَّ وَاحِدٍ فِي إِيَّائِهِ عَلَى حِدَةٍ وَخُذِ الْمَلْبِطَ  
 أَسْفَلَ الْإِنَاءِ وَهُوَ الثَّقُلُ فَأَغْسِلْهُ بِالنَّارِ الْحَارَّةِ حَتَّى تَذْهَبَ النَّارُ عَنْهُ سَوَادُهُ وَيَزُولَ  
 غَلْظُهُ وَجَنَائِزُهُ وَيَبْقَ تَبْيَضًا مُخَضَّكًا وَطَيَّرْ عَنْهُ فَضُولَ الرُّطُوبَاتِ الْمُسْتَحْبَةِ فِيهِ فَإِنَّهُ  
 يَصِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ مَاءً أَيْضًا لَا ظِلْمَةَ فِيهِ وَلَا وَخْجَ وَلَا تَضَادَّ ثُمَّ أَعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ  
 الْأُولَى الصَّاعِدَةِ مِنْهُ فَطَيَّرْهَا أَيْضًا مِنَ السَّوَادِ وَالتَّضَادِّ وَكَرِّرْ عَلَيْهَا الْفَعْلَ وَالْتَصِيدَ

حَتَّى تَلْطَفَ وَتَرِقَ وَتَضُفُو فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَابِدًا بِالتَّرْكِيبِ الَّذِي  
 عَلَيْهِ مَدَارُ الْأَعْمَلِ وَذَلِكَ أَنَّ التَّرْكِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّزْوِيجِ وَالْأَعْفِينِ فَأَمَّا التَّزْوِيجُ  
 فَهُوَ اخْتِلَاطُ اللَّطِيفِ بِالْقَلِيطِ وَأَمَّا الْأَعْفِينُ فَهُوَ التَّمْشِيَةُ وَالسَّخْقُ حَتَّى يَخْتَلِطَ بَعْضُهُ  
 بِبَعْضٍ وَيَصِيرَ شَيْئًا وَاحِدًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَقْصَانِ يَمْتَزِلُهُ إِلَّا مِزْجًا بِالْمَاءِ فَمِنْدَ  
 ذَلِكَ يَقْوَى الْقَلِيطُ عَلَى إِمْسَاكِ اللَّطِيفِ وَتَقْوَى النَّفْسُ عَلَى الْغَوْصِ فِي الْأَجْسَادِ وَاللَّيْسِ  
 فِيهَا وَإِنَّمَا وَجَدَ ذَلِكَ بَعْدَ التَّرْكِيبِ لِأَنَّ الْجَسَدَ الْمَحْلُولَ لَمَّا أَرْدَوْجَ بِالرُّوحِ مَا زَجَّهُ  
 بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَدَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لِنَسَاكِلِهَا فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا وَوَجِبَ مِنْ ذَلِكَ  
 أَنْ يَعْزِضَ لِلرُّوحِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ وَالْبَقَاءِ وَالثَّبُوتِ وَمَا يَعْزِضُ لِلْجَسَدِ لِمَوْضِعِ  
 الْأَمْتِزَاجِ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا امْتَزَجَتْ بِهِمَا وَدَخَلَتْ فِيهِمَا بِمُجْدَمَةِ التَّنْذِيرِ اخْتَلَطَتْ  
 أَجْزَاؤُهُمَا بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْآخَرِينَ أَعْنَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَصَارَتْ هِيَ وَهُمَا شَيْئًا وَاحِدًا  
 لَا اخْتِلَافَ فِيهِ يَمْتَزِلُهُ الْجُزْءُ الْكُلِّيُّ الَّذِي سَلِمَتْ طَبَائِعُهُ وَتَقَفَتْ أَجْزَاؤُهُ فَإِذَا  
 أَتَى هَذَا الْمَرْكَبُ الْجَسَدَ الْمَحْلُولَ وَالْحَافِظَ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَظْهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ عَلَى وَجْهِهِ  
 ذَابَ فِي الْجَسَدِ الْمَحْلُولِ وَمِنْ شَأْنِ الرُّطُوبَةِ الْأَشْتِعَالُ وَتَعَلَّقَ النَّارُ بِهَا فَإِذَا أَرَادَتْ  
 النَّارُ التَّعَلُّقَ بِهَا مَتَّعَهَا مِنَ الْإِتِّعَادِ بِالنَّفْسِ مُمَازَجَةً الْمَاءِ لَهَا فَإِنَّ النَّارَ لَا تُنْجِدُ بِالذَّهْنِ  
 حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَكَذَلِكَ الْمَاءُ مِنْ شَأْنِهِ النُّفُورُ مِنَ النَّارِ فَإِذَا لَحَّتْ عَلَيْهِ النَّارُ وَأَرَادَتْ  
 تَطْيِيرَهُ حَبَسَهُ الْجَسَدُ الْبَاسِ الْمُمَارِجُ لَهُ فِي جَوْفِهِ فَمَتَّعَهُ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ فَكَانَ الْجَسَدُ  
 عِلَّةً لِإِمْسَاكِ الْمَاءِ وَالْمَاءُ عِلَّةً لِبَقَاءِ الذَّهْنِ وَالذَّهْنُ عِلَّةً لثَبَاتِ الصَّبْغِ وَالصَّبْغُ عِلَّةً  
 لظُهُورِ الذَّهْنِ وَإِظْهَارِ الذَّهْنِيَّةِ فِي الْأَشْيَاءِ الدُّلْهِمَةِ الَّتِي لَا نُورَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ فِيهَا فَبِهَا  
 هُوَ الْجَسَدُ الْمُسْتَعِيمُ وَهَكَذَا يَكُونُ الْأَعْمَلُ وَهَذِهِ التَّصْفِيَةُ الَّتِي سَأَلْتُ عَنْهَا وَهِيَ الَّتِي  
 مَمْتَنَّا الْحُكْمَاءَ بِضَّةً وَإِيَّاهَا يَعْنُونَ لَا يَبْضَةُ الدَّجَاجِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَاءَ لَمْ تُسَمَّ بِهَا  
 بِهَذَا الْأَمْنِ لِغَيْرِ مَعْنَى بَلْ أَشْبَهَتْهَا وَلَقَدْ سَأَلْتُ مُسَلِّمَةً عَنْ ذَلِكَ يَوْمًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرِي  
 فَقُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ أَخْبِرْنِي لِأَيِّ شَيْءٍ سَمَّيْتَ الْحُكْمَاءَ مَرْكَبَ الْحَيَوَانِ  
 يَبْضَةُ اخْتِيَارًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ أَمْ لِمَعْنَى دَعَاهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ بَلْ لِمَعْنَى غَايِضٍ فَقُلْتُ أَيُّهَا  
 الْحَكِيمُ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى الصَّنَاعَةِ حَتَّى شَبَّهُوا  
 وَمَثَلُوا بِضَّةً فَقَالَ لِسَبَبِهَا وَقَوَّابَتِهَا مِنَ الْمَرْكَبِ فَفَكَّرَ فِيهِ فَإِنَّهُ سَبَّطَهُ لَكَ مَعْنَاهُ

فَبَقِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَرًا لَا أَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَعْنَاهُ فَلَمَّا رَأَى مَا بِي مِنَ الْفِكْرِ  
وَأَنَّ نَفْسِي قَدْ مَضَتْ فِيهَا أَخَذَ بَعْضِي وَهَزَنِي هَزَةً خَفِيَّةً وَقَالَ لِي يَا أَبَا بَكْرٍ ذَلِكَ  
النِّسْبَةُ الَّتِي يَنْتَسِبُ فِي كَيْفِيَّةِ الْأَلْوَانِ عِنْدَ امْتِزَاجِ الطَّبَائِعِ وَتَأْلِيفِهَا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ انْجَلَتْ  
عَنِّي الظُّلْمَةُ وَأَضَاءَ لِي نُورٌ قَلْبِي وَقَوِيَ عَقْلِي عَلَى فَهْمِهِ فَتَهَضُّتُ شَاكِرًا اللَّهَ عَلَيْهِ إِلَى  
مَنْزِلِي وَأَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ شَكْلًا هَنْدَسِيًّا يُبْرهنُ بِهِ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ سَلَامَةُ وَأَنَا وَاضِعُهُ  
لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّرَّكَبَّ إِذَا تَمَّ وَكَمُلَ كَانَ نِسْبَةً مَا فِيهِ مِنْ  
طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ كَنِسْبَةِ مَا فِي الدُّرَّكَبِّ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ إِلَى مَا فِي الْبَيْضَةِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ  
وَكَذَلِكَ الطَّبِيعَتَانِ الْأَخْرَيَانِ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ فَأَقُولُ إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ عَلَى هَدْيِهِ  
الْصِّفَةِ هُمَا مُتَشَابِهَانِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ تَجَعُّلَ لِسَطْحِ الْبَيْضَةِ هَزُوحٌ فَإِذَا أَرَدْنَا ذَلِكَ فَإِنَّا  
نَأْخُذُ أَقَلَّ طَبَائِعِ الدُّرَّكَبِّ وَهِيَ طَبِيعَةُ الْيُبُوسَةِ وَنُضِيفُ إِلَيْهَا مِثْلَهَا مِنْ طَبِيعَةِ الرُّطُوبَةِ  
وَنُدْبِرُهُمَا حَتَّى تَنْشِفَ طَبِيعَةُ الْيُبُوسَةِ طَبِيعَةَ الرُّطُوبَةِ وَتَقْبَلَ قُوَّتَهَا وَكَانَ فِي هَذَا  
الْكَلَامِ رَمْزًا وَلَكِنَّهُ لَا يَفْقَهُ عَلَيْكَ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا مِثْلَهُمَا مِنَ الرُّوحِ  
وَهُوَ الْمَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ سِتَّةَ أَمْثَالٍ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَى الْجَمِيعِ بَدَأَ التَّدْبِيرِ مِثْلًا مِنْ  
طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ الَّتِي فِي النَّفْسِ وَذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ تِسْعَةَ أَمْثَالِ الْيُبُوسَةِ  
بِالْقُوَّةِ وَتَجَعُّلُ تَحْتَ كُلِّ ضِلْعَيْنِ مِنَ الدُّرَّكَبِّ الَّذِي طَبِيعَتُهُ تُحِيطُ بِسَطْحِ الدُّرَّكَبِّ  
طَبِيعَتَيْنِ فَتَجَعُّلُ أَوَّلًا الضِّلْعَيْنِ الْخُفْيَيْنِ بِسَطْحِهِ طَبِيعَةَ الْمَاءِ وَطَبِيعَةَ الْهَوَاءِ وَهُمَا ضِلْعَانِ  
أَحَدٌ وَسَطْحُ الْبَيْدِ وَكَذَلِكَ الضِّلْعَانِ الْخُفْيَانِ بِسَطْحِ الْبَيْضَةِ الَّتِي هُمَا الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ  
ضِلْعَانِ هَزُوحٌ فَأَقُولُ إِنَّ سَطْحَ الْبَيْدِ بِشِبْهِ سَطْحِ هَزُوحِ طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ الَّتِي تُسَمَّى نَفْسًا وَكَذَلِكَ  
يَجِي مِنْ سَطْحِ الدُّرَّكَبِّ وَالْحُكْمُ أَنَّهُ لَمْ تَسْمَعْ شَيْئًا بِأَنْ تَسْمَعْ شَيْءًا إِلَّا لِشِبْهِهِ بِهِ وَالْكَلِمَاتُ  
الَّتِي سَأَلْتُ عَنْ شَرْحِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ وَهِيَ الْمُنْعَقِدَةُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسَّنَلِيَّةِ  
وَالنَّحْلَاسُ هُوَ الَّذِي أُخْرِجَ سَوَادُهُ وَقُطِعَ حَتَّى صَارَ هَبَاءً ثُمَّ حُمِرَ بِالزَّاجِ حَتَّى صَارَ  
مُحَاسِيًّا وَالْمَعْنِيَانِ حَبْرٌ هُوَ الَّذِي تَجَمُّدُ فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَتَخْرُجُهُ الطَّبِيعَةُ الْعُلَوِيَّةُ الَّتِي  
تَسْتَجِبُ فِيهَا الْأَرْوَاحُ لِتَقَابُلِ عَلَيْهَا النَّارُ وَالْفَرْقَةُ لَوْ أَنَّ أَحْمَرَ قَانٍ يُعَدُّهُ الْفَكِيانُ  
وَالرَّصَاصُ حَبْرٌ لَهُ ثَلَاثُ قُوَى مُخْتَلِفَةٍ الشَّخْصُ وَلَكِنَّهَا مُتَشَابِهَةٌ وَمُتَجَانِسَةٌ  
فَالْوَحِيدَةُ رُوحَانِيَّةٌ نَبِيَّةٌ صَافِيَّةٌ وَهِيَ الْفَاعِلَةُ وَالثَّانِيَةُ نَفْسَانِيَّةٌ وَهِيَ مُتَحَرِّكَةٌ حَسَّاسَةٌ

غَيْرَ أَنَّهَا أَغْلَظُ مِنَ الْأُولَى وَمَرَكَزُهَا دُونَ مَرَكَزِ الْأُولَى وَالثَّالِثَةُ قُوَّةُ أَرْضِيَّةِ  
حَاسَةِ قَابِضَةٍ مُنْعَكِسَةٍ إِلَى مَرَكَزِ الْأَرْضِ لِثِقَلِهَا وَهِيَ الْمَاسِكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ  
جَمِيعًا وَالْمُحِيطَةُ بِهِمَا وَأَمَّا سَائِرُ الْبَاقِيَةِ فَمُبْتَدَعَةٌ وَخَتَرَةٌ إِبْسَاسٌ عَلَى الْجَاهِلِ وَمَنْ  
عَرَفَ الْمُقَدَّمَاتِ اسْتَعْنَى عَنْ غَيْرِهَا . فَبِذَا جَمِيعُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ  
مُفَسَّرًا وَنَزَّاجُوتِي فِيكَ اللَّهُ أَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَالسَّلَامُ أَنْتَهُ كَلَامُ ابْنِ بَشْرُونَ وَهُوَ مِنْ  
كِبَارِ تَلَامِيذِ مَسْلَمَةَ الْمَجْرِبِيِّ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ فِي عُلُومِ الْكِيمِيَاءِ وَالسِّيَاحَةِ  
وَالسَّحْرِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ وَمَا بَعْدَهُ وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ مَرَرْتُ أَلْفَاظَهُمْ كُلَّهَا فِي الصَّنَاعَةِ  
إِلَى الرَّمْزِ وَالْأَلْفَازِ الَّتِي لَا تَكْادُ نَبِيْنٌ وَلَا تُعْرَفُ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصَنَاعَةٍ  
طَبِيعِيَّةٍ . وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ فِي أَمْرِ الْكِيمِيَاءِ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَضُدُّهُ الْوَرَاقِعُ أَنَّهَا  
مِنْ حِنْسِ آثَارِ النُّفُوسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَتَصَرُّفِهَا فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ إِمَّا مِنْ نَوْعِ الْكِرَامَةِ  
إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ خَيْرَةً أَوْ مِنْ نَوْعِ السَّحْرِ إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ شَرِّيرَةً فَاجِرَةً فَأَمَّا  
الْكِرَامَةُ فَظَاهِرَةٌ وَأَمَّا السَّحْرُ فَلَا السَّاحِرَ كَمَا ثَبَتَ فِي مَكَانٍ بِتَحْقِيقِهِ بِقَلْبِ الْأَعْيَانِ  
الْحَادِيَةِ بِقُوَّتِهِ السَّحَرِيَّةِ وَلَا يَدُلُّهُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ يَقَعُ فِعْلُهُ السَّحَرِيُّ فِيهَا  
كَتَخْلِيْقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَادَّةِ التُّرَابِ أَوْ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَالْجَمَلَةِ مِنْ غَيْرِ  
مَادِيَّتِهَا الْخُصُوصَةِ بِهَا كَمَا وَقَعَ لِسَحَرِهِ فِرْعَوْنُ فِي الْحِبَالِ وَالْفِصِّي وَكَمَا يُنْقَلُ عَنْ  
سَحَرِهِ السُّودَانُ وَالْهُنُودُ فِي قَاصِيَةِ الْجَنُوبِ وَالتُّرْكُ فِي قَاصِيَةِ الشَّمَالِ أَنَّهُمْ يَسْحَرُونَ  
الْجُودَ لِلْأَمْطَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ تَخْلِيْقًا لِلذَّهَبِ فِي فَيْزِ مَادَّتِهِ الْخَاصَةِ بِهِ  
كَانَ مِنْ قِبَلِ السَّحْرِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ الْحُكَمَاءِ مِثْلَ جَابِرٍ وَمَسْلَمَةَ  
وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ حُكَمَاءِ الْأُمَمِ إِنْمَّا تَحَوَّاهُمَا الْمُنْتَحَى وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِيهِ  
الْفَازَا حَذَرًا عَلَيْهَا مِنْ إِنْكَارِ الشَّرَائِعِ عَلَى السَّحْرِ وَأَنْوَاعِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى  
الْفَضَائَةِ بِهَا كَمَا هُوَ رَأْيِي مَنْ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ وَانْظُرْ كَيْفَ سَمَى مَسْلَمَةُ  
كِتَابَهُ فِيهَا رُبَّةَ الْحَكِيمِ وَسَمَى كِتَابَهُ فِي السَّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ غَايَةَ الْحَكِيمِ إِشْلَازَةً  
إِلَى عُمُومِ مَوْضُوعِ الْغَايَةِ وَخُصُوصِ مَوْضُوعِ هَذِهِ لِأَنَّ الْغَايَةَ أَعْلَى مِنَ الرُّبَّةِ فَكَانَ  
مَسَائِلُ الرُّبَّةِ بَعْضُ مِنْ مَسَائِلِ الْغَايَةِ وَتُشَارِكُهَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَمِنْ كَلَامِهِ فِي الْفَتَنِ  
يَتَبَيَّنُ مَا قُلْتَاهُ وَتَحْنُ نَبِيْنٌ فِيمَا بَعْدَ غَلَطٍ مِنْ بَعْزِهِمْ أَنَّ مَدَارِكَ هَذَا الْأَمْرِ بِالصَّنَاعَةِ

## الفصل الرابع والعشرون

في ابطال الفلسفة وفساد منتهجها

هَذَا الْفَصْلُ وَمَا بَعْدَهُ مُهِمٌّ لِأَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ عَارِضَةٌ فِي الْعُمَرَانِ كَثِيرَةٌ فِي الْمَدُنِ وَضَرَرُهَا فِي الدِّينِ كَثِيرٌ فَوَجِبَ أَنْ يُصْنَعَ بِشَأْنِهَا وَيُكْشَفَ عَنِ الْمَعْتَقَدِ الْحَقِّ فِيهَا وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنْ عَقَلَاءِ النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ زَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ الْحِسِّيَّ مِنْهُ وَمَا وَرَاءَ الْحِسِّيِّ تَذَرُكُ أَدْوَانُهُ وَأَحْوَالُهُ بِأَسْبَابِهَا وَعِلَالِهَا بِالْأَنْظَارِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَفْسَسَةِ الْعَقَائِيَّةِ وَأَنَّ تَصْصِيحَ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مِنْ قِبَلِ الْأَنْظَارِ لَا مِنْ جِهَةِ الدَّخَمِ فَإِنَّهَا بَعْضٌ مِنْ مَدَارِكِ الْعَقْلِ وَهَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ فَلَاسِفَةً جَمَعَ فَيْلَسُوفٍ وَهُوَ بِالسَّانِ الْبُوتَانِي نَحْبُ الْحِكْمَةِ فَجَحُّوا عَنْ ذَلِكَ وَتَعَمَّرُوا لَهُ وَوَحَّوْهُ عَلَى إِصَابَةِ الْفَرَضِ مِنْهُ وَوَضَعُوا قَانُونًا يَهْتَدِي بِهِ الْعَقْلُ فِي نَظَرِهِ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَسَمَّوْهُ بِالْمَنْطِقِ وَحَصَلَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَنْظَرَ الَّذِي يُفِيدُ تَمْيِيزَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ إِنَّمَا هُوَ لِلذَّهْنِ فِي الْمَعْنَى الْمُنْتَزَعَةِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الشَّخْصِيَّةِ فَيَجْرُدُ مِنْهَا أَوَّلًا صُورٌ مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ كَمَا يَنْطَبِقُ الطَّابَعُ عَلَى جَمِيعِ النُّقُوشِ الَّتِي تَرْتُمُّهَا فِي طِينٍ أَوْ شَعَمٍ وَهَذِهِ تَجَرُّدَةٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ تُسَمَّى الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَّلَى ثُمَّ تَجَرُّدُ مِنْ تِلْكَ الْمَعْنَى الْهَكْلِيَّةِ إِذَا كَانَتْ مُشْتَرَكَةً مَعَ مَعَانٍ أُخْرَى وَقَدْ تَمَيَّزَتْ عَنْهَا فِي الذَّهْنِ فَتَجَرُّدُ مِنْهَا مَعَانٍ أُخْرَى وَهِيَ الَّتِي أَشْتَرَكْتَ بِهَا ثُمَّ تَجَرُّدُ ثَانِيًا إِنْ شَارَكَهَا غَيْرُهَا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ التَّجَرُّدُ إِلَى الْمَعْنَى الْبَسِيطَةِ الْهَكْلِيَّةِ الْمُنْطَبِقَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمَعْنَى وَالْأَشْخَاصِ وَلَا يَكُونُ مِنْهَا تَجَرُّدٌ بَعْدَ هَذَا وَهِيَ الْأَجْنَاسُ الْعَالِيَّةُ وَهَذِهِ الْمَجْرُودَاتُ كُلُّهَا مِنْ غَيْرِ الْمَحْسُوسَاتِ هِيَ مِنْ حَيْثُ تَأْلِيفُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ لِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ مِنْهَا تُسَمَّى الْمَعْقُولَاتِ الثَّوَانِي فَإِذَا نَظَرَ الْفَكْرِي فِي هَذِهِ الْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرُودَةِ وَطَلَبَ تَصَوُّرَ الْوُجُودِ كَمَا هُوَ فَلَا بُدَّ لِلذَّهْنِ مِنْ إِضَافَةِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقْبَلُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ بِالْبَرْهَانِ الْعَقْلِيِّ الْيَقِينِيِّ لِيَحْصَلَ تَصَوُّرُ الْوُجُودِ تَصَوُّرًا صَحِيحًا مُطَابِقًا إِذَا كَانَ ذَلِكَ يَقَانُونَ صَحِيحٍ كَمَا مَرَّ وَصِنْتُ التَّصْدِيقِ الَّذِي هُوَ تِلْكَ الْإِضَافَةُ وَالْحُكْمُ مُحَقَّقٌ عِنْدَهُمْ عَلَى صِنْفِ التَّصَوُّرِ فِي النَّهَايَةِ وَالتَّصَوُّرُ مُنْقَدِّمٌ عَلَيْهِ فِي الْبِدَاءِ وَالْعَلِيمُ لِأَنَّ التَّصَوُّرَ النَّامَ عِنْدَهُمْ هُوَ غَايَةُ الطَّلَبِ الْأِدْرَاكِيِّ وَإِنَّمَا



التَّصَدِيقُ وَسَبِيلُهُ لَهُ وَمَا تَسْمَعُهُ فِي كُتُبِ الْمُنْطَقِيِّينَ مِنْ تَقْدِيمِ النَّصُورِ وَتَوْثُقِ  
التَّصَدِيقِ عَلَيْهِ فَيَحْمِلُ الشُّعُورَ لَا يَمَعْنَى الْعِلْمُ النَّامُ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ كَبِيرِهِمْ أَرِسْطُو  
ثُمَّ يَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إدْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا مَا فِي الْحَسَنِ وَمَا وَرَاءَ الْحَسَنِ  
بِهَذَا النَّظَرِ وَتِلْكَ الْبُرَاهِينُ وَحَاصِلُ مَذَاهِبِهِمْ فِي الْوُجُودِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَمَا آتَى إِلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي  
فَرَعُوا عَلَيْهِ قَضَايَا أَنْظَارِهِمْ أَنَّهُمْ عَرَّوْا أَوَّلًا عَلَى الْجِسْمِ السُّفْلِيِّ بِحُكْمِ الشُّهُودِ وَالْحَسَنِ ثُمَّ تَرَفَّقُوا  
إِدْرَاكَهُمْ قَلِيلًا فَاشْتَعَرُوا بِوُجُودِ النَّفْسِ مِنْ قِبَلِ الْحَرَكَةِ وَالْحَسَنِ فِي الْخَيَوَانَاتِ ثُمَّ أَحْسَوْا مِنْ  
قُوَى النَّفْسِ بِسُلْطَانِ الْعَقْلِ وَوَقَفَتْ إِدْرَاكُهُمْ فَقَضَوْا عَلَى الْجِسْمِ الْعَالِي السَّمَاوِيِّ يَنْجُو مِنَ الْقَضَاءِ  
عَلَى أَمْرِ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَوَجِبَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ عَقْلٌ كَمَا لِلْإِنْسَانِ ثُمَّ  
أَنَّهُوَ ذَلِكَ نِهَآيَةَ عَدَدِ الْآحَادِ وَهِيَ الْعَشْرُ نَيْعُ مُفْصَلَةٍ ذَوَاتُهَا جُمْلٌ وَوَاحِدٌ أَوَّلٌ مُفْرَدٌ  
وَهُوَ الْعَاشِرُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إدْرَاكِ الْوُجُودِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنَ الْقَضَاءِ مَعَ  
تَهْدِيبِ النَّفْسِ وَتَخَلُّقِهَا بِالْقَضَائِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَوْ لَمْ يَرِدْ شَرْعٌ لِتَمْيِيزِهِ  
بَيْنَ الْفَضِيلَةِ وَالرَّذِيلَةِ مِنَ الْأَفْعَالِ بِمُقْتَضَى عَقْلِهِ وَنَظَرِهِ وَمِثْلِهِ إِلَى التَّحْمُودِ مِنْهَا  
وَأَجْتِنَابِهِ لِلْمَذْمُومِ بِفِطْرَتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ لِلنَّفْسِ حَصَلَتْ لَهَا الْهَبَّةُ وَالْأَذَّةُ وَأَنَّ  
الْمُجْهَلِ بِذَلِكَ هُوَ الشَّكَّاهُ السَّرْمَدِيُّ وَهَذَا عِنْدَهُمْ هُوَ مَعْنَى النِّعَمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى  
خَبَطِ لَهُمْ فِي تَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَعْرُوفٍ فِي كَلِمَاتِهِمْ وَإِمَامُ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الَّذِي حَصَلَ  
مَسَائِلُهَا وَدَوَّنَ عَلَيْهَا وَسَطَرٌ حَجَّجَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا فِي هَذِهِ الْأَخْقَابِ هُوَ أَرِسْطُو الْمُقَدُّونِيُّ مِنَ  
أَهْلِ مَقْدُونِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مِنْ تَلَامِيذِ أَفْلَاطُونٍ وَهُوَ مُعَلِّمُ الْأَيْسْكَندَرِ وَيُسَمُّوهُ  
الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ عَلَى الْأِطْلَاقِ يَعْثُونَ مُعَلِّمَ صِنَاعَةِ الْمُنْطَقِ إِذْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَهُ مَهْدَبَةً  
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَّبَ قَانُونَهَا وَاسْتَوْفَى مَسَائِلَهَا وَأَحْلَنَ بَسْطَهَا وَقَدْ أَحْسَنَ فِي ذَلِكَ الْقَانُونِ  
مَا شَاءَ لَوْ تَكَفَّلَ لَهُ بِقَصْدِهِمْ فِي الْإِلَهِيَّاتِ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْأَيْسْلَامِ مَنْ أَخَذَ  
بِتِلْكَ الْمَذَاهِبِ وَاتَّبَعَ فِيهَا رَأْيَهُ حَذَوُ التَّعَلُّلِ بِالتَّعَلُّلِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ وَذَلِكَ أَنَّ كُتُبَ  
أُولَئِكَ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمَّا تَرَجَّهَ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنَ الْبَلْسَانِ الْيُونَانِيِّ إِلَى الْبَلْسَانِ  
الْعَرَبِيِّ تَصَحَّحُوا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمَةِ وَأَخَذَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ مِنْ مُنْتَحِلِي  
الْعُلُومِ وَجَادَلُوا عَنْهَا وَاخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلَ مِنْ تَفَارِيعِهَا وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِهِمْ أَبُو نَصْرِ الْقَارَاطِيُّ  
فِي الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ لِعَهْدِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ لِعَهْدِ نِظَامٍ

الملك من بني بؤيه بأصبهان وغيرهما. وأعلم أن هذا الرأي الذي ذهبوا إليه باطل  
بجميع وجوهه فأما إسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول واكتفاؤهم به في  
التعريف إلى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خفي الله فالوجود أوسع نطاقا  
من ذلك ويخلق ما لا تعلمون وكأنهم في انقصارهم على إثبات العقل فقط والعقل عما  
وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على إثبات الأجسام خاصة المعرضين عن النقل  
والعقل المعتقدين أنه ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء. وأما البراهين التي يزعمونها  
على مدعيانهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير  
وافية بالقرض أما ما كان منها في الموجودات الحسية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه  
قصوره أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والأقيسة كما  
في زعمهم وبين ما في الخارج غير بقيتي لأن تلك أحكام ذهنية كلية عامة  
والموجودات الخارجية متشعبة بموادها ولعل في المواد ما يمنع مطابقة الذهني  
الكلية للخارجية الشخصية اللهم إلا ما لا يشهد له الحس من ذلك فدليلة مشهودة  
لأن تلك البراهين فائت اليقين الذي يجدونه فيها وربما يكون تصرف الذهن أيضا  
في المقولات الأول المطابقة للشخصيات بالصورة الخيالية لا في المقولات الثواني  
التي تجريدها في الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينياً بمثابة المحسوسات إذ  
المقولات الأول أقرب إلى مطابقة الخارج لكمال الانطباق فيها فنسلم لهم حينئذ  
دعوايتهم في ذلك إلا أنه ينبغي لنا الإعراض عن النظر فيها إذ هو من ترك المسلم  
لما لا يعنيه فإن مسائل الطبيعيات لا نهكتنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها .  
وأما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي الروحانيات ويسمونه العلم  
الإلهي وعلم ما بعد الطبيعة فإن ذواتها مجهولة رأساً ولا يمكن التوصل إليها ولا  
البرهان عليها لأن تجريد المقولات من الموجودات الخارجية الشخصية إنما هو  
ممكن فيما هو مدرك لنا ونحن لا ندرك الدوات الروحانية حتى نجرد منها ماهيات  
أخرى يججاب الحس بينها فلا يتأتى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا في إثبات  
وجودها على الجملة إلا ما نجد بين جنبتنا من أمر النفس الإنسانية وأحوال مداركها  
وخصوصاً في الرؤيا التي هي وجدانية لكل أحد وما وراء ذلك من حقيقتها وصفاتها

فَأَمْرٌ غَامِضٌ لَا سَبِيلَ إِلَى التَّوَقُّفِ عَلَيْهِ وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ مُحَقِّقُوهُمْ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ  
 مَا لَا مَادَّةَ لَهُ لَا يُمْكِنُ الْبَرَهَانُ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُقَدِّمَاتِ الْبَرَهَانِ مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتِيَّةً  
 وَقَالَ كَثِيرُهُمْ أَفَلَا طَوْنُ إِنْ الْأَلْهِيَّاتِ لَا يُوَصَّلُ فِيهَا إِلَى اثْنَيْنِ وَإِنَّمَا يُقَالُ فِيهَا بِأَلَّاخْلُقِ  
 وَالْأَوَّلَى يَعْنِي الظَّنَّ وَإِذَا كُنَّا إِنَّمَا نَحْصُلُ بَعْدَ الْعَبِّ وَالنَّصَبِ عَلَى الظَّنِّ قَطَطَ فَيَكْفِينَا  
 الظَّنُّ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا فَأَيُّ فَائِدَةٍ لِهَذِهِ الْعُلُومِ وَالِاشْتِقَالِ بِهَا وَنَحْنُ إِنَّمَا عَيْنَاتُنَا نَحْصِلُ  
 الْيَقِينَ فِيهَا وَرَاءَ الْحِسِّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَهَذِهِ فِي غَايَةِ الْأَفْكَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَهُمْ  
 وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا فِي عَلَيْهِ بِتِلْكَ الْبَرَاهِينِ فَقَوْلُ  
 مُزَيْفٍ مُزْدَوْدٍ وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِنْ جُزْءَيْنِ أَحَدُهُمَا جِسْمَانِي وَالْآخَرُ  
 رُوحَانِي مُتَزَجٌّ بِهِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُزْءَيْنِ مَدَارِكُ مُخْتَصَّةٌ بِهِ وَالْمُدْرِكُ فِيهِمَا وَاحِدٌ  
 وَهُوَ أَجْزَاءُ الرُّوحَانِي يَدْرِكُ تَارَةً مَدَارِكَ رُوحَانِيَّةً وَتَارَةً مَدَارِكَ جِسْمَانِيَّةً إِلَّا أَنَّ  
 الْمَدَارِكَ الرُّوحَانِيَّةِ يَدْرِكُهَا بِذَاتِهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَالْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةِ بِوَاسِطَةِ آلَاتِ  
 الْجِسْمِ مِنَ الدِّمَاغِ وَالْحَوَاسِ وَكُلُّ مُدْرِكٍ فَلَهُ ابْتِهَاجٌ بِمَا يَدْرِكُهُ وَاعْتِبَرُهُ بِحَالِ الصَّبِيِّ  
 فِي أَوَّلِ مَدَارِكِهِ الْجِسْمَانِيَّةِ الَّتِي فِي بِوَاسِطَةٍ كَيْتَ يَتَبَّحُّ بِمَا يُبْصِرُهُ مِنَ الصُّورِ وَبِمَا  
 يَسْمَعُهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِبْتِهَاجَ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي لِلنَّفْسِ مِنْ ذَاتِهَا بِغَيْرِ  
 وَاسِطَةٍ يَكُونُ أَشَدَّ وَالَّذِ فَالْنَّفْسُ الرُّوحَانِيَّةُ إِذَا شَعَرَتْ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ  
 ذَاتِهَا بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ حَصَلَ لَهَا ابْتِهَاجٌ وَلَذَلِكَ لَا يُعْبَرُ عَنْهُمَا وَهَذَا الْإِدْرَاكِ لَا يَحْصُلُ بِنَظَرٍ وَلَا  
 عِلْمٍ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِكَشْفِ حِجَابِ الْحِسِّ وَنَسْيَانِ الْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ وَالْمَتَصَوِّفَةُ  
 كَثِيرًا مَا يُعْتَوْنَ بِحُصُولِ هَذَا الْإِدْرَاكِ لِلنَّفْسِ بِحُصُولِ هَذِهِ الْعَجْجَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِأَرْبَاضَةٍ  
 إِمَانَةً الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ وَمَدَارِكِهَا حَتَّى الْفِكْرِ مِنَ الدِّمَاغِ وَيَحْصُلُ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكِهَا الَّذِي  
 لَهَا مِنْ ذَاتِهَا عِنْدَ زَوَالِ الشَّوَاغِبِ وَالْمَوَانِعِ الْجِسْمَانِيَّةِ يَحْصُلُ لَهُمْ بِتَجَمُّعٍ وَلَذَلِكَ لَا يُعْبَرُ  
 عَنْهُمَا وَهَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ بِتَقْدِيرِ صَحَّتِهِ مُسَلَّمٌ لَهُمْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ وَافٍ بِمَقْصُودِهِمْ فَأَمَّا  
 قَوْلُهُمْ إِنَّ الْبَرَاهِينَ وَالْأَدَلَّةَ السَّقْلِيَّةَ مُحْصَلَةٌ لِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالِإِبْتِهَاجِ عَنْهُ فَبَاطِلٌ  
 كَمَا رَأَيْتُهُ إِذِ الْبَرَاهِينُ وَالْأَدَلَّةُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لَا تَهَا بِالْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ  
 مِنَ الْخَيَالِ وَالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَعْنِي بِهِ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْإِدْرَاكِ  
 إِمَانَةً هَذِهِ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا مُنَازَعَةٌ لَهُ فَادِرَّةٌ فِيهِ وَتَجِدُ الْمَاهِرَ مِنْهُمْ عَاكِفًا

عَلَى كِتَابِ السَّاءِ وَالْإِشَارَاتِ وَالنَّجَاءِ وَتَلَاحِيصِ آيِنِ رُشْدِ الْقَصْرِ مِنْ تَأْلِيفِ أَرْسَطُو  
وغيره يُعْبَرُ أَوْزَاقَهَا وَيَتَوَقَّعُ مِنْ بَرَاهِينِهَا وَيَلْتَمِسُ هَذَا الْقِسْطَ مِنَ السَّعَادَةِ فِيهَا وَلَا  
يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَكْثِرُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَوَانِعِ عَنْهَا وَمُسْتَنْدَمٌ فِي ذَلِكَ مَا يَقُولُونَهُ عَنْ  
أَرْسَطُو وَالْفَارَابِيِّ وَأَبْنِ سِينَانَ مَنْ حَصَلَ لَهُ إِدْرَاكُ الْعَقْلِ الْفَعَالِ وَتَصَلَّ بِهِ فِي حَوَائِجِهِ  
فَقَدْ حَصَلَ حَظُّهُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ وَالْعَقْلُ الْفَعَالُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ أَوَّلِ رُتْبَةٍ يَكْشِفُ  
عَنْهَا الْحَيْسُ مِنْ رُتَبِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيَحْمِلُونَ الْإِتِّصَالَ بِالْعَقْلِ الْفَعَالِ عَلَى الْإِدْرَاكِ الْعِلْمِيِّ  
وَقَدْ رَأَيْتُ فَسَادَهُ وَإِنَّمَا بَعْضُ أَرْسَطُو وَأَصْحَابِهِ بِذَلِكَ الْإِتِّصَالَ وَالْإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ النَّفْسِ  
الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَيَغْيِرُ وَاسْطَةً وَهُوَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا يَكْشِفُ حِجَابَ الْحَيْسِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
إِنْ أَلْبَهَجَ النَّاسُ عَنْ هَذَا الْإِدْرَاكِ فِي عَيْنِ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا فَبَاطِلٌ أَيْضًا لِأَنَّا  
إِنَّمَا تَبَيَّنَ لَنَا بِمَا قَرَرُوهُ أَنَّ وَرَاءَ الْحَيْسِ مَدْرَكًا آخَرَ لِلنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةٍ وَأَنَّهَا يَتَّبِعُ  
بِإِدْرَاكِهَا ذَلِكَ أَتْبَهَاجًا شَدِيدًا وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ لَنَا أَنَّهُ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْآخِرُوبَةِ وَلَا بُدَّ  
بَلْ فِي مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَذَّاتِ الَّتِي لِتِلْكَ السَّعَادَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنْ السَّعَادَةُ فِي إِدْرَاكِ هَذِهِ  
الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا فِي عَلَيْهِ فَقَوْلُ بَاطِلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا كُنَّا قَدْ مَنَاهُ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ  
الْأَوْهَامِ وَالْأَعْلَاطِ فِي أَنَّ الوجودَ عِنْدَ كُلِّ مَدْرَكٍ مُتَحَصِّرٌ فِي مَدْرَكِهِ وَبَيْنَا فَسَادَ  
ذَلِكَ وَإِنْ الوجودَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ أَوْ يُسْتَوْفَى إِدْرَاكُهُ بِحِمْلَتِهِ رُوحَانِيًّا أَوْ جَسَدِيًّا  
وَالَّذِي يَحْصُلُ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَرْنَاهُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الْجُزْءَ الرُّوحَانِيَّ إِذَا فَارَقَ الْقُوَى  
الْجَسَدِيَّةَ أَدْرَكَ إِدْرَاكَ ذَاتِهَا لَهُ مُخْتَصًّا بِصِنْفٍ مِنَ الْمَدْرَكِ وَهِيَ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي  
أَحَاطَ بِهَا عِلْمُنَا وَلَيْسَ يَعْلَمُ الْإِدْرَاكِ فِي الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا إِذْ لَمْ تَتَحَصَّرْ وَأَنَّهُ يَتَّبِعُ  
بِذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْإِدْرَاكِ أَتْبَهَاجًا شَدِيدًا كَمَا يَتَّبِعُ الصَّبِيُّ مَدْرَكَةَ الْحَسْبَةِ فِي أَوَّلِ  
نُشُوءِهِ وَمَنْ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ بِإِدْرَاكِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ أَوْ بِحِصُولِ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
بِهَا الشَّارِعُ إِنْ لَمْ تَعْمَلْ لَهَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعِدُونَ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنْ الْإِنْسَانُ مُسْتَقِلٌّ  
بِتَهْدِيبِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِهَا بِمَلَائِكَةِ التَّحْمُودِ مِنَ الْخَلْقِ وَمُحَابَبَةِ الْمَذْمُومِ فَأَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى  
أَنَّ أَتْبَهَاجَ النَّفْسِ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا هُوَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا لِأَنَّ  
الرِّذَائِلَ عَاقِبَةُ النَّفْسِ عَنْ تَمَامِ إِدْرَاكِهَا ذَلِكَ بِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْجَسَدِيَّةِ  
وَالْوَانِيَا وَقَدْ يَبَيَّنَ أَنَّ أَثَرَ السَّعَادَةِ وَالشَّعَافَةِ مِنْ وَرَاءِ الْإِدْرَاكِ الْجَسَدِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ

فَهَذَا التَّهْدِيَةُ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِنَّمَا تَقَعُهُ فِي الْبَعْجَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
الرُّوحَانِيِّ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ عَلَى مَقَابِسِ وَقَوَائِنِ وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
بِهَا الشَّارِعُ عَلَى امْتِنَالِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ فَأَمْرٌ لَا يُحِيطُ بِهِ مَدَارِكُ  
الْمُدْرِكِينَ وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ زَعِيمُهُمْ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سِينَا فَقَالَ فِي كِتَابِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ  
مَا مَعْنَاهُ إِنَّ الْمَعَادَ الرُّوحَانِيَّ وَأَحْوَالَهُ هُوَ مَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْبُرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَقَابِسِ  
لِأَنَّهُ عَلَى نِسْبَةِ طَبِيعَتِهِ مَحْفُوظَةٌ وَوَتِيرَةٌ وَاحِدَةٌ فَلَنَا فِي الْبُرَاهِينِ عَلَيْهِ سَعَةٌ وَأَمَّا الْمَعَادُ  
الْجَسْمَانِيُّ وَأَحْوَالُهُ فَلَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بِالْبُرْهَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ وَقَدْ  
بَسَطْنَاهُ لَنَا الْبُرْهَانَةَ الْحَقَّةَ الْحَقْدِيَّةَ فَلْيَنْظُرْ فِيهَا وَلْيَرْجِعْ فِي أَحْوَالِهِ إِلَيْهَا فَهَذَا الْعِلْمُ  
كَأَنَّ رَأْيَهُ غَيْرَ وَافٍ بِمَقاصِدِهِمُ الَّتِي حَرَمُوا عَلَيْهَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرَائِعِ وَظَوَاهِرِهَا  
وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا عِلْمُنَا إِلَّا ثَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ شَحْدُ الَّذِينَ فِي تَرْتِيبِ الْأَدَلَّةِ وَالْحُجَجِ  
لِتَحْمِيلِ مَلَكَتِ الْجُودَةِ وَالصَّوَابِ فِي الْبُرَاهِينِ وَذَلِكَ أَنْ نَنْظُمَ الْمَقَابِسَ وَتَرْكِيبَهَا  
عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ وَالْإِنْفَاقِ هُوَ كَمَا قَرَّرْطُوهُ فِي صِنَاعَتِهِمُ الْمُنَظِّقِيَّةَ وَقَوْلُهُمْ بِذَلِكَ  
فِي عُلُومِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ وَهُمْ كَثِيرًا مَا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي عُلُومِهِمُ الْحِكْمِيَّةِ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالنَّاعِلِيَّةِ وَمَا بَعْدَهَا فَيَسْتَنْوِلِي النَّظَارُ فِيهَا بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْبُرَاهِينِ بِشُرُوطِهَا عَلَى  
مَلَكَتِ الْإِنْفَاقِ وَالصَّوَابِ فِي الْحُجَجِ وَالْإِسْتِدِلَالَاتِ لِأَنَّهُا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ وَافِيَةٍ  
بِمَقْصُودِهِمْ فَهِيَ أَصَحُّ مَا عِلْمَانَهُ مِنْ قَوَائِنِ الْأَنْظَارِ هَذِهِ ثَمَرَةٌ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ مَعَ  
الْإِطْلَاعِ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَرَائِهِمْ وَمَضَارِهَا مَا عِلِمَتْ فَلْيَكُنِ النَّظَارُ فِيهَا مَحْزَرًا  
جَهْدُهُ مِنْ مَعَاطِبِهَا وَلْيَكُنْ نَظَرُ مَنْ يَنْظُرُ فِيهَا بَعْدَ الْإِمْتِلَاعِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى  
التَّفْسِيرِ وَالْفَقْهِ وَلَا يَكُنْ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَهُوَ خَلُوٌّ مِنْ عُلُومِ الْمَلَكَةِ فَقُلْ أَنْ يَسْلَمَ لِلَّذِينَ مِنَ  
مَعَاطِبِهَا وَاللَّهُ الْمُؤَوِّقُ لِلصَّوَابِ وَلِلْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَيْهِ وَمَا كُنَّا نَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

### الفصل الخامس والعشرون

في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها  
هَذِهِ الصِّنَاعَةُ يَزْعُمُ أَصْحَابُهَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِهَا الْكَائِنَاتِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ قَبْلَ حُدُوثِهَا  
مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرِهَا فِي الْمَوْلِدَاتِ الْعَنْصَرِيَّةِ مُفْرَدَةً وَتَجْمِيعَةً  
فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوْضَاعُ الْأَفْلَاكِ وَالْكَوَاكِبِ دَلَالَةً عَلَى مَا سَيَعْدُثُ مِنْ تَوَعُّدٍ مِنْ أَنْوَاعٍ

الْكَائِنَاتِ الْكُلِّيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ فَالْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَعْرِفَةَ قُوَى الْكَوَاكِبِ  
 وَتَأْثِيرَاتِهَا بِالتَّجَرُّبَةِ وَهُوَ أَمْرٌ مُقْصَرٌ الْأَعْمَارُ كُلُّهَا لَوْ اجْتَمَعَتْ عَنْ تَحْصِيلِهِ إِذِ التَّجَرُّبَةُ  
 إِنَّمَا تَحْصُلُ فِي الْأَمْرَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ بِالتَّكَرُّارِ لِيَحْصَلَ عَنْهَا الْعِلْمُ أَوْ الظَّنُّ وَأَدْوَارُ  
 الْكَوَاكِبِ مِنْهَا مَا هُوَ طَوِيلٌ الزَّمَنِ فَيَحْتَاجُ تَكَرُّرَهُ إِلَى آمَادٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ  
 يَتَقَصَّرُ عَنْهَا مَا هُوَ طَوِيلٌ مِنْ أَعْمَارِ الْعَالَمِ وَزَيْدًا ذَهَبَ ضَعْفًا مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ  
 قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرَاتِهَا كَانَتْ بِالْوَحْيِ وَهُوَ رَأْيٌ قَائِلٌ وَقَدْ كَفَوْنَا مُؤْنَةَ إِبْطَالِهِ  
 وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَدِلَّةِ فِيهِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ  
 الصَّنَائِعِ وَأَنْهُمْ لَا يَتَعَرَّضُونَ لِلِإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَنِ اللَّهِ فَكَيْفَ  
 يَدْعُونَ اسْتِنْبَاطَهُ بِالصَّنَاعَةِ وَيُشِيرُونَ بِذَلِكَ لِتَابِعِيهِمْ مِنَ الْخَلْقِ وَأَمَّا بَطْلَانُ وَمَنْ  
 تَبِعَهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فَيَرَوْنَ أَنَّ دَلَالََةَ الْكَوَاكِبِ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةٌ طَبِيعِيَّةٌ مِنْ قِبَلِ زَوَاجِ  
 يَحْصُلُ لِلْكَوَكِبِ فِي الْكَائِنَاتِ الْعَنْصَرِيَّةِ قَالِ لِأَنَّ فِعْلَ الْيَدَيْنِ وَأَثَرَهُمَا فِي الْعَنْصَرِيَّاتِ  
 ظَاهِرٌ لَا يَسَعُ أَحَدًا جَعْدُهُ مِثْلُ فِعْلِ الشَّمْسِ فِي تَبْدُلِ الْفُصُولِ وَأَمْرِ جَبْهَتِهَا وَتَضْجِعِ الْفُجَارِ  
 وَالزَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِعْلُ الْقَمَرِ فِي الرُّطُوبَاتِ وَالْمَاءِ وَإِنْصَاجِ الْمَوَادِّ الْمُتَعَفِّفَةِ  
 وَقَوَاكِهِ الْقِيَامِ وَسَائِرِ أَعْمَالِهِ ثُمَّ قَالَ وَلَنَّا فِينَا بَعْدَهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ طَرِيقَانِ الْأَوَّلَى التَّقْلِيدُ  
 لِمَنْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ مِنْ أَيْمَةِ الصَّنَاعَةِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُقْبِعٍ لِلنَّفْسِ الثَّانِيَةِ الْحَدْسُ وَالتَّجَرُّبَةُ  
 بِقِيَاسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى التَّيْرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي عَرَفْنَا طَبِيعَتَهُ وَأَثَرَهُ مَعْرِفَةُ ظَاهِرَةٍ  
 فَتَنْظُرُ هَلْ يَزِيدُ ذَلِكَ الْكَوَاكِبُ عِنْدَ الْقَرَانِ فِي قُوَّتِهِ وَمَزَاجِهِ فَتَعْرِفُ مُوَافَقَتَهُ لَهُ فِي  
 الطَّبِيعَةِ أَوْ يَنْقُصُ عَنْهَا فَتَعْرِفُ مُضَادَّتَهُ ثُمَّ إِذَا عَرَفْنَا قُوَاهَا مُفْرَدَةً عَرَفْنَاها مُرَكَّبَةً وَذَلِكَ  
 عِنْدَ تَنَاوُلِهَا بِأَشْكَالِ الثَّلَاثِ وَالتَّرْبِيعِ وَغَيْرِهَا وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ طَبَائِعِ  
 الْبُرُوجِ بِالْقِيَاسِ أَيْضًا إِلَى التَّيْرِ الْأَعْظَمِ وَإِذَا عَرَفْنَا قُوَى الْكَوَاكِبِ كُلِّهَا فَهِيَ  
 مُؤَثِّرَةٌ فِي الْهَوَاءِ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ وَالْمَزَاجُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْهَا لِلْهَوَاءِ يَحْصُلُ لِمَا تَحْتَهُ مِنَ  
 الْمَوْلَدَاتِ وَتَتَخَلَّقُ بِهِ النُّطْفُ وَالْبُرْزُ فَتَصِيرُ حَالًا لِلْبَدَنِ الْمَتَكُونِ عَنْهَا وَلِلنَّفْسِ  
 أَلَّا تَعْلَقَ بِهِ الْفَاضِيَّةُ عَلَيْهِ الْمُمْكِنَةُ لِمَا لَهَا مِنْهُ وَلِمَا يَتَّبِعُ النَّفْسَ وَالْبَدَنَ مِنَ الْأَحْوَالِ  
 لِأَنَّ كَيْفِيَّاتِ الْبُرْزَةِ وَالنُّطْفَةِ كَيْفِيَّاتٌ لِمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُمَا وَيَنْشَأُ مِنْهُمَا قَالِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ  
 ظَنِّي وَآيَسٌ هُوَ أَيْضًا مِنَ الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ بِعَيْنِ الْقَدَرِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ

الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَائِنِ وَالْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ سَابِقٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا مُحْصَلُ كَلَامِ بَطْلَيْمُسَ وَأَصْحَابِهِ وَهُوَ مَنْصُوصٌ فِي كِتَابِهِ الْأَرْبَعِ وَغَيْرِهِ وَمِنْهُ بَيِّنٌ ضَعْفُ مَذْرُوكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ الْكَائِنَ أَوْ الظَّنَّ بِهِ إِنَّمَا يَحْصُلُ عَنِ الْعِلْمِ بِجُمْلَةٍ أَسْبَابِيَّةٍ مِنَ الْفَاعِلِ وَالْقَابِلِ وَالصُّورَةِ وَالْقَابِلَةِ عَلَى مَا يَبَيِّنُ فِي مَوْضِعِهِ وَالْقُوَى النُّجُومِيَّةُ عَلَى مَا قَرَّرُوهُ إِنَّمَا هِيَ فَاعِلَةٌ فَقَطْ وَالْجُزْءُ الْمَضْرُوبُ هُوَ الْقَابِلُ ثُمَّ إِنْ الْقُوَى النُّجُومِيَّةُ لَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلُ بِجُمْلَتِهَا بَلْ هُنَاكَ قُوَى أُخْرَى فَاعِلَةٌ مَعَهَا فِي الْجُزْءِ الْمَادِيِّ مِثْلُ قُوَّةِ التَّوَلِيدِ لِلْأَلْبِ وَالنُّوْعِ الَّتِي فِي الثُّنْطَةِ وَقُوَى الْخَاصَّةِ الَّتِي تَمَيِّزُ بِهَا صِنْفٌ مِنَ النُّوْعِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَالْقُوَى النُّجُومِيَّةُ إِذَا حَصَلَ كَمَا لَهَا وَحَصَلَ الْعِلْمُ فِيهَا إِنَّمَا هِيَ فَاعِلٌ وَاحِدٌ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الْفَاعِلَةِ لِلْكَائِنِ ثُمَّ إِنَّهُ يَشْتَرِطُ مَعَ الْعِلْمِ بِقُوَى النُّجُومِ وَتَأْثِيرَاتِهَا زَيْدٌ حَدْسٌ وَتَحْمِينٌ وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ عِنْدَهُ الظَّنُّ بِوُقُوعِ الْكَائِنِ وَالْحَدْسُ وَالتَّحْمِينُ قُوَى لِلنَّاطِلِ فِي فِكْرِهِ وَلَيْسَ مِنْ عِلَلِ الْكَائِنِ وَلَا مِنْ أَصُولِ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا فَقَدَ هَذَا الْحَدْسُ وَالتَّحْمِينُ رَجَعَتْ أَدْرَاجُهَا عَنِ الظَّنِّ إِلَى الشَّكِّ هَذَا إِذَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِالْقُوَى النُّجُومِيَّةِ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ تَعَارِضْهُ آفَةٌ وَهَذَا مُعَوِّزٌ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ حِسَابَاتِ الْكَوَاكِبِ فِي سِيرِهَا اِشْتَرَفَ بِهِ أَوْضَاعُهَا وَلِمَا أَنَّ اخْتِصَاصَ كُلِّ كَوْكَبٍ بِقُوَّةٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَمَذْرُوكِ بَطْلَيْمُسَ فِي إِنْهَاتِ الْقُوَى لِلْكَوَاكِبِ الْخَمْسَةِ بِقِيَاسِهَا إِلَى الشَّمْسِ مَذْرُوكِ ضَعِيفٌ لِأَنَّ قُوَّةَ الشَّمْسِ غَالِبَةٌ لَجَمِيعِ الْقُوَى مِنَ الْكَوَاكِبِ وَمُسْتَوَلِيَّةٌ عَلَيْهَا فَقُلْ أَنْ يُشْعَرَ بِالزَّيَادَةِ فِيهَا أَوْ الْقُصَاةِ مِنْهَا عِنْدَ الْمَقَارَنَةِ كَمَا قَالَ وَهَذِهِ كُلُّهَا فَادْرَحَةٌ فِي تَعْرِيفِ الْكَائِنَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي عَالَمِ الْفَنَاصِرِ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ ثُمَّ إِنْ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ فِيهَا تَحْتَجُّ بِأَبْطَلٍ إِذْ قَدْ تَبَيَّنَ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ أَنَّ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ بِطَرِيقِ اسْتِدْلَالِيٍّ كَمَا رَأَيْتَهُ وَاحْتَجَّ لَهُ أَهْلُ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَا هُوَ غَيْبٌ عَنِ الْبَيَانِ مِنْ أَنَّ إِسْنَادَ الْأَسْبَابِ إِلَى الْمُسَبِّبَاتِ مَجْهُولُ الْكَيْفِيَّةِ وَالْعَقْلُ مِنْهُمْ عَلَى مَا بُقِصَ بِهِ فِيمَا بَطَّهَرُ بَادِي الرَّاْيِ مِنَ التَّأْثِيرِ فَلَعَلَّ اسْتِنَادَهَا عَلَى غَيْرِ صُورَةِ التَّأْثِيرِ الْمُتَعَارَفِ وَالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ رَاطِبَةٌ بَيْنَهُمَا كَمَا رَاطَبَتْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ عُلُوًّا وَسَفَلًا سِيَمًا وَالشَّرْعُ يَرُدُّ الْحَوَادِثَ كُلُّهَا إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَبْرَأُهَا سِوَى ذَلِكَ وَالْبُتُونُ أَيْضًا مَنْكُورَةٌ لِسَانِ النُّجُومِ وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاسْتَفْرَغَ الشَّرْعِيَّاتِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يُخْفَيَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا

لِحَاكِيهِ وَفِي قَوْلِهِ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ فَاَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ  
وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ بِالْكَوَافِرِ وَامَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنُورٍ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ  
بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَافِرِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فَقَدْ بَانَ لَكَ بُطْلَانُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنْ طَرِيقِ  
الْتَرَجُعِ وَضَعْتُ مَدَارِكَهَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ مَعَ مَا لَهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي النُّمُرَانِ  
الْإِنْسَانِي يَمَا تَبَعْتُ مِنْ عَقَائِدِ الْعَوَامِّ مِنَ الْفَسَادِ إِذَا اتَّفَقَ الصِّدْقُ مِنْ أَحْكَامِهَا فِي  
بَعْضِ الْأَحْيَانِ اتَّفَاقًا لَا يَرْجِعُ إِلَى تَعْلِيلٍ وَلَا تَحْقِيقٍ فَيُطْلَعُ بِذَلِكَ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ وَيُظَنُّ  
أَطْرَادَ الصِّدْقِ فِي سَائِرِ أَحْكَامِهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَيَقَعُ فِي رَدِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى غَيْرِ خَالِفِهَا ثُمَّ  
مَا يَنْشَأُ عَنْهَا كَثِيرًا فِي الدُّوَلِ مِنْ تَوَقُّعِ الْقَوَاطِعِ وَمَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ ذَلِكَ التَّوَقُّعُ مِنْ  
تَطَاوُلِ الْأَعْدَاءِ وَالْمُتَرَبِّصِينَ بِالذُّوَلَةِ إِلَى الْفَنَاءِ وَالتَّوَرَّةِ وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا  
فَيَبْغِي أَنْ تُحَظَرَ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ النُّمُرَانِ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي  
الدِّينِ وَالدُّوَلِ وَلَا يَبْدَحُ فِي ذَلِكَ كَوْنُ وَجُودِهَا طَبِيعِيًّا لِلْبَشَرِ بِمُقْتَضَى مَدَارِكِهِمْ  
وَعُلُومِهِمْ فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ طَبِيعَتَانِ مَوْجُودَتَانِ فِي الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ تَزَعُّمُهُمَا وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ  
التَّكْلِيفُ بِأَسْبَابِ حُصُولِهِمَا فَيَتَعَيَّنُ السَّعْيُ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ بِأَسْبَابِهِ وَدَفْعِ  
أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْمَضَارِّ هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَقَاسِدَ هَذَا الْعِلْمِ وَمَضَارَّهُ وَلَيْسَ  
مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً فِي نَفْسِهَا فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ تَحْصِيلَ  
عِلْمِهَا وَلَا مَلَكَتِهَا بَلْ إِنْ نَظَرَ فِيهَا نَظَرٌ وَظَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ فِي  
نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمَّا حَظَرَتْ النَّظَرَ فِيهَا فَقَدْ الْأَجْتِمَاعُ مِنْ أَهْلِ النُّمُرَانِ لِقِرَاءَتِهَا  
وَالْتَعَلُّقِ لَتَعَلُّقِهَا وَصَارَ الْمَوْلُغُ بِهَا مِنَ النَّاسِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَأَقْلُ مِنَ الْأَقْلِ إِنَّمَا يُطَالِعُ  
كُتُبَهَا وَمَقَالَتِهَا فِي كِسْرِ يَتِيمِهِ مُتَسَرِّيًا عَنِ النَّاسِ وَتَحْتَ رِبْقَةِ الْجُمْهُورِ مَعَ تَشَعُّبِ  
الصَّنَاعَةِ وَكَثَرَةِ فُرُوعِهَا وَأَعْيَانِهَا عَلَى الْقَهْمِ فَكَيْفَ يَحْصُلُ مِنْهَا عَلَى طَائِلٍ وَنَحْنُ  
نُحِبُّ الْفَقْهَ الَّذِي عَمَّ تَعَمُّهُ دِينًا وَدُنْيَا وَمَهَلَتْ مَا خِذَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَعَكَفَتْ  
الْجُمْهُورُ عَلَى قِرَائَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ ثُمَّ بَعْدُ التَّحْقِيقِ وَالتَّجَمُّعِ وَطُولِ الْمُدَاسَةِ وَكَثَرَةِ التَّجَالِسِ  
وَتَعَدُّدِهَا إِنَّمَا يَحْدُقُ فِيهِ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَجْيَالِ فَكَيْفَ يُعْلَمُ  
مَهْجُورٌ لِلشَّرِيعَةِ مُضْرُوبٌ دُونَهُ سَدُّ الْخَطَرِ وَالْتَحَرُّمُ مَكْتُومٌ عَنِ الْجُمْهُورِ صَعْبُ  
الْمَاخِذِ مُتَعَايِجُ بَعْدَ الْمُمَارَسَةِ وَالتَّحْصِيلِ لِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ إِلَى مَزِيدٍ حَدَسٍ وَتَضْمِينِ



بِكَتِفَانٍ بِهِ مِنَ النَّاطِرِ فَإِنَّ التَّحْصِيلَ وَالْحَذَقُ فِيهِ مَعَ هَذِهِ كُلِّهَا وَمَدْعَى ذَلِكَ مِنَ  
النَّاسِ مَرْدُودٌ عَلَى عَقِبِهِ وَلَا شَاحِدَ لَهُ يَقُومُ بِذَلِكَ لِقَرَابَةِ الْقَتْلِ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَقَلَّةِ  
سَمَلَتِهِ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ لَكَ صِحَّةُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ  
احْدًا . وَمِمَّا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْقَصْرِ عِنْدَمَا غَلَبَ الْعَرَبُ  
عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَحَاصِرُوهُ يَا أَقْبِرُوا وَكَثُرَ إِزْجَافُ الْقَرِيبِينَ الْأَوْلِيَاءِ  
وَالْأَعْدَاءِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ الرُّوحِيُّ مِنْ شُعْرَاءِ أَهْلِ تُونِسَ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ  
أَصْبَحُ فِي تُونِسَ وَأُنْسِي  
الْخَوْفَ وَالْجُوعَ وَالْمَنَابَا  
وَالنَّاسُ فِي مِرْيَةٍ وَحَرْبٍ  
فَأَحْمَدِي يَرْسِي عَلَيَّ  
وَأَخْرَجَهُ قَالَ سَوْفَ يَأْتِي  
وَاللَّهُ مِنْ قَوْيَ ذَا وَهَلَا  
يَا رَاصِدَ الْخَنَسِ الْجَوَارِي  
مَطْلَعُمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ  
مَرَّ خَمِيسٍ عَلَى خَمِيسٍ  
وَنِصْفَ شَهْرٍ وَعَشْرُ ثَانٍ  
وَلَا نَرَى غَيْرَ زُورٍ قَوْلٍ  
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا  
رَضِيتُ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا  
مَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ السُّوَارِي  
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ لِقَضَائِي  
ضَلَّتْ عَقُولُ تَرَى قَدِيمًا  
وَحَكَمْتُ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا  
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِذَا مَرَّ

قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْمَنَاءُ  
وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ  
يُحْدِثُنَا الْمَرْجُ وَالْوَبَاءُ  
وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْعَمْرَاءُ  
حَلَّ بِهِ الْهَلَاكُ وَالْتَوَاءُ  
بِهِ إِلَيْكُمْ صَبَا رَحَاهُ  
يَقْضِي لِعَبْدِيهِ مَا يَشَاءُ  
مَا فَعَلْتُ هَذِهِ السَّمَاءُ  
أَنْتُمْ الْيَوْمَ أَمْلِيَاءُ  
وَجَاءَ سَبْتُ وَأَرْبَعَاهُ  
وَتَالَتْ ضَمَّةُ الْقَضَاءِ  
أَذَاكَ جَهْلُ أُمِّ أَرْدَرَاهُ  
أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ  
حَسْبُكُمْ الْبَذَرُ أَوْ ذُكَاةُ  
إِلَّا عِبَادِي أَوْ إِمَاءُ  
وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى أَقْضَاهُ  
مَا شَأْنُهُ الْجَزْمُ وَالْفَنَاءُ  
يُحْدِثُهُ الْمَاءُ وَالْمَوَاهُ  
تَغْدُوهُمْ تَرْبَةُ وَمَاهُ

اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَدْرِي      مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاةُ  
 وَلَا أَلْمِيحِي الَّتِي تُنَادِي      مَا لِي عَنْ صُورَةِ عَرَاهِ  
 وَلَا وَجُودُ وَلَا انْعِدَامُ      وَلَا ثُبُوتُ وَلَا انْتِفَاءُ  
 وَالْكَسْبُ لَمْ أَذْرِفِهِ إِلَّا      مَا جَلَبَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاهُ  
 وَإِنَّمَا مَذْهَبِي وَدِينِي      مَا كَانَتْ لِلنَّاسِ أَوْلِيَاهُ  
 إِذْ لَا فُصُولَ وَلَا أَصُولَ      وَلَا جِدَالَ وَلَا رِيَاهُ  
 مَا تَبِعَ الصَّدْرُ وَأَقْتَفَيْنَا      يَا حَبْدًا كَانَتْ الْأَقْفَاهُ  
 كَانُوا كَمَا يَعْلَمُونَ مِنْهُمْ      وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْهَلْدَاهُ  
 يَا أَشْعَرِي الزَّمَانِ إِنِّي      أَذْهَرَنِي الصَّبْفُ وَالشَّيَاهُ  
 لَمْ أَجْزْ بِالْشَّرِّ غَيْرَ شَرِّ      وَالْخَيْرِ عَنْ مِثْلِهِ جَزَاهُ  
 وَإِنِّي إِنْ أَكُنْ مُطِيعًا      فَلَسْتُ أَغْصَى وَلِي رَجَاهُ  
 وَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِ بَارٍ      أَطَاعَهُ الْعَرْشُ وَالْثَرَاهُ  
 لَيْسَ انْتِصَادُ بِيكُمْ وَلَكِنْ      أَتَاهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاهُ  
 لَوْ حَدِثَ الْأَشْعَرِيُّ عَمَّنْ      لَهُ إِلَى رَأْيِهِ انْتِمَاهُ  
 لَقَالَ أَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي      مِمَّا يَقُولُونَهُ بَرَاهُ

### الفصل السادس والشرور

في انكار ثمة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفسد عن انتحالها

إَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَاجِزِينَ عَنْ مَعَايِسِهِمْ تَحْمِلُهُمُ الْمَطَامِعُ عَلَى انْتِحَالِ هَذِهِ  
 الصَّنَائِعِ وَيَرَوْنَ أَنَّهَا أَحَدُ مَذَاهِبِ الْعَمَاشِ وَوُجُوهِهِ وَأَنَّ اقْتِنَاءَ الْمَالِ مِنْهَا أَيْسَرُ  
 وَآمَنُ عَلَى مُتَبِعِيهِ فَيَزْتَكِيُونَ فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِ وَالشَّاقِ وَمَعَانَاةِ الصَّعَابِ وَعَسْفِ  
 الْحُكْمِ وَخِسَارَةِ الْأَمْوَالِ فِي الْتَفَقَاتِ زِيَادَةِ عَلَى الْبَيْتِ مِنَ غَرَضِهِ وَالْعَطَبِ آخِرًا  
 إِذَا ظَهَرَ عَلَى خَبِيَّةٍ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا وَإِنَّمَا أَطْمَعُهُمْ فِي ذَلِكَ رُؤْيَا أَن  
 الْمَعَادِنَ سَتَحِيلُ وَيَنْقَلِبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ الْمَادَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ فَيَقُولُونَ بِالْعِلَاجِ  
 صَبْرُورَةِ الْقَيْضَةِ ذَهَبًا وَالنَّحَاسِ وَالْقَصْدِيرِ قَيْضَةً وَيَحْسِبُونَ أَنَّهَا مِنْ مُمْكِنَاتِ عَالَمِ  
 الطَّبِيعَةِ وَلَهُمْ فِي عِلَاجِ ذَلِكَ طُرُقٌ مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ فِي التَّنْذِيرِ وَصُورَتِهِ

وَفِي الْمَادَّةِ الْمَوْضُوعَةِ عَنْهُمْ لِلْعِلَاجِ الْمُسَمَّاةِ عَنْهُمْ بِالْعَجْرِ الْمُكْرَمِ هَلْ فِي  
الْمُدَّةِ أَوْ الدَّمِ أَوْ الشَّعْرِ أَوْ الْبَيْضِ أَوْ كَذَا أَوْ كَذَا مَا سِوَى ذَلِكَ وَجُمْلَةُ التَّدْبِيرِ  
عِنْدَهُمْ بَعْدَ تَعْيِينِ الْمَادَّةِ أَنْ تُعْمَى بِالْقَهْرِ عَلَى حَجَرٍ صَلَدِ أَمْلَسَ وَتُسْقَى أَثْنَاءَ إِمْتِنَانِهَا  
بِالْمَاءِ وَبَعْدَ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَقَائِرِ وَالْأَدْوِيَةِ مَا يَنْسَبُ الْقَصْدَ مِنْهَا وَيُؤْتَرُ فِي  
أَقْلَابِهَا إِلَى الْمَعْدِنِ الْمَطْلُوبِ ثُمَّ يُعْجَفُ بِالسَّسِ مِنْ بَعْدِ السَّقْيِ أَوْ تُطْبَخُ بِالْأَرَارِ أَوْ  
تُصَعَّدُ أَوْ تُكَلَّسُ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِيهَا أَوْ تُرَابُهَا فَإِذَا رَدِّيَ بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ عِلَاجِهَا وَتَمَّ  
تَدْبِيرُهُ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ أَصُولُ صَنَعَتِهِ حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ تَرَابٌ أَوْ مَرِيعٌ يَسْتَوْنُهُ  
الْإِكْسِيرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى الْفِضَّةِ الْحَمَاءِ بِالْأَرَارِ عَادَتْ ذَهَبًا أَوْ الْخَاسِ  
الْحَمَى بِالْأَرَارِ عَادَ فِضَّةً عَلَى مَا قُصِدَ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَيَزْعُمُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ  
الْإِكْسِيرَ مَادَّةٌ مَرْكَبَةٌ مِنَ الصَّانِعِ الْأَرْبَعَةِ حَصَلَ فِيهَا بِذَلِكَ الْعِلَاجِ الْخَاصُّ وَالتَّدْبِيرُ  
مِزَاجٌ ذُو قُوَى طَبِيعِيَّةٍ تُصَرِّفُ مَا حَصَلَ فِيهِ إِلَيْهَا وَتَقْلِبُهُ إِلَى صُورَتِهَا وَمِزَاجِهَا وَتَبْتُ  
فِيهِ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْكَفَيَّاتِ وَالْقُوَى كَالْحَمِيرَةِ لِلْخَيْزِ تَقْلِبُ الْعَجِينَ إِلَى ذَاتِهَا وَتَعْمَلُ  
فِيهِ مَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْإِنْفَاشِ وَالْمُشَاشَةِ لِيَحْسُنَ هَضْمُهُ فِي الْمَعِدَةِ وَيَسْتَجِبَ سَرِيعًا  
إِلَى الْغِنَاءِ وَكَذَا إِكْسِيدُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ الْمَعَادِنِ يَصْرِفُهُ إِلَيْهَا  
وَيَقْلِبُهُ إِلَى صُورَتِهَا هَذَا يَحْصُلُ زَعْمُهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ فَتَجِدُهُمْ عَاكِفِينَ عَلَى هَذَا الْعِلَاجِ  
يَبْتَغُونَ الرِّزْقَ وَالْمَعَاشَ فِيهِ وَيَتَنَاقَلُونَ أَحْكَامَهُ وَقَوَاعِدَهُ مِنْ كِتَابٍ لِأَيِّمَةِ الصَّنَاعَةِ  
مَنْ قَبْلَهُمْ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَتَنَظَّرُونَ فِي فَهْمِ لُغُوزِهَا وَكُشْفِ أَسْرَارِهَا إِذْ هِيَ فِي  
الْأَكْثَرِ تُشَبِّهُ الْمَعْمَى كِتَابُ جَابِرِ بْنِ حَبَّانٍ فِي رَسَائِلِهِ السَّعِينَ وَمَسَامَلَةِ الْعَجْرِ بِطَبِ  
فِي كِتَابِهِ رُتَبَةُ الْحَكِيمِ وَالطَّغْرَائِيَّ وَالْبَغْدَادِيَّ فِي قِصَائِهِ الْعَرَبِيَّةِ فِي إِجَادَةِ النِّظْمِ  
وَأَمْثَالِهَا وَلَا يَحْتَلُونَ مِنْ بَعْدِ هَذَا كُلِّهِ بِطَانِلِ مِنْهَا . فَقَاوَضْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا أَبَا الْبَرَكَاتِ  
التَّلْفِيغِيَّ كَبِيرَ مَشِيخَةِ الْأَنْدَلُسِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَوَقَفْتُهُ عَلَى بَعْضِ التَّالِيفِ فِيهَا فَتَصَدَّقَهُ  
طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي وَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَجُودَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا بِالْحَبِيبَةِ ثُمَّ مِنْهُمْ  
مَنْ يَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الدَّلْسَةِ فَقَطْ إِمَّا الظَّاهِرَةَ كَتَمُوهُ بِالْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ أَوْ الْخَاسِ  
بِالْفِضَّةِ أَوْ خَلَطَ لَهَا عَلَى نِسْبَةِ جُزْءٍ أَوْ جُزْءَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَلْفِيَّةٍ كَالْقَاءِ الشَّيْبِ بَيْنَ  
الْمَعَادِنِ بِالصَّنَاعَةِ مِثْلَ تَبْيِضِ الْخَاسِ وَتَلْيِيسِهِ بِالزُّوقِ الْمُصَعَّدِ فِيهِ جِسْمًا مَعْدِنًا

شَيْبًا بِالْفِضَّةِ وَيَخْفَى إِلَّا عَلَى الثَّقَادِ الْمَهْرَةِ فَيُقَدَّرُ أَصْحَابُ هَذِهِ الدَّاسِ مَعَ دُلَسْتِهِمْ  
هَذِهِ سَكَّةٌ يَسْتَرِبُونَهَا فِي النَّاسِ وَطَبَعُوهَا بِطَائِعِ السُّلْطَانِ تَمْوِيهَا عَلَى الْجُمْهُورِ بِالْخُلَاصِ  
وَهَوْلَاءُ أَحْسَنُ النَّاسِ حِرْفَةً وَأَسْوَأُهُمْ عَاقِبَةً لَتَلْبَسَهُمْ بِسَرِقَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ فَإِنْ صَاحَبَ  
هَذِهِ الدَّاسَةَ إِنَّمَا هُوَ يَدْفَعُ نَحْمَاسًا فِي الْفِضَّةِ وَفِضَّةً فِي الذَّهَبِ لِيَسْتَخْلِصَهَا لِنَفْسِهِ فَهُوَ  
سَارِقٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ السَّارِقِ وَمَعْظَمُ هَذَا الصِّنْفِ لَدَيْنَا بِالْمَغْرِبِ مِنَ طَلَبَةِ الْبَرِّ الْمُنْتَبِذِينَ  
بِأَطْرَافِ الْفَلَاحِ وَمَسَاكِينِ الْأَغْمَارِ يَا وَوُونَ إِلَى مَسَاجِدِ الْبَادِيَةِ وَيَعْمُوهُونَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ  
مِنْهُمْ بِأَنْ بِيَايِدِهِمْ صِنَاعَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّفُوسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّهِمَا وَالْأَسْتِهْلَاكِ سِيفٌ  
طَلَبَهَا فَيَجْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَعَاشٍ ثُمَّ يَنْتَقِي ذَلِكَ عِنْدَهُمْ تَحْتَ الْخُوفِ وَالرَّقْبَةِ إِلَى  
أَنْ يَظْهَرَ الْعَجْزُ وَتَقَعُ الْفَضِيحَةُ فَيَقْرَءُونَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ وَيَسْتَجِدُّونَ حَالًا أُخْرَى فِي  
أَسْتِهْوَاءِ بَعْضِ أَهْلِ الدُّنْيَا بِأَطَاعِهِمْ فِيمَا لَدَيْهِمْ وَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ فِي ابْتِغَاءِ مَعَاشِهِمْ  
وَهَذَا الصِّنْفُ لَا كَلَامَ مَعَهُمْ لِأَنَّهُمْ يَلْفُوا الْغَايَةَ فِي الْجَهْلِ وَالرَّدَاةَ وَالْأَخْرَافَ بِالسَّرِقَةِ  
وَلَا حَاسِبَ لِعَلَّتِهِمْ إِلَّا أَشْتَدَّادُ الْحُكَامِ عَلَيْهِمْ وَتَوَاتُلُهُمْ مِنْ حَيْثُ كَانُوا وَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ  
مَتَى ظَهَرُوا عَلَى شَأْنِهِمْ لِأَنَّ فِيهِ إِفْسَادًا لِلْسَّكَّةِ الَّتِي تَعْمُ بِهَا الْبُلُوى وَهِيَ مُمْتَوَلُ النَّاسِ  
كَكَافَّةِ السُّلْطَانِ مُكَلَّفٌ بِإِصْلَاحِهَا وَالْإِحْتِيَاظِ عَلَيْهَا وَالْأَشْدَادِ عَلَى مُفْسِدِهَا وَأَمَّا  
مَنْ اتَّعَلَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَلَمْ يَرْضَ بِحَالِ الدُّلَسَةِ بَلْ اسْتَنَكَفَ عَنْهَا وَتَزَهَّ عَنْ إِفْسَادِ  
سَكَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَقْوَدِهِمْ وَإِنَّمَا يَطْلُبُ إِحَالََةَ الْفِضَّةِ لِلذَّهَبِ وَالرَّصَاصِ وَالنَّعَاسِ  
وَالْقَصْدِيرِ إِلَى الْفِضَّةِ بِذَلِكَ اتَّخُو مِنَ الْعِلَاجِ وَبِالْإِكْسِيرِ الْخَاصِلِ عِنْدَهُ فَلَنَّا مَعَ هَوْلَاءِ  
مُتَكَلِّمٍ وَنَحْتُ فِي مَدَارِكِهِمْ لِلذِّكْرِ مَعَ أَنَّا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ ثُمَّ لَهُ هَذَا  
الْفَرَضُ أَوْ حَصَلَ مِنْهُ عَلَى بُغْيَةٍ إِنَّمَا تَذْهَبُ أَعْمَارُهُمْ فِي التَّدْبِيرِ وَالْقَهْرِ وَالصَّلَابَةِ  
وَالْتَصْيِيدِ وَالْكَلْبَسِ وَأَعْيَانِ الْأَخْطَارِ يَجْمَعُ الْعُقَاظِيرَ وَالنَّجَثَ عَنْهَا وَيَتَنَاقَلُونَ فِي ذَلِكَ  
حِكَايَاتٍ وَقَعَتْ لِعَيْرِهِمْ مِمَّنْ ثُمَّ لَهُ الْفَرَضُ مِنْهَا أَوْ وَقَفَ عَلَى الْأَوْصُولِ يَقْنَمُونَ بِأَسْمَاعِهَا  
وَالْمَفَاوِضَاتِ فِيهَا وَلَا يَسْتَرِبُونَ فِي تَصْدِيقِهَا شَأْنَ الْكَافِينَ الْمَغْرَمِينَ بِوَسَاوِسِ  
الْأَخْبَارِ فِيمَا يُكَلِّفُونَ بِهِ فَإِذَا سُئِلُوا عَنْ تَعْقِيقِ ذَلِكَ بِالْأَمَانَةِ أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا إِنَّمَا  
سَمِعْنَا وَلَمْ نَرَهُ كَذَا شَأْنُهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ وَجِيلٍ وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْخَالَ هَذِهِ الصَّنَعَةِ قَدِيمٌ  
فِي الْعَالَمِ وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهَا مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فَلَنَنْقُلَ مَذَاهِبَهُمْ فِي ذَلِكَ

ثُمَّ تَتْلُوهُ نَمَا يَظْهَرُ فِيهَا مِنَ التَّحْقِيقِ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ فَقُولُ إِنَّ مَبْنَى الْكَلَامِ  
 فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ عَلَى حَالِ الْمَعَادِنِ السَّبْعَةِ الْمَطْرُوقَةِ وَهِيَ الذَّهَبُ  
 وَالْفِضَّةُ وَالرَّصَاصُ وَالْفَسْدِيرُ وَالذَّهَّاسُ وَالْحَدِيدُ وَالخَارَصِينُ هَلْ فِي مَخْتَلَفَاتِ الْفُصُولِ  
 وَكُلِّهَا أَنْوَاعٌ قَائِمَةٌ بِأَنْفُسِهَا أَوْ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ بِمَخَوَاصٍ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ  
 لِتَوْنٍ وَاحِدٍ فَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو النَّصْرِ الْفَارَابِيُّ وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا  
 نَوْعٌ وَاحِدٌ وَأَنَّ اخْتِلَافَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْكَيفِيَّاتِ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَالْيُوسَةِ وَاللَّيْنِ وَالصَّلَابَةِ  
 وَالْأَلْوَانِ مِنَ الصُّفْرِ وَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ لِذَلِكَ النَّوْعِ الْوَاحِدِ وَالَّذِي  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سِينَا وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْمَشْرِقِ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ بِالْفُصُولِ وَأَنَّهَا أَنْوَاعٌ  
 مُتَبَايِنَةٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ مُتَحَقِّقٌ بِحَقِيقَتِهِ لَهُ فَصْلٌ وَجَسٌّ شَانِ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ  
 وَبَنَى أَبُو النَّصْرِ الْفَارَابِيُّ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اتِّقَافِهَا بِالنَّوْعِ إِمَّا كَانَ انْقِلَابٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ  
 لَا إِمَّا كَانَ تَبَدُّلُ الْأَعْرَاضِ حِينَئِذٍ وَعِلَاجُهَا بِالصَّنْعَةِ قَرْنٌ هَذَا الْوَجْهَ كَانَتْ صِنَاعَةُ  
 الْكِيمِيَاءِ عِنْدَهُ مُمَكِّنَةً سَهْلَةً الْمَأْخُذِ وَبَنَى أَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اخْتِلَافِهَا  
 بِالنَّوْعِ إِنْكَارَ هَذِهِ الصَّنْعَةِ وَاسْتَحَالَهَ وَجُودَهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْفَصْلَ لَا سَبِيلَ بِالصَّنَاعَةِ  
 إِلَيْهِ وَإِنَّمَا يَخْلُقُهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَمَقْدِرُهَا وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفُصُولُ بِمُجْهَوْلَةِ الْحَقَائِقِ  
 رَأْسًا بِالنَّصُورِ فَكَيْفَ يُحَاوَلُ اتِّعِلَابُهَا بِالصَّنْعَةِ وَغَلَطَةُ الطُّغْرَانِيِّ مِنْ أَكْبَارِ أَهْلِ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَرَدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ التَّدْبِيرَ وَالْعِلَاجَ لَيْسَ فِي تَخْلِيقِ الْفَصْلِ وَإِبْدَاعِهِ  
 وَإِنَّمَا هُوَ فِي إِعْدَادِ الْمَادَّةِ اقْبُولِهِ خَاصَّةً وَالْفَصْلُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ الْإِعْدَادِ مِنْ لَدُنْ خَالِقِهِ  
 وَبَارئِهِ كَمَا بَقِيَ الثُّورُ عَلَى الْأَجْسَامِ بِالصَّغْلِ وَالْإِمَاءِ وَلَا حَاجَةَ بِنَا فِي ذَلِكَ إِلَى  
 نَصُورِهِ وَمَعْرِفَتِهِ قَالَ وَإِذَا كُنَّا قَدْ عَرَفْنَا عَلَى تَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مَعَ الْجَهْلِ بِفُصُولِهَا  
 مِثْلَ الْعَقْرَبِ مِنَ الثَّرَابِ وَالنَّتَنِ وَمِثْلَ الْحَيَاتِ الْمُتَكَوِّنَةِ مِنَ الشَّعْرِ وَمِثْلَ مَا ذَكَرَهُ  
 أَصْحَابُ الْفِلَاحَةِ مِنْ تَكْوِينِ النَّحْلِ إِذَا فَقِدَتْ مِنْ عَجَاجِيلِ الْبَقَرِ وَتَكْوِينِ الْقَصَبِ  
 مِنْ فُرُونِ ذَوَاتِ الطَّائِفِ وَتَصْيِيرِهِ سَكْرًا بِمَجْشُورِ الْقُرُونِ بِالْمَصَلِّ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ الْقَلْحِ  
 الْقُرُونِ فَمَا أَلْهَانُ إِذَا مِنَ الْعُثُورِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَتَخَذُ مَادَّةً تُضْفِيهَا  
 لِلتَّدْبِيرِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا اسْتِعْدَادٌ أَوَّلُ لِقَبُولِ صُورَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ثُمَّ يُحَاوَلُهَا  
 بِالْعِلَاجِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ فِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ اقْبُولِ فَصْلِهَا أَنْتَهَى كَلَامُ الطُّغْرَانِيِّ بِمَعْنَاهُ وَهُوَ

الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ سِينَا صَحِيحٌ لَكِنَّ لَنَا فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
مَأْخِذًا آخَرَ يَتَبَيَّنُ مِنْهُ اسْتِحْجَالُهُ وَجُودُهَا وَبُطْلَانُ زَعْمِهِمْ أَجْدَعِينَ لَا الطَّعْرَانِي وَلَا ابْنُ  
سِينَا وَذَلِكَ أَنَّ حَاصِلَ عِلَاجِهِمْ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى الْمَادَّةِ الْمُسْتَعِدَّةِ بِالْإِسْتِعْدَادِ  
الْأَوَّلِ يَجْعَلُونَهَا مَوْضُوعًا وَيَحَازُونَ فِي تَدْبِيرِهَا وَعِلَاجِهَا تَدْبِيرَ الطَّبِيعَةِ فِي الْجِسْمِ الدَّمْعِيِّ  
حَتَّى أَحَالَتْهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً وَيَضَاعِفُونَ الْقُوَى الْفَاعِلَةَ وَالْمُنْعِلَةَ لِئَتِمَّ فِي زَمَانٍ أَقْصَرَ  
لأنَّهُ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ مُضَاعَفَةَ قُوَّةِ الْفَاعِلِ تَنْقُصُ مِنْ زَمَنِ فِعْلِهِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ الذَّهَبَ  
إِنَّمَا يَتِمُّ كَوْنُهُ فِي مَعْدِنِهِ بَعْدَ أَلْفِ وَثَمَانِينَ مِنَ السِّنِينَ دَوْرَةَ الشَّمْسِ الْكُبْرَى فَإِذَا  
تَضَاعَفَتِ الْقُوَى وَالْكَفَيَاتُ فِي الْعِلَاجِ كَانَ زَمَنُ كَوْنِهِ أَقْصَرَ مِنْ ذَلِكَ فَزُرُورَةٌ عَلَى  
مَا قُلْنَا أَوْ يَتَحَرَّضُونَ بِعِلَاجِهِمْ ذَلِكَ حُصُولَ صُورَةٍ بِزَاجِيَةٍ لِتِلْكَ الْمَادَّةِ تُصَوِّرُهَا  
كَالْخَمِيرَةِ فَتَفْعَلُ فِي الْجِسْمِ الدَّمْعِيِّ الْعُلَاجُ الْفَاعِلِ الْمَطْلُوبَةَ فِي إِحَالَتِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْأَوْ كَبِيرُ  
عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مُتَكَوِّنٍ مِنَ الْمَوْلَدَاتِ الْمُتَضَرِّجَةِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ اجْتِمَاعِ  
النَّصَائِرِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى نِسْبَةٍ مُتَفَاوِتَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ مُتَكَافِئَةً فِي النِّسْبَةِ لَمَّا تَمَّ امْتِزَاجُهَا  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْجُزْءِ الْغَالِبِ عَلَى الْكُلِّ وَلَا بُدَّ فِي كُلِّ مُتَضَرِّجٍ مِنَ الْمَوْلَدَاتِ مِنْ  
حَرَارَةٍ غَرِيزِيَّةٍ هِيَ الْفَاعِلَةُ لِكَوْنِهِ الْحَافِظَةُ لِصُورَتِهِ ثُمَّ كُلُّ مُتَكَوِّنٍ فِي زَمَانٍ فَلَا بُدَّ  
مِنْ اخْتِلَافِ أَطْوَارِهِ وَانْتِقَالِهِ فِي زَمَنِ الْأَمَكُونِ مِنْ طَوْرِ إِلَى طَوْرِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى  
غَايَتِهِ وَانْظُرْ شَانَ الْإِنْسَانِ فِي طَوْرِ النُّطْقَةِ ثُمَّ الْعِلَاقَةِ ثُمَّ الْمَضْمَعَةِ ثُمَّ التَّصَوُّيرِ ثُمَّ الْجَنِينِ  
ثُمَّ الْمَوْلُودِ ثُمَّ الرُّضِيعِ ثُمَّ إِلَى نَهَائِهِ وَنِسْبِ الْأَجْزَاءِ فِي كُلِّ طَوْرِ مُخْتَلِفٌ فِي مِقَادِيرِهَا  
وَكَيْفَيَاتِهَا وَإِلَّا لَكَانَ الطَّوْرُ الْأَوَّلُ يَعْينُهُ هُوَ الْآخِرُ وَكَذَا الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ فِي كُلِّ  
طَوْرِ مُخَالِفَةٌ لَهَا فِي الطَّوْرِ الْآخِرِ فَانْظُرْ إِلَى الذَّهَبِ مَا يَكُونُ لَهُ فِي مَعْدِنِهِ مِنْ  
الْأَطْوَارِ مِنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ وَثَمَانِينَ وَمَا يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنَ الْأَحْوَالِ فَيَحْتَاجُ صَاحِبَ الْكَيْمِيَاءِ  
إِلَى أَنْ يَسَاقِ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ وَيَحَازِيَهُ بِتَدْبِيرِهِ وَعِلَاجِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَمِنْ  
شَرِطِ الصَّنَاعَةِ أَبَدًا تَصَوُّرُ مَا يَقْعُدُ إِلَيْهِ بِالْصَّنْعَةِ فَرَأَ الْأَمْثَالَ السَّائِرَةَ لِلْحُكْمَاءِ أَوَّلُ  
الْعَمَلِ آخِرُ الْفِكْرَةِ وَآخِرُ الْفِكْرَةِ أَوَّلُ الْعَمَلِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَصَوُّرِ هَذِهِ الْحَالَاتِ لِلذَّهَبِ  
فِي أَحْوَالِهِ الْمَتَمِّدَةِ وَنِسْبَتِهَا الْمَتَفَاوِتَةِ فِي كُلِّ طَوْرِ وَاخْتِلَافِ الْحَارِ الْغَرِيزِيِّ عِنْدَ  
اخْتِلَافِهَا وَمِقْدَارِ الزَّمَانِ فِي كُلِّ طَوْرِ وَمَا يَتَوَّبُعُهُ مِنْ مِقْدَارِ الْقُوَى الْمُضَاعِفَةِ وَيَقُومُ

مَقَامُهُ حَتَّى يُكَادِيَ بِذَلِكَ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ أَوْ تُعَدُّ لِبَعْضِ الْمَوَادِّ صُورَةً  
 مِزَاجِيَّةً كَصُورَةِ الْخَمِيرَةِ لِلْخَبَرِ وَتَقَعُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ بِالْمُنَاسِبَةِ لِقَوَاهَا وَمَقَادِيرُهَا  
 وَهَذِهِ كُلُّهَا إِنَّمَا تُعْضَرُهَا الْعِلْمُ الْحَقِيقُ وَالْعِلْمُ الْبَشَرِيُّ قَاصِرَةٌ عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَالُ  
 مَنْ يَدْعِي حُجُومَهُ عَلَى الذَّهَبِ بِهَذِهِ الصَّنْعَةِ بِمِثَابَةِ مَنْ يَدْعِي بِالصَّنْعَةِ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ مِنَ  
 الْعِلْمِيِّ وَتَحْتَنُ إِذَا سَلَّمْنَا لَهُ الْإِحَاطَةَ بِأَجْزَائِهِ وَنِسْبَتِهِ وَأَطْوَارِهِ وَكَيْفِيَّةَ تَخْلِيقِهِ فِي رَجْعِهِ  
 وَعِلْمُ ذَلِكَ عِلْمًا مُحْصَلًا بِتَقَاصِيلِهِ حَتَّى لَا يَشُدُّ مِنْهُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ سَلَّمْنَا لَهُ تَخْلِيقَ هَذَا  
 الْإِنْسَانِ وَأَتَى لَهُ ذَلِكَ وَلِتَقَرَّبَ هَذَا الْبَرَاهَانُ بِالْإِخْتِصَارِ لَيْسَهُلَ فَهَمُهُ فَقُولُ بِحَاصِلِ  
 صِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ وَمَا يَدْعُوهُ بِهَا التَّدْبِيرُ أَنَّهُ مُسَاوِفَةُ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ بِالْفِعْلِ الصَّنَاعِيِّ  
 وَمَعَادَاتِهَا بِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ كَوْنُ الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ أَوْ تَخْلِيقَ مَادَّةٍ بِقُوَى وَأَفْعَالٍ وَصُورَةٍ  
 مِزَاجِيَّةٍ تَقَعُ فِي الْجِسْمِ فِعْلًا طَبِيعِيًّا قَصِيرُهُ وَتَقْبَلُهُ إِلَى صُرَّتِهَا وَالْفِعْلُ الصَّنَاعِيُّ مُسَبِّقٌ  
 بِصُورَاتِ أَحْوَالِ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ الَّتِي يَقْصُدُ مُسَاوِفَتَهَا أَوْ مُعَادَاتِهَا أَوْ فِعْلَ الْمَادَّةِ  
 ذَاتِ الْقُوَى فِيهَا تَصَوُّرًا مُفْصَلًا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ لَا نِهَابَ لَهَا وَالْعِلْمُ  
 الْبَشَرِيُّ عَاجِزٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِمَا دُونَهَا وَهُوَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَقْصُدُ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ  
 أَوْ نَبَاتٍ هَذَا يُحْمَلُ هَذَا الْبَرَاهَانُ وَهُوَ أَوْثَقُ مَا عَلِمْتُهُ وَلَيْسَتْ الْإِسْتِحَالَةُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ  
 الْفُتُولِ كَمَا رَأَيْتُهُ وَلَا مِنَ الطَّبِيعَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعَدُّلِ الْإِحَاطَةِ وَقُصُورِ الْبَشَرِ عَنْهَا  
 وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ سِينَا بِمَعْزَلٍ عَنْ ذَلِكَ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ فِي الْإِسْتِحَالَةِ مِنْ جِهَةِ غَايَتِهِ وَذَلِكَ  
 أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي الشَّجَرَيْنِ وَتَدْوَرُّهُمَا أَنَّهُمَا قِيمٌ لِمَكَايِبِ النَّاسِ وَمَتَمُّوْلَاتِهِمْ  
 فَلَوْ حَصَلَ عَلَيْهِمَا بِالصَّنْعَةِ لَبَطَلَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَكَثُرَ وَجُودُهُمَا حَتَّى لَا يَحْصَلَ  
 أَحَدٌ مِنْ أَفْنَانِهِمَا عَلَى شَيْءٍ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ أَيْضًا وَهُوَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَبْرُكُ  
 أَقْرَبَ الطَّرِيقِ فِي أَفْعَالِهَا وَتَرْكِبِ الْأَعْوَصِ وَالْأَبْعَدِ فَلَوْ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ الصَّنَاعِيُّ  
 الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَحِيحٌ وَأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنَ طَرِيقِ الطَّبِيعَةِ فِي مَعْنِيهَا أَوْ أَقْلُ زَمَانًا لَمَا تَرَكْنَاهُ  
 الطَّبِيعَةَ إِلَى طَرِيقِهَا الَّذِي سَلَكْنَاهُ فِي كَوْنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَتَخْلُقُهُمَا وَأَمَا تَنْسِيهِ  
 الطُّفْرَاءِ هَذَا التَّدْبِيرَ بِمَا عَثَرَ عَلَيْهِ مِنْ مُفْرَدَاتٍ لِامْتِنَالِهِ فِي الطَّبِيعَةِ كَالْقَرَبِ وَالْحَلِ  
 وَالْحَبَةِ وَتَخْلُقُهَا فَأَمَّا صَحِيحٌ فِي هَذِهِ أَدَى إِلَيْهِ الْعُتُورُ كَمَا زَعَمَ وَأَمَّا الْكِيمِيَاءُ فَلَمْ  
 يَنْقُلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْعَالَمِ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى طَرِيقِهَا وَمَا زَالَ يُتَبَحَّلُهَا يُخْطِطُونَ

فِيهَا عَشْرَةٌ إِلَى هَلُمَّ جَرًّا وَلَا يَطْفَرُونَ إِلَّا بِالْحِكَايَاتِ الْكَاذِبَةِ وَلَوْ مَعَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ لَحَفِظَهُ عَنْهُ أَوْلَادُهُ أَوْ تَلْمِيزُهُ وَأَمَّا حَبَابُهُ وَتَنَقُّلُ فِي الْأَصْدِقَاءِ وَتَمَيُّنُ تَصَدِيقِهِ مَعَهُ الْعَمَلُ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَشِرَ وَيَبْلُغَ إِلَيْنَا وَإِلَى غَيْرِنَا وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْأَكْسِيرَ بِمِثَابَةِ الْخَمِيرَةِ وَإِنَّهُ مُرَكَّبٌ يُعْمَلُ مَا يَحْصُلُ فِيهِ وَيَقْلِبُهُ إِلَى ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْخَمِيرَةَ إِنَّمَا تُقْلِبُ الْعَجِينَ وَتُعِدُّهُ لِلْهَضْمِ وَهُوَ فَسَادٌ وَالْفَسَادُ فِي الْمَوَادِّ مَهْلٌ يَقَعُ بِأَبْسَرِ شَيْءٍ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالطَّبَائِعِ وَالْمَطْلُوبُ بِالْإِكْسِيرِ قَلْبُ الْعَدِيدِ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَعْلَى فَهُوَ تَكْوِينُ وَصْلَاحُ وَالْتَكْوِينُ أَصْعَبُ مِنَ الْفَسَادِ نَلَّا يُقَاسُ الْإِكْسِيرُ بِالْخَمِيرَةِ وَتَحْقِيقُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكَيْدِيَاءَ إِنْ صَحَّ وجودُهُمَا كَمَا تَزْعُمُ الْحُكَمَاةُ الْمُسْكَلُونَ فِيهَا مِثْلُ جَابِرِ بْنِ حَيَّانَ وَمُسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْعَجْرَبِيِّ وَأَمَّا لَوْ هُمْ فَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ الصَّنَائِعِ الطَّبِيعِيَّةِ وَلَا تَنِيْمُ بِأَمْرِ صِنَاعِيٍّ وَلَيْسَ كَلَامُهُمْ فِيهَا مِنْ مَتْنَى الطَّبِيعِيَّاتِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَتْنَى كَلَامِهِمْ فِي الْأُمُورِ السَّخَرِيَّةِ وَسَائِرِ الْخَوَارِقِ وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلْحَلَّاجِ وَغَيْرِهِ وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلَمَةُ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ مَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ وَكَلَامُهُ فِيهَا فِي كِتَابِ رُبِّيَّةِ الْحَكِيمِ مِنْ هَذَا الْمَتْنِ وَمَذَا كَلَامُ جَابِرٍ فِي رِسَالَتِهِ وَهُوَ كَلَامُهُمْ فِيهِ مَعْرُوفٌ وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مُرَحِّهِ وَبِالْجَمْعَةِ فَأَمَّا مَا عِنْدَهُمْ مِنْ كَلِمَاتِ الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ عَنْ حُكْمِ الصَّنَائِعِ فَكَمَا لَا يَتَدَبَّرُ مَا مِنْهُ الْحَشَبُ وَالْحَيَوَانُ فِي يَوْمٍ أَوْ شَهْرٍ خَشَبًا أَوْ حَيَوَانًا فِيمَا عَلَا يَجْرَى تَغْلِيْقُهُ كَذَلِكَ لَا يَتَدَبَّرُ ذَهَبٌ مِنْ مَادَّةِ الذَّهَبِ فِي يَوْمٍ وَلَا شَهْرٍ وَلَا يَتَغَيَّرُ طَرِيقُ عَادَتِهِ إِلَّا بِإِزْفَادِ مَا وَرَاءَ عَالَمِ الطَّبَائِعِ وَعَمَلِ الصَّنَائِعِ فَكَذَلِكَ مَنْ طَلَبَ الْكَيْدِيَاءَ طَلَبًا صِنَاعِيًّا ضَيَعَ مَالَهُ وَعَمَلَهُ وَيُقَالُ لِهَذَا التَّدْبِيرِ الصِّنَاعِيِّ التَّدْبِيرُ الْمَقْسِيمُ لِأَنَّهُ نَبْلُهُ إِنْ كَانَ مَجِيحًا فَهُوَ وَاقِعٌ مَعَ وَرَاءَ الطَّبَائِعِ وَالصَّنَائِعِ كَالْمَقْسَمِ عَلَى الْمَاءِ وَامْتِطَاءِ الْهَوَاءِ وَالنُّوْذِ فِي كِتَابِ الْأَجْسَادِ وَهُوَ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ أَوْ مِثْلِ تَغْلِيْقِ الطَّيْرِ وَمُخَوِّمًا مِنْ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَى وَإِذْ تَغْلَقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهِ فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَعَلَى ذَلِكَ فَسَبِيلُ تَسْيِيرِهِا: مُخْتَلَفٌ بِحَسَبِ حَالِ مَنْ يُؤْتَاهَا فَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَيُؤْتِيَهَا غَيْرُهُ فَتَكُونُ عِنْدَهُ مَعَارَةً وَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَلَا يَمْلِكُ إِبْنَاءُ مَا فَلَا تَنِيْمُ فِي يَدِ غَيْرِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَكُونُ عَمَلُهَا سِحْرِيًّا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَفْعَلُ بِتَأْثِيرَاتِ النَّفْسِ وَخَوَارِقِ الْعَادَةِ إِمَّا مُعْجَزَةً أَوْ



مِعْرًا وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُ الْحُكَمَاءِ كُلِّهِمْ فِيهَا إِنْغَارًا لَا يَطْفَرُ بِحَقِيقَتِهِ إِلَّا مَنْ خَاضَ لُجَّةَ  
 مِنْ عِلْمِ السَّيْرِ وَأَطْلَعَ عَلَى نَصَرَاتِ النَّفْسِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَأُمُورِ خَرْقِ الْعَادَةِ غَيْرُ  
 مُخَصَّرَةٍ وَلَا يَقْصِدُ أَحَدٌ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَأَكْثَرُ مَا يَحْدِلُ عَلَى  
 اتِّمَاسِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَاتِّجَالِهَا هُوَ كَمَا قُلْنَا هُ الْغَيْرُ عَنِ الطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَعَاشِ  
 وَاتِّغَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ الطَّبِيعِيِّ كَالْفَلَاحَةِ وَالتَّجَارَةِ وَالصَّنَاعَةِ لَيْسَتْ تَصِيبُ الْعَاجِزَ  
 أَبْنَاءَهُ مِنْ هَذِهِ وَيَرْوُمُ الْحَصُولَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ دَفْعَةً يَوْجُوهَ غَيْرِ طَبِيعِيٍّ  
 مِنَ الْكَيْمِيَاءِ وَغَيْرِهَا وَأَكْثَرُ مَنْ يُعْنِي بِذَلِكَ الْفُقَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ حَتَّى فِي الْحُكَمَاءِ  
 الْمُتَكَلِّمِينَ فِي إِنْكَارِهَا وَاسْتِحَالَتِهَا فَإِنَّ ابْنَ سِينَا الْقَائِلَ بِإِسْتِحَالَتِهَا كَانَ عَلَيْهِ الْوُزْرَاءُ  
 فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَنَى وَالثَّرْوَةِ وَالْقَارِئِي الْقَائِلَ بِإِمْكَانِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ الَّذِينَ يُعَوِّزُهُمْ  
 ادْتِنَاءُ بُلُغَةٍ مِنَ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِهِ وَهَذِهِ نَهْمَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنْظَارِ النَّفُوسِ الْمُؤَلَّغَةِ بِطَرَفِهَا  
 وَاتِّجَالِهَا وَاللَّهُ أَرَاظُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

إِعْلَمَ أَنَّهُ مِمَّا أَضْرَّ بِالنَّاسِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْوُقُوفِ عَلَى غَايَتِهِ كَثْرَةُ التَّأْلِيفِ  
 وَأَخِلَافُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي الْعَالِمِ وَتَعَدُّ طُرُقِهَا ثُمَّ مَطَالَبَةُ الْمُتَعَلِّمِ وَالتَّلْمِيزُ بِإِسْخَاطِ  
 ذَلِكَ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ لَهُ مَنْصِبُ التَّحْصِيلِ فَيُحْتَاجُ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى حِفْظِهَا كُلِّهَا أَوْ أَكْثَرِهَا  
 وَمُرَاعَاةِ طُرُقِهَا وَلَا يَبْقَى عُمُرُهُ بِمَا كُتِبَ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا تَجَرَّدَ لَهَا فَيَقَعُ الْقُصُورُ وَلَا  
 يَدُونَ رُتْبَةَ التَّحْصِيلِ وَيُمَثِّلُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْفَقْهِ فِي الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بِالْكَتَبِ  
 الْمَدُونَةِ مَثَلًا وَمَا كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الشُّرُوحَاتِ الْفَقْهِيَّةِ مِثْلَ كِتَابِ ابْنِ بَرُسٍ وَاللَّغْنِيِّ  
 وَابْنِ بَشِيرٍ وَالتَّنْبِيْهَاتِ وَالْمُقَدِّمَاتِ وَالْيَكْيَانِ وَالتَّحْصِيلِ عَلَى الْمَتْنِيَّةِ وَكَذَلِكَ كِتَابُ ابْنِ  
 الْحَاجِبِ وَمَا كُتِبَ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزِ الطَّرِيقَةِ الْقَبْرَوَانِيَّةِ مِنَ الْقَرُطُوبِيَّةِ  
 وَابْنِ الْبَنَادِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ وَطُرُقِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ وَالْإِحَاطَةَ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ  
 لَهُ مَنْصِبُ الْفَنَاءِ وَهِيَ كُلُّهَا مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدَةٌ وَالْمُتَعَلِّمُ مُطَالَبٌ بِإِسْخَاطِ جَمِيعِهَا  
 وَتَمْيِيزِ مَا بَيْنَهَا وَالْعُمُرُ يَنْقُضُ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا وَلَوْ أَقْصَرَ الْمُعَلِّمُونَ بِالْمُعَلِّمِينَ عَلَى  
 الْمَسَائِلِ الْمُنْهِيَّةِ فَقَطْ لَسَكَانَ الْأَمْرُ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ وَكَانَ الْعِلْمُ مَهْلًا وَمَا خَذَهُ

قَرِيبًا وَلَكِنَّهُ دَائِمٌ لَا يَرْتَفِعُ لِاسْتِقْرَارِ الْعَوَائِدِ عَلَيْهِ فَصَارَتْ كَالطَّيِّعَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ  
 نَفْلَهَا وَلَا تَعْوِيلَهَا وَبِمِثْلِ أَيْضًا عِلْمُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ كِتَابِ سَبْيَوِيهِ وَجَمِيعِ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ  
 وَطُرُقِ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ وَالْبَغْدَادِيِّينَ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَطُرُقِ الْمُتَقَدِّمِينَ  
 وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِثْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ وَابْنِ مَالِكٍ وَجَمِيعِ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ كَيْفَ يُطَالَبُ  
 بِهِ الْمُتَعَلِّمُ وَيَنْقَضِي عُمْرُهُ دُونَهُ وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي الْغَايَةِ مِنْهُ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ مِثْلِ  
 مَا وَصَلَ إِلَيْنَا بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ تَأْلِيفِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ  
 مِصْرَ يُعْرَفُ بِابْنِ هَاشِمٍ ظَهَرَ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا أَنَّهُ اسْتَوْلى عَلَى غَايَةِ مِنْ مَلَكَتْ تِلْكَ  
 الصِّنَاعَةَ لَمْ تَحْصُلِ إِلَّا لِسَبْيَوِيهِ وَابْنِ جَنِّي وَأَهْلٍ طَبَقْتِمَا لِعَظَمِ مَلَكَتِهِ وَمَا أَحَاطَ  
 بِهِ مِنْ أَصُولِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَقَارِبِهِ وَحُسْنِ تَصَرُّفِهِ فِيهِ وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْفَضْلَ لَيْسَ مُنْخَصِرًا  
 فِي الْمُتَقَدِّمِينَ سَيِّمًا مَعَ مَا قَدَّمَناهُ مِنْ كَثَرَةِ الشَّوَابِغِ بِتَعَدُّدِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرِيقِ  
 وَالتَّأْلِيفِ وَلَكِنْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَهَذَا نَادِرٌ مِنْ تَوَادِرِ الْوُجُودِ إِلَّا نَاظِرًا  
 أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ وَلَوْ قَطَعَ عُمْرُهُ فِي هَذَا كُلِّهِ فَلَا يَبْقَى لَهُ بِتَحْصِيلِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ مِثْلًا الَّذِي  
 هُوَ آتَةٌ مِنَ الْآلَاتِ وَوَسِيلَةٌ فَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْمَقْصُودِ الَّذِي هُوَ الشَّرْعُ وَلَكِنْ  
 اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثامن والعشرون

فِي إِنْ كَثَرَتِ الْاِخْتِصَارَاتُ الْمُؤَلَّفَةُ فِي الْعُلُومِ مِثْلَهُ بِالْعُلُومِ  
 ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ إِلَى اخْتِصَارِ الطَّرِيقِ وَالْإِنْجَاءِ فِي الْعُلُومِ يُوَلِّعُونَ بِهَا  
 وَيُدَوِّنُونَ مِنْهَا بَرَنَاجًا مُخْتَصَرًا فِي كُلِّ عِلْمٍ يَشْتَمِلُ عَلَى حَقَرِ مَسَائِلِهِ وَأَدِلَّتِهَا بِاخْتِصَارِ  
 فِي الْأَلْفَافِ وَحُسْنِ الْفَقِيلِ مِنْهَا بِالْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ مِنْ ذَلِكَ الْفَنِّ وَصَارَ ذَلِكَ مِثْلًا  
 بِالْبَلَاغَةِ وَعَصِرًا عَلَى الْقَهْمِ وَزُبْرًا عَمِدُوا إِلَى الْكُتُبِ الْأُمَهَاتِ الطُّوْلَةِ فِي الْفُنُونِ  
 لِلتَّفْسِيرِ وَالْبَيَانِ فَأَخْصَرُواهَا تَقْرِيبًا لِلْخِطِّ كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْفَقْهِ وَابْنُ مَالِكٍ  
 فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْخَوَنُجِي فِي الْمَنْطِقِ وَأَمثالِهِمْ وَهُوَ فَسَادٌ فِي الْعِلْمِ وَفِيهِ إِخْلَالٌ بِالتَّحْصِيلِ  
 وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِيهِ تَخْلِيلٌ عَلَى الْمُبْتَدِئِ بِالِقَاءِ الْغَايَاتِ مِنْ الْعِلْمِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَمْ يَسْتَعِدْ  
 لِقَبُولِهَا بَعْدَ وَهُوَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ كَمَا سَبَّأْنِي ثُمَّ فِيهِ مَعَ ذَلِكَ شُغْلٌ كَبِيرٌ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ  
 يَتَّبِعُ الْإِنْجَافَ الْإِخْصَارَ الْعَوِيصَةَ لِلْقَهْمِ يَنْزَاحُ الْمَعَانِي عَلَيْهَا وَصُعُوبَةُ اسْتِخْرَاجِ الْمَسَائِلِ

مِنْ يَتْنِهَا لِأَنَّ الْفَلَاظَ الْمُخْتَصَرَاتِ تَجِدُهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ صَعْبَةً عَوِيسَةً فَيَقْطَعُ فِي فَهْمِهَا حَظٌّ  
صَالِحٌ عَنِ الْوَقْتِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَالْمَلَكَةُ الْخَاصَّةُ مِنَ التَّعْلِيمِ فِي تِلْكَ الْمُخْتَصَرَاتِ إِذَا  
تَمَّ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ تَقْبَلْ أَفْءَ فِيهِ مَلَكَةٌ فَاصِرَةٌ عَنِ الْمَلَكَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ مِنَ  
الْمَوْضُوعَاتِ الْبَسِيطَةِ الْمُطَوَّلَةِ بِكَزْرَةٍ مَا يَقَعُ فِي تِلْكَ مِنَ التَّكْرَارِ وَالْإِحَالَةِ الْمُفِيدَةِ بِنِ  
لِحُصُولِ الْمَلَكَةِ النَّامَةِ وَإِذَا اقْتَصَرَ عَلَى التَّكْرَارِ فَصَرَّتِ الْمَلَكَةُ لِقَلْبِهِ كَشَافًا  
هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُخْتَصَرَةَ فَقَصَدُوا إِلَى تَسْهِيلِ الْخَفِظِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ فَأَرْكَبُوهُمْ صَعْبًا  
يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَاتِ النَّافِعَةِ وَتَمَكُّنِهَا وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ  
يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع والعشرون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

إِعْلَمُ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا كَانَ عَلَى التَّدرِجِ شَيْئًا  
فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يَلْقَى عَلَيْهِ أَوْ لَا مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ فِي أُصُولِ ذَلِكَ الْبَابِ  
وَيُقَرَّبُ لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ وَاسْتِعْدَادُهُ لِقَبُولِ  
مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ  
إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ وَغَائِبَةٌ أَنَّهَا هِيَ أَهْمُ الْفَنِّ وَتَحْصِيلُ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ  
إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينَ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ  
وَالْيَسَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِجْمَالِ وَيَذْكُرُ لَهُ مَا هُنَاكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَوَّلِ  
بَنْتِهِ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَّ فَلَا يَتْرُكُ عَوِيسًا وَلَا مُهِمًا  
وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَصَحَّهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقَفَّلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ اسْتَوَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا  
وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْمُفِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرُّرَاتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ  
فِي أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَخْلُقُ لَهُ وَيَتَسَرَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ  
لِهَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ وَإِفَادَاتِهِ وَيَحْضُرُونَ لِلتَّعْلِيمِ فِي أَوَّلِ  
تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقَفَّلَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَيَطْلُبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهْنِهِ فِي حَلِّهَا وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ  
مَرَاتِنًا عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيَحْكُمُونَ رُجْحِي ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ وَيَخْطِطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَلْقَوْنَ  
لَهُ مِنْ غَائِبَاتِ الْفَنُونِ فِي مَبَادِيهَا وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهَا فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالْإِسْتِعْدَادَاتِ

إِنْهُمْ تَشَأْ تَدْرِيهَا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْقَهْمِ بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقَلِّ  
 وَعَلَى سَبِيلِ الْقُرْبِ وَالْإِجْمَالِ وَالْأَمْثَالِ الْحَسِبَةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْأَسْتَعْدَادُ فِيهِ  
 يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمُخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْقَهْمِ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْأَسْتَعْدَادُ ثُمَّ فِي  
 التَّحْصِيلِ وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْقَهْمِ وَإِذَا أَقْبَتِ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَائِ وَهُوَ حِينَئِذٍ  
 عَاجِزٌ عَنِ الْقَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْأَسْتَعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِيهِ عَنْهَا وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ  
 صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هُجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى  
 ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى قَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ  
 عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا كَانَ أَوْ مُتَوَسِّعًا وَلَا يَخْلُطُ  
 مَسَائِلِ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَبْعَثَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيَحْصِلَ اغْتِرَاضُهُ وَيَسْتَوِلِي مِنْهُ  
 عَلَى مَلَكَةٍ بِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَةٌ مَا فِي عِلْمِهِ مِنَ الْعُلُومِ  
 اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا يَبْقَى وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضُ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى  
 يَسْتَوِلِي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ وَإِذَا خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَجِزَ عَنِ الْقَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَسَالُ  
 وَانْطَسَفَ فِكْرُهُ وَيَشْنُ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ  
 يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَطُولَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ فِي الْقَهْمِ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْعَجَائِلِ وَتَقْطِيعِ مَا  
 بَيْنَهَا لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النَّسْبَانِ وَانْقِطَاعِ مَسَائِلِ الْقَهْمِ بِغَيْرِهَا مِنْ بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ  
 الْمَلَكَةِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ الْعِلْمِ وَأَوَاخِرُهُ حَاضِرَةً عِنْدَ الْفِكْرِ مُجَانِبَةً  
 لِلنَّسْبَانِ كَانَتْ الْمَلَكَةُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ أَوْثَاقًا وَأَقْرَبَ صِبْغَةً لِأَنَّ الْمَلَكَاتِ  
 إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تَوَسَّيَ الْفِعْلُ تَوَسَّيَتِ الْمَلَكَةُ الْوَأَشْيَاءُ عَنْهُ  
 وَاللَّهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْجُمْلِيَّةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاحِجَةِ فِي  
 التَّعْلِيمِ أَنْ لَا يَخْلُطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَنْظُرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا  
 فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ الْبَالِ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَقَهْمِ الْآخَرِ فَيَسْتَعْلِقَانِ مَعًا  
 وَيَسْتَضَعِبَانِ وَبَعْدُ مِنْهُمَا بِالْغَيْبَةِ إِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ  
 فَوَرَّيَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِحَصِيلِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤَفَّقُ لِلصَّوَابِ وَأَعْلَمُ أَهْلِهَا الْمُتَعَلِّمُ  
 أَنِّي أَتَيْتُكَ بِقَائِدَةٍ فِي تَعْلِيمِكَ فَإِنْ تَلَقَّيْتَهَا بِالْقَبُولِ وَأَمْسَكْتَهَا بِيَدِ الصَّنَاعَةِ ظَفِرْتَ  
 بِكَزْرِ عَظِيمٍ وَذَخِيرَةٍ شَرِيفَةٍ وَأَقْدَمَ لَكَ مُقَدِّمَةً تُعِينُكَ فِي قَهْمِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْفِكْرَ

الْإِنْسَانِيَّ طَبِيعَةً مَخْصُوصَةً فَطَرَهَا اللَّهُ كَمَا فَطَرَ سَائِرَ مَبْتَدَعَاتِهِ وَهُوَ جَدَانُ حَرَكَةِ النَّفْسِ  
 فِي الْبَطْنِ الْأَوْسَطِ مِنَ الدِّمَاغِ تَارَةً يَكُونُ مَبْدَأُ لِلْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ  
 وَتَارَةً يَكُونُ مَبْدَأُ لِمَلِكٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا بِأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَقَدْ بَصُرَ طَرَفِيهِ  
 بِرُؤُومٍ نَفِيَّةٍ أَوْ إِثْبَاتِهِ فَيُكْوَحُ لَهُ الْوَسْطُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا أَسْرَعَ مِنْ لَحْخِ الْبَصَرِ إِنْ  
 كَانَ وَاحِدًا أَوْ يَتَقَلَّلُ إِلَى تَحْصِيلِ آخَرَ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّدًا وَيَصِيرُ إِلَى الظُّفْرِ بِمَطْلُوبِهِ  
 هَذَا شَأْنُ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا الْبَشَرُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ الصَّنَاعَةُ  
 الْمُنْطَقِيَّةُ هِيَ كَيْفِيَّةُ فِعْلِ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ تَصْنُفُهُ لَتَعْلَمُ سِدَادَهُ مِنْ خَطَائِهِ  
 وَأَنْبَهِا وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ لَهَا ذَاتِيًا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَعِضَ لَهَا أَلْخَطَا فِي الْأَقْلِ مِنْ تَصَوُّرِ  
 الطَّرَفَيْنِ عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِمَا مِنْ أَشْتَبَاهِ الْهَيْئَاتِ فِي نَظْمِ الْأَصَابِ وَتَرْتِيبِهَا لِلتَّنَاجِ فَتُعِينُ  
 الْمُنْطِقَ لِلتَّخْلُصِ مِنْ وَزْطِهِ هَذَا الْفَسَادِ إِذَا عَرَضَ فَالْمُنْطِقُ إِذَا أَمَرَ صِنَاعِيَّ مَسَاوِي  
 لِلطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَمُنْطَقِيَّ عَلَى صُورَةٍ فَعِلَهَا وَلَكُونِهِ أَمْرًا صِنَاعِيًّا أَسْتَفْنِي عَنْهُ فِي الْأَكْثَرِ  
 وَإِلَّاكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ فُحُولِ الظُّفَارِ فِي الْخَلِيقَةِ يَحْصُلُونَ عَلَى الْمَطَالِبِ فِي الْعُلُومِ دُونَ  
 صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ وَلَا سِيَمَا مَعَ صِدْقِ النِّيَّةِ وَالْتِعَاضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ مَعْنَى  
 وَاسْتَكْرُنَ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ عَلَى سِدَادِهَا فَيُفْقِي بِالطَّبْعِ إِلَى حُسُولِ الْوَسْطِ وَالْعِلْمِ  
 بِالْمَطْلُوبِ كَمَا فَطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ مِنْ دُونِ هَذَا الْأَمْرِ الصِّنَاعِيِّ الَّذِي هُوَ الْمُنْطِقُ  
 مُقَدِّمَةٌ أُخْرَى مِنَ التَّعْلَمِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْأَلْفَاظِ وَدَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعَانِي الذَّهْنِيَّةِ تَرُدُّهَا مِنْ  
 مُشَافَهَةِ الرُّسُومِ بِالْكِتَابِ وَمُشَافَهَةِ اللِّسَانِ بِالْخِطَابِ فَلَا بُدَّ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ مِنْ مَجَاوَزَتِكَ  
 هَذِهِ النَّجْبَ كُلُّهَا إِلَى الْفِكْرِ فِي مَطْلُوبِكَ فَأَوْلَادُ دَلَالَةِ الْكِتَابَةِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْأَلْفَاظِ  
 الْعَمُولَةِ وَهِيَ أَخْتُهَا ثُمَّ دَلَالَةُ الْأَلْفَاظِ أَلْفَاظُ الْعَمُولَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْمَطْلُوبَةِ ثُمَّ الْقَوَانِينُ فِي تَرْتِيبِ  
 الْمَعَانِي لِلِاسْتِدْلَالِ فِي قَوَائِمِهَا الْمَعْرُوفَةِ فِي صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ ثُمَّ تِلْكَ الْمَعَانِي تَجَرِّدَةٌ فِي  
 الْفِكْرِ أَشْتَرَاظًا يُقْتَضَى بِهَا الْمَطْلُوبُ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ بِالْتِعَاضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَوَاهِيهِ  
 وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْأَرْتَابَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَقْطَعُ هَذِهِ النَّجْبَ فِي التَّعْلَمِ بِسَهُولَةٍ  
 بَلْ دُبْمَا وَقَفَ الَّذِينَ فِي حُجْبِ الْأَلْفَاظِ بِالْمُنَافَسَاتِ أَوْ عَثَرَ فِي أَشْتِرَاكِ الْأَدَلَّةِ بِشَغْبِ  
 الْجِدَالِ وَالْأَشْبَاهِ وَقَعَدَ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ يَكْذِبْ تَخْلُصُ مِنْ تِلْكَ الْقَمَرَةِ إِلَّا  
 قَلِيلٌ مِمَّنْ هَدَاهُ اللَّهُ فَإِذَا أَتَيْتَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَعَرَضَ لَكَ أَرْتَبَاكَ فِي فَهْمِكَ أَوْ

تَشْغِبُ بِالشُّبُهَاتِ فِي ذَهْنِكَ فَاطْرَحْ ذَلِكَ وَاتَّيْذِ حُجُبَ الْأَلْفَاظِ وَعَوَائِقِ الشُّبُهَاتِ  
وَاتْرُكْ الْأَمْرَ الصَّنَاعِيَّ جُمْلَةً وَأَخْلُصْ إِلَى فِضَاءِ الْفِكْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي فُطِرَتْ عَلَيْهِ  
وَسَرَحَ نَظْرَكَ فِيهِ وَقَرَّغْ ذَهْنَكَ فِيهِ لِلْعَوَصِ عَلَى مَرَامِكَ مِنْهُ وَاصْعًا لَهَا حَيْثُ وَضَعَهَا  
أَكْبَرُ النَّظَارِ قَبْلَكَ مُسْتَعْرِضًا لِلْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ كَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَهَبِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَعَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارُ الْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ  
بِالْفَتْحِ يَطْلُوكَ وَحَصَلَ الْإِمَامُ الْوَسْطُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ هَذَا الْفِكْرِ  
هَنْظَرِهِ عَلَيْهِ كَمَا قُلْنَا وَحِينَئِذٍ فَارْجِعْ بِهِ إِلَى قَوَالِبِ الْأَدِلَّةِ وَصُورِهَا فَأَرْعُهُ فِيهَا  
وَوَفِّهِ حَقَّهُ مِنَ الْقَانُونِ الصَّنَاعِيِّ ثُمَّ أَكْسَهُ صُورَ الْأَلْفَاظِ وَأَبْرِزُهُ إِلَى عَالِمِ الْخَطَابِ  
وَالْمُسَاكَنَةِ وَثَبِّتِ الْعُرَى مَصْبِغَ الْبَيَانِ وَأَمَّا إِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ الْمُنَاقَشَةِ وَالشُّبُهَةِ فِي الْأَدِلَّةِ  
الصَّنَاعِيَّةِ وَتَخَيَّصَ صَوَابُهَا مِنْ خَطَائِهَا وَهَذِهِ أُمُورٌ صَنَاعِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ تَسْتَوِي جِهَاتُهَا  
الْمُتَعَدِّدَةُ وَتَتَشَابَهُ لِأَجْلِ الْوَضْعِ وَالِاصْطِلَاحِ فَلَا تُمَيِّزُ جِهَةً الْحَقِّ مِنْهَا إِذْ جِهَةُ  
الْحَقِّ إِنَّمَا تَسْتَبِينُ إِذَا كَانَتْ بِالطَّبِيعِ فَيَسْتَمِرُّ مَا حَصَلَ مِنَ الشُّكِّ وَالِازْتِيَابِ وَتُسَدَّلُ  
الْحُجُبُ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَتَقْعُدُ بِالنَّظَرِ عَنْ تَحْصِيلِهِ وَهَذَا شَأْنُ الْأَكْثَرِينَ مِنَ النَّظَارِ  
وَالْمُنَآخِرِينَ سِيمَا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ عُجْمَةٌ فِي لِسَانِهِ قَرِيبَتْ عَنْ ذَهَبِهِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُ شُغْبٌ  
بِالْقَانُونِ الْمُنْطَلِقِي نَعَصَبَتْ لَهُ فَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ الدَّرَبَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِالطَّبِيعِ فَيَقَعُ فِي  
الْخَبَرَةِ بَيْنَ شُبُهَةِ الْأَدِلَّةِ وَشُكُوكِهَا وَلَا يَكَادُ يَخْلُصُ مِنْهَا وَالذَّرَبَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ  
بِالطَّبِيعِ إِنَّمَا هُوَ الْفِكْرُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا قُلْنَا إِذَا جُرِدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ وَتَمَرَّضَ النَّظَرُ  
فِيهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا الْمُنْطَلِقُ فَإِنَّمَا هُوَ وَاصِفٌ لِلْعَمَلِ هَذَا الْفِكْرِ فَيُسَاوِفُهُ  
فِي الْأَكْثَرِ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَاسْتَمْطِرْ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى أَعُوْزَكَ فَهَمْ الْمَسَائِلِ  
تُشْرِقُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهُ بِأَلْهَامٍ إِلَى الصَّوَابِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى رَحْمَتِهِ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

### الفصل الثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل  
اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات  
كالشريعات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعات والالهييات

مِنَ الْفَلَسَفَةِ وَعُلُومٍ هِيَ وَسِيلَةُ آيَةٍ لِهَذِهِ الْعُلُومِ كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْحِسَابِ وَغَيْرِهِمَا لِمَشْرِعَاتِ  
كَالْمَنْطِقِ لِلْفَلَسَفَةِ وَرُبَّمَا كَانَ آيَةً لِعِلْمِ الْكَلَامِ وَالْأُصُولِ لِقِفِّهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ  
فَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ فَلَا حَرَجَ فِي تَوْسِيعِ الْكَلَامِ فِيهَا وَتَرْجِعُ الْمَسَائِلُ  
وَأَسْتَكْشَافُ الْأَدَلَّةِ وَالْأَنْظَارِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُزِيدُ طَالِبَهَا تَمَكُّنًا فِي مَلَكَتِهِ وَإِضَاحًا  
لِمَعَانِيهَا الْمَقْصُودَةِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ آيَةٌ لِغَيْرِهَا مِثْلُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ وَأَمْثَلِهَا فَلَا  
يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِيهَا إِلَّا مِنْ حَيْثُ هِيَ آيَةٌ لِذَلِكَ الْغَيْرِ فَقَطْ وَلَا يَوْسَعُ فِيهَا الْكَلَامُ وَلَا  
تُقَرَّرُ الْمَسَائِلُ لِأَنَّ ذَلِكَ مُخْرَجٌ لَهَا عَنِ الْمَقْصُودِ إِذَا الْمَقْصُودُ مِنْهَا مَا هِيَ آيَةٌ لَهُ لَا غَيْرُ  
فَكُلَّمَا خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ خَرَجَتْ عَنِ الْمَقْصُودِ وَصَارَ الْإِشْتِغَالُ بِهَا لِقَوَامِ مَا فِيهِ  
مِنْ صُعُوبَةٍ الْخُصُولِ عَلَى مَلَكَتِهَا بِطُولِهَا وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنْ  
تَحْصِيلِ الْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ بِالذَّاتِ لَطُولِ وَسَائِلِهَا مَعَ أَنَّ شَأْنَهَا أَهَمُّ وَالْعَمْرُ يَقْصُرُ عَنْ  
تَحْصِيلِ الْجَمِيعِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فَيَكُونُ الْإِشْتِغَالُ بِهِذِهِ الْعُلُومِ الْآيَةِ تَضْيِيعًا لِلْعَمْرِ  
وَشُغْلًا بِمَا لَا يَنْبَغِي وَهَذَا كَمَا قَوْلُ الْمُتَأَخِّرُونَ فِي صِنَاعَةِ الْخَوِّ وَصِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ وَأُصُولِ  
الْفِقْهِ لِأَنَّهُمْ أَوْسَعُوا دَائِرَةَ الْكَلَامِ فِيهَا وَكَثَرُوا مِنَ الْفَنَائِعِ وَالْإِسْتِدْلالاتِ بِمَا  
أَخْرَجَهَا عَنْ كَوْنِهَا آيَةً وَصَبَّحَهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَرُبَّمَا يَقَعُ فِيهَا أَنْظَارٌ لَا حَاجَةَ بِهَا فِي  
الْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ فَهِيَ مِنْ نَوْعِ الْغُرُوبِ أَيْضًا مُضِرَّةٌ بِالْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّ  
الْمُتَعَلِّمِينَ أَهْتَمُّهُمْ بِالْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَهْتِمَائِهِمْ بِوَسَائِلِهَا قَاطِبًا قَطَعُوا  
الْعَمْرَ فِي تَحْصِيلِ التَّوَسُّلَاتِ فَمَتَّى يَنْظُرُونَ بِالْمَقَاصِدِ فَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِينَ لِهَذِهِ  
الْعُلُومِ الْآيَةِ أَنْ لَا يَسْتَبْجِرُوا فِي شَأْنِهَا وَيَنْبَهُوا الْمُتَعَلِّمَ عَلَى الْقَرَضِ مِنْهَا وَيَقْفُوا بِهِ عِنْدَهُ  
كَمَنْ تَزَعَّتْ بِهِ هِمَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَعُّلِ فَلْيَرْقُ لَهُ مَا شَاءَ مِنَ الْمَرَافِي صَغَبًا  
أَوْ مَهْلًا وَكُلُّ مَبْسُورٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ

### الفصل الواحد والثلاثون

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه  
اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه  
في جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رُسوخ الايمان وعقائده من  
آيات القرآن وبعض مئون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبغي عليه

مَا يَحْصُلُ بَعْدَ مِنَ الْمَلَكَاتِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ التَّعْلِيمَ فِي الصِّغَرِ أَشَدَّ رُسُوحًا وَهُوَ  
أَصْلٌ لِمَا بَعْدَهُ لِأَنَّ السَّابِقَ الْأَوَّلَ لِلْقُلُوبِ كَالْأَسَاسِ لِلْمَلَكَاتِ وَعَلَى حَسَبِ الْأَسَاسِ  
وَأَسَالِيهِ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَتَّبِعِي عَلَيْهِ وَاخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِلْوِلْدَانِ  
بِاخْتِلَافِهِمْ بِاعْتِبَارِ مَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التَّعْلِيمِ مِنَ الْمَلَكَاتِ فَأَمَّا أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
فَعَدَمُهُمْ فِي الْوِلْدَانِ الْإِفْصَارُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ قَطُّ وَآخِذُهُمْ أَثْنَاءَ الْمُدَارَسَةِ  
بِالترَّسِمِ وَمَسَائِلِهِ وَاخْتِلَافِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ لَا يَخْطِطُونَ ذَلِكَ بِسِوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ  
تَحَالِيسِ تَعْلِيمِهِمْ لَا مِنْ حَدِيثٍ وَلَا مِنْ فِقْهِ وَلَا مِنْ شَيْءٍ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَى أَنْ  
يَحْدُثَ فِيهِ أَوْ يَقْطَعَ دُونَهُ فَيَكُونُ انْقِطَاعُهُ فِي الْغَالِبِ انْقِطَاعًا عَنِ الْعِلْمِ بِالْجُمْلَةِ وَهَذَا  
مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِالْمَغْرِبِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ قُرَى الْبَزِيرِ أُمَمِ الْمَغْرِبِ فِي وَلَدَانِهِمْ  
إِلَى أَنْ يُجَاوِزُوا حَدَّ الْبُلُوغِ إِلَى الشَّبَابِ وَكَذَا فِي الْكَبِيرِ إِذَا رَجَعَ مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ  
بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنْ عُمُرِهِ فَهُمْ لِذَلِكَ أَقْوَمُ عَلَى رَسْمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا أَهْلُ  
الْأَنْدَلُسِ فَعَدَمُهُمْ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَهَذَا دَوُّ الَّذِي يُرَاعُونَهُ فِي  
التَّعْلِيمِ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ أَصْلَ ذَلِكَ وَأَسَسُهُ وَمَنْبَعُ الدِّينِ وَالْعُلُومِ جَعَلُوهُ أَصْلًا  
فِي التَّعْلِيمِ فَلَا يَقْتَصِرُونَ لِذَلِكَ عَلَيْهِ قَطُّ بَلْ يَخْطِطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ رِوَايَةَ الشَّعْرِ  
فِي الْغَالِبِ وَالتَّرْسُلَ وَآخِذُهُمْ بِقَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَحِفْظِهَا وَتَجْوِيدِ الْخَطِّ وَالْكِتَابِ وَلَا  
يُخَصِّصُ عَيْنَيْهِمْ فِيهِ بِالْخَطِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْوَلَدُ مِنْ عُمُرِ الْبُلُوغِ إِلَى  
الشَّبَابِ وَقَدْ شَدَّ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ وَالْبَصْرِ بِهِمَا وَبَرَزَ فِي الْخَطِّ وَالْكِتَابِ  
وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِ الْعِلْمِ عَلَى الْجُمْلَةِ لَوْ كَانَ فِيهَا سَنَدٌ لِتَعْلِيمِ الْعُلُومِ لَكِنَّهُمْ يَقْطَعُونَ عَنْ  
ذَلِكَ لَا انْقِطَاعَ سَنَدِ التَّعْلِيمِ فِي آفَاقِهِمْ وَلَا يَحْصُلُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَّا مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ  
التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ أُرْشِدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاسْتَعْدَادًا إِذَا وَجِدَ الْمُعَلِّمَ وَأَمَّا  
أَهْلُ أُفْرِيقِيَّةِ فَيَخْطِطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ الْقُرْآنَ بِالْحَدِيثِ فِي الْغَالِبِ وَمُدَارَسَةَ قَوَانِينِ  
الْعُلُومِ وَتَلْقَيْنَ بَعْضَ مَسَائِلِهَا إِلَّا أَنَّ عَيْنَيْهِمْ بِالْقُرْآنِ وَاسْتَنْظَارَ الْوِلْدَانِ إِيَّاهُ وَوُقُوفَهُمْ  
عَلَى اخْتِلَافِ رِوَايَاتِهِ وَقِرَاءَاتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا سِوَاهُ وَعَيْنَيْهِمْ بِالْخَطِّ تَبَعٌ لِذَلِكَ بِالْجُمْلَةِ  
فَطَرَبَهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَاسْتَقَرُّوا بَنُوسَ وَعَيْنَهُمْ  
أَخَذَ وَلَدَانَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيَخْطِطُونَ فِي التَّعْلِيمِ كَذَلِكَ عَلَى مَا بَلَّغْنَا



وَلَا أَدْرِي بِمَعْنَاهُمْ مِنْهَا وَالَّذِي يُقَالُ لَنَا أَنْ عَيْنَيْهِمْ بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَصُحُفِ الْعِلْمِ  
وَقَوَائِنِهِ فِي زَمَنِ الشَّيْبَةِ وَلَا يَخْطُونَ بِتَعْلِيمِ الْخَطِّ بَلْ لِتَعْلِيمِ الْخَطِّ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ  
وَمُعَلِّمُونَ لَهُ عَلَى أَفْرَادِهِ كَمَا تُعَلَّمُ سَائِرُ الصَّنَائِعِ وَلَا يَتَدَوَّلُونَهَا فِي مَكَاتِبِ الصَّبَّانِ وَإِذَا  
كَتَبُوا لَهُمُ الْأَلْوَحَ فَجُفْطَ قَاصِرٍ عَنِ الْإِجَادَةِ وَمَنْ أَرَادَ تَعْلِمَ الْخَطِّ فَلْيُفْعَلْ قَدْرُ مَا يَسْتَعِ  
لُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْهَيْمَةِ فِي طَلَبِهِ وَبَتَّغِيهِ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ فَأَمَّا أَهْلُ أَفْرِيقَةَ وَالْمَغْرِبِ  
فَأَقَادَهُمُ الْإِقْتِصَارُ عَلَى الْقُرْآنِ الْقُصُورُ عَنْ مَلَكََةِ اللِّسَانِ جَمَلَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا  
يَنْشَأُ عَنْهُ فِي الْعَالِيَةِ مَلَكََةٌ إِمَّا أَنَّ الْبَشَرَ مَضْرُوفُونَ عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ فَهُمْ مَضْرُوفُونَ  
لِذَلِكَ عَنِ الْأَسْتِعْمَالِ عَلَى أَسَالِيهِهِ وَالْإِحْتِذَاءِ بِهَا وَلَيْسَ لَهُمْ مَلَكََةٌ فِي غَيْرِ أَسَالِيهِهِ  
فَلَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مَلَكََةٌ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحَظُهُ الْجُمُودُ فِي الْعِبَارَاتِ وَقِلَّةُ النَّصْرِفِ  
فِي الْكَلَامِ وَرُبَّمَا كَانَ أَهْلُ أَفْرِيقَةَ فِي ذَلِكَ أَخَفَّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِمَا يَخْطُونَ  
فِي تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ بِعِبَارَاتِ الْعُلُومِ فِي قَوَائِنِهَا كَمَا قُلْنَا قَبْلَهُ فَيَقْتَدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ  
النَّصْرِفِ وَمُخَادَاةِ الْمَثَلِ بِالْمَثَلِ إِلَّا أَنَّ مَلَكََتَهُمْ فِي ذَلِكَ قَاصِرَةٌ عَنِ الْبَلَاغَةِ كَمَا  
سَبَّأْتُ فِي فَصْلِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَقَادَهُمُ الثَّنُونُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثْرَةُ رَوَايَةِ الشَّعْرِ  
وَالْتَرُّشُّ وَمُدَارَسَةُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَوَّلِ التَّمَرُّ حُصُولِ مَلَكََةٍ صَارُوا بِهَا أَعْرَفَ فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَقَصَّروا فِي سَائِرِ الْعُلُومِ لِعُدْمِ عَنْ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ  
أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَسَاسُهَا فَكَانُوا لِذَلِكَ أَهْلَ حَظٍّ وَأَدَبٍ بَارِعٍ أَوْ مُقْصِرٍ عَلَى حَسَبِ مَا  
يَكُونُ التَّعْلِيمُ الثَّانِي مِنْ بَعْدِ تَعْلِيمِ الصِّبِيِّ وَلَقَدْ ذَهَبَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي  
كِتَابِ رَحْلَتِهِ إِلَى طَرِيقَةِ غَرِبَةٍ فِي وَجْهِ التَّعْلِيمِ وَأَعَادَ فِي ذَلِكَ وَأَبْدَأَ وَقَدَّمَ تَعْلِيمَ  
الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَالَ لِأَنَّ الشَّعْرَ دِيْوَانُ  
الْعَرَبِ وَيَدْعُو عَلَى تَقْدِيمِهِ وَتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّعْلِيمِ ضَرُورَةٌ فَسَادَ الْأَفْعُ ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ  
إِلَى الْحِسَابِ فَيُشَمِّرُ فِيهِ حَتَّى يَرَى الْقَوَائِنَ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَنْتَسِرُ  
عَلَيْكَ يَهْدِيهِ الْمُقَدِّمَةُ ثُمَّ قَالَ وَيَا غَفْلَةَ أَهْلِ بِلَادِنَا فِي أَنْ يُؤْخَذَ الصِّبِيُّ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي  
أَوَّلِهِ يَفْرَأُ مَا لَا يَفْهَمُ وَيَتَصَبُّ فِي أَمْرِ غَيْرِهِ أَهْمٌ مَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَنْظُرُ فِي أَصُولِ  
الَّذِينَ ثُمَّ أَصُولُ الْفَقْهِ ثُمَّ الْجَدَلُ ثُمَّ الْحَدِيثُ وَعُلُومُهُ وَنَعَى مَعَ ذَلِكَ أَنَّ يَخْطُ فِي التَّعْلِيمِ  
عِلْمَانِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُعْتَمَدُ تَابِلًا لِذَلِكَ بِجُودَةِ الْقَهْمِ وَالنَّشَاطِ هَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي

أَبُو بَكْرٍ وَحَمْدُ اللَّهِ وَهُوَ تَعْمَرِي مَذْهَبٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ الْقَوَائِدَ لَا تُسَاعِدُ عَلَيْهِ وَهِيَ أَمَلُكَ  
بِالْأَحْزَالِ وَوَجْهٌ مَا اخْتَصَّتْ بِهِ الْقَوَائِدُ مِنْ تَقْدِيمِ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ إِشَارًا لِلدَّبْرَةِ وَالنُّوَابِ  
وَحَشْيَةٍ مَا يَعْزُضُ الْوَلَدَ فِي جُنُونِ الصَّبِيِّ مِنَ الْآفَاتِ وَالْقَوَاطِعِ عَنِ الْعِلْمِ فَيَقُونُهُ الْقُرْآنُ  
لَأَنَّهُ مَا دَامَ فِي الْحَجَرِ مُنْقَادٌ لِلْحُكْمِ فَإِذَا تَجَاوَزَ الْبُلُوغَ وَاتَّمَلَ مِنْ رِبْقَةِ الْقَهْرِ فَرُبَّمَا  
عَصَفَتْ بِهِ رِيَاحُ الشَّيْبَةِ فَأَلْفَتَهُ بِسَاحِلِ الْبَطَالَةِ فَيَغْتَنِمُونَ فِي زَمَانِ النُّجْمِ وَرِبْقَةِ  
الْحُكْمِ تَحْصِيلَ الْقُرْآنِ لِئَلَّا يَذْهَبَ خُلُوعًا مِنْهُ وَلَا حَصَلَ الْيَقِينُ بِاسْتِزْمَارِهِ فِي طَلَبِ  
الْعِلْمِ وَقَبُولِهِ التَّعْلِيمِ لَكَانَ هَذَا الْمَذْهَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَوَّلَى مَا أَخَذَ بِهِ أَهْلُ  
الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَتَّكُمُ مَا يَشَاءُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثاني والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مضره بهم  
وَذَلِكَ أَنَّ إِرْهَافَ الْحَدِّ بِالتَّعْلِيمِ مُضِرٌّ بِالتَّمَلُّكِ سَيِّئًا فِي أَصَاغِرِ الْوُلَدِ لِأَنَّهُ مِنْ سُوءِ  
الْمَلَكَةِ وَمَنْ كَانَ مَرْبَاهُ بِالْعُسْفِ وَالْقَهْرِ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ أَوْ الْعَمَالِكِ أَوْ الْخُدَمِ  
سَطَا بِهِ الْقَهْرُ وَضَبِقَ عَنِ النَّفْسِ فِي أَنْتِسَاطِهَا وَذَهَبَ بِشَطَاطِهَا وَدَعَاهُ إِلَى الْكَسَلِ وَجَمَلَ  
عَلَى الْكُذِبِ وَالْحُبْثِ وَهُوَ الظَّاهِرُ بغيرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْتِسَاطِ الْأَيْدِي بِالْقَهْرِ  
عَلَيْهِ وَعِلْمُهُ الْمَكْرُ وَالْخُدَيْعَةُ لِلذَّكَ وَصَارَتْ لَهُ هَذِهِ عَادَةً وَخُلُقًا وَفَسَدَتْ مَعَالِي  
الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ الْإِجْتِمَاعُ وَالنَّحْمَرُ وَهِيَ الْحَمِيَّةُ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْزِلِهِ  
وَصَارَ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ بَلْ وَكَسَلَتْ النَّفْسُ عَنْ أَكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالْخُلُقِ  
الْجَمِيلِ فَأَتَقَبَّضَتْ عَنْ غَايَتِهَا وَمَدَى إِنْسَانِيَّتِهَا فَأَزْكَى نَكْسَ وَعَادَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَهَكَذَا  
وَقَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ حَصَلَتْ فِي قَبْضَةِ الْقَهْرِ وَتَالَ مِنْهَا الْعُسْفُ وَأَعْيَبَتْهُ فِي كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ  
أَمْرَهُ عَلَيْهِ وَلَا تَكُونُ الْمَلَكَةُ الْكَافِلَةُ لَهُ رَفِيقَةً بِهِ وَتَعْبُدُ ذَلِكَ فِيهِمْ اسْتِغْرَاءً  
وَأَنْفَرُهُ فِي الْيَهُودِ وَمَا حَصَلَ بِذَلِكَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ السُّوءِ حَتَّى إِنَّهُمْ يوصَفُونَ فِي كُلِّ  
أَفْئَةٍ وَعَصْرِ بِالْخُرْجِ وَمَعْنَاهُ فِي الْأَصْطِلَاحِ الْمَشْهُورِ الْخُتَابُ وَالْكَيدُ وَسَبِيَّةٌ مَا قُلْنَا  
فَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ فِي تَعْلِيمِهِ وَالْوَلَدِ فِي وَلَدِهِ أَنْ لَا يَسْتَيْدَا عَلَيْهِمَا فِي التَّنَادِيهِ وَقَدْ قَالَ  
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي حُكْمِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ لَا يَنْبَغِي  
لِلْمُؤَدِّبِ الصَّبِيَّانِ أَنْ يَزِيدَ فِي ضَرْبِهِمْ إِذَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ شَبِيهَا وَمِنْ

كَلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ بِهِ الشَّرْعَ لَا أَدَبَهُ اللَّهُ حِرْصًا عَلَى صَوْنِ النَّفْسِ  
عَنْ مَذَلَّةِ التَّأْدِيبِ وَعِلْمًا بِأَنَّ الْقَدَارَ الَّذِي عَيْنُهُ الشَّرْعُ لِلذَّكَاءِ أَمَّا لَكَ لَهُ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ  
بِمَصْلَحَتِهِ وَمِنْ أَحْسَنِ مَذَاهِبِ التَّعْلِيمِ مَا تَقَدَّمَ بِهِ الرَّشِيدُ لِعَلِّمٍ وَلَيْدِهِ نَعْمَةُ الْأَمِينِ  
فَقَالَ يَا أَحْمَرُ إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مَعْجَةً نَفْسِهِ وَتَمَرَةً فَلِه قَصِيرٍ بِذَلِكَ عَلَيْهِ  
مَبْسُوطَةٌ وَطَاعَتُهُ لَكَ وَاجِبَةٌ وَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُهُ الْقُرْآنَ  
وَعَرَفَهُ الْأَخْبَارَ وَرَوَاهُ الْأَشْعَارَ وَعَلِمَهُ السُّنَنَ وَبَصَرَهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدَنَهُ وَامْتِنَعَهُ  
مِنَ الضَّحِكِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَاطِعِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَرَنِّعِ  
بِجَالِسِ الْقَوَادِرِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ وَلَا تَمُرَنَّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُقْنَنٌ فَائِدَةً تُبَيِّدُهُ  
إِبَاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزِنَهُ فَتُغَيِّبَ ذَهْنَهُ وَلَا تُغْنِيَنَّ فِي مَسَاحَتِهِ فَيَسْتَجْلِي الْفَرَاغَ وَيَأْتِلَهُ  
وَقَوِّمَهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْإِلَابَةِ فَإِنَّ أَبَاهَا فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالْعَظَاظَةِ انْتَهَى

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في العلم  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبَشَرَ يَأْخُذُونَ مَعَارِفَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَمَا يَنْتَحِلُونَ بِهِ مِنْ  
الْمَذَاهِبِ وَالْفَضَائِلِ تَارَةً عَلِيًّا وَتَعْلِيمًا وَإِلْقَاءً وَتَارَةً مُعَاكَاةً وَتَلْقِينًا بِالْبَاشِرَةِ إِلَّا أَنَّ  
حُصُولَ الْمَلَكَاتِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَالْتَلْقِينَ أَشَدَّ اسْتِحْكَامًا وَأَقْوَى رُسُوحًا نَعْلَى قَدَرِ  
كَثْرَةِ الشُّبُوحِ يَكُونُ حُصُولُ الْمَلَكَاتِ وَرُسُوحُهَا وَالْأَصْطِلَاحَاتِ أَيْضًا فِي تَعْلِيمِ  
الْعُلُومِ مُغْلَطَةً عَلَى الْمُتَعَلِّمِ حَتَّى لَقَدْ يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ  
ذَلِكَ إِلَّا بِمُبَاشَرَتِهِ لِاخْتِلَافِ الطَّرِيقِ فِيهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ فَلِقَاءُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَتَعَدُّدُ الْمَشَاطِعِ  
يُبَيِّدُهُ فَيُمَيِّزُ الْأَصْطِلَاحَاتِ بِمَا يَرَاهُ مِنْ اخْتِلَافِ طُرُقِهِمْ فِيهَا فَيَجَرِّدُ الْعِلْمَ عَنْهَا وَيَعْلَمُ  
أَنَّهَا أَنْحَاءُ تَعْلِيمٍ وَطُرُقُ تَوْصُلٍ وَتَنْهِضُ قُوَاهُ إِلَى الرُّسُوحِ وَالْإِسْتِحْكَامِ فِي الْمَكَانِ  
وَيُصَحِّحُ مَعَارِفَهُ وَتُمَيِّزُهَا عَنْ سِوَاهَا مَعَ تَقْوِيَةِ مَلَكَتِهِ بِالْبَاشِرَةِ وَالتَّلْقِينِ وَكَثْرَتِهَا  
مِنَ الْمَشِيخَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِهِمْ وَتَوَقُّعِهِمْ وَهَذَا لِمَنْ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ طُرُقَ الْعِلْمِ وَالْهُدَايَةَ  
فَأَلْزَمَهُ لَا بَدَّ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَا كِتَابَ الْقَوَائِدِ وَالْكَالِ يَلْقَاهُ الْمَشَاطِعِ وَبَاشِرَةِ  
الرِّجَالِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل الرابع والثلاثون

في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُتَعَادُونَ النَّظَرَ الْفِكْرِيَّ وَالْفَرَصَ عَلَى الْمَعْنَى وَانْتِزَاعَهَا مِنَ التَّحْصُوسَاتِ وَتَجَرُّيدَهَا فِي الذَّهْنِ أُمُورًا كَلِمَةً عَامَةً يُحْكَمُ عَلَيْهَا بِأَمْرِ الْعُمُومِ لَا بِمُخْصُوصٍ مَادَّةٍ وَلَا شَخْصٍ وَلَا جِيلٍ وَلَا أُمَّةٍ وَلَا صَنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَيُطَبِّقُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكَلِمَةَ عَلَى الْخَارِجِيَّاتِ وَأَيْضًا يَقْسِمُونَ الْأُمُورَ عَلَى أَشْبَاهِهَا وَأَمْثَالِهَا بِمَا أَعْتَادُوهُ مِنَ الْقِيَاسِ الْفَقْهِيِّ فَلَا تَزَالُ أَحْكَامُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ كُلُّهَا فِي الذَّهْنِ وَلَا تَصِيرُ إِلَى الْمُطَابَقَةِ إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ التَّجَرُّدِ وَالنَّظَرِ وَلَا تَصِيرُ بِالْجُمْلَةِ إِلَى الْمُطَابَقَةِ وَإِنَّمَا يَتَفَرَّغُ مَا فِي الْخَارِجِ عَمَّا فِي الذَّهْنِ مِنْ ذَلِكَ كَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّهَا فُرُوعٌ مَعْمَا فِي الْحِفْظِ مِنْ أَدَلَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَتَطْلُبُ مُطَابَقَةُ مَا فِي الْخَارِجِ لَهَا عَكْسُ الْأَنْظَارِ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تَطْلُبُ فِي صِدْقِهَا مُطَابَقَتَهَا لَهَا فِي الْخَارِجِ فَهِيَ مُتَعَادُونَ فِي سَائِرِ أَنْظَارِهِمُ الْأُمُورَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْأَنْظَارَ الْفِكْرِيَّةَ لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا وَالسِّيَاسَةَ يَحْتَاجُ صَاحِبُهَا إِلَى مُرَاعَاةِ مَا فِي الْخَارِجِ وَمَا يَلْقَاهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَتَتَبِعُهَا فَإِنَّهَا خَفِيَّةٌ وَلَعَلَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَا يَمْنَعُ مِنَ الْإِلْحَاقِ بِشَيْءٍ أَوْ مِثَالٍ وَتَبَا فِي الْكَلِمَةِ الَّذِي يَحَاوُلُ تَطْبِيقَهُ عَلَيْهَا وَلَا يَقَاسُ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَاءِ عَلَى الْآخَرِ كَمَا أَشْتَبَهَا فِي أَمْرِ وَاحِدٍ فَلَمْلَهُمَا اخْتِلَافٌ فِي أُمُورٍ فَتَكُونُ الْعُلَمَاءُ لِأَجْلِ مَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ تَقْيِيمِ الْأَحْكَامِ وَقِيَاسِ الْأُمُورِ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ إِذَا نَظَرُوا فِي السِّيَاسَةِ افْرَغُوا ذَلِكَ فِي قَلْبِ أَنْظَارِهِمْ وَنَوَّعَ اسْتِدْلَالَتِهِمْ فَيَقْعُونَ فِي الْغَلْطِ كَثِيرًا وَلَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ وَيَلْحَقُ بِهِمْ أَهْلُ الذِّكَاةِ وَالْكَيْسِ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَاءِ لِأَنَّهُمْ يَنْزِعُونَ بِغُيُوبِ أَذْهَانِهِمْ إِلَى مِثْلِ شَأْنِ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْقَوَصِ عَلَى الْمَعْنَى وَالْقِيَاسِ وَالْجَمَاعَةِ فَيَقْعُونَ فِي الْغَلْطِ وَالْعَامِي السَّالِمُ الطَّبْعِ الْمَتَوَسِّطُ الْكَيْسِ لِقُصُورِ فِكْرِهِ عَنْ ذَلِكَ وَعَدَمِ اعْتِبَادِهِ إِيَّاهُ بِتَقْصِيرِ لِكُلِّ مَادَّةٍ عَلَى حُكْمِهَا وَفِي كُلِّ صَنْفٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ عَلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ وَلَا يَبْذُرُ الْحُكْمَ بِقِيَاسٍ وَلَا تَقْيِيمٍ وَلَا يَفَارِقُ فِي أَكْثَرِ نَظَرِهِ الْمَوَادَّ الْحَسُوسَةَ وَلَا يَحَاوِلُهَا فِي ذِهْنِهِ كَالسَّابِحِ لَا يَفَارِقُ الْبَرَّ عِنْدَ الْمَوْجِ

قَالَ الشَّاعِرُ

فَلَا تَوَلَّانِ إِذَا مَا سَجَّتْ مَ فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ

فَيَكُونُ مَأْمُونًا مِنَ النَّظَرِ فِي سِيَاسَتِهِ مُسْتَقِيمٍ النَّظَرُ فِي دُعَائِهِ أَيْ بَنَاءِ جِسْمِهِ فَيَحْسُنُ  
مَعَاشَهُ وَتَنْدَفِعُ أَفَاتُهُ وَمَضَارُهُ بِاسْتِقَامَةِ نَظَرِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ وَبَيْنَ هُنَا بَيْنَ  
أَنْ صِنَاعَةَ الْمُنَظِّرِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ الْفَلْطُ لِكَرْهٍ مَا فِيهَا مِنَ الْإِتْرَاعِ وَبَعْدَهَا عَنِ الْحَسُوسِ  
فَأَنَّهُ تَنْظَرُ فِي الْمَقُولَاتِ الثَّوَابِي وَلَعَلَّ الْمَوَادَّ فِيهَا مَا يُبَاعِغُ تِلْكَ الْأَحْكَامَ وَيُنَافِيهَا  
عِنْدَ مُرَاعَاةِ التَّطَبُّقِ الْيَقِينِي وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْمَقُولَاتِ الْأَوَّلِ وَهِيَ الَّتِي تَجْرِيدهَا قَرِيبُ  
فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا خَيَالِيَّةٌ وَصُورُ الْحَسُوسَاتِ حَافِظَةٌ مُؤَدِّنَةٌ يَتَصَدَّقُ انْطِبَاقُهَا  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَيَهْدِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخامس والثلاثون

في ان حلة العلم في الاسلام اكثرهم العجم  
مِنَ الْقَرِيبِ الْوَاقِعِ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْعِلْمَةِ إِلَّا سَلَامِيَّةً أَكْثَرُهُمُ الْعَجَمُ لَا مِنَ  
الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ الْعَرَبِيُّ فِي  
نِسْبَتِهِ فَهُوَ عَجَمِيٌّ فِي لُغَتِهِ وَزَبَانِهِ وَمُسْتَحْيِهِ مَعَ أَنَّ الْعِلْمَةَ عَرَبِيَّةً وَصَاحِبَ شَرِيحَتِهَا عَرَبِيٌّ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَةَ فِي أَوَّلِهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِلْمٌ وَلَا صِنَاعَةٌ لِدَفْعَةِ أَحْوَالِ  
السَّادَةِ وَالْبِدَاوَةِ وَإِنَّمَا أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي فِي أَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ كَانَتْ الرِّجَالُ  
يَنْقُلُونَهَا فِي صُدُورِهِمْ وَقَدْ عَرَفُوا مَا خَذَهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا تَقَوُّهُ مِنْ صَاحِبِ  
الشَّرْعِ وَأَحْكَامِهِ وَالْقَوْمُ يَوْمِئِذٍ عَرَبٌ لَمْ يَعْرِفُوا أَمْرَ التَّعْلِيمِ وَالنَّالِيفِ وَالنَّدَوِينَ وَلَا  
دَفْعُوا إِلَيْهِ وَلَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ زَمَنَ الْعَهَابَةِ وَالنَّابِغِينَ وَكَانُوا  
يُسَمُّونَ الْمُخْتَصِينَ بِحَمَلِ ذَلِكَ وَتَقْلِيدِهِ إِلَى الْقُرَاءِ أَيْ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ وَلَيْسُوا أُمَمِينَ  
لِأَنَّ الْأُمَمِيَّةَ يَوْمِئِذٍ صِفَةٌ عَامَّةٌ فِي الْعَهَابَةِ بِمَا كَانُوا عَرَبًا فَقِيلَ لِحَمَلَةِ الْقُرْآنِ يَوْمِئِذٍ قُرَاءٌ  
إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا فَهُمْ قُرَاءٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَّا مِنْهُ وَمِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ فِي غَالِبِ مَوَارِدِهِ تَفْسِيرُهُ وَشَرْحُهُ  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابُ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي فَلَمَّا بَعُدَ النُّقْلُ مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ الْأَرْشِيدِ قَمَا بَعْدَ أَحْبَبِجَ إِلَى وَضْعِ التَّفَاسِيرِ الْقُرْآنِيَّةِ  
وَتَقْيِيدِ الْحَدِيثِ عَمَّا فِيهِ ضِيَاعُهُ ثُمَّ أَحْبَبِجَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ وَتَعْدِيلِ النَّاقِلِينَ لِلتَّمْيِيزِ  
بَيْنَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَسَانِيدِ وَمَا دُونَهُ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِغْرَاجُ أَحْكَامِ الْوَاقِعَاتِ مِنْ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَسَدَ مَعَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَأُخْتِجَ إِلَى وَضْعِ الْقَوَانِينِ النُّجُومِيَّةِ وَصَارَتْ  
 الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ كُلُّهَا مَلَكَاتٍ فِي الْأَسْتَبْطَاتِ وَالْإِسْتِخْرَاجِ وَالنَّظَائِرِ وَالْقِيَاسِ  
 وَأُخْتِجَتْ إِلَى عُلُومٍ أُخْرَى وَهِيَ الْأَوْسَائِلُ لَهَا مِنْ مَعْرِفَةِ قَوَانِينِ الشَّرْعِيَّةِ وَقَوَانِينِ ذَلِكَ  
 الْأَسْتَبْطِ وَالْقِيَاسِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ لِكَثْرَةِ الْبِدْعِ وَالْإِلْهَادِ  
 فَصَارَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ كُلُّهَا عُلُومًا ذَاتَ مَلَكَاتٍ مُتَحَاجَّةً إِلَى التَّعْلِيمِ فَأَنْدَرَجَتْ فِي جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ مِنْ مُتَحَلِّ الْحُضَرِ وَأَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهَا  
 فَصَارَتْ الْعُلُومُ لِذَلِكَ حَضَرِيَّةً وَبَعْدَ عَنْهَا الْعَرَبُ وَعَنْ سَوْفِهَا وَالْحُضَرُ لِذَلِكَ الْعَمْدُ هُمْ  
 الْعَجَمُ أَوْ مَنْ هُمْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْمَوَالِي وَأَهْلُ الْخَوَاصِرِ الَّذِينَ هُمْ يَوْثِدُ تَبَعٌ لِلْعَجَمِ فِي  
 الْحِضَارَةِ وَأَحْوَالِهَا مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْخَرَفِ لِأَنَّهُمْ أَقْوَمُ عَلَى ذَلِكَ لِلْحِضَارَةِ الرَّاسِخَةِ فِيهِمْ  
 مِنْذُ دَوْلَةِ الْفَرَسِ فَكَانَ صَاحِبُ صِنَاعَةِ النَّحْوِ سَبُورِيَّةً وَالْفَارِسِيُّ مِنْ بَعْدِهِ وَالزَّجَّاجُ مِنْ  
 بَعْدِهِمَا وَكُلُّهُمْ عَجَمٌ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنَّمَا رُبُّوا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْتَسَبُوهُ بِالْعَرَبِيِّ  
 وَتَحَلَّطَ الْعَرَبُ وَصَبَّرُوهُ قَوَانِينُ وَقَنَّا لِمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَذَا حَمَلَةُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ حَفِظُوهُ عَنْ  
 أَهْلِ الْأَوَّلِ أَمْ كَثُرَتْ عَجَمٌ أَوْ مُتَعَجِّمُونَ بِاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيِّ وَكَانَ عِلْمُهُمْ أَصُولُ الْفَقْهِ  
 كُلُّهُمْ عَجَمًا كَمَا يُعْرَفُ وَكَذَا حَمَلَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ وَكَذَا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ وَلَمْ يَفُتْ  
 بِحِفْظِ الْعِلْمِ وَتَدْوِينِهِ إِلَّا الْأَعْلَامُ وَظَهَرَ مُضَادُّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَعَلَّقَ الْعِلْمُ  
 بِأَكْثَرِ السَّمَاءِ لَمَالَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسٍ وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا هَذِهِ الْحِضَارَةَ  
 وَسَوْفَهَا وَخَرَجُوا إِلَيْهَا عَنِ الْبِدَاوَةِ فَشَقَّاتُهُمْ الرِّئَاسَةُ فِي الدَّوْلَةِ وَحَامِيَتُهَا وَأُولِي سِيَاسَتِهَا  
 مَعَ مَا يَلْقَهُنَّ مِنَ الْأَنَفَةِ عَنِ انْتِحَالِ الْعِلْمِ حِينَئِذٍ بِمَا صَارَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَالرُّؤُوسَاءِ  
 أَبَدًا يَسْتَنْصِفُونَ عَنِ الصَّنَائِعِ وَالْمِهِنِ وَمَا يَجُزُّ إِلَيْهَا وَدَقُّوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ مِنَ  
 الْعَجَمِ وَالْمَوْلُودِينَ وَمَا زَالُوا يَرَوْنَ لَهُمْ حَقَّ الْقِيَامِ بِهِ فَإِنَّهُ دِيْنُهُمْ وَعُلُومُهُمْ وَلَا يَحْتَقِرُونَ  
 حَمَلَتَهَا كُلَّ الْإِحْتِقَارِ حَتَّى إِذَا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ الْعَرَبِ جُمْلَةً وَصَارَ لِلْعَجَمِ صَارَتْ الْعُلُومُ  
 الشَّرْعِيَّةُ عَرَبِيَّةً النَّسَبَ عِنْدَ أَهْلِ الْمَلِكِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُعْدِ عَنِ نِسَبَتِهَا وَأَهْنُونَ حَمَلَتَهَا  
 بِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ بَعْدَهُ عَنْهُمْ مُشْتَغِلِينَ بِمَا لَا يَفْنَى وَلَا يُعْجِزُ عَنْهُمْ فِي الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ  
 كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي نَقْلِ الْمَرَاتِبِ الدِّيْنِيَّةِ فَبَدَا لِلَّذِي قَرَرْنَاهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ حَمَلَةَ  
 الشَّرْعِيَّةِ أَوْعَاثُهُمْ مِنَ الْعَجَمِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقَلِيَّةُ أَيْضًا فَلَمْ تَظْهَرْ فِي الْعِلْمَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ

تَمَيَّزَ حِمْلَةُ الْعِلْمِ وَمَوْلَاهُ وَاسْتَقَرَّ الْعِلْمُ كُلُّهُ صِنَاعَةً فَأَخْصَصَتْ بِالْعَجْمِ وَتَرَكْنَاهَا الْعَرَبُ  
وَأَنْصَرَفُوا عَنْ أَنْتِجَالِهَا فَلَمْ يَحْمِلْهَا إِلَّا الْمَعْرَبُونَ مِنَ الْعَجْمِ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كَمَا فَنَاءُهَا أَوَّلًا  
فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ مَا دَامَتِ الْحِضَارَةُ فِي الْعَجْمِ وَبِلَادِهِمْ مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ  
وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَلَمَّا خَرِبَتْ تِلْكَ الْأَمْصَارُ وَذَهَبَتْ مِنْهَا الْحِضَارَةُ الَّتِي هِيَ مِيرَاثُ اللَّهِ فِي  
حُصُولِ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ ذَهَبَ الْعِلْمُ مِنَ الْعَجْمِ جُمْلَةً لِمَا شَمَلْتُمْ مِنَ الْيَدَاوَةِ وَأَخْصَصَ  
الْعِلْمُ بِالْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْحِضَارَةَ وَلَا أَوْفَرَ الْيَوْمَ فِي الْحِضَارَةِ مِنْ مِصْرَ فَبَعِيَ أُمُّ الْعَالَمِ  
وَأَيُّوَانُ الْأِسْلَامِ وَيَنْبُوعُ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ وَبَقِيَ بَعْضُ الْحِضَارَةِ فِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِمَا  
هُنَاكَ مِنَ الْحِضَارَةِ بِالْقَوْلَةِ الَّتِي فِيهَا فَلَهُمْ بِذَلِكَ حِصَّةٌ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ لَا تُنْكَرُ  
وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ كَلَامُ بَعْضِ عُلَمَائِهِمْ مِنْ تَأْلِيفِ وَصَلَتِ الْبِنَاءُ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَهُوَ  
سَعْدُ الدِّينِ التَّنَازِلِيُّ وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْعَجْمِ فَلَمْ تَرَوْهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِسْلَامِ ابْنُ الْخَلْطِيبِ  
وَأَصْبِرُ الدِّينِ الطُّوسِيَّ كَلَامًا يُعَوَّلُ عَلَى نَهَائِهِ فِي الْأَصَابَةِ فَأَعْتَبَرْتُ ذَلِكَ وَتَأَمَّلْتُ تَرْعِيبًا  
فِي أَحْوَالِ الْخَلْقِ وَأَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

### الفصل السادس والثلاثون

في علوم اللسان العربي

أَرَادَ كَأَنَّهُ أَرَبَةٌ وَهِيَ الْلُغَةُ وَالنَّحْوُ وَالْبَيَانُ وَالْأَدَبُ وَمَعْرِفَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ عَلَى أَهْلِ  
الشَّرِيعَةِ إِذْ مَا خُذَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ كُلِّهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَهِيَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ  
وَتَقْلُوبُهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَرَبٌ وَشَرَحَ مُشْكِلَاتِهَا مِنْ لُغَاتِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا اللِّسَانِ لِمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ وَتَفَاوُتُ فِي التَّأْكِيدِ بِتَفَاوُتِ  
مَرَاتِبِهَا فِي التَّوْفِيَةِ بِمَقْصُودِ الْكَلَامِ حَسَبًا يَتَبَيَّنُ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَنَأْتِي وَالَّذِي  
يَتَحَصَّلُ أَنَّ الْأَهَمَّ الْمَقْدَمُ مِنْهَا هُوَ النَّحْوُ إِذْ بِهِ تُبَيِّنُ أَصُولُ الْمَقَاصِدِ بِالْبَدَلَةِ فَيَعْرِفُ  
الْفَاعِلَ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأَ مِنَ الْخَبَرِ وَلَوْلَا لِحُولِ أَصْلُ الْإِفَادَةِ وَكَانَ مِنْ حَقِّ عِلْمِ  
اللُّغَةِ التَّقْدِيمُ لَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْضَاعِ بَاقِيَةٌ فِي مَوْضِعَاتِهَا لَمْ تَتَغَيَّرْ بِمِثْلِ الْأَعْرَابِ  
الْبَالِ عَلَى الْأَسْتَدِّ وَالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ تَغَيَّرَ بِالْجُمْلَةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ فَلِذَلِكَ  
كَانَ عِلْمُ النَّحْوِ أَهَمَّ مِنَ الْلُغَةِ إِذْ فِي جِهَلِهِ إِلَّا خِلَالَ الْإِتْقَانِ جُمْلَةً وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ

## علم النحو

اعْلَمْ أَنَّ اللُّغَةَ فِي الْمُتَعَارَفِ فِي عِبَارَةِ الْمُتَكَلِّمِ عَنْ مَقْصُودِهِ وَتِلْكَ الْعِبَارَةُ  
فِعْلٌ لِسَانِي فَلَا بُدَّ أَنْ تَصِيرَ مَلَكَةً مُتَقَرَّرَةً فِي الْمَعْنَى الْفَاعِلِ لَهَا وَهُوَ الْإِنْسَانُ وَهُوَ فِي  
كُلِّ أُمَّةٍ بِحَسَبِ اضْطِلَاحَاتِهِمْ وَكَانَتْ الْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةُ لِلْعَرَبِ مِنْ ذَلِكَ أَحْسَنَ  
الْمَلَكَاتِ وَأَوْضَحَهَا إِبَانَةً عَنِ الْمَقَاصِدِ لِلدَّلَالَةِ غَيْرِ الْكَلِمَاتِ فِيهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ  
الْمَعَانِي مِنَ الْجَبْرُورِ أَعْنِي الْمَصَافَ وَمِثْلَ الْحُرُوفِ الَّتِي تُنْفِي بِالْأَفْعَالِ إِلَى الدَّوَاتِ  
مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ أَلْفَاظٍ أُخْرَى وَلَيْسَ بِوَجْدِ ذَلِكَ إِلَّا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنْ  
اللُّغَاتِ فَكُلُّ مَعْنَى أَوْ حَالٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ أَلْفَاظٍ تُخَصُّهُ بِالْدَّلَالَةِ وَلِلَّذَلِكَ نَجِدُ كَلَامَ  
الْعَجَمِ مِنْ مُحَاطَبَاتِهِمْ أَطْوَلَ مِمَّا تُقَدِّرُهُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوَيْتِ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَأَخْصِرَ لِي الْكَلَامُ اخْتِصَارًا فَصَارَ لِلْحُرُوفِ فِي  
لُغَتِهِمْ وَالْحُرُوكَاتِ وَالْمَبْنِيَّاتِ أَيْ الْأَوْضَاعِ اعْتِبَارٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ غَيْرَ مُتَكَلِّفِينَ  
فِيهِ لِصِنَاعَةِ يَسْتَفِيدُونَ ذَلِكَ مِنْهَا إِنَّمَا فِي مَلَكَةٍ فِي أَلْسِنَتِهِمْ بِأَخْذِهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ  
كَمَا تَأْخُذُ صِبْيَانُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ لَمَّا نَبَا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَفَارَقُوا الْحِجَارَ لَطَّابِ الْمَلِكِ  
الَّذِي كَانَ فِي أَيْدِي الْأَمَرِ وَالِدُولِ وَخَالَطُوا الْعَجَمَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْمَلَكَةُ بِمَا أَلْفَى  
إِلَيْهَا السَّمْعُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الَّتِي لِلْمُسْتَعَرَبِينَ وَاسْتَمَعَ أَبُو الْمَلِكِ كَاتِبُ السَّانِيَةِ فَفَسَدَتْ بِمَا  
أَلْفَى إِلَيْهَا مِمَّا يُغَيِّرُهَا لِمُجُوجِهَا إِلَيْهِ بِاعْتِيَادِ السَّمْعِ وَخَشِيَ أَهْلُ الْعُلُومِ مِنْهُمْ أَنْ تَفْسُدَ  
تِلْكَ الْمَلَكَةُ رَأْسًا وَيَطُولَ الْعَهْدُ بِهَا فَيَنْفَلِقَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ عَلَى الْمَقْبُومِ فَاسْتَنْبَطُوا  
مِنْ تَجَارِيهِ كَلَامِهِمْ قَوَانِينَ لِتِلْكَ الْمَلَكَةِ مُطَرَّدَةً شِبْهَ الْكَلِمَاتِ وَالْقَوَاعِدِ يَقْبِسُونَ  
عَلَيْهَا سَائِرَ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَيَلْقِشُونَ الْأَشْبَاهَ بِأَشْبَاهٍ مِثْلَ أَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولُ  
مَنْصُوبٌ وَالْمَبْدَأُ مَرْفُوعٌ ثُمَّ رَأَوْا تَغْيِيرَ الدَّلَالَةِ بِتَغْيِيرِ حُرُوكَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَاصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَتِهِ إِعْرَابًا وَتَسْمِيَةَ الْمُوجِبِ لِتِلْكَ التَّغْيِيرِ عَامِلًا وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَصَارَتْ كُلُّهَا  
اصْطِلَاحَاتٍ خَاصَّةً بِهِمْ فَقَبِلُوهَا بِالْكِتَابِ وَجَمَلُوهَا صِنَاعَةً لَهُمْ مَخْصُوصَةً وَاصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَتِهَا بِعِلْمِ النُّحْوِ وَأَوَّلَ مَنْ كَتَبَ فِيهَا أَبُو الْأَسَدِ الدَّوْلِيُّ مِنْ بَنِي كِهَانَةَ وَيُقَالُ  
بِإِشَارَةٍ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ رَأَى تَغْيِيرَ الْمَلَكَةِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِحِفْظِهَا فَفَرَعَ إِلَى



ضبطها بالقوانين الخاضعة المستقرة أو تم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى  
 الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد وكان الناس أخرج إليها الذهاب تلك الملكة  
 من العرب فهدب الصناعة وكمل أبوابها وأخذها عنه سيديون فكمّل تقاريعها واستكثر  
 من أدلتها وشواهدا ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إماما لكل ما كتب فيها  
 من بعده ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتباً مختصرة للمتعلمين يتعدون  
 فيها حدّو الآمام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها  
 في الكوفة والبصرة المصربين القديمين للعرب وكثرت الأدلة والحجج بينهم وتباينت  
 الطرق في التعليم وكثر الخلاف في إعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في  
 تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمداهمهم في الاختصار  
 فاختصروا كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نفع كما فعله ابن مالك في  
 كتاب التسهيل وأمثاله أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الرخسري  
 في المفصل وابن الحارث في المقدمة له وربما نظموا ذلك نظماً مثل ابن مالك في  
 الأجزاءتين الكبرى والصغرى وابن معطي في الأجزاء الألفية وبأجملة فالتأليف  
 في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة  
 المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون  
 والأندلسيون مختلفة طرقتهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة تؤذن بالذهاب لما  
 رأينا من النقص في سائر العلوم والصنائع يتناقص العمران ووصل إلينا بالمغرب  
 لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى  
 فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل  
 وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وسماه بالذهني في الإعراب  
 وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم  
 سائر ما فوقها منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته  
 منها وكأنه يتبحر في طريقته منحة أهل الموصل الذين أقتفوا أثر ابن جني واتبعوا  
 مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته وأطلاعه والله  
 يزيد في الخلق ما يشاء

## علم اللغة

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ بَيَانُ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فِي الْحُرُكَاتِ الْمُصَنَّفَةِ عِنْدَ أَهْلِ النَّحْوِ بِالْأَعْرَابِ وَاسْتَنْطِطَتِ الْقَوَائِنُ لِحِفْظِهَا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ اسْتَحْمَرَ ذَلِكَ الْقَسَادُ بِمَلَاسَةِ الْعِجْمِ وَتَغَالُطِهِمْ حَتَّى نَادَى الْقَسَادُ إِلَى مَوْضُوعَاتِ الْأَلْفَاظِ فَاسْتَعْمَلَ كَثِيرٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ عِنْدَهُمْ مِثْلًا مَعَ هِجَةِ الْمُسْتَعْرَبِينَ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ الْخَالِيفَةِ لِصَرْيَحِ الْعَرَبِيَّةِ فَاحْتَجَّ إِلَى حِفْظِ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ بِالْكِتَابِ وَاللُّدُونِ خَشْيَةَ الدُّرُوسِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ فَسَمَرَ كَثِيرٌ مِنْ أُنَمَةِ اللِّسَانِ لِدَلِكِ وَأَمَلُوا فِيهِ الدُّوَاوِينَ وَكَانَ سَابِقُ الْحَاجَةِ فِي ذَلِكَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ أَلْفَ فِيهَا كِتَابَ الْعَيْنِ فَحَصَرَ فِيهِ مَرْكَبَاتِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كُلَّهَا مِنَ الثَّنَائِي وَالثَّلَاثِي وَالْأَرْبَاعِي وَالْخَمَاسِي وَهُوَ غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ التَّرْكِيبُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَتَأْتَى لَهُ حَصْرُ ذَلِكَ بِوُجُوهٍ عَدِيدَةٍ حَاضِرَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةَ الْكَلِمَاتِ الثَّنَائِيَّةِ تَخْرُجُ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْدَادِ عَلَى التَّوَالِي مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعَشْرِينَ وَهُوَ دُونَ نِهَايَةِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِوَاحِدٍ لِأَنَّ الْحُرُوفَ الْوَاحِدَةَ مِنْهَا يُؤْخَذُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ فَتَكُونُ سَبْعَةٌ وَعَشْرِينَ كَلِمَةً ثَنَائِيَّةً ثُمَّ يُؤْخَذُ الثَّنَائِي مَعَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ كَذَلِكَ ثُمَّ الثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُ ثُمَّ يُؤْخَذُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مَعَ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ فَيَكُونُ وَاحِدًا فَتَكُونُ كُلُّهَا أَعْدَادًا عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعَشْرِينَ فَتُجْمَعُ كَمَا فِي يَأْلَعَمِلِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِ الْحِسَابِ ثُمَّ تَضَاعَفُ لِأَجْلِ قَلْبِ الثَّنَائِي لِأَنَّ التَّقْدِيمَ وَالْتَأْخِيرَ بَيْنَ الْحُرُوفِ مُعْتَبَرٌ فِي التَّرْكِيبِ فَيَكُونُ الْخَارِجُ جُمْلَةَ الثَّنَائِيَّاتِ فِيمَا يَجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ لِأَنَّ كُلَّ ثَنَائِيَّةٍ يَزِيدُ عَلَيْهَا حَرْفًا فَتَكُونُ ثَلَاثِيَّةً فَتَكُونُ الثَّنَائِيَّةُ بِمَنْوَلَةِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ الْبَاقِيَةِ وَهِيَ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَ الثَّنَائِيَّةِ فَتُجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ عَلَى تَوَالِي الْعِدَدِ وَيَضْرَبُ فِيهِ جُمْلَةُ الثَّنَائِيَّاتِ ثُمَّ تَضْرَبُ الْخَارِجُ فِي سِتَّةٍ جُمْلَةً مَقْلُوبَاتِ الْكَلِمَةِ الثَّلَاثِيَّةِ فَيَخْرُجُ مَجْمُوعٌ يَزَاكِبُهَا مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَكَذَلِكَ فِي الْأَرْبَاعِي وَالْخَمَاسِي فَاتَّحَصَرَتْ لَهُ التَّرَاكِبُ بِهَذَا الْوَجْهِ وَرَتَّبَ أَبَوَاهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِالتَّرْتِيبِ الْمَعَارُوفِ وَأَعْتَمَدَ فِيهِ تَرْتِيبَ الْخَارِجِ قَبْدًا بِحُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ بَعْدَهُ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ الْأَضْرَاسِ ثُمَّ

السَّمْعَةِ وَجَعَلَ حُرُوفَ الْعِلَّةِ آخِرًا وَحِي الْحُرُوفِ الْهَوَائِيَّةُ وَبَدَأَ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ بِالْعَيْنِ  
لِأَنَّهُ الْأَفْصَرُ مِنْهَا فَلِذَلِكَ سَمِّيَ كِتَابُهُ بِالْعَيْنِ لِأَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ كَانُوا يَذْهَبُونَ فِي تَسْمِيَةِ  
دَوَابِهِمْ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَهُوَ تَسْمِيَتُهُ بِأَوَّلِ مَا يَبْقَى فِيهِ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَلْفَاظِ ثُمَّ  
بَيْنَ الْمُعْمَلِ مِنْهَا مِنَ الْمُسْتَعْمَلِ وَكَانَ الْمُعْمَلُ فِي الرَّبَاعِيِّ وَالْخَمَاسِيِّ أَكْثَرَ لِقَلَّةِ  
اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ لَهُ لِثِقَلِهِ وَلِحَقِّقِ بِهِ الثَّنَائِي لِقَلَّةِ دَوْرَانِهِ وَكَانَ الْإِسْتِعْمَالُ فِي الثَّلَاثِيِّ  
أَغْلَبَ فَكَانَتْ أَوْضَاعُهُ أَكْثَرَ لِدَوْرَانِهِ وَضَمَّنَ الْحَلِيلُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كِتَابِ الْعَرَبِ  
وَأَسْتَوْعَبَهُ أَحْسَنَ اسْتِعْيَابٍ وَأَوْعَاهُ وَجَاهَهُ أَبُو بَكْرٍ الزَّيْلِيدِيُّ وَكَتَبَ لِهَيْشَامِ الْمُؤَيَّدِ  
بِالْأَنْدَلُسِ فِي الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ فَأَخْصَرَهُ مَعَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْإِسْتِعْيَابِ وَحَذَفَ مِنْهُ الْمُعْمَلُ  
كُلَّهُ وَكَثِيرًا مِنْ شَوَاهِدِ الْمُسْتَعْمَلِ وَلِخَصَّةٍ لِلْحِفْظِ أَحْسَنَ تَلْخِيصٍ وَأَلَّفَ الْجَوْهَرِيُّ  
مِنْ الْمَشَارِقَةِ كِتَابَ الصِّحَاحِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمُتَعَارِفِ لِحُرُوفِ الْمُعْجَمِ فَعَمَلَ الْبِدَاءَةَ مِنْهَا  
بِالْعُمُزَةِ وَجَعَلَ التَّرْجَمَةَ بِالْحُرُوفِ عَلَى الْحَرْفِ الْأَخِيرِ مِنَ الْكَلِمَةِ لِأَضْطِرَارِ النَّاسِ فِي  
الْأَكْثَرِ إِلَى أَوَاخِرِ الْكَلِمِ وَحَصَرَ اللُّغَةَ أَقْدَاءَ مُحْضَرِ الْحَلِيلِ ثُمَّ أَلَّفَ فِيهَا مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ابْنَ  
سَيِّدِهِ مِنْ أَهْلِ دَانِيَّةٍ فِي دَوْلَةِ عَلِيِّ بْنِ بُجَاهِدٍ كِتَابَ الْحَكْمِ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنَ الْإِسْتِعْيَابِ  
وَعَلَى نَحْوِ تَرْتِيبِ كِتَابِ الْعَيْنِ وَزَادَ فِيهِ التَّعْرُضَ لِاسْتِثْقَاتِ الْكَلِمِ وَتَصَادِيفِهَا فَجَاءَ مِنْ  
أَحْسَنِ الدَّوَابِينَ وَلِخَصَّةٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ صَاحِبُ الْمُسْتَقْصِرِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْخَفِصِيَّةِ  
بُيُوتِينَ وَقَلَّبَ تَرْتِيبَهُ إِلَى تَرْتِيبِ كِتَابِ الصِّحَاحِ فِي اعْتِبَارِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ وَبَنَاهُ التَّرَاجِمِ  
عَلَيْهَا فَكَانَا تَوَاصِييَ رَجَمٍ وَسَلِيلِي أَبَوَيْهِ هَذِهِ أَصُولُ كُتُبِ اللُّغَةِ فِيمَا عَلِمْنَاهُ وَهُنَاكَ  
مُخْتَصَرَاتٌ أُخْرَى مُخْتَصَّةٌ بِصِنْفٍ مِنَ الْكَلِمِ وَمُسْتَوْعِبَةٌ لِبَعْضِ الْأَبْوَابِ أَوْ لِكُلِّهَا إِلَّا  
أَنَّ وَجْهَ الْخَصْرِ فِيهَا خَفِيٌّ وَوَجْهُ الْخَصْرِ فِي تِلْكَ جَلِيٌّ مِنْ قِبَلِ التَّرَاكِبِ كَمَا رَأَيْتُ وَمِنْ  
الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ أَيْضًا فِي اللُّغَةِ كِتَابُ الرَّخْشَرِيِّ فِي الْعِجَازِ بَيْنَ كُلِّ مَا تَجَوَّزَتْ  
بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَفِيمَا تَجَوَّزَتْ بِهِ مِنَ الْمَدْلُولَاتِ وَهُوَ كِتَابُ قَرِيفِ الْإِفَادَةِ  
ثُمَّ لَمَّا كَانَتْ الْعَرَبُ تَقْضُ الشَّيْءَ عَلَى الْعُمُومِ ثُمَّ تَسْتَعْمِلُ فِي الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ أَلْفَاظًا  
أُخْرَى خَاصَّةً بِهَا فَرَّقَ ذَلِكَ عِنْدَنَا بَيْنَ الْوَضْعِ وَالْإِسْتِعْمَالِ وَاحْتِجَّ إِلَى فِقْهِ فِي اللُّغَةِ  
عَزِيزِ الْمَأْخَذِ كَمَا وَضِعَ الْإِيضُ بِالْوَضْعِ الْعَامِ لِكُلِّ مَا فِيهِ يَأْضُ ثُمَّ أَخْصَصَ مَا فِيهِ  
يَأْضُ مِنَ الْخَلِيلِ بِالْأَشْهَبِ وَمِنَ الْإِنْسَانِ بِالْأَزْهَرِ وَمِنَ الْغَنَمِ بِالْأَمْلَحِ حَتَّى صَارَ اسْتِعْمَالُ

الْأَيْضَ فِي هَذِهِ كُلِّهَا لَحْنًا وَخُرُوجًا عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ وَأَخْصَصَ بِالتَّأْلِيفِ فِي هَذَا الْحَقِّ  
 التَّعَالِي. وَأَفْرَدَهُ فِي كِتَابٍ لَهُ سَمَاءُ فِيهِ أَلْفَةٌ وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ مَا يَأْخُذُ بِهِ اللُّغَوِيُّ نَفْسَهُ  
 أَنْ يُحَرِّفَ أَسْمَاءَ الْعَرَبِ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَلَيْسَ مَعْرِفَةُ الْوَضْعِ الْأَوَّلِ بِكَافٍ فِي التَّرْتِيبِ  
 حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ أَسْمَاءُ الْعَرَبِ لِلذِّكْرِ وَأَكْثَرُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ الْأَدِيبُ فِي فَنِّي  
 نَظْمِهِ وَتَرْوِجِ حَدَرًا مِنْ أَنْ يَكْثُرَ لَحْنُهُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ اللُّغَوِيَّةِ فِي مَفْرَدَاتِهَا وَتَوَاجُيَاتِهَا  
 وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ اللَّحْنِ فِي الْأَعْرَابِ وَأَفْحَشُ وَكَذَلِكَ أَلْفَ بَعْضِ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي الْأَلْفَاظِ  
 الْمَشْتَرَكَةِ وَتَكْفُلُ بِحَصْرِهَا وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْإِهَابَةِ فِي ذَلِكَ فَهُوَ مُسْتَوْعِبٌ لِلْأَكْثَرِ  
 وَأَمَّا الْخُفْتَصَرَاتُ الْمَوْجُودَةُ فِي هَذَا الْقَرْنِ الْخُفْصَةُ بِالْمُتَدَاوِلِ مِنَ أَلْفَةِ الْكَثِيرِ  
 الْأَسْتِعْمَالِ تَسْهِيلًا لِحِفْظِهَا عَلَى الطَّالِبِ فَكَثِيرَةٌ مِثْلُ الْأَلْفَاظِ لِابْنِ السَّكَنِ وَالْفَصِيحِ  
 الشَّعْبِ وَغَيْرِهِمَا وَبَعْضُهَا أَقَلُّ لُغَةً مِنْ بَعْضٍ لِاخْتِلَافِ نَظَرِهِمْ فِي الْأَمْرِ عَلَى الطَّالِبِ  
 الْحِفْظِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### علم البيان

هَذَا الْعِلْمُ حَادِثٌ فِي الْعِلْمَةِ بَعْدَ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ وَهُوَ مِنَ الْعُلُومِ الْأَسَانِيَةِ لِأَنَّهُ  
 مُتَعَلِّقٌ بِالْأَلْفَاظِ وَمَا تُبْدِيهِ وَيُقْصَدُ بِهَا الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَانِي وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي  
 يَقْصِدُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا إِفَادَةَ السَّامِعِ مِنْ كَلَامِهِ هِيَ إِمَّا تَصَوُّرُ مَفْرَدَاتٍ تُسَنَدُ وَيُسَنَدُ  
 إِلَيْهَا وَبُضْعِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَالدَّلَالَةُ عَلَى هَذِهِ هِيَ الْمَفْرَدَاتُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ  
 وَالْحُرُوفِ وَإِمَّا تَمْيِيزُ الْمُسْنَدَاتِ مِنَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهَا وَالْأَزْمِنَةِ وَبَدَلُ عَلَيْهَا بِتَغْيِيرِ الْحُرُوفِ  
 مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَبْنَةِ الْكَلِمَاتِ وَهَذِهِ كُلُّهَا فِي صِنَاعَةِ النَّحْوِ وَبَقِيَ مِنَ الْأُمُورِ  
 الْمُسْتَكْتَفَةِ بِالْوَأَقِعَاتِ الْمَحْتَاجَةِ لِلدَّلَالَةِ أَحْوَالُ الْمُتَخَاطِبِينَ أَوْ الْفَاعِلِينَ وَمَا يَقْتَضِيهِ  
 حَالُ الْفِعْلِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْإِفَادَةِ وَإِذَا حَصَلَتْ لِلْمُتَكَلِّمِ  
 فَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ الْإِفَادَةِ فِي كَلَامِهِ وَإِذَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ وَاسِعٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ عِنْدَهُمْ مَقَالٌ يُخَصُّ بِهِ بَعْدَ كَمَالِ الْأَعْرَابِ  
 وَلَا يَبَانَةُ إِلَّا تَرْتِئِي أَنْ قَوْلُهُمْ زَيْدٌ جَاءَنِي مُغَايِرٌ لِقَوْلِهِمْ جَاءَنِي زَيْدٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
 الْمُتَقَدِّمُ مِنْهُمَا هُوَ الْأَمُّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فَمَنْ قَالَ جَاءَنِي زَيْدٌ أَفَادَ أَنَّ أَهْمَكُمُ  
 بِالْعَبِيٍّ قَبْلَ الشَّخْصِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَمَنْ قَالَ زَيْدٌ جَاءَنِي أَفَادَ أَنَّ أَهْمَكُمُ بِالشَّخْصِ

قَبْلَ الْحُجِيِّ الْمُسْنَدِ وَكَذَا التَّعْيِيرُ عَنْ أَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ بِمَا يَنْبَسِبُ الْمَقَامُ مِنْ مَوْصُولٍ أَوْ  
مُبْتَدَأٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ وَكَذَا تَأْكِيدُ الْأِسْنَادِ عَلَى الْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِمْ زَيْدٌ قَائِمٌ وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ  
وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ مُتَعَابِرَةٌ كُلُّهَا فِي الدَّلَالَةِ وَإِنْ اسْتَوَتْ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْرَابِ فَإِنَّ  
الْأَوَّلَ الْعَارِيَّ عَنِ التَّأْكِيدِ إِنَّمَا يُبَيِّدُ الْخَطَأَ الَّذِي هُوَ وَالثَّانِي الْمَوْكَّدُ يَبَيِّنُ  
الْمُتَرَدِّدَ وَالثَّلَاثُ يُبَيِّنُ الْمُنْكَرَ فِيهِ مُخْتَلِفَةٌ وَكَذَلِكَ نَقُولُ جَاءَنِي الرَّجُلُ ثُمَّ نَقُولُ مَكَانَهُ  
بَعَيْنُهُ جَاءَنِي رَجُلٌ إِذَا قَصَدْتَ بِذَلِكَ التَّنْكِيرَ تَعْظِيمَهُ وَأَنَّهُ رَجُلٌ لَا يَبْدُلُهُ أَحَدٌ مِنْ  
الرَّجَالِ ثُمَّ الْجُمْلَةُ الْأَسْنَادِيَّةُ تَكُونُ خَبَرِيَّةً وَهِيَ الَّتِي لَهَا خَارِجٌ تُطَابَعُهُ أَوَّلًا وَإِشَائِيَّةً  
وَهِيَ الَّتِي لَا خَارِجَ لَهَا كَالطَّلَبِ وَأَنْوَاعِهِ ثُمَّ قَدْ بَيَّنَّ تَرْكَ الْعَاطِفِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ إِذَا  
كَانَ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْأَعْرَابِ فَيُشْرِكُ بِذَلِكَ مَنَزِلَةَ التَّالِيَةِ الْمَفْرُودَةِ نَعْتًا وَتَوْكِيدًا وَبَدَلًا  
بِلَا عَطْفٍ أَوْ يَتَمَيَّنُ الْعَطْفُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْأَعْرَابِ ثُمَّ يَقْضِي الْمَحَلُّ  
الْإِطْنَابَ وَالْإِيحَارَ فَيُورَدُ السَّكَلَامُ عَلَيْهِمَا ثُمَّ قَدْ بَدَّلَ بِالْفِعْلِ وَلَا يُرَادُ مَنْطُوقُهُ  
وَيُرَادُ لَزِمُهُ إِنْ كَانَ مَفْرُودًا كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ أَسَدٌ فَلَا تُرِيدُ حَقِيقَةَ الْأَسَدِ الْمَنْطُوقَةَ  
وَإِنَّمَا تُرِيدُ شَجَاعَتَهُ اللَّازِمَةَ وَتُسْنِدُهُمَا إِلَى زَيْدٍ وَتُسَمَّى هَذِهِ اسْتِعَارَةً وَقَدْ تُرِيدُ بِالْفِعْلِ  
الْمَرْكَبَ الدَّلَالَةَ عَلَى مَلْزُومِهِ كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ وَتُرِيدُ مَا زِمَ ذَلِكَ عَنْهُ  
مِنَ الْجُودِ وَفَوَى الصِّفِّ لِأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ نَاشِئَةٌ عَنْهَا فِيهِ دَالَّةٌ عَلَيْهِمَا وَعَلَيْهِ كُلُّهَا  
دَلَالَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْمَفْرُودِ وَالْمَرْكَبِ وَإِنَّمَا فِي هَيْئَاتِ وَأَحْوَالِ الْوُاقِعَاتِ  
جُعِلَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا أَحْوَالٌ وَهَيْئَاتٌ فِي الْأَلْفَاظِ كُلُّ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُهُ فَاسْتَنْسَلَ  
هَذَا الْعِلْمُ النَّسْبُ بِالْبَيَانِ عَلَى الْبَحْثِ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الَّتِي لِلْهَيْئَاتِ وَالْأَحْوَالِ  
وَالْمَقَامَاتِ وَجُعِلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ الصِّفِّ الْأَوَّلُ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ هَذِهِ الْهَيْئَاتِ  
وَالْأَحْوَالِ الَّتِي تُطَابِقُ بِالْفِعْلِ جَمِيعَ مُقْتَضِيَاتِ الْحَالِ وَيُسَمَّى عِلْمُ الْبَلَاغَةِ وَالصِّفِّ  
الثَّانِي يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَلْزِمِ الَّلَفْظِيِّ وَمَلْزُومِهِ وَهِيَ الْإِسْتِعَارَةُ وَالْكِنَايَةُ كَمَا  
قُلْنَا وَ يُسَمَّى عِلْمُ الْبَيَانِ وَالْحَقُوقُ بِهِمَا صِنْفًا آخَرَ وَهُوَ الظُّرْفُ فِي تَرْبِيعِ السَّكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ  
بِنَوْعٍ مِنَ التَّنْمِيقِ إِمَّا بِتَجْعِيعِ بَفَصْلَةٍ أَوْ تَجْنِيسِ بِشَابِهِ بَيِّنَ الْفَاظِيَةِ أَوْ تَرْصِيعِ بِقَطْعِ  
أَوْ تَوْرِيَةِ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِإِطْمَاعِ مَعْنَى آخَرٍ مِنْهُ لِإِشْرَاكِ الْفِعْلِ فِيهِمَا وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ وَيُسَمَّى عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْبَلِيغِ وَأُطْلِقَ عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ اسْمُ

الْبَيَانُ وَهُوَ اسْمُ الصَّنَفِ الثَّانِي لِأَنَّهُ الْأَقْدَمِينَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمُوا فِيهِ ثُمَّ تَلَاَحَقَتْ مَسَائِلُ  
الْفَرَنِّ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَكُتِبَ فِيهَا جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى وَالْجَا حِظُّ وَقِدَامَةُ وَأَمْثَالُهُمْ إِمْلَاءَاتُ  
غَيْرِ وَافِيَةٍ فِيهَا ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَسَائِلُ الْفَرَنِّ تَكْمُلُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ تَنْصَحَ السَّكَاكِي زُبْدَتُهُ  
وَهَلَبَتْ مَسَائِلُهُ وَرَتَّبَ أَبُو بَابَةَ عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَاهُ آتِفًا مِنَ التَّرْتِيبِ وَأَلَفَتْ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى  
بِالْمِفْتَاحِ فِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ فَجَعَلَ هَذَا الْفَرَنُّ مِنْ بَعْضِ أَجْزَائِهِ وَأَخَذَهُ  
الْمُعْتَازُونَ مِنْ كِتَابِهِ وَلَخَّصُوا مِنْهُ أُمَمَاتٌ فِي الْمَتَدَاوِلَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا فَعَلَهُ السَّكَاكِي  
فِي كِتَابِ التَّبَيَانِ وَأَبْنُ مَالِكٍ فِي كِتَابِ الْمَصْبَاحِ وَجَلَالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِي فِي كِتَابِ  
الْإِيضَاحِ وَالتَّلْخِصِ وَهُوَ أَصْغَرُ شَيْءٍ مِنَ الْإِيضَاحِ وَالْعُنَابَةِ بِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ أَهْلِ  
الْمَشْرِقِ فِي الشَّرْحِ وَالتَّعْلِيمِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَأَلْمَشَارِقَةُ عَلَى هَذَا  
الْفَرَنِّ أَفْزَمُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَسَبَبُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَالِي فِي الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ وَالصَّنَائِعِ  
الْكَمَالِيَّةِ تُوجَدُ فِي الْعُمَرَانِ وَالْمَشْرِقِ أَوْفَرُ عُمَرَانًا مِنَ الْمَغْرِبِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوْ  
تَقُولُ لِعُنَابَةِ الْجَمِّ وَهُمْ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ كَتَفْسِيرِ الرَّغَشِيرِيِّ وَهُوَ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى  
هَذَا الْفَرَنِّ وَهُوَ أَصْلُهُ وَإِنَّمَا اخْتَصَّ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَصْنَافِهِ عِلْمُ الْبَدِيعِ خَاصَّةً  
وَجَعَلُوهُ مِنْ جُمْلَةِ عُلُومِ الْأَدَبِ الشَّعْرِيَّةِ وَفَرَعُوا لَهُ أَلْقَابًا وَعَدَّدُوا أَبْوَابًا وَتَوَعَّوْا أَنْوَاعًا  
وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَحْصَوْهَا مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا حَمَلُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْوُلُوعِ بِتَرْزِينِ الْأَلْفَاظِ  
وَأَنَّ عِلْمَ الْبَدِيعِ سَهْلٌ الْمَأْخُذُ وَصَعِبَتْ عَلَيْهِمْ مَا خِذُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ لِرِيقَةِ أَنْظَارِهِمَا  
وَعَمُوسَ مَعَانِيهِمَا فَتَجَافَوْا عَنْهُمَا وَمِمَّنْ أَلَفَ فِي الْبَدِيعِ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ ابْنُ رَشِيقٍ  
وَكِتَابُ الْعُزْدَةِ لَهُ مَشْهُورٌ وَجَرَى كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ عَلَى مَنَاحِهِ وَأَعْلَمُ  
أَنَّ ثَمَرَةَ هَذَا الْفَرَنِّ إِنَّمَا هِيَ فِي فَهْمِ الْإِعْجَازِ مِنَ الْقُرْآنِ لِأَنَّ إِعْجَازَهُ فِي وَقَاءِ الدَّلَالَةِ  
مِنْهُ بِجَمِيعِ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ مَنْطُوقَةٍ وَمَفْهُومَةٌ وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَلَامِ مَعَ  
الْكَمَالِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْأَلْفَاظِ فِي اتِّقَانِهَا وَجُودَةِ رَصْفِهَا وَتَرْكِيبِهَا وَهَذَا هُوَ الْإِعْجَازُ  
الَّذِي نُقْصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَإِنَّمَا يَذْكُرُ بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ ذَوْقٌ  
بِمَخَالِطَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ فَيَذْكُرُ مِنْ إِعْجَازِهِ عَلَى قَدَرِ ذَوْقِهِ فَلِهَذَا كَانَتْ  
مَدَارِكُ الْعَرَبِ الَّذِينَ مَعَمُّوهُ مِنْ مَبْلَغِهِ أَعْلَى مَقَامًا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ فُزِّنَ سَانَ الْكَلَامِ  
وَجَهَّازَتُهُ وَالذَّوْقُ عِنْدَهُمْ مَوْجُودٌ بِأَوْفَرِ مَا يَكُونُ وَأَصَحُّ وَأَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى هَذَا

الْفَنِّ الْمَفْسُورُونَ وَأَكْثَرُ تَفَاسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ غُفِّلَ عَنْهُ ظَهَرَ جَارُ اللَّهِ الرَّحْمَنِيُّ وَوَضَعَ  
كِتَابَهُ فِي التَّفْسِيرِ وَتَبِعَ آيَ الْقُرْآنِ بِأَحْكَامِ هَذَا الْفَنِّ بِمَا يُبْدِي الْبَعْضُ مِنْ  
إِعْجَازِهِ فَأَقْرَدَ بِهَذَا الْفَضْلِ عَلَى جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ لَوْلَا أَنَّهُ يُؤَيِّدُ عَقَائِدَ أَهْلِ الْبَيْدِعِ عِنْدَ  
أَفْبَاسِهَا مِنَ الْقُرْآنِ بِوُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَلِأَجْلِ هَذَا نَحْنُ نَحْمَدُهُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَ وَفُورِ  
بِضَاعَتِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ فَمَنْ أَحْكَمَ عَقَائِدَ السُّنَّةِ وَشَارَكَ فِي هَذَا الْفَنِّ بَعْضَ الْمَشَارِكَةِ  
حَتَّى يَقْتَدِرَ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِ أَوْ يَعْلَمَ أَنَّهُ بِلَدْعَةٍ فَيُعْرِضُ عَنْهَا وَلَا تُصَرُّ  
فِي مُتَقَدِّمِهِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلظَّاهِرِ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِعْجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ  
مِنَ الْبَيْدِعِ وَالْأَهْوَاءِ وَاللَّهُ الْهَادِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ

### علم الادب

هَذَا الْعِلْمُ لَا مَوْضُوعَ لَهُ يُنْظَرُ فِي إِثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَقِيهِ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ  
أَهْلِ اللِّسَانِ ثَمَرَتُهُ وَهِيَ الْإِعْجَازَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ عَلَى أَسَالِبِ الْعَرَبِ  
وَمَنَاجِيهِمْ لِيَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ  
عَالِي الطَّبَقَةِ وَتَجْمَعُ مُتَسَاوٍ فِي الْإِعْجَازَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مَبْنُوتَةٌ أَنَّ ذَلِكَ  
مُتَّفَرِّقٌ يَسْتَفْرِى فِيهَا النَّظَرُ فِي الْغَالِبِ مُعْظَمَ قَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضٍ مِنْ أَيَّامِ  
الْعَرَبِ يَقْتَضِيهِ بِمَا يَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ ذِكْرُ الْمُهَمِّ مِنَ الْأَنْسَابِ الشَّهِيرَةِ  
وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَى النَّظِيرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ  
وَأَسَالِيهِمْ وَمَنَاجِيهِمْ بِالْإِعْجَازِ إِذَا تَصَفَّحَهُ لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا بَعْدَ  
فَهْمِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْفَنِّ  
قَالُوا الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَطْرُقُ يُرِيدُونَ  
مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ أَوْ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُتَوَنِّهَا فَقَطَّ وَهِيَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ إِذْ لَا  
مَدْخَلَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كُلِّهِمْ  
بِصَنَاعَةِ الْبَلِيغِ مِنَ التَّوْرِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فَاحْتَاجَ  
صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ حِينَئِذٍ إِلَى مَعْرِفَةِ أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا عَلَى فَهْمِهَا وَسَمْعِهَا  
مِنْ شَيْءٍ خِافِي فِي مَجَالِ التَّلْمِيمِ أَنَّ أَوَّلَ هَذَا الْفَنِّ وَأَزْكَاهُ أَرْبَعَةُ دَوَائِينَ وَهِيَ أَدَبُ  
الْكِتَابِ لِأَنَّهُ قَتِيبةٌ وَكِتَابُ الْكَلَامِ لِلْمُبَرَّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالْتِيَابِ لِلْجَاحِظِ

وَكِتَابُ التَّوَارِثِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَاسِي الْبَغْدَادِي وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَتَبِعَ لَهَا وَفُرُوعُ  
عَنْهَا وَكُتِبَ الْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا  
الْفَنِّ لِمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذَا الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْعِينُهُ وَكَانَ الْكِتَابُ وَالْفَضْلُ مِنْ  
الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِأَخْذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ أَسَالِبِ الشَّعْرِ  
وَقُنُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ اتِّخَاذُهُ قَادِحًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ أَلَفْتُ الْقَاسِي أَبُو الْقُرَجِ  
الْأَصْبَهَانِي فِي كِتَابِهِ فِي الْأَخْيَانِي جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنْسَابَهُمْ وَبِأَمِّهِمْ  
وَدَوْلَهُمْ وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي أَلْفَاظِهِ صَوْتًا أَلْفِي أَخْبَارَهَا الْمُغْنَوْنَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ  
فِيهِ ذَلِكَ أَنْتُمْ اسْتِعَابَ وَأَوْفَاهُ وَلَعَمْرِي إِنَّهُ دِيُونُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْنَاتِ الْحَسَنِ  
أَلْفِي سَلَفَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ قُنُونِ الشَّعْرِ وَالتَّأْرِخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَلَا  
يُعْدَلُ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا تَعْلَمُهُ وَهُوَ الْغَايَةُ أَلْفِي بِسْمِ الْأَدِيبِ وَيَقِفُ عِنْدَهَا  
وَأَلْفِي لَهَا وَنَحْنُ الْآنَ نَرْجِعُ بِالْتَّحْقِيقِ عَلَى الْأَجْمَالِ فِيمَا تَكَلَّمْنَا إِلَيْهِ مِنْ عُلُومِ  
الْلسَانِ وَاللَّهُ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

### الفصل السابع والثلاثون

في ان اللغة ملكة صناعية

إِعْلَمُ أَنَّ اللُّغَاتِ كُلَّهَا مَلَكَاتٌ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَاعَةِ إِذْ فِي مَلَكَاتٍ فِي اللِّسَانِ  
لِلْعِبَارَةِ عَنِ الْمَعْنَى وَجُودِهَا وَقُصُورِهَا بِحَسَبِ تِمَامِ الْمَلَكَاتِ أَوْ نُقْصَانِهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ  
بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُفْرَدَاتِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى التَّرَاكِبِ فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَلَكَاتُ التَّامَّةُ  
فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ لِلتَّعْبِيرِ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَةِ وَمُرَاعَاةِ التَّأْلِيفِ الَّذِي  
يُطَبِّقُ الْكَلَامَ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ بَلَّغَ الْمُتَكَلِّمُ حِينَئِذٍ الْغَايَةَ مِنْ إِفَادَةِ مَقْصُودِهِ  
لِلسَّامِعِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْبَلَاغَةِ وَالْمَلَكَاتُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَكَرُّرِ الْأَفْعَالِ لِأَنَّ الْفِعْلَ  
يَقَعُ أَوَّلًا وَتَعُودُ مِنْهُ لِلذَّاتِ صِفَةٌ ثُمَّ تَتَكَرَّرُ فَتَكُونُ حَالًا وَمَعْنَى الْحَالِ أَنَّهَا صِفَةٌ  
غَيْرُ رَاسِخَةٍ ثُمَّ يَزِيدُ التَّكَرُّارُ فَتَكُونُ مَلَكَاتٌ أَيْ صِفَةٌ رَاسِخَةٌ فَأَلْمُتَكَلِّمُ مِنْ  
الْعَرَبِ حِينَ كَانَتْ مَلَكَاتُهُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَوْجُودَةً فِيهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ جِيلِهِ  
وَأَسَالِبِهِمْ فِي مَخَاطِبِهِمْ وَكَيْفِيَّةِ تَعْبِيرِهِمْ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ كَمَا يَسْمَعُ الصَّبِيُّ اسْتِعْمَالَ  
الْمُفْرَدَاتِ فِي مَعَانِيهَا فَيَلْقَنَهَا أَوْ لَا ثُمَّ يَسْمَعُ التَّرَاكِبَ بَعْدَهَا فَيَلْقَنَهَا كَذَلِكَ ثُمَّ لَا يَزَالُ



سَمِعُهُمْ لِلذَّكَ بِتَجَدُّدٍ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَمِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَأَسْتَعْمَالَهُ بِتَكَرُّرٍ إِلَى أَنْ  
يَصِيرَ ذَلِكَ مَلَكَةً وَصِفَةً رَاسِخَةً وَيَكُونُ كَأَحَدِهِمْ هَكَذَا تَصَيَّرَتِ اللَّاسُنُ وَاللُّغَاتُ  
مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ وَتَعَلَّمَهَا الْقَجَمُ وَالْأَطْفَالُ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى مَا قَوْلُهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَنَّ  
اللُّغَةَ لِلْعَرَبِ بِالطَّبَعِ أَيْ بِالْمَلَكَةِ الْأُولَى الَّتِي أَخَذَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ يَأْخُذُوهَا عَنْ غَيْرِهِمْ  
ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمَضَرِّ بَحَالِطِهِمِ الْأَعَاجِمِ وَسَبَبِ فُسَادِهَا أَنَّ النَّاسِيَّةَ  
مِنْ الْجِيلِ صَارَ يَسْمَعُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ كَيْفِيَّاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي  
كَانَتْ لِلْعَرَبِ فَيَعْبُرُ بِهَا عَنْ مَقْصُودِهِ لِكَثْرَةِ الْبَحَالِطِينَ لِلْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَسْمَعُ  
كَيْفِيَّاتِ الْعَرَبِ أَيْضًا فَتَخْلُطُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَأَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ فَاسْتَحْدَثَ مَلَكَةً  
وَكَانَتْ نَافِصَةً عَنِ الْأُولَى وَهَذَا مَعْنَى فَسَادِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلِهَذَا كَانَتْ لُغَةُ فَرَنْسَ  
أَفْصَحَ اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَضْرَحَهَا لِبُعْدِهِمْ عَنِ بِلَادِ الْقَجَمِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ثُمَّ مَنْ  
اِكْتَنَفَهُمْ مِنْ تَقِيْفٍ وَهَذَلٍ وَخِزَاعَةٍ وَبَنِي كِهَانَةٍ وَغُطْفَانٍ وَبَنِي أَسَدٍ وَبَنِي تَمِيمٍ وَأَمَّا  
مَنْ بَعْدَ عَنْهُمْ مِنْ رَيْعَةٍ وَلَجَمٍ وَجُدَامٍ وَغَسَّانٍ وَإِيَادٍ وَفُضَاعَةٍ وَعَرَبِ الْيَمَنِ وَالْجَوَارِينَ  
لِأَمْرِ الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَالْخَبَشَةِ فَلَمْ تَكُنْ لُغَتُهُمْ تَامَةً الْمَلَكَةِ بِحَالِطَةِ الْأَعَاجِمِ  
وَعَلَى نِسْبَةِ بُعْدِهِمْ مِنْ فَرَنْسَ كَانَ الْإِحْتِجَاجُ بِلُغَاتِهِمْ فِي الصِّحَّةِ وَالْفُسَادِ عِنْدَ أَهْلِ الصِّنَاعَةِ  
الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في ان لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة لغة مضر وحمير  
وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُهُمَا فِي بَيَانِ الْمَقَاصِدِ وَالْوَفَاءِ بِالِدَّلَالَةِ عَلَى سُنَنِ اللِّسَانِ الْمَضَرِّيِّ  
وَلَمْ يَفْقَدْ مِنْهَا إِلَّا دَلَالَةَ الْحُرَكَاتِ عَلَى تَعْيِينِ الْفَاعِلِ مِنَ الْفِعُولِ فَاتَّعَاثُوا مِنْهَا بِالْقَدِيمِ  
وَالنَّاتِخِ بِقَرَأَيْنِ تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِيَّاتِ الْمَقَاصِدِ إِلَّا أَنَّ الْبَيَانَ وَالْبَلَاغَةَ فِي اللِّسَانِ  
الْمَضَرِّيِّ أَكْثَرُ وَأَعْرَفُ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ بِأَعْيَانِهَا دَالَّةٌ عَلَى الْمَعَانِي بِأَعْيَانِهَا وَبَقِيَ مَا  
تَقْتَضِيهِ الْأَحْوَالُ وَيُسَمَّى بِسَاطِ الْحَالِ مُتَحَاجًّا إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَعْنَى لَا بُدَّ وَأَنَّ  
تَكْثِيفَ أَحْوَالٍ مُخَصَّصَةٍ فَيَجِبُ أَنْ تُعْتَبَرَ تِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي تَأْدِيَةِ الْمَقْصُودِ لِأَنَّهَا صِفَاتُهُ  
وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي جَمِيعِ اللَّاسُنِ أَكْثَرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا بِأَلْفَاظٍ مُخَصَّصًا بِالْوَضْعِ وَأَمَّا فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَيْنَمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا بِأَحْوَالٍ وَكَيْفِيَّاتٍ فِي تَرَكَيبِ الْأَلْفَاظِ وَتَأْلِيْفِهَا مِنْ

تقديم أو تأخير أو حذف أو حركته أعراب وقد يدل عليها بالعرف غير المستقلة  
ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك  
الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارات  
من جميع اللسان وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم وأخصر  
لي الكلام أخصاراً واعتبر ذلك بما يغكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض  
الشعاع إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم زيد قائم وإن زيدا قائم وإن  
زيداً قائم والمعنى واحد فقال له إن معانيها مختلفة فالأول لإفادة الخالي الذين من  
قيام زيد والثاني لمن سمعه فتردد فيه والثالث لمن عرف بالإصرار على إنكاره  
فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب  
ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفت في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب  
الفاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأب  
اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلام من فساد الإعراب الذي يتدارسون  
قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم وألفها القصور في أفئدتهم وإلا فجنح  
نجد اليوم الكثير من ألقاب العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد  
والتعاون فيه يتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان  
وقنونه من البظم والنثر موجودة في مخاطبتهم وفهم الخطيب المصنع في محافلهم  
وجامعهم والشاعر المقل على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم  
شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركت الإعراب في أواخر  
الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة وتبعها معروفاً وهو الإعراب  
وهو بعض من أحكام اللسان وإنما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخاطبتهم  
الأعجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته  
على غير الصورة التي كانت أولاً فالتفت لغة أخرى وكان القرآن منزلاً به والحديث  
النبي متفقاً بلغته وهما أصلاً الدين والملة فحشي تناسيحاً وانفلاق الأنهم عنهما  
يفقدان اللسان الذي نزل به فاحتج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط  
قوانينه وصار على ذافصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهلها بعلم النحو وصناعة

الْعَرَبِيَّةَ فَأَصْبَحَ فَنَّا مَحْفُوظًا وَعِلْمًا مَكْتُوبًا وَسَلَّمًا إِلَى فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ  
 وَآيَاتِهِ وَلَعَلَّنَا لَوْ أَغْنَيْنَا بِهَذَا اللِّسَانِ الْعَرَبِيَّ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَسْتَفْرَيْنَا أَحْكَامَهُ نَعْتَاشُ  
 عَنْ الْحُرُكَاتِ الْأَعْرَابِيَّةِ فِي دَلَالَتِهَا بِأُمُورٍ أُخْرَى مُوجُودَةٍ فِيهِ تَكُونُ بِهَا قَوَائِمُ  
 تَخْصُصُهَا وَلَعَلَّهَا تَكُونُ فِي أَوَاخِرِهِ عَلَى غَيْرِ الْمُنْتَجِجِ الْأَوَّلِ فِي لُغَةٍ مُضَرٍّ فَلْيَسْتَ اللُّغَاتُ  
 وَمَلَكَاةُهَا مَجَانًا وَلَقَدْ كَانَ اللِّسَانُ الْمُضَرِّيُّ مَعَ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَتَغَيَّرَ  
 عِنْدَ مُضَرٍّ كَثِيرٌ مِنْ مَوْضِعَاتِ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ وَتَصَارِفِ كَلِمَاتِهِ تَشْهَدُ بِذَلِكَ  
 الْأَنْقَالَ الْمَوْجُودَةُ لَدَيْنَا خِلَافًا لِمَنْ يَجْعَلُهُ الْقُصُورُ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ وَاحِدَةٌ وَبَلْتَمِسُ جُزْءَ  
 اللُّغَةِ الْحِمَيْرِيَّةِ عَلَى مَقَائِيسِ اللُّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَقَوَائِمِهَا كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُهُمْ فِي اسْتِغْنَائِي  
 الْقَلِيلِ فِي اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ أَنَّهُ مِنْ الْقَوْلِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ  
 وَلَهُ حِمَيْرٌ لُغَةٌ أُخْرَى مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرٍّ فِي الْكَثِيرِ مِنْ أَوْضَاعِهَا وَتَصَارِفِهَا وَحُرُكَاتِ  
 أَعْرَابِهَا كَمَا هِيَ لُغَةُ الْعَرَبِ لِعَهْدِنَا مَعَ لُغَةِ مُضَرٍّ إِلَّا أَنَّ الْعَيْنِيَّةَ بِلِسَانِ مُضَرٍّ مِنْ أَجْلِ  
 الشَّرِيعَةِ كَمَا فَلَنَاهُ حَمَلُ ذَلِكَ عَلَى الْأَسْتِغْنَاءِ وَالِاسْتِغْنَاءِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَا  
 يَحْمِلُنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَيَدْعُونَا إِلَيْهِ وَمِمَّا وَقَعَ فِي لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ لِهَذَا الْعَهْدِ حَيْثُ  
 كَانُوا مِنَ الْأَفْطَارِ شَأْنُهُمْ فِي النُّطْقِ بِالْقَافِ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْطَلِقُونَ بِهَا مِنْ تَخْرِجِ الْقَافِ  
 عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْصَارِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ مِنْ أَفْصَى اللِّسَانِ وَمَا قَوْفُهُ  
 مِنَ الْخَلْقِ الْأَعْلَى وَمَا يَنْطَلِقُونَ بِهَا بَصَافًا مِنْ تَخْرِجِ الْكَافِ وَإِنْ كَانَ أَسْفَلَ مِنْ مَوْضِعِ  
 الْقَافِ وَمَا يَكُنِي مِنَ الْخَلْقِ الْأَعْلَى كَمَا هِيَ بَلْ يَحْيَتُونَ بِهَا مُنَوَسَّطَةً بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ  
 وَهُوَ مَوْجُودٌ لِلْجِيلِ أَجْمَعَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ غَرْبٍ أَوْ شَرْقٍ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَيْهِمْ  
 مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ مُخْتَصًّا بِهِمْ لَا يُشَارِكُهُمْ بِهَا غَيْرُهُمْ حَتَّى إِنْ مَنْ يُرِيدُ التَّقَرُّبَ  
 وَالِاتِّسَابَ إِلَى الْجِيلِ وَالْدُخُولَ فِيهِ بِحَاكِيهِمْ فِي النُّطْقِ بِهَا وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ  
 الْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ مِنَ الدَّخِيلِ فِي الْعَرُوبِيَّةِ وَالْحَضَرِيِّ بِالنُّطْقِ بِهَذِهِ الْقَافِ وَيُظْهِرُ بِذَلِكَ  
 أَنَّهَا لُغَةٌ مُضَرٍّ يَعْنِيهَا فَإِنَّ هَذَا الْجِيلَ الْبَاقِينَ مُعْظَمُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي وَادٍ  
 مَنْصُورٍ بِنِ عَكْرَمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَمِنْ بَنِي عَامِرِ  
 ابْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورٍ وَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَكْثَرُ الْأُمَمِ  
 فِي الْمَعْمُورِ وَأَغْلَبُهُمْ وَهُمْ مِنْ أَعْقَابِ مُضَرٍّ وَسَائِرِ الْجِيلِ مِنْهُمْ فِي النُّطْقِ بِهَذِهِ الْقَافِ

أَسْوَةٌ وَهَذِهِ اللَّغَةُ لَمْ يَسْتَدْعِهَا هَذَا الْجِيلُ بَلْ هِيَ مُتَوَارِثَةٌ فِيهِمْ مُتَعَابَةٌ وَبَطْنُهُ مِنْ ذَلِكَ  
 أَنَّهُ لُغَةٌ مُضَرٌّ الْأَوَّلِينَ وَلَمَّا لُغَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهَا قَدْ ادَّعَى ذَلِكَ فَقَاهُ  
 أَهْلُ الْبَيْتِ وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ قَرَأَ فِي أَمِّ الْقُرْآنِ إِيَّاهُنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِغَيْرِ الْفَقْرِ  
 الَّذِي لَمَّا الْجِيلِ فَقَدْ لَحَنَ وَأَفْسَدَ صَلَاتَهُ وَلَمْ أَدْرِ مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا فَإِنَّ لُغَةَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
 أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا وَإِنَّمَا تَنَاقَلُوهَا مِنْ لَدُنْ سَلَفِهِمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ لَمَّا نَزَلُوا  
 الْأَمْصَارَ مِنْ لَدُنْ الْفَتْحِ وَأَهْلُ الْجِيلِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا إِلَّا أَنَّهُمْ أَبَعَدُ مِنْ مُحَاطَةِ  
 الْأَعَاجِمِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَهَذَا يَرْجِعُ فِيمَا يُوجَدُ مِنَ اللَّغَةِ لِدِيهِمْ أَنَّهُ مِنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ  
 هَذَا مَعَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْجِيلِ كُلِّهِمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي النُّطْقِ بِهَا وَأَنَّهَا الْخَاصِيَّةُ الَّتِي يَمَيِّزُ بِهَا  
 الْعَرَبِيُّ مِنَ الْعَجَمِيِّ وَالْحَضَرِيِّ فَتَفَقَّهَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَلْهَادِي الْمَيِّينَ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ان لغة اهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها لغة مضر

إِعْلَمُ أَنَّ عُرْفَ الْفَخَّاطِبِ فِي الْأَمْصَارِ وَبَيْنَ الْحَضَرِ لَيْسَ بِلُغَةٍ مُضَرٍّ الْقَدِيمَةِ وَلَا لُغَةٍ  
 أَهْلِ الْجِيلِ بَلْ هِيَ لُغَةٌ أُخْرَى قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا بَعِيدَةٌ عَنْ لُغَةِ مُضَرٍّ وَعَنْ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ  
 الْعَرَبِيِّ الَّذِي لَعَدْنَا وَهِيَ عَنْ لُغَةِ مُضَرٍّ أَبَعَدُ قَامًا إِنَّهَا لُغَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا قَبُولُ ظَاهِرٍ يُشْهِدُ  
 لَهُ مَا فِيهَا مِنَ التَّغَايُرِ الَّذِي يُعَدُّ عِنْدَ صِنَاعَةِ أَهْلِ النَّحْوِ لَحْنًا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَخْتَلِفُ  
 بِاخْتِلَافِ الْأَمْصَارِ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فَلُغَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ مُبَابَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ لِلُّغَةِ أَهْلِ  
 الْمَغْرِبِ وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَهُمَا وَكُلُّ مِنْهُمْ مُتَوَصِّلٌ بِلُغَتِهِ إِلَى تَأْدِيَةِ مَقْصُودِهِ  
 وَالْإِبَانَةِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَهَذَا مَعْنَى اللِّسَانِ وَاللُّغَةِ وَفَقْدَانُ الْإِعْرَابِ لَيْسَ بِضَائِرٍ لَهُمْ  
 كَمَا قُلْنَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَمَّا الْعَهْدُ وَأَمَّا إِنَّمَا أَبَعَدُ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ مِنْ لُغَةِ هَذَا  
 الْجِيلِ فَلِأَنَّ الْبَعْدَ عَنِ اللِّسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِمُحَاطَةِ الْعُجْمَةِ فَمَنْ خَالَطَ الْعَجَمَ أَكْثَرَ  
 كَانَتْ لُغَتُهُ عَنْ ذَلِكَ اللِّسَانِ الْأَصْلِيِّ أَبَعَدُ لِأَنَّ الْمَلِكَةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالْعَلِيمِ  
 كَمَا قُلْنَا وَهَذِهِ مَلِكَةٌ مُتَمَرِّجَةٌ مِنَ الْمَلِكَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ لِلْعَرَبِ وَمِنْ الْمَلِكَةِ الثَّانِيَةِ  
 الَّتِي لِلْعَجَمِ عَلَى مَقْدَارِ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْعَجَمِ وَيَرَوْنَ عَلَيْهِ يَعْدُونَ عَنِ الْمَلِكَةِ الْأُولَى  
 وَاعْتَبَرُوا ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ أَمَّا أَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ  
 فَخَالَطَتْ الْعَرَبَ فِيهَا الْبَرَابِرَةُ مِنَ الْعَجَمِ يَوْفُورُ عُمَرَاتِهَا بِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ يَقُولُ عَنْهُمْ مُضَرٌّ

وَلَا جِيلٌ تَقَلَّبَتْ النُّجْمَةُ فِيهَا عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ لَهُمْ وَصَارَتْ لُغَةً أُخْرَى مُتَمَرِّجَةً وَالنُّجْمَةُ فِيهَا أَغْلَبَ لِمَا ذُكِرَتْهُ فِيهِ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ أَبَدٌ وَكَذَا الْمَشْرِقُ لِمَا غَلَبَ الْعَرَبُ عَلَى أَمَمِهِ مِنْ فَارِسَ وَالتُّرْكِ وَخَالِطُومَ وَتَدَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ لُغَاتُهُمْ فِي الْأَكْرَةِ وَالْفُلَاحِينَ وَالسُّبِّي الَّذِينَ اتَّخَفَوْهُمْ خَوَلَا وَدَايَاتٍ وَأَخَا رَا وَمَرَاضِعَ فَفَسَدَتْ لُغَتُهُمْ بِفَسَادِ الْمَلَكَةِ حَتَّى اتَّقَلَّبَتْ لُغَةً أُخْرَى وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَ عَجْمِ الْجَلَالِقَةِ وَالْأَفَرَنْجَةِ وَصَارَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَهْلُ لُغَةٍ أُخْرَى تَخْصُوصَةً بِهِمْ تَخَالِفُ لُغَةَ مُضَرَ وَتُخَالِفُ أَيْضًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا نَذَرْنَا وَكَأَنَّهُ لُغَةٌ أُخْرَى لَا تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتِهَا فِي أَجْبَالِهِمْ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُقَدِّرُ

### الفصل الاربعون

في تعليم اللسان المضي

إِغْلَمْ أَنَّ مَلَكَةَ اللِّسَانِ الْمُضَرِّيَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ ذَهَبَتْ وَفَسَدَتْ وَلُغَةُ أَهْلِ الْجِيلِ كُلُّهُمْ مُتَمَرِّجَةٌ لِلُغَةِ مُضَرَ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا فِي لُغَةٍ أُخْرَى مِنْ أَمْتَرِاجِ النُّجْمَةِ بِهَا كَمَا قَدْ نَهَاهُ إِلَّا أَنَّ الْأَغَاثَ لِمَا كَانَتْ مَلَكَاتٍ كَمَا مَرَّ كَانَ تَعْلُمُهَا مِنْكُمْ شَأْنِ سَائِرِ الْمَلَكَاتِ وَوَجْهَ التَّعْلِيمِ لِمَنْ يَتَّبِعِي هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيَرُومُ تَعَصُّلَهَا أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِحِفْظِ كَلَامِهِمُ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ السَّلَفِ وَمُخَاطَبَاتِ فُجُولِ الْعَرَبِ فِي أَصْنَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَكَلِمَاتِ الْمُؤَلِّدِينَ أَيْضًا فِي سَائِرِ فُنُونِهِمْ حَتَّى يَنْزِلَ لِكثَرَةِ حِظِّهِ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ مَنَزَلَةً مِنْ شَأْنِ بَيْنِهِمْ وَلَقَدْ أَلَمَّا بَارَةً عَنِ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ ثُمَّ بَتَّصَرَّفَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْعَبِيرِ عَمَّا فِي صَمِيرِهِ عَلَى حَسَبِ عِبَارَاتِهِمْ وَتَأَلُّفِ كَلِمَاتِهِمْ وَمَا وَعَاهُ وَحَفِظَهُ مِنْ أَسَالِيهِمْ وَتَرْتِيبِ أَلْفَاظِهِمْ فَتَحْصُلُ لَهُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِهَذَا الْحَنِظِ وَالِاسْتِعْمَالِ وَيَزْدَادُ بِكَثَرَتِهَا رُسُوحًا وَقُوَّةً وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى سَلَامَةِ الطَّبَعِ وَالتَّفَهُّمِ الْحَسَنِ لِمَتَارِعِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيهِمْ فِي التَّرَاكِبِ وَمُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ وَاللَّذْقِ بِشَهْدِ ذَلِكَ وَهُوَ يَنْشَأُ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَالطَّبَعِ السَّلِيمِ فِيهِمَا كَمَا نَذَرْنَا وَعَلَى قَدْرِ الْحَفِظِ وَكَثَرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ تَكُونُ جُودَةُ الْمَقُولِ الْمَصْنُوعِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَمَنْ حَصَلَ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكَاتِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى لُغَةٍ مُضَرَ وَهُوَ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ بِالْبَلَاغَةِ فِيهَا وَهَكَذَا يَنْبَغِي

## الفصل الحادي والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ قَوَائِنِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَمَقَابِسِهَا  
خَاصَّةً فَهُوَ عِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ لَاتَنَسُّ كَيْفِيَّةً فَلَيْسَتْ نَفْسُ الْمَلَكَةِ وَأِنَّمَا هِيَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَعْرِفُ  
صِنَاعَةَ مِنَ الصَّنَائِعِ عِلْمًا وَلَا يُحْكِمُهَا عَمَلًا مِثْلَ أَنْ يَقُولَ بَصِيرٌ بِالْخِيَاطَةِ غَيْرُ مُحْكِمٍ  
لِلْمَلَكَةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْخِيَاطَةِ هِيَ أَنْ يَدْخُلَ الْخِيَاطِيُّ فِي خَزَنِ الْأَبْرِ  
ثُمَّ يَفْرُزُهَا فِي لَفْقِي الثُّوبِ مُجْتَمِعِينَ وَيُخْرِجُهَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ بِمِقْدَارٍ كَذَا ثُمَّ  
يَرُدُّهَا إِلَى حَيْثُ أَبْتَدَأَتْ وَيُخْرِجُهَا قَدَامَ مَنْفِذِهَا الْأَوَّلِ بِمَطَرَحٍ مَا بَيْنَ الثَّقَبَيْنِ  
الْأَوَّلَيْنِ ثُمَّ يَتِمَادَى عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعَمَلِ وَيُعْطِي صُورَةَ الْحَبْكِ وَالْتِثِيبِ وَالتَّفْنِيعِ  
وَسَائِرَ أَنْوَاعِ الْخِيَاطَةِ وَأَعْمَالِهَا وَهُوَ إِذَا طُولَبَ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ بِيَدِهِ لَا يُحْكِمُ مِنْهُ  
شَيْئًا وَكَذَا لَوْ سُئِلَ عَالِمٌ بِالنِّجَارَةِ عَنْ تَفْصِيلِ الْخَشَبِ يَقُولُ هُوَ أَنْ تَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى  
رَأْسِ الْخَشَبَةِ وَتُمْسِكَ بِطَرَفِهِ وَآخَرُ قِبَالَتِكَ مُمَسِّكٌ بِطَرَفِهِ الْآخَرَ وَتَعَاقِبَانِهِ يَنْصَكُمَا  
وَأَطْرَافُهُ الْمُضْرَسَةُ الْمُحْدَدَةُ تَقْطَعُ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ذَاهِبَةً وَجَانِبَةً إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى  
آخِرِ الْخَشَبَةِ وَهُوَ لَوْ طُولَبَ هَذَا الْعَمَلُ أَوْ شَيْءٌ مِنْهُ لَمْ يُحْكِمْهُ وَمَكَذَا الْعِلْمُ بِقَوَائِنِ  
الْإِعْرَابِ مَعَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي نَفْسِهَا فَإِنَّ الْعِلْمَ بِقَوَائِنِ الْإِعْرَابِ إِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ  
بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ وَلِلَّذِكِ نَجْدٌ كَثِيرٌ مِنْ جِهَانِدَةِ النُّحَاةِ وَالْمَهَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُحْصِلِينَ  
عِلْمًا بِتِلْكَ الْقَوَائِنِ إِذَا سُئِلَ فِي كِتَابَةِ سَطْرَيْنِ إِلَى أَخِيهِ أَوْ ذِي مَوَدَّتِهِ أَوْ شَكْوَى  
ظُلَامَةٍ أَوْ قَصْدٍ مِنْ قُصُودِهِ أَخْطَأَ فِيهَا عَنِ الصَّوَابِ وَأَكْثَرَ مِنَ اللَّغْوِ وَلَمْ يَجِدْ تَأْلِيفَ  
الْكَلَامِ لِذَلِكَ وَالْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقْصُودِ عَلَى أَسَالِبِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَكَذَا نَجْدٌ كَثِيرٌ  
مِمَّنْ يُحَسِّنُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيَجِدُّ الْقَنِينَ مِنَ التَّنْظِيمِ وَالْمِنْثُورِ وَهُوَ لَا يُحَسِّنُ إِعْرَابَ  
الْفَاعِلِ مِنَ الْمَعْمُولِ وَلَا الْمَعْمُولِ مِنَ الْجَرْوَرِ وَلَا شَيْئًا مِنْ قَوَائِنِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَعِنَ  
هَذَا تَعَلَّمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَلَكَةَ هِيَ غَيْرُ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّهَا مُسْتَغْنِيَةٌ عَنْهَا بِالْجَمَلَةِ وَقَدْ  
نَجِدَ بَعْضَ الْمَهَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ بِصِيرٍ بِحَالِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَهُوَ قَلِيلٌ وَاتِّفَاقٌ  
وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ لِلْمُحَاطِلِينَ لِكِتَابِ سِيدُوبِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى قَوَائِنِ الْإِعْرَابِ فَقَطَّ

بَلْ مَلَأَ كِتَابَهُ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ وَشَوَاهِدِ أَشْعَارِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ فَكَانَ فِيهِ جُزْءٌ صَالِحٌ  
 مِنْ تَعْلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَجِدُّ الْعَاكِفِ عَلَيْهِ وَالْحَصِلُ لَهُ قَدْ حَصَلَ عَلَى حَظٍّ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ وَانْدَرَجَ فِي مَحْفُوظِهِ بِأَمَّاكِهِ وَمَفَاصِلِ حَاجَاتِهِ وَتَبَيَّنَ بِهِ لِشَأْنِ الْمَلَكَةِ فَأَسْتَوْفَى  
 تَعْلِيمَهَا فَكَانَ أَبْلَغَ فِي الْإِفَادَةِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْخَطَّاطِينَ لِكِتَابِ سَيِّدِيهِ مَنْ يَفْعَلُ عَنْ  
 التَّفَعُّلِ لِهَذَا فَيَحْصِلُ عَلَى عِلْمِ اللِّسَانِ صِنَاعَةً وَلَا يَحْصِلُ عَلَيْهِ مَلَكَةٌ وَأَمَّا الْخَطَّاطُونَ  
 لِكُتُبِ الْمَتَأَخِّرِينَ الْعَرَابِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ مُجَرَّدَةً عَنْ أَشْعَارِ  
 الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ فَقُلْ مَا يَشْعُرُونَ لِذَلِكَ بِأَمْرِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ أَوْ يَنْبَهِونَ لِشَأْنِهَا فَتَعْدُمُ  
 بِحَسْبِئِ أَنْهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى رُتْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُ وَأَهْلُ صِنَاعَةِ  
 الْعَرَبِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمَعْلُومُهَا أَقْرَبُ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَتَعْلِيمِهَا مِنْ سِوَاهُمْ  
 لِقِيَابِهِمْ فِيهَا عَلَى شَوَاهِدِ الْعَرَبِ وَأَمْثَالِهِمْ وَالتَّفَقُّهُ فِي الْكَثِيرِ مِنَ التَّرَاكِبِ فِي مَجَالِسِ  
 تَعْلِيمِهِمْ فَيَسْبِقُ إِلَى الْمُبْتَدِئِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَلَكَةِ أَثْنَاءَ التَّعْلِيمِ فَتَقْطَعُ النَّفْسُ لَهَا  
 وَتَسْتَعِدُّ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَتُجْلِسُهَا وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَأَجْرُوا  
 صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ مُجَرَّدًا بِمَجَرَى الْعُلُومِ بَحْثًا وَقَطَعُوا النَّظَرَ عَنِ التَّفَقُّهِ فِي تَرَكَيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ  
 إِلَّا إِنْ أَعَزَّبُوا شَاهِدًا أَوْ رَجَّحُوا مَذْهَبًا مِنْ جِهَةِ الْإِقْنَاءِ الذِّهْنِيِّ لَا مِنْ جِهَةِ تَحَامُلِ  
 اللِّسَانِ وَتَرَكَيبِهِ فَأَصْبَحَتْ صِنَاعَةُ الْعَرَبِيَّةِ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ قَوَانِينِ الْمَنْطِقِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ  
 الْجَدَلِ وَبَعْدَتْ عَنِ مَنَاحِي اللِّسَانِ وَمَلَكَتْهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِعِدْوَلِهِمْ عَنِ التَّحْقُّقِ فِي  
 شَوَاهِدِ اللِّسَانِ وَتَرَكَيبِهِ وَتَمَيِّزِ أَسَالِيْبِهِ وَغَفْلَتِهِمْ عَنِ الْمِرَانِ فِي ذَلِكَ لِلْمُتَعَلِّمِ فَهُوَ  
 أَحْسَنُ مَا تُفِيدُهُ الْمَلَكَةُ فِي اللِّسَانِ وَتِلْكَ الْقَوَانِينُ إِنَّمَا فِي وَسَائِلِ التَّعْلِيمِ لِكُنْهِمْ  
 أَجْرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا قُصِدَ بِهَا وَأَصَارُوهَا عِلْمًا بَحْثًا وَبَعْدُوا عَنْ تَمَرُّنِهَا وَتَعَلَّمَ مِمَّا قَرَرْنَاهُ  
 فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ حُصُولَ مَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ إِنَّمَا هُوَ بِكَثْرَةِ الْحِفْظِ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ حَتَّى يَرْتَسِمَ فِي خَيَالِهِ الْمِنْوَالُ الَّذِي تَسْجُو عَلَيْهِ تَرَكَيبُهُمْ فَيَنْسَجُ هُوَ عَلَيْهِ  
 وَيَتَنَزَّلُ بِذَلِكَ مَنَزَلَةً مَنْ نَشَأَ مَعَهُمْ وَخَالَطَ عِبَارَاتِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى حَصَلَتْ لَهُ  
 الْمَلَكَةُ الْمُسْتَفْرَغَةُ فِي الْفِيَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ عَلَى نَحْوِ كَلَامِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْقَبِيبِ

## الفصل الثاني والاربعون

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل

للمستعربين من العجم

إِعْلَمُ أَنَّ لَفْظَةَ الذَّوْقِ يَتَدَاوَلُهَا الْمُعْتَمِدُونَ بِقُنُونِ الْبَيَانِ وَمَعْنَاهَا حُصُولُ مَلَكَةِ  
الْبَلَاغَةِ لِللِّسَانِ وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ الْبَلَاغَةِ وَأَنَّهَا مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمَعْنَى مِنْ جَمِيعِ وَجُوهِهِ  
بِمُخَوَّصٍ نَفَعَ لِلتَّرَاكِبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ فَالْمُتَكَلِّمُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْبَلِغُ فِيهِ يَتَحَرَّى  
الْمُعِينَةَ الْمُعِينَةَ لِذَلِكَ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَأَنْمَاءِ مَخَاطِبَاتِهِمْ وَيَنْظُمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ  
الْوَجْهِ جِهَةً فَإِذَا انْصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِمَخَالَطَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ فِي نَظْمِ  
الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّرَكِيبِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَنْحُو فِيهِ غَيْرَ مَنْحَى  
الْبَلَاغَةِ الَّتِي لِلْعَرَبِ وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ جَارٍ عَلَى ذَلِكَ الْمَنْحَى بَعَثَ وَبَا عَنْهُ سَمْعُهُ  
بِأَدْنَى فِكْرٍ بَلٍ وَيَغْيِرُ فِكْرُهُ إِلَّا بِمَا اسْتَفَادَ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِذَا اسْتَقَرَّتْ وَرَسَخَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَانَتْهَا طَبِيعَةً وَجِبِلَّةً لِذَلِكَ الْحَلُولِ وَلِذَلِكَ يَبْطُنُ  
كَثِيرٌ مِنَ الْمُفْغَلِينَ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوَابَ لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ  
إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِي وَيَقُولُ كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْطَلِقُ بِالطَّبِيعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا فِي  
مَلَكَةٍ لِسَانِيَّةٍ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ تَمَكَّنَتْ وَرَسَخَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَادِي الرَّأْيِ أَنَّهَا  
جِبِلَّةٌ وَطَبِيعٌ وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ كَمَا تَقَدَّمَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِمُعَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَتَكَرُّرِهِ  
عَلَى السَّمْعِ وَالتَّنْقِطِنِ لِمَخَوَّصَاتِ تَرَكَيبِهِ وَلَيْسَتْ تَحْصُلُ بِمَعْرِفَةِ الْقَوَانِينِ الْعِلْمِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا أَهْلُ صِنَاعَةِ اللِّسَانِ فَإِنَّ هَذِهِ الْقَوَانِينُ إِنَّمَا تُفِيدُ عِلْمًا بِذَلِكَ اللِّسَانِ وَلَا  
تُفِيدُ حُصُولَ الْمَلَكَةِ بِالْفِعْلِ فِي مَحَلِّهَا وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَمَلَكَةُ الْبَلَاغَةِ  
فِي اللِّسَانِ تَهْدِي الْبَلِغَ إِلَى وُجُودِ النَّظْمِ وَحُسْنِ التَّرَكِيبِ الْمُوَافِقِ لِتَرَكَيبِ الْعَرَبِ  
فِي لُغَتِهِمْ وَنَظْمِ كَلَامِهِمْ وَلَوْ زَامَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ حَيْدًا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ الْعِلْمِيَّةِ  
وَالتَّرَاكِبِ الْخُصُوصَةِ لَمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَلَا وَافَقَهُ عَلَيْهِ لِسَانُهُ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَادُهُ وَلَا تَهْدِيهِ  
إِلَيْهِ مَلَكَتُهُ الرَّاسِخَةُ عِنْدَهُ وَإِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ حَائِلًا عَنْ أُسْلُوبِ الْعَرَبِ  
وَبَلَاغَتِهِمْ فِي نَظْمِ كَلَامِهِمْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَبَعَثَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
مَارَسَ كَلَامَهُمْ وَزُبْمًا يَغْيِرُ عَنِ الْإِحْتِجَاجِ لِذَلِكَ كَمَا تَصْنَعُ أَهْلُ الْقَوَانِينِ النُّحْوِيَّةِ



وَالْيَكَايَةِ فَإِنْ ذَلِكَ أَسَدِلَالٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْقَوَانِينِ الْمُنَادَةِ بِالْإِسْتِغْرَاءِ وَهَذَا أَمْرٌ  
وَجَدَانِي حَاصِلٌ بِمُتَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى يَصِيرَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمِثَالُهُ لَوْ فَرَضْنَا  
صَبِيًّا مِنْ صِبْيَانِهِمْ نَشَأَ وَرَبِّي فِي جِيلِهِمْ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ لُغَتَهُمْ وَيُحْكِمُ شَأْنَ الْأَعْرَابِ  
وَالْبَلَاغَةِ فِيهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى غَايَتِهَا وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ الْقَانُونِي فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ  
يُحْصِلُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ فِي لِسَانِهِ وَتَطْقِيعِهِ وَكَذَلِكَ تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لَدُنْ بَعْدَ ذَلِكَ  
الْجِيلِ بِحِفْظِ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَخُطْبَتِهِمْ وَالْمُتَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ بَحْثٌ بِحُصُولِ الْمَلَكَةِ  
وَيَصِيرُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ نَشَأَ فِي جِيلِهِمْ وَرَبِّي بَيْنَ أَجْيَالِهِمْ وَالْقَوَانِينُ يَعْزِلُ عَنْ هَذَا  
وَأَسْتَعِيرُ لِهَذِهِ الْمَلَكَةِ عِنْدَمَا تَرْمَخُ وَتَسْقُرُ أَسْمُ الدُّوْقِ الَّذِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ  
صِنَاعَةِ الْيَكَايَةِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لِإِدْرَاكِ الطُّعُومِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ تَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةِ  
فِي اللِّسَانِ مِنْ حَيْثُ انْطَلَقَ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ تَحَلُّ لِإِدْرَاكِ الطُّعُومِ أَسْتَعِيرَ لَهَا اسْمَهُ  
وَأَيْضًا فَهُوَ وَجَدَانِي اللِّسَانِ كَمَا أَنَّ الطُّعُومَ تَحْسُوسُهُ لَهُ فَقِيلَ لَهُ دُوقٌ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ  
ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعْلَامَ الدَّاخِلِينَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِعِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّبِينَ  
إِلَى انْطِلَاقِهِ لِمُخَاطَلَةِ أَهْلِهِ كَالْفَرَسِ وَالزُّرْمِ وَالزُّرْكَ بِالشَّرْقِ وَكَالزُّبْرِ بِالْمَغْرِبِ  
فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ هَذَا الدُّوْقُ لِقُصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا لِأَنَّ  
قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْأُمُورِ وَسَبَقِي مَلَكَةٍ أُخْرَى إِلَى الْإِنْسَانِ وَهِيَ لُغَاتُهُمْ أَنْ يَعْتَنُوا  
بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ مِصْرَ بَيْنَهُمْ فِي الْحَوَاوِزِ مِنْ مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ لِمَا يَضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ  
وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ قَدْ ذَهَبَتْ لِأَهْلِ الْأَنْصَارِ وَبَعُدُوا عَنْهَا كَمَا نَقَدَمَ وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي  
ذَلِكَ مَلَكَةٌ أُخْرَى وَلَيْسَتْ فِي مَلَكَةِ الْإِنْسَانِ الْمَطْلُوبَةُ وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ  
مِنَ الْقَوَانِينِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكِتَابِ فَلَيْسَ مِنْ تَفْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا حَصَلَ  
أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمُتَارَسَةِ وَالْإِعْيَادِ وَالتَّكْرُرِ  
لِكَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَنَّ سَبِيؤَهُ وَالْفَارِمْيَ وَالزُّخْرِيَّ وَمِثَالَهُمْ  
مِنْ فُرْسَانِ النُّكَلَامِ كَانُوا أَنْجَمًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلِيكَ  
الْقَوْمِ الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِنَّمَا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطَّ وَأَمَّا الْعَرَبِيُّ وَالنَّشَاءُ فَكَانَتْ  
بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ فَاسْتَوُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ  
عَلَى غَايَةِ لَا شَيْءَ وَرَازَمَهَا وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَجْيَالِهِمْ

حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللُّغَةِ وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا فَعَمُّ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِأَعْجَمَ  
فِي اللُّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلِمَّةَ فِي عِفْوَانِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ تَذْهَبْ  
أَثَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَّفُوا عَلَى الْمَارَسَةِ وَالْمُدَارَسَةِ لِكَلَامِ  
الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى غَايَتِهِ وَالْيَوْمَ الْوَاحِدُ مِنَ الْعَجَمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ  
الْعَرَبِيَّ بِالْأَمْصَارِ فَأَقُولُ مَا يَجِدُ تِلْكَ الْمَلَكَةَ الْمَقْصُودَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُنْتَحِيَةً  
الْأَثَارِ وَيَجِدُ مَلَكَتَهُمْ الْخَاصَّةُ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ  
ثُمَّ إِذَا قَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ بِالْمُدَارَسَةِ وَالْحَفِظِ  
يَسْتَفِيدُ تَحْصِيلَهَا فَقُلْ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ  
أُخْرَى فِي الْحِكْلِ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً تَخْذُوشَةً وَإِنْ قَرَضْنَا أَعْجَبًا فِي النَّسَبِ سَلِمَ  
مِنْ مُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْكَلِمَةِ وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْمُدَارَسَةِ  
قَرُبًا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ لَكِنَّهُ مِنَ الدُّورِ يَجِثُ لَا يَفْخَى عَلَيْكَ يَمَا تَفَرَّكَ وَرُبَّمَا يَدْعِي كَثِيرٌ  
مِمَّنْ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْبَيَانِيَّةِ حُصُولَ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ مُخَالَطَةٌ وَإِنَّمَا  
حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْبَيَانِيَّةِ وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَةِ الْعِبَارَةِ فِي  
شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة

اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن

اللسان العربي كان حصولها له اصعب واعسر

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا يَسْبِقُ إِلَى الْمُتَعَلِّمِ مِنْ حُصُولِ مَلَكَةٍ مُنَافِيَةٍ لِلْمَلَكَةِ الْمَطْلُوبَةِ  
يَمَا سَبَقَ إِلَيْهِ مِنَ اللِّسَانِ الْخَضِرِيِّ الَّذِي أَفَادَتْهُ النُّجْمَةُ حَتَّى تَزَالَ بِهَا اللِّسَانُ عَنْ  
مَلَكَتِهِ الْأُولَى إِلَى مَلَكَةٍ أُخْرَى فِي لُغَةِ الْخَضِرِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلِهَذَا يُجِدُ الْمُتَعَلِّمِينَ  
يَذْهَبُونَ إِلَى الْمُسَابَقَةِ بِتَعْلِيمِ اللِّسَانِ لِلْوِلْدَانِ وَتَعْتَقِدُ النُّجْمَةُ أَنَّ هَذِهِ الْمُسَابَقَةَ  
بِصِنَاعَتِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا فِي تَعْلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِمُخَالَطَةِ اللِّسَانِ وَكَلَامِ  
الْعَرَبِ نَعْمَ صِنَاعَةٌ أَلْعَوَ أَقْرَبُ إِلَى مُخَالَطَةِ ذَلِكَ وَمَا كَانَ مِنْ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَعْرَقَ  
فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنْ لِسَانِ مُصَرَّ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْخَضِرِيَّةِ وَحُصُولِ

مَلَكَهَا التَّمَكُّنُ الْمُنَافَاةَ حِينَئِذٍ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَأَهْلُ أَفْرِقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ  
 لَمَّا كَانُوا أَعْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ تَامٌ فِي تَحْصِيلِ  
 مَلَكَتِهِ بِالتَّعْلِيمِ وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الرَّفِيعِ أَنَّ بَعْضَ كُتَّابِ الْقُبُورِ وَانْ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ  
 لَهُ يَا أَخِي وَمَنْ لَا عَلِمَتْ فَقَدْهُ أَعْلَمَنِي أَبُو سَعِيدٍ كَلَامًا أَنَّكَ كُنْتَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ  
 تَكُونُ مَعَ الَّذِينَ تَأْتِي وَعَاقِبَتَا الْيَوْمِ فَلَمْ يَشْهَدَا لَنَا الْخُرُوجَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَنْزِلِ الْكَلَابُ مِنْ  
 أَمْرِ السَّنِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا هَذَا بِاطِّلَالٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا حَرْفًا وَاحِدًا وَكُنَّا بِي إِلَيْكَ وَأَنَا مُشْتَاقٌ  
 إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهَكَذَا كَانَتْ مَلَكَتُهُمْ فِي اللِّسَانِ الْمَضْرُوتِ شَبِيهَ بِمَا ذَكَرْنَا  
 وَكَذَلِكَ أَشْعَارُهُمْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْمَلَكَتِ نَازِلَةً عَنِ الطَّبَقَةِ وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَلِهَذَا مَا كَانَ بِأَفْرِقِيَّةَ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا ابْنُ رُشَيْقٍ وَابْنُ شَرَفٍ وَأَكْثَرُ  
 مَا يَكُونُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ طَارِئِينَ عَلَيْهَا وَلَمْ تَزَلْ طَبَقَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى الْآنَ مَائِلَةً إِلَى  
 الْقُصُورِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَتِ بِكَثْرَةِ مُعَانَتِهِمْ  
 وَأَمْثَلَاتِهِمْ مِنَ الْمُحْفُوظَاتِ اللَّغَوِيَّةِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَكَانَ فِيهِمْ ابْنُ حَيَّانَ الْمُؤَرِّخُ إِمَامُ  
 أَهْلِ الصَّنَاعَةِ فِي هَذِهِ الْمَلَكَتِ وَرَافِعُ الرَّايَةِ لَعَمْرُهَا وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَالْقُسْطَلِيُّ  
 وَأَمْثَلُهُمْ مِنْ شُعْرَاءِ مُلُوكِ الطُّوَانِفِ لِمَا زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ اللِّسَانِ وَالْأَدَبِ وَتَدَاوَلَ  
 ذَلِكَ فِيهِمْ مِثِينَ مِنَ السَّنِينَ حَتَّى كَانَ الْإِنْفِصَافُ وَالْجَلَاءُ أَيَّامَ تَغْلِبِ الْفَرَنْجِيَّةِ وَشُغِلُوا  
 عَنْ تَعْلَمِ ذَلِكَ وَتَنَاقَصَ الْعُمَرَانُ فَتَنَاقَصَ لِذَلِكَ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا فَقَصُرَتْ الْمَلَكَتُ  
 فِيهِمْ عَنْ شَأْنِهَا حَتَّى بَلَغَتْ الْحَفِيفُ وَكَانَ مِنْ آخِرِهِمْ صَالِحُ بْنُ شَرِيفٍ وَمَالِكُ بْنُ  
 مَرْحَلٍ مِنْ تَلَامِيذِ الطَّبَقَةِ الْأَشْجَلِيَّةِ بَسِئَتْهُ وَكُتَّابُ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ فِي أَوَّلِهَا  
 وَأَلْقَتْ الْأَنْدَلُسُ أَفْلاذَ كِبْدِهَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَلَكَتِ بِالْجَلَاءِ إِلَى الْعُدُودِ لِعُدُودِ  
 الْأَشْجَلِيَّةِ إِلَى سَبْتَةِ وَمِنْ شَرَفِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى أَفْرِقِيَّةَ وَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا أَنْ أَتَقَرَّضُوا وَأَقْطَعَ  
 سَنَدَ تَعْلِيمِهِمْ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِعَسْرِ قُبُولِ الْعُدُودِ لَهَا وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِمْ بِعُوجِ السَّنِينَ  
 وَرُسُوحِهِمْ فِي الْعُجْمَةِ الْبَرَبَرِيَّةِ وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَا فُلَّنَاهُمْ عَادَتِ الْمَلَكَتُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 إِلَى الْأَنْدَلُسِ كَمَا كَانَتْ وَنَجَّمَ بِهَا ابْنُ بَشْرِينَ وَابْنُ جَابِرٍ وَابْنُ الْجَبَابِ وَطَبَقَتُهُمْ ثُمَّ  
 إِبْرَاهِيمُ السَّاحِلِيُّ الطَّرِيقِيُّ وَطَبَقَتُهُ وَقَفَّاهُمْ ابْنُ الْخَطِيبِ مِنْ بَعْدِهِمُ هَالِكٌ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 شَهِيدًا بِسَاعِيَةِ أَعْدَائِهِ وَكَانَ لَهُ فِي اللِّسَانِ مَلَكَتُ لَا تُنْذَرُكَ وَاتَّبَعَ أَثَرُهُ تَلْمِيذُهُ وَبِالْجَمَلَةِ

فَشَانُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ وَتَعْلِيمُهَا أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ مَعَانَةِ عُلُومِ اللِّسَانِ وَتَحَافُظَتِهِمْ عَلَيْهَا وَعَلَى عُلُومِ الْأَدَبِ وَسَنَدِ  
 تَعْلِيمِهَا وَلِأَنَّ أَهْلَ اللِّسَانِ النِّجْمِيَّ الَّذِينَ تَفْسَدُ مَلَكَتُهُمْ إِذَا هُمْ طَارُونَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ  
 عِجْمَتُهُمْ أَصْلًا لِلُّغَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْبَزِيرِ فِي هَذِهِ الْعُدُودِ وَهُمْ أَهْلُهَا وَلِسَانُهُمْ لِسَانُهَا  
 إِلَّا فِي الْأُمُصَارِ فَقَطْ وَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ فِي بَحْرِ عِجْمَتِهِمْ وَرِطَائِنَتِهِمْ الْبَزِيرِيَّةِ فَيَضْبُ  
 عَلَيْهِمْ تَحْصِيلُ الْمَلَكَةِ اللَّسَانِيَّةِ بِالتَّعْلِيمِ بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَاعْتِزَ ذَلِكَ بِجَالِ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ لِعَهْدِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ فَكَانَ شَأْنُهُمْ شَأْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي تِمَامِ  
 هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَإِجَادَتِهَا لِيُعَدِّمَ لِذَلِكَ الْعَهْدَ عَنِ الْأَعَاجِمِ وَتَحَافُظَتِهِمْ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ  
 فَكَانَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ أَقْوَمَ وَكَانَ فُحُولُ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ أَوْفَرَ  
 لِتَوْفُرِ الْعَرَبِ وَأَبْنَائِهِمْ بِالْمَشْرِقِ وَانْظُرْ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْأَغَانِي مِنْ تَقْطِيعِهِمْ  
 وَتَبْرِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ كِتَابُ الْعَرَبِ وَدِيَوَانُهُمْ وَفِيهِ لَغَنُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَأَبَائُهُمْ  
 وَمِلَّتُهُمْ الْعَرَبِيَّةُ وَسِيرَتُهُمْ وَأَنَارُ خُلَفَائِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ وَأَشْعَارُهُمْ وَغَنَائُهُمْ وَسَائِرُ مَعَانِيهِمْ  
 لَهُ فَلَا كِتَابَ أَوْعَبُ مِنْهُ لِأَحْوَالِ الْعَرَبِ وَبَقِيَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مُسْتَحْكِمًا فِي الْمَشْرِقِ  
 فِي الدَّوْلَتَيْنِ وَرُبَّمَا كَانَتْ فِيهِمْ أَبْلَغُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا نَذَرُ  
 بَعْدَ حَتَّى تَلَاشَى أَمْرُ الْعَرَبِ وَدَرَسَتْ لَغَنُهُمْ وَفَسَدَ كَلَامُهُمْ وَأَنْقَضَى أَمْرُهُمْ وَدَوَّلَتُهُمْ  
 وَصَارَ الْأَمْرُ لِلْأَعَاجِمِ وَالْمَلِكُ فِي أَيْدِيهِمْ وَالتَّغْلُبُ لَهُمْ وَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الدَّلَامِ وَالسُّجُوفِيَّةِ  
 وَخَالَطُوا أَهْلَ الْأُمُصَارِ وَالْخَوَاصِرِ حَتَّى بَعَدُوا عَنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَلَكَتِهِ وَصَارَ  
 مُتَعَلِّمًا مِنْهُمْ مَقْصِرًا عَنْ تَحْصِيلِهَا وَعَلَى ذَلِكَ تَجِدُ لِسَانَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ  
 وَالْمَشْهُورِ وَإِنْ كَانُوا مُكْثَرِينَ مِنْهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 عِلْمُهُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الرابع والاربعون

في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فِي الشِّعْرِ الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ  
 الْمَوْزُونُ الْمُعَقَّى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْرَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ وَفِي  
 النَّثْرِ وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فَنُونٍ وَمَذَاهِبٍ

فِي الْكَلَامِ فَأَمَّا الشَّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالنِّجَاهُ وَالزَّيْنُ وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي  
 يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ يُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ  
 وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءَهُ بَلْ يُمْرَسُ إِزْسَالًا مِنْ غَيْرِ  
 تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ وَأَمَّا  
 الْقُرْآنُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا  
 وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِ بَنِيهِ إِلَى مَقَاطِعِ بَشَرِ الدُّوْقِ يَأْتِيهِمَا الْكَلَامُ عِنْدَهَا  
 ثُمَّ يَعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا وَيَبْنَى مِنْ غَيْرِ التَّزَامِ حَرْفٌ يَكُونُ سَجْعًا  
 وَلَا قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَنْشَعُرُ مِنْهُ  
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ وَيُسَمَّى آخِرُ الْآيَاتِ مِنْهَا قَوَاصِلُ  
 إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّزَمُ فِيهَا مَا يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ وَلَا يَحِي أَيْضًا قَوَافٍ وَأُطْلِقَ اسْمُ  
 الْمَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى التَّمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْتَصَّتْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلْعَلَّةِ  
 فِيهَا كَالنَّبِيحِ لِلزَّيْنِ وَلِهَذَا سَمِيَتْ السَّجْعُ الْمَثَانِي وَانْظُرْ هُنَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ  
 تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي بِشَهْدِ لِكَ الْحَقِّ بِرُجْحَانٍ مَا قُلْنَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ  
 الْفَنُونِ أَسَالِيبَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ الْآخَرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسَبِ  
 الْمُخْتَصِّ بِالشَّعْرِ وَالْحَمْدِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطَابَاتِ  
 وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَ فِي الْمَثُورِ مِنْ كَثَرَةِ  
 الْأَسْجَاعِ وَالتَّزَامِ التَّقْفِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسَبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمَثُورُ إِذَا  
 تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَقِيَّةً وَلَمْ يَقْتَرَفْ إِلَّا فِي الْوِزْنِ وَاسْتَعْمَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْكُتَّابِ  
 عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْأِسْتِعْمَالَ فِي الْمَثُورِ  
 كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَرْضَوْهُ وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ  
 وَخُصُوصًا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ  
 الْفَعْلُ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا  
 يُلَاحَظُ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْخُطَابِ وَالْخُطَابِ وَهَذَا  
 الْفَنُّ الْمَثُورُ الْمَقْفِيُّ أَدْخَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تَنْزَعُ الْخُطَابَاتُ  
 السُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ إِذَا أَسَالِيبَ الشَّعْرِ تَنَافَتْهَا الْقَوْدَعِيَّةُ وَخَلَطَ الْجِدَّ بِالْهَزْلِ وَالْإِطْلَاقَ فِي

الْأَوْصَافِ وَصَرَفَ الْأَمْثَالَ وَكَثَّرَ التَّشْبِيهَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ  
إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ وَالْتِزَامُ التَّقْيِيدِ أَيْضًا مِنَ اللَّوْذَعَةِ وَالتَّزْيِينِ وَجَلَالُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانِ وَخُطَابُ الْمُجْمُوعِ عَنِ الْمُلُوكِ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّزْيِينِ بِتَأْنِي ذَلِكَ وَيَبَيِّنُهُ وَالْمَحْمُودُ  
فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ الرَّسُلُ وَمَوْ إِبْطَاقُ الْكَلَامِ وَإِزْمَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ  
إِلَّا فِي الْأَقْلِ الْفَادِرِ وَحَيْثُ تَزْمِيلُهُ الْمَلِكَةَ إِزْمَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاءُ  
الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أَسْلُوبٌ  
يُفَضُّهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِيجَازٍ أَوْ حَذْفٍ أَوْ إِنْثَابٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ أَوْ كِتَابَةٍ  
وَاسْتِعَارَةٍ وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِيِبِ  
الشَّعْرِ قَدْ مَدْمُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا أَسْتَبْلَاهُ الْعُجْمَةَ عَلَى السِّنَنِهِمْ وَقُصُورُهُمْ  
لِذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَجَعَلُوا عَنْ الْكَلَامِ  
الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خُطُوبِهِ وَلَوْلَا هَذَا الْمُسْجَعُ لَيَفْقُونَ بِهِ مَا  
نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ وَيَجْعَلُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ  
مِنَ التَّزْيِينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَقْتُلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ  
بِهَذَا الْقَرْنِ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشُرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى  
إِنَّهُمْ يَخْلُفُونَ بِالْأَعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي تَجَنُّسٍ أَوْ  
مُطَابَقَةٍ لَا يَحْتَمِلُهَا مَعَهَا فَيَرْجِعُونَ ذَلِكَ الصَّنَفَ مِنَ التَّجَنُّسِ وَيَدْعُونَ لِأَعْرَابٍ وَيُقْسِدُونَ  
بِنَيْتِ الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجَنُّسَ فَتَأْمَلُ ذَلِكَ بِمَا قَدْ مَنَاهُ لَكَ كَفَقَ عَلَى صِحِّهِ مَا  
ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بَيْنَهُ وَكَرِّمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الخامس والاربعون

في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم والمنثور مما الا للال  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا يَبْنَاهُ مَلِكَةٌ فِي اللِّسَانِ فَإِذَا تَسَبَّغَتْ إِلَى مَحَلِّهِ مَلِكَةٌ  
أُخْرَى قَصَّرَتْ بِالْحَمَلِ عَنْ تِمَامِ الْمَلِكَةِ الْأَلْحَقَةِ لِأَنَّ تِمَامَ الْمَلِكَاتِ وَحُصُولَهَا  
لِلطَّبَائِعِ الَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى أَسْهَلُ وَأَبْسَرُ وَإِذَا تَقَدَّسَتْهَا مَلِكَةٌ أُخْرَى كَانَتْ  
مُكَازَعَةً لَهَا فِي الْمَادَّةِ الْقَابِلَةِ وَعَاطِفَةً عَنْ سُرْعَةِ الْقَبُولِ فَوَقَّتِ الْمُنَافَاةَ وَتَعَدَّرَ التَّمَامُ  
فِي الْمَلِكَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ بَرَهْنَا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ بِنَحْوِ مِنْ هَذَا

الْبَرْهَانَ فَاعْتَبِرْ مِثْلَهُ فِي اللُّغَاتِ فَإِنَّهَا مَلَكَاتُ اللِّسَانِ وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَاعَةِ وَأَنْظُرْ مَنْ  
تَقَدَّمَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ النُّجْمَةِ كَيْفَ يَكُونُ قَاصِرًا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَبَدًا فَالْأَعْجَمِيُّ الَّذِي  
سَبَقَتْ لَهُ اللُّغَةُ الْفَارْسِيَّةُ لَا يَسْتَوِي عَلَى مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلَا يَزَالُ قَاصِرًا فِيهِ  
وَلَوْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ وَكَذَا الْبَرْبَرِيُّ وَالْأَرْوِيُّ وَالْأَفْرَنْجِيُّ قُلْ أَنْ تَجِدَ أَحَدًا مِنْهُمْ مُحْكِمًا  
لِمَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا سَبَقَ إِلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنْ مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْآخَرِ  
حَتَّى إِنْ طَالَبَ الْعِلْمُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَلْسُنِ إِذَا طَلَبَهُ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ جَاءَ  
مُقْصِرًا فِي مَعَارِفِهِ عَنِ الْغَايَةِ وَالتَّخْصِيلِ وَمَا أُوتِيَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ اللِّسَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ  
مَنْ قَبْلُ أَنَّ الْأَلْسُنَ وَاللُّغَاتِ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَائِعِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَمَلَكَاتِهَا لَا  
تَزْدَحِمُ وَأَنْ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ إِجَادَةٌ فِي صِنَاعَةٍ فَقَدْ أَنْ يُجِيدَ فِي أُخْرَى أَوْ يَسْتَوِي فِيهَا عَلَى  
الْغَايَةِ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

### الفصل السادس والاربعون

في صناعة الشعر ووجه نعله

هَذَا الْقَوْلُ مِنْ قَوْلِهِمْ كَلَامُ الْعَرَبِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالشَّعْرِ عِنْدَهُمْ وَيُوجَدُ فِي سَائِرِ  
اللُّغَاتِ إِلَّا أَنَّا الْآنَ إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي الشَّعْرِ الَّذِي لِلْعَرَبِ فَإِنْ أُمِكنَ أَنْ تَجِدَ فِيهِ  
أَهْلُ الْأَلْسُنِ الْآخَرَةِ مَقْصُودَهُمْ مِنْ كَلَامِهِمْ وَإِلَّا فَلِكُلِّ لِسَانٍ أَحْكَامٌ فِي الْبَلَاغَةِ  
تَخْصُهُ وَهُوَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ غَرِيبُ النَّزْعَةِ عَزِيزُ الْعَمَلِ إِذْ هُوَ كَلَامٌ مُفَصَّلٌ قِطْعًا  
قِطْعًا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوِزْنِ مُتَّحِدَةٌ فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْ كُلِّ قِطْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَاتِ  
عِنْدَهُمْ يَتَنَا وَيُسَمَّى الْحَرْفُ الْآخِرُ الَّذِي تَتَّفِقُ فِيهِ رَوِيًا وَقَافِيَةً وَيُسَمَّى جُمْلَةً  
الْكَلَامِ إِلَى آخِرِهِ قَصِيدَةً وَكَلِمَةً وَيَتَفَرَّدُ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهُ بِإِقَادَتِهِ فِي تَرَكَيبِهِ حَتَّى  
كَانَتْهُ كَلَامٌ وَحْدَهُ مُسْتَقِلٌّ عَمَّا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ وَإِذَا أُفْرِدَ كَانَ تَامًا فِي بَابِهِ فِي مَدْحٍ  
أَوْ تَنْشِيبٍ أَوْ رِثَاءٍ فَيَحْرُصُ الشَّاعِرُ عَلَى إِعْطَاءِ ذَلِكَ الْبَيْتِ مَا يَسْتَقِلُّ فِي إِقَادَتِهِ ثُمَّ  
يَسْتَأْنِفُ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ كَلَامًا آخَرَ كَذَلِكَ وَيَسْتَطِرِدُ الْخُرُوجُ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ وَمِنْ  
مَقْصُودٍ إِلَى مَقْصُودٍ يَأْنِ يُوْطِئُ الْمَقْصُودَ الْأَوَّلَ وَمَعَانِيَهُ إِلَى أَنْ تَنَاسِبَ الْمَقْصُودُ الثَّانِي  
وَيُبْعَدُ الْكَلَامُ عَنِ التَّنَافُرِ كَمَا يَسْتَطِرِدُ مِنَ التَّنَشِيبِ إِلَى الْمَدْحِ وَمِنْ وَصْفِ الْبَيْدَاءِ  
وَالطُّلُولِ إِلَى وَصْفِ أَرْزِ كَلْبٍ أَوْ الْحَبْلِ أَوْ الطَّيْفِ وَمِنْ وَصْفِ الْمَمْدُوحِ إِلَى وَصْفِ

قَوِّمِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَمِنْ التَّفْخِيعِ وَالْعَزَاءِ فِي الرِّثَاءِ إِلَى التَّأَثُّرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَتُرَاعَى فِيهِ  
 اتِّفَاقُ الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا فِي الْوِزْنِ الْوَاحِدِ حَدَرًا مِنْ أَنْ يَتَسَاهَلَ الطَّبَعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ  
 وَزْنٍ إِلَى وَزْنٍ بِقَارِبِهِ فَقَدْ يَغْفَى ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمَقَارِبَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَلِلْهِ  
 الْمَوَازِينُ شُرُوطٌ وَأَحْكَامٌ تَضَمَّنَهَا عِلْمُ الْعُرُوضِ وَلَيْسَ كُلُّ وَزْنٍ يَتَغَفَى فِي الطَّبَعِ  
 اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْفَنِّ وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مُخْصُوصَةٌ تُسَمِّي بِهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ  
 النُّجُورَ وَقَدْ حَصَرُوهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يُعِدُّوا لِلْعَرَبِ فِي غَيْرِهَا مِنْ  
 الْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ نَظْمًا . وَاعْلَمْ أَنَّ فَنَّ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفًا عِنْدَ  
 الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ دِيْوَانَ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَشَاهِدَ صَوَابِهِمْ وَخَطَأِهِمْ وَأَصْلًا  
 يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ عُلُومِهِمْ وَحِكْمِهِمْ وَكَانَتْ مَلَكَتُهُ مُسْتَحْكِمَةً فِيهِمْ شَأْنُ  
 الْمَلَكَاتِ كُلِّهَا وَالْمَلَكَاتُ اللَّسَانِيَّةُ كُلُّهَا إِنَّمَا تُكْتَسَبُ بِالصَّنَاعَةِ وَالْإِتْيَازِ  
 فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى يَحْصُلَ شَبَهٌ فِي تِلْكَ الْمَلَكََةِ وَالشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ صَعْبُ الْمَأْخِذِ  
 عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكْتَسِبَ مَلَكَتَهُ بِالصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِاسْتِقْلَالِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ  
 بِأَنَّهُ كَلَامٌ نَامٌ فِي مَقْصُودِهِ وَيَصْلُحُ أَنْ يَتَفَرَّدَ دُونَ مَا سِوَاهُ فَيُحْتَاجُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى  
 نَوْعٍ تَلَطَّفَ فِي تِلْكَ الْمَلَكََةِ حَتَّى يَفْرَغَ الْكَلَامُ الشَّعْرِي فِي قَوَالِهِ الَّتِي عُرِفَتْ  
 لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ وَيُبَيِّرُهُ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ ثُمَّ يَأْتِي بَيْتَ آخَرَ  
 كَذَلِكَ ثُمَّ يَبْتَئِ وَيَسْتَكْمِلُ الْفُنُونِ الْوَاقِيَةَ بِمَقْصُودِهِ ثُمَّ يَنْاسِبُ بَيْنَ الْبُيُوتِ فِي  
 مُؤَالَفَةِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْفُنُونِ الَّتِي فِي الْقَصِيدَةِ وَلِصُحُوبَةِ مَنَاحِهِ  
 وَعَوَاظِهِ فَتَبَيَّنَ كَانَ يَحْكُمُ الْقَرَائِحَ فِي اسْتِجَادَةِ أَسَالِيْبِهِ وَشَحْذِ الْأَفْكَارِ فِي  
 تَنْزِيلِ الْكَلَامِ فِي قَوَالِهِ وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَلَكََةُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ  
 يُحْتَاجُ بِمَخْصُوصِهِ إِلَى تَلَطُّفٍ وَمُحَاوَلَةٍ فِي رِعَايَةِ الْأَسَالِيْبِ الَّتِي اخْتَصَتْهُ الْعَرَبُ بِهَا وَأُسْتَعْمَلَهَا  
 وَلِنَدِّكَرُ هُنَا سُلُوكَ الْأَسْلُوبِ عِنْدَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَمَا يُرِيدُونَ بِهَا فِي إِطْلَاقِهِمْ  
 فَاعْلَمْ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عِنْدَهُمْ عَنِ الْمِنْوَالِ الَّذِي يُنْسَجُ فِيهِ التَّرَاكِيِبُ أَوِ الْقَالِبِ الَّذِي يَفْرَغُ  
 فِيهِ وَلَا يُرْجَعُ إِلَى الْكَلَامِ بِأَعْيَارٍ إِفَادَتِهِ أَصْلُ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْإِعْرَابِ  
 وَلَا بِأَعْيَارٍ إِفَادَتِهِ كَمَا لَ الْمَعْنَى مِنْ خَوَاصِّ التَّرَاكِيِبِ الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْبَلَاغَةِ وَالْيَبَانِ  
 وَلَا بِأَعْيَارِ الْوِزْنِ كَمَا اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِيهِ الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْعُرُوضِ فَهَذِهِ الْعُلُومُ



الْثَلَاثَةُ خَارِجَةٌ عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَإِنَّمَا يُرْجَعُ إِلَى صُورَةٍ ذَهْنِيَّةٍ لِلتَّرَاكُيبِ  
الْمُنْتَظَمَةِ كَرَبِّيَّةٍ بِاعْتِبَارِ انْطِبَاقِهَا عَلَى تَرْكِيبِ خَاصٍّ وَتِلْكَ الصُّورَةُ يُنْتَزَعُهَا الذَّهْنُ مِنْ  
أَعْيَانِ التَّرَاكُيبِ وَأَشْخَاصِهَا وَيُصَوِّرُهَا فِي الْخَيَالِ كَالْقَالِبِ أَوْ الذَّنْوَالِ ثُمَّ يَنْتَقِي  
التَّرَاكُيبَ الصَّحِيحَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ بِاعْتِبَارِ الْإِعْزَابِ وَالْيَبَانِ فَيَرُدُّهَا فِيهِ رَسَاكَةً بِفَعْلِهِ  
الْبَنَاءِ فِي الْقَالِبِ أَوْ النَّسَاجِ فِي الذَّنْوَالِ حَتَّى يَتَسَّعَ الْقَالِبُ بِمَحْصُولِ التَّرَاكُيبِ الزَّافِيَةِ بِمَقْصُودِ  
الْكَلَامِ وَيَقَعُ عَلَى الصُّورَةِ الصَّحِيحَةِ بِاعْتِبَارِ مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فِيهِ فَإِنْ لِكُلِّ  
فَنٍّ مِنَ الْكَلَامِ أَسَالِيبُ مُتَخَصُّ بِهٖ وَتُوجَدُ فِيهِ عَلَى أَمْثَالِ مُخْتَلِفَةِ فَسْوَالِ الطُّلُولِ فِيهِ  
الشَّعْرُ بِكَوْنِهِ يَخْطُابُ الطُّلُولِ كَقَوْلِهِ يَا دَارَ مَيَّةَ يَا أَعْلِيَاءَ فَالْسِّنْدُ وَيَكُونُ بِاسْتِنْدَاءِ  
الصَّحْبِ لِلْوُفُوفِ وَالسُّوَالِ كَقَوْلِهِ قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا أَوْ بِاسْتِبْكَاءِ الصَّحْبِ  
عَلَى الطَّلَلِ كَقَوْلِهِ قِفَا بَنَكٍ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ أَوْ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنِ الْجَوَابِ  
لِخَطَاطِبٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ كَقَوْلِهِ أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الرُّسُومُ وَمِثْلُ تَحِيَّةِ الطُّلُولِ بِالْأَمْرِ  
لِخَطَاطِبٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ بِتَحِيَّتِهَا كَقَوْلِهِ حَيِّ الدِّيارِ بِجَانِبِ الْغَزْلِ أَوْ بِالِدُّعَاءِ لَهَا  
بِالسُّبْقَا كَقَوْلِهِ

أَسْقَى طُلُولُهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٍ وَعَدَّتْ عَلَيْهِمْ نُصْرَةً وَنَعِيمٍ

أَوْ سُؤَالِهِ أُلْفِيًّا لَمَّا مِنَ الْبَرَقِ كَقَوْلِهِ

يَا بَرَقُ طَالِمِ مَنَزَلًا بِالْأَبْرِقِ وَاحِدَ السَّحَابِ لَهَا حِدَاءُ الْآبَتِقِ

أَوْ مِثْلَ التَّفَجُّعِ فِي الْجَزَعِ بِاسْتِنْدَاءِ الْبَكَاءِ كَقَوْلِهِ

كَلَّا فَلْيَجْلِ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعِينٌ لَمْ يَغْضُ مَاؤُهَا عُنْدُ

أَوْ بِاسْتِعْظَامِ الْحَادِثِ كَقَوْلِهِ أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَوْ بِالتَّسْجِيلِ عَلَى

الْأَكْوَانِ بِالْمُصِيبَةِ لِفَقْدِهِ كَقَوْلِهِ

مَنَابِتُ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّنْحِ وَالْبَاعِ

أَوْ بِالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْفَعْ لَهُ مِنَ الْجُمَادَاتِ كَقَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ

أَيَا شَجَرَ الْخَابِرِ مَالِكٍ مَوْقَا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

أَوْ بِشَهْنَةِ فَرِيْقِهِ بِالرَّاحَةِ مِنْ ثِقَلِ وَطْأَتِهِ كَقَوْلِهِ

أَلْقَى الرِّمَاحَ رَيْعَةً بَنُ نَزَارٍ أَوْدَى الرَّدَى بِفَرِيْقِكَ الْمَعْوَارِ

وَأَمَّا ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ سَائِرِ فُنُونِ الْكَلَامِ وَمَذَاهِبِهِ وَتَنْظِيمِ التَّرَاكِبِ فِيهِ  
بِالْجَمَلِ وَغَيْرِ الْجَمَلِ إِنْشَائِيَّةٌ وَخَبَرِيَّةٌ إِسْمِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ مُتَّفِقَةٌ وَغَيْرُ مُتَّفِقَةٍ مَفْصُولَةٌ وَمَوْصُولَةٌ  
عَلَى مَا هُوَ شَأْنُ التَّرَاكِبِ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ فِي سَكَانِ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْأَخْرَجِي بِعَرَفِكَ  
فِيهِ مَا تَسْتَفِيدُهُ بِالْإِذْتِمَاضِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِنَ الْقَالِبِ الْكَلْبِيِّ الْخَبَرِيِّ فِي الذِّهْنِ  
مِنَ التَّرَاكِبِ الْمُعِينَةِ الَّتِي يَنْطَلِقُ ذَلِكَ الْقَالِبُ عَلَى جَمِيعِهَا فَإِنْ مَوَّلَتْ الْكَلَامَ هُوَ  
كَالْبَنَاءِ أَوْ النَّسَاجِ وَالصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ الْمُنْطَبِقَةِ كَالْقَالِبِ الَّذِي يُبْنَى فِيهِ أَوْ الْمُنَوَالِ  
الَّذِي يُنْسَجُ عَلَيْهِ فَإِنْ خَرَجَ عَنِ الْقَالِبِ فِي بِنَائِهِ أَوْ عَنِ الْمُنَوَالِ فِي نَسْجِهِ كَانَ فَاسِدًا  
وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ مَعْرِفَةَ قَوَانِينِ الْبَلَاغَةِ كَافِيَةٌ لِذَلِكَ لِأَنَّا نَقُولُ قَوَانِينِ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا هِيَ قَوَاعِدُ  
عِلْمِيَّةٌ قِيَاسِيَّةٌ تُفِيدُ جَوَارِ أَسْتِعْمَالِ التَّرَاكِبِ عَلَى مِثْلِهَا الْخَاصَّةِ بِالْقِيَاسِ وَهُوَ قِيَاسُ  
عِلْمِيٍّ صَحِيحٍ مُطَرَّدٍ كَمَا هُوَ قِيَاسُ الْقَوَانِينِ الْأَعْرَابِيَّةِ وَهَذِهِ الْأَسَالِبُ الَّتِي تَعْمَلُ  
فَقَرَرُهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقِيَاسِ فِي قَوِيٍّ إِنَّمَا هِيَ هَيْئَةٌ تَرْسُخُ فِي النَّفْسِ مِنْ تَتَبُّعِ التَّرَاكِبِ  
فِي شِعْرِ الْعَرَبِ لِحَرَاكَتِهَا عَلَى اللِّسَانِ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ صُورَتَهَا فَيَسْتَفِيدَ بِهَا الْعَمَلُ عَلَى مِثَالِهَا  
وَالْإِحْتِذَاءُ بِهَا فِي كُلِّ تَرْكِيبٍ مِنَ الشَّعْرِ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ بِإِطْلَاقٍ وَإِنْ  
الْقَوَانِينُ الْعِلْمِيَّةُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَيَانِ لَا يَفِيدُ تَعْلِيمَهُ بِوَجْهِ وَابَسٍ كُلِّ مَا بَصَحَ فِي قِيَاسِ  
كَلَامِ الْعَرَبِ وَقَوَانِينُ الْعِلْمِيَّةِ أَسْتَعْمَلُوهُوَ إِنَّمَا أَسْتَعْمَلُ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْعَاءُ  
مَعْرُوفَةٌ يَطْلُعُ عَلَيْهَا الْحَافِظُونَ لِكَلَامِهِمْ تَنْدَرِجُ صُورَتُهَا تَحْتَ تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْقِيَاسِيَّةِ  
فَإِذَا نَظَرَ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ وَبِهِذِهِ الْأَسَالِبِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي تُصِيرُ كَالْقَوَالِبِ  
كَانَ نَظَرًا فِي أَسْتَعْمَالِ مَنْ تَرَاكِبِهِمْ لَا فَيَا بَقْتَضِيهِ الْقِيَاسُ وَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ النِّحْصَلَ  
لِهَذِهِ الْقَوَالِبِ فِي الذِّهْنِ إِنَّمَا هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ وَهَذِهِ الْقَوَالِبُ كَمَا  
تَكُونُ فِي الْمَنْظُومِ تَكُونُ فِي الْمَثُورِ فَإِنَّ الْعَرَبَ أَسْتَعْمَلُوا كَلَامَهُمْ فِي كِلَا الْفَنَيْنِ  
وَجَاءُوا بِهِ مَفْصَلًا فِي النَّوعَيْنِ فَقِي الشَّعْرُ بِالْقِطْعِ الْمَوْزُونَةِ وَالْقَوَاعِي الْمَقْبِدَةُ  
وَأَسْتَقْدَالُ الْكَلَامِ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ وَفِي الْمَثُورِ يَتَّبِعُونَ الْمَوْزُونََةَ وَالنَّشَابَةَ  
بَيْنَ الْقِطْعِ غَالِبًا وَقَدْ يَقْبِدُونَهُ بِالْأَسْبَاجِ وَقَدْ يُزِيلُونَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ مَعْرُوفَةٌ  
فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنْهَا عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُبْنَى مُؤَلَّفُ الْكَلَامِ عَلَيْهِ تَأْلِيفُهُ  
وَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَ كَلَامَهُمْ حَتَّى يَتَجَرَّدَ فِي ذَهْنِهِ مِنَ الْقَوَالِبِ الْمُعِينَةِ الشَّخْصِيَّةِ

قَالَ كُنْ مُطْلَقٌ يَحْدُو حَدُّهُ فِي التَّأْلِيفِ كَمَا يَحْدُو الْبِنَاءُ عَلَى الْقَالَِبِ وَالنَّسَاجُ عَلَى الْمِنْوَالِ فَلِهَذَا كَانَ مِنْ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مُنْفَرِدًا عَنْ نَظَرِ النَّحْوِيِّ وَالْيَنَابِيِّ وَالْعَرُوضِيِّ نَعَمْ إِنْ مَرَاعَاةَ قَوَائِنِ هَذِهِ الْعُلُومِ شَرْطٌ فِيهِ لَا يَتِمُّ بِدُونِهَا فَإِذَا تَحَصَّلَتْ هَذِهِ الصِّنَاتُ كُلُّهَا فِي الْكَلَامِ اخْتَصَّ بِتَوْعٍ مِنَ النَّظَرِ لَطِيفٍ فِي هَذِهِ الْقَوَالِبِ الَّتِي يَسْمُونَهَا أَسَالِيبَ وَلَا يَفِيدُهُ إِلَّا حِفْظُ كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَإِذَا تَقَرَّرَ مَعْنَى الْأَسَالِيبِ مَا هُوَ فَلَمَّا كَرَّزَ بِهِ هَذَا حَدًّا أَوْ رَسَمًا لِلشَّعْرِ بِهِ تَقَهَّمُ حَقِيقَتُهُ عَلَى صُوبَةِ هَذَا الْفَرَضِ فَإِنَّا لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيهَا رَأْيَانَهُ وَقَوْلُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي حَدِّهِ إِنَّهُ الْكَلَامُ الْمَعْرُوفُ الْمُعْقَى لَيْسَ بِحَدِّ لِهَذَا الشَّعْرِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدِّهِ وَلَا رَسْمٍ لَهُ وَصِنَاعَتُهُمْ إِنَّمَا تَنْظُرُ فِي الشَّعْرِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْوِزْنِ وَالْقَوَالِبِ الْخَاصَةِ فَلَا جَرَمَ إِنْ حَدَّاهُمْ ذَلِكَ لَا يَصْلُحُ لَهُ عِنْدَنَا فَلَا بَدَّ مِنْ تَعْرِيفِ بَعْطِينَا حَقِيقَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ فَتَقُولُ الشَّعْرُ هُوَ الْكَلَامُ الْبَلِغُ الْمُنْبِئِيُّ عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ الْمَفْصَلِ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ فِي الْوِزْنِ وَالرُّوْيِ مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْخَفُوصَةِ بِهِ فَقَوْلُنَا الْكَلَامُ الْبَلِغُ جُنْسٌ وَقَوْلُنَا الْمُنْبِئِيُّ عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ فَصْلٌ عَمَّا يَخْلُو مِنْ هَذِهِ فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ لَيْسَ شِعْرًا وَقَوْلُنَا الْمَفْصَلُ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ الْوِزْنِ وَالرُّوْيِ فَصْلٌ لَهُ عَنِ الْكَلَامِ الْمَنْثُورِ الَّذِي لَيْسَ شِعْرًا عِنْدَ الْكُلِّ وَقَوْلُنَا مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ يَبْكَانُ لِلْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَا تَكُونُ أَيْنَانُهُ إِلَّا كَذَلِكَ وَلَمْ يَفْصَلْ بِهِ شَيْءٌ وَقَوْلُنَا الْجَارِي عَلَى الْأَسَالِيبِ الْخَفُوصَةِ بِهِ فَصْلٌ لَهُ عَمَّا لَمْ يَجْعَلْ مِنْهُ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفَةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ شِعْرًا إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَنْظُومٌ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَهُ أَسَالِيبٌ مُخَصَّةٌ لَا تَكُونُ الْمَنْثُورُ وَكَذَا أَسَالِيبُ الْمَنْثُورِ لَا تَكُونُ لِلشَّعْرِ فَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ مَنْظُومًا وَلَيْسَ عَلَى تِلْكَ الْأَسَالِيبِ فَلَا يَكُونُ شِعْرًا وَهَذَا الْأَعْتِبَارُ كَانَ الْكَثِيرُ مِنْ لَقِينَانِهِ مِنْ شُبُوحِنَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ يَرَوْنَ أَنَّ نَظْمَ الْمُنْبِئِيِّ وَالْمَعْرِيِّ لَيْسَ هُوَ مِنَ الشَّعْرِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَجْعَلَا عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَمْرِ عِنْدَمَا يَرَى أَنَّ الشَّعْرَ يُوجَدُ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَمَنْ يَرَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ لِغَيْرِهِمْ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ مَكَانَهُ الْجَارِي عَلَى الْأَسَالِيبِ الْخَفُوصَةِ وَإِذَا قَدْ فَرَعْنَا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَةِ الشَّعْرِ فَلَنَرْجِعْ

إِلَى الْكَلَامِ فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِهِ فَقُولُ . إَعْلَمُ أَنَّ لِعَمَلِ الشِّعْرِ وَإِحْكَامِ صِنَاعَتِهِ شُرُوطًا  
أُولَاهَا الْحِفْظُ مِنْ جِنْسِهِ أَيْ مِنْ جِنْسِ شِعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي النَّفْسِ مَلَكَتٌ يَنْسَجُ  
عَلَى مَنَوَالِهَا وَبُخَيْرُ الْحَفْظِ مِنَ الْحَرِّ النَّفْيُ الْكَثِيرُ الْأَسَالِيبُ وَهَذَا الْحَفْظُ الْخَفَاءُ  
أَقْلُ مَا يَكُنِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ الْقَهُولِ الْإِسْلَامِيِّينَ مِثْلَ ابْنِ أَبِي رَيْعَةَ وَكَثِيرٍ  
وَذِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبٍ وَالتَّجْتَرِيَّ وَالرُّضِيَّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَأَكْثَرُهُ  
شِعْرُ كِتَابِ الْأَغَانِي لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهِ وَالْخَفَاءُ مِنْ شِعْرِ  
الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْحَفْظِ فَتَنْظُمُهُ قَاصِرٌ رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّزْنُ وَالْحَلَاوَةُ  
إِلَّا كَثَرَةُ الْحَفْظِ فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عَدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ سَاطِعٌ  
وَأَجْتَنِبُ الشِّعْرَ أَوَّلِي يَمَعٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحَفَّوظٌ ثُمَّ بَعْدَ الْإِمْلَاءِ مِنَ الْحِفْظِ وَتَخِذِ الْقَرِيحَةِ  
لِلنَّسَجِ عَلَى الْمَنَوَالِ يُقِيلُ عَلَى النِّظْمِ وَيَأْتِي كَثَارٌ مِنْهُ تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتَهُ وَتَرْسُخُ  
وَرُبَّمَا يَقَالُ إِنْ مِنْ شَرْطِهِ نِسْبَانُ ذَلِكَ الْحَفْظِ لَشَحِي رُسُومُهُ الْحَرْفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذْ  
فِي صَادَرَةٍ عَنِ اسْتِعْمَالِهَا بَعِيْنَهَا فَإِذَا نَسَبَهَا وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا انْتَفَشَ الْأَسْلُوبُ  
فِيهَا كَأَنَّهُ مَنَوَالٌ يُؤْخَذُ بِالنَّسَجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةٌ ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ  
مِنَ الْخَلْوَةِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ الْمَيَاةِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا السَّمْعُ  
لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيحَةِ بِاسْتِجْمَاعِهَا وَتَنْشِيطِهَا بِمِلَازِ السُّرُورِ ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَشَرْطُهُ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى حِمَامٍ وَتَسَاطُفٍ فَذَلِكَ أَجْمَعٌ لَهُ وَأَنْشَطُ الْقَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمَنَوَالِ  
الَّذِي فِي حِفْظِهِ قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ لِذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبُكْرِ عِنْدَ الْهَيُوبِ مِنَ النَّوْمِ  
وَقَرَاغِ الْمَعِدَةِ وَتَسَاطُفِ الْفِكْرِ فِي هَؤُلَاءِ الْجَمَامِ وَرُبَّمَا قَالُوا إِنْ مِنْ بَوَاعِيهِ الْعِشَى  
وَالْإِنْشَاءُ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِ الْعَمَدَةِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَتَقَرَّدَ بِهِذِهِ  
الصَّنَاعَةِ وَإِعْطَاءَ حَقِّهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَالُوا فَإِنْ اسْتَصْعَبَ  
عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا يُكْرَهُ نَفْسُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ بِنَاءُ الْبَيْتِ  
عَلَى الْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ صَوْرَةٍ وَنَسَجِهِ بَعْضُهَا وَبَنَى الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ إِنْ غَفَلَ  
عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ صَعِبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تُجِي نَافِرَةٌ قَلْعَةٌ وَإِذَا سَمِعَ  
الْخَطُوطُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَتَأَسَّبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْبَنِيِّ بِهِ فَإِنْ كُلَّ  
بَيْتٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْمُنَاسَبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا يَشَاءُ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ

أَخْلَاصٍ مِنْهُ بِالتَّفْخِيعِ وَالنَّعْدِ وَلَا يَضُرُّ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَتْلُغِ إِلَّا جَادَةً فَإِنَّ  
 الْإِنْسَانَ مَقْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ نَبَاتٌ فِكْرُهُ وَأَخْتِرَاعُ قَوْلِيَّتِهِ وَلَا يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنْ  
 الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِبِ وَأَخْلَاصٍ مِنَ الْفَرُورَاتِ الْإِسَائِيَةِ فَلْيَتَجَرَّهَا فَإِنَّهَا  
 تَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ وَقَدْ حَظَرَ أَيْمَةُ اللِّسَانِ الْمُؤَلَّدَ مِنْ أَرْثَاكِبِ  
 الْفَرُورَةِ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مَنَافِعِهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُنْتَلَى مِنَ الْمَلَكَةِ وَيَجْتَنِبُ  
 أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِبِ جُهْدُهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ نُسَابِيُ الْفَلَاظَةِ إِلَى  
 الْقَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثَرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهِ تَوْعَ تَعْقِيدٍ عَلَى الْقَهْمِ وَإِنَّمَا  
 الْخُفْزَارُ مِنْهُ مَا كَانَتْ الْفَلَاظَةُ طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً  
 كَانَتْ حَنْوًا وَاسْتَعْمِلَ الذَّهْنُ بِالْقَوَاصِ عَلَيْهَا فَمَنْعَ الذُّوقَ عَنْ اسْتِيفَاءِ مُذَرَكِهِ مِنْ  
 الْبَلَاغَةِ وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ مَسْهَلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ نُسَابِيُ الْفَلَاظَةِ إِلَى الذَّهْنِ وَلِهَذَا  
 كَانَ شَبُوحُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَعْجِبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(١)</sup> بِنِ حَفَاجَةِ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ لِكَثَرَةِ  
 مَعَانِيهِ وَازْدِحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْجِبُونَ شِعْرَ الْمُشْتَبَى وَالْمَعْرِي بِعَدَمِ  
 النَّسَجِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ  
 الشَّعْرِ وَالْحَاكِمِ بِذَلِكَ هُوَ الذُّوقُ وَيَجْتَنِبُ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْخَوْفِيَّ مِنَ الْفَلَاظِ وَالْمُقْصِرَ  
 وَكَذَلِكَ السُّوفِيَّ الْمُتَبَدِّلَ بِالتَّدَاوُلِ بِالِاسْتِعْمَالِ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ  
 الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُتَبَدِّلًا وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا  
 وَبِمِقْدَارِ مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ هُمَا طَرَفَانِ وَلِهَذَا  
 كَانَ الشَّعْرُ فِي الرَّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ قَلِيلَ الْإِفَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَتَعَدَّقُ فِيهِ إِلَّا  
 الْفَحْوَلُ وَفِي الْقَلِيلِ عَلَى الْعُسْرِ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُتَبَدِّلَةً لِدَلِكِ وَإِذَا  
 تَهَدَّرَ الشَّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاضْهُ وَبُعَاوَدُهُ فَإِنَّ الْقَرِيحَةَ مِثْلَ الذَّرْعِ يَدُرُّ بِالْإِمْتِرَاءِ  
 وَيَجِفُّ بِالتَّرَكِّ وَالْإِفْهَامِ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَتَعَلَّمْهَا مُسْتَوْفٍ فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ  
 لِأَبْنِ رَشِيْقٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ  
 بِذَلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ الْبُعْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ بُدَّةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ نَظَّمَ النَّاسُ  
 فِي أَمْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ مَا يَجِبُ فِيهَا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَخْطَنُ لِأَبْنِ رَشِيْقٍ

لَعَنَ اللَّهُ صَنَعَةَ الشَّعْرِ مَاذَا  
يُؤْثِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا  
وَدَّوْنَ الْحِمَالِ مَعْنَى صَحِيحًا  
يَهْمِلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَذَمُّ  
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا بِلَا مَوْم  
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا يُنَاسِبُ فِي النَّظْمِ  
فَأَتَى بَعْضُهُ بِشَاكِلٍ بَعْضًا  
كُلُّ مَعْنَى أَنَّكَ مِنْهُ عَلَى مَا  
فَتَنَاهَى مِنَ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ  
فَكَانَ الْإِلْفَاظُ مِنْهُ وَجُوهٌ  
إِنَّمَا فِي الْمَرَامِ حَسَبُ الْإِمَاةِ  
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشَّعْرِ حُرًّا  
فَجَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا  
وَتَنَكَّبْتَ مَا يُعْجَنُ فِي السَّمْعِ  
وَإِذَا مَا عَرَضْتَهُ بِهَجَاءٍ  
فَجَعَلْتَ التَّضَرُّجَ مِنْهُ دَوَاءً  
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْعَالَمِ  
حُلَّتْ دُونَ الْأَمْسَى وَذَلِكَ مَا كَامِ  
نَمْ إِنْ كُنْتَ عَائِيًا جَنَّتْ بِالْوَعْدِ وَعَيْدًا وَيَا لَصُعُوبَةٍ بَيْنَا  
فَتَرَكْتَ الَّذِي عَنَيْتَ عَلَيْهِ حَدِيرًا أَمِنَّا عَزِيزًا مَهِينًا  
وَأَصَحُّ الْقَرِيبِ مَا قَارَبَ النَّظْمُ  
وَإِنْ كَانَ وَاضِعًا مُسْتَبِينًا  
فَإِذَا قِيلَ أَطْمَعَ النَّاسَ طَرًّا وَإِذَا رِيحَ الْعَجْزِ أَلْفُجِيزًا

ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشَّعْرُ مَا قَوَّمتَ رُبْعَ صُدُورِهِ  
وَزَايَتْ بِالْإِلْفَانِابِ شِعْبَ صُدُوعِهِ  
وَشَدَّدْتَ بِالْتَهْدِيبِ أَسْمَ مَتُونِهِ  
وَفَتَحْتَ بِالْإِيْجَازِ عَوْرَ عِيُونِهِ

وَجَمَعَتْ بَيْنَ قَرِيْبِهِ وَبَعِيْدِهِ  
وَإِذَا مَدَحَتْ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا  
أَصْفَيْتَهُ بِتَفَنُّشٍ وَرَضِيْتَهُ  
فِيَكُونُ جَزَلًا فِي مَسَاقِ صُوفِهِ  
وَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ الدِّيَارَ وَاهْلَهَا  
وَإِذَا أَرَدْتَ كِتَابَةً عَنْ رِيْبَةٍ  
جَعَلْتَ سَامِعَهُ يَسُوبُ شُكُوكَهُ  
وَجَمَعَتْ بَيْنَ نَحْمِهِ وَمَعِينِهِ  
وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دِيُونِهِ  
وَخَصَصْتَهُ بِمُحَاطَرِهِ وَتَمِينِهِ  
وَبَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّفَاقِ فُتُونِهِ  
أَجَزَيْتَ لِلْعَزُورِ مَاءَ شَوْوُونِهِ  
بَابَيْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ  
بُيُوتِهِ وَطُنُونَهُ بِقِيْنِهِ

### الفصل السابع والاربعون

في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم ان صناعة الكلام نظما ونثرا انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تبع لها وهي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ يحفظ امثاله من كلام العرب ليكثر استعماله وتجربته على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد نشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك انا قدمنا ان اللسان ملكة من الملكات في النظم يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان واللفظ انما هو الالفاظ واما المعاني فهي في الضمائر وايضا فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويمزج فلا يحتاج الى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الآواني التي يعترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والبرجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الآواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل بتأليف الكلام واساليبه على مفتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم التهوؤ

وَلَا يَسْتَطِيعُهُ لِفَقْدَانِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

### الفصل الثامن والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بمجودة المحفوظ

قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَا بَدُّ مِنْ كَثَرَةِ الْحِفْظِ لِمَنْ يَرُومُ تَعْلَمَ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ وَعَلَى قَدَرِ  
جُودَةِ الْمُحْفَظِ وَطَبَقَتِهِ فِي جِنْسِهِ وَكَثَرَتِهِ مِنْ قِلَّتِهِ تَكُونُ جُودَةُ الْمَلَكَةِ الْحَاصِلَةِ  
عِنْدَ الْحَافِظِ فَمَنْ كَانَ مُحْفَظُهُ شِعْرَ حَبِيبٍ أَوْ الْعَنَابِيِّ أَوْ ابْنِ الْمُعْتَزِّ أَوْ ابْنِ هَانِيٍّ أَوْ  
الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ أَوْ رَسَائِلِ ابْنِ الْمُفَضَّلِ أَوْ سَهْلِ ابْنِ هَارُونَ أَوْ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَوْ الْبَدِيعِ  
أَوْ الصَّائِي تَكُونُ مَلَكَتُهُ أَجُودَ وَأَعْلَى مَقَامًا وَرَتَبَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّنْ يُحْفَظُ شِعْرَ ابْنِ  
سَهْلِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَوْ ابْنِ الْثَّبِيِّ أَوْ تَرْسُلِ الْيَسَّافِيِّ أَوْ الْعِمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ لِزُجُلِ  
طَبَقَةِ هَؤُلَاءِ عَنْ أَوْلَئِكَ يَظْهَرُ ذَلِكَ لِلْبَصِيرِ النَّاقِذِ صَاحِبِ الذُّوقِ وَعَلَى مَقْدَارِ جُودَةِ  
الْمُحْفَظِ أَوْ الْمَسْمُوعِ تَكُونُ جُودَةُ الْأَسْتِعْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ إِجَادَةُ الْمَلَكَةِ مِنْ  
بَعْدِهَا فَإِنَّ رَفَاءَ الْمُحْفَظِ فِي طَبَقَتِهِ مِنَ الْكَلَامِ تَرْتَقِي الْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةُ لِأَنَّ الطَّبَقَ  
إِنَّمَا يَنْسُجُ عَلَى مَنَاطِقِهِ وَتَنْمُو قُوَى الْمَلَكَةِ بِتَغْذِيَّتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ وَإِنْ كَانَتْ فِي  
جِلَّتِهَا وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ تَخْتَلِفُ فِي الْبَشَرِ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ فِي الْإِدْرَاكَتِ وَأَخْلَاقِهَا  
إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَافِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِدْرَاكَتِ وَالْمَلَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ الَّتِي تُكَيِّفُهَا  
مِنْ خَارِجٍ فَيَهْدِيهِ يَتِمُّ وَجُودُهَا وَتَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ صُورَتِهَا وَالْمَلَكَاتُ الَّتِي  
تَحْصُلُ لَهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ عَلَى التَّدْرِيجِ كَمَا قَدْ مَنَاهُ فَالْمَلَكَةُ الشَّعْرِيَّةُ تَنْشَأُ بِحِفْظِ الشَّعْرِ  
وَمَلَكَةُ الْكِتَابَةِ بِحِفْظِ الْأَجْمَاعِ وَالتَّرْسِيلِ وَالْعِلْمِيَّةُ بِحِاطَةِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَتِ  
وَالْأَبْحَاثِ وَالْأَنْظَارِ وَالنَّفْثِيَّةُ بِحِاطَةِ النِّفْثِ وَتَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ وَتَقْرِيبِهَا وَتَخْرِيجِ الْفُرُوعِ  
عَلَى الْأَصُولِ وَالنَّصُوفِيَّةُ أَرْبَابِيَّةُ الْأَعْيَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَتَعْطِيلِ الْحَوَاسِّ الْفَاعِلَةِ  
بِالْحُلُوتِ وَالْإِنْفِرَادِ عَنِ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى تَحْصُلَ لَهُ مَلَكَةُ الرَّجُوعِ إِلَى حِسِّهِ الْبَاطِنِ  
وَرُوحِهِ وَيَتَقَلَّبُ رَبَّانِيًّا وَكَذَا سَائِرُهَا وَلِلنَّفْسِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَوْ أَنَّ تَكْثِيفُ بِهِ وَعَلَى  
حَسَبِ مَا نَشَأَتْ الْمَلَكَةُ عَلَيْهِ مِنْ جُودَةٍ أَوْ رَدَائَةٍ تَكُونُ تِلْكَ الْمَلَكَةُ فِي نَفْسِهَا  
فَمَلَكَةُ الْبَلَاغَةِ الْعَالِيَةِ الطَّبَقَةِ فِي جِنْسِهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ بِحِفْظِ الْعَالِيِ فِي طَبَقَتِهِ مِنْ  
الْكَلَامِ وَلِهَذَا كَانَ الْقَفَاهُ وَأَهْلُ الْعُلُومِ كُلُّهُمْ قَاصِرِينَ فِي الْبَلَاغَةِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا



يَسْبِقُ إِلَى مَحْفُوظِهِمْ وَيَمْتَنِي بِهِ مِنَ الْقَوَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْفَنِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ  
 أُسْلُوبِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّازِلَةِ عَنِ الطَّبَقَةِ لِأَنَّ الْعِبَارَاتِ عَنِ الْقَوَائِنِ وَالْعُلُومِ لَا حِطَّ لَهَا فِي  
 الْبَلَاغَةِ فَإِذَا سَبَقَ ذَلِكَ الْمَحْفُوظُ إِلَى التَّفَكُّرِ وَكَثُرَتْ وَتَلَوَتْ بِهِ النَّفْسُ جَاءَتْ الْمَلَكَةُ  
 الْبَاشِئَةُ عَنْهُ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ وَانْحَرَفَتْ عِبَارَاتُهُ عَنْ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ وَهَكَذَا  
 نَجِدُ شِعْرَ الْفُقَهَاءِ وَالنُّحَاةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالنُّظَّارِ وَغَيْرِهِمْ مَنْ لَمْ يَمْتَنِي مِنْ حِفْظِ النَّحْوِ  
 الْخَرُجَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ . أَخْبَرَنِي صَاحِبُنَا الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رِضْوَانَ كَاتِبُ السَّلَامَةِ  
 بِالْمَغْلَةِ الْمَرْبُوبَةِ قَالَ ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أبا الْعَبَّاسِ بْنِ شُعَيْبٍ كَاتِبَ السُّلْطَانِ  
 أَبِي الْحُسَيْنِ وَكَانَ الْمُقَدَّمُ فِي الْبَصَرِ بِاللِّسَانِ لِهَدْيِهِ فَأَنشَدَنِي مَطْلِعَ قَصِيدَةِ ابْنِ الْحَوَيْ  
 وَلَمْ أُنْسِهَا لَهُ وَهُوَ هَذَا

لَمْ أَدْرِ حِينَ وَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَالْبَالِي  
 فَقَالَ لِي عَلَى الْبَدِيهِ هَذَا شِعْرٌ فَقِيهِ فَقُلْتُ لَهُ وَمِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ فَقَالَ مِنْ قَوْلِهِ مَا  
 الْفَرْقُ إِذْ هِيَ مِنْ عِبَارَاتِ الْفُقَهَاءِ وَلَيْسَتْ مِنْ أَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَهُ اللَّهُ أَبُوكَ  
 إِنَّهُ ابْنُ الْحَوَيْ . وَأَمَّا الْكِتَابُ وَالشُّعْرَاءُ فَلْيَسُوا كَذَلِكَ لِتَحْيِيهِمْ فِي مَحْفُوظِهِمْ  
 وَمَحَالَّتِهِمْ كَلَامَ الْعَرَبِ وَأَسَالِيبِهِمْ فِي الدَّرَجِ وَأَتِفَاتِهِمْ لَهُمْ الْجِدَّةُ مِنَ الْكَلَامِ .  
 ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أبا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ وَزَيْرَ الْمُلُوكِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ بَنِي  
 الْأَحْمَرِ وَكَانَ الصَّدْرُ الْمُقَدَّمُ فِي الشِّعْرِ وَالْكِتَابَةِ فَقُلْتُ لَهُ أَجِدُ اسْتِعْصَابًا عَلَيَّ فِي  
 نَظْمِ الشِّعْرِ مَتَى رُمْتُهُ مَعَ بَصَرِي بِهِ وَحِفْظِي لِلْجِدَّةِ مِنَ الْكَلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَفُتُونِ  
 مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظِي قَلِيلًا وَإِنَّمَا أَتَيْتُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْ قَبْلِ مَا حَصَلَ فِي  
 حِفْظِي مِنَ الْأَشْعَارِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْقَوَائِنِ النَّالِيَّةِ فَإِنِّي حَفِظْتُ قَصِيدَةَ الشَّاطِئِيِّ الْكُبْرَى  
 وَالصُّغْرَى فِي الْقِرَاءَاتِ وَتَدَارَسْتُ كِتَابِي ابْنَ الْحَاجِبِ فِي الْفَقْهِ وَالْأُصُولِ وَجَمَلَ  
 الْخَوْنَجِيِّ فِي الْمَنَظِيِّ وَبَعْضَ كِتَابِ التَّسْهِيلِ وَكَثِيرًا مِنْ قَوَائِنِ التَّعْلِيمِ فِي الْعَجَالِ  
 فَأَمْتَلًا مَحْفُوظِي مِنْ ذَلِكَ وَخُدِشَ وَجْهُ الْمَلَكَةِ الَّتِي اسْتَعَدَدْتُ لَهَا بِالتَّحْفُوظِ الْجَدِيدِ مِنَ  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ نَعَاقُ الْقَرِيبَةِ عَنْ بُلُوغِهَا فَظَنَرْتُ إِلَيَّ سَاعَةً مُعْجِبًا ثُمَّ قَالَ  
 لِلَّهِ أَنْتَ وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا مِثْلَكَ . وَبَطَّرَ لَكَ مِنْ هَذَا الْقَصَلِ وَمَا تَقَرَّرَ فِيهِ سِرٌّ آخَرُ  
 وَهُوَ إِعْطَاهُ السَّبَبَ فِي أَنَّ كَلَامَ الْأَوَّلِيَّاتِ مِنَ الْعَرَبِ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَذْوَابِهَا

مِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَثُورِهِمْ وَمَنْظُورِهِمْ فَإِنَّا نَجِدُ شِعْرَ حَسَّانَ بْنِ نَائِثٍ وَعُمَرَ بْنِ  
 أَبِي رَيْمَةَ وَالْحُطَيْثَةَ وَجَرِيرَ وَالْفَرَزْدَقَ وَنُصَيْبَ وَغِيْلَانَ ذِي الرُّمَّةِ وَالْأَخْوَصَ وَبِشَارَ  
 ثُمَّ كَلَامَ السَّلَفِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَصَدْرًا مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي  
 خُطْبِهِمْ وَتَرْسِيلِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ لِلْمُلُوكِ أَرْفَعَ طَبَقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ شِعْرِ النَّابِغَةِ وَعَنْتَرَةَ  
 وَأَبْنِ كُلْثُومٍ وَزُهَيْرٍ وَعَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ وَطَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ وَمِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَثُورِهِمْ  
 وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَالطَّبِيعِ السَّلِيمِ وَالنُّوقِ الصَّحِيحِ شَاهِدَانِ بِذَلِكَ لِلنَّافِدِ الْبَصِيرِ بِالْبَلَاغَةِ وَالسَّبَبِ  
 فِي ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْأَسْلَامَ سَمِعُوا الطَّبَقَةَ الْعَالِيَةَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَالْحَدِيثِ الَّذِينَ عَجَزَ الْبَشَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلَيْهِمَا لِكُونِهَا وَجَعَتْ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَشَأَتْ  
 عَلَى أَسَالِيهَا نَفْسُهُمْ فَهَضَّتْ طِبَاعَهُمْ وَأَزْنَقَتْ مَلَكَاتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى  
 مَلَكَاتٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَةَ وَلَا نَشَأَ عَلَيْهَا  
 فَكَانَ كَلَامُهُمْ فِي نَظْمِهِمْ وَنَثْرِهِمْ أَحْسَنَ دِيَاجَةً وَأَصْنَى رَوْتَقًا مِنْ أُولَئِكَ وَأَرْصَفَ  
 مَبْنًى وَأَعْدَلَ تَنْقِيفًا بِمَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الْكَلَامِ الْعَالِي الطَّبَقَةِ وَتَأَمَّلْ ذَلِكَ بِشَهْدِكَ  
 بِهِ ذَوْنُكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ النُّوقِ وَالْبَصَرِ بِالْبَلَاغَةِ وَلَقَدْ سَأَلْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا الشَّرِيفَ  
 أَبَا الْقَاسِمِ قَاضِي غَرْنَاطَةَ لَهْدِنَا وَكَانَ شَيْخَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَخَذَ يَسْتَبْتُهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ  
 مُسْتَحْتَبِيهَا مِنْ تَلَامِيذِ الشُّلُوبِيِّينَ وَاسْتَجَبَّ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ وَجَاءَهُ مِنْ رِوَاةِ الْغَالِيَةِ فِيهِ فَسَأَلْتُهُ  
 يَوْمًا مَا بَالُ الْعَرَبِ الْأَسْلَامِيِّينَ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ وَلَمْ يَكُنْ  
 لَيْسَتْ تَكْرَرُ ذَلِكَ بِذَوْنِهِ فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي فَقُلْتُ أَعْرَضُ عَلَيْكَ  
 شَيْئًا ظَهَرَ لِي فِي ذَلِكَ وَلَعَلَّهُ السَّبَبُ فِيهِ وَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الَّذِي كَتَبْتُ فَسَكَتَ مُعْجِبًا  
 ثُمَّ قَالَ لِي يَا فقيهُ هَذَا كَلَامٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُكْتَبَ بِالْقَلَمِ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهَا يُؤَثِّرُ  
 مَحَلِّي وَيُصَيِّغُ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ إِلَى قَوْلِي وَبِشَهْدِي لِي بِالتَّبَاهَةِ فِي الْعُلُومِ وَاللَّهُ خَلَقَ  
 الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ

### الفصل التاسع والاربعون

في ترفع اهل المراتب عن القوال الشعر

إِظْمَ أَنْ الشَّعْرَ كَانَ دِيُونًا لِلْعَرَبِ فِيهِ عُلُومُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَحِكْمُهُمْ وَكَانَ رُؤْسًا  
 الْعَرَبِ مُتَفَيْسِينَ فِيهِ وَكَانُوا يَقِفُونَ بِسُوقِ عُكَاظٍ لِإِنْشَادِهِ وَعَرَضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

دِيَابَجَتَهُ عَلَى فُحُولِ الشَّانِ وَأَهْلِي النَّبْرِ لَتَمَيِّزِ حَوْلَهُ حَتَّى أَتَمَّوْا إِلَى الْمُنَاغَاةِ فِي تَعْلِيْقِ  
 أَشْعَارِهِمْ بِأَزْكَانِ النَّبْتِ الْحَرَامِ مَوْضِعِ حَبِيْبِهِمْ وَبَيْتِ إِزْهَمِهِمْ كَمَا فَعَلَ أَرْوُ الْقَبْسِ  
 ابْنُ حَجْرٍ وَالنَّابِغَةُ الدِّيَانِي وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَعَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ وَطَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ  
 وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْأَعَشَى وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعْلَقَاتِ السَّبعِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَتَوَصَّلُ  
 إِلَى تَعْلِيْقِ الشَّعْرِ بِهَا مَنْ كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْمِهِ وَعَصِيَّتِهِ وَمَكَانِهِ فِي مُضَرَ عَلَى  
 مَا قِيلَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمُعْلَقَاتِ ثُمَّ انْفَصَرَفَ الْعَرَبُ عَنْ ذَلِكَ أَوَّلَ الْأَسْلَامِ بِمَا  
 شَغَلَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا أَدْهَشَهُمْ مِنْ أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ  
 فَأَخْرَجُوا عَنْ ذَلِكَ وَسَكَنُوا عَنِ الْخَوْضِ فِي النَّظْمِ وَالنَّبْرِ زَمَانًا ثُمَّ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ وَأَوَسَّ  
 الرُّشْدُ مِنَ الْعِلَّةِ وَلَمْ يَنْزِلِ الْوَحْيُ فِي تَحْرِيرِ الشَّعْرِ وَحَظَرِهِ وَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَأَثَابَ عَلَيْهِ فَجَعَلُوا حَيْثُ يَدُّ إِلَى دِيَابَجَتِهِمْ مِنْهُ وَكَانَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ كَبِيرُ  
 رُئِيسٍ لِذَلِكَ الْعَهْدِ مَقَامَاتٍ فِيهِ عَالِيَةً وَطَبَقَةً مُرْتَفَعَةً وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَبْرُضُ شَعْرَهُ عَلَى  
 ابْنِ عَبَّاسٍ فَيَقِفُ لِاسْتِنَاعِهِ مُعْجِبًا بِهِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَالْبُدُولَةُ الْعَزِيزَةُ  
 وَاقْتَرَبَ إِلَيْهِمُ الْعَرَبُ بِأَشْعَارِهِمْ بِمَتَدَحُونِهِمْ بِهَا وَيُحْيِيهِمُ الْخُلَفَاءُ بِأَعْظَمِ الْجَوَائِزِ عَلَى  
 نِسْبَةِ الْجُودَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَمَكَانِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَيَتَحَرَّصُونَ عَلَى اسْتِنْدَاءِ أَشْعَارِهِمْ بِطَلْعُونَ  
 مِنْهَا عَلَى الْأَثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَاللُّغَةِ وَمُتَرَفِ اللِّسَانِ وَالْعَرَبُ يَطْلُبُونَ وَلَدَهُمْ بِحِفْظِهَا وَلَمْ  
 يَزَلْ هَذَا الشَّانُ أَبَامَ بَنِي أُمَيَّةٍ وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنْظَرُ مَا تَقَلَّهَ صَاحِبُ الْعَقْدِ  
 فِي مُسَامَرَةِ الرَّشِيدِ لِلْأَمَمِيِّ فِي بَابِ الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ نَعْدُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ مِنَ  
 الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ وَالرُّسُوحِ فِيهِ وَالْعَنَابَةِ بِأَنْحَالِهِ وَالتَّبَصُّرِ بِحَيْدِ الْكَلَامِ وَوَرْدِيهِ وَكَثْرَةِ  
 مَحْفُوظِهِ مِنْهُ ثُمَّ جَاءَ خَلْقٌ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَكُنِ اللِّسَانُ لِسَانَهُمْ مِنْ أَجْلِ الْعُجْمَةِ وَانْقِصَارِهَا  
 بِاللِّسَانِ وَإِنَّمَا تَعَلَّوْهُ صِنَاعَةً ثُمَّ مَدَحُوا بِأَشْعَارِهِمْ أَمْرَاءَ الْعَجَمِ الَّذِينَ لَيْسَ اللِّسَانُ لَهُمْ  
 طَالِبِينَ مَعْرِفَتِهِمْ فَقَطْ لَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ كَمَا فَعَلَهُ حَبِيبٌ وَالتَّجَنُّدِيُّ وَالْمُنْتَبِي  
 وَابْنُ هَانِيٍّ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَهَلُمُّ جَرًّا فَصَارَ غَرَضُ الشَّعْرِ فِي الْقَالِبِ إِنَّمَا هُوَ الْكَتِيبُ  
 وَالْأَخْبِيدُ لِذَهَابِ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ لِلأَوَّلِينَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَيْفًا وَأَنْفَتَ مِنْهُ لِنَاكِ  
 أَهْلِ النِّعَمِ وَالْمَرَاتِبِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَتَغَيَّرَ الْحَالُ وَأَصْبَحَ تَعَاطِيهِ هُجْنَةً فِي الرِّئَاسَةِ  
 وَمَدْمَةً لِأَهْلِ الْمَنَاصِبِ الْكَبِيرَةِ وَاللَّهُ مُقَابِلُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

إِذْ عَلِمَ أَنَّ الشَّعْرَ لَا يَخْتَصُّ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَقَطُّ بَلْ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ لُغَةٍ سَوَاءٌ كَانَتْ عَرَبِيَّةً  
أَوْ عَجَمِيَّةً وَقَدْ كَانَ فِي الْفَرَسِ شُعْرَاهُ وَفِي يُونَانَ كَذَلِكَ وَذَكَرَ مِنْهُمْ أَرِسْطُو فِي كِتَابِ  
الْمَنْطِقِ أُوْمِيرُوسَ الشَّاعِرِ وَأَتْنِي عَلَيْهِ وَكَانَ فِي حِمَيْرٍ أَيْضًا شُعْرَاهُ مُتَقَدِّمُونَ وَلَمَّا فَسَدَ  
لِسَانُ مُضَرَ وَلَغَتْهُمْ الَّتِي دُونََتْ مَقَائِسُهَا وَقَوَانِينُ إِعْرَابِهَا وَفَسَدَتْ اللُّغَاتُ مِنْ بَعْدِ يَحْسَبُ  
مَا خَالَطَهَا وَمَازَجَهَا مِنَ الْعَجَمَةِ فَكَانَتْ تُحِيلُ الْعَرَبَ بِأَنُشْهِمُ لُغَةً خَالَفَتْ لُغَةً سَلَفِهِمْ  
مِنْ مُضَرَ فِي الْإِعْرَابِ جِدَّةً وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَبِنَاءِ الْكَلِمَاتِ  
وَكَذَلِكَ الْخُصَرُ أَهْلُ الْأَمْصَارِ نَشَأَتْ فِيهِمْ لُغَةٌ أُخْرَى خَالَفَتْ لِسَانَ مُضَرَ فِي الْإِعْرَابِ  
وَأَكْثَرَ الْأَوْضَاعِ وَالنَّصَارِيفِ وَخَالَفَتْ أَيْضًا لُغَةَ الْحِجَلِ مِنَ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
وَأَخْتَلَفَتْ هِيَ فِي نَفْسِهَا بِحَسَبِ اضْطِلَاحَاتِ أَهْلِ الْأَفَاقِ فَلَأَهْلُ الشَّرْقِ وَأَمْصَارُهُ لُغَةٌ  
غَيْرُ لُغَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَمْصَارُهُ وَتَحَالَفُهَا أَيْضًا لُغَةُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَأَمْصَارِهِ ثُمَّ لَمَّا  
كَانَ الشَّعْرُ مَوْجُودًا بِالطَّبِيعِ فِي أَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ لِأَنَّ الْمَوَازِينَ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي  
أَعْدَادِ الْمَحْرُكَاتِ وَالسَّوَاكِينِ وَتَقَابُلِهَا مَوْجُودَةٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ فَلَمْ يُعْجِرِ الشَّعْرُ  
بِفَقْدَانِ لُغَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ لُغَةُ مُضَرَ الَّذِينَ كَانُوا فُحُولَهُ وَفُزْصَانَ مِيدَانِهِ حَسَبًا أَشْهَرَ  
بَيْنَ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ بَلْ كُلُّ جِيلٍ وَأَهْلُ كُلِّ لُغَةٍ مِنَ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْجِمِينَ وَالْخُصَرَ  
أَهْلُ الْأَمْصَارِ يَتَعَاطُونَ مِنْهُ مَا يَطَاوِعُهُمْ فِي اتِّحَالِهِ وَرَضْفِ بِنَائِهِ عَلَى مَنَهِجِ كَلَامِهِمْ  
فَأَمَّا الْعَرَبُ أَهْلُ هَذَا الْحِجَلِ الْمُسْتَعْجِمُونَ عَنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ مِنْ مُضَرَ فَيَقْرِضُونَ الشَّعْرَ  
لِهَذَا الْعَهْدِ فِي سَائِرِ الْأَعَارِضِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمُ الْمُسْتَعْرِبُونَ وَيَأْتُونَ مِنْهُ  
بِالْمَطْوَلَاتِ مُشْتَمِلَةً عَلَى مَذَاهِبِ الشَّعْرِ وَأَعْرَاضِهِ مِنَ التَّسْبِيبِ وَالْمَدْحِ وَالرِّثَاءِ  
وَالْهَجَاءِ وَيَسْتَطِرِدُونَ فِي الْخُرُوجِ مِنْ قَفْرِ إِلَى قَفْرٍ فِي الْكَلَامِ وَرُبَّمَا هَجَمُوا عَلَى  
الْمَقْصُودِ لِأَوَّلِ كَلَامِهِمْ وَأَكْثَرَ أَبْدَائِهِمْ فِي قَصَائِدِهِمْ بِأَسْمِ الشَّاعِرِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ  
يَنْسُبُونَ فَأَهْلُ أَمْصَارِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْعَرَبِ يُسَمُّونَ هَذِهِ الْقَصَائِدَ بِالْأَسْمَاءِ نِسْبَةً إِلَى  
الْأَسْمَعِيِّ رََاوِيَةِ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَرَبِ يُسَمُّونَ هَذَا النُّوعَ مِنَ  
الشَّعْرِ بِالْبَدْوِيِّ وَرُبَّمَا يُلْحِنُونَ فِيهِ أَلْحَانًا بَسِيطَةً لَا عَلَى طَرِيقَةِ الصَّنَاعَةِ الْمُسَبِّقَةِ ثُمَّ

يَقُونُ بِهِ وَيُسَوِّنَ الْغَنَاءَ بِهِ بِأَنَّهُمُ الْخَوْرَانِي نِسْبَةً إِلَى خَوْرَانَ مِنْ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ  
وَالشَّامِ وَهِيَ مِنْ مَنَازِلِ الْعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَمَسَاكِينِهِمْ إِلَى هَذَا الْقَهْدِ وَلَهُمْ قَدْ أُخْرِجَ كَثِيرُ  
التَّنَادُلِ فِي تَقْلِيمِهِمْ يَحْمِلُونَ بِهِ مَعْصَبًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ يُخَالِفُ آخِرُهَا الثَّلَاثَةَ فِي رَوِيهِ  
وَيَلْتَزِمُونَ الْقَافِيَةَ الرَّابِعَةَ فِي كُلِّ يَتٍّ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ شَبِيهَا بِالْمُرْعِ وَالْخُمْسِ  
الَّذِي أَحَدُهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ وَالْأَوْلَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الشِّعْرِ بِلَاغَةً فَائِقَةً  
وَفِيهِمْ أَفْخُولُ وَالْمُتَأَخِّرُونَ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ لِلْعُلُومِ لِهَذَا الْقَهْدِ وَخُصُوصًا عِلْمُ  
اللسانِ يَسْتَنْكَرُ صَاحِبُهَا هَذِهِ الْقُنُونُ الَّتِي لَهُمْ إِذَا سَمِعَهَا وَبَيَّحَ نَظْمَهُمْ إِذَا أُنْشِدَ وَيَعْتَقِدُ  
أَنْ ذَوْقَهُ إِنَّمَا نَبَأَ عَنْهَا لِاسْتِجْلَانِهَا وَفَقْدَانِ الْإِعْرَابِ مِنْهَا وَهَذَا إِنَّمَا أَتَى مِنْ فَقْدَانِ  
الْمَلَكَةِ فِي لُغَتِهِمْ فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ مَلَكَةٌ مِنْ مَلَكَاتِهِمْ لَشَهِدَ لَهُ طَبْعُهُ وَذَوْقُهُ بِبِلَاغَتِهَا  
إِنْ كَانَ سَلِيماً مِنَ الْآفَاتِ فِي فِطْرَتِهِ وَنَظَرِهِ وَإِلَّا فَالْإِعْرَابُ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْبِلَاغَةِ  
إِنَّمَا الْبِلَاغَةُ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَقْصُودِ وَلِلْمُقْتَضَى الْحَالِ مِنَ الْوُجُودِ فِيهِ سَوَاءٌ كَانَ  
الرَّفْعُ دَالًّا عَلَى الْفَاعِلِ وَالنَّصْبُ دَالًّا عَلَى الْمَفْعُولِ أَوْ بِالْعَكْسِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ  
قَرَأَيْنِ الْكَلَامِ كَمَا هُوَ فِي لُغَتِهِمْ هَذِهِ فَالدَّلَالَةُ بِحَسَبِ مَا يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَلَكَةِ  
فَإِذَا عُرِفَ أَصْطِلَاحُ فِي مَلَكَةٍ وَأَشْتَهَرَ صِحَّةُ الدَّلَالَةِ وَإِذَا طَابَقَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ  
الْمَقْصُودَ وَمُقْتَضَى الْحَالِ صَحَّتِ الْبِلَاغَةُ وَلَا عِبْرَةَ بِقَوَائِنِ النُّحَا فِي ذَلِكَ وَأَسَالِبِ الشِّعْرِ  
وَقُنُونِهِ مَوْجُودَةٌ فِي أَشْعَارِهِمْ هَذِهِ مَا عَدَا حَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ فِي أَوَاخِرِ الْكَلِمِ فَإِنْ  
غَالِبَ كَلِمَاتِهِمْ مَوْقُوفَةٌ الْآخِرِ وَبَتَمَيَّزُ عِنْدَهُمُ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ  
بِقَوَائِنِ الْكَلَامِ لَا بِحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ

(الموشحات والازجال للاندلس)

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشِّعْرُ فِي فُطْرِهِمْ وَتَهَدَّيَتْ مَنَاجِيهِ وَقُنُونُهُ وَبَلَغَ  
التَّنْمِيقُ فِيهِ الْغَايَةَ اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ فَنَأَمْنَهُ مَعْمَةً بِالْمَوْحِعِ يَنْظِمُونَهُ أَمْطَا  
أَمْطَا وَأَغْصَانًا وَأَغْصَانًا يُكَثِّرُونَ مِنْ أَعَارِضِهَا الْخُتْلَفَةَ وَيُسَوِّنُونَ الْمُتَعَدِّدَ مِنْهَا بَيْنًا  
وَاحِدًا وَيَلْتَزِمُونَ عِنْدَ قَوَائِنِ تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْرَانِهَا مُتَابِلًا فِيمَا بَعْدُ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ  
وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ آيَاتٍ وَيَشْتَمِلُ كُلُّ يَتٍّ عَلَى أَغْصَانٍ عَدَدُهَا  
بِحَسَبِ الْأَغْرَاسِ وَالْمَدَاهِبِ وَيَتَسَوِّنُونَ فِيهَا وَيَمْنَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ وَتَجَاوَزُوا

فِي ذَلِكَ إِلَى الْعَاقِبَةِ وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ جُمْلَةً أَلْخَاصَةَ وَالْكَافَّةَ لِسهولته تَنَاقُلُهُ وَقُرْبِ  
طَرِيقِهِ وَكَانَ الْخُتَرْعُ لَهَا يَجْزِي بَرَةً الْأَنْدَلُسُ مُقَدِّمَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُرَيْشِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَمِيرِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَانِيِّ وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ  
كِتَابِ الْعِفَّةِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهْمَا مَعَ الْمَتَأَخِّرِينَ ذِكْرٌ وَكَسَدَتْ مُوشِحَاتُهَا فَكَانَ أَوَّلُ  
مَنْ بَرَعَ فِي هَذَا الشَّانِ عِبَادَةُ الْقُرَازِ شَاعِرُ الْمُعْتَصِمِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ صَاحِبِ الْعِرَاقِ

بَدْرُ تَمَّ . شَمْسُ ضَمَحَا . غَصْنُ نَقَا . مَسْكُ شَمَّ

مَا اَتَمَّ . مَا اَوْضَحَا . مَا اَوْرَقَا . مَا اَتَمَّ

لَا جَرَمَ . مِنْ لِحَا . قَدْ عَشِقَا . قَدْ حَرَّمَ

وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ وَشَاحُ مِنْ مُعَاوِيَةَ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الطَّوَائِفِ  
وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَشَائِخِ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الشَّانِ بِالْأَنْدَلُسِ يَذْكُرُونَ أَنَّ جَمَاعَةً  
مِنَ الْوُشَاحِينَ اجْتَمَعُوا فِي تَجَلُّسٍ بِأَشْبِيلَةَ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَصْطَنَعَ مُوشِحَةً  
وَتَنَاقَلَ فِيهَا فَتَقَدَّمَ الْأَعْمَى الطَّلَبِي لِيْلَانِشَادٍ فَلَمَّا افْتَتَحَ مُوشِحَتَهُ الْمَشْهُورَةَ يَقُولُ  
ضَاحِكٌ عَنْ جُحَانٍ . سَافِرٌ عَنْ دُرٍّ . ضَاقَ جَنَّةُ الزَّمَانِ . وَحَوَاهُ صَدْرِي  
مَرَفَ ابْنُ بَقِيٍّ مُوشِحَتَهُ وَتَبِعَهُ الْبَاقُونَ وَذَكَرَ الْأَعْلَمُ الطَّلَبِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ  
مَا حَسَدْتُ قَطُّ وَشَاحًا عَلَى قَوْلِ إِلَّا ابْنُ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ .

أَمَا تَرَى أَحْمَدُ . فِي تَجْدِيدِهِ الْعَالِي لَا يَلْحَقُ . أَطْلَعَهُ الْقُرْبُ . فَأَرَانَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقُ  
وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا مِنَ الْمُوشِحِينَ الْمَطْبُوعِينَ أَبُو بَكْرٍ الْأَيْضُ وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا أَيْضًا  
الْحَكِيمُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَاجَةَ صَاحِبُ التَّلَاحِيهِ الْمَعْرُوفَةِ وَمِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ  
أَنَّهُ حَضَرَ تَجَلُّسَ مُغْدُوْمِهِ ابْنِ تَيْفَلَوَيْتٍ صَاحِبِ مِرْقَسَةِ فَاتَى عَلَى بَعْضِ قِيَّتَانِهِ مُوشِحَتَهُ  
جَرَّرَ الذِّلَّ أَيْمًا جَرَّ . وَصَلَ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ  
فَطَرِبَ الْمَدْدُوخُ لِلذَّكَاءِ لَمَّا خَتَمَهَا يَقُولُ

عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعَمَلَاءِ أَبِي بَكْرٍ

فَلَمَّا طَرَّقَ ذَلِكَ التَّلَاحِينَ سَمِعَ ابْنُ تَيْفَلَوَيْتٍ صَاحُ وَاطْرَبَاهُ وَشَقَّ ثِيَابَهُ وَقَالَ مَا  
أَحْسَنَ مَا بَدَأْتَ وَخَتَمْتَ وَحَلَفْتَ يَا الْأَيْمَانَ الْمَخْطُطَةَ لَا يَمْسِي ابْنُ بَاجَةَ إِلَى دَارِهِ إِلَّا  
عَلَى اللَّعَبِ فَخَافَ الْحَكِيمُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ فَاحْتَالَ بِأَنْ جَعَلَ ذَهَبًا فِي نَعْلِهِ وَمَشَى عَلَيْهِ

وَذَكَرَ أَبُو الْحَطَّابِ بْنُ زُهَيْرٍ أَنَّهُ جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ زُهَيْرٍ ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ الْأَيْضِ  
 الْوَشَّاحِ الْمُتَقَدِّمِ الَّذِي كَرِهَ قَفْصَ مِنْهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ فَقَالَ كَيْفَ تَنْصُ مِنْهُ يَقُولُ  
 مَا لَذِي لِي شَرَابٌ رَاحَ عَلَى رِيَاضِ الْأَفَاحِ وَلَا هَضِيمُ الْوَشَّاحِ إِذَا أَسَا فِي الصَّبَاحِ  
 أَوْ فِي الْأَصِيلِ أَصْحَى يَقُولُ مَا لِلشُّمُولِ لَطَمَتِ خَدَيْهِ  
 وَلِلشَّمَالِ هَبَّتْ فَمَا لِي غُصْنُ اعْتِدَالٍ ضَمَهُ بَرْدِيهِ  
 مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا بِعَمَشِي لَنَا مُسْتَرِيَا بِالْحَظَةِ رُدُّ نَوْبَا وَبِالْمَاءِ الشَّيْبَا  
 بَرْدٌ غَلِيلٌ صَبَّ عَالِيلٌ لَا يَسْتَحِيلُ فِيهِ عَنْ عَهْدِي  
 وَلَا يَزَالُ فِي كُلِّ حَالٍ يَرْجُو الْوَصَالَ وَهُوَ فِي الصَّدِّ  
 وَأَشْهَرُ بَعْدَ هَوْلَاءِ فِي صَدْرِ دَوْلَةِ الْمُؤَحِّدِينَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ شَرَفٍ قَالَ  
 الْحَسَنُ بْنُ دَوْدَةَ رَأَيْتُ حَاتِمَ بْنَ سَعِيدٍ عَلَى هَذَا الْإِفْتِاحِ

شمس قاربت بدرًا راح وندم

وَابْنُ يَهُرُودَ الَّذِي لَهُ بِالْمِلَّةِ الْوَصْلُ وَالسُّعُودِ بِاللَّهِ عَوْدِي  
 وَأَبْنُ مُوَهَّلٍ الَّذِي لَهُ مَا الْعِيدُ فِي حُلْمِهِ وَطَائِقُ وَثْمٍ وَطَيْبٍ وَإِنَّمَا الْعِيدُ فِي الدَّلَاقِي مَعَ الْخَبِيبِ  
 وَأَبُو إِسْحَاقَ الرُّومِيُّ قَالَ أَبْنُ سَعِيدٍ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى  
 ابْنِ زُهَيْرٍ وَقَدْ أَسَنَّ وَعَلَيْهِ زِيَّ الْبَادِيَةِ إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بِبُحْصَنِ سَبْتَةَ فَلَمْ يَعْرِفْهُ  
 فَجَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ وَجَرَّتِ الْحَاضِرَةُ فَأَنشَدَ لِنَفْسِهِ مَوْجِعَةً وَقَعَ فِيهَا

كَحُلِّ الدُّجَى بِجَرِي مِنْ مَقْلَةِ الْفَجْرِ عَلَى الصَّبَاحِ

وَمَعَصَمُ النَّهْرِ فِي حُلِّ خَضَرٍ مِنْ الطِّبَاحِ

فَتَحَرَّكَ ابْنُ زُهَيْرٍ وَقَالَ أَنْتَ تَقُولُ هَذَا قَالَ أَخْبَرَ قَالَ وَمَنْ تَكُونُ قَعْرُفُهُ فَقَالَ أَرْتَفَعُ  
 قَوْلَهُ مَا عَرَفْتُكَ قَالَ أَبْنُ سَعِيدٍ وَسَابِقُ الْحَلِيَّةِ الَّذِي أَدْرَكَ هَوْلَاءُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ زُهَيْرٍ  
 وَقَدْ شَرَفَتْ مُوشِحَاتُهُ وَغَرَبَتْ قَالَ وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قِيلَ لِابْنِ  
 زُهَيْرٍ لَوْ قِيلَ لَكَ مَا أَبْدَعُ وَأَرْفَعُ مَا وَقَعَ لَكَ فِي التَّوَشُّعِ قَالَ كُنْتُ أَقُولُ

مَا لِلْمَوْلَى مِنْ سُكْرِهِ لَا يُفِيقُ بِالْهُ سُكْرَانٍ مِنْ غَيْرِ خَمَرٍ مَا لِلْكُتَيْبِ الْمَشُوقِ يَنْدُبُ الْوَطَانَ

هل تستعاد يا مَنَا بِالْخَلِيجِ وَلِيَا لِيْنَا

او نستفاد من التسم الاربع مِنِكَ دَارِنَا

وَادِّ بِكَادُ حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَيْتِ . انْ يُحْيَيْنَا

نَهْرُ أَظِلُّهُ . دَوْحٌ عَلَيْهِ أُنْبُقُ . مُورِقٌ قَيْنَانُ . وَالْمَاءُ يَجْرِي . وَغَائِمٌ وَغَرِيقُ . مِنْ جَنَى الرِّيحَانِ  
وَمِنْ مَحَاسِنِ الْمَوْثِقَاتِ لِلْمَتَاخِرِينَ . مَوْثِقُهُ أَبْنُ سَهْلٍ شَاعِرٍ أَشْيِيلِيَّةٍ وَسَبْتَةٍ مِنْ  
بَعْدِيهَا فَمِنْهَا قَوْلُهُ

هَلْ دَرِي ظِلِّي أُلْحِمِي أَنْ قَدْ حَمَى  
فَهُوَ فِي نَارٍ وَخَفَى مِثْلَ مَا  
وَقَدْ تَسَجَّ عَلَى مَنَوَالِهِ فِيهَا صَاحِبُنَا الْوَزِيرُ  
وَالْمَغْرِبُ لِعَصْرِهِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فَقَالَ

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى  
لَمْ يَكُنْ وَصْلَكَ إِلَّا حُلُمًا  
إِذْ يَقُودُ الدُّغْرُ أَشْنَاتَ الْمُنَى  
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثَنَا  
وَالْحُبَا قَدْ جَلَّالَ أَرْوَضَ سَنَى  
وَرَوَى التَّعْمَانُ عَنْ مَاءِ أَلْسَمَا  
فَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُطْلَمًا  
فِي لَيْلٍ كَتَمَتْ نِيرَ الْهَوَى  
مَالَ نَجْمِ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى  
وَطَرًا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سَوَى  
حِينَ لَدَى النَّوْمِ مِنَّا أَوْ كَمَا  
غَارَتْ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا  
أَيُّ شَيْءٍ لَا مَرِيءَ قَدْ خَلَصَا  
تَنْهَبُ الْأَزْمَارُ فِيهِ الْقُرْصَا  
فَإِذَا الْمَاءُ يَنْجِي وَالْحَصَا  
نُبْصَرُ الْوَرْدِ غَيُورًا بَرَمَا  
وَنَرَى الْآسَ لَيْبًا فِيمَا

بَارِزَانَ الْوَصْلِ يَا لَأَنْدُلُسِ  
فِي الْكُرَى أَوْ خِلْسَةَ الْخُفْسِ  
يَنْقُلُ الْخَطُوعَ عَلَى مَا يَرِيمُ  
مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوُفُودَ الْمَوْمِ  
فَتُغَوِّرُ الزُّغَرُ فِيهِ بِئْسَ  
كَيْفَ يَرَوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسٍ  
يَزْدَجِي مِنْهُ بِأَبْعَى مَلْبَسٍ  
بِالْدَّحَى لَوْلَا تُمُوسُ الْقُرَيْرِ  
مُسْتَقِيمَ السَّبْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ  
أَنَّهُ مَرَّ كَلْمَجِ الْبَصْرِ  
هَجَمَ الصَّبْغُ هَجُومَ الْحَرَسِ  
أَثَرَتْ فِينَا عَيُونُ الْأَرْجَسِ  
فَيَكُونُ أَرْوَضُ قَدْ مَكَّنَ فِيهِ  
أَمَنْتَ مِنْ مَكْرِهِ مَا تُثْقِنِي  
وَحَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ  
يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي  
يَسْرِقُ أَلَمْعَ يَأْذَنِي فَرَسِ



يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنْ وَادِي الْقَضَا  
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْقَضَا  
فَاعْبُدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى  
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مَغْرَمًا  
حَسَبَ الْقَلْبِ عَلَيْكُمْ كَرَمًا  
وَيَقْلِي مِنْكُمْ مُقَرَّبُ  
فَمَرًّا أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ  
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ  
سَاحِرُ الْمُقَلَّةِ مَعْسُورُ اللَّهِ  
سَدَدَ السَّهْمِ فَأَضْمِي إِذْ رَمَى  
إِنْ يَكُنْ جَارٌ وَخَابَ الْأَمَلُ  
فَتَوَّ لِلنَّفْسِ حَيْبٌ أَوَّلُ  
أَمْرُهُ مُعْتَمِلٌ مُمْتَلِكُ  
حَكْمِ اللَّحْظِ بِهَا فَأَحْتَكِمَا  
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا  
مَا إِقْلِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا  
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَنَبَا  
جَلَبَ أَلْهَمٌ لَهُ وَالْوَصَا  
لَا عَجْ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرِمَا  
لَمْ يَدْعُ مِنْ مَعْجِي إِلَّا أَدِمَا  
سَلَمِي بِأَنْفَسٍ فِي حُكْمِ الْقَضَا  
وَأَنْزَلِي ذِكْرِي زَمَانَ قَدْ مَضَى  
وَأَضْرُ فِي الْقَوْلِ إِلَى الْمَوْلَى الرَّضَى  
الْكَرِيمِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَهَى  
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا

وَيَقْلِي مَسْكِينُ أَتَمُّ بِهِ  
لَا أَهْلِي شَرَفُهُ مِنْ غَرَبِهِ  
تُنْقِلُوا عَيْنَيْكُمْ مِنْ كَرَبِهِ  
يَتَلَاثَى نَفْسًا فِي نَفْسِ  
أَقْدَرُ زَوْنَ خَرَابِ الْحَبْسِ  
بِأَحَادِيثِ الْإِيمَانِ وَهُوَ بَعِيدُ  
شَقْوَةِ الْمَعْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ  
فِي هَوَاهُ بَيْتٌ وَعَدٌ وَوَعِيدُ  
جَالٌ فِي النَّفْسِ مَجَالُ النَّفْسِ  
بِفُؤَادِي نَبْلَةُ الْمُفْتَرِسِ  
وَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَدُوبُ  
لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِحُبُوبِهِ ذُؤُوبُ  
فِي ضُلُوعِهِ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبُ  
لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ  
وَيَحْزَارِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي  
عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ  
قَوْلُهُ إِنْ عَنَّا بِي لَشَدِيدُ  
فَهَوِّ لِلْأَشْجَانِ فِي جِهْدِ جَدِيدُ  
فَهْيَ بَارِ فِي هَسِيمِ الْإِسْ  
كِبْقَاهُ الصُّبْحِ بَعْدَ الْفَلَسِ  
وَأَعْبُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابُ  
بَيْنَ عَيْنِي قَدْ لَقِصْتُ وَعَتَابُ  
مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ  
أَسَدِ السَّرْحِ وَبَدْرِ الْمَجْلِسِ  
يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَذْوَاقَ كُلَّهَا فِي مَعْرِفَةِ بِلَاغَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ لِمَنْ خَالَطَ تِلْكَ الْأَلْفَةَ وَكَثُرَ  
اسْتِعْمَالُهُ لَهَا وَمُخَاطَبَتُهُ بَيْنَ أَجْيَالِهَا حَتَّى يُحْصَلَ مَلَكَتُهَا كَمَا قُلْنَا فِي الْأَلْفَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
فَلَا الْأَنْدَلُسِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَا الْمَغْرِبِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ  
أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ وَلَا الْمَشْرِقِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّ  
اللِّسَانَ الْخَصْرِيَّ وَتَرَكيَّةَ مُخْتَلِفَةٍ فِيهِمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُدْرِكٌ لِلْبَلَاغَةِ لَفْتِهِ وَذَائِقٌ  
لِحَاسِنِ الشِّعْرِ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِهِ وَفِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ السِّنِّيَّةِ كُمْ  
وَأَلْوَانِكُمْ أَبَاتٌ وَقَدْ كِدْنَا نَخْرُجُ عَنِ الْغَرَضِ وَلِذَلِكَ عَزَمْنَا أَنْ نَقْبِضَ الْعِثَانَ عَنِ الْقَوْلِ فِي  
هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ طَبِيعَةُ الْأَنْعُمَانِ وَمَا يَغْرُضُ فِيهِ وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا مِنْ مَسَائِلِهِ  
مَا حَسِنَاهُ كَيْفَانَةً وَلَعَلَّ مَنْ يَأْتِي بَعْدًا مِمَّنْ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ فَيَفَكِّرُ مَصِحِّحٌ وَعِلْمٌ مَبِينٌ بَعُوضُ  
مِنْ مَسَائِلِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا كَتَبْنَا فَلَيْسَ عَلَى مُسْتَطَبِّ الْفَنِّ إِحْصَاءُ مَسَائِلِهِ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ  
تَعْيِينُ مَوْضِعِ الْعِلْمِ وَتَنْوِيعُ فُصُولِهِ وَمَا يَتِمُّ فِيهِ وَالْمَتَأَخَّرُونَ يُلْحِقُونَ الْمَسَائِلَ مِنْ  
بَعْدِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَكْمُلَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

قال مؤلف الكتاب عفى الله عنه اتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل الشنيع  
والتهذيب في مدة خمسة اشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة ثم فحجته بعد  
ذلك وهذبه والحقت به تواريج الامم كما ذكرت في اوله وشرطته وما العلم الا من عند  
الله العزيز الحكيم

لقد تم بحوله تعالى طبع هذا الكتاب طبعة ثالثة في المطبعة الادبية وعلى نفقتها تزفه  
الى طلبة اللغة العربية الشريفة تحفة كريمة من تحف المتقدمين نهديه للتأخرين مثالا يقتدى  
به ومنوالا يسبحون عليه وقد عني بشكله جناب الكاتب البليغ رشيد افندي عطيه احد  
محرري جريدة لسان الحال ثم نظرفيه وصحح ما احالته عن اصله ايدي النساخ والطباع  
جناب العالم المدقق والنفوي المحقق الكاتب البليغ المعلم عبدالله افندي البستاني متوخيا  
بذلك خدمة خالصة للعلم والادب نسأله تعالى ان يثيبه على هذه الخدمة النافعة وينفعنا  
بمعارفه وقد جعلنا ثمن النسخة من هذا الكتاب خمسة وعشرين غرشا تسهيلا لافقتائه ولا  
سببا لتلازمة المدارس ومن طلب منه كمية تفوق الخمسين نسخة جعلنا له اسقاطا لقاء اهتمامه  
نسأله تعالى ان يوفقنا الى ما فيه خدمة الدولة العلية والوطن











